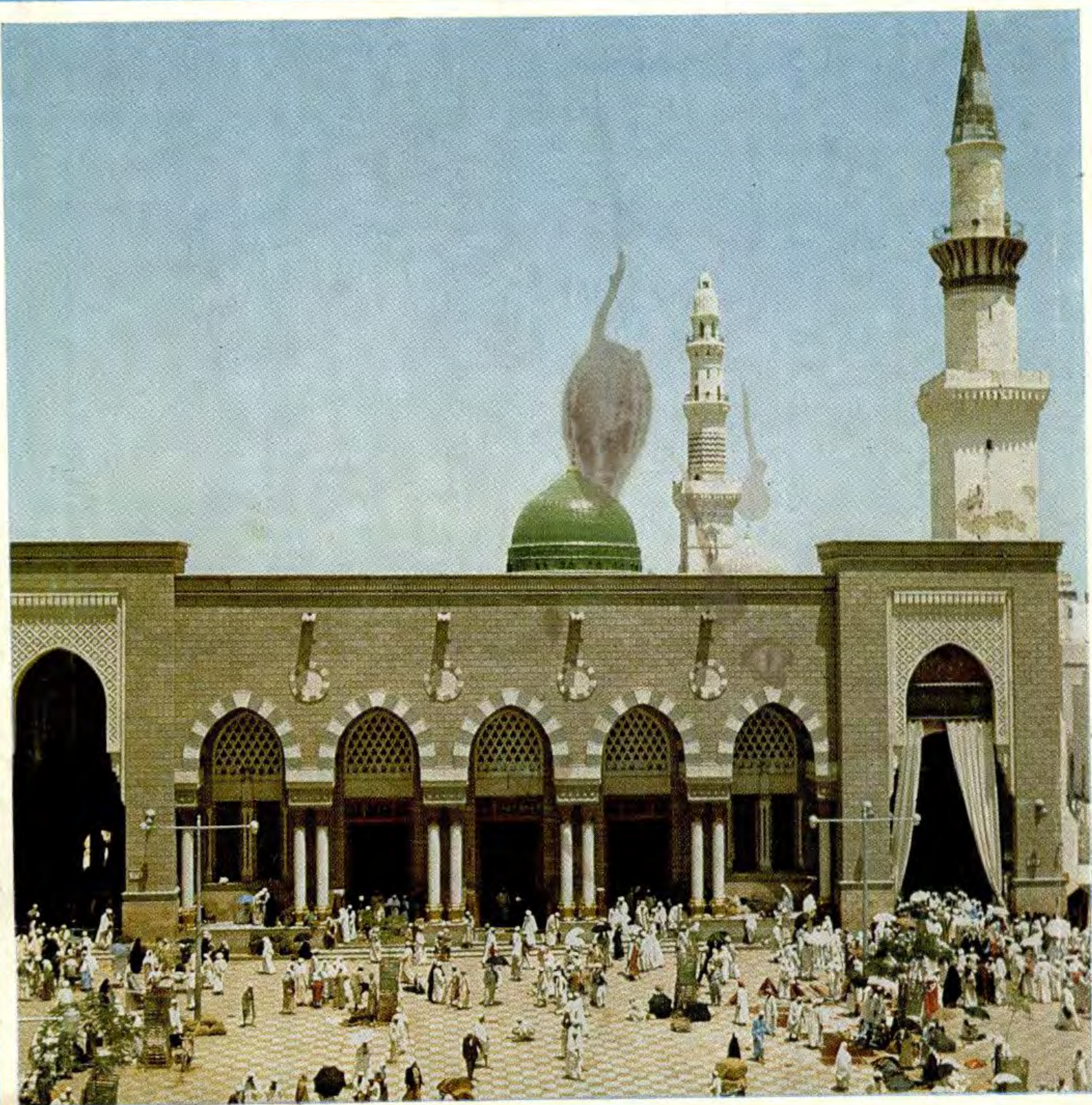
الوعي الإسلامي

إسلامية ثقافية شهرية

عدد
الهجرة
الممتاز

العدد الثالث عشر ـ السنة الثانية ـ محرم ١٣٨٦ هـ ـ ٢١ ابريل ١٩٦٦م





قصة العدد :

اسلام جبلة

ص : ٨٦

اقرأ في هذا العدد

الوعي الإسلامي

اسلامية ثقافية شهرية

العدد الثالث عشر • السنة الثانية

غرة المحرم سنة ١٣٨٦ هـ

٢١ ابريل ١٩٦٦ م

تصدرها وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية بالكويت فى غرة كل شهر عربي

المجلة حرة ، والوزارة غير مسئولة عما ينشر فيها من آراء

صورة الغلاف



المسجد النبوي بالمدينة المنورة

الثمن

الكويت	٥٠	فلسا
السعودية	١	ريال
العـراق	٧٥	فلسا
الاردن	٥٠	فلسا
ليبيـا	١٠	قروش
المغـرب	١	درهم
الخليج العربى	١	روبية
اليمن وعدن	٧٥	فلسا
لبنان وسوريا	٥٠	قرشا
مصر والسودان	٤٠	مليما
تونس والجزائر	١٠٠	مليم

الاشتراك السنوى

فى الكويت ١ دينار للهيآت فقط
فى الخارج ٢ ديناران
(أو ما يعادلهما بالاسترليني)
أما الافراد فيشتركون راسا
مع متعهد التوزيع كل فى قطره

عنوان المراسلات : مجلة الوعى الاسلامي ــ وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية الكويت ص . ب ١٣ ــ هاتف ٢٢٠٨٨

مع مطلع العام الهجري

أملٌ تحقق

للاستاذ عبد الرحمن عبد الله المجحم
المشـــرف العــام
ووكيل الوزارة

منذ أن بدأت أقرأ كتاب الله الذى أنزله على خاتم رسله وأنبيائه ، وجدتني أحمل حملا قويا على مطالعة أخبار المصطفى الذى أحال الجهل علما ، والضعف قوة ،والتفكك وحدة ، والانانية تضامنا وتراحما ، وجعل مـن الرعاة الضاربين فى متاهات الصحراء قادة للدنيا ، وبناة أجيال ، غيروا وجه التاريخ ، وقسروه قسرا على أن يتحدث عنهم حديث المعجب المفتون ، ساسوا البشرية فى حزم ورفق ، وقوة وتواضع وكياسة وفقه بالامور ، ولم تستعص عليهم مشكلة مهما كان نوعها فى السلم أو فى الحرب ، فى الاجتماع أو فى السياسة ، فى العلاقات الدولية أو التشريع المحلي ، ولم تقف أمامهم عقبة أيا كان مظهرها أو مصدرها .

فقد أوجدوا لكل داء دواء ، ولم يقولوا عن امر ما : هذا عسير المنال ، أو بعيد لا يطاول ، أو صعب لا يرتقى .

وقف الزمان أمام افعالهم مبهورا ، وانصاع لامرهم كل باغم وناطق ، وسار ركبهم عبر الاجيال المتلاحقة يحمل المشعل الوحيد الذى يضىء الطريق . فما رأت الدنيا عدلا كعدلهم ولا رفقا فى سلم أو حرب كرفقهم ، ولا برا كبرهم ، ولا رحمة بالضعيف والعاني كرحمتهم ،وكل هذا لا يحتاج الى برهان ليثبت ، ولا الى دليل ليدرك .

فكرت حينذاك ، وكلما مضى بي الزمان ، تعمقت الفكـرة ، ورسخت آثارها ، فساءلت تاريخنا ، كيف بدأ هذا الظل الوارف يتقلص ؟ ومتى أخذ هذا الضوء اللامع يخفت ؟ لماذا تخلت الامة الرائدة عن مركز القيادة ؟ وأين الخلفاء العمالقة الذين هزت اشاراتهم المشارق والمغارب ؟ ووجدت الجواب فى حروب داخلية استعرت حينا أدارها الحقد والكيد ، ولم يطل بي التنقيب حين التقيت بالحروب الصليبية السافرة وجها

لوجه ، وما كتل لها وأعد ، وما جيش وجمع ، وشاهدتها تنهار أمام صلابة صلاح الدين ، وايمان المسلمين .

ولاحقت العدو اللاهث أمام ضربات الحق القوى ، فما وجدته قبع ولا استكان وانما رأيته يجمع فلوله ، ليظهر بأسلحة اخرى أشد فتكا وأقوى فعالية ، وأضمن نتيجة لما يراد ، وجدته يدخل فى معركة لا يستعمل فيها مدفعا ولا صاروخا ، وانما يلقى فتنة العقائد والمذاهب ، مستترا بالثقافة التي تنطوى على السم الزعاف ، والبلاء المبين ، وبرزت قرون الشيطان من كوى ومنافذ أوصدتها طويلا قوة الاسلام ، ظهرت تتحدث عن الفضائل الانسانية ، وتنادى بالويل والثبور وعظائم الأمور لكل المقدسات وتنعتها بالرجعية والانتكاسية والتقهقرية ، وما الى ذلك مما يطول الحديث عنه والكلام فيه .

هنا وقفت مليا أرقب الجواء المحيط بناء،فوجدت بلدنا بلدا فتيا قويا لم تدنسه يد غاصب ، ولم تطأ أرضه قدم فاتح مطلقا ، بلد حباه الله سكانا يكونون الدولة فى أكمل مظهر وأجمل سمت وأفضل مخبر ، وهم كالعائلة الواحدة المتماسكة المتحابة المتكاتفة المتعاونة على كل خير ، وقد أفاء الله عليهم فضله فى الجاه والمال والولد .

وتساءلت مرة اخرى ! لماذا لا نخوض المعركة ولدينا أقوى ذخيرة من ماضينا وحاضرنا ؟ لماذا لا يفكر المسئولون فى عمل جاد لخدمة الاسلام والحفاظ عليه ؟ . ما الذى يعوق اصدار مجلة تحمل اسم هذه الوزارة معلنة عن رسالتها الطاهرةالسامية ؟

وسعدت كثيرا حين أمكن التغلب على كل العقبات التي أثيرت ، واستعنا بالله مستمدين القوة منه سبحانه : ولتكن اذن تجربة !!.. وظهرت « مجلة الوعي الاسلامي» تحمل الزاد الكريم للناس جميعا ، وتنشر الضياء والنور فى حكمة حكيمة ، وقوةحانية وكلمة هادئة رفيقة .. وسارت بفضل الله تشق طريقها الى القراء فى أنحاء الوطن الاسلامي ، وصادفت النجاح الذى فاق ما كان يتصوره أشد المخلصين تفاؤلا ... وشجعنا القبول الذى حظيت به والمكانة الكريمة التي احتلتها ، وجاءت الكتب تترى الينا من كل فج عميق تشد على ايدينا تطلب المزيد ، وترجمة مقتبسات منها الى اللغات الاخرى (١)

بث ذلك السعادة فى نفوسنا ، وأشعرنا أن الصيد فى جوف الفرا ، وأن الحقيقة التي لاتمارى هي أن الاسلام فاتح كريم للعقول والافهام على خير ما تريد وما يراد لها .

وها نحن أولاء نعد العدة لزيادة العدد المطبوع للعام الثاني من عمر المجلة المديد بعون الله تعالى ، معتمدين على الله وعلى جهود المخلصين من أبناء وطننا الحبيب ،وعلى الكاتبين من مختلف ديار الاسلام ، والمحققين من علماء المسلمين .

وحين تودع المجلة عاما وتستقبل آخر ، لا يسعني الا أن أهنىء القائمين على أمور المجلة بهذا النصر المبين ، واسأل الله أن يديم للحق التأييد ، وأن يحفظ لدولة الكويت ترابط أبنائها وروحها الاسلامية القوية ، وسبقها فى كل ميادين الخير والفلاح .

---

(١) فى رسالة واردة الينا من مدير المركز الاسلامى بنيويورك الدكتور محمد عبد الرءوف أن بعض المجلات الامريكية تقتبس من مجلة الوعي الاسلامي الكويتية .

بسم الله الرحمن الرحيم

أخي القارئ

كل عام وأنتم بخير

وبعد . فهذه مجلتك تخطو الى عامها الثاني من حياتها الممتدة الموفقة ان شاء الله معتزة بما حباها الله من توفيق ، وما منحتها من ثقة .. مستمدة من هذا وذاك نورا وزادا .

نورا يلقي مزيدا من الضوء على طريقها كي تأمن العثار فى خطوها ، وتكون أكثر تحديدا وتصويبا لاهدافها .

وزادا يقوي من عزمها ، ويشد من أزرهـــا ، ويساعدها على تذليل المصاعب والعقبات التي تعترضها .. ومـــا أكثر المصاعب التي تقف فى وجه كل دعوة جادة ، ورسالة هادفة ، فى وقت استمرأ كثير من الناس فيه التمرد على الدين ، والتحلل من القيم ، والعزوف عن كل نداء يحد من نزوات النفوس ، وجموح الشرور ، وتســلط الاهواء .

وما كانت دعوة الاسلام فى يوم من الايام الا اصلاحا عميق الجذور يتعهد النفوس بالايمان ، والاخلاق بالاحسان ، والاعمال بالاتقان ، والاهداف بالطهارة ، والمجتمعات بالحب والائتلاف .

وكم يتطلب كل هذا من انتصار الانسان على هواه ، وكم يكلف هذا الانتصار من جهود وتضحيات ومن هنا « حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات » .

لا أريد يا أخي أن احدثك عن شيء من هذا فانت تحسه وتعرفه ، وتعرف بجوار ذلك أن السير فى الطريق المنحدر أمر سهل لا يقتضى عزما .. ولا يكلف جهدا .. وما على الذين يختارونه ممن تصدوا لحمل أمانة الكلمـــة المكتوبة الا مجاراة النفوس فى نزواتها ، واشباع غرائزها وشهواتها .. ولا يكلف ذلك الا صورة خليعة أو قصـــة جنسية ماجنة .. ومن وراء ذلك الرواج والمال .. أما أن يتقوا الله فى دينهم وفى أمتهم فشيء ليس فى الحساب .

هذا شيء واقعي تعرفه ونعرفه ، وقد يصيبك أو يصيبني بسببه كثير من الاسى والاسف .

ولكن التجربة التي خاضتها مجلتك ((الوعي الاسلامي)) وخضتها معها ، وعشت كل لحظة مرت بها خلال هذه السنة الاولى من حياتها ، تبدد ــ ولله الحمد ــ بعض هذا الاسى ، وتزرع بدله كثيرا من الامل والثقة في هذه الامة ، وفي معدنها الاصيل .

ان هذه الامة ــ وان علا على سطحها كثير من الزيف ، الذي قد يغرى المزيفين بالمزيد من تزييفهم ــ لا يزال جوهرها الاصيل كامنا فيها ، يثور حينما تستثيره ، ويلمع كلما حركته .

حقيقة وضع كثير من المستغربين المساحيق الغربية على وجهها ، حتى كادت تبدو على غير طبيعتها ، ولكن السأم بدأ يداخلها من طول ما عانت من تزييف وجهها ، ورواج العملة الزائفة فيها ، وظهورها على غير طبيعتها ، فأصبحت من أجل هذا تحن الى أصلها ، وتتلمس الوسائل التي تعيدها الى حقيقتها ، وتردها الى دينها ، وتوقظ الروح الكامنة في أعماقها .

واذا كان الغرب الذي استوردنا مساحيقه ، وأغرمنا بمظاهره ، قد انتابه السأم مما فيه ، وبدأ يبحث عما يبدد به سآمته ، ويوفر له طمأنينته ، فليس بغريب على هذه الامة ذات المعدن الاصيل أن تسارع بالعودة الى روحها ، وتتلمس الهادى على الطريق .

ثم كان حرص المجلة منذ صدورها على أن تستقبلك بثوبها القشيب ، وتطير اليك بجناحين : جناح يخاطب روحك ، ويلهب عاطفتك ، ويستنفر نخوتك . ويستثير فيك الحمية لبعث أمجاد أمتك ، والعيش في ظلال مثلك وقيمك . وجناح يخاطب عقلك ومنطقك ، ويعرفك بتراثك ، ويكشف لك عن كنوز شريعتك ، وما فيها من أصالة ، وما تكفله لك من نهضة .. وحشدت لذلك كله اخوان صدق في دينهم وغيرتهم ، من ذوى الاقلام وكبار الكتاب والمفكرين ، من أصحاب الاختصاصات المتنوعة في جميع الاقطار العربية .. تجاوبوا معنا في دعوتنا ، وقدموا لك ــ مشكورين ــ نتاج فكرهم ، وعصارة تجاربهم .. وكل ذلك في حسن تنسيق ، وروعة اخراج ، وجمال طباعة .

ومن هذا وذاك كان سر التقدير الذى لاقته ((الوعي الاسلامي)) في جميع الاقطار ، ومن كل البيآت ، حتى الذين لم يكونوا يقرأون مجلات دينية كانوا أسبق الناس في الحرص على قراءتها .

زارني مرة مسئول في دار المجلة .. فقدمت اليه آخر عدد صدر منها ، ورأيته شبه عزوف عنها .. ونظرت اليه ونظر الي .. وقال : صدقني لا أقرأ المجلات الدينية. فقلت له لا بأس. خذ هذا واطلع عليه . فتناوله وعكف على تصفحه ومراجعة بعض ما جاء فيه .. ثم طلب الاعداد الماضية كلها فاعتذرت .. فقال : سأشكو الى وزير الاوقاف انك تصد الناس عن الاسلام وثقافته !! ولم يخرج الا بما تيسر لنا وجوده من أعداد .

ولقد بلغ حرص القراء عليها اننا تلقينا شكاوى من كثير من البلدان العربية ، حتى من الكويت بأنها تباع في يوم صدورها بأكثر من ضعف ثمنها ، وجاءتنا رسائل تطلب العدد الاول ، وتعرض دينارين ثمنا له .

وحين كنا نعد العدة لاصدارها ، كان الفتور الذى تقابل به المجلات الدينية فى العالم العربي عادة ، لا يفارق تقديرنا ، ولا سيما فى تحديد الكمية التي نطبعها . والتمسنا متعهدا لتوزيعها ، واتجه نظرنا الى شركة كبيرة للتوزيع ، وأرسلنا اليهـا ، فلم تكلف نفسها حتى مئونة الرد علينا ، ولعلها هي الاخرى كانت تقدر الفتور الذى قدرناه ، ولم تجد ما يغرى فى توزيعها .. حتى صدر العدد الاول ، وتكفلت ((شركة منار)) فى الكويت بمهمة التوزيع .. وكل عدد يصدر منها تتقدم بعـده تطلب زيادة آلاف عما طبع قبله .. ومع طلب الزيادة بيان بأن مجموع دخلها فى كثير من الأقطار لا يغطي أجر شحنها بالطائرة .. ومع ذلك زدنا فى حدود الامكانيات المتاحة لنا ، فلم يكن هدف الوزارة منها ربحا أو تغطية نفقات ، بل كان أداء رسالة سامية تنهض بها .

ومرت الشهور ، وزاد الطلب أضعاف ما نطبع .. طلبت شركة توزيع الاخبار فى القاهرة وحدها عشرة آلاف بعد صدور الاعداد الاولى منها .. ثم زارنا مدير الشركة الكبرى ــ التي لم ترد على رسالتنا من قبل ــ يطلب أن تقوم هي بالتوزيع ، وأن نطبع على الاقل خمسين ألفا لتغطية الطلب عليها ،..ولم يكن قد مضت سنة على صدورها .

مرحى !. فهذا أول شيء من نوعه فى تاريخ المجلات الدينية .. وربما فى تاريخ مجلات تقوم على أساليب الاغراء واسترضاء الجنس !

هل ترى ذلك كله قد جاء اعتباطا ؟ أم أنه تجاوب الارواح المؤمنة المخلصة فى كل ركن من العالم الاسلامي مع المجلة وكتابها .

ليست لدينا صور الاغــــراء الخليعة ، ولسنا نحن ولا الكتاب ممن يستثيرون الجنس ، ويسترضون الغرائز ، ويتملقون الشهوات .. ولكن كل ما لدينـــــا دعوة الاسلام الجادة لتطهير النفوس من ضعفها ، والنهوض بالمجتمعات من كبوتها ، ومحاربة الميوعة والتخنث والاستغراب فيها .

وعلى هذه الدعوة الجادة الحازمة الهادفة تلاقت القلوب ، وتنادت الارواح : حي على الفلاح .

ذلك شيء يسرنا ويسر كل مؤمن ، ويزيد من تفاؤلنا بمستقبل هذه الامة ، بالرغم من كل معاول الهدم التي تعمل فيها ، من داخلها وخارجها .. وان كلفنا ذلك مزيدا من الاعباء والجهود ، حتى نكون على مستوى هذه الثقة ، ونزحف بالركب خطوات وخطوات .. ونكسب أرضا جديدة كل عدد .. وكل عام .

وما أسعدنا بالاعباء نحملها ، وبالجهود الشاقة نبذلها ، ما دام ذلك كله فى سبيل الحق الذي نؤمن به ، ومن أجل الامة التي ننتسب اليها ((خير أمة أخرجت للناس)) .

★★★

بقيت لي كلمة مع اخواني الكتاب الذين يستجيبون لدعوتنا ، أو يتفضلون بارسال بحوثهم الينا . كلمة أبدأها بشكرهم جميعا ، ثم أنتقل بعد الشكر الى اعتذار . اعتذار عن عدم نشر بحوثهم فى الوقت الذي يقدرون . انها قد تتأخر أحيانا كثيرة ، لا صدوفا عنها ، ولا غضا من شأنها .. ولكن لطبيعة العمل فى المجلة ، والحرص على ان ننسق

لقرائها باقة مكتملة من كتاب البلاد العربية المتعددة،ومن المعارف والثقافات المتنوعة.. مرتفعين فوق مستوى الخلافات المذهبية أو السياسية .. وقد نقدم موضوعا لاهميته، وانشغال أفكار الناس به ، أو لانه يداوى مشكلة قائمة يعاني المجتمع منها ..أو لانه وصل الينـــــا فى مناسبته ، وقد يتاخر لان المناسبة فاتته .. ولكنه يبقى لينشر حين تعــود .

وصلنا مقال فى العام الماضى عن الهجرة بعد ان جهزنا عددهـــا .. فبقى حتى نشرناه فى هذا العدد . ومن عادتنا أن نخطط للعدد قبل صدوره بنحو شهرين .

وقد نترك المقال لانه قصير جدا لا يكمل صفحتين ، ولا يرتفـــع لمستوى بحث نقدمه لك حرصا منا على مستوى الكاتب والمجلة ، ونحن بعد ذلك نتقبل بصدر رحب كل عتب ، وبهذه الروح نرجو أن يقدر الاخوان الظروف ويتقبلوا العذر . والقافلة تسير .. وكلنا خدام هذا الركب .. والنوايا الطيبة متبادلة ومتوفرة بحمد الله .

وكلمة أخيرة لكنها ليست بجديدة . انها كلمة انقلها هنا من افتتاحية العـــدد الاول لانني ما زلت مؤمنا بها ، راجيا من اخواننا الكتاب ان يبادلوني رأيي فى العنـاية بها : ((ان القراء يواجهون مشاكل جديدة فى حياتهم يريدون رأي الدين فيهـــا . لم يعودوا يكتفون بتقرير أن الدين صالح لكل زمان ومكان . بل يريدون تطبيقا عمليا لهذه الحقيقة التي يؤمنون بها كذلك)) .

((ان معاملات قد جدت ، ومبادىء فى تكييف الحياة قد ظهرت ، ولم تكن موجودة حين وضع الفقهاء والاصوليون كتبهم وقواعدهم ... والعقلية الجديدة لم تعد تؤمن بأن باب الاجتهاد قد أغلق للابد ، أو أن الاوائل لم يتركوا للاواخر شيئا كما يقال ..))
((فأين الاجتهاد اذن ؟ أين محاولات العلماء المتخصصين لوضع حلول لمشاكلنا الجديدة؟ ذلك هو ما أريد أن يحاوله كتابنا ، وما أريد أن افتح صدر المجلة له وأعرضه للمناقشة لعلنا نصل بذلك الى خطوة تتبعها خطوات فيما نأمل ونرجو)) .

وأزيد على ذلك : الحيرة التي يعيش فيها شبابنا بين عقيدتهم وتشريعهم ، مذاهب غريبة تغزو الافكار ، وتتصل بالعقيدة ، أو بنظم الحياة الاجتماعية والاقتصادية ، هذه لا بد أن نعنى بعلاجها ، وان نقدم لشبابنا ما يخرجهم من هذه الحيرة ، ويثبت ايمانهم بعقيدتهم وتشريعهم .. ليواصلوا دورهم ــ حين يأتي ــ فى تدعيم كيان هـــذه الامة وخصائصها .

ولقد سرني أن يستجيب بعض كتابنا لعلاج هذه الناحية الهامـــة فيما نشرناه وسننشره ان شاء الله ، وأحب أن الفت اليه نظر القراء وبخاصة الشباب .

وعلى بركة الله وهديه نشق الطريق . ومنه سبحانه العون والتوفيق .

عبد المنعم النمر

من عبر الهجرة

للاستاذ البهي الخولي

((الا تنصروه فقد نصره الله اذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين ، اذ هما فى الغار اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا)) .

― ١ ―

فى هذه الآية الكريمة من عبر الهجرة ، ما يثبت الايمان ، ويزيد المرء بصيرة بتوحيد الله عز وجل ، وثقة بأسرار الحق فى هذا الوجود .

فالله سبحانه يقرر فيها انه نصر رسوله صلى الله عليه وسلم فى ظروف تجمع فيها لعدوه كل ما يعرف الناس حينئذ من أسباب الغلبة ، دون انيجتمع له منها سبب واحد .. ذلك لأن العبرة ليست بما يجمع الناس من أسباب

ظاهرة ، بل ما يخفي الله وراء تلك الأسباب من عجائب القوى ، وأسرار الغيب .

ان جهدنا فى هذا الوجود ان نتصرف فيما يبدو لنا من مادته على اختلاف صورها وألوانها ، وفق ما رسم الله لنا من علم ، وكشف لنا من وسائل .. ولكن وراء المادة وما لها من صور وألوان عالما آخر واسع الآفاق ، عظيم القدر ، حافلا بأسرار القوى ، لا يرى بعين ، ولا يسمع بأذن ، ولا يلمس بيد ، ولا يعلم أحد جند الله فيه الا هو سبحانه .. وتلك الأسرار والقوى انما هي أمر مسخر لكل من عرف الحق ، واتخذ كل سبيل لنصرته .

― ٢ ―

نعم هي أسرار مسخرة لتأييده لا محالة . ما دام قائما بأمر الحق ، آخذا له بكل ما استطاع من سبب .. وهي فى الشدائد بوجه خاص ، جند مسخرة لنصرته وتلبية مشيئته ، وجبر ما نقص من أسبابه وعدته ، فاذا لم يستطع حشد الكثرة الكاثرة ـ مثلا ـ لمواجهة عدوه ، قامت هي له فى الخفاء مقام الكثرة ، وما فوق الكثرة ، وتولت عنه علاج عدوه بما لا ترى العين ، ولا تسمع الأذن ، فاذا هو من حيث لا يدرى ، قد بطل كيده ، وضل تدبيره ، وختم على سمعه وقلبه ، وصار فى أيدى جند الله كالدمية الجامدة ، يصرفونها على حسب مشيئته سبحانه .

وذلك هو ما نقرأه فى عبرة الهجرة ، اذا كان العدو بخيله ورجله قد أحال مكة كلها ، وما يحيط بها من بطاح وهضاب ، ميدانا لمعركة رهيبة تطلب دم النبي صلى الله عليه وسلم ، وليس معه من الاعوان سوى رجل واحد ـ وليس اقل فى العدد من واحد ـ لتسلم العبرة ، ويقوم الشاهد أقوى ما يكون على ان الباطل لا حجة له مهما يكن عدده ، وأن الحق هو القوة الغالبة مهما يهن فى رأى العين شأنه ونصيره ، وذلك قول الله سبحانه « الا تنصروه فقد نصر الله » .

متى ؟ ! .. « اذ أخرجه الذين كفروا » .

فى كم رجل ؟ ! .. « ثاني اثنين » .

ولكن اين المعركة هنا ؟ .. وأين مظاهر النصر ؟ .

ان الناس قد اعتادوا الا يعترفوا بنصر ، ولا يقروا بمعركة، الا اذا شاهدوا جمعين يلتقيان ، فيغلب احدهما الآخر ، ثم يستخرجون من بعد ذلك ما شاءوا من عبر النصر ، او نتائج الهزيمة. وهذا فهم ساذج ، وتقدير فيه قصور ، فان الغلبة فى الحقيقة ، انما هى غلبة فكرة لفكرة .. ورأى لرأى .. وعقيدة لعقيدة ، وليس ضروريا ان تلتقى الجنود ، ولا ان تقوم المعارك ، وتزهق الأرواح ، وتتناثر الأشلاء .

ان العبرة فى النصر ان تغلب ارادة ارادة ، وأن ترجح وجهة نظر على وجهة نظر أخرى .. وقد أراد النبي صلى الله عليه وسلم ان يهاجر .. وأراد الكفار ان يمنعوه من الخروج ، ويقهروه على ارادته تلك ، بالقتل ، او بالحبس ، وجمعوا لذلك من الرجال والسلاح ما جمعوا ، ورصدوا له من الأموال ما رصدوا .. فماذا كانت النتيجة ؟ . هل نفعهم ما جمعوا ورصدوا ؟ .. الم تنتصر ارادة النبي وتنهزم ارادة عدوه ؟ .. الم تنفذ وجهة النبي ، وتنتكس وجهة عدوه ؟ .

لو أن ظروف النبي صلى الله عليه وسلم امكنته ان يلقى تلك المعركة فى امثال عدتها من الرجال والسلاح ، ليغلب هؤلاء على ارادتهم ، ويمضي الى هجرته

التي أمر الله ، فماذا كنت تقدر لتلك المعركة من الرجال والمال والسلاح ؟ وماذا كنت تقدر لها من خسائر الضحايا والجرحى والمشوهين ؟ .

انك قد تبالغ فى تقدير حاجة المعركة الى الرجال ، وكثرة ما يكون فيها من خسائر الأنفس والثمرات ، وقد تذهب الى التهوين من امر ذلك كله ، وتنزل بتقدير عدد الرجال والخسائر التي تنجلي عنها المعركة الى اقل عدد يسيغه العقل المنصف ، او المكابر ، ولكن مهما تذهب فى تهوينك ، ومهما تنزل فى تقديرك ، فانك لن تبلغ ان تقول انه يكفي لمواجهة تلك المعركة ، وتنحية المشركين من وجه الهجرة ، وردهم على أعقابهم خاسرين ، لن يبلغ بك ان تقول انه يكفي لمواجهة ذلك كله رجل واحد ، وأنه لا يكون هناك من الضحايا أو الاصابة شيء مذكور .

وهذا هو لباب العبرة ، وسر تدبير الحق سبحانه من وراء الأسباب ، فأعز عبده بغير جند ، ونصره بغير معركة ، وكثره بغير عدد ، وهو من فقه الايمان ، وعجائب تصريف الحق فى عالم الخفاء ، التي تطالعنا من ثناياه قوله جل شأنه « الا تنصروه فقد نصره الله .. اذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين » .

– ٣ –

ونرى الآية الكريمة تمضي فى تجلية عجائب النصر ، فلا تكتفي بتقرير هوان الكثرة المبطلة ، بازاء القلة المؤمنة ، بل تعرض لأمر آخر لا يقل عجبا عن سابقه ، فتتحدث عن « استراتيجية » مكان المعركة ، وتبين أن العامل« الاستراتيجي» كان فى صالح الاعداء ، ولم يكن فى صالح الطرف الآخر بوجه من الوجوه .

فمن المقرر فى الحروب أن احد الخصمين اذا سبق خصمه الى احتلال أصلح المواقع ، واضطره الى النزال فى اماكن غير صالحة لتحركاته ، كان ذلك من عوامل النصر للسابق ، وعوامل الهزيمة لخصمه .. ولكن حين يحتشد الباطل لمنازلة الحق ينسخ الله كل ميزات « الاستراتيجية » اذا كانت ضد اهل الحق .. ولم يكن فى معركة الهجرة اضيق من غار ينزله احد طرفي المعركة ، ليقيم الله منه الحجة الباقية على ان قوانين الزمان والمكان ، انما تعمل بمشيئته سبحانه ، لا بمشيئة الطغاة من اهل الباطل ، فلقد كانت بطاح مكة ورباها كلها ، ميدانا حرا لتحركات العدو ، وكان الغار الضيق فى متناول ايديهم وتحت ابصارهم .. وهو بعد غار ضيق لا مجال فيه لحركة دفاع او هرب ، وما كان عليهم الا ان يمدوا ايديهم فيستولوا عليه ، ويأخذوه اخذا هينا سهلا ، ولكن هيهات لما يريدون ، فقوانين السماء تنسخ قوانين الأرض عندضرورة الحق ، لتنبعث آية النصر متحدية باذن الله كل تنظيم مكاني ، ناطقة بأن الحق وحده ، هو القوة الفاعلة الغالبة فى هذا الوجود ، وأن الباطل ان هو الا صور من الوهم ، لا سند لها ولا قرار ، وهو ما تقرره الآية الكريمة فى شأن الغار بقوله سبحانه « الا تنصروه فقد نصره الله اذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين » .

فى أى مكان ؟ ..

« اذ هما فى الغار ! » ..

وكتاب الله الذى فصله على علم ، ما كان ليذكر كلمة الغار سدى ، ولا جزافا ، فهو المنزه عن اللغو والحشو ما ذكرها

سبحانه الا ليرفع منها علم هذه العبرة ، ليزيد العقول والقلوب علما بسعة تدبيره جل شأنه .

– ٤ –

ويمضي القول الكريم بعد ذلك ليقرر ان الرسول عليه الصلاة والسلام،اذ فقد فى هذه الجولة صلاحية المكان، وعامل الكثرة العددية ، فقد عاملا آخر ، لا غنى عنه فى أية معركة ، هو عامل السلاح فى الوقت الذى تسلح فيه عدوه بكل ما رأى من عدة كافية .. فاذا صار المرء المؤمن الى مثل هذا الموقف الاعزل المحصور ، تولته مقادير الله بما لا يدور فى خلده من تدابير النصر ، فيشعر أنه من رعاية الحق فى حصن أمنع من كل حصن ، وأنه من اعتزازه بحقه فى امضى من عدة الكمى ، وهذا هو بعض ما يطالعنا من نور قوله سبحانه « الا تنصروه فقد نصره الله اذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين اذ هما فى الغار اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا » .

وسر النصر كله فى قوله تعالى « ان الله معنا » .

فلقد قلنا ان النصر يتبين فى ظهور فكرة على فكرة ، ورأى على رأى ، وارادة على ارادة ، وذلك هو النصر فى الأمور الجزئية ، ووقائع الصراع فى سلسلة الجهاد الطويل ، اما النصر العام والقاعدة الكلية له ، أن يوفق المرء الى اعتقاد الحق ، والعمل له ، كما ان الخذلان العام ، والقاعدة الكلية للدمار ، أن يوكل المرء الى اعتقاد الباطل ، والعمل له .

ذلك ان الحق هو السر الذى قام به الوجود .. واذا تسامحنا فى التعبير قلنا ان الحق هو المادة التي صور بها او صور عليها هذا الوجود ، ولكنه مادة غير مشاهدة ، وسر غير منظور .. فمن اعتقد الحق فقد اسكن قلبه سر الحياة .. والقوة ، وبنى وجوده الحسي والمعنوى على الأساس الذى لا تعترف قوانين الوجود بسواه ، وذلك هو النصر كل النصر .

اما الباطل فهو وهم من تخيل الامزجة الفاسدة ، والعقول المضطربة ، وصور حائرة لا قرار لها ولا سند كما قدمنا . فمن ذهب هذا المذهب من الباطل فقد أبعد عن الحق ، وقطع نفسه عن موارده وأسكن قلبه سر البوار والكساد ، وذلك هو الخذلان الحق ، والهزيمة شر الهزيمة ؟ .. وقد نعى الله على قوم انهم أبعدوا عن الحق وناوأوه ، ووصف فعلهم بأنهم انما يهلكون انفسهم ، ولا يخذلونها فحسب ، وذلك قوله تعالى « وهم ينهون عنه وينأون عنه ، وان يهلكون الا أنفسهم وما يشعرون » .

ولقد تخلف الأعراب عن رسول الله فى غزوة الحديبية ، وأعدوا فى انفسهم ما يعتذرون له به ، فكشف الله له حقيقة امرهم ، وبين انهم ظنوا ظنونا سيئة ، واعتقدوا امورا باطلة زينها الوهم فى صدورهم ، فأورثتهم الهلاك والبوار ، وهم ما يزالون احياء بين الناس ، وذلك قوله سبحانه « بل ظننتم ان لن ينقلب

الرسول والمؤمنون الى اهليهم ابدا ، وزين ذلك فى قلوبكم وظننتم ظن السوء ، وكنتم قوما بورا » (... أى قوما هالكين ...) .

فاذا قلنا ان حقيقة النصر ، ان يعتقد المرء الحق .. وأن حقيقة الخذلان ، أن يوكل المرء الى الباطل فانما نصيب الحقيقة التي قررها كتاب الله عز وجل .

ولقد كانت كل حقائق النصر تزدحم فى وجدانه عليه السلام وهو يقول لصاحبه « لا تحزن ان الله معنا » وليس ادل على اعتقاد الحق فى اصفى صوره وأعمقها وأقواها ، من شعور المرء بمعية الله سبحانه ساطعة فى وجدانه ، ماثلة فى كل اقطار وعيه وحسه، تهون له كل ما عدا الله من جند او سلاح ، وتقر فى ادراكه يقين النصر ، ومدد المعونة فيقول « حسبنا الله ونعم الوكيل » اذا قال له الناس « ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم .. » او يقول اذا اجتمع العدو حول غاره وأوشكوا أن يطبقوا عليه « يا أبا بكر ، ما ظنك باثنين الله ثالثهما » « لا تحزن ان الله معنا » ذلك درس عميق من معانى النصر يجب ان نعيه من عبر الهجرة .

— ٥ —

وبعد فاذا تلونا هذه الآية الكريمة فى ذكرى الهجرة او فى غير ذكراها ، فلنلحظ ان الله سبحانه كرر كلمة « اذ » ثلاث مرات .

اذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين ..

اذ هما فى الغار ..

اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا ..

لينسخ فى الأولى عامل الكثرة العددية اذا كانت مبطلة .. وليبطل فى الثانية لعبده المؤمن المضطر ما يسمى « باستراتيجية » المكان .. ولينبه فى الثالثة الى ان حقيقة النصر ان يوفق المرء الى اعتقاد الحق والعمل به ، وأن كل ما عرف الناس من الوان السلاح ووسائل القتال انما هي فى نظر المؤمن ادوات مغلولة معطلة بازاء ما يملأ قلبه من ثقة بربه عز وجل .

نعم فلنلحظ هذا ، ولنعلم الى جانبه ، أن الله لا يعطل القوانين ، ولا يبطل السنن لأهل الكسل والتشدق بمعانى الايمان .. فان ايقاف السنن وخرق العادات امر خطير جليل لا يطوعه الله الا لمن مسك بالحق ، وأقام معالمه فى نفسه ، وغلب سلطانه على هواه ، وسخر له وقته ، وماله ، وعلمه ، وعقله ، وجوارحه ووجوده كله .

ان الحق هو حبل الله المتين ، الذى تحرك به فى السماء ما شاء الله من مقادير ، وسنن ، وجند ، وأسباب ، ولكن اذا عرفناه حق المعرفة وصبرنا عليه ، وجاهدنا فيه حق جهاده .

* * *

نسأل الله سبحانه أن يبصرنا بالحق ، ويهب لنا العزيمة عليه ، والحياة له وبه ، والممات فى سبيله ، انه سميع قريب ، مجيب الدعاء .

الفقه في الدين

المصدر الوحيد لمن أراد للدنيا سلاماً

لفضيلة الشيخ علي عبدالمنعم عبدالحميد
المستشار الثقافي لوزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من يرد الله به خيرا يفقهه (١) فى الدين ، وانما العلم بالتعلم (٢) » متفق عليه

تمهيد :

١ ـ الدين الاسلامي الذى أوحاه الله سبحانه جملة وتفصيلاً الى خاتم الأنبياء والمرسلين صلى الله عليه وآله وسلم ، هو خلاصة ما بلغه رسل الله عليهم السلام من قبله، (٣) فجميع الشرائع التى جاءوا بها تنص صراحة على توحيد المعبود ، وافراده بالانقياد له ، والخضوع لجلاله ، وان بدأ واضحا شيء من الاختلاف فى بعض التكاليف وصور الأعمال . فالمسلم الواعي العامل بدينه ، هو من خلَّص قلبه من شوائب الشرك . وأسلم وجهه لله رب العالمين (ومن

(١) الفقه : بكسر الفاء العلم بالشيء والفهم له ، والفطنة .. وغلب على علم الدين لشرفه . ويقال : فاقهه ، باحثه فى العلم ففقهه ، غلبه فيه . (والدين) : بتشديد الدال (المهملة) وكسرها ، من استعمالاته ، انه يطلق اسما لجميع ما يتعبد الله عز وجل به ... وفى الحديث الشريف : كان النبي صلى الله عليه وسلم على دين قومه ، أى على ما بقى فيهم من ارث ابراهيم واسماعيل عليهما السلام فى حجهم ومناكحتهم وبيوعهم وأساليبهم .. الخ .

(٢) فى اللغة . علم الرجل علما ، حصلت له حقيقة العلم ، وعلم الشيء عرفه وتيقنه وعلم الامر، أتقنه ، وهو فعل مطاوع ، يقال : علَّمته فتعلم .

(٣) قال تعالى (شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذى أوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى ان أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه ....) ١٣ سورة الشورى .

أحسن دينا ممن أسلم وجهه لله وهو محسن واتبع ملة ابراهيم حنيفا) .

٢ ــ والله تبارك وتعالى عليم بما ينفع العباد وما يضرهم ، وخبير بما يدفعهم قدما الى ما يسعدهم فى الآجلة والعاجلة ، وما يعوق سيرهم ، وينحرف بهم الى جادة المغضوب عليهم والضالين ، وما يتردى بهم فى هاوية البغضاء والأنانية المقيتة القاتلة ، ويفسد جواء حياتهم بالحقد والتنافر والتعادى والتشاحن ، ويحيل المقام على الأرض جحيما وعذابا اليما . فتتبدل نعمة الله كفرا . ويئول أمر البشر الى بوار ودمار ، وما كان الله جلت قدرته ليترك الخلق سدى بددا دون هداية ، عباهل مباهل بلا راع ولا قائد .

٣ ــ فأرسل الرسل ، وقفاهم بسيد أولى العزم ، وأنزل عليه شريعة محكمة ، لم تغادر من أمور البشر شيئا الا كان لها فيه القول الفصل . مضت ترافق الانسان منذ أن جنه رحم أمه الى أن يواريه ثرى رمسه ، فترعاه جنينا وطفلا وصبيا وشارخا وكهلا ، وتدرس ما يحيط به فى تلك المراحل لا على أنه فذ يعيش فى برج مشيد ، وانما باعتباره عضوا فى مجتمع لجب صاخب ، لهذا المجتمع معاملاته وتشريعاته وقضاياه وحوائجه المعاشية ، مع احكام صلاته بغيره من أبناء جنسه ، بل ومع الحيوان والجماد أيضا ، فهو سيبنى الدور ، ويقيم المصانع ، ويشق الطرق ، وتكون له المزارع ليطعم ويكتسى وآلاتها لتنتج ما يكفيه فى مستوى لائق كريم .

٤ ــ فالاسلام فى جوهره وأصوله ، فى نصه وروحه ، يعطى ــ ان لم يكن تفصيلا ــ قواعد كلية تعالج كل مشكلة فى الحياة ، وتطب لكل داء ، ومن يتعمق فى فهم تراث الأولين ممن صحبوا رسول الله ، ومن سلك طريقهم من تابعيهم ، يجد تطبيقا للأحكام على الواقع ، الأحكام المنصوصة نصا ، او المستخلصة من النصوص ، بعد فهم وروية ، وتعاون صادق رائده المصلحة العامة ، ولهذا أعان ابا بكر أصحاب رسول الله بآرائهم فى المشكلات التي واجهته بعد حبيب الله ، ولأجله أيضا حبس عمر كبارهم عن الانتشار فى الاقطار المفتوحة ، ولما مضت بهم الأيام الى النهاية المحتومة هيأ الله رجالا حملوا الأمانة فكان الأئمة المجتهدون الذين تفقهوا فى الدين ففقهوه ، ووعوه وأدوه للأجيال التي عاصرتهم والتي جاءت من بعدهم ، اولئك الذين أراد الله بهم خيرا ففقههم فى الدين ، وتعلموا وعلموا فأفادوا وخلدوا .

الفقه فى الدين

١ ــ من استقصاء المعانى اللغوية (للفقه والدين) والربط بينها وبين مدلولاتها الشرعية ، نجد النور العقلي يضيء جوانب الدلالات الأصيلة ، ويغوص فى قوة ادراك ، وحمية ايمان باحثا عن لآلئها المخبأة ، وجواهرها المكنونة ، ليبرزها فى ثوب قشيب يتهافت على اقتنائها طلاب الحق ، ورواد المعارف الانسانية ، ومحبو السلام والاستقرار والحرية .

هذه حقيقة أدركها الذين باعوا أنفسهم لله ، والذين نفضوا عنهم غبار الجهالة حين بهرتهم الدعوة الملحة الى العلم

والتعلم والبحث والدرس والتي حملها الاسلام فى صراحة صريحة ، وسلك بها دروبا لم يسر فيها غيره وولج أبوابا لم يطرقها سواه ، فلا يعرف دين سبقه الى الحث على العلم كما حثت آيات قرآنه وسنة رسوله ، وما ذاك الا سعيا لابراز قوة الشريعة الاسلامية ليتجه اليها المتخصصون ، وليحملوها الى الناس كافة تدفع عنهم الضير وترفع الاصر ، وتحطم الأغلال .

٢ ـ الناس أعداء ما جهلوا ، ومن جهل شيئا عاداه ، والشريعة الاسلامية فى العصور المتأخرة لم تجهل فقط ، وانما جهلت وأهملت ، واذا ذكرت فانما تقرن بالسخرية والاستهزاء او الوحشية والاجرام والقهر والاذلال .

وتعالوا نتأمل وضعها فى القرن الماضي وأوائل القرن الحاضر ، ونتأمل المسلمين عنوانها ، ودعاتها ، وحكام الأقاليم الموسومة بها ، نجد فى كل مكان جهلا فاضحا بالشريعة نفسها بين أبنائها ، اللهم الا أضواء خافتة تتراءى هنا وهناك لا تغنى ولا تفيد ، يحقرها الغريب عنها ، ولا يشعر بوجودها المقيم فى رحابها .

ما الذى يدعو المفكرين الى البحث عن الاسلام ؟ أجهل ابنائه أم فقر دوله وظلم حكامها ، واستعباد الرعية وسومها الخسف والارهاق ، أم البروج العاجية التي يعيش فيها قادة الجند وزعماء الجاه والسلطان ؟ .

٣ ـ ولما بدأت أمم الاسلام تفرك عينيها ، وتحاول تحريك جسدها لتنهض على قدميها بهرها المنظر الساحر البراق فى واد غير واديها فتطاولت اليه أعناقها لا لتساير الرقى الصناعى وحسب ، ولكن لتتمرغ فى حمأة التشريعات الغريبة عن بيئتها والمصنوعة لغيرها ، تنقلها كما هي دون تدبر أو وعي أو تفكير فهوت جاثية أمام الغزو الفكرى المريع ، وأخذت بالدعاية البراقة الخادعة الماكرة ، ذات الظاهر الناعم الملمس ، والباطن المنطوى على العداء الماحق الفاجر ، ودكت حصونها حين خلت من المدافعين الأقوياء ، وماذا تجدى قلاع لا تحميها السواعد الفتية، ولا العقول الفاقهة النيرة ، وديس التراث ولاكته السنة السوء ممن ينتسبون اليه وهو منهم براء ، ممن يعيشون على اسمه ويلفون فى دمه ، ، ومَنْ يحتمون فى ظلاله ويقطعون أوصاله .

٤ ـ دفعا لمثل ما وقع فى الفترة التي غشى فيها الجهل كل مرافق الأمة الاسلامية ، وتحذيرا من الاندماج فيه ، كانت وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعلم والتعلم ، والفقه والتفقه .

وكلمة (خيرا) فى الحديث الشريف نكرة فى سياق الشرط فتعم كل خير وتنوينه للتعظيم ، فهو الخير الكامل ، وفيه بشرى عظيمة للمتفقه ، كما أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم (من يرد الله به خيرا يفقهه فى الدين ، وانما أنا قاسم والله يعطى) (١) وفى حديث آخر (الناس معادن كمعادن الذهب والفضة ، خيارهم فى الجاهلية خيارهم فى الاسلام ، اذا فقهوا) (٢) وروى الترمذى وابن

(١) متفق عليه

(٢) رواه الامام مسلم فى صحيحه .

ماجة قول رسول الله صلى الله عليه وسلم (فقيه واحد أشد على الشيطان من ألف عابد) .

وقول الرسول الكريم (وانما العلم بالتعلم) يدفع الى تلقى العلم من أربابه فقد لا يستطيع طالب العلم البادىء الاستفادة من مجرد مطالعة الكتب ومراجعة ما لديه من موسوعات ، فللعلم اصطلاحات،وللمؤلفين اتجاهات واشارات وتوجيهات يعيى بها اللبيب ولا تدرك الا بموقّف (بتشديد القاف المكسورة) وفى الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة عبارات يحتاج فهمها على حقيقتها الى طول بحث وتدارس مع أستاذ فاقه واع، وقد تمضى بالمرء السنون وهو مقيم على فهم خاطىء لا يصححه الا توضيح موضح أو اجابة لوذعى مدره ، او الجلوس فى مجلس حبر ذى قدم راسخ فى العلوم .

ولو كانت القضية مجرد اطلاع ، او استقلال بفهم ، ما حث القرآن على الهجرة فى طلب العلم من مظانه حين يقول (فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون) وفى قوله (واذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه) وقال تعالى (ويعلمهم الكتاب والحكمة) .

٥ ـ والآن فى الحِقْبَةِ التى نعيشها نرى نور العلم العام آخذا طريقه الى كل مكان فى الامة الاسلامية ، يدخل اليها شعاعه من الكوى والنوافذ ويفتح لأبنائها مجاله ليلجوا من أوسع الأبواب ..

وأحب ان أضع بين يدى أبنائنا المسلمين حقيقة ما أظنها خافية على أولى الالباب وأصحاب الاطلاع الواسع،وذوى النظر الفاحص البعيد عن التعصب الغالّ للعقول عن الانطلاق فى حرية اتجاه وكمال توجيه، تلكم هي:ان الذين حاربوا الدين فى الغرب والشرق لم يكن لهم اطلاع موجَّه على الاسلام وحقائقه ولا معرفة كاشفة لأصوله وفروعه ، ولهذا لم يكونوا متجهين بأسلحتهم المختلفة اليه بتاتا،وانما أرادوا بالاصالةحرب الاستعباد الديني الكهنوتى المتحكم فىتفكيرهم وأمور حياتهم ، والذى يسد عليهم منافذالرحمة واللقاء مع الله ـ حتى ولا دعائه ـ الا اذا استعملوا المفتاح الذى بأيديهم هم (١) فكم من رأس هوى باسم الدين ، وكم من ضحية قدمت باسم الكهنوت المقوت الذى ثار عليه (مارتن لوثر) ومن نهج نهجه وعبر على طريقه .

ولكن .. جاء حرب الاسلام تبعا لحرب مطلق دين ، واعان الجهل بقواعد الاسلام ، على اذكاء تلك الحرب ،واشعال نارها ، ومن فضل الله علينا ان نرى بوادر اليقظة الاسلامية تأخذ طريقها الى الوجود وتتسع رويدا رويدا منذ حارب كثير من العلماء النصب والأزلام ، ومنذ ظهر على مسرح الحياة بعض الأفذاذ من رجال الاسلام المتمكنين فى بدء القرن العشرين الميلادى فى مختلف الأمصار ، وأشاعوا فى المسلمين الوعي الاسلامي القويم .

ـ البقية على ص ٣٧ ـ

(١) أى الكهنة

الهجرة النبوية

والأحداث التي جرت

للاستاذ محمد عزة دروزة

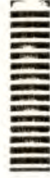
بين النبي والمسلمين واليهود في

فزع قريش من البيعة

كانت هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم الى يثرب ثاني أعظم حادث فى تاريخ الاسلام من حيث مداه ونتائجه . حيث كانت نقطة الانطلاق الى أبعد الآفاق فى سبيل نشر الاسلام وعزته وقوته واستكمال شرائعه ، بعد ان نجح زعماء قريش فى حصر السيد الرسول فى عزلة ضيقة وقلة ضعيفة . وقد كانوا يتربصون به ريب المنون ، فينتهي أمره بزعمهم ، وتذهب حركته بدرا ، كما حكته آيات قرآنية عديدة . ولقد طار صوابهم ، وقلقوا أشد قلق لم يشعروا بمثله منذ بدء الدعوة ، حينما علموا بالاتفاق الذى تم بينه وبين بعض رجال يثرب من الاوس والخزرج على هجرته مع أصحابه اليهم والدفاع عنه ونصره ومؤازرته . لانهم لم يفتهم ان هذه الهجرة ستكون كما قلنا نقطة انطلاق له ولدعوته الى أبعد الآفاق ، وانها ستتهددهم بأعظم الاخطار . لان يثرب طريق قوافلهم ومن مصادر تموينهم الرئيسية . وحسبوا ان العداء سينشب بينهم ، وان الطريق ستنسد عليهم ، فأجتمعوا ، وتآمروا على النبى لمنعه من ذلك . اما بحبسه أو قتله أو نفيه الى دار اقامة وعزلة اجبارية فى مكان ما تحت سيطرتهم ، كما ذكرت ذلك آية الانفال هذه (واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله ....) .

يثرب : سكانها وبيئتها

ولقد كان فى يثرب أولا بطون قبيلتين عربيتين قحطانيتين متفرعتين من قبيلة الازد اليمانية الكبرى : وهما الخزرج



والاوس اللتان كانتا هاجرتا اليها في سياق الهجرة القحطانية التى سببها سيل العرم وانهدام سد مأرب ، وهو من سدود اليمن التى كانت تنظم الرى عبر عشرات القرون . وكان ذلك قبل البعثة بمدة غير قصيرة ليس الى التحقق من مداها سبيل علمي . وكان ثانيا بطون ثلاث طوائف يهودية هي بنو قينقاع وبنو النضير وبنو قريظة . ولقد ذكرت بعض الروايات أن هذه الطوائف قبائل عربية متهودة . غير أن القرآن فى مخاطبته اياهم ببني اسرائيل جعل ذلك الزعم متهافتا .

وكل ما يمكن أن يصح أن يكون بعض أفراد من العرب فى يثرب قد تهودوا ، واندمجوا فيهم ، وأن يكون قام بينهم وبين بعض بيوت عربية مصاهرات متبادلة . وليس هناك امكان علمي لتحديد الوقت الذى جاءت فيه هذه الطوائف الى يثرب . ولكن شدة الاندماج بينها وبين العرب وغدو اللغة العربية لغة ثانية لها ، أو لغة جمهورهم واتخاذهم أسماء عربية لأجيال متوالية ، قد يدل على أن ذلك كان قبل البعثة النبوية ببضعة قرون . ولعله كان عقب انزال الرومان فى أواخر القرن الاول الميلادى ، ثم فى القرن الثاني ضرباتهم الشديدة على بني اسرائيل فى بيت المقدس وسائر أنحاء فلسطين وتشردهم فى آفاق الارض .

وقد كانت يثرب ذات مناخ معتدل نوعا ما . فيها العيون والآبار ، وتنزل فيها الامطار، وتسيل الوديان، وكانت تربتها خصبة ، ويحيط بها الهضاب . فسكن فريق من هذه الطوائف فى السهول ، وسكن فريق آخر فى الهضاب المتاخمة للشمال . واشتغل هؤلاء بالزراعة ، وأنشأوا بخاصة بساتين النخيل ، وهم بنو النضير وبنوا قريظة، فى حين اشتغلت الطائفة الثالثة التى سكنت فى السهل ، وهي بنو قينقاع بالتجارة والصناعة ، وصار لها سوق باسمها .

وهناك رواية تذكر أن هجرة هذه الطوائف الى يثرب كانت أسبق من هجرة الاوس والخزرج اليها . وقد تكون صحيحة لانه كان من الصعب على هذه الطوائف أن تتخذ يثرب سهلها وهضابها منازل لها ، وتعمرها كما تشاء لو كان الاوس والخزرج فيها قبلهم ، وليس الى تحقيق ذلك امكان علمي كذلك .

يهود شبه الجزيرة

ولم تكن يثرب وحدها منتجعا أو منزلا للمشردين من بني اسرائيل الى هذه الناحية ، حيث كانت هناك طوائف اسرائيلية اخرى حلت فى الواحات القريبة من يثرب على طريق الشام مثل خيبر ووادى القرى وفدك وتيماء والجرباء . بالاضافة الى طوائف اخرى منهم نزلت فى أماكن اكثر قربا الى الشام منها الى يثرب ، عرف منها بنو جبنة وبنو غاديا وبنو عريض ونزلاء متنا وأذرح . وقد يفيد هذا أن الاسرائيليين المشردين اتجهوا من فلسطين الى البلقاء ، ثم أوغلوا الى ناحية جزيرة العرب الشمالية، وأخذوا يستقرون فى أماكن متفرقة بين الشام ويثرب وجدوا فيها المناخ المناسب والتربة الخصبة والمياه الوفيرة ، وكان أبعدهم نجعة الطوائف الثلاث التي حلت فى يثرب ، ثم الطوائف الاخرى التى حلت فى الواحات القريبة منها .

وهناك روايات فيها كثير من الخيال تتحدث عن ملك لليهود فى يثرب وتسلسله وقدوم الاوس والخزرج فى عهده واشتغالهم عندهم عمالا زراعيين ، وكانوا

قد اعتادوا العمل الزراعي فى اليمن . واضطهادهم اياهم واستطالة آخر ملوكهم المسمى النيطون وهو الوحيد الذى ذكرت الروايات اسمه منهم — على أعراضهم مما أثار نخوة فتى منهم اسمه مالك بن العجلان ، فوثب على ذلك الملك، وقتله ، ثم فر لاجئا الى ملك حجر أو ملك غسان على اختلاف الروايات مستغيثا على اليهود باسم قومه ، فلباه، وقاد حملة نكلت باليهود ، فذلوا منذئذ ، وانقلب الاستعلاء فى الارض للاوس والخزرج .

الاوس والخزرج

ومهما يكن من أمر فان الواقع الذى كان قائما فى عصر النبي صلى الله عليه وسلم والذى اشارت اليه آيات القرآن اشارات خاطفة أو صريحة ، والذى قد يرجع الى نحو مائة سنة قبل البعثة يفيد ان الاوس والخزرج كانوا هم اصحاب الرأى فى يثرب . وانه كان شيء من التناظر والتنافس بين القبيلتين كان يؤدى احيانا الى اشتباكات حربية وان بعض طوائف من اليهود كانت متحالفة مع الاوس وبعضها مع الخزرج ، وان كل فريق كان يعادى ويحارب مع حليفه الفريق الاخر الذى كان مؤلفا من عرب واسرائيليين ، وقد يفيد هذا أن طوائف الاسرائيليين لم تكن منسجمة ومتكتلة مع بعضها ، وقد يكون ذلك ناشئا من حب التفرد بالاستغلال والمنافع .

ومن هذا الواقع انه كان لطوائف اليهود فى يثرب مركز اقتصادى وزراعي وتجارى وثقافي قوى بين جيرانهم العرب جعل هؤلاء الجيران ينظرون اليهم بنظر الاحترام والاعتبار والثقة . وفى القرآن كثير من الصور التى كان اليهود يعمدون اليها الى ترسيخ كل ذلك بين العرب ليضمنوا لانفسهم الاستقرار والاحترام والاستغلال.

ومع ذلك فان من الواقع الذى تؤيده اشارات قرآنية عديدة ان اليهود كانوا يعيشون فى قرى محصنة ومساكن من وراء جدر وأسواق وحصون ، وكانوا يحرصون على حيازة كميات كبيرة من السلاح ليضمنوا لانفسهم الحماية فى الوسط الذى كانوا على كل حال غرباء عنه ، ويظهر من تلك الاشارات ان اليهود كانوا مطمئنين الى مناعتهم ، وان جيرانهم العرب كانوا يحسبون انهم كذلك ايضا (ما ظننتم ان يخرجوا وظنوا انهم مانعتهم حصونهم من الله) سورة الحشر .

ومن ذلك الواقع المؤيد بالاشارات القرآنية أنهم كانوا يبشرون ببعثة النبي الامي (أي العربي) الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة ، ويقولون للعرب انهم سيكونون حزبا معه ، ويستفتحون به عليهم . ولقد ذكرت الروايات ان الفريق العربي اليثربي الذى اجتمع لاول مرة بالنبي قال بعضه لبعض : ان هذا لهو النبى الذى يذكره يهود ، فلا يسبقنكم اليه ، ثم اسلموا ، وقالوا للنبى : انا تركنا قومنا — ولا قوم بينهم من العداء والشر ما بينهم — فعسى الله ان يجمعهم بك ، فان يجمعهم فلا رجل أعز منك .

ويتلخص مما تقدم ان المجتمع اليثربي قبيل الهجرة النبوية كان يتألف من بطون الاوس والخزرج ومن طوائف اليهود الثلاثة فى الدرجة الاولى . وهناك رواية تذكر انه كان فى يثرب جالية نصرانية تسكن فى حي خاص بها لها فيه سوق . ولم نطلع على رواية تذكر انه كان فيها عرب آخرون . وان كان من المحتمل ان تكون أرياض المدينة منتجعا لطوائف من الاعراب موسمية الاقامة

سماحة الاسلام

ولقد كان بعض بني اسرائيل فى مكة بالاضافة الى افراد من النصارى،فتلقوا جميعهم بعثة النبي بالابتهاج ، وآمنوا ، وصدقوا على ما ذكرته آيات قرآنية عديدة ، فكان النبي يحسب انه سوف يلاقى من يهود يثرب نفس الموقف بالاضافة الى الترحيب والتشجيع الذى سمعه من رجال الخزرج والاوس الذين ظل يتصل بهم فى ثلاث مواسم ، والذى تحقق مصداقه بما كان من نشر الاسلام بينهم حتى لم يخل منه بيت من بيوتهم قبل الهجرة ، وهو ما ذكرته آية سورة الحشر هذه بصيغتها الرائعة (والذين تبوأوا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة) ، فكان هذا او ذاك مما جعل النبى يقدم على تنفيذ عزيمته على الهجرة ،



وجعل قريشا يحسبون حساب الاخطار والاضرار العظيمة التى سوف تلحقهم منها .

ولقد كان ذلك مما سهل على النبي أمره ، فلم يكد يستقر فى يثرب حتى اخذ يمارس رئاسة الدولة الاسلامية فيها . وقد كتب كتابا يصح ان يسمى دستور هذه الدولة جعل فيه الحرية لليهود بالبقاء على دينهم ومنحهم الضمانات لاموالهم وبيعهم ونشاطهم الزراعي والتجارى ، وأبقاهم على محالفاتهم مع الاوس والخزرج ، وأوجب عليهم الاتفاق مع المسلمين ، وأوجب على المسلمين الدفاع عنهم نتيجة لهذه المحالفات . وكل ما شرطه عليهم ألا يغدروا ولا يظاهروا عدوا .

طمع اليهود الكاذب

ولم يكد النبى يستقر وتبدو بشائر نجاحه وقوة الاسلام فى مقامه الجديد حتى تطيروا منه ، واخذوا ينظرون نظر التوجس الى احتمال رسوخ قدمه وانتشار دعوته واجتماع شمل الاوس والخزرج تحت لوائه بعد ذلك العداء الدموى الطويل الذى كانوا يستغلونه فى تقوية مركزهم ، وخشوا على المركز الذى لهم والامتيازات الكبيرة التىكانوا يتمتعون بها، ويجنون منها اعظم الثمرات

ولقد كان ظنهم على ما يبدو أن يجعلهم النبي خارج نطاق دعوته معتبرين انفسهم اهوى من أن تشملهم وامنع من أن يأمل النبى دخولهم فى دينه ، بل لقد كانوا يرون ان من حقهم أن ينتظروا انضمامه اليهم ولا سيما حينما رأوه يصلى الى قبلتهم ، ويعلن بلسان القرآن ايمانه بانبيائهم وكتبهم ، ويجعل ذلك جزءا من أركان دعوته ويقرر كون الله فضل بني اسرائيل على العالمين وآتاهم الكتاب والحكمة والنبوة ، فخاب ظنهم ورأوه يدعوهم فى جملة الناس ، بل ويختصهم بلسان القرآن احيانا بالدعوة، ويندد بهم لعدم مسارعتهم الى استجابتها ولوقوفهم منها موقف الانقباض ، ثم موقف الكفر والتعطيل ، فكان هذا على ما هو المتبادر باعثا على تنكرهم للدعوة وحقدهم على صاحبها منذ الخطوات الاولى من العهد المدني . ثم رأوا الناس قد اخذوا ينصرفون عنهم ، ويتخذون النبي مرجعهم الاعلى ومرشدهم الاعظم وقائدهم المطاع ، فاستشعروا بالخطر العظيم يحدق بمركزهم الذى يتمتعون به بين العرب وامتيازاتهم التى كانوا يستغلون العرب بها اذا تم النجاح والاستقرار للنبي ودعوته ، فكان هذا عاملا فى اندفاعهم فى خطة الكفر والتنكر والحقد والتآمر والصد والتعطيل الى نهايتها ، باستثناء فريق قليل من علمائهم استطاعوا ان يتغلبوا على اهوائهم ومآربهم الدنيوية ، ويروا فى النبي ورسالته حقا وصدقا متطابقين مع ما عندهم من البشائر والصفات فآمنوا وصدقوا .

ولقد كان من المتوقع على ما تلهم الآيات القرآنية ان يجد النبي فى اليهود سندا وعضدا ، وان يكونوا أول من يؤمن به ويصدقه ويلتف حوله ، لما كان بين دعوته واسس دينهم من وحدة ولما احتواه القرآن من تقريرات متنوعة وكثيرة بأنه مصدق لما بين يديه ورافع للاصر والتكاليف التى كانت على الملل السابقة وحالا لما بينهم من خلافات ولما كان من حسن استجابة الكتابيين وفيهم اسرائيليون الى دعوته وايمانهم برسالته فى مكة ، فيكون فى تحقيق هذا المتوقع تيسيرا لانتشار الدعوة وحسن استقبالها من سائر العرب الذين كانوا ينظرون الى اليهود نظرة الواثق بعقولهم وبصيرتهم الدينية. فلما رأى منهم ما رأى من الانقباض اولا والتنكر والصد والتضليل ثانيا تأثر تأثرا عميقا من خيبة أمله ، ورددته آيات القرآن الكثيرة منكرة منددة مقرعة فاضحة لاخلاقهم وانحرافاتهم ، رابطة ما ظهر منها بما كان من مثل ذلك من

آبائهم مما حكته اسفارهم ذاكرة فيما هي ذاكرة كتمان الحق والباسه بالباطل والمكابرة وتفضيل منافع الدنيا والزهو والنفاق والخداع والتدليس والكذب على الله وتحريف كتبه والحسد ونقض العهد والخيانة واستحلال اموال الناس وقلة الادب مع الله ورسله ، واظهارهم الشرك والايمان بالاوثان فى سبيل التحالف مع اعداء الاسلام، والبخل بأى شيء والتعجيز والسخرية واللجاج ومخالفتهم لوصايا شرائعهم وكتبهم ، وما ضربه الله عليهم من اجل ذلك من ذلة ومسكنة ، وصبه عليهم من غضب ، وما جعله يؤذن بأن يرسل عليهم من يسومهم سوء العذاب الى يوم القيامة .

ولقد كان احد زعماء الخزرج عبد الله بن ابى بن سلول يترشح ليكون ملكا على يثرب حتى لقد نظم له قومه التاج . فلما هاجر النبى اليها تعطل امره فحقد ونقم وشاركه فى ذلك بعض عشيرته ، فسارع اليهود الى استغلال ذلك أوسع استغلال بمختلف الاساليب حتى قامت تلك الفرقة التي سميت بالمنافقين والتي كان لها من المواقف الشديدة ازاء النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمين ومشاريعهم ما كان له آثار سيئة فى نفس النبي والمهاجرين والمجتمع الاسلامي الذى انشأه ، وكانوا يوحون لهم بمواقف الكيد والمكر والتشكيك والسخرية والخديعة والدس والتآمر ضد الرسول والاسلام والمسلمين ، مما ذكرته نصوص القرآن الذى سمى اليهود شياطين المنافقين للدلالة على ذلك .

ولم يبقوا فى نطاق جحود نبوة النبي والقرآن وفى نطاق المكايدات والمماحكات الكلامية والتشكيكية والتحريف والتآمر فى كل ذلك مع المنافقين مما كان يتسع له صدر النبي ، ويراه غير كاف لنقض العهد معهم ، بل تجاوزوه الى نقض العهد والعداء الصريح الفعلى والتآمر الحربي مع قريش والقبائل المشركة العدوة منذ عهد مبكر مما تكررت الاشارة اليه فى القرآن فكانت مواقفهم هذه سببا أولا ليأس النبي منهم والتماسه من ربه تحويل القبلة عن بيت المقدس وثانيا لدور التنكيل الذى بدأت فصوله فى الربع الاول من العهد المدني،ثم استمرت الى ان تم اجلاؤهم عن المدينة وخضد شوكتهم واجلاء الخطرين منهم عن القرى الاخرى فى ظرف الربعين الثاني والثالث منه .

ولقد تعددت وقائع التنكيل فيهم وكانت تقع على واحدة دون اخرى وواحدة بعد اخرى من طوائفهم . وكان لكل واقعة أسبابها الخاصة، وكان الذين لا يقع عليهم التنكيل يقفون ساكنين ومتفرجين لانهم لم يكونوا اوغلوا فى الغدر والعداء ، وهذا دليل آخر على عدم تواثقهم فى سلك سياسي وحربي واحد بل وكونهم على خلاف ونزاع وتنافس فيما بينهم ايضا على ما ذكرناه قبل .

الوقائع الخمس

ولقد كانت اولى وقائع التنكيل التى سجلتها روايات السيرة القديمة اغتيال شاعر اسمه أبو عفك كان يهجو النبى ، ويحرض عليه فنذر أحد المسلمين سالم بن عمران يقتله أو يموت دونه ، ثم تربص به حتى وافته الفرصة وهو نائم بفناء بيته فوضع السيف على كبده ثم اعتمد عليه حتى نفذ الى فراشه وزهقت روحه .

وكانت ثانية الوقائع اجلاء بنى قينقاع وكان لهؤلاء سوق خاصة ، وكان السبب المباشر محاولة بعضهم العبث بأمراة عربية جاءت الى سوقهم وقعدت الى صائغ ، فارادها على كشف وجهها ، فأبت، فعقد ثوبها بظهرها فلما قامت انكشفت سوأتها، فضحكوا منها ، فصاحت فوثب مسلم



على الصائغ ، فقتله فشد اليهود عليه ، فقتلوه فاستصرخ اهله المسلمين ، فوقع الشر وانتهى الامر الى ان حاصرهم النبى حتى نزلوا على حكمه . ولقد كانوا حلفاء عشيرة كبير المنافقين ابن سلول فتشفع فيهم والح فرأى النبى من الحكمة قبول شفاعته لان اكثر قومه مخلصون، فاكتفى باجلائهم الى الشام ، وسمح لهم بأخذ اموالهم واثقالهم وخفيف سلاحهم .

وفى القرآن آيات يتفق المفسرون على انها فى شأنهم . وفيها ما يفيد انهم نقضوا العهد مرة بعد مرة حيث يفيد هذا ان حادث المرأة كان النقطة الأخيرة التي طفح بها الكأس .

وكانت ثالثة الوقائع اغتيال كعب بن الاشرف ، وكان هو الآخر شاعرا يهجوا النبي والمسلمين ، ويحرض عليهم ، فقال رسول الله : من لي بابن الاشرف فقد آذاني ، فتعهد محمد بن مسلمة ونفر من الاوس بقتله ، واستأذنوا النبي صلى الله عليه وسلم باصطناع الحيلة الى ذلك لانه كان يقظا ، ويعيش فى حصن ، فأذن لهم ، فذهبوا اليه ، وتمكنوا بالحيلة من الدخول عليه وقتله .

وكانت رابعة الوقائع اجلاء بنى النضير ، وكان سببها المباشر ان النبى صلى الله عليه وسلم ذهب مع بعض اصحابه الى محلتهم لطلب مساعدتهم فى بعض الديات لما يوجبه عليهم محالفاتهم فتآمروا على اغتياله ، وكشف الله له ذلك ، فنجا بنفسه ، ثم زحف عليهم ، وضرب الحصار ، وانذرهم بالجلاء مع السماح لهم باقامة وكلاء على بساتين النخيل . فأبوا الانصياع اركانا على حصونهم واسلحتهم ، وشجعهم كبير المنافقين ورفاقه الذين كان اليهود حلفاء لهم ، ووعدوهم بالنصر والتضامن ، وضيق النبى عليهم الخناق ، ولم يف المنافقون بما وعدوا ، فاستولى عليهم الرعب ، وقبلوا الجلاء بشروط اشد حيث سمح لهم بحمل منقولاتهم دون السلاح والتخلى عن مزارعهم وبساتينهم . وقد نزل الشطر الاكبر من سورة الحشر فى هذه الوقعة ، وفيه ما يدل على ان الحادث المذكور كان السبب المباشر وانه كان لهم قبله مواقف شديدة من المكر والعداء .

وكانت خامسة الوقائع التنكيل ببنى قريظة ، ولقد كان زعماء بنى النضير لما جلوا عن يثرب ذهبوا الى خيبر واقاموا فيها ، وتزعموا يهود المنطقة . وقد ذهبوا الى مكة وحرضوا قريشا على النبى والمسلمين وتحالفوا معهم . وقد ارتكسوا بسبيل ذلك فى ابشع جريمة دينية حيث اعلنوا ايمانهم باوثان مكة ، وشهدوا ان قريشا المشركين اهدى من محمد واصحابه الموحدين . ثم ذهبوا الى قبائل غطفان ، فحرضوهم ، وتحالفوا معهم . وادى ذلك الى زحف احزاب المشركين على يثرب بعدد عظيم وعزم على استئصال شأفة الاسلام . ثم جاء زعماء بنى النضير الى بنى قريظة وظلوا يحرضونهم حتى اعلنوا نقض العهد مع النبى وحلفائهم الاوس ، وظاهروا احزاب المشركين مما اثار الرعب والخوف بين المسلمين وزلزلهم زلزالا شديدا لانهم صاروا بين نارين ، وجعل المنافقين يكشفون البرقع عن وجوههم بوقاحة ولؤم . فلما كشف الله غمة الاحزاب وردهم بغيظهم لم ينالوا خيرا زحف النبى والمسلمون بأمر الله على محلة بنى قريظة وحاصروهم وضيقوا عليهم حتى نزلوا على النبى . وجعل النبى الحكم الى رئيس الاوس سعد بن معاذ الذى كان ذهب اليهم ، وجابهوه بأسوأ موقف ، فحكم بقتل مقاتلتهم وسبى نسائهم واطفالهم والاستيلاء على اموالهم وسلاحهم واراضيهم ، وكان التنكيل بهؤلاء اشد لان غدرهم وموقفهم كان اشد .

عهد جديد

وبالتنكيل ببنى قريظة تم القضاء على يهود يثرب الذين كانوا هم الاشد والاقوى والانكى ، ولقد كان هذا فاتحة عهد جديد للاسلام ، فالمنافقون الذين فقدوا شياطينهم ومحركيهم الاقوياء الخبثاء لم يلبثوا ان اخذ شأنهم يضؤل وصوتهم يخفت وقوتهم

تهن وكثرتهم تتناقص . والمشركون الذين غزوا يثرب تلك الغزوة الكبرى بتحريكهم . لم يعودوا يفكرون بالغزو ثانية . حتى لقد شجع ذلك النبى فاعتزم زيارة مكة واداء مناسك العمرة ونتج عن رحلته اعتراف قريش به نصرا وعقدهم معه صلحا هو صلح الحديبية .

والقبائل الكثيرة التى كانت متربصة تبدل موقفها واخذت تتقرب الى النبى بالموادعة او الاسلام . وفرغ بال النبى من الجبهة الداخلية فأرسل رسله وكتبه الى ملوك وامراء الجزيرة وخارجها يدعوهم الى الاسلام ، واخذ يفد عليه من اليمن وخارجها وفود مشركة وكتابية يبايعونه على الاسلام ، وبعد سنتين نقض اهل مكة وحلفاؤهم العهد بشكل ما فاغتنم الفرصة ، ورفض التجديد ، وزحف بجيش قوامه عشرة آلاف على مكة،وفتحها ، فانهدم السور الكثيف الذى كانت تقيمه بين الاسلام وسائر العرب ، واخذ عشرات الوفود يفدون الى يثرب من مختلف انحاء الجزيرة ، ويدخل الناس فى دين الله افواجا .

تطهير البلاد المقدسة

ولقد ازداد زعماء بنى النضير غيظا وحقدا واخذوا يحرضون يهود خيبر والقرى والقبائل المشركة الاخرى على حرب رسول الله والمسلمين فكان ذلك من اسباب مجيء دور التنكيل اليهم ، وكان من اولى وقائعه صلح الحديبية فلما تم هذا الصلح زحف النبى على خيبر فاستولى عليها ، وقتل واسر عددا كبيرا من مقاتلتها ، وغنم اموالها واراضيها للمسلمين ، وكلف الباقين الذين لم يبق منهم خطر بالاشراف على البساتين شركة على ان يجليهم المسلمون متى شاءوا فقبلوا ، وفعل مثل ذلك فى وادى القرى ، وهلع اهل فدك والجربان وتيماء ، وهرعوا الى النبى فى ذمته على نفس الشروط .

ولقد كان من آخر وصايا النبي اخراج اليهود والنصارى والمشركين من جزيرة العرب حتى لا يبقى فيها دينان ، وانشغل خليفته الاول بالاحداث على قصر مدته فلم يستطع تنفيذ الوصية ، فنفذها الخليفة الثانى ، ومما ذكرته الروايات كسبب مباشر لذلك خبر اعتدائهم على بعض المسلمين ، فقال عمر : انا صالحناهم على أن نخرجهم متى شئنا ، فاخرجهم ، وطهر البلاد المقدسة من رجسهم .

ومن الجدير بالذكر ان الروايات لم ترو ان عمر اجلا يهودا عن اليمن ، مع انها روت انه اخرج نصارى نجران منها تنفيذا لوصية النبى حيث يسوغ القول انه لم يكن فى زمنه يهود فى اليمن ، ولم نطلع على رواية تذكر وجود يهود فيها فى زمن النبى ، وهناك حديث رواه الامام ابو عبيد القاسم بن سلام عن ابى عبيدة ان النبى صلى الله عليه وسلم قال : ((اخرجوا اهل نجران من اليمن واليهود من الحجاز)) ولم يذكر يهودا فى اليمن .

ولقد ذكرت الروايات أن بعض أحبار يهود يثرب استطاعوا نشر اليهودية فى عهد تبابعة حجر فى اليمن فالظاهر ان اليهودية بادت فيها حينما غزا الاحباش النصارى اليمن وسيطروا عليها بسبب ما كان من عدوان اليهود على نصاراها . ولقد كان فى العهود الاسلامية بعض شراذم يهودية فى اليمن ، فوهم بعضهم انهم من بقايا متهودة العرب معان الواضح مما تقدم ان ذلك غير صحيح . والراجح بل المؤكد عندنا انهم طوائف من اليهود الذين تشردوا من الاندلس حينما زال حكم العرب وسلطانهم عنها نتيجة لما كان من اضطهاد ومطاردة الاسبان للمسلمين واليهود معا .

مصادر البحث : القرآن الكريم ـ اسفار العهد القديم ـ كتب تفسير الطبرى والبغوى وابن كثير والخازن ـ سيرة ابن هشام ـ طبقات ابن سعد ـ كتاب الخراج لابى يوسف ـ كتاب الاموال لابى عبيد ـ فتوح البلدان للبلاذرى ـ تاريخ العرب قبل الاسلام لجواد على ـ تاريخ الطبرى ـ تاريخ سورية للمطران العربى ـ تاريخ يوسيفوس .

الدَعوة الإسلاميَّة والذين عَارضوهَا

لماذا قاومت قريش دعوة الاسلام ، بكل هذا العنف الذى بدا منها ، خلال واحد وعشرين عاما من بعثة رسول الله عليه الصلاة والسلام ، حتى فتح مكة ؟

ان الرد الشائع على ألسنة المسلمين ، هو أن سيدنا محمدا عاب آلهة قريش ، وسفه أحلامها .. وهو رد صحيح ، ولكن يدخل تحته الكثير من التفاصيل ، التى يوسع النظر الحديث آفاق البحث عنها ، ويهتدى منها الى الكثير .

آلهة قريش

ما آلهة قريش ، وآلهة العرب جميعا التي كانت تعبد قبل البعثة النبوية وأثناءها ؟

كلنا نعلم انها أصنام ، ورد اسماء بعضها فى القرآن الكريم ، وحاول علماء الآثار واللغة ان يردوا هذه الاصنام الى أصول محلية ، واخرى مستوردة .

والصورة العامة للكعبة قبل الفتح ، انها كانت أشبه بمتحف،حرصت قريش

للأستاذ محمد صبيح

على ان تجمع فيه كل شارة من شارات العبادة القديمة ، سواء كانت تمثالا له معالم ، او قطعة حجر سوتها الريح على شكل من الأشكال ، او تحفة مستوردة مما صنع الفنانون الاغريقيون او المصريون . وقد روى الازرقي انه كان للمسيح تمثال تحمله أمه العذراء،ورجح بعض علماء اللغات ان « هبل » ماهو الا « ابولو » اله الشعر عند اليونانيين ، للتقارب بين اللفظين ، ولأن العرب كانت تغرم بالشعر غرام أبولو واصحابه به . وكذلك قالوا ان العزى ، اسم محرف عن ايزيس المصرية .. وكانت العزى شجرة هائلة خارج مكة لها كاهنة ، ويسمع لمرور الريح بين فجواتها وأغصانها صفير وفحيح مخيف .

ومعرض العبادات الذى اصطنعته قريش ، حول بيت التوحيد الخالد ، الذى انشأه ابراهيم وابنه اسماعيل ، لم يكن عن ايمان منها بكل هذا الزحام من الدمى والتهاويل وقد زاد عددها عن ثلاثمائة ولكنه كان محاولة ذكية بارعة لاسترضاء القبائل ، حين تفد للحج ولتبادل عروض التجارة ولعقد ندوات الشعر وللتحكيم فى الخصومات ، وهي الاسواق المشهورة فى ذلك الوقت .

والتجارة وما تفيئه من ربح كانت المحور الذى تدور حوله حياة قريش ، ولا تقل فى اهميتها عن شارات الشرف التي تعتز بها قريش بوصفها حارسة البيت العتيق .

ولكم ثارت الحروب لكي تنتزع من قريش هاتان الميزتانالعظيمتان : التجارة وحراسة قوافلها عبر الجزيرة العربية شمالا وجنوبا وشرقا وغربا،وحج الناس الى بيت الخليل ابراهيم .. ونفس الحج لم يكن عبادة فقط ولكن تحريم القتال فيه جعله أمنا ومثابة للناسكافة .. وما أكثر الخصومات التي كانت تثور بين القبائل ، وما أكثر الطلب بالثأر ومطاردة الأعداء .. هذه المطاردة التي ما ان تصل الى ظلال الكعبة حتى تنتهى ، وحتى يأخذ الناس نفس الراحة والتخفف من عداواتهم القديمة والحديثة .

ولقد أثرت قريش من هذه المزايا ثراء فادحا .. ودخل فى حوزة سادتها من الذهب والفضة وعروض التجارة الشيء الكثير .. وكان من اهم هذه العروض بما يمثلونه من قيمة مادية وما يمثلونه — أيضا — من طاقة انتاج وقوة عمل .. فاذا كان العربي رجلا محارباورجلاتاجرا ورجلا شاعرا ، فان القيام على شؤون الحدادة والنجارة والبناء وصناعةالرماح والسيوف والقسى وغيرها من معدات الحرب وأعمال النسيج والحلي وأدوات التطرية والتعطر والتجميل ورعي الابل والغنم والوراقة والكتابة وخدمة البيوت واعداد صنوف الطعام والحلوى والقيام على اعمال الترفيه من غناءوموسيقى .. كل ذلك واشباهه كان من مهام الرقيق.

والرقيق فى تلك الفترة كان مجلوبا من كل مكان : من افريقيةوالاناضولوالقوقاز

وبلاد اليونان والرومان ومن مصر ومن بلاد البربر ومن آسيا حتى حدود الصين .. وهذا الى جانب اسرى الحرب وسباياها ، وهم عرب من شتى القبائل .

كم كان يقوم من هؤلاء الرقيق على خدمة كل أسرة عربية .. وكم كان يملك أثرياء قريش وساداتها من هذه الرقاب؟ لا يوجد احصاء دقيق لهم . ولكن تكفي اشارات لبعض كبار التجار فى هذه السلع الآدمية ، مثل عبد الله بن جدعان الذى كان يملك الفي عبد وامة، وكان متخصصا فى رقيق الاحباش حتى لقد عرض على رسول الله ان يزود الجيش الموجه لغزو حنين بعدد منهم ، فكره عليه السلام ذلك ولم يوافق عليه .

واذا تذكرنا قافلة من قوافل التجارة الى الشام وكان تعدادها الفي جمل بأحمالها مثل قافلة ابي سفيان التي تسببت فى غزوة بدر ، فانا نستطيع ان نقدر عدد الرقيق الذى كان فى خدمتها للعناية بالاحمال عندما كانت الجمال تنيخ فى محطات معروفة بالطريق مبنية بجوار الآبار يملكها كبار التجار من قريش .

حقيقة لم تكن هذه القوافل ملكا لواحد او عدد محدود من الأسر القرشية ، فقد كان رأسمالها يجمع من معظم هذه الاسر ، وربما زاد تمويلها عن مائة ألف ذهبا .. ولكن كانت تتفاوت مساهمات هذه الأسر بحسب طاقتها وقدرتها على التعامل .

ولقد أسمى بعض الباحثين المحدثين نوع الحكومة فى قريش ، بأنها كانت حكومة تجارية . توزع أعباء الرياسة فيها على سقاية الحجيج واطعامهم ، وحمل راية الدفاع ، والقضاء فى الخصومات والتحكيم، ورقابة الأسواق .. وانا نرى رسول الله عليه الصلاة والسلام عندما دخل مكة ـ أمر بابقاء بعض هذه الاعباء فى أسر بعينها ولكنه وكل رقابة الأسواق لغير من كان يقوم بها فى الجاهلية .

ومن هنا نستطيع ان ندرك جو الحياة التي ظهرت فيها الدعوة الاسلامية .

فعبادة الأصنام كانت جزءا من هذه الحياة .. اما الجزء المؤثر والفعال، فكان ما تدره هذه العبادات ، من مكاسب مادية ومعنوية .

الدعوة حين جاءت :

وعندما بدأت الدعوة الاسلامية، كانت تقوم على أساسين :

١ ـ توحيد الله تعالى .

٢ ـ رعاية حق الانسان ـ كل انسان ـ فى حياة حرة كريمة .

والتوحيد فى ذاته لم يكن ليضر قريشا وكان يعيش فى مكة ويفد اليها كثير من الموحدين : ناس من اليهود يعبدون الها واحدا . وناس من النصارى لهم ايضا توحيدهم . وناس من المتحنفين العرب الذين رفضوا عبادة الاصنام ، بل دابوا على مهاجمتها فى الاسواق ، وبخطب بليغة بقيت لنا آثار منها . ولم نعلم أن احدا من قريش أو غيرها عرض لهؤلاء الموحدين بأذى ، او كره مقامهم فى مكة ، او اختلافهم الى اسواقها .. فقد كانوا دائما يحلون أهلا ، ماداموا لا يتعرضون لما تغنمه قريش من اصنامها واسواقها وقوافلها من مكاسب .

الحرب اذن ضد دعوة التوحيد الاسلامية ، لم تكن من أجل عقيدة راسخة ولكن من اجل نظام حياة بني على أوضاع معينة .. فمعنى التوحيد أن تزول هذه الاصنام التي كانت تعجب القبائل العربية حين تفد ، ويتقربون عن طريق التصفيق والصفير لها الى الله ، وهما المكاء والتصدية اللذان ورد ذكرهما فى القرآن

الكريم .. ومعنى زوال الأصنام توهم خطـر ، هو انصراف القبائل عن مكة ، ربماالى نجران التي كانت تحاول جاهدة ان تجذب لها القبائل .. وقد صنعتمن التماثيل ما يزيد طوله عن ثلاثين ذراعا ، ونقلتمن قصور بلقيس التحفوالنفائس النادرة لتخلب لب العـرب بها ، ولكن البيت العتيق ، وما حوله ، هو وحده الذى يجذبهم .

فهل كان فى الدعوة الاسلامية ما يبقي لقريش امتيـاز وفود الناس اليها ؟ . لقد أدركت قريش أن خطراكبيرا قديحل بها ولهذا كانت المقاومة .

هذا وجه من وجوه الخطر اذا انتهى نظام الاصنام .. وثمة خطر آخر له كل قدره ووزنه وهو هذه الدعوة الغريبة الجريئة التي تنادى بتحرير الانسان ، والتي تنهي ميراث السـيادة بالنسب وبالعصبية ، وربما امتـدت الى نظام الرقيق فالفته الغاء .

قريش التي عاشت سيـدة العرب جميعا يتساوى فرد منها بهذا العبـد الحبشي او الرومي او الفارسي الذى اشترى بالمال ، فلما أسلم اعتقه سيده المسلم ، فاصبح جليس محمـد بـن عبد الله ، وابي بكر بن قحافة ، وعثمان بن عفان ، وحمزة ، وعمر وغيرهم من الاشراف ، يؤاكلونه ، ويقفون معه فى صف واحد ، كتفا الى كتف ، ونداء مع نداء فى الصلاة .

يا عجبا !! ان ما يدعو اليه محمد وما تحقق حين تبعه بعض العرب وبعض الرقيق الذى تحرر ، لهو الهدم الكامل لقواعد الحياة .. لهو التسفيه لاحلام عاشت عليهـا وبها قريش بل قبائل العرب كلها بل دنيا الرومـان والفرس والحبش والهند وغيرهم من الذين علمت قريش أنباءهم او زارهم تجارها .

هذا هو التغيير الأساسي فى حياة قريش الذى لمحتـه قريش والدعـوة المحمدية تسرى وئيدة بطيئة فى أوصال حياتها .

وهذا هو سر المقاومة العنيدة العنيفة التي جابهت بها قريش دعوة الاسلام .

ولو ان هذه الامتيازات الكبرى لم تكن فى يد قريش اذن لتركت محمـدا عليه السلام يقول ما يشاء ، وليتبعه من يريد وخلت بينه وبين العرب .

فلما انتقلت الدعوة بعد الهجرة الى بيئة مسالمة ، ليست فيها عقد الحياة ولا فوارقها الشاسعة التي كانت لقريش وجدت الاستجابة السريعة لكلمة الحق ، البسيطة النظيفة المسالمة .

عداء اليهود :

واذا كان العرب فى يثرب قد لانت قلوبهم لهذا الايمان الجديد ، الذى جـاء بـه رسول الله عليه الصلاة والسلام ، فثمة عدو آخر كان يتابع فى حـذر تقـدم الدعوة ، ويمعن النظر فى تفاصيلها وهم اليهود .

واليهود بدورهم كانوا سـادة المـال مرابين وتجارا ، فى هـذه المنطقة مـن الحجاز التى آوتهم ، وكانوا قد هربوا اليها مذعورين مشردين من اضطهاد حل بهم فى الشمال .

ان الدعوة الجديدة ، لم تكن لترضيهم ولا تريحهم .. فـاذا كانوا قد قاوموا قبل خمسة قرون وبعض قرن دعـوة

- البقية على الصفحة ٤١ -

عام جديد

لما قعدت أكتب هذا الفصل ، لم يكن فى ذهني شيء عن الموضوع الذى أكتب فيه ، ولكني نظرت فى التقويم المعلق بالجدار فوجدت الموضوع . الموضوع (أول المحرم) .

أفيمر بكم اول المحرم ، كما يمر غيره من الأيام ، وفى صبيحته ولد عام ، وفى ليلته قضى عام ؟ .

يجتاز المسافر مرحلة من الطريق فيحط الرحال ، ويقف ليستريح ، فيتلفت وراءه ليرى كم قطع وينظر أمامه ليبصر كم بقى .

والتاجر تنتهى سنته ، فيقيم موازينه ويحسب غلته ، ليعلم ماذا ربح وماذا خسر .

وهذه (محطة) جديدة ، نقف فيها ونحن نسير على طريق الحياة ، وسنة أخرى تمضي من العمر ، أفلا نقف عليها

ساعة نفكر وندكر ونحسب ونعتبر ؟ .
نحن اليوم فى أول المحرم من سنةست وثمانين وثلاثمائة وألف ننظر اليــه فى الفجر ، فنراه يوما طويلا يمتد امامنا ، نستطيع ان نعمل فيه ما نشاء ، نستمتع فيه (ان أردنا) بدنيانا ، ونحمله ما نريد حمله من الزاد الى أخرانا ، فاذا أمسى المساء وذهب اليوم ــ لم نعد نستطيع ان نستفيد منه ولا ان نستمتع فيه .

نظنه باقيا لنا ، ف (نبذر) فى دقائقه ، كما يبذر المسرف فى ماله ونضيع ساعاته، ولكنا لا نجده حتى نفقده . انه لا يكاد يبدأ حتى ينتهى ثم يمضي ، فلا يعود أبدا .

اذكروا الآن اول يوم من المحرم سنة خمس وثمانين .

لقد كنا نراه (ايضا) ونحن نستقبله طويلا ، وكنا نقدر ان نصنع فيه خيرا كثيرا ، فأين هو منا اليوم ؟ . وأين الأول من المحرم سنة اربع وثمانين ؟ .

واين اوائل المحرمات التي مرت بنا ، أو مررنا نحن بها من قبل ؟ ماذا بقي منها فى أيدينا ؟ .

للأستاذ علي الطنطاوي
مستشار محكمة النقض فى سورية

تمضي السنة وتجىء أخرى بعدها ، فمن لم يعمل خيرا فيها ، عمله فى التي تليها .

ان فاتك عمل الخير فى النهار ، فعندك الليل (خلفة) منه ، فاعمل الخير فيه . مواسم متتابعة ان اضعت الموسم فلم تزرع فيه ، فازرع فى الذ ىيليه .

وان رسبت فى الامتحان فى دورة حزيران ، فعندك دورة أيلول .

هي خلفة لك ما بقيت حيا ، ولكن هل تعلم كم تبقى حيا ؟ .

★★★

ينقضي العام ــ فتظن انك عشته ، وانت فى الحقيقة قدمته ، لا تعجبوا من هذا المقال ودعوني اوضح الفكرة بالمثال.
انت كالموظف الذى منح اجازته السنوية ، شهرا كاملا ، اذا قضى فيها عشرة أيام يكون قد خسر منها عشرة أيام فصار الشهر عشرين ، فاذا مر عشرون صار الشهر عشرا ، فاذا تم الشهر انقضت الاجازة فكأنها لم تكن .

اتظنون اني (اتفلسف) ؟ لا والله بل اصف الواقع .

نحن كلما ازداد عمر الواحد منا سنة فى العد ، نقصت من عمره سنةفىالحقيقة، حتى ينفذ العمر ، ويأتى الاجل،ونستقبل حياة أخرى تبدأ بالموت .

فتحت كتابي (من حديث النفس) فقرأت فيه فصلا نشرته فى العدد الممتاز من مجلة الرسالة فى مطلع سنة ١٩٣٨ ، عنوانه (على ابواب الثلاثين) لو تصورت يومئذ اني سأقرأه فى مطلع سنة ١٩٦٦ ، لتراءى لعيني دهر طويل ثمان وعشرون سنة ، انظر اليها الآن ، بعد ما مرت ، فأراها كأنها يوم وليلة .

ولو نظرت الآن الى ما بعد ثمان وعشرين سنة الى سنة (١٩٩٤) لرأيتها بعيدة جدا ، ولكن من يقرأ هذا الفصل يومئذ سيرى سنتنا هذه كأنما كانت بالأمس .

فنحن نوسع المستقبل بالأمل .

★★★

وما هذا المستقبل الذى نسعى اليه ، ونكد من اجله ؟ .

لما كنت طالبا كان مستقبلي فى نيل الشهادة . فلما نلتها صار المستقبل فى

عام
جديد

الوصول الى الوظيفة . فلما وصلت اليها صار المستقبل فى بناء الأسرة وانشاء الدار ، وانسال الولد ، فلما صارت لي الزوجة والدار والأولاد والحفدة ، صار المستقبل فى الترقيات والعلاوات والمال المدخر ، وفى الشهرة والمجد والكتب والمقالات ، فلما تم لي بفضل الله ذلك كله ، لم يبق لي مستقبل افكر فيه ، الا أن ينور الله بصيرتي ، ويريني طريقي ، فاعمل للمستقبل الباقي للآخرة واني لفى غفلة منها .

فالمستقبل فى الدنيا شيء لا وجود له . انه يوم لن يأتي أبدا ، لأنه ان جاء صار (حاضرا) وطفق صاحبه يفتش عن (مستقبل) آخر . يركض وراءه .

انه (كما قلت مرة) مثل حزمة الحشيش المعلقة بخشبة مربوطة بسرج الفرس تلوح أمام عينيه فهو يعدو ليصل اليها ، وهي تعدو معه فلا يدركها أبدا .

ان المستقبل الحق فى الآخرة ، فأين منا من يعمل له ؟ بل أين من يفكر فيه ؟.

★ ★ ★

وقد يكون هذا الذى اقوله (فلسفة) ، ولكنها فلسفة واقعية ، انها حقائق لا يفكر فيها احد منا .

نحن كالمسافر فى الباخرة او فى الطيارة ، همه الغرفة الجميلة ، او المقعد المريح ، يركب فى الدرجة الاولى ويأكل أطيب الطعام ، ويتصفح الجرائدوالمجلات ينقل بصره فيما حوله أو تحته من المشاهد ولكن هذا كله لأيام السفر ، وأيام السفر معدودة ، افما كان خيرا له لو فكر فيما يريحه فى اقامته فى البلد الذى يمضي اليه ؟ .

اما كان انفع له لو تحمل بعض المتاعب فى ليالي السفر القليلة ، ووفر ماله ليشترى به الراحة فى سنوات الاقامة الطويلة ؟ .

ام قد شغلته متعة السفر عن التفكير فى سبب السفر ، وجمال الطريق عن غاية الطريق ؟ .

الحياة سفر ، فكم من الناس يسأل نفسه لم السفر ؟ والى أين الرحيل ؟ كم منا من يسأل ما الحياة ؟ ولماذا خلقنا ؟ والام المصير ؟ .

★ ★ ★

اننا نقطع الوقت من الصباح الى المساء ، فى مشاغل نخترعها لننسى بها انفسنا ، ونبدد بها اعمارنا ، من احاديث تافهة ، ومجالس فارغة ، ومطالعات فى كتب لا تنفع ، او نظرات فى مجلات لا تفيد ، فان خلا احدنا بنفسه ، ثقلت عليه صحبة نفسه ، وحاول الهرب منها ، كأن نفسه عدو له لا يطيق مجالسته فهو يضيق بها ، ويفتش عما يشغله عنها ، وكأن عمره عبء عليه ، فهو يحاول ان يلقيه عن عاتقه ، وأن يتخلص منه .

★ ★ ★

نفر من نفوسنا ونبدد اعمارنا ، فى لذائذ نتوهمها ، ونسعى وراءها ولكنا لا ننالها .

ولما كنت اشرف على طبع كتاب ابن الجوزى (صيد الخاطر) الذى قدمت له وعلقت عليه ، وجدت فيه كلمة عظيمة ، يقول فيها (ان لذائذ الدنيا نماذج تعرض ولا تقبض) .

نماذج (ريكلامات) (١) للعرض والاعلان ، لا للبيع والاقتناء ، فأنت تسر برؤيتها ، ولكن لا تقدر على امتلاكها .

خذوا أكبر لذات الدنيا ، (اللذة المعروفة ...) تروا انها ليست فى الحقيقة الا لحظة دقيقة او دقيقتين ، لا تكاد تحس بأنك قد وصلت اليها ، حتى تجد أنك قد فقدتها .

انها ليست الا (نموذجا) للذة الآخرة، فما يستمر هنا دقيقة فقط ، يدوم هناك الى الأبد .

انك فيها كمن يعطى ملعقة من الطعام ليذوقه ويجد طعمه فى حلقه، فاذا ارتضاه اشترى منه فأكل حتى شبع .

فالذواق فى الدنيا والشبع فى الآخرة.

لذلك ترى الرجل الفاسق ، يشكو (الجوع الجنسي) مهما (ذاق) من الحرام . يعرف مائة من النساء ، ثم يرى الواحدة بعد المائة فتطلبها نفسه ، كأنه ما عرف أمرأة قط ، ولا يزال كذلك حتى يعجز جسده ، ولا تكل رغبته ، فهو كالعطشان الذى يشرب من ماء البحر ،وكلما ازداد شربا ، ازداد عطشا .

وما عهد (فاروق) ببعيد .

ومثلها لذة المال .

ان الفقير الذى ينام فى كوخ الطين ، ويأكل خبز الشعير ، ويمشي بالحذاء البالي ، او يركب عربة النقل ، التي يجرها الحمار ، يتصور انه لو نام يوما على فراش الغني ، او أكل على مائدته ، او ركب فى سيارته ، لنال اللذائذ كلها ولكن الغني الذى ألف ذلك لم يعد يجد فيه لذة ، بل يجد الألم ان فقد منه شيئا .

والشاب المغمور ، يتمنى ان يكون علما مشهورا ، تردد الاذاعات اسمه وتنشر الصحف رسمه ، ويتحدث الناس عنه، ولكن العالم المشهور الذى ألف ذلك لم يعد يهتم به ولا يباليه .

ان لذات الدنيا مثل السراب ، الا تعرفون السراب ؟ . تراه من بعيد غديرا ، فاذا جئته لم تجد الا الصحراء . فهو ماء ولكن من بعيد ! .

عفوا يا سادتي القراء ، ان جئت اعظكم وازهدكم ، فما أردت وعظا ولا تزهيدا ، وما أنا من الوعاظ الزهاد ، ولكنها خواطر أثارها فى نفسي اننا فى اليوم الأول من المحرم ، واني وقفت كما يقف المسافر ، وقعدت احسب كما يحسب التاجر .

اني انظر الى حياتنا هذه التي نعيشها ، فأرانا فيها كموكب من السيارات ، تمضي مجنونة مسرعة ، متسابقة ، هم كل واحدة ان تسبق الأخرى ، وتخلفها وراءها ، ولكن لو سألت سواقها الى أين يسيرون ولماذا يسرعون ؟ لما وجدت عندهم جوابا .

سباق الى المال ، سباق الى اللذات ، سباق الى الوظائف ، سباق فى كل طريق من طرق الحياة .

ثم ينتهي العمر ، فنترك كل ما استبقنا اليه ، ونمضي . فلنقف لحظات فى مطلع كل عام ، لنسائل انفسنا ما الذى نربحه من هذا السباق ؟ أو ليس (الربح) الحق فى جهة أخرى ، غير الجهة التي يتجه الناس كلهم اليها ، ويحسبون ان الربح المقصود فيها ؟ .

---

(١) صرنا نفسر العربي بالافرنجي ، هذا والله العجب !

ان هذا اليوم نذير لنا . بأن السنة المقبلة ستمضي كما مضت السنة المودعة ، وان كل واحدة منها تحمل معها جزءا من اعمارنا ، حتى تنفد اعمارنا ، فلنتدارك ما بقي ، ولنكن يوما واحدا فى السنة من المتناصحين ومن المتواصين بالحق ، والمتواصين بالصبر .

انكم تقرأون فى المجلات كلاما كثيرا ، كلاما جليلا يزيد ثقافة عقولكم ، وكلاما جميلا يدخل البهجة على قلوبكم وكل هذا خير ، ولكن خيرا منه ان تسمعوا كلمة تذكركم أخراكم ، وتنفعكم يوم العرض على ربكم .

وما أصلح والله لأن أقول أنا هذه الكلمة ، وأنا الى أن أوعظ فأتعظ ، أحوج مني الى أن اعظ ، ولكن (على مدير الكاس ان ينهى الجلاس) .

لما أردت أن اسافر الى جدة ، من بيروت ، قعدت فى مطعم المطار ، افطر وانتظر ، وكان المطعم ممتلئا ، وكل من فيه يأكل ويشرب ويتحدث ، مثلما كنت آكل وأشرب واتحدث ، تراهم فتحسبهم اصدقاء متلازمين لا يفترقون . وان شملهم جميع لا يتشتت ، ولكن مطار بيروت الذى تحط فيه كل ربع ساعة طيارة ، وتقوم منه طيارة ، لا يلبث الصوت ان يخرج منه ينادى من (المكبر) .

ركاب طائرة BOAC المسافرة الى لندن ، يتوجهون الى ارض المطار .

فتترك أكلها وشربها جماعة من الحاضرين ، وتقوم .

ثم ينادى —

— ركاب طائرة KLM المسافرة الى جاكرتا .

فيترك ناس أكلهم وشربهم ويقومون .

وطائرة الى اميركا ، وأخرى الى الكونغو ، وثالثة الى ايران ، ورابعة الى موسكو .

فنظرت فى الناس وقلت لأخي ، وكان معي . هذه هي حياتنا .

نعكف على طعامنا وشرابنا ، ومشاغل عيشنا ، واذا بالنداء يدعو من (جاء دوره) ليذهب الى حيث يحمل ، اما الى غابات افريقية ، واما الى ثلج سيبيريا ، واما الى ملاهي باريز ومشاهد نيويورك .

فمن كان مستعدا للسفر حاجاته مقضية ، وحقائبه معدة ، وحمله خفيف ، مضى مستريح البال ، ومن (جاء دوره) ، وهو لم يعد متاعه ، ولم يقض حاجته ذهب بلا زاد ، ومضى على غير استعداد .

أفلا نستعد للسفرة التي لا بد منها ، ونتزود لها الزاد الذى لا ينفع غيره فيها ؟

ام نحن نتناسى الموت وهو أمامنا نظنه أبعد شيء عنا ، وهو أقرب الأشياء منا ، نصلى على الأموات ونشيع الجنائز ، ونحن نفكر فى أمور الدنيا ، كأنا مخلدون فيها ، وكأن الموت كتب على الناس كلهم الا علينا ؟

يا أخوتي القراء .

اننا نعيش الأيام كلها فى غفلة ، فلننتبه اليوم ، ولنقف كما يقف المسافر على المحطة ، ينظر كم قطع من الطريق وكم بقي عليه منه ؟ ولنفتح دفاترنا كما يفتح دفاتره الناجر ، لنرى ماذا ربحنا فى سنتنا التي مضت وماذا خسرنا ، ولنمد أيدينا ، فنقول يا ربنا . اغفر لنا ما سلف ، ووفقنا فيما بقي .

اللهم اذا كتبت لنا ، أن نعيش الى مثل هذا اليوم من قابل ، فاجعل ما يأتي خيرا لنا ، وللمسلمين مما ذهب ، ... والا ، فاكتب لنا بفضلك وكرمك حسن الخاتمة ، واغفر لنا ذنوبنا ، وكفر عنا سيئاتنا ، وتوفنا مع الابرار .

ولا أظن ان مد الاسلام سيتوقف وانما آمل فى الله أن يستمر وينشط فقد انتشرت الآن قراءة القرآن متقنةبواسطة المصاحف المرتلة التي تذاع من مختلف اذاعات العالم حتى الكافر منها(١) وانبث علماء المسلمين من مختلفديارات الاسلام يحملون الحقيقة الاسلامية ويقدمونها للناس فى صورة جميلة مقبولة، وأنشئت المجامع للبحث العلمي الخالص لله ولخدمة المجتمع الاسلامي . يجتمع فيها علماء الأمصار الاسلاميةعلى اختلاف نشأتهم وطرقهم فى البحث والدرس محاولين الوصول الى قواعد تطابق العصر فى التقنين والتشريع وأمور المعاملات المختلفة مستقاة من روح الشرعالشريف وهم واصلون بعون الله متى صدقت النيات وصلحت الأعمال وهي صادقة وصالحة بتوفيق من بيده ملكوت كل شيء .

والخلاصة

ان فقه الدين ومعرفةمقاصد الشريعة ومراميها ودراستها دراسة فاحصة ، والالمام الكامل بتراث العلماء المجتهدين فى مختلف العصور يوصل تماما الى تثبيت أركان الاسلام ، ونشر احكامه حتى يصبح مصدر كل تشريع فى كل مجال ، فلا عدو للقيم الفاضلة كالجهل بها ، ولا مساعد على العمل بها كالعلم بفائدتها ، وما كان الاسلام ولن يكون مصدر ازعاج او اثارة او ظلم او اضطراب ، وانما هو المصدر الوحيد لمن أراد للدنيا سلاما وأمنا ، واخاء ومحبة ، وشبعا وريا ، واحسانا وعونا فى الملمات ، وقهرا للعدو الاكبر الشيطان ، وبثا لكل فضيلة ومحقا لكل رذيلة .

ويقرر الحديث الشريف عون الله ورضاه وتوفيقه لمن تفقه فى الدين لأنه سيصبح منار هدى ومصدر اشعاع للرحمة والخير ، يوزن مداده بدم الشهداء يوم القيامة ، فقد جاهد بعلمه ووقف حياته على خدمة دينالله والتمكين له فعل الشهداء سواء بسواء .

كما يبين الحديث الشريف فى غير لبس ولا غموض وجوب مدارسة العلم معاعلامه (وانما العلمبالتعلم) والتواضع له وتلقيه من مصادره الراسخة فيه ثم حمله فى أمانة واعتزاز ، وقوة مستمدة من الله « ومن يتوكل على الله فهو حسبه ان الله بالغ أمره قد جعل الله لكل شيء قدرا » .

وبعد . فانا نسوق هذا الحديث فى مستهل العام الجديد ، والمسلمون يحتفلون بذكرى الهجرة النبوية التي كانت مصدر اعزاز للاسلام والمسلمين لنلفت الانظار الى ان نصرة الاسلام وحمايته فى هذا العصر تستلزم تسلح المسلمين بالعلم والفقه فى الدين ليردوا عنه عادية الملحدين ، وشبه المضللين ، وجهل الجاهلين ، وأن الاسلام لم يؤت من قبل اعدائه بمقدار ما أصيب به من جهل أبنائه .

ولا سبيل لنصرة دين الله واعزازه الا بفهم روحه والبصر بتعاليمه ومن سلك طريقا يلتمس به علما سهل الله له به طريقا الى الجنة .

---

(١) وهذا يعين على فهمه وتدبره

سراقة بن

أيهـــا الخابطون عـــبر الدروبِ أنْظِرونِي أخبِرْكُمُ بالعجيـــــب

أنْظِرُونيِ . لا رابَكـــم حـدُّ سيفي واجتياحي الكثيـب بعـد الكثيب

إنمـا اسمي « سراقة » ان سألـتم من بني « جُعشمٍ » ، حماة الغريب

شاقني السبق واحتيازُ نيـــــاق مُطبقات على فؤاد اللبيـــــب

رصـــدتهـــا قريشُ ، انّ قريشـا تُرخص المـال في الفـتى المطلوب

كيـــف ينجـو « محمـد » من شِباك أحكمتهـــا نوابغ التنقيـــــب

كيـــف يسرى من داره مطمئنـــاً ويـــذرُّ التراب فـــوق الرقيب

بالرَاعِ ، تحيَّر القـــوم فيــــه من عيُـوبٍ لأمره ومُريـــــب

عـذبــوه ، وما دروا أنّ جـمْـــراً يتلظّى بمجمــــر التعذيــــب

فـاذا يثربٌ تجيـــب صـــــداه وتلبى بداميـــات القلـــــوب

واذا رهطـــه يطيرون سِــــرا عـــن رباع الصبـــا ، ودار الحبيب

أين ولّى ؟ وكيـــف أعجـــز جيشا من عيون تربصتْ ، ونيـــــوب

......أدرِكوه ، رُدُّوه قبلَ يُوافي يثربا أو أتـاكمُ بالخطــــــوب

انـــه واحـــد ، ونحـــــن ألـــوف عـــدد النجم والحـــصى والـــدروب

***

.. واحتواني ، جوادِيَ الفحل يهوى كفؤادي . . . إلى الثـراء القريـب

مالك

محمد مؤمن

« سراقة بن مالك صحابي كان مشركا حين لحق بالرسول أيام الهجرة ليأسره طمعا بجائزة قريش »



للاستاذ محمد الحسناوى
سوريا ـ حلب

أتَقَفَّاكُمْ بِسِرٍ أتانى ... وسلاح كنزته للحروب
يالها نشوة ، أطارتْ صوابى ... حين شارفتُكمْ . ويا للكروب
كلما قارب الجواد خطاكم ... كفكفتْه حوافزُ التقريب
كم كبا فجأة ، وألْقيتُ أرضا ... وسألتُ القِداح كشف الغيوب
خانني القِدح والجواد ثلاثا ... أسلمتْنى إلى التماس الهروب

* * *

قيل (ما تبتغى اذن) قال عفوا ... وادّكارا لمطمحى المحروب
قيل (ياهذا ، ما ترى في لباس ... من سِوارى كسرى..نفيس قشيب ؟)

والباساهُ . . . وانثنى يسأل النفس سؤال المقامر المخلــــــوب
هل تصح المنى ، وأى منى هــذى الدعاوى ، وأى عُجْبٍ عَجيبِ
أنا لا أكْبرُ السوارين اكبــــــارى اصطيــاد الأســود بالتشبيب
صيد كسرى وعرشــه وجيوشــا حوله ، ما لبأسها من ضريـــب
يالَه من فتى ، حماه أبو بكــر من الشمس ، والطــوى ، واللغوب
يزدهيني بســلب كسرى ، وانى جِــدٌّ راضٍ بأيْنُــقٍ وعسيــب



أين عيناكَ يا سراقةُ لمــــا فتــح الله مُقفَلات الشــعــوب
دكَّتِ (اللهُ أكبرُ) الظلمَ دكَّا وتمشّى الضعيف غــير هَيوب
لو ترى يا ابن مالك عرش كسرى وحُــلاه نهبا ، وما من نهــوب
لو ترى الفاتحين عبر الصحــارى ينشرون الغنى ، وعــبر السهــوب
وأبا حفص العظيمَ ينـــــادى في جموع الــورى نداء الخطيــب
حانت القسمة العتيدة لكــنْ ... أين أمسى اخو الطّماح الطّلُوب
أين أضحى سراقــة يا صحــابى فله في السهام أوفى نصيــــب
تاج كسرى له ، ومِنْطَقَةُ الْمُلْــ ــك . . وفاءً لعهدِ « طه » الحبيب
ألبسته النبــوة الملك تاجــــا ونطاقا ، فيالَه مــن كَســـوب
أين أنت الغداة يا ابن البـــوادى يا بشير الفتوح ، يا ابن الــدروب
ألف لبيك يا خليفة « طـــــه » ألف لبيك يا أمير القلــــوب
كبرِّ اللهَ يا سُراقةُ واخْطِــــر بسوار ابن « هرمز » المغلـــوب
واحمد اللهَ مُلبَساً تاج كــسرى بــدويــا خدين شــاة وذيـــب
لا مليكــا ، ولا ســليل ملـــوك رَبَبتْهُ معاهـــد التربيــــب

بقية الدعوة الاسلامية
والذين عارضوها

المسيح عليه السلام ، لأنه ناداهم أن ينبذوا احقادهم ، وان يعيشوا فى محبة ، والا تكون عبادة المال وانتهابه بكل وسيلة هي هدف حياتهم . وقد عاندوه وخاصموه الى السلطة الرومانية . وكذلك صنعوا مع أنبياء سبقوا السيد المسيح حتى أن تنكيلهم بدعاة السماء فيهم كان جزءا من تاريخهم .

فهل يسمحون لهذا النبي الجديد ، بأن يتابع دعوته ، وقد وفد فى الديار التىأقاموا فيها وأثروا وأقاموا الحصون واصطنعوا الرقيق ؟!!

قبل كل شيء لقد ظهر هذا النبي من الاميين أى الامم غير بني اسرائيل . فهل يجوز أن تكون هناك نبوة خارج نطاقهم ؟ هذا ما رفضوه ابتداء .

ثم ان هذا النبي العربى له من قوة التأثير ومن الدأب على تبليغ دعوته ، ما جعله يتابعها فى مكة ثلاثة عشر عاما ، ثم انه يشق لها الآن طريقا يبدو أنه أكثر تمهيدا .

ورتب اليهود طريق معارضتهم .. بدأت بالجدال العقائدى . وقد أنفق القرآن الكريم فى جدالهم وقتا طويلا . وعنف معهم عنفا بالغا فى بعض الاحيان. ولما رأى اليهود أن هذا الحوار لم يفد شيئا اذ تابع العرب الاقبال على الدين الجديد ، أخذوا يجربون أسلوبا آخر وهو تحريضالقبائل والاتصالات الخبيثة مع قريش وغيرها ، كما جربوا أسلوب الاغتيال بالسم واسقاط الاحجار فوق رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم وغير ذلك .. مما أدى الى تصميم المسلمين على الانتهاء من وجود اليهود فى هذه المنطقة كلها، دفعا لكيدهم وشرهم الذى لا ينتهي .

اسناد الدعوة :

ولقد كان واضحا فى سير الدعوة أنها لا تطمع أن تلين لها قناة قريش وحدها ، ولا العرب وحدهم ولكنها مدت آفاقها الى الناس جميعا حيث يقيمون .. فكل انسان فى نظرها هو خليفة الله فى أرضه .. ووسيلته الى حياة مطمئنة كريمة فى الدارين ، هو الاسلام والايمان بالله وكتبه ورسله واليوم الآخر .. والعمل الصالح بعد ذلك .

ولهذا ما أن جاء العام السادس من الهجرة حتى كانت كتب رسول الله تصل الى الملوك والحكام فى كل مكان . وثمة جهة وصل اليها واحد من هذه الكتب وهى الصين . فقد كشف ه.ج. ويلز فى تاريخه عن هذه الرسالة من مصادرها الصينية . وقد أكرم امبراطور الصين هذه البعثة واذن لها فى اقامة مسجد والتبشير بالدعوة ، فكان أول مسجد أقيم خارج الحجاز فى ذلك التاريخ .. وقد حاول هرقل أن يقلد المسلمين بعد هزيمته فى اليرموك وجلائه عن الشام ، فأرسل بعثة تدعو أهل الصين الى المسيحية ، وقوبلت أيضا مقابلة حسنة . وربما كان بعض أفراد البعثة المسيحية هم الذين نقلوا طرفا من نشاط المسلمين هناك .

هذه هي دعوة الحق ، ولمحات عنها فى عيد هجرة الرسول عليه أزكى صلاة وسلام .

بيعة ثم بيعة

بقلم الاستاذ الشيخ محمد الغزالى
مراقب عام الدعوة بوزارة الاوقاف ـ القاهرة



فى سبيل تحقيق السمو النفسي والاجتماعي لا يفرق الاسلام بين جهاد المرء لبلوغه الكمال فى خاصة نفسه ، وجهاده لتوطيد الحق فى أرجاء المجتمع الكبير .

فان الدعوة الى الخير لا تسوغ من عليل القلب مضطرب السلوك ، كما ان سليم القلب شريف السيرة لا يسكت على بيئة مضطربة الضمير مهتزة الخلق .

والحضارة الحديثة تفرق بين السلوك الشخصى ، والسلوك العام ، وربما قبلت من الرجل ان يكون له جانبان . أحدهما ردىء فى حياته الخاصة ، والآخر حسن فى حياته العامة .

وهذا الانشطار فى النفس الانسانية غير مقبول ولا معقول من الناحية الدينية .

وقد كان الاسلام بعد عشر سنين على ظهوره فى مكة يعاني آلام الغربة الروحية والحصار الاقتصادى والاستضعاف الشائن ، وكان المسلمون جديرين بقبول النصرة من أى يد تمتد بها .

وجاء من يثرب وفد أنعش الآمال فى



فرج يبدد هذا الضيق ، وضياء يكشف تلك الغمة . ولكن الرسول الكريم استقبل هذا الوفد ، ليعلمه قبل كل شيء أصول العقيدة السليمة ، ويمسكه بمعاقد العمل الصالح .

ان الانبياء لا يكافحون بمرتزقة يحملون السيف فى ايديهم ، وانما يحاربون برجال يستبطنون الايمان والشرف فى قلوبهم وسلوكهم .

وهذا ما تنضح به الكلمات والوصايا والخطب التى وعاها التاريخ فى بيعتى العقبة الصغرى والكبرى .

فى البيعة الاولى جاء الرجال الذين شرح الله صدورهم بالاسلام .

وقد لقيهم النبى بالعقبة ، وعقد معهم بيعة على الايمان بالله وحده، والاستمساك بفضائل الاعمال والبعد عن مناكرها .

عن عبادة بن الصامت : بايعنا رسول الله ليلة العقبة الاولى الا نشرك بالله شيئا ، ولا نسرق ، ولا نزنى ولا نقتل اولادنا ، ولا نأتى ببهتان نفتريه ، بين ايدينا وارجلنا ، ولا نعصيه فى معروف .

قال : فان وفيتم فلكم الجنة . وان غشيتم من ذلك شيئا ، فأخذتم بحده فى الدنيا فهو كفارة له . وان سترتم عليه الى يوم القيامة فأمركم الى الله . ان شاء عذب وان شاء غفر ، هذا ما كان محمد صلى الله عليه وسلم يدعو اليه وكانت الجاهلية تنكره عليه .

أيكره هذه العهود الا مجرم يحب للناس الريبة ، ويود للارض الفساد ؟ ؟

أتم وفد الانصار البيعة ، ثم قفل عائدا الى يثرب ، فرأى النبى أن يبعث معهم احد الثقاة من رجاله ليتعهد نماء الاسلام فى المدينة ويقرأ على أهلها القرآن ويفقههم فى الدين ، ووقع اختياره على « مصعب بن عمير » ليكون هذا المعلم الامين .

ونجح « مصعب » أيما نجاح فى نشر الاسلام ، وجمع الناس عليه ، واستطاع ان يتخطى الصعاب التى توجد ــ دائما ــ فى طريق كل نازح غريب ، يحاول أن ينقل الناس من موروثات ألفوها الى نظام جديد يشمل الحاضر والمستقبل ويعم الايمان والعمل ، والخلق والسلوك .

ولا تحسبن « مصعبا » كأولئك المرتزقة من المبشرين الذين دسهم الاستعمار الغربى بين يدى زحفه على الشرق . فترى الواحد منهم يقبع تحت سرير مريض ليقول له : هذه القارورة تقدمها لك العذراء وهذا الرغيف يهديك اياه المسيح .

وربما فتح مدرسة ظاهرها الثقافة المجردة أو ملجأ ظاهره البر الخالص ، ثم لوى زمام الناشئة من حيث لا يدرون، ومال بهم حيث لا يريدون .

هذا ضرب من التلصص الروحى . يتوارى تحت اسم الدعوة الى الدين

والذين يمثلون هذه المساخر ، يجدون الجرأة على عملهم من الدول التى تبعث بهم ، فاذا رأيت اصرارهم ومغامراتهم فلا تنس القوى التى تساند ظهورهم فى البر والبحر والجو .

أما مصعب فكان من ورائه نبى مضطهد ، ورسالة معتبرة ضد القانون

السائد ، وما كان يملك من وسائل الاغراء ما يطمع طلاب الدنيا ونهازى الفرص كل ما لديه ثروة من الكياسة والفطنة قبسها من محمد صلى الله عليه وسلم واخلاص لله ، جعله يضحى بمال اسرته وجاهها فى سبيل عقيدته ... ثم هذا القرآن الذى يتأنق فى تلاوته ، ويتخير من روائعه ، ما يغزو به الالباب فاذا بالافئدة ترق له ، وتتفتح للدين الجديد .

وعاد « مصعب » الى رسول الله بمكة قبيل الموسم الحافل يخبره بما لقى الاسلام من قبول حسن فى « يثرب » ويبشره بأن جموعا غفيرة دخلت فيه عن اقتناع مس شغافهم وبصر أنار أفكارهم وسوف يرى من وفودهم بهذا الموسم ما تقر به العين .

بيعة العقبة الكبرى

ان الرجال الذين اعتنقوا الاسلام عرفوا — دون شك — تاريخه القريب والصعاب الهائلة التى لقيها وحز فى نفوسهم ان يستضعف اخوانهم فى مكة وان يخرج نبيهم وهو يدعو الى الله ، فلا يجد الا آثما او كفورا .

ولذلك تساءلوا — وهم خارجون من المدينة قاصدين البيت العتيق — حتى متى نترك رسول الله يطوف ويطرد فى جبال مكة ويخاف ؟

لقد بلغ الايمان أوجه فى هذه القلوب الفتية . وآن لها ان تنفس عن حماسها وان تفك هذا الحصار الخانق المضروب حول الدعوة والداعية .

قال جابر بن عبد الله : فرحل اليه منا سبعون رجلا حتى قدموا عليه فى الموسم ، فواعدناه شعب العقبة ، فاجتمعنا عندها من رجل ورجلين حتى توافينا ، فقلنا يا رسول الله ، علام نبايعك ؟ قال صلى الله عليه وسلم تبايعوننى على السمع والطاعة فى النشاط والكسل ، والنفقة فى العسر واليسر ، وعلى الامر بالمعروف والنهى عن المنكر وان تقوموا فى الله ، لا تخافون لومة لائم ، وعلى ان تنصرونى فتمنعونى — اذا قدمت عليكم — مما تمنعون منه انفسكم وازواجكم وابناءكم . ولكم الجنة .

فقمنا اليه ، واخذ بيده « اسعد بن زراره » — وهو اصغر السبعين بعدى — فقال : رويدا يا اهل يثرب فانا لم نضرب اليه اكباد الابل الا ونحن نعلم انه رسول الله ، وان اخراجه اليوم مناوأة للعرب كافة وقتل خياركم وان تعضكم السيوف .

فاما انتم قوم تصبرون على ذلك فخذوه ، واجركم على الله ، واما انتم قوم تخافون من انفسكم خيفة فذروه .. فبينوا ذلك فهو أعذر لكم عند الله

فقالوا يا « سعد » اعطنا يدك فوالله لا نذر هذه البيعة ، ولا نستقبلها فقمنا اليه رجلا رجلا فبايعناه .

وعن كعب بن مالك : نمنا تلك الليلة — ليلة العقبة — مع قومنا فى رحالنا حتى اذا مضى ثلث الليل خرجنا من رحالنا لميعاد رسول الله صلى الله عليه وسلم نتسلل تسلل القطا مستخفين حتى اجتمعنا فى الشعب عند العقبة ونحن ثلاثة وسبعون رجلا ، ومعنا امرأتان من نسائنا ، نسيبة بنت كعب واسماء بنت عمرو بن عدى .

موقف للعباس

فلما اجتمعنا فى الشعب ننتظر رسول الله صلى الله عليه وسلم جاءنا العباس ابن عبد المطلب ، وهو يومئذ على دين قومه ، الا انه أحب أن يحضر أمر ابن اخيه ، ويستوثق له ، فلما جلس كان أول متكلم قال : يا معشر الخزرج ان محمدا منا حيث قد علمتم ، وقد منعناه من

قومنا ممن هو على مثل رأينا فيه ، فهو فى عزة من قومه ومنعة فى بلده ، وانه قد ابى الا الانحياز اليكم واللحوق بكم ، فان كنتم ترون انكم وافون لـه بمـا دعوتموه اليه ، ومانعوه ممن خالفه فأنتم وما تحملتم من ذلك .. وان كنتم ترون انكم مسلموه وخاذلوه بعد الخروج اليكم من الآن فدعوه ، فانه فى عزة ومنعـه من قومه وبلده .

قال كعب : فقلنا له : قد سمعنا مـا قلت ، فتكلم يا رسول الله فخذ لنفسك وربك ما أحببت ، فتكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم فتلا القرآن ، ودعا الى الله ، ورغب فى الاسلام ثم قال : أبايعكم على ان تمنعونى مما تمنعون منه نساءكم وابناءكم .

قال كعب : فأخذ البراء بن معرور بيده وقال : نعم ، فوالذى بعثك بالحق لنمنعك مما نمنع أزرنا ، فبايعنا رسول الله ، فنحن ــ والله ــ أبناء الحروب ورثناها كابرا عن كابر .

فاعترض هذا القول ــ والبراء يكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم ــ ابو الهيثم بن التيهان فقال : يا رسول الله ان بيننا وبين الرجال ــ يعنى اليهود ــ حبالا وانا قاطعوها .

فهل عسيت ان فعلنا ذلك ثم اظهرك الله ، ان ترجع الى قومك وتدعنا ؟

قال : فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال بل الدم الدم ، والهدم الهدم ، انا منكم وانتم منى ، احارب من حاربتم ، واسالم من سالمتم .

وأمرهم رسول الله صلى الله عليـه وسلم ان يخرجوا منهم اثنى عشر نقيبا يكونوا على قومهم بما فيهم ، فأخرجوا منهم النقباء . تسعة من الخزرج وثلاثة من الاوس فقال لهم الرسول عليه الصلاة والسلام : أنتم على قومكم بما فيهم كفلاء ككفالة الحواريين لعيسى بن مريم ، وانا كفيل على قومى .

تلكم بيعة العقبة . وما أبرم فيها من مواثيق ، وما دار فيها من محاورات .

ان روح اليقين والفداء والاستبسال سادت هذا الجمع وتمشت فى كل كلمة قيلت ، وبدا ان العواطف الفائرة ليست وحدهـا التى توجه الحديث او تملى العهود كلا . فان حساب المستقبل روجع مع حساب اليوم ، والمغارم المتوقعة نظر اليها قبل المغانم الموهومة .

مغانم ؟ اين موضع المغانم فى هـذه البيعة ؟؟ لقد قام الامر كله على التجرد المحض والبذل الخالص .

هؤلاء السبعون ، مثل لانتشار الاسلام عن طريق الفكر الحر والاقتناع الخاص .

فقد جاءوا من ((يثرب)) مؤمنين اشد الايمان ، وملبين داعى التضحية ، مع ان معرفتهم بالنبى كانت لمحة عابرة ، غبرت عليها الايام ، وكان الظن بها ان تزول .

بيد انها لم تزل ، بل ربت على مـر الايام ، وما زادتها الاحداث الا صلابة وتألقا ... والمعروف ان بيعة العقبـة انقذت الاسلام من جبروت الوثنية فى مكة ، ومهدت للهجرة التى بدأ بها تاريخه الطويل .

الا ان هذه البيعة ــ الى جانب ذلك ــ كانت نداء الانقاذ الذى نجا به الاسلام من المآزق المتضايقة .

ففى غزوة حنين ، عندما فر الطلقاء والضعفاء للجولة الاولى ، أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم عمه العباس ، وكان جهير الصوت فنادى يمنة ويسرة : يا اصحاب العقبة ، فثاب الرجال المؤمنون الى صاحب الرسالة ينعطفون نحوه ، وقد هاجت فى مشاعرهم اقدس الذكريات فكانت الجولة الاخرى وجـاء بعدهـا النصر .

الا ما أجل عهـود الشرف فى تاريـخ الدعـوات .

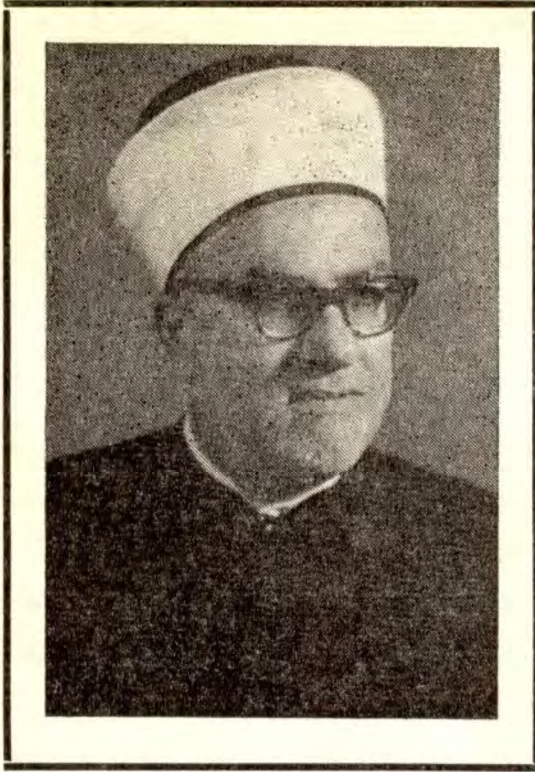
لماذا هاجر الرسول وأصحابه

محمد مؤذن

ليست الهجرة هجرة واحدة ، بل هى هجرة النفس لما تأباه ، وهجرة القلب لما ينكره ، وهجرة العقل لما يفسده ، وهجرة الارواح لما لا ينسجم معها .

هذه نسميها هجرة معنوية ، وهناك هجرة مادية ، وهى هجرة الجسم من بيئة فاسدة ومجتمع مسمم ، انتشر فيه الالحاد ، وظهر فيه الفسوق والعصيان ، وتغلبت فيه عناصر الشر والخسران .

ولما بعث الله محمدا صلى الله عليه وآله وسلم بالحق بشيرا ونذيرا ، وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا ، رفع شعلة الهداية ، فاضاءت لها قلوب ، وانصاعت لها نفوس ، وانشرحت لها صدور ، وابتسمت لها أرواح ، وتمكنت فيها قواعد الهداية ، ورست فيها اسس الاصلاح ، فهجروا ما عليه القوم من عبادة الاوثان ، وتقديس الاصنام ، الى توحيد الله عز شأنه ، وجل سلطانه ، والعمل على مرضاته ، واعتبروا أنفسهم دعاة للحق ، وجنودا للرحمن ، وسعاة للخير ، ما خلقوا الا لهذا ، وما وجدوا على ظهر البسيطة ، الا ليؤدوا رسالة ، ويحفظوا أمانة ، فاذا حالت قوى الظلم



لفضيلة الشيخ عبد الحميد السائح
رئيس محكمة الاستئناف الشرعية ـ القدس

والشر والطغيان ، دون تبرئة الذمة ، وتأدية المطلوب ، ورفع راية الحق، واقامة قسطاس العدل ، هاجروا بأبدانهم ، لبيئة اصلح ومجتمع اكثر استعدادا للخير ، حتى يتمكنوا من تأدية الرسالة .

من أجل هذا هاجر الرسول وأصحابه من مكة المكرمة ، للمدينة المنورة ، هاجروا من الوطن وهجروه ، لا فرارا من تنكيل وتعذيب ، ولا خوفا من أذى وعدوان ، ولا ضعفا في العزيمة ، ولا خورا في النفوس ، ولاتفاديا من الموت في سبيل الله ، ولا طمعا في مال ، ولا سعيا وراء جاه أو منصب . وانما هو الايمان الذى ملأ نفوسهم وقلوبهم ، أبى عليهم ان يقلهم بلد تهدد فيه الدعوة ، وتمنع فيه كلمة الحق ان تعلو وتظهر ، وعوامل الشر متوافرة ، وزبانية الفساد متغلغلة ، تحول دون اظهار عزة المؤمنين ، وتمنع اعلان رسالة الاصلاح ان تبلغ الاسماع ، او ان تذيع فى الاصقاع، خوفاعلى باطلهم المزيف ان يفتضح ، وقوتهم المصطنعة ان تنهار ، وزعامتهم الخادعة ان تتهدم .

أيها القارىء الكريم

لقد تهيأت للنبي صلى الله عليه وآله وسلم واصحابه الاكرمين اسباب الهجرة الى المدينة بهجرة نفوسهم أولا ، ونفرة قلوبهم ، من كل ما أحاط بهم من اباطيل ، واستنكار ما هم عليه من عقائد فاسدة وتقاليد واعراف لا تمت الى رسالة الخير والاصلاح بصلة، ورضوا بهجرة الاوطان ، لصيانة العقائد والمبادىء ، فاذا صانوها استطاعوا ان يصوغوا النفوس المجاهدة ، والقلوب المناضلة المكافحة ، وان يبنوا امة تتحمل التضحيات في سبيل مثلها وحماية ذمارها ، وحفظ كرامتها واستعادة أوطانها .

ولهذا فان الرسول صلوات الله وسلامه عليه ، لما تمكن فى المدينة اقام دولة الاسلام العتيدة ، لتحمى الايمان

وتشريعاته ، وتصون الحقوق ، وتنصر الضعفاء وتكون النفوس المكافحة المؤمنة.

ولما اطمان لقوة العقيدة وسلامتها كون من الامة جيشا ، كل فرد فيه جندى مخلص ، متفان فى سبيل عقيدته ومثله ، وتنافس القوم فى التضحية ، وتباروا فى الفداء ، ولما استشارهم يوم بدر ، قال المقداد بن عمرو : يا رسول الله امض لما أمرك الله ، فنحن معك ، والله لا نقول لك كما قال بنو اسرائيل لموسى : اذهب أنت وربك فقاتلا ، انا ههنا قاعدون ، ولكن اذهب انت وربك فقاتلا انا معكما مقاتلون .

ثم قال سعد بن معاذ صاحب راية الانصار : لقد آمنا بك وصدقناك،وشهدنا ان ما جئت به هو الحق واعطيناك مع ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة، فامض لما أمرت ، فنحن معك ، فوالذى بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ، وما تخلف منا رجل واحد .

أيها القارىء الكريم

حينما بدأ المسلمون بالهجرة الى المدينة فطنت قريش لنتائج الهجرة وآثارها البعيدة ، فبذلت كل ما تستطيع من جهد فى سبيل صرف المسلمين عنها ، واستعملت كل وسائل التنكيل والتعذيب والحبس والتشريد ، حتى فصلت الزوجة عن زوجها اذا كانت قرشية ، ولما أراد صهيب الرومي أن يهاجر ، وكان صاحب مال وفير ، وقف له صناديد قريش ، وقالوا له:اتيتنا صعلوكا حقيرا ، فكثر مالك عندنا ، وبلغت الذى بلغت ، ثم تريد ان تخرج بمالك ونفسك ، والله لا يكون ذلك ، فقال لهم صهيب : أرأيتم ان جعلت لكم مالي أتخلون سبيلي؟ فقالوا نعم ، فقال جعلت لكم مالي ، فتركوه حتى قدم على رسول الله ، فقال له : ربح بيعك .

فتلك النفوس السامية تعلقت بمثلها العليا واهدافها الكبيرة ، واستهانت فى سبيل ذلك بالمال وغير المال .

لذلك يجب علينا حينما نذكر الهجرة ان نذكر ما كان فيها من تضحيات بعيدة المدى ، تخلى الواحد منهم عن ماله ، وعن زوجته وعن أهله ،وأخيرا تخلي عن وطنه، ولكن لماذا هذا كله ؟ ليحمي ايمانه وعقيدته ، واذا سلم ذلك استطاع ان يصنع الاعاجيب ، ويسترد الاوطان ، وينقذ الكرامة ويحفظ الشخصية ، ويؤمن الحرية .

وحينما نذكر الهجرة،نذكر ان الرسول واصحابه ما هاجروا من وطنهم ليعبدوا ربهم فى سرهم وما هاجروا ليقبعوا فى مسجدهم يرددون آيات الله،وما هاجروا لينطووا على أنفسهم ، وانما هاجروا ليعلنوا دعوة ربهم ،ويرفعوا راية الاصلاح فى شتى الميادين .

ولهذا فان الرسول لما اذن لاصحابه فى الهجرة للحبشة ، وهاجر من هاجر منهم ، اراد ابو بكر ان يلحقهم ، فخرج من مكة حتى بلغ موضعا يسمى برك الغماد ، على خمسة أميال من مكة ، لقيه

ابن الدغنة ، وكان سيد جماعته ، فقال له اين تريد يا ابا بكر ؟ فقال اخرجني قومي ، وأريد ان اسيح فى الارض واعبد ربي ، فقال له ابن الدغنة فان مثلك يا أبا بكر لا يخرج ولا يخرج ، انك تكسب المعدوم ، وتصل الرحم ، وتحمل الكل ، وتقرى الضيف، وتعين على نوائب الحق ، فانا لك مجيرا منع من يؤذيك، فارجع واعبد ربك فى بلدك ، واعلم ابن الدغنة اشراف قريش بما أجار ، فوافقوا على ان يعبد ربه فى داره ، لانهم خافوا ان يفتن نساءهم وأبناءهم حين يطلعون على حقيقة الاسلام ، وبنى ابو بكر مسجدا صغيرا بفناء داره، وكان يصلى فيه ويقرأ القرآن، فيجتمع عليه نساء المشركين وأبناؤهم ، ويتزاحمون مصغين لقراءة ابى بكر ، فأفزع ذلك اشراف قريش ، وأرسلوا الى ابن الدغنة يطلبون منه أن يتقيد ابو بكر بعبادة ربه فى داخل داره ، او يسترد أمانه ، فلم يقبل أبو بكر هذا الشرط ، ورد عليه امانه ، وقال : ارضى بجوار الله وحمايته ، وكان هذا من أسباب الهجرة الى المدينة .

اذن انما هاجر الرسول ليغير عقائد كانت فاسدة ، ويبدل تقاليد كانت ضارة بالية ، فأقام الدولة الاسلامية تتكفل بالتشريع فى جميع نواحي الحياة ، من أحوال شخصية ومدنية وغيرها وعلاقة الفرد بربه ، وعلاقة الفرد بغيره ، وعلاقة الدولة بغيرها من الدول .

وأقام تلك الدولة على مبادىء الاخوة فى الله ، والتضامن الانساني العام، واقامة الحرية ومحاربة الظلم والطغيان ، ورفع راية العدل فى جميع افراد الامة ، وكان من مبادئها وقواعدها : الخلق كلهم عيال الله واجبهم اليه انفعهم لعياله .

ولذلك فان التفكير فى فصل الدين عن الدولة أو الدولة عن الدين هو من مستوردات الغرب ومصادم للاسلام ، فالتشريع جزء من الاسلام ، الذى هو دين ودولة وعقيدة وعمل (ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه ، وهو فى الآخرة من الخاسرين) .

أيها السادة

بعد ان استقر حكم الاسلام فى المدينة جاء مجالد بن مسعود يبايع الرسول صلوات الله عليه على الهجرة فقال الرسول : لا ، نبايع على السمع والطاعة والجهاد ، وسئلت السيدة عائشة عن الهجرة ، فقالت : لا هجرة اليوم ، كان المؤمنون يفر احدهم بدينه الى الله ورسوله مخافة ان يفتن عليه ، اما اليوم فقد اظهر الله الاسلام ،ولكن جهاد ونية.

وفى احاديث أخرى لا هجرة بعد الفتح والمهاجر من هجر مانهى الله عنه واعظم الهجرة هجر ما حرم الله .

وان كانت الهجرة المادية قد منعت باستقرار الاسلام وتمكنه ، فان هجرة القلوب لما انكرت ، وهجرة النفوس للمحرمات ، والعمل على اصلاح المجتمع، وتنقيته من الادران ، وتوافقه مع احكام الاسلام ، لا يزال كل ذلك واجبا محتما ، والتسامح فى ذلك يعرض للفساد والدمار والمسئولية العظمى امام الله . واذا كنا نحتفى بذكرى الهجرة فعلينا ان نذكر ما عليه كثير من المجتمعات فى العالم الاسلامي من بعد عن الاسلام ، وتنكر لاحكامه واستخفاف بتراثه الفكرى ، وكنوزه التشريعية واعراض عن الاستفادة منها والرجوع اليها .

البقية على ص ٥٧

طريق
الهجرة النبوية
من مكة إلى المدينة

المدينة
حرة كرماء
ينبع
العرج
مستورة
رابغ
الجحفة
عسفان
ذهبان
جدة
مكة
جبل عرفات
الطائف
حرة البقوم



للدكتور عبد العزيز كامل
استاذ الجغرافيا المساعد بكلية الآداب بجامعة القاهرة



ان من أول ما يسترعي الانتباه فى الهجرة أنها كانت « عربية » لم يترك فيها النبي عليه الصلاة والسلام الجزيرة كما فعل أصحابه عندما أذن لهم فى الهجرة الى الحبشة ، وانما كان انتقال قاعدة الاسلام من واحة الى واحة بحيث يظل المنطلق الاسلامي عربيا .

ومع وقوع مكة والمدينة على محور الواحات الممتد بين الشام واليمن الا ان هناك فروقا واسعة - طبيعية وبشرية - تقتضي دراسة مقارنة بين البيئتين تأتي سابقة لوصف الطريق بينهما .

مكة

تقع مكة فى واد ضيق يبعد نحو ستين كيلو متراعن شاطىء البحر الأحمر . وينحدر الوادي من الشمال - حيث المعلاة - الى الجنوب - حيث المسفلة - وترتفع الجبال على جانبي الوادي وتحيط به بحيث تحدد مداخله تحديدا دقيقا . ويبلغ ارتفاع بطن وادي مكة نحو ٣٦٠ مترا فوق مستوى سطح البحر . والى شرقه يرتفع جبل قعيقعان ، والى الغرب جبل ابى قبيس . وسفوح الجبال جرداء تتناثر فيها غيران تتباين عمقا واتساعا . وعند حضيض أبي قبيس ترتفع ربوة صغيرة هي الصفا تقابلها فى الجنوب الشرقي ربوة أخرى هي المروة. وفى منتصف الطريق بينهما تهبط الارض فى بطن الوادى، والى جنوب قعيقعان وغرب أبي قبيس يرتفع جبل عمر وكان اسمه العاقر فى الجاهلية . ويطلق على الجزء الشمالي من قعيقعان جبل الهندي لسكنى الهنود فيه .

المدينة

محمد موذن

هذه هي الجبال الرئيسية المشرفة على مكة . واذا رجعنا الى الأزرقى فى أخبار مكة وجدناه يذكر اسماء كثيرة لجبال أخرى أقل أهمية ، بعضها أجزاء من الكتل الرئيسية او امتدادات لها .

وأدى هذا التوزيع الى تحديد مداخل مكة الرئيسية الثلاثة :

١ ــ المدخل الغربي بين جبل قعيقعان وعمر وهو الموصل الى جده .

٢ ــ المدخل الجنوبي فى مسفلة مكة ويسمى طريق اليمن .

٣ ــ المدخل الشمالي من المعلاة ويوصل الى منى وعرفات والطائف .

وتؤدي هذه المداخل ــ أو الطرق الى بطن مكة وبينها اتصالات اهمها يوصل الى المدينة .

وأشهر موارد المياه فى مكة بئر زمزم فى الحرم، وقد أحصى الجغرافيون العرب موارد مياه المنطقة وأهمها عند جبل عرفات ، ويصل الى مكة بمجرى جوفي عليه آبار مفتوحة فى أكثر من مكان .

ولجفاف مكة وطبيعة تربتها وندرة موارد المياه فيها لم تكن الزراعة اساس حياتها الاقتصادية . واستفادت مكة من موقعها المتوسط كمركز تجاري بين الجنوب والشمال ، ومن حرمتها فكانت لقريش منزلة رفيعة فى الحياة العربية .

واذا كان من طبيعة العربي الحنين الى منازله ، فان القرشي ساكن مكة ــ حرم الله ــ كان أشد حنينا الى موطنه الذي يضم الميراث الممتد فى أعماق التاريخ ، وتدين له العرب .

على هذا نستطيع ان ندرك ان الهجرة لم تكن مجرد تغيير موطن بموطن ، او ان ارتباط النبي والصحابة بمكة كان ارتباطا لا يصل الى أعماق نفوسهم . لقد كانت فيهم العاطفة الدافقة نحو مكة ، بل لعلهم كانوا أشد أهل مكة احساسا بمنزلة مكة الحقيقية والدور الذى ينبغي ان تقوم به فى الحياة العربية فى ظل الاسلام .

المدينة

واذا كانت مكة تمثل بدء طريق الهجرة فان المدينة تمثل غايته وهدفه. وتبعد عن ساحل البحر الاحمر بنحو (١٦٠) كيلو مترا . وعن مكة ــ فى خط مستقيم ــ نحو (٣٣٥) كيلو مترا ، وان كان طول طريق الهجرة نحو اربعمائة كيلو مترا . وتشغل المدينة جزءا منخفضا من سهل مرتفع تحيط به المرتفعات من ثلاث جهات اما الجنوب فأكثر استواء وان كانت به بعض التلال .

والانحدار العام فى المدينة نحو الشمال الغربي واليه تجرى عدة أودية تتجمع فى وادى العقيق ــ ويطلق على الاجزاء المرتفعة فى الجنوب الشرقي العوالي أو عالية المدينة ، وعلى الجزء الشمالي سافلتها . ويتخذ انحدار المدينة ــ بهذا عكس الاتجاه الذي يأخذه الانحدار فى مكة . وموارد المياه فى المدينة وافرة وبخاصة على جوانب الأودية المنحدرة فيها أو بالقرب منها ، وليس فى المدينة الجفاف الشديد الذي رأيناه فى مكة ، وانما تتوفر فيها بيئة زراعية تجعل لها طابعا مختلفا عن طابع مكة .

وللمدينة عدة مداخل أهمها :

١ ــ طريق قباء وهو الموصل الى مكة ويتبع وادي العقيق .

٢ ــ الطريق الغربي الى ينبع .

٣ — طريق نجد الذي يخترق حرة واقم شرق المدينة .

٤ — طريق الشام المتجه شمالا .

ويهمنا فى مجال المقارنة طريق نجد وطريق قباء .

ولقد اجتذبت المدينة بوفرة مائها وامكانياتها الاستقرار فيها ووقوعها على محور الواحات بين اليمن والشام .. اجتذبت بهذا كله انظار عرب الجنوب من الأوس والخزرج ، كما اجتذبت أنظار اليهود الذين جاءوها من الشام ولم تجتمع المدينة على رجل واحد ، ولم تعتمد — فى الجاهلية — على حرمة دينية كمكة ، فكثرت فيها الحصون والآطام يمتنع بها أهل الحي عندما يتعرض لهم عدو من المدينة أو من خارجها . وكان اكثر هذه الحصون فى العوالي حيث وفرة المياه وجودة الأرض . وقسم له اهميته منها كان تحت يد اليهود .

وعندما فتحت المدينة قلبها للرسول فى بيعة العقبة ، وبدأت تستقبل أصحابه حذرت قريش من خروج الرسول الى المدينة وتشاوروا بدار الندوة ثم اتفقوا على قتله ، يرصدونه حتى ينام فيثبون عليه ، وبهذا تحدد وقت الهجرة بعد أن تحدد هدفها .

مجال الهجرة

كانت الهجرة فى صيف عام ٦٢٢ ميلادية . وكانت — على الراجح — فى أوائل ربيع الأول . فى العام الثالث عشر من بعثة النبي عليه الصلاة والسلام . ومع أن الجفاف والحرارة هما الطابعان الغالبان على الجزيرة العربية الا ان العربي كان يفضل وقت اعتدال الجو اذا ترك له الخيار من أمره .

وللطريق من مكة الى المدينة مميزات جغرافية لها ارتباطها بالتقسيم التقليدي الذي درج عليه العرب فقد كانوا يقسمون الجزيرة العربية الى تهامة والحجاز — وفيهما كان المجال الجغرافي للهجرة — واليمن ونجد والعروض . وأطلقوا عليها هذا الاسم لاعتراضها الطريق بين اليمن وفارس .

وتهامة اصطلاح له دلالة تضاريسية ومناخية فالتهمة هي الأرض المتصوبة الى البحر ، والتهم شدة الحر وركود الريح . اما الحجاز فهو ما حجز بين تهامة ونجد . وربط بعض الكتاب بين موقع الحجاز وبين التكوينات البركانية (الحرار) هناك ، قال الاصمعي : اذا عرضت لك الحرار بنجد فتلك الحجاز .

ولهذه الظاهرات الجغرافية تأثيرها على طرق الاتصال بين أجزاء الجزيرة العربية ، ويعنينا منها الطرق فى الحجاز وتهامة وبخاصة ما بين مكة والمدينة .

١ — فهناك طريق الساحل فى تهامة . ويستطيع سالكوه أن يعتمدوا على موارد المياه فى بطون الأودية المتحدرة من الحافة الغربية لجبال الحجاز نحو البحر الاحمر ، ومن قديم عرف العرب هذا الطريق وسلكته قوافلهم . وكانت قوافل قريش تسلكه اذا أرادت ان تتجنب المرور بالمدينة . ولا زال الطريق الرئيسي بين مكة والمدينة يتبع السهل الساحلي ما بين جدة حتى بدر ، ثم ينحرف بعد هذا الى الشمال الشرقي مخترقا الجبال ليدخل المدينة من جنوبها الغربي .

٢ — أما الطريق الثاني فيطلق عليه الدرب الشرقي أو طريق نجد . ويتبع الحضيض الشرقي لحرة رهط وهي اكبر الحرار بين مكة والمدينة .

وبهذا نستطيع أن نميز فى أرض الحجاز ــ بمدلولها الواسع ــ بين السهل الساحلي ثم الجبال الساحلية ثم تنخفض الارض مرة اخرى لتعود الى الارتفاع فى الجبال والحرار الداخلية وتنحدر حافاتها الشرقية الى نجد . وتتبع القوافل اما طريق الساحل أو الطريق الشرقي بين الحرار .

وقد قامت المساحة المصرية السعودية وشركة ارامكو بدراسات مفصلة لهذه الاجزاء ولكنها ــ رغم اهميتها ــ لا تعنى عناية اساسية بتوقيع المعالم الجغرافية والاماكن التي ارتبطت باحداث التاريخ الاسلامي ، الا ما كان له قيمة بشرية ظاهرة .

ومن ثم بقيت ثغرات واسعة فى طريق الدراسة تحتاج الى دراسات ميدانية مفصلة توقع ــ على خرائط ــ هذه المعالم التي ذكرها الجغرافيون العرب فيما خلفوه من معاجم ومؤلفات . وبدون هذه الخرائط سيظل الاساس الجغرافي أو المكاني فى دراسة التاريخ الاسلامي غير عميق . وستظل فلسفة المكان غير محددة القسمات فى وصف وتحليل أحداث هذا التاريخ . نحن فى حاجة الى « اطلس الاسلام » فهل تتعاون الجامعات والهيئات العلمية فى الوطن الاسلامي على انجازه ؟ .. أمل أرجو ان يتحقق ..

ولنعرض بعد هذه المراحل طريق الهجرة .

من مكة الى الغار

رأينا كيف أن لمكة ثلاثة مداخل رئيسية : طريق الغرب وطريق الشمال وطريق المسفلة الجنوبي نحو اليمن . ويبدو لاول وهلة أن الطريقين الاول والثاني أقرب الى المدينة من الطريق الثالث . ومع هذا فقد كان خروج النبي عليه الصلاة والسلام للهجرة عن طريق المسفلة . أى أنه توجه تلقاء الجنوب ليتابع بعد هذا سيره الى الشمال . وغار ثور الذي لجأ اليه الرسول يقع على نحو خمسة كيلو مترات ونصف الى جنوب شرق مكة وارتفاعه ٧٥٩ مترا فوق سطح البحر . والطريق الى الغار شاق حتى ان الرسول لم يبلغه الا بعد ان دمت قدماه .

وكان من المنتظر ان يبدأ البحث عن الرسول فى الاجزاء الشمالية والغربية من مكة وهي المؤدية الى المدينة . وألا يتبادر الى الذهن ان يسلك الرسول طريق اليمن بينما المدينة هدفه .

وبقى الرسول فى الغار ثلاثة أيام ومعه أبو بكر . وكان خروجه من مكة ــ على الراجح ــ فى اوائل ربيع الأول . ولا نجد تحديدا دقيقا متفقا عليه فى أمهات كتب التاريخ الاسلامي ليوم خروجه من مكة (يراجع ابن هشام وتاريخ الطبري) . وان كان الاتفاق على يوم بلوغه قباء ودخوله المدينة ..

كان بلوغه قباء يوم الاثنين لثنتي عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول يوم الاثنين حين اشتد الضحى (الطبري ٦ : ٣٨١ المعارف) وكان دخوله المدينة يوم الجمعة الذي يليه (نفس المرجع ٦ : ٣٨٢) .

ولو أخذنا بأن خروج الرسول كان يوم الاثنين، فسيكون الخامس من ربيع الاول ، فاذا طرحنا منها ثلاثة ايام بقيها فى الغار لبقيت عندنا أربعة ايام عليه أن يقطع فيها اربعمائة كيلو مترا .. أى أن متوسط الرحلة اليومية مائة كيلو مترا .. وهو رقم واضح الارتفاع ، بينما لو كان خروجه من الغار يوم اثنين لانخفض الرقم الى نحو ستين كيلو مترا .. وهو قريب من المنطق فى ظروف الهجرة ..

ونظم الرسول فى الغار أمرين أساسيين :

١ ـ ان يكون على علم بمجرى الحوادث فى مكة وما تقوم به قريش ويرتبط بهذا تدبير حصوله من مكة على طعامه وشرابه وزاده عند السير .

٢ ـ ان يكون طريق الهجرة أمامه مفتوحا الى المدينة .

اما عن الامر الاول فكان عبد الله بن ابى بكر يبيت عندهما فى الغار اذا اظلم الليل ثم يعود فى الفجر الى قريش فيظن أهل مكة أنه كان معهم. ويمضى نهاره بينهم يسمع ما يقولون ويرجع الى الغار ليخبر الرسول بما علم . وكانت اسماء بنت ابى بكر تأتيهما بالطعام . اما آثار الأقدام التي يتركها سير اسماء وعبد الله فتكفل بها عامر بن ابى فهيرة مولى ابى بكر ، فيروح على الغار باغنامه بعد ان يرعى نهارا فيأخذ الرسول وصاحبه ما شاءا من البانها ولحومها ثم يتابع سيره بالقطيع دون ان يترك وراءه أثرا على سير انسان ..

وأما الشطر الثانى فكانت لأبى بكر راحلتان دفعهما الى عبد الله بن أريقط وكان دليلا ماهرا ليأتيهما بهما عندما ينقطع الرصد والبحث عن الرسول وصاحبه .

ورغم هذا الاحكام فقد استطاع قصاصوا الأثر ان يصلوا الى فم الغار بعد أيام أمضوها فى البحث ، ولكنهم لم يتابعوا البحث فيه وحفظت عناية الله الرسول وصاحبه .

على الساحل

وخرج الرسول من الغار بصحبة ابى بكر ورافقهما عامر واتجه الدليل غربا الى طريق الساحل . وتمثل الأودية المتحدرة من السفوح الغربية ، للجبال نحو البحر المعالم الرئيسية فى الطريق . ثم اتجه شمالا متجنبا مناطق الاستقرار أو التجمع ، مستفيدا فى نفس الوقت من موارد المياه الموجودة ، وان مر فى طريقه ببعض الرعاة . وتابع سيره شمالا مارا بالطريق أسفل عسفان . وهي بلدة صغيرة باقية . ومر بعد هذا بأمج ـ ولم يرد على الخرائط الحديثة ـ وهو واد يأخذ من حرة بني سليم وينتهي الى البحر ثم أجاز قديدا وهي قرية صغيرة على وادي ستارة ثم سلك الخرار وهو موضع بالحجاز ذكر ياقوت انه قرب الجحفة (معجم البلدان ٢ : ٣٥ ط بيروت) ولم يرد هذا الوادي على الخرائط الحديثة .

هذا هو القطاع الساحلي من طريق الهجرة ويبلغ امتداده نحو مائة وسبعين كيلو مترا . ولم يتبع فيه الرسول الجادة المطروقة وانما كان يتجنبها ليكون فى مأمن ممن يحاول ان يقفو أثره . وقد حاولها سراقة بن مالك .. ذهب طامعا وعاد ليصرف الناس عن تتبع الرسول .

من الساحل الى المدينة

وعند الجحفة سلك الرسول طريق الخرار ـ او طريق الحرار ـ الأول الوادي والثاني جمع حرة ـ وهو غير الطريق المعتاد بين مكة والمدينة . وكما تجنب الرسول الجادة المطروقة فى السهل الساحلي ، تجنبها كذلك عند سلوكه الجزء الجبلي من الطريق . وتذكر كتب السير الثنيات والعقبات والأودية التي مر بها (ابن هشام ٢ : ١٣٦ ـ ١٣٧ ط الحلبي بمصر) ويتبين منها انه حتى مع اختياره هذا الطريق ، كان يتجنب معالمه المعروفة اختصارا للوقت وزيادة فى الحيطة ، حتى انه سلك فيه واديا كان به قاطعا طريق ـ رغم علمه بذلك ـ وأسلما على يديه . واجتاز ثنية ركوبة عند العرج وهى عقبة شاقة شديدة المرتقى يضرب بها المثل .

وبعد أن عبر عدة أودية هبط بهما الدليل العرج ثم هبط وادي العقيق . وهذا الوادي تسجله الخرائط الحديثة. اما المعالم التي سلكها الرسول بين الساحل ووادي العقيق فلا نجد توقيعا لها على هذه الخرائط .

وقد تتبع الرسول وادي العقيق الى قباء وهي قرية صغيرة الى جنوب المدينة وأقام بها أربعة أيام وأسس فيها مسجدا، ولحق به فيها علي بن ابي طالب رضى الله عنه بعد أن نام فى فراش الرسول ليلة الهجرة ليصرف الأنظار عن تتبع الرسول حتى الصباح ثم قام يرد الودائع .. ودخل الرسول المدينة يوم الجمعة فى الخامس عشر من ربيع الأول ويبلغ الجزء الجبلي من طريق الهجرة نحو مائتين وثلاثين كيلو مترا .

وصفوة القول

ان الهجرة كانت عربية ، وأن الطريق الذي سلكه الرسول فى هجرته بدأ باتجاه جنوبي مع أن هدفه المدينة شمالا ، ثم اختبأ فى الغار ثلاثا وتتبع طريق الساحل غير سالك منازلهم المطروقة ثم سلك الخرار متجها الى الشمال الشرقي متتبعا طرقا جبلية وعرة حتى هبط العرج فوادي العقيق الى قباء ومنها الى المدينة . واتخذها دار هجرته وقاعدة لنشر الاسلام .

قالوا فى الهجرة

يفوق الخيال

قصة هي أضخم قصص الحياة جميعا ، لانها تروى أضخم احداث التاريخ جميعا ، على انها قصة لم يلفقها الخيال، ولم يبتكر لها الابطال ، ولم يخترع لها الوقائع اختراعا ، ولم يبتدع لها النتائج ابتداعا ، ومع هذا فهي اجمل ما روى أصحاب القصص وأبدع وأفخم ما حاك خيال الروائيين وأروع ، هي قصة اذا لم تكن من نسج الخيال ، فان الحقيقة فيها سمت على محلق الخيال !

هي شيء لولا انه وقع ، لما صدق احد انه يقع ، ولولا انه كان ، لما ارتاب أحد فى انه لا يمكن أن يكون . ولقد جرت حوادث هذه القصة فى صدر القرن السابع لميلاد المسيح عليه السلام ، واما موضوعها فالصراع بين الحق والقوة ، واما مكانها فمكة ، فيثرب ، ثم مكة ،واما ابطالها فمحمد بن عبد الله ، وأما اشخاصها فصحبه من ناحية ، وقبائل قريش من ناحية أخرى .

هي قصة طويلة جدا ، فقد استهلكت حوادثها العنيفة الرائعة نيفا وعشرين سنة ، وهي مبسوطة مفصلة ، فى كتب التاريخ ، وفى كتب السير .

. وبعد ، **فليت هؤلاء الذين غصب عليهم حقهم ، والذين خرجوا أو اخرجوا ظلما من ديارهم ، ليتهم يبنون انفسهم على الصبر ، ويروضونها على شدة الاحتمال فى سبيل الحق ، ففي حديث الهجرة اصدق الخبر ، وفيه احسن العظات وأبلغ العبر .**

عبد العزيز البشرى

أذكر حينما كنت قاضيا فى القدس منذ عشرين سنة ، عرضت على حادثة ، طالبت فيها مطلقة مطلقها بخمسمائة ليرة عثمانية ذهبا ، مؤجل صداقها ، وقد كان التعامل بالذهب ممنوعا ، واختلف الفريقان فيما يجب على المطلق أن يدفع، هل قيمة الليرة يوم العقد ، أو قيمتها يوم الاستحقاق أو قيمتها يوم الخصومة، وراجعت فى المراجع الفقهية الاسلامية فوجدت انهم استعرضوا الاحتمالات الثلاثة ، ورجحوا اعتبار يوم الاستحقاق، وأبرز الى حينئذ حكم صادر من مجلس الملك فى لندن فى حادثة حقوقية مماثلة وقعت فى محاكم فلسطين، وقد استعرض مجلس الملك آراء الفقهاء الاسلاميين ، وغيرهم من الفقهاء ورجح ما رجحه فقهاء الاسلام .

واذكر هذه الحادثة الجزئية للدلالة على ان الغربيين كانوا ولا يزالون يستفيدون من كنوزنا ويستقصون ما فيها من تراث عظيم ، نحن أجدر بجعله أساسنا فى التشريع ، وملاذنا فى الاتجاه وعمدتنا فى التقنين .

واذا لم يحرص المسلمون والعرب على مصادر اعتزازهم ، ومدار فخارهم ومقومات شخصيتهم ، فانهم يندمجون فى غيرهم ، ويذوب وجودهم ، ويبقون فى كل شيء عالة على غيرهم .

ولئن ساغ للبلاد العربية الاسلامية ان يعتمدوا فى التشريع على القوانين الغربية والمصادر الاجنبية فى عصور كان للانتداب والاستعمار والميوعة والانحلال الاثر الكبير فيها ، فلا يجوز أن يكون فى عصور الاستقلال واليقظة ، والانطلاق من قيود الاجنبي .

واني اتساءل هنا عن القومية العربية، التي دعت او تدعو اليها جميع الدول العربية ، هلا تعنى الاحتفاظ بشخصيتنا كأمة ذات تشريع خالد ، وثروة فكرية عظيمة ، ساهم فى الاحتفاظ بها وشرحها المسيحيون المخلصون لعروبتهم ، كما ساهم فيها المسلمون ، باعتبارها ثروة قومية ترفع من شأن العرب وتضعهم فى ذروة القمة فى الامجاد .

أيها القارىء الكريم

لعله يتراءى لك أني بعدت عن الهجرة وما يتعلق بها ، ولكني أقول أنه يجب أن نهجر كل ما يتنافى مع شرائعنا وتقاليدنا كأمة عربية مجيدة ، ونجدد العزم على هذا فى حديثنا عن الهجرة ، فلا فائدة من الاحاديث والحفلات والخطابات اذا لم تمس مشاعر الناس فى عصرهم ، وتربط بين حاضرهم وماضيهم ، وتجعل من الماضي المجيد مشعلا يهدينا فى حاضرنا وحافزا يدعونا الى العمل الجدى المثمر .

واني فى حديثي عن الهجرة أهيب بالعرب والمسلمين فى سائر الاقطار أن يعملوا جادين على غسل العار ، والاخذ بالثأر ، وانقاذ الكرامة ، واستعادة ما غصب من فلسطين الحبيبة ، ولا سبيل لذلك الا التضامن والاعداد والقوة ، وان نستفيد من ماض لنا حافل بالامجاد وأسباب العزة والمنعة .

وليس القصد ان نتغنى بتلك الامجاد ونستعيد تلك المفاخر ، وانما القصد أن نسير سير البطولات ، ونتمثل فى أعمالنا بحقيقة التضحيات ، ونتخلى عن الارتماء فى أحضان الغير ، ونتخلص من مركب النقص فى نفوسنا ، ونشعر فى فخر بعزة المؤمنين ، وحينئذ تكون بحق خير أمة أخرجت للناس .

الإسلام
ورسوله
وتعاليمه
بلغة
العصر



لماذا نؤمن أو بالأحرى لماذا نتدين

بقلم الاستاذ احمد حسين المحامي

مناقشة مفتوحة للنظرية المادية

الدين أى دين لا يخرج فى جوهره عن ان يكون نظرية شاملة لتفسير الوجود والكون وتكييف العلاقات الانسانية على أساس من هذه النظرية وتطبيقاتها ، والمحور الاساسي لاى نظرية دينية هو الايمان باله خالق لهذا الكون من طبيعة مثالية تغاير المادة وتعلو عليها ، اله يمثل الكمال المطلق الذى يرنو اليه الانسان ، اله حكيم عادل رحيم .

والمعارضون لفكرة التدين والايمان بالله ، يقولون ان لا شيء فى الوجود يغاير المادة المنظورة المحسوسة الملموسة، ولا شيء يعلوها او يهيمن عليها الا نواميسها الخاصة ، ثم راحوا يرتبون

● النظرية المادية هي مأساة البشرية فى القرن العشرين

● لقد عجزت النظرية المادية فأفلست عــن أن تفسر للانسان شيئا فضلا عن ان تفيده بشىء .

● الامتناع عن استخدام الافيون فى حالات الضرورة افراط فى تعذيب الانسان والقسوة عليه .

علاقات الانسان وتطورات التاريخ على هدى من هذه النظرية وهذا الاعتقــاد ، بحيث انتهى التفكير المادى الى اقامـــة ما يمكن ان يوصف بأنه دين المادية فى مواجهة اديان البشرية كلها ومعتقداتها التى ترتد كلها الى فكرة المثالية ، اى وجود مثل أعلى يعلو على المادة ويهيمن عليها .

أى طريق يختار الانسان ؟

ويصبح السؤال الآن ، اليس مــن الجائز ان يكون هذا الدين المادى اهدى سبيلا ، وأكثر نفعا للانسان كما يقــول الدعاة اليه ؟ الا يجوز ان يكون الدين المادى اكثر قدرة على مواجهة مشاكل الانسان المعنوية والمادية ، وأنه يفسر ما يستعصي تفسيره على العقل ، ويمكن من القضاء على ما يعانيه البشر من متاعب وآلام ؟ .

وعندنا ان طرح السؤال على هــذا الوجه ومحاولة الرد عليه ومناقشته ، هو فرض واجب على كل انسان مفكر واع ، فالايمان اصدق الايمان لا يكون الا بدليل ، ولا يكون الا ثمرة الاقتناع العميق ، واذا كان الانسان نزاعا بطبيعته الى تحقيق اكبر قدر من الخير لنفسه ، فحتم عليه ان يرتاد كل المظان والاحتمالات التى يمكن ان تحقق له هذا الخير ، وتفسر الوجود . فلو أن هذا الدين الجديــد يقدم لنا نموذجا اصلح واكمل من النماذج الاجتماعية التى عرفها البشر حتى الآن .. لو انه قدم لنا مجتمعا يخلو مــن القهر والاعنات والظلم والالم ، مجتمعا تسوده الوفرة والرفاهية ويرفرف عليه الحب ، لكان هو الاولى بالاتباع والاعتناق، بل لوجدت البشرية نفسها مسوقـــة لاتباعه تلقائيا . أما اذا خرجنا مــن البحث ، بأن هذا الدين المادى ، لا يقدم لنا تفسيرا جديدا لما عجزنا عن فهمــه وادراكه ، ولا يزودنا بمجتمع يفوق ما عرفه البشر حتى الآن من مجتمعات ،

بل اذا ظهر من البحث ان هذا الديـن الجديد قد اضاف الكثير الى آلام البشر وتعاستهم ، فانه يكون قد أهدر مبـرر وجوده ، وضاعف فى ان يزداد المؤمنون ايمانا على ايمانهم ، ويصبح حقا عليهم ان يتصدوا للقضاء على هذا الديـن الجديد الذى لم تقف آثاره الضارة عند حد معتنقيه ، بل امتدت حتى الـى مخالفيه .

النظرية المادية وتفسير نشأة الوجود

تقـول الاديان ويؤمن المؤمنون أن هـذا الوجود كما قدمنا ـ من خلق اله يعلو على المادة ويهيمن عليها ، فتساءل الماديون والملاحدة والمنكرون ، ومن الذى خلق الله ؟ فيقول المؤمنون وحاملـو رسالات الاديان : ان الله قديم كان منذ الازل ، لم يلد ولم يولد ولم يكن لـه كفوا أحد .

فيقول الماديون: هذا كلام غيبي لا غناء فيه، وفرض لا يستسيغه العقل،وخروج عن جادة العلم اليقيني الذى يجب الا يتعدى حدود المحسوس والملموس .

فيقول المؤمنون : ولكن كيف يقـوى العقل ـ وهو جزء مخلوق ـ ان يدرك اسرار الخالق ، اننا نسلم ان العقـل الانساني يعيا عن ادراك حقيقة الله ، ويجب ان يظل هذا البحث خارج نطاق البحث العقلي وحسبنا ان الوجـدان والعقل ذاته يؤديان بنا الى وجود الله ، اما بالنسبة لماهية الله فمسألة تستعصي على العقل .

فيقول الماديون : نحن لا نعرف سوى العقل سبيلا للادراك ، وكل حديث لا يتقبله العقل يكون ضربا مـن ضروب الاوهام والاساطير والغيبيات .

فيقول المؤمنون : اذن هاتوا ما عندكم ان كنتـم صادقين ، أرونا كيف تفسر النظرية المادية ما يستعصي على العقل ادراكه .

فيقولون: ان الامر أبسط من البساطة، فليس ثمة خالق أو أصل لهذا الوجود سوى المادة المحسوسة الملموسة التـى نراها مبثوثة فى الكون وفى انفسنا ، وهي التى تتطور ، وهي التى تتفاعل ، فكان هذا الوجود .

فنقول : آمنا وصدقنا ان المادة هي اساس كل شيء فى هذه الطبيعة ، فمن الذى خلق هذه المادة ؟ . وزودها بهذه القوانين والنواميس التى تتطـور مـن خلالها ، لتبدع كل هذا الابداع وتخلق كل هذا الخلق ؟

فيقولون لنا : ان المادة قديمة ، هكذا وجدت منذ الازل ، وفيم نشغل انفسنا بهذا السؤال (الميتافيزيكي) أى المتعلق بما وراء الطبيعة ، ان العلم لا يشغل الا بكل ما هو مادى ومحسوس وملموس، ولا شأن له بالذهاب الى ما وراء الطبيعة .

ومعنى ذلك ان النظرية المادية لا تقدمنا خطوة واحدة فى تفسير نشأة الوجود ، وكيف كان . فالقول بأن المادة قديمة هو ذات القول بأن الله قديم ، والقول بأن التساؤل عن كيفية وجود المادة ، خروج عن نطاق العلم ، هو نفس القول بأن العقل يعيا عن ادراك ماهية الله وكيفيته .

وهكذا نرى انفسنا بعد طول جهـد ومشقة قد فسرنا الماء بالماء .

النظرية المادية وتفسير تصاريف القدر

واذا كانت النظرية المادية تعجز عن

تفسير نشأة الوجود ، فهل تراها على تفسير حوادث الوجود وتصاريفه أقدر وأكفأ ؟

ان الماديين لا يجدون ما ينكرون بـه وجود اله حكيم عادل رحيم ، الا ان يشيروا الى ما يعانيه الانسان احيانا من ظلم وبؤس وشقاء ، فيقول المؤمنون ان هذه الدنيا ليست سوى دار ابتـلاء واختبار ، وهي معبر لحياة اخرى أكمل منها وأفضل ، تخلو من النقائص التى يعاني منها الانسان ، ويعوض فيها عن حرمانه فى هذه الدنيا ، وينال كل ذى حق حقه .

فيقول الماديون : أوهام وخرافـات ، وتعلق بالغيبيات ، وهروب من مواجهـة الواقع ، ومع ذلك فان الملاحظـة التى يوجهها الماديون ، بالنسبة لما تنطوى عليه الحياة الانسانية احيانا من بؤس وشقاء، نتيجة الشذوذ والانحرافات تظل قائمة تبحث عن جواب .

فما دامت الحياة تسير وفق سنن ونواميس محددة وقوانين صارمة ، لا يمكن ان تخطيء ، أو أن تتحول ، فلماذا نرىهذه النوامس أحيانا تختلوتضطرب لغير سبب مفهوم او علة ، فنراها لاتوزع عطاياها على بني الانسان على السواء ، بل تعطى وتسرف فى العطـاء احيانا ، وتمنع وتشتد فى المنع احيانا اخرى . فترزق اقواما بالبنين والبنات بلا عدد ولا حساب ، وتمنع النسل عن آخرين ، وتعطي ذكورا حيث المطلوب اناثا ،وتعطي اناثا حيث المراد ذكورا ، ما بال هـذه النواميس تفرق بين شقيقين تكونا فى رحم واحد ، ورضعا من ثدى واحد ، ثم يكوناحدهما علما على الذكاء والنبوغ، والآخر علما على الغباء والغفلة . لمـاذا ـ والخلايا تنقسم وتتكاثر طبقا لناموس الحياة ـ تتوقف هذه العملية او تنحرف فاذا الجنين يولد ناقص التكوين ، أو بغير عينين أو بأكثر من رأس وأكثر من يدين.

ما الذى يجعل مولودا صحيحا قويا معافى ، يموت بعد ولادته .. ومولودا كسيحا ناقص التكوين يحيا ويعيش . لماذا يتساقط الاقوياء احيانا تحت منجل الموت المفاجيء فى الوقت الـذى يعيش فيه المشلولون والضعفاء ؟.

اين نواميس المادة ودقتها واطرادها ، ما الذى يحرفها ويعرقل سيرها ؟

فيرد الماديون بأن هذه الانحرافات ، انما تتم بدورها وفق قوانين وسنن ، نجهلها فىالوقت الحاضر، ولكننا سنعرفها فى المستقبل ، عندما نزداد علما بأسرار الحياة .

ومرة أخرى لا نجد انفسنا تقدمنـا خطوة واحدة ، فما من مؤمن الا وهو يعتقد ان وراء الاحداث ايا كان انحرافها وشذوذها ، حكمة ربانية وهي ان خفيت عن بعض العقول ، فسوف تعرف فى يوم قريبعندما يكشف الحجاب عن البشر .

جنة فى الارض بدلا من جنة السماء

ويمضـي الماديـون فى الاحالة علـى المستقبل ، والتعلق بالعلم وقدرته على تحقيق ما نتصوره اليوم مستحيلا الى حد التبشير بجنة أرضية ، تكاد تكون صورة طبق الاصل من الجنة السماوية ، فسيجيء وقت ـ عندهم ـ يختفى فيه عن ظهر الارض كل مظاهر الاستغـلال والاستبداد والقهر ، سيجيء وقتتنعدم فيه الحاجة الى الشرطة أو السجون ، فضلا عن الجيش والدولة نفسها .

فسوف تسير الامور تلقائيا فى هـذا المجتمـع اللاطبقي من خـلال التعاون والتفاهم والمحبة الانسانية ، ولن يكدح

الانسان او يشقى ، فسوف تتولى الآلات والعلم خدمته ، ومده بكل حاجاته فى وفرة . ولن يكون مرض ، ولن يكون جوع ، بل قد يمكن العلم الانسان من التحكم فى الحياة والقضاء على الموت نفسه . ويعيا العقل بالمقاييس المادية البحتة ان يتصور كيف يمكن ان تتحقق هذه الجنة الارضية ، فالطبيعة الانسانية كما نعرفها ، والتى جعلت من الانسان انسانا ، انما تقوم على هذه العواطف الانسانية والاهواء والفرائز،بل والنقائص، وهى التى تجعل الانسان يتنافس ويتقاتل ويتحاسد ويتباغى ، ويحب ويكره ، ويتسلط ويستعلى ويستبد .والحضارة الانسانية والمدنية والعلم وكل ما حققه الانسان أو يمكن أن يحققه انما هو فى نظر العقيدة المادية قد انبثق من الصراع والتفاعل ، فكيف تقوم حياة انسانية خلت من الفرائز والحوافز والصراع ؟

وحيث تقوم الحياة اصلا بل الطبيعة كلها على التنوع واختلاف المستويات ، والتناقضات والتردد بين الحالة وعكسها، فكيف يمكن للعقل ان يتصور امكان حياة لا عمل فيها ولا كد من أى نوع كان ، حيث لا مرتفعات ولا منخفضات ، حيث لا مد ولا جزر ، وانما حياة سوية تسير على نمط واحد ونسق متكرر .

هنا ويقول الماديون ان عقولنا فى الوقت الحاضر تعيا عن تصور هذا المجتمع (اللاطبقي)لاننا لا نزال متأثرين برواسب الماضى وأدران الحاضر ، اما الاجيال التى ستولد فى ظل المجتمع الجديد فستكون اقدر منا على العيش فى هذا النعيم بعقول جديدة ونفوس طاهرة .

تفوق جنة السماء

وعندنا ان جنة السماء تتفوق على جنة الارض من الناحية العقلية البحتة ، او هى تنقل الجنة من هذه الارض بنواميسها الى السماء حيث تحكم نواميس غير النواميس ، وتسود اوضاع غير الاوضاع المألوفة على هذه الارض ، وما دام الانسان يرتدى هذا الثوب المادى الكثيف .. فمن المستحيل على العقل ان يتصور حياة غير هذه الحياة المألوفة، ولكن عندما يتحرر من قيود المادة ، عندما ينعتق من هذه الحياة الدنيا ، وينتقل الى الحياة الثانية فى السموات العلى، فستكون نواميس غير النواميس ، وقوانين غير القوانين . ولن يجد العقل صعوبة فى تصور حياة اكمل من حياتنا ، ما دامت ستكون خاضعة لنواميس غير نواميسنا، وأما الصعوبة التى تصل الى حد الاستحالة ، فهى تصور حياة اكمل وأفضل ، حياة لا يشوبها مرض ولا موت ولا الم فى ظل النواميس التى نعرفها . وها هي ذى الايام تكشف ، وقد بدأ الانسان يشق طريقه الى الفضاء الخارجي، وينعتق من الجاذبية الارضية، انه سيواجه احوالا غير الاحوال المعتادة ، وأوضاعا غير الاوضاع المألوفة ، ستقلب مفاهيمنا فى كثير من المسلمات بعد أن رأينا الانسان يسير فى الفضاء ، فلا يسقط هنا أو هناك ، ورواد الفضاء يحدثوننا عن الابتهاج والمسرة التى يحسون بها فى الفضاء، والعلماء يحدثوننا عن شفاء الامراض وطول الحياة فى الفضاء وفى الكواكب الاخرى .

وهكذا يصدق حس الانسان ، عندما يتطلع دائما صوب السماء ناقلا اليها الجنة التي تحكمها نواميس غير النواميس الارضية ، وهو في ذلك اهدى من النظرية المادية ، التي ربطت بين الانسان والارض واعتبرتها أصله ونهايته .

الجنة من نصيب من ؟

ولا يقف تفوق العقيدة الدينية على العقيدة المادية ، عند حد التفسير المنطقي لامكان قيام الجنة ، بل انها تتفوق اكثر من ذلك كله ، في جعلها الجنة من نصيب العاملين ، من نصيب الكادحين الصابرين المحتسبين ، من نصيب المظلومين والمحرومين في كل زمان ومكان منذ وجد الانسان الى أن ينتهي ، فالجنة السماوية هي من أجل هؤلاء ، وهي موعدهم ، وهي تعويضهم عما عانوه في هذه الارض .

اما الجنة المادية الموعودة ، هذا المجتمع اللاطبقي الذى يبشرون به ، فستكون من حظ من ؟؟

انها ستكون من حظ اجيال لم تولد بعد ولا يعرف متى تولد ، من حظ اجيال ستجد نفسها تلقائيا وسط هذه الجنة وهذا النعيم الذى لم تبذل جهدا من أجل تحقيقه ، وعلى الذين يدينون دين المادة ويؤمنون بنظريتها في أيامنا هذه في المجتمعات التي لم يصلوا فيها الى السلطة ان يشقوا ويكدحوا ، ويعرضوا انفسهم لمعاداة المجتمع والسجن والتشريد ، وأن يتآمروا ويثوروا اذا لزم الامر ، ويقاتلوا ويقتلوا بغير أمل في ان يشهدوا هذه الجنة الموعودة ، او حتى يتنسموا ريحها ، لان الجنة او المجتمع اللاطبقي الذى ينتفي منه القهر والاعنات ، وتظله الوفرة ، ويجد فيه كل انسان حاجته بغير كد ولا عناء ، ستكون من حظ الاجيال التي لم تولد بعد ، والتي لا تزال في عالم الغيب .

والحق ان مثل هذه الدعوة ، هي ذروة من ذرا التصوف والتجرد الذى ينكرونه على معتنقي الاديان وهي درجة قل من يصل اليها من المؤمنين بالله انفسهم ، فالكثرة الساحقة من البشر المتعبدين ، انما يتعبدون من أجل الحصول على الجزاء والمكافأة في الجنة الموعودة ، وليس اعجب من دعوة مادية تدعو معتنقيها الى أن يشقوا ويتألموا ويجوعوا ويضحوا ويموتوا اذا لزم الامر ، من أجل معنى صوفي مجرد وهو سعادة الاجيال المقبلة التي لم تولد بعد . وعندنا ان النظرية المادية انما تعلن افلاسها بمجرد التخلي عن المحسوس والملموس ، ثم التعلق بالافكار الغيبية والمعاني المجردة لانها تثبت بذلك علو الافكار والمعاني على المادة وهو ما يقول به المؤمنون المثاليون .

النظرية المادية على ضوء التجربة

لم يبق بعد ذلك الا أن نتساءل ، اذا كان هذا هو حظ النظرية المادية ، من الناحية النظرية البحتة سواء في تفسير الماضي السحيق . أو المستقبل البعيد ، أيكون حظها من التجربة والواقع احسن وأوفر ؟ .

ومن حسن الحظ ان النظرية المادية قد اتخذت اساسا للحياة ، ودينا رسميا في أوسع رقعة من رقاع العالم ، وأغزرها موارد ، وقد انقضى على بدء هذه التجربة نصف قرن ، وهي مدة كافية بمقاييس القرن العشرين وطاقاته لهدم العالم كله واعادة بنائه ، فقد اعيد بناء دول خرجت من الحرب العالمية الثانية ، وقد سويت مدنها بالارض وشرد شعبها ، وفككت مصانعها ، وجردت من وسائل مواصلاتها ، بل ومن علمائها وعمالها الفنيين ، ومع ذلك فقد استطاعت في اقل

من عشرين سنة ان تعيد بناء نفسها ، بل وتصبح علما على الفنى والازدهار والتفوق .. فالخمسون سنة اذن ليست بالشيء القليل فى القرن العشرين وهي كافية للحكم على نجاح أو اخفاق اية تجربة .

ولن نتحدث عن ملايين الضحايا التى تكبدتها هذه المجتمعات ، بل ولن نتحدث عن الآلام التى عانتها شعوب هذا الجزء من العالم ، فقد أغنانا عن ذلك قادة هذه المجتمعات فليرجع الى اقوالهم وخطبهم من يشاء .

وانما من حقنا ان نتساءل تساؤلا موضوعيا علميا مجردا من كل هدف الا الوصول الى الحقيقة عما حققته هذه المجتمعات بعد نصف قرن من العمل والانتاج ، وبعد احتمال ابنائها ما احتملوا من مشقات وآلام وحرمان ، هل تحقق شيء مما وعدت به النظرية المادية ، هل زال سلطان الدولة على مجتمعها او على الاقل ضعف سلطانها بالنسبة لغيرها من الدول ، هل ألغى نظام الشرطة واغلقت السجون وانتفى القهر ووسائل الاكراه ، هل استغنى المجتمع عن الجيوش وعن انتاج اسلحة الدمار ، هل يتمتع الناس بالوفرة التى لا يتمتع بها غيرهم فى المجتمعات الاخرى ممن لا تدين بدين المادة وتتخذه اساسا لحياتها ، ألهم مساكن خير من مساكن الآخرين ولهم اطعمة أوفر من مطاعمهم ؟ أخلا مجتمعهم من الجرائم والامراض والاحقاد والانحرافات ؟

وتقول لنا التقارير الرسمية ان الهدف المرتجى من هذه الناحية لم يتحقق بعد بل وتسلم أنها دون بعض المجتمعات الاخرى ، ولكنها تعد أن التفوق سيتحقق فى المستقبل القريب . ولنا الواقع المحسوس الملموس ما دمنا فى نطاق الايمان بالمادة ونواميسها ، والواقع يؤكد ان وجه المجتمع الذى اتخذ من النظرية المادية دينا رسميا ، لا يختلف فى جوهره عن غيره من المجتمعات الاخرى المتقدمة صناعيا .

مراجعة بعض تطبيقات النظرية

ولعل هذه الحقيقة هي التي حدت بزعماء هذه المجتمعات ان يراجعوا بعض التطبيقات النظرية المادية ، ويصل الامر بهم الى حد الدعوة الى الاخذ بمبادىء كان مجرد التلفظ بها منذ عشرين سنة يعتبر كفرا وخيانة ، ومروقا يؤدى بصاحبه الى النفي ان لم يكن الموت ، كالمبدأ القائل بضرورة تقوية الحافز الفردى ، او المبدأ القائل باتخاذ الربح كوسيلة للكشف عن مدى نجاح بعض الاعمال ، وليكون هاديا ومرشدا لتحديد الانتاج .

وهكذا نرى انفسنا نعود دائما الى نقطة الابتداء ، نعود دائما الى ذات المبادى والاسس التى قامت النظرية المادية للاعتراض عليها ، فقد قام الجانب الاقتصادى فى النظرية المادية على اعتبار الربح هو لعنة البشر .

التصالح مع العقائد والاديان

وحيث لم يكن من عمل للحكومة فى المجتمعات التى تدين بالمذهب المادى ، الا ان تحارب الافكار المثالية والدين بصفة خاصة ، باعتباره افيون الشعوب ، وأن تبذل جهدها لتوعية الشعب ، ورفع الغشاوة عن عينه للتحرر من لعنة الدين ، وأن تدعم ذلك باغلاق الكنائس ومطاردة رجال الدين ، أصبح ما يجرى الآن فى هذه المجتمعات هو عكس ذلك ، فالدعوة الآن لترك الشعوب حرة فى مزاولة معتقداتها الدينية ، حيث لا تعارض بين تطبيق النظم الاقتصادية الجديدة والايمان بالله ، وعلى ذلك فقد فتحت الكنائس والمساجد ودور العبادة من جديد ، وأصبحت تغص بروادها ، لا من الاجيال القديمة فحسب ، بل ومن الاجيال الصاعدة والناشئة فى ظل المجتمع المادى البحت .

ومعنى هذا أنه قد ثبت فوق ثبوت « ان ليس بالخبز وحده يحيا الانسان » . وان النظرية المادية لم تستطع ان تروى ظمأ الانسان للتعلق بالغيب والمجهول ، فرأت ان تقصر ميدانها على الاقتصاد .

تفوق العقيدة الدينية

والحق انه ما كان لنظرية مادية ، تجعل الحياة

قاصرة على هذه الدنيا ، وتؤمن بأن نهاية أيانسان هي حفنة من التراب ولا زيادة ، ما كان لنظرية هذا شأنها ان تتفوق على نظرية تقول بأن وراء هذه الحياة بنقائصها حياة أخرى اكمل واحسن ، وأن فى هذا الكون الها حكيما رحيما عادلا يتدخل دائما لصالح المظلومين والمحرومين والمكروبين .

ولو لم يكن فى هذه العقيدة الا انها تزود الانسان بالامل لكان ذلك كافيا لاثبات تفوقها ، فالانسان لا يمكن ان يحيا بغير أمل ، وحيث لا أمل فلا عمل ، واذا انعدم الامل من نفس الانسان فلا يبقى امامه الا أن يموت .

وما اكثر ما قال الماديون فى معرض التنديد بهذا الامل انه شبيه بالافيون ، ونحن نعلم انه من الناحية العلمية البحتة توجد حالات من الالم لا يجدى فى علاجها سوى استعمال الافيون . ويكون الامتناع عن استخدام الافيون فى هذه الحالات لا يعنى شيئا سوى تعذيب المتألم والافراط فى القسوة عليه .

والمتألمون الذين لا يجدون ما يخفف آلامهم يضعون حدا لآلامهم بالانتحار ، وليس ينتحر من يكون فى قلبه ذرة من الايمان لانه لا يفقد الامل فى الله أبدا .

أما الذين خلت قلوبهم من هذا الايمان، فما اسرع ما يضعون حدا لحياتهم كلما حزبهم امر من الامور ، وحسب الانسان ان يلقى نظرة على عدد المنتصرين فى المجتمعات المادية ليرى ان هذا العدد يتزايد عاما بعد عام طبقا للاحصاءات الرسمية . ولا غرابة فى ذلك ، فأى عزاء تقدمه النظرية المادية للام التى فقدت وليدها ، أو للحبيب الذى فقد حبيبه ، ما دام هذا الفراق لن يكون بعده لقاء ؟!

أى عزاء لمريض فى ان يقال له انه ليس امامه الا أن يتألم حتى يموت ، لان العلم لم يكتشف علاجا لمرضه او لوضع حد لآلامه ؟!

أى عزاء فى ان يقال لمظلوم او مضطهد، ان لا حيلة لانقاذه لان قوانين المادة ليست فى جانبه فى هذه اللحظة ؟

أى عزاء لجائع او محروم من أى نوع كان ان يقال له أن علم الحساب والحقائق الرياضية تقضي بأنه لن يكون من المستطاع اطعامه كما ينبغي او سد حاجته الا بعد عشرين سنة ؟ . .

أليس اجدى وانفع للانسان أي انسان، ان لا تغلق فى وجهه كوة الامل التى يبعثها فى النفس الاعتقاد باله رحيم عادل فوق النواميس والقوانين قادر على فعل كل شيء ، فاذا شاء أن لا يقدم للانسان ما يبتغيه فى هذه الدنيا، فهو لا بد محقق له ذلك فى الآخرة ، ما دام حسن الظن والايمان بالله .

مأساة البشرية

الحق ان سلب هذا اليقين من افئدة البشر ،وعدم تقديم بديل عنه الا الايمان بالصراع والمادة العمياء الصماء التى لا هدف لها الا ان تدور وتدور ، وتطحن وتطحن فى غير وعي ولا ادراك ، هو مأساة البشرية فى القرن العشرين ، وهو ما جرد الحياة الانسانية من ظلالها ومائها وتوازنها واسلمها للقلق والجدب والهجير . وقد حدا ذلك ببعض علماء المادة انفسهم ان يقولوا لنا ((ان الله ضرورة عقلية)) وقال بعض آخر ((ان الله ضرورة اجتماعية)) . وقال بعض ثالث ((لو لم يوجد الله لوجب على الانسان ان يوجده)) .

وهكذا انتهى بنا البحث الموضوعي البحت الى اثبات عجز النظرية المادية وأفلاسها عن أن تفسر للانسان شيئا ، فضلا عن أن تفيده بشيء . . ولعل هذا يرد على السؤال الذى جعلناه عنوانا لهذه المقالة وهو لماذا نتدين . . فنحن نتدين ونؤمن لان الدين يفسر كل شيء ويرتب الحياة الانسانية والعلاقات بين البشر أحسن ترتيب . أما كيف يحقق الدين ذلك فهذا ما سوف نعرض له فيما بعد .

أول هجـــرة في الإســـلام

دموع النجاشي

محمد مؤذن

- ماهية الهجرة فى الاسلام
- ظروف الهجرة الى الحبشة
- لماذا الحبشة وليس غيرها ؟
- مهاجرون وهجرتان
- العناية الالهية وموقف النجاشي
- مصير المهاجرين ، كلمة ختامية .



للاستاذ احمد العناني
عمان ـ الاردن

أراني فى صدر هـذا المقال حقيقـا بالمجاهرة بمبدأ خطير من مبادىء الاسلام قبل الدخـول فى التفاصيل ، أو سرد الروايات وحشد المعلومات ، فلسـت والحمد لله ممن يبهرهم الشكل عـن المحتوى ، او يزدهيهم مظهر العارفـين فيلهيهم عن روح الرسالة .. ولم يكن أحد من أهل هذا العصر مع المهاجرين فى الحبشة ، ولا شهد الموقف فى بدر أو أحد ، وكل من يكتب فى الاسلام ويعيد ، انما يغترف من نبع هذه المصادر والسير المحدودة المعروفة ، ونحن نكتب حين نكتب متوسلين الى القلوب التى لـم تنطفىء فيها مصابيح البصائر ، والعقول التى لم يزلزل يقينها بهرج التمدين أو زور المظاهر ، معتقدين أن اللباب هو وجه العبرة .... وما يمكن ان يعكسه الماضى على الحاضر .

واذا كانت حياة الرسول عليه الصلاة والسلام ، وما اكتنفها من حوادث هي جزء لا انفصام له من رسالة الاسـلام، وجانبلا يتزحزح من أسس هذه العقيدة الاسلامية ، فانه لا يقل عن الحادث شأنا ادراك اهدافه، والعنايةبالمواعظ المندرجة فى اسراره .

ولقد كانت الهجرات فى الاسـلام حوادث تجسم للعيان الى نهاية الزمان مبادىء معينة فى هذا الدين لعلي أوفق فى تلخيصها بالرقم كما يلي : ــ

أولا : ــ يفترض فى المسلم أن يجاهر بعقيدته ، وأن يمارس باصرار عباداته ، وأن ينطلق فى المنافحة عن دينه وقرآنه ونبيه ومقدساته الى النقطة التى يشعر عندها أن الكثرة الكاثرة الباطشـة من حوله توشك ان تصفي حياته بالالحاح الباغي ، والتصميم الصارم على القتل . وفى هذا بيان ابدى الدلالة لكل أقليـة مسلمة حيثما وجدت على الارض .

ثانيا : ــ حين تنصب الفتنة بسياط عذابها على المسلم بمايهدد صبره بالانهيار، أو حياته بالزوال فان المخرج الطبيعي هو التماس الامان فى بلد أينما كـانت مسافته فى البعد ، وكيفما كانت المشقة

فى الخروج اليه .. ومعنى هذا أن الوطن الطبيعي للمسلم حيث يستطيع أن يواصل ممارسة الصلة بينه وبين خالقه ، والتجاوب مع اخوانه فى الدين .

ثالثا : ـ حين تعترض هذه الحاجة للفرار الى الله دعوة الحياة المألوفة الحبيبة فى أكناف الوطن ، ومرابع الاهل ، وذوى القربى ، وحين تعترض صور المساكن الطيبة ، أو التجارة النافقة ، أو صور الاهل والولد ، ما يكون لمسلم خيرة فى أمره ، فالله جل وعلا أجل واحق وأولى ، ولقد واجه صهيب رضي الله عنه مثل هذا الموقف حين هاجر من مكة ليثرب فيما بعد ، خلى لمكة المال الذى كسبه فيها عن طواعية واختيار ومهر به حريته فى القدرة على الهجرة .

رابعا : ـ لا يتحقق معنى الوطن بغير معنى القدرة على اقامة شعائر الدين ، وحرية التصريح بالايمان ، والا فوطن المسلم هو وطن دينه .

خامسا : ـ يصح بالقياس أن تكون هناك هجرات اخرى على مقاييس متباينة ، يهاجر المرء من ملاذ النفس ، ويهاجر من علاقة عائلية أو مصلحية أو كائنا ما كان الامر حين يتهدد المبادىء التى اسلفت ذكرها خطر من أى من المصادر المذكورة ، مهما يكن التصاقها بالنفس وثيقا والفصال عنها شاقا أو متيسرا .

ان ظروف هجرة المسلمين الى الحبشة فى خامس سنة لبعثة الرسول عليه الصلاة والسلام هي أشق من أن يصورها القلم مهما يبلغ من قوة التعبير .

كانت هناك تحديات رهيبة ، وأهوال مذهلة .

كان أمية بن الصلت وهو من متحنثة الأحناف يشهد تعذيب بني جمح لبلال ابن أبي رباح رضي الله عنه فيعصف الاسى به فيما يرى من صنوف السفه الفاجر ، وبغي القوة المادية الباطشة برجل لا ذنب له الا أن يهتف لربه صائحا فى ظلمة التعذيب « أحد أحد » ، فلا يملك أمية الا أن يهتف والدمع يغالب ألفاظه « احد احد » والله يا بلال أحلف بالله لئن قتلتموه وهو على هذا لاتخذته حنانا أى لاجعلن قبره موضع رحمة استمطر عنده الدموع ، واستعدى على الظالمين من الناس رب الناس .

وكان هناك منطق متحجر قائم على نظام مرتبط بالمصالح وبالخرافة وبالتقليد وبعصبية الجاهلية ، وبعنترية الزعامة المتكبرة يريد أن يفجره الاسلام بالكلمة الطيبة ، وبالبيان الحق ، وكانت المهمة عسيرة صلدة عاتية متماسكة ، يقول رجل أدهشه القرآن ومع ذلك لم يزدد فى كفره الا عتوا ، يقول لابي جهل « يا أبا الحكم ما رأيك فيما سمعته من محمد ؟ » .

« ماذا سمعت ؟ » « تنازعنا نحن وبنو عبد مناف الشرف ، اطعموا فأطعمنا وحملوا فحملنا ، وأعطوا فأعطينا حتى اذا تجاذبنا على الركب ، وكنا كفرسي رهان قالوا « منا نبي يأتيه الوحي من السماء ، فمتى ندرك مثل هذه ؟ والله لا نؤمن به أبدا ولا نصدقه!» .

ذلك المنطق المستميت يعطيك صورة العناد الباغي الذي تمت فى ظروفه هجرة المسلمين الى الحبشة .

ويروى ابن هشام فى تصويره للموقف اذ ذاك عن ابن اسحق ما يلي : انهم « اى كفار قريش) عدوا على من اسلم واتبع رسول الله صلى الله عليه وسلم من أصحابه ، فوثبت كل قبيلة على من فيها من المسلمين ، فجعلوا يحبسونهم ويعذبونهم بالضرب والجوع والعطش وبرمضاء مكة اذا اشتد الحر .. الى آخر الرواية « ثم يقول ابن هشام رواية عن زياد بن عبدالله البكائي عن محمد بن اسحق ايضا « فلما رأى رسول الله

صلى الله عليه وسلم ما يصيب اصحابه من البلاء ، وما هو فيه من العافية لمكانه من الله وحماية ابي طالب اياه ، بينما هو (اى الرسول عليه الصلاة والسلام) لا يقدر على أن يمنعهم مما هم فيه من البلاء قال لهم « لو خرجتم الى أرض الحبشة ، فان بها ملكا لا يظلم عنده أحد ، وهي أرض صدق ، حتى يجعل الله لكم فرجا مما أنتم فيه » .

لماذا الحبشة ؟

وهنا يتبادر للذهن سؤال يثيره منطق الاشياء لماذا اختيرت الحبشة وهي بمنأى عن مكة ، ومن دونها اليمن ، وأقرب منها اطراف الجزيرة والخليج ؟ الانها وهي النصرانية دينا وملكا أجدر بأن تساهم فى حماية الجار النزيل الذى يترفع عن عبادةالاصنام ، واذا كان كذلك فلماذا لا تكون نجران هي مكان الهجرة وهي أقرب ، أو أطراف الشام حيث الفساسنة ؟

فى رواية ابن اسحق عن الرسول صلى الله عليه وسلم السبب الحاسم المباشر لاختيار الحبشة ، فايه يؤخذ من مجمل الروايات التاريخية عن هذا النجاشي أنه كان ذا شخصية واضحة المعالم ، قوية لم تساورها اللوثات والعقد ، وليس مرد ذلك شرف الاصل فحسب ، وانما هو رجل كان تمرس بالآفات والثورات ، ولاقى من تآمر المتآمرين ، وحسد الحاسدين ما لاقى ، وقد نصره الله مرارا وتكرارا فى مواقف تشبه الاساطير ، يشتد من حوله الهول ، وتنعقد سحب الحقد فى خطط محبوكة ماكرة لاغتصاب ملكه ، ولكن الله ينصره فى اللحظة الحرجة الحاسمة ، حتى ليزداد عمق الرجل ونظره فى الاشياء ، وتقديره الموزون لقيمة الولاء من الناس ، وحتى ليقر فى نفسه بالتجربة العملية الغالية التكاليف ان الظن لا يغنى عن الحق شيئا ، وأن العزة والنصر هما بيد الله يؤتيهما من عباده من اعتز بخالقه وجعل لله ولاءه ،

وكان هذا الظرف رائعا ، وسواء أكان تقدير الرسول للموقف وحيا يوحى أو رايا يتغلغل فى خفايا الادراك الواعي ، فلقد كان ذلك التقدير هو عين الصواب من المصطفى زينة بني آدم وسيدهم صلى الله عليه وسلم .

كانت الهجرة الى الحبشة اذا اختيارا سليما للحل الانسب من بين متناقضات عجيبة .

فلقد اثبتت الايام ان اختيار اليمن لو تم لكان خطأ كله ، فاليمن كانت تحت حكم الفرس ، والاكاسرة كانوا أسوأ مستقبلين للاسلام من الاجانب . وهم فيما بعد بعثوا الى « باذان » عاملهم باليمن لكي يسير جنودا فى زعمهم يقبضون على محمد ، ثم اغرى الله بينهم العداوة والبغضاء على العرش حتى كانت فترة ائتمارهم على الرسول أسوأ فترة عرفها عرش فى الدنيا شدة تطاحن على الملك وتذابح على الولاية ، يدوم كسرى الجديد او ورثته له امرة شهورا أو أياما ثم يأتمر به أقرب الناس اليه فيقتل أو يخلع ، وما زالت تلك الملهاة او المأساة مستمرة حتى طلع على ليلها فجر الاسلام الصادق .

وكذلك لم يكن ممكنا اختيار اللجوء الى اى من الطائفتين الكتابيتين المتنازعتين على ملء الفراغ العقائدى فى جزيرة العرب ، سواء منها من كانت فى نجران أو يثرب ، وقد اثبتت الايام فيما بعد حرصهما على محاربة الاسلام حين بدت أمارات انتصاره . أما مراكز القبائل العربية واطراف الشام والحيرة ، فهي بالاضافة الى بعدها كانت على صلة بمصالح مكة التجارية ، وقد كان فى حكاية الطائف فيما بعد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اثبت هذه الحقيقة .

لقد كان الظرف البديع المواتي هو شخصية النجاشي ، ذلك الرجل المتكامل الايمان والشخصية ، ولولا صدق الصلة

بين ذلك الرجل وخالقه ، ولولا ما أبداه بحق من رجولة مؤمنة لا تساوم فى الحق اذا استبان لها ، لكان المسلمون جديرين بأن تنقلب الحبشة عليهم سجنا بدلا من أن تكون لهم مأوى .

هناك غير رواية واحدة عن دقائق التفاصيل المختصة بالهجرتين الى الحبشة .. ومن الناس من يعتبرهما هجرة متلاحقة واحدة ، ولكني وجدت تفسير صاحب « امتاع الاسماع » لهذا الالتباس تفسيرا وجيها ، فهو بعد ان يذكر هجرة الرعيل الاول من المؤمنين فى رجب ، يقول انهم اقاموا بالحبشة شعبان ورمضان فبلغهم مبلغ أن قريشا اسلمت فعاد منهم قوم ، وتخلف قوم ، فلما قدم الذين قدموا الى مكة علموا ان نبأ اسلام قريش كان باطلا فدخلوا مكة مستخفين أو مستجيرين ، ولكن الفتنة ظلت مستمرة ، وازداد أوارها فخرجت جماعة جديدة الى الحبشة منهم جعفر ابن ابى طالب رضي الله عنه . ثم عاد قوم وبقى قوم حتى كان آخر العائدين من الحبشة فى السنة السابعة للهجرة .

وأيما كان الحال فلا تختلف الروايات الا ابسط اختلاف فى عدة من هاجر لأول مرة ومجموع من هاجروا على كل حال ، فالمهاجرون الأولون : عشرة رجال وأربع نساء ، وعدة من هاجر ثانيا ثلاثة وثمانون رجلا ومعهم من النساء سبع عشرة سوى من خرج من الاولاد .. كما ولد بالحبشة عدد من ابناء المسلمين . وكان فى طلائع الهجرة الأولى عثمان بن عفان رضى الله عنه وزوجته رقية ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو حذيفة والزبير بن العوام ، ومصعب بن عمير وعبد الرحمن ابن عوف ، وكان المسئول عن امر هذا الرعيل الأول عثمان بن مظعون رضي الله عنهم جميعا . اما فى الهجرة الثانية فقد كان جعفر بن ابى طالب ، وهو الذى كان الناطق باسم المهاجرين امام أصحمة النجاشى .

لم تكن الهجرة امرا سهلا ، ولا بلاء هينا وحين يقرأ المرء فى المأثور من شعر الحنين للمهاجرين ، ويطلق عنان الخيال للمقارنة بين احوال من يلجأون اليوم الى غير اوطانهم وما يلمس على رغم المعونات لهم من لواعج احزانهم، وبين اولئك الفتية المؤمنين من فقراء المهاجرة الابرار يستطيع ان يعلم اية شحنات يملأ بها الأرواح هذا الاسلام .

ثم كانت هجرة الرسول عليه الصلاة والسلام الى يثرب ، من بعد بيعتى العقبة الأولى والثانية ، حيث وضع الاساس الذى بنيت عليه بداية النهاية للكفر والجريمة .. ثم جاءت بدر بمعجزتها الباهرة فلا تسل عن غيظ قريش وأحقادها ومحاولاتها .. لقد أصبح الخطر الماحق للكفر حقيقة ، ولم يعد ألهية لاه ، ولا حديث سامر ، ولم يكن بد لقريش ان تنظم حملتها ضد المسلمين فى الحبشة .

اذ ذاك كان ارسال عمرو بن العاص وعبد الله بن ابي ربيعة المخزومي(١) الى النجاشى وغيره من رجالات الحبشة والتحريض على المهاجرين . وبعقلية تجارية ماكرة لم تركن قريش الى وجاهة الموضوعات التى سيثيرها وفدها ، ولا الى حصافة الموفدين الذكيين ، ولكنها

---

(١) نقل احمد دحلان فى كتابه السيرة النبوية فى الآثار المحمدية ج ١ ص ٢٥٧ طبعة المكتبة التجارية أن المحققين على أن عمرو بن العاص سافر الى الحبشة قبل غزوة بدر يصحبه عمارة بن الوليد المخزومي ومعهما الهدايا للنجاشي وحاشيته ، وقد سافر عمرو مرة أخرى بعد غزوة بدر ، وكان يصحبه فى هذه السفرة عبد الله بن أبى ربيعة .

اشفعت ذلك بالهدايا لحاشية النجاشى ، ثم له هو ايضا وباتت تتربص ما يكون . ولو قضى فى الامور بمنطق المصالح المتبادلة لكانت قريش جديرة بالنجاح .

ولو قضى فيها بمنطق المقارنة بين مكة بقضها وقضيضها وتجارتها وجاهها وبين هؤلاء النفر من الفقراء المهاجرين لكانت النتيجة حرية أن تكون شيئا آخر .

ولو قضى فيها بمنطق الرشوة وذمم النفعيين الفاسدة لانتهى الحال الى غير ما انتهى اليه .

ولكن هذه الارض وما عليها ومن عليها هى لله الواحد القهار .

واذا خفيت عن الأبصار العشواء بدائع أحكامه الصائبة المتريثة فانها لا تخفى على نيرات البصائر .

وان المرء ليحس التشفى بهزيمة الشر احساسا لعل له شبيها فى فرحة المؤمنين بدخول الجنة .

فرب ذى طمرين باليين حين لا ظل الا ظل الله تفتح له ابواب الجنة على صراخ كل متكبر فى الارض او مفسد فيه تتلقمه النار .

لقد بذل عمرو بن العاص جهدا متواصلا متقنا ، وكانت الظروف مواتية ومحكمة، والحاشية قد شبعوا بما يكفي لقولة الباطل ، وتزكية الشر ، والمسرح كما يقولون اليوم مهيأ لانتصار ساحق لقريش .

ولكن ما الحيلة وهذا الرجل الرباني، اصحمة النجاشي ، يعرف الحق فى كلام جعفر بن ابي طالب فتفيض عيناه بالدموع مما عرف من الحق .

أشياء كثيرة تهز الاحساس هزا فى هذه المعركة .

لكن أروعها بلا ريب اصرار جعفر والمسلمين على أن يقولوا للنجاشي قولة الحق فى عيسى بن مريم كما جاءت فى القرآن الكريم .

مكيدة لم تنجح

لقد فطن عمرو بن العاص بدهائه العجيب ان هذه النقطة الحرجة التي يرتكس فيها الود بين المسلمين والنجاشى فى آخر لحظة .

فبعد أن فشلت الرشوة ، وبعد اقتناع النجاشي باخلاقية الدين الذى يدين به نزلاء بلاده المهاجرون ، ولا يتزحزحون عنه بالهجرة أو سواها لم تبق الا فكرة عرض خلاف الاسلام والمسيحية فى أمر عيسى بن مريم عليه السلام ، وكان عمرو يعلم أن بني قومه من المسلمين لا يزحزحهم شيء فيدفعهم الى الكذب فان نبيهم بالصدق جاء وبالحق نطق ، وهم لولا الحق والصدق ما ذاقوا مرارة التشريد .

وحين جاءت الساعة الحرجة تلا جعفر ابن أبي طالب مبدأ الاسلام فى أمر المسيح كما جاءت فى التنزيل الكريم من سورة مريم .

ويا للمعجزة !! فبدلا من أن يثور النجاشى فيعرض تلك الرقاب على السيوف ، بكى واستبكى كل قلب شريف مما عرف من الحق ، ورد هدية قريش وهو يتأثم منها .

سلام على أولئك الطيبين المهاجرين وسلام على النجاشي الشجاع المكين ، سلام عطر كريم الى يوم الدين .

الله

في كل شيء



مِلْ بي وراءَ الدَّوْحِ غير بعيدِ
في ظلِّ فردوسٍ به ممـــدودِ

نشْهدْ جلالَ الله في ملـكوتِـهِ
وبديعَ صُنْـع الخالقِ المعبـود

أأنامُ ، والأطيار ذاتُ ملاحن
تشدوا بِقُدْسِ الواحد الموجود!

والكونُ وحيُ اللهُ يُلْهَمُ بالذى
يَحْكي من التسبيح ، والتحميدِ

انى رأيتُ الله جلَّ جـلالُـهُ
في كلِّ شيءٍ في الورى موجودِ

ظهرتْ يداهُ بما يُجلُّ صَنيعَـهُ
في الرَّوْض بين قلائدٍ وعقـودِ

شاهدتُ ربّى في خمائلِ فِتْنَةٍ
وعرفتُهُ في رقَّةِ الأملُـودِ

مدَّ الحياة به ، وشَعْشَعَ ماءَهُ
وصفاءه في الرِّفْد ، والمرفودِ

وجلوتُ من سرِّ الوجود حقيقةً
عُلْيَا ، بها نادى الزمانُ ، ونُودِي

من أنشأ الجنَّاتِ فهى حدائقٌ
وأزاهرٌ ، وجنى ، وَحَبُّ حصيدِ؟

من أيقظ الحدَقَ العِذَابَ تَهلَّلَتْ
عبراتُهَا ، باللؤلؤ المنضـود ؟

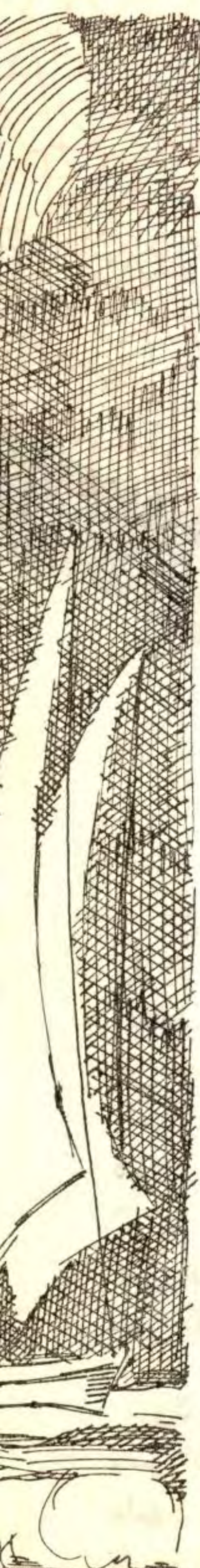
من للضِّفاف تضُمُّ أعطافَ الجنَى
والزهرُ لمَّاحٌ بأنضر عـودِ ؟

من لِلْهضابِ الشُّمِّ خَلْفَ تلاعِها
ذاتَ الدَّوىِّ ، تُصِمُّ كلَّ عنيد

هى رحمةُ لله يُومضُ برقُهـا
خَلْفَ الذُّرا ، وَيُمِدُّ كلَّ صَعيد

* * *

أرأيتَ وَجْه الشمس حين تَهلَّلَتْ
بالأفْقِ ، واقْتحمتْ سماءَ البيد



للاستاذ محمد هارون الحلو

قطر النَّدى بيمينها ، تسقى به ما شاء ربّى من ظَمٍ ، وشريد
أرأيتها ، والبحر يُطْفىء جمرةً .. منها بِحرٍّ لاهبٍ ، وشديـــد
نَشَرَ السَّحائبَ دونَهَا فتحجَّبَتْ من دونِــه بشفائفٍ ، وبُــرود
وإذا تُطِلُّ عليه تسكبُ سِحْرَهَا في بسمةٍ منها ، ولفتةِ جيـــد
والله قدَّرها سراجـــاً للـورى وحبا الورى منها بأعظم جُــود

***

آياتُ ربِّك في السموات العُــلا تسمو بأفْقٍ للخيـــالِ مديـــد
تاهتْ عقولُ الناسِ في أسرارها وبِهَا أُحَلِّقُ في سماءِ قصيدى
أنى أتابعُ ما يضيء جوانحـــى منها ، على التَّعظيم ، والتَّمجيـد
فأرى لواءَ الحقّ نوراً ساطعـــا ومداهُ منطلِق بغيرِ حـــدودِ
مَنْ ذلك الانسانُ يكفُر ربَّهُ ونسيمُه من زَنْبــقٍ ، وورودٍ؟
أوَ مَا يقلِّبُ فِكْرَهُ فيرى ويُبْصِـــرُ ، وهو يُلْقى الرأىَ غيرَ سديد
الليلُ يغشاه ، ويدركُ يومَــهُ غَدُهُ ، وفودٌ ، الحقَتْ بوفودٍ
ويدورُ بالخلْقِ الزمانُ ، فماترى من والدٍ يَبْقَى ، ولاَ مَوْلودِ
ما رنَّ عودٌ دونَ أنَّةِ ثاكـــلٍ ما قرَّ بِشْرٌ في حياة سعيـــد
والله يُنْبى عن جلالةِ قـــدرهِ وعِمَادِه فِى مُلكِهِ المشدود

ـ البقية على الصفحة ٨٥ ـ

ذكرى الحصار الأول

محمد مؤذن

ما أشبه الليلة بالبارحة

للاستاذ احمد محمد جمال
عضو مجلس الشورى / بمكة المكرمة

من حق المسلمين المؤمنين كلما زلزلوا زلزالا شديدا وزاغت الابصار وبلغت القلوب الحناجر ، واحاط بهم الاعداء من كل جانب كيدا للاسلام ومكرا بدعاته وحماته وحملة رسالته ، من حق هؤلاء المؤمنين ان يتساءلوا متى نصر الله ؟ كما تساءل آباؤهم وأجدادهم من قبل فأجابهم الله تبارك وتعالى ((ألا ان نصر الله قريب)) .

ولكى يطمئن المسلمون المؤمنون الى نصر الله لهم وحفظه لدينه ـ يجب عليهم أن يعيشوا ابدا على ذكرى من تاريخ الدعوة الاسلامية ، منذ ابتدائها حتى اليوم ، وهو تاريخ جميع الدعوات الدينية كلها .. من دعوة ابراهيم الى دعوة محمد صلوات الله وسلامه عليهما وعلى جميع انبيائه ورسله الكرام .

أجل ... انه تاريخ كل دعوة دينية وكل رسالة سماوية ، حيث تقابل بادىء الرأى بالتكذيب والاعراض ، وباضطهاد حملتها ودعاتها وحصارهم دون العمل على نشرها واذاعتها لهداية الناس الى الطريق القويم .

ثم يأتي نصر الله وتأييده لكل نبي وكل رسول وكل داعية مصلح فتنشرحه أنوار الحق وتمتد ظلال الخير ، ويتعاون



الناس على البر والتقوى ويأمن بعضهم بعضا على الاعراض والاموال والحرمات .

ولكن رؤوس الفتنة ترتفع مرة اخرى بل مرات عديدة ، ويعود شياطين الانس الى حصار دعوة الحق والخير والكيد لاصحابها والمكر بهم ، وتجدد المعركة ويتكرر الاصطدام بين الحق والباطل ، وبين الشر والخير ، وبين الهدى والضلال ، وتتعدد الضحايا ، ويتكاثر الشهداء ، وتسيل الدماء لتنبت غروسا جديدة وتنمو وتكبر وتستوى على سوقها استعدادا لجهاد جديد مع أئمة الكفر وقادة الضلال .

ان تاريخ الاسلام هو هذا التاريخ .. جهاد وثبات وتضحية تجاه حصار واضطهاد ومكر .

والحديث عن هذا التاريخ وعن حلقاته ومراحله بين الكر والفر وبين النصر والهزيمة وبين هوان المسلمين تارة واستعلائهم تارة اخرى ــ الحديث عن ذلك يعرض ويطول ويحتاج الى اسفار كثيرة ، بل هو مرصود فى هذه الاسفار الكبار فليرجع اليه المسلمون المؤمنون الواثقون بانهم (الاعلون) وبأن نصر الله قريب .

وانما حسبي هنا فى هذا الحديث أن اتصدى لتذكير المسلمين المؤمنين بالحصار الاول لدعوة الاسلام وتنشيطهم لمقاومة الحصار الاخير .

لقد لقى نبي الاسلام صلى الله عليه وسلم منذ بعثته فى مكة المكرمة من انكار قومه واذاهم وهجر قولهم وفحشه ، وتعذيب اصحابه الذين سارعوا الى الايمان بالله ورسوله ــ الوانا وصورا تدمي القلوب وتروع المسامع ، وتسوء الابصار .

والحصار الاجتماعي الذى فرضته قريش على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى اهله وعشيرته والمؤمنين بدعوته ــ صورة واحدة ولون واحد من تلك الالوان والصور الاضطهادية التى ووجهت بها دعوة الاسلام .

فى السنة السابعة من بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم نفذت قريش هذا الحصار الاجتماعى للرسول وصحبه واهله ، مدفوعة اليه بتعصبها لتقاليدها

الوثنية الموروثة وحرصها على أرزاقها وتجارتها وحظوظها من السلطان والسيادة والحرية والاباحية الخلقية .

ومهدت لهذا التنفيذ بمفاوضة عجيبة مع عم الرسول أبى طالب فجاءه وفد من كبارها يقولون له ان ابن اخيك افسد نساءنا وأبناءنا ونحن مجمعون على قتله .. فهل لك فى دية مضاعفة على ان يقتله رجل من غير قريش ؟ .

فأبى بنو هاشم هذا العرض اللئيم وظاهرهم عليه بنو المطلب . وعزموا ــ مؤمنهم وكافرهم ــ على حماية الرسول صلى الله عليه وسلم ، مهما كلفهم ذلك من عناء وعذاب وتضحية .

وهنا نفذت قريش خطتها فى حصار الرسول وبنى هاشم وبنى المطلب فى الشعب ، وكتبوا صحيفة تتضمن هذه القطيعة الاجتماعية ، وعلقوها بالكعبة لتكون اكثر قيمة واكبر اعتبارا ، واضمن انتشارا بين العرب الوافدين الى البيت الحرام فى مواسم الحج .

وكان معنى هذا الحصار الاجتماعي الذى أحيط به الرسول وأهله وعشيرته وصحابته ــ ان تمتنع بطون قريش عن معاملة هؤلاء المحاصرين بالبيع والشراء والزواج والاختلاط بهم ، وامدادهم بما يحتاجون اليه من طعام وشراب وكساء .

وظلت هذه القطيعة الاجتماعية الشنيعة سنوات ثلاثا متتابعة أبتداء من المحرم من السنة السابعة لبعثة الرسول الى السنة العاشرة .

ولقد حرصت قريش كل الحرص ، على تنفيذ هذا الحصار اللئيم ، فكانت اذا قدم بعض التجار الى مكة تحمل عيرهم سلعا وارزاقا قام قائمها ــ ابو لهب وامثاله ــ يدعو الناس الى المغالاة فى أثمانها ، على اصحاب محمد حتى لا يدركوا شيئا منها ، ويلبى الكفرة الفجرة هذه الدعوة الشريرة ، فيزيدون فى اسعار السلع اضعافا مضاعفة حتى يعود أصحاب الرسول الى أهليهم وأولادهم فى الشعب وليس معهم ما يطعمونهم به .

وحدث مرة ان لقي حكيم بن حزام ، ومعه غلام يحمل قمحا الى عمته خديجة زوجة الرسول ، وهي معه فى الشعب ــ لقي أبا جهل فمنعه هذا وقال له : اتذهب بالطعام الى بنى هاشم ؟ وحضر المحاورة ابو البخترى ، فزجر ابا جهل قائلا : « اتمنعه ان يأتي عمته بطعام . خل عنه » فابى ابو جهل واشتد بينهما الخصام حتى أخذ ابو البخترى لحى بعير فضرب به ابا جهل فشجه ووطئه وطأ شديدا .

وكان ابو طالب عم الرسول شديد الخوف على ابن أخيه .. فكان يأمر الرسول ان يأتي كل ليلة فراشه المعتاد حتى يراه من يريده بشر، فاذا نام الناس امر ابو طالب أحد بنيه او اخوته او بنى عمه أن يضطجع على فراش الرسول وأمر الرسول ان يأتي بعض فرشهم لينام عليها . وكان ابو طالب يقول دائما لقريش أثناء الحصار لا والله لا نسلمه حتى نموت من عند آخرنا .

لقد ظلت وثيقة الحصار كما أسلفنا ثلاثة أعوام تباعا نافذة المفعول ، وظلت قريش قاسية فى مراقبة تنفيذها خلال هذه السنوات العجاف التي عانى الرسول صلى الله عليه وسلم فيها هو واهله وعشيرته وصحابته حرمانا شديدا من الاختلاط بالناس ومن الابتياع منهم ، والبيع عليهم ، ولم يشفع عند قريش ان هؤلاء الذين حاصروهم ومنعوهم الطعام والشراب والاتصال بالناس ، انما هم أخوانهم وأصهارهم وأبناء عمومتهم .

وكان هناك خمسة نفر ضاقت صدورهم بهذه القطيعة الباهظة الفادحة التي نزلت ببنى هاشم وبنى المطلب وعلى رأسهم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم فقام أحدهم ــ وهو هشام بن عمرو

العامرى ـ وحدث زهير بن ابي امية فى ذلكمستثيرا عطفه وحميتهومروءته «أقد رضيت ان تأكل الطعام وتلبس الثياب وتنكح النســاء وأخوالـك حيث علمت لا يبتاعون ولا يبتاع منهم ، ولا ينكحون ولا ينكح اليهم ؟؟ » ثم تعاهدا على تمزيق وثيقة الحصار ، وانضم اليهما المطعـم ابن عدى وزمعة بن الاسود بن المطلب ، وابو البخترى العاصى بن هشام .

وذهب زهير بن ابى امية الى البيت الحرام ليطوف بالكعبة . فطاف بها سبعا ونادى فى قريش : « يا أهل مكة انأكل الطعام ونلبس الثياب ... وبنو هاشم هلكى لا يبتاعون ولا يبتاع منهم ؟ والله لا اقعـد حتى تشـق هذه الصـحيفة القاطعة الظالمة » .

وقام ابو جهل ـ كدأبه الماكر العنيد ـ ينكر على زهير ما قال فسارع اليـه هشام بن عمرو يؤيد زهيرا ، كما نهض المطعم بن عدى ليشق الصحيفة القاطعة الظالمة فوجد (الارضـة) قد أكلتها الا فاتحتها « باسمك اللهم » .

وبذلك اتيح للنبي صلى الله عليـه وسلم ورفاقه فى الحصـار أن يغادروا الشعب (١) وأن يعودوا للحياة العادية ، فيختلطوا بالناس بائعين ومبتاعين ، وأن كان الخصام بينهم وبين قريش لم يزل علىحاله تتربص بهم شرا ، وتتمنى عليهم نصرا ... حتى اذن للرسول صلى الله عليه وسلم فى الهجرة الى المدينة المنورة، وكانت له بداية النصر والانتصار ، حيث لقى فيها الحماة والانصار ، ثم كانت العودة الى مكة فتحا مبينا تبعته فتوح وفتوح .

هذه خلاصة قصة الحصار الاجتماعي الذى ضربته قريش علىالدعوة الاسلامية فى بداية عهدها . وقد تلتـه حصارات سياسية أخرى خلال مراحل التاريـخ الاسلامي كما أسلفنا الاشارة الى ذلك فى صدر هذا الحديث .

.. نكتبها لمناسبة صدور هذا العدد الممتاز من مجلة (الوعى الاسلامى) فى المحرم ١٣٨٦هـ ـ وذكـرى لحـادث القطيعة التى وقعت للمسلمين الاول فى المحرم ـ ايضا ـ من السنة السابعـة لبعثة الرسول عليه الصلاة والسلام .

وعودا على بدء، وانتفاعا من هـذه الذكرى ـ نقول: ان الاسلام اليوم يعانى اكثر من حصار واحد .. انه يقاسـى حصارا اجتماعيا ، وحصار اقتصاديا ، وحصارا سياسيا ، وحصارا ثقافيا ، وحصارا اخلاقيا . وقد تآمرت علـى هذا الحصار العام الشامل تجاه الاسلام والمسـلمين جميـع قـوى الصليبيـة والصهيونية المتعاونة المتضامنـة عـلى تهديم الكيان الاسلامى وتخريب ذمـم المسلمين وضمائرهم وقيمهم الاخلاقية .

وان من المؤسف المؤلم لكل قلب مؤمن وكل نفس مخلصة ان يستعين الثنائي الغادر الماكر (الصليبية والصهيونيـة) ببعض السادة والكبراء مـن المسلمين ليكونوا عمـلاء ووسطـاء فى التخريب المقصود والتهديم المراد .... لكيـان الاسلام وتراث المسلمين .

فالمذاهب الاقتصاديـة والاخلاقيـة والثقافيـة ووسائل الاعـلام من كتب وصحف واذاعة وتلفزيون ، والجمعيات النسائية والرياضية ـ ومناهج التربية والتعليم كلها فى البلاد الاسلامية متأثرة متتبعة لتوجيهـات ومخططـات ذلـك الثنائي اللئيم .

فهل لنا من ذكرى وهل لنا من يقظة وهل لنا من اعتبار .

---

(١) هو المكان المعروف الآن بشعب على، ويذكر فى كتب التاريخ باسم (شعب بنى هاشم ـ أو شعب ابى طالب) وهو جزء من حى معروف باسم (سوق الليل) ويقع فى الجنوب الشرقى من مكة المكرمة . وفى هذا الشعب مولد الرسول ومولد على .

لوحة الشرف

للرعيل الأول

((ايمان وهجرة))

منذ أعلن الرسول صلى الله عليه وسلم دعوته فى مكة وزعماؤها المتسلطون على الرأى العام فيها يرون فى مبادىء الدعوة الجديدة خطرا على كيانهم، وتهديدا لوثنيتهم ، وقلبا لاوضاعهم الاجتماعية ، وذلك بما تبثه من توحيد للخالق واحترام للانسان ومساواة بين الناس .. وكان من الطبيعي ان يهب سدنة الوضع القديم الذين طابت لهم الحياة فى ظله ، والذين انتهت اليهم الرياسة والزعامة والثروة، كان من الطبيعي ان يهبهؤلاء ويستنفروا أتباعهم لخنق أنفاس الدعوة والداعي ، ومطاردة كل من يتحدث بها ، أو يميل اليها ومحاولة القضاء على كل من يعتنقها .

آمن بها نفر قليل .. ولكنهم كانوا معرضين للابادة على يد الطغاة من أهل مكة .. فالرسول لا يستطيع أن يحميهم من أعدائهم وهو نفسه معرض للخطر .

ماذا يكون الموقف والتيار جارف ؟ هل يقفون أمامه فيقضي عليهم أو يتركون له الطريق ؟ .. ولكن الى أين .. الى أى مكان فى الجزيرة ؟ ان كل من فى الجزيرة عباد صنم لا يؤمن جانبهم ، وهناك فى أطراف الجزيرة مسيحيون ، ولكن لا يؤمن

من المؤمنين

جانبهم فلهم بالعرب صلات وجوار .. فالى أين اذن يتجهون ؟ .

كان ذلك ما شغل الرسول صلى الله عليه وسلم بعد سنوات من بعثته .. وانتهى تفكيره الى ايثار الهجرة والفرار الى الحبشة .. التى يدين ملكها وشعبها بالمسيحية ويحاربون عبادة الاصنام .. حيث الاتفاق فى الاتجاه والهدف الذى جعل الرسول صلى الله عليه وسلم يأمن لاجله على أصحابه ويقول « فان فيها ملكا لا يظلم .. وان اللـــه سيجمعكم مرة ثانية » . كانت تجربة شاقة خاضها نفر من المسلمين لا جريا وراء كسب مادى ، أو هدف شخصي .. خاضوها ايمانا منهم بدينهم واطمئنانا لتوجيه رسولهم .

لم تكن رحلة يسيرة بل كانت محفوفة بالاخطار ، أخطار التخلص من مطارديهم فى مكة .. وأخطار البحر الذى سيركبونه ، ثم أخطار البيئة الجديدة التى سينزلون اليها غرباء عنها ، ولا يعرفـون مصيرهم فيها وهم رجال ونساء ، لكنه الايمان .. يعلو على الاخطار .

فقد كان هؤلاء يقومون بتجربة خطرة فى سبيل الاحتفاظ بعقيدتهم ، ويقدمون على تضحية جسيمة فداء لايمانهم .

فمن هم هؤلاء الذين قاموا بدور الطليعة فى هذه التضحية ؟

من هم أولئك الذين كانوا أول من ركب البحر من أتباع محمد وأول من وطئت أقدامهم أرض افريقيا من المؤمنين بالدين الجديد .. الوليد .

تعرف عليهم ـ أخي القارىء ـ فى صفحـــة الشرف والمجد التى ضمت المؤمنين والمؤمنات والتى نقدمها هنا اليك : ـ

هجرة الحبشة الاولى

المهاجرون : عثمان بن عفان ، أبو سلمة . أبو سبرة . عامر بن ربيعة . أبو حذيفة بن عتبة . عبد الرحمن بن عوف . عثمان بن مظعون . مصعب بن عمير . سهل بن البيضاء . الزبير بن العوام .

لوحة الشرف

المهاجرات : السيدة رقية بنت الرسول زوج عثمان بن عفان . السيدة أم سلمة زوج أبى سلمة. السيدة أم كلثوم زوج أبى سبرة . السيدة ليلى زوج عامر بن ربيعة . السيدة سهلة بنت سهيل زوج أبى حذيفة بن عتبة .

هجرة الحبشة الثانية

وبعد ثلاثة أشهر من خروج مهاجرى الحبشة رجعوا الى مكة مرة ثانية حيث لم تطب لهم الاقامة هناك ، ولما ضاقت الحيل بكفار قريش أجمعوا على مقاطعة بني هاشم وبنى المطلب والتضييق عليهم فلا يبيعونهم شيئا ولا يبتاعون منهم حتى يسلموا محمدا للقتل ، وكتبوا بذلك صحيفة وضعوها فى جوف الكعبة ، فلجأ رسول الله وقومه الى شعب بنى هاشم ، وأمام هذه العاصفة العاتية من عداء قريش أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين أن يهاجروا للحبشة مرة ثانية حتى لا يبادوا فهاجر منهم نحو ثلاثة وثمانين رجلا وثمانى عشرة امرأة ، فكانت هذه هي الهجرة الثانية للحبشة .

من المهاجرين : جعفر بن أبى طالب . عمرو بن سعيد بن العاص . خالد بن سعيد بن العاص . عبد الله بن جحش بن رئاب . عبيد الله بن جحش بن رئاب . قيس بن عبد الله . معيقيب بن أبى فاطمة . أبو موسى الاشعرى . عتبة بن غزوان . يزيد بن زمعة بن الاسود . عمرو بن أمية بن الحارث . طليب بن عمير بن وهب . سويبط بن سعد بن حريملة . جهم بن قيس . عمرو بن جهم . خزيمة بن جهم . أبو الروم بن عمير بن هاشم . فراس بن النضر بن الحارث . عامر بن أبى وقاص . المطلب بن أزهر . عبد الله بن مسعود . عتبة بن مسعود . المقداد بن الاسود. الحارث بن خالد التميمي . شرحبيل بن حسنة . عثمان بن ربيعة . خنيس بن حذافة . عبد الله بن الحارث . هشام بن العاص . قيس بن حذافة بن عدى . عبد الله بن حذافة بن عدى . أبو قيس بن الحارث بن عدى . الحارث بن الحارث بن عدى . عمرو بن عثمان بن كعب . شماس بن عثمان المخزومي . هبار بن سفيان المخزومي . عبد الله بن سفيان المخزومي . هشام بن أبى حذيفة المخزومي . سلمة بن هشام بن المغيرة . عياش بن أبى ربيعة . معتب بن عوف . قدامة بن مظعون . عبد الله بن مظعون . السائب بن عثمان بن مظعون . حاطب بن الحارث بن معمر . محمد ابن حاطب بن الحارث . الحارث بن حاطب بن الحارث . خطاب بن الحارث بن معمر . سفيان ابن معمر . جابر بن سفيان بن معمر . أبو عبيدة عامر الجراح . عمرو بن أبى سرح بن أبى ربيعة . عمرو بن الحارث بن زهير . سعيد بن عبد قيس . السائب بن الحارث بن عدى . معمر بن الحارث بن عدى . بشر بن الحارث بن عدى . سعيد بن الحارث بن عدى . سعيد بن عمرو التميمي . عمير بن رئاب . محمية بن جزء الزبيدى . معمر بن عبد الله العدوى . عروة بن عبد العزى . عدى بن فضلة بن عبد العزى . النعمان بن فضلة بن عبد العزى . عبد الله بن مخرمة العامرى . عبد الله بن سهيل بن عمرو . سليط بن عمرو . السكران بن عمرو . مالك بن ربيعة . أبو حاطب العامرى . سعدة بن خولة . سهيل بن بيضاء . عياض بن زهير بن شداد بن أبى ربيعة . عثمان ابن عبد غنم . الحارث بن عبد قيس .

من المهاجرات : أسماء بنت عميس زوج جعفر بن أبى طالب . فاطمة بنت صفوان زوج عمرو بن سعيد . أمينة بنت خلف الخزاعي زوج خالد بن سعيد . أم حبيبة بنت أبى سفيان . بركة بنت يسار زوج قيس بن عبد الله . أم حرملة بنت عبد الاسود زوج جهم بن قيس . رملة بنت أبى عوف زوج المطلب بن أزهر . ريطة بنت الحارث زوج الحارث بن خالد . فاطمة بنت المجلل زوج حاطب بن الحارث . فكيهة بنت يسار . حسنة زوج سفيان بن معمر . سودة بنت زمعة زوج السكران بن عمرو . عمرة بنت السعدى زوج مالك بن ربيعة . دعد بنت جحدم .

ويصف جعفر بن أبى طالب مقامهم بأرض

الحبشة ، وما كان بينهم وبين النجاشي ، وما كان من ملاحقة قريش لهم فيقول : ـ

لما نزلنا بأرض الحبشة جاورنا خير جار أمننا على ديننا، وعبدنا الله تعالى ، فلمابلغ ذلك قريشا ائتمروا أن يبعثوا رجلين جلدين ، وأن يهدوا للنجاشي وبطارقته لكي يسلمونا لهم فأرسلوا فى اثرنا عمارة بن الوليد وعمرو بن العاص ، فقالا للنجاشي قد صبا الى بلدك منا غلمان سفهاء فارقوا دين قومهم ، ولم يدخلوا فى دينك وجاءوا بدين مبتدع لا نعرفه نحن ولا أنت .. جاءهم رجل كذاب خرج فينا يزعم أنه رسول الله ، ولم يتبعه منا الا السفهاء ، وقد بعثنا اليك أشراف قومهم من آبائهم وأعمامهم ليردوهم اليهم فهم أعلم بما عابوا عليهم .

فقال البطارقة : صدقوا أيها الملك . قومهم أعلم بهم ، فاسلمهم اليهما ليرداهم الى بلادهم وقومهم . فغضب النجاشي وقال : لا اسلمهم وقد جاوروني ونزلوا بلادى حتى أدعوهم فاسالهم عن حقيقة أمرهم .

قال جعفر : فارسل الينا النجاشي ، فلما دخلنا عليه سلمنا ، فقال من حضره : ما لكم لا تسجدون للملك قلنا : لا نسجد الا لله تعالى، فقال النجاشي : ما هذا الدين الذى فارقتم فيه قومكم ، ولم تدخلوا فى ديني قلنا أيها الملك . كنا قوما أهل جاهلية نعبد الاصنام ونأكل الميتة ، ونأتى الفواحش ، ونقطع الارحام ، ونسيء الجوار، ويأكل القوى منا الضعيف ، فكنا على ذلك حتى بعث الله لنا رسولا كما بعث الرسل الى من قبلنا ، وذلك الرسول منا . نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفته ، فدعانا الى توحيد الله ، وخلع ما كان يعبد آباؤنا من دونه من الاحجار وأمرنا بصدق الحديث ، وأداء الامانة ، وصلة الارحام ، وحسن الجوار ، والكف عن المحارم ونهانا عن الفواحش وقول الزور ، وأكل مال اليتيم ، وقذف المحصنات ، فصدقناه وآمنا به واتبعناه على ماجاء به، فعدا علينا قومنا ليردونا الى عبادة الاصنام واستحلال الخبائث ، فلما قهرونا وظلمونا ،وضيقوا علينا ، وحالوا بيننا وبين ديننا خرجنا الى بلادك واخترناك على من سواك ورجونا ألا نظلم عندك .

فقال النجاشي لجعفر : هل عندكم شيء مما جاء به ؟ قلت : نعم ، قال : فاقرأ على ، فقرأت عليه صدرا من سورة مريم . فبكى النجاشي حتى اخضلت لحيته ، ورد عمارة بن الوليد وعمرو بن العاص مبعوثي قريش أقبح رد ، وعاش المهاجرون فى جوار النجاشي آمنين مطمئنين حتى استتب الامر للمسلمين فى المدينة فأخذوا فى الرجوع اليها .

المبايعون فى العقبة

وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يلتمس المعين والنصير ويعمل جاهدا لفتح آفاق جديدة للاسلام فانتهز فرصة مجيء العرب من كل ناحية للحج وكان المشركون يحجون للبيت فى أيام الجاهلية فكان يخرج اليهم ويتحدث معهم عن الدعوة التى أرسله الله بها ويدعوهم للاسلام . وكان زعماء الشرك يتابعونه أينما سار ليفسدوا عليه خطته ويحولوا بين الدعوة وبين الناس . ولكن الله سبحانه كان يدخر فضلا عظيما لاهل المدينة ، فقد أقبل جماعة منهم لموسم الحج وتحدث الرسول معهم عن الاسلام فشرح الله صدرهم له وأسلموا ، وكان عددهم ستة ، كلهم من قبيلة الخزرج ، وتفتحت بذلك بارقة أمل جديد للرسول صلى الله عليه وسلم ، وكان من الطبيعي حين رجع هؤلاء للمدينة أن يتحدثوا عن رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم وعن الاسلام ويتحمسوا له بعد أن اعتنقوه ويروجوا له بين قومهم .. فكانوا بذلك النواة الاولى الطيبة للاسلام فى المدينة ووضعوا بذلك الحجر الاساسي للعظمة والقداسة التى تمتعت بها بعد ذلك .

فقد زاد عدد القادمين لموسم الحج فى العام القادم الراغبين فى الاسلام ولقيهم الرسول وتحدث معهم ، فأسلموا .. وكان عددهم اثنى عشر من قبيلة الخزرج ورجلين من قبيلة الاوس . واجتمعوا مع الرسول سرا بين جبال العقبة حول جمرة العقبة أو الجمرة الثالثة الكبرى . وبايعوا

الرسول على الاسلام فسميت هذه البيعة بيعة العقبة الاولى .

بيعة العقبة الاولى

من الاوس : أبو الهيثم بن القيهان . عويم بن ساعدة .

من الخزرج : أسعد بن زرارة . عوف بن الحارث . معاذ بن الحارث . رافع بن مالك . ذكوان بن قيس . عبادة بن الصامت . يزيد بن ثعلبة . العباس بن عبادة . عقبة بن عامر قطبة بن عامر .

وعاد هؤلاء للمدينة ومعهم مصعب بن عمير وعبد الله بن أم مكتوم من قبل الرسول ليتعهدا المسلمين الجدد هناك بالتعليم والتفقيه فى أمور دينهم ، ويدعوا الآخرين الى الاسلام ــ وكان حقلا جديدا خصبا أتاحه الله للاسلام حتى أصبح حديثه على لسان أهل المدينة وشاغلهم ، وزاد عدد الداخلين فى الاسلام وفيهم بعض زعمائهم فلم يحل موعد الحج فى العام الثالث حتى كثر عدد المرتحلين الى مكة ليقابلوا رسول الله .

وعلم رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك ، وتواعد معهم على اللقاء سرا فى منعطفات جبال العقبة بعد أن يتموا حجهم .. وتولدت فى هذا الجو المتفتح بالبشر والامل فكرة انتقال الرسول للمدينة . وفكر الرسول ... لماذا لا يترك مكة للمدينة بعد أن كثر عدد المسلمين فيها ، وأصبحت بيئة صالحة لنشر الاسلام وحماية الدعوة . ومكة فى مدى ثلاث عشرة سنة لم يسلم فيها قدر من أسلم فى المدينة ، ولا زالت تقف للاسلام بالمرصاد حتى لم يعد فيها أمل .

وهناك فى ستر من الليل اجتمع بهم الرسول ومعه عمه العباس ليأمن على ابن أخيه فيما هو مقدم عليه وبايعوا الرسول على أن يهاجر اليهم ويحموه ويحموا دعوته وكانوا اثنين وسبعين رجلا وامرأتين .. فكانت هذه هي بيعة العقبة الثانية .

وعادوا للمدينة يحملون خطة جديدة ويحملون معهم للمستقبل نصرا للدعوة .. ورأى الرسول أن ينظم أمرهم هناك حتى يلحق بهم فجعل عليهم اثنى عشر نقيبا يتعهدونهم فى أمر دينهم وفيما أخذوا مواثيقهم عليه ..

بيعة العقبة الثانية

عدد المبايعين (٧٣) رجلا وامرأتان وهم : ــ

من الاوس : أسيد بن حضير ، سعد بن خثيمة رفاعة بن عبد المنذر . (وهؤلاء من النقباء) أبو الهيثم بن التيهان . سلمة بن سلامة . ظهير بن رافع . أبو بردة بن دينار . فهير بن الهيثم . عبد الله بن جبير . معن بن عدى . عويم بن ساعدة

من الخزرج : أسعد بن زرارة . سعد بن الربيع عبد الله بن رواحة . رافع بن مالك . البراء بن معرور . عبادة بن الصامت . سعد بن عبادة . المنذر بن عمرو . عبد الله عمرو بن حرام (وهؤلاء من النقباء) . خالد بن زيد . معاذ بن الحارث . عوف بن الحارث . معوذ بن الحارث . عمارة بن حزم . سهل بن عتيك . أوس بن ثابت . زيد بن سهل . قيس بن أبى صعصعة . عمرو ابن غزية . خارجة بن زيد . بشير بن سعيد . عبد الله بن زيد بن ثعلبة . خلاد بن سويد . عقبة بن عمرو . زيادة بن لبيد . فروة بن عمرو . خالد بن قيس . ذكوان بن عبد قيس . عباد بن قيس . الحارث بن قيس . بشر بن البراء بن معرور . سنان بن صيفي . كعب بن مالك .

سليم بن عامر . قطبة بن عامر . يزيد بن عامر . كعب بن عمر . صيفي بن سواد . ثعلبة بن غنمة . عمرو بن غنمة . عبس بن عامر . خالد بن عمر . عبد الله بن أنيس . جابر بن عبد الله . معاذ ابن عمرو بن الجموح . ثابت بن الجذع . عمير بن الحارث . خديج بن سلامة . معاذ بن جبل . العباس بن عبادة بن نضلة . يزيد بن ثعلبة . الطفيل بن النعمان . معقل بن المنذر . يزيد بن المنذر . مسعود بن زيد . الضحاك بن حارثة . يزيد بن خزام . جبار بن صخر . الطفيل بن مالك . عمرو بن الحارث . رفاعة بن عمرو . عقبة بن وهب .

من النساء : نسيبة بنت كعب . أسماء بنت عمرو بن عدى .

★ ★ ★

وماج المسلمون فى المدينة ـ من رأى منهم رسول الله من قبل ومن لم يره ـ بالفرحة الغامرة . وأمسوا وأصبحوا ينتظرون قدومه هو وأصحابه المكيين ، وينتظرون مع مقدمه فجر حياة جديدة لهم، يلتئم فيها شمل القبيلتين المتنازعتين باستمرار وتندمل فيها جراحاتهم وتختفي فيها أحقادهم ، ويعودون فى ظل الاسلام أخوة يستريحون من عناء قتال ونزاع شغلا حياتهم .

كان هذا حال المسلمين الجدد فى المدينة أما حال الرسول وأصحابه فى مكة فقد ازداد سـوءا ، لقد علم زعماء قريش بما كان بين محمد صلى الله عليه وسلم وبين أهل المدينة . وتسربت أخبـار البيعة اليهم ورأوا فيها أن الخطر الذى يحاصرونه ليقضوا عليه سيفلت منهم ، ويجد له متنفسا جديدا ورجالا جددا سيتجمعون حوله ويقـوى بهم أمره ويتفاحل خطره : حتى يستطيع بهم أن يهدد مكة وينتصر عليها .

لقد ظلوا نحوا من ثلاثة عشر عاما يحاولون الحد من الدعوة الجديدة وخنقها والقضاء عليها .. وجربوا فى ذلك شتى الطرق وها هو ذا محمد سيفلت منهم ويخرج أمره من أيديهم .. ولا يدرون بعد ذلك ما يكون مصيرهم .. فلا بد اذن من عمل حاسم .

★ ★ ★

وبدأت الحملة الجديدة الجنونية على الرسول وصحابته .. الاضطهاد لم يعد يجدى ولا يحقق الهدف .. فلا بد معه اذن من تفكير فى عمل جديد ، لا بد من القضاء على حياة هذا الداعي الذى أقض مضجعهم كل هذه المدة .. والذى يفكر فى الخروج ليكون بعد ذلك نهاية مصيرهم وكان هذا كله مما دفع الرسول صلى الله عليه وسلم للتعجيل بالهجرة فأمر أصحابه أن يسبقوه الى المدينة .. ومكث هو فى مكة يرقب الحال وينتظر الاذن من ربه .

★ ★ ★

وسارت الايام .. وكل تدبير يقترب من نهاية أمره . المسلمون يهاجرون والمكيون يدبرون حتى اذا هاجر المسلمون كلهم أو كادوا .. وحتى اذا انتهى أمر المكيين وتدبيرهم الى قتل محمد .. جاءه الاذن بالهجرة فخرج فى ستر من الليل .. وبدأ رحلته الرهيبة هو وصاحبه الى المدينة .

ما الذى حمل المسلمين على ترك ديارهم وأموالهم ومصالحهم .. والاقبال على مجهول ليس لهم فيه من عدة لاحتمالاته ؟ . ما الذى جعلهم يقدمون على هذه التضحية وفيهم الرجل وفيهم المرأة ..

انه الايمان .. انها العقيدة التى تزلزل الرواسى وتقتحم الصعاب ، وتهزأ بالاخطار . انها الهجرة للـــه .

وكان هؤلاء وهم يتركون على الرمال وقع أقدامهم

لوحة الشرف

يسجل لهم التاريخ أروع ما قامت به جماعة انتصارا لعقيدتها ويفتح لهم سجلا خاصا بهم من المجد والفخار ..

وكان ممن حفظ التاريخ أسماءهم من المهاجرين والمهاجرات .

المهاجرون الى المدينة

من المهاجرين : أبو سلمة المخزومي . عامر بن أبى ربيعة . عبد الله بن جحش . أبو أحمد عبد بن جحش . عكاشة بن محصن . شجاع ابن وهب . عقبة بن وهب . أربد بن جميرة . منقذ بن نباته . سعيد بن رقيش . محرز بن فضلة . قيس بن جابر . مالك بن عمرو . زيد بن رقيش . عمرو بن محصن . صفوان بن عمرو . ثقيف بن عمرو . الزبير بن عبيدة . سخبرة بن عبيدة . عمر بن الخطاب . عبد الله بن أم مكتوم . سعد بن أبى وقاص . زيد بن الخطاب . عبد الله ابن سراقة بن المعتمر . سعيد بن زيد . خولى ابن ابى خولى . اياس بن بكير . عاقل بن بكير . طلحة بن عبيد الله . حمزة بن عبد المطلب . أبو مرثد بن الحصين . أنسة مولى رسول الله . عبيدة بن الحارث . حصين بن الحارث . سويبط ابن سعد . خباب مولى عتبة بن غروان . الزبير ابن العوام . أبو حذيفة بن عتبة . عتبة بن غزوان. ربيعة بن أكثم . تمام بن عبيدة. محمد بن عبدالله ابن جحش . مصعب بن عمير . عمار بن ياسر . بلال (المؤذن) . عمرو بن سراقة بن المعتمر . خنيس بن حذافة السهمي . واقد بن عبد الله التميمى . مالك بن أبى خولى . خالد بن بكير . عامر بن بكير . صهيب بن سنان . زيد بن حارثة. مرثد الفنويان . أبو كبشة مولى رسول الله . الطفيل بن الحارث . مسطح بن أثاثة . طليب ابن عمير . عبد الرحمن بن عوف . أبو سبرة ابن أبى رهم . سالم مولى أبى حذيفة . عثمان ابن عفان . وآخرون .

من المهاجرات : أم سلمة . زينب بنت جحش . حمنة بنت جحش . أم حبيب بنتجحش . جدامة بنت جندل . أم قيس بنت محصن . ام حبيب بنت تمامة . آمنة بنت رقيش . سخبرة بنت تميم .

★ ★ ★

حل هؤلاء المهاجرون الابطالعلى اخوانهمالمسلمين فى المدينة الذين سماهم القرآن ((الانصار)) ، ومنهم تكونت النواة القوية للمجتمع الاسلامي الاول الذى حمل اعباء الدعوة فى منطلقها الجديد ، واستحق من الله الرضا والمغفرة .

★ ★ ★

((والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا فى سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك هم المؤمنون حقا لهم مغفرة ورزق كريم)) (١)

★ ★ ★

((أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الالباب)) (٢) صدق الله العظيم

(١) الانفال آية ٧٤
(٢) الزمر آية ١٨

بقية الله في كل شيء

آمنتُ فيما قد رأيتُ وانني — لأرى وراء الغيْب طيفَ وجودى
وغـداً أعودُ كما بدأتُ، واننى — لألوذُ من ركْبِ العُـلا بخلودِ
أنا ذلك الانسانُ آيةُ ربِّـه — في الكونِ ، ظِلٌّ لوائهِ المعقودِ
أنا نفحةٌ من روحِـهِ فِـى آدمٍ — قد أومضَتْ في الهيكل المفقـود
حَسبى إذا أحصيتُ عمرىَ أنّنى — ما كنتُ شيئـاً قبلُ في الموجـود
حتى برانى الله روحـاً ساميـا — في هيْكلٍ متساوقٍ محمـود
مدّ الالهُ لآدمٍ من فضـله .. — قبسَ الهدى ، وحباه بالتـأييـد
ودعا الملائكةَ الكرامَ ليشهـدوا — من مِهْرجانِ الخلْـد أكرمَ عيد
الوحْىُ يهتفُ، والملائكُ سُجَّدٌ — وعلى الضْفافِ مزاهرُ التغـريد
هذا الذى سوّيتُهُ بشراً .. فكـان مناطَ خـيرٍ للورى ، وسُعُود
دعنِى ، ودعْ ابليسَ فهو مُضَلِّلٌ — قد رُدَّ عن فرْدوسه بوعيـد
ومضى يطاردُهُ الزمانُ بلعنـةٍ — هو شَرٌّ ملعونٍ بها ، وطريـد
القصّةُ الكبرى حياةُ محمّـدٍ — هادى الورى للموقِفِ المحمود
حَمَلَ الرسالةَ بالهدى، وكتابُهُ — بيَدِ الزّمان له لِسانُ خـلود
وبه استقامَ الدينُ فهو شريعةٌ — غرّاءُ ، تَهْدى للغَدِ المنشُـود
قد جاء خير الخلقِ يكشفُ للورى — عن قدْر ذاتِ الخَـالقِ المعبود
صلى عليه الله ، فهو صفيُّـه — ونجيُّهُ في الموقفِ المشهُـودِ

للاستاذ سعيد زايد



إسلام

محمد مؤذن

خرج اهل المدينة جميعا يستقبلون ضيف أمير المؤمنين ، وهو قادم يختال فوق جواده الاصهب وحوله ما يقرب من خمسمائة فارس يلبسون ثياب الوشى المنسوج بالذهب والفضة ، انعكست عليها اشعة الشمس الوهاجة فانبعث منها بريق لامع يخطف الابصار ويحيل لون رمال الصحراء الى لون ذهبي رائع .. كان جبلة بن الايهم يختال فوق جواده كالطاووس ويضع فوق رأسه تاجا مثبتا فيه قرط جدته مارية فى أناقة وعجب ، ويلتفت ذات اليمين وذات اليسار فى حركات متئدة مصنوعة ، ويرد التحية بيده تارة وبايماءة من رأسه تارة أخرى ، وينظر الى ملابسه وملابس فرسانه فى زهو وخيلاء .

وكان جبلة قد كتب الى عمر بن الخطاب ينبئه برغبته فى الاسلام ، ويستأذنه فى القدوم اليه ، ففرح أمير المؤمنين بذلك فرحا شديدا هو وجميع المسلمين ، فان اسلام أمير غسان لا بد وأن يتبعه اسلام عدد كبير من الناس، فسرعان ما رد عليه عمر بأن ((أقدم ولك ما لنا وعليك ما علينا)).

وصل جبلة الى المدينة ، ونزل ضيفا على خليفة المسلمين ، ثم نطق بالشهادتين بين جمع غفير من الناس ، تحوطه مظاهر البهجة والسرور . ولما كان موسم الحج على وشك الحلول ، فقد انتظر فى المدينة حتى يؤدى الفريضة . وجاء موعد الحج وخرج جبلة فى صحبة أمير المؤمنين لتأدية الفريضة الخامسة من فرائض الاسلام ، وفرح أهل مكة ايضا باستقبال جبلة مسلما فى أرضهم ، وبهدايته الى السبيل السوى الذى ارتضاه دين محمد صلى الله عليه وسلم ، وتباروا فى اكرامه واعزازه ما وسعهم الاكرام والاعزاز .

وبينما هو يطوف بالبيت الحرام اذ وطىء ازاره رجل من بني فزارة فحله . فالتفت اليه جبلة فى أنفة وكبرياء ، وقال له ((كيف تجرؤ على وطء ازارى أيها الاعرابي ؟)) ، ولم يلبث ان لطمه على وجهه لطمة قوية هشمت أنفه . فغضب الفزارى وذهب على التو الى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب وشكا له .. وبعث الفاروق فى طلب جبلة ولما حضر قال له ((ما دعاك يا جبلة الى أن لطمت أخاك هذا الفزارى فهشمت أنفه ؟ ورد جبلة بلهجة فيها من عادات الجاهلية الشيء الكثير قائلا ((انه وطىء

جَبَلَة

ازارى فحله ، ولولا حرمة هذا البيت لضربته بين عينيه بالسيف)) ونظر اليه أمير المؤمنين نظرة كلها سخرية من هذا الذى أسلم ولم تتمكن منه صفات الاسلام بعد ، ولم تجر فى دمائه روح التسامح ، وأراد ان يلقنه أول درس عملي فى جوهر الدين ، فقال له فى قوة وحزم ((أما انت فقد اقررت ، أما أن ترضيه والا أقدته منك)) وطار صواب جبلة ، فلم يتعود علي هذا الاسلوب من قبل ، بل عاش حياته يأمر فيطاع ، ويفعل الاثم فيقر عليه ، ويرتكب الخطيئة فيصورها له النفاق الذى يحيط به بأنها عين الصواب ، وقال موجها الكلام الى أمـير المؤمنين فى جاهلية رعناء ((اتقيده مني ، وأنا ملك وهو سوقة ؟)) وابتسم أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ابتسامة المدرك انه لا يوجد فى الدين ملك وسوقة ولا أمير وحقير ، وقال ((يا جبلة انه قد جمعك واياه الاسلام ، فما تفضله بشيء الا بالعافية)) وتملكت ثورة الغضب من نفس أمير غسان ، وظل سادرا فى غيه لا يريد ان يفهم ما يصدر عن أمير المؤمنين من روح نقية ولا أن يعرف ان التسامح هو أول صفات المسلم الحق ، وقال ((والله لقد رجوت أن أكون فى الاسلام أعز مني فى الجاهلية)) . فرد عليه الفاروق فى أباء قائلا ((دع عنك ذلك)) ولم يرعو جبلة ، ولم يشأ أن يجارى ابن الخطاب فيما يهدف اليه من معان سامية ، بل قال فى حمق ((اذن أتنصر)) . وهنا نفد صبر أمير المؤمنين ونظر اليه نظرة احتقار ، وقال له بصوت مرتفع وبلهجة حاسمة ((ان تنصرت ضربت عنقك)) .

وشاع الخبر بين العرب ، واجتمع قوم ابن الايهم يتشاورون فى الامر ويفكرون فى رد الاهانة التى لحقت بزعيمهم من وطء ازاره . ومن ناحية أخرى اجتمع بنو فزارة يرسمون خطة يدفعون بها ما لحق برجلهم من اعتداء ، وكادت أن تقوم فتنة .. وأرسل الفاروق الى جبلة ((يسأله عما استقر عليه رأيه فى ارضاء الفزارى ، فقال جبلة ((أخرني الى غد يا أمير المؤمنين ((فرد عليه عمر قائلا ((ذلك لك)) .

وكان ابن الايهم قد بيت فى نفسه أمرا ، فعندما انتصف الليل انسل هو وقومه هاربين الى القسطنطينية ونزل عند هرقل ، وتنصر .. وقد كان فرح هرقل وسروره بذلك شديدا ، فقد وهبه مالا جزيلا وأرضا شاسعة وقصرا منيفا فيه كل وسائل البهجة والترف ، ويحتوى على كل ما لذ وطاب .

ومرت الايام ، وأرسل عمر بن الخطاب رسله الى الملوك يدعوهم الى الاسلام أو المصالحة على دفع الجزية ، وكان من هؤلاء هرقل الذى ارتضى المصالحة على غير الاسلام . ولما أراد أن يكتب جواب عمر ، قال لرسول أمير المؤمنين ((ألقيت ابن عمك هذا الذى ببلدنا ، والذى أتانا راغبا فى ديننا)) ، ورد الرسول مستفسرا ، فقال هرقل ((جبلة بن الايهم)) قال رسول عمر ((وما شأنه فى هذا ؟)) فقال هرقل فى خبث ((القه ثم ائتني اعطك جواب كتابك)) .

ولعل هرقل كان يريد أن يوقف رسول أمير المؤمنين على النعمة التى يعيش فيها ابن الايهم ، لعله يبهر بتلك الابهة ويبقى الى جواره ويخون الرسالة التى وفد من أجلها ، ولكن هيهات .. وذهب الرسول الى بيت جبلة ، فراعه ما يقف على بابه من كثرة الحجاب والفهارمة كباب هرقل نفسه ، وطلب الاذن بالدخول ، فأذن له بعد فترة من الزمن ، ونظر فاذا بجبلة قاعدا على سرير من قوارير قوائمه أربعة أسود من الذهب ورحب ابن الايهم برسول الفاروق وسأله عن المسلمين ، فأنبأه هذا بأنهم قد زادوا عددا وعدة ، ثم سأله عن ابن الخطاب فأنبأه ايضا بأنه بخير ، فظهر الغم على وجهه ودعا جبلة الرسول الى الجلوس بجانبه فوق السرير ، ولكن الرسول عزف عن ذلك ، فقال له جبلة « لم تأبى الكرامة التى اكرمناك بها ؟ » فقال الرسول « ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن هذا » فقال جبلة « نعم ، صلى الله عليه وسلم ، ولكن نق قلبك من الدنس ، ولا تبال علام قعدت » .. ودهش رسول ابن الخطاب عندما سمع ابن الايهم يقول « صلى الله عليه وسلم » وقال له فى قوة وعزم « ويحك يا جبلة ألا تسلم ، وقد عرفت الاسلام وفضله » ورد جبلة فى حسرة وندامة قائلا « أبعد ما كان مني ؟ » قال رسول عمر مطمئنا اياه ومزيلا لحالة اليأس التى عنده ومقويا للامل الذى بدأ يداعب نفسه « نعم قد فعل رجل من بني فزارة اكثر مما فعلت ، ارتد عن الاسلام ، وضرب وجوه المسلمين بالسيف ، ثم رجع الى الاسلام ، وقبل ذلك منه ، وخلفته بالمدينة مسلما » ... وعادت أنفة الجاهلية الى نفس جبلة مرة أخرى ، فقال لرسول عمر « ذرني من هذا ، ان كنت تضمن لي ان يزوجني عمر ابنته ويوليني الامر بعده رجعت الى الاسلام » فقال رسول عمر « ضمنت لك التزويج ولم اضمن لك الامرة » .

وخرج الرسول من عند ابن الايهم ، وقد أخذ منه وعدا بالرجوع الى الاسلام ، أو على الاقل فهم منه رغبة وحنينا اليه ، ولم تنفع معه حيلة هرقل ، ولم تؤثر فى نفسه ، بل زادته ايمانا بالله واستمساكا بدينه وعزوفا عن مظاهر الدنيا الفانية . وذهب الى هرقل وأخذ منه ردا على رسالة أمير المؤمنين يتضمن رأيه فى المصالحة بينه وبينه .

وعاد رسول عمر الى بلاد العرب ، وأخبر الخليفة بما كان من شأنه مع هرقل وجبلة ومن انه دعاه الى الاسلام وضمن له التزويج ولم يضمن له الامرة . ففرح عمر فرحا شديدا ، فلم يكن أحب اليه من أن يزيد عدد المسلمين ويعزز الله جانبهم ، وقال لرسوله « هلا ضمنت له الامرة ، فاذا افاء الله به الى الاسلام قضى عليه بحكمه عز وجل » .

وجهز ابن الخطاب رسوله الى القيصر ، وأمره أن يقابل جبلة ويضمن له ما اشترط به ، وقدم الرسول الى القسطنطينية وفى نفسه من الفرح ما فيها ، وتوجه على التو الى منزل جبلة ، واذا به يلمح جموعا منصرفة من حول المنزل ، وسأل عن الخبر ، فأخبر بأن جبلة قد مات واحنى رسول عمر رأسه الى الارض متأملا حكمة الله عز وجل ، وأدرك ان الشقاء قد غلب على جبلة فى أم الكتاب .

مسئولية التناصح وأساسها في الإسلام

للاستاذ السيد محمد أبو المجد
كلية الآداب ـ جامعة بغداد

ان الامة الرائدة التي تتفوق على مثيلاتها حضارة ورقيا ومنزلة مرموقة بين الامم هي الامة التي يسود بين افرادها ظاهرة التوجيه والتوعية والتناصح الصريح المضيء الذي تتفتح له القلوب ، فيشيع بين جوانبها عظمة الله وتنزيهه ويرفع مستوى النفوس فتطلب ان هي طلبت معالي الامور ، وتترفع عن سفاسفها . وتنشد المثل الاعلى ، وتتجمل بالمروءة وتشعر بعظيم التبعة التي من شأنها تنظيف المجتمع من المداهنة والمواربة والتصنع فيفعل المرء فى السر ما يفعله فى العلانية ، ويملأه الشعور بأن الله خالقه ، وبأن الله يراه ، وبأن الله يأمره وينهاه فيأتي ما يأتي من الخير ويذر ما يذر من الشر ،لا رغبة ولا رهبة ولكن حبا فى الله ومن احب امتثل واناب واطاع ، وما اجمل ما صور الشاعر من صورة تترقرق فى جوانبها تموجات الطاعة الصريحة والامتثال الشجاع الطليق .

تعصى الاله وانت تزعم حبه
هذا محال فى القياس بديع

لو كان حبـــك صادقا لأطعتـــه
ان المـحب لمـــن يحـب مطيـــع

ان ظاهرة التوعية والتناصح الرشيد ان صدرت عن قلب تنظفت مضغته من الهوى الدنيوى ، وتبرأت من جمحات الطموح الشخصي انعطفت اليه القلوب ، وخلق من حوله الحواريين والانصار ، ولو استدرنا عبر التاريخ نسأله ونستفتيه لارانا ارباب الدعوات وكأن الفرد منهم امة وحده ، بخطو قانتا لله حنيفا فيقتحم ظلمات القلوب ويستل سخائمها ،ويقشع ضبابها ، ولا يتركها حتى يجعل منهـا موئلا للحق ، وكوكبا دريا يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكـاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار نور على نور . انظاهرة التناصح لا تنبت فى ارض سبخة لا يجف ثراها ولا ينبت مرعاهـا ولكنها تنبت فى أرض لم تمت عليها عزة المؤمنين ، ولم ينقطع بها الدرب لانهـا تاهت بين ركائز الاستعمار وفساد الحكم وبؤس الفقراء وتعطيل طاقات الشعب تحت وطأة الامتيازات الطبقية فـــلا يستشعر افراده جسامة المسئولية العامة التي لا تسأل الفرد عن نفسه الا وتسأله فى الوقت ذاته عن اخيه ، وعن امه وابيه وصاحبته وبنيه ، بل وترتفع المسؤولية فى الاسلام الى مستوى عظيم تتجاوز فيه الانسان الى الحيوان والنبات فالجماد . وما أمر المرأة التي دخلت النار فى هرة حبستها فمنعتها عن ان تقوت نفسهـا بخشاش الارض ولم تهيء لها فى محبسها لا طعاما ولا شرابا ، ما أمر هذه المرأة ببعيد عن القارىء العزيز لا سيما وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم لفت الانظار اليه وشد النكير عليه،وهنا يتدخل القرآن المجيد ليرسي قواعـد المجتمع وركائزه على أساس راسخ مكين عـــن طريق التحريض البالغ اثره فى النفوس ليأخذ الناس بعضهم بعضا بالتواصي بالحق فيقول وقوله الحق مهددا موعدا أولئك السلبيين الذين يقفون من الامراض الاجتماعية وقد استشرت واستترت تحت اقنعه علمية او فنية ففتنت ببريقها ، وخدعت بسرابها ، وهدمت من بعد ذلك اقوى اللبنات فى صرح المجتمع الرشيد العتيد مما جعل القرآن يواجه هؤلاء وجها لوجه ملقيا اليهم هذه الآية التي هي ان فضحتهم فلا تترك لهم مجـالا للخلاص يوم القيامة (وليحملن أثقالهم وأثقالا مع أثقالهم ، وليسألن يوم القيامة عما كانوا يفترون) .

ان المسؤولية العامة التي نادى بهـا القرآن المجيد ليست منبثقة الا مـــن نواميس المجتمعات الراقية المتحضرة ، وليست الا مولودة من مواليد الفطـرة البشرية ، وليست الا جانبا حيويا خطيرا من جوانب الحياة الحقيقية حياة القلوب والارواح ، حياة الامن والرخاء ، والحياة العزيزة الكريمة للامم جمعاء ، ومن يمن هذه المسئولية العامة التي جعلها القرآن ناموسا من نواميس المجتمع ، ومرآة يرى فيها الفرد نفسه اذا ما اغطش الغرور طريقها فانحرفت ، وعميت عليها السبل فانجرفت الى قرار سحيق . من يمن هذه المسؤولية انها تنير البصـيرة وتهـب صاحبها احساسا يميز به بين الحـق والباطل ، ويهديه سواء السبيل ، ومـا أصدق الرسول صلوات الله وسلامه عليه علما بمجريات الفطرة البشرية واساليب استوائها على نهج صادق رشيد اذ يجعل التناصح هو الدين كله فيقول « الدين النصيحة » قالوا لمن يا رسول الله قال . لله ولرسوله ولائمة المسلمين وعامتهم وما قول الرسول صلوات الله وسلامه عليه بالتناصح على هذه الصورة المانعة الجامعة الا باعتباره اصلا من اصـول الدين ، وركنا من اركانه ، وترسا مـن تروس دولابه ان تحطم استجابت لـه بقية التروس بالتحطيم ، وما قـــول الرسول الا انعكاسا صادقا لهذه السورة التي على قصرها وايجازها تقيم ميزان الدنيا على سعتها واختلاف اقاليمها ، وهي تناشد المسلمين جميعا فى مشارق

الارض ومغاربها بما يتسمون به مـن وصف الايمان ان يلتزموا حدود الطاعـة وان يستجيبوا لدعوة الله فيتواصـوا بالحق ويتواصوا بالصبر ، وحسب هذه السورة فعالية فى تمتين روابط المجتمع وتنقيته من الشوائب والادواء ان الامام الشافعي قال فيها بعد ان سبر اغوارها واحاط علما بجوانبهاوهو القرشي المضيء عقلا وروحا « لو عرفها المسلمون لكفتهم والعصر ان الانسان لفي خسر . الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر » .

وان ما تبديه هذه السورة من بارع اللمحات فى بناية الصرح الاجتماعي انها كانت تقليدا من تقاليد الصحابة رضـي الله عنهم ، فكان لا يفترق بعضهم عن بعض الا وهذه السورة تختتم مجالسهم وآخر ما يصدر عن قلوبهم عهدا وميثاقا .

ان المسؤولية العامة التي جعلت من كل فرد حكومة يسأل نفسه ويسأل أخاه عبر عنها الاسلام تعبيرا لا تسلط فيـه ولا جبروت ، ولا انتقاصا لقدر او غضا من قيمة ، ولا غضاضة منه حتى يبقي على النفوس عزتها، وعلى الآدمية كرامتها فجاء تعبيره عن المسئولية مرغبا فيها لا منفرا منها ،وداعيا اليها فاسماها « الامر بالمعروف والنهي عن المنكر » وقد تولى القرآن المجيد ابرازها ، وطلب من القادرين عليها اقرارها ، وعلق عليها وحدها امر استقرار الشعوب وفلاحها فقال وصدق الله العظيم (ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون) .

والقرآن المجيد يتابع المسؤولية فى اكثر من موضع ، ويتناولها من مظانهـا تنويها باثرها فى تقييم المجتمع ،وجعلها شأنا من شؤون المسلمين ، واثرا مـن آثار ايمانهم اقيمت به ولاية المؤمنين بعضهم على بعض فقال عز وجـل (والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكـر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله ان الله عزيز حكيم) .

فلننظر ، ولنتابع النظر فى هذه الآية التي اوردت بعض الواجبات صراحة ، وقد وضعها الله وهو اعلم بمن خلق . وضعا نحتاج معه الى روية وتدبر نكشف معهما كيف ان الله قدم فى الآية الكريمة « الامر بالمعروف والنهي عـن المنكر » وجعل لهما الصدارة لفتا لذوى العقول والابصار . ان تحقيق المسؤولية العامـة ينبثق اولا وبالذات من هذه الركيـزة الاجتماعية التي تعتبر اما لجميع الركائز، واساسا لكل القيم ، ولعظيم امومتهـا وجلال خطرها كانت قبل اقامة الصلاة وايتاء الزكاة وطاعة الله ورسوله فهـي منطلق الخير جميعا ، وان ما يوحى به وضع الآية بهذا الاحكام لامر ان وعته النفوس انطلقت اليه ممعنة فى نواله مهما بذلت او شـقيت ، ان الآيـة تهيب بالفرد ان يكامن من انانيته ، وان يجعلها تغوص فى القاع من اعماقه ، وأن يقـول اخي وأنا بدلا من ان يقول انا وحدى لان

طلب الشخص الخير لنفسه ابعد من ان يقع عند الله موضع القبول الا اذا دعا الناس جميعا الى ما يريد لنفسه من خير ، وما ينتظر لها من زكاة ومعروف فأمر بالمعروف ونهى عن المنكر ولا يشد بنيان المجتمع بعضه الى بعض ويسد ثغراته الا التواصي بالحق ووضع قول الرسول صلي الله عليه وسلم « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا » موضع التطبيق والتنفيذ .

هكذا فهم المسلمون الاولون مبدأ المسئولية العامة فأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ، وقاموا بواجب التناصح والارشاد والتوعية ، فنصح عالمهم جاهلهم ، وارشد كبيرهم صغيرهم بل لقد نصح الصغير الكبير ونصح المرءوس الرئيس ، ونصح المحكوم الحاكم ، وتقبل الجميع من الجميع،وظلوا كذلكمتعاونين على البر والتقوى فاستقامت لهم الشئون وتقدمت بهم الحياةوقادوا العالم،واقاموا الحضارة ، وحفظوا تراث الانسانية من الضياع . فلما نبتت معهم على طول الطريق نابتة الشهوة ، وانفتحت عليهم الارض والسماء بما يحملان من كنوز وعطايا فغرقوا فى بلهنية من العيش والرخاء والنعيم ، وأتتهم الدنيا بما زينت لهم وأرتهم ما يتنافسون عليه ويتكاثرون به ، وأعطتهم حلواءها ، وسقتهم صنوفا من الجاه والرياسة سلبتهم سلطة القلب، وسلطة الروح، وسلطة الضمير، وجعلتهم كالدمى ان اغرك مظهرها لا ترضيك حقيقتها ، واطفات بين جنوبهم نور التقوى ، وخذلت فى لهاتهم كلمة الحق لتفتح الطريق الى لقمة العيش ، وفرقت كلمتهم،وفتحت عيونهم وأعمت بصيرتهم، واضاعت امرهم بعد ان اضاع بعضهم امر بعض ، وحلت عراهم وربطت شهواتهم، وأوجدت الفرد منهم واضاعت جميعهم « تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى »وانصرف الناسعن الامر بالمعروف والنهى عن المنكر حتى اولئك الذين اخذوا على عاتقهم امر هذه التبعة الاجتماعية وانقطعوا لاحيائها وترغيب الناس فيها تفاديا من غضب الناس الذين اصبحت قلوبهم كالحجارة او اشد قسوة او استبقاء على منصب او استدرارا للقمةعيش،وانطوىالمجاهدون علىانفسهم يحوقلون ويقولون (وليسعك بيتك) مكتفين بقولهم . فسد الزمان . (عليكم انفسكم لا يضركم من ضل) . وكأني بالقرآن الكريم يتغلغل مع النفوس البشرية الى جذورها ويتوقع لها هذا الانخذال فى الطريق ، وأن كثيرا من الناس سيتخلى عن رعاية هذه الظاهرة الاجتماعية الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وهي الظاهرة التي اودت بمصير الامم من قبلنا ، والتى قص القرآن علينا طرفا من اخبارها حين اغفلت التناصح بين افرادها وتركت الامر بالمعروف والنهي عن المنكر استثارة لنفسية المجاهدين وحرصا على الا يتسرب اليأس **الى قلوبهم ، فقال الله تعالى وهو اصدق القائلين (فلو لا كان من القرون من قبلكم اولو بقية ينهون عن الفساد فى الارض الا قليلا ممن انجينا منهم واتبع الذين ظلموا ما اترفوا فيه وكانوا مجرمين وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون) .**

ولما اندثرت ظاهرة التواصي بالحق تولدت بديلا منها ظاهرة التعالى التي تنكر عليك كلمة الحق تبديها ، او منهجا خاطئا ينتهي بالسائرين فيه الى متاهة

ـ البقية على الصفحة ٩٦ ـ



من هنا .... وهناك

يكتبها : ع . النمر

أنظر يا أخي حولك حين يصل هذا العدد اليك وطف بشوارع البلد وقارن بين ما رأيته من المسلمين فى رأس السنة الميلادية من مظاهر العناية والاحتفال والاهتمام ، وبين ما تراه منهم فى رأس السنة الهجرية وهم الذين تعتبر الهجرة بالنسبة لهم نصرا لدينهم وفجرا جديدا انطلقت بعده اضواء دعوتهم حتى عمت الجزيرة العربية وزحفت منها كما يزحف ضوء الشمس شرقا وغربا ، حتى كان العالم الاسلامي وكانت الامبراطورية العربية الاسلامية التي سادت الدنيا بالعدل والمساواة وقدمت أرقى نموذج للحكم والحضارة والتمدن .

ستخرج مثلي من هذه المقارنة ، بالأسى والحسرة للفتور والبرود او الاهمال الذى نقابل به هذه المناسبة التاريخية الكبرى التي تعتبر بالنسبة لنا رأس مال ضخم لتاريخنا وأمجادنا .

قد يقال ان رأس السنة الهجرية ليس عيدا من اعيادنا الاسلامية اذ ليس لنا الا العيدان المعروفان .. هذا صحيح وصحيح ايضا ان اسلافنا لم يكونوا يحتفلون به ولا يقيمون الذكريات له .. ولكن أساليب العصر فى التذكير والتربية واظهار الشعور نحو الايام الفاصلة فى التاريخ القريب والبعيد للامة جعلت مثل هذه الاحتفالات من مظاهر يقظة الأمة لماضيها وحاضرها وتقديرها لرجالها واصحاب الفضل عليها .

وكلما كان احساس الأمة بمقدار الحادث والرجل فى تاريخها ، وشعورها بنتائجه فى ماضيها ومستقبلها وأثره على كيانها كان تجاوبها النفسي مع ذكرى هذا الحادث أو صاحبه .. واعتزازها بهذه الذكرى وكل ما يتصل بها .

والهجرة لم تكن حادثا يمر فينسى وهي التي كانت مفتاحا لهذا المجد الذى تعيش على حسابه وبفضله الأمة التي تنتسب للاسلام فى كل مكان ... وهي وان لم تكن قد وقعت فى المحرم الا ان عمر رضي الله عنه والصحابة حين رأوا ان يضعوا للمسلمين تاريخا يؤرخون به أيامهم وسنيهم واختاروا حادث الهجرة مبدأ لهذا التاريخ اختاروا الشهور العربية ـ أو بلغة العصر الرائجة الشهور القومية بالنسبة لهم ـ شهورا يؤرخون بها ، والمحرم هو بدء السنة العربية فهو بدء السنة الهجرية اذن .. فأصبح كلما دارت السنة دورتها وبدأنا به سنة جديدة يذكرنا بسنة أخرى مرت على هجرة المصطفى عليه الصلاة والسلام ، وببدء عام جديد .

فكيف اذن نستقبل المحرم وهو يذكرنا كلما اقبل علينا بهجرة الرسول واصحابه للمدينة ؟ هل وعينا ان الهجرة كانت مفتاح النصر على المشركين فاحتفلنا بذكرى هذا النصر كما تحتفل الأمم بامجادها ؟ هل عنينا بتذكير اولادنا وتعليمهم معنى الهجرة ولماذا هاجر الرسول وكيف احتمل هو وصحابته صنوف الألم والعذاب ومرارة الاغتراب فى سبيل الدفاع عن العقيدة التي هي اغلى شيء ، او يجب ان تكون اغلى شيء لدى الانسان؟ هل انتهزنا هذه الفرصة فتعلمنا وعلمنا أولادنامن خلال حوادثها روح التضحية والاقدام فى سبيل عقيدة الانسان ، فى سبيل الحق الذى يؤمن به ويدافع عنه ؟ ونحن فى غمار الاحداث الجسيمة التي تمر بنا فى اشد الحاجة الى ان نستلهم هذه المعاني ونربي اولادنا عليها .

هل فكرنا فى مصير هذا الدين على ايدينا وفيما نقدمه له من خدمات او من لكمات وطعنات وقد عرض الرسول وصحابته انفسهم للموت فى سبيل نشره ورفع رايته ؟ .

هل عرفنا انه ميراث ورثناه ويجب ان نحافظ عليه والله شاهد علينا ماذا نفعل به او له ؟ .

كنت وجهت نظر المسلمين فى كلمة مذاعة ، وفى هذا المكان من المجلة أيضا ــ ايام الاحتفال بعيد رأس السنة الميلادية ــ الى ما يغرقون اويذوبون فيه من تقليد فى الاحتفال بمناسبات غيرهم ، وقلنا هل يجاملكم غيركم ويحتفل بمناسباتكم الخاصة .. ؟ واليوم نعيد السؤال .. ولكن مع كلمة صريحة ومرة .

انني أتساءل ــ والاسف يعصر قلبي ــ هل رآنا غيرنا نعني بأيامنا وأمجادنا حتى يجاملنا ؟ اذا كان أصحاب المناسبة وأهلها لا يعنون بها فكيف يعنى بها غيرهم ممن لا تهمهم هذه المناسبة ؟ حقا ..

اذا أنت لم تعرف لنفسك حقها هوانا بها كانت على الناس أهونا

ثم تقويمنا الهجرى أين هو وأين مكانه فى تأريخنا لرسائلنا وأيامنا وحوادثنا ؟.

لقد كان التاريخ المعتمد حين كان المسلمون أقوياء وكانت لهم دولة فلم يكونوا يعرفون التاريخ الميلادى ولا يؤرخون به حوادثهم وايامهم .. والتاريخ الهجرى كلما دوناه فى رسائلنا وجعلناه محددا وضابطا لاحداثنا وايامنا كان دائما مذكرا لنفوسنا بهذا الحادث وكنا على صلة مستمرة بمعانية .

ان تقويمنا الهجرى مرتبط بديننا وعقيدتنا ورسولنا وذلك كله يرتبط به تاريخنا وتقوم عليه حضارتنا وأمجادنا ونستمد منه قوتنا وصلابتنا . فهو ليس مجرد تقويم لذكرى دينية لاارتباط لها بحياتنا فى الماضي والحاضر والمستقبل . ان الغرب لم تقم له حضارة مستمدة من دينه كما قامت حضارتنا فى الماضي ونأمل ان تقوم فى الحاضر والمستقبل . فحادث الهجرة اذن جزء لا ينفصل عــن حياتنا .. فكيف ننساه أو نهمله اللهم الا اذا انسلخنا من المعانى التى تربطنا به ، وبنينا حياتنا بعيدا عنه وعما يتصل به؟ انها غفلة او غفوة لا نزال فيها بتخدير الاستعمار وقوته وفرضــه على حياتنا نظاما خاصا .. ولكن ألا نقول اننا صحونا .. استيقظنا .. فلماذا لا نتخلص من كل مخلفاته وآثاره ونعود أمة اسلامية شكلا وموضوعا ظاهرا وباطنا ؟ .

قد يظن بعض الناس ان هذا أمر سهل وأننا نسير مع العالم حيث يسير .. وكان من الممكن ان اقول كما يقولون ولا اشغل نفسي وأشغلهم بهذا الحديث لولا ما اعرفه ويقرره علماء الاجتماع من ان التبعية فى أية ناحية من النواحي مهما تكن صغيرة انما هي من ضعف شخصية التابع ، وأن اهمال اى انسان لخصائصه ومقوماته واحداثه وتاريخه وتقليده لغيره دليل على عدم شعوره بكيانه وشخصيته وقيمته فى الحياة .. وان الذى يتهاون فى الصغير يتهاون فى الكبير ..

فهل نرضى بذلك .. والى متى ؟ ..

تلتبس فيها السبل ، وتعالى الرئيس على مرءوسه ، فلا يسمع منه ولا يلقى باله اليه ، ولا يضع حتى رأى مرءوسيه موضع المناقشة والحوار ، وانه هو وحده الذى بيده مقاليد الفكر والرأى والتوجيه كأن به عنجهية امرىء القيس حين يقول متبجحا :

ما يملك الناس منا حين نملكهم
كانوا عبيدا وكنا نحن اربابا

وانتشر المرض فى صفوف المسلمين جميعا فلا يسمع صغيرهم لكبيرهم ولا يسمع كبيرهم لصغيرهم ، وزحف هذا المرض الى غرف الدراسة نفسها فأفسد الجيل وخلق فيهم روحا متمردا فى مواجهة الرواد الذين يعطونه خلاصة تجاربهم ، ويقدمون لهم افاويق المعرفة ليحملوا من بعدهم عبء ما حملوا ، فضاع امر المربين وانزوى بيت شوقي الخالد المضيء منطويا على نفسه .

قم للمعلم وفه التجيلا
كاد المعلم ان يكون رسولا

ومما صح عن الرسول صلوات الله وسلامه عليه فى توجيهاته النبوية وقد اخذت الدعوة الاسلامية اهبتها للتطبيق فى نشأة المجتمع الاسلامي الوليد ، تحديثه عن مجتمع عبرت به الايام قد انهارت قوائمه ، واندثرت معالمه حين توالدت بين افراده هذه الظاهرة السلبية التي تتكرر فى كل وقت وتطل برأسها بين حين وحين حتى اذا ما غلظت واشتدت واستوت على سوقها لم تترك مرفقا من مرافق المجتمع الا ملاته بجراثيمها ، وامتصت منه فعاليته وايجابيته ، ومما اورده فى هذا المقام هو (انه لما وقع بنو اسرائيل فى المعاصي ودخل النقص عليهم فى دينهم نهاهم علماؤهم فلم ينتهوا فجالسوهم وواكلوهم وشاربوهم ولم يمنعهم العصيان عن عن مخالطتهم ، فلما فعلوا ذلك ضرب الله قلوب بعضهم ببعض ففرق كلمتهم وشتت شملهم وتلا عليه السلام قوله تعالى (لعن الذين كفروا من بني اسرائيل على لسان داوود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون كانوا لايتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون) .

هذا ويجب ابراز أمرين اثنين كانا ابدا ودائما وما يزالان مثار لبس ، ومدار تساؤل ، وداعية استفتاء واستفسار ، اولهما ان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ما كانا يوما من الايام احتكارا لطائفة دون اخرى ولا وقفا على اناس غير آخرين ، وانما هو امر مفروض على كل من يتعرف الى المعروف انه اهين او انزوى او اهمل او انعزل عن مجالات الحياة والسلوك والتعامل ، وان المنكر قد احتل مكانه واعتادته النفوس فلا تغضب لحق اهتضم ولا تثور لظلم ارتكب ، ولا تهب مدافعة حتى نقضى عليه وليس ثمة من انسان حتى ولو كان متبديا لا يعرف المعروف بفطرته او يتعرف عليه ان شاء ، وثاني الامرين ان المعروف والتواصي على الامر به ، وان المنكر

والتواصى على النهي عنه ، امر مستقل بذاته لا يغني عنه فى مقامــه صــلاة او صيام او زكاة ، فرعاية الاسرة وحياطتها وتوافر الضمانات لها ، وتنشئة الابنـاء تنشئة تتوازن بها شخصيتهم وينبثق شبابهم عن نفوس تعرف كيف تتحمل التبعات ، وكيف تشق طريقها مستعينة بالله ، مستمدة من هداه وكلمة حق ترد بها ظالما او تشد بها ازر مظلوم ، ورعاية مصالح الناس وتبصيرهم بأسلوب قضاء حوائجهم وافساح المجال لذوى المواهب ان يتصدروا الصفوف الاولى ، او ليس ذلك كله معروفا او ليس الاغضاء عنه والتنكر له منكرا وزورا .

ولو علم القادة والرواد والمربون ، وكل من يتصدى لقيادة الشعوب او يحمل امانة توجيهها ان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر لهم اشد لزوما واعظم وجوبا حتى يرتفع الى مستوى منازلهم وما ياون من مناصب او يحرزون من جاه .. لو علموا هذا لعرفوا ان الاسلام يشــدد النطاق حولهم لان الفساد الذى لا يمكن اتقاؤه ، والفتق الذى يصعب رتقه هو ذلك الفساد الذى ينبثق من القمة وينحدر الى السفح ، وقد جعله القرآن وسيلة من وسائل انتقام الله وغضبــه حيث يقول الحق (واذا اردنا ان نهلك قريــة امرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرنا تدميرا) .

وبعــد

فان مسؤولية التناصح قد اشتقت وجودهــا من الاخوة الانسانية وعــلت صيحتها فى الناس من صيحة الايمــان العليا ، فهي وحدها لها الحق فى ان تنادى فى الناس بالآية الكريمة التي تسرد مــن القيم الانسانية والاجتماعية ما يكفــل وجود المجتمع المثالي الرشيد ، وما يحقق احلام الفلاسفة الذين اتعبوا رئتهم وهم يصيحون بالعالم الافضل والغد الاسعد . يقول الله وهو أصدق القائلين (لا خــير فى كثير من نجواهم الا من أمر بصــدقة أو معروف أو اصلاح بين الناس ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضاة الله فســوف نؤتيه أجرا عظيما) .

الخلق السياسي فى الاسلام

لما نشب الخلاف بين الامــام علي ومعاوية ، ارسل ملــك الروم الى معاوية يستعديه على الامام علي ، فقال : لقد عجبنا مــن جرأة صاحبك عليــك ، وطمعه فيما بين يديك وما هو لذلك بأهل ، فان شئت امددناك بجيش لا يمس عنــدك حتــى يصبح علي ورجاله فى قبضـــة يدك .

فرد عليه معاوية ردا أفسد عليه خطة السوء ، وما دبر لــه من شر فقال :

أما بعــد .. فمــا أنا وعلي الا اخــوان نتنافس فضــلا ، ونستبق خيرا ، ولئن عدت الى مثل ما ذكرت لألحقن بصاحبي ، ولآتينك مــن قبلــه على رأس جيش يكون أوله عندك وآخره عنــده ، فــلا أبيت ليلتي حتى أورثــه مــن الأرض مــا تحت قدميك » .

مائدة القارئ

صفة رسول الله

مر رسول الله صلى الله عليه وسلم فى طريق هجرته الى المدينة بخيمة أم معبد ، وكان معه ابو بكر ، ورائده عبيد الله بن أريقط فاستراح قليلا ، ثم انصرف ، فلما حضر زوجها ابو معبد قالت له : مر بنا رجل مبارك كان من حديثه كيت ، وكيت . قال : صفيه . فقالت : رأيت رجلا ظاهر الوضاء ، أبلج الوجه ، حسن الخلق ، لم تعبه ثجله (ضخامة البطن) ولم تزر به صعْلة (نحولة الجسم) ، وسيما ، قسيما ، فى عينيه دعج (شدة سواد العين فى شدة بياضها) ، وفى أشفاره وطَف ، وفى صوته صَحَل (بحة فى الصوت) ، وفى عنقه سَطَع (طول) ، وفى لحيته كثاثة . أحور ، أزج ، أقرن (مقرن الحاجبين) . ان صمت فعليه الوقار ، وان تكلم سما وعلاه البهاء ، فهو أجمل الناس ، وأبهاه من بعيد ، وأحسنه من قريب . حلو المنطق ، فصل ، لا نزر ولا هذر . كأن منطقه خرزات نظم يتحدرون . ربعة ، لا تشنؤه من طول ، ولا تقتحمه العين من قصر . غصن بين غصنين ، فهو أنضر الثلاثة منظرا ، وأحسنهم قدا . له رفقاء يحفون به ، ان قال أنصتوا لقوله ، وأن أمر تبادروا الى أمره . محفود محشود (يخدمه اصحابه ويعظمونه) لا عابس ولا مفند .

قال ابو معبد : هذا والله صاحب قريش الذى ذكر لنا من أمره بمكة ماذكر ، ولو كنت وافقته لالتمست صحبته ، ولأفعلن ان وجدت الى ذلك سبيلا .

سوارا كسرى

ادرك سراقة بن مالك مبعوث قريش رسول الله فى طريق الهجرة ، فدعا عليه النبي فساخت قوائم فرسه فى الارض ، فطلب الامان فأمنه رسول الله وقال له : كيف بك اذا لبست سوارى كسرى ؟

فلما أتى عمر بسوارى كسرى ومنطقته وتاجه استدعى سراقة فألبسه السوارين ، وقال له : ارفع يديك وقل : الحمد لله الذى سلبهما كسرى بن هرمز ، وألبسهما سراقة الاعرابى .

فى ديوانية أبى أيوب

لما هاجر رسول الله الى المدينة أقام فى الطابق الاول من بناية أبى ايوب حتى بنى مسجد الرسول ومساكنه فانتقل اليها .

فقال ابو أيوب : قلت يا نبى الله : بأبى أنت وأمي ، اني لاكره وأعظم ان أكون فوقك ، فاظهر انت فكن فى العلو ، وننزل نحن ، فنكون فى السفل ، فقال :

يا ابا أيوب : انه أرفق بنا وبمن يغشانا ان نكون فى سفل البيت .

بين عمر بن الخطاب وأسماء بنت عميس

لما قدمت أسماء بنت عميس من أرض الحبشة ، قال لها عمر بن الخطاب : يا حبيشية سبقناكم بالهجرة . فقالت : اى لعمرى لقد صدقت ! كنتم مع رسول الله يطعم جائعكم ويعلم جاهلكم ، وكنا البعداء الطرداء . أما والله لآتين رسول الله فلأذكرن ذلك له ، فأتت النبي صلى الله عليه وسلم ، فقالت : يا رسول الله ان رجالا يغمزون علينا ، ويزعمون انا لسنا من المهاجرين الأولين ، فقال رسول الله : بل لكم هجرتان ، هاجرتم الى أرض الحبشة ، ونحن مرهنون بمكة ، ثم هاجرتم بعد ذلك الى المدينة .

مسجد قباء

« .... لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق ان تقوم فيه فيه رجال يحبون ان يتطهروا والله يحب المطهرين » .

(قرآن كريم)

تاريخ الهجرة

كان وصول رسول الله المدينة ــ على أرجح الاقوال ــ يوم الأثنين الثانى عشر من ربيع الأول .

حيلة السيدة أسماء

قالت أسماء بنت أبى بكر لما هاجر أبى مع رسول الله احتمل ماله كله ، فدخل علينا جدى ابو قحافة ، وقد ذهب بصره فقال : والله اني لاراه قد فجعكم بماله مع نفسه . قلت : كلا يا أبت انه ترك لنا خيرا كثيرا . قالت : فأخذت أحجارا ، فوضعتها فى كوة فى البيت ، ثم وضعت عليها ثيابا ، ثم أخذت بيده ، فقلت : يا أبت ضع يدك على هذا المال ، فوضع يده عليه ، فقال : لا بأس ، اذا كان ترك لكم هذا فقد أحسن ، وفى هذا بلاغ لكم .

قالت أسماء : لا والله ما ترك لنا شيئا ، ولكنى أردت ان أسكن الشيخ بذلك .

الرسول على مشارف قباء

لما أشرف رسول الله على قباء رآه رجل من اليهود ، فصرخ بأعلى صوته . يا بنى قيلة هذا جدكم قد جاء ، فهرول المسلمون يستقبلونه فرأوه صلى الله عليه وسلم جالسا فى ظل نخلة ومعه ابو بكر ، فلما زال الظل قام ابو بكر فأظله بردائه ، فعرفه المسلمون عند ذلك .

حسان يشدو

وقد نزلتْ منه على أهل يثرب ركاب هدى حَلّتْ عليهم بأسعد

نبيٌّ يرى ما لا يرى الناس حوله ويتلو كتاب الله في كل مشهد

وان قال في يومٍ مقالةَ غائب فتصديقُها في اليوم ، أو في ضحى الغد

لِيَهْنَ ابابكر سعادةُ جَده بصحبته ، من يُسْعِدِ اللهُ يَسْعَدِ

وحي

للاستاذ يوسف زاهر

أنقذَ اللهُ مصطفاهُ الأمينا ... ويحكمْ يا قريشُ ما تصنعونا ؟ !
قد مكرتمْ به ، ولله مكرٌ ... ويَدُ اللهِ فوقَ ما تمكرونا !
وجمعتمْ لقتلهِ كلَّ جمعٍ ... أين ولّى ما كنتمْ تجمعونا ؟ !
أين منْ حاصروا النبي بليلٍ ... أين فتيانُ مكةَ الخمسونا ؟ !
جلَّ ربي آمنتُ باللهِ ربي ... مَن أذلَّ الطغاةَ والظالمينا
رَمْيَةٌ بالترابِ أرسلها الها ... دي أدالتْ قوًى وأغشتْ عيونا
ونسيجٌ من نَسجِ أضعفِ خلقٍ ... صار حصناً على الرسولِ حصينا
وحمامٌ على فمِ الغارِ حاكى ... أسدا يحرسُ الحِمى والعرينا

* * *

مِلْءُ سمعِ الوجودِ هجرةُ طه ... سيِّدِ الخلقِ خاتمِ المرسلينا
ذكرياتُ الجهادِ ينسخها الما ... ضي كما ينسخُ اليقينُ الظنونا
وجهادُ المختارِ يبقى على الدهـ ... ـر ، ويزهو على ممرِّ السنينا
ويمرُّ البِلى عليه ويمضي ... خاسيء الطرفِ حائرا مفتونا
وله العذرُ فالشموسُ اذا ما ... أشرقتْ في الضحى بهرنَ العيونا
كيف يقوى البِلى على نسخِ ماضٍ ... كان نصرا ، وكان فتحا مبينا ؟ !
قبسَ الغربُ نورَه فترقّى ... وتحدّى الوجودَ والعالمينا
وغفا الشرقُ عن هداهُ طويلاً ... فسقاه الزمانُ ذلا وهُونا

الهجرة

أينما سِرْتَ آنَـذاكَ تُلاقـي   ما يُثيرُ الأسى ويُورى الشجونا
أمماً تَعشقُ الخمولَ ، وأخرى   تعشقُ اللَّهْوَ ، والهوى ، والمجونا
وشعوبا ترى السيادةَ كفرا   وشعوبا ترى « الحمايةَ » دينا ! !
وتَظلُّ الزمانَ ترسفُ في القَيـ   ـدِ ، وتحنى لآسريها الجبينا
جردتها السنون من ثورة الحـ   ـر فيا بئسَ ما جنته السنونا

***

أيها اللائمُ السنينَ : رُوَيْداً   تلك ـ والله ـ حجةُ العاجزينا
هل يهدُّ الزمانُ بنيانَ قومٍ   ركَّزوا تحته أساساً متينا ؟ !
او تنال الخطوبُ من مجدِ قوم   وقفوا حول مجدهمْ ساهرينا ؟!
ما غزا الغربُ بالحسام ، ولكن   هاجر الغربُ نحونا ، وبقينا
هجرةُ الغربِ ملَّكَتْهُ علينا   وَأرَتْنَا من العذابِ فنونا
وَسَقَتْهُ الشرابَ شهدا مصفى   وَسَقَتْنَا الشرابَ ماءً وطينا ! !
آنَ يا قوم أن تُفيقُوا من النو   مِ ، وأن تهجروا الوَنَى والسكونا
إن هذى الحياةَ أضحَتْ سباقاً   فاز فيه الأوائل السابقونا
أذكروا هجرةَ الرسولِ ، ففيها   عبرٌ تحفزُ النُّهَى واليقينا
أذكروها تَعلمُوا كيف تحيو   نَ كُماةً ، أعزةً ، أكرمينا
أذكروها ، اذكروا . فما أحوجَ الشر   قَ اليها ، وأفقرَ المسلمينا

- الاسلام دين علم
- الازهر جامعة المسلمين الكبرى
- دروس اجتماعية من درس جامعي

الاسلام دين علم

نشرت مجلة رابطة العالم الاسلامي كلمة تحت هذا العنوان بقلم فضيلة الشيخ محمد بهجت البيطار نقتطف منها ما يلي :

ان الحكومة فى الاسلام هي روح الحق الصريح ، ومن مميزات الحكومةالاسلامية أن قوانينها مبنية على النصفة والعدل ، (لا ضرر ولا ضرار) أى لا بالنفس ولا بالمال ، بخلاف القوانين الوضعية التي تبيح كثيرا من الضرر بالنفس والعقل والعرض (ومنها) أن القوانين البشرية التي يضعها أمثالنا لا تخلو من خلل أو شطط ، ومن أمثاله : فتح أبواب الميسر والمسكر والبغاء أمام الناس ، وذلك مدد قوى فى احداث الجرائم وزيادة المظالم ، وتكثير السجون والمحاكم ، بخلاف الشريعة السماوية التي تدعو الى ازالة ذلك كله « من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه » كما ورد فى الحديث (ومنها) أن الشرائع الالهية مصحوبة بقوة تنفيذية فى قلب الانسان ، ووازع نفسي يحمله على مراعاتها سرا وجهرا ، بخلاف هذه النظم الموضوعة (ومنها) أن التمسك بالفضائل واجتثاث الرذائل هو الذى تدعو اليه الاديان ، وهو الذى لا يختلف مهما اختلف الزمان والمكان ، وتغيرت الشعوب والأقوام .

الازهر جامعة المسلمين الكبرى

تحدث الدكتور محمد عبد الله ماضـي وكيل الأزهر الى مندوب الملحق الديني لصحيفة الجمهورية القاهرية حديثا تناول فيه صفحات مجيدة من تاريخ الازهر فى الريادة الدينية جاء فيه :

فى يوم مبارك ميمون من أيام شهر رمضان سنة ٣٦١ هـ أراد الله لمصر أن تكون مركز الاشعاع الروحي للمسلمين ، وقبلة لطلاب الثقافة الدينية من شتى انحاء الارض ..فقد افتتح فى ذلك اليوم الجامع الأزهر الذى صار فيما بعـد جامعـة المسلمين الكبرى ومعهدهم الثقافي العتيق .

ومنذ ذلـك اليوم البعيد المجيد والازهـر قائم برسالته ، مضطلع بمسئوليته يشع فى الدنيا كلها نور الايمان ، والمعرفة ، ويحمل علماؤه ومبعوثوه الى كافة الأقطار مبادىء الاسلام وتعاليمه ، ويستقبل فى رحابه أبناء العالم الاسلامي الذين تجلت عليهم نعمة الله اذ جعلهم من المستجيبين للتوجيه الالهي والهدى الرباني فى قولـه تعالى « فلو لا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهـم » .

ولم تقف علاقة الأزهر بطلابه الوافدين اليه من بلدان العالم الاسلامي عند مجرد تلقين العلم او منح الشهادة ثم تتفرق بهم سبل الحياة ، وانما تجاوزت العلاقة هذا

الحد الى تنمية الروابط والصلات بين الأزهر وسائر الشعوب الاسلامية بواسطة هؤلاء الخريجين الذين كانوا يرجعون الى أقوامهم وقد ارتبطوا بالأزهر عـن طريق الروح والايمان ، ففاءوا الى أوطانهم ومعهم نورهم يسعى بين أيديهم وبايمانهم يقولون ربنـا أتمم لنـا نـورنا .

ولم يقصر الأزهـر فى تزويد الوافدين اليه بمختلف الثقافات والعلوم ، فالى جانب دراسة الدين الاسلامي واللغة العربية ، كانت تدرس علوم الحياة جميعها ، اذ وفد اليه كثير من العلماء بعد أن عفت معاهد بغداد وقرطبة ، فغدا الأزهر مركز الدراسات الاسلامية العامة والمسئول عن حياطة الدين واللغـة .

ومن هنا كانت مسئولية الأزهر امام كافة المسلمين الذين أحاطوه بعواطفهم ، واستودعوه آمالهم ..باعتباره المنارة التي تتعلق بها أبصارهـم ، ومركز الاشعاع الروحي الثقافي لهم .. ومن هنا أيضا كان حرص الأزهر على النهوض برسالتـه خلال هذه القرون العشرة .. رغم ما استهدف له فى بعض الأحيان من عسف وعنت واضطهـاد .

واذا كان الأزهر قد انتابه فى فترات من تاريخه بعض ما أصاب الحركة الفكرية كلها من التدهور خـلال محنة الاحتلال لمصر ـ فانـه استطاع أن يكون ملاذا أخيرا للتراث الاسلامي ، ومعقلا حصينا للغة العربية ـ لغة القرآن الكريم ، يدرأ عنها عادية التدهور الخطير ، ويمكنها من مغالبة لغة الفاتحين .. وتمكن الأزهر مع ذلك أن يبقى بابه مفتوحا لطلاب العلوم الاسلامية والعربيـة حتى انزاح كابوس الاحتـلال فعاد الأزهر يمارس نشاطه وفاعليته فى هذا المجال ويحمل الى الناس رسالة العلم والايمان.

دروس اجتماعية من درس جامعي

أبعدت جامعة بيروت أحد اساتذتها الاجانب لأنه وزع نصا على طلاب الجامعة تضمن رأيا للقديس توما الاكويني ، فيلسوف الكاثوليكية الايطالي فى القرن الثالث عشر فى الاسلام ونبيه واتباعه كلـه ذم وتشهير ، وقد تناولت مجلة الحوادث البيروتية هذا الموضوع ، فقالت :

تعالوا نتأمل رأى القديس توما الاكويني فى الاسلام ، ونحكم اذا ما كانت حرية الفكر أو حتى حرية التعليم ، تصاب بمكروه ، فيما لو لم يدخل البرنامج المقرد .

فالبرنامج يستهدف دراسة القديس توما الاكويني دراسة خاطفة ، لأنها فى مادة التربية أو الثقافة العامة ، وليست فى مادة الفلسفة او مادة الأديان المقارنة . وما دام الامر كذلك ، فأية فائدة للطلاب من معرفة رأيه فى الاسلام ، وهو رأى لا يدخل فى نطاق فلسفته الشمولية للمسيحية ولا للكون ، بل هو رأى لا يدخل فى نطاق أية فلسفة ، وهو أقرب الى ان يكون حملة سوقية او شتيمة توجه الى دين آخر ؟ أجل ان رأى توما الاكويني فى الاسلام ، ذلك الذى وزعته الجامعة على طلابها . واعتبرته مادة تدرس وتحفظ ويسأل فيها الطالب يوم الامتحان ، لا مجرد رأى فى بطن كتاب يوضع مع غيره من آلاف الكتب على رفوف مكتبة الجامعة ، نقول ان هذا الرأى ليس برأى الفيلسوف توما الاكويني ، وانما هو رأى المتعصب لدينه ، يرشق الآخرين بحجر دفاعا عن دينه ، خشية على دينه فى فترة مـن التاريخ عرفت صراعا محتدما بين المسيحية والاسلام . انه حملة موجهة الى العامة لصرفها عن الاسلام ، فلا هو نتيجة درس وتحليل ، ولا مقارعة الحجة بالحجة ، عدا أنه يستخف بالتاريخ استخفافا لا نظير له .

ومهما يكن من أمر ، فقد أكدت لنا سيدة عربيـة من سوريا ، أكملت تحصيلها العالي فى جامعـة كاثوليكية بالولايات المتحدة الامريكية ، ودرست توما الاكويني أكثر من سنتين ، فلم يرد رأى الاكويني فى الاسلام يوما من الأيام ، لا على لسان أستاذ ، ولا فى محاضرة توزع على الطلبة .

وان للاميركان أكثر من جامعة فى العالم . لهم فى القاهرة مثلا جامعة . فهل رأى الاكويني فى الاسلام مادة تدرس فى جامعة القاهرة الامريكية . واذا كان الجواب بالنفي ـ وهو طبعا بالنفي ـ فلماذا « اختصت » جامعة بيروت الامريكية بهذه العناية .

من أعلام الإسلام في الهند

الشيخ احمد السرهندي

الملقب بمجدد الألف الثاني ٩٧٧ هـ - ١٠٣٤ هـ

للاستاذ محيى الدين الالوائي

المدرس بجامعة الازهر



يرجع فضل انتشار الاسلام ، واللغة العربيــة فى شبه القارة الهنديــة ، أولا وبالذات ، الى دعاة مصلحين من العرب والهنود ، الذين تشبعوابالدعوةالاسلامية وتبحـروا فى الآداب العربيــة . وكان العرب هم الذين حملوا لواء الاسلام الى الهنــد اولا ، وتبعهم فى سبيل نشره المسلمون الهنود ، الذين تفقهوا فى العلوم الاسلامية ، وتمكنوا فى اللغة العربية ، حتى اصبحت الهند احدى المراكز الهامة للثقافــة الاسلاميــة ، وعرف علماؤها بشغفهم بالعلوم الدينية واللغة العربية ، وقد خرجت فطاحل العلماء الذين لهم صفحات مجيدة فى تاريخ خدمــة العلم والدين .

ونظرا للصلات الروحية والتاريخية الوثيقة بين مسلمي الهند وتاريخهم ، وبين اخوانهم العرب ، الذين كانوا طليعة الدعوة الاسلامية فى الهند،وحملة مشاعل النور والعرفان فى ربوعها ، نقــدم الى القراء الكرام بين الحين والآخر علما من اعلام الدعوة الاسلامية فى القارة الهندية، وذلك تعريفا بالدعوة الاسلاميةوتطوراتها فى هذه البلاد المترامية الاطراف ، وتنويها بجهود دعاتها المخلصين ، ومساعيهــم المتواصلة لاعلاء كلمــة الحق فى مجتمع ملىء بانواع من الخرافات والترهات ، بقلوب حازمة ونفوس متفانية فى سبيل ربها . وحديثنا الآن عن عالم عظيم لقب بمجدد الالف الثاني من الهجرة .

نشأتــه

نشأ الشيخ احمــد بن عبد الاحــد الفاروقي السرهندى ،فى الربع الأخير من القــرن العاشر للهجــرة فى أيام حكــم الأمبراطورالمسلم المغولي العظيم «اكبر» ، ولقب الشيخ احمد بلقب السرهندى ، نسبة الى بلده « سرهند » الواقعة بين دلهي عاصمة الهند الحديثة ، وبنجاب . وكان الشيخ منذ طفولتهمكبا علىتحصيل العلوم الدينيــة مــن المنابع القرآنيــة والنبوية ، حتى تهذبت نفسه وتفتحت عيناه علىما صارت اليهالدعوةالاسلامية فى الهند منانحطاط وتقهقر بسبب انهماك الحكــام المســلمين فى توطيد ملكهــم ، وانفاق الاموال فى الترف والبذخ ولذائذ العيش ، وتسرب الوهن والضعف الى صفوف علماء الدين ، فتداركت هذه الحالة رحمة من رب العباد ، اذ قيض لها هذا الامام المجاهد العالم الصوفي ، فشمــر عن أذيالــه لتهــذيب نفوس المسلمين ومقاومة الفتن ، ونشر تعاليم الدين الحنيف .

جهاده

ونستطيـع ان نشير الى ثلاث نواح هامةمنجهاد الشيخ السرهندىوسعيه.

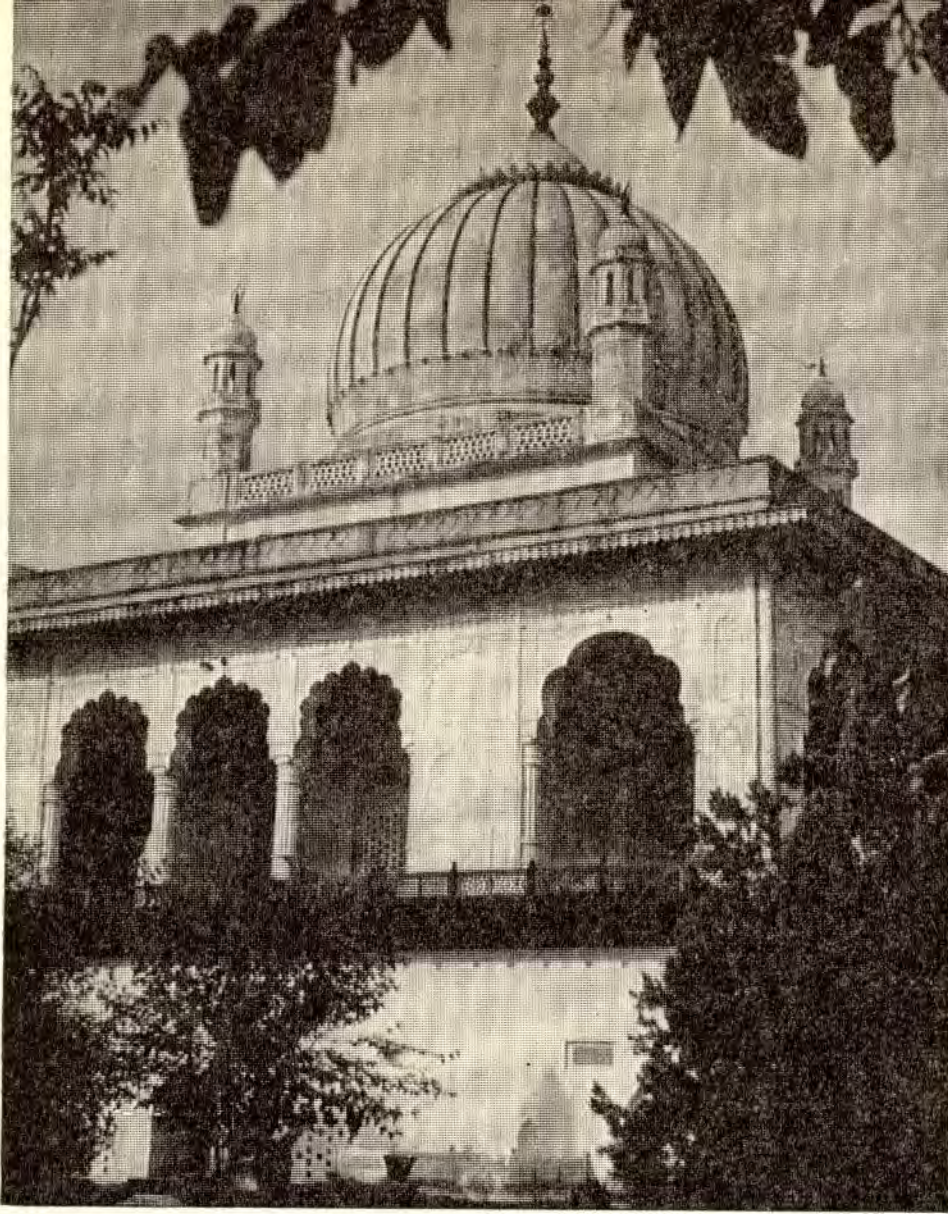
أولا : فقد فهم بثاقبفكره وواسع اطلاعه ان المسئولية الاولى فى سبيل نشر التعاليم الاسلاميــة الحقــة والمبادىء القرآنية الخالصة ، تقع على عواتق علماء المسلمين ، كما أن تبعات النكبات التي يصاب بها المسلمون منذلة وهوان ترجع فيمــا ترجع الى علمــاء السوء الذين يتهافتون على حطام الدنيا الدنيئــة ، مصداقا لقوله عليه الصــلاة والسلام (صنفان من امتي اذا صلحا صلح الناس كلهم ، واذا فسدا فسد الناس كلهم . العلماء والأمراء) فجاهد جهادا مشكورا للكشف عن بدع وأباطيل علماء السوء ووقف قلمه للرد على ما ابتدعوه ونسبوه الى الدين الحنيف جهلا أو اهمالا .

ثانيا : ـ قــام الشيخ السرهنــدى بخــدمات جليلة وجهــود مشكورة فى سبيل اصلاح الأمراء والحكام الذين فى أيديهم شئون الحكومة ، ويتصرفون فى امور الأمة وكان يقول دائما فى خطبه وعظاته ورسائله ومقالاته « الناس على دين ملوكهم فاذا صلحوا صلحت البلاد والمجتمع،والا فسد المجتمعبحذافيره» . ولهذا كان يوجه اهتمامه الخاص نحو اسداء النصائح لحكام البلاد والمتصرفين فى شؤون الامة ، ونجحت مساعيه نجاحا باهرا ، وأثمرت شجرة جهاده ، فآتت اكلها طيبة تسر قلوب المؤمنين .

ثالثا : بعد ان أدى الشيخ واجبه فى المهمتين السابقتين ، وجه اهتمامه البالغ الى محاربة البدع والمنكرات ، وابطال العقائد الفاسدة، ونقض اقاويل اصحاب الخرافات،وترى كتبه ورسائله مشحونة بالبحوث القيمة فى بيان تعاليم الاسلام نقية من شوائب الشبهات ، وواضحة بحيث يسهل فهمها لكل من شرح الله صدره للاسلام .

ومن اهم الجماعات المسلمة التي قام الشيخ السرهنــدى بالرد على بدعهــا واباطيلها طائفة من الصوفية الذين تأثروا بفلسفة البراهمة والأفكار الاخرى غير الاسلامية ، حتى اصبحوا يهربون وراء العقائد الباطلة ، والمزاعم الفلسفية،وقلما يهتمون باحكام الشريعةوأوامرها . وكان كل اعتمادهم على الاخبار والاقاصيص التي يحكيها شيوخهم ، ولو كانت لا تمت الى التعاليم القرآنية بصلة ، ورد الشيخ على فكرة وحــدة الوجــود والحلــول والاتحاد وغيرها مما يقول به اولئكالذين يتسمون بسمة الصوفية فى عصره .

وكان الشيخ السرهندى من انصار التصوف الاسلامي الخالص الذى ترجع اصوله الى المنابع القرآنيــة والنبوية ، وقد نشأت بعده طريقةصوفية منسوبة اليه،ومعروفة باسم «الطريقة المجددية» وكانت ابعد الطرق الصوفية عن البدع والخرافات فى اول الأمر ، ثم لم تلبث ان تطرقاليها الغلو بأيدى القائلين بالكرامات الخارقــة للعادات ، وعزوا الى الشيخ اعمالا واقوالا وهو منها برىء . ويوجد اتباع عديدون للطريقة المجددية فى كلمن الهند والباكستان وافغانستان .



ضريح المغفور له الشيخ احمـــد الســرهندي بمدينــة سرهند بالهند

وقد أشرنا مــن قبل الى ان نشأة الشيخ كانت فى ايام حكم الامبراطور المغولي« اكبر » . وقد تبوأ «أكبر» عرش الملك سنة ٩٦٤ للهجرة واستمر حكمه لمدة خمسين عاما الى ان وافاه الاجل المحتوم سنة ١٠١٤ هـ ، وتضاربت آراء المؤرخين المسلمين وغيرهم فى نظرة هذا الملك الى الاسلام ، فمنهــم من يدافــع عنه وعن أعمالــه ، ومنهــم مــن ينكر تصرفاتــه واعماله مــن وجهــة نظــر الاسلام (١) ، وفى مقدمة اعماله التي يعتبرها ناقدوه جريمة شنعاء فى حق الاسلام .

١ ـ اعلانه دينه الجديد باسم «الدين الالهي » المبني على مقتبسات من التعاليم الاسلامية ، ومن المراســم الهندوكيــة وجعل شعاره « الله اكبر » «٢»

٢ ـ تخلقه بأخلاق الوثنيين وعاداتهم وتقاليدهم فى ملابسه وطرق معيشته ، ادعاء منه بأن هذه الطريقة تقربه الى قلوب أهالي البــلاد ، وتوطد دعائــم امبراطوريته .

(١) انظر تقييما وافيا لعقيدة اكبر وموقفه من الاسلام فى نظر المؤرخين فى كتاب « تاريخ الاسلام فى الهند » للاستاذ عبد المنعم النمر من صفحة ٢١٦ ـ ٢٢٣ . وسترى كيف كان فرح اعداء الاسلام بتصرفات هذا الملك ودفاعهم عنه .

(٢) لا بالمعنى المفهوم لدى جميع المسلمين ولكــن بتحريف يناسب اسم هذا الملك « اكبر » .

٣ ــ تزوجه من بنات الملوك الهنادكة مع بقائهن على عقائدهن الوثنية،وادائهن شعائر ديانتهن فى القصر الملكي ، وتخصيصه لهن غرف العبادة الوثنية فى قصره .

٤ ــ استبداله بالتقويم الهجرى تقويما جديدا يبتدىء بتاريخ جلوسه على العرش ، باسم « التقويم الالهي » .

الفتنة الاكبرية

وقام جمهور من العلماء والفقهاء فى وجه هذا التيار الجارف ، وقاوموا هذه البدع والمنكرات باعتبار أن الاسلام لا يقرها وانها خرق لتعاليمه البينة ، ولكن لم يثبت بعض العلماء أمام جبروت سلطانه القاهر ، ولم يستنكروا صنيعه هذا، بل أقروه عليه وقدموا عريضة اليه باللغة الفارسية تخوله الحق فى ان يشرع من القانون ما يشاء ويضع من الاحكام ما يريد . ولما رأى الشيخ السرهندى المجاهد هذه الفتنة الكبرى وأدرك ان هذه المحنة لا يثبت فيها الا الصابرون والمصابرون ، وقف موقفا مجيدا أمام هذه المحنة الشاقة واعتبرها بلاء مبينا ، ونزل فى ميدان الجهاد المزدوج ضد طغيان الملك ودعوته الضالة وفى وجه علماء السوء(١) الذين لم يتحرجوا من اقراره على ضلالته .

وكان الشيخ بمثابة فجر انبثق عند اشتداد الظلام وصبح مشرق انبلج عند ازدياد الحلكة ، كما جرت سنة الله فى خلقه ، وبدأ ظلام الباطل ينقشع امام نور الحق وشمس الهداية . وكان شأنه شأن القابض على الجمر فوقف الرجل المجاهد فى وجه هذا الطغيان وحزبه بقلب حازم وعقل واع . وايمان راسخ ، وكلمة الحق رائده ونور الهداية قائده ومجد الاسلام بغيته .

واستمرت الفتنة الاكبرية ــ ان صح هذا التعبير ــ من اواخر القرن العاشر الى منتصف القرن الحادى عشر للهجرة . وبعد ان تولى الملك ابنه « جهانكير » فى سنة ١٠١٤ هـ اشتدت هذه الفتنة وصار عدد من كبار العلماء والفقهاء عرضة للاضطهاد حتى امر الملك « جهانكير » بزج الشيخ السرهندى فى السجن، فوضع فى سجن بمدينة « كواليار » فى الهند الوسطى ، وقد كانت هذه الحادثة نقطة تحول فى تاريخ الدعوة الاسلامية فى الهند . اذ لم يمض الا أيام قلائل على دخوله السجن حتى صار شعلة يستضيء منها الجناة والعصاة داخل السجن ، فهداهم الله على يديه وصاروا يأتمرون بأوامر الشيخ ، ويصلون ويدعون الله للمغفرة ، وتابوا توبة نصوحا ، ورجعوا الى الحق حتى صار السجن كله مظهرا لعبادة الله والأخلاق الفاضلة ، سواء منهم المسلمون او غيرهم . فلما علم مدير السجن هذا التحول العجيب الذى حدث فى السجناء

(١) كان زعيمهم ابو الفيض واخوه الفضل الناقوري وكان العلماء يرمونهما بالزندقة والالحاد .
« الوعي »

بفضل هذا الشيخ الوقور،كتب الى الملك عن تفاصيل هذا الحدث الخطير ، وقال فى رسالته المرفوعة الى جلالته ان الشيخ السرهندى لم يعد نقمة على الدولة ولا على الملك بل هو نعمة من الله ، فلا يصح ان يزج بأمثاله فى غياهب السجون ، اذ لا تجود الأيام بمثله الا قليلا ولذلك ارجو من جلالتكم السماح باطلاق سراحه .

ولما اطلع الملك جهانكير على رسالة مدير السجن ، وعلم حقيقة الشيخ اصدر امره للافراج عنه فورا ، وارساله الى البلاط الملكي بكل تقدير واحترام . وعندما قرب موكب الشيخ الى العاصمة الملكية أرسل جهانكير ابنه وولي عهده شاهجهان للترحيب بمقدم الشيخ ورفقائه بكل حفاوة وتكريم فنزل معززا مكرما فى ضيافة « جهانكير » فى القصر الملكي .

وقد جرت العادة المتبعة فى تلك الأيام ان يسجد الناس امام الملك حينما يحضرون الى مجلسه ولكن الشيخ الجليل حضر الى الملك ، وسلم عليه وعلى حاشيته بتحية الاسلام ولم يسجد له بل ولم ينحن امامه .

وكان من البوادر الطيبة من الملك ان عرض عليه الاقامة فى قصره لكي يتسنى له ان ينتفع بنصائحه ويتبرك بمجلسه ، فبقي الشيخ اياما فى القصر يسدى الى الملك ووزرائه وحاشيته مواعظه البالغة ونصائحه القيمة ، فكان من نتائج مساعيه الجميلة ان تفضل الملك بنفسه باصدار المراسم الملكية بالغاء كثير من البدع والمنكرات التي سادت البلاد ، ومنها ما ابتدعها ابوه نفسه او ما أقره هو .

وبفضل جهود الشيخ اصدر «جهانكير» امرا بتحريم السجود امام الملك تعظيما له ، وكذلك أبطل جميع القوانين المعارضة للتعاليم الاسلامية ، وعين قضاة مسلمين فى كل بلدة ، كما أنه اذن بذبح البقر الذى قد منعه ابوه « اكبر » ارضاء لعواطف الهندوس ، فحصلت بهذا التحول المبارك نهضة جديدة ، ويقظة شاملة فى المجتمع الاسلامي فى الهند ، وخطت الدعوة الاسلامية خطوة موفقة الى الامام ، واستبشرت به قلوب المؤمنين وفاضت فيوض هذا الشيخ العالم المصلح على المسلمين فى طول البلاد وعرضها .

وفاته

وواصل الشيخ السرهندى المجاهد دعوته بين جميع طبقات الامة واتباعه ومريديه ، وكان يكاتب الامراء والرؤساء فى المصالح الحكومية والجيش ، يدعوهم الى اتباع الحق ورفع كلمته ، ويحارب البدع والمنكرات فى كل مكان الى ان كللت مساعيه المشكورة بنجاح منقطع النظير ، وظهرت آثار دعوته فى أرجاء البلاد . وتوفي الشيخ احمد بن عبد الاحد الفاروقي السرهندى سنة ١٠٣٤ هـ . فى اواخر حكم « جهانكير » ابن اكبر . وقد ذاع صيته فى الآفاق بلقب « مجدد الالف الثاني » . ودفن جثمانه الطاهر فى مدينة « سرهند » ، ومازال قبره هناك مزارا للناس .

سقى الله ثراه ، وأفاض عليه من فيوض رحمته على ما قدمه من صفحات مجيدة فى تاريخ الاسلام فى الهند .

بأقلام القراء

لا بد من اتباع محمد

تلقينا من الاستاذ عبد الله عقيل الديك ـ من الاردن مقالا تحت هذا العنوان عرض فيه للثورة الدينية والفكرية والاجتماعية التي احدثها الاسلام فى العرب خاصة والانسانية عامة بأسلوب سهل ممتع نقتطف منه ما يلي : ـ

وكم يطرب الانسان حينما يرى أن رسالة الاسلام لم تهمل شيئا يعود على البشر بالخير الا طرقته . ولقد استمدت تشريعها من طبائع البشر.نحتت من ذلك ما يضع حدا للشرور ويقوى عمل الخير . والله سبحانه وتعالى وهو المثل الاعلى تحمل صفاته القدسية كل وسائل الاغراء ليعمل البشر على مثالها فهو رب العزة اذن يدعونا لان نكون أعزة فلماذا نحن أذلاء ؟ .... وهو المؤمن ويجب أن نكون مؤمنين فلماذا نحن قليلو الايمان ؟ .. وهو المهيمن ويجب أن نهيمن فلماذا يهيمن علينا ؟ .. وهو الجبار ويجب أن نكون جبارين على الجبارين فلماذا يتجبر غيرنا علينا ؟ ... وهو غنى ويجب أن نكون أغنياء فلماذا نحن فقراء ولماذا ندعو الى الزهد ونهيم به ؟ ... وليس في أسماء الله الحسنى ما يشعر بالضعف والفقر أو يدعو اليهما . بل كلها تشير الى القوة والعزة والغنى . وهى جميعا خير مشجع لبناء اسمى شخصيات الامم . ومنها يجب ان نستمد ذخيرتنا للنهوض والتطلع للسمو الالهى ... ولذلك علينا أن نعتبر كل فكر يدعو للفقر والقناعة والزهد غير صادر عن الفكر الاسلامي ويتنافى مع سمو رسالته .... واتسمت رسالة الاسلام بطابع الحرية الفكرية التي أسبغت على المعمور جوا جميلا من التسامح الديني بلغ حدا لا يخطر على بال الانسان . حتى ان الفيلسوف النصرانى الكندى بعث برسالة لابن عم الخليفة يدعوه فيها للتنصر دون أن يخشى على حياته منه أو من الخليفة .. ولقد شجع الرسول عليه الصلاة والسلام اصحابه على أن يجهروا بآرائهم وشكوكهم .. وحارب التفرقة ودعا الى الالفة والاتحاد . وندد بالخلافات والطوائف المختلفة . ودعا الى البر والاحسان والعدل والانصاف ومساواة الناس أمام القانون . ومحاربة الفقر . ويصعب على المدقق أن يجد فكرا من الافكار العالمية التي سادت بعده أو تسود الآن العالم الا ويجد له جذورا في الرسالة المحمدية . وما عهد النهضة الاوروبية ومبادىء النهضة الفرنسة والانظمة البرلمانية والاتجاهات التعاونية والنهضات العالمية الا صدى لفلسفة نشوء الاسلام ونمو طبيعى لشعار رسالة «اقرأ»

سيد الشهداء/الحسين بن علي رضى الله عنه

وبعث الاستاذ محمد اسماعيل العيسوى ـ المدرس بمدرسة التجارة الثانوية للبنات بالاسكندرية ـ بقصيدة تحت هذا العنوان نقتطف منها

أحسين يا سبط النبى محمد ... وابن البتول وسيدا من سيد
ذكراك للتاريخ مجد خالد ... بل شعلة يسعى اليها المهتدى
كانت حياتك صفحة وضاءة ... وسجل فضل من سطوع المولد
أو ليس جدك يا حسين محمد ؟ ... فأتيت للدنيا عظيم المحتد
وتوسم الجد الكريم حصافة ... قد زانها زين الشباب الامجد
فأحبك المختار حب بنوة ... فنشأت عفا طاهرا لم تعتد
فى ذمة الديان نفس جاهدت ... فى جرأة وبساطة وتجلد
حتى التقى بالله جل جلاله ... فى جنة الفردوس مأوى السجد

هل آن للجيل الطيب أن ينقرض

وتلقينا كلمة تحت هذا العنوان للاستاذ عبد الله خليل شبيب ناظر مدرسة الصديق الثانوية برأس الخيمة نقتطف منها ما يلي :

يخيل لكل أولئك الضالين المضللين أعداء الاسلام ان هذا الجيل الطيب الذي يعرف ربه ويعمل لدينه ويمت بأقوى الاسباب الى تاريخه وامجاده يخيل لاولئك ان هؤلاء الى انقراض ، ولسان حالهم يقول : ما هؤلاء الا كهول وعجائز طيبون الى درجة الغفلة متداعون الى درجة الانهدام ، فقراء ـ غالبا ـ الى درجة العدم ، قليلون ـ فى بعض الاماكن والاحيان ـ الى درجة الانعدام ، كهول قربوا من الشيخوخة، وناءوا بما يحملون من أعباء ، أو شيوخ حنى ظهورهم الزمن وأخنى عليهم الدهر وهم يدبون الى قبورهم دبيبا ، وقد خلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فلقوا غيا ، فكانوا تماما كما أراد لهم أئمة الضلالة تلاميذ نجباء لابليس وجنوده من الجن والانس ، نسوا تاريخهم ودينهم ، وداسوا أمجادهم ومفاخرهم ، وهزأوا بفضائل آبائهم ، واستهانوا بمنبع مجدهم ومصدر عزتهم فى ماضيهم ـ بقرآنهم المجيد ، واتخذوه وراءهم ظهريا وسقطت أخلاقهم وتدنت هممهم فأولعوابالتافه من القول والعمل ، ونسوا الله فأنساهم أنفسهم والبسوا كل ذلك أثوابا مبرقشة من التقدمية ونحوها من نغمة أصبحت مملولة مكرورة ، واتخذوا لذلك شعارات زائفة لا تتعدى الحناجر ، يضحكون بها على أنفسهم قبل أن يضحكوا على الناس أو على رب الناس ـ تعالى ـ (يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون الا انفسهم وما يشعرون . في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا ولهم عذاب اليم بما كانوا يكذبون ، واذا قيل لهم لا تفسدوا فى الارض قالوا انما نحن مصلحون ، الا انهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون) . هؤلاء هم جند الشيطان ممن احتنكهم من ذرية آدم ، وكل منهم ـ من بعد ـ جندى عامل في جيش أعداء الاسلام من الصهيونيين والاستعماريين والضلاليين ، يطعن امته في ظهرها بخنجر مسموم ويمهد لعبوديتها وعبوديته معها لعدوه الالد . ولكن هل صحيح ان الجيل الطيب الى انقراض وان كل خلفه ضالون ؟ نترك جواب هذا السؤال الى الضمير الاسلامي فى أمة الاسلام ، وللمساجد التي تغص بالرعيل بعد الرعيل ، وللوعي الثاقب فى افكار شبيبة الاسلام شرقا وغربا (انهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى) (والله غالب على امره ، ولكن آكثر الناس لا يعلمون) .

اعرف وطنك

الإسلام والإستعمار في عالم الملايو "١"

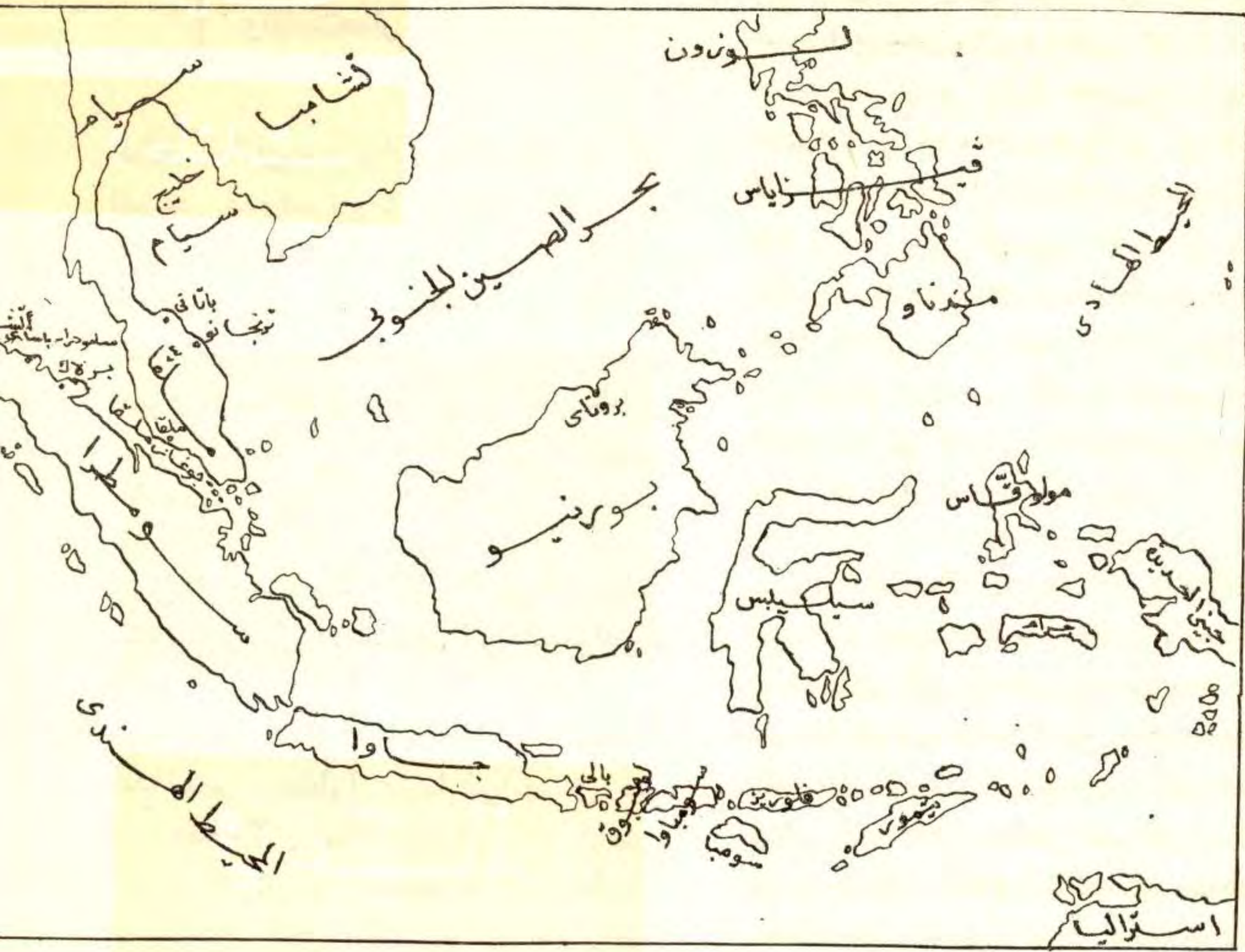
للدكتور
محمد عبد الرءوف
مدير المؤسسة الاسلامية فى نيويورك

كانت المنتجات الزراعيــة التي تجلب من أرخبيل الملايو هامة للغايــة لبــلاد أوروبا وبخاصة التوابل التي كانت أوروبا تســتخدمها فى حفظ اللحــوم ، وكانت التجارة فى هذه البضائع تمر فى طريقها الى أوروبا ببلاد الشرق الاوسط الاسلامي ، اما عن طــريق البحــر الاحمــر فمصر فالبحر الابيض المتوسط أو عن طريــق الخليج العربي ثم تنقل برا الى أوروبا ، وفى عــام ١٤٩٨ م أفلــح الاوروبيون فى كشف طريق آخر الى الشرق وهو طريق رأس الرجاء الصالح .

ولما وصل الاوروبيون الى بلاد الشرق من الطريــق الجديد وجدوا العــــرب مسيطرين على التجارة هناك فحسدوهم على ما لهم من مكانة مادية وأدبية ، وعملوا جهدهم على أن يسلبوهم ما فى يدهــم وعلى أن يحلوا محلهم عن طريق القوة أو السلام ، فأقاموا لأنفسهم محطــات تجارية على طريق الهند بالمحيط الهندى وبدأوا يستعمرون الهند وما وراءها .

ولقد شاءت الاقدار أن يكون السبق لسكان شــبه جزيــرة ((ايبيريا)) مــن البرتغال وأسبانيا حيث كان الاســـلام دولة مجيدة زاهرة ، ثم دالت قبـــل اكتشاف طريق رأس الرجاء الصالح بعد حروب طويلة طاحنة بــين المســـلمين والمسيحيين ، تركت فى النفوس ضغائن وأحقادا وفى القلوب جراحا وآلاما ، لم تكن قد ضمدت بعد عندما بدأ البرتغاليون

يريد الكاتب بعالم الملايو شبه الجزيرة المعروفة الآن بالملايو ومــا يليها شرقا وجنوبا من جــزر تشمل سنغافورة واندونيسيا والفلبين الــخ .. وقد سبق نشر مقالين عن عالم الملايو للكاتب الفاضل فى العددين الاول والرابع من السنة الاولى .



خريطة عالم الملايو

والاسبان يجوبون ربوع الشرق الاسلامي ويستعمرون البلاد ويذلون العباد ، فنقلوا كراهيتهم لمسلمي الشرق الاوسط الى اخوانهم فى الشرق الاقصى فعذبوهم واضهدوهم حين وجدوهم لا يرحمون طفلا بريئا ولا أما شفوقة ولا شيخا ضعيفا ، حتى انهم لم يرعووا عن اشعال النيران فى سفن الحجاج المسالمة واغراقها بمن فيها من نساء وشيوخ وولدان ، وان أحداث هذا الفجور والطغيان ومساءات المسلمين على أيدى هؤلاء مما يشيب له الوليد مما لا يتسع لتفاصيله المقام ، فلنكتف بهذه الاشارة ، ولنعد الى قصة الاستعمار والمستعمرين بأرخبيل الملايو .

وصل الاسطول البرتغالي الى مياه « ملكا » على الساحل الغربي لشبه جزيرة الملايو عام ١٥٠٩ م ، وبدأ البرتغاليون يتحرشون بسلطان « ملكا » ثم ضربوا المدينة وسلطوا عليها مدافعهم ونيرانهم ، ودافع المسلمون عن بلادهم دفاعا مجيدا ، غير أن من كان بالمدينة من غير المسلمين من أجانب هنود أو نحوهم ائتمروا مع العدو ضد صالح البلاد التي أكرمتهم واستضافتهم وأثروا عن طريق خيراتها ، فاستطاع البرتغاليون أن يقتحموا المدينة ويستولوا عليها فى اغسطس عام ١٥١١ م . وسمحوا للقادرين من الدخلاء أن يخرجوا من

البلاد سالمين بتجاراتهم وأموالهم مكافأة لهم على غدرهم ، وما أن خلت البلاد منهم حتى صدرت الاوامر بقتل كل من بالمدينة بلا استثناء والاستيلاء على أملاكهم واموالهم ، كما صدرت الاوامر بهدم جميع المساجد وهدم قبور السلاطين ليبني المستعمرون من أنقاضها كنائسهم وقلاعهم .

وبعد سقوط ملكا لأقل من عشر سنوات وصل الاسبان الى شواطىء الجزر التي أطلقوا عليها « الفيلبين » تيمنا باسم ملكهم « فيليب » ، فضربوها بمدافعهم وسلطوا عليها نيرانهم فى غير ما شفقة ولا رحمة ، وأكرهوا الناس على اعتناق المسيحية فسقطت السلطنات الاسلامية بالجزر الشمالية بعد دفاع مجيد ، وكان من بين من استشهدوا « الملك سليمان » الذى كانت سلطنته تقع فى مكان « مانيلا » عاصمة الفيلبين الحالية ، لكن المسلمين فى جزيرة منراو ، وأرخبيل ، وصولو صمدوا للعدو ولم يبالوا به رغم تفوقه العظيم فى السلاح ، ورغم استخدامه ضدهم بني جلدتهم ممن سقط فى أيديهم وانضم اليهم ، مما سبب أحقادا لا تزال آثارها باقية الى الآن ، وظل هؤلاء المسلمون المكافحون محتفظين بسيادتهم واستقلالهم رغم ما عانوا من بؤس وفقر وموت وشقاء طوال القرن السادس عشر وما بعده ، حتى طرد الاسبان من البلاد على يد الامريكان فى نهاية القرن التاسع عشر .

أما الهولنديون فقد بدأ نشاطهم بأرخبيل الملايو فى نهاية القرن السادس عشر ، بعد أن استقلت هولندا عن اسبانيا وشرعوا ينافسون غيرهم فى تجارة الشرق بنجاح وتفوق ، وأنشأوا لأنفسهم محطات تجارية فى جزيرة جاوا وغيرها من الجزر التي تكون الآن أندونيسيا ، كما تعاونوا ضد البرتغاليين مع سلطنة جوهور فى جنوب الملايو التي قامت على أنقاض ملكا ، ثم انتهى النزاع بانتصار الهولنديين واستيلائهم على ملكا بعد أن طردوا البرتغاليين منها عام ١٦٤١ م ، وبذلك أصبح الهولنديون سادة الموقف حتى ظهر الانجليز فى الميدان ، فاستولوا على جزيرة « بناتج » فى الشمال الغربي لشبه جزيرة الملايو فى عام ١٧٨٦ ثم على جزيرة سنغافورة عام ١٨١٩ م ، وظلوا يناوئون الهولنديين هنا وهناك حتى عقد الطرفان معاهدة بلندن عام ١٨٢٤ أطلقت يد هولندا بمقتضاها فى جميع جزر أندونيسيا ، كما سلمت لبريطانيا « ملكا » فكونت منها ومن بناتج وسنغافورة مستعمرة أسمتها « مستعمرة المضايق البريطانية » ، كما أطلق نفوذها فى الساحل الغربي لجزيرة بورنيو الشاسعة فقسمته الى أقسام ثلاثة : الجزء الشمالي ، شمال بورنيو الانجليزي ، والجزء الجنوبي وأسمته « سرواك » وما بينهما يسمى «بروناى» .

ولا يفوتنا أن نذكر أنه أيام مجد الدولة «ملكا» كان سائر شبه جزيرة الملايو تابعا لها ، رغم خصومة سيام ومحاولاتها التعدى على حدودها ، وكان امبراطور الصين يناصر « ملكا » فى خصومتها مع سيام ، فلما سقطت «ملكا» على أيدى البرتغاليين مدت سيام نفوذها على الكثير من شبه الجزيرة ، ولكن كان سلطان سيام على

بلاد الملايو يتأرجح على مر السنين ، فكانت أحيانا تفرض سلطانها كاملا عليها ، وأحيانا يضعف سلطانها فيبقى رمزيا يتمثل فى هدية سنوية يقدمها سلاطين البلاد اليها ، وهكذا بقي الحال بعد المعاهدة الهولندية البريطانية التي أشرنا اليها حتى عام ١٩٠٩ م ، حيث عقدت معاهدة بين سيام وبريطانيا ضمت سيام بمقتضاها أربع ولايات ملايوية اسلامية داخل حدودها،وأطلقت يد بريطانية فى سائر شبه جزيرة الملايو، وقد حددت هذه المعاهدة حدود اتحاد الملايو الشمالية حتى الآن .

وفى عام ١٩٤٥ م استقلت أندونيسيا كما استقلت الفيلبين فى العام الذى يليه ، وفى أغسطس ١٩٥٧ م استقل اتحاد الملايو ، وفىعام ١٩٦٣ دخلتسنغافورة(١) وسراواك وبورنيو الشمالية فى اتحاد مع اتحاد الملايو تحت اسم « ملايزيا » .

وبقيت « بروناى » محمية بريطانية ، وهكذا ينقسم أرخبيل الملايو حاليا الى وحدات سياسية أربعة هي : **أندونيسيا** وبها نحو تسعين مليون نسمة من المسلمين . **والفيلبين** : والمسلمون بها أقلية . يقال أن عددهم ثلاثة ملايين نسمة ، **واتحاد ملايزيا** ويبلغ سكانه نحو عشرة ملايين نسمة من بينهم نحو أربعة ملايين من المسلمين ، والباقي مهاجرون من الصين والهند أو قبائل بدائية تتبع أديانا وثنية مختلفة ، وأخيرا تأتى سلطنة بروناى وهي دولة صغيرة عليها سلطان من أصل عربي وترجع أهميتها لغناها بآبار البترول رغم صغر مساحتها .

هذا موجز قصير لتاريخ الاستعمار بأرخبيل الملايو ، والذى يعنينا هو ما خلفه الاستعمار من آثار على الاسلام والمسلمين هناك ، وأول ما يلفت النظر ان الاستعمار فوت على المسلمين فى الشرق فرصة الاتحاد فيما بينهم ، فقبيل ظهور المستعمرين هناك كانت البشائر تدل على اتجاه نحو الوحدة لتقوم على اساسها امبراطورية اسلامية عظيمة لكن الاستعمار فرق مجموعة المسلمين ومزقها ، وجعلها وحدات سياسية منفصلة كما شاهدنا ، رغم انهم شعب واحد دما ولغة ودينا ، بل قد بذر الاستعمار بذور الفتنة والبغضاء بينهم ، مما نسمع عن بعض آثاره الآن من خصومة خطيرة بين أندونيسيا وملايزيا .

ولقد أضعف الاستعمار الصلة بين المسلمين فى أرخبيل الملايو واخوانهم من مسلمي الشرق الاوسط لما يزيد عن أربعة قرون ، واستطاع بطغيانه وبطشه، أن يجعل المسلمين أقلية فى الفيلبين ، وتركهم فريسة للجهل والفقر والتعاسة، كما أدخل فى حدود دولة بوذية ((سيام)) أربع ولايات اسلامية ، يقال ان تعداد سكانها الآن يقرب من ثلاثة ملايين نسمة، ويعتبرون هناك أقلية مغلوبة على أمرها حتى أن الواحد منهم ليسمى باسمين ، احدهما اسم رسمي بوذي والآخر اسلامي يعرف به سرا لدى ذويه ، وينادى به فى المناسبات الدينية كالتلقين عند الموت .

ومن أخطر آثار الاستعمار خلط الدين بالعادة ، وذلك ان المستعمرين

(١) ثم انفصلت سنغافورة عن الاتحاد منذ شهور .

ارادوا أن يصدوا الناس عــن مبادىء الاسلام بالمغالاة فى تمجيد العادات التي ورثوها عن أجدادهم وأسلافهم، وأدخلوا فى روعهم أن لها قداسة حيث انها تمثل تراث أسلافهم ، وكأن مبادىء الاســلام دخيلة أجنبية جلبها الاجانب من العرب، وكانت محــاولات الهولنديــين فى هذا الصدد واضحة ، واستخدموا فى ذلــك رؤساء القبائل والعشائر التى لم تكــن قد دخلت حظيرة الاسلام بعد .

أما الانجليز فقد كانت طريقتهم أدق وأخفى ، فقد نصوا فى المعاهدات التــي عقدوها مع سلاطين الملايو على أن يعيش فى كل سلطنة مستشار انجليزي ، وأن على السلطان اتباع مشورته فى جميــع امور الدولة ، ما عدا ما يتصل بالديــن والعادات الملايوية ، وبذلك تجنبوا خطر اثــارة العواطف الدينية ضــدهم مــن ناحية ، ولكنهم فى الوقت نفسه رفعوا من شأن العادة التي اكتسبت تدريجيا أهمية وقداسة تضارع ما للدين ومبادئه، حتى أنه أسست فى كل سلطنة بالملايو ادارة حكوميــة يطلــق عليهــا « ادارة الشؤون الدينية والعادات الملايويــة » وحتى ليكاد يخيل للكثير أن مجموع ما خلفه الآباء : دينا كان او عادة وحدة غير متميزة . قل كله عادة ، أو كلــه دين . كما عمل الاستعمار ما استطاع ، ويعمل ما يستطيع نحو ايهام البعض أن اسلام القوم اسلام خاص بهم ، اسلام ملايوى ، كما أن هناك اسلاماعربيا ، وآخر صينيا، وهكذا يهدفون بذلك الى الهدم والتفريق وبلبلة الافكار .

على أن فجور المستعمرين وقسوتهم وحربهم الصارخ ضد الاسلام لم يفلح فى محو الاسلام ، بل بقي الاســلام على رغمهم ، وقد طردوا من البلاد ، وظــل الاســلام دين عشرات الملايين ، وديــن الدولة فى ملايزيا وبروناى،ودين الاغلبية العظمى فى أندونيسيا ، على أن قسوتهم كانت سببا فى انتصارات للاسلام كدين ــ حيث أدت الى عكس مــا يريدون . ففظاعة البرتغاليين فى الملايو ضــاعفت حماسة الملايويين لدينهم ، وزادتهــم استمساكا به ، وشجعت من كان مترددا فبادر باعتناق الدين الحنيف ، لما رأى من سماحته ووحشية أعدائه ، حتى انك لا تكاد ترى باتحاد الملايو ملايويا غــير مسلم ، وحتى أصبحت « كلمة » ملايوى تستعمل مرادفا لكلمة « مسلم » ومــن يسلم الآن من غير الملايويين لا يوصــف بأنه دخل فى الاسلام بل بأنه « ماســوق ملايو » أى دخل فى الملايوية ، يقصدون أنه اعتنق الاسلام .

وقد بدأت مدارس التبشير المسيحية تنتشربالبلاد فىظل الحكومات الاستعمارية فى القرن الماضي ، ولقيت منها غايــة التشجيع ، ولما بدأت هــذه الحكومات تهتم بانشاء المدارس ، لسبب او لآخر ، كانت مدارسها على نمط مدارس المبشرين وكان مدرسوها ومدرساتها من بينهم ، ولم تكن تحتوى برامجها على شيء عــن دين الاسلام ، الا تواريخ مبتورة مشوهة، وقد أقبل على هذه المدارس غير المسلمين من السكان ، لما تهيئــه لخريجيها مــن مستقبل وأعمال ، بينما ضن المسلمون بأولادهم حرصا على سلامة عقائدهم .

ولقد نتج عن ذلك شيئان : أحدهما

أن عشرات الآلاف من غير المسلمين اعتنقوا المسيحية في سهولة ويسر وأصبحوا أقرب ثقافة وأكثر ميلا نحو اتجاهات المستعمر، كما أن ذلك أحدث فجوة اجتماعية واقتصادية بين المسلمين وغير المسلمين من سكان البلاد ، فان هؤلاء الذين استفادوا من التعليم الغربي أصبحوا أحسن حالا فى شؤون الدنيا ملكوا زمام التجارة وكونوا الثروات الطائلة ، بينما كان حظ المسلمين ، وهم أبناء البلاد الاصليين جهلا وفقرا ومرضا .

ولما أدرك أولياء الامور المسلمون مغبة ذلك شرعوا يبعثون بأبنائهم الى هذه المدارس، لكنهم كانوا قد تخلفوا عن الركب لذا نجدهم فى كثير من الاحيان دون غيرهم نجاحا(١) ، لكنهم بحمد الله سائرون على الدرب، وصادف التوفيق غير قليل منهم غير أنه نشأ عن ذلك وجود طبقة مسلمة مثقفه ثقافة غربية ، تختلط فيها التقاليد الموروثة والقيم الغربية ، والمعلومات المشوهة عن الاسلام التي يزودهم بها الكتاب الغربي المغرض ، والأمل كبير أن تصلح الاحوال وتتحسن الامور فى المستقبل غير البعيد .

ولقد استقلت البلاد وأصبح السلطان ومقاليد الامور بيد حكومات وطنية اسلامية غيورة على صالح الشعب وتقاليده ، وقد كان من أول ما بادرت به هذه الحكومات توجيه العناية بشؤون الاسلام والمدارس الدينية والعربية ، وجعلت مادة الدين احدى مواد الدراسة فى مدارس الدولة ويدرس الاسلام وثقافته ولغته على مستوى جامعي ، مما يبشر بتكوين أجيال مهذبة فى القريب ان شاء الله ، ثقافتها ملتئمة منسجمة ، تجمع بين معرفة صحيحة بحاجة العصر ، وفهم مستنير للاسلام ومبادئه .

---

(١) هذا الموقف عينه وقفه مسلمو الهند من الاستعمار البريطاني ومدارسه وكانت النتائج مثل النتائج تقريبا فى الثروة والثقافة .. لكن الهند تميزت بانشاء جامعة عليكرة فنهضت بالمسلمين على نمط الثقافة الغربية بينما كانت هناك مدارس اسلامية أصيلة محافظة قامت بمهمتها ولا تزال تقوم بحفظ مبادىء الدين وسلامة التقاليد والمفاهيم الاسلامية . **« الوعى »**

الشباب المخدوع

شباب العرب يا زين الشباب
ويا أشبال آساد غضاب
أرى منكم فريقا حين يمشي
يحك بأنفه متن السحاب !
كليث الغاب في صلف وكبر
وليس لدى الكريهة ليث غاب !
تفنن في محاكات العذارى
وخالفهن في وضع النقاب !
ولا يخشى على شيء .. ويخشى
اذا ثار الغبار على الثياب !

محمود غنيم



بريد الوعي

يحمل البريد الى هذا الباب عشرات الرسائل يوميا من أرجاء العـالم العربي والاسلامي والاجنبي ، وما كان يدور بخلدنا ان تبلغ المجلة هذه الاقطار النائية فى هذه الفترة الوجيزة مـن حياتها . فتصل الى السنغال وجنوب السودان وتايلاند وواشنطون والنمسا والاتحاد السوفيتي ، وترد الرسائل من هذه البلاد ، بعضها يحمل أطيب التمنيات وبعضهـا يعرض بعض المشكلات ، والآخر يقدم مقترحات للنهوض بالمجلة .

وانا لنعتز بصداقة أصحاب هذه الرسائل ، ونشكرهم على تمنياتهم ونكرس جهودنا لدراسة مشكلاتهم ، ونعدهم بالاخذ بالنافع المفيد من مقترحاتهم ،وما كان لهذه المجلة ان تبلغ فى عامهـا الاول ما بلغت من الذيوع والانتشار لولا الوعى الناضج للجماهير المؤمنة ، وثقة القراء الغالية بها ، ولعله يتاح لهذا الباب مزيد من الصفحات حتى نتمكن من الاجابة على أكبر قدر ممكن من الرسائل التي ترد اليه .

ونظرا لشعور المجلة بانها لا تزال فى بداية الطريق ، ورغبتهـا الملحة فى اسراع الخطى نحو تحقيق الآمال المعقودةعليها ، بعثنا برسائل الى قادة الفكر فى العالم العربي والاسلامي نستوضحهم رأيهم فى المجلة ، ومقترحاتهم للنهوض بها .

وقد بدأت الردود تصل الينا حاملة آراء الكتاب ومقترحاتهم وبدأت ترد كذلك رسائل القراء عن الاستفتاء المنشور فى العدد الماضى . وستكون هذه المقترحات بعد استكمال ورودها موضـع دراسة وبحث عاملين على تنفيذ ما يمكن تنفيذه منها .

وبمناسبة عيد الاضحى المبارك ودخول المجلة عامها الثانى تلقينا رسائل كثيرة من القـراء تحمل أخلص التهانى وأطيب التمنيات ، ولا يسعنا الا شكرهم والتوجه الى العلى القدير أن يوفقنا لنصرة دينه .

جمال الدين الافغاني

تلقينا من السـيد بابكر عمـر بالسـودان رسـالة يطلب فيها الاجابة على مجموعـة من الاسئلة ونكتفي فى هذا العدد نظرا لكثرة المواد ، بالاجابة عن سؤاله عن السيد جمال الدين الافغاني .

انـا يا سيدي نذهب مذهب الذين يترجمون للشخصيات الكبيرة بسرد شىء من أقوالهم وفلسفتهم ، وسوق بعض الاحداث التي جرت لهم ، ونترك للقارىء بعد هذا أن يحكم عليهم أو لهم بما شاء .

١ : ـ سئل السيد جمال الدين عن تاريخ حياته فقال : قل لمن يسأل : ان العيان لا يحتاج الى ترجمان . قل له ما قال فلان عني (وفلان هذا عدو من أعدائه) انه متشرد ، أو أفاق ، وأي نفع لمن يذكر أنني ولدت عام ١٢٥٤ هـ وعمرت أكثر من نصف قرن ، واضطررت لترك بلادى ، وأكرهت على مبارحة الهند ، وأجبرت على الابتعاد عن مصر .

٢ : ـ وعاش جمال الدين عزبا لم يقترن فى حياته بامرأة ، وقد سئل هل تؤيد رأي ابي العلاء .

هذا ما جناه أبي علي وما جنيت على أحد

فقال : كلا . كيف يصح لعاقل أن يعتبر الزواج جناية ، وبه بقاء النوع واستكمال العمران ، ولكن عجزي عن القيام بواجبات الزوجية دفعني أن اتقى ذلك ببقائي عزبا .

٣ : ـ وسئل عن قلة ثيابه فقال : كنت أول عهدي استصحب جبة ثانية وسراويل ، ولكن لما توالى النفي صرت استثقل الجبة الثانية ، فأترك التي علي الى أن تخلق ، فاستبدل بها غيرها .

٤ : ـ وكان يهزأ بمبدأ « دارون » الذي يعنون له بـ (تنازع البقاء) فيقول : التنازع القائم الآن تنازع الفناء لا تنازع البقاء ، لانه تنازع على اشياء تفنى ، والمنتزع والمنازع والمنزوع منه سواء في المصير الى الفناء .

٥ : ـ وقيل له ما رأيك في العالم المتمدن فأجاب :

وما العالم المتمدن ؟ هل رأينا غير مدن كبيرة وأبنية شامخة وقصور مزخرفة ينسج فيها القطن والحرير بأصباغ كيماوية مختلفة ، ومعادن ومناجم ، واحتكار تجارات أتت لهم بثروات ، ثم هـل غير التفنن في اختراع المدافع المروعة ، والمدمرات والقذائف ، وباقي المخربات القاتلة للانسان تتبارى فيها تلك الامم الراقية المتمدنة اليوم .

٦ : ـ ومن فلسفته :

ـ الحقائق لا تزول بالاوهـام .

ـ صاحب الحاجة اذا لم ينطق بحاجته أولى بالخرس .

ـ اسراف الانسان في صحته أضر من اسرافه في ثروته .

ـ شر الازمنة أن يتبجح الجاهل ، ويسكت العالم .

ـ القوى من الشجر لا يعجل بالثمر .

ـ العلم قد يكون في الاحداث ، ولكن التجارب لا تكون الا في الشيوخ .

ردود قصيرة

السيد أبو عبد الله ـ الموصل

شكرا على الطرائف التي أهديتها للمجلة ، وشكرا مرة أخرى على بيان مصادرها وسننشرها في الاعداد التالية .

السيد ع.ص ـ غزة

قصتك « الايمان سلاح قوى » تصور الاثر الايجابي للايمـان في توجيه سلوك الفرد ، وقدرته على مواجهة المغريات والتحديات ونعتذر عن عدم النشر لضيق المجال .

الاستاذ ابراهيم محمد الامين ـ السودان

سنعمل على زيادة اعداد المجلة المرسلة الى السودان ، ونأسف لنفاد الاعـداد المطلوبة ، ونظرا لفقدان بعض الاعداد المرسلة بطريق البريد رأت ادارة المجلة عدم قبول الاشتراك فيها .

الاخ صلاح محمد علي ـ النجف الاشرف

أمير المؤمنين الامام علي كرم الله وجهه طراز فريد من الرجال وهو كما وصفت في مقالك لا تقف عظمته عند حد . وقد ألفت في مناقبه المجلدات الضخمة ، وهي مع ذلك لم توفه حقه من التبجيل والتعظيم ، ومن مخطط المجلة نشر الصفحات المطوية من تاريخ أبطال الاسلام . تمجيدا لهم ، وبعثا للتأسى بهم ، وسنتناول في الاعـداد القادمة السيرة الطاهرة لامير المؤمنين .

الاخ م.ح.م ـ عنيزة ـ القصيم بالسعودية

تحيتك الشعرية للمجلة مقبولة مشكورة ونعتذر عن عدم نشرها لعدم استقامة وزنهـا .

الموسم الثقافي الاول

* الاسلام وحل المشكلات الحديثة

* الشعر الحديث انحراف عن الاصالة العربية

* معنى الالتزام فى الادب

حديث مع الدكتور محمّد محمّد

نشرنا فى العدد السابق حديثا اجراه السيد محمد ابو غوش المحرر بالمجلة مع الدكتور عبد الكريم زيدان استاذالشريعة الاسلامية بجامعة بغداد ، أثناء زيارته للكويت للاشتراك فى الموسم الثقافىالاول الذي اقامته وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية . ووعدنا باستطلاع رأي بقية السادة المحاضرين فيما يواجه العالم الاسلامي اليوم من مشكلات .

والدكتور محمد محمد حسين استاذ الادب العربي الحديث فى جامعة الاسكندرية أحد السادة المحاضرينالذين استضافتهم الوزارة لهذا الغرض وهو من العلماء البارزين الذين وقفوا اقلامهم وألسنتهم على الدفاع عن الاسلام ، وقد القى محاضرتين فى الاسلام والحضارة الغربية .

وننشر فيما يلي الحديث الذي اجراه معه مندوبنا .



الدكتور المحاضر أثناء محاضرته فى دار الثقافة والتوجيه بالشامية عن « الاسلام والحضارة الغربية » .

حسين

تحقيق كتبه
محمد أبو غوش

كان أول سؤال وجهه للدكتور عن مدى صلاحية الاسلام كنظام لحل المشكلات التي تواجه العالم اليوم ؟ فقال :

الاسلام صالح لحل كل مشكلة طارئة . والذى يشك فى ذلك لحظة ليس مسلما . لان معنى شكه فى صلاحية الاسلام كنظام لحل المشكلات ــ وهو خاتم الرسالات ــ اعتقاده انه لا يستطيع ان يحيا حياة الناس وهو محتفظ باسلامه ، وان عليه ان يختار بين ان يحيا وبين ان يحتفظ باسلامه ، أو بعبارة اخرى يعتقد ان عليه ان يضحي باسلامه لكي يضمن الحياة العزيزة الكريمة .

وهذه المشكلات التي يتحدث الناس عنها بعضها فني يرجع فيه الى العلوم الكونية التي تتصل بمادة الكون وطبيعة الكائنات ، ولا حرج على المسلمين ان

يبتكروا فيها ما شاءوا ، وينافسوا فيها غيرهم من الامم ، بل ان ذلك واجب شرعي مفروض عليهم . وبعضها الآخر يتصل بسلوك الانسان وعقيدته ومعاملاته وحاضره الراهن ومستقبله القريب والبعيد ، وهذا لا بد فيه من التقيد بالدين ، لان معرفة وجه الحق والخير فيه لا سبيل اليها الا بتوفيق من الله العليم الحكيم . وليس الدين فى حقيقة الامر قيداً الا بمقدار ما يصح لنا ان نقول ان المنطق قيد على الفكر بمعنى انه يعصم المفكر من الزلل .

على المسلمين اذن ان يعملوا عقولهم فى حل مشكلاتهم ، بشرط ألا يخرجوا فيما يذهبون اليه من حلول عن حدود الاسلام ، يلتزمون ما امروا به ، وينتهون عما نهوا عنه ، وبشرط أن يراقبوا الله فى كل اعمالهم ، والا ينسوا ان اعمالهم كلها امانات يحاسبهم الله عليها ، وان حياتهم فى الدنيا جزء هين يسير من وجود طويل مديد . وهم بعد ذلك احرار فى ان يبتكروا ما شاءوا مما لا حرج عليهم فيه . وآفة المسلمين الكبرى هي أنهم يتكلمون أكثر مما يعملون ، ويتوهمون مشاكل لا وجود لها ، ثم يحاولون الاجابة عنها ، لانهم يقلدون غيرهم تقليداً أعمى . ولو نبذ المسلمون التواكل والكسل، والخلاف والجدل ، وعملوا على حل مشكلاتهم بوصفهم مسلمين لوجدوا الامر أهون مما يتصورون . ولكنهم لا يفعلون اكثر من أن يتساءلوا : هل يصلح الاسلام للحياة ؟ ثم يختلفون حول الاجابة على السؤال . ويرون ألف باب وباب للحل الحلال فلا يلجونه ، ويقفون امام الابواب المغلقة ، ابواب الحرام ، يتساءلون : لماذا لا نلج من هذه الابواب ؟ وأقبح من ذلك انهم يتجاهلون الدين فى بعض الاحيان ويحلون المسائل على هواهم ، كما يفعل الصبي العنيد حين يتجاهل نصائح ابيه ، ويحل الامور بتقليد هذا وذاك من اقرانه ، فلا يسلم من تقليد الشذاذ والمنحرفين .

قلت لسيادته . وما هي أسباب تواكل المسلمين وتجاهلهم لدينهم ، وهل كان ذلك نتيجة للاستعمار وتضليل المستشرقين فقال :

انحسر المفهوم الاصيل للاسلام حين ضعف المجتمع الاسلامي بسبب ميل المسلمين الى الدعة والترف وتخليهم عن حمل ما حملهم الله من أمانات . فشغل كل واحد بنفسه وبمصلحته وشهواته ، ولم يبق للناس من الاسلام الا ظواهر العبادة . عند ذلك لم يعد المسلم ربانيا ، وخلا قلبه من نور الدين ، وخلت أعماله من ان تكون لوجه الله ، واصبح يعبد نفسه فى حقيقة الامر ولا يعبد مولاه ، فوكله الله الى نفسه والى حوله . ولا حول ولا قوة الا بالله . عند ذلك سلط الله عليهم عدوهم ، فزادهم ضعفا الى ضعفهم ، وصغروا عند انفسهم ، وعظم شأن عدوهم فى وهمهم حتى صار كل ما يأتيه عندهم حسنا . فقلدوه عن وعي وعن غير وعي . وفسروا اسلامهم بمفاهيمه ، وبرروا انماطه باسلامهم . فزادوا الى بلائهم بلاء جديدا .

ولا شك ان الاستعمار والاستشراق قد ساعدا فى افساد مفاهيم الاسلام : الاول بتخطيطه ، والثاني بدراساته التي تخضع لذلك التخطيط . ولكن ذلك كله لم يكن ليثمر لو لم تكن نفوس المسلمين مهيأة له بسبب ما قدمته من عوامل وظروف .

وجرنا الحديث عن الاستعمار الى التساؤل عما يتردد من ان هزيمة المسلمين عسكريا جاءت نتيجة لغزوهم ثقافيا فقال :

الواقع ان الهزيمة العسكرية والهزيمة الثقافية وجهان لظاهرة واحدة هي فساد المجتمع الاسلامي وانحلاله . بحيث يمكن ان نقول ان الهزيمة

العسكرية جاءت من تفكك المجتمع الاسلامي وانحلاله ، حين مال المسلمون الى الدعة والترف وتخلوا عن واجبهم نحو انفسهم ونحو دينهم ونحو جماعة المسلمين . فلما زالت سيادتهم زال معها اعتزازهم بثقافتهم ودخلوا فى ثقافة الذين غلبوهم واستعبدوهم . ويمكن من ناحية أخرى ان نقول ان من اسباب ضعف المجتمع الاسلامي وتفككه كثرة الثقافات الوافدة التي هزت قيمه واضعفت ايمانه ، فكان من آثار ذلك انفراط عقده وتهالكه على الشهوات .

وانتقلنا الى الحديث عن الشعر ودعوى التجديد فيه فقال :

الشعر الحديث وما يسميه اصحابه شعرا حديثا بعضه يجري فى تجديده على قواعد عروضية هي نفسها قواعد العروض العربي منسقة فى صورة جديدة . وبعضه الآخر يخرج على العروض خروجا كاملا ، ولا يقوم على نظام موسيقي واضح ، أو هو يقوم على نظام موسيقي غريب على ذوقنا العربي. والفريق الاول من هؤلاء يجددون وفيهم قدرة على الشعر العربي الاصيل . اما الفريق الثاني فهم يلبسون ثياب التجديد هروبا من الشعر الاصيل لانهم يعجزون عن تذوقه وعن انشائه . والفريقان كلاهما قد اقحما على الشعر العربي اساليب غريبة وصورا دخيلة ، تنحرف بفطرة الناشيء الذي يدمن قراءتهم بحيث يعجز عن تذوق تراثنا الطويل ، وتعزف نفسه عنه ويسوء ظنه به وبعباقرته . وهذا خطر شديد يهدد ذلك التراث الذي عاش أربعة عشر قرنا بالفناء ، ويهدد شخصيتنا العربية والاسلامية بالتميع والانحلال .

وهذه الموجة الوافدة او الهزة الطارئة ليست بدعا ولا عجبا . فالمجتمعات والفنون والثقافات تبتلي بمثل هذه الهزات ، فتموت او تستجمع قواها للدفاع عن كيانها فتزداد حياتها خصبا وقوة . وانا عظيم الثقة فى الشعر العربي الاصيل ، واعتقد انه سيخرج من هذه المحنة أشد قوة ، بل اعتقد ان بعض دعاة التجديد ممن يجددون عن قدرة واصالة سوف يعودون الى احضان الشعر العربي الاصيل ، . اما العاجزون الذين يتسترون تحت ستار التجديد فزبد يذهب جفاء ، ولا يمكث فى الارض.

وقد عرفنا من قبل فى الادب الاندلسي الوانا من التجديد اشبعت نزوات طارئة وارضت حاجات عارضة ، ثم لم تلبث أن زالت وبادت . فلما جاءت النهضة الادبية فى العصر الحديث على يد البارودي وجيله من الشعراء قامت على الاصول العربية الاولى الصحيحة . ولا اظن ان الحركة الشعرية الجديدة على كل ما يؤيدها من عوامل ستكون احسن حظا من الموشحات والازجال الاندلسية. ومع ذلك كله فالتجديد الاندلسى كان نابعا من واقع المجتمع الاسلامى فى الاندلس . اما هذا الذى يسميه اصحابه تجديدا فى ايامنا هذه فليس الا تقليدا لآداب اجنبية شرقية أو غربية ، فى الاسلوب والمضمون جميعا . واعجب ما فى أمر هؤلاء المقلدين للاجنبي انهم يسمون انفسهم مجددين، ويسمون الذين يحافظون على تراثهم مقلدين .

قلت ما مفهومكم لمبدأ الالتزام فى الادب ، وكيف يكون الاديب ملتزما ، وهل يمكن للاديب ان يلتزم فى ناحية ولا يلتزم بناحية اخرى . فقال :

الالتزام تعبير حديث يقابل ما يمكن ان نسميه (عقيدة) ، فالادب الملتزم او الادب المذهبى هو الادب الذى يصدر عن عقيدة صادقة راسخة تلازم صاحبها فى كل ما يكتب ، وتترك ميسمها على كل ما ينتج . والالتزام قسمان : التزام فى المضمون ، والتزام فى الاسلوب. فالالتزام فى المضمون هو التزام مذهب فكرى معين ، سواء كان هذا المذهب الفكرى نابعا عن عقيدة دينية او عن مذهب سياسى او فلسفى او اجتماعى . والالتزام فى الاسلوب هو التزام مذهب

ادبى معين او طريقة معينة فى العرض او فى التعبير . والاديب الاصيل لا بد ان يكون ملتزما فى الاسلوب ، لانه لا يكون اصيلا وناضجا حتى تكون طريقته فى التعبير قد تحددت ، وحتى يكون اسلوبه ذا شخصيـــة متميزة لا يستطيع هـــو نفسه ــ لو أراد ــ ان يغيرها . اذ تصبح هذه الخصائـــص كالعادات الراسخـــة الثابتة الجذور فى النفس . اما الالتزام فى المضمون او فى المذهب الفكرى فمن الممكن ان يخضع للتغيير والتطور . كما ان من الممكن ان تكون آراء الاديب موزعة بين مذاهب فكرية شـــتى لا تتعارض عناصرها ، وبذلك لا يكون ملتزما لمذهب بعينه يسخر كل مواهبه الادبية لخدمته.

قلت لسيادته ــ ما رأيكم فى الحملات التي تثار حول السنة ، فقال :

التشكيك فى الاحايث النبوية الشريفة تشكيك فى الاســـلام نفســـه ، لان من المعروف ان كثيرا من أصـــول الاسلام مأخوذة من السنة عملية كانت او قولية. فكيفية الصلاة ، وعدد الركعات فى كل صلاة ، والوضوء والطهارة ، وحد شارب الخمر ، وحد الزانى المحصن ، كلهـــا مستمدة من السنة وغير ذلك كثير . فاذا شككنا فى السنة فقد هدمنا احد الاعمدة الاساسيـــة التى يقوم عليهـــا الاسلام .

وأعجب ما فى امر المشككين انهم فى اغلب الاحيان من غـــير المتخصصين . واعجب ما فى العجب ان احدهم يجبن عن ان يقحم نفسه فيما لا يعلم من شؤون الطب والهندسة ، بل من شؤون القانون الوضعى المستجلب عن الغرب ، فلا يفتى فى القانون الدستورى ، ولا يفتـــى فى القانون الجنائى ، ولا فى القانون التجارى مثلا . واذا جرؤ على الافتاء فيها سكت ولم يكابر اذا رده الخبير بهذه الدراسات ولكنه يقحم نفسه فيما لا يدرى مـــن شؤون العلوم الاسلامية . ولا يقتنع اذا رده العليم بها .

ولا بد من التنبية هنا الى خطأ الذين يقبلـــون الاحاديث او يرفضونهـــا على اساس عقلى خالص ، ويظنون ان القدماء قد اخطأوا فى اعتمادهم على الســـند وحده ، والحقيقة ان المسائل الدينية لا سبيل الى تحقيقها الا من طريق السند ، لانها تقوم على التسليم والانقياد ، وعلى ان ما تغيب حكمته عن عقولنا احيانا لا يخلو من حكمة ارادها المشرع لنـــا فى دنيانا وآخرانا . ان الذى يستطيع ان يحكم على الشىء بالصحة او الفساد ، وبالنفع او الضرر . هو الذى يعلم مـــا كان وما هو كائن وما سوف يكون . لان الحكم على الشىء فرع عن تصوره كما يقولون . وتصوره هـــو ادراك وجوده كله . والانسان لا يعلم الا بعض ما هو كائن ، فضلا عما كان وما سيكون . ولا يزال الناس يكتشفون فى كل يوم من الجديـــد فى انفسهم وفى عالمهم الارضى وفيما يحيط بهم من عوالم ، ما يدل دلالة واضحة على مبلغ جهل الانسان وضآلة معرفته . ولا يزال الانسان يقف حائرا امام اسئلة تتصل بالظواهر التى يحيا بينها ، بل تتصل بنفسه وبذاته ، فلا يجد الجواب عليها الا ظنا لا يغنى من الحق شيئا . بل لقد اثبت العلم ان حواس الانسان الخمس محدودة المدى ، وان ما ندركـــه من الموجات السمعيـــة والبصرية ليس شيئا الى جانب ما تعجز بخلقتها وفطرتها عن ادراكه . والانسان مع جهله وضآلة ادراكه لحاضره لا يعرف من الماضى والمستقبل شيئا . ومن كان هـــذا مبلغ علمه ومنتهى معرفته كيف يسوغ له ان يقبل من حديث رســـول الله الصحيح ويرفض على اساس علمه ومعرفته .!!



مكتبة المجلة

الشهيد احمدو بيللو

من غير المستطاع الالمام بكل ما كتبته الصحف والمجلات الاسلامية عن الشهيد الحاج احمدو بيللو فى مختلف انحاء العالم وجهاته . كما أن لخطورة هذا الحادث الجلل وأثره فى العالم الاسلامي أهمية بعثت على ضرورة التعجيل بفكرة اصدار هذا الكتاب .

والواقع ان ماكتب عن الشهيد احمدو بيللو ، سواء ما وصل الينا ، أو لم يصل شيء كثير يضيق به الحصر والاحصاء فقد حفلت الصحف العربية والاسلامية بأنباء استشهاده وجهاده ونضاله من أجل الاسلام والمسلمين بصفة عامة .

والكتاب الذى بين أيدينا باقة حزينة جامعة لكلمات كبار زعماء العالم وقادته ومفكريه وأدبائه فى تلك الفاجعة الاليمة ، أصدرته وطبعته فى ١٢٨ صفحة رابطة العالم الاسلامي بمكة المكرمة ووزعت نسخه مجانا فى جميع أنحاء العالم ليطلع كل من فوق هذه الارض على سيرة ذلك البطل الاسلامي الشهيد احمدو بيللو عضو المجلس التأسيسي لرابطة العالم الاسلامي ورئيس وزراء نيجيريا الشمالية .

لقد مات بللو شهيد الاسلام فى رمضان فلنذكره كل عيد فطر ولنحتسبه زكاة المجاهدين من أجل الغد الافضل للمسلمين .

لا تتخذوا القبور مساجد ولا تجعلوا الاضرحة معابد

كتاب من تأليف الاستاذ عبد الفتاح سلامة يحارب أنواع البدع ، داعيا فيه الى التوحيد الذى جاء به الاسلام .

وقام المؤلف بتقسيم كتابه الى ثلاثة ابواب، خص الاول منها بالمساجد موضحا الهدف الاساسي من اقامتها والثاني بالقبور والاضرحة والثالث بالنذور وأنواعها .

والكتاب يقع فى ١١٨ صفحة وطبعته مطبعة السماح فى طنطا بالجمهورية العربية المتحدة .

احمد فارس الشدياق

بقلم الاستاذ محمد عبد الغني حسن وهو الكتاب الخمسون من سلسلة اعلام العرب التى تصدرها الدار المصرية للتأليف والترجمة .

والكتاب فى ٢٠٠ صفحة ويحتوى على موجز لحياة احمد فارس الشدياق وملامح عصره ورحلاته ثم مصادر ثقافته واسلامه ، وبعد ذلك يتعرض الكاتب بصورة واسعة للدور الكبير الذى لعبه الشدياق فى التأليف والترجمة والتعريب والصحافة .

وفارس بن يوسف الشدياق مسيحي من لبنان اعتنق الدين الاسلامي على يد شيخ الاسلام فى تونس وتسمى باسم احمد فارس الشدياق وقد اتاحت له اقامته بمصر تلقى علوم اللغة والادب والنحو والبلاغة والصرف والشعر على يد علمائها .. وقام بعد ذلك بعدة رحلات الى مالطة وانجلترا وتركيا وتونس واشتغل بالصحافة فاصدر صحيفة ((الجوائب)) التى نالت شهرة كبيرة فى العالم الاسلامي من الناحيتين الدينية والادبية .

الفتاوى

شاهد زور

السؤال :

اقترض مني شخص مبلغا من المال بشهادة أحد الناس ، وعند مطالبته بالدين انكر ، فأقمت عليه دعوى فى المحكمة ، فطلب مني القاضى شاهدا ثانيا ، فهل يجوز لي شرعا أن أحضر شاهدا ثانيا ـ لم يرنى عند الاقراض ـ وذلك لتكميل نصاب الشهادة فى سبيل وصولى الى حقى .

محمد الداعوق
طرابلس ـ لبنان

الاجابة :

لا يجوز لك أن تستحضر شاهدا ثانيا لم يكن حاضرا عند اعطائك المبلغ للمقترض، ولا يبرر هذا انك صاحب حق ، وهذا الشاهد الثاني شاهد زور لانه يشهد بما لم يعلم ولم ير ، وانت يا سيدى المقصر فى حق نفسك فالله يقول (يايها الذين آمنوا اذا تداينتم بدين الى أجل مسمى فاكتبوه وليكتب بينكم كاتب بالعدل ، ولا ياب كاتب أن يكتب كماعلمه الله فليكتب وليملل الذي عليه الحق وليتق الله ربه ولا يبخس منه شيئا فان كان الذى عليه الحق سفيها أو ضعيفا أو لا يستطيع أن يمل هو فليملل وليه بالعدل ، واستشهدوا شهيدين من رجالكم ، فان لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء ان تضل احداهما فتذكر احداهما الاخرى) وكان ينبغى لك أن تحرر صكا بهذا المبلغ يشهد عليه شاهدان . وما دمت قد فرطت فى المحافظة على مالك ، فتحمل نتيجة ذلك ، ولا تتورط فى مخالفة أخرى .

زكاة المسجون

السؤال :

محكوم علي بالسجن لمدة ثلاث سنوات ، وعندى أموال مدخرة ، فهل تجب علي زكاة هذه الاموال ، ومن الذى يخرجها ، وفى أى مكان أخرجها مع انكم تعلمون انى لا أستطيع مغادرة السجن .

ابو عجمية
اللاذقية ـ سوريا

الاجابة :

السجن لا يمنع من وجوب الزكاة متى توافرت شروط وجوبها ، وعليك ان توكل من يخرج زكاتك عنك ، ويوزعها على الفقراء والمساكين فى البلد الذى يوجد به المال ، هذا ان امكن التوكيل والا ظلت الزكاة دينا عليك ، تخرجها حين تخرج من سجنك ولا تنقل الى بلد آخر ، الا اذا كان هناك مصلحة كقريب محتاج .

الزوجة العاملة

السـؤال :

زوجتي تعمل فى احدى المؤسسات ، وقد أنجبت منها ثلاثة أولاد ، وأصبح من العسير عليها أن توفق بين عملها وبين رعاية بيتها وأولادها ، وتحت ضغط الظروف طلبت منها أن تستقيل من عملها ، فرفضت ، فهل يعتبر هذا الرفض منها نشوزا . وهل تستحق مؤخر الصداق ونفقة العدة فى حالة الطلاق ، وهل لي حق حضانة أولادى منها .

الاجابة :

خروج الزوجة عن طاعة زوجها يعتبر شرعا نشوزا تسقط معه نفقة الزوجية الواجبة لها عليه . وعدم استجابتها له فى الاستقالة من عملها خروج عن طاعته ، لكنه لا يسقط حقها فى مؤخر الصداق ونفقة العدة اذا طلقها الزوج ، لانها استحقت بالدخول جميع المهر عاجله وآجله ، واستحقت نفقة العدة لانها محبوسة فى أثنائها عن الزواج بغيره .

أما حق الحضانة بعد الطلاق فهو ثابت للزوجة شرعا الى أن يبلغ الاولاد السن التى تنتهي فيها الحضانة شرعا ، اذا لم يكن هناك سبب يسلب الزوجة هذا الحق ، وينتقل الحق فى الحضانة الى من يليها شرعا .

واننا ننصح الزوج بألا يتسرع فى الطلاق حفظا لكيان الاسرة ، وبالحكمة والتفاهم يمكن ازالة كثير من أسباب الخلاف التى تنشب بين الزوجين .

حمام البرج

السـؤال :

بنيت برجا للحمام ، ووضعت فيه عشرة أزواج وبعد مدة وجدت فى البرج حماما غريبا ، فهل يحل لي شرعا أكل هذا الحمام الغريب .

سيد الجاسم ـ حولي ـ الكويت

الاجابة :

اقامة هذا البرج جائز شرعا ، وكل ما يأوى اليه من حمام برى صحراوى يحل لك أكله والتصرف فيه .

أما الحمام الاهلي الذى تجده فى البرج ، فلا يحل لك أكله ولا التصرف فيه ، ويلزمك رده لاصحابه اذا عرفتهم ، وحكمه حكم اللقطة .

الزكاة غير الضرائب

السـؤال :

أملك منزلا كبيرا يغل علي دخلا شهريا ، وتجمع لي فى آخر العام مبلغ يزيد عن النصاب، ومعلوم أني أدفع سنويا للحكومة ضرائب عن هذا المنزل تزيد عن مقدار الزكاة، فهل تقوم هذه الضرائب مقام الزكاة .

محمد اسماعيل ـ طنطا ـ ج.ع.م

الاجابة :

زكاة المال واجبة متى بلغ المال نصابا وحال عليه الحول ، وتصرف هذه الزكاة لمن ذكرهم الله فى الآية (انما الصدقات للفقراء والمساكين ..) .

أما الضريبة التى تأخذها الحكومة من اصحاب الاموال فلا علاقة لها بالزكاة ، ولا تغنى عنها ، ويجب عليك اخراج الزكاة عن هذا الريع المجتمع من ايجار منزلك متى استوفى شروطه .

قضاء الصلاة

السـؤال :

فاتتني الصلاة فترة من الوقت فى مقتبل عمرى ، وهذه الفترة قرابة خمس سنوات ، وظروف عملي لا تمكني من قضاء هذه الصلوات ، فهل يجوز لي أن أدفع شيئا من المال نظيرما فاتني من الصلاة ، وكم أدفع عن اليوم الواحد .

درويش العطار ـ الجهرة ـ الكويت

الاجابة :

لا يقوم مقام الصلاة المفروضة شيء ، ولا يغني عنها مال ولا عتق ولا غيره ما دام فى الانسان قدرة على أدائها بأى وجه من الوجوه ، وقد يسر الاسلام سبيل أدائها على الناس ففرضها من قيـام على القادر عليه ، فان عجز عن القيام صلى وهو جالس ، فان لم يستطع ذلك أداها مستلقيا على ظهره او مضطجعا مع الايماء والاشارة برأسه ، او بعينه ان لم يستطع الاشارة بالرأس فان لم يقو على ذلك استعرض هيئة الصلاة على قلبه فان عجز عن ذلك كله سقط عنه التكليف ومن هذا يتبين انه لا فدية ولا كفارة عن الفوائت .

فان كانت هذه الصلوات قد فاتتك بعد بلوغ وهو سن التكليف فاستعن بالله ، واقضها حتى يغلب على ظنك انك قد قضيت ما فاتك ، وكل شيء مع خلوص النية وصدق العزيمة سهل ، والعمر كله وقت للقضاء ، وكلما عجلت كان ذلك ابرأ لذمتك ، وأدل على صدق توبتك .

تصوير المرأة العارية

السـؤال :

أنا رجل مهنتي مصور ، وكثيرا ما يحضر الى بعض الفتيات لتصويرهن وهن عاريات الجزء الاعلى من الصدر والظهر ، وحاسرات الاذرع ، وكاشفات السيقان ، ومسدلات الشعور ، وفى أوضاع مختلفة ، فهل يجوز ذلك شرعا .

م ـ د . السالمية ـ الكويت

الاجابة :

التصوير يستلزم النظر ، وجميع بدن المرأة عورة يحرم نظر الاجنبي اليه ، ما عدا وجهها وكفيها فانه يجوز كشفها ونظر الاجنبي اليه اذا أمنت الفتنة ، أما اذا لم تؤمن فانه يحرم النظر اليها ايضا ويجب على المرأة سترهما .

وبناء على هذا يكون تعرض المرأة لتصويرها عارية حراما ، ويحرم على المصور أن يصورها كذلك والكسب الذى يحصله من هذا العمل خبيث ، وهو منهى عنه شرعا . وحكمة التحريم واضحة لما يترتب على هذا العمل من مفاسد خلقية واجتماعية .

اخبار العالم الاسلامي

الكويت

زار حضرة صاحب السمو أمير البلاد ــ الجمهورية العربية المتحدة تلبية لدعوة أخيه السيد الرئيس جمال عبد الناصر ، وقد استغرقت هذه الزيارة أربعة أيام تفقد فيها سموه مظاهر النهضة فى البلاد ، وجرت أثناءها محادثات استهدفت توطيد العلاقات السياسية والثقافية والاقتصادية بين البلدين الشقيقين ، وقد اتسمت المحادثات بطابع الصراحة والتفاهم ، وقد استقبل سموه وودع بما يليق به من الحفاوة والاجلال .

* وجه سعادة عبد الله المشارى الروضان وزير الأوقاف والشؤون الاسلامية الدعوة لزيارة البلاد لكل من المهندس أحمد عبده الشرباصي نائب رئيس وزراء الجمهورية العربية المتحدة ووزير الأوقاف والشؤون الاجتماعية وفضيلة الشيخ أحمد حسن الباقورى مدير جامعة الأزهر وكذلك للدكتور العربي الشريبي وزير الصحة والاستاذ أحمد بركاش وزير الأوقاف فى المملكة المغربية .

* مر بمطار الكويت المهندس احمد عبده الشرباص وفضيلة الشيخ احمد حسن الباقورى فى طريقهما الى الهند تلبية لدعوة سلطان البهرة وقد استقبلهما فى المطار معالي وزير الاوقاف والشؤون الاسلامية والسيد سفير الجمهورية العربية المتحدة والسيد وكيل الوزارة ولفيف من رؤساء واعضاء البعثات التعليمية .

* وافق مجلس الأمة على مشروع انشاء الجامعة ، وستفتح أبوابها فى سبتمبر القادم لاستقبال طلبة الآداب والعلوم .

* أنشأت وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية مكتبات ملحقة ببعض المساجد الكبيرة وستعمم هذه المكتبات فى الاعوام المقبلة . وقد أهدى كل من الاستاذ عبدالرحمن العتيقي وكيل وزارة الخارجية والحاج عبد العزيز علي المطوع مكتبة قيمة للمكتبة العامة بالوزارة .

* عقد المؤتمر الطبي العربي الخامس تحت رعاية صاحب السمو أمير البلاد وحضر المؤتمر (٤٠٠) طبيب من مختلف الدول العربية وظلت فترة انعقاده من أول ابريل للسادس منه .

* صدر العدد الاول من مجلة البيان التى تصدرها رابطة الادباء الكويتية ــ حافلا بالبحوث الادبية ــ نتمنى للزميلة التوفيق .

القاهرة

* اقام المجلس الاعلى للشؤون الاسلامية حفلا تكريميا لسعادة عبد الله المشارى الروضان وزير الاوقاف والشؤون الاسلامية بالكويت أثناء زيارته للقاهرة ، وحضر الحفل فضيلة الامام الشيخ حسن مامون شيخ الجامع الازهر ، والاستاذ السيد يوسف وزير التربية والتعليم ، والمهندس احمد عبده الشرباصي نائب رئيس الوزراء ووزير الاوقاف والشؤون الاجتماعية ، وفضيلة الشيخ احمد حسن

الباقوري مدير جامعة الازهر ، والسيد احمد الفتو زعيم مسلمي الفلبين ، والامير صقر القاسمي أمير الشارقة والاستاذ عبد العزيز العلي المطوع وغيرهم من كبار الشخصيات الاسلامية .

* تقيم وزارة الاوقاف مسجدا ضخما عند مدخل القناة الشمالي حيث تمر أكثر من ٢٠ ألف سفينة ، وسيلحق بهذا المسجد معهد ديني .

* منحت جامعة الازهر الدكتوراه الفخرية لعظمة سلطان البهرة اثناء زيارته للقاهرة .

السعودية

* صدر بيان رسمي فى جدة يعلن ان اكثر من مليون حاج وقفوا فوق جبل عرفات ، وقال البيان : ان (٢٩٤١١٨) من الحجاج وفدوا من الخارج والباقون من السعودية .

* جاءنا أنه لم يقرأ احد فى السعودية مانشرته مجلة العربي خاصا بالامام البخارى والسبب أن الرقابة نزعت اوراق المقال من النسخ قبل توزيعها .

لبنان

* طردت الحكومة اللبنانية جون اسبانولا الاستاذ بالجامعة الاميركية ببيرت بسبب اساءته الى تعاليم الدين الاسلامية .

ليبيا

* عقد مؤتمر وزراء التربية والتعليم فى الدول العربية تحت اشراف الجامعة العربية وهيئة اليونسكو واستمر خمسة أيام بحث خلالها التعاون الاقليمي والدولي من أجل تنمية التربية فى الوطن العربي . .

فلسطين

* تجرى فى شهر يونيو فى جميع الدول العربية أول انتخابات يشترك فيها شعب فلسطين لاختيار اعضاء المجلس الوطني الفلسطيني ، وقد بدأت عمليات القيد فى جداول الانتخابات لكل فلسطيني بلغ الثامنة عشرة ، ومن المقرر أن يعقد المجلس الوطني الجديد اجتماعه الاول فى غزة عقب تشكيله مباشرة .

اندونيسيا

* أذاعت وكالة أنباء (انتارا) الاندونيسية أن (١٥٦) شخصا على الاقل لقوا مصرعهم بسبب الفيضانات التى وقعت فى شرق ووسط جاوة ، وان مئات ما زالوا مفقودين ، وقد نجم عن هذه الفيضانات تشريد ما يزيد على (٥٠٠) ألف نسمة وتدمير (٣٠) ألف مسكن .

فقيد العروبة والاسلام

فوجئنا ـ والمجلة ماثلة للطبع بوفاة المشير الركن عبد السلام محمد عارف رئيس الجمهورية العراقية وبعض السادة المرافقين له أثناء زيارته للبصرة على أثر حادث احتراق الطائرة التى كانت تقلهم .

والمجلة اذ تنعي فقيد العروبة والاسلام الى العالم الاسلامى تقدر الخسارة الفادحة التى منيت بها الشعوب الاسلامية بفقده ، وتذكر جهاده فى نصرة القضايا العربية والاسلامية ، وحرصه الشديد على الاستمساك بتعاليم الاسلام، وتشارك الشعب العراقى الشقيق آلامه وأحزانه وتضرع الى الله أن يجزى الفقيد جزاء الشهداء والصالحين . وان يهب الشعب العراقى الحكمة والسداد .

« الى راغبى الاشتراك »

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك فى المجلة . ورغبة منا فى تسهيل الامر عليهم ، وتفاديا لضياع المجلة فى البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات من الآن ، وعلى الراغبين فى الاشتراك أن يتعاملوا رأسا مع متعهد التوزيع عندهم ، وهذا بيان بالمتعهدين ، وسنوافى قراء شمال افريقيا باسماء المتعهدين عندهم : ــ

بغداد : ــ مكتبة المثنى ــ السيد قاسم محمد الرجب .

عمــان : ــ وكالة التوزيع الاردنية ــ السيد رجا العيسى .

بيروت : ــ دار الصياد ــ السيد رشيد القاضى ــ لبنان .

القاهرة : ــ توزيع الاخبار ــ ٧ شارع الصحافة ج . ع . م .

الرياض : ــ مكتبة النجاح الثقافية بالرياض ــ السعودية .

الخبــر : ــ مكتبة النجاح الثقافية ــ ص ب ــ (٧٦) السعودية .

مكة المكرمة : ــ مكتبة الثقافة ــ السعودية .

الطائف : ــ مكتبة الثقافة ــ السعودية .

المدينة المنورة : ــ مكتبة المنار .

عــدن : ــ وكالات الاهرام التجارية ــ ص ب (٦٣٩) .

البحرين : ــ المكتبة الوطنية وفروعها ــ السيد فاروق ابراهيم .

المكــلا : ــ مكتبة الشعب ــ ص ب (٢٨) المكلا ــ حضرموت .

دبــى : ــ المكتبة الاهلية ــ ص ب (٢٦١) .

مسقط : ــ المكتبة الاهلية ــ السيد حسن قمر سلطان .

قطــر : ــ مكتبة الثقافة ــ الدوحة ــ ص ب (٨٤٢) .

السودان : ــ السيد أحمد النور علي ــ الخرطوم ــ ص‌ب (١٩٥٦) .

بورسودان : ــ مكتبة كرري ــ السيد عطا المنان ص.ب ٣٠٣ .

الكويت : ــ مكتب منار للتوزيع ــ شارع الجهرة .

ونوجه النظر الى انه لا يوجد لدينا الآن نسخ من الاعداد السابقة من المجلة

مطبعة حكومة الكويت



لوحة زيتية بريشة

محمد مؤذن

إلاَّ تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ الله إذْ أخْرَجَهُ
الذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إذْ هُمَا في الغَارِ
إذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لا تَحْزَنْ إنَّ اللهَ مَعَنَا

صدق الله العظيم

الوعي الإسلامي

إسلامية ثقافية شهرية

العدد الرابع عشر ـ السنة الثانية ـ صفر ١٣٨٦ هـ ـ ٢١ مايو ١٩٦٦





وقفة خاشعة بين يدي الله

ضيف مصر سمو أمير الكويت يؤدى صلاة الجمعة فى الجامع الأزهر مع سيادة الرئيس جمال عبد الناصر ورئيس الوزراء ورئيس مجلس الأمة ونواب رئيس الجمهورية .

الوعي الإسلامي

اسلامية ثقافية شهرية

العدد الرابع عشر . السنة الثانية
غرة صفر سنة ١٣٨٦ هـ
٢١ مايو ١٩٦٦ م

تصدرها وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية بالكويت فى غرة كل شهر عربي

المجلة حرة ، والوزارة غير مسئولة عما ينشر فيها من آراء

صورة الغلاف



جامع القصبة فى أحد الاحياء الوطنية بمدينة الجزائر وتظهر فى الصورة مئذنته المربعة الشكل وهى من الطراز العربى .

الثمن

الكويت	٥٠	فلسا
السعودية	١	ريال
العـراق	٧٥	فلسا
الاردن	٥٠	فلسا
ليبيا	١٠	قروش
المغـرب	١	درهم
الخليج العربى	١	روبية
اليمن وعدن	٧٥	فلسا
لبنان وسوريا	٥٠	قرشا
مصر والسودان	٤٠	مليما
تونس والجزائر	١٠٠	مليم

الاشتراك السنوى للهيآت فقط

فى الكويت ١ دينار
فى الخارج ٢ ديناران
(أو ما يعادلهما بالاسترليني)
أما الافراد فيشتركون راسا مع متعهد التوزيع كل فى قطره

عنوان المراسلات : مجلة الوعى الاسلامي – وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية الكويت ص . ب ١٣ – هاتف ٢٢٠٨٨



ذكرى الهجرة النبويّة

احتفلت وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية بذكرى رأس السنة الهجرية في مسجد السوق الكبير ، وشهد الحفل عدد كبير من الوزراء ورجال السلك الاسلامي ، وجمهور غفير من المسلمين ونقلت الاذاعة والتلفزيون وقائع الاحتفال

وننشر فيما يلي الكلمة التي ألقاها سعادة عبد الله المشارى الروضان وزير الأوقاف والشؤون الاسلامية في الحفل :

أيها الاخوة الأعزاء

احييكم أكرم تحية . وألتقى بكم في يوم يذكرنا بحادث الهجرة النبوية ، وما كان فيه من تضحيات جسام في سبيل العقيدة لقد هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة التي لبث فيها ثلاثة عشر عاما يدعو الى الله ، دون أن يستجيب له أحد الا النفر القليل الذين خرجوا معه مهاجرين في سبيل الله ، الى المدينة المسالمة الحانية التي أرسى فيها رسول الله قواعد الاسلام واتخذها مركزا تنطلق منه الدعوة الى آفاق الأرض فكانت هجرتهم خيرا وسلاما للدنيا كلها .

وحين نحتفل بهذه الذكرى الكريمة نهيب بالمسلمين في كل مكان أن يشحذوا هممهم، ويقووا عزائمهم ، ويعملوا جادين لكل ما يمكن قواعد الاسلام وأحكامه ،وما يجمع كلمة الأمة الاسلامية تحت راية التوحيد ، ليصبحوا يدا واحدة على كل من عاداهم أو حاول النيل من أوطانهم حتى يحق الله الحق ويبطل الباطل ولو كره الكافرون .

وانا لنضرع الى الله تعالى بقلوب نقية طاهرة آمنت بالله ، وتوكلت عليه ، أن يقوى شوكة الاسلام والمسلمين ، وأن يحل التلاقي والتوافق بدل التقاطع والتدابر لنسود حاضرا ومستقبلا ، كما تصدرنا الوجود في الماضي ، ونقود البشر كافة الى بر الأمان بعيدا عن التحاقد والتحاسد ، ليتحقق فينا قول الله تعالى (كنتم خير أمة أخرجت للناس) .

والله اسأل أن يحفظ بعنايته وتوفيقه أميرنا المعظم صاحب السمو الشيخ ((صباح السالم الصباح)) أمد الله في حياته وجعل عهده عهد بركة وسعادة .
وأن يعيد هذه الذكرى على الأمة الاسلامية والعربية وهي مستكملة كل مقوماتها ، عاملة بكتاب الله ، مقتدية برسوله عليه الصلاة والسلام . وكل عام وأنتم بخير .

والسلام عليكم ورحمة الله »»»

بسم الله الرحمن الرحيم

أخي القارئ

سرني ما قرأته فى بعض الصحف من أن المسئولين عن الأمن فى الكويت والقاهرة .. شددوا الحملة والرقابة على الشبان العابثين الذين يعاكسون البنات والسيدات ، فكان الحبس سبعة أيام لمن تثبت عليه مخالفة الآداب أول مرة ، ثم الحبس ستة أشهر اذا عاد للمعاكسة مع غرامة خمسين جنيها ، وفصله من الوظيفة أو من الدراسة .. وتقدم بعض الكتاب باقتراحات أن يقبض على هؤلاء المستهترين من الشبان . وتقام لهم معسكرات تدريب شاقة ، يتلقون فيها التدريبات العسكرية ، مع محاضرات فى التربية الاجتماعية..وقد عرض أيضا اقتراح بحلق رؤوس هؤلاء الشبان بالموسى .. واقتراح آخر بحلق حواجبهم .. وهي اقتراحات لو وجدت سبيلها للتنفيذ لكانت علاجـــا نستريح به ، وتستريح الفتيات والسيدات من عبث هؤلاء المائعين .

ولو أن هؤلاء الشبان فكروا فى أن لهم أخوات وأمهات وقريبات اذا تعرضن لمثل عبثهن غاروا وثاروا حرصا على العرض والكرامة .. الخ . أقول : لو أن هؤلاء الشبان فكروا فى أن للناس كرامة وغيرة مثلهم لكفوا عن عبثهم وايذائهم لغيرهم ، وحموا أنفسهم من التعرض لعقاب الله والقانون ، ومن التشهير الذى ينزل بهم ، وأراحوا أجهزة الأمن من متابعتهم لتتفرغ لمهامها الأخرى ..

ولكن كثيرا من الشبان ــ مع الأسف ــ لا يفكــرون فى هذا ، ويندفعــون وراء طيشهم ، فيوزعون بذاءاتهم هنا وهناك .. وهؤلاء ليس لهم الا العقاب الرادع ..

ومع هذا فلا بد من أن ندير وجهنا للطرف الآخر الذى نريد أن نحميه من هذا العبث .. فنتساءل : هل اتخذت البنات والسيدات من الوسائل ما يحمين بها انفسهن ؟

قرأت فى بعض الصحف أن موظفا فى احدى الدول الغربية كان مقدما للمحاكمة ، بتهمة استراقه النظرات من تحت مكتبه ، الى ما فوق ركب الموظفات الجالسات أمامه ، وكاد يحكم عليه ، لولا أن خيوط المودة الجديدة جاءت تريحه وتريح أمثاله ، وتكشف عما كان يسترق النظر اليه !! وبذلك لم تر المحكمة أن تستمر فى محاكمته !!!

وانني الاحظ كما تلاحظون اسرافا من المرأة المسلمة عندنا فى الجرى وراء التقليد

((والمودات)) الواردة لنا من الغرب ، والتعلق بأشكالها ورسومها ، دون مبالاة بما يجره هذا التقليد من مخالفات لآدابنا وتقاليدنا ومن فقدان لشخصية المرأة المسلمة ، وبالتالي فقدان شخصيتنا كأمة شرقية مسلمة لها دينها وتقاليدها وكيانها ..

واذا كان التقليد الأعمى من طبيعة الشخص الضعيف ، أو الأمة المستعبدة ، فان الفرد حين يشعر بكيانه ، أو تحس الأمة شخصيتها ترفض أو يجب أن ترفض التقليد الأعمى ، وبخاصة اذا كان فيه ما يتنافى مع طابعها المميز لها على مر التاريخ ..

ولكننا مع ادعائنا المتكرر اننا أمة لها تقاليدها ، ومع حرصنا دائما على ابراز معالم استقلالنا وشخصيتنا ، لا نزال نغرق فى التقليد الأعمى للغرب فى بعض النواحى ، دون مبالاة بما يجنيه هذا التقليد على معالم هذه الشخصية !!

ومثل من واقعنا نشاهده مرات كل يوم : ((مودة)) الثياب القصيرة فوق الركبة . وكشف جزء كبير من الظهر والصدر .. أسرعت المرأة عندنا فى الأخذ بهذه ((المودة)) دون اعتبار لما تثيره من نظرات واغراء ، ولا بما يترتب على ذلك من ميوعة الشباب وانحرافهم ، وتعرضهم لهن بكلمات وأفعال ، تعتبرها المرأة الحرة جرحا لكرامتها .. فاذا نحن اتجهنا لهم ننصحهم أو نردعهم صاحوا بنا فى جرأة ومنطق : ماذا نعمل وهذه المناظر أمامنا ؟ ولماذا تلوموننا وحدنا ؟ أليس حالنا أمام المرأة وهي بهذا الشكل وأمام اللائمين لنا كما يقول الشاعر :

القــاه فــي اليــــم مكتوفــا وقال لــه
ايـــاك ايـــاك أن تبتـــل بالمـــــاء

لماذا تظهر البنت أو المرأة هكذا فى الشوارع والمجتمعات ؟ ولمن ؟ ثم لماذا تؤاخذوننا وحدنا اذا استفزتنا هذه المفاتن المغرية التي تعتبر اعتداء على عفافنا كذلك ؟ السنا نحن وهي شريكين ؟ ثم لماذا يقر مجتمعنا هذا الوضع المقلوب : المرأة التي يوجب الشرع كما توجب الطبيعة عليها أن تستر جسمها ، وتصون مفاتنها ، لا تستجيب لنــداء الشرع ، ولا لحكم الطبيعة ، بينما الرجل يغرق فى ملابسه ، ويستر كل جسمه ؟ !!

هذا المنطق معقول ومقبول سواء قسناه بمقياس الشرع ، أم بمقياس الطبيعة ، أم بمقياس المجتمع الجاد ، أو الذى يريد أن يكون جادا .. لماذا يعاقب القانون حقيقة هؤلاء الشباب ، ولا يفكر فى صاحبات العرض المغرى لمفاتنهن ؟ أليس مثل هذا العرض دعوة عملية لاثارة الشباب ، والبادى أظلم ؟ ولماذا لا يحفظ شبابنا من هذه الاثارة ثم نحاسبه بعد ذلك ؟ الأجل التقليد للغرب ؟ أم لأجل أن يقال : تقدم ورقي ؟ !

ان لنا مقاييسنا وللغرب مقاييسه . ولقد فرط الغرب فى هذه الناحية ، حتى أباح الشذوذ الجنسي بقانون ، ولا يمكن لمسلم عاقل أن يترك زمامه فى يد الغرب وهــذه فضائحه ... فلم يبق لنا اذن الا أن نعيش بمقاييسنا ونحافظ عليها ، ونربى أولادنا على أساسها ..

وهراء هذا الذى تتشدق به بعض السيدات والمناصرين لهن لحاجة فى نفس يعقوب .. من أن مثل هذه الملابس من مظاهر التقدم والتمدن !! فما كان معيار التقدم والتمدن ثوبا تلبسه ، أو سلوكا مائعا تسلكه ..

انني أعرف أن التدين من طبيعة أمتنا . ولكن تجرفها أحيانا بعض المظاهر ، فتسير فى تيارها خشية أن يقال : انها متأخرة ... وهذا فى ذاته ضعف شخصية يجب أن نتغلب عليه ، فان الفرد أو الشعب الذى يحافظ على تقاليده السليمة ، وتعاليم دينه القويمة ، يحظى دائما بتقدير الغير واحترامه له . والمحافظة على هذه التقاليد والتعاليم لا تحول مطلقا بين الانسان وما يريده من تقدم ، وقد كانت المرأة المسلمة فى العصور الأولى فى الذروة من قومها ، وهي محافظة على تقاليدها .. ورأينا المـرأة المعاصرة فى الهند وفى سيلان تصل الى أسمى المراكز داخل بلادها وخارجها وهـي متمسكة بتقاليدها لم تتخل عنها .

وأن الاسلام فيما خطه للمرأة ، ورسمه لها من ملابس ، قد كرمها وصانها من أن تكون موضع اثارة ، أو مبعث ميوعة ، أو نهبا للفضوليين ، وهدفا للمستهترين والمستغلين . وقد قال الله سبحانه لنبيه صلوات الله وسلامه عليه ((يأيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن)) وعلل هذا الأمر والتوجيه بقوله بعد ذلك مباشرة ((ذلك أدنى أن يُعرَفن فلا يُؤذَين)) أى ذلك أقرب الى ان يعرف الرجال شخصيتهن ، وأنهن نساء مسلمات عفيفات متصونات فلا يطمع فى ايذائهن أحد .

واننا لا ندعو بذلك الى أن تخب المرأة أو تتعثر فى ملابسها ، أو تحجب عنها نور الطريق بما تلقيه على وجهها . بل نريد لها ما يريده الاسلام من ألا تكون معرضا للفتنة والاثارة .. ولتلبس بعد ذلك ما يروقها .

وانا لا أتجه بكلامي هذا الى المرأة وحدها ، ولكني أتوجه به للأب والزوج والأخ والابن وللصف الاول من سيداتنا الرائدات . وأتوجه كذلك الى أصحـاب الكلمات المسموعة والمقروءة ، كي نعمل جميعا على أن تقوم المرأة بدورها الجاد فى المجتمع ، دون اثارة واستفزاز للشباب ، ومن تحدثه نفسه بعـــد ذلك بخدش حيائهن يلق الجـزاء الرادع .

والله الهادى والمعـين .

رئيس التحرير

جرائم بني إسرائيل كما

سبق أن بينا فى مقال سابق أن فى عالم الحياة الدنيا أمة واحدة شغلت هي ونبيها من القرآن الكريم حيزا كبيرا لم يحصل مثله لأمة غيرها . نرى القرآن قص علينا تاريخها من يوم تكوينها الى انقطاع وحي السماء الى خاتم النبيين عليه الصلاة والسلام ، وأن هذه الأمة هي أمة بني اسرائيل ، وأن نبيها هو كليم الله موسى عليه السلام ، وبينا فى المقال السابق تاريخ موسى من يوم أن ولد الى أن توفاه الله سبحانه فى التيه شاكيا الى ربه قسوة قلوب بني اسرائيل .

والآن نقص عليك أطوار هذه الأمة من يوم أن تكونت كأمة فى مصر ، وما دبروه لامتصاص أموال المصريين ، وما عاناه منها نبيها الذى أرسله الله لانقاذها ، وكيف تمردت عليه ، ورغم كل ذلك كان سبحانه يمد لها من الغنى ، ويمهلها حتى اذا ما استفحل شرها دمغها بالعقاب الخالد ، الذى ذاقت من ويلاته ما هو ماثل أمام من يرى ومن يسمع الى يومنا هذا ، كما ستعلم ذلك واضحا . هذا فى الحياة الدنيا ، ولعذاب الآخرة أخزى لو كانوا يعلمون .

نقول : يحدثنا القرآن أن سبب تكوين هذه الأمة فى مصر ، وتثبيت أقدامها فيها ، هو وفود يوسف بن يعقوب عليهما السلام ، مجلوبا بضاعة على يد قافلة قادمة من الشام التقطته من البئر الذى ألقاه فيه اخوته من أبيه ، وباعته هذه القافلة لعزيز مصر بثمن بخس دراهم معدودة ، وأن هذا العزيز ، أى الوزير الكبير ، اشتراه عبدا مملوكا ، وأوصى به امرأته خيرا ، عسى أن ينفعه أو يتخذه ولدا .

ويقص عليك القرآن أيضا ما حصل

قال الله تعالى : لعن الذين كفروا من بنى اسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون .

يقصها القرآن الكريم

للشيخ عبد الجليل عيسى
عميد كلية اللغة العربية سابقا ـ جامعة الأزهر

ليوسف ، بعد ما بلغ مبلغ الرجال ، من المحنة مع امرأة العزيز ، ودهشتها عندما فاجأها لما راودته عن نفسه بسرعة الاستعصام ، والالتجاء الى ربه ليحفظه من هذه الفتنة ، قال تعالى حكاية عن امرأة العزيز (ولقد راودته عن نفسه فاستعصم) آية ٣٢ من سورة يوسف .

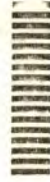
ويقص علينا القرآن حدثا غريبا فى التاريخ ألا وهو سطوة امرأة الوزير على كل من حولها ، حتى تجرأت بدون مبالاة على الجهر بأن يوسف اذا لم يفعل ما ترى فلا بد من سجنه ؟ ومن البدهي أنه زاد امتناعا، ومن العجب أنه فعلا سجن !! يا للعار لهؤلاء الرجال .

سجنت يوسف ومكث فى السجن مدة قيل انها سبع سنين ، ولم ينقذه من السجن الا تفسير رؤيا ملك مصر الذى كان يجهل ما صك الأسماع ، وزكم الأنوف ، من فضائح جرت فى عاصمة ملكه .

عبرة فى أعطاف عبرة وان كانت من نوع آخر

ضع أيها القارىء الكريم المصحف أمامك ، وافتحه على سورة يوسف ، ثم اقرأ متمهلا من أول آية ٢٣ الى آخر آية ٥١ ، ثم فكر مليا ماذا يريد القرآن أن يلفت نظرك اليه من هذا القصص الذى ما جاء الا للعبرة كما فى آية ١١١ من هذه السورة (لقد كان فى قصصهم عبرة لأولى الألباب) .

جرائم بني اسرائيل



أقول : تأمل ثم قل بخشوع المؤمنين الحمد لله الذى هدانا لديـن الاسـلام وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله .

دولة كبيرة كمصر فى ذلـك الحـين غاضت فيها مياه الغيرة على الأعراض ، وتبجح نسـاء عظمائهـا الى هذا الحد الفاجر (١) ، وكانت لهن الكلمة العليا فى تصريف الشؤون ، فيسجن من شئن ويلعبن بمصير الرجال ، والرجال لاهون ، الوزير الكبير لا يخجل ، والملك آخر من يعلم (٢) .

وبعـد ، فهـل رأيت هـذا الفحش الفاحش ، والاستهتار السـافر يقبلـه عربي أو مسلم شرفه الله بالاسلام ؟ قل معي شكرا لك يا رب على أنك رضيت لنا الاسلام دينا .

نقول : لما خرج يوسف من السجن ، وذهب لمقابلة الملك استجابة لطلبه ، وما أن رآه الملك وحدثه حتى أعجبه علمـه وخلقه ، فعرض عليه أن يختار عملا يكله اليه ليساعده فى ادارة شـؤون مصر ، فطلب يوسف أن يكون وزيرا للمالية . وفى الحق ان يوسف عليه السلام ذكـر للملك صفتين منَّ الله بهما عليه ، همـا كل ما يجب أن تتوفرا فى وزير المالية ، الأولى الأمانة وحفظ الأموال من الضياع فى غير الوجوه الصالحة ، والثانية العلم بطرق استثمار الأموال وتنميتها ، فقال (اجعلني على خزائن الأرض اني حفيظ عليم) آية ٥٥ .

ومن الطبيعي أن ماليـة مصر بعد أن صارت تدار بمهارة يوسف عليه السلام نمت وترعرعت ، وتوفر لمصر من ثمرات الارض ما لم يتوفر لغيرها مما حولها . ثم يحدثنا القرآن بعد ذلك عن الجدب الذى أصاب بلاد الشام التي فيها يعقوب وبنوه ، وعن ايفاده أبنائه لمصر يجلبون لهم القوت ، وأن يوسف عرفهم وهم لم يعرفوه . ويحدثنا القـرآن عـن اكرام يوسف لاخوته ، وايفائهم الكيل ليسهل عليه الوصول لما يريد ، ولهذا أمر فتيانه أن يدسوا البضاعة التي جاءوا بها من الشام ليشتروا بها القوت ، يضعونها فى وسط أمتعة اخوته وهم لا يشعرون ، ثم قال : اذا جئتم المرة الثانية فيجب أن يكون معكم أخوكم مـن أبيكـم ، فان لم تأتوا به فلا كيل لكم عندى ، ولا تقربوا بلادنا .

ولـما رجعوا أخبـروا أباهـم بأنهـم لا يستطيعون جلب قوت من مصر ثانيا الا اذا كان معهم أخوهم بنيامين ، فرفض أولا ، ولما فتحـوا متاعهـم ، ووجدوا بضاعتهم ردت اليهم ، ألحوا على أبيهم بأنه لا خوف على أخينا عند هذا الرجل الكريم الذى أعطانا ما نريد بلا مقابل ، ولا زالوا به حتى قبل ، وأرسل بنيامين معهم ، ولما دخلوا على يوسف ، أسر الى أخيه الحقيقة ، ودبر حيلة تمنعه مـن الرجوع معهم ، وفعلا رجعوا دونـه ، فحزن يعقوب عليه السلام حزنا شديدا حتى كاد يفقد بصره ، ثم ألجأتهم الظروف الى الرجوع لمصر ثانيا طالبين بضاعة ، عند ذلك صارحهم يوسف بالحقيقة ، وقـال لهـم اذهبـوا وأتـوني بالأسرة جميعها ، وفعـلا جاءت أسرة يعقـوب (الـذى يسـمى اسرائيـل) الى مصر (أبو يوسف) وأمه واخوتـه العشـرة الباقون ، وبضم هؤلاء ليوسف وأخيه يكون مجموع أولاد اسرائيـل اثنى عشر ولدا ، أقامت الأسرة بمصر معززة مكرمة، تقرأ بعض مظاهر ذلك فيما جاء فى التوارة

(١) انظر الآيات من ٢٨ الى ٣٢ . (٢) آية ٥٠ .

التي بين أيدينا الآن فى آية ١١ من الاصحاح ٤٧ حيث تقول « فاسكن يوسف أباه واخوته واعطاهم مكانا فى مصر فى أفضل الأرض من أرض رعمسيس » .

لعلك الآن أدركت الخلية الأولى لهذه الشرذمة التي مد الله سبحانه لها كما مد لابليس ، لحكمة سامية لا يدركها الا العالمون ، وسيمر بك بعضها ان شاء الله .

مكث بنو أسرائيل بمصر يتوالدون ويتناسلون مدة طويلة ، قدرها بعض الباحثين بنحو أربعة قرون ، حتى تولى أمر مصر ملك لا يعرف ليوسف فضلا ، ورأى بنى اسرائيل يكثرون ولهم مهارة فى امتصاص أموال المصريين ، فخاف على قومه أن يغلبهم هؤلاء الدخلاء على بلادهم (١) ، فطفق فرعون يخضد من شوكتهم ، يقتل أبناءهم ، ويستبقي نساءهم للخدمةالىآخر ما قصه القرآن .

فى هذا الجو المشحون بالكراهية لبني اسرائيل ، ولد موسى عليه السلام ، وكان من شأنه ما قصصناه عليك فى المقال السابق .

ولننظر الآن ماذا كان من بني اسرائيل بعد أن أنقذهم الله من بطش فرعون وجنوده ، هل شكروا الله على هذه النعمة العظمى ؟ وهل وقروا نبيهم الذى أنقذهم الله سبحانه على يديه ؟

كلا . لا نعمة الله شكروا ، ولا قدروا فضل موسى عليهم ، فعقب خروجهم من البحر ولا زالت آثار مياهه عالقة بأرجلهم كما يقولون ، رأوا قوما يعبدون أصناما لهم ، (قالوا يا موسى اجعل لنا الها كما لهم آلهة ، قال انكم قوم تجهلون) آية ١٣٨ من سورة الأعراف . فلو لم يكن لهذا الشعب الجحود سوى هذه الجريمة النكراء لكانت وحدها كافية لكشف خبث طواياهم ، وانهم ليسوا أهلا لسوابغ نعم الله عليهم ، ولكانت كافية أيضا فى تدميرهم السريع ، ولكن كيد المنتقم الجبار يملي للظالم حتى اذا غرق فى جرمه الى الأذقان ، وأحاطت به خطيئته ، أخذه الله أخذ العزيز القادر بما يسجل عليه الخزى الخالد ، والشقاء الأبدى ، كما سيأتيك نبأه قريبا ان شاء الله .

هذه أولى جرائمهم ، وستتلوها رفيقاتها تترى .

واليك الجريمة الثانية ، وهي أكبر من أختها : وعد الله سبحانه موسى أن يعطيه ألواح التوارة بعد انقطاعه للعبادة أربعين ليلة ، بعيدا عن قومه ، استعدادا لمناجاة ربه ، فاستخلف موسى على قومه فى هذه الفترة أخاه هارون يرعى مصالحهم ، ويحرسهم من أن تلعب بعقولهم الشياطين . فماذا كان من

البقية على ص ٢٢

(١) اقرأ الاشارة الى ذلك فى قوله تعالى (فأرسل فرعون فى المدائن حاشرين (٥٣) ان هؤلاء لشرذمة قليلون (٥٤) وانهم لنا لغائظون (٥٥) وانا لجميع حاذرون (٥٦) من سورة الشعراء .
واقرأ قول فرعون فى شأن موسى (ان هذا لساحر عليم (٣٤) يريد أن يخرجكم من أرضكم بسحره (٥٣) من سورة الشعراء . فهذه الآية الثانية تبين معنى الغيظ الذى يقصده فى الآية ٥٥ من أن تكون أرض مصر خاصة ببني اسرائيل يتصرفون فيها كما يشتهون .

الإسلام يحارب الدجل والخرافات ويرسم نظام الحجر الصحي والطب الوقائي

لفضيلة الشيخ علي عبدالمنعم عبدالحميد
المستشار الثقافي لوزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية

عن عبد الرحمن بن صخر رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا عدوى ، ولا طيرة ، ولا هامة ، ولا صفر ، وفر من المجذوم ، كما تفر من الاسد » (رواه البخارى)

تمهيد

الايمان بالله تعالى يستلزم الثقة بحكمته فى افعاله وقدرته التى لا تحد ، مع امتثال أوامره ، والتوكل المطلق عليه وحده ، والسير على نهج رسله عليهم السلام ، مصاحبا الاخذ فى الاسباب ، والاهتداء بسنته فى خلقه ، واعداد القوة المادية والمعنوية ، ثم اللجوء اليه طلبا للنجاة ، او املا فى خير ما عنده ، فهو سبحانه مولانا وناصرنا وموفقنا ، فنعم المولى ونعم النصير ، فلا نحزن عند شدة ، ولا نبطر عند نعمة ، ونجزم انه وحده هو الذى يكشف الغمة اذا حلت ، ويدرأ البلاء اذا نزل ، علمنا فى محكم كتابه ما يربطنا به عبادا مؤمنين مقتفين أثر رسوله الكريم ، نتلو ليلنا ونهارنا « قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا هو مولانا وعلى الله فليتوكل المؤمنون » فلا يحل بنا اليأس لدى البأس أبدا ، ولا ننكص على أعقابنا فرارا من قضائه وقدره « وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو وان يردك بخير فهو على كل شيء قدير »

وعلى ضوء هذه التعاليم وفى رحابها الطاهرة وفى سناها الربانى العلوى نحاول جهد طاقة البشر فهم ما ورد فى الحديث الشريف (لا عدوى ولا طيرة ، ولا هامة ، ولا صفر ، وفر من المجذوم كما تفر من الاسد) .

١ ــ لا عدوى(١) : أى لا سراية للمرض من

(١) عدوى ــ بفتح العين المهملة وسكون الدال وآخرها ألف مقصورة .

المبتلى به الى غيره من الاصحاء وقد كانت العرب تعتقد ان لبعض الامراض قدرة على أن تتعـدى المريض بطبعها لخاصية موجودة فيها ، اى انهـا مؤثرة بذاتها ، فوجههم رسول الله صلى اللـه عليه وسلم الى ان الفاعل المختار لكل شيء هـو الله ، فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن ، فليس لمرض ان يعدى الآخرين الا بارادة الله ومشيئته فالامر مفوض اليه « وأفوض أمرى الى الله ان الله بصير بالعباد » كما أن كشف الضر عن العليل بارادة الله « وأيوب اذ نادى ربه أني مسني الضر وأنت ارحم الراحمين فاستجبنا له فكشفنا ما به من ضر .. » ومن دعـاء ابراهيم عليـه السلام « واذا مرضت فهو يشفين » ومن كلم رسول الله يدعو لمريض (اذهب الباس رب الناس ، اللهم لا شفاء الا شفاؤك شفاء لا يغادر سقما) .

٢ ـ والطيرة(١) : من التطير وهو التشاؤم من الفأل السيء(٢) ومنشأ الطيرة ان العرب كانت تزجر الطير فى المهمات من أمورها ، فاذا أرادت قبيلة شن غارة على أخرى ، او رغبت فى انتجاع مواطن الكلا وقصد عيون الماء ، او الخروج مـن مضاربها فى مهم ايا كان نوعه زجرت الطير واهاجته فان طار على اليمين تفاءلوا خيرا ، ومضوا لطيتهم ، وان يمم اليسار تشاءموا ، وعدلوا عما قصدوا ، وقد فطن بعض عقلائهم قبل الاسلام الى تفاهة هـذا العمل وتهافته وسـقوطه فأنكـروا التطير وتمدحوا بتركه ، وفى ذلك يقول قائلهم :

ومـا عاجـلات الطـير تـدني الفتـى
نجاحـــا ولا عــن ريثهــن قصـــور

وقال آخر هازئا بضاربات الحصى وزاجرات الطير :

لعمـرك ما تـدرى الضوارب بالحصى
ولا زاجـرات الطير مـا اللـه صـانع

وجاء الاسلام داعيا الى بحث الامور وتقليبها على وجوهها والاعتماد على الله والمضى الى العمل بعد الروية والتدبر « فاذا عزمت فتوكل على الله » ونفى نفيا قاطعا ما اعتادوه من الرجم بالغيب والتطير وما يمت الى ذلـك بصلة مـن الكهانة والعرافة وضرب الحصى وخط الرمل ، وفى حديث مرفوع عن انس (لا طيرة والطيرة على من تطير)(٣) وعن عبد الرحمن بن صخر مرفوعا (اذا تطيرتم فامضوا وعلى الله فتوكلوا)(٤) وعن ابى الدرداء (لن ينال الدرجات العلى من تكهن او استقسم او رجع من سفر تطيرا)(٥) وعن ابن عمر موقوفا (من عرض له من هذه الطيرة شيء فليقل : اللهم لا طير الا طيرك ولا خير الا خيرك ولا اله غيرك)(٦)

٣ ـ ولا هامة(٧) : ومن مدلولاتها ذوات السموم، ودواب الارض التى تهم بايذاء الناس ، ومن المروى عن العرب قبل الاسلام انهم كانوا يعتقدون انه اذا قتل الرجل ولم يبادر اولياؤه بالثأر له خرجت من رأسه هامة ، ويزعمون انها دودة تدور حول قبره ظمـآى الى دم القاتل ، تصيح اسـقونى ، اسقوني ، وتستمر فى دورانها لا تنقطع ولا تنفك عن صياحها حتى يدرك الثأر فتشرب من دمه وتسكن ثم يتلاشى صوتها وتختفى الى الابد قال شاعرهم متوعدا :

يا عمـر ان لا تدع شـتمى ومنقصتى
اضربك حتى تقـول الهامـة اسقونى

وعدل بعض الباحثين عن هذا التخريج الى ان الهامة طائر من طيور الليل كأنه يعنى (البومة) قال ابن الاعرابى كانوا يتشاءمون بها اذا وقفت على دار أحدهم يتوهمها ناعية اليه نفسه ، أو ماله ، او واحدا من اعزائه .

والحديث الشريف ينفى وجـود الهـامة او التشاؤم بها فى أى صورة تخيلت فهي أما من نسج الخيال اطلاقا كالمتوهمة فى شأن القتيل ، وامـا انها موجودة فعلا (كالبومة) ولكن لا شؤم فيها .

---

(١) طيرة مصدر تطير ، ويناظره خيرة ، مصدر تخير
(٢) فى القرآن الكريم (قالوا اطيرنا بك وبمن معك) وفى الحديث الشريف (انه كان يحب الفأل ويكره الطيرة) . (٣) رواه ابن حبان
(٤) اخراجه ابن عدى (٥) أخرجه الطبراني (٦) اخرجه البيهقي
(٧) الهامة بتشديد الميم وتخفف ، وفى المختار . الهامة واحدة الهوام ، ولا يقع الاسم الا على المخوف من الاحناش .

٤ ـ ولا صفر(١) : مما يراد بهذا اللفظ (صفر) عند العرب الشهر المعروف من السنة الهجرية ، وحية تسكن جوف الانسان تنهش امعاءه اذا جاع فيسعى للحصول على الطعام . فعلى الثاني : ينفي الحديث وجودها مثبتا انها خرافة ، وان عض الجوع احساس خاص يشعر به الانسان لدى فراغ معدته من مأكل ومشرب ، وعلى الاول يشير رسول الله صلى الله عليه وسلم الى نفى النسيء ، وهو تأخير او تقديم بعض الاشهر الحرم عن مواضعها التى حددتها شريعة سيدنا ابراهيم عليه السلام ، وقد جاء بالقرآن الكريم ما يؤكد ذلك قال تعالى « انما النسيء زيادة الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عاما ويحرمونه عاما ليواطئوا عدة ما حرم الله فيحلوا ما حرم الله .. » (٢) .

وقد ورث العرب من شريعة ابراهيم واسماعيل عليهما السلام تحريم القتال فى اربعة اشهر من السنة تأمينا لطريق الحج حتى تأتى قوافله من كل فج عميق وهى آمنة مطمئنة تحقيقا لدعوة أبي الانبياء « ربنا اني أسكنت من ذريتي بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم ، ربنا ليقيموا الصلاة ، فاجعل أفئدة من الناس تهوى اليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون »(٣) ولما مضى بالعرب الزمان وطال عليهم الامد غيروا وبدلوا فى المناسك وفى تحريم الاشهر ولا سيما المحرم ، لان ترك القتال وايقاف الغارات ثلاثة اشهر متوالية مما يجافى طبيعة العرب وحبهم للنزال والكر والفر، وكانت الاشهر الحرم مانعة لهم من قضاء مآربهم من أعدائهم ، فأحدثوا قبل الاسلام بمدة تحليل القتال فى محرم ، واخروه الى صفر ، فكانوا يشنون الغارات والحروب فى المحرم ، ويتركونها فى صفر ، وقد تحدث عن منشأ النسيء محمد بن اسحاق فى السيرة(٤) فقال (كان اول من نسأ الشهور على العرب فأحل منها ما حرم الله وحرم منها ما أحل الله عز وجل « القلمس وهو حذيفة بن عبد فقيم بن عدى من ولد كنانة، ثم قام على ذلك من بعده ابنه عباد الى ان وصلت الى ابي ثمامة جنادة بن عوف وكان آخرهم وعليه قام الاسلام ، فكانت العرب اذا فرغت من حجها اجتمعت اليه فقام فيهم خطيبا فحرم : رجبا وذا القعدة وذا الحجة ويحل المحرم عاما ويجعل مكانه صفر عاما ليواطىء عدة ما حرم الله فيحل ما حرم الله ويحرم ما احل الله) .

وذكر صاحب الروض الأنف (ان جنادة بن عوف من النسأة ، قال وعليه قام الاسلام وقد وجدت خبرا يدل على اسلامه ، فقد حضر الحج فى زمن عمر فرأى الناس يزدحمون على الحج فنادى أيها الناس انى اجرته منكم ، فخفقه عمر بالدرة ، وقال ويحك ان الله قد ابطل امر الجاهلية)(٥)

وهذا الحديث مؤيدا بآية التوبة يفيد ان العرب غيروا ما شرعه لهم ابراهيم عليه السلام اتباعا للهوى وعدولا عن أوامر الله تعالى ، فنسأوا فى الاشهر الحرم كما مر بك آنفا ، وقد سمى القرآن هذا العمل زيادة فى الكفر « انما النسيء زيادة فى الكفر » لان حق التشريع فى هذا لله وحده العليم بما يفيد الناس وما يضرهم ، فترك أوامره الى غيرها شرك فى ربوبيته سبحانه ، والعجيب من أمر القائمين بهذا النسيء ان يزعموا متابعة ابراهيم عليه السلام وعدم الخروج على ما شرعه لهم مما وصاه الله به حيث جعلوا الاشهر الحرم أربعة كما هى فى العدد ولم ينظروا الى أنهم بدلوا المحرم بصفر تارة والعكس تارة اخرى ، فهم لم يدركوا حكمة التخصيص بالاشهر المعينة ولهذا يقول القرآن الكريم « زين لهم سوء أعمالهم .. »، ودائما نرى الخارجين على حدود الله فى كل عصر ومصر جرآء على الله يخيل اليهم أنهم يأتون بالانسب والافضل وحاشا ان يكون وصدق الله العظيم « ولكن قست قلوبهم وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون » (٦) .

---

(١) صفر الشهر بعد المحرم ، قال ابن دريد الصفران شهران من السنة سمى احدهما فى الاسلام المحرم، والصفر بفتح الصاد المشددة والفاء المسهلة فيمازعم العرب . حية فى البطن تعض الانسان اذا جاع واللذع الذى يجده من الجوع هو أثر عضها. وفى الحديث (لا صفر ولا هامة) ا.هـ. لسان العرب .

(٢) التوبة ٣٧ (٣) ابراهيم (الآية ٣٧) .

(٤) ص ٤٢ من سيرة ابن هشام على هامش الروض الانف طبع مصر ١٩١٤

(٥) نفس المصدر والصفحة (٦) الانعام الآية (٤٣) .

٥ ـ نفى هذا الحديث الشريف وجود أربعة اشياء وابان انه لا اصل لها ، وفى احاديث اخرى نفى أيضا وجود الغول والنوء (١) .

اما الغيلان فقد زعمت العرب انها من الشياطين وتسكن الفلوات تتراءى للبشر وتتلون لهم لتضلهم عن جادتهم ، فيهلكوا فى التيه ، وهى مستحيلة الوجود .

واما النوء فقد ورد فى كتب اللغة ان النوء سقوط نجم من المنازل فى المغرب مع الفجر وطلوع رقيبه من المشرق يقابله من ساعته فى كل ثلاثة عشر يوما ، وكانت العرب تضيف الامطار والرياح والحر والبرد الى الساقط منها، وقيل الى الطالع منها لانه فى سلطانه .

٦ ـ وفر من المجذوم كما تفر من الاسد امر بالهروب السريع ، والابتعاد عن مداناة المصاب به، وهو داء يصيب الاطراف غالبا فتحمر منه ثم تتقطع وتتناثر ، يعدى من يقترب منه ، وفى سنن ابى داود مرفوعا (أن من العرق التلف) قال أبن قتيبة (العرق مداناة الوباء والمرض)(٢) .

وجمعا بين اول الحديث وآخره وتقريبا لذلك الى الافهام ، نجد الذين عالجوا هذا الموضوع من العلماء الاعلام اجابوا بأجوبة كثيرة منها :

١ ـ نفي الحديث العدوى مطلقا ، وانما أمر بالفرار من المجذوم (أى الابتعاد عنه) لمعنى يتعلق بالمريض نفسه ، وهو ابعاد الاصحاء عنه لئلا يتأثر بما هو فيه فيضعف ايمانه فيضل .

٢ ـ حمل لا عدوى على قوى الايمان صحيح التوكل بحيث يستطيع أن يدفع عن نفسه التطير الذى يحل النفوس البعيدة عن ربها ، وأمر الفرار لمن اتصف بعكس ذلك .

٣ ـ اثبات العدوى من الجذام ، وأضرابه من الامراض المعدية وقصر الامر بالفرار عليها خاصة .

٤ ـ أن المقصود بنفي العدوى بيان أن المرض لا يعدى بطبعه خلافا لما كان يعتقده العرب من أن الامراض تعدى بطبعها ولا يضيفون ذلك الى ارادة الله ومشيئته ، فأبطل الرسول صلى الله عليه وسلم هذا الاعتقاد بقوله وفعله ، فقد أكل مع مجذوم وقال (ثقة بالله وتوكلا عليه) ليبين أن الله تعالى هو الذى يمرض وهو الذى يعافي ، ونهاهم عن الدنو منه ليعلموا أن هذا من الاسباب التى أجرى الله العادة بأنها تفضي الى مسبباتها ، ففي نهيه اثبات الاسباب وفى فعله اشارة الى أنها لا تستقل بل الله هو الذى ان شاء سلبها قوة التأثير فلا تؤثر شيئًا وان شاء ابقاها فأثرت والله أعلم .

... ونتابع السير فى رحاب السنة الشريفة وهي تتحدث عن الاوبئة التى تعرض للبشر وكيف يجابهونها فنجد حديث الطاعون الذى عده الاطباء المعاصرون اعجازا فى الحجر الصحي والطبالوقائي وسأورده بتفاصيله وأترك نواحيه الطبية لذوى الاختصاص من نطس الحكماء وأطرقه من نواح أخرى تتعلق بموقف أمير المؤمنين عمر حيال ما عرض له فى رحلته الى الشام .

عن عامر بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه أنه سمعه يسأل اسامة بن زيد ماذا سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الطاعون ؟ فقال اسامة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (الطاعون رجز أرسل على طائفة من بني اسرائيل وعلى من كان قبلكم فاذا سمعتم به فى أرض فلا تدخلوا عليه ، واذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا منها فرارا منه (٣) .

فقد نهى عن ولوج الاماكن الموبوءة بالطاعون بعدا عن أسباب قد تؤدى الى الهلاك ، ونهى فى الوقت نفسه عن الخروج من الارض المنتشر بها الطاعون فعلا ليظهر التوكل عليه وتفويض الامر اليه وحصرا للمرض فى مكانه .

والخلاصة

أن الاخذ فى الاسباب لا ينافى التوكل مطلقا ، فنواصينا بيد من خلقنا ، فنحن اذا اقتربنا من الخطر وأصبنا فبقضاء الله وقدره ، وان ابتعدنا ونجونا فبتدبير الله وتوفيقه ، وكل من عند الله سبحانه لا يسأل عما يفعل وهم يسألون ويؤيد

البقية على ص ٣١

(١) النوء بتشديد النون وسكون الواو ، وجمعهأنواء ونوءان كعبد وعبدان .

(٢) ص ٤ من الطب النبوى لابن قيم الجوزية .   (٣) رواه الشيخان .

مناهج التفكير في الشريعة الإسلامية



المنهج السليم

لفضيلة الشيخ
محمد محمد المدني

للعقل وظيفة ، وللشرع وظيفة ، وللاجتماع وظيفة .

ومعنى هذا ان لكل من هذه الثلاثة مجالا واختصاصا يعمل فى نطاقه ، وتدور أحكامه على أساسه وليس معنى ذلك انها قد تتصادم وتتصارع او يهدم بعضها بعضا ، فان التنسيق بينها والتآخى والتعاون على الوصول الى ما هو الحق والخير والجمال ، قائم مع اختلاف المجالات .

فاذا نظرنا الى العقل وجدنا له احكاما لا مناص من التسليم بها ، ولكنها ليست دائما مما يهتم به الشرع ، او يحفل بـه الاجتماع .

فمن ذلك ان العقل يحكم بأن الجزء اصفر من الكل ، وبأن الواحد نصف الاثنين ، وبأن الجسم لا بد ان يحتل قدرا من الفراغ .

والشرع لا يرد بالحكم فى مثل ذلك ، لان وظيفته الاساسية هى الحكم على

(١) نشر المقال الاول فى عدد ١١ من هذه المجلة

في النظر الى العقائد والعبادات والمعام

أفعال الناس ، واعطاؤها صفة الحل او الحرمة او الندب او الكراهة او الاباحة ، فلا يهمه فى كثير ولا قليل أن يحقق نصفية الواحد للاثنين ، ولا صغر الجزء بالنسبة للكل مثلا .

وكذلك الاجتماع ، فانما هو ارتباط الناس بعضهم ببعض فى صور التعامل وما يتصل بهذا الارتباط من قواعد وآداب وسلوك ، من شأنها أن توطده ، وتثبت أركانه ، وتنفى عن الناس ما يصيبهم من حرج اذا انفرد كل منهم بنفسه ، اذ الانسان كما يقولون : مدنى بطبعه .

وانما قلنا ان احكام العقل ليست « دائما » مما يهتم به الشرع ، فاحترزنا بقيد الدوام لان الشرع قد يهتم بحكم العقل احيانا ، بل يبنى عليه اصل الايمان بمصدره ، ويحكمه فى فهم نصوصه والترجيح بين دلالاتها المظنونة فيما هو ظنى ، فان الدليل على وجود الله الذى هو مصدر جميع الشرائع انما هوثابت بحكم العقل،وقد جاءت الشرائع مصدقةله، على سبيل المؤازرة والبيان ، لا على سبيل الابتداء والانشاء ، ولذلك يقول العلماء : ان الشرع بالنسبة للايمان بالله خالق مبدع متصف بكل كمال ، منزه عن كل نقصان ، انما هو مؤكد لا مقرر ، واننا لنرى علماء الاصول يؤسسون قواعدهم الشرعية على أساس المنطق العقلى ، ويرسمون خططهم ، ويضعون مناهجهم على ضوء احكام العقل ، وفى القياس ، والتعديل والترجيح امثلة كثيرة على ذلك .

واذا نظرنا الى الشرع وجدناه ينشىء اشياء لا دخل للعقل فيها ، فهو مثلا يركب عبادة الصلاة من اقوال وافعال معينة ، لو كان قد اختار غيرها ، لما رآه العقل مخالفا له ، او مصادما لحكمه ، وذلك لان العقل معزول عن ذلك ، وهو يعلم انه قاصر عنه ، لانه هاد ومرشد ، لا مشرع وموجب .

فمعرفة العقل لاختصاصه تحول بينه وبين التدخل فى احكام الشرع التى لا مجال له فيها .

وقد احتطنا هنا ايضا فقلنا « التى لا مجال له فيها » لاننا وجدنا الشرع نفسه يأذن للعقل فيما له فيه مجال ، كتقدير المصالح ، وادراك تغير الاحكام بتغير الاعراف أو الازمان ، الى غير ذلك .

واذن فالعقل والشرع متعاونان،بينهما اتفاق منسق ، وان كان لكل منهما مجاله ، ودائرة اختصاصه .

واذا نظرنا الى الاجتماع ، وجدناه مجالا لارتفاق الناس ، وتبادل المصالح والمنافع بينهم ، وهو فى الاصل حر ، لا يتقيد الا بما يحقق هذه المصالح والمنافع، ولا يهمه الا أن تحصل فى نطاق التبادل العام ، فالتعامل بالبيع فى نظر الاجتماع هو نوع من التبادل ، والزواج نوع من التبادل يقدم فيه كل من الزوجين منافع مقابلة لما يأخذه منه ، حتى الهبات التى لا مقابل لها فى الظاهر ، انما هى تبادل مصلحى ، لانه انما وهب بعض ماله ، او بعض اشيائه ، ليصل الى اكتساب محبة الموهوب له ، والوظائف تبادل : فالموظف يأخذ من المجتمع ويعطيه ، والمجتمع بالتالى يعطى الموظف ويأخذ منه .. وهكذا .

واساس ذلك كله هو التراضى والتفاهم ، وما دام هناك تراض وتفاهم واصطلاح ، فالاصل ان الاجتماع على ما ارتضى عليه افراده وتصالحوا .

وكل ما يتدخل به العقل او الشرع فى نظم هذا المجتمع او ذاك ، او فى وجوه التعامل فيه ، انما هو النظر فى مقاييسه ومثله ، ليعلم هل هى مطبقة محترمة او مهملة منكرة ، فاذا رأى العقل مثلا أن مجتمعا من المجتمعات ينكر الحقائق الثابتة بالبراهين العقلية ، ويتشبث بالخرافات والاوهام ، كان له ان ينظر الى هذا المجتمع بعين غير عين الرضا ، وكان عليه ان يجاهد الامور فى هذا المجتمع حتى يقيمه على الصواب،وكذلك الشرع فانه لا يدخل المجتمعات ليقول لاهلها مثلا : تعاملو بالكيلوا او بالرطل او بالوزن او بالكيل ، ولكن يقول لهم « واوفو الكيل اذا كلتم وزنوا بالقسطاس المستقيم » فهو يهتم بتحقيق مثله وما جاء به من فضيلة وعدل ، لا بالتفاصيل التى يدخل اعتبارها فى اختصاص المجتمع .

وليس تدخل العقل ولا تدخل الشرع فى مجتمع من المجتمعات لتحقيق المقاييس العقلية او المثل الشرعية ، بخروج منهما على اختصاصهما ، ولا بافتيات منهما على اختصاص المجتمع ، فان وظيفة العقل والشرع تدخل فى المجتمعات ، كما تدخل على الافراد ، وان المجتمعات الطبيعية السليمة هى التى تتقيد بالعقل والشرع ، لا التى تصادمهما وتخرج عليهما وتتنكر لمنطقهما ، فموقف العقل والشرع منها انما هو موقف الناقد المهذب، الذى يحول بينها وبين الاندفاع وراء الاغراض الفاسدة ، والشهوات الباطلة ، باسم المصالح والمنافع المتبادلة .

على هذا الاساس الفاصل بين ما للعقل ، وما للمجتمع ، وما للشرع ، تقوم مناهج التفكير فى الشريعة الاسلامية تبعا لاختلاف اسلوب المشرع فى ميادين التكليف :

ميدان العقائد

١ ـــ ففى ميدان العقائد التى يفرض علينا الدين ان نؤمن بها ، نجد ان هذه

العقائد ما هى الا اخبار عن حقائق ثابتة فى نفسها ، لها وجود واقعى ، تحرص الشريعة على ان نعرفه ونؤمن به ، وهى تفترق فى هذا عن الاحكام التى هى من قبيل الانشاء ، والتى تشرع للناس بعد ان لم تكن ، وتتغير احيانا بتغير الزمان والمكان ، وتقبل النسخ فى عهد الرسالة ، ولذلك يتفق علماء الاسلام على ان العقائد من باب الاخبار ، والاخبار لا تقبل النسخ ، لان النسخ هو الازالة والتغيير ، والواقع يخبر عنه او يوصف ، ولا يمكن ان يرفع ، فالالوهية وصفاتها حقائق ثابتة ، والرسالة والوحى والكتب السماوية حقائق ثابتة ، والبعث بعد الموت والحساب والثواب والعقاب حقائق ثابتة ، والجنة والنار والنعيم والعذاب ، كل ذلك حقائق ثابتة ليس للدين فيها دور يقوم به الا دور الكشف عنها ، والاستدلال عليها والاقناع بها ، فلا هو بالذى انشأها ، ولا هو بالذى يبدلها او يزيلها وينسخها .

ومن هنا قالوا : ان العقائد لا تقبل النسخ ، ولا تتغير بتغير الزمان او المكان، ولا يسوغ ان تكون محل اجتهاد .

والعقل يسلم بذلك للشرع ويقف عند حده لانه متى آمن بما يدل عليه الدليل العقلى من وجود الاله الصانع المتصف بكل كمال ، المنزه عن كل نقص ، ومن صدق الرسل المؤيدين بالمعجزات التى هى بمثابة تصديق قولى وعملى من الله ، يتلقى عن الله وعن رسله ما يخبران بهمن كل ما هو فى دائرة الامكان العقلى، ويقول ـ مثلا : ان الله ورسوله قد اخبر بأن هناك عالما اخر سيكون بعد فناء هذا العالم الحاضر، وان له نواميس وقوانين اخرى، وانه سيقوم فيه حساب وجزاء ، وثواب وعقاب ، وجنة ونار ، ونعيم وعذاب ، وأنا مؤمن بالله وبصدق رسوله فيما يبلغ عنه ، والامر فى دائرة الامكان ، لان الذى خلق العالم الاول بما فيه من سنن ونواميس قادر على ان يخلق العالم الآخر بما له من سنن ونواميس .

وبذلك يكون تدخل العقل المنصف هو تدخل المؤيد والمصدق ، لا تدخل المعاند ولا المنكر ، ثم يكون هذا التدخل فى دائرة المقدمات التى يرتب عليها منطقه دون تزيد ، ولا محاولة للتجاوز عن حدوده .

اما المجتمع فلا يسعه الا ان ينزل على حكم الدين والعقل فى ذلك ، وان يفيد من ايمانه بالحقائق سعادة واستقرارا وطمأنينة ، منشأها القيم المنبعثة عن هذا الايمان،والتطبيق السليم لمقتضياتها ومنطقها .

ميدان العبادات

٢ ـ وفى ميدان العبادات،نجد اسلوب الشريعة مختلفا عن اسلوبها فى العقائد ، فهى تنشيء العبادة ، وتطلب من المكلفين ان يعبدوا الله بها ، وذلك حق المعبود على عابديه ، فهى رسوم يرسمها لمن اراد ان يعبده لا مدخل للعقل فيها ، ولا حظ للمجتمع فى الاعتراض عليها ، او التأبى عنها ، بل الحظ كل الحظ لهم فى العمل بها ، فان الله تعالى لم يشرع للناس من العبادات الا ما يتصل به امر اصلاحى او تهذيبى لهم ، وكان من حقه ان يتعبدهم بتكاليف لا تتصل بصلاحهم فى الدنيا والاخرة ، ولكن رحمته قضت بأن يجمع بين حقه على الناس فى ان يعبدوه ويشكروه ، وبين تحقيق مصالحهم عن طريق اختيار اساليب لهذه العبادة ترمى الى التهذيب واصلاح النفوس ، واسعاد المجتمع .

واذن فالشريعة فى هذا الميدان منشئة لا مخبرة كما فى ميدان العقائد .

ميدان المعاملات

٣ ــ اما فى ميدان المعاملات ، فليست الشريعة مخبرة ولا منشئة ، ولكنها انما تتدخل فى اى مجتمع من المجتمعات لتعلم هل يسير هذا المجتمع فى تعامله وقواعد سلوكه على ما يوافق مثلها العليا التى جاءت بها ، او هو يسير منحرفا عنها ، فاذا وجدتها تتعامل بنوع من البيع لا ضرر فيه ولا ضرار ، ولا غش ولا خديعة ولا غرر ، اقرت هذا التعامل وباركته ، واذا وجدتها تتعامل بمعاملة تخالف ما جاءت به من فضيلة واخلاق سامية للفرد والمجتمع ، انكرت هذه المعاملة فألغتها الغاء ، او عدلتها تعديلا ، وهى لا تشتط فى ذلك ولا تتزمت ، وانما تقبل فى بعض الاحيان ان تغمض العين عما عسى ان يلابس المعاملة من غرر او ضرر يسير اذا كان خيرها اكثر من شرها ، ونفعها اكبر من ضررها .

وهذا المنهج فى شأن المعاملات هو المنهج الذى نهجه رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قدم الى المدينة ، فقد وجد فيها مجتمعا ، ووجد فيها اسواقا ، ووجدها تتعامل بصور معينة من البيع والشراء والتعاون بالمزارعة ، والمساقاة ، والمضاربة ، والسلم ، والقرض ، والرهن والهبة ، وغير ذلك ، فلم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذى انشأ ذلك باسم الشريعة ، ولم ينزل الله تعالى فى شيء من ذلك ما يدل على انه انشأه تشريعا للناس ، وامرهم بأن يتعاملوا عليه ، كما انشأ العبادات وامرهم بأن يعبدوه بها .

وانما كان موقف الاسلام موقف الفاحص الناقد المهذب الذى يرضى عن بعض المعاملات فيبقيه ، او يكره بعضا فيلغيه او يصلحه بالتعديل فيه .

ومن هنا نرى العلماء يقولون «المعاملات على اصل الاباحة حتى يرد عن الشرع ما يدل على المنع والتحريم» .

كما يقولون فى جانب العبادات «لا يعبد الله الا بما شرع» .

وفى هذا وذاك يقول العلامة ابن قيم الجوزية :

«الاصل فى العبادات البطلان حتى يقوم دليل على الامر ، والاصل فى العقود والمعاملات الصحة حتى يقوم دليل على البطلان والتحريم ، والفرق بينهما ان الله سبحانه وتعالى لا يعبد الا بما شرعه ، على ألسنة رسله ، فان العبادة حقه على عباده ، وحقه الذى احقه هو ورضى به وشرعه ، واما العقود والشروط والمعاملات ، فهى عفو حتى يحرمها ، ولهذا نعى الله سبحانه على المشركين مخالفة هذين الاصلين ، وهو تحريم ما لم يحرمه ، والتقرب اليه بما لم يشرعه ، فان الحلال ما احله الله ، والحرام ما حرمه ، وما سكت عنه فهو عفو ، فكل شرط وعقد ومعاملة سكت عنها فانه لا يجوز القول بتحريمها ، فانه سكت عنها رحمة من غير نسيان» .

(ص ٣٤ ج ٢ من اعلام الموقعين) .

وابن القيم يرد بهذا على قلة من العلماء خالفوا الجمهور الاعظم ، فقالوا ان عقود المسلمين وشروطهم ومعاملاتهم كلها على البطلان حتى يقوم دليل على الصحة ، فاذا لم يقم عندهم دليل على صحة شرط او عقد او معاملة استصحبوا بطلانه ، فافسدوا بذلك كثيرا من معاملات الناس وعقودهم وشروطهم بلا برهان من الله .

* * *

ويترتب على هذا المنهج الذى ارتضاه جمهور العلماء امور منها :

أن يعلم الناس انه لا مصادمة بين العقل والدين واصول الاجتماع ، ولكن لكل مجاله وحدوده على سبيل التعاون لا التنافر .

أن يعلم الناس ان العقائد الدينية ليست الا حقائق ثابتة من شأنها ان تنبثق عنها القيم والمثل الطيبة فى المجتمع ، وهى لا تقبل التغيير ولا التحويل ، فما ثبت منها عن الله ورسوله فهو ثابت ابدا ، وليس مجالا للاجتهاد والاختلاف .

ان يعلم الناس ان العبادة والتقرب الى الله لا يكونان الا بما ثبت انه شرعه فى كتابه او على لسان رسوله ، وبذلك الاصل ابطلت البدع فى الدين والعبادات وما يتصل بها ، فكل من اراد القربة فعليه ان يتقرب الى الله بما شرعه الله ، ومن تقرب اليه بما لم يشرعه ولو كان مظهره طاعة وقربة ، فانه مبتدع متلاعب بالدين ، كما لو قال قائل ، سأصلى الظهر خمسا بدل اربع ، او اصلى المغرب اربعا بدل ثلاث او اصوم شعبان بدل رمضان .. او نحو ذلك .

ان يعلم الناس ان المعاملات ليست فقط هى ما عرفه الفقهاء الاولون من مثل شركات الوجوه والعنان وغيرها ، او المزارعة والسلم والمضاربة بصورها التى عرفوها فحسب ، فان من حق المجتمع ان يبتكر ما شاء من الوان المعاملات ، وان يجارى النشاط الاقتصادى العالمى بالاسهام فيه حسب الطرق الحديثة ، معتمدا على ان الاصل فى المعاملات الاباحة ، غير مسارع الى تحريم صورة من صور المعاملات حتى يتبين ان الله حرمها .

ان يعلم الناس ان اشتمال المعاملة على ناحية من نواحى المنع والتحريم لا يكفى فى القول بتحريمها بل لا بد من دراسة هذه الناحية ودراسة حال الناس فى شأنها ، ومدى ما تشتمل عليه من منفعة او مضرة ، فقد يظهر ان منفعتها غالبة ، وان مضرتها يسيرة مغلوبة فى جانب منافعها ، ويمكن ان يسلك بها مسلك الشريعة فيما غلب خيره على شره واحتاج اليه الناس على سبيل التيسير والترخيص والموازنة بين المصالح المشروعة ، والمفاسد المقطوع بها دون افتئات على النصوص ومواطن الاجماع .

* * *

بهذا المنهج نستطيع ان نحيط الشريعة بسياج من الهيبة والجلال فى عقائدها وعباداتها ، وان نعيدها الى مجال التعامل والاقتصاد بعد ان نحيت عن هذا المجال منذ جمد المتأخرون من اتباع الفقهاء على ما ورثوا ، دون ان يتابعوا النظر او يحاولوا درس الجديد من الوان المعاملات والنظم الاقتصادية .



هؤلاء وهم يعلمون أن موسى ما فارقهم الا ليرجع اليهم بخيري الدنيا والآخرة ؟ . فبدل أن يعكفوا هم أيضا على الطاعة ، والشكر لله على هذه النعمة الجلى ، أقبلوا على الارتكاس فى تلك الشناعة الشنعاء حيث استهوى عقولهم ماكر خبيث يدعى (السامرى) فجمع كثيرا مما حمله بنو اسرائيل من ذهب المصريين ، وصنع لهم منه صورة عجل ، ورتب أجزاءه الداخلية على كيفية تجعل الهواء اذا دخل جوفه من الخلف يخرج من فمه صوت كصوت خوار البقر . وقال لهم هذا هو الهكم واله موسى ، نسيه هنا وذهب يبحث عنه ، فسرعان ما نسي هؤلاء تقريع موسى بالأمس القريب ، وأقبلوا يعبدونه ، واتخذوه الها ، ولما نهاهم هارون عن ذلك ما كان جوابهم الا أن قالوا : لن نترك عبادة هذا العجل حتى يرجع الينا موسى ، اقرأ كل ذلك فى آيات ٨٥ الى ٩٨ من سورة طه .

هذه ثانية الجرائم ، واليك ثالثتها : ـ

ويحسن أن نقدم لك بين يدى الجريمة الثالثة ما يكشف بعض غامضها ، ذلك أن كثيرا من الناس يظنون أن بنياسرائيل آمنوا جميعا بموسى ، ضرورة أنه جاء لانقاذهم من شقاء مقيم ، ولكن الواقع يجافي ذلك ، فان جبنهم وشدة حرصهم على الحياة ، وعبادتهم للمال صرفهم كل ذلك عن دعوة موسى ، ولعلك تعجب اذا علمت أنه لم يؤمن بموسى الا بعض ذرية منهم ، وقلوبهم تضطرب خوفا ، لا من فرعون فحسب ، بل ومن كبارهم ، الذين رأوا أن ما جاء به موسى لا يجلب مالا ، ولا يجعل لهم على غيرهم سلطانا ، قال تعالى (فما آمن لموسى الا ذرية من قومه على خوف من فرعون وملئهم) آية ٨٣ من سورة يونس .

يا للعار ! ! ذرية من بني اسرائيل تخاف على نفسها شرا ان آمنت بموسى ، وممن تخاف ؟ من زعماء بني جنسهم كما تخاف من عدوهم فرعون سواء بسواء ، ولكن لا عجب اذا علم أن قارون كان من قوم موسى كما فى آية ٧٦ من سورة القصص ، ومع ذلك استعبده حب المال ، فتوسل لجمعه بتملق فرعون ، واعلان الاخلاص له والكفر بموسى ، فوضعهما القرآن بالنسبة لعداوة موسى فى قرن واحد فقال (ولقد أرسلنا موسى بآياتنا وسلطان مبين . الى فرعون وهامان وقارون فقالوا ـ هكذا بضمير الجمع ـ (ساحر كذاب) آيتي ٢٣ و ٢٤ من سورة غافر . فانظر الى هؤلاء الذين كان موسى عليه السلام ينتظر منهم أن يكونوا عضدا له يساندونه عند الشدة ، كما فعل أنصار النبيين غيرهم ، واذا بهم يكونون أول من فت فى عضده ، وصدمه بما حز فى قلبه ، وذلك أنه لما جاء برسالة ربه ، وغضب فرعون ، واشتد ايذاؤه لبني اسرائيل ، قالوا ما يشبه أن يكون توبيخا لموسى ، اقرأ قوله تعالى فى ذلك (وقال الملأ من قوم فرعون أتذر موسى وقومه ليفسدوا فى الأرض ويذرك وآلهتك قال سنقتل

ابناءهم (١) ونستحيي نساءهم وانا فوقهم قاهرون (١٢٧) قال موسى لقومه استعينوا بالله واصبروا ان الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين (١٢٨) قالوا أوذينا من قبل أن تأتينا ومن بعد ما جئتنا ... الخ (١٢٩) من سورة الأعراف . أليس هذا صريحا فى أنهم يقولون كنا نريدك سببا فى كثرة أموالنا ، لا سببا لزيادة شقائنا .

واليك بعد ذلك جريمتهم الثالثة التي تنادى بأن الايمان بموسى لم يخالط قلوبهم ، انظر كيف تجرأوا على موسى وقالوا لن نصدق أنك رسول الله الا بعد أن نرى الله عيانا ، ويخبرنا أنه أرسلك . قال سبحانه فى ذلك (واذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتكم الصاعقة وأنتم تنظرون) آية ٥٥ من سورة البقرة .

والرابعة : ـ سبق ما يعلم منه أن كبار بني اسرائيل كانوا مع كفار المصريين على اتفاق فى الطعن فى موسى ومن ذلك قول قارون وأمثاله (انه ساحر كذاب) وأنهم كانوا يحطمون أعصابه كما تقدم فى قولهم (أوذينا من قبل أن تأتينا ومن بعد ما جئتنا) كل هذا وأمثاله مما يؤذى موسى عليه السلام ، خصوصا اذا صدر من قومه وأحب الناس اليه ، ومن جاء يريد لهم الحياة الكريمة ، لذلك وأمثاله قال لهم موسى (يا قوم لم تؤذونني (١) وقد تعلمون أني رسول الله اليكم . فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم . والله لا يهدى القوم الفاسقين) . آية ٥ من سورة الصف .

والخامسة : ـ أخذ الله عليهم العهد المشدد على العمل بالتوراة ، وعدم الخروج على موسى فأعرضوا بعد كل ذلك . قال تعالى (واذ أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما آتيناكم بقوة واذكروا ما فيه لعلكم تتقون ثم توليتم من بعد ذلك .. الخ) آيتي ٦٣ و ٦٤ من سورة البقرة .

والسادسة : ـ بعد كل هذه الجرائم طلب موسى من ربه العفو عنهم فأمره سبحانه أن يبلغهم أن يدخلوا القرية (٢) التي ستلاقيهم خاضعين لله ، متضرعين ، طالبين من ربهم أن يحط عنهم خطاياهم ، فاذا فعلوا ذلك غفرنا لهم ، ونزيد من يحسن خضوعه منهم احسانا . فماذا كان منهم ؟ دخلوا القرية متعجرفين قائلين استهزاء : يا ربنا نريد حنطة نملأ منها بطوننا ، فانزل الله عليهم عذابا من السماء .. الخ . اقرأ فى ذلك قوله تعالى (واذ قلنا ادخلوا هذه القرية فكلوا منها حيث شئتم رغدا وادخلوا الباب سجدا وقولوا حطة نغفر لكم خطاياكم وسنزيد المحسنين . فبدل الذين ظلموا قولا غير الذى قيل لهم فأنزلنا على الذين ظلموا رجزا من السماء بما كانوا يفسقون) . آيتي ٥٨ و ٥٩ من سورة البقرة .

وسنوافيك ببقية جرائمهم ان شاء الله تعالى .

---

(١) المراد سنشتد فى قتل الأبناء .

(٢) والعرب تستعمل مادة الايذاء فى كل ما يؤلم ويؤذى حسيا كان ، أو معنويا ، انظر آيات ١٢ من سورة ابراهيم ، ١٩٥ آل عمران ، ٣٤ الأنعام

(٣) يقال انها أريحاء .

الايمان ضرورة انسانية

فى فلسفة البراغماتيزم ، التي سموها بالعربية (فلسفة الذرائع) أن الفكرة انما تكون (حقا) لأنها (نافعة) ، وانما تكون نافعة لأنها حق . وان (الحق والنافع) يعبران عن شيء واحد . أى ان القضية تصبح حقا عندما تبررها العواقب . فنحن فى زعم البراغماتيزمية الاميركية نخلق (الحقيقة) ونخلق (الحقيقي) حسب حاجة المجتمع .

ان هذه الفلسفة التي تتخذ من القيمة العملية للفكرة مقياسا للحقيقة ، ليست صحيحة فى أساسها وليس هذا مقام الكشف عن جوانب الخطأ فيها . ولكننا نتخذ منطلقا لطرح السؤال الآتي : هل نبدأ التفكير فى (الحق) أولا ، لنستخرج منه (النافع) ام نبدأ التفكير فى (النافع الضرورى) لنقول عنه انه حق ؟ انني مع الشباب المثقف بالذات ، وفى قضية الايمان بالذات ، ارى ان نبدأ بالثاني ولكن من اى جوانب النفع والضرورة نمسك خيط الجدل مع هؤلاء الشباب الذين تحيط بهم الشكوك فى الدين من كل جانب ؟ .

يقول القرآن (وكان الانسان اكثر شيء جدلا) فكيف اذا كان هذا الانسان من الشباب المزهو بسلاح العلم المجادل فى كل القيم ؟ .

ان السنين الطوال سوف تنضج على جمر العذاب ، تفكير الشباب ، حتى يصدقوا ان الايمان (حق وضرورة) . ولكننا نريد أن نختصر لهم السنين الطوال ، ونوفر عليهم عذاب الندم والحسرة اذا (جاءت سكرة الموت بالحق) كما يقول القرآن . فمن اين نبدأ الكلام فى ان الايمان بالله ضرورة من ضرورات الحياة الانسانية ؟ .

لا ريب فى ان البداية يجب ان تكون امرا نتفق نحن والشباب على انه (حق وضرورة) . فما هو هذا الامر ؟ انه (انسانيتنا) التي يمكن ان يجادل الشباب فى كل شيء الا فيها .

يقول الفيلسوف الاسلامي الكبير (ابن مسكويه) فى كتابه الموجز الجليل

إلى الشباب المثقفين وحدهم يساق هذا الحديث

بقلم الاستاذ الشيخ نديم الجسر
مفتى طرابلس ـ لبنان

(تهذيب الاخلاق) ان المزية الوحيدة ، التي يتميز بها الانسان عن الحيوانات الكثيرة كلها هي (مكارم الاخلاق) .

ذلك ان كل مخلوق يشترك مع غيره من المخلوقات فى بعض الصفات ، ويمتاز عنها لنفسه بصفة ومزية خاصة لا يشاركه فيها غيره كالاسد يمتاز بالقوة والفرس بسرعة الجرى، والبغل والحمار بحمل الاثقال ، والعندليب والكنار بالتفريد ، والطاووس بجمال الشكل . الى غير ذلك .

اما الانسان فانه يشارك الحيوانات الاخرى ، بصفات الحركة والتغذى والتناسل ويمتاز عنها بمزية واحدة هى (النطق) اى العقل . ومن هنا اطلقوا عليه اسم (الحيوان الناطق) اى العاقل .

ولكن التحقيق العلمى قد اثبت ان الحيوانات لا تخلو من عقل تدرك به كثيرا من امور معيشتها .

لذلك صار علينا ان نبحث عن مزية اخرى خاصة يمتاز بها الانسان عن الحيوانات ، وبها يسمى انسانا .

هذه المزية الخاصة هى « الاخلاقية » التى تتجلى (بالضمير الانسانى) .

فالحيوان يعقل ، وقد ترتقى فيه قوة لتعقل ، كما فى بعض القرود ، ولكنه لا يفهم معنى (الاخلاقية) ولا يمكن ان يكون له الشعور الذى نسميه (الضمير) .

فأخلاقيتنا اذا هى المزية الوحيدة التى تثبت بها (انسانيتنا) . واذا خرجنا عن هذه المزية عدنا الى مرتبة الحيوانات ، بل كان كل حيوان بمزيته الخاصة خيرا منا ، لاننا فقدنا مزيتنا الخاصة ، وليس لنا مزاياه الخاصة .

هكذا قال ابن مسكويه ، وهكذا من بعده بعصور ، جاء (دارون) يقول : « ان الضمير او الحس الاخلاقى هو اظهر فاصل يفرق بين الانسان والحيوان» وجاء (كانت) يتخذ من هذا (الشعور الاخلاقى) منطلقا لاثبات خلود الارواح

ويوم الحساب، ووجود الله الحكم العدل القدير .

هذا الضمير الاخلاقى انما يصونه الصيانة الكاملة الدائمة الساهرة النافذة من وراء حجب الخفاء شيء واحد وهو الايمان بوجود الله الحكم العدل القدير.

فتحقيق انسانيتنا ضرورة اجتماعية، وانسانيتنا لا تتحقق الا باخلاقيتنا ، وأخلاقيتنا لا تصان الا بالايمان .

فالايمان اذا ، امر ضرورى لانه يمسك اخلاقيتنا التى تثبت بها انسانيتنا .

واكرر القول للشباب ان الايمان بالله هو :

اس الفضائل .

ولجام الرذائل

وقوام الضمائر

وسند العزائم فى الشدائد

وبلسم الصبر عند المصائب

وعماد الرضى والقناعة بالحظوظ

ونور الامل فى الصدور

وسكن النفوس اذا اوحشتها الحياة

وعزاء القلوب اذا نزل الموت او قربت ايامه .

والعروة الوثقى بين الانسانية ومثلها الكريمة .

فلا يخدعنكم ايها الشباب ، من يقول لكم ان مكارم الاخلاق تغنى بوازع الضمير عن الايمان . لان مكارم الاخلاق التى تواضعنا عليها، للتوفيق بين غرائزنا وحاجات المجتمع ، لا بد لها عند اعتلاج الشهوات فى الشدائد والازمات ، ان تعتمد على الايمان ، بل ان هذا الشيء الذى نسميه ضميرا ، انما يعتمد فى سويدائه على الايمان ..

وانقياد الناس لمكارم الاخلاق ، انما يكون بزاجر من السلطان ، او وازع من القرآن ، او رادع من المجتمع فاذا كنا فى نجوة من سلطان القانون والدين والمجتمع لم يبق لنا وازع الا الضمير . ونحن فى معركة الشهوات والغرائز مع الضمائر ، قل ان نرى الضمير منتصرا الا عند القلة من الناس ، وهذه القلة نفسها لا تستمسك بضمائرها عند جموح الشهوات ، الا اذا كانت تخشى الله .

ولو تركنا مكارم الاخلاق جانبا،ونظرنا الى حاجتنا للايمان من حيث هو سند فى الشدائد ، وبلسم للمصائب وسكن للنفوس ، وعزاء للقلوب وعلاج لشقاء الحياة ، لوجدنا اننا عند فقد الايمان ، نكون اسوأ حظا فى الحياة ، وادنى رتبةفى سلم المخلوقات ، من اذل البهائم ، واضعف الحشرات، واشرس الضوارى.

فالبهائم تجوع كما نجوع ، ولكنها فى نجوة من هم الرزق، وخوف الفقر وكرب الحاجة ، وذل السؤال .. وهى تلد كما نلد ، وتفقد أولادها كما نفقد ، ولكنها فى راحة من هلع المشكلة ، وجزع الميتمة ، وهم اليتامى المستضعفين .

وهى فى اجسادها ، تلذذ كما نلتذ ، وتألم كما نألم ، ولكنها فى راحة مما يأكل

القلوب ، ويقرح الجفون ، ويقض المضاجع ، ويقطع الارحام ، ويفرق الشمل ، ويخرب البيوت من المهلكات : كالحسد والكذب والنميمة والفرية والقذف والنفاق والخيانة والعقوق وكفر النعمة ونكران الجميل .

وهى تعرف بنوع من الادراك ، ما يضرها وما ينفعها ، ولكنها فى نجوة من اعباء التكليف ، واثقال الاوزار ، ومضض الشك ، وكرب الحيرة وعذاب الضمير .

وهى تمرض كما نمرض وتموت كما نموت ولكنها فى راحة من التفكير فى عقبى المرض ، وفراق الاحباب ، وسكرات الموت ، ومصير الموتى وراء القبور .

والضوارى تسفك الدماء لتشبع بلا سرف ، ولكنها لا تسفكها انفا ولا جنفا ولا صلفا ولا ترفا ولا علوا فى الارض ولا استكبارا .

اما هذا الحيوان الفيلسوف الضعيف الهلوع الجزوع المطماع المحتال الفخور المترف المتكبر المتجبر السافك الدماء الذى لا يأتيه شقاء الحياة ، اكثر ما يأتيه الا من تفكيره فانه لا علاج لشقائه الا بالايمان .

فالايمان هو الذى يقويه ، وهو الذى يعزيه ، وهو الذى يسليه ، وهو الذى يمنيه ، وهو الذى يرضيه ، وهو الذى يجعله انسانا يسعى الى مثله الاعلى لتسجد له الملائكة .. ومن دون هذا الايمان يكون هذا الانسان المسكين اتعس الخلائق وأسوأها حظا ، واعظمها شقاء واشدها بلاء واحطها رتبة وارذلها مصيرا .

وسبيله الى الايمان هو ذلك (التفكير) الذى كان سبب شقائه . انه عبد لتفكيره قبل ان يكون عبدا لربه ، ولا يكون عبدا لربه حق العبودية الا بهذا التفكير . الذى ينسج خيوط سعوده ونحوسه فى الحياة الدنيا وفى الآخرة .

لقد خلق الله هذا الانسان ، ورفعه وكرمه وميزه بهذه النفس العاقلة المفكرة التى علمه بها الاسماء كلها ، وخلفه بها على الارض ، وصيره بها فوق الملائكة ، وكتب الفلاح لمن زكاها ، والخيبة لمن دساها . (ونفس وما سواها . فألهمها فجورها وتقواها . قد أفلح من زكاها . وقد خاب من دساها) فكيف نزكيها ؟

اننا نزكيها بالتفكير ، حتى تتسامى الى مثلها الاعلى ، وتصل الى (اليقين) من الحق والخير والجمال ، فترى الله عنده .. وتجد من حلاوة الايمان ما تدرك به سر شقائها وسعادتها ، وضعفها وقوتها ، وعجزها وقدرتها ، وعبوديتها وحريتها .. بل سر خلقها ، ووضعها على مفترق (النجدين) وتركيبها على هذه الصورة القابلة (للضدين) ، التى من دونها لا يفهم معنى (العبودية) ولا يستقيم معنى (العبادة) ..

لذلك كان حقا علينا من باب الحاجة والضرورة ، ان لم يكن من باب الحق والعبادة والتقوى ، ومن اجل سلامة عقولنا ، وسلامة قلوبنا ، وسلامة ضمائرنا ، وسلامة انسانيتنا ومثلها العليا وسلامة المجتمع ، ان ندعو الى الايمان بالله ، ونيسره للعقول ، ونشرح له الصدور .

تحيّة جامعة الأزهر
لعاهل الكويت سمو الأمير
الشيخ صَباح السالم الصَباح

للصلة الوثيقة التى قامت بين آل الصباح وجامعة الازهر منذ عهد الامير الراحل انتهزت الجامعة فرصة زيارة سمو الامير الشيخ صباح السالم الصباح للقاهرة فى شهر ابريل الماضى وقام وفد من أساتذتها وطلابها على رأسه وكيل الجامعة بزيارة سموه فى قصر القبة معربين عن أصدق مشاعر التقدير والوفاء ، وشكر لهم سموه جميل شعورهم . ونقدم للقراء هنا هذه القصيدة الرائعة التى حيا بها الوفد سموه تسجيلا لهذه المناسبة .

هَتَفَ البَشيرُ به فَشاقَ الأزهرا ... وأطل موكبُه السنيُّ فكبَّرَا
شقَّت مآذِنُه الزحامَ وأشْرَفَت ... من فوقِ كاهِلِه الأشمِّ لتَنظُرا
واستبشرت مِصرٌ فأشرقَ ساحَةً ... واختَال محراباً ، وهَلَّل مِنبَرا
طلعَ الصَباحُ بهَا فأطلعَ يُمْنُه ... ذاكَ الصَباح اليَعْرُبّى الأنضَرا
في مَوكبِ حَرسَ الجَلالُ جَمالَهُ ... وشأى الثُريَّا وهو يَخْطُرُ في الثَّرَى
والشعبُ أفئدَةٌ يُسَابِقُ بعضُهَا ... بعْضاً لتَحتضِنَ الركابَ وتظفَرا
حاطتْهُ أشواقاً تُعَانِقُ خطوه ... حُبّاً ، وتَستَجلى المُحَيَّا النَّيرَا
والنيلُ نشوانُ الضفافِ مصَفِّقٌ ... رقصت خمائله مُغَرِّدةَ الذُّرا
يجرى على سَنَنْ الوفاء مُرحِّباً ... بقدوم بحرٍ في المكارم قد جرَى
من سَرَّهُ زمنُ الربيع وحسنهُ ... فلْيشهد اليومَ الرَّبيعَ الأكبرا

***



سمو الامير يستقبل وفد جامعة الازهر فى قصر القبة

للدكتور حسن جاد
الاستاذ المساعد بكلية اللغة العربية ـ جامعة الازهر

هذا (الصباحُ) مع (الجمال) تَلاَقَيا — لِلَّه ما أسمى اللقاءَ وأبهرا
أخَوان بالحبِّ الوثيق تبادَلا — عهداً يُصان وذمّةً لن تُخْفَرا
بطلٌ يُعانق في الكفاح شقيقَه — وغضَنفرٌ حرٌّ يَضُمُّ غضَنْفَرا
لِلَّه ما أبهى العروبةَ تلتقى — صَفّاً جميعَ الشمل مُلْتَئِمَ العُرا
مَن ، مبلغُ الأعداء أنا أمَّةٌ — مهما تَجَهَّم أفْقُها لن تقهرا
الجوُّ مهما غامَ يُقْشَعُ غَيْمُه — والشمسُ أحرى بعده أن تَظْهَرا
اليومُ يومُك ياعروبةُ فاشْهدى — مَجْلاَهُ وارتَقِبِى الغدَ المُتَنَظَّرا



أهلاً بعاهلنا العظيم ، ومرحبا — بمن استضاءَ به الحِمَى واستبشرا
مصرٌ تُحيِّ في الكويت شقيقةً — نهضتْ بكم مجدا ، وعزّتْ مَظْهَرا
بلدٌ رفعتُم بالحضارة رُكْنَه — حتى تَخَايلَ نَهضةً وتَحَضُّرا
بالعدل والشورى حكمتُم شعبَه — وغَرستمو فيه الرخاءَ فأثْمرا
وملكتمو بالحُبِّ عرشَ قلوبه — والحبُّ أحرى أن يقودَ ويأسرا

ليس الذي حكمَ البلادَ بعدلِه ... كمن استبدَّ بحكمها واستأثَرا

انا لفي زمن الشعوب ولن ترى ... كسرى به مُستَعْبِداً أو قيصرَا

هذا (جمالٌ) هل شهدتَ صنيعَه ... ورأيتَ كيف بنى حماه وحرَّرَا

طَوِّف بآفاق البلاد تجد بها ... فجراً جديداً للحضارة أسْفَرا

بطلٌ وفيٌّ للعروبة ، ما التوى ... خلُقاً ، ولا عرف الرياءَ المُنكرا

مُسْتَهدِيا بالدين في خطواته ... ومن اهتدى بالدين لن يتعثَّرا

الأزهرُ المعمورُ في أيامه ... نسيَ المعزَّ الفاطميَّ وجَوهرا

والاهُ اصلاحاً ، وجدَّد عَزْمَه ... حتى استجاب لعصره وتَطوَّرا

لِلّه جامعةٌ نماها مُنْجِبٌ ... كرُمتْ به أصلاً وطابت عنصرا

وسعت علومَ الدين والدنيا معاً ... حتى استحقَّتْ أن تتيهَ وتفخرا

لم تَنْسَ يا آلَ الصباحِ لكم يدا ... غرّاءَ سابغة الندى لن تُنْكَرَا

سبقت عوارفُكمُ بها فتضوَّعت ... مِسْكاً ، وفاحتْ في الكنانة عَنْبرَا

بَعضُ الوفاء لها وأيْسَرُ حقِّها ... أن نذكرَ الفضل الجميلَ ونَشكُرا

***

ياسالمَ الغُدُوات مَيمونَ السُّرَى ... سلِمتْ خُطاكَ وطاب وردُك مَصْدَرا

ان العروبة لم تجد مِن بينكم ... الا السخيَّ الأريحيَّ الخيِّرَا

سِرْ بين أهليها رسولَ محبَّةٍ ... واحمل بها غصنَ السلام الأخضرا

أدْمَى الجراح إذا أساهُ ماهرٌ ... فالجرحُ لا يُعيِي الطبيبَ الأمْهَرَا

والصَّدْعُ ان رامَ الصنّاعُ لكسره ... جَبراً خليقٌ أن يَصحَّ ويُجْبَرَا

واحملْ لشعبك في الكويتِ تحيةً ... مِنّا ، وبلغه الثناءَ مُعَطَّرا

وإذا ذكرتَ الأوفياءَ وعهدَهم ... فاذكرْ على عهد الوفاءِ الأزهرَا

هذا المعنى تصرف سيدنا عمر رضي الله عنه وتعليله لذلك التصرف بعد مشاورة طويلة مع أصحابه يوم خرج الى الشام وعلم أن بها وباء ونسوق نص الحديث لنرى الوقاية والايمان ، والثقة بالله والتوكل عليه مع الاخذ فيما اعتيد من الاسباب ، وكيف اجتمع ذلك فى فعل سيدنا عمر رضي الله عنه وفى توجيه ذلك الصحابي العبقرى الملهم .

ورد فى الصحاح أن عمر بن الخطاب خرج الى الشام حتى اذا كان بسرغ لقيه أبو عبيدة عامر ابن الجراح وأصحابه ، فأخبروه أن الوباء قد وقع بالشام فاختلفوا ، فقال لابن عباس رضي الله عنهما : ادع المهاجرين الاولين. قال فدعوتهم، فاستشارهم وأخبرهم أن الوباء قد وقع بالشام ، فاختلفوا ، فقال بعضهم ، خرجت لامر فلا نرى أن ترجع عنه ، وقال آخرون معك بقية الناس وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلا نرى أن تقدمهم على هذا الوباء ، فقال عمر ارتفعوا عني . ثم قال ادع لي الانصار . فدعوتهم له فاستشارهم فسلكوا سبيل المهاجرين واختلفوا كاختلافهم ، فقال ارتفعوا عني ، ثم قال ادع لي من هاهنا من مشيخة قريش من مهاجرة الفتح فدعوتهم له ، فلم يختلف عليه منهم رجلان ، قالوا نرى أن ترجع بالناس ، ولا تقدمهم على هذا الوباء ، فأذن عمر فى الناس . اني مصبح على ظهر ، فأصبحوا عليه ، فقال ابو عبيدة بن الجراح يا أمير المؤمنين . أفرارا من قدر الله ؟! قال . لو غيرك قالها يا أبا عبيدة ، نعم نفر من قدر الله تعالى الى قدر الله تعالى ، أرأيت لو كان عندك ابل فهبطت واديا له عدوتان ، احداهما خصبة ، والاخرى جدبة ، الست ان رعيتها الخصبة ، رعيتها بقدر الله تعالى ، وان رعيتها الجدبةرعيتها بقدر الله ؟! قال. فجاء عبد الرحمن ابن عوف ، وكان متغيبا فى بعض حاجاته ـ فقال أن عندى فى هذا علما . سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (اذ كان بأرض وانتم بها فلا تخرجوا فرارا منه ، واذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه) .

حين نتأمل هذه المحاورة بين عمر وصحبه ، وننظر اليها من زاوية أخرى غير الزاوية الطبية كما أسلفت زاوية القيادة الحكيمة الناصحة للامة الواعية التى ترسم خطوط حكومة رشيدة نلتقي بالمثل الطيب الكريم لما يجب أن يكون عليه الرعاة الحقيقون بتسنم غارب الفخار الانساني ، فعمر رضي الله عنه يؤمن بالله وبرسوله وليس لديه نص فيما هو متعرض له فيجتمع بالناس كل فريق على حدة ليصل الى القول الفصل الذى تطمئن اليه نفسه ويرتاح معه ضميره المؤمن ، ويتركه منهجا لمن بعده على درب التاريخ الطويل ، يستوى رأى المهاجرين مع رأى الانصار فى المشورة فريق يرى الرجوع وفريق يقر المضى فى الطريق، فيعمد عمر رضي الله عنه الى مشيخة قريش من مهاجرة الفتح لعلهم يرون ما يرجح احدى الوجهتين فيكون القول ما قالوا وهو الرجوع ثم يجيء الصحابي الكبير عبد الرحمن بن عوف ، الذى لم يحضر تلك المحاورات فيروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مؤيدا ما استقر عليه رأى عمر ومشيخة قريش .

ألم يرسم عمر منهجا لاستخلاص الاحكام فيما لا نص فيه أو على الأصح قبل أن يعلن بالنص ؟ اليس فى تصرفه ما يحفز علماء الاسلام المعاصرين على التشاور فيما بينهم من الأمور المعقدة التي احتواها زمانهم وأوجدتها صلات المسلمين بغيرهم من الأمم التي لا تدين بدينهم ؟ أليس من الواجب أن يوالوا اللقاءات والاتصالات حتى يصلوا الى الحلول الحاسمة فى التقنين المالي والادارى والتشريع العام ، حبذا لو تجردوا عن علائقهم المادية ايا كانت وأخلصوا نياتهم وأعمالهم لله رب العالمين ، وطلعوا على الناس بما يهديهم سواء السبيل ، ويقضي على البلبلة الفكرية والذبذبة المالية والاضطراب فى المعاملات وحملوا الى الدنيا تعاليم محمد صلى الله عليه وسلم والحلول السليمة على ضوء الشريعة فى الشكلات القائمة فى شتى صورها وأشكالها ، وهم حين يستقر رأيهم على أمر فى موضوع ما ، فسيعد ذلك اجماعا لا يخالف وحكما لا ينقض الا بمثله، ومعلوم دون دجل ولا مواربة ولا جدل أن الاسلام لا يهدف الا الى خير البشر وسعادتهم وما يؤمن لهم العيش الرغيد والمجتمع المطمئن الآمن ، ويدعوهم الى حظهم من الدنيا ، والحسنى وزيادة فى الدار الآخرة ـ والله وحده هو الهادى الى سواء السبيل .

بحث مقارن

بين الاقتصاد الإسلامي



١ : ـ نريد فى هذا البحث ان نبرز مقارنة علمية بين الأصول التي فرضها اقتصادنا الاسلامي ، والأصول التي يقوم عليها الاقتصاد العالمي المعاصر ، من غربي وشرقي .

وأولا نتساءل : هل عني الاسلام بوضع احكام تنظيم النشاط الاقتصادى للمسلم فى سعيه الى الوفاء بحاجات الحياة ومطالبه المادية ؟ .

لا شك أن هذا العنوان « اقتصاد اسلامي » عنوان لا يستسيغه علماء الاقتصاد المعاصر ، اذ هم يرون ان علم الاقتصاد انما يقتصر على دراسة مطالب الحياة المادية ، فلا محل فيه لكل ما يتصل بقواعد الأخلاق او احكام الدين ، وفى عرفهم لا يوجد « اقتصاد مسيحي » او « اقتصاد بوذى » فلماذا يكون هناك « اقتصاد اسلامي » ؟ .

وغفلوا عن ان الاسلام قد أتى باكمل هداية للبشر ، لا فى السلوك الفردى فحسب ، بل فى السلوك الجماعي ، فاستكمل بذلك هداية الانسانية فى جميع شؤونها : فى الجانب الخاص والجانب العام من حياة المجتمعات البشرية .

فوضع الأصول التي يجب على كل مجتمع انساني أن يسير فى نطاقها ، ثم اطلق لكل مجتمع حرية البناء على هذه الاصول ، والتفصيل والتفريع فيما يبنيه ، ما دام ذلك فى نطاق هذه الاصول العامة .

جاء الاسلام بمنهج شامل للحياة ، حتى عباداته جعلها تتصل بتنظيم هذا المنهج ، وتؤثر فى اتجاهاته تأثيرا مباشرا ، فهى تأخذ بيد المسلم وتحثه على السير قدما فى هذا المنهج المسنون ، وتهديه كلما ضل عنه او انحرفت به الشعاب ، وهكذا قضت مشيئة الرحمن ان يكون خاتم الاديان دستورا شاملا للسلوك الانساني ، يمتد الى جميع آفاق حياة الفرد والمجتمع .

والاقتصاد المعاصر

للدكتور محمد عبد الله العربي
عميد معهد الدراسات الاسلامية
وعضو مجمع البحوث الاسلامية

وتعاليم الاسلام ، كما نظمت الجانب الروحي فى حياة البشر ، نظمت بالمثل الجانب المادى ، لأن كلا من الجانبين يؤثر فى الآخر ويتأثر به ، فالانسان بفطرته التي فطره الله عليها مزيج من المادة والروح ، فوضع الاسلام تعاليمه على نحو يخلق توازنا قويما بين الاتجاه المادى والاتجاه الروحي فى طبيعته البشرية وبهذا التوازن يحميه من الاندفاع المدمر فى أحد الاتجاهين .

غير أن علماء الاقتصاد المعاصر يضغطون كل الضغط على الاتجاه المادى فى اقتصادهم ، اما بطريق مباشر كما فعل (ماركس) فى شيوعيته الشرقية ، واما بطريق غير مباشر كما فعلت الرأسمالية الغربية . وساروا فى هذا الطريق حتى تجاهلوا ابسط قواعد الأخلاق ، وأوضح معايير الخير والشر التي فرضتها جميع الاديان السماوية ، فكان لهذا التجاهل آثار بعيدة المدى فى النشاط الاقتصادى للبشر . واصبحت كل التصرفات الاقتصادية مباحة ، طالما كانت تؤتى نفعا ماديا ، وما دامت لا تصل اليها يد القانون الوضعي ، مهما اختفى فى ثناياها من غش فى المعاملات واضرار بالغير او سلب لماله ! ! ! .

وأمعن علماء الاقتصاد ـ فى الغرب والشرق ـ فى احاطة نظرياتهم بأقنعة كثيفة حجبت كل اعتبار خلقي او انساني ان ينفذ الى هيكلهم المادى . **هذا الاتجاه المادى البحت ، وما تولد عنه من عداء مستعر بين الكتلتين اللتين تسيران فيه ، اصبح يهدد عالمنا اليوم بدمار شامل ، ولا سبيل الى اجتنابه الا اذا وعت البشرية تعاليم الاقتصاد الاسلامي .**

المال والعمل

٢ : ـ والاقتصاد المعاصر ، مهما كان لونه او مذهبه ، ومهما تباينت النظريات التي تحاك حوله ، انما يقوم على دعامتين لا ثالث لهما المال والعمل . فهما مصدر كل طيبات الحياة .

فالمال يشمل كل ما سخره الله لنا من

خير فى البر والبحر ، فى ظاهر الأرض وباطنها .

والعمل يشمل كل جهد يبذله الانسان ــ سواء كان جهدا بدنيا او ذهنيا او الاثنين معا ــ فى استثمار هذه الخيرات .

والاقتصاد المعاصر ــ سواء كان غربيا او شرقيا ــ لا يخرج فى جملته عن توجيهات فى تنظيم هاتين الدعامتين .

والتوجيهات فى تنظيم هاتين الدعامتين ــ سواء فى الاقتصاد الغربي او الشرقي ــ كلها من صنع البشر ، او على الاصح من صنع ذوى السلطان فى المجتمعات البشرية فى عصر معين .

اما التوجيهات فى تنظيم هاتين الدعامتين فى الاقتصاد الاسلامي ، فمن صنع الله ، ومن هداية الله ، منذ هبط الانسان الى الأرض وقال الله سبحانه وتعالى لأبويه : « اهبطا منها جميعا بعضكم لبعض عدو فاما يأتينكم منى هدى فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى ومن أعرض عن ذكرى فان له معيشة ضنكا » ١٢٣ طه وقال سبحانه وتعالى للبشر جميعا « يا بنى آدم اما يأتينكم رسل منكم يقصون عليكم آياتي فمن اتقى وأصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون » ٣٥ الاعراف .

ولكن البشر منذ بدء الخليقة الى اليوم لم يثبتوا طويلا على التزام الهداية الالهية ، فتوالت رسل الله الى امم الأرض جميعا . « ولقد بعثنا فى كل امة رسولا » « وان من امة الا خلا فيها نذير » .

وكان من رحمة الله فى رسالاته ايتاء كل امة وكل زمان ما علم فيه الخير للأمة والملاءمة للزمان . ثم شاءت رعاية الله لعباده ان يختتم رسالاته الى الأرض جميعا بالرسالة المحمدية ، وان يكمل للبشر جميعا دين الحق ، فأنزل القرآن مصدقا لما بين يديه من الرسالات السابقة ، ومصححا لما اعتورها من تبديل وتحريف ، وما لحقها من محو وافتراء . « تبارك الذى نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا » « وما ارسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا » .

وفى الشؤون الاقتصادية بالذات كانت الهداية التي تأتي على لسان كل رسول من رسل الله تأتي على النحو الذى يلائم ظروف العصر ومقتضيات البيئة التي بعث اليها الرسول (١) . فاذا كنا نجد فى رسالة عيسى عليه السلام تحقيرا للمال وتنفيرا من كسبه ، ولا نجد ذلك فى رسالة موسى عليه السلام فلأن البيئة التي ارسل اليها عيسى كانت قد انكبت على طلب المال ، ونبذت فى سبيله كل تعاليم الله ، الى ان جاء الاسلام فأحاطت تعاليمه فى تنظيم شؤون المجتمعات البشرية بكل ما يحقق لها سعادة الدارين .

« اليوم اكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا » فكان كل ما جاء به موجها الى هداية الناس كافة الى ابد الدهر .

٣ : ــ بعد هذا التمهيد ننتقل الى بيان تعاليم الاسلام الاقتصادية . ولكن يجب ان نذكر من البداية ان الاسلام لم يأت بها منعزلة عن غيرها من التعاليم ، بل كان دائما يؤسسها على تعاليم سابقة عليها ، تعاليم خلقية عقائدية ، تستقر فى وجدان المسلم ، وتجعله يذعن للتعاليم الاقتصادية اذعانا منبعثا من ضميره عن طواعية واختيار ، ثم يشفعها بتعاليم

(١) هذا فى تنظيم شؤون المجتمع ، أما فى العقائد التى جاء بها رسل الله كوحدانية الله ، والايمان باليوم الآخر فلم تختلف جميع رسالات السماء .

حكومية تجيز لولي الأمر ان يتدخل بسلطانه اذا قضت ظروف المجتمع بتدخله لضمان نفاذها .

وهذه سنة الاسلام فى بناء المجتمع وتنظيم شؤونه : يؤلف فى هذا البناء بين اصول خلقية عقائدية،وأصول اقتصادية، وأصول سياسية ، ولا يجعلها وحدات منعزلة احداها عن الأخرى ، بل يدمجها بعضها فى بعض ، بحيث تتكون منها مجموعة متماسكة متعاونة ، تصنع من هذا البناء كتلة حية ، تتفاعل فيها هذه الأصول تفاعلا وثيقا سعيا الى الوفاء بحاجات البشر الخالدة .

واذن فى دراستنا لأصول الاسلام الاقتصادية يجب ان نأخذ فى اعتبارنا ما يرتبط بها من أصول خلقية وسياسية تشترك مع الاصول الاقتصادية فى تحقيق رسالة الاسلام فى المجال الاقتصادى تلك الرسالة التي تهدف الى صياغة المجتمع فى قالب هيئة تعاونية ، تتوازن فيها بالقسط جميع المصالح المتضاربة والنزعات المتنافرة توازنا قويما .

٤ : ــ وسبيلنا الى تبسيط هذه الأصول الاقتصادية ان نوزعها بين مطالب الدعامتين اللتين يقوم عليهما أى اقتصاد مهما كان لونه او اتجاهه ، وهما دعامة المال ودعامة العمل .

ونبدأ بالدعامة الأولى دعامة المال ، ثم ننتقل الى الدعامة الثانية دعامة العمل فنرى توجيه الاسلام فى كل من الدعامتين، ثم نقارن بين التوجيه الاسلامي فيهما وبين التوجيه الاقتصادى المعاصر غربي وشرقي .

الدعامة الأولى : المال

٥ : ــ لمن ملكية المال ؟

ملكية المال هي محور النشاط الاقتصادى فى المجتمع . لذلك كان لزاما على الاسلام وهو خاتم الأديان ان تمتد تعاليمه الاقتصادية الى تنظيم ملكية المال وتنظيم وسائل كسبه ، واساليب تنميته واستثماره .

وتعاليم الاسلام فى هذا الشأن ــ وفى تنظيم شؤون المجتمع كافة ــ ترد اولا فى صيغة تعاليم خلقية تتصل بعقيدة المسلم ، لكي يصدع بها طائعا مختارا بغير اكراه من ولي الأمر ، ثم ترد ثانيا فى صيغة تعاليم حكومية تجيز لولي الأمر فى المجتمع الاسلامي اجبار من يأبى الانقياد للنظام المفروض ، او ينحرف عن الطريق المسنون ، ضمانا لنفاذ هذه التعاليم الخلقية ، كلما قضت بذلك ظروف المجتمع ، ومستوى تمسكه بالوازع الديني فى بيئة معينة وعصر معين .

وهذه التعاليم الخلقية فى شأن المال ــ ويصح ان نسميها تعاليم وجدانية او عقائدية ــ ترتكز على عقيدة اساسية يغرسها الاسلام فى وجدان المسلم ، عقيدة تتأثر بطاعته الصادقة ، سنة الاسلام فى كل تنظيم من تنظيماته ، يسبقه اعداد النفوس بغرس العقيدة المهيمنة على هذا التنظيم ، حتى يتهيأ المسلم لقبوله والاذعان له عن طواعية واختيار .

هذه العقيدة تقرر ان كل شيء فى الوجود انما هو ملك الله تعالى ، خالقه وخالق السموات والأرض وما بينهما ، وان الانسان فيما لديه من مال انما هو حائز لوديعة اودعها الله بين يديه . فالله وحده ، الذى له ملكوت السموات والأرض هو مالك المال كله ، سواء تمثل هذا المال فى « سلع اقتصادية » او فى « سلع حرة » فهذا التمييز القائم على أساس « الندرة » هو تمييز من صنع البشر . والانسان هو خليفة الله في ارضه ، امره خالقه بالانتفاع بهذا المال ، ومكنه من هذا الانتفاع للوفاء بحاجاته

واصلاح معاشه ، على ان يتفق هــذا الانتفاع مع مصلحة المجتمع الذى يعيش فيه ومصلحــة الانسانية بوجــه عام ، وســوف يحاسب على ذلك كلــه يــوم الحساب .

« ورفع بعضكم فوق بعض درجات ليبلوكم فيما آتاكم » الانعام ١٦٥ .

هذه العقيــدة غرستها فى وجــدان المسلم آيات قرآنية كثيرة نذكر منهــا قوله تعالى « هو الذى خلق لكم ما فــي الارض جميعا » (البقرة ٢٩) « ذلكم الله ربكم لا اله الا هو خالق كل شيء » (الانعام ١٠٢) ومنطقنا البشرى يقتضي ان يكون خالق الشيء هو مالكه ، حتى تحدانا الخالق بعجزنا عن خلق ذبابة ، وبهــذا المنطــق نفســه جاءت نصوص القرآن قاطعة . فى ان لله ملك السموات والأرض وما بينهمــا . « للــه ملــك السموات والأرض وما بينهما » (المائدة ١٧) « لله ملك السموات والارض وما فيهن » ثم استعمر الله البشر فى الارض « هو أنشأكم من الأرض واستعمركــم فيها » (هود ٦١) وجعلهم خلائف فيها « وهو الذى جعلكم خلائف الارض ورفع بعضكم فوق بعض درجات ليبولكم فيما آتاكم » (الانعام ١٦٥) وسخر لهم ما خلق فى السموات والأرض وسلطهم عليه بقــدر ما يستطيعــون من استغــلاله واستثماره « الم تروا ان الله سخر لكم ما فى السموات وما فى الأرض واسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة » (لقمان ٢٠) وسخر لكم ما فى السموات وما فى الأرض جميعا منه « (الجاثية ١٣) ويقــول سبحانه وتعالى « آمنوا بالله ورسوله وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيــه » (الحديد ٧) فالمال الذى فى ايدى البشر هو مال الله وهم فيه خلفاء لا اصلاء .

هذا الى آيات كثيرة تقرر ان كــل امرىء مسئول يوم الحساب عن المــال الذى اودعه امانة بين يديه (ثم لتسألن يومئذ عن النعيم) (التكاثر ٩) « والذين هــم لأماناتهــم وعهــدهم راعــون » (المؤمنون ٨) .

واذن بمقتضى هذه العقيدة الدينية يعتبر الانسان خليفة الله على كل ما فى حيازته من مال ، وعليه ان يقوم عــلى مسئوليــات هذه الخلافــة قياما أمينا واعيا ، وما دام المال مال الله وهو عارية فى يد البشر الذين استخلفهم فيه ، فليس للبشر ان يتخلفوا عن تنفيذ امر اللــه فى هذا المــال .

٦ ــ غير ان هذه الآيات القرآنية التى تقرر ملكية الله للمال يشفعها القــرآن بآيات اخرى تنسب ملكية المال الــى آحاد البشر ، كقوله تعالى « ولا تأكلوا اموالكم بينكم بالباطل » (البقرة ١٨٨) وقــوله تعــالى « لتبلــون فى اموالكــم وانفسكم » (آل عمران ١٨٦) وقوله تعالى « وآتوا اليتامى اموالهم » وقوله تعالى « خذ من اموالهم صدقة » (التوبــة ١٥٣) وقوله تعالى « للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن » (النساء ٣٢) وقوله تعالى « ان اللــه أشترى من المؤمنين انفسهم واموالهــم بأن لهم الجنة » (التوبة ١١١) وقوله تعــالى « وفى اموالهم حــق للســائل والمحروم » (الذاريات ١٩) وقولــه تعالى « وجاهدوا فى سبيل الله باموالكم وانفســكم » .

وقد يبدو ان ثمة تناقضا بين نسبة ملكية المال الى الله والى الجماعة تارة ، ونسبته الى البشر تارة أخرى . ولكــن هذا التناقض ينتفي اذا ذكرنا المقاصد الشرعية من هذا الازدواج فى نسبــة المــال .

فالمقصد الأول هو ان اضافة ملكيــة المال الى الخالق جل شأنه ضمان وجداني لتوجيه المال الى نفع عباده ، وان اضافة ملكية المال الى البشر ضمان يماثله فى توجيه المالك الى الانتفاع بما يملكه من مال فى الحدود التي رسمها الله ، فهذه الاضافة لم يقصد بها الا تمليك الانتفاع

بالمال بكل ما يقتضيه هذا الانتفاع من حق التصرف وحق الاستهلاك وحق الاستثمار ، والقاعدة ان الاضافة يكفي فيها ادنى الاسباب .. وقد أضاف القرآن أموال السفهاء الى اوليائهم فى قوله تعالى ((ولا تؤتوا السفهاء اموالكم)) لا لأن الأولياء ملكوه ، بل لأن لهم التصرف فيه وقال (الرازى) ((يكفى لحسن الاضافة ادنى سبب)) .

المقصد الثاني هو ان الاسلام دين المسئولية ((كل نفس بما كسبت رهينة)) ((ولا تزر وازرة وزر أخرى)) ((وكل انسان ألزمناه طائره فى عنقه)) لذلك كان الاسلام لا يقبل ان تكون مسئولية البشر عن المال الذى سخره الله لهم وأودعه بين ايديهم مسئولية شائعة غير محدده ، فعمد الى اقرار الملكية الفردية ، ليسأل كل فرد ــ فى الحصة التي يملكها ــ عن حق الجماعة فيها ، ثم جعل ولي الأمر مسئولا عن حق الجماعة فيما خص الأفراد من هذا المال، وليستعمل حقه هذا فيما تمليه مصلحة الجماعة ، وما تفرضه ضرورات الحياة المشتركة وفى تنفيذ ما امرت به التعاليم الخلقية فى ملكية الأفراد للمال .

المقصد الثالث هو ان الاسلام لما كان دين الفطرة التي فطر الله الناس عليها ، وكانت فطرة الانسان تتوق الى تملك المال ،وتحبه حبا جما ، فكان لابد لشريعة الاسلام ان تقضي بربط بعض المال على آحاد الناس حتى تنطلق غريزتهم من كبت الحرمان ، وحتى يندفع نشاطهم الى استثمار المال الذى فى حوزتهم وتنميته . وفى هذا نفع مشترك لهم وللمجتمع على السواء . كما قد تقضي شريعة الاسلام فى اموال اخرى بعدم ربطها على آحاد الناس ، كضرورات الحياة ((الناس شركاء فى ثلاثة الماء والكلأ والنار)) ويقاس عليها غيرها من ضروريات الحياة المشتركة .

الخلاصة ان ملكية الله للمال هي الملكية (١) الاصلية ، وملكية البشر للمال هي الملكية الواقعية ، ولا تناقض بين النسبتين . واذن فالاسلام ــ فى نطاق هذا المعنى ــ يعترف بملكية المال لآحاد البشر ، يعترف بحق المالك فى الانتفاع فى حياتهوبعد مماته،كما يحميه حمايةناجعة من كل اعتداء على ملكه من الغير او من السلطة العامة ، حتى ان الدولة اذا ارادت ــ لمصلحة الجماعة ــ ان تنزع ملكية ماله فعليها أن تؤدى عن ملكه تعويضا عادلا .

وفى هذا يختلف الاسلام عن المذهب الشيوعي الذى لا يعترف بالملكية الخاصة فى مصادر الانتاج ، ويتعارض بهذا القدر مع غريزة الانسان الفطرية فى حب التملك ويتجاهل بهذا القدر حافزا اساسيا فى توجيه النشاط الاقتصادى .

كذلك يختلف نظام الملكية فى الاسلام عن نظيره فى الاقتصاد الرأسمالي حيث يكون للمالك السلطان المطلق فيما يملك بغير أى قيد عليه . اما الاسلام فيفرض طائفة من التكاليف والالتزامات على المالك لمصلحة المجتمع ، وهذه التكاليف والالتزامات قابلة للقبض والبسط ، فتضيق وتتسع على ضوء الضرورات المحيطة بالمجتمع الذى يحيا فيه المالك .

وننتقل الآن الى بيان التكاليف التي فرضتها التعاليم الخلقية على ملكية المال استنادا الى عقيدة الاستخلاف التي غرستها هذه التعاليم فى وجدان المسلم . فالى عدد قادم .

---

(١) ليست هذه خاصة بالمال وحده بل هى فى كل شيءخلقه الله فكما نقول مال الله نقول : عباد الله . أرض الله خلق الله .. الخ (قل اللهم مالك الملك) ومما يذكر ان اباذر الغفارى كان يعارض فى تسمية المال . مال الله ويقول : انما هو مال المسلمين لانه رأى أن الحاكم يستغل كلمة مال الله ليتصرف فيه كما يشاء (الوعى) .

٢

أحمد بن حنبل

محمد يوسف

« في المقال السابق تحدث فضيلة الاستاذ عن حياة الامام احمد (نشأته ونبوغه وورعه واستمساكه بالحق الذي يعتقده ، واستهانته بكل ما لاقاه من تنكيل في سبيل ذلك) ....
وفي هذا المقال يحدثنا عن فقه الامام والنظرة الخاطئة اليه من بعض الناس »

« الوعي »

تهمتان كاذبتان

ومع ما لهذا الامام من فضل واسع فقد علقت بأذهان الناس نحوه فكرتان كاذبتان ليس لهما حظ من صواب .

الاولى : ان فقه الامام احمد لا يتسع لحاجات الناس ، وهذا لوقوفه عند النصوص ، وتحرجه عن طرق باب القياس والاستنباط . والشريعة كما تؤخذ من النص تؤخذ بالقياس على النصوص ، والا ضاقت وكانت حرجا وذلك ما وقع فيه احمد بن حنبل ، هذه تهمة من اثنتين يتحدث بها بعض المتعلمين ، وهؤلاء في حاجة الى الارشاد والتوجيه . ذلك ان احمد كثير الثروة من الاحاديث ومن المأثور عن الصحابة كما قلنا وعرفنا ، ومن كانت لديه ثروة كهذه فقلما يحتاج الى القياس كما يحتاج من لم تتوفر له هذه الكثرة ،حتى انك لتجد للامام احمد في المسئلة الواحدة روايتين او اكثر ، وقد تجد لعلماء مذهبه بجانب ما نقلوا عنه توجيهات اخرى في المسألة الواحدة وذلك كله لتعدد الادلة واستوائها في القوة ، وهذا يشهد بأن مذهب احمد واسع الجوانب ، كثير الموارد والمصادر ، وهو امر يعلمه الباحثون فيه من اولى العلم ،وقد يحدثك به جمهرة من العلماء ومن رجال القضاء الشرعي والاهلي وممن لهم اقبال على الفقه الاسلامي .

على أن احمد لم يغلق باب الاجتهاد، بل دعا اليه في قوله انما امرنا ان نأخذ العلم من فوق ، يعني من الأدلة لا بالتقليد ، وكذلك لم يحظر القياس بل

اقره وعمل به ، وقال فيه : **لا يستغنى احد عن القياس** ، وللقياس باب واسع **فى مذهبه ، فكيف يقال : فقه احمد قليل** الاجتهاد عنده محدود)؟

نعم لم يكن مذهب احمد مذهب السلطان في مصر يوما ما ، ولا كان مذهب القضاء الا في فترات قصيرة ، وفي جهات محدودة فلم يتسع له الافق كما اتسع لغيره ، ولم يكثر فيه التخريج والتفريع كما كثر في مذاهب اخرى ، لكن ليس معنى هذا ان فقه احمد يضيق بما يحتاج اليه الناس ، بل فيه فسحة لكل ما يجد ويقع من احداث وشئون ، وان لم تتسع لذلك نصوص يدخرها المذهب ، فليتسع باب القياس ، وباب الاستحسان عند احمد وعلماء مذهبه وليس في ذلك من حرج ، متى وجد الداعي وتوافرت المسوغات .

والتهمة الثانية : ـ وهذه تهمة أخرى ليست بضيق مذهبه وقلة أحكامه (كما **زعموا) وانما هى اشنع ذكرا واسوأ اثرا ،** هي تهمة التزمت والجمود والجنوح الى الشدة والجفاف والبعد عن الرفق ، سواء اكان في احكام الدين أم فى معاملات الناس ، لم تبق هذه التهمة لدى بعض من اهل العلم فحسب كما كانت الاولى ، بل جرت على السنة العوام وأصبحت فكاهة يتندرون بذكرها ، حتى ليتصورون الحنابلة بعيدين عن سماحة الاسلام في المعاملات ومقتضيات الحياة .

وما كنا لنأبه لهذه الاراجيف لولا انها تجر الى سوء الفكرة عن الامام احمد وعن فقهه ، ونحن من هذه التهمة في موقف العجب !!

ولكن على اى حال

قد قيل ما قيل ان صدقا وان كذبا

فما اعتذارك من قول اذا قيلا

لفضيلة الشيخ عبد اللطيف السبكى
رئيس لجنة الفتوى وشيخ الحنابلة بالازهر

واني لأقف رويدا امام هذه الفرية المكذوبة علنا نرى الاصل الذى نجمت عنه والركن الذي هبت منه . والامر فى تعليلها لا يتعدى فروضا ثلاثة :

الأول ان الناس في بلادنا يرون كثرة الاتباع للمذاهب الاخرى وقلة اتباع احمد بالنسبة للآخرين فيعتبرون ذلك امارة على الشدة والصلابة .

ان كل هذا رجم بالغيب ، وعماية في الرأي ، فما كانت الكثرة ولا القلة ميزانا بين مذهب ومذهب ، وانما الناس في طلب العلم وخاصة في مصر وراء الآمال ، وقد كان مذهب ابي حنيفة يوما ما قليل الاتباع فلما آزره سلطان الحكم العثماني واتخذوه مذهب الدولة رغب الناس فيه واقبلوا عليه ، فبان فضله وكثر اتباعه ،

ومذهب احمد غريب عن مصر ، فلم تكن له مواطنة تعززه كما للشافعي رضى الله عنه ، ولم يصادف حظوة من تأييد الحكام كما لمذهب أبى حنيفة احسن الله اليه ، فليس صوابا ان تكون القلة امارة على الصعوبة .

السبب الثانى . وهو أشبه بالصواب ان الحنابلة فى القرن الرابع الهجرى بعد وفاة الامام احمد بفترة طويلة كانوا ذوى كثرة وغلبة فى بغداد ، وكانوا في مأمن من مقاومة الخلفاء فاستغلوا كثرتهم في مناصرة مذهبهم ، وتعرضوا بالعنف لمن يخالفهم ، وأساءوا الى كثير

من الخاصة ووجوه القوم ، وابتدعوا اقوالا متطرفة تنسب الى المذهب حتى اليوم ، وليست منه في شيء واحدثوا في ترويجها شغبا آلم الناس ، وأوغر صدور الحكام فنهض الخلفاء لمقاومتهم وهددوهم بالايذاء والتنكيل حتى اقلعوا عن هذه المشادة ، فان صح هذا الموقف تعليلا لما ينسب الى المذهب من شدة فهو تعليل وقتي في زمانه ، وهو محلي لم يتعد حنابلة بغداد يومذاك ، فليس من الانصاف ان تلصق هذه القالة بصاحب المذهب ، او تساير اتباعه حتى في مصر وبعد هذه السنين الطوال ، انها فئة قليلة تشذ عن المذهب يوما ما ، فيرمى بدائها الابرياء في آخر الايام ؟؟

غيري جنى وأنا المعذب فيكمو
فكأنني سبابة المتندم

السبب الثالث : وهو اغرب من سابقيه واصدق عندي ، ان الامام احمد لقي من دسائس حساده وعنت الخلفاء ما ذكرت ، ونزل به من الايذاء والتعذيب ما لا يطيقه الا المخلصون لدين الله الصابرون على ما اصابهم في سبيل الله ، حتى هانت عليه حياته ورخصت عنده نفسه ، ورضي بالموت عذبا سائغا دون ان يقول كلمة يرضي بها الخليفة ، وينقذ بها نفسه مخافة ان يكون في لفظته مساس بالقرآن ، او أن يتأول الناس كلامه فيضلوا بسببه وهو يرى الموت اهون من الضلال والاضلال ، فيبتعد عن الضلال ولو من ابعد الطرق ، ويقدم على الهلاك ولو بأبشع الطرق ، ما دام فى هلاكه صيانة لكلام الله .

فيا ترى ايكون تحفظ الامام لدينه وحرصه على الناس ان يضلوا بسببه امرا معيبا عند البعض ، وتهمة بالجمود والعصبية العمياء ، ويعير من اجله كل ثابت على مبدئه او محتفظ بكرامته ، او معتز بشخصيته ، او معتصم بدينه بأنه حنبلي ؟؟

ان كانت العزيمة والتمسك بهذه الفضيلة معابة فأنعم بالحنبلية شعارا فوق رأسي ، ووشاحا في صدرى ، وراية فى يمينى ، وغرة فى جبينى ، وليقل الناس ما شاءوا « ان المحب عن العزال في صمم » .

نعم ان موقف احمد ازاء الخلفاء لموقف التضحية ، وهو المثار لهذه القالة وكان العهد ان يشاد بهذا في الذكريات الطيبات ، وأن يجرى على ألسنة الناس مجرى الباقيات الصالحات ، ولكن لما اعتل ذوق الناس للفضيلة وفسد الرأي في تقديرها واضطرب في فهم ميزان الاخلاق ، وانتكس الحق بينهم ، وظهر الباطل فيهم قلبوا الاوضاع على سمت غير سمتها ، وسموا الاشياء بغير اسمائها ، فكان الذياد عن الحق ، او عن العقيدة رذيلة وكانت مكرمة احمد عندهم نقيصة .

ومن يك ذا فم مريض
يجد مرا به العذب الزلالا

سيداتي ، وسادتي القراء :

واني اذ وقفت بكم امام هذه التهمة ووصلت بكم الى ان قائلها انما يشهد على نفسه بالغباء ويعلن جهالته بالفضيلة أين تكون . فاني لأرى من الحق علي ، ومن سداد القول ان انبه الى أمرين احدهما : ان الاصلاح الاجتماعي فى مصر قد لفت الانظار الى تطعيم القانون بالمذاهب الاربعة بعد ان تبين الحرج في البقاء على مذهب واحد ، وبذلك اصبح قانون الاحوال الشخصية الذي يعمل به في المحاكم مزيجا من المذاهب المذكورة ، ولمذهب الحنابلة فيه قسط ذو بال ، وفي هذا قضاء على سوء الظن بمذهب احمد ، كما ان الناس اصبحوا يعرضون

مشاكلهم على لجنة الفتوى بالازهر ويسألون الحكم على المذاهب الاربعة ، او على المذهب الأرفق بحالتهم ، وهذا يبشر بالتحلل من النزعات القديمة .

الامر الثاني : الذي انبه اليه هو ان اضرب لكم امثلة من مذهب احمد لم ترد عند غيره من المشهورين ليزداد الحق وضوحا لديكم ، وتعلموا ان مذهبه يسر ولا عسر فيه .

رقم (١) تجيز المذاهب للمتوضىء ان يمسح على خفه بدلا من غسل رجليه مع ملاحظة الشروط المعلومة ، وأحمد ابن حنبل يجيز المسح على الخف من الجلد وعلى الشراب الذي تلبسونه متى كان ساترا للقدم غير مخروق ، وكان لبسه بعد وضوء كامل ، ولم يزد لبسه للمقيم عن يوم وليلة .

رقم (٢) يجيز مذهب الحنابلة - على رواية فيه - ان يصلى الانسان وهو لابس حذاءه بعد ان يمسح نعليه جيدا بالأرض ليزيل ما يمكن ازالته وما بقي من نجاسة النعلين معفو عنه .

رقم (٣) يجيز الحنابلة الجمع بين الظهر والعصر ثم بين المغرب والعشاء جمع تقديم في وقت الاولى او جمع تأخير في وقت الثانية ، وذلك لاصحاب الاعذار الذين لا يستطيعون تأدية كل صلاة في وقتها كعساكر البوليس في غير وقت الراحة وكسائق القطار والترام ، وكالمريض والحامل والمرضعة ، والعمال فى المتاجر والمصانع اذا كان عملهم لا يسمح او يلحقهم ضرر في معايشهم اذا اشتغلوا بالصلاة في كل وقت .

رقم (٤) البهائم والطيور التي يؤكل لحمها ما يخرج من برازها لا يكون نجسا ولا يحتاج لتطهير ما تلوث بها من الثياب اذا كان علفها طاهرا ، وفي هذا فسحة وسهولة على الفلاح وبائع الطيور ، اما الدم فنجس كله .

رقم (٥) خروج الدم من جسم المتوضيء لا ينقض الوضوء اذا كان قليلا في نظر الانسان حسب تقديره .

رقم (٦) اذا اجتمع العيد والجمعة في يوم واحد وصليت العيد لم يجب عليك ان تحضر للجمعة ، وكفاك ان تصلى الظهر ولا أثم ، فان حضرت الى مكان الجمعة وجبت .

رقم (٧) صلاة الجمعة عند الحنابلة تصح في وقت الضحى قبل دخول الظهر .

رقم (٨) اذا لم تجد المرأة زوجا او محرما من اهلها يخرج معها للحج فانه لا يجب عليها مهما كانت غنية ، بل لا يحل ان تسافر لاجله وحدها .

رقم (٩) اذا دفع المشترى عربونا وشرط على نفسه ان يتركه للبائع اذا لم يتم شرؤه ثم لم يتم الشراء فالعربون ملك حلال للبائع مهما بلغت قيمته .

رقم (١٠) اذا كان احد الاقارب غنيا وكان له اقارب فقراء لا يرثون وجب عليه ان يوصى لهم بشيء من ماله يأخذونه بعد وفاته .

رقم (١١) ذبح الحيوان والطيور حلال ولو كانت قصبة الرقبة غير مستديرة وسواء اكان الذبح من اعلاها ام من اسفلها او من سطحها ، ولكن بشرط تسميته عند الذبح .

رقم (١٢) مذهب الحنابلة يوجب العدل بين الاولاد في التركة والعطايا فلا يجوز عندهم اعطاء الذكور وحرمان الاناث ، ولا تفضيل واحد منهم بأكثر من حقه الشرعي الا اذا سمح الآخرون عن طيب نفس منهم ، وذلك لعدم الضغينة بين الاولاد ، وهي حكمة معقولة يؤيدها الدليل والواقع .

رقم (١٣) الحيل التي يتوصل بها الى تحليل محرم ممنوعة عند الحنابلة وان كان ظاهرها الصحة ، فزواج المحلل

البقية على ص ٦٥

الإسلام

محمد يوزن

في العـالم صـراع لا يهـدأ وحـرب لا تنتهي ، وهو تارة صراع ظاهر تدعمه القوة والسـلاح ، وتارة خفي مستتر سلاحه الفكر واللسان . وهو في استتاره وخفائه أشـد خطورة وأفتك منـه في ظهوره وجلائه . ولقد تجلى الصـراع الفكـري أو المذهبي في عالم اليـوم اذ قسمه الى معسكرات توزعتها المذاهب ، وباعدت بينها المعتقدات . ولا بد لعالمنا الاسلامي من أن يحدد موقعه المتميز بين تلك المعتقـدات والمـذاهب . ولا بـد للمسلمـين اليـوم مـن أن يخوضـوا معركة جهاد فكري يوجهون انظار العالم فيها الى رسالتهم الاسـلامية الخالدة ويبينون انها اصلح الرسـالات لبنـاء الحضارة الانسانية .

ان الاسلام اليوم مدعو الى القيـام بالدور العظيم الذي قـام به في الماضي وعجز غيره عن القيام به ، فكان الدين الذي جمع أبناءه على المحبة ووحدة الهدف ، وكان البلسم الذي داوى جراح الانسانية والعلاج الشافي لما شكت منه ، وكـان بعد ذلك عطاء خيرا عمت حضارته أقطار الارض .

ونحن حرصا منا على التحديد ورغبة في الوضـوح نـورد فيمـا يلي بعـض الملاحظات التي ستكون أبحاثنا في ضوئها ، وهي :

أ : ـ سيكون بحثنا عن الاسلام لا عن

والحضارة

للدكتور مازن المبارك
الاستاذ بجامعة الرياض

المسلمين ، لأن الاسلام هو الدين السماوى الخالد ، والمذهب الفكرى الثابت الواضح ، واما المسلمون فهم بشر يخضعون لما يخضع له كل مجتمع بشرى من عوامل الضعف والتطور .

٢ : ـ ان أصحاب كل دين قادرون على أن يزينوا دينهم بما يستهوى عقول الناس ، وأن يدخلوا فيه ما يشاؤون من تعديل زيادة و نقصا . وقادرون على أن يخضعوه لآراء مجالسهم وقراراتها ، سواء كانت مجالس حزبية أو دينية ... ان كل أصحاب الأديان قادرون على ذلك وهم قد فعلوا ، الا المسلمين فانهم لايستطيعون الى ذلك سبيلا ، ولم يسجل التاريخ حتى فى أيام المحن التى ابتلي فيها الاسلام ، وزلزل فيها المسلمون أن مجلسا من مجالس فقهائهم أو فقيها من فقهائهم قد زاد فى الاسلام فرضا ، أو نقص فرضا ، أو أحل حراما أو حرم حلالا . وذلك لأن دين المسلمين ليس من صنعهم وانما هو من صنع خالقهم فلا يد لهم فيه ولا سلطان لهم عليه ، سواء كانوا فقهاء أم حكاما أو أنبياء . انه دين قد كمل ونعمة قد تمت (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا) (١)

٣ : ـ ان هذا الثبات فى الاسلام لا

(١) سورة المائدة ٣

يتنافى مع ما تقتضيه الظروف والمناسبات من المرونــة والتطـور ، لأنه ثبــات فى الأصول العامة وليس ثباتا فى الجزئيات ، انه اشبه بثبات الدساتير العامةفى المبادىء الكبرى ، وللمسلمين بعد ذلك أن يسنوا من القوانين ــ فى اطاره ــ ما تقتضيــه مصالح دينهم وأمور معيشتهم .

٤ ــ ان هذه الفترة التى نعيشها نحن اليوم فتــرة يحمل جيلنــا فيهــا عبئــا ثقيلا ومسئولية كبرى ، لأنها فترة بناء جديــد بالنسبة الى العالم الاسلامــي جاءت على اثر مرحلة الضعف والركود، تلك التى تسمى فى التاريخ بفترة عصور الانحطاط .

ان هذه المرحلة التى يمر بها عالمنــا اليوم هي مرحلة الانطلاق بعد الجمود ومرحلة البناء بعد الركود ، فلطالما رقد المسلمون والدنيا من حــولهم يقظــة ، ولطالما اطمأنوا والعالم من حولهم حذر متربص ، حتى جاءهم اليوم الذى أذهلهم حين التقى شرقهم الغافل فى مطلع العصر الحديث بالمدنية الغربية ، فكان لقاء يبهر العيون ، لانه لقاء على غير استعداد .

نعم لقد أتى على المسلمين حين مــن الدهر كانوا فيه أشبه بالانسان المخدر وكانت حياتهم فيه أشبه بالموت منهــا بالحياة ، فلقد جعلوا من الدين ــ وهو مصدر القوة الكبرى ومعين الفعاليــة الذى لاينضب ــ جدلا كلاميا وصوفية سلبية . وكان من سوء الطالع أنه فى اواخر تلك الفترة التى اسىء فيها فهم الدين ، واسىء فيها تطبيقه ، وضاع فيها الكثير من معالمه ان اتصل الشرق بالغرب، وكان الشرق عاجزا يلهث .. بل كان اشبه بالانسان الكسول فى آخر لحظات سباته ، واول لحظات يقظته ، انه نائم بدأ يفتح عينيه ، وما زال خدر النعاس يغالبه .

وأما الغرب فكان اذ ذاك مالكا لكل مشاعر اليقظة ، وكانت له مدنيته كمــا كانت له مشاكله الخاصة المتولدة مــن ظروفه الخاصة . وراح الشرق يغرف من كل ما فى الغرب يحاول اللحاق بــه، والوصول الى ما سبقه اليه ، فاذا هو ينقل فى جملة ما نقل كثيرا من مشاكل الغرب ، لقد كان فى الغرب صراع بــين العلم والكنيسة فانتقل الينا صراعا بين العلم والدين ! وكان فى الغرب صراع بين الدين والدولة فانتقل الينا كذلك رغم الفــرق البعيد بــين طبيعة الدينــين ، وموقف كل منهما مــن أمور التشريع والحكم ... وانتقلت الينا وما زالت تنتقل مشاكل كثــيرة غربية الجــذور والطبيعة ، فاذا مجتمعنا غارقفى مشاكل ليست بنت بيئته ، ولا وليدة ظروفه ، وانما هي ثمار غرست أشجارها فــي غير بيئتنا ، ونمتها ظروف وروافد لا نظير لها فى تربتنا .. وشغلتنا هــذه المشاكل المستوردة كما شغلنا ايجــاد الحلول لها عن العمل الايجابي المثمر .. وكان لكل ذلك أبعد الأثر فى المجتمــع الاسلامي ، اذ تقسمت مجتمعنا نزعات وآراء ، وغزت عقول جيلنا مذاهبوأفكار وكان من أثره أيضا أن أصبح الكثيرون منا ينظرون الى الاسلام بعيون غربية .. وأصبح الكثيرون مــن شبابنا يعــانون أزمات نفسية وفكرية كانت تعبر عــن نفسها بين الحين والحين بمظاهر الشك أو الالحاد ، أو التقليل من قيمة العقيدة، أو الاستهتــار بالقيــم الروحيــــة أو الاسلامية ، وكانت ردة الفعل لهــذه المظاهر المنحرفة أن شدد المحافظــون قبضتهم وكانوا كلما ازداد اولئك انطلاقا يزدادون هم انكماشا وتصلبا ، حــتى بات المجتمع فئتين تتمسك احداهمــا بالقديم بكل ما فيه ، وتأخــذ الثانيــة بالجديد بكل ما فيه .

وغير خاف أنه لن تكون الامة فى خير ولن تصل الى حياة مستقرة سعيدة ما دامت أجيالا متناحرة ، وفئات متنازعة ، واذا جاز أن يقع ذلك يوم لم نكن نملك

أمر أنفسنا فانه لم يعد يجوز استمراره الآن . نعم لقد أريد لأمتنا ان يكون بأسها بينها شديداً ، ولكنه آن لنا وقد عرفنا الحق أن نعود الى كلمة سواء ، وآن لأمتنا أن يلتئم شملها بعد أن أوهم الأعداء أنه لا تلاقى ولا اجتماع . واننا لنعتقد أن اجتماع المسلمين على كلمة الحق ممكن اذا أخذ الاسلام على انه نظام شامل للحياة ، وانه مذهب فكرى عالمي . لقد أصبح فهم الاسلام بنظرته الكلية ونظامه الشامل ، اى بالميزة البارزة من مميزاته ، أمرا لا بد منه . ومن اجل ذلك كان على المسئولين عن التربية والتعليم والثقافة والارشاد فى البلاد العربية والاسلامية أن يعنوا بالثقافة الاسلامية ، وان يكلفوا أهل العلم والخبرة بشرح هذه الثقافة شرحا يكفل عرض الاسلام عرضا يظهر نظرته العامة الى الحياة ، ويكشف أمام عيون الناشئة وعقولهم أنه نظام عام وفكرة حضارية ، بل يبين لأبناء المسلمين قبل غيرهم أن الاسلام خير نظام يحفظ للانسان كرامته، وخير مذهب تقيم عليه الانسانية حضارتها .

٥ : — وأما الملاحظة الخامسة والاخيرة فأهمس بها فى آذان الشباب المسلم، وهى أن « الجديد » لايعنى « الأصلح » لا فى معاجم اللغة ولا فى لغة الواقع ، فقد يكون من الجديد ما هو نافع ينبغي الأخذ به ، وقد يكون منه الخبيث . وعلى المسلمين اليوم عامة وعلى شبابهم خاصة تقع مسؤولية الانتقاء والاصطفاء ، وعليهم تقع مهمة التمييز بين الصالح الملائم والدخيل الشاذ .

واذا دفعت بالشباب حماستهم الى الأخذ بكل جديد والزعم بصلاحه ، فلا بأس أن نذكرهم بأنه سبقهم الى القول بذلك أهل القرن الثامن عشر فى اوروبا ، فقد كان معظمهم يؤمن أن الجديد هو الأصلح دوما ، وأن كل تطور أيا كان اتجاهه لا بد ان يكون تطورا نحو الاصلح ، بل لقد اعتقدوا أن الانسانية لا تسير على مر الزمن الا نحو الكمال العقلي والخلقي .. بل لقد زعموا انه لم يأت على الانسانية فى عمرها الطويل يوم بلغت فيه ما بلغته فى عصرهم من تعقل واتزان وسمو أخلاق ! لقد آمن أهل القرن الثامن عشر بهذا ولم يشذ منهم الا القليل ، ولكن العالم كما هي عادته أشبه بالمغامر الذى تتقاذفه الطرق، وهو كلما سار فى طريق منها ظن أنها الطريق المؤدية الى السعادة والامل المنشود ، فتكبد المشاق ، وعانى المتاعب حتى قطع معظم الطريق فاذا هو وجها لوجه أمام خيبة الأمل ، واليأس من جدوى الاستمرار ، فيروح يبحث عن سبيل اهدى .

وكذلك شأن عالمنا المغامر فى دروب المذاهب ومتاهات الافكار .. فلقد تقدم الزمن وطوى القرن الثامن عشر وأهله ، وتكشفت الحجب وبدا من أمر التطور ما كان مستورا ، فاذا أصوات الاصلاح ترتفع فى زحمة اللهاث وحمى السعى وراء التطور لتنبه العالم الى الخطر المحدق به ، ولتعلن أن التطور الذى أصابته الانسانية تطور آلي فقط ، وهو تطور أبتر ، بل لقد أعلن كثير من المصلحين انه تطور عاد على البشرية بكثير من الضرر ، وقام الفلاسفة ورجال الفكر يبينون أن التطور الآلي وحده لا يعني رقيا فى الحضارة .

والحق أنه شتان ما بين المدنية الآلية التى يمكن أن تورث عبر الأجيال ، كما يمكن أن تنقل عبر المناطق وبين الحضارة الأصيلة . ان الحضارة تستند الى فكرة وهى لا تنقل وان نقلت آثارها ، ولذلك فقد تكون على قدمها أصلح بكثير مما يأتى به التطور من جديد . وهذا يعنى بالنسبة الى الجيل المسلم أن عليه ألا يؤخذ بسحر الألفاظ ، ولا ببريق الشعارات . ان عليه أن يعرف الاصالة من الزيف ، ويميز الخبيث من الطيب ، وأن يدرك أن الزبد يذهب جفاء ، وأن ما ينفع الناس سواء كان جديدا أو قديما هو وحده ما يمكث فى الارض .

(للبحث صلة)

من نفحات الاندلس

اقبال في محراب

... وفى عودته ــ من أوروبا ــ مر بأسبانيا ورأى آثار المسلمين فيها فأوحت اليه شعرا منه قصيدته الخالدة فى جامع قرطبة ، وقد استأذن حكومة أسبانيا أن يصلي بالجامع ، ولعلها أول صلاة فيه منذ غابت شمس الاسلام عن قرطبة .

والذى يرى صورة شاعرنا الفيلسوف المسلم الغيور مصليا فى جامع قرطبة ، يقرأ قصيدة بليغة ويتخيل ما جال فى فكر شاعر الاسلام فى هذا المقام الهائل والمشهد الرائع .

لقد نظم اقبال نفسه هذه القصيدة، ونشرت فى ديوان « بال جبريل » وهي احدى بدائعه، ولا يفوق شاعر اقبالا فيما نظم فى جامع قرطبة، ولكن أرى فى صلاته قصيدة تروع نفسي معانيها ، ويكاد قلمي يخط ألفاظها ، وعسى أن أخطها يوما . ماذا جال فى نفس شاعر الاسلام وهو فى محراب الجامع ، والجامع عطل من الصلاة والأذان ؟

ليت شعرى استطاع اقبال أن يسمع من وراء الاجيال الأذان ، تردده مآذن جامع قرطبة ؟ أم أنصت الى القرآن يرتله الائمة فى المحراب ؟ أم انقلبت آيات القرآن التى لا تزال تنير فى جدران المسجد ترتيلا فى اذنه ووحيا فى قلبه ؟

أى قصيدة هذه ...؟

أى شاعر ينظم القصيدة التى عنوانها « اقبال فى محراب قرطبة » ؟

المرحوم الدكتور عبد الوهاب عزام

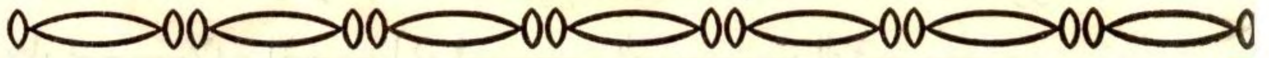
وهنا يقوم الشاعر الكويتي الاستاذ فاضل خلف بتحقيق ما تردد فى نفس الدكتور عزام فيقدم الينا هذه القصيدة المعبرة :

هى قصة المجــــد النضـــــير خَلَدَت علـــى مــر العصــور
هى قصة التاريخ والذكـــــــــرى على الدرب المنـــــبر
هى قصـــة الذكـــرى وقـــد خفقت بأعماق الضمــــــير
خفقت بقلـــــب الشاعــــــــر المفتون في زُهر الامـــور
الشاعر المفتون فـــــــــى حب البواشق والنســـــور

(١) بمناسبة ذكرى وفاته فى ٢١ ابريل

قرطبة

للاستاذ : فاضل خلف



في حب قــوم طــيروا الرايـــات في الرحب الكبـــير
وبوارق الايمــان تحدوهــــم إلى النصــر الشهــير
نشروا بهـا الاسلام فـــي الامصـار في أبهـى سطور
(الله أكبر) قـد غـــدت اغرودة الديـن الطهـور
وترددت اصداؤهـــا فوق الـبرارى والبحـور
بقيـت قـروناً بـل ستبقـى الدهـر في العـز الجديـر
فلها بشـرق الأرض ذكـر لا يكـف عـن الهديـر
ولهـا بغـرب الأرض أذ كـار تعـز عـن النظـير
ولهـا بأندلـس دوى منـذ أيـام الحبـور
أيـام عـز العـرب والاسـلام والخـير الكثـير
أيـام قرطبـة وكـم كانـت منـارا للثغور
أهدت حضارتهـا الـى الدنيا مـع الفضـل الوفـير
قـد كان مسجدهـا العظـيم منارة الفكـر الفخـور
فاضـت جوانبه بآلاء مـن اللـه الغفـور
فتسـابقت أمـم وأقـوام إلـى النبـع النمـير
فزهـت شعـوب بعـد مـا كانـت بجهـل مستـطير
ومضـت تسـطر مجدهـا بالعلـم والادب النضـير
واليوم يأتـى شاعـر الاسـلام ذو الصيـت الجهـير
ليزور عاصمة الخلافـة وهـو مضطـرم الشعـور
ليزور مسجدهـا العظـيم وقـد مضـى عهـد السـرور

مـــاذا رأى ؟ ياللمشاعـــــــــــــــر من تصـــــاريف الدهـــــــــور
مـــاذا رأى ؟ والـــــــــــدار قفـــــر من قريـــــــــب أو عشــــــير
مـــاذا تصـــبي شـــاعر الاســــــلام أثنــــــــاء المســـــــــــير
مـــاذا تصـــبي الشاعـــــــر الحســــــاس في الصمــــــت المريـــــــر
في صمــــــت مسجدهـــــــا المعطـــــل فـــى الاصائــــــل والبكور ؟
في صمته بعــد الفخــــار وبعـــــد عهـــــد مستنـــــــــــــــــير
في صمتــه بعــــد الصـــــلاة وقــد غــدت خلـــــف الســـــــتور
في الصمت بعد تــــــلاوة القـــرآن فـــــى البيــــــت الوقــــــور
للـــــه ما أبهـــــى الصـــــلاة . صـــــلاة إقبــــال الكبـــــــير
وصـــــلاته السمحـــــاء تبعـــــث بالسكينـــــــة فـــى الصـــدور
وقيـــامه فـــــى دوحـــــة المحـــراب بالقلـــــــب الكســــــــير
ياشعـــــــر مجَــِّـد هـــــذه الصلوات بالمعـــــــنى المثـــــــير
فـــى الجامــــع المهجـــــور حيـــــث خـــلا من الذكــــــر الأثـــير
حيــــث الفنـــــــاء مـــــرزأ ً يشكو – له – ســـوء المصـــير
حيـــــــث المصـــــلى مقفـــر من ذى صــــــلاة أو نـــذور
حيـــــث الزوايـــــــــا المظلمـــــــات تنم عـــن وضـــع عســــير
حيـــــــث العقود الموحشــــــات تئـــــن من زمــــــن غَـــــرور
حيـــــث الســــــوارى العاثـــــرات تحـــــن للعقـــــــد النثـــير
وجوانـــــب المحــــــراب تبحــــــث عــن مؤاس أو نصـــــــير
وبقيـــــة الآيـــــات فـــــى الجــدران نـــور فـــــوق نــــــــور
ترنــــو هنــــــــاك وها هنا للقـــارئ الفـــرد البصـــير
فـــى المسجــــد المحــــــزون لا أحــــدٌ ســــوى العلَم الخبير
لاعــــالم يلقـــى الدروس ولامُصَــــــلٍ فـــى شكــــــــــــور
مـــا في الـــــــرواق خليفـــــة مـــا فـــى المصلـــى من وزيــر
مـــا فـــــى الثنايـــا قائـــــد يهـــدى المفاخـــر للأمــــير
مـــا في الصفـــــوف مجاهــــد يدعـــو الكتائـــب للنفـــير
لايَعْمُـــــرُ المحـــــراب – رغـــم خلـــوده – صقـــــر الصقــــــور
كـــلا ولا الحكـــم الهمـــــــام مجدد الركـــــــــــن المنـــــير
لا الناصـــــــر الوضـــــــاح يدعـــو الظافـــرين إلـــى العبــــور

لا الحاجب المنصور يدفعهم إلى صد المغير
لا ابنُ تاشفينٍ يلم الشعث بالحشد الجسور
لا ابنُ رشدٍ يتحف الطلاب بالعلم الغزير
صمت رهيب طبق الأرجاء باليأس المرير
في المسجد الملتاح حيث ترن أصداء العصور
اقبال روح يلمح الأرواح تسبح في الأثير
أرواح جيل مؤمن برسالة الهادى البشير
ويحدث القصاد عن عهد وسلطان قرير
عهد الفتوح وقد أهل بطارقٍ وابن النصير
والغافقي بلاطُه متلألئٌ رغم العثور
قد سجل الشهداء أمجاداً بواديه الخضير
وصحائف التاريخ تطويه إلى يوم النشور
اقبال هذى الذكريات معطرات بالعبير
ياشاعر الاسلام حدث عن طوافك والمرور
حدث أيا اقبال عن هذا اللقاء وكن سميرى
في المسجد المحزون حيث خطرتُ في الزمن الأخير
فرأيت بقعتك المضيئة وهى تبسم للحضور
وسمعت من خلف العصور تلاوة الجمع الغفير
وسمعت في آفاقها صوت المؤذن كالهدير
ولمحت أبطال الجهاد هناك في طرف حسير
ولمحت في المحراب أشباح الكواكب والبدور
ولمحت يا إقبال أرباب الفصاحة والسرير
ورأيت في ذاك اللقاء ملامح الشعب الهصور
ورأيت طلعتك البهية وهى واضحة الظهور
عزام هذا منتهى جهدى تجاوز عن قصورى
والله ما أنا غير تلميذٍ - لاقبال - صغير
أهوى العلى ويهزنى للمجد شوق في ضميرى
فإليك يا عزام في الفردوس ما أملى شعورى
اقبال في محراب قرطبةٍ يسبح للقدير

علم الفلك والقرآن

محمد ... (signature)

لم يكن حديثنا الاول الذى كتبناه فى هذا الموضوع سوى مقدمة قصدنا منها تنوير الاذهان وتنبيهها الى حقيقة الاعجاز العلمي للقرآن الكريم ، وسبقه لركب العلم ، بما تضمن من آيات علمية يربو عددها على (٨٥٠) آية ، منها آيات تسرد التفصيلات العلمية ، وتبينها بطريقة معجزة أخاذة ، مما يثبت قطعا أنه الوحي من لدن الخالق العليم . ولا يزال هناك العديد من الآيات التي لم يصل مستوى البشر العلمي بعد الى الكشف عن حقيقة أمرها ، أو التوصل الى معانيها بما يسهل لنا أمر التعليق عليها علميا . ومثل ذلك السماوات السبع التي ورد ذكرها فى بعض آيات القرآن الكريم ، ولا يعرف العلم عنها الا النذر اليسير حتى الآن . ولكن ليس من شك أنه كلما سار ركب العلم قدما ، وتفتحت أمامنا الآفاق كلما لمسنا حقيقة تلك الآيات ، وتوصلنا الى مغزاها ومرماها،واستطعنا التعليق عليها علميا.

ومهما يكن من شيء فان الحقيقة التي لا مراء فيها أن القرآن الكريم ، ذلك الكتاب الذى لا يحد اعجازه بثقافة بالذات ، ولا يقف عند عصر معين ، هضم كافة الحضارات منذ نزوله حتى يومنا هذا ، وهو اليوم يتحدى عصر العلم وعصرى الذرة والفضاء ، ولقد مر المسلمون فى عصرهم الاول على كثير من آياته التي لم يفهموها مر الكرام ، وذلك بطبيعة الحال نظرا لقلة مادتهم العلمية ،

٢

هل تحدث القرآن عن الحياة في الكواكب الاخرى وعن خصائص الهواء كما يقررها العلم الحديث ؟

للدكتور محمد جمال الدين الفندى
الاستاذ بكلية العلوم ـ جامعة القاهرة

ولكن آن الاوان لنخطو الى الامام خطوة بل خطوات .

ولعله من الاجدى والاصوب عند هذه المرحلة من سلسلة حديثنا حول هـذا الموضوع، أن نعمد الى التزام التخصيص فى المادة بدلا من معالجة موضوعات شتى فى وقت واحد ، مع اعطاء الشرح العلمي الوافى الذى يعين القارىء الكريم على التتبع ، ويبرز حقيقة ما فى القرآن من اعجاز علمي . ولعمرى تلك هي رسالتنا اليوم ، وهذا هو واجبنا فى هذا العصر ، ولسوف يسألنا الله عز وجل عن كل هذا ، فرسالة القرآن أمانة فى أعناقنا ، وتكليفه لا سبيل الى التهرب منه أو طرحه جانبا .

وليس من شك أن الغرب لا يعرف عن هذه الرسالة السامية الا صورة ناقصة او مشوهة ، نقلها اليه بعض الكتاب ، ومنهم من تعمد الخطأ ، كما أن منهم من وقع فيه بغير تعمد ، ولكن اما عن عدم فهم حقيقي للامور واللغة ، واما عن تفسيرات ناقصة أو خاطئة أو مشوهة ، ولهذا نبذ الاسلام عدد وفير من الغربيين .

ولكن ما أحوج الغرب (والشرق) اليوم الى الوقوف على حقيقة الرسالة السماوية الصادقة ، وما جاء به القرآن من تعاليم ، وما نادى به من مثل ، وما حث عليه من أخلاق ، حتى تظل البشرية محتفظة بآدميتها ، ولا تطغى المادة على النفوس ، ونصبح كالآلات التي لا هدف لها ولا مثل عليا .

لغة العلم

ان لغة هذا العصر التي يفهمها الناس، وتنفذ الى قلوبهم هي لغة العلم ، ولقد نبذت بعض الامم الدين وتخلصت منه لانه لم يكن دين الاسلام ، فلم يشبع

عقول المفكرين فى هذا العصر ، ولم يقنع العلماء فى قليل أو كثير .

وفى هذا الوقت الذى كثر الحديث فيه عن السماوات ، أو فى معنى أصح عـن أجرام السماء الاخرى التي تنتشر عبر خضم الفضاء ، وهل فيها كائنات حية ، نجد الجواب الوافى فى القرآن الكريم . لقد ذهبت بعض العقائد القديمة الى أنه لا وجود لكائن آخر يعقل فى هذا الكون سوى البشر سكان الارض ، ولا يـزال هذا المذهب منتشرا حتى يومنا هـذا ، رغم أنه لا أساس له من العلم .

وعندما بزغ فجر عصر الفضـاء كان من الطبيعي أن ينبذ العلماء هذه الفكرة ، وهم الآن يبحثون عن الحقيقة التي يقرها حساب الاحتمـال الرياضي ، وينادون بأنه لا بد أن يوجد على الاجرام النائيـة كائنات حيـة أخرى ، ولكن كيف يمكن الاتصال بها) .

اننا معشر المسلمين عندما نرجـع الى كتاب الله نجده ينبئنا بما غاب عنـا ويحدثنا عن تلك العوالم الاخرى حديثـا وافيا مستفيضا يسبق ركب العـلم ، اذ يقول على سبيل المثال : ــ

١ : ــ « قال ربي يعلم القول فى السماء والارض ... » سورة الانبياء

واذا ففي السماوات سكان يتكلمون أو يتفاهمون بطريقة ما . فنحن قـد نعتبر القول مجـرد رمز للتفاهم بين مختلف الكائنات ، ما يعقل منهـا وما لا يعقل .

ولقد ورد فى القرآن الكريم ذكـر أن النمل فى مرتبة مـن يتكلم « قالت نملة يأيها النمـل ادخلوا مساكنكم ... » سورة النمل .

والمعروف علميا أن جماعات النمـل من أروع الكائنات التي ظهـرت على الارض . وهي تبني لها بيوتا من مواد الارض الرديئة التوصيـل للحرارة ، وذلك لكي تتقي حر الصيف وبـرد الشتاء . وبطبيعة الحال ليس للنمـل لغة ، لان اللغة وليدة العقل وهي الحـد الفاصل بين الكائنات التي تعقل وتفكـر وغيرهـا من سائر الكائنات الاخرى . ولكن المراد بالقول هنا احدى وسـائل التفاهم مثل الايحاء او الاشارة او الرسم ، أو الرمز .. أو الصياح أو عمل صـوت معين ... الى غير ذلك مما نعرف وما لا نعرف .

٢ : ــ « ومـن آياته خلق السموات والارض وما بث فيهما من دابة وهو على جمعهم اذا يشاء قدير » . (سـورة الشورى) .

وجلـي أن هـذه الآيـة الكريمـة انما تقرر فى صراحـة تواجد الكائنات المادية التـي تـدب عـلى الكواكب الاخرى ، كما انها تشير الى امكان اتصال هذه الكائنات كلها مع بعضها البعض . وقد يتم هذا الاتصال بين هذه المخلوقات عن طريق اللاسلكي أو أمواج الاثير ، أو بسفن الفضاء . وهنا يظهر لنا مرة اخرى مدى اعجاز القرآن العلمي وسبقه لركب

العلم وكافةالحضارات بما يثبتلنا قطعا أنه من عند الخالق العليم .

٣ : ــ ولله يسجد ما فى السماوات وما فى الارض من دابة والملائكة وهم لا يستكبرون « سورة النحل ــ وليس من شك ان هذه الآية الاخيرة من أوضح الآيات التي تفرق بين الملائكة وما فى السماوات من مخلوقات مادية تدب . هي سكان الكواكب الاخرى .

ومهما يكن من شيء فانه من الحماقة ان نحد ملكوت الله تعالى بما هو كائن على الارض .

الجو الارضى

ويجرنا الحديث العلمي عن الفلك والقرآن كذلك الى جو الارض الذى يعلونا مباشرة ، والذي فيه تثار السحب ومنه تنزل الامطار ، وعليه تتوقف الحياة على الارض اذ يمدنا بالاوكسجين اللازم للحياة ، وفيه تحدث العواصف المختلفة كعواصف الرمال والرعد كما تحدث كثير من ظواهر الضوء .

والنظرة الحديثة للارض انها سفينة عظمىمن سفن الفضاء، عاش عليها البشر منذ القدم ، وما سقف هذه السفينة سوى الغلاف الجوى الذى يحيط بها ، ويمتد الى علو نحو ألف كيلو متر . وهو يحمينا من أهوال الفضاء الكوني،ويحول دون وصول ما يسبح فيه من أسراب الشهب الى سطح الارض ، كما يمنع وصول الاشعة الكونية القاتلة ، وكذلك الاشعة الفتاكة التي تطلقها الشمس ، ونسميها الاشعة فوق البنفسجية ، وهي اشعة غير مرئية الا انها تقتل الخلايا الحية وتحرقها . ولا يسمح الغلاف الجوى الا بوصول قدر بسيط جدا منها الى السطح ، يلزم لبقاء الحياة على الارض يانعة مزدهرة ، فسبحان الخالق المبدع الذى أنعم علينا بنعمة الهواء وقدر خصائصه تقديرا . لنعيش فى أمن وسلام (.... وخلق كل شيء فقدره تقديرا) « الفرقان » .

وقوام الغلاف الجوى مجموعة من الغازات التي لا طعم لها ، ولا لون ولا رائحة . وأبسط مظاهره ــ فوق أننا نستنشقه ــ تأثيره على الاجسام عند تحركه ، حيث يعرف بالريح . وتولد الرياح أمواج البحر عند انسيابها فوق سطحه ، كما انها تدفع السفن الشراعية وتحمل السحب . وتنساب الرياح تبعا لقواعد معينة تكون فى مجموعها أساس علم الارصاد الجوية . ولقد حثنا القرآن الكريم على التفكير فى كل ذلك ودراسته لنلمس آيات الخالق المبدع جل شأنه ونؤمن به ، فهو يخاطب العقول الناضجة، ويوجه الحديث الى ذوى البصائر الراجحة ، وهو من وجهة النظر هذه يهضم الحضارة العلمية الحديثة،ويلتقى معها فى سلسلة متواصلة من الآيات الكريمة المعجزة الرائعة :

أنظر مثلا (على سبيل المثال لا على سبيل الحصر) الى قوله تعالى فى سورة الجاثية .

« ان فى السموات والارض لآيات للمؤمنين . وفى خلقكم وما يبث من دابة آيات لقوم يوقنون . واختلاف الليل والنهار وما أنزل الله من السماء من رزق فأحيا به الارض بعد موتها وتصريف

الرياح آيات لقوم يعقلون . » وكذلك انظر الى قوله تعالى فى سورة البقرة :

« ان فى خلـــق السموات والارض واختلاف الليل والنهـــار والفلك التي تجرى فى البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الارض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين الســماء والارض لآيات لقوم يعقلون » .

القرآن اذا كمعجزة خالدة لـم تقف تعاليمه ومعانيه عنـــد حد (ما لقيصر لقيصر وما لله لله) ، بل ان اعجازه راح يظهر فى عصر العلم ، بنفس القوة التي أعجز بها فصحاء العرب فى صدر الاسلام . وان من واجب علماء المسلمين اظهار هذه الحقيقة واضحة جلية ونقلها الى الغرب بلغاتهم وحججهم التي يفهمونها ويؤمنون بهـــا ، لما فى ذلك مـــن خير يعود على الانسانية بأسرها . وكما يقال (الناس أعداء ما جهلوا !) .

ولقد ذكر القرآن الكريم الكثير مـن خصائص الهواء الطبيعية التي لها مساس كلي بحياة الناس ، والتي كان يجهلهـــا البشر حتى عهد قريب جدا . وهذا مـا سنحاول اظهاره على التدريج بعون الله ليؤمن القارىء (مهما كانت عقيدته) بأن محمدا صلى الله عليه وسلم لـــم يكن ينطق عن الهوى ، وأن ما جاء به هـو الحق من عند الله عز وجل .

فليس منا من يجهـل أن أوكسيجين الهواء هو أساس الحياة على أرضنـــا الطيبة التي باركها الخالق ، فهو عنـد استنشاقه يجدد نقاء الدم فى الكائنـات الحية ويكسبها القدرة على العمل . وهو يخرج مع هواء الزفير على هيئة غـــاز (شبه سام) هو غـــاز ثاني اوكسيد الكربون ، كما يدخل ايضا فى جميـــع عمليات الاحتراق ويكون هذا الغـــاز الخانق المعروف باسم ثاني اوكسيـــد الكربون . أما هذا الغـــاز الاخير الذى يتراكم فى الجو ، فان النباتات وأعشاب البر والبحر تمتصه ثم تعيده الى الجو أوكسيجينا خالصا . وهـكذا يمكن أن تستمر الحياة على الارض مـــن غير أن ينفـــد الاوكسجين ، اذ تعترى كمياته سلسلة من التحور أو التحول الدورى المستمر الذى يبقى عليه أبد الدهـــر بفضل مملكة النبات .

كانما يصعد فى السماء

وتبلغ كمية الاوكسيجين فى الجو نحو الخمس من حيث الحجم . والغـــلاف الجوى كأي جسم على الارض له (وزنه) . وينجم عن هـــذا الوزن على السنتمتر المربع من اي ســـطح قوة هي الضغط الجوى . والتعـــريف العلمي للضغط الجوى عند أي نقطـــة هو وزن عمود الهواء المقام على السنتمتر المـربع حول هذه النقطة والممتد الى نهاية الجو مـن اعلى . وبطبيعة الحال كلما ارتفعنا عن سطح الارض كلما نقص طول هذا العمود ، وعلى ذلك يقل الضغط الجوى عمومـا ، وتقل كميات الاوكسيجين الموجودة فعلا كذلك ، حتى تصبح غير كافية لبقـــاء الحياة ، ما لم يستنشق منهـا الانسان كميات وفيرة جدا لا يتسع لها صدره ، أو فى تعبير أصـــح هو يضيق عنها .

ويصف القرآن هذه الحقيقة فى اعجاز أخاذ اذ يقول فىسورةالانعام «...يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصعد فى السماء» .

والآن دعني أشرح لك جوانب الاعجاز العلمي الذي سبقت به هذه الآية الركب بتفصيل أكثر ، حتى لا يقول قائل بأن ما تذهب اليه هو مجرد ادعاء .

كان الناس حتى عهد قريب جدا يظنون أن هواء الارض محتفظ بكل صفاته الى أعماق الفضاء حيث تنتشر أجرام السماء كالقمر والمريخ والزهرة وعطارد ... وفى عصر الاغريق فكر الاسكندر الاكبر (ولعله هو المعروف بذى القرنين) فىزيارةالسماءداخل عربةخاصة تصعد بها النسور الا أن شيئا من ذلك لم يحدث بطبيعة الحال .

وبعد أن حلق الانسان على ارتفاعات شاهقة مثل (٣٠) كيلو مترا باستخدام المناطيد ، وبعد أن طار ووصل الى ارتفاعات أعظم بالطائرات ثم بالصواريخ ، عرف أن الصعود قدما فى الجو يصحبه دون شك نقص فى الضغط الجوى،وفى كميات الاوكسجين بمعدلات سريعة ، بحيث يصل الى حالة الاختناق غير بعيد من سطح الارض ، على علو لا يزيد كثيرا على عشرة كيلو مترات فقط .

ومن عناية الخالق ورعايته تعالى بعباده أن جعل للارض غلافا هوائيا ، يقع تحت طائل الجاذبية ، فى نفس الوقت الذى يخضع فيه لظاهرة انتشار الغازات تلك الظاهرة التي تجعل الغاز (أو الهواء) يتمدد ليملأ الفراغ المعرض له . وعلى ذلك نجد ان الهواء يتمدد ، ولكن بدرجة لا تسمح له بالافلات والخروج بعيدا عن قبضة الارض له (أو جاذبيتها له) ، فهو لا يتلاشى فى خضم الفضاء الفسيح الاعلى علو نحو الف كيلو متر من سطحها كما قلنا . ولكن كلما راح الانسان يصعد فى السماء الى أعلى كلما وجد أن الهواء قليل الضغط والكثافة ، والعكس صحيح . ويبلغ مقدار الضغط الجوى عند سطح البحر فى المتوسط نحو وزن كيلوجرام واحد على السنتمتر المربع . ويبين الجدول الآتي قيم متوسطا تالضغط الجوى على الارتفاعات المختلفة مقدرة بالجرام (الكيلو جرام يساوى ألف جرام كما تعلم) على وجه التقريب .

الارتفاع بالمتر	الضغط بالجرام	الارتفاع بالمتر	الضغط بالجرام
سطح البحر	١٠٠٠	١٢٠٠٠	٢٠٠
١٥٠٠	٨٥٠	١٦٠٠٠	١٠٠
٣٠٠٠	٧٠٠	٢٠٠٠٠	٥٠
٦٠٠٠	٥٠٠	٣٠٠٠٠	١٠
١٠٠٠٠	٣٠٠		

والمعروف علميا أن أجسامنا خلقها الله تعالى بحيث تتحمل على سطح الارض الضغط الجوى الكامل الناتج عن تراكم كافة طبقات الهواء بعضها فوق بعض الى نهاية الفلاف الجوى من أعلى ، كما تكفى كميات الاوكسجين الموجودة عند السطح لتنقية الدم وبقائنا على قيد الحياة ، وهي كميات يعمل على تجديدها باستمرار عالم النبات كما قدمنا . ولكن عندما يحاول الانسان الصعود الى أعلى يتعرض فى الحال لظاهرة نقص الاوكسجين كما تبين الآية الكريمة فى صراحة تامة فهل بعد ذلك اعجاز وسبق للعلم) .

مائدة القارئ

((رؤيـــا))

قال عبد الله بن عمر رأيت على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم كأن بيدى قطعة استبرق ، وكأنني لا أريد مكانا من الجنة الا طارت بي اليــه ، ورأيت كأن اثنــين آتياني ، وأرادا أن يذهبا بي الى النار ، فتلقاهما ملك ، فقال : لا ترع ، فخليا عني .. فقصصت حفصة ـ أختي ـ على النبي رؤياي ، فقال رسول الله نعم الرجل عبد الله ، لو كان يصلي من الليل ، فيكثر .

ومن ذلك اليوم الى أن لقى ربه لم يدع عبد الله قيام الليل فى حله ، ولا فى ترحاله .

((مجاب الدعــوة))

رأى سعد بن أبى وقاص رجلا يسب عليا ـ كرم الله وجهه ـ فنهاه ، فلم ينته .. فقال له : اذن أدعو عليك .. فال الرجل : أراك تتهددني كأنك نبي .. فانصرف سعد ، وتوضأ ، وصلى ركعتين ، ثم رفع يديه ، وقال : اللهم ان كنت تعلم ان هذا الرجل قد سب أقواما سبقت لهم منك الحسنى ، وأنــه أسخطك سبه اياهم ، فاجعله آية وعبرة ..

فلم يمض غير وقت قصير حتى خرجت من احدى الدور ناقة نادّة لا يردها شيء حتى دخلت فى زحام الناس ـ كأنها تبحث عن شيء ـ ثم اقتحمت الرجل ، فأخذته بين قوائمها .. وما زالت تتخبطه حتى مات .

((غزوات الرســول))

غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسا وعشرين غزوة هي على الترتيب :

غزوة ودان ، وبواط والعشيرة ، وبدر الأولى ، وبدر الثانية ، وبنى سليم ، والسويق ، وغطفان ، ونجران وأحد ، وحمراء الأسد ، وذات الرقاع ، وبدر الآخرة ، ودومة الجندل ، والخندق وبنى قريظة ، وبني لحيان وذى قرد ، وبني المصطلق ، والحديبية ، وخيبر ، والفتح ، وحنين ، والطائف ، وتبوك ..

قاتل منها فى تسع : وهي بدر الثانية وأحد والخندق وقريظة والمصــطلق وخيبر والفتــح وحنين والطائـــف .

« خاتم رسول الله »

اتخذ رسول الله خاتما من فضة كان يلبسه فى خنصر اليد اليسرى وربما فى يمينه ، ولم يزل هذا الخاتم فى يده الى أن مات ثم فى يد أبى بكر ، ثم عمر ، ثم عثمان . فلما كان فى السنة السادسة من خلافته سقط من يده فى بئر أريس فنزحت البئر ، فلم يوجد الخاتم .

« رؤيا الشافعي »

رأى الشافعي النبي صلى الله عليه وسلم فى المنام ، وأخبره أن الامام احمد بن حنبل سيمتحن فكتب الشافعي كتابا بهذا ، وأرسله مع الربيع ابن سليمان الى الامام احمد . قال الربيع ، فأخذت الكتاب ، وخرجت من مصر حتى قدمت العراق ، فوافيت مسجد ابن حنبل ، فصادفته فى صلاة الفجر ، فصليت معه ، وقلت له : هذا كتاب أخيك الشافعي من مصر ، فجعل يسألني عنه طويلا ، ثم فك ختم الكتاب ، وقرأه حتى اذا بلغ موضعا منه بكى ، وقال : أرجو الله تعالى أن يحقق ذلك .

قلت : يا أبا عبد الله. أىشيء قد كتب اليك ؟

قال : ذكر أنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم فى نومه ، وهو يقول له : يا ابن ادريس بشر هذا الفتى أبا عبد الله احمد بن حنبل انه سيمتحن فى دين الله ، ويدعى ان يقول القرآن مخلوق ، فلا يفعل ، فانه سيضرب بالسياط وان الله عز وجل ينشر له بذلك علما لا يطوى الى يوم القيامة .

فقلت بشارة ، فأى شيء جائزة لي عليها ؟ وكان عليه ثوبان ، فنزع أحدهما ، فدفعه الي .

« كُتّاب رسول الله »

علي بن أبى طالب ، وعثمان ، وأبو بكر ، وخالد بن سعيد ، وأبى بن كعب ، وحنظلة بن الربيع ، ويزيد بن أبى سفيان ، وزيد بن ثابت ، ومعاوية ابن ابى سفيان .

مؤذن علي

كان لعلي بن أبى طالب ـ كرم الله وجهه ـ جارية تدخل وتخرج ، وكان له مؤذن شاب فكان اذا نظر اليها قال لها : أنا والله أحبك .

فلما طال ذلك عليها أتت عليا فأخبرته ، فقال لها : اذا قال لك ذلك ، فقولي : أنا والله أحبك ، فمه (كف عن الكلام) فقالت له ذلك ، فقال : تصبرين ونصبر حتى يوفينا من يوفى الصابرين أجرهم بغير حساب .

ثم أعلمت عليا بذلك ، فدعا به فزوجها منه .

بهلول والرشيد

خرج الرشيد الى الحج ، فمر بالكوفة ، فرأى بهلولا الزاهد ، وجرى بينهما الحوار الآتي :

الرشيد : يا بهلول كنت مشتاقا اليك .

بهلول : لكني لم أشتق اليك .

الرشيد : عظني .

بهلول : وبم أعظك ؟ هذه قصورهم ، وهذه قبورهم .

الرشيد : زدني .

بهلول : من أعطاه الله مالا وجمالا ، فعف فى جماله ، وواسى فى ماله ، كتب فى ديوان الابرار .

الرشيد : قد أمرنا بقضاء ديونك ان كانت .

بهلول : لا . انه لا يقضى دين بدين . أردد الحق الى أهله ، واقض دين نفسك .

الرشيد : ألك حاجة ؟

بهلول : أنا وأنت عيال الله . فمحال أن يذكرك وينساني .

بين اللـه والشيطان

سئل شاعر الاسلام « اقبال » لماذا بعث الله الانبياء ومؤسسى الاديان من آسيا ، ولم يبعث أحدا منهم من أوروبا .

فأجاب ساخرا . لأن العالم مقسم بين الله والشيطان ، ولما كانت آسيا نصيب الله كانت أوروبا من نصيب الشيطان فقيل لـه . قـد عرفنا رسل الله ، فأين رسل الشيطان ، فأجاب . رسل الشيطان هم زعماء الخداع والمكر فى أوروبا .

وفى ذلك جاء شعره : ـ

أهدت الشـام الى الغـرب نبيـا
هـو عـف ومـؤس : وصـبور
ومـن الغـرب الى الشـام هدايـا
مـن قمـار ، ونسـاء ، وخمـور

القرآن الكريم



بقلم السيدة / زينات لطفى المنفلوطى

اشتهرت الامة العربية بنشاطها الوجدانى وخاصة فى الشعر . فقد كان التراث الذى فخرت به وخلدت به مجدها وتاريخها الادبى ولغتها الكريمة . ولما جاء القرآن الكريم الى هذه الامة العربية ، التمسوا أن يجاروه فلم يستطيعوا . مع انه جاء كالكلام المألوف لديهم ، لانه جاء بلغتهم العربية وجرى على اصول بلاغتهم ، وعلى الرغم من ذلك كان معجزا ، وتحداهم وذكر لهم انهم لن يستطيعوا ان يأتوا بمثله او بعشر سور أو بسورة واحدة ((قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا)) فما وجه ذلك الاعجاز ؟

تعددت الآراء : فمن قائل بالصرفة ، ومن قائل بما احتوى عليه من علوم وتشريع فهو مشتمل على كل شيء ، ومن قائل أنه معجز من الناحية الادبية والبلاغية .

أما انه معجز بالصرفة ، فهو قول فيه كثير من المغالطة ، اذ ان هذه الصرفة حدثت بعد ان عرف العرب اعجاز القرآن ، فلم لم يجاروه قبلها ؟؟؟ واما القول انه معجز من الناحية العلمية ، فقد رد الاستاذ أمين الخولى فى كتابه « التفسير » هذا الرأى ردا ، وان كان موجزا الا انه مركز ، وفيه ما يدحض هذا الزعم ، والحق ان هذا الرأى صدر عن قوم لا ننكر عليهم سلامة النية ، ولكننا ننكر عليهم محاولة اقحام القرآن الكريم فى مثل هذه الموضوعات العلمية ، خاصة وانه نزل فى امة ليس لها من الحظ العلمى الا القدر البدائى .

والرأى الذى نميل اليه ونراه جديرا بالقول ان اعجاز القرآن الكريم راجع الى ادبه وبلاغته ، وما اشتمل عليه من هدي خاص . وقد لمس العرب هذا الاعجاز لانهم امة لها حظها الكبير من تذوق الفن الادبى ، فلمسوا فى هذا الكتاب الكريم الفن فى أروع مظاهره ، فلم يمكنهم ان يجاروه ، فاعترفوا باعجازه .





القرآن معجز فما سر اعجازه
إذا لم يكن شعراً ولا نثراً فماذا يكون
هل هو عدو للشعر والشعراء

والحق ان اعجاز القرآن لا بـد ان يكون من الناحية الادبية ، فقد جـرت السنة عـلى ان يرسل الله سبحانـه وتعالى ـ الى كل امة رسولا معجزته من جنس ما امتازوا به فى عصرهم ، فعيسى عليه السلام ارسل الى قوم اشتهروا بالطب ، فكان طبيبا باذن الله ، يحيى الموتى ، ويبرىء الاكمة والابرص،وموسى عليه السلام ارسل الى قوم نبغوا فـى السحر ، فكان ساحرا باذن الله حتى أعجز السحرة ، فكانوا أول من آمنـوا وتخلوا عن طاعة فرعون . ومحمد صلى الله عليه وسلم ارسل الى امة فصيحة بليغة ، فكانت معجزته ادبية باذن الله ، اذ نزل عليه من عند الله كتاب يدعـو الناس الى الدين القويم ، وتحدى العرب ان يجاروه فى تلك المقدرة الادبية فعجزوا فآمنـوا .

كل هذا يؤيد ما ذهبنا اليه من ان اعجاز القرآن لا بد ان يكون من الناحية الادبية ، فمثلا آمن عمر بن الخطـاب رضى الله عنه ـ بعد ان استمع الى سورة طه ، ولمس فيها شيئا جديدا ، بل ان الكفار أنفسهم شعـروا بذلك شعـورا تاما ، فرموا القرآن بأنه شعر أوبأنه سحر، أو افتراء أو قول كاهن . ففى سورة الحاقة يقول الله تعالى: « فلا أقسم بما تبصرون . وما لا تبصرون انه لقول رسول كريم . وما هو بقول شاعر قليلا ما تؤمنون . ولا بقول كاهن قليلا ما تذكرون . تنزيل من رب العالمين » ويقول تعالى فى سورة الانبياء « بل قالوا أضغاث أحلام ، بل افتراه ، بل هو شاعر فليأتنا بآية كما ارسل الاولون » .

كل هذا ان دل على شىء فعلى انهم وجدوا فى هذا الكتاب الكريم شيئا ليس

معهودا لديهم ، او ليس فى امكانهم ان يأتوا بمثله ، وان كان من جنس بضاعتهم الادبيـــة .

وهذا القرآن ما هو ؟؟ هل هو شعر كما زعم المعارضون ؟ أو هو نثر ؟ واذا لم يكن شعرا ولا نثرا فما هو اذن ؟؟؟ .

ليس بشعر

القرآن الكريم ليس بشعر ، ويدلنا على ذلك اشياء كثير منها : أن هؤلاء الذين رموه بأنه شعر وهم الكفار لم يصروا على ذلك ، وانما قالوا هو شعر او افتراء او سحر او أضغاث احلام ، فكأن قولهم انه شعر ليس فيه الجـزم الذى يجعلنا نسرع فنقول انهم قصدوا بذلـك المعنى الحرفى للفظ الشعر .

ويقول الباقلانى فى كتابه اعجاز القرآن ص ٥٤ مطبعة السلفية : (... وهذا يدل على ان ما حكاه عن الكفار من قولهم انه شاعر وان هذا شعر لا بد من ان يكون محمولا على انهم نسبوه فى القرآن الى ان الذى اتاهم به هو من قبيـل الشعر الذى يتعارفون على الاعاريض المحصورة المألوفة ، او ان يكون محمولا على ما كان يطلق الفلاسفة على حكمائهم واهـل الفطنـة منهـم فى وصفهم اياهم بالشعر لدقة نظرهم فى وجوه الكلام وطرقهم فى المنطق وان كان ذلك الباب خارجا عما هو عند العرب شعر على الحقيقة ، او يكون محمولا على انه اطلق عن بعض الضعفاء منهم فى معرفـــة اوزان الشعـــر ، وهـــذا ابعـــد الاحتمالات ...) .

والذى أراه ان العرب حين قالوا هذه الكلمة قصدوا منها شيئا آخر هو ان القرآن الكريم يثير فى انفسهم ما يثيره الشعر ، فالقرآن يحرك فيهم الوجدان بحيث يلذ لهم سماعه ، كما يلذ لهم سماع الشعر ويؤيدنا فى رأينا هذا رميهم اياه بأنه سحر ، لانه يأخذ بمجامع القلوب ولا شك ان هذا القول متفق تماما وقولنا ان القرآن كتاب معجز ببلاغته ، لان الكتاب الادبى البلاغى هو الذى يثير اللذة الوجدانية وقد اثارها القرآن بأسلوبه .

ويعترض على انه شـعر بكونه ليس موزونا ، حقا وجدت به بعض الآيات الموزونة مثل « انا اعطيناك الكوثر ... » ومثل « لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون .. » الا ان هذه الآيات لا تكفى للدلالة على شاعرية القرآن . اذ ان مثل هذه الاوزان قد تصدر حتى فى الكلام العادى ، ويقول السيوطي فى كتابه الاتقان جزء (٢) ص ١٢١ « واما ما وجد فى القرآن مما صورته صورة الموزون . فالجواب عنه ان ذلك لا يسمى شعرا ، لان شرط الشعر القصد ، ولو كان شعرا لكان كل من اتفق له فى كلامه شىء موزون شاعرا » ، وهـو يوافق فى هذا الباقـلانى فى كتابه اعجـاز القرآن ص ٥٦ ويوافقه كذلك فى قوله فى موضع آخر « .. فـلو اعتقـدوه شعرا لبادروا الـى معارضته والطعن عليه لانهم كانوا احرص شىء على ذلك » .

ويمكن تلخيص تلك الآراء فيما يأتى : ــ

أ ــ لو كان القرآن شعرا لعارضه الشعراء .

ب ــ انهم قالوا ان البيت الواحد ، وما كان على وزنه لا يكون شعرا . واقل الشعر بيتـان فأكثر .

ج ــ ان كل متكلم لا ينفك من ان يعرض فى جملة كلام كثير يقوله ما قد يتزن بوزن الشعر ، وينتظم بانتظامه .

ومتى تتبع الانسان هذا عرف انه قد يكثـر فى تضاعيف الكلام مثله ولا يمتنع وقوعه فـى الكلام المنثور اتفاقا غير مقصود اليه فاذا اتفق لم يكن ذلك شعرا . ثم ان الشعر لا يحتمـل بعض الموضوعات التى تعرض لها القرآن الكريم ، مثل بعض التشريعات التى حاول بها ان ينظم المجتمع الاسلامى ، فنحن نجد الروح العقليـة سائدة فى سياق الآيات الكريمة بحيث لا يستطيع الشاعر ان يتحمل عبئها .

وقـد سبـق ان ذكرت انهـم رموا الرسول بالشاعرية وذكرت ان هذا لم يقصد منه أنه شاعر بالمعنى المفهوم وانما يقصد بذلك ان له الاثـر السحرى الذى يكون للشاعر ، فان فى ترديـده

لآيات الله ذلك الطرب الذى يلمس فى الشعر ، وقلت كذلك ان عدم اجماعهم أواصرارهم على هذه الصفة للرسول الكريم ، تجعلنا نستبعد انهم قصدوا بذلك وصفا بحقيقة الشعر ، واذن فالقرآن ليس شعرا ، وقد تكفل القرآن بالرد على ذلك فقال فى سورة الطور « فذكر فما انت بنعمة ربك بكاهن ولا مجنون أم يقولون شاعر نتربص به ريب المنون . قل تربصوا فانى معكم من المتربصين » .

وليس نثرا

والقرآن كذلك ليس من اليسير ان يكون نثرا لاسباب كثيرة فالدكتور زكى مبارك الذى قال بهذا فى كتابه النثر الفنى كان يقصد ان يقرر أن للجاهلية نثرا ، فرأى ان القرآن جاء على صورة النثر الجاهلى . ورمى بذلك الى ان يستخرج خصائص النثر الجاهلى من القرآن الكريم . فهو قصد الى تأريخ موضوع النثر قبل الاسلام بطريق عكسى . يقول « ولا ينبغى الاندهاش من عد القرآن أثرا جاهليا فانه من صور العصر الجاهلى ، اذ جاء بلغته وتصوراته وتعبيره وهو بالرغم مما اجمع عليه المسلمون من تفرده بصفات أدبية لم تكن معروفة فى ظنهم عند العرب ، يعطينا صورة النثر الجاهلى ، وان لم يكن الحكم بأن هذه الصورة مماثلة تمام المماثلة للصور النثرية عند غير النبى من الكتاب والخطباء » .

فى هذا النص نفسه نلحظ ان الدكتور زكى مبارك قد رأى ان القرآن تفرد بصفات ادبية الا اننا لا نوافقه فى ان هذه الصفات كانت معروفة عند العرب .

ويقول فى موضع آخر « ان القرآن يعطينا صورة صحيحة من النثر الفنى لعهد الجاهلية لانه نزل لهداية اولئك الجاهليين وهم لا يخاطبون بغير ما يفهمون » .

وهذا كلام فيه كثير من الصواب ولكن فيهأمور لا نقره عليها،فهو حقا جاءلهداية الجاهليين وهم لا يخاطبون بغير ما يفهمون ، ولكن ليس معنى هذا ان الله سبحانه وتعالى اذا خاطبهم بالقرآن فكأنه خاطبهم بالنثر ، لان النثر الفني لا يمكنان يوجد فى ذلك العصر،بل يوجد بعد ان تنهض الحياةالفكريةالعقلية للامة، وحين تتسع ثقافتها وتشيع فيها اساليب المنطق فتستطيع ان يكون لها نثر يصح أن نطلق عليه نثرا فنيا . فالامة العربية حين نزول القرآن كانت فى حياة بداوة ، ليس لها من الثقافة الا القليل ، بل النادر ، وهذا القليل النادر لا يؤهل لها نثرا كالذى يرجوه او يقول به الدكتور زكى مبارك .

ثم نجد فى القرآن وفى السورة الواحدة أنواعا كثيرة من الفنون الادبية فتشريع بجانب خطابة بجانب منطق،وكل اولئك له منهجه فالمنطق يعتمد على العقل ، والخطابة تؤثر فى الوجدان وان اعتمدت على الاقناع والاستمالة . واقصد بذلك ان اقول : ان القرآن الكريم ليس كالنثر الفنى فيكون نثرا وانما هو شىء آخر غير النثر .

وهناك ناحية ثانية وهى ان للقرآن نظاما خاصا غير ما تعودناه فى النثر ، فهو مثلا له موسيقى ليس من اليسير ان توجد كذلك فى النثر ، فهو يعتمد على الفواصل او السجعات التي زادت من بهاء نظمه ولم تحط من قدر البلاغة فيه ، كما هو الشأن فى كلام الناس وقد كثرت فيه هذه الفواصل .

وعلى ذلك فان الدعوى بأن القرآن نثر فنى فيها كثير من المبالغة لان النثر لا يمكن ان يوجد فى هذه البيئة الفطرية البدائية ، ولانه يخالف النثر فى طبيعته . واذن فماذا يكون القرآن ؟؟؟ .

فماذا يكون ؟

يقول الدكتور طه حسين ((ان الكلام ينقسم الى شعر ونثر وقرآن)) والحق ان الدكتور طه حسين قد تأثر بالمستشرقين فى هذا الموضوع ، والحق كذلك ان العرب لحظوا ذلك فقالوا مثل هذا القول قبل الدكتور طه حسين وقبل المستشرقين ، فقد قال صاحب العمرة . (وتحدى جميع الناس من شاعر وغيره بعمل مثله فأعجزهم ذلك كما قال تعالى ((قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا)) فكما ان القرآن اعجز الشعراء وليس بشعر ، كذلك اعجز الخطباء وليس بخطبة ، والمترسلين وليس بترسل) .

وقوله (والمترسلين وليس بترسل) يدلنا على انه لحظ ان القرآن ليس من اليسير ان يطلق عليه لفظ نثر .

وقد اعجبنى هذا الرأى الذى يقول ان الكلام شعر ونثر وقرآن لان هذا التعبير هو الذى يمكن ان يفهم منه ما هو القرآن فهو وحدة قائمة بذاتها ، وحدة ادبية اخذت من الشعر موسيقاه وتأثيره فى الوجدان ، واخذت من الخطابة الاقناع والاستمالة ، ومن النثر الفنى تقريره الى حد ما ، وخرج كل هذا فى مزيج له روعته ، وليس فى امكاننا الا ان نسميه قرآنا . فنحن حين ننظر الى قوله تعالى ((يأيها الناس اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة شىء عظيم . يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما ارضعت ، وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد)) لا نقدر ان نطلق عليها نثرا ، لانها ليست كالنثر فى طبيعته مقررة للحقائق او متأثرة بالثقافة ، وليس فى امكاننا ان نطلق عليها خطابة وان كانت مشربة بروح الخطابة من استمالة وبراعة تصوير ، كما ليس فى مقدورنا ان نطلق عليها شعرا لانها ليست بشعر وان اتفقت معه فى عرض صور فنية كتلك التى نجدها فيه ، وكل ما يمكننا ان نطلقه عليها انها قرآن عربي غير ذى عوج .

موقف القرآن من الشعر

واذا كان القرآن قد نفى عن نفسه كونه شعرا ، فهل معنى هذا انه عادى الشعر ؟ يقول مؤرخو الادب ان القرآن فاجأ الشعراء او على الاصح جاء بوضع جديد غير مألوف عندهم ، واضطر بعض من اسلم منهم الى السكوت مثل ((لبيد)) الذى قال ((لقد عوضنىاللهخيرا بسورة البقرة)) ، واما من اراد منهم ان يجارى الحياة الاسلامية الجديدة فقد خالف طبيعته واضطر شعره الى ان يحول مجراه الى الناحية الدينية كحسان بن ثابت ومنهم من ظل شعره كما هو لانه لم يستظل بظل الاسلام .

ولنسأل انفسنا لم صُدِم الشعر او فوجىء بالقرآن ؟ وهل يدل هذا على ان الشعر مكروه من القرآن ؟ ثم نحن نجد القرآن الكريم يقول فى سورة الشعراء ((والشعراء يتبعهم الغاوون الم ترانهم فى كل واد يهيمون . وانهم يقولون ما لا يفعلون ..)) ويقول عليه السلام ((لان يمتلىء جوف احدكم قيحا حتى يريه خير من ان يمتلىء شعرا)) ويقول عليه الصلاة والسلام لصحب يسيرون معه وقد رأى شاعرا ((خذوا الشيطان او امسكوا الشيطان . لان يمتلىء جوف رجل قيحا حتى يريه خير من ان يمتلىء شعرا)) .

واننا نرد على كل هذا فنقول ان القرآن الكريم لم يقف فى وجه الشعر ولم يصدمه ، وانما جاء بنظم جديدة وبحياة جديدة لها ترتيبها ولها قوامها المخالف لما كانت عليه الحال فى الجاهلية ، ولم تكن تلك الملكات التى اشربت روح الجاهلية لتتمكن من ان تساير الحياة الجديدة المغايرة لما اعتادته من قبل فاضطرت الى ان تضعف ، والى ان تتحول الى ما يوافق الدين الجديد وما جاء به من حياة . فالشاعر لبيد سكت لانه آمن ، والايمان يدعوه الى عدم القول بما كان يقول به

قبل الاسلام ، لان تعاليم الدين الجديد تحرم عليه مثل هذه الاقوال . وحسان بن ثابت ضعف ، لانه قال شعرا حاول ان يغير فيه طبيعته وملكته التى نمت فى ظل الجاهلية ، وليس فى الامكان ان تتغير الطبيعة بمثل تلك السرعة ، ثم انه وجد فى هجائه لقريش تهربا من القيود الاسلامية للملكة الشعرية عنده .

اذن فالقرآن لم يعارض الشعر ، وانما عارض فنونا خاصة كانت تنافى هديه وآدابه ، التى استنها للمجتمع كما يراه ، بل ان الرسول عليه السلام قال لحسان ((اهجهم فوالله لهجاؤك عليهم اشد من وقع السهام فى غلس الظلام ، اهجهم ومعك جبريل روح القدس،والق أبا بكر يعلمك تلك الهنات)) وفى الآية الكريمة ((والشعراء يتبعهم الغاوون)) نجد انالله سبحانه وتعالى قد أعقب ذلك بقوله (الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا وانتصروا من بعد ما ظلموا وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون) فهو لم يحرم الشعر ، وانما حض على ان يكون الشاعر مؤمنا عاملا بتعاليم دينه ، لا يهجو بهجاء الجاهلية ، ولا يمدح بغير الحق ، ولا يفحش كما كان يفعل فى الجاهلية وانما يكون شاعرا يعمل الصالحات ويؤمن بالله واليوم الآخر ويقول الشعر فى حدود الدين . يقول صاحب العمرة فى جزء (١) ص ٩ (فأما احتجاج من لا يفهم وجه الكلام بقوله تعالى ((والشعراء يتبعهم الغاوون ...)) فهو غلط وسوء تأول ، لان المقصودين بهذا النص شعراء المشركين الذين تناولوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالهجاء ومسوه بالاذى ، واما من سواهم من المؤمنين فغير داخل فى شيء من ذلك ، الا تسمع كيف استثناهم الله عز وجل ونبه عليهم فقال ((الا الذين آمنوا ..)) ويريد بهم شعراء الرسول عليه السلام الذين ينتصرون له ، ويجيبون عنه المشركين ، كحسان بن ثابت ، وكعب بن زهير ، وعبد الله بن رواحة ، وقد قال فيهم الرسول عليه السلام ((هؤلاء النفر اشد على قريش من نضح الابر))) .

أما تلك الاحاديث التى وردت عن النبي عليه السلام فان الحديث الذى ورد عن أبى هريرة رضى الله عنه فى صحيح مسلم من انه قال « لان يمتلىء جوف .. » فنحن لا نعرف الداعى الى قوله ، وان كنت ارى انه قيل لمناسبة خاصة فى بعض الشعر ، وليس فى الشعر ذاته ، لان الرسول عليه السلام كان يستمع الى شعر الخنساء ويقول « ايه يا خناس !!! » ويطلب منها المزيد . وفى الاغانى طبعة دار الكتب المصرية ص ١٤٣ من الجزء الرابع جاء فى ترجمة حسان ابن ثابت عن عائشة رضى الله عنها قالت : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لحسان بن ثابت الشاعر « ان روح القدس لا زال يؤيدك ما كافحت عن الله عز وجل وعن رسول الله » ، وفى رواية عن سعيد بن المسيب ان عمر مر بحسان بن ثابت وهو ينشد فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فانتهره عمر فقال حسان « قد انشدت فيه من هو خير منك » فانطلق عمر .

فان لم نقل بخصوصية السبب فى قول ذلك الحديث « لان يمتلىء جوف ... » وجدنا اختلافا فى الرأى ، وليس من الممكن ان يكون هذا الاختلاف قد حدث ، خاصة وانه عليه السلام حبذ الشعر فى قول آخر من صحيح مسلم . عن ابراهيم بن ميسرة عن عمرو بن الشريد عن ابيه قال : ردفت رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فقال « هل معك من شعر امية بن ابى الصلت شىء ؟ » قلت نعم قال « هيه » فانشدته

بيتا فقال « هيه » ثم انشدته بيتا فقال « هيه » حتى انشدته مائة بيت .

وفى لسان العرب جزء ٦ ص ٧٨ جاء الحديث « ان من الشعر لحكمة فاذا البس عليكم شيء من القرآن فالتمسوه فى الشعر فانه عربى » وهذا الحديث الاخير ان صح فانه يفيدنا من ناحيتين :

١ : ـ انه يؤيدنا فيما ذهبنا اليه من ان القرآن عارض نوعا من الشعر وحبذ نوعا من الشعر . عارض منه ما يعارضه ولا يلائم تعاليمه ، وحض على ما جاء منه مؤيدا للاخلاق القويمة التى يمكن ان تساير الدين .

٢ : ـ ان النبى صلى الله عليه وسلم دعا الى اتخاذ الشعر وسيلة لتفهم غوامض القرآن ولو كان يكره الشعر لما دعا الى مثل ذلك .

والخلاصة ، ان موقف القرآن الكريم من الشعر والشعراء كان طبيعيا فقد حارب من يحاربه ونصر من ينصره . سمع الرسول عليه السلام شعرا من امية ابن ابى الصلت فقال : ((كفر قلبه وصدق لسانه)) ورمى بذلك الى ان شعره يوافق الدين ، وان كانت عقيدته غير الاسلام . فالقرآن لم يقف من الشعر موقف المعارض المانع له ، وانما وقف امام بعض فنونه التي لا تتفق مع المجتمع الذى يريده الاسلام موقف الهادم ، ليبنى على اساسه بناء جديدا متين الاركان .

والذى اراه فيما عرضت له ان القرآن كان اعجازه من الناحية الادبية فهو ممتاز بالموسيقى التي تدل على طابع فنى لا يمكن انكاره فان المنصت لمثل سورة طه « طه . ما انزلنا عليك القرآن لتشقى . الا تذكرة لمن يخشى . تنزيلا ممن خلق الارض والسموات العلى . الرحمن على العرش استوى » يطرب اشد الطرب لما فيها من مجانسة وترادف موسيقى والموسيقى ركن هام من اركان البلاغة والادب وقد اعترف الرسول نفسه بان اعجاز القرآن الكريم انما جاء من ناحية صياغته وتركيبه وذلك فى قوله صلى الله عليه وسلم ((**ما من نبى الا وأوتى من الآيات ما مثله آمن عليه البشر ، وانما كان الذى اوتيته وحيا اوحى الى ، فانا ارجو ان اكون أكثرهم تابعا يوم القيامة)) يشير عليه السلام الى ان المعجزة متى كانت بهذه المثابة فى الوضوح وقوة الدلالة وهو كونها نفس الوحى كان المصدق لها اكثر . وهذا الحديث الشريف يجمع ما قدمناه فى اعجاز القرآن لانه وحى بمعانيه والفاظه ، فهو بائن بنفسه من الكلام الانسانى ، ولا بد ان يكون فائدة للناس كافة ليعملوا ، وصادقا على الناس كافة ليستفيدوا ومعجزا للناس كافة ليصدقوا .**

فالقرآن لا يمكن ان نسميه نثرا كما لا نستطيع ان نسميه شعرا . وهو كتاب العربية الاعظم الصالح لكل زمان ومكان فهمه عرب الجاهلية الذين لم يكن لهم الا الفطرة ، وفهمه من جاء بعدهم من الفلاسفة واهل العلوم ، وفهمه زعماء الفرق المختلفة على ضروب من التأويل ، واثبتت العلوم الحديثة كثيرا من حقائقه التى كانت مغيبة ، وان ما عهد من كلام الناس لا يحتمل كل ذلك ولا بعضه ، فالقرآن الكريم فن قائم بنفسه ليس بشعر وليس بنثر ولا هو مما اعتاد العرب صياغته وانما هو قرآن كريم لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وهو كما وصفه الله ((الحق والميزان)) كل الناس يعملون لفهمه ، ويدأبون عليه ولكل درجات مما عملوا .

بقية : احمد بن حنبل

باطل كما هو باطل عند بعض الائمـة . حتى ولو لم يصرحوا في العقد بشرط التحليل بل متى نواه المحلل فلا يجعله حلالا ، لان العبرة في العقود بالمقاصد لا بمجرد الالفاظ وعدمها .

واذا اعطى والد شيئا من ماله لاحد اولاده وجعل ذلك بيعا صوريا له ثمن اسمى فهو حرام وباطل في مشـهور المذهب ، لانه احتيال عـلى تفضيـل بعضهم على بعض من غير تراضـيهم .

بقيت مسألة مشـهورة يقولها الناس هي ان ظل خيـال الكلب ينجس مـن وقعت عليه فى مذهب الامام احمد ، وهي مسألة محرفة عـن اصـلها الصحيح ، فخيال الكلب لا أثر له عندنا ونجاسـة الكلب عندنا كما هي عند غيرنا فان كان جافا لا بلل فيه فمسه لا ينجس وريقه وعرقه والبلل منه نجس ومسه ينجس، اما اصل المسألة الشائعة فان الحديث النبوى صح عند الحنابلة على ان الكلب الاسود الذى ليس فيه اى لون آخـر اذا مر بين المصلي وبين سترة صـلاته بطلت الصلاة،وهذا هو المذهب والحديث عندهم قوى غير معارض ، وعندما يصح الحديث فالحنابلة لا ينصرفون عن الأخذ به وان غابت الحكمة العقلية ، وقد صرح فى الحديث بعلة ذلـك ونصـه (الكلب الأسود شيطان ، اذا مر بين يدى المصلي بطلت صلاته) فالعلة فى البطلان هـي شبه الكلب بالشيطان . وهل الشيطان نفسه يبطل الصلاة بمروره ؟ وهو دائما يحضرنا فى الصلاة وفى غيرها) ؟ ذلـك سؤال وارد ، ولكن ادبهم مع الحديث لا يجعل للاعتراض اثرا فى الحكم . . .

وعندى ان الكلب الاسود البهيم لايكاد يوجد ، وقد تنقضي حياة الانسان ولا يصادفه كلب اسود كالزيتونة .

وفى الحـق ان الكلب بهذا الوصـف بشع المنظر كريه الى النفس ، كما تكره رؤية الشيطان . والنبي صلوات اللـه عليه اكرم الناس شعورا ، وأرجحهـم ذوقا واسلمهم نظرة ، ولعله بهذا ينفر الناس من قنية الكلب الأسود ، ويحملهم على التباعد عنه ، لأن الشيطان يتمثل به اكثر مما يتمثل بشيء آخر .

فاذا ادركنا قبح الكلب الأسود اكثر من غيره ، وادركنا تمثل الشيطان به اكثر من سواه قرب الى اذهاننا تنفير النبي منه ، حتى لا نحرص على اقتنائه . ذلك ما احاوله ، وعلى أى حال فما دام فى كل مذهب بعض احكام نحس فيها غرابـة ليست فى غيرها فمذهب احمد لم يكن بدعا ، وما دامت الشريعـة بوجـه عام مستقاة من القرآن والسـنة وعمـل الصحابة فما ينبغي أن يعاب على فقيه شيء يقول به فى مذهبه عن دليل صحيح .

هذه طائفة من القول عن احمد ومذهبه ومنها يظهر للقارىء ان هذا الامام وقد ضرب فى الورع اصدق الذكريات جدير عند اللـه فيما نرجو لـه بمكانته بـين الصديقين والشهداء والصالحين، ويظهر كذلك انه كان فى الأولين شخصية مشرفة من كل ناحية ، وان سيرته فى الآخريـن ستظل عطرة فياحة يتضوع اريجها كلما ذكره الذاكرون .

كما يتضوع اريج الأزهار فى الرياض الناضرات كلما داعبها النسيم .

فاذا سمعتم بعد اليـوم مـن يتفكه بكلمة حنبلى فقولوا له :

ما ضر شمس الضحى فى الأفق طالعة
الا يـرى ضوءها مـن ليس ذا بصر

جراح قلب

محمود موافي

أنــا يا أخــي في العــار لــن أنسى هنــاك
فأخــي الشــهيد على الثرى ملقى هنــاك
والثــأر يــوما ســـوف يجمعنا هنــاك
انا من هنــا لكن جرحــي مــن هنــاك
قد غاب عمــري في الظلام وفي العــذاب
حتى نســيت الدمــع من هول المصــاب
ونســـيت أفــراحي وأحــلام الشـــباب
حتى ضــياء الوهـــم غشــاه الضــباب
وأرى أمامي حـــول أشـــباح الخــراب
أطـــلال شـــعب تائــه بين الشـــعاب
وســـطود عــار أســـود مــلء الكتــاب
عـــار ســنغسـله بأنفســنا هنــاك
فالثأر يومــا ســـوف يجمعنــا هنــاك
عــارى وعــارك اذ رضــينا بالقعــود
عــار الخيانـــة من أخ بـــاع العهــود
واختـــار طــوى العيش فى ذل العبيــد
أتــراه قــد نسى انتفاضــات الشـــهيد
وربــا تئــن هنــاك مــن ذل الســـجود
تحت النعــال ، نعال أرجــاس الوجــود
وهنــاك تحــت نعالهــم قلبــي هنـــاك
فأخــي الشــهيد على الثــرى ملقى هناك

للاستاذ محمد بدر الدين

ستثير أحقادي مرارة ذلتي
وتعيد في انفي خيال النكبة
هي نكبتي فالقدس كانت قبلتي
ان لم اكن منها ففيها أمتي
وبلادكم وطني وأنتم اخوتي
يوما سأكتب في ثراكم قصتي
بدمي وأنسف قيدكم بعزيمتي
فاذا سقطت أخي فوسدني هناك
انا من هنا لكن جرحي من هناك
لا تبكني وازأر كليل عاصف
وانهض اليهم كالبلاء الزاحف
واقذف رصاصات الفناء الخاطف
من مدفع عات حقود قاصف
واحصد به حشد العدو الواجف
والخائنين ذوي الاخاء الزائف
فاذا تحققت المنى فاذكر اخاك
ذاك الذي اهدى الحياة الى ثراك
وسعى ليشهد بعث أمته هناك
أنا يا أخي في العار لن أنسى هناك
فأخي الشهيد على الثرى ملقى هناك
والثأر يوما سوف يجمعنا هناك
أنا من هنا لكن جرحي من هناك



من هنا .... وهناك

يكتبها : ع . النمر

مع الانباء الحزينة الباكية عن النهاية الاليمة للرئيس المؤمن عبد السلام محمد عارف استوقفنى هـذا الخبـر .

(وقد وضع مع جثمان الفقيد الكريم مصحف شريف ، تنفيذا لوصيته بأن يوضع معه المصحف الشريف الذى كان يحمله صبيحة يوم ١٤ تموز ، والذى وضع يده عليه ذلك اليوم التاريخي وأقسم قسمه العظيم معاهدا الله أن يحرر شعب العراق الابى الكريم ، وأن يكافح من أجل تنفيذ ارادة هذا الشعب . وهو نفس المصحف الذى أقسم عليه عبد الكريم قاسم من قبل ، ولكنه حنث فى يمينه ، وقد شاء القدر ان يكون هذا المصحف مع الرئيس فى الطائرة التى كان يستقلها ، ولكنه لم يمس بسوء) .

خواطر شتى فكرت فيها وانا أقرأ هذا النبا .. ولكن تجمعت خواطرى نحو هذا الرجل المؤمن الذى ملك عليه ايمانه بالله ، واخلاصه للاسلام والعروبة كل دنياه .. فنذر نفسه للعمل من اجل دينه وامته .. كثير من الناس يحملون المصحف ولا سيما عند اسفارهم .. ولكن ذلك لا يمثل عندهم الا حاجة فى نفس يعقوب .

اما هذا الرجل العظيم الذى فقدناه ، فقد كان حمل المصحف معه رمزا قويا لايمانه واخلاصه ، وتفانيه فى العمل من اجل المبادىء القويمة التى جاء بها .. لا اذكر اننى سمعته متحدثا فى جماعة داخل العراق أو خارجها الا وقد تطرق فى حديثه الى الاسلام ومبادئه التى تكفل للامة الاسلامية النهوض والرقى ..

ولعل الكثير منا يذكر يوم ان وقف فى حفل أقيم تكريما لأحد الزعماء السوفيت وتحدث فيه هذا الزعيم السوفيتي عن الشيوعية وعن ماركس ومبادئه ونظرياته ، فقام الرجل المؤمن ، وتحدث عن الاسلام ومبادئه وتشريعاته حديث المؤمن المخلص الغيور ، وشرح بحديثه الصدور .

ومنذ شهور نشرت له احدى الصحف اليومية الكويتية حديثا أدلى به الى مندوبها ، وكان مما جاء فيه قول الرئيس الشهيد « لقد قال لي السفير الروسي حين تقديم اوراق اعتماده ان روسيا السوفيتية تستمد مبادئها من نظريات ماركس ولينين »وكان ردى عليه « ان العراق يستمد نظامه ومبادئه من الاسلام والقرآن ... والاسلام وحده عدالة مطلقة ، ويكفى أن نطبقها حتى نصبح فى غنى عن استيراد المبادىء والنظم من الخارج . ان الاسلام ومبادىء محمد صلى الله عليه وسلم هى التى نسير على نهجها هنا » .

وفى هذا الحديث الصحفى تطرق الى الحديث عن معارضيه وقال « أذكر انني حين قلت لهم اننا نريد تطبيق مبادىء الاسلام رفضوا بشدة ، ودفعتهم عجرفتهم وغرورهم الى السير وراء النظريات الغريبة ، وهم يعرفون قبل سواهم انها لا تصلح لنا ونرفضها بشدة » .

وقال المندوب الصحفي « ان الرئيس كان فى هذا الوقت صائما ـ وكنا فى رجب ـ لانه يحرص دائما على ان يصوم ثلاثة اشهر فى العام ـ رجب وشعبان ورمضان ـ وقد ازدادت نزعاته الروحية ، فكان كلامه لا يخلو من العبارات الدينية العميقة . التى تنم عن المام شامل بأمور الدين وتعاليمه » .

وقبل الحادث الاليم بساعات وقف يخطب فى الجموع التي احتشدت لتحيته ويقول : « اننا لسنا فى حاجة الى مبادىء غريبة وايديولوجيات ثبت زيفها .. ان فى ديننا الاسلامى المجيد غنى لنا عن كل ذلك فهو دين ودولة ، وفيه التشريع لمختلف أوجه الحياة ، وفيه توجيه الى الاخلاق الفاضلة الحميدة ، وفيه ارشاد لتربية نبيلة هادفة ، وفيه السعى والعمل » ..

« اننا اذا كنا حقا ابناء محمد فيجب ان ننطلق لنعيد دولة محمد صلى الله عليه وسلم لا ان نتغنى بشعارات ، ونظل فى أماكننا ان لم نتأخر » .

« اننا اذا تمسكنا بديننا وتقاليدنا وتربيتنا نكون بذلك قد سرنا فى الطريق الصحيح لبناء مجتمعنا وتحقيق ثورتنا الاجتماعية .. اننا بقدر اعتزازنا بديننا الحنيف نعتز ونحترم باقى الاديان السماوية الكريمة » .

كان عليه رحمة الله يعتقد وينادى بأن العدالة الاجتماعية التى يريدها الاسلام كفيلة بالقضاء على الطبقية الفاشمة ، والاحقاد التي تورثها الراسمالية المستغلة الفاسدة .

ومثل هذا الصوت الجهير المؤمن الذى كان ينبعث دائما من عبد السلام عارف هو من الاصوات التي تحتاجها الامة الاسلامية ، وتحتاج معها الى عمل وتطبيق ولا سيما فى هذه الايام التي يحاول فيها الشرق والغرب ان يختلسوا شخصيتها ..

ومن هنا كانت الخسارة العظيمة فى ان يسكت هذا الصوت ، ويخمد هذا العزم ، ونحرم منه فى الوقت الذى كنا ننتظر فيه المزيد منه ومن خطوات العمل والتطبيق .. وان كان ما سمعناه ، ودونته الصحف والكتب له سيبقى امامنا مثلا قويا على عمق ايمانه بدينه وامته، وصدق اخلاصه فى العمل من اجلها .. ولم يكن ينسيه تفنيه بوطنه أن يسعى لوحدة عربية تكون منطلقا لوحدة اسلامية كبرى .

لكم وددت وتمنيت ان لو حفظ مصحف الفقيد العظيم فى صندوق زجاجى يعرض فى المسجد الذى دفن فيه ، او فى متحف عام ، ليتذكر كل من رآه من الاجيال الحاضرة والمقبلة ، مبدأ هذا الرجل ، وعمق ايمانه وصلته بالله وكتابه ، ويذكر كل حاكم يأتى من بعده ان يخطو على نهجه .

ولكن الاحياء ضعاف دائما امام وصايا الاعزاء الذين يختارهم الله الى جواره . فلم يكن لهم الا ان يضعوا مصحفه فى قبره حسب وصيته . هذا المصحف الذى كان رفيقه فى حياته ، والذى شاءت ارادة الله أن تحفظه من النيران التي أتت على الطائرة وركابها ، ليستقر اخيرا الى جوار الفقيد فى قبره .

جعله الله شفيعا له فى آخرته ، كما كان اماما له فى دنياه . وجزاه خير ما يجزى به الشــهداء والصالحـين .

انصــاف

قدم تليفزيون الكويت ـ مشكورا ـ ندوة لبعض الأدباء مع الدكتور طه حسين ثم ندوة آخرى للمرحوم الاستاذ عباس محمود العقاد ، .. وقد اثير فى الندوتين كثير من الآراء والقضايا لم تكن محل تعليق وجدل كثيرين . الا رأيا واحدا للدكتور طه كان مثار جدل ودهشة لكثير من الذين استمعوا اليه او قرأوه .. ذلك هو رأيه فى العبقريات التى كتبها المرحوم عباس محمود العقاد وحكمه عليها بأنها لا تفهم ، وانه لم يفهمها ويتحدى من فهمها !!

والدكتور طه عقلية فذة ، وقد مرن فى شبابه على فهم الكتب الأزهرية المعقدة الأسلوب ، حتى وصل الى ذروة الكتب المقررة على طلاب الشهادة النهائية فى الازهر ، ثم طوف بعد ذلك فى دراسة الادب العربى

والآداب الغربية .. فكان غريبا حقا أن يفهم ويستوعب كل هذا ويصبح عميدا للأدب العربي ، ثم يستعصي عليه فهم كتب العبقريات التي قرأها وفهمها مئات الآلاف من قراء العربية .

وكلنا يعلم أن بعض هذه العبقريات وعبقرية عمر بخاصة كانت مقررة على طلاب المدارس الثانوية ، ودرسها لهم الاساتذة وادوا اختبارا فيها .. فهل كان رجال وزارة التربية عابثين حين قرروها على الطلاب .. وهل الذين درسوها للطلاب من الأساتذة لم يفهموها ؟ ودعنا من مئات الآلاف من القراء الذين اقتنوها او قرأوها ليجدوا فيها متعة فكرية وروحية لهم ..

الحق أن هذا الحكم هو الذى لم يفهم الناس له مبررا ، وقد تساءل الكثيرون : لماذا لم يقل الدكتور رأيه هذا فى العبقريات حين صدورها وقد مضى عليها عشرون سنة أو يزيد .. وكان العقاد لا يزال على قيد الحياة ، ويستطيع ان يدافع عن نفسه ويرد على الدكتور اتهامه له ؟!

وقد اعجبنى ـ كما اعجب الكثيرين ـ موقف الاستاذ انيس منصور حين تصدى لانصاف العقاد ، ونقد الدكتور نقدا كان فيه كثير من المرارة .. ولعل من أشده مرارة ما ذكره من رأى سابق للدكتور فى العبقريات ، واشادته بها وبمؤلفها ، وهو يقدمه الى مجمع اللغة العربية .. فلماذا مدحها ومدحه وهو حي ، ثم يهاجمه بعد أن فارق الحياة ؟ ولماذا هذا التناقض ، وما مبعثه ؟

ولقد ذكرني هذا الموقف بموقف سابق للدكتور سنة ١٩٥٥ حين كتب يهاجم بقاء المعاهد الأزهرية وينادى بتحويلها الى مدارس فيما أسماه وقتها ـ الخطوة الثانية ـ متهما الأزهريين بالجمود وعدم معرفتهم شيئا من العلوم التى نسميها حديثة .. وقد تصديت له حينذاك ، ورددت عليه بما دونه فى كتابه « مستقبل الثقافة » عن الأزهر ومسارعته للأخذ بالعلوم الحديثة فى أسلوب يوحي بأن الأزهر أسرع الخطا نحو تدريس هذه العلوم ، وكان الرد تحت عنوان : « الدكتور طه يرد على الدكتور طه » .. وعلمت من أحد مريديه المترددين عليه أن هذا الرد كان من أقسى ما رددت به عليه .. والسبب فيما افهم انه هو الذى رد على نفسه ، وظهر بذلك تناقضه فى الحكم على الاشياء كما ظهر فى هذه الندوة .

وفى الندوة التى أذيعت عرفت سبب هذا التناقض حين قال انني بعد أن أدفع الكتاب للمطبعة انسى كل شيء فيه !! ولكن رأيه فى الأشياء وعقيدته فيها هل يمكن أن ينساه ؟ !!

ثم لماذا العبقريات ؟ وقد فتح العقاد بها نافذة من الضوء على التاريخ الاسلامى وعظمائه آغرت الشباب بمطالعته والتعرف عليه بعد أن كانوا منصرفين الى غيره من تراجم عظماء الغرب .

اعود فأقول : ان الذى لا يفهم حقيقة انما هو كلام الدكتور وحكمه على العقاد وعبقرياته ..

ورحم الله العقاد وجزاه خيرا ....

قرار

جاء فى جريدة الاخبار القاهرية ان قرارا صدر بمنع المذيعات ومقدمات البرامج فى التلفزيون من وضع (الباروكة) وهى الشعور المستعارة على رؤوسهن أثناء تقديمهن للبرامج ، كذلك منع الافراط فى التزين والتحلي بالمجوهرات مراعاة لما يجب أن تتسم به المذيعات من البساطة ولا سيما وهن مثل أعلى لكثير من الفتيات فى البيوت .

قرار حكيم يمنع الغثيان الذى يصاب به كثير من مشاهدى التلفزيون ، وهم يشاهدون هذه المناظر المصطنعة .. وحبذا لو صاحب هذا القرار قرار بمنع ظهور ما فوق الركب كذلك ، سواء كان ذلك عن طريق التصوير أو عن طريق المذيعات وضيفات التليفزيون ..

وحبذا أيضا لوروعى هذا فى جميع تلفزيونات الدول العربية وان كنت أعتقد أن الكثيرين سيحذون حذو القاهرة فيما ترسمه فى هذه الناحية ..

أذكر مذيعة فى تليفزيون فرنسا ظهرت كاشفة عما فوق الركبة .. فانهالت المكالمات التليفونية على المسئولين أثناء اذاعتها فى التلفزيون تحتج عليها ، وقامت ضجة كان من أثرها تنحية المذيعة عن الشاشة ..

والمهم فى هذا الخبر الأخير أنه من فرنسا وهو دليل على يقظة الرأى العام هناك وعلى استعماله لحقه فى النقد والتوجيه ثم استجابة التليفزيون للرأى العام ..

قصة تاريخ التوراة والإنجيل

 تطورات محتوياته وترجماته

 تحقيق خطير لمجلة "لايف" العالمية

« ترجم هذا البحث الدكتور أمير رضا وتفضل الاستاذ محمود مهدى استانبولى - مشكورا - بارساله الينا لنشره ، ونحن نقدمه للقراء الكرام هنا لافتين النظر الى ما يعترف به هذا البحث من تحريف الكتاب المقدس كما قرر القرآن الكريم : وشهد شاهد من أهلها » « الوعى » .

أصدرت مجلة (لايف) العالمية عددا خاصا بأسم « الكتاب المقدس » (المجلد ٣٨ العدد ٧ الصادر فى ابريل ١٩٦٥) بدأته بمقدمة عامة تلخص فيها تاريخ هذا الكتاب وتطوراته وترجماته وقد رأينا نقل مقتطفات من هذه المقدمة الى العربية ونشرها لتعم الفائدة،والله الموفق الهادى الى سواء السبيل .

تقول المجلة : « هذا الكتاب الذى نحن بصدده أوسع الكتب انتشارا وأكثرها أثرا فى تاريخ البشر . ولكنه مع ذلك كتاب كتبه الانسان ... ان مؤلفيه يحملون أسماء ذائعة الصيت مثل (يساياه) و (ايزيكييل) و (جريمياه) و (القديس بول) . ولكن اغلب كلماته

كتبها اشخاص آخرون لا يعرف احد من هم .. ولا يمكن معرفتهم فى يوم من الايام . لقد ظل الوحى الالهي الى الانسان ينتقل من الاب الى الابن ألف سنة تقريبا بعد (ابراهيم) من غير ان يكتب . وبعد ذلك فقط بدأ اليهود فى تدوينه . وكان ذلك قبل ألف سنة تقريبا من ميلاد المسيح . فأخذوا يسجلون القصص والقصائد القديمة . وأضافوا اليها قصصا وقصائد اخرى جديدة . وقد استلزم الامر أن تعاد كتابة لفائفهم عدة مرات . وان تنقل وتنسخ . مما أوجد فرصا عديدة لا تحصى لتغييرات كثيرة لا حد لها ، بعضها مقصود ، والبعض الآخر غير مقصود . ولما بدأت المسيحية تنتشر بسرعة ازدادت الحاجة الى عمل نسخ جديدة ، لا سيما (العهد الجديد) واخذ كثير من المؤمنين يصنعون نسخا لانفسهم بأنفسهم . أو كان أحدهم يقرأ بصوت مرتفع فى (النسخ) بينما كان يتلقى عنه ما يقرب من اثنى عشر ناسخ وهذا ما مهد الطريق لاخطاء أكثر وأكثر . . . لذلك فانه لا يوجد اليوم أى نص (أصلى) لاى جزء من (الكتاب) .. وربما حوى (العهد الجديد) تغييرات أكثر وأبلغ من (العهد القديم) .

ثم جاءت الحركة المعاصرة التي نشطت الى اكتشاف الآثار لتحقيق أحداث (الكتاب المقدس) تحقيقا علميا واقعيا تاريخيا . وأدت هذه الحركة الى بعض اللفائف الخطية القديمة والى حفريات تاريخية ، والى دراسات لغوية متعمقة ، وكل هذا اضطر دارسي (الكتاب المقدس) الى اعادة النظر فى شروح هذا الكتاب وتهذيب التفسيرات القديمة . وفى هذه المعركة العلمية تكاتف اليهود والكاثوليك والبروتستانت وغيرهم من الرجال اللاكنسيين على الدراسة وتبادل المعلومات (فالكتاب المقدس) يتكون من جزءين أو عهدين . الأول هو (العهد القديم) وهو مشترك بين اليهود والنصارى ، الا ان ترتيب الاسفار يختلف عند كل من الطائفتين . والثاني هو (العهد الجديد) وهو مشترك بين الكاثوليك والبروتستانت ، الا أن (الكتاب المقدس) البروتستانتي يستبعد أحد عشر سفرا تعترف بها الكنيسة الكاثوليكية ولا تعترف بها الكنيسة البروتستانتية وهي الاسفار (الابوكريفية) (١) .

وفى السنوات الاخيرة ظهرت عدة ترجمات حديثة (للكتاب المقدس) حملت جميع الفوارق والتعيينات الطائفية وعززت الاتجاه العالمي الى التقارب بين الطوائف المختلفة . ونذكر على سبيل المثال (الكتاب المقدس الأخوى) الذى لم يتم بعد . وهو أول ترجمة كاثوليكية رسمية الى الانجليزية تعتمد على النصوص العبرية والاغريقية بدلا من الترجمة اللاتينية التي قام بها القديس جيروم فى القرن الرابع الميلادى والتي اعتمدها البابا من عام ١٥٩٢ م . بل ان التفاهم قد ذهب الى حد أبعد من ذلك عندما قبلت الكنيسة الكاثوليكية الترجمة المسماة (بالمنقحة) للاستعمال

---

(١) هذه الأسفار الأحد عشر هي التي استبعدها البروتستانت من (الكتاب المقدس) بزعمهم ، لاعتقادهم انها مكذوبة ، فليت شعرى أهي فقط المكذوبة أم يوجد غيرها ؟ . وما هذا الكتاب الذى اتخذت كل طائفة منه جزءا وتستبقى الجزء الآخر ؟ . أهكذا يصنع بكتاب من عند الله ؟ .

الرسمي فى انجلترا فيما عدا بعض التغييرات البسيطة وهذه الترجمة هي التي تقرها رسميا الكنيسة البروتستانتية الامريكية ، وقد تمت بعد أبحاث بالغة فى الدقة . ويمكننا ان نؤكد أنها تخلو من الاخطاء الترجمية العديدة التي تتناثر خلال ترجمة الملك جيمس المعتمدة فى انجلترا .

وتوجد الان خطط جدية لقبول ترجمة انجليزية موحدة لجميع الطوائف العقيدية . وكان هذا الاقتراح قد أثير من زمن بعيد . ثم جدده من خمس سنوات مضت أحد الامريكان الجيزويت فى مقال بعنوان (الكتاب المقدس رباط وعهد) وردده مرة أخرى البابا بول فى قراره المسكوني الاخير . وهكذا ، بعد ان سبب (الكتاب المقدس) فى القديم الكثير من المشاحنات والمعارك التي أسالت الدماء ، قد أصبح فى عصر التفاهم العالمي الحالى رباطا وثيقا بين الكنائس ، وسببا من أسباب السلام بينها ..

ان (الكتاب المقدس) كتب أول ما كتب باللغة العبرية القديمة وباللغة الكوئينية ، أي الاغريقية الا انه عاش أكثر ما عاش فى الترجمة . وكل الترجمات ناقصة قاصرة . وكانت طريق المترجمين محفوفة بالمخاطر والصعوبات فقد عجز القديس جيروم نفسه عن أرضاء الكنائس المعاصرة له والتمشى مع ذوقها وميولها .

وكانت ترجمة وايكليف (١٣٨٢ م) . أول ترجمة انجليزية . الا أنه بسبب بعض كتبه الأخرى نبش أساقفة انجلترا قبره وأحرقوا جثته ... وتلت هذه الترجمة ترجمة تندال (١٥٢٥ م) . التي استحقت أن تحرق نسخها على نطاق واسع ..

وكان أسقف لندن يشترى نسخها من الخارج لاحراقها بالجملة وتخليص الناس منها .. أما المترجم تندال فقد قبض عليه فى بروكسل وقتل خنقا . ثم احرقت جثته . الا أن هؤلاء الرواد الاوائل مهدوا الطريق لمن قاموا بترجمة الملك جيمس . وهي الترجمة التي أدت الى مرونة اللغة الانجليزية الادبية بنفس الطريقة التي أدت بها ترجمة لوثر الى صياغة اللغة الالمانية فى قالبها الادبي الحديث .

وكانت أول ترجمة للكتاب المقدس ظهرت فى أمريكا باللغة الألجونكينية (١) وظل التاج البريطاني يحتكر ترجمة الملك جيمس فى امريكا الى قيام الثورة الامريكية ، فصرح الكونجرس فى عام ١٧٨٢ بعدم التمسك بها . فما كان من توماس جيفرسون الا ان ألف كتابا مقدسا لنفسه وهو رئيس للولايات المتحدة سماه (فلسفة يسوع ـ على هيئة كتيب مبسط) .

المعروف

قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما « لا يزهدنك فى المعروف كفر من كفره ، فانه يشكرك عليه من لم تصطنعه اليه » .

---

(١) اللغة الالجونكينية لغة الهنود الحمر ، تنتشر فى امريكا الشمالية .

خصائص التشريع الإسلامي

افتتح الاستاذ مصطفى الزرقا أستاذ القانون المدني بكلية الحقوق ـ بجامعة دمشق ـ الموسم الثقافى الاول الذى أقامته وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية، وقد أوفدت المجلة السيد / محمد أبو غوش المحرر بها لاستطلاع رأى سيادته فى المزايا والخصائص التي يمتاز بها التشريع الاسلامي ودحضه شبهة استمداده من القانون الروماني ، وقد أجاب بما يلي :

عرضت فى محاضرتي الثانية التي ألقيتها فى الموسم الثقافى الذى دعتني اليه وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية فى الكويت بعض خصائص الفقه الاسلامي وجوانب من مزاياه التي تجعله هو المصدر الوحيد الذى يجب ان يستمد منه كل تشريع ناظم للحقوق فى البلاد العربية خاصة والاسلامية عامة ، وأوضحت تلك الخصائص والمزايا بالامثلة والشواهد العملية الوقعية من أحكام الفقه الاسلامي .

أ ـ فمن خصائصه الذاتية العامة التي اكسبته صفة الخلود وقابلية الاستجابة لتغطية جميع الحاجات التشريعية فى مراحل الحضارة الانسانية ، الخصائص الذاتية التالية :

١ ـ السعة والاستيعاب والغنى بالنظريات القانونية فى تنظيم الحقوق والالتزامات ومصالح المجتمع بصورة شملت كل شعب القانون المعروفة الى اليوم مبتدئة من علاقة الانسان بأسرته من أحكام الزواج الى الميراث وما بينهما ، وتنتهي باحكام القانون الدولى المنظم لعلاقة الدولة الاسلامية بغيرها من الامم والدول سلما وحربا . كل ذلك نظمه النظام القانوني فى الشريعة الاسلامية بأعدل القواعد ، وأحكم الاحكام ، واسمى المبادىء واخلدها وأكثرها رعاية للمثل الانسانية العليا ، وتطعيما للعنصر القانوني بالعنصر الخلقى .

٢ ـ الدقة المتناهية فى بناء الاحكام ، حتى لكأن الدارس الباحث فى مسائل الفقه الاسلامي وآراء الفقهاء ونظرياتهم يشعر كأنما هو أمام ميزان حساس يوزن به الالماس ، وتظهر به الفروق بين المتشابهات مهما دقت وغمضت .



٣ ـ مرونة أصوله ومصادره سواء ما كان منها نصوصا كنصوص القرآن العظيم والسنة النبوية ، وما كان منها طرقا ومسالك وقواعد ومقاصد كالقياس والاستحسان والاستصلاح . فطريق الاستحسان يفسح مجالا لتقرير أحكام استثنائية على خلاف القياس عندما تختلف الظروف والاعتبارات الخاصة بين المسائل المتشابهة التي يقاس بعضها على بعض فى الاحكام . ومن الامثلة التطبيقية لذلك أحكام المفقود وهو الذى فقد ولا يدرى أحد أهو حى أو ميت ولا أين هو . فالحكم الفقهى الاساسي فى علاقاته وحقوقه وأمواله أنها تجمد فلا يرث ولا يورث منه حتى تثبت حياته ، أو تثبت وفاته بمثبت أو بالقرائن الكافية كموت أقرانه جميعا فى بلده ، فعندئذ يحكم بوفاته وتوزع أمواله بين ورثته . هذا هو مقتضى قاعدة الاستصحاب القياسية .

ولكن عمر بن الخطاب رضى الله عنه رأى ان تطبيق هذا القياس على الزوجة وتركها معلقة على عصمة زوجها المفقود حتى تموت اقرانه فيه حرج عظيم وضرر بليغ بالنسبة الى الزوجة لان تجميد المال غير تجميد الزوجة فقضى بالنسبة الى الزوجة ان لها الحق ان تطلب القضاء لها بانهاء الزوجية بعد اربع سنوات من فقدان زوجها فى حال السلم وبعد سنة واحدة فقط فى ايام الحرب وهذا حكم قرر بطريق الاستحسان استثناء من قاعدة الاستصحاب القياسية .

٤ ـ مكانة العرف فى الشرع الاسلامي، فان العرف مصدر هام دائم للاحكام القضائية وتتبدل الاحكام العرفية بتبدل العرف . وبما ان العرف معبر فى أغلب الاحيان عن حاجات المجتمع ، فاعتماده فى الفقه الاسلامي مصدرا للاحكام والقضاء جعل هذا الفقه مستجيبا بصورة دائمة لهذه الحاجات سوى ما كان منها انحرافا يجب تقويمه . وللعرف فى الفقه الاسلامي نظرية ضافية ذات قواعد وشرائط وتفصيل رائع .

٥ ـ بناء أحكام الفقه الاسلامي على أساس التوازن بين الحقوق الفردية والمصلحة العامة والحق العام .

ويتجلى ذلك فى منع التعسف فى استعمال الحق الخاص ، وفى منع الاحتكار فى التجارة ، وفى الحجر على السفيه المبذر والحجر على شخصين يخصهما الفقهاء بالذكر فى ضمن التعميم وهما . الطبيب الجاهل والمكارى المفلس « والمكارى هو من يتعهد للناس بالنقل السفرى على دوابه مثل مكاتب السفريات اليوم » فاذا كان مفلسا ليس عنده دواب كافية يأخذ من الناس أجور النقل ثم لا يستطيع نقلهم فى مواعيد سفرهم المقررة . فلذا يحجر عليه شرعا فى فتوى الفقهاء .

٦ ـ بناء أحكام الفقه الاسلامي على أساس الموضوعية والتجرد عن كل دافع من عصبية أو عاطفة خاصة سوى فكرة العدل والحق المجردة بقطع النظر عن اللون أو الجنس أو البيئة أو الدين أو أى صفة أخرى فى الاشخاص الذين تطبق عليهم أحكام الشريعة .

ومن الأمثلة الرائعة على ذلك فى التاريخ الاسلامي فتوى الامام الأوزاعى للخليفة الاموى بعدم جواز قتل الرهائن وهم أشخاص أخذهم المسلمون من الروم ضمانا لعدم غدر قومهم ـ وكانت العادة العامة المتبعة أن تقتل الرهائن اذا غدر قومهم ـ فلما غدر الروم وهم الخليفة بقتل الرهائن عارضه الامام الاوزاعي ونادى به أنه لا يحل قتلهم فى شريعة الاسلام وقانونه ، لان الله تعالى قد منع أن يؤاخذ أحد من الناس بجريرة غيره ، وقرر ألا تزر وازرة وزر خرى . فاذا غدر الروم فان ذنبهم لا يسرى الى رهائنهم التي أخذناها منهم . وقد نزل الخليفة على فتوى الامام الاوزاعى هذه .

ومن الامثلة الرائعة أيضا التي دوى بها التاريخ ، حادثة محمد بن عمرو بن العاص فاتح مصر وأميرها عندما سبقه قبطى نصرانى فى حلبة سباق ، فضربه محمد بن عمرو بقضيب وقال له اتسبق ابن الاكرمين ، فلما اشتكى القبطى الى عمر بن الخطاب أمير المؤمنين فى المدينة احضر محمدا وأباه عمرا من مصر بعد أن حقق وثبت لديه الحادثة وقال لمحمد منذ متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم احرارا ؟ ثم أمر القبطى النصراني أن يضرب محمد بن عمرو فى المجلس ثم أمره أن يضرب أيضا أباه عمرو أمير مصر فلما امتنع القبطى عن ضربه قال انما ضربك بسلطان أبيه .

من هذه الينابيع والاسس الموضوعية المجردة عن كل نزعة سوى مبدأ احقاق الحق واقامة العدل استمدت احكام الفقه الاسلامي وبهذه المادة بنى صرحه العظيم الخالد . ولا يستغرب هذا فى فقه مؤسسه الاول هو الرسول العربي القائل عليه الصلاة والسلام فى التوصية بأهل الذمه وهم المواطنون المقيمون فى ظل الدولة الاسلامية من غير المسلمين : ((من آذى ذميا فقد أذاني)) . فلنقارن هذا بالقانون الاسود القائم فى اميركا مثلا على التمييز العنصرى فى الاحكام الاداريـة والقضائية بين السود والبيض . وبالقانون الروماني القديم ، الذى هو اصل معظم التشريعات الاوروبية ، والذى كان يميز فى الاحكام بين الرومانيين والرعايا الآخرين من مواطنى الدولة الرومانية .

٧ ـ وهناك خاصة هامة فى الفقه الاسلامي هي خاصية بالنسبة الى العرب فقط وهي أنه فقه عربي المنشأ والمصدر . فالكتاب الاصلى الذى يستمد منه قواعده وتوجيهاته العامة فى خطوطه العريضة هو القرآن وهو عربي . والمؤسس الاول لهذا الفقه وهو الرسول محمد صلى الله عليه وسلم هو عربي ، وكلامه الذى هو نواته ثم شجرته الاصلية هو كلام عربي . والادمغة التي خدمته ودونته فى البداية هى عربية استمدته من تلك الاصول العربية ، والعلماء اللاحقون الذين وسعوه ونموه بالاقيسة والاجتهاد والتخريج من مختلف الامم الاسلامية وان كان منهم اناس غير عرب انما بنوا كل بحوثهم فيه على تلك الاسس العربية وما استنبط منها .

وبذلك يكون هذا الفقه العظيم الضخم تراثا عربيا قانونيا خلد على الزمن بينما

زال كل تراث علمى آخر أنشأه الغرب او اقتبسوه ووسعوه .

وهذا الميراث القانوني العربي ، كما يقول الاستاذ السنهورى هو مفخرة كل عربي ولو غير مسلم اذا كان حقا يعتز بعروبته واصالة فيها وصادقا فى ذلك .

هذا اجمال الخصائص الاساسية لهذا الفقه الاسلامي ومزاياه الى جانب ما فيه من خصائص اخرى من نوع آخر كاللغة الاصطلاحية القانونية الخالدة التي اتى فيها فقهاؤنا بروائع المصطلحات مما لا يوجد له نظير فى القانون ، ومما لا يزال القانونيون العرب يستمدون منها حاجتهم فى الترجمة عن الفقه الاجنبي ، هذا الى خصائص اخرى كثيرة فرعية يعرفها الراسخون من العلماء .

ومن هذا يتبين ان الفقه الاسلامي هو الفقه الوحيد الذى تجتمع فيهالخصائص والمزايا التي تفى بحاجة التشريع فى البلاد العربية والاسلامية لانه منسجم مع تاريخها ، ونابع من عقيدتها ولغتها الجامعة ، كما أنه هو الذى يمكن ان تجتمع عليه البلاد العربية فى توحيد تقنيناتها عن طريق استمدادها ، ولا يمكن ان تجتمع كلمتها واتجاهاتها فى ذلك على مصدر آخر سواه .

ومما يؤسف له ان كثيرا من العالم العربى اليوم يجهلون انفسهم وقيمة ما عندهم من تراث اصيل ، ويتنكرون لذاتيتهم جهالة منهم ، فيحبون استجداء الفقه والقانون من المصادر الاجنبية معلنين انهم فقراء جوف فى هذا المضمار ويظنون هذا تقدمية بينما هم اغنى امة بالتراث القانوني ، ورحم الله شاعرنا المرحوم حافظ ابراهيم اذ يقول :

أيشتكي الفقر غادينا ورائحنا

ونحن نمشى على أرض من الذهب

اما شبهة الجهلاء الببغاويين الذين يرددون ما كان زعمه بعض المشككين الخبثاء من المستشرقين او سواهم من أن التشريع الاسلامي وفقهه مستمد من القانون الروماني فهذه شبهة أصبحت عتيقة رثة سخيفة لم تبق فى حاجة الى ان يهتم المحققون فى جمع الادلةعلى ادحاضها ،ذلكلان المستشرقين المنصفين منهم قد اغنونا عن دفعها بما كتبوا هم وبينوا فى هذا الشأن وقرروا ان الفقه الاسلامي فقه اصيل مستقل باصوله وفروعه غير مستمد من اى فقه آخر وان زعم استمداده من القانون الروماني هي خرافة تدل على عدم معرفة قائلها بالنظامين القانونيين كليهما . النظام الروماني والنظام الاسلامي ، وان كانت بعض قواعد العدل قد تتشابه بين امة واخرى نتيجة وحدة منطق التفكير العلمي ومنطق العدالة .

واقرب ما احيلكم عليه فى ذلك قرار مجمع القانون الدولى المقارن فى مدينة لاهاى عام (١٩٣٧) حيث صرح فيه بما ذكرت من عدم وجود أية صلة بين الفقه الاسلامي والقانون الروماني وأن الفقه الاسلامي صالح لامداد التشريع الحديث بأحسن النظريات والقواعد .

وقد نقلت أنا خلاصة هذا القرار فى اوائل الجزء الاول منالسلسلة الفقهية التي وضعتها باسم (الفقه الاسلامي فى ثوبه الجديد) . وكذا قرار مؤتمر اسبوع الفقه الاسلامي الذى عقد فى كليةالحقوق بجامعة السوربون بباريس وكنتمشتركا فيه باسم الجامعة السورية حيث تضمن ذلك القرار تأكيد هذا المعنى بالاضافة الى بيان ما فى مجموع المذاهب الفقهية من قيمة فقهية خالدة ، تصلح ان تكون خير مستمد للتشريع الحديث .



جولة بين ربوع المملكة المغربية

للاستاذ فيصل حسين غطاس

قام صاحب السعادة عبد الله المشارى الروضان وزير الاوقاف والشؤون الاسلامية برحلة الى المملكة المغربية الشقيقة لتمثيل دولة الكويت فى الاحتفالات التى أقيمت بمناسبة الذكرى العاشرة لعيد استقلال المغرب ، وكان لي شرف معية سعادته فى هذه الرحلة الجميلة التي أتاحت لي التعرف على كثير من مظاهر النهضة الحديثة والجمال الطبيعي الرائع التي تتمتع به هذه البقعة المباركة من أرض الوطن العربي الحبيب .

والواقع أني لم أكن أتصور وأنا فى طريقي الى المغرب أن أجده بهذا الجمال الرائع رغم المامي ببعض نواحي الروعة فيه عن طريق الدراسة والقراءة ، ولهذا شعرت وأنا أدخله لاول مرة بشعور مفاجىء شدني اليه كليا ، فلقد حباه



الله طبيعة رائعة وصفاء جميلا ومناظر تثير اعجاب الناظرين بحسنها وانسجامها ، منحه الله أهلا كرماء على صورة الأرض التي تغذيهم والطبيعة التي يعيشون فى أحضانها ، والمغرب بلد اسلامي عريق سبق أوروبا فى المدنية والحضارة التي اجتازت البحار والجبال وما تزال شواهدها قائمة حتى الآن ، فلقد امتدت الى جزء كبير من افريقيا ، بل عبرت البحر الابيض الى اوروبا وتركت كثيرا من سماتها ومعالمها على بعض أراضيها .. وقد أحببت أن أسجل انطباعاتي عن زيارتي لهذا الاقليم ، وأنقل للقارىء الكريم صورة مبسطة عن هذه البلاد التي تملك ثروات جبارة ، وتملك قبل كل شيء عزيمة أبنائهاوخصب أراضيها وغزارة مياهها وكثرة معادنها .

سعادة وزير الاوقاف فى حديث مع جلالة الملك

تقاليد مغربية

والشعب المغربي شعب عربي أصيل فى عقيدته وخلقه وعاداتـه وتقاليـده ، وتربطـه بالشعـوب العربية روابط وثيقة من الدين واللغة والتاريخ والدم ، وقد تجلت هـذه الحقيقة فى الاحتفالات التي شهدناها أثناء اقامتنا بين ظهرانيه ..

فقد حضر سعادة الوزير الحفل الكبير الذى أقيم بمدينة فاس بمناسبة ذكرى عيد الاستقلال وعيد العرش، حيث القى جلالة الملك الحسن الثاني خطابا هاما بهذه المناسبة ، وقام معاليه بتلبية معظم الدعوات التى وجهت له حيث أقيمت على شرفه عدة حفلات تكريمية ، ولاحظت مـن خلال هذه الحفلات مدى ما يتمتع به الشعب العربي فى المغرب مـن اصالة فى كرم الضيافـة وحسـن الاستقبال ، وأخص بالذكر تلك الدعوة التي أقامها معالي الاستاذ احمد بركاش وزير الاوقاف والشئون الاسلامية فى قصره الجميل الذى بنى على الطراز الأندلسي الرائع ، والتي تجلى فيها الكرم المغربي .

ومما تجدر الاشارة اليه انه فى يـوم الجمعة حيث كانت جميع الوفود مدعوة لاداء صلاة الجمعة مع جلالة الملك ، فلقد اصطف المـدعوون حيث خرج جلالة الملك فصافحهم جميعا وبعدئذ ركب جلالته عربة خاصة فى مثل هذه المناسبات تجرها الخيول العربية ، ويحيط بها الحرس الملكي بلباسه البديع وسار خلف العربة جميع الوفود بسياراتهم مخترقين شوارع مدينة فاس حتى وصل الموكب الى المسجد ، ومما لاحظته أن جلالة الملك الحسن الثاني كان دائم الترحيب بسعادة الوزير حتى انه لما نزل من عربته عند باب المسجد صحب معالى الوزير وأدخله معه فى مقصـورته الخاصة التي يؤدى بها الصلاة عادة .

وبعد أداء فريضة الجمعة خرج جلالته وامتطى جوادا عربيا أصيلا وكان أحد المرافقين يظلل جلالته بمظلة كبيرة يحملها ، ويسير بقرب الجواد طوال طريق الملك الى قصره .

ولقـد دعينـا لحضـور حفلة سمر اقامتها وزارة الارشاد هنـاك احتفالا بمناسـبة الاعيـاد تحت رعاية جلالة الملك . وفى هذه الحفلة شاهدت بعض الموشحات الاندلسية التي تعتبر من أروع ما وصل اليه فن الغناء .

الموقع

يقع المغرب فى أقصى الرقعة الغربية من المغرب العربي ، ويتصف مناخه بخصائص بلدان البحر الابيض المتوسط ، صيفه حـار ، وشتاؤه غزير الامطار ، بيد أن تأثير المحيط الاطلسي ووجـود مجموعة كبيرة من الجبال منها جبال الريف وجبال الأطلس المتوسط والأطلس الكبير (وأعلى قمة به تبلغ ٤١٦٥) م ووجود الصحراء ، كل هذه العوامل تقاوم هيمنة المناخ المتوسطي ، وتجعل فى نواحي المغرب مناخات متعددة تختلف حسـب موقعهـا الجغرافي .

ولا بد مـن ذكر منطقـة كبرى لها خصـائص طبيعية الا وهي السهول والنجـود الـواقعة فى الشمال الغـربي للكتلـة الجبليـة الوسطـى ، ومناخها معتدل ، ويصيبها الغيث بمقدار يتردد ما بين ٣٠٠ و ٤٠٠ ملمتر من الماء فى السنة ، وهذا الجزء الهام من المغرب يسكنه تسعة أعشار السكان عامة ، وهو صالح للفلاحة وتربية الماشية .

اما ثروات باطن الارض فمتنوعة ووافرة تدر على الدولة دخلا كبيرا يرد من الفوسفات ، وبقية المعادن المهمة هي الحديـد والمنغنيز والرصاص تضاف اليها المنتجات الأخرى من فحـم ونفـط وكوبالت ونحاس وبوتاس وملح .

السكان

اما عن سكان المملكة المغربية فيبلغ تعدادهم حوالى ١٢ مليون نسمة ، ٦٥٪ من السكان العاملين فلاحـون متجمعون بالأخص فى منطقة السـاحل الآطلنطيقي ، وربع السكان حضريون بيد أن عدد سكان المـدن آخـذ ينمو بنمو التصنيع وازدهار التجارة فازداد العمران ، ولا سيما فى المدن التالية الدار البيضاء والرباط ، ومراكش ومكناس وفاس وطنجة ، ويقدر عدد السكان الأجانب بخمسمائة الف نسمة ، وأكثر هذه الجاليات عددا الجالية الفرنسية البـالغ عـددها مائتي الف نسمة ، والجالية الاسبانية مائـة الـف نسـمة وكلهـم متجمعون فى المـدن وأما مـن ناحية الصناعـة التقليدية فما زالت هذه الصناعة المغربية منـذ قـرون عديدة تتحف هواتها المتكاثرين بروائعهـا الفنية التي طبقت شهرتها العـالم تاركة للمغرب تراثا وطنيا نفيسا . ومن أهم هذه الصناعات :

الزرابي (السجـاد) والأغطية والحنابـل .

الجلديات التقليدية. الاثاث ومصنوعات الخشب. المصنوعات الفلزية ومصنوعات الحديد والمرصعات والحلى . مصنوعات الفخار والمطرزات والدمى واللعب. ومصنوعات القصب والخوص والحصر .

المدينة الساحرة :

هـذه مدينة عريقة ساحرة مـن مـدن المملكة المغربية الا وهى (مدينة فاس) التى تحوى بين أسوارها العظيمة ذات الحـدائق الفناء والمناظر الخلابة الرائعة و جامعة القرويين ، وفيها عاش أولئك الافـذاذ الذين سجل التاريـخ اسماءهم بمداد الفخر فى عالم المعرفة والفنون .

تقوم مدينة فاس بين الجبال والمغرب الشرقي المكون من سهول متسلسلة جافة تنحدر صـوب البحر ومن هضاب مرتفعة وتقـوم هـذه المدينة عاصمة المغرب الثقافية والروحية فى جميع الأجيال وجوهرة عقـد الحضارة المغربية الاسلامية التي شعت منها أنوار المعرفة على جميع أرجاء المغرب .

فعندما عن الأمير ادريس الثاني بعد وفاة والده عاهلا على المغرب خرج من مدينته باحثا عن مكان جميل لأقامة عاصمته فجذبته سهول وادى فاس بوفرة مياهها فقرر بناء مدينة فيها وأقام أسسها سنة ٩٠٨م . وقد سئل عن ذلك فقال بنيت هذه المدينة لعبادة الله وترتيل كتابه واحترام شرائعه .

ومن دعاء له يقول فيه : « اللهم انك تعلم انى ما أردت ببناء هذه المدينة مباهاة ولا مفاخرة وانما أردت ان تعبد بها ، ويتلى بها كتابك ، وتقام بها حدودك وشرائع دينك وسنة نبيك محمد صلى الله عليـه وسلم ، اللهم وفـق سكانها للخير واعنهم عليه » .

جامعة القرويين :

وفى مدينة فاس جامعـة القرويين التي كانت وليدة رغبة دينية تغلغلت فى شرايين أختين هما فاطمة ومريم ، وقد شرع فى تأسيسها فى مستهل شهر رمضـان العظيم مـن عام ٢٤٥ هجرية ٣٠ نوفمبر ٨٥٩م .

ومن حسن الحظ أنـه وجـد فى الموقع الذى تأسست فيه الجامعة مصدر للحجارة والرمال وعين ماء غزيرة كانت مياهها الدافقة معينا تغذت منه الجامعة الشهيرة على مر الأجيال .

ولم تكن القرويين تشتمل فى نشأتها الاولى الا على أربع صحون وعلى محراب وفناء تتمايس فيه الاشجار كما كانت صومعتها قليلة الارتفاع . وقد تطلب نمو السكان وتزايد عددهم توسعتها والزيادة فيها ، ولهذا سرعان ما حلت محلهـا « قرويين » جديدة أكبر من الاولى حجما وأوسع رقعة وبسبب هذه التوسعة أدخل الفنـاء القديم فى الصحون التي تقام فيها الصلاة وغيرت الصومعة من مكانها وبنيت من جديد .. وتوسعت الجامعة ولقد طلب من أرباب الاملاك الواقعة بجوارها ان يتخلوا عن أملاكهم مقابل تعويض عادل ، وبدأت أعمال البناء وزيدت فى الجامعة صحون ثلاثة ، وبذلك ارتفع عدد الصحون فيها الى عشرة ، وفتحت فى واجهتهـا الشمالية ثلاثة أبواب تفضي الى مسجد الجنائز حيث تقام صلاة الجنائز،وحيث توجد سوق عظيمة للكتب وتمتد القرويين على مسافة (١٦٠٠٠)متر مربع ، وهى تتسع لعشرين الفا ، ولقد لمع نجمها فى المحيط الثقافى خلال العصور الوسطى لا بالنسبة للعالم العربي فحسب ، بل بالنسبة لاوروبا أيضا.

أما عن خزائنها فتعد بمثابة كنز عظيم القيمة ، ولولا أن عددا كبيرا من المؤلفات النفيسة قد ضاع منهـا فى مختلف الاجيـال لكانت بلا ريب من أعظـم المؤسسات من هذا النوع فى العالـم بأسره .

وقد تمكنت مع ذلك من الاحتفـاظ بعـدد من المؤلفات النادرة التي كانت لجمالها وندرتهـا محط اعجاب الذين وأتاهم الحظ بالاطلاع عليها ، ومن جملة الوثائق الثمينـة الموجودة فى خزانة القرويين أحد مؤلفات ابن رشد ويحتوى على ٦٣٨ صفحة كلهـا من رق الغزال ، وهناك أيضا مؤلف للسلطان أحمد المنصور الذهبي لا تشتمل كل صـفحة مـن صفحاته الا على ١١ سـطرا وان كان ارتفاعها يبلغ ٥٠ سنتمترا .

ويوجـد كذلك كثير من المؤلفات الاجنبية المترجمة الى العربية مما يدل على مدى النشاط الثقافى فى ذلك العصر، ومنها مؤلفات نفيسة أخرى تتنـاول تاريخ اسبانيا الاسلامية .

البقية على ص ٨٧


رحلة

« زمن هذه القصة عام ١٩٩٩ ميلادية .... »

إلى ما وراء القمر

محمد مؤذن

بقلم : محمد لبيب البوهى

جمع السيد باندا بهاترا ثروة من أعماله التجارية يحسده عليها أكثر أهل الارض ، حتى أن الصحف العالمية رشحته بما يشبه الاجماع للحصول على لقب أغنى انسان اكتسب مالا عام ١٩٩٩ .

وكان السيد باندا بهاترا ينتشي زهوا ويتيه فخارا بأمواله المكدسة وكان يمشي على الارض مختالا كالطاووس يضرب الارض بقدميه كأنما يود أن يقول لها تيهى أيتها الغبراء بى لأنني أغنى من تحملين من بنى البشر ، وكان يكثر من اقامة المآدب والحفلات ويريق فيها الخمر أنهـارا ويتخذ حاشـية مـن الرفاق يضحك منهم ويسخر حين يراهم يتخبطون من الخمر كمن أصيبوا بالمس وهو يقول لهم انتشوا بما قدمت لكم من ملذات ونعم ، لقد جعلت لكم من قصرى جنة فيها كل الطيبات .

هذا هو السيد باندا بهاترا ... ولكن شيئا واحدا كان ينغص عليه حياته ذلك أن أجمل نساء بلاده السيدة كمالا رفضت يده حين أراد أن يتخذ منها زوجة .

وعندما جاءه صاحبه الصديق الأثير عاموش بهذا النبأ الذى لم يكن يتوقعه فقد صوابه واضطربت أوصاله فقد كان يظن أن أية امرأة فى الدنيا لا ترد أبدا يد باندا بهاترا أغنى أغنياء الرجال .

وذهب الى المرآة وراح يتأمل صورته فأدرك أن المرآة تريد أن تقول له : انك جميل بلا ريب ، بل أنت أكثر الرجال وسامة ورشاقة بغير منازع ، ثم أرسل

الى والد السيدة كمالا يخبره بأنه سيمهرها بمثل وزنها ذهبا ولكن السيدة كمالا ابتسمت وقالت لأبيها :

حتى ولو مهرني بملء الارض ذهبا فلن اتزوج هذا الرجل ...

واشتد الغيظ بالسيد باندا وخيل اليه أن هناك من يسخر منه ويضحك ، وأنه يرى الشماتة فى عيون الساخرين ، فقرر أن يقوم بشيء يعجزون عنه جميعا ويرفعه الى مرتبة البطولة فى عين السيدة كمالا ، وذلك أن يقوم برحلة الى مـا وراء القمـر .

واستدعى صاحبه عاموش وقال له : أريد أن تتصل باحدى الشركات التي تدبر أمر السفر فى سفن الفضاء الى ما وراء القمر .

فأضطرب عاموش ظهرا لبطن وقال وكان رجلا باذنه بعض الثقل فى السمع . أتريد يا سيدى أن تسافر الى القمر ؟ .

فصرخ فى وجهه . قلت ما وراء القمر - ان الرحلات الى القمر أصبحت فى متناول عامة الناس .. أريد شيئا ما يزال حلما بالنسـبة اليهم .. شيئا يجعلهم يتحدثون عني كبطل فما كان يليق أن تسخر مني امرأة أو يشمت بي أحد ، وفكر قليلا ثم قال رتب أمر سفري الى كوكب الزهرة يا عاموش .

فقال عاموش : الطريق الى الفضـاء أصبح مفتوحـا مألوفا الى القمر والمريخ .. أما الزهرة يا سيدى .. الزهرة .. فما يزال أمر السفر اليها خطيرا .

فتبسم باندا وقال من أجل هذا أريدها ، يجب ان أكون أحد القلائل الذين استطاعوا أن يصلوا الى هذا المكان ولو كلفني ذلك كل ثروتي . فاذهب واعد للأمر عدته .

وأخـذ السيد عاموش يدرس تكاليف الرحلة حتى وجد أنها تستنفذ نصف ما جمع باندا طوال حياته من مال ، وكان يظن أن ذلك سيثنى صاحبه عن عزمه ، وأنه سيرفض انفاق هذا المال الكثير فى رحلة لا ضرورة لها .

ولكن العجب أخذ من عاموش كل مأخذ حين قال له باندا اعد العدة على الفور للسفر فانني ابغى من وراء ذلك أن يصبح اسمى على كل لسان وأكتسب بذلك اعجاب السيدة كمالا وسيكون نصف ما يتبقى لي من ثروتي قادرا على اسعادها مدى الحياة . انني أتصور كيف سيكون الامر حين أعود من رحلتي العلوية ان السيدة كمالا ستدرك أنه كان يمكنها أن تفخر بي من زمن بعيد ، فان البطولة جزء من شخصيتي وسترى أنها أضاعت الاعوام الماضية هباء فى هباء .

وتم اعداد العدة وانطلق الصاروخ يحمل فى فوهته كرة كبيرة من الصلب تشبه جوزة الهند الكبيرة يقبع فى داخلها السيد باندا بهاترا فى تمـام وقاره واعجابه بنفسه فى طريقه الى رحلة الفضاء فيما وراء القمر يبغى الشهرة التي ستصك اسماع السيدة كمالا أجمل نساء الارض فتسعى اليه حين يعود وترحب به ويومها قد يشمخ بأنفه ويتيه دلالا ويتمنع وهو الراغب حتى يدعها تتعذب فترة من الزمن أمام أعظم أهل الدنيا شجاعة وبطوله ثم فى النهاية يلين أمامها ويرضى .

كانت هذه الآمال تراوده زهاء خمسة وعشرين يوما قطعها الصاروخ حتى لامست سفينة الفضاء أرض الزهرة فى اليوم السادس والعشرين .

فى ذلك الوقت من عام ١٩٩٩ ، كان العلماء قد انتهوا من بحث كل أساليب الحياة على كواكب القمر والمريخ . وكان الاجتهاد على أشده فى دراسة الحياة على الزهرة وكان باندا بلا ريب من أوائل الرواد فى هذا المجال .

وأخذت الصحف فى أقطار الارض تنشر على صفحاتها الاولى تاريخ حياة باندا وتنشر ما يتلقاه عاموش عن طريق الاتصال اللاسلكي من صاحبه عن وصف الحياة فى ذلك الكوكب البعيد وكان الناس يتلهفون على المزيد من أخباره ويتذاكرون فى اعجاب أمر بطولته .

اما السيدة كمالا فانها لما سمعت بالامر اخذت تضرب كفا بكف وهي تتساءل ما الحكمة من وراء هذا .. ؟ ما الحكمة فى أن يتجول رجل فى أعماق الفضاء وهو لم يعرف عن الارض التى يعيش عليها عشر معشار ما عليها من بقاع؟. ما الحكمة فى أن يسعى الى أهل القمر وسكان المريخ والملأ الذى هناك فى الزهرة وهو لم يتعرف بفضل أو معروف الى أهله هنا وقومه ؟ .

هذه هي الاسئلة التي كانت ترددها السيدة كمالا ولكن أحدا لم يلق اليها بجواب .

وعلمت سيدة كوكب الزهرة أن مخلوقا من أهل الارض هبط على بطحاء كوكبها فتوجهت الى علماء كوكبها تسألهم ما هي الارض التي جاء منها هذا المخلوق ؟ فقال لها كبير العلماء وقد أعطاها منظارا كبيرا وأشار لها الى الافق البعيد .. انظرى يا سيدتي هناك فى الافق البعيد نقطة فى مثل حجم عقلة الأصبع ، هذه هي الارض التي جاء منها هذا الرجل كما نراها نحن من هنا ، قالت سيدة كوكب الزهرة انه ضعيف على كل حال ، فأقيموا لمقدمه حفلا وائتوني به .

واقيم فى قصر سيدة الكوكب حفل كبير لتكريم ذلك الانسان الوافد من الارض وقالت السيدة لكبير العلماء اقرأ لي ما يدور فى عقل هذا البطل الارضي .

قال كبير العلماء انه يفكر فى سيدة اسمها كمالا ، قالت السيدة لكبير العلماء خذ من تفكيره مقرها ومكان وجودها وصوب عليها الاشعة السابعة وخبرني عما يدور فى خلدها .

فصوب كبير علماء كوكب الزهرة الشعاع السابع الى عقل السيدة كمالا على الارض ثم عاد يقول :

سيدتي انها تقول شيئا عجيبا .. تفضلي انت فأسمعي ما تقوله السيدة كمالا . وتحدثت سيدة كوكب الزهرة الى عقل السيدة كمالا بأشعتها السابعة . ماذا ترين فى شأن البطل القادم من عندكم أيتها السيدة كمالا ؟ فقالت السيدة كمالا :

أحمق .. يظن أنه يكسب مودتي بهذه الحماقة ، كيف يسعى الى أهل الكواكب وقد كان هنا على الارض يتنكر لاهلها فلم يقدم الى أحد فضلا ولم يسع الى قومه بمعروف .. هنا يا سيدة الفضاء قوم جياع ماذا فعل من أجلهم ذلك الذى يبدد ثروته فى رحلة خرافية ، سليه يا سيدتي هل زار هنا على الارض الاماكن التي يحتاج أهلها الى العون والقوت والمساعدة ؟ .

وعجبت سيدة الزهرة من أمر هذا الانسان الذى يتجشم كل هذا العناء قبل أن يتعرف على قومه وبلاده وسألته قائلة : هل عرفت الارض أيهـا القادم منها ؟ فقال باندا فى زهو : اعلمي يا سيدتي ان تجارتي قد امتدت مـن شرق الارض الى غربها .

قالت سيدة الكوكب فى غضب : انما فعلت ذلك لتجني أموالا طائلة فماذا صنعت بالمال الذى جمعت ؟ فضحك باندا حتى كاد يستلقى ثم أجاب : عجبا .. أتسألين ماذا صنعت بالمال ؟ . بالمال استطعت أن أصنع هذه الرحلة . وأشارت سيدة الزهرة الى القرص الدائر فى الافق البعيد فى حجم عقلة أصبع اليد وقالت : هذه هي الارض وسأطلب الى كبير العلماء أن يكشف لك بالشعاع السابع المكبر عن جزء منها لنرى بعض قومك وأهلك هناك ، وأشارت الى كبير العلماء فسلط شعاعه السابع على جزء فى أطراف الارض وقالت لباندا انظر ماذا ترى ؟ قال وهو يحد النظر فى المنظار المكبر وقد سلطت عليه الاشعة السابعة . هي منطقة هناك فى أقصى الارض أهلها حفاة عراة يبحثون عن شيء فى الارض . انهم يبحثون عن الطعام فلا يجدونه ولذلك فهم يتساقطون أفرادا وجماعات ضـعفا واعياء وكان باندا ينظر اليهم فى غير تأثر وهو يقول :

انهم فقراء لا يجدون مالا يشترون به الطعام .

قالت سيدة الكوكب البعيد : بمالك أنت أيها السيد كنت تستطيع انقاذ الملايين منهم . كنت تستطيع أن تعينهم على عمل يعملونه فيكسبون رزقهم ، كنت تستطيع أن تغزو قلوبهم قبل أن تغزو قلب الفضاء ، هل تسمع أيها الهارب من الارض المغمض العينين عن النظر الى قومه المصاب بالوقر فى أذنه عن سماع صيحاتهم ؟ .

وعضت سيدة الزهرة على شفتيها حتى كادت من الغيظ تدميهما ثم قالت : استمع الى ما تقوله السيدة كمالا وأشارت الى كبير العلماء فصوب الى كمالا شعاعه السابع فأخذ باندا يقرأ ما يجول فى خلدها كانت تردد فى نفسها : ازداد قلبي بعدا ونفورا من هذا الرجل ، ولو أنه انفق هذا المال فى عمل انساني هنا على الارض لاستطعت أن افتح له قلبي .. لا .. لن يكون الانسان انســانا بغير قلب يتسع للآخرين .

وعجب باندا مما سمع وأخذه الندم والهم وقالت سيدة كوكب الزهرة لمن حولها : ألقوا به الى الارض ليبدأ من جديد وليجرب كيف يصبح انســانا يشارك قومه فى البأساء والضراء .

ويمد اليهم يد العون قبل أن يتجول بهذه اللعبة السخيفة فى الفضــاء البعيد ويطير بها من كوكب الى كوكب ، عليهم قبل كل شيء ان يتوادوا ويتحابوا قبل أن يحملوا الينا جراثيم التفرق والنفور والعداء .. هيا ألقوا به الى الارض ومعه لعبته السخيفة .

وأسرع باندا الى صاروخه وطار هابطا الى الارض ليبدأ فيها حياة جديدة يريد أن يكسب قلب السيدة كمالا وضحكت سيدة كوكب الزهرة وهي تتابعه بشعاعها السابع وقالت أفلح ان صدق .

وفى عصرنا هذا يدرس فى جامعة القرويين (٣٤٥١) طالبا ، وقد تخرجت منها شخصيات مغربية بارزة منها السيد علال الفاسي زعيم حزب الاستقلال المغربي .

الدار البيضاء :

وقمنا بزيارة لمدينة الدار البيضاء ورافقنا فى هذه الزيارة وزير الصحة المغربي وسعادة الاستاذ عبد الله حسين سفير الكويت فى المغرب ، وهي مدينة جميلة كأنها قطعة من أوروبا فى قلب المغرب على المحيط الاطلسى . وهي مركز التجارة فى المملكة المغربية ومن الدار البيضاء توجهنا الى مدينة مراكش التي يطلق عليها مراكش الحمراء وذلك كما علمت لانه يغلب على بيوتها اللون الاحمر، وهي مدينة عريقة على أبواب الصحراء يكثر فيها النخيل ، وفيها سوق عام شاهدت فيها بعض رجال القبائل يأتون ليعرضوا بعض العابهم لتسلية المشاهدين من الاهالي والسياح ، وبعض رجال القبائل يؤدون رقصة جبلية بلباسهم الوطني . وبعضهم يرقص رقصة الافاعي بخفة ورشاقة .وفى هذه المدينة تصنع المصنوعات الجلدية القوية وبعض الصناعات المغربية التقليدية .

والغريب أنك اذا غادرت مراكش الى جبال اطلس فانك بعد مسيرة حوالى عشرين كيلو مترا تشاهد الجبال الخضراء المكسوة أعاليها بالثلوج وتشاهد المياه الغزيرة والمزروعات الكثيرة .

ولا يفوتنى ان أشير الى الجهود التي تقوم بها وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية المغربية فى الميدان الروحي من اصلاح وترميم المساجد سواء فى كبريات المدن أو فى القرى والبوادى وشيدت مساجد جديدة فى عدد من الاماكن التي تفتقر لها فى الاحياء الجديدة التى كان يسكنها الاوروبيون والتى كانت فى عهد الاستعمار تحتوى على الكنائس ، ولا يوجد فيها مسجد يذكر فيه اسم الله . وكذلك أعادت الوزارة النظر فى اساليب الوعظ والارشاد فزودت المساجد بوعاظ ومرشدين يتوفرون على الكفاءة فى العلوم الدينية ، ووظفت بعض الوعاظ المتنقلين ، وأسندت لآخرين مهمة القاء دروس وعظية فى السجون لانتشال المقترفين للجنح والجرائم من وهدة الغواية والضلال . وتشرف الوزارة على تنظيم محاضرات دينية اذاعية يقوم بكتابتها والقائها أكبر علماء المغرب،وأحيت الوزارة المدارس القديمة ببادية المغرب فصارت تضم المئات من الطلبة يتلقون فيها القرآن الكريم بالقراءات السبع والعلوم الدينية والعربية . والوزارة لا تألو جهدا فى تنميتها حتى تعم جميع انحاء المملكة ، كما تقوم بطبع المخطوطات القيمة التي دبجها جهابذة العلم المغاربة والتي لم يسبق طبعها ،وبهذا تسهم الوزارة فى بعث التراث العلمي الاسلامي .

وتقوم الوزارة كما شاهدت فى جولاتي المتعددة لمختلف مدن المغرب ببناء الدور والعمارات وغيرها من الاملاك ذات الدخول ، وتستعمل لتمويل هذه المشاريع ما لديها من ثمن الاملاك الحبيسة التي قل او تعذر نفعها . والغرض من هذه التنمية الحفاظ على ادارة المحبسين كما تقتضي ذلك النصوص الشرعية والضوابط الحبسية ومواجهة الالتزامات والمصاريف التي تكثر بكيفية مطردة نظرا لتكاثر المساجد والزيادة فى أجور الموظفين الدينيين. وكذلك تستصلح الاراضي الموقوفة حيث تصبح موردا هاما لا يستهان به لرفع مستوى دخل الاوقاف .

وفى الميدان الاجتماعي تقوم الوزارة بتخفيف وطأة الفقر والحرمان عن آلاف الموظفين الدينيين وتوزع الاعانات على المعوزين وتحافظ على التراث الفني المغربي الاصيل .

مجلة الوعي الاسلامي :

وفى ختام انطباعاتي هذه أنقل للقراء آراء بعض من قابلتهم مع سعادة الوزير من الشخصيات الرسمية بالمغرب حول مجلة الوعي الاسلامي فلقد أبدى معالي الدكتور العربي الشريبي وزير الصحة ومرافق سعادة الوزير خلال زيارته ، اعجابه الشديد بالمستوى المشرف الذى وصلت اليه المجلة وكذلك معالي الوزير احمد بركاش وزير الاوقاف والشؤون الاسلامية الذى أبدى ارتياحه واعجابه الشديدين بمستوى مجلة الوعي الاسلامي واثنى على جهود القائمين عليها . وطلب أعدادا كثيرة من المجلة حتى يطلع عليها أكبر عدد من المواطنين المغاربة .

الفتاوى

صندوق التنمية

السؤال : ـ

هل الفوائد التي يحصلها الصندوق الكويتي للتنمية العربية حلال أم حرام . وما هي الاسانيد . وما رأي المرحوم الشيخ شلتوت فى هذا ؟

الاجابة : ـ

صندوق التنمية فى اقراضه للدول المحتاجة الى قرض لاستخدامه فى مشروعاتهـــا بفائدة يعتبر كأي مصرف أو فرد يقرض الافراد أو الهيئات مالا يستخدم فى تنمية مشروعاتهم أو قضاء مصالحهم نظير فائدة ..

وكل قرض من هذا النوع ياخذ عنه المقرض ـ فردا أو هيئة أو مصرفا ـ فائدة نظير اعانته للمقترض يدخل فى باب الربا المحرم لانه مال ياتي عن طريق استغلال حاجة المحتاج « وهو أن تأخذ نظير اعانتك لاخيك مالا أو شيئا ماديا » ، والمفروض انك تعينه وتفرج ضيقه وتساعده بمقتضى الاخوة منتظرا الجزاء من الله .

ومن المعروف أن المقترض ينتفع بما يقترضه ، وقد يكسب منه مالا ، فالقول بأن المقترض انتفع فلماذا لا ينتفع المقرض كذلك . ليس فى حساب الاسلام .

واذا ارادا ان ينتفعا سويا فليكن ذلك عن طريق التعاون أو التجارة مثلا . واحد براس ماله وواحد بجهده وعمله ، ويقتسمان الناتج بالنسبة التي يحددانها ، كما يتحملان معا الخسارة ان وجدت .

قد يقال ان هذا الصندوق أو البنك مثلا فيه موظفون يتقاضون مرتبات ، وعليه مصاريف ، فهل يدفع هذه المرتبات والمصاريف من رأس المال ، أو يأخذها من المقترضين ؟

وهنا نقول : لا مانع حين نحسب ميزانية مصاريف البنك من موظفين وخلافه أن توزع هذه المصاريف على المال المستغل ، ويتحمل كل مقترض لمبلغ ما يخص مبلغه من هذه المصاريف ، وحينئذ يبقى رأس المال محفوظا فى الوقت الذى لم تستغل فيه حاجة المحتاج .

والحرمة فى الفائدة تقع على المقرض والمقترض سويا . اللهم الا اذا كان المقترض مضطرا اضطرارا بينا للقرض ، فحينئذ يباح له ما يباح للمضطر فى الاسلام .. والضرورة تقدر بقدرها ، فالاسلام مثلا أباح للمضطر اذا تعرض للموت جوعا أن يأكل الميتة ـ وهي محرمة عليه ـ ولكنه اشترط ألا يأكل المضطر فى هذه الحالة ما يزيد عن حاجته الضرورية . فلحم الخنزير حرام فاذا اضطر انسان لاكله لدفع شبح الموت جوعا فلا يصح له أن يبالغ فى الاكل منه ، والقرآن هو الذى ضبط هذه الحالة « فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا اثم عليه . »

والفرد هو الذي يقدر حالة الضرورة عنده . كما أن المختصين فى الدولة هم الذين يقدرون حـالة الضرورة فيها . وهذه قاعدة عامة فى تناول المحرمات فى حال الضرورات « الضرورات تبيح المحظورات » « والضرورات تقدر بقدرها » يعني تؤخذ على قدر الضرورة ..

والفقهاء قديما وحديثا لم يختلفوا فى هذه الحالة اعني حالة الضرورة التي ترفع الاثم عن المقترض ولا ترفعه طبعا عن المقرض . اما اذا لم توجد ضرورة ملحة فالاثم على الطرفين معا .

(يمكن مراجعة فتاوى الشيخ شلتوت فى هذا ص ٣٢٥ وما بعدها الطبعة الاولى) .

وليس له رأي يخالف هـذا الرأي فى هذا الموضوع ...

العادة السرية

السؤال : ـ

لاحظت على صديق لي صفرة فى وجهـــه وهزالا فى جسمه ، فسألته عن ذلك فأجاب بأنه يمارس العادة السرية لعدم استطاعته الزواج ، وقد أفتاه بذلك أحد الناس فهل يجوز شرعا ممارسة هذه العادة .

الاجابة : ـ

العادة السرية (الاستمناء باليد) عادة قبيحة ضارة يلجأ اليها بعض الشباب نتيجة الفراغ والمثيرات ، وعدم القدرة على الزواج .

ولقد نهى الاسلام عن هذه العادة المرذولة ، وأمر من لا يجد القدرة على الزواج بالاستعفاف والصبر حتى يجد القدرة على ذلك فقال تعالى « وليستعفف الذين لا يجدون نكاحا حتى يغنيهم الله من فضله » وبين النبي صلى الله عليه وسلم العلاج بقوله فيما رواه ابن مسعود (يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة (تكاليف الزواج) فليتزوج ، فانه أغض للبصر ، وأحصن للفرج ، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فانه له وجاء) اى وقاية .

وقد ذهب جمهور الائمة الى تحريم الاستمناء باليد ، واستدلوا على التحريم بقول الله تعالـى (والذين هم لفروجهم حافظون الا على أزواجهم أو ما ملكت ايمانهم فانهم غير ملومين فمن ابتغى وراء ذلك فاولئك هم العادون) اى الكاملون فى العدوان ، والاستمناء باليد يندرج فى قوله (وراء ذلك) كما استدلوا بقول الرسول صلى الله عليه وسلم (سبعة لا ينظر الله اليهم : الناكح يده والفاعـل والمفعول به) الخ أسنده الديلمي عن أنس وعن ابن عمر رضي الله عنهما ، وبأحاديث أخرى لا يتسـع المقام لذكرها .

وأما ما ذكره السائل من أن بعض العلماء قد أباح الاستمناء باليد للضرورة فهذا قول مرجوح علما بان الضرر الصحي الناجم عن هذه العادة المرذولة محقق .

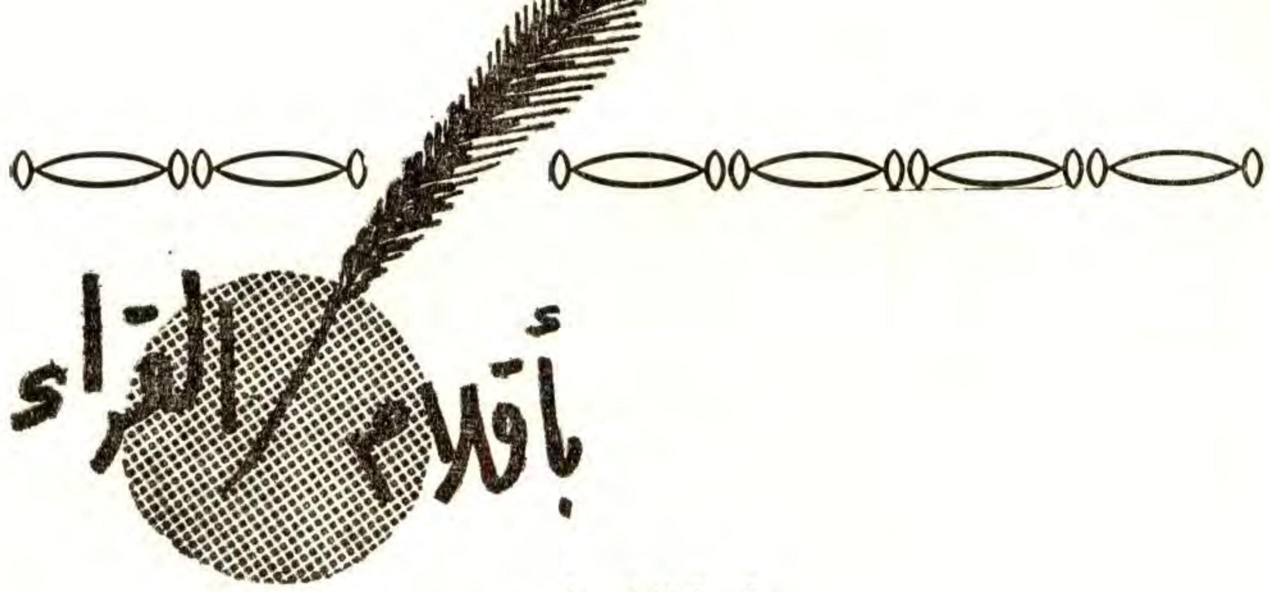
وقد عرضنا السؤال على الدكتور سالم نجم أخصائي الامراض الباطنية والبحوث الطبية بالمستشفى الاميرى بالكويت فاجاب عنه بما يلي : ـ

« هذه العادة مرض من أمراض الانحراف الجنسي ، يلجأ اليها عادة المراهقون من الجنسين ، لاشباع رغبة جنسية منحرفة . وهي عادة ضارة وخاصة اذا مارسها الشاب فى صورة متكررة ، وحينئذ تؤدى الى الاضرار التالية » :

ينتابه احتقان بالغدد التناسلية وخاصة البروستاتا ، وربما نتج عن ذلك التهاب مزمن بها من جراء تكرار الممارسة . أما اذا استحكمت العادة فهي بلا شك سوف تؤثر على العلاقة الزوجية فيما بعد ، فان الممارس لن يصل الى الاشباع الجنسي الا بطريقته الخاصة ، مما ينذر بانهيار بيت الزوجية وفساده وفساد أولاده .

والشاب الذى يمارس العادة مريض بمرض نفسي ، منطو على نفسه ، لا يهتم بمأكل ولا بعمل ، هذا بالاضافة الى ما يبذله من جهد يتركه ضعيف البنية ، خائر القوى فاقد الثقة بنفسه ، وهو لا يفكر بطريقة سليمة وانما يحلق فى الخيال . ذهنه مشتت لا يقوى على التركيز فى عمله أو دراسته مما يعرضه الى فشل محقق .

لهذا كله ننصح كل من يرتكب هذا الفعل أن يبتعد عنه حتى لا يقع تحت الاثم المبين فيما ذكرنا من وسنة وحتى لا يتعرض فى حياته لهذه الاخطار الصحية .



ايها الشباب

تحت هذا العنوان كتب الاخ زياد عودة عبد القادر من الزرقا بالأردن يقول :

اننى لا اكاد اصدق ما يدور حولى من احداث وما يعرض امامى من صور ومناظر . اننى لا اكاد اعى شيئا مما ارى او اسمع . هل نحن نعيش فى اوروبا ؟ لا .. لا .. اننا نعيش هنا فوق ارض عربية طاهرة ، ثراها ممزوج بدماء أجدادنا الابطال الذين دافعوا عن كل شبر فيها ضد الطامعين ، وموقدى الفتن ، ولكنى أرى ان المجتمع الاوروبي قد انتقل الى هنا بكل ما فيه من عادات وتقاليد .. بكل ما فيه من وسائل اللهو والعبث ، انتقل الى هنا كأسهل ما يكون الانتقال ، وأيسر ما يمكن بواسطة شرذمة من أصحاب التفكير الضيق والمنطق الاعوج .. فانا لا أعرف على مر العصور متى كان العرب مقلدين ، أو عالة على أمم العالم .

ان معظم شبابنا المثقف لا يعرف عنعروبته الا النزر القليل .. ويكاد لا يعرف شيئا عن رجال الاسلام وعلماء العرب ، ولكن اسأله عن رجال الغرب ، عن أحد عظماء أوروبا فانه سيجيبك وبكل فخر واعتزاز عن قصة حياته : متى ولد .. وأين عاش . ومتى توفى ويتابع حديثه قائلا : هؤلاء هم الذين صنعوا الحضارة .. هؤلاء هم الذين أضاءوا الدروب امام البشرية ، وهؤلاء هم قادة الدنيا وهذا عربى يسيء الى عروبته من حيث لا يدرى ولا يعلم .. يطعن بنى قومه ويتهمهم بالرجعية وعدم التقدم فى ركب المدنية ..

مساكين هؤلاء الشباب .. الشباب التائه فى بهرجة الحياة الضائع فى لجة الغيب لا يعرف اين مكانه ، ولا يدرى اين مركزه فى هذه الدنيا ، وانى لأتساءل : ما هى أوروبا التى تقدسونها ؟ انكم تقدسون جسدا بلا روح ، تقدسون انسانية ميتة وشرفا مفقودا . هذه هي اوروبا التي كانت الى زمن قريب فى ارذل حال وأحط حياة . بل كانت أوروبا تتخبط فى دياجير الجهل والظلام أيام كان العرب فى عز مجدهم وعظيم مركزهم يوم كانوا متشبثين بدينهم لا يحيدون عنه قيد شعرة . وأوروبا هذه التي تقدسونها . متى أطلت على الدنيا ؟ متى ولدت ومن كان وراء ولادة الحضارة الحديثة فيها ؟ لا تعجب اذا قلت لك : انه الاسلام هذا الدين الحنيف والرسالة السماوية العظيمة التى اهملناها اليوم عن جهل وطيش وغرور ، فلولا الاسلام لما قامت هذه الحضارة التي نرى قطوفها دانية اليوم .

ولولا علماء الاسلام لما استطاع عالم اوروبى ان يتقدم خطوة واحدة فى مضمار العلوم . لقد مهد الاسلام لبناء الحضارة الحديثة على ايد غير اسلامية ولكن كيف حصل هذا الاختلاف وكيف وقع مثل هذا التناقض ؟

والجواب بسيط : لقد ادرك العلماء الغربيون قيمة الكتب العلمية التى وضعها اجدادنا العرب فى الطب والرياضيات والفلك والفلسفة ومختلف العلوم ، فانكبوا على دراستها اذ رأوا فيها خيرا واملا ونورا لازدهار الحضارة فى العالم .

فمن العرب ايضا من حاول ان يطير ومن العرب من صنع المدفع ومن العرب من صنع الساعة والسفينة الى جانب نتاجهم الفكرى والادبى الغزير .

اجل ! لقد قدم أجدادنا الاولون لهذا العالم خدمات جليلة ، ويأتي شبابنا اليوم ليشوهوا الواقع ، ويطمسوا الحقيقة بقولهم الخاطىء : ان اوروبا هى صانعة الحضارة لا غيرها . فالاجدر بهؤلاء الشبان ان ارادوا النجاح حقا فى الحياة ان يتبعوا خطى اجدادهم العرب ، ويسيروا على نهجهم ، وان ينكبوا على دراسة الكتب التى وضعها علماؤنا الاجلاء لاحياء التراث الفكرى والعلمى المهمل فما رأى شبابنا ؟

اقبال شاعر وفيلسوف اسلامى

وبعث الينا الاستاذ عبد المنعم ابراهيم البحقيرى من نوسا الغيط ج.ع.م بكلمة تناول فيها حياة الفيلسوف الاسلامى العظيم محمد اقبال بمناسبة الاحتفال بذكراه نقتطف منها ما يلى : ـ

« نشأ اقبال مطبوعا على حب الخير ، داعيا للمحبة ناشرا لتعاليم دينه محذرا من الفرقة والانقسام مبينا كيف كانت الفرقة السبب الاول لضعف المسلمين وهو هنا يوجه حديثه الى العرب قائلا :

أسفا على الخمود والجمود ايها العرب الا ترون الى الأمم الاخرى كيف تقدمت وسبقت ؟ أما أيتم فما قدرتم قدر هذه الصحراء التى نشأتم بها وهذه الحرية التى ورثتموها .. كنتم امة واحدة امة الاسلام فصرتم اليوم امما وكنتم حزبا واحدا حزب الله فأصبحتم احزابا لقد فرقتم جمعكم ومزقتم شملكم .

وآمن اقبال بالاخوة الاسلامية ولم يوجه دعوته لبني قومه وعشيرته فلقد آمن بأن كل عشيرته هم هؤلاء الذين يؤمنون بالله ويؤمنون بالخير ويؤمنون بالانسانية ، ويؤمن كذلك بأن العالم كله وطن للمسلم « ان المسلم كالشمس اذا غربت فى جهة طلعت فى جهة اخرى والمسلم الربانى ليس بشرقى ولا غربى ليس وطنى دلهى ولا اصفهان ولا سمرقند انما وطنى العالم كله » .

آمن اقبال بالدين وبأثره الفعال فى توجيه حياة الفرد والجماعة على السواء وفى هذا يقول « ان الدين فى أعلى صوره ليس أحكاما جامدة وكهنوتية ولا اذكارا ، ولا يتيسر الا بالدين تهيئة الانسان المعاصر لحمل العبء الثقيل الذى يحمله اياه تقدم العلوم فى عصرنا ، والدين وحده يرد اليه الايمـــان والثقة اللذين ييسران له اكتساب شخصية فى هذه الدنيا والاحتفاظ بها فى الآخرة ولا بد للانسان من الارتقاء الى تصور جديد لماضيه ومستقبله ليستطيع التغلب على المجتمع المتنافر المتصادم ويقهر هذه المدنية التى فقدت وحدتها الروحية بالتصادم الباطنى بين الدين والمطامع السياسية .

ويكفينا من محمد اقبال نظرته الى الدين الاسلامى على انه دين مفتوح وان رسالته اقرار للحرية ونشر للعدالة والمحبة بين المواطنين ـ فلا طبقات ولا محسوبية ولا الوان واجناس بل الكل اخوة .

وبين غاية الاسلام وهدفه فقال « ليست غاية الاسلام محصورة فى الواردات الذاتية التى تجعل المرء بمعزل عما حوله من الاشياء وعمن حوله من الناس بل بناء للتربية التى تجعل الفرد صالحا لان يكون منه ومن غيره مجتمع صالح ـ فان العصبيات التى تدعو الى البغضاء والتنفير وضيعة مهينة ليس لها فى الاسلام وجود » . ونادى اقبال بتأسيس المجتمع على التقوى والمحبة . وتربية الفرد على الاستقلال والعزة. ودعا الى حضارة شرقية نابعة من وحينا وواقعنا ، حضارة قوامها الله والروح ، وعاب الحضارة الغربية التى عمادها الانسان والمادة .

ويقول اقبال موجها حديثه الى الغرب ستقتل حضارتكم نفسها بخنجرها ـ لا يثبت العش على غصن رطيب ضعيف مضطرب ؟ .

ورأى اقبال فى المادية الغربية اسبابا لشقاء الحياة لانها تغاضت عن القيم وتخلت عن الروحانية فانتشر الانحلال الاخلاقى ومن هنا ظهرت المعسكرات المختلفة والقوميات المتنافرة التى حاربها اقبال ودعانا الى البعد عنها بقوله « ان بريق المدنية الخاضرة يبهر الانظار ولكنه بريق صناعى لاصداف مزيفة ـ وما العلم الذى يفاخر به رجال الغرب الا سيف معركة فى قبضة جشع مخضبة بالدماء » .

وانهى الكاتب كلمته عن اقبال فقال :

لم اقص هنا قصة حياة هذا الفيلسوف الاسلامى ..

بل قدمت اقبال الذى حز فى نفسه نوم الشرق فى سبات عميق ..

قدمت اقبال الذى كره مادية الغرب البعيدة عن الروح ..

قدمت اقبال الذى رأى فى اوروبا اكبر عائق فى سبيل الرقى الاخلاقى ، لان مثاليتها لم تكن ابدا من العوامل الحية المؤثرة فى جهودها ، ولهـذا انتجت ذاتا ضـالة اخذت تبحث عـن نفسها بين ديمقراطيات لا تعرف التسامح وكل همها استغلال الفقير لصالح الغنى .

قدمت اقبال الذى نشأه والداه تنشئة دينية وربياه على معرفة بدينه متحليا بأخلاق نبيه .. وعاش لم تبهره حضارة الغرب ولم تستهوه مغريات اوروبا فيقول « لم يستطع بريق العلوم الغربية ان يبهر لبي ويعشى بصرى . ولقد مكثت فى اتون التعليم الغربي وخرجت كما خرج ابراهيم من نار نمرود .

تحية لاقبال . وتحية لذكراه العطرة . وسلام عليه .. يوم ولد .. ويوم مات ويوم يبعث حيا .



حائرة

عرضت على والدتي أن تزوجني من ابن صديقتها . تنفيذا لاتفاق تم بينهما ونحن فى سن الطفولة ، فاعتذرت لها بلطف ، وتعللت بأني راغبة عن الزواج في هذه السن المبكرة ، فأصرت ، وصممت ، لتفرح بي ، فصارحتها بأني لا أشعر بعاطفة نحو هذا الشاب ، فغضبت وثارت ومضت في تنفيذ خطتها ، فأنا يا سيدى حائرة بين حبي لأمي التي عوضتني بحنانها عن فقد أبي ، وبين احساس بالكراهية الشديدة تجاه هذا الزوج المزعوم ، ولا يمكن بحال من الأحوال أن أخضع لمشيئتها ، ولو كلفني هذا حياتي .. فماذا أصنع .

س.ع — بيروت

أنت معي يا آنستي فى أن والدتك تسعي لاسعادك ، وتعمل لتأمين مستقبلك عن طريق الزواج . وأنت معي في أنها لا تدخر وسعا في اختيار الشاب الكفء الذى تنعمين بالاقتران به ، ورضاك عامل أساسي فى بناء عش الزوجية الدافىء الذى تتطلع اليه كل فتاة ، ولا اكراه في الزواج كما أنه لا اكراه في الدين ، وخير البيوت ما بنى على الحب الصادق البرىء من النزق والطيش ، فلا تندفعي في تيار عاطفة الكراهية ، وحاولى ان تقنعى والدتك بوجهة نظرك واستعينى على ذلك بمجلس العائلة الذى احب الناس اليك وأحناهم عليك ، وعن طريقه يمكن الوصول الى الحل الحاسم فى هذه المشكلة التي تشيع في كثير من الاسر التي تعيش بعيدة عن الثقافة الاسلامية الرشيدة ، وأضع تحت أنظار مجلس العائلة قول الله عز وجل « ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة » وما روى من أن فتاة جاءت الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت : ان أبي زوجنى ابن أخيه ليرفع بى خسيسته ، فجعل الرسول الخيار للفتاة في امضاء الزواج أو فسخه ،فقالت : قد أجزت ما صنع أبى ، ولكنى أردت أن أعلم النساء أن الآباء ليس لهم من الأمر شيء ......

ردود قصيرة

السيد الاستاذ أمجد الزهاوى — رئيس رابطة العلماء في العراق .

قضية ابليس التىتصدى للدفاع عنه فيها أحد جنوده منشياطين الانس قضية خاسرة قضى فيها قضاءه العدل أحكم الحاكمين قبل أن يكون للبشرية ظل على الارض « قال فاخرج منها فانك رجيم ، وان عليكاللعنة الى يوم الدين » وصرف الطاقة فى الرد على محامي ابليس مضيعة للوقت في غير طائل ، واستنفاد للجهد دون ضرورة « ولا يستخفنك الذين لا يوقنون » .

الاخ محمد سلمان الدركزلي ـ الاعظمية ـ العراق .

نحن معك في وجوب عرض الاسلام في رسائل قصيرة . واضحة الاسلوب . شائقة العرض . وطلبك المزيد من الرسال على نمط رسالتي الصيام والحج اللتين اصدرتهما المجلة موضع التقدير والاهتمام ، ونعدك بالتنفيذ كلما واتتنا الفرصة .

السيد حسين عولقي ـ الخساف ـ عدن .

الثمن المحدد لبيع المجلة في أى مكان أقل كثيرا من نفقات صدورها. المكتبية والطباعية والتوزيعية ، وذلك لتأمين وصولها الى كافة القراء من جميع الطبقات ، والموزعون الذين يستغلون رغبة القراء أسوأ استغلال فيبيعونها بأكثر من ثمنها المقرر انما يصدون عن سبيل الله ، ويأكلون سحتا حراما ، ويؤسفنا أن هذه الشكوى وردت الينا من جهات متعددة ، وقد كتبنا الى شركة التوزيع للتنبيه على وكلائها بذلك، ونرجو أن يستجيبوا لذلك .

الاخ م. ـ الكويت

لم أكد أصدق عيني وانا اقرأ رسالتك ، لخطورة ما تضمنته من اتهام اقرب الناس اليك وأحبهم الى قلبك في عرضه وشرفه . كيف تشك في نسبك الى أبيك وهذا وهم لا أساس له من الحقيقة . انك لم تكن شيئا مذكورا في هذا الوقت ، فكيف تقطع وتجزم بما خيل اليك ، لتهدأ نفسك وليطمئن قلبك ، واستعذ بالله من الشيطان الرجيم .

الشريف عبد الله أحمد البيتي ـ تنجانيقا ـ كوباء .

بارك الله جهودك وجهادك في نشر دينه في بلادك ،،ومن أجل اخواننا المسلمين في افريقية وفي كل مكان نعمل ، ونكافح، واقتراحك ترجمة بعض موضوعات المجلة الى الانجليزية التي يفهمها المسلمون في وطنك اقتراح عملي مفيد . سيتحقق في القريب العاجل ـ ان شاء الله ، فالى أن يتم ذلك نتمنى لك الانتصار في اسمى المعارك واشرفها ، معركة العقيدة والتوحيد ، « والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وان الله لمع المحسنين » .

السيد ز.ص.ب الكويت

القرار الذى اتخذه مجلس العموم البريطايى باعتبار الشذوذ الجنسى عملا مشروعا للبالغين وتمت الموافقة عليه بأغلبية ١٦٤ صوتا ، ضد ١٠٧ أصوات ، وما استقبل به هذا القرار من ترحيب الجالسين في شرفة الزوار في المجلس ـ صورة صادقة لما انحدر اليه المجتمع البريطاني في هذا العصر من شذوذ وفساد وانحلال ، وليس بعجيب على عصر الخنافس وبلد الخنافس أن يهبط مستواها العقلي الى هذا الدرك الاسفل ، وان عصر الفوضى الجنسية الذى يبيح للانسان أن يضاجع اى انسان هو نتيجة حتمية للمجتمع الذى يستسيغ ان تعيش الزوجة أمينة او غير أمينة وأن مجتمعا يحدد نمط حياته وسلوكه على هذا النحو الشاذ مجتمع يتعجل مصيره ويسرع الى فنائه .

السيد مسلم من الاردن

هذا الرجل الذى يتردد على المرأة الاجنبية آثم شرعا ، وهذه السيدة التي تسمح له بالدخول عليها أثناء سفر زوجها لتامين حاجاتها آثمة أيضا وتذمر هذا الرجل من همس الناس وشكهم في غير موضعه لانه عرض نفسه للقيل والقال ومن وقف مواقف التهم اتهم ولا اجر له .

أمل .. بعد الدموع

نشرت صحيفة السياسة الكويتية تحت هذا العنوان تقول :

ليس يسيرا ان تصاب امة ، وهى تعبر اخطر مراحلها المصيرية ، بأحد قادتها المخلصين الذين اعطوها من دمهم ونور اعينهم ، ما يخلد اسماءهم فى شغاف قلوب ابنائها الى الابد الابيد .

ولقد كانت محنة الامة العربية والاسلامية ـ ولا نقول محنة العراق فحسب ـ بعبد السلام محمد عارف ، اجل من ان تطفىء نار أحزانها دمعة ، او تبلسم جرحها الناغر مسحة من دواء ، فلقد استطاع عبد السلام عارف ، بشخصيته كقائد وصوفيته كانسان ، ان يرتفع فوق خصومات كثيرة ، وظروف عقيمة معقدة ، من اجل ان يصنع للعراق الشقيق فجرا عربيا مسلما ، لا زيف فيه ولا مين ..

مهما يكن فقد شاء القدر الصادع ان يطوى صفحة هذا الرجل المؤمن ، فاذا بغيابه عن ساحة المعركة يبدو كما لو كان امتحانا عسيرا للشعب العراقى ، ومدى اصالته وقدرته على ان يقف صفا واحدا أمام كل الظروف والتيارات المتربصة به ، تنتظر الفرصة المواتية للانقضاض على طمأنينته ، ومكاسبه ، وكرامته .

لكن مما يدعو للاعجاب حقا ، ان دموع الشعب العراقي المسلم على رئيسه الراحل ، لم تحجب عنه رؤية الاشياء التى تتحرك فى الظلام ، ولم تشغله لحظة واحدة عن الانتباه لوحدته الوطنية ، خشية ان تتسلل الى صفوفها المتراصة يد عابثة باغية ، تحقد على العرب والاسلام . فاذا بالشعب الشقيق ،يضرب أروع الامثال على وعيه ووحدته فى الملمات والنوازل ، واذا به يجتاز اللحظات الحرجة الدامعة ، بقلب صبور صامد ، ثم يواصل سيره الحثيث من جديد ، فى طرائق الكرامة والعزة والاكتفاء الذاتي ما سحا عن جفونه قطرات الدمع النازفة حزنا والما على الرئيس الراحل الشهيد .

ولكم غمر البشر قلوب العرب والمسلمين ، فى كل صقع وربع ، وهم يسمعون نبأ انتخاب شقيق الرئيس الراحل ، ليكون خليفته ومكمل رسالته التى بدأها فى العراق الشقيق .

عقوبة الاعدام بين الابقاء والالغاء

وكتب الاستاذ محمد التابعى فى صحيفة اخبار اليوم تحت هذا العنوان كلمة قال فيها :

« منذ أعوام قليلة قامت مناقشة على صفحات الصحف حول عقوبة الأعدام وهل نلغيها ، ام نبقى عليها . وناديت يومئذ مع من نادوا بالغائها ، ولكنى اعترف اليوم بأننى كنت مخطئا فى رأيى . وبعد فان القتل انفى للقتل ومن قتل لا بد ان يقتل ..

واليوم تثار نفس المشكلة فى عدة اقطار اجنبية .

فى شهر نوفمبر الماضى الغيت عقوبة الاعدام فى انجلترا وكان من نتائج الالغاء ان كثرت جرائم القتل العمد .. ومن ذلك ان رجال الشرطة كثيرا ما كانوا يجدون فتيات صغيرات قد اعتدى عليهن اعتداء جنسيا ثم خنقن بعد ذلك ، وتركت جثثهن ملقاة فى غابة أو فى خندق تحت شجرة على قارعة الطريق .

كما ان حوادث اطلاق النار على رجال الشرطة ازدادت ..

وذات مرة سطا بعض اللصوص على دكان للمجوهرات فى شارع رئيسى ، وعندما طاردهم رجال البوليس اطلق اللصوص عليهم النار من مدفع رشاش وقتلوا منهم اثنين .

وقامت ضجة كبيرة وتحول الرأى العام . وبعد ان كان رجل الشارع فى بريطانيا يحبذ الغاء عقوبة الاعدام بحجة انها العقوبة الوحيدة التى لا يمكن رفعها اذا تبين فيما بعد انها كانت ظالمة وفى غير موضعها .. تحول الرأى العام وقامت المظاهرات فى مدن كثيرة فى انجلترا وسار المتظاهرون الى دور الحكومة وقدموا عرائض قد وقع عليها عشرات الالوف من الاهالى يطالبون باعادة عقوبة الاعدام .

وقد بدأ هذا التحول وهذه المظاهرات فى شهر يناير من العام الحالى اى بعد شهرين اثنين من الفاء عقوبة الاعدام » .

(الوعى) الرجوع الى الحق فضيلة ، والحق احق ان يتبع ، وليس بعد حكم الله حق وعدل ، قال تعالى « ولكم فى القصاص حياة » وسيظل العالم كله فى حيرة وقلق ما لم ينزل على حكم الله « أليس الله بأحكم الحاكمين » .

التحركات اليهودية

وتناولت نشرة شعبة فلسطين التى تصدرها وزارة الارشاد والانباء بالكويت هذا الموضوع فقالت :

« شهد هذا العام تحركات يهودية ، على مستوى كبار المسئولين فى دولة العصابات ، لم تشهد الاعوام التى سبقت مثيلا لها ..

هذا التحرك الكبير .. وعلى هذا المستوى من المسئولية والتنوع لا يعنى سوى تنفيذ التخطيطات اليهودية الجديدة ، التى طالما تحدث عنها ايبان ، العقل المفكر للسلطة اليهودية فى كتاباته ، وغيره من المسئولين اليهود .

انها تعنى تمتين الروابط بين (اسرائيل) ودول الغرب التى احتضنت هذه الاداة الاستعمارية منذ قيامها .. ومدها بالتالى بالمزيد من المعونات الاقتصادية والعسكرية ، واخذ الضمانات لسلامتها .

انها تعنى العمل على الوصول الى تسوية للقضية الفلسطينية عن طريق فرضها من الدول الكبرى .

انها تعنى ايضا افتعال المعارك المسلحة على الحدود العربية ، واتخاذها وسيلة من وسائل الضغط .. انها تعنى الكثير .

ولا بد ان تجابه بتخطيط عربي واسع ، على مستوى دولى .. ان الزمن يمضى ، وهو يحمل معه المزيد من الدعم الاجنبى لدولة الاحتلال اليهودى ، والمزيد من التهديد للوجود العربى ، وهذا كله يتطلب العمل السريع الجاد قبل فوات الاوان .

لماذا نحن هنا

وكتبت مجلة الاضواء الاسلامية التى تصدر فى النجف الاشرف تحت هذا العنوان تقول :

لنتعلم كيف نصنع السلام فى عالم تسيطر عليه نوازع الدمار ، اننا هنا من أجل أن نعيش حياتنا فى ظلال محمد صلى الله عليه وسلم ونبدأ خطواتنا فى دروب محمد صلى الله عليه وسلم ، ونتجه بقلوبنا وارواحنا فى اتجاه رسالته وتعاليمه .

نحن هنا لنتعلم ونعى ، ونقرأ .

اننا بحاجة الى دراسة سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم من اجل هذا الانسان .. من اجل ان نجد فى حياة النبى صلى الله عليه وسلم الروح التى تحنو على الانسان فتريحه من متاعبه ، والوحى الذى يأخذ بعقله وفكره وضميره لينقذه من مشاكله ، ويضع على يديه الحل الصحيح لقضاياه .

يجب ان نبحث عن الواحة التى يستريح اليها انساننا انسان القرن العشرين .. فى صحراء حياته المجدبة القلقة الخالية من الروح .. واحة الايمان بالله .. بالقيم الروحية التى تنطلق من روح الله .

هذا الايمان الذى يعيد للنفس ثقتها بالحياة من خلال ثقتها بالله . ويجدد فى حياتها روح القوة والتفاؤل والعزيمة من خلال اتصالها بالله . ويوجهها نحو مستقبل مشرق واضح الاهداف والمعالم من خلال انطلاقها مع رسالة الله .

تلك هى رسالة الاسلام .. وذلك هو محمد صلى الله عليه وسلم فلننظر ماذا بقى لنا من الاسلام .. وماذا بقى لنا من محمد وماذا بقى لنا من قرآنه .

اخبار العالم الإسلامي

الكويت

*** قام سمو أمير البلاد برحلة الى امارات الخليج العربي وصحب سموه فى هذه الرحلة بعض السادة الوزراء وكبار المسئولين .**

*** ألقى سعادة الشيخ جابر الاحمد رئيس مجلس الوزراء بيانا مستفيضا أمام مجلس الامة ، اتسم بالصراحة والعمق والحزم تناول فيه سعادته سياسة الحكومة الداخلية والخارجية ، وأكد فيه حتمية التعاون بين الحكومة والمجلس والرأى العام المستنير للنهوض بالبلاد التي تعتبر قوتها قوة للامة العربية بأسرها .**

* بحثت اللجنة الدائمة للمعونات الاسلامية فى اجتماعها الاخير طلبات المساعدة المقدمة من كل من اتحاد الطلبة المسلمين فى الولايات المتحدة وكندا واوروبا ، ومن هيئة العلماء فى لكهنو بالهند ، ومن لجنة تأسيس المدرسة الاسلامية فى البرازيل ، ومن المركز الاسلامي فى مونتريال ، ومن مؤسسة الدعوة الاسلامية فى سورابايا باندونيسيا .

كما نظرت اللجنة فى طلبات المعونة لتشييد بعض المدارس وكلية الدراسات الاسلامية فى بغداد ، ولبناء بيت اليتيم المسلم فى منطقة البقاع ، ومسجد محمد الامين فى لبنان . . .

وقد رفعت اللجنة توصياتها الى سعادة وزير الاوقاف والشؤون الاسلامية لاتخاذ القرارات اللازمة .

* ستفتح كليات العلوم والآداب والتربية بجامعة الكويت الجديدة أبوابها فى مستهل شهر أكتوبر القادم وينتظر أن يقبل بها أكثر من ثلاثمائة طالب .

* وافقت وزارة الارشاد والانباء على الاشتراك فى معرض الكتاب العربي الثاني عشر الذى سيقام فى بيروت .

* زار البلاد وفد الصداقة الصومالي برئاسةوزير الشئون الدينية،واستغرقت الزيارة خمسة أيام اطلع فيها على معالم النهضة فى البلاد .

القاهرة

* صدر قرار فى التلفزيون يمنع المذيعات ومقدمات البرامج من وضع«الباروكة» على رؤوسهن أثناء تقديمهن البرامج أو قراءة نشرات الاخبار . . كذلك منع الافراط فى التزين والتحلي بالمجوهرات . . مراعاة لما يجب أن تتسم به المذيعة أو المقدمة من البساطة . خصوصا أن المذيعات ومقدمات البرامج هن المثل الاعلى لكثير من الفتيات فى البيوت .

* افتتح الدكتور عبد القادر حاتم المركز الجديد للمعهد الاسلامي فى عاصمة اسبانيا .

❊ استقبل فضيلة الامام الاكبر الشيخ حسن مأمون شيخ الازهر وفد مسلمي سيلان برياسة الحاج محمد علي ابو الحسن رئيس مؤسسة الكلية العربية للبنات بسيلان وقد قرر الامام ايفاد مدرسين أزهريين للكلية وأهدى البعثة مصحفا شريفا .

❊ أدرجت وزارة الاوقاف مبلغ (١٧) ألف جنيه لاقامة مراكز لتدريب أئمة المساجد واعدادهم من الناحية العلمية والثقافية .

❊ أهدت وزارة الاوقاف مكتبة اسلامية الى وزارة الاوقاف بالمغرب ، تضم ثلاثة آلاف مجلد وعددا من اسطوانات تعليم الصلاة باللغتين العربية والفرنسية .

❊ وافق وزير التربية والتعليم على انشاء معهد عربي لتعليم اللغة العربية فى كوناكرى عاصمة غينيا . . .

❊ عاد السيد المهندس احمد عبده الشرباصى نائب رئيس الوزراء والشيخ احمد حسن الباقوري مدير جامعة الازهر من رحلتهما فى الهند التي استغرقت نحو عشرين يوما . وزيارتهما القادمة للكويت .

الجمهورية العراقية

❊ ألفت لجنة للاحتفال بذكرى الاربعين لوفاة الرئيس الراحل عبد السلام عارف ، ووجهت الدعوة الى الدول العربية والاسلامية واعلام الفكر والادب والصحافة فى العالم العربي للاشتراك فى هذا الاحتفال .

❊ اصدر الدكتور عبد الرحمن البزاز قرارا بالغاء أمر ابعاد بعض الشخصيات الكردية كانت الاقامة الجبرية قد فرضت عليهم فى لواء كربلاء .

❊ احتفل اخواننا الشيعة فى اليوم العاشر من المحرم بذكرى استشهاد الامام الحسين ، وحدث أثناء مسيرة أحد المواكب الى كربلاء حادث مؤسف أدى الى اختناق ٤٣ واصابة ((٤٩)) بجراح بسبب الزحام الشديد .

الجزائر

❊ سلم الرئيس الجزائرى دبلومات الى عدد من الفلسطينيين العرب وأبناء جنوب افريقيا الذين أتموا تدريبا عسكريا مدته عام فى الكلية العسكرية الجزائرية ، وقد ألقى بومدين كلمة بهذه المناسبة هاجم فيها اسرائيل وحكومة جنوب افريقيا وقال موجها كلامه للفلسطينيين : يجب أن تكونوا واثقين من النصر النهائي على الصهيونية التي ابتلى بها العالم العربي .

❊ تم الاتفاق بين الجزائر وتونس والمغرب على السماح لرعايا هذه الدول بدخولها والاقامة فيها دون الحاجة الى تصريح .

تركيا

❊ صرح وزير الخارجية التركية بأن الحكومة التركية الحالية تتجه الى ((تقليص)) علاقاتها مع اسرائيل وابقاء هذه العلاقات فى المجال العادى وبشكل لا يضر أو يؤثر على مصالح الدول العربية .

(الوعي) هذه خطوة والحق لا يتجزأ .

الاردن

❊ زار السيد / أحمد بركاش وزير الاوقاف والشئون الدينية المغربي البلاد ضمن جولته التي يقوم بها فى عدد من الدول العربية .

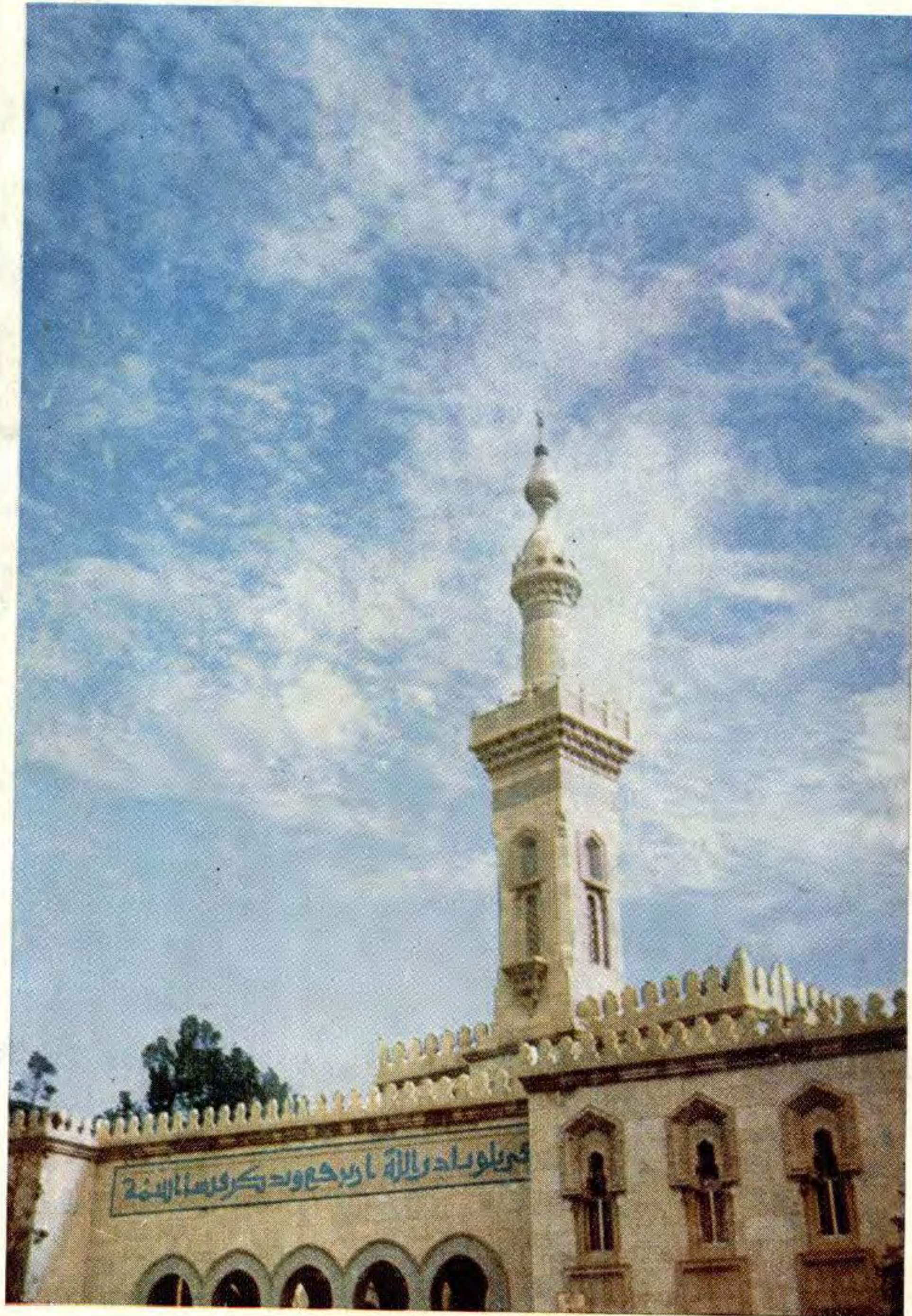
❊ كما زارها الاستاذ / علال الفاسى وألقى بعض المحاضرات .

اقرأ فى هذا العدد

الوعي الإسلامي

إسلامية ثقافية شهرية

العدد الخامس عشر – السنة الثانية – ربيع الاول ١٣٨٦هـ – ١٩ يونيو (حزيران) ١٩٦٦م





فى مسجد أم القيوين احدى الامارات بالخليج العربى حيث أدى حضرة صاحب السمو الشيخ صباح السالم الصباح أمير البلاد المعظم صـلاة الجمعة أثناء زيارته الاخيرة لامارات الخليج

الوعي الاسلامي

اسلامية ثقافية شهرية

العدد الخامس عشر • السنة الثانية
غرة ربيع الاول سنة ١٣٨٦هـ
١٩ يونيو ١٩٦٦ م

تصدرها وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية
بالكويت فى غرة كل شهر عربي

المجلة حرة ، والوزارة غير مسئولة عما
ينشر فيها من آراء

المشرف العام
عبد الرحمن المجحم

رئيس التحرير
عبد المنعم النمر

مدير التحرير
على عبد المنعم

سكرتير التحرير
رضوان البيلي

صورة الغلاف



مسجد المركز الاسلامي فى
واشنطون ـ الولايات المتحدة
(انظر الغلاف الاخير)

الثمن

الكويت	٥٠	فلسا
السعودية	١	ريال
العراق	٧٥	فلسا
الاردن	٥٠	فلسا
ليبيا	١٠	قروش
المغرب	١	درهم
الخليج العربي	١	روبية
اليمن وعدن	٧٥	فلسا
لبنان وسوريا	٥٠	قرشا
مصر والسودان	٤٠	مليما
تونس والجزائر	١٠٠	مليم

الاشتراك السنوى للهيآت فقط

فى الكويت ١ دينار
فى الخارج ٢ ديناران
(أو ما يعادلهما بالاسترليني)
أما الافراد فيشتركون رأسا
مع متعهد التوزيع كل فى قطره

عنوان المراسلات : مجلة الوعى الاسلامي ـ وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية الكويت ص . ب ١٣ ـ هاتف ٢٢٠٨٨

مبايعة ولي العهد

الشيخ جابر الأحمد الجابر الصباح

بايع مجلس الامة بالاجماع سمو الشيخ جابر الاحمد الجابر الصباح رئيس الوزراء بولاية العهد وذلك فى جلسته التاريخية الخاصة التى عقدها صباح يوم الثلاثاء ١١ صفر ١٣٨٦ هـ ـ ٣١ مايو ١٩٦٦ م وحضرها جميع الاعضاء .

وقد تمت هذه البيعة استجابة لتزكية حضرة صاحب السمو أمير البلاد المعظم واجماع الشيوخ الموقرين أعضاء الاسرة الحاكمة .

ثم صدر بعد ذلك الامر الاميرى الآتي :

((نحن صباح السالم الصباح ـ أمير الكويت ،

بعد الاطلاع على المادة ٤ من الدستور ،

وعلى القانون رقم ٤ لسنة ١٩٦٤ فى شأن احكام توارث الامارة ، ونظرا لما نعهده فى جابر الاحمد الجابر الصباح من صلاح وجدارة وكفاءة لولاية العهد .

وبناء على تزكيتنا له ومبايعته من مجلس الامة بجلسته الخاصة المنعقدة بتاريخ اليوم ،

أمرنا بالآتي : ـ

مادة أولى : يعين جابر الاحمد الجابر الصباح ولي عهد دولة الكويت .

مادة ثانية : يبلغ أمرنا هذا الى مجلس الامة ، وعلى مجلس الوزراء ابلاغه الى من يلزم تبليغه اليهم . ويعمل به من تاريخ صدوره ، وينشر فى الجريدة الرسمية)) .

أمير الكويت
صباح السالم الصباح

صدر بقصر السيف فى ١١ صفر ١٣٨٦ هـ
الموافـق : ٣١ مايو ـ أيار ١٩٦٦ م



سمو الشيخ جابر الاحمد الجابر ولي العهد ورئيس مجلس الوزراء اثناء حلفه اليمين الدستورية فى مجلس الامة بمناسبة مبايعته وليا للعهد وعلى يمينه أصحاب السعادة الوزراء..

وبين الفرحة الغامرة التى عمت أعضاء مجلس الامة بهذا الاختيار الموفق ، وتعليقاتهم التى عبروا فيها عما يتمتع به سمو ولى العهد من رصيد شعبى فى القلوب ، قام سموه وألقى أمام المجلس هذه الكلمة القيمة : —

فى هذه اللحظات التى تغمرني فيها الغبطة بتزكية حضرة صاحب السمو أميرنا المحبوب اياى وليا للعهد ، وبمبايعة اخوانى أعضاء مجلس الامة الموقر ، أشعر بمزيج من السعادة والمسؤولية معا ، فليس أسعد لانسان من أن يحظى فى وطنه بثقة عاهل الدولة ، وممثلي شعبها الكريم وبقدر الثقة تكون المسؤولية ، ويكون الاحساس بها ، ولهذا لا يسعنى الا أن أسأل المولى جل وعلا — وأنا أشكره على فضله — أن يمدنى بعون من عنده ، حتى أكون عند حسن الظن والثقة بي ، لأخدم وطني وأمتي العربية المجيدة ، راجيا أن أسجل من أعماق القلب فى هذه المناسبة شكرى الجزيل لحضرة صاحب السمو أميرنا المفدى ، ولمجلسكم الموقر مسترشدا بقوله تعالى ((وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون)) .

(والوعى الاسلامى) اذ تتقدم الى سمو أمير البلاد المعظم ، وسمو ولي عهده المحبوب ، والشعب الكويتى باصدق تهانيها — تسأل الله العلى القدير أن يجعل هذا العهد عهد يمن وخير وعز ونصر للعروبة والاسلام .

أخي القارئ

كان من أعز امنياتي فى الحياة أن أستقر ولو شهورا فى مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم وفى أرض القرآن والاخلاص البكر لله ورسوله ، والجهاد الحق فى سبيل عقيدته.. وأعيش فى الجو الروحى لهذه الذكريات أغسل نفسى من أوضارها، وأشحنها بطاقة روحية تكون لي خير زاد فى هذه الحياة التي انحنينا فيها أمام التيار المادى ، وأطعمها بمصل وقائي يحصنها ضد أوبئة النفس التي ملأت علينا الأجواء من حولنا ..

وحقق الله لي ـ بفضله ـ هذه الأمنية ، وعشت فى المدينة شهورا ، وكان من توفيق الله وارادته لي أن أقوم بتدريس تفسير القرآن الكريم فى معهدها العلمي .. فاذا فرغت من المعهد قضيت أكثر أوقاتى جالسا فى مكان أهل الصفة، أو ما نسميه الآن « دكة الأغوات » أعكف على قراءة القرآن وتدبر معانيه ، وأمامى قبر الرسول الذى أنزله الله عليه أتمثله عليه الصلاة والسلام فى كل آية ، وفى كل خطاب ، وفى كل حادثة يسجلها القرآن ...

كنت أشعر حينذاك بلذة تذكرني بقول احد العلماء « أننا فى لذة لو شعر بها أهل السلطان لقاتلونا عليها » .

كنت أحس معاني القرآن تتدفق جديدة وكأنها تنبض بالحياة .. وأقف طويلا عند الآيات التي تدافع عن الرسول أو تشهد له وتثني عليه ... أتأملها وأعيش فى جوها وأنا ساهم ، أنظر الى المقصورة التي تضم فى داخلها جسد ذلك الرسول الذى عاش فى حماية ربه وكنفه ، يحرسه ويعصمه من الناس . ثم أعيدها وأنا أتصور عبدا من عباد الله ، لا يدعه الله لنفسه ، بل يتولى الدفاع عنه ... ويرد السهام الموجهة اليه ..

فاذا تهور حاقد وشتمه ، وقال له : تبت يداك ، لا يتركه الله يرد عليه ، بل ينزل قرآنا خالدا يرد عليه ويقول : « تبت يدا أبى لهب وتب .. » .

وحين تتطاول عليه الألسنة تعيبه بأنه صار أبتر لا ولد له ، لا يرد صلى الله عليه وسلم عليهم ، ولا يرد أحد من أهله وصحبه ، ولكن الله هو الذى يرد ويدافع ، ويطمئن رسوله ، ويهدىء باله، ويشرح صدره، فقد أعطاه ما هو أعز من الولد، بل ماهو

أعظم من كل ما يملكه انسان ويفخر به فى هذه الحياة فيقول له ((انا اعطيناك الكوثر . فصل لربك وانحر . ان شانئك هو الابتر)) أى المقطوع المحروم من الخير والهداية .

وحين يتهمونه وينتقصونه بأنه ساحر وكاهن ومجنون يرد الله عليهم اتهامهم ، ولا يترك الأمر له يرد هذه التهمة عن نفسه ، بل يقول الله لهم تارة ((وما صاحبكم بمجنون)) ويوجه اليه الخطاب تارة أخرى يأمره أن يسير فى طريقه ، غير مبال بهم ولا بتهمهم ، فيقول له : ((فذكر فما أنت بنعمة ربك بكاهن ولا مجنون . أم يقولون شاعر نتربص به ريب المنون . قل تربصوا فاني معكم من المتربصين . أم تأمرهم أحلامهم بهذا بل هم قوم طاغون)) .

أقف طويلا عند هذا الدفاع وأمثاله فى القرآن ، وتستشعر نفسى العظمة التي لا تدانيها عظمة لعبد الله ومصطفاه .. يتهجم عليه خصومه فلا يرد هو هذا التهجم ، ويوجهون اليه الاتهامات فلا يرد هو عليهم ، ولا يرد أحد من أولاده ، ولا من أقاربه وصحابه ، ولكن الله مالك الملك القوى العزيـز هو الذى يتكفل بالـرد عنه ، ويعلن حمايته لرسوله ، وغيرته عليه ، ويسجل ذلك كله فى قرآن يتلى على مر الأجيال الى يوم القيامة ((والله يعصمك من الناس)) .

وتزداد نفسي احساسا بعظمة الرسول ، ويزداد ايماني به وحبي له عمقا ويقينا ، وأنا اقرأ ثناء الله عليه وتزكيته له وهو يناديه : ((يا أيها النبي انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا . وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا)) وانظر أمامى الى القبر الذى يضم البشير النذير ، والسراج المنير . وأقول ما أعظمك يا رسول الله يا حبيبه ومصطفاه .. وما أعلى منزلتك وأقربك الى ربك .. ان الله مالك الملك الذى يحيط بكل شيء علما ، هو الذى يثني عليك ويقول ــ وقوله الحق ــ انك السراج المنير .. فهل بعد ثنائه عليك ثناء ..

ان الانسان منا لتنفتح أوداجه ويتيه زهوا وغرورا ، حين يسمع كلمة ثناء عليه من انسان مثله ، قد يكون الدافع اليها نفاق أو حاجة ، وقد يعلم الانسان زيف هــذا الثناء ، ولكنه مع ذلك ينتفخ ويزهو ..

أما هنا فان الله هو الذى يثنى على عبده ورسوله .. ويصفه بأنه السراج المنير الرحمة للعالمين ، وعلى خلق عظيم ، وبالمؤمنين رءوف رحيم . ويزداد عطفه عليه وحبه وتقديره له حين يقول فى كتابه ((من يطع الرسول فقد أطاع الله)) ((وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا)) ((قل ان كنتم تحبون الله فاتبعون يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم)) .

فماذا نقول نحن ، وما وزن ما نقول بعد أن قال الله سبحانه :

((وأرسلناك للناس رسولا وكفى بالله شهيدا)) .

رئيس التحرير

مَا فرّطنا في الكتاب من شيءٍ

للدكتور محمد احمد الغمراوى
عميد كلية الصيدلة بجامعة الرياض سابقا

الأستاذ الكبير محمد احمد الغمراوى من علمائنا المعدودين الذين وضعوا كل مواهبهم العلمية فى خدمة القرآن وتعميق القيم والمبادىء الاسلامية فى النفوس ، وقد رغبنا أن يكتب لقراء « الوعي الاسلامي » فكتب هذا البحث التحليلي حول آية يطرقها المتحدثون كثيرا ويذهبون مذاهب شتى فى فهمها ثم هو لا يترك الموضوع بعد أن دلل على ما اختاره من رأى دون أن يقرر المبادىء التي يجب أن يلتزمها كل باحث فى القرآن . وهو بهذا يفتتح لقاء جديدا نأمل أن يستمر بينه وبين قراء « الوعي الاسلامي » بعد أن تلاقى الكثير منهم معه فى كبريات المجلات الاسلامية والادبية .

(الوعي الاسلامي)

هل الكتاب هنا القرآن أو اللوح المحفوظ ؟

مقاييس الفهم للآيات الكونيّة

معنى « الكتاب »

كلمات كريمة من الآية الثامنة والثلاثين من سورة الأنعام اختلف المفسرون فى تفسيرها .

اختلفوا فى الكتاب ما هو ؟ فمنهم من فسره باللوح المحفوظ كالزمخشرى ، ومنهم من فسره بالقرآن كأبى حيان . وفسره ابو مسلم والأصبهاني بالأجل المكتوب فيما ذكر الألوسي وحكى السيد رشيد رضا تفسيره بالعلم الالهى المشبه بالكتاب من ناحية الثبوت وذلك فى تفسير المنار .

أما تفسيره بالأجل المكتوب فسياق الآية يأباه كما قال الألوسي فى تفسيره روح المعاني . والآية الكريمة هي « وما من دابة فى الأرض ولا طائر يطير بجناحيه الا أمم أمثالكم . ما فرطنا فى الكتاب من شيء ثم الى ربهم يحشرون » .

ومن الواضح أن لا مناسبة بين كون الدواب والطيور أمما كالناس وبين نفى التقصير فى تحديد آجالها .

وأما تفسير « الكتاب » بالعلم الالهى لأنه يشبهه من ناحية الثبوت فمردود لأمرين يجل العلم الالهي عنهما : أن الكتاب ـ أى كتاب ـ قابل للانتقاص والمحو ، وأن الكتاب ـ أىّ كتاب ـ محدود متناه ، والعلم الالهى لا نهائي فهو غير محدود ، وكل كتاب مهما اتسع هو بالنسبة اليه متضائل مفقود .

أما تفسير الكتاب باللوح المحفوظ أو القرآن فبكل ورد لفظ (الكتاب) فى القرآن الكريم ، فبمعنى اللوح المحفوظ ورد لفظ الكتاب فى الآية (٣٧) من سورة الأعراف . « فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو كذب بآياته ، أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب حتى اذا جاءتهم رسلنا يتوفونهم قالوا أين ما كنتم تدعون من دون الله ، قالوا ضلوا عنا ، وشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين » .

وبمعنى القرآن الكريم ورد لفظ الكتاب فى الآية (٤٨) من سورة المائدة : « وانزلنا اليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه » الآية .

ما فرطنا
فى الكتاب
من شيء

ومن الواضح أن الكتاب فى الموطن الأول من الآية الثانية هو القرآن ، وفى الموطن الثاني هو ما قبل القرآن من الكتب المنزلة كالتوراة والانجيل اللذين سبق ذكرهما فى الآيات الأربع التي جاءت قبل هذه الآية . فأداة التعريف فى الموطن الأول للعهد ، وفى الموطن الثاني للجنس ، فهذا مثال للجناس التام فى القرآن لم يذكره علماء البيان اذ هم لم يحصوا من الجناس التام فى القرآن الا مثالين ذكرهما صاحب الاتقان فى علوم القرآن ، أحدهما فى سورة الروم والثاني فى سورة النور .

لكن ورود لفظ الكتاب بمعنى القرآن أغلب وأكثر من وروده بمعنى اللوح المحفوظ ، خصوصا فى أوائل السور المفتتحة بالأحرف المقطعة .

فبمعنى القرآن ورد لفظ الكتاب فى أول سورة البقرة : « الم . ذلك الكتاب لا ريب فيه ، هدى للمتقين » .

وفى أول سورة آل عمران « الم . الله لا اله الا هو الحي القيوم . نزل عليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه » الآيات .

وفى أول سورة يونس « الر . تلك آيات الكتاب الحكيم أكان للناس عجبا أن أوحينا الى رجل منهم » الآيات .

وفى أول سورة يوسف « الر . تلك آيات الكتاب المبين . انا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون » .

وفى أول سورة الرعد « المر . تلك آيات الكتاب والذى أنزل اليك من ربك الحق ولكن أكثر الناس لا يؤمنون » .

وفى أول سورة الحجر (الر . تلك آيات الكتاب وقرآن مبين . ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين » .

وفى أول سورة الكهف « الحمد لله الذى أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا » .

وفى أول سورة الشعراء « طسم . تلك آيات الكتاب المبين . لعلك باخع نفسك الا يكونوا مؤمنين » .

وفى أول سورة القصص « طسم . تلك آيات الكتاب المبين . نتلو عليك من نبأ موسى وفرعون بالحق لقوم يؤمنون» .

وفى أول سورة لقمان « الم . تلك آيات الكتاب الحكيم . هدى ورحمة للمحسنين » الآيات .

وفى أول سورة الزمر « تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم . انا انزلنا اليك الكتاب بالحق فاعبد الله مخلصا له الدين » . الآيات .

وفى أول سورة غافر « حم . تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم . غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذى الطول لا اله الا هو اليه المصير » .

وفى أول سورة الزخرف « حم . والكتاب المبين . انا جعلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون . وانه فى أمّ الكتاب لدينا لعلى حكيم » .

واللوح المحفوظ هو أم الكتاب . والتفريق فى التسمية بينه وبين القرآن فى هذه الآيات الكريمة له وزنه فى ترجيح أن يكون الكتاب فى قوله تعالى « ما فرطنا فى الكتاب من شيء » هو القرآن الكريم لا اللوح المحفوظ . وتزداد كفة الترجيح وزنا بورود (الكتاب) بمعنى (القرآن) فى أوائل السور الباقية من آل حا ميم — سور الدخان والجاثية والأحقاف .

هذا الرجحان يترقى الى درجة اليقين اذا تأملنا السياق ، لا فى الآية الكريمة وحدها كما يفعل أكثر المفسرين ، ولكن

فيها موصولة على الأقل بالآية قبلها والآية بعدها ، أى فى الآيات ٣٧ ، ٣٨ ، ٣٩ من سورة الأنعام « وقالوا لولا نزلّ عليه آية من ربه ، قل ان الله قادر على أن ينزل آية ، ولكن أكثرهم لا يعلمون .

وما من دابة فى الأرض ولا طائر يطير بجناحيه الا أمم أمثالكم ، ما فرطنا فى الكتاب من شيء ، ثم الى ربهم يحشرون . والذين كذبوا بآياتنا صمٌ وبكم فى الظلمات ، من يشأ الله يضلله ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم » .

فأولى هذه الآيات الثلاث تفيد أن المشركين كانوا يلحون على النبي صلى الله عليه وسلم أن يأتيهم بآية أى معجزة حسية كمعجزات موسى وعيسى ، ويأبى الله عليهم ذلك للسبب الذى ذكر فى آية سابقة من نفس السورة « ولو نزلنا عليك كتابا فى قرطاس فلمسوه بأيديهم لقال الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين » .

وذلك بعد أن كذب منهم بمعجزة انشقاق القمر من شاهدها، وقالوا سحر مستمر، فأهلكوا فى بدر وقبل بدر ، وبعد أن كان سائرهم قد كذب بالاسراء بعد أن قامت عليه الأدلة البينة بما وصف النبي من بيت المقدس لما طلبوا منه وصفه امتحانا واختبارا ولم يكن زاره قبل ، وبما ذكر لهم من أمر العبر التي شاهدها فى طريقه أثناء الاسراء ، ومن بعير كان ند من أهلها وتفرقوا فى طلبه ، وبما أخبر من مقدم العير ومن وقت قدومها ، والهيئة التي ستكون عليها عند القدوم ، وقد رأوا بأعينهم صدقه فى ما أخبر به عن مقدم العير ، وسمعوا بآذانهم تصديق اهل العير له فيما أخبر عنها قبل القدوم . فلو كان المشركون يقنعهم الدليل الواضح لصدقوا بعد هذا كله بخبر الاسراء ، واذن لآمنوا به صلى الله عليه وسلم ، ولكفوا انفسهم المطالبة بما طالبوا به من آيات لو أجيبوا الى بعضها ولم يؤمنوا لأهلكهم الله طبقا لسنته فى الأمم التي كذبت قبلهم أنبياءها برغم ما شاهدوا من معجزات أجراها الله لهم .

لكن الله كان قد ادخر اكثر قريش لنشر دينه ، وادخر لهم الايمان بعد الفتح فتح مكة ، فكان من رحمته بهم أن أبى عليهم الآية التي طلبوا ، وكان من حكمته أن دلهم من آياته فى الخلق على ما من شأنه أن يهدي اليه سبحانه كل من يعقل ويفكر . منهم ومن غيرهم « وما من دابة فى الارض ولا طائر يطير بجناحيه الا أمم أمثالكم » . وضمير الخطاب فى قوله تعالى (أمثالكم) خطاب لكل أمة يبلغها القرآن فى كل عصر . فهو فى العصر الذى نزل الوحي بالآية الكريمة خطاب للمشركين الذين قالوا « لولا نزل عليه آية من ربه » ففي الآيتين معا التفات عجيب من الغيبة الى الخطاب : بعد أن حكي عنهم ما قالوا على وجه التعجيب منهم ، التفت اليهم ينبئهم بآية بل آيات له فى الخلق أعظم وأبقى مما طلبوا :

ان كل نوع فى الأرض من الدواب أمة مثلهم لها سننها فى الفطرة ، ونظامها فى المعيشة ، وان كل نوع من الطيور أمة مثلهم كذلك . فالذى خلق الدواب والطيور أمما أمثالهم هو الاله الذى تجب عبادته لا ما كانوا يعبدون ولا ما كان يعبد سواهم من غير المؤمنين . فما حاجتهم وهذه آياته سبحانه فى الخلق ، يبصرون بعضها فيما حولهم من الصحراء ، وعليهم أن يفقهوا سائرها ـ ماحاجتهم بعد ذلك الى أن يسألوا الرسول دليلا من الله غيرها أى معجزة يشاهدونها يسيرا ثم تزول ، واذا لم يؤمنوا بها هلكوا ؟ ومن المفيد أن نتذكر أن سورة القمر نزلت قبل الاسراء ، وأن سورة الاسراء نزلت قبل الأنعام .

ان الطريق الى الله هو تفهم آياته فى خلقه من مثل ما نبهت اليه الآية الكريمة وآيات أخرى مثلها فى سورة الأنعام

وفى غيرها من سور القرآن . بل ان القرآن قد أحاط بالخليقة كلها وبآيات الله فيها « ما فرطنا فى الكتاب من شيء » فاذا لم يسمع الناس ولم يستجيبوا الى القرآن وقد بلغهم فسيحشرون الى ربهم يحاسبهم على ما كذبوا رغم ما بين لهم ودلهم عليه فى الخلق من آيات « ثم الى ربهم يحشرون » وضمير العاقل فى (ربهم) ينصرف أول ما ينصرف الى الذين نزلت فيهم الآية الكريمة ، اذ يطالبون رسول الله بآية تدل على الله الواحد ، وبين أيديهم فى الخلق آيات . وفى الاخبار عنهم بضمير الغائب بعد ضمير الخطاب فى قوله تعالى (امم امثالكم) مثل آخر من الالتفات المنطوى على الاعراض عنهم من الله سبحانه ، لما أعرضوا عن دلائله التى أظهرها ونبههم اليها ، وفيه ايذان لرسوله وللمؤمنين ان يعرضوا عن هؤلاء الذين « ان يروا آية يعرضوا » ، واذا نبهوا الى آية فى الخلق دائمة تغنى كل الاغناء عن الآية الزائلة التى طلبوا ، لم يفقهوا ، وتمسكوا بضلالهم الذى ورثوا . وفى قوله تعالى « ثم الى ربهم يحشرون » ما فيه من التهديد لهم ان هم تمادوا فى تعنتهم وعنادهم ، ومن التسلية للرسول وللمؤمنين ، حتى لا يهتموا لذلك الاعراض من المشركين الذين لا يريدون أن يسمعوا الحجة فكانوا صما ولا يأتون بحجة ولا ينطقون بحق فكانوا بكما ، ولا يقبلون الحق والهدى الذى جاء به الرسول ، واناره لهم القرآن مع ما أوتوا من العقول ، فهم فى الظلمات لا يريدون ان يخرجوا منها « والذين كذبوا بآياتنا صم وبكم فى الظلمات » فهؤلاء أضلهم الله لعنادهم واعراضهم ، والمؤمنون بالله وآياته التى أنزلها على رسوله انما هداهم الله ، لاقبالهم على آيات الله يتدبرونها ليفقهوها حتى فقهوا ، واستحقوا الهدى من الله « من يشأ الله يضلله ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم » .

فقد تبين اذن من سياق الآيات الثلاث ان الكتاب فى قوله تعالى « ما فرطنا فى الكتاب من شيء » هو القرآن كما قال ابو حيان فى تفسيره البحر المحيط . ويزيد ذلك وضوحا ان القرآن حين نزل كان مخاطبا به العرب ، مشركوهم قبل مؤمنيهم . ولم يكن المشركون يعرفون ما اللوح المحفوظ فيفهموه من كلمة الكتاب اذا سمعوا قوله تعالى « ما فرطنا فى الكتاب من شيء » وانما فهموا منها القرآن أول ما فهموا .

فكلمة الكتاب فى هذه الكلمات الكريمة اذن معناها : القرآن فى المكان الأول ، ثم يأتي اللوح المحفوظ معنى لها فى المكان الثاني ، كاحتمال يبرره ورود الكلمة بهذا المعنى فى القرآن الكريم ، كما فى آية الأعراف السابق ذكرها . ولا تخالف هناك فى المعنيين أن اجتمعا فى الآية ، لأن القرآن الكريم هو فى اللوح المحفوظ كما قال الله سبحانه فى سورة البروج « بل هو قرآن مجيد . فى لوح محفوظ » .

ان دلالة الكلمة القرآنية على معنيين غير متناقضين ولا يمنع مانع من صدقهما معا هو وجه آخر من وجوه اعجاز القرآن

لم يلتفت بعد اليه ، أو لم يوف حقه من التبيين . وهو ممكن فى القرآن غير ممكن فى غيره مــن كــلام الناس . فالناس فى العادة يقصدون فى كل عبارة من كلامهم معنى محدودا ان عجزوا عن بيانه رموا بالعي . أما القرآن فهو كلام الله الذى لو شاء لعبر عــن أحد المعنيين بما يدل عليه وحده . فاذا عبر بما يفيد أهــل اللغة أكثر من معنى ، كان كل معنى يدل عليه الكلم القرآني دلالة صحيحة هــو معنى مرادا لله ان لم يقم دليل على أنه غير مراد .

لكن التعبــير اللغوى فى قولــه تعالى « ما فرطنا فى الكتاب من شيء » يدل على الاستغراق عند مــن فسر الكتاب باللــوح المحفوظ ، فهو لغــة يدل على الاستغراق أيضا عند من فسر أو يفسر الكتاب بالقرآن . فما دام ظاهر التعبير العموم والاطلاق فانه لا يصح تخصيصه وتقييده الا اذا قام على ذلــك دليــل . ولا ينبغى أن يكون الدليل عجزنا نحــن عن تحقيق استغراق القــرآن لكل شيء ودلالته على كل شيء فى الفطرة ، فاننا ندرك اليوم باتساع الكشوف العلميــة معاني الآيات القرآنية المتعلقــة بفطــرة الكون ، لم يكن الأولــون يدركونهــا . .

وسياتي لا شك بعدنا من يدرك مــن معاني القرآن ما نعجز اليوم عن ادراكه مــا دامت علوم الفطــرة تــزداد رقيا واتساعا باطراد .

فلنحذر اليوم ان نسد على أنفســنا ابوابا من الهدى والعلم فتحها الله علينا فى القرآن بقوله تعالى « مــا فرطنــا فى الكتاب من شيء » تعقيبا على قولــه سبحانه « وما من دابة فى الأرض ولا طائر يطير بجناحيه الا أمم امثالكم » فى سورة لعلها اكثر سور القرآن تذكيرا بآيات الله فى الخلق ، وتنديدا بأولئك الذين يعمون عن هذه الآيات الباقية للدارسين على مر العصور ،ولا يقنعون الا بمعجزات لا تجيء ان جاءت الا لتزول .

مقياس الفهم للقرآن

وكما ينبغي أن نحذر أن نحمل على كتاب الله عجزنا وقصورنا ، فكذلــك ينبغي أن نحذر أن نحمل عليــه هوانا ، فنفسره بما نهوى ونريد غير متثبتين ولا مدققين كما فعل اخوان الصفا مثلا ومن لف لفهم حين حملوه على ما قبلوا مــن فلسفة اليونان ، من غير أن يقيموا على ما قبلوا منها البرهان .

ان كتاب الله لا تنقضي عجائبه كمــا ورد فى حديث ابن مسعود رضي اللــه عنه ، فاذا التمسنا عجائب القرآن التي لا تنقضي وجب علينا كي لا نضل عنها ، ان نتجنب الهوى والظن ، فان الهــوى يضل ، والظن لا يغني من الحق شيئا ، كما علمنا الله فى كتابه فى أكثر من موطن . ولنكن فى بحوثنا القرآنية أدق وأحرص على الدليل ان أمكن من أهل العلــم الطبيعي فى بحوثهم الطبيعية .



علينا أن نتأدب بما أدبنا الله بــه فى كتابه ، فهو سبحانه كما حذرنا من اتباع الهوى والظن ، حذرنا من التقليد لمجرد اكبارنا من نقلد ، كما يقلد بعضنا اليوم المستشرقين حتى فيما لا يفهمون مــن كتاب الله ، وحذرنا من ان نقفو ما ليس

لنا به علم ، كما أمرنا بالتثبت وطلب البرهان .

* * *

ان أناسا من المسلمين اليوم يحكمون فى القرآن فلسفة العصر ونظرياته ، كما حكم اخوانهم بالأمس فى القرآن فلسفة اليونان ، بدلا من أن يجعلوا القرآن كتاب الله هو الحكم ، ويصححوا به أغلاط الفلسفتين . لكن هذا باب وحده قد يعين الله على توفيته حقه من البحث . انما الممكن الآن هو التنبيه الى أمور يجب على الناظر فى القرآن المجيد أن يتذكرها ويعمل بمقتضاها ، كي يتجنب الخطأ فى فهم القرآن وتفسيره وتأويله عساه أن يهتدى الى بعض عجائبه .

ان القرآن عربي . فعلى الناظر فيه ان يلتزم معاني كلماته ، كما كان يفهمها العرب حين نزل بها الوحي ، وان يلتزم قواعد العربية من الناحيتين النحوية والبلاغية كما قعدها العلماء .

والقرآن حق لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه . فعلى الناظر فيه ألا يطابق الا بينه وبين ما ثبت أنه حق لا شك فيه . وهذا يخرج النظريات العلمية والنفسية . وما اليها من ميدان التطبيق ، اللهم الا أن تعرض تلك النظريات على القرآن مع الدقة فى الفهم والمطابقة ، فما وافقه منها كان القرآن لها ، وما خالفه منها كان القرآن شاهدا عليها بالبطلان .

والقرآن من عند الله . فمستحيل أن تتناقض آياته فيما بينها أو مع ما يثبت فى العلوم الكونية أنه حق فحقائق العلوم ويقينياتها ـ لا نظرياتها ـ هي التي تفسر بها الآيات الكونية فى القرآن . وكل فهم لآيات القرآن يؤدى الى تناقض بينها ، أو بينها وبين حق ثابت فى العلم ، هو فهم خطأ لا محالة ينبغي أن يجتنب وان اشتهر وسار بين الناس .

ثم بعد ذلك على الباحث عن معاني القرآن وعجائبه ان يتبع المنطق الصارم فى استنباطاته وعجائبه وتطبيقاته ، خصوصا فى المطابقة بين آياته وبين حقائق الفطرة كما ثبت فى علوم الفطرة أو العلوم الطبيعية كما يسميها الناس .

اما استتمام بحث قوله تعالى « ما فرطنا فى الكتاب من شيء » لننظر هل المطابقة تامة بين كتاب الله المقروء الذى هو القرآن ، وبين كتاب الله المشهود ، الذى هو الفطرة فذلك ما نرجو أن يوفق الله اليه فيما يأتي ان شاء الله .

الاستغناء

قال اعرابي لابنه : اياك ان تريق ماء وجهك عند من لا ماء فى وجهه .

وقيل لأعرابي : ما السقم الذى لا يبرأ ، والجرح الذى لا يندمل ؟

قال : حاجة الكريم الى اللئيم .

من هَدي السّنة

[١] محمّد رسول الله وخاتم النبيين

للشيخ علي عبد المنعم عبد الحميد
المستشار الثقافى لوزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ـ
« مثلى ومثل الانبياء من قبلى كمثل رجل بنى بنيانا فأحسنه وأجمله الا موضع لبنة من زاوية من زواياه فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ويقولون هلا وضعت هذه اللبنة ؛ قال فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين »
(رواه البخارى ومسلم) .

١ ـ الرسول الاعظم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، هو صفوة الله من خلقه ، ومصطفاه من عباده ، اختاره ربه ليحمل رسالته الى الناس كافة أبيضهم وأسودهم عربيهم وعجميهم « وما أرسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا ولكن أكثر الناس لا يعلمون »(١) بل تعدت رسالته الانس الى الجن فكلفوا أن يتبعوه ويطيعوه « واذ صرفنا اليك نفرا من الجن يستعمون القرآن فلما حضروه قالوا أنصتوا فلما قضى ولوا الى قومهم منذرين . قالوا يا قومنا انا سمعنا كتابا أنزل من بعد موسى مصدقا لما بين يديه يهدى الى الحق والى طريق مستقيم . يا قومنا أجيبوا داعى الله وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم ويجركم من عذاب اليم ، ومن لا يجب داعى الله فليس بمعجز فى الارض وليس له من دونه أولياء أولئك فى ضلال مبين » (٢) وأفرد الله تبارك وتعالى لهم سورة كاملة سميت (سورة الجن) بدئت بقول الله تعالى (قل أوحى الى انه استمع نفر من الجن فقالوا انا سمعنا قرآنا عجبا يهدى الى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا أحداً ..) .

٢ ـ وبشر برسول الله صلى الله عليه وسلم كل من سبقه من الانبياء والمرسلين ، وورد اسمه صريحا أحيانا وتلميحا أحيانا أخرى فى الكتب التي

(١) الآية ٢٨ من سورة سبأ .

(٢) الآيات ٢٩ ، ٣٠ ، ٣١ من الأحقاف .

أنزلت عليهم ، قال تعالى على لسان عيسي عليه السلام فى سورة الصف بالآية السابعة منها « واذ قال عيسى ابن مريم يا بنى اسرائيل انى رسول الله اليكم مصدقا لما بين يدى من التوراة ومبشرا برسول يأتي من بعدى اسمه احمد . . الآية) وقال تعالى « واذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أأقررتم وأخذتم على ذلكم اصرى قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين) ٨١ من آل عمران .

وورد بالانجيل ما شهد به عيسى عليه السلام اذ قال للحواريين (انا أذهب وسيأتي البار قليط روح الحق الذى لا يتكلم من قبل نفسه انما يقول كما يقال له وهو يشهد على وأنتم تشهدون لانكم معى من قبل الناس بالخطيئة وكل شيء أعده الله لكم يخبركم به » (١) . وترجمة البار قليط : (احمد) . وورد فى آخر التوراة (جاء الله تبارك وتعالى من سيناء وأشرف من ساعير واستبان واستعلن من جبال فاران وجاء عن يمينه ربوات القديسين) (٢) وتفسير هذا أن الله عز وجل أنزل التوراة على موسى عليه السلام فى طور سيناء ، وأنزل الانجيل على عيسى فى جبال ساعير وهي بالشام (٣) وأنزل القرآن على محمد صلى الله عليه وسلم فى جبال فاران وهي بلاد مكة . ومن ذلك أيضا قول الله عزل وجل لموسى عليه السلام (سأقيم لهم من اخوتهم مثلك أجعل كلامي على فمه ولا يتكلم الا بما آمره به) (٤) فمن اخوة بنى اسرائيل الا بنو اسماعيل ، ولو كان الله عز وجل يعنى أحدا منهم لقال : أقيم لكم نبيا منكم . ومن ذلك ايضا قول حبقوق المتنبيء فى زمن دانيال : (جاء الله من السماء والقديس من جبال فاران وامتلات السماء من تحميد أحمد وتقديسه ومسح الارض بيمينه وملك رقاب الامم) (٥) وقال ايضا (تضىء لنوره الارض وتحمل خيله فى البحر) فالى من ينحو هذا الكلام ، والى أين يذهب بهذا المعنى ؟ لئن ذهب به الى غير الذى تحمل خيله فى البحر ، وبدأ من جبال فاران أمره ، وغلب الارض ومسحها ، وملك رقاب الامم كلها لقد ترك الحق حينئذ واستهين به عن علم ويقين . (٦) .

٣ — بهذا الاسلوب الواضح البين ، والكلم الذى لا يقبل الجدل لبدوه وظهوره تتحدث كتب السماء عن رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم خاتم الانبياء والمرسلين ، ويؤيد ذلك ويقويه ، ويمكن له فى القلوب ويثبته قول الله فى محكم الفرقان العظيم « الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وان فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون » (٧) . قال القرطبي يروى عن عمر أنه قال لعبد الله بن سلام أتعرف محمدا كما تعرف ولدك هذا ؟ قال نعم وأكثر ، نزل الامين من السماء على الامين فى الارض بنعمته فعرفته . ولكن غلبة حب الدنيا وايثار العاجلة حمل القوم على التغيير والتبديل والانحراف عن الصراط المستقيم ، فحملوا تعاليم الله ولم يحملوها فاستحقوا ما وصفهم

(١) انجيل يوحنا فصل ١٤ آية ٢٦ .

(٢) سفر التثنية فصل ٣٣ آية ٢ ج ١ ص ٤٤٣ من الكتاب المقدس .

(٣) يلاحظ أن لفظ الشام كان يطلق على كل المنطقة (لبنان سوريا فلسطين) .

(٤) سفر تثنية الاشتراع فصل ١٨ آية ١٥ ج ١ ص ٣١٨ من الكتاب المقدس .

(٥) نبوءة حبقوق فصل ٣ آية ١٥ ج ٢ ص ٧٠٩ من الكتاب المقدس .

(٦) ص ٢٢٨ عصر المأمون ج ٢ للدكتور احمد فريد رفاعي .

(٧) الآية ١٤٦ من البقرة .

به القرآن الكريم « مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل اسفارا بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله والله لا يهدى القوم الظالمين » (١) وارتضت القلوب الفاسدة والافئدة الخاوية من نور الله التضليل والاضلال ، وخطت أيدى السوء ما لم ينزل به الله سلطانا ، ثم قالوا هذا من عند الله كذبا وزورا « فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون » (٢) .

٤ ــ دع نقاش هؤلاء فحججهم واهية تحمل فى طياتها دلائل بطلانها ، وينم ظاهرها المضطرب عن خافيها المختلق ، وتعال نتأمل النور المحمدى كيف بدا ، ونرصد الارهاصات التي مهدت له فنمر سراعا ببعض الاحداث الهامة التي لامست جواء مكة قبيل صدور أمر رب العالمين الى رسوله بالتبليغ ، مبشرا ونذيرا .

ا ــ حادث الفيل

هو من ابرز الحوادث التي مرت بمكة المكرمة قبيل ميلاد رسول الله صلى الله عليه وسلم وبلغ من عظم شأنه أن خصه القرآن الكريم بسورة كاملة حكت خلاصة ما كان من أمره ، ومجمله أن ابرهة أراد هدم الكعبة لحاجة فى نفسه فسير جيشا تتقدمه الافيال ، وتسامع أهل مكة بما كان فلاذوا بشعاف الجبال ، وأطلق زعيمهم عبد المطلب كلمة سارت مثلا (للبيت رب يحميه) وانشد وهو آخذ بحلقة باب الكعبة المشرفة .

لا هم ان العبد يمنـ
ـع رحله فامنع حلالك (٣)
لا يغلبن صليبهم
ومحالهم غدوا (٤) محالك (٥)
ان كنت تاركهم وقبلتنـ
ـا فامر ما بدالك

وزاد صاحب الروض الانف بيتا آخر : ــ

وانصر على آل الصليب
وعابديه اليوم آلك

ولما اقترب كبير الفيلة من الكعبة ، حرن وبرك جاثيا على الارض ، ثم أرسل الله طير الابابيل على جيش أبرهة فأهلكتهم ، ونجى الله بيته وأهل مكة جميعا مما أريد بهم ، ولم يكن ليمر هذا الامر دون ان يسجله الشعر ولنجتزىء بقول أحدهم وهو عبد الله بن الزبعرى :ــ

تنكبوا عن بطن مكة انها
كانت قديما لا يرام حريمها
لم تخلق الشعرى ليالى حرمت
اذ لا عزيز من الانام يرومها
سائل أمير الجيش عنها ما رأى
ولسوف ينبى الجاهلين عليمها
ستون الفا لم يئوبوا أرضهم
ولم يعش بعد الاياب سقيمها (٦)
دانت بها عاد وجرهم قبلهم
والله من فوق العباد يقيمها

قالت عائشة رضي الله عنها : لقد رايت قائد الفيل وسائسه بمكة أعميين مقعدين يستطعمان الناس .

---

(١) الآية ٥ من الجمعة .
(٢) الآية ٧٩ من البقرة .
(٣) الحلال بكسر الحاء المهملة جمع حلة وهي جماعة البيوت ويريد هنا القوم الحلول .
(٤) غدوا هو اليوم الذى يلي يومك فحذفت لامه ولم يستعمل تاما الا فى الشعر .
(٥) المحال بكسر الميم القوة والشدة قال تعالى « .... وهم يجادلون فى الله وهو شديد المحال » .
(٦) يقصد ابرهة فقد حمل عليلا ومات بصنعاء اليمن .

ب ـ الحادث الثانى . حلف الفضول :

وفيه يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم (لقد شهدت بدار عبد الله بن جدعان حلفا ما أحب أن لي به حمر النعم ، ولو دعيت الى مثله فى الاسلام لأجبت) وقالت عائشة رضي الله عنها لرسول الله صلى الله عليه وسلم (ان ابن جدعان كان يطعم الطعام ، ويقرى الضيف فهل ينفعه ذلك يوم القيامة ؟ فقال : لا . انه لم يقل يوما رب اغفرلي خطيئتي يوم الدين) (١) وقد كان ابن جدعان ، ويكنى أبا زهير ابن عم لها .

وسبب هذا الحلف . كما يرويه (السهيلي) صاحب الروض الأنف (أن رجلا من زبيد قدم مكة ببضاعة فاشتراها منه العاص بن وائل وكان ذا قدر بمكة وشرف فحبس عنه حقه ، فاستعدى عليه الزبيدى الاحلاف عبدالدار ومخزوما وجمح وسهما وعدى بن كعب ، فأبوا أن يعينوه على العاص بن وائل ، وزبروه وانتهروه ، فلما رأى الزبيدى الشر أوفي على أبى قبيس عند طلوع الشمس وقريش فى أنديتهم حول الكعبة ، وصاح مستغيثا بهم ، فقام فى ذلك الزبير بن عبد المطلب وقال : ما لهذا مترك ، فاجتمعت هاشم وزهرة وتيم بن مرة فى دار ابن جدعان فصنع لهم طعاما وكان ذا سن وشرف فيهم،فتحالفوا وتعاهدوا بالله ليكونن يدا واحدة مع المظلوم على الظالم حتى يؤدى اليه حقه ما بل بحر صوفه وما رسى حراء وثبير مكانهما (٢) وقد حضره رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ج ـ الحادث الثالث زواجه صلى الله عليه وسلم من خديجة رضي الله عنها :

١ ـ النساء شقائق الرجال ، وأثر المرأة فى حياة الرجل أى رجل واضح جلى ، فقد تكون سببا فى شقائه الأبدى ، كما ترسم خطة نجاحه الدائم ، فكفاح الرجل وصدامه مع الحياة خارج البيت يحتاج الى قلب كبير رحيم ينفض اليه جملة حاله اذا ألم بداره ، والمرأة سكن وراحة وأمن ورحمة ، وعامل دعة وسكون واتزان لسير الحياة ان احسنت ووفقت، ومثار هدم وخراب ونكال وعذاب واضطراب ان أساءت .

٢ ـ ويشاء العزيز العليم أن يبرز أثر السيدة خديجة رضي الله عنها فى حياة الرسول عليه الصلاة والسلام واضحا لامعا نقيا فياضا بالبركات والخيرات للدنيا كلها ، فقد كانت تلكم السيدة الكريمة ثاقبة الرأى ، بعيدة النظر ، فاقهة تماما لكل ما يدور حولها ، وما يحيط بها ، ملمة بالواقع الذى يحتويه محيطها ، متطلعة الى غد مشرق أسمى وأعز ، فلم يبطرها الثراء الواسع ، ولم يعش عيونها الجاه العريض ، ولم يركبها مراكب الصلف والكبرياء منبت كريم ومحتد عظيم ، التقت برجلين (٣) قبل (سيدنا محمد) وشاء الله أن يرحلا عن الحياة قبلها ، وأن يدعاها لمهمة سامية ، لترسم بسلوكها مع رسول الله الصورة المثلى للمرأة الرشيدة الحكيمة العاقلة الحصيفة الواعية ، المقدرة لوجودها كانسانة لها رسالة فى الحياة ، والتقت (بمحمد) يتاجر فى مالها ، ويعود مرة

---

(١) أخرجه مسلم .

(٢) ص ٩١ الروض الأنف ج ١ قال ابن قتيبة (كان قد سبق قريشا الى مثل هذا الحلف جرهم فى الزمن الاول فتحالف ثلاثة منها هم الفضل بن فضالة والثاني الفضل بن وداعة ، والثالث فضيل بن الحارث فلما أشبهه حلف قريش سمى حلف الفضول . الفضول جمع فضل وهي اسماء اولئك الذين تقدم ذكرهم) .

(٣) تزوجت أبا هالة بن زرارة التميمى ومات فى الجاهلية ، وبعد موته تزوجت عتيق بن عابد المخزومي ومات عنها أيضا (الاستيعاب) .

خادمها ميسرة يصف لها ما رأى وما سمع من شمائله وأخلاقه ونبل عاداته وعناية ربه به مضافا الى ما اشتهر به فى قومه من عفة وأمانة ومروءة وبذل وعطاء ، يقربه مجتمعه ولا ينكر عليه أحد شيئاً أبدا .

٣ ــ عاد رسول الله صلى الله عليه وسلم من رحلته التجارية ، وعاد معه ميسرة خادم خديجة ، وافاض لها فى الحديث الذى سمعه من راهب رأى محمدا بالشام ، كما قص عليها ما شاهد من سيرته أثناء رحلته معه ، وكانت خديجة رضي الله عنها كما أسلفت امرأة حازمة شريفة لبيبة ، مع ما أراد الله لها من الكرامة فأرسلت الى (محمد) وندع الحديث هنا لابن اسحاق المؤرخ يخبرنا بما كان من أمر هذا اللقاء ، قال : « بعثت خديجة الى محمد فقالت له : يا ابن عم انى قد رغبت فيك لقرابتك وسطتك (١) فى قومك وأمانتك وحسن خلقك وصدق حديثك ، ثم عرضت عليه الزواج منها ، وكانت خديجة يومئذ أوسط نساء قريش نسبا وأعظمهن شرفا ، وأكثرهن مالا ، كل قومها كان حريصا على ذلك منها لو يقدر عليه) (٢) فأخبر رسول الله أعمامه بذلك فخرج معه عمه حمزة بن عبد المطلب ، فخطبها اليه فتزوجها ، ولم يتزوج عليها رسول الله حتى ماتت رضي الله عنها (٣) .

د ــ الحادث الرابع ــ بناء الكعبة : ــ

قبيل مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أرادت قريش أن تجدد بناء الكعبة فكان لها ما أرادت ، وقد روى ابن هشام أن عائذ بن عمران بن مخزوم قال يا معشر قريش لا تدخلوا فى بنائها من كسبكم الا طيبا : ألا . لا يدخل فيها مهر بغى ، ولا ربا ، ولا مظلمة أحد الناس . . . ولما وصل البناء الى المكان الذى يوضع فيه الحجر الأسود تنازعوا أمرهم بينهم حتى كادت أن تدور رحى حرب ضروس تأتي على أخضرهم ويابسهم فقال أبو أمية ابن المغيرة وكان عامئذ أسن قريش كلها : يا معشر قريش اجعلوا بينكم فيما تختلفون فيه أول من يدخل من هذا الباب يقضي بينكم ففعلوا فكان أول داخل محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم ، فلما رأوه قالوا هذا الأمين ، رضيناه ، هذا محمد ، فلما انتهى اليهم وأخبروه الخبر قال : هلم الى ثوبا فأتى به ، فأخذ الحجر فوضعه بيده فيه ثم قال لتأخذ كل قبيلة بناحية من الثوب ثم ارفعوه جميعا ففعلوا حتى اذا بلغوا به موضعه، وضعه بيده الشريفة ثم بنى عليه. وبهذا حسم النزاع واطمأنت القلوب .

هذه هي الأحداث البارزة التي لامست جو مكة قبيل ميلاده صلى الله عليه وسلم وبعده الى وقت مبعثه ، ويبدو منها المكانة الكريمة ، والتصرف الحكيم ، والحكم الفصل فى تحركاته وأقواله وسلوكه العام والخاص ، مما يبشر بما سيكون له من شأن عظيم ، وما سيقوم به من قيادة للدنيا ، وحمل أضخم رسالة عرفها الوجود ، وقد عرضت لها لمناسبة حلول موعد ميلاده عليه الصلاة والسلام فى مثل هذا الشهر المبارك ، أما ما لاقى من نجاح ، وما بذل من جهد جهيد صيره سيد أولى العزم من الرسل ، وما قدمت رسالته للدنيا والآخرة من خير ورشاد وما أهاجت من حقد وعداوة عبر التاريخ والأجيال التي مرت بها من المارقين والمعاندين ، فلذلك أحاديث قادمة أن وفق الله وأعان وما توفيقي الا بالله عليه توكلت واليه أنيب .

---

(١) وسطتك . شرفك . مأخوذة من الوسط مصدر كالعدة والزنةوالوسط من أوصاف المدحوالتفضيل.

(٢) السيرة النبوية ج ١ ص ٢٠٠ ط مصطفى الحلبي القاهرة .

(٣) أما عون خديجة رضي الله عنها لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين أوحى اليه فسندخره لمقال قادم ان شاء الله تعالى .

دراسات قرآنية

التفسير وأعلام المفسرين

١ ـ لم تكن وظيفة رسول الله صلى الله عليه وسلم مقصورة على التبليغ عن ربه ، فقد كلف مع التبليغ بيان ما يبلغه. يدل لهذا قوله جل ثناؤه لنبيه : « وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم (١) » ، « وما أنزلنا عليك الكتاب الا لتبين لهم الذى اختلفوا فيه ، وهدى ورحمة لقوم يؤمنون » (٢) . أما تلك الآيات الكثيرة التى تحصر وظيفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى البلاغ أو الانذار ، وما اليهما ـ فان الحصر فيها اضافى ، أريد به تذكيره صلى الله عليه وسلم بأنه لا يهدى من أحب ، وليس من وظيفته حمل الناس على الايمان قسرا ، بل ليس هذا فى وسعه ، حتى لا يأس على عنادهم بعد أن دعوا ، ولا تذهب نفسه حسرات عليهم ، فيتسلى ويصبر ! ..

واقرأوا ان شئتم بعد هذا قول الله عز وجل لنبيه :

« ان عليك الا البلاغ » ، « انما انت مذكر » ، « ان أنت الا نذير » (٣) .

« ليس عليك هداهم ، ولكن الله يهدى من يشاء » ، « انك لا تهدى من أحببت »،« لست عليهم بمسيطر » (٤) .

« فلا تذهب نفسك عليهم حسرات » ، « لعلك باخع نفسك الا يكونوا مؤمنين » ، « فلا يحزنك قولهم » (٥) .

٢ : ـ من هنا جاء الأمر فى القرآن الكريم باتباع الرسول صلوات الله عليه وسلم ، فى كل ما يبلغه عن ربه ، وكل ما يبين به القرآن الكريم من سنته : قولا

(١) الآية ٤٤ : النحل . (٢) الآية ٦٤ فى نفس السورة .
(٣) الآيات هي على الترتيب : ٤٨ فى الشورى ، ٢١ فى الغاشية ، ٢٣ فى فاطر .
(٤) الآيات على الترتيب : ٢٧٢ فى البقرة ، ٥٦ فى القصص ، ٢٢ فى الغاشية .
(٥) الآيات على الترتيب هي : ٨ فى فاطر ، ٣ فى الشعراء ، ٧٦ فى يس .

كيف نشأ علم التفسير

كتب التفاسير انطبعت غالباً باتجاهات أصحابها

بقلم : الدكتور مصطفى زيد
رئيس قسم الشريعة الاسلامية بكلية
دار العلوم ـ جامعة القاهرة

كانت هذه السنة أو عملا أو تقريرا . بل جاء هذا الأمر مؤكدا ، حاسما ، فى أكثر من آية ، وبأكثر من أسلوب ، وحسبنا هنا هذه الآيات :

« من يطع الرسول فقد أطاع الله » .

« قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم » .

« يأيها الذين آمنوا أطيعوا الله ورسوله ولا تولوا عنه وأنتم تسمعون » .

« يأيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم » .

« وما آتاكم الرسول فخذوه ، وما نهاكم عنه فانتهوا (١) .

ومن هنا أيضا ، اعتبرت السنة التي صحت روايتها عن الرسول صلى الله عليه وسلم ، هي المصدر الثاني من مصادر التشريع الاسلامي بعد القرآن الكريم ، اذ هي تفسّر مبهمه ، وتفصل مجمله ، وتخصص عامه ، وتقيد مطلقه ، فوق ما تستقل هي بشرعه من أحكام جزئية وضع القرآن أصولها ، وأرسى قواعدها . . .

٣ : ـ كان رسول الله صلى الله عليه وسلم هو أول مبين للقرآن اذن ، ولم يكن بيان القرآن قد عرف بعد باسم التفسير . وعن رسول الله تناقل الصحابة ما بين به آيات من القرآن ، سئل عنها أو رأى أن يبين لهم المراد بها .

وقد كان من بين هؤلاء الصحابة (رضى الله عنهم جميعا) علماء بالقرآن اشتهروا بتفسيره ، كالخلفاء الأربعة ، والعبادلة الأربعة (عبد الله بن عباس ، وعبد اللهبن مسعود ، وعبد الله بن عمر ، وعبد الله بن عمرو) وبعض كتاب الوحى كأبى بن كعب ، وزيد بن ثابت ، ثم أبى موسى الأشعرى ، وأبى هريرة ، وجابر ابن عبد الله .

كذلك كان من التابعين وتابعيهم علماء عرفوا بأنهم مفسرون للقرآن ، ومن بين هؤلاء أصحاب عبد الله بن عباس

(١) الآيات على الترتيب هي : ٨٠ فى النساء ، ٣١ فى آل عمران ، ٢٠ ، ٢٤ فى الأنفال ، ٧ فى الحشر .

بمكة : عكرمة مولاه ، ومجاهد بن جبر ، وسعيد بن جبير ، وطاوس بن كيسان اليماني ، وعطاء بن أبى رباح .

كذلك نجد من بينهم أصحاب عبد الله ابن مسعود بالكوفة : علقمة بن قيس ، والأسود بن يزيد ، وابراهيم النخعى ، والشعبي (عامر بن شراحيل) ، ثم عطية بن سعد العوفى وهو ضعيف .

كذلك كان من بينهم زيد بن أسلم بالمدينة ، وراوى تفسيره الامام مالك ابن أنس (١) ، ومحمد بن كعب القرظى ، والحسن البصرى ، وأبو العالية (رفيع ابن مهران) ، وقتادة بن دعامة السدوسى بالبصرة .

وأخيرا نجد الربيع بن أنس بالبصرة ، ثم بخراسان . والضحاك بن مزاحم الهلالى بخراسان أيضا ، والسدى الكبير (اسماعيل بن عبد الرحمن) ، وهو حجازى سكن الكوفة .

وغير هؤلاء وأولئك كثير .

٤ : ـ وقد تلقى التفسير عن هؤلاء من جاءوا بعدهم، تلقوه آثارا كانوا يتناقلونها بأسانيدها ، حتى تلقفها منهم أوائل المدونين فى التفسير ، وشيوخ المحدثين من أصحاب الكتب الستة وغيرهم .

وهنا نحب أن نقرر أن التفسير المطبوع المنسوب للامام عبد الله بن عباس (رضى الله عنهما) ـ لم يرو كله عنه بأسانيد صحيحة ، فلا يصح أن ينسب على اطلاقه اليه . وانما يصح أن ينسب اليه منه ما روى بأحد الأسانيد الآتية :

١ : ـ مالك ، عن الزهرى ، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة ، عن ابن عباس .

٢ : ـ سفيان بن عيينة ، عن الزهرى ، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة ، عن ابن عباس .

٣ : ـ معمر ، عن الزهرى ، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة ، عن ابن عباس .

أما رواية علي بن أبى طلحة الهاشمي عنه فهي منقطعة . وأما تفسير مجاهد بن جبر ـ ومعروف أنه كان من تلاميذ ابن عباس ـ فقد قال عنه أبو بكر بن عياش : (قلت للأعمش : مالهم يقولون : تفسير مجاهد ؟ قال : كانوا يرون أنه يسأل أهل الكتاب (٢) .

وليس معنى كلامنا هذا كما هو واضح أن نرد كل ما روى عن ابن عباس فى التفسير ، ولكن معناه أن ندرس أسانيد ما روى عنه ، قبل أن نقبله أو نرفضه ، فان وجدنا اسناده صحيحا قبلناه ، والا رفضناه ! .

٥ : ـ أما المدونون فى التفسير فنجد من أقدمهم عبد الرزاق بن نافع الحميري مولاهم (٣) ، وهو الراوى الصدوق الثقة الذى قبل روايته وخرج له جميع المحدثين ، فقد دون من روايته عن شيوخه تفسيرا كاملا ، توجد نسخة مخطوطة منه بدار الكتب المصرية بالقاهرة، ويعتبر أصلا لجميع كتب التفسير بالرواية بعده .

كذلك نجد من بين القدامى محمد ابن جرير الطبرى فى تفسيره (جامع البيان ، عن تأويل آى القرآن ، وهو مطبوع مشهور متداول ، وسنعرض له ولصاحبه ان شاء الله فى المقال الثاني .

أما المحدثون فنحن نجد منهم عناية

(١) روى تفسير زيد راو آخر هو ابنه عبد الرحمن ، لكنه شديد الضعف لا تقبل روايته ، فلا يحتج به . وهو الذى يعنيه المحدثون والمفسرون بالمأثور عند ما يقولون : روى ـ أو قال ـ ابن زيد . وتوفي بالمدينة سنة ١٨٢ هـ .

(٢) تهذيب التهذيب : جـ ١٠ ص ٤٣ .

(٣) توفى عبد الرزاق بصنعاء سنة ٢١١ هـ .

بايراد الآثار التي صحت روايتها في التفسير في أبواب كثيرة يجمعها اسم (كتاب التفسير) نجد ذلك في الجامع الصحيح لأبي عبدالله محمد بن اسماعيل البخاري»(١)، وجامع الصحيح لأبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري (٢) ، وسنن كل من الترمذي (عيسى بن سورة السلمي) (٣) وأبي داود (سليمان بن الأشعث الأزدي السجستاني) (٤) ، وابن ماجة (محمد ابن يزيد القزويني) (٥) ، وفي المجتبى للنسائي (أبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب) (٦) .

اتجاهات المفسرين

٦ : ـ واذا كانت هذه هي نشأة علم التفسير ـ فانه لم يقف عندها ، بل عراه من التطور وتعدد المناهج والاتجاهات ما عدا غيره من العلوم ، فقامت الى جانب مدرسة التفسير بالمأثور مدرسة أخرى تعتمد في التفسير على الرأى : ومدرسة ثالثة تجمع بين الرواية والرأى ، وتعتمد عليهما معا في التفسير .

والذى لا نشك فيه أن ثمة عدة مفسرين استطاعوا أن يجمعوا في كتبهم بين الرواية والرأى في أمانة ، ودون شطط ولا انحراف .

غير أنا نجد مفسرا من أقدم المدونين في التفسير وأذكاهم كان يعتمد في تفسيره الاعتماد كله على الرأى ، أو يكاد . ثم لم يلتزم مع براعته في التفسير بالرأى أن يكون أمينا فيما يذكر في تفسيره من آثار . وهذا المفسر هو مقاتل بن سليمان الأزدي الخراساني المتوفى سنة ١٥٠ هـ ، وهو الذى قال فيه الشافعى ـ كما روى عنه من وجوه ـ : « الناس عيال على مقاتل في التفسير » ، وقال ابن المبارك لما نظر الى شيء من تفسيره : « يا له من علم لو كان له اسناد » . وقال نعيم بن حماد : (رأيت عند بن عيينة كتابا لمقاتل ، فقلت : يا أبا محمد ، تروى لمقاتل في التفسير ؟ قال : لا . ولكن أستدل به وأستعين) (٧) .

لقد كان مقاتل هذا من أذكى العلماء وأسرعهم بديهة ، كما قلنا . ولعل مما يدل على ذكائه ما روى من أن أبا جعفر المنصور كان جالسا ، فسقط عليه الذباب فطيره ، فعاد اليه وألح عليه ، وجعل يقع على وجهه ، وأكثر من السقوط عليه مرارا حتى أضجره، فقال المنصور : انظروا من بالباب . فقيل له : مقاتل بن سليمان . فقال : عليَّ به . فأذن له . فلما دخل عليه قال له : هل تعلم لماذا خلق الله الذباب ؟ قال : نعم ، ليذل به الجبارين . فسكت المنصور (٨) .

وما رواه الامام مالك بن أنس أنه بلغه أن مقاتل بن سليمان جاءه انسان فقال له: ان انسانا جاءني فسألني عن لون كلب أصحاب الكهف ، فلم أدر ما أقول له . فقال له مقاتل : ألا قلت له أبقع ، فلو قلته لم تجد أحدا يرد عليك (٩) .

ومع هذا الذكاء الشديد في مقاتل ، فانه لم يكن يتورع عن الكذب ، ووضع الآثار على لسان من شاء من الصحابة والتابعين،حتى اشتهر بأنه من الوضاعين : مع تلفيق الأسانيد لهذه الآثار . وقد روى خارجة أنه مر بمقاتل وهو يحدث الناس فقال : حدثنا أبو النضر الكلبي . قال : فمررت عليه مع الكلبي ، فقال الكلبي : والله ما حدثته بهذا قط . ثم دنا منه فقال : يا أبا الحسن ، أنا أبو

البقية على ص ٤٠

(١) توفى البخارى سنة ٢٥٦ هـ .
(٢) توفى مسلم سنة ٢٦١ هـ .
(٣) توفى سنة ٢٧٩ وقيل سنة ٢٧٥ هـ .
(٤) توفى سنة ٢٧٥ هـ .
(٥) توفى سنة ٢٧٥ هـ .
(٦) توفى سنة ٣٠٣ هـ .
(٧) تجد هذه الآثار وغيرها في ترجمة مقاتل : ص ٢٧٩ جـ ١٠ تهذيب التهذيب .
(٨) تاريخ بغداد : جـ ١٣ ص ١٦٠ .
(٩) تهذيب التهذيب جـ ١٠ ص ٢٨٢ .



لماذا اختص الله العرب بحمل الرسالة الإسلامية



لقد شاءت حكمة الله العلي القدير أن يختار جزيرة العرب عاصمة للاسلام ، ومعقلا لقوته ، ومركزا لانطلاق رسالته واشعاع نوره وخيره على الخافقين – مشرق الارض ومغربها – وذلك لما امتازت به هذه البقعة من احتلال مكانة وسطى فى الكرة الارضية ، وأهمية استراتيجية كبرى كجسر للاتصال بين الشرق والغرب،مع ما تمتاز به من تكوين جغرافي ، ومناخ جيد صحي ، ويجاورها بحار ذات اعتبار حساس فى نقل متطلبات وحاجيات التجارة الخارجية والداخلية والعالمية .

لهذا لما قضى الاسلام على مخازى الشرك والوثنية فى الجزيرة العربية ، طالب الرسول الكريم بتطهيرها من لوثات العقائد الفاسدة ، وامر باخراج اليهود والنصارى منها ، وأوصى فى مرض موته بأن لا يبقى فى جزيرة العرب دينان ، وقد صرح الامام الشافعى رضى الله عنه فى كتابه ((الام)) بأن ثغور الحجاز البحرية وما يوجد فى بحره من الجزائر لهما حكم أرضه وبلاده ،فلا يجوز لامام المسلمين وسلطانهم ان يمكن احدا من غير المسلمين بالاقامة فيها لتجارة ولا لغيرها .

هـو الذى بعث فى الامـيين رسـولا منهـم .

للدكتور وهبه الزحيلي
وكيل كلية الشريعة بجامعة دمشق

وفى هذا ما يحقق حماية عاصمة الاسلام ويمنعها كل عدوان وهوالاساس الذى ترتكز عليه سياسة الـدول الحديثة فى حماية حدودها الطبيعية والجغرافية من غوائل أعدائها .

وكذلك شاءت قدرة الحكيم الخبير أن يحمل العرب امانة نشر رسالة الاسلام فى الماضى وفى الحاضر ، وذلك لا بسبب افضلية جنسية او عنصرية او قـومية يتمتع بها العرب دون سواهم ، **وانما يرجع سبب ذلك الاصطفاء والاختيار لمزايا خلقية واجتماعية ، وعوامل فطرية واكتسابية وبيئية ، استطاع بها العرب نقل رسالة الاسلام الى امم الارض بكل جدارة أمانة واطمئنان .**

ويمكننى الآن ان اشير الى اهم هذه العوامل : ـ

اولا ـ ان لطبيعـة بـلاد العـرب الصحراوية أثرا كبيرا فى نقـل العقائد والمعارف والقيم والافكار الى غير العرب، لان الجو الصحراوى يمتاز بالانفتـاح والانبساط، فلا يلتزم العربى بالاستقرار والسكنى فى اماكن معينة ، وانما كان ينتجع مواطن الكلأ والمرعى والماء ، لتأمين حاجياته فى اى مكان ، فكان هذا مهيئـا للعرب للانطلاق والانتشار فى الارضدون تمسك برقعة خاصة يألفونها ، او بمأوى يكنون فيه . ولقد جاء القرآن الكريم متجاوبا مع هذه الطبيعة ، نابذا فكرة التزام الوطنالضيق محببا للناسالنزوح فى البلدان والتماس الخيرات ، منددا بأولئك المستضعفين فى الارض الذين لا يتمكنون من الجهر بدعوتهم ، وممارسة شعائرهم الدينية . قالتعالى « يا عبادى الذين آمنـوا ان ارضى واسـعة فاياى فأعبـدون » (العنكبـوت ـ ٥٦) وقال سبحانه : « ان الـذين توفاهم الملائكة ظالمي انفسهم قالوا : فيم كنتم ؟ قالوا : كنا مستضعفين فى الارض ، قالوا: الم تكنارض الله واسعة فتهاجروا فيها، فأولئك مأواهم جهنم ، وساءت مصيرا » (النسـاء ـ ٩٧) .

ثانيا ـ يتميز العرب باستعداد فطرى خاص فى حفظ العلوم ، وقصص التاريخ والاشعار والانساب ، فكان الواحد منهم يمتاز بقدرة عجيبة مذهلة فى الاستذكار

لماذا اختص الله العرب

والحفظ وسرد الاحوال ، فاذا انطلق احدهم يحدث عن التاريخ او النسب او الشعر ، فكأنه يغترف من بحر ، وكأن ذاكرته اشد التقاطا ، واقوى استمساكا من آلات التسجيل الحديثة ، والتاريخ يحكى لنا أعاجيب الاحاديث عن الافذاذ المشاهير من العرب فى كل علم من العلوم ، ولا سيما فى نقل القصائد والشعر . ولهذا كانت وسيلة الاسلام الاساسية فى الحفاظ على القرآن الكريم والسنة النبوية هى الحفظ فى الذاكرة ، والتلقى بالمشافهة جيلا عن جيل ، نظرا لان الكتابة كانت قليلة وقد يعتورها الضياع والتحريف والتبديل . ومن هنا كان الاسلام فى صناديق قلوب المسلمين تتفتح بالخير والفضل فى البقاع المفتوحة ، فيتلقى الناس الاسلام عن قادة الفتح الاسلامى وجنوده من ينابيع صافية ، وألسنة صادقة ، وقلوب مؤمنة ، دون حاجة الى الرجوع الى قرطاس او قمطر .

ثالثا ــ يمتاز العرب ــ بغض النظر عن جاهليتهم القديمة والحديثة ــ بمحافظتهم على بعض المثل العليا والأخلاق الكريمة التى تمكنهم من الالتقاء مع أهداف الاسلام ، وتحقيق غايته فى هذه الحياة .

فهم كرام النفوس يتفانون فى سبيل الضيافة ، ويقدمون اعز ما يملكون لحماية الفضيلة ، وهذا المعنى قد حوله الاسلام الى بذل المال فى اعتبارات انسانية سامية كاعانة الفقراء والمحتاجين ، واغاثة الملهوفين وتزويد الجيوش وامدادها بالمؤن والذخائر للدفاع عن كيان الامة وسيادتها ، وفى سبيل تحرير الامم والشعوب مما تئن به من الظلم والطغيان والفجور وفوضى العقائد .

والعرب يتطلعون الى تحقيق الامجاد والبطولات ، ويتحلون بالشجاعة النادرة ، والنجدة الفائقة والحمية الخارقة ، فاستطاع الاسلام ان يستغل هذه المعاني لتحقيق ما يرضى الله ورسوله ، ولنشر الديانة الجديدة فى اصقاع المعمورة .

والعرب يحامون عن العرض والمروءة والشرف ، ويتفاخرون بالعفة والطهارة والنبل ، فجاء الاسلام منظما لقضايا الاسرة ، وما تتطلبه من هذه الفضائل ، ليصان المجتمع عن شيوع الرذائل ، لتقوى الامة امام عدوها ، بسبب قوة افرادها ، واحترام بعضهم لحقوق الآخرين وكرامتهم .

والعرب شم الانوف ، يأبون الذل والعار والسكينة والضعة ، بدافع العصبية القبلية والدفاع عن العشيرة ، فأمكن ذلك للاسلام ان يؤصل فيهم حب العزة والسيادة ، والحفاظ على شخصية الامة واستقلالها على اساس من الحق والعدل والرحمة ، لا على اساس الظلم والطغيان والاستبداد والتسلط « ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين » .

رابعا ــ يمتاز العرب بصفاء نفوسهم ، وصراحتهم فى مواجهة الامور ، وبساطة معتقداتهم ، حتى انهم لم يكونوا يعبدون الاوثان والاصنام لذاتها ، وانما من اجل أنها ــ فى زعمهم ــ تقربهم الى الله القادر « الا لله الدين الخالص والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى » (الزمر ــ ٣) .

وبساطة هذه العقيدة التى جاء بها الاسلام وعدم تعقيدها تيسر للناس قبولها ، لان العقائد المركبة ، والفلسفات الواهنة يصعب على النفس قبولها ، فلذلك لم تستطع العقيدة الوثنية ان تقف امام عقيدة الحق والبرهان ، فكانت

تتهاوى امام عقيدة التوحيد المتماسكة القوية الرصينة ، سواء فى فهمها وتعقلها، ام فى حقيقتها ومغزاها « لا اله الا الله محمد رسول الله » .

واما الشرك فهو وكر الخرافات والاباطيل ، وباعث الظلم والاستبداد ، والمؤمن يعتقد انه اسوأ ما يصاب به الانسان فى روحه وعقله ومصيره ، ولذلك لم يقبل من العرب فى مبدأ الاسلام الا الاسلام او القتال ، تضييقا عليهم حتى يقبلوا الاسلام الذين هم اهله ورعاته وحماته ، فيؤدوا واجبهم الاكبر فى اصلاح المجتمع الانسانى ، وصيانة الحياة البشرية من عوامل الخراب والفساد ، واقتلاع جذور الوثنية المنافية لكرامة الانسان ، واهليته لهذه الحياة .

وقد تم للاسلام مقصده، فكان العرب روح الاسلام ورجاله الابرار، وكانت الامة العربية أقدر الامم على تبليغ رسالة السماء الاخيرة ، مضطلعة بها ماديا وادبيا ، جسما وروحا ومعنى .

خامسا ــ ان القوة التى تقوم عليها رابطة الدم والقبيلة العربية مع المحافظة عليها ، والذود عنها كانت خير نقطة ارتكاز لتحل محلها رابطة الاخوة فى الدين ، واقامة نظام دولة الاسلام فى المدينة المنورة فتحولت الحمية للقبيلة الى نصرة الحق، والاخذ بيد المظلوم ، وحماية الحرمات . وقد بدأ اتجاه العرب نحو هذه المعانى فى حلف الفضول الذى عقدته قريش وقبائل العرب فى دار عبد الله بن جدعان فى الجاهلية ، وحضره الرسول صلى الله عليه وسلم شابا قبل بعثته ، حتى انه قال عنه بعد البعثة النبوية ((لقد شهدت فى دار عبد الله بن جدعان حلفا ما احب أن لى به حمر النعم ، ولو دعى به فى الاسلام لأجبت)) .

سادسا ــ ان طبيعة اللغة العربية وخصائصها فى حروفها واصواتها وسعة افقها ، وتوزع مخارجها وثبات كلماتها ، واصوات الحروف فيها ، وتناسب الفاظها ومعانيها ، وامتيازها على سائر اللغات بميزات معروفة ، يجعل هذه اللغة أقدر اللغات على حمل الافكار والعقائد ونقل المفاهيم الى الامم الاخرى، ولتحقيق وجه المعجزة الخالدة للرسول الاعظم صلى الله عليه وسلم ، فكانت لغة القرآن هى لغة العرب ، لاظهار وجوه اعجاز القرآن الكريم على ممر الدهور والاعوام، ولتحدى العرب الذين كانوا امة البيان وفرسان اللغة وارباب الفصاحة، ولا يمكن تحديهم بغير لغتهم ، لانه لم تكن لغة اخرى تقع فى نفوسهم موقع اللغة العربية ، وكانوا يميلون بفطرتهم الى المحافظة على ما لا موجب لتغييره فى حياتهم ، فكان ثبات اصوات الحروف العربية ، كما نلفظها الآن فى لغتنا الفصحى، وكما جاء بها القرآن عاملا من عوامل توثيق الصلة وحفظها بين اجيال الامة العربية مهما تباعد الزمن ، وذلك مما اعتبر مدعاة للحفاظ على الامة الاسلامية بواسطة اللغة العربية ــ لغة الدين والتشريع والحكم ــ اذ انه يجب على المؤمنين تعلم اللغة العربية كما قرر ذلك الامام الشافعى رضى الله عنه فى رسالته التى وضع فيها اصول علم الفقه ، وقد جرى العمل على ذلك فى عهود الاسلام الى اواخر عصر العباسيين حيث كثر الاعاجم ، فصاروا يكتفون من لغة الدين بما فرضه فى العبادات .

سابعا ــ ان الحالة المعيشية الوسطى التى كان العرب يعيشونها ، وتقشف الاعراب بالذات، دون اخلاد الى الرفاهية والنعومة ، كانت مجالا مناسبا لتقلب

العرب فى ارض الله ، فكانوا اقدر من غيرهم على الكفاح والصبر وتحمل المشاق والجلد فى الاسفار . اما الاطمئنان الى الراحة والنعيم والاسترخاء الذى كان سائدا بين الامم الاخرى فلا يشجع على تحميلهم مسئولية جديدة لنشر رسالة، فضلا عن ان انتشار مثل هذه النعومات يكون عاملا من عوامل تمزيق الامة والاسراع فى تفتيتها وضياع كيانها .

ثامنا ــ كان العرب امة امية لم تعرف شيئا من فلسفات الامم القديمة ، ولم تطلع على حضارات الاوائل الا ما عند النفر القليل منهم ، ولم يتعرفوا بالقراءة والكتابة على ما يتناقله الناس من كتب الديانات السابقة الا النذر اليسير « هو الذى بعث فى الاميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفى ضلال مبين » (الجمعة ــ ٢) . فكان هذا الفراغ ادعى الى ملئه وشغله بديانة سامية ، خالية من الترهات والاباطيل ، لان الافكار البدائية والسطحية النظرة الى الحياة ، سرعان ما تقبل الافكار الناضجة ، وتنجذب نحو الفكرة المدعومة بالمنطق والحجة والبيان الجلى ، لان غزو الفكر بالمعقول اقرب من حشوه بالاوهام والخرافات .

تاسعا ــ ان الامم غير العربية ــ واخصها دولتا الفرس والرومان ــ وان كان لها من الملك ونفوذ السلطان ، ووفرة الثراء ما جعلها مضرب الامثال فى الابهة والعظمة ، فان هذا فى الواقع كان امرا ظاهريا فقط ، فقد فشا فيهم الخلود والراحة ، والتنعم بالحياة ، واستبداد الملوك والحكام والخلافات الدينية فى اوساطهم ، وناء الشعب بكثرة التكاليف والاعباء المالية ، حتى كرهوا الحكام وسئموا الحياة ، فكانت هذه الامراض الاجتماعية مؤثرة فى بنيان الامة، ومضعضعة لكيانها، والشأن فى امة مريضة كهذه لا أمل فى اصلاحها من داخلها ، فكانت صيحة الاسلام ، منبهة لعقول الغافلين ، ومثيرة الدعوات الى الاصلاح، فكان العرب رسل هذه الدعوة وحماتها .

والخلاصة ان العرب كانوا بحق خير دعاة لدين الاسلام ، وكان الاسلام شرفا عظيما لهم، وكانوا يتمتعون بخصال طيبة وميول سامية ، وحيوية فائقة ، ولكن ينقصها التنظيم والعقيدة الصحيحة ، فكان الاسلام امل العرب ، وطريق النور والهداية والانقاذ من الضلال والانحراف ، وكان العرب حملة مشعل الهداية والقرآن والمدنية والحضارة ، ورسل الحق والخير والعدل ، فنجحوا فى اداء رسالتهم ، ووفوا بواجب الامانة المحملة فى اعناقهم، فارتفع ذكرهم ، وعلت كلمتهم ، وطأطأت هامات الدنيا لسيادتهم وسلطانهم بعد اصلاح الاسلام لهم اصلاحا جذريا وصدق الله فيهم حيث يقول : « وانه لذكر لك ولقومك وسوف تسألون (١) » « لقد أنزلنا اليكم كتابا فيه ذكركم أفلا تعقلون (٢) » « كنتم خير امة اخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ، ولو آمن اهل الكتاب لكان خيرا لهم ، منهم المؤمنون وأكثرهم الفاسقون (٣) » .

---

(١) سورة الزخرف
(٢) سورة الانبياء
(٣) سورة آل عمران

أعظم مولود عرفه الوجود

للاستاذ ابو بكر محمد ذكرى
الاستاذ المساعد « سابقا »
في كلية اصـول الديـن

ولد كما يولدأبناء الاشراف من قريش لا يشعر أهله وذووه بأكثر من هزة فرح عابرة ، تعودتها بطون قريش من أصحاب التنافس على الجاه والسيادة ، عندما يجيء المولود ذكرا يرجى للدفاع عـن الحـوزة والتدافع الى حلبات المجد . وان يكن فى نفس أحد من أهله ما هو أكبر من ذلـك رجاء وأعظم أملا ، فما نظن ذلك يتعدى أمه الشريفة آمنة بنت وهب ، اذا صح ما روى من أنها أثناء حملها فيه رأت ضياء خرج منها وامتد وانتشر حتى رأت على تألقـه قصور بصرى والشام .. ومع ذلك لم تكن هذه الرؤيا لتغير شيئا من الواقع الرتيب ، أو تعدل من طبـاع البشر عندمـا أقبلت المراضع من البادية يطلبن الرضعاء ، وقبلن منهم كل من عرض عليهن ما عدا ذلك اليتيم العائل الذى لا خير يرجى من وراء ما يبذل فى حضانته من جهود .

وكانت عناية الله التى ترعاه وترصده ، كرصيد ثمين ، لمستقبل الانسانية ، قد ساقت اليه حليمة السعدية ، مضطرة ، أول الامر ، لانها لم تصب رضيعا غيره ، كما أصاب الاخريات ، وخشيت أن ترجع هي وحدها ، من بينهن ، منقوصة النصيب سيئة الحـظ .

وبعد محاورة بينها وبين زوجها « ابى كبشة » فى أمره فضلا ان يقبلاه مهما يكن الامر .. ولـم تكد تراه فى مهده حتى انعطفت اليه وفرحت به ، لما بدا على وجهه من مخايل لم تر مثلها على رضيع من قبله .. ويبارك الله لحليمة وبيتها بيمن هذا الرضيع المبارك فيتحول الجدب خصبا ، والفقر غنى ، والجوع شبعا وريا ، والشقاء سعادة فياضة .

وعندما يشرف الوليد على تمام الثالثة مـن عمره ، تحمله حليمة الى أمه ينعم بحنانها وتسعد بقربه .. ثم تلح عليها فى أن تعود مرة أخـرى ليصح ويصلب عوده فى جو البادية وهوائها النقي ويفيد فوائد أخرى .. وتنظر حليمة الى الناشىء العبقرى معجبة بنمائه العجيب ومواهبه الخارقة ، حتى كأنما هو نبت آخر لا عهد لاحد به . وفى عامه الرابع يرون حوله من الارهاصات ما تدهش له حليمة ، وتعجز عن تفسيره وتخشاه عليه ، فتحمله الى أمه مرة اخرى .

وينعم بحنان امه قرابة عامين ثم يأتي ما كان قد خبأه له القدر . كانت أرادة الله سبحانـه قد اختارت له ، أزلا ، أن تزيده تجردا من علائق الدنيا فلا تكتفي بما ناله من اليتم والعيلة بعد فقد أبيه ، وهو لا يزال حملا فى بطن أمه .. لقد كتب له ان يحرم من حنان أمه كما حرم مـن حنان أبيه لكى لا يشتغل بحب أمه وحب أبيه

وحب الدنيا عن الحب الاعظم الذى سيفاض من قلبه الكبير على أمته ، وعلى كل ما هو فى حاجة الى الحب والحدب والرحمة من أبناء آدم وحواء، ولكى ينشأ مكابدا لآلام الحياة ممارسا لمكارهها منذ نشأته ، فلا يجزع من قدر ولا يخشع امام نازلة : لقد أصبح الان فى السادسة من عمره ســن الحساسية الدافقة والخيال العميق ، والتطلع الى المزيد من الحلول لكل ما حوله من حقائــق الحياة وأسرارها . لذا تراءى لها أن تستصحبه فى الرحلة التي اعتادت أن تقوم بها كل عام الى يثرب ، مع جده عبد المطلب وخادمتها أم ايمن ، لتروى بدموع الوفاء قبر ابيه عبد الله حيث يثوى هناك غريبا بين القبور لاكثر من ســتة أعوام .. وعلى مجرى العادة فصلت العير بهـم جميعا من أرض مكة تلقاء يثرب . وهناك عرفته من هو أبوه وكيف مرض أثناء عودته من الشام ، وقضى نحبه بيثرب عند اخوال ابيه عبد المطلب من بني عدى بن النجار . ولعلها ـ لكي تزيـده من زاد التربية والتعليم ـ عرفته المرض الذى أودى بأبيه فحرمه حنانه قبل أن يرى ضياء الدنيا . وعرفته من هم بنو النجار اخوال جده عبـد المطلب ، ولعل الناشىء الغض شاطر أمه فى ارواء قبر أبيه بالدموع ، والألم يعصر قلبه الغض فى قسوة تزداد فى هذه السن الحالة الملتهبة الخيال.

وبعد جولات ما بين مسارح الحيــاة ومطارح الموت ، يودع عبد المطلب أخواله بنى النجار عائدا بحفيده محمد وأمه آمنة وحاضنته أم أيمن . ولا يكاد الركب الحزين يقطع ثلاثة وعشرين ميــلا مــن يثرب نحو مكة ، حتى تشعر الام الحنون بالداء يعصر شبابها وينزلها غريبة بين قبور قرية تسمى « الأبواء » فتتم بذلك الاحزان ، ويعود هذا الناشىء الغـض تحت أحمال من الآلام لا يعلمها الا من كتبها عليه واختارها له . وهنا يبلـغ التجرد غايته ويواجه الناشىء الغـض من لأواء الحياة ، ما هو حرى بأن يودى به لولا عناية الله .

ويجد عبد المطلب نفســه مأخــوذا بواجب ، نحو حفيده ، لا يغفل عنــه طرفة عين : ان يرعاه بكل عطفه وكـل حسه وكل شعوره وكل عقله وقلبه لكى يخفف عنه بعض ما ينوء به . ولكن القدر المقدور لا يمهله لاكثر من عامين ، يمران مر الطيف على مأساة أمه بالابواء فيهىء له فجيعة أخرى فى جده عبد المطلب الذى يشيعه هو الآخر بالدموع ، ويظل يذكره بالدموع عصرا طويلا على الرغم مما كان يبذله عمه أبو طالب من عناية به وحدب عليه .

مرحلة الصبـا

لم يكن مظهر التجردية « فى حياته » يكمن فى حرمانه من حنان أبيه وأمه وجده فحسب ، لقد حرمه كذلك مــن الغنى والثــراء الذى يتيــح للنشىء حيــاة التــرفه والصــيانة عــن الشــظف ، ويجنبهم مالا يحتملون من كدح . كان ميراثه كله خمسا من الابل ومولاته أم أيمن . رأى هو ورأى له كافله الفقــير عمه أبو طالب أن التوازن الاقتصــادى لحياته ، يلزمه أن يعمل ليربح عيشه .. وراح بالفعل يعمل فى الرعي لاهل مكة لقاء قراريط معدودة لا تسد أكثر من ضروريات حياته .. ولقد كان فى قدرة ربه أن يكفيه هذا الكدح بأن يفيض عليه موفورا من الثراء والنعم . ولكن يبدو أن الله سبحانه أراد أن يعلمنا بما اختاره له ، أكثر من حكمة .

١ ـ أراد سبحانه أن يعزى أحسن العزاء أولئك الذين يجتمع عليهم اليتم والحرمان . سيقول الواحد منهم اذا أحب أن يتعزى عن سوء حظه . وهل أنا أكرم عند الله من أكرم الخلق حتى أطلب ما لم يحظ به ؟

٢ ـ أراد سبحانه ان يعوده حياة الخشونة والكفاح التي هي أعظم عنصر عملي فى حياة القادة الابطال ممن أعدوا ليغيروا مجرى التاريخ من أجل سعادة الانسانية .

٣ ـ وان يعلم الناس أن العمل شرف ما دام المقصد منه خيرا وشريفا ، وأن الانفة منه والتحقير له ليس الا من صفات صغار النفوس ضعاف العقول .

٤ ـ وان يعوده الشــفقة والــرحمة والحدب على رعيته ، وتدبير أمورها لما

سبق له من المرانة على رعاية صغار الحيوان وضعافه . وهذه الحكمة هي التي ذكرها علماء السيرة .

ومهما تكن الحكمة فى ذلك فان العمل الشريف لا يحقره الا التفهاء وفى ذلك يقول أحد الادباء :

لا توجد أعمال شريفة تافهة وانما يوجد تفهاء يستصغرونها وهم أصغر منها . ولو لم يكن فى الرعي الا تعود الشجاعة على حياة البادية ، وما فيها من مخاطر لحياطة المال ودفع أذى الوحوش وغارات المغيرين عليه ، لكفى به درسا ثمينا للقيادة والسياسة والزعامة .

ولقد أبان لنا تاريخ عمر بن الخطاب كيف أفاد من حياة البادية وراء سرح أبيه الخطاب قدرات لا تتأتى الا لعباقرة الرجال . مرن على الفروسية حتى كان يوقف الجواد ، ويمسك أذنه باحدى يديه ثم يمسك اذنه هو باليد الاخرى ، ثم يثب فيستوى على ظهر الجواد دون أن يستعين بأية من يديه .

ومرن على المصارعة حتى أصبح بطلها الاول فى قريش ، وكان شباب قريش اذا ذاقوا الهزائم من مصارعى البدو الذين ينزلون فى الاعياد والمواسم لممارسة هذه الهواية ، يجيئون الى عمر يهرعون اليه لكي يثأر لهم من مصارعى البدو ، فكان ينجدهم ويمسك بالواحد من مصارعى البدو ويصابره ويطاوله بالدفاع حتى يتعب ثم يشدد عليه الهجوم فيصرعه بين التصفيق والهتاف ، ثم يرجع الى مكانه محمولا على الاعناق فى دروب مكة مثل قائد منتصر ، ومهر فى تدبير الحيوان وتربيته وعلاجه ، حتى صار من أمهر اطبائه . وكان حتى بعد خلافته لا يرى فى حظيرة ابل الصدقة الا وهو يطلى بعيرا بالقطران أو يتحسس اعضاءه ليعرف مرضه ، ويروى أنه كان يدخل اصبعه فى دبره ليكشف مكامن دائه ويقول . اني لاخشى ان يسأل عمر عنك يوم القيامة .

وهكذا أعد محمد الناشىء الغض ليقوى فى بدنه وروحه على أعظم رسالة عرفها التاريخ ، وعلى الرغم من أن حياة الرعاة فى الطبيعة الطلقة مدعاة للانطلاق فان الله سبحانه عصمه من كل ما كانوا يقارفونه من لهو ومجون . كذلك عصمه من تقليد قومه فى كل ما هو شرك العادات والعبادات ، فلم يسجد .. ولم يتمسح به فقط ..

مرحلة الشباب

وما أن بلغ مرحلة الشباب حتى تفتحت فيه مواهب العبقرية ، فأعرض عن كل ما يحط بالقدر أو ينال من الكرامة أو يمس الفضيلة . وكان يمارس تجارة لن تبور من أخلاق الشرف والمجد والعفة والصدق والاناة والحكمة ، حتى لقد حسب قومه الامانة غريزة فيه وجبلة فلقبوه بالامين . وحكموه فى خصومتهم يوم حادث الحجر الاسود فآثر العدل والمساواة ، ولم ينصر قريبا على بعيد ولا صديقا على عدو . وبحكمه أنقذ الله قريشا من حرب كان فيها تقطيع الارحام وبث الاحزان ونشر الخراب .

وبهذه التجارة الرابحة من أخلاق السيادة ، اختارته خديجة بنت الشرف والثراء والعلاء ، ليعمل فى مالها ، تاجرا فسافر الى الشام ، وعاد بأرباح من المال ، وبما لم تكن تحلم به من أمانة واخلاص ومزايا لا تقدر بمال ، وبعجائب أخرى من توفيق الله ورعايته اياه وتمهيده له ، سمعت حديثها العجيب من غلامها ميسرة الذى كان قد سافر معه ورأى تلك العجائب رأى العين .

وسارعت خديجة باختياره زوجا ، فكان زواجه منها أيمن حادث فى حياتهما . كان فى حياته أول وأعظم الاسباب فى التمهيد لرسالته ، وكان فى حياتها أعظم ربح ظفرت به فى الدنيا والاخرة ، وحسبها أنها بعد أن كانت على شفا الهلاك على جاهليتها ، لم تخرج من الدنيا الا الى بيت من قصب (أى لؤلؤ) أعد لها فى الجنة .

البقية على ص ٦٥

مناقشة عقلية حاسمة

أئمة الفكر الحرّ آمنوا

الاسلام
ورسوله
وتعاليمه
بلغة
العصر



نحْنُ و الماديّون

محمد مؤذن

لا سبيل لاقناع من شذ طبعه

نريد ان ننبه منذ البداية ، ان اى دليل يساق على وجود الله ، لا يمكن ان يدركه الا من كان سوى الطبع غير منحرف المزاج ، فالضوء لا تبصره سوى العين السليمة ، والوان الطيف لا يراها من كان مصابا بعمى الالوان ، والانغام الموسيقية لا يسمعها من كان به صمم ، ولا يتذوقها من كان جامد العاطفة ، وكذلك الشأن عند التحدث عن الله ، فليس يعيه ويدركه الا من كان سليم العقل والنفس معا ، اما هؤلاء الذين انحرفت عقولهم واضطربت نفوسهم ، فلا جدوى من التحدث معهم عن الله ، لان كل حديث فى هذه الناحية لا يزيدهم الا جحودا وعنادا .

ومن حسن الحظ ان هؤلاء الذين شاهت عقولهم ونفوسهم ، هم قلة مسحوقة لا يؤبه بها وسط الخضم العارم من بنى البشر، ولا يخطئن احد فيتصور ان منكرى الالوهية هم من العلماء او من المفكرين ، فان اعظم من عرفت البشرية من عقول ، كانوا عميقى الايمان بالله ، ابتداء من سقراط وافلاطون وارسطو حتى ديكارت وكانت وهجل ، ونيوتن واينشتين ، فهؤلاء وألوف من أمثالهم ، ممن اعتبروا فى كل زمان ومكان أئمة

للذين يقولون : لا إله والحياة مادة

بوجود الله . والمنكرون له منحرفون عن العقل والفطرة السليمة

للاستاذ احمد حسين المحامى

الفكر الحر الانسانى ، قد آمنوا بالله بقلوبهم وعقولهم معا ، وساقوا شتى البراهين والادلة العقلية على وجود الله، كل حسب منهاجه فى البحث ، والافكار السائدة فى عصره ، وما انتهت اليه **مختلف التجارب الانسانية وهذا ما يجعل واجبنا نحن الذين نعيش فى النصف الثانى من القرن العشرين،حيث اصبحت تتوفر لنا تجارب كل من سبق ، وبعد ان ازدهر العلم وحقق الكثير من الآيات ، وما كان يعد من المعجزات ، ان نعيد صياغة هذه البراهين على وجود الله بما يتفق وآخر مفاهيم العصر ، وحقائق العلم ومناهج البحث .**

الدليل الاول : شهادة الوجدان

يخطىء من يتصور أن العقل الانسانى هو المصدر الوحيد لتلقى المعرفة ، فالعقل مرحلة تتأخر فى الظهور ، وهو لا يستطيع أن يمارس نشاطه الا بعد التعليم والتدريب ، واستيعاب ما يسمى بالعلم المتراكم ، ولكن المشاهد والمحسوس ، أن الانسان بل كل كائن حى ، يدرك المعارف اللازمة لحياته عن طريق قوة تسبق العقل فى الظهور ، وهى قوة الغريزة ، فالفرخ الصغير يلقط الحب ، بمجرد خروجه من البيضة ، والطفل يلتقم ثدى أمه بمجرد ولادته ، وهو يصرخ ويبكى ويقبل ويدبر بانفعالات طبيعية لا أثر فيها للعقل أو التفكير .

وهذه الانفعالات الغريزية ، هى التى تتطور الى عواطف من حب وبغض وتفريعاتهما . هذه الطاقة الانفعالية فى الانسان ، هى ما نعبر عنها بالوجدان وهو الاحساس والشعور فى مجموعهما ، وهذا الوجدان هو ينبوع كل ما عرف الانسان أو سوف يعرف من فنون ، فهو مصدر الغناء والموسيقى والشعر والرسم والقصص وكل مظاهر الابداع الفنى .

منبع المعرفة الانسانية

ويحلو للبعض أن يدخل فى مفاضلة بين الوجدان والعقل ، وأن يغلب أحكام العقل ، على ما يسمى حدس الوجدان ، وهى مقارنة لا محل لها ، فالمعرفة الانسانية حصيلة الغريزة والوجدان والعقل معا ، ولا يمكن فصلها عن بعضها، فمن الثابت المحقق أن الانسان قد نطق وتكلم أولا ، ثم وضع قواعد النطق والتكلم ثانيا ، وميز وأدرك قبل أن يضع مقاييس فكرية للتمييز والادراك ، وانطلقت عقيرته بالغناء وتكلم الشعر وعزف الموسيقى ، ورسم على الارض وجدران الكهوف ، وصنع الآلات قبل أن يضع قواعد للغناء ، وموازين للشعر ،

وسلما للموسيقى وأصولا للرسم ومبادىء للميكانيكا .

فالانسان قد عرف بوجدانه أولا ، ثم بعقله ثانيا ، فاذا رأينا البشر فى كل زمان ومكان ، على اختلاف العصور والبيئات، والثقافة والمعتقدات ، يؤمنون بوجود قوة علوية تعلو على الانسان وسائر الكائنات ، فان هذا الاجماع البشرى هو آية الآيات على وجود الله ، ما دام الايمان بالله هو فطرة فى كل نفس .

وليس يغض من شأن هذا الاجماع كما قدمنا فى أول هذا المقال ، أن يشذ بعض نفر وينحرفوا لعديد من الاسباب عن جادة الطريق ، فان الاستثناء يؤكد دائما القاعدة ، وانحراف العدد القليل هو برهان استواء الاغلبية الساحقة ، وما أكثر ما سجل لنا التاريخ البعيد والقريب ، ان الكثير من هؤلاء المنحرفين الذين يحلو لهم فى فترة من فترات حياتهم أن يشكوا وينحرفوا ، قد عادوا الى الجادة فى أخريات حياتهم (١) .

العودة الى الايمان بالله أبدا

ولا تقف هذه الظاهرة ، ظاهرة العودة الى الايمان بالله على الأفراد المنحرفين ، بل انها تنطبق كذلك على المجتمعات التى تنحرف فى فترة من الوقت عن طريق الدين ، فانها لا تلبث ان تعود بدورها الى طريق الدين ، ولسنا فى حاجة للعودة الى العصور الموغلة فى القدم فقد شهدت البشرية فى العصر الحديث تجربتين ضخمتين فى هذا الميدان تكفيان وحدهما لاثبات غلبة الايمان دائما .

ففى أواخر القرن الثامن عشر ، اندلعت فى فرنسا ثورة عاتية اقتلعت النظام الاقطاعى والملكى وأعلنت النظام الجمهورى ، ورأى قادة الثورة ان يذهبوا الى ما وراء ذلك بأن يقتلعوا العقيدة المسيحية من أساسها ، فأغلقت الكنائس وطورد رجال الدين ، وأعلن روبسبير انتهاء عبادة الله ، ليحل محلها تكريم العقل ، ونصب من نفسه كاهنا أعظم لما أسماه دين العقل ، وان هى الا بضع سنوات ، حتى كان الشعب الفرنسى يثور على الثورة ، ويعهد الى نابليون بالسلطان ، ويجعل منه قنصلا فامبراطورا فديكتاتورا ، لأن نابليون استهل عهده باعادة فتح الكنائس والتصالح مع الدين ، والتصالح مع البابا الذى نصبه امبراطورا .

واذا كان يحلو لبعض المتكلمين من الفرنسيين أن يتحدثوا عن فرنسا كدولة علمانية لا صلة لها بالدين ، فان فرنسا قد أقامت امبراطوريتها الاستعمارية على دعائم الصليبية والدين ، وقد سارت جيوشها حيث سبقتها جمعيات تبشيرها ، وارساليات الفرير والفرنسسكان والدومينكان والجزويت فى آسيا وافريقيا ، أشهر من أن تعرف .

الثورة الشيوعية

وما حدث فى فرنسا فى اخريات القرن الثامن عشر تكرر فى روسيا فى مطلع

---

(١) يذكر القراء ما أشرنا اليه فى مقالنا الأول (عددشعبان) لأسماء بعض أعلام الكتاب العرب المحدثين ، وكيف بدأوا حياتهم الفكرية بالشك والقلق ، ثم انتهوا الى الايمان العميق ، وقد كان آخر هؤلاء الاعلام جريا على هذه السنة هو الدكتورطه حسين ، فنحن نعلم انه قد اشتهر عنه القول فى شبابه فى كتابه الشعر الجاهلى : « للقرآن أن يحدثنا عن ابراهيم واسماعيل ، وللتوراة أن تحدثنا عن ابراهيم واسماعيل ، ولكن ذلك لا يكفى لاثبات وجودهما التاريخى » وقد انتهى به الامر الى أن يصرح أخيرا فى حديث تلفزيونى رآه وسمعه الملايين انه لم يعد يسمع من الاذاعة سوى القرآن المرتل ، ولما سأله سائل لماذا يفضل القرآن المرتل على القرآن المجود أجاب . لأن القرآن يقول « ورتل القرآن ترتيلا » .

القرن العشرين ، عندما استولى على الحكم قادة الحزب الشيوعى المؤمنون بالماركسية المادية ، والكافرون بالله ، فقد حاربوا الدين فى جميع صوره وأشكاله ، وأغلقوا الكنائس والمساجد ، ودور العبادة ، واضطهدوا رجال الدين وحرموا على أى متدين أن يلى عملا من الاعمال صغر أو كبر ، واليوم وبعد خمسين سنة من بدء هذه الحملة على الدين ، اليوم وبعد ان اصبحت روسيا من أعظم بلاد العالم قوة واقتدارا وانتاجا وعلما ، حتى أنها لتوشك أن تكون السابقة للوصول الى القمر ، فكان المنطق يؤدى ان تكون روسيا أكثر انكارا لله والاديان واقتناعا بوجوب القضاء على الدين ، ولكن الذى يحدث فى الاتحاد السوفيتى ، وفى كل البلاد الشيوعية هو عكس ذلك ، فقد أطلقت الحريات الدينية وأعيد فتح الكنائس والمساجد ، وتنصيب البطارقة ، وقيل انه لا تعارض بين الاخذ بالنظام الشيوعى وبين ان يبقى الناس على دينهم ، وفى بلد شيوعى كبولندا ترتفع تماثيل العذراء وصورها على كل بيت وفى كل شارع ، ويعلن أسقفها على رؤوس الاشهاد منذ أيام أن بولندا هى حصن الكاثوليكية فى أوربا ، وقد دعى البابا لزيارتها (١) .

فطرة انسانية

باطل اذن ما زعموه من أن الدين والايمان بالله هو مجرد عادة من العادات التى تأصلت فى الانسان عن طريق التلقين ، وأنه مظهر من مظاهر جهل الانسان وضعفه ، فها هو ذا الدين يعود ليزدهر فى الاتحاد السوفيتى بعد خمسين سنة من الحملة عليه ، بعد أن نشأت فى الاتحاد السوفيتى أجيال لم تتلق من التعليم الا كل ما يحقر الدين ، وبعد أن كان كل جهاز الدولة حربا على كل من تظهر عليه أعراض التدين ، وليس ذلك الا مصداق هذا الذى قلناه ، من أن الدين هو فطرة كل نفس ، ومعرفة جبلية فى الانسان .

واذا لم يكن هذا الاجماع البشرى على الايمان بالله دليلا كافيا وجود الله ، فلسنا نعرف كيف يمكن اثبات أى أمر من الأمور ، او قضية من القضايا .

الدليل الثانى . من أين تولد الشعور بوجود الله ان لم يكن له وجود .

على أن العقل من ناحية أخرى لا يمكن الا أن يرى فى هذه الظاهرة الاجمالية ، دليلا عقليا بحتا يستند الى بديهيات العقل التى لا يمكن للعقل أن يفكر الا بالاستناد اليها .

فاحدى بديهيات العقل تقول . أن لا شىء يولد من عدم ، والوجود لا يمكن أن ينشأ من اللا وجود ، فان فاقد الشىء لا يعطيه .

فلو أن هذا الكون يخلو من كائن أسمى يعلو على الانسان والمادة ، ويتصف بالكمال المطلق والقدرة المطلقة ، فمن أين جاءت هذه الفكرة واستقرت فى القلوب والعقول ، كيف يكون باستطاعة الانسان المحدود أن يتصور اللا محدود ؟ كيف يمكن للانسان الناقص أن يتصور الكامل ان لم يكن لهذا الكامل اللامحدود وجود بالفعل ؟ !

(١) نعتقد ان ذلك الذى يجرى فى روسيا والبلاد الشيوعية من اقرار لبعض مظاهر التدين لا يعتبر دليلا على تنازل الشيوعيين عن مبدئهم الذى يقول لا اله ، والحياة مادة ، ولا على رجوعهم عن نظرتهم الى الاديان بأنها افيون ومخدر ، وانما هو رضوخ للامر الواقع ، وسلوك سياسى يسترضون به بعض العواطف وقد جاء فى جريدة « الاخبار » القاهرية بتاريخ ١٩٦٤/٣/٣ « اعترفت صحيفة « برافدا » الناطقة بلسان الحزب الشيوعى الروسى بان قسما من الشعب الروسى لا يزال متمسكا بالدين ، وطالبت بضرورة زيادة الدعاية اللازمة لوقف الايمان بالله » !! « الوعى الاسلامى »

ان الماديين الذين يقولون بأن الوجود لا ينطوى على غير المادة يعتبرون الفكر الانسانى ، أحد مظاهر المادة وانعكاسا لمؤثراتها فى العقل الانسانى ، فاذا كان الفكر هو انعكاس المادة ، فمن أين جاءت فكرة الكمال المطلق ؟ وكيف تملكت النفوس والعقول عقيدة الايمان بالله ؟ لا مناص لهم اما أن يسلموا بأن هذه الفكرة هى انعكاس لحقيقة مادية موجودة فى الخارج ، واما أن يسلموا بأن الفكرة يمكن ان تنشأ استقلالا عن المادة وسابقة عليها وهو ما يهدم نظريتهم من أساسها .

كل ما دار فى عقل الانسان على أنه موجود فقد كان أو كائن أو سيكون

والحق أن عصرنا الحديث ، عصر التجربة والاختراعات والآلات ، قد أثبت بالتجربة الحسية ، أن كل ما دار فى ذهن الانسان واعتبر فى وقت ما أنه وهم وتخريف قد تحول الى حقيقة واقعة . فما أكثر ما هزىء الهازئون من تصور الانسان فى الحكايات والقصص والمعتقدات الدينية ، قدرته التى لا حد لها عندما يعلم أسرار هذا الكون ، بحيث يصبح قادرا على تسخير هذه القوى الجبارة غير المتطورة مما أطلق عليها اسم الجن أو الشياطين أو الأرواح الشريرة ، أو فى صورتها الخيرة المتسامية ، قوة القديسين والأولياء الصالحين والملائكة .

وبهذه القوة دك الانسان الجبال ومسح المدن وجفف البحار وطار فى الجو وغاص فى البحر وحلق فى السماء وسمع ورأى على بعد ألوف الاميال وحول كل شىء الى ذهب .

ولقد اعتاد مفكرو المادة فى القرن الثامن عشر والتاسع عشر ، أن يسخروا من هذه الاحلام والاوهام التى تجىء من الشرق على شكل ألف ليلة وليلة أو قصص السندباد ، وها نحن أولاء قد عشنا ، لنرى كل ما وصف فى يوم من الايام بأنه محض خيالات وأوهام ، قد أصبح حقا واقعا ، والصواريخ تنطلق نحو القمر وهى تنفث النيران كما لو كانت جنا وشياطين ، والطاقة الذرية تدك الجبال وتبيد المدن وتجفف البحار ، ناهيك بالراديو والتلفزيون ، حيث أصبح الانسان بواسطتهما قادرا على أن يسمع الهمس ، ويرى الغمز مما يجرى فى الطرف الآخر من الدنيا ، أو مما سيجرى غدا على سطح القمر والمريخ .

لم يكن العقل اذن مخرفا ولا هو متخبط وهو يتخيل كل هذه الامكانيات المتاحة للانسان ، وكان وجود هذه الافكار فى رأس الانسان ، هو انعكاس لوجود قوى حقيقية فى الكون تقدره على فعل هذا الذى فعل .

وهكذا تكون التجربة قد دلتنا على أن ما يدور فى عقل الانسان لا يمكن الا أن يكون تعبيرا عن وجود حقيقى ، اما انه كان فى تاريخ مضى ، وهذا الذى يردده العقل هو من ذكريات ذلك الماضى ، واما انه كائن بالفعل ، وهذا الذى يردده العقل هو انعكاس ذلك الحاضر ، واما أنه سيكون فى المستقبل وهذا الذى يردده العقل هو أول مراحل الوجود (١) .

والحق أن الامر لا يمكن أن يكون الا كذلك تطبيقا للبديهية التى تقول « أن لا شىء يوجد من عدم » .

فالايمان بالله باعتباره قوة عليا ، تعلو فوق الانسان والكائنات وتهيمن عليها ، لا يمكن الا أن يكون حقيقة واقعة والا لما شقت طريقها الى قلب الانسان وعقله بكل هذا الشمول والاجماع .

الدليل الثالث . السبب الاول .

عمل العقل الانسانى الاول هو البحث وراء الاسباب والعلل ، وما عليك الا أن تتابع طفلك بمجرد أن تظهر عليه علائم الوعى والادراك ، وهو لا يفتأ يسألك عن

(١) اقرأ للمؤلف ، تفصيل هذه القضية فى كتاب « « الطاقة الانسانية » .

كل شيء تقع عليه عيناه « لماذا » ذلك أن العقل لا يمكن أن يعقل حركة الا أن يكون لها سبب ، ولا أن يرى حادثا الا أن يكون له محدث ، او يرى شيئا مصنوعا الا وله صانع أو شيئا مخلوقا الا وله خالق . تلك هى وظيفة العقل التى لا وظيفة له قبلها أو بعدها ، وعلمنا الحديث كله انما يقوم على معرفتنا الاسباب والعلل خلف الظواهر الجوية ، والميكانيكية والكيمائية ، حتى أصبحنا نعلل كل شيء، ونرد الاسباب الى مسبباتها ، ابتداء من سقوط الامطار حتى زئير الرياح وومض البرق واختلاف الليل والنهار والشتاء والصيف والمرض والصحة والحياة والموت وهكذا .

فاذا كانت هذه طبيعة العقل الانساني ، فكيف يطلب منا طالب ، أن نتصور أن هذا الكون كله من حولنا ، هذا الوجود بكل أسراره ونواميسه،بنجومه وشموسه وكواكبه ومجراته ، والارض بجبالها ووديانها وصحاراها وأنهارها ومحيطاتها، والحياة بنباتاتها وزهورها وثمارها ، والحيوانات بصورها وأشكالها ،والانسان بقدرته وطاقاته وفكره ، ان كل ذلك قد وجد بغير سبب ولغير سبب ؟ .

الحق انه لا يقول بذلك الا معتوه .

لا بد اذن من سبب ، وسبب اول يعلو على الاسباب كلها ، ومن الانصاف أن نقول ان الماديين لا ينكرون وجود السبب الاول ، وانما يجعلون المادة ونواميسها فى العصر الحديث هي السبب الاول ، وقديما كانوا يقولون الطبيعة أو الدهر هو هذا السبب .

ونحن فى هذه المرحلة من بحثنا لا تهمنا الاسماء التي تطلق على هذا السبب : طبيعة أو مادة أو نواميس ، أو صدفة ، حسبنا الاقرار بضرورة وجود سبب أول لهذا الوجود لان بديهية العقل التي اتفقنا عليها فيما سبق من أن فاقد الشيء لا يعطيه ، سوف تنتهي بنا الى أن هذا السبب الاول لا يمكن الا أن يكون قديما كبيرا قادرا حيا حكيما ، والا فمن أين جاءت الحياة ان لم يكن السبب الاول حيا ، من أين جاء هذا العقل الانساني ان لم يكن السبب الاول عاقلا أى حكيما ، من أين جاء السمع والبصر ان لم يكن السبب الاول مصدر هذه النواميس والسنن كلها .

وليس عند الماديين والطبيعيين ما يمنع أن تكون الطبيعة أو المادة قديمة قادرة عليمة حكيمة سميعة بصيرة ، ولعل ما ينكرونه على فكرة الالوهية هو ما يترتب عليها من علاقة الانسان بالله ، واستجابة الله لدعاء الانسان ، وتدخله لحل مشاكله وتقرير مصيره ، كما ينكرون أن يكون وراء هذه الحياة حياة أخرى ، وان يكون هناك بعث وحساب وثواب وعقاب وجنة ونار .

والرد على هذه الاعتراضات ، يتطلب منا أن نتحدث عمن تلقينا منهم هذه المعارف الغيبية ، وهم هذا النفر من القمم الانسانية ممن نطلق عليهم اسم الانبياء والرسل ، والذين يعتبرون بأشخاصهم وسيرة حياتهم دليلا رابعا على وجود الله ، وقد كان هؤلاء الرسل هم الذين حدثونا عن البعث والنشور والثواب والعقاب ، والجنة والنار ، وأقوالهم مما يطمئن لها الوجدان وترتاح لها العقول ، ولا تنفيه التجربة ، ولكن ذلك يحتاج الى تفصيل فالى المقال التالي عن الانبياء والرسل .

...جدة في طريق النور

كلُّ حصاةٍ في الطَّريق أَوْمأَتْ تنتظرُ
وكلُّ ذرَّاتِ الأثير أقبلَتْ تكبِّرُ

***

والرِّيحُ من كلِّ اتجاهٍ أيقظَتْ ربَابَها
واسبلَتْ على جَبينِ أُفقِهَا أهدابَها

***

واسترسلَتْ تعزف للسكون من صلاتِها
وتستَعيدُ شجْوَها هَمْساً علَى لهاتِها

***

وتُسْمِع الجِبالَ من تسبيحها أَنْغَاما
لم تدر كيف تحدرت من قلبها الهاما

***

والفَجْرُ من مَزَاره النَّعسان في وجه الوثَنْ
ردَّ خُطَاهُ لخُطاً جديدة على الزمَن

***

جاءتْ تَهُزُّ مُطْرِقاً أمامَ رب مُطْرِقِ
كلاَهُما عبد لوهمٍ جَاهلٍ، ملَفَّقِ !

***

جاءتْ تردُّ الظلْمَ مدحورا إلى طاغوتِه
ندامة مذعورة تَصرخ في تابوتِهِ

***

«مع الكون .. وهو يرتقب اول خطوة خارج الغار لنبى الانسانية محمد صلى الله عليه وسلم»

للاستاذ محمود حسن اسماعيل
مراقب عام البرامج الثقافية بالاذاعة ـ القاهرة

جاءتْ ... تَوَجُّ نارُهـــــا تَـــأوه المضْطَهَـــدِ
وتُضْـــــرمُ الإباء فـــى جَبينِـــهِ المستَعْبَـــدِ !

★ ★ ★

جاءَتْ .. ونورُ اللـــه يَحْدُو الخَطْوَ في طريقهـــا
والكوْنُ يَسْـــتَافُ عبيـــرَ الصَّحْـــو من شُـــروقِها !

★ ★ ★

والبيـــدُ ليْلٌ ضـــارعٌ في القيـــد حوْل الصـــنم
والناسُ أوهـــامٌ تدورُ فـــى ضَلالِهـــا المُلَثَّـــم !

★ ★ ★

.. في خَيْمة خَيَّمَ فيهـا الـــرِّقُّ منْـــذُ الأزَلِ
وغمغَـــمَ الانســـانُ حَوْلَ عُمْـــرِهِ المكبَّـــل ..

★ ★ ★

جاءتْ إليـــه ، تمْسَـــحُ الهوانَ من جبينِـــه
وتحصُـــدُ الإطـــراقَ والذلّـــةَ من جفُونِـــه !

★ ★ ★

جاءَتْ .. مِنَ الغـــار .. من النـــور خُطَـــا «مُحَمَّـــدِ»
طُوبَى لِمَنْ خَـــفَّ اليهـــا بِالضيـــاءِ يَهْتَـــدِى !!

النضر ، وما حدثتك بهذا قط . فقال : اسكت يا أبا النضر ، فان تزيين الحديث لنا انما هو بالرجال (١) .

٧ : ـ واذن ، فتفسير مقاتل بن سليمان ـ ومنه نسخ مخطوطة بدار الكتب المصرية ـ انما هو تفسير بالرأى ، وينبغي أن يؤخذ كل ما فيه من آثار ـ الا ما صح وهو قليل ـ على أنه من كلام مقاتل : ومن جملة تفسيره بالرأى . على أن يوضع فى الاعتبار أنه كان يتكلم فى صفات الله بما لا يحل ذكره ، وكان يقول بالتشبيه والتجسيم والارجاء . وأنه كان يأخذ عن اليهود والنصارى علم القرآن الذى يوافق كتبهم . وهو يعد من أقدم التفاسير بالرأى ، لكنه لم يكن فى جملته أمينا : لا من حيث العقيدة ، ولا من حيث ما تضمنه من آثار .

٨ : ـ ومع نشأة المذاهب الاسلامية (فى العقيدة ، وفى الفقه) ، ومع تقدم علوم البلاغة والنحو وغيرهما من العلوم العربية ـ نشأت اتجاهات فى التفسير : لتخدم هذه المذاهب،ثم برزت تخصصات المفسرين فى تفاسيرهم للقرآن ، فعالم النحو يعنى بالاعراب ، وعالم البلاغة يهتم بالنكات البلاغية ، والعالم بالقراءات يظهر علمه فى تفسيره ، وهكذا .

وحين ظهر التشيع كمذهب سياسي كان للشيعة علماؤهم الذين يدعون لمذهبهم ، ويدافعون عنه ، ومن بين هؤلاء العلماء مفسرون للقرآن تكلفوا فى تأويل آياته ، لتنصر مذهبهم فى التشيع لعلي وآل البيت ! . .

ونشأ المعتزلة والجبرية الى جانب أهل السنة ، فكان للمعتزلة مفسرون يستمدون من مبادىء مذهبهم تفسيرا لبعض آيات القرآن ، ويتكلفون فى تأويل هذه الآيات لتطابق تلك المبادىء : ومن أشهرهم الزمخشرى ، والقاضى عبدالجبار . وكان للجبرية (أو الجهمية) مفسرون ، عمدوا الى آيات القرآن فاتخذوا منها أدلة لمذهبهم ، وراحوا يتكلفون كذلك فى تأويلها لتتفق مع هذا المذهب .

أما الفقهاء فقد انطبعت تفاسير معظمهم بطابع الاستنباط من آيات التشريع فى القرآن ، ومن ثم غلب على هذه التفاسير اسم احكام القرآن ، أو الجامع لأحكام القرآن ، أو ما أشبه ! . .

وهكذا وجدنا أنفسنا أمام تراث ضخم من الكتب التي عنيت بتفسير آيات القرآن ، وهي كتب فيها الآثار وفيها الرأى ، وفيها العناية بعلوم اللغة العربية وبالقراءات المأثورة ، وفيها الاهتمام ببيان أحكام الفقه مستمدة من آيات التشريع ، على اختلاف بين أئمة المذاهب وفقهائها فى الأحكام ، وفى طرق استنباطها من الآيات . وفيها الاهتمام كذلك بالمذاهب العقدية المختلفة ، ومحاولة الاستدلال لها بآيات من القرآن ، بدون تكلف حينا ، وبتكلف أحيانا .

وسنتناول ذلك كله بالبيان ان شاء الله فى مقالاتنا المقبلة ، فى هذه السلسلة .

التفسير والتأويل

٩ : ـ والآن ، لا بد لنا من وقفة عند كلمتى التفسير والتأويل ، لنبين المراد بهما ، وما بين التفسير والتأويل من فروق ، قبل أن نتحدث عن المفسرين فنعرف بهم ، ونبين مناهجهم فى تفاسيرهم .

أما التفسير فهو مأخوذ من الفسر بمعنى الابانة وكشف المغطى ، وهو يستعمل لاظهار المعنى المعقول . ومثله السفر لكنه يستعمل لابراز الأعيان للأبصار . ويقال سفرت المرأة عن وجهها ، وأسفر الصبح .

(١) تهذيب التهذيب : جـ ١٠ ص ٢٨٢ ـ ٢٨٣ .

فتفسير القرآن اذن هو توضيح معانيه وبيانها ، ويقتضي هذا شرح المفردات التي تتضمنها آياته .

أما التأويل فقد بين معناه أصحاب المعاجم بمثل قول الفيروزابادى فى القاموس المحيط : (وأول الكلام تأويلا وتأوله : دبره ، وقدره، وفسره . والتأويل عبارة الرؤيا) .

١٠ : ـ لكن الراغب الأصفهاني (فى مقدمة التفسير) يقرر أن أكثر ما يستعمل التفسير فى الألفاظ ، والتأويل فى المعانى، كتأويل الرؤيا . والتأويل يستعمل أكثره فى الكتب الالهية ، والتفسير يستعمل فيها وفى غيرها . والتفسير يستعمل أكثره فى مفردات الألفاظ ، والتأويل أكثره يستعمل فى الجمل .

وقد ذكر أن التأويل نوعان : مستكره، ومنقاد . فالمستكره ما يستبشع اذا سبر بالحجة ، ويستقبح بالتدليسات المزخرفة المزوجة ، قال : (وذلك على أربعة أضرب :

الأول : ـ أن يكون لفظ عام فيخصص فى بعض ما يدخل تحته ، نحو قوله تعالى : « وان تظاهرا عليه فان الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين » ، حمله بعض الناس على علي بن ابى طالب رضى الله عنه فقط .

الثاني : ـ أن تلفق بين اثنين نحو قول من زعم أن الحيوانات كلها مكلفة ، محتجا بقوله تعالى : « وان من أمة الا خلا فيها نذير » ، وقد قال تعالى : « وما من دابة فى الأرض ولا طائر يطير بجناحيه الا أمم أمثالكم » ، فدل بقوله (أمم أمثالكم) انهم مكلفون كما نحن مكلفون .

والثالث : ـ ما استعين فيه بخبر مزور أو كالمزور ، كقوله تعالى : « يوم يكشف عن ساق » ، قال بعضهم : عنى به الجارحة مستدلا بحديث موضوع .

والرابع : ـ ما يستعان فيه باستعارات واشتقاقات بعيدة ، كما قال بعض الناس فى البقر انه انسان يبقر عن أسرار العلوم ، وفى الهدهد انه انسان موصوف بجودة البحث والتنقير .

أما المنقاد من التأويل فهو ما لا يعرض فيه البشاعة المتقدمة ، وقد يقع الخلاف فيه بين الراسخين فى العلم اما لاشتراك فى اللفظ ، أو لأمر راجع الى النظم ، واما لغموض المعنى ووجازة اللفظ .

١١ : ـ وقد وردت مادة التأويل فى سبع سور من القرآن هي : آل عمران : الآية ٧ ، والنساء : الآية ٥٩ ، والأعراف : الآية ٥٢ ، ويونس الآية ٣٩ ، ويوسف : الآيات ٦ ، ٣٦ ، ٣٧ ، ٤٤ ، ٤٥ ، ١٠٠ ، ١٠١ ، والاسراء : الآية ١٧ ، والكهف : الآيتين ٧٨ ، ٨٢ .

وهو فى هذه الآيات كلها ، وفى جميع السور التي وردت فيها مادته لم يرد الا بمعنى الأمر العملى الذى يقع فى المآل ، تصديقا لخبر أو رؤيا أو لعمل غامض يقصد به شيء فى المستقبل . فليس فى أى واحدة منها بمعنى التفسير ، ولا بالمعنى الذى اصطلح عليه المتأخرون من أنه صرف اللفظ عن الاحتمال الراجح الى الاحتمال المرجوح لدليل .

واذا كان الطبرى قد التزم التعبير به فى بيان معانى الآيات بقوله : وتأويل الآية عندى ـ فلا بد أنه كان يريد به حقيقة ما يؤول اليه معنى الآية بعد تفسير مفرداتها ، والجمل الغامضة فيها ، فقد كان هذا دون شك هو ما أراده به رسول الله صلى الله عليه وسلم عندما دعا لعبد الله بن عباس بقوله : « اللهم فقهه فى الدين وعلمه التأويل » .

والآن ، بعد هذه الاشارة الموجزة الى نشأة علم التفسير وتطوره ، وبعد ذلك الالمام المركز باختلاف كتب التفسير فى أهدافها ومناهجها ، وبعد هذا البيان لكلمتى التفسير والتأويل وما بينهما من فروق ـ لعله قد آن لنا أن نفترق بعد أن نتواعد على اللقاء ، مع أعلام التفسير واحدا واحدا . وسنبدأ بتقديم شيخهم محمد بن جرير الطبرى فى تفسيره جامع البيان . فالى عدد قادم والله المستعان .

القوانين المدنية في البلاد العربية

بين الاكتفاء والاستيراد

للشيخ عبد الحميد السائح
رئيس محكمة الاستئناف الشرعية بالقدس

علمنا ان اخواننا العلماء فى الاردن يقومون بنشاط يهدفون منه الى استمداد القوانين المدنية من الشريعة الاسلامية وذلك بمناسبة النظر فى تعديل هذه القوانين .. وجرت مراسلات بيننا وبين فضيلة الاستاذ الشيخ عبد الحميد السائح رئيس محكمة الاستئناف الشرعية بالقدس بهذا الشان ، كان من نتيجتها ان ارسل الينا مذكرة وضعها بهذا الخصوص تعتبر بحثا قيما فى تاريخ القوانين المدنية وتطورها فى البلاد العربية قبل الاستعمار وبعده ، كما ارسل الينا مذكرة رفعها هو واخوانه العلماء (الشيخ محمد الشنقيطي ، الشيخ عبد العزيز الخياط الاستاذ ابراهيم زيد الكيلاني) الى دولة رئيس مجلس الاعيان بهذا الشأن ايضا .

وقد شفع المذكرة التى أرسلها الينا عن القانون المدني بخطاب جاء فيه هذا التوضيح :

١ ــ كان مشروع القانون المدنى الاردنى قد اجتاز المرحلة الاولى الدستورية بالموافقة عليه من مجلس النواب ، وارسل لمجلس الاعيان ، فاعترض علماء الاردن عليه ، وقدموا عريضة لجلالة الملك ، وعلى اثرها اصدر أمره بأن تؤلف لجنة من كبار رجال الفقه الاسلامى ، وكبار رجال القانون لاعادة النظر فى المشروع ، على أن يكون مستوحى من شريعتنا الاسلامية .

وقد الفت تلك اللجنة ، وبعد اجتماعات متوالية مع اللجنة القانونية فى مجلس الاعيان، تقدم العلماء بمذكرة اخرى الى المجلس ، يشرحون الاسباب التى تستوجب رده جملة دون النظر الى تفصيلاته .

وقد كان لهذه المذكرة أثر كبير فى جميع الاوساط ، ولا يزال مشروع القانون بين يدى مجلس الاعيان فى انتظار البت فيه .

٢ ــ اذا وفقنا فى تحقيق الفكرة التى هدفنا اليها ، فاننى ارجو أن تكون سابقة حميدة فى البلاد العربية ، وأرجو أن يحذو حذونا آخرون من البلاد الاسلامية العربية .

٣ ــ المهم أن نحيى فكرة العودة للاسلام عقيدة ونظاما ، وأن نبرهن على صلاحية الاسلام حقيقة لكل زمان ومكان ، وانه يمكن أن يسن منه قوانين فى سائر المجالات ، نؤمن للناس مصالحهم ، ونعيدهم الى ثروتهم الاسلامية الفقهية الخالدة ، وان نخرج بها من دور المتاحف والآثار الى دور القضاء والادارة والعمل وسائر المجالات الاخرى .

ونقدم للقراء فيما يلى هذا البحث القيم الذى كتبه فضيلة الاستاذ الشيخ عبد الحميد السائح .

القانون المدني

يقصد بالقانون المدنى قانون يبين أحكام المعاملات المدنية من بيع وشراء ، وشروط والتزام ومقاولة وكفالة ورهن ومداينة ، وتصرفات ونحو ذلك ، باستثناء أحكام الاحوال الشخصية ونحوها ، مما يخضع لقانون خاص ، واحكام خاصة .

وقد كانت البلاد الخاضعة لحكم الخلافة الاسلامية ، تحكم فى الامور المدنية بأحكام مجلة الاحكام العدلية التى اصبحت قانونا عاما منذ سنة ١٢٩٣ هـ ، ومن تلك البلاد ما يعرف الان بالملكة الاردنية الهاشمية .

وان مجلة الاحكام العدلية لم تبق نافذة المفعول فى جميع احكامها ، بل دخلها الاخذ من جوانبها وحواشيها بتشريعات متعددة ، وقوانين مختلفة ، فى معظم المناطق التى كانت تطبقها ، حتى اصبح القليل منها هو النافذ عمليا فى المحاكم المختصة ، واخذ الحكام والمحامون والمتقاضون يشعرون بالحاجة الى وضع قانون آخر شامل ، واشتدت هذه الحاجة بروزا بعد تكوين الجامعة العربية ، وجنوحها الى ضرورة توحيد التشريع فى الدول التى تشملها الجامعة العربية .

ومع تقديرنا لفكرة الجامعة العربية وتأييدنا لها، ومع تسليمنا بأن الحاجة ماسة لوضع قانون مدنى جديد يؤمن مصالح الناس ، ويحقق العدل فيهم ، فاننا نعتقد ان المشروع الجديد المعروض على السلطة التشريعية فى الاردن ، يعتمد على مصادر اجنبية وماخوذ عنها فى اكثره ، وان تضمنت احدى مواده الاولى اعتبار مبادىء الشريعة الاسلامية من المصادر .

وقد عرض هذا المشروع منذ سنين على المجلس النيابى الاردنى فأجازه ، وارسل لمجلس الاعيان فرده ، وتطبيقا لاحكام الدستور الاردنى ، اجتمع المجلسان ، وبعد مناقشة للمشروع ، اتفق المجلسان على رده ، ثم اعيد بحثه من جديد ، فاجازه مجلس النواب الحالى ، ولا يزال فى مجلس الاعيان للتمحيص والبحث .

وقد جرى نقاش بشانه فى الصحف وغيرها ، وعقدت بعض الندوات فى الاذاعة الاردنية حوله ، واختلفت الآراء ، فمن الناس من يتحمس للمشروع المعروض ، ويقول ان الجمهورية العربية المتحدة والعراق وسوريا اخذت به ، وهو لا يتناقض مع الاسلام . ومن الناس من اقام النكير عليه، واعتبره آخر حلقات الاتصال بالاسلام فى التشريعات العامة مع ان دين الدولة الرسمى الاسلام ، ولهذه البلاد مكانة خاصة من حيث صلتها الوثقى بمصدر امجاد العروبة والاسلام ، ولذلك صدرت توجيهات سامية بضرورة تشكيل لجنة مختلطة من رجال الفقه الاسلامى والتشريع ورجال القانون لاعادة النظر فى وضعه على اسس الفقه الاسلامى ، بما يتفق مع مصالح الناس وعاداتهم وتأمين العدالة فيهم .

وقد تناقشت شخصيا مع عدد من رجال القانون والقضاء ، ولما اوضحت لهم ان الفكرة الصائبة المتزنة ، توافق على وضع قانون مدنى جديد ، غير ان هذا القانون يجب ان يكون مأخوذا من مصادر امجادنا ، وان ينبع من حضارتنا ، وان يعتمد على ابراز شخصيتنا ، وافقوا على الفكرة وارتضوها منهجا سليما .

ولا ريب اننا فى هذا العصر ، الذى ننفض فيه عن كياننا آثار الاستعمار فى مختلف النواحى ، ونتحرر من كل ما هو اجنبى بقدر الامكان ، لا يجوز ان نبقى عالة على الغير فى تشريعاتنا ، ونعتمد فى قوانيننا على مصادر اجنبية ، ونحن امة حية ذات ثروة فقهية غنية ، متطورة، صالحة للاستفادة منها فى كل زمان ومكان ، ويمكن ان تجابه المشاكل المستحدثة ، ونجد لها الحل الشافى المؤمن لمصالح الناس ، والمحقق للعدالة فيهم .

الشريعة فى المحافل الدولية

واود ان اشير الى بعض المواقف الدولية التى ابرزت تقدير هذه الثروة وضرورة الاعتماد عليها :

١ ـ سنة ١٩٣٧ انعقد مؤتمر القانون الدولى المقارن بلاهاى بهولندا ، وقدم فيه بعض علماء(١) الاسلام بحثين : أحدهما عن المسئولية الجنائية ،

(١) هو المرحوم فضيلة الاستاذ الاكبر الشيخ محمود شلتوت شيخ الجامع الازهر . انظر الرسالة الرابعة لمكتب شيخ الازهر للشؤون العامة .



والمسئولية المدنية فى نظر الاسلام . والآخر عن علاقة القانون الرومانى بالشريعة الاسلامية، واتخذ المؤتمر القرارات التالية : ـ

اولا : اعتبار الشريعة الاسلامية مصدرا من مصادر التشريع العام .

ثانيا : اعتبار الشريعة الاسلامية حية صالحة للتطور .

ثالثا : اعتبار التشريع الاسلامى قائما بذاته وليس مأخوذا من غيره .

رابعا : تسجيل البحث الاول فى سجل المؤتمر واعتباره مرجعا فقهيا .

خامسا : استعمال اللغة العربية بالمؤتمر فى دورته المقبلة .

٢ ـ سنة ١٩٥١ خصصت كلية الحقوق فى باريس أسبوعا للفقه الاسلامى ، وطلب القائمون على امره الى علماء الاسلام تقديم بحوث معينة ، كما اطلقت لهم الحرية فى القاء ما يرونه من بحوث اخرى . ومن جملة البحوث المحددة : ـ

أ ـ اثبات الملكية

ب ـ الامتلاك للمصلحة العامة ، وهو ما يعرف بنزع الملكية .

ج ـ المسئولية الجنائية

د ـ تأثير المذاهب الاجتهادية فى بعضها .

وكان نقيب المحامين فى باريس رئيسا للمؤتمر فى الجلسة النهائية ، واختتم اعمال المؤتمر بكلمة قال فيها « لا ندرى كيف نوفق بين ما كان يصور لنا من جمود الشريعة الاسلامية والفقه الاسلامى ، وعدم صلاحيتها كأساس لتشريعات متطورة ، وبين ما سمعته فى هذا المؤتمر ، مما يثبت بغير شك ما عليه الشريعة الاسلامية من عمق واصالة ودقة ، وكثرة تفريع وصلاحية لمقابلة جميع الاحداث » .

وانتهى الاسبوع بقرار : ان مبادىء الفقه الاسلامى لها قيمة قانونية تشريعية لا يمارى فيها ، وان اختلاف المذاهب يحوى ثروة تشريعية هى مناط الاعجاب ، ومنها يمكن ان يستجيب الفقه الاسلامى لجميع مطالب الحياة .. الخ .

ولا بد من الاجابة عن الحجة التى يتشبث بها بعض انصار القانون المدنى ، وهى ان هذا القانون اصبح نافذ المفعول فى معظم البلاد العربية ولا يسوغ ان تكون الاردن شاذة عنها .

وذلك ان القانون المدنى ، وضع فى تلك البلاد العربية فى عصور التخلف التى كان الاستعمار يهيمن فيها على جميع جوانب الحياة ، ومنها التشريع .

ويدلنا على ذلك ان السيد الاستاذ المستشار علي علي منصور رئيس محكمة طنطا السابق نشر مقالا بعنوان خواطر مستشار عن القانون الوضعى فى الجمهورية العربية ، وما نعاه عليه من اقتباسه من القانون الفرنسى ، تاركا كتاب الله واحكامه .. الخ ، ويتبين ان السيد رئيس الجمهورية العربية المتحدة اصدر قرارات جمهورية بتشكيل لجان من رجال الفقه الاسلامى والقانون الوضعى، لمراجعة القوانين المعمول بها وتعديلها تعديلا شاملا كاملا يلائم ما وصل اليه الناس من تقدم اجتماعى على ان تكون مستوحاة من الشريعة الاسلامية وتقاليدنا ، منها لجنة لتعديل القانون المدنى ، وقد قطعت هذه اللجان شوطا كبير .. الخ(١)

فاذا بدأت اللجان فى الجمهورية العربية المتحدة فى اعادة النظر فى القانون المدنى وتعديله تعديلا شاملا على ان تكون احكامه مستوحاة من الشريعة الاسلامية ، فلا يجوز لنا فى هذا الظرف ان نلجأ نحن الى وضع ذلك القانون موضع التنفيذ .

وان قانوننا اعتمد على القانون المدنى السورى ، والقانون المدنى السورى لم يكن شيئا آخر غير القانون المدنى المصرى الصادر فى مصر والمنشور فى الوقائع المصرية فى تموز سنة ١٩٤٨ م ليطبق فى مصر فى تشرين اول ١٩٤٩ مع تعديلات طفيفة .. الخ(٢) .

واما فى العراق فقد ظل المشروع بضع سنين محل تردد ، منذ ان وضعه الاستاذ السنهورى ، ثم اقر فى عهد سابق .

---

(١) منبر الاسلام العدد ٣ السنة ٢٢ ربيع الاول ١٣٨٤ هـ .

(٢) الوجيز فى الحقوق المدنية لعدنان القوتلى جزء ١ صفحة ١٦ .

مصادر القانون

استمد القانون المدني المصري ـ وهو القانون المدني السوري والقانون العراقي ايضا ـ الاحكام الواردة فيه من ثلاثة مصادر رئيسية اصلية نوه بهـا في صدر مذكرته الايضاحية .

وأول واهم هذه المصادر كان التشريع المدني المصري ، نتيجة لاجتهادات المحاكم المصرية ، وان النصوص التي استقيت من هـذا المصـدر تكـاد تستغرق ثلاثة أرباعه .

وان التشريع المصري السابق واجتهاد القضاء المصري في تطبيق نصوص ذلك التشريع وتفسيرها ، كانا يسايران الى حد كبير الاصـول والتقنينات الغربية بعد ان ساد في مصر منذ عام ١٧٧٦ـ١٨٨٣ قانون مدني مستقى من القانون المدني الفرنسي او قائم عليه .. الخ[١] .

والمصدر الثاني : الشريعة الاسلامية او الفقه الاسلامي ، يرجع اليها القاضي اذا لم يجد حكما في التشريع او العرف .

والمصدر الثالث : هو التشريعات الاجنبية .

واكثر ما رجع اليه القانون من هذه التقنينات الاجنبية الحديثة المشروع الفـرنسي الايطـالي ، والقانون الايطالي الجديد ، والقانون السويسري ، والقانون الالماني والقانون البولوني ، وهكذا فان المصدر الرئيسي الذي يمكن الرجوع اليه عنـد الاقتضاء في التطبيق والتفسير هو التقنين المصري السابق المأخوذ عن القانون الفرنسي مع اجتهـاد القضاء المصري واحكام المحاكم المصرية[٢] .

ومن هذا كله تبين ان القول بأن القانون المدني لا ينافي الاسلام ، او انه مأخوذ عنه لا يتفق مـع الواقع ، الذي اعترف به رجال القانون .

وحينما اريد وضع قانون مدني في سوريا كان هناك تياران متعاكسان حول المصدر الذي يجب ان يستمد منه القانون المدني المطلوب .

احدهما : يتبناه ذوو الفكرة الشعوبية التي لا قيمة عندهم للتراث العربي او الاسلامي ، يريدون ان يكون مصدر القانون اجنبيا لا يصله بالفقـه الاسلامي صلة ما ، ومن هؤلاء من توغلت الشعوبية في نفوسهم الى درجة الحقد على المجد العربي ، والحرص على دفن كل ما له به صلة .

وثانيهما : يتبناه دعاة الوحدة العربية الذين يريدون ان يكون لنهضة العرب كيان عربي مستقل بخصائصه ، لا يذوب في غيره . ولا يتنكر لحضاراته التي ملأت سمع التاريخ وبصره ، وكان لها مـن الماضي الفقهي الحقوقي ، ما ليس له نظير في تاريخ امة اخرى ، وهؤلاء يرون ان القانون المدني ، يجب ان يستمد من الفقه الاسلامي في شـتى مـذاهبه ومصادره الواسعة ، ففي تلك المذاهب والمصادر مـن القابليات المختلفـة ، والنظريات القانونيـة والاصول والفروع ، ما قد وفى بحاجات العصور والحضـارات والاطوار المتلـونة المتنـوعة ، التي واجهتها الحياة العربية والاسلامية ، وصلح لان يبني منه صرح فقه مدني من اضخم ما عرف التاريخ ، فهذا الفقه اذا خرجنا به من نطاق المذهب الفردي الضيق ، وحرثنا مذاهبه المتنوعة الكثيرة حراثـة فنية حديثة ، ونفذنا الى منابعه الاولى الغزيـرة الفياضة بعناصر الحياة القانونية ، استطعنا ان نصوغ قانونا يضاهي بل يباهي احدث القوانين المدنية اليوم ، وتكون مكتبتنا العربية هي منبعه في الامـــداد ، ومـرجعه في الشرح والتفسـير والاجتهاد .. الخ (٣) .

وفي شهر شباط سنة ١٩٤٩ تغلبت فكرة انصار بناء القانون المدني من الفقه الاسلامي ، فأوفدت وزارة العدل السورية بعض كبار القضاة فيها الى القاهـرة للاشتراك مـع الاستاذ عبـد الـرزاق السنهوري في وضع قانون مدني ، يكون اساسه الفقه الاسلامي ، مع اقتباس ما تـدعو الحاجـة الزمنية اليه من المبادىء القانونية الحديثة .

ولكن لـم تمض أيام على وصـول وفد وزارة العدل الى القاهرة حتى وقع الانقلاب العسكري الاول في سوريا ، الذي قام به السيد حسني الزعيم ، فالتف حوله بعض الانتهازيين من الفريق الأول وسلمهم وزارة العدل ، واقنعوه بأن أعظم عمل يرفع شأنه في نظر الأجانب هو أخذ قانون مدني أجنبي ، بدلا من التشريع الاسلامي وفقهه ، وقد وجدوا أن القانون المدني المصري الجديد يحقق هذا الفرض لأنه أجنبي المصادر : وقرروا وضعه موضع العمل بعد عشرين يوما من اقراره (٤) .

---

(١) المرجع السابق صفحة ٢٢

(٢) المصدر السابق صفحة ٢٥ ، ٢٦ .

(٣) شرح القانون المدني السوري ، نظرية الالتزام العامة للاستاذ مصطفى احمد الزرقا صفحة ١٧ ـ ١٨

(٤) المصدر السابق صفحة ٢٠



غير أنه بتأثير هذه الصدمة الشعوبية على أعظم تراث عربي وهو التراث الفقهي ، وما كان من رد فعل في الرأى العام السوري ، جاء الدستور السورى الذى وضعته الجمعية التأسيسية في سوريا سنة ١٩٥١ ، في ظل الانقلاب الثالث ، فتدارك هذه الخطيئة ، وقرر في المادة الثالثة منه أن : الفقه الاسلامي هو المصدر الرئيسي للتشريع.

وبناء على هذا النص أصبح القانون المدني الجديد مخالفا للدستور لأنه أجنبي المصادر ، فألف المجلس النيابي السوري حينئذ لجنة لتعديل القانون المدني وتجديده بما يتفق ونص الدستور من حيث المصدر ، وبدأت اللجنة عملها ، فلما جاء الانقلاب الرابع وحل المجلس النيابي توقف عمل اللجنة .

نظرتنا الى المجلة

وقد لاحظت أن بعض الأشخاص الذين يحاربون فكرة القانون المدني ، ينظرون الى المجلة نظرة تقديس ، كأنها شيء الهى لا يجوز تعديله ولا تنقيحه ولا التعرض اليه ، مع أنها في واقع الأمر لا يجوز أن ينظر اليها بهذا المنظار ، والا حلنا دون التطور المطلوب في التشريعات والتقنينات ، وفوق هذا نكون قد حملنا المجلة أكثر من حقيقتها .

لماذا وضعت المجلة ؟

قبل وضع المجلة كانت المحاكم تحكم بمقتضى الفقه الاسلامي ، على اختلاف كتبه وتعدد مناهجه ، ووعورة الطريق التي توصل الى نتيجة حاسمه ، وكان القضاة ينقطعون للتخصص سنين حتى يستطيعوا الغوص في الأبحاث الفقهية والظفر بالضالة المنشودة .

ولما بدىء بتأسيس المحاكم النظامية في الدولة العثمانية ، اصبح يعود اليها اختصاص النظر في انواع من الدعاوى كانت قبل ذلك ترجع الى المحاكم الشرعية ، ودعت الحاجة الى تيسير مراجعة النصوص الفقهية ، التي كانت هي المستند القضائي للحكام غير الشرعيين ، وذلك بوضع كتاب في المعاملات الفقهية يكون مضبوطا عاريا من الاختلافات ، حاويا للاقوال المختارة ، سهل المأخذ والمطالعة على كل أحد ، وعلى أعضاء المحاكم النظامية وموظفي الادارة ، ويكون بمثابة قانون مدني لدعاوى الحقوق التي تنظر في المحاكم النظامية .

فصدرت ارادة سنية بتأليف لجنة من كبار العلماء في الدولة ، ووضعت مشروع المجلة التي أصبحت قانونا عاما (١) .

وبذلك فتح باب جديد في التشريع ، وأوجدت المجلة في الفقه الاسلامي مرجعا قضائيا على الطريقة التشريعية في صياغة القوانين : من حيث الترتيب والترقيم ، والاقتصار على قول واحد .

وقد كانت المجلة حين صدورها بدء مرحلة جديدة موفقة في تاريخ الفقه العربي الاسلامي ، هي مرحلة التقنين .

عيب المجلة

غير أنه أخذ على واضعي مشروع المجلة فيما أخذ ، أنهم التزموا مذهبا واحدا هو المذهب الحنفي السائد في الدولة العثمانية ، ولا ريب أن المذهب الواحد مهما اتسعت اصوله وفروعه ، وتشعبت نظرياته وتخريجاته ، لا يمكن أن يكفي الأمة في حاجاتها التشريعية المتجددة .

والنصوص الأصلية التي يستند اليها الفقه الاسلامي ، وكذا القواعد المستخرجة منها ، تمتاز غالبا بعموم وشمول ومرونة الى درجة لا يمكن معها القول بانحصار صحة تطبيقها في صورة واحدة ، أو بأن وجهة نظر واحدة في فهمها هي الصواب دون ما سواها من آراء اجتهادية محتملة .

ولذلك كانت السعة الكبرى في قابليات الفقه الاسلامي ، انما تتجلى في مجموعة مذاهبه الاجتهادية لا في مذهب واحد (٢) .

---

(١) انظر التقرير الذى وضعته جمعية المجلة وصدرتها به ورفعته معها الى الصدر الاعظم وهو مطبوع في مقدمة المجلة .

(٢) انظر شرح القانون المدنى للزرقا صفحة ٩ ــ ١٢ .

مما تقدم يتجلى أننا لا نعارض الفكرة الأساسية، وهي ضرورة ايجاد قانون مدني يحقق للناس العدالة المطلوبة ، وتأمين حقوقهم وفقا للتقاليد السائدة فى هذه البلاد وأعرافهم . غير أننا لا نوافق أبدا على اصدار قانون مدني أجنبي المصادر فى جميع مواده وفصوله أو أكثرها .

وليس القصد أن ننظر الى كل مادة بمفردها ، فتلاحظ ما اذا كانت موافقة لاحكام الشريعة الاسلامية أو مخالفة لها ، وانما القصد أن يكون المشروع قائما على أساس النظريات الاسلامية الفقهية ، دون التقيد بمذهب معين أو مذاهب محددة ، ولا يخفى على كل من له المام بالشئون القضائية من قضاة ومحامين ، أن أى قانون مهما روعى فى نصوصه من الدقة ، فانه عند التطبيق قد يحتاج الى الرجوع لمصادر القانون ومآخذه ، حتى يستعان بها على تعيين المراد وتحديده وتفسير القانون .

ومن العيب الفاضح علينا ونحن أمة ذات تاريخ مجيد ، وفقه عظيم وثروة فكرية غنية ، أن نكون عالة على غيرنا نقتبس من فتات موائده ، ولدينا ما يشبعنا ويروينا .

وقد أعترف لنا المنصفون الأجانب ، أن الفقه الاسلامي هو أعظم تراث عربي ، أنشأته وخلفته الحضارة العربية فى عصورها الاسلامية ، وقد سهر على تكوينه عباقرة الفقهاء والمجتهدين من أسلافنا المتعددين .

ويوجد فى كل مذهب من المزايا فى الأصول والنظريات الحقوقية ، ما لا يوجد فى الآخر حتى أن الباحث قلما يجد نظرية أجنبية معقولة فى القوانين الحديثة الا وقد سبق اليها بعض هذه المذاهب الفقهية الاسلامية ، أو هي تقبل التخريج على بعض قواعده .

ولا مانع فى طريق الزيادة والتوسيع من أن نستهدى بما وجد عند غيرنا من الأمم الأجنبية ذات الحضارة القانونية الحديثة ، ونستفيد منه فى هندسة بناء تقنيننا العربي الجديد ، على أن يكون هذا تطعيما لنظرياتنا ، وتفريعا على أصولنا الفقهية فى طريق استكمال الحاجة .

فطريق الاقتباس يجب أن لا ينسينا أصولنا ، ولا يدفن فقهنا ، ولا يتركنا عيالا نجرى وراء الغير ، ونحن الاغنياء .

وبذلك تبقى مكتبتنا الفقهية العربية التي ملأت خزائن الدنيا ، هي المرجع الأساسي لنا ، ونحن نكمل ذلك الشوط المجيد ، الذى بدأ به جبابرة الفقه من أسلافنا ، وتركوه أمانة عربية ثمينة فى أعناقنا ، ويحق لنا حينئذ أن نفخر بأننا أمة عربية ذات مقومات أصيلة .

أما أن نعمد الى أعظم تراث فكرى وقومي لدينا ، كهذا التراث الفقهي الاسلامي الجليل فندفنه بأيدينا ، ونستبدل به قانونا أجنبيا يربطنا بعجلة التشريع الأجنبي وفقهه ، وتجعل تراثنا الفقهي نسيا منسيا ، فهذا — كما قال الأستاذ مصطفى الزرقا — اعلان افلاس وليس باقتباس ، وهو أعظم جناية شعوبية تقتل لنا أعظم تراث قومي حي قوي .

والنتيجة السليمة

أنه اذا كان الاتجاه فى مصر وهي السابقة فى وضع القانون المدني ، الى تعديله تعديلا شاملا على أساس الفقه الاسلامي ، وان اللجنة بدأت عملها فى ذلك ، واذا كانت سوريا فى عهود التنفس كان اختيارها واضحا فى أن يعاد النظر فى القانون المدني ، ويعدل أو يجرد على أساس الفقه الاسلامي ، فمن الخطر الواضح أن نقبل نحن قانونا بدأ غيرنا من الأشقاء فى تعديله على الأساس الذى ندعو اليه .

ومن الفخر للأردن بقيادة مليكه الشاب ، أن يبدأ هو بدعوة الأشقاء لاختيار لجنة عربية تضم جميع الدول العربية ، ويمثل فيها أساطين رجال الفقه الاسلامي والقانون لوضع قانون مدني شامل على تلك الأسس ، ويترك لكل دولة عربية أن تضع فيه أحكاما خاصة لبعض المعاملات المتعارفة لديها دون غيرها ، والتي لا تتعارض مع القاعدة التي يتفق عليها ، وحينئذ نكون قد أسدينا لهذه الأمة العربية خدمة جلى ، ونكون قد عملنا فى اتزان وتعقل على توحيد التشريع فى الدول العربية ، ووضعنا حجر الأساس فى بناء ما يحقق قوله تعالى (كنتم خير أمة أخرجت للناس) .

والله ولي التوفيق وهو الهادى الى أقوم سبيل .

مائدة القارئ

بهذا يفخر المسلمون

تفاخرت الاوس والخزرج فقالت الاوس : ـ

لنا غسيل الملائكة حنظلة الراهب، ومنا عاصم الافلح الذى حمت لحمه الدبر ، ومنا ذو الشهادتين خزيمة بن ثابت ، ومنا الذى اهتز عرش الرحمن لموته سعد بن معاذ .

وقالت الخزرج : ـ

منا اربعة قرأوا القرآن على عهد النبي صلى الله عليه وسلم لم يقرأ غيرهم . زيد بن ثابت، وأبو زيد ، ومعاذ بن جبل ، وأبى بن كعب سيد القراء ، ومنا الذى أيده الله بروح القدس حسان بن ثابت .

هذا هو الملك

نزل عبد الله بن المبارك عالم خراسان بمدينة الرقة ، ورأت أم ولد الخليفة هارون الرشيد موكب ابن المبارك ، فسألت من هذا ؟

قالوا : ـ عالم اهل خراسان .

فقالت : ـ هذا والله هو الملك ، لا ملك هارون الذى لا يجمع الناس الا بالشرطة والاعوان .

أدب الابناء

رأى ابو هريرة رجلا يسير مع آخر فقال : من هذا الذى معك ؟

قال : أبـي .

قال : لا تمش أمامه ، ولا تجلس قبله ، ولا تدعه باسمه ، ولا تستسب له .

حبائل الشيطان

قال ابليس : ـ اذا ظفرت من ابن آدم بثلاثة لم أطالبه بغيرها .

اذا أعجب بنفسه ، واستكثر عمله ، ونسى ذنبه .

نصيحة اياس للتجار

يا معاشر التجار احفظوا عني خصالا ثلاثا تنتفعون بها فى تجارتكم .

لا يشتر الرجل باكثر من ماله ، فان كانت وضيعة أتت على رأس ماله كله .

ولا يشارك الا شريكا واحدا ، فان أكثر فاتئين ، فان الشركاء اذا كثروا تواكلوا .

ولا يشتر من رجل بضاعة ليس له غيرها ، فان التوى أمر أو اصابته نكبه لم يعذره .

اشتروا من أهل السعة واليسار ، فانهم يؤخرون ، ويحتملون .

البصرة

جاء فى اللسان . البصرة أرض كانها جبل من جص ، وانما سميت البصرة بصرة بها ، وقال الطبرى ، بعث عمر بن الخطاب عتبة بن غزوان فقال انطلق أنت ومن معك حتى اذا كنتم فى أقصى أرض العرب وأدنى أرض العجم فاقيموا ، فاقبلوا حتى اذا كانوا بالمربد (ضاحية من ضواحى البصرة بينه وبينها ثلاثة اميال) وجدوا الكذان (حجارة رخوة ، قالوا ما هذه البصرة) .

منطق معقول

ومنطق معكوس

قال رجل لاياس : ما تقول فى المسكر ؟

قال : ــ حرام

قال : ــ وما حرمه ؟ وانما هو تمر وماء .

قال : ــ فرغت ! ؟

قال : ــ نعم

قال اياس : ــ أرأيت لو أخذت كفا من ماء ، فضربتك به ، أكان يوجعك ؟

قال : ــ لا

قال : ــ افرأيت لو أخذت كفا من تراب ، فضربتك به ، آكان يوجعك ؟

قال : ــ لا

قال : ــ أرأيت لو أخذت كفا من تبن ، فضربتك به ، أكان يوجعك ؟

قال : ــ لا

قال : ــ فاذا أخذت كفا من تراب ، ثم طرحت عليه التبن وصببت عليه الماء : ثم خلطته وجعلته فى الشمس ، ثم ضربتك به ، أكان يوجعك ؟ .

قال : ــ نعم يقتلني .

قال : ــ فكذلك هذا حين جمعت أخلاطه ، وخمر حرم .

فضل الام

تنازع أبو الاسود الدؤلي وامرأته فى ابن لهما ، وكل واحد منهما يقول : أنا آخذه .

فقال ابو الاسود : ــ حملته قبل أن تحمليه ، ووضعته قبل ان تضعيه .

فقالت امرأته : ــ حملته خفا ، وحملته ثقلا، ووضعته شهوة ، ووضعته كرها ، وكان حجرى فناءه ، وبطني وعاءه ، وثديي سقاءه .

فدفع ابو الاسود الولد الى امرأته .

رجال ومواهب

عن أنس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أرحم أمتى بأمتى أبو بكر، وأشدهم فى أمر الله عمر ، واشدهم حياء عثمان ، وأقضاهم على ، وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل وأفرضهم زيد بن ثابت ، وأقرأهم أبي ابن كعب ، ولكل أمة أمين ، وأمين هذه الامة ابن الجراح .

بين عالم وفيلسوف

افتخر عالم أمام فيلسوف بما قدمه العالم وما اخترعه من مخترعات .

فقال الفيلسوف : ــنعم ، أيها العالم . انكم استطعتم أن تجولوا فىالسماءكالطير ، وان تسبحوا تحت الماء كالسمك،ولكنكم لم تستطيعوا أن تسيروا على وجه الارض فى أمن وطمانينة كالحيوان .

أم المؤمنين

كانت أم المؤمنين زينب بنت جحش مع ما يأتيها من عطاء صناع اليدين تصنع بيدها ، وتخيط ، وتتصدق بكل ذلك فى سبيل الله ، ووصفتها عائشة رضى الله عنها فقالت :

لم تكن امراة خيرا منها فى الدين ، واتقى لله ، وأصدق حديثا ، وأوصل للرحم ، وأعظم صدقة ، وأشد ابتذالا لنفسها فى العمل الذى تتصدق به ، ويقربها الى الله .

علاج نبوى

((عن أبي هريرة رضي الله عنه ، ان رجلا أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال ان لي جارا يؤذيني .. فقال اخرج متاعك فضعه على الطريق !! فأخذ الرجل متاعه فطرحه على الطريق .. فكل من مر به قال مالك ؟ قال جارى يؤذيني ، فيقول اللهم العنه ، اللهم اخزه .. قال ــ أى أبو هريرة ــ فقال الرجل ارجع الى منزلك فوالله لا أؤذيك أبدا)) .

القسطنطينية

كيف خفقت رايات الإسلام فوقها

للاستاذ محمد صبيح

كانت القسطنطينية ، عاصمة الامبراطورية البيزنطية ، مطمح انظار الفتح الاسلامي ، في موجة اندفاعاته وانتصاراته الكبرى ، خلال القرنين الاول والثاني الهجريين .

فالى هذه العاصمة الكبيرة ، ارتد هرقل ، بعد ان دحر خالد وابو عبيدة وعمرو بن العاص جيوشه في سوريا وفلسطين ومصر .. ومنها كان هرقل وخلفاؤه ، يدبرون الكيد للمسلمين ويتربصون بهم .. واليها كان يهرع الغاضبون والحاقدون على قيام هذه الدولة الفتية القوية ، مثلما ما صنع جبلة بن الايهم الغساني ، عندما لجأ الى القسطنطينية خوفا من ان يقتص منه عمر بن الخطاب .

محاولات لم تنجح

ويروى ابن الاثير في حوادث سنة ٢٦ هجرية ، انه لما افتتحت افريقية ، أمر الخليفة عثمان بن عفان قواده ان يسيروا الى الاندلس وقال في كتابه : « اما بعد فان القسطنطينية انما تفتح من قبل الاندلس » .

وهكذا كانت هذه المدينة الشهيرة ، في ذهن منشئي الدولة الاسلامية الكبرى من اليوم الاول .

وكان أول حصار لعاصمة البيزنطيين في عهد رابع الراشدين الامام علي ابن ابى طالب ، اذ قام معاوية بهذا الهجوم في عام ٣٤ هـ ، كما حاصرها ابنه يزيد ،



فاتح القسطنطينية ـ
السلطان محمد الثاني

وحاصرها سفيان بن أوس ، وكان اعنف حصار هو الذى تم فى عهد خلافة هشام بن عبد الملك عام ١٢١ هـ .. وحدث حصار سابع فى عهد هارون الرشيد عام ١٨٢ هـ .. وقد صمدت المدينة بعد ذلك لاربع حصارات عربية اخرى . وظلت ستة قرون ونصف قرن تستعصى على كل هذه المحاولات ، يساعدها على المقاومة ، موقعها الحصين ، والنار الاغريقية التي كانت تقذفها على سفن الاساطيل المهاجمة فتدمرها دون ان يفلح الماء فى اطفائها . وذلك لانها كانت مركبة من مزيج كمياوى من النفط والقار والكبريت ، وقد استغلق سره على العرب وقتها ..

ومما لا شك فيه ان الوصول برا الى القسطنطينية ، اقتضى المسلمين جهودا جبارة لمحاولة الاستيلاء على جميع الشواطىء الشمالية للبحر المتوسط ، بما فى ذلك فرنسا وايطاليا ، بل استولوا ايضا على قمم الألب ، وبعض سهول سويسرا ، وذلك الى جانب جميع جزر البحر المتوسط بما فيها صقلية : ولولا انقسام حكام المسلمين الى عباسيين يحكمون مشرق الارض ، واموبين ثم فاطميين يحكمون مغرب الارض ، ومحاربة فريق منهم للفريق الاخر ، لاصبح البحر المتوسط كله بحيرة عربية ، وكذلك دوله وموانيه بما فى ذلك القسطنطينية .

هذا الانقسام هو الذى ترك عبء الاستيلاء على عاصمة البيزنطيين ، ليكون من نصيب الدولة العثمانية بعد ان اشتد ساعدها ، وتوغلت جيوشها فى أرض البلقان كله ..

القسطنطينية

القرن الخامس عشر

نحن الان فى القرن الخامس عشر الميلادى ، نطل من نافذة التاريخ على هذه المدينة الكبيرة ونحس ان هما ثقيلا بدأ يثقل كاهلها ، وتنوء به .. فان قوة الاتراك العثمانيين تزداد ، وتهديدهم يشتد وملكهم يتسع ، ولم يجد امبراطور بيزنطة ، الا ان يسعى لعقد حلف ديني مع بابا روما ، ومن يتبعه من ملوك اوروبا وامرائها . عسى أن يعينه ذلك فى دفع الاخطار التي يشم هو ورعيته رائحتها كلما اشرق صباح ، وأمسى مساء .

وحزم الملك يوحنا أمره ، وأخذ معه وفدا ضخما من رجال الكنيسة الشرقية بلغت عدته ثلثمائة شخص ، وركب البحر الى البندقية ، ومنها قصد الى مدينة فارارا ، حيث تواعد معالبابا على اللقاء.

كان هدف هذا اللقاء أن يسوى ما بين الكنيستين الشرقية والغربية من خلاف ، وبهذا تتاح الأمداد العسكرية من كل أوروبا ، لكى تعين القسطنطينية على مواجهة الغزو التركي الذى تنتظره بين حين وآخر .

وكان الملك يوحنا ، قدر أربعة أشهر لرحلته ، ومحادثاته الدينية ، وعودته بالمال والسلاح والسفن .. ولكن هذه الرحلة طالت كثيرا ، اذ تجاوزت خمسة عشر شهرا ، بدأ الجدال فيها واستحر عند ترتيب جلوس البطاركة والمطارنة حول كرسي البابا . ثم بدأ جدال ديني كبير على بعض المسائل العقائدية فى الدين المسيحي ، مثل نار المطهر الذى تذهب اليه نفوس الخاطئين ، وهل تؤدى عملها فى التطهير اذا لم يكن المذنب قد اعترف قبل موته ؟ وعن طبيعة المسيح ، وعن الفرق بين الفطير والخمير ، وغير ذلك من المناقشات ! ! ! .

وقلق الملك من طول المناقشات ، واضطر الى ان يستعمل كلنفوذه لارضاء المتحدثين باسم البابا ، لم يخالفه فى ذلك الا أربعة من رجال كنيسته ، وعاد بهدايا ومال وفير ، وعاد أيضا بوعد مكتوب بان تهرع اليه الجنود والسفن وكل ما يطلبه اذا ما داهمه العثمانيون .

وسمع البابا أن المعارضين الاربعة ، سبقوا الملك الى القسطنطينية ، وأنهم البوا الناس على هذا الاتفاق . فما كان منه الا أن ركب السفينة ، وذهب ليتأكد من ولاء الكنيسة الشرقية له ، فاذا ما سمعه كان حقا كل الحق ، حتى انشعب المدينة رفض ان ينزل البابا الى البر من سفينته ، وكذلك صنعوا فى الكنائس الشرقية ، فما كان منه الا منع كل معونة عن المدينة الخارجة على سلطانهالروحى.

وكأن رحلة الملك ، زادت انقسام الناس ، وشغلتهم فى مناقشات دينية .. فلما مات وخلفه ابنه قسطنطين تلقى تركة مثقلة ، ومشاكل معقدة أشد التعقيد (١) .

سابع السلاطين

وفى الجانب التركي نجد سلطانها محمد الثاني — وهو سابع سلاطين بنى عثمان ، يتولى الملك ، واول برنامجه الاستيلاء على القسطنطينية ..

وحتى لا يشغله شاغل سبق ان عكر صفو الحياة على اسلافه ، عمد الى أخ رضيع له اسمه ، أحمد فذبحه .. حتى

(١) فى ذلك كله أعظم عبرة للذين يختلفون منا ولا سيماعلى الامور الصغيرة وتتفرق كلمتهم وعدوهم جاثم على صدرهم وما اكثر العبر ولكن . ! « الوعى »



صورة تخطيطية لمدينة القسطنطينية . وترى كنيسة أيا صوفيا ذات القبة العالية وترى المدينة بقسميها محاطة بالأسوار العالية وذلك قبل استيلاء الأتراك العثمانيين عليها .

لا يكبر وينافسه فى الملك .. وكذلك كانوا يصنعون !! .

وبدأ الاستعداد للمهمة العظيمة .. بانشاء حصون على بوغاز البسفور تمنع المدد البرى من جهة اوروبا ، وبدأ حشد مدفعية هائلة وجنود سبق ان مرستهم الحروب فى البلقان ..

وكان ذلك كله قد تم فى أوائل ابريل سنة ١٤٥٣ م .

وأراد قسطنطين الملك الذى خلف يوحنا ان يفادى نفسه وملكه بالمال ، فبعث برسول الى محمد الثاني يعرض عليه دفع الجزية التي يقررها .. ولكن هذا الطلب رفض .

وبدأ الحصار ، واحاط ٢٥٠ الف محارب ، بالمدينة من ناحية البر ، آزرتها ١٤ بطارية من مدفعية ضخمة ومعها مدفع هائل ، قام بصنعه للاتراك صانع مجرى ، كان المدفع يقذف كرات من الحجر زنة الكرة ١٢ قنطارا ، تنطلق الى مسافة ميل .

وكان فى حوزة الاتراك اسطول أعد لمهمة الحصار البحرى من ١٨٠ سفينة طوقت مداخل الميناء من بعيد .

وعلى الرغم من ان أمل النجدة كان ضعيفا ، الا ان نداءات قسطنطين آتت نتائجها ، اذ هبت لمعونته مدينة جنوا ، وارسلت له عمارة بحرية مدربة تدريبا عاليا . وقد وصلت بعد ثلاثة اسابيع من فرض الحصار ، واشتبكت مع الاسطول العثماني فى معركة رهيبة ، وتغلبت عليه ودخلت الميناء ، واغلقته وراءها بسلاسل حديدية لا سبيل الى اقتحامها .

حيلة خارقة

ولن تكون للحصار ، ولا لضرب المدفعية فائدة ما دام طريق البحر مفتوحا يأتي بالمدد والتموين ، وسفن الاتراك ممنوعة من الاقتراب بهذه السلاسل . وخطر للسلطان ومشيريه مشروع ، يكاد يكون خياليا وهو أن تتسلل سفنهم الى الشاطىء المأمون بعيدا عن منطقة القتال ، ثم يرفعها الرجال الى البر ، ويدفعونها فوق الواح هائلة من الخشب طليت بالزيت والدهون ، وذلك لمسافة ستة

أميال ، ثم ينــزلونها مــرة اخــرى الى البحر ، ولكن فى داخل منطقة السلاسل المانعة ..

وفى ليلة واحدة ، تم نقل نحو مــن سبعين سفينة بهذا الاسلوب ، وفى هدوء وحذر بالغين .. وان الانسان لتعروه الدهشــة لهذا المجهــود البشرى الذى بذله الاتراك لتنفيذ مشروعهم ، مما يدل على براعة قيادتهم وضبط اعصابهم ، ودقة تصرفهم .

وكانت هذه العملية ، ضربة أليمــة للمدافعين عن القسطنطينية .

وفى ٢٤ مايو سنــة ١٤٥٣ ارســل السلطان محمد الثــاني ، رســولا الى قسطنطين يطلب منه تسليم المدينــة طوعا ، ويتعهد بان يترك للاهالي حريتهم وأملاكهم ، وان يبقيه على عرشه ، ويضم اليه جزيرة المورة .. ولكن الامر كبر على قسطنطين فرفض هذا العرض السخي ، وآثر الاستمرار فى المقاومة .

وفى اليوم الاول مــن عــام ٨٥٧ هـ (٢٩ مايو سنة ١٤٥٣) اشعل الاتراك النار امام خيامهم حتى تحول الليل الى نهار ، وقد حاكى السلطان العثماني فى هذه الحركة ، ما قام به سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام ، فى الليلة السابقة لاستيلائه على مكة .

وانفق المهاجمــون ليلهــم متيقظــين يكبرون بأصوات عالية .. فكان يسمع لصوت تكبيرهم دوى هائــل يغطى على كل امواج البحر ، ويبعث الرهبة والهلع فى قلوب كل حي ، وكل شيء فى المدينة التي تقرر مصيرها فى أطول ليلة عاشتها .

الهجوم

تسلق ١٥٠ ألفا من الجنود اســوار القسطنطينية ودخلوها من كل ركن وكل فج ، واخترقت سيوفهم المشرعة كــل شيء عارضهــم ، وكــل حي وقــف فى طريقهم، وكانت وجهتهم الكنيسة الشهيرة التي طالما ســمعوا عنهــا ، كنيســـة « ايا صوفيا » .

وكان البطريرك يصلى ومــن حولــه آلاف ، ولكن قطع صلاته تحطيم الابواب واندفاع الجنود داخل الكنيسة يضربون .. ويضربون ، كأنهم السيل المنهمر من أعالى الجبــال . واســتبيحت المدينــة ساعات قليلة . وفى الظهر دخل السلطان، وأمر بايقاف كل العمليات العسكرية ، وعمليات السلب بعد أن كفت المقاومــة تماما .

وبحث أعوان الســلطان عــن الملــك قسطنطين ، فاذا هو قتيل تحت سنابك الخيل ، ولما تأكد من موته ، ذهب الى الكنيسة ، وأمــر بانــزال اجراســها ، وتسلق قبابها المؤذنون ، ونادوا : « الله اكبر ، الله اكبر .. » ولما تم الاذان ، نودى ان الصلاة جامعة، وخطب السلطان، وأمر بأن تتحول نصف كنائس المدينــة الى مساجد ، ومنها « أيا صوفيا » وان يترك النصف الآخر للمسيحيين يقيمون فيه شعائر دينهم ..

ونادى المنادى فى الناس يطمئنهم الى انفسهم وأموالهم وحريــة عقيدتهــم ،



منظر طريف نادر للسلطان محمد الثاني وهو يشرف على رفع سفن الاسطول التركي من البحر وجرها على البر فوق الواح من الخشب ثم اعادة انزالها فوق الماء وراء السلاسل التى اغلقت الميناء فى وجه اسطول الغزو .

فهبط الالوف من الجبال القريبة ، وكانوا قد لاذوا بها متسللين ناجين بانفسهم . .

وأمر السلطان ، بأن تنتخب الكنيسة بطريركا جديدا ، فاختاروا جورج سكولاريوس، فنصبه محمد الثاني رئيسا للاروام الارثوذكس ، وأقيم لتنصيبه حفل كبير سار فيه رجال الدين فى موكب فخم ، تحف به جنود الانكشارية فى ازيائهم البراقة . وتألف مجلس ديني برياسة البطريرك الجديد ، واعطى له السلطان حق الفصل فى قضايا اتباع هذه الكنيسة الشرقية ، سواء كانت مدنية او جنائية . . وقرر السلطان جزية دفاع (خراج) على جميع المسيحيين ، واستثنى منها رجال الدين .

اكتشاف قبر أبى أيوب

وحدث عندما كان السلطان يحاصر المدينة ، ويقيم مواقعه حولها ، أن كشف رجاله عن قبر قرىء ما عليه من كتابة ، فاذا هو قبر الصحابي ابى ايوب الانصارى الذى استشهد فى الحصار العربى الثالث للمدينة ، عام ٥٢ هـ . . فأمر محمد الثاني بعد الفتح ، بأن يقام حول قبر هذا الصحابي الجليل مسجد عظيم يحمل اسمه .

وفى مسجد ابى ايوب ، جرت عادة سلاطين آل عثمان منذ ذلك التاريخ أن يتقلدوا سيف الحكم ــ وهو سيف عثمان الغازى الاول .

موطن الاسلام

لقد نقل محمد الثاني عاصمة ملكه من أدرنة الى القسطنطينية ، وغير اسمها الى « اسلام بول » اى موطن الاسلام ، وهي التي كتبت بالحروف اللاتينية ، استنبول ، ونقلت الينا هكذا ، مع ان اسمها ، وهو يدل على كلمة اسلام ،



السلطان محمد الثاني يشرف على الهجوم البحرى على القسطنطينيــة .

ويزاوج بين العربية والتركية ، كان اقوى واكثر وضوحا ..

وهكذا انضمت الى العالم الاسـلامي هذه المدينة الشهيرة . وحـاول بعض المؤرخين الغربيين أن يهونوا من شأنها وشأن قوات الدفاع فى داخلها .

وكـان مما زعمـه ، « جيبون » فى تاريخـه ان آثـار الادب والفلســفة اليونانية ، وهيفى نحو ١٢٠الف مخطوط دمرت فى هذا الفتح .. وهو قول غـير صحيح بالمرة ، فان معظم هذه النفائس نقلت قبل ذلك الى روما ، ومـا تـزال موجودة فى مكتبة الفاتيكان الى الان . ولقد رويت مثل هـذه الاكاذيب عـن مكتبة الاسكندرية ، وان العرب دمروها فى فتحهم لها ، وثبت كذلك كذب هـذا الادعاء .

صحيح أن الترك لم يحفلوا بالمكتبـة البيزنطية،وحصل كثير من امراء الجيش على تذكارات منها اهدوهـا او باعوهـا بعد ذلك لمن يعرف اللغات اليونانيـة واللاتينية القديمة .

ويبدو ان الجدال الديني فى عاصمة البيزنطيين كان غالبا عليهم حتى بعـد ارتفاع رايات الاسلام فوق رؤوسهم .. يروى الامير حيدر فى تاريخه ، انمناقشة طويلة دارت بين البطريرك والسـلطان محمد الثاني ، وقد اعجب السلطان بما ابداه كبـير الاسـاقفة : « فلما نظـر السلطان الى ما كتبـه البطريرك اعجبه كثيرا ، وأمر ان تحفظ هذه الكتابة باللغة العربية والرومية والتركية والاناضولية فى خزينة المملكة (١) » .

وقد اهتز العـالم المسـيحي بعنف لسقوط عاصمته الشرقيـة ، حتى ان البابا فى روما ، دعا الى حـرب صليبية

(١) تاريخ الامير حيدر الشهابى ص ٥٤٢ .



اقتحام أسوار القسطنطينية ب (١٥٠) الف مقاتل عثماني .

جديدة ، ولكن كما يقـول « هـ . ج . ويلز » فى مختصر التاريخ ، ان الحروب الصليبية كان قد انتهى اوانها (١) .

لماذا لم تسمع صيحة البابا فى القرن الخامس عشر ، كما سمعت فى القـرن العاشر ، ودفعت مليونا من الاوربيين كي يتحركوا تحت رايات الصليب، ويندفعوا الى الشام وفلسـطين ومصر فى غارات متوالية استمرت قرنـين كاملـين مـن الزمان ؟ ! ! .

لماذا تغير الزمان كما يقول ويلز ؟ .

ان روما وحدهـا ، كانت مشـغولة بأمور الدين خلال القرن الخامس عشر .. أما أوروبا فكانت فى شغل آخر ..

كانت فرنسا تحـرق جـان دارك ، والمانيا تخترع الطباعة ، والبرتغال تدور حول رأس الرجاء الصالح ، واسـبانيا تنزل اكبر الهزائم بالعرب وتطردهم من الاندلس ، ثم تدفـع سـفائنها بقيادة كرستوف كولمبس فيكتشف امريكا ..

واذا كانت أوروبـا ومؤرخوهـا قد أسفوا على كتب الفلسفة والادب الاغريقي عند قيام الحكم الاسلامي فى « اسـلام بول » ، فان الذى اغلق مدارس الفلسفة اليونانيـة فى أثينا ، بعد ان اسـتمرت ألف سنة لم يكن فاتحا اسلاميا ، ولكن كان جستنيان الاول (٥٢٧ ــ ٥٦٥) .. وهو بالذات الامبراطور الذى شـيد كنيسة سنت صوفيا ، لكي يتعبد فيها الناس ، بدلا من ان يتفلسفوا .

ويمكـن ان نقـول ان سـقوط القسطنطينية فى يد المسلمين كان تمهيدا طبيعيا لقيـام الخلافـة الاسـلامية فى عاصمتهم الجديـدة ، كما سـنرى فى البحث القادم ان شاء الله .

(١) ولكن ظل دوى هذا النداء يملأ قلوب الغربيين ،حتى وجدنا قائد الجيش الانجليزى حين فتح القدس فى الحرب العالمية الاولى يقـول : الآن انتهت الحروب الصليبية . الوعى

الشريعة

بين العاطفة والتنظيم

للأستاذ أحمد مهدى الخضر
المحامى – ووزير الاوقاف السورى سابقا

أهم ما يدور عليه الموضوع

*** الشريعة بين الماضي المتخلف ، والحاضر المبهوت ، والمستقبل المجهول .**
*** الشريعة ذلك الكنز الضائع المخبوء .**
*** الشريعة بين انصاف العدو الذى أقر لها صفتها العالمية .. وبين عقوق الصديق الذى يتنكر حتى لقدرتها المحلية .**
*** العالم المتحضر يقفز على عدد الثواني فى مجالات الحضارة والعلم .. أما نحن فمكاننا لم نكد نبرحه منذ عشرة قرون .. وننظر الى موقعنا من الصف الطويل .. فلا نكاد نرى بعدنا أحدا ! .**
*** قيمة الشريعة فى أنها نظام ((مجتمع)) أكثر منها عاطفة على منبر .**
*** دور أوروبا البارز فى عملية التنظيم للمعارف والعلوم فى الموسوعات والفهارس منذ أوائل القرن التاسع عشر (فرنسا ـ روسيا) .**
*** ودور العالم العربي فى موسوعته الحقوقية الوحيدة واليتيمة ((منذ أوائل النصف الثاني من القرن العشرين)) ((مصر ، كويت ، سوريا)) .**
*** حماية المشاريع العلمية من التيارات السياسية فهي من أسباب النكسات فى الماضي ، وليتم العمل بتضامن مخلص على نطاق علمي موضوعي بحت ..**

ان فكرة التنظيم، فى الحياة الاسلامية، شيء أساسي لا غنى عنه للمسلمين حتى فى شؤونهم التعبدية فالله لا ينظر الى الصف المعوج للمصلين .

ومن أفطر يوما فى رمضان .. فترك الصيام مع الجماعة ، وصام وحده .. لا يجزئه صوم الدهر كله ولو صامه ! . ودعوة الشعوب الى مؤتمر دولي ،

أول ما ظهرت فى حياة المسلمين فى مؤتمر (الحج) وهم من كل حدب ينسلون .

ووضع حد للحياة الروحية ، أن لا تطغى على الجوانب المادية فى الانسان ولا العكس تحت طائلة المروق من الاسلام فى ظل حديث الثلاثة المتزمتين من يصلي ولا يرقد .. ويصوم ولا يفطر .. ومن يترهب فلا يتزوج ، الذين قال صلى الله عليه وسلم فيهم « فمن رغب عن سنتي فليس مني » كذلك هذه ظاهرة بارزة من ظواهر التنظيم الاجتماعي العظيم .

وقد بقيت معالم التنظيم بادية فى عهود المجتمعات العربية التي قادتها روح الاسلام ، حتى تركت آثارها فى مختلف جوانب الحياة .. ومن أبرز هذه المعالم التنظيم العلمي والحقوقي الذى ظهر فى العصر العباسي ، فقد كان العلم يتلقى من أفواه العلماء ، ومن بعض الرقاع المنتشرة ذات اليمين وذات الشمال . حتى كان نصرا عظيما للعلوم وللمعارف ، ان تجمع فى كتب ، وأن تعرض منظمة فى أبواب وفصول وأحكام بالنسبة لذلك العصر .

وكان الفقه الاسلامي كفرع من هذه العلوم قد ادركه هذا التنظيم منذ نحو ألف عام .

ولكن المؤسف أن هذا الاسلوب فى الكتابةوالتأليف بقي على جموده منذ ذلك الحين حتى أصبح الانسان يشك اذابقى فيه أثر منالحركة والقدرة علىمدالحياة بما تحتاجه من زاد وغذاء جديد .

وفعلا فقد سبقتنا أوربا ــ فيما سبقتنا ــ الى استحداث اسلوب جديد لعرض العلوم والمعارف الانسانية يسهل على الانسان الوصول الى ضالته، ويوفر عليه الزمن الطويل الذى يستغرقه البحث فى ظل الاسلوب القديم ، ذلك هو أسلوب الموسوعات وهو يقتضي ترتيب المعارف والعلوم على طراز القواميس اللغوية .

تبتغي المادة من الرجوع الى كلمتها العلمية وحسب تسلسل حروفها الابجدية .

وعلى هذا يكون بقدرة اى مراجع أو باحث أن يصل الى ماينشده ، بمثل لمح البصر .

الا أن أوربا سبقتنا الى استحداث اسلوب الموسوعات منذ نحو قرنين ،وقد أخذ هذا الاسلوب ينتشر فى مختلف فروع العلوم، فأصبحنا نجد الموسوعات فى الطب العام ، بل نجد الموسوعات فى بعض فروع اختصاصات الطب كالموسوعة الفرنسية فى الطب الجراحي وكذلك انتشرت الموسوعات فى العلوم الهندسية وفروعها ، وفى علوم الحقوق وفروعها أيضا .

وكانت فرنسا من أشهر البلدان الأوربية التى سارعت الى انجاز عدد كبير من الموسوعات العلمية والحقوقية فى مختلف الميادين ، وقد بذلت فىسبيل ذلكمن الطاقات العلمية والماديةوالفنية والبشرية بتشجيع كبير من الدولة ، مما جعلها فى طليعة البلدان الأوروبية التى اشتهرت بهذا الاسلوب العلمي الحديث فى عرض المعارف والعلوم .

وكان من أشهر الموسوعات التى تعتزبها ، ويعتز بها العالم معها ، موسوعات « سيرى » و « داللوز » التى ظهرت فى مجموعات حقوقية وقانونية مختلفها كان من أبرزها :

أ ــ الاجتهاد العام

وقد بدأ عرضه على هذا الطراز منذ عام ١٨٤٥ ميلاديةوقد طبع بمعدلمجلد لكل عام .

ثم أصبح يلخص فى مجموعات أيضا فمنذ ١٨٤٥ حتى ١٨٩٧ لخصت كل « ١٠ » سنوات بمجلد واحد .. ثم بدأ التلخيص بعد هذا بمعدل مجلد لكل أربع سنوات « من الاجتهاد العام الآنف الذكر » .

وفىهذه المجموعة الحقوقيةوالقضائية ما سد حاجة كبرى لرجال الحقوق والقانون فى فرنسا ، وأوربا وفى عدد كبير من بلدان العالم أيضا . وأصبحت

ذائعة الصيت لا يكاد حقوقي في العالم أينماكان أو مؤسسة حقوقيةتجهل قيمة هذه المجموعة الحقوقية ، والموسوعة التاريخية والحاجة اليها والى مثيلاتها والى الجرى على غرارها .

ب ـ الفهرس العلمي :

وهو مؤلف من (١٢) مجلدا ومن تكملة مكونة من (٣) أجزاء ومن ملحق عام ١٩٣٨ من مجلد واحد . ولا يكاد يستغنى عنه رجل حقوق أو قضاء أو قانون .

واذا كانت فرنسا من أبرز البلدان التى هرعت الى هذا الميدان ، وأبدعت فيه وأصبحت يشار اليها بالبنان فى مختلف بلادالعالم لهذاالانجاز الموسوعي والحقوقي والعلمي العظيم ، فان بقية بلدان العالم المتحضرة مضت أشواطا بعيدة أيضا فى هذا الميدان سواء فى الشرق أو فى الغرب ونحن الوحيدون المتخلفون .. أو فى طليعة المتخلفين !

وبهذه المناسبة : أذكر حادثة قرأتها يوما ما أن بعض المستشرقين الروس نزل فى القاهرة منذ بضعة عشر عاما .. وسأل عن موضوع معين لكاتب ذكر اسمه .. فقيل له : من الصعب العثور عليه .. فقال لهم : نحن فى بلادنا .. نفهرس يوميا .. وباطراد .. كل ما ينتجه عقل الانسان ، ويولده جهده من علوم وفنون وآداب وحقوق وسياسة . ولا يخلو من ذلك شيء مما ينتشر أو يذاع أو يكتب أو يسجل !

ويفهرس هذا كله ـ بما فيه الجانب الحقوقي طبعا ـ على ترتيب المواضيع ، وعلى ترتيب الكتاب والمؤلفين ..

فاذا طلبت أى موضوع لأى مؤلف أو حقوقي أو كاتب .. وجدته بمثل لمح البصر بين يديك ! أما نحن فقد يعشى البصر .. وقد يذهب البصر ولا نرى الحكم الذى نبحث عنه ويبقى فى نهاية المطاف .. ضالتنا المنشودة البعيدة المنال !

لاشك أنها « وصمة عار » فى جبين العالم العربي والاسلامي ـ أن تخلو مكتباته جميعا دون استثناء وهو يعد كذا من الملايين .. عدد الحصى والرمل والتراب .. من موسوعة واحدة « للفقه الاسلامي المذهبي أو المقارن » حتى الآن ! بينما هي المرجع العلمي الوحيد الذى يسهل على رجال التشريع والقضاء والحقوق ، أن يستمدوا منه ويقارنوا به .. ويفيدوا من كنوزه المخبوءة تحت الانقاض والركام ...

أن مجالس الامة والهيئات التشريعية حتىفى بلادنا الاسلامية والعربية تفضل الاستمداد من الموسوعات الحقوقية الأجنبية لسهولة الاخذ منها ، وحسن عرضها وتوفير الزمن الطويل الذى كثيرا ما يضيع على من يبحث عن حكم او قاعدة فى كتب الفقه القديمة .. ثم لا تستبعد أن لا يعثر على ضالته بعد أن يأخذ راسه الصداع أو الدوار !

من المبادىء المقررة : **أنه فرض كفاية أن تقدم الدول والهيئات والافرادفىالعالم الاسلامى والعربي ضمن ما تستطيع كل ما تحتاجه الامة ماديا وحقوقيا وروحيا وسياسيا ، وعلى ذلك فان العالمين العربيوالاسلامي آثمان امام الله والتاريخ فى نظر الاسلام ، حتى يتضامنا أو يهيئا من يخرج هذا المشروع الحقوقي والعلمي الذى يبلغ مرتبة الضرورة لا مجرد الحاجات الى حيز النور .**

ولعل العالم الاسلامي والعربي يتخلص بهذا من اثم من الآثام التي تأخذ به من تلابيبه فى أكثر الميادين التي تخلف فيها تخلفه الذريع .

صحيح أننا صحونا قليلا منذ أوائل النصف الثاني من هذا القرن الميلادي الا أن صحونا لا يزال صحوا مشوبا بالكثير من الفتور والخمول .

فى عام ١٩٥١ نادت حلقة الدراسات الاسلامية فى باريس ، بانشاء موسوعة للفقه الاسلامي ، وقد أقرت الصفة العالمية للشريعة الاسلامية كمصدر أساسي للتشريع العالمي كالشريعة الرومانية وغيرها ، فى أهم المؤتمرات الدولية فى لاهاى وباريس ..

وفي عام١٩٥٦ صدر مرسوم برقم (١٧١١) وبتاريخ ١٩٥٦/٥/٣١ يقضي بانشاء لجنة لموسوعة الفقه الاسلامي تابعة للجامعة السورية بدمشق ، ورصدت ميزانية للموسوعة فى مراحلها الاولى الا أنها ما لبثت أن تقلصت .. ثم انعدمت ..

وفى عام ١٩٦١ وخلال الوحدة بين سوريا ومصر تمركز مشروع الموسوعة فى القاهرة وبدأ الاعداد له ، وصدر قرار وزارى عن وزارة الاوقاف برقم (٢٤) بتاريخ ١٩٦١/١/١٨ بتشكيل لجنة جديدة للموسوعة .. وما أن انتكست الوحدة .. حتى فتر المشروع فى القاهرة أيضا (١) .. واتضح أن خطة العمل فى الموسوعة فى المرحلتين لم تكن خطة عملية وشابها كثير من الارتجال فى التقدير والاختيار والتخطيط .

وفى عام ١٩٦٥ أقر مجلس الامة الكويتي رغبته باقتراح تقدم به بعض النواب مشكورين لتبني مشروع الموسوعة .

وفى عام ١٩٦٦ رصدت الحكومة الكويتية الميزانية اللازمة للسنة التحضيرية لهذا المشروع الكبير .

وعلى كل فان المشروع لا يزال وليدا وبرعما غضا .. وبحاجة للكثير من التغذية والعناية والحماية والنور .

وهو أكبر من أن يكون مشروعا تستطيع دولة واحدة القيام وحدها به ، سواء فى الشرق أو الغرب .. ولا بد من تعاون الدول العربية جميعها أو جلها ، ولا بد من اقامة عدة مراكز فرعية فى هذه الدول .. كل منها يتولى نوعا من العمل يوكل اليه .

انه يقتضي انشاء لجان عديدة يختار لكل منها عدد من المستشارين المخضرمين بالدراستين الشرعية والقانونية معا ، ومن أعلى المستويات العلمية والحقوقية

ينبغي تجنيب هذا المشروع التيارات السياسية المحلية أيا كان نوع هذه التيارات ، ليكتب له السلامة من العواصف وأسباب النكسة والفشل .

وهذه الموسوعة اذا قدر لها أن تبدأ فعلا هذا العام ، فلا بد لها من خطة ذات مراحل على فترة لا تقل عن عشر سنوات

وستسد حاجة المسلمين والعرب الى مرجع يستمدون منه تشريعهم واجتهادهم .. ويتخذون منه جسرا يربطون به بين الماضي والحاضر ، وبين النظر المجرد والسلوك .. وتنتهي بهذه الموسوعة المأساة الحقوقية الاسلامية من انقطاع الفكر الفقهي عن الحركة والتفاعل والنمو ، والاعداد للحياة المعاصرة .

ان مجالس الامة والهيئات التشريعية فى العالمين الاسلامي والعربي تستمد قوانينها اليوم من القوانين الاوروبية والشريعة الرومانية ..

وذلك لان أعضاء هذه المجالس والهيئات لا يستطيعون فى أغلب الاحوال العثور على ضالتهم من البحوث الحقوقية فى المراجع الفقهية المعقدة المملة . واذا استطاع البعض فان ذلك سيكلفهم أضعاف الزمن الذى يكفيهم لوجود الحكم المثيل فى المراجع الحقوقية الأجنبية .

ان الحياة المعاصرة تتطور من سنة لأخرى ، بل من يوم لآخر تطورات جذرية ومذهلة نحو الأفضل .

فماذا نصف تخلف التراث الفقهي عن الأسلوب المعاصر .. ليبقى راكدا على أسلوبه القديم الذى جمد عليه منذ ألف عام !

ان فى الشريعة الاسلامية طاقة هائلة دافعة للتطور نحو الأصلح ، ولكن هذه الطاقة كالثروات الدفينة فى أعماق الارض .. عندما تنقطع عنها يد الانسان

نسأل الله أن يكتب التوفيق للمسئولين العرب والمسلمين ليتعاونوا فى سبيل الحماية لشريعتهم والاستفادة من تراثها الحقوقي العظيم ، والا فويل للاسلام من عقوق العرب والمسلمين .

---

(١) ثم استؤنف العمل فيه بعد ذلك واصدر المجلس الاعلى للشؤون الاسلامية التابع لوزارة الاوقاف أول جزء من الموسوعة كمقدمة ونموذج . والعمل الان موزع على كبار العلماء ، ومع ذلك فان ضخامة المشروع تستلزم توحيد الجهود العلمية والمالية لاخراجه الى حيز الوجود « الوعى »

في ذكرى مولد الرسول الأعظم

أيشرق عن عدنان غيرك كوكب ... وأنت أجل الخلق ذكراً ، وأطيب
سموات ظل الله قد لاح قدسها ... بمكة يدنيها شعاع مثقب
تهادت بأرض رف للشرك بينها ... جناح ، ونور الحق أسنى ، وأرحب
جرى القدر الأسمى بأن محمداً ... سيبعث بالدين الحنيف ، ويطلب
ولم ينس عيسى أن يبشر قومه ... بأحمد ، والمقدار يملى ، ويكتب
وهل بعد انجيل المسيح مؤذن ... وهل غيره غاد على الناس يخطب ؟
ويوم وضيء قد تألق بشره ... يرف نسيم منه عذب مطيب
تنسم من في الكون رياه ، وانتشى ... بنجواه حاد في الفلا راح يطرب
فآمنة الحسنى تروح ، وتغتدي ... وقد حزب الأمر الذى تترقب
تقول لأتراب لها ، ان بى هوى ... لهذا الذى بين الحشا يتقلب
ولا غرو أن يأتي زكياً ، وطيباً ... فما أصله الا زكي ، وطيب
سرى البشر في البطحاء ليلاً ، فصفقت ... جوانح في أعشاشهن تطرب
وقد خشع الأملاك ، واصطف منهم ... يحيي رسول الله حشد ، وموكب
فلما أضاء النور ما بين يثرب ... ومكة ، واهتزت من البشر يثرب
وزلزل بالايوان كسرى ، ونكست ... إلى الهون أصنام تشد ، وتجذب
أطل على الدنيا ، فأزهر بينها ... جديب ، ووافى بالمجادة صيب
وأورق عود الخير بعد جفافه ... وقد كاد ينبوع الأماني ينضب
غدا بالندى ، والفضل ، يمنحه الورى ... فأجزل بفضل من يد الله يوهب
ولم تر أم المصطفى عند وضعه ... عناء ، ولا عبئاً له تتهيب
وما كان اعسار هناك ، وشدة ... ولا ما يروع الحاملات ، ويتعب
لقد حف بالأم الرءوم عرائس ... من الخلد ، تأسو روعها ، وتطيب

سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم

للاستاذ محمد هارون الحلو
المستشار الثقافى برئاسة هيئة الفتوة – القاهرة

فآسيةُ الغراء ترعى شؤونَهَا ... ومريمُ بالهادى الزكى ترحبُ
تقول له : مرحى ، حللتَ مباركاً ... فوجهك وضاحٌ ، وثغرك أعذبُ
سعتْ أمه في سوق مكة علها ... تفوز بمن ترعى الهدى ، وتربُب
حليمةُ ، ياطوبَى لها ما أصابَها ... من الفضلِ ، هل تدرى بمن سوف تذهبُ
تقول لزوجٍ خلفها لن أرى بِه ... بديلا ، فإن اليُتْمَ للخير أجلبُ
وقد قدرته يوم رفت غمامةٌ ... عليه ، تقيه الحر ، والشمس تحجبُ
رأتْه بأملاكٍ كرامٍ ، تحاوروا ... وكل له قولٌ رفيقٌ مهذبُ
تنادوا عليه : يامحمدُ ، وانتحوا ... به ، حيثُ شقوا صدره ثم طيَّبُوا
وبشوا بروح المصطفى أمر ربهمْ ... هنيئاً له الفضلُ الذى راحَ يصحبُ
ولما تغشتْه من الوحى غمرةٌ .. ... وظلتْه نجوى ، وهو عنها مغيبُ
وقيل له : اقرأ باسم ربك ، هزهُ ... إلى النورِ تلماح السنا وهو يُسكبُ
يقول له المختارُ ، ما أنا قارئٌ ... وما لى لسان في البيان ، فأعربُ
وسرى عنه ، وهو واعٍ ، وحافظٌ ... تزمله الزوجُ الحبيبُ المقربُ
ولما دنا منه البراق مسلماً ... وراحَ به بين السمواتِ ، ينهبُ
وأسرى بالمختارِ ليلاً ، وحفه ... بظلِ جناح الله شرقٌ ، ومغربُ
وفي المسجدِ الأقصى يصلى بصحبِه ... وهم أنجمٌ تزهى به ، وترحبُ
لقد بايعوهُ باللواء ، فأمهم ... وثَم ارتقى للعرشِ ، وهو مطيبُ
هنالك ظلتْهُ من الله آيةٌ ... لها الدهرُ يروى ، والسجلاتُ تكتبُ

ويوم غَدا منه بحيرا مرحباً   يرجعُ فيه طرفَهُ ، ويقلبُ
يسر إلى عمِّ النبي مناصحاً   لهذا الذى للأمرِ يدعى ، ويطلبُ
أبا طالبٍ : حاذرْ يهود ، فإنها   لتبحثُ عنه جهدَها ، وتنقبُ
وان لهذا النجم فيكمْ لآيةً   تطل على الدنيا ، فما تتحجبُ
يدينُ بها بين الورى صفوةُ الورَى   ويغشَى قريشاً نورها ، فتكذِّبُ
لقد كذبوا المختارَ ، يابئسَ قالةً   يروحُ بها في كل يوم معقبُ
وناصبَه القومُ العداءَ ، وأفحشُوا   له القولَ في عدوانهم ، وتألبُوا
وأحجى بهم لو ناصرُوه ، وآزروا   فذلكَ أرعَى للذمامِ ، وأوجبُ
ولكنهمْ ضلوا الطريق ، وصدَّهُمْ   عن الحق لؤمٌ غادرٌ ، وتَعصبُ
وأوغر صدر القوم أن محمداً   لأمرٍ خطيرٍ مثل ذلك ينُدبُ
ألمْ يك فيهمْ مثله ذو رجاحةٍ   وما الرأى ، والدينُ الجديدُ محببُ !
لسوف يشق الأمر ان لم يبادروا   ويقصوه عن نجوى القلوبِ ، ويُجنبُوا
أبو طالبٍ يدعوه : يابن أخى ، أما   إليك سبيلٌ غير ذاك ، ومطلب ؟
إذا كنتَ تبغى الملكَ منه ، ، فعندنَا   لك الملكُ ، والجاهُ العريضُ ، ومنصبُ
فيهتفُ : ياعماهُ ، ملءَ فؤادِه   وقد دمعتْ عيناهُ ، وهو مقطبُ
لئن وضعوا الشمسَ المنيرةَ في يدى   وبدرُ الدجى من راحتى هو أقربُ
لما خنتُ عهدَ الله حتى أحقهُ   فأرضَى به ، أو افتديه فأعطبُ
وقد آزرَ المختار صحبٌ ، تعلموا   على يدِه صدقَ الفدَا ، وتأدبُوا
وكانوا كراماً من كرام ، وكلهمْ   أشد اصطباراً في الجهادِ ، وأدأبُ
إمامى ، وهادى المسلمين ، وقبلتى   إذا جئت استَأنى ، وبابكَ أرحب؟
ألى منك في يوم اصطفاق جوانحى   مجيرٌ ، إذا ما عز أمرٌ ، ومطلبُ ؟
وهل لفؤادى نفحةٌ قُدسيةٌ   من الحوضِ أسقى من نداهُ ، وأشربُ
إذا جئت يوم الحشر ، والناس جثمٌ   وأنتَ علينا المشفقُ المتحدبُ
أَلوذُ بظلِ المصطفى ، وجواره   فآمن ما أخشى ، وما أتهيبُ
عليكَ سلامُ اللهِ ما رَفّ طائرٌ   على أيكهِ ، أَولاحَ في الأفقِ كوكبُ.

ولقد كان الظن بمحمد الشاب الغض الاهاب أن يقنع بهذه الغنيمة المربحة من جمال خديجة وحسبها ونسبها وثرائها وترفها ، لكي يقضي حياته بجوارها فى بحر من المتع واللذائذ الحسية . لكن محمدا حتى سورة شبابه كان فوق الظنون وأكبر من كل حساب . لقد كان يجارى – بعزيمته – سوابق الاقدار وما اختارته له من طريق مرسوم : ترك خديجة لشبابها ومالها وجمالها ورفهها، واختار ما هو أعظم : حنت طبيعته السامية الى غار حراء حيث الطهارة والصفاء والهدوء والاشعاع الروحي يتألق بكل ما له من جمال ورواء .

وهناك آثر العزلة وخشونة العيش شأن الحنفاء والزهاد المتنسكين من المتباعدين عن ارجاس الوثنية وأدرانها ، وكما تحدثت عنه عائشة رضي الله عنها ، حسبما يروى لنا البخارى فى صحيحه . كان يقضى هناك الليالىذوات العدد ، ثم يعود الى زوجة خديجة ليتزود لمثلها حتى جاءه الحق ، وهو فى غار حراء بالآيات الخمس الاول منأعظم وأسمى بيان عرفته البشرية :

« اقرأ باسم ربك الذى خلق . خلق الانسان من علق . اقرأ وربك الاكرم . الذى علم بالقلم . علم الانسان ما لم يعلم » .

وتتسامع قريش بوحىالنور والرحمة والهدى وسعادة الانسانية ، فيقابلون الموحى اليه صلى الله عليه وسلم بالاستغراب ثم بالتهكم والتكذيب والسخرية من هذا اليتيم الفقير « اهذا الذى يذكر آلهتكم » « لو كان خيرا ما سبقونا اليه » « لولا نزل هذا القرآنعلى رجل من القريتين عظيم » .

ثم يشفعون السخرية بالاذىالمصبوب على رسول الهدى والنور وعلى المؤمنين به ، فلا تعصمهم بقعة من الارض سوى يثرب التي عرف فيها رسول البشرية حقيقة يتمه عند قبر أبيه لاول مرة فى حياته وعلى مشارفها شاهد أمه آمنة تنزلق الى مثواها الاخير . الا ما أعجب أمر القدر فى حياة محمد صلى الله عليه وسلم : فى يثرب كتب أول خط فى يتمه وحرمانه من أبويه ، وبعد حوالى نصف قرن يهاجر الى يثرب حاملا رسالته العظمى ، لتكون يثرب المتواضعة بعد ذلك بقعة من أشهر بقاع الارض ، تسمى المدينة المنورة ، على ساكنها وعلى آله وأصحابه صلوات الله وسلامه ، ومن يثرب تخرج كتائب الايمان مابين مهاجرين وأنصار تحت لواء أعظم انسان عرفه الوجود ، لتحطم جيوش الكفر وتفتح دار الوثنية مكة فتحا مبينا ليعود للبيت العتيق تاريخه كله من الهدى والاشراق ولتنزل فى شانه الآية الخالدة « انما المشركوننجس فلا يقربوا المسجدالحرام بعد عامهم هذا ... » .

ومن المدينة التى كان اسمها يثرب ، يخرج الرسول الاعظم وحوله من حجاج البيت قرابة مائة ألف . وهناك ينزل عليه ختام رسالته الخالدة « اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا .. » .

والى المدينة التي كان اسمها يثرب يعود رسول البشرية من حجة الوداع هذه ، ليشرف ثراها بجسمانه الطاهر فى بقعة متواضعة من حجرة زوجه عائشة بالقرب من قبر ابيه وقبر أمه ، كما أختار القدرالذى تحار فى فهمه العقول . اسم محمد المتواضع الذى كان فى تواضعه يكسف شموس الاكاسرة والقياصرة ، أعظم وأخلد اسم عرفه التاريخ ، يسير الى اليوم على هديه خمسمائة مليون من البشر وينادى باسمه على خمسمائة ألف من المساجد والمآذن مقرونا الى اسم ربه الاعلىخمس مرات كل يوم وليلة « وانك لتهدى الى صراط مستقيم صراط الله الذى له ما فى السموات وما فى الارض الا الى الله تصير الامور »

النقود في الإسلام

للشيخ أحمد الشرباصي
المدرس بجامعة الازهر

النقود (١) هي عصب الاقتصاد ، لأنها نقطة الارتكاز التي تدور عليها مجالات كثيرة من نشاط الانسان وأعماله ، فهي وحدة للحساب ، وهي الوسيلة التى تتم بها المبادلة ، وهي الأداة المهيئة لاختزان القوة الشرائية ، ولا يتم فهم الكثير من الأمور الاقتصادية فى حياة الدولة الا اذا فهمنا وسائل التبادل ، وأسس القيم للأشياء ، وتتمثل هذه الوسائل عادة فى النقود . كما أن النقود من الوجهة التاريخية تعتبر وثائق هامة ، لما تحمل من تواريخ أو أسماء أو نقوش .

وقد كتب عن النقود فى الاسلام كاتبون كثيرون ، مثل قدامة بن جعفر ، وابن بطوطة ، والقلقشندى ، كما كتب المؤرخ الاسلامي المشهور المقريزى كتابا سماه « شذور العقود فى ذكر النقود » .

والشريعة الاسلامية تهتم اهتماما كبيرا بالنقود ، وتتحدث عنها فى مناسبات كثيرة من أبواب الفقه الاسلامي ، كالمهور والنفقات وأجر الرضاع والديات والوقف وأنواع الزكاة . وفى الفقه الاسلامي قسم كبير ، يسمى قسم البيوع والمعاملات ، ويكاد يكون شطر الفقه الثانى المقابل لشطره الأول ، وهو شطر « العبادات » ، والبيوع والمعاملات تقوم فى أساسها على النقود .

وقد تحدثت الشريعة الاسلامية عن أنواع النقود وأسماء لها ومنها : ـ

(١) النقد فى الاصل هو تمييز الدراهم ، ثم استعملواالنقد بمعنى الاعطاء ، ثم أطلقوا الكلمة على الذهب والفضة .

١ ـ السكة . وهي النقود العربية التي تسك ـ أى تضرب ـ فى الدور الخاصة بصناعتها ، ولذلك تسمى « مسكوكات » أى مضروبات ، وقد تحتاج كلمة « السكة » الى شىء من الايضــاح، وفى مقدمة ابن خلدون عبارة عنهــا لا بأس مـن ايرادها لمعرفة الأطوار التي مرت بها هذه الكلمة ، وهــي : ـ

« السكة : ـ وهي الختم على الدنانير والدراهم المتعامل بها بين الناس ، بطابع حديد تنقش فيه صور ، أو كلمات مقلوبة ، ويضرب بها عـلى الدنانير أو الدراهم ، فتخرج رسوم تلك النقوش عليها ظاهرة مستقيمة بعد أن يعتبر عيار النقد من ذلك الجنس ، فى خلوصه بالسبك مرة بعد اخرى ، وبعد تقدير أشخاص الدنانير والدراهم بوزن معين يصطلح عليه ، فيكون التعامل بها عددا، وان لم تقدر أشخاصها يكن التعامل بها وزنا .

ولفظ السكة كان اسما للطابع . وهي الحديدة المتخذة لذلك ، ثم نقل الى أثرها ، وهي النقوش الماثلة على الدنانير والدراهم ، ثم نقل الى القيام على ذلك ، والنظر فى استيفاء حاجاته وشروطه وهي الوظيفة ، فصار علما عليها فى عرف الدول .

وهي وظيفة ضرورية للملك ، اذ بهــا يتميز الخالص من البهرج بين الناس فى النقود عنـد المعاملات ، ويتقون فى سلامتها من الغش ، يختم السلطان عليها بتلك النقوش المعروفة ، وكــان ملوك العجم يتخذونها ، وينقشون فيها تماثيـل تكون مخصصة بها ، مثل تمثال السلطان لعهدها ، أو تمثال حصن ، أو حيوان ، أو مصنوع ، أو غير ذلك ، ولم يزل هذا الشأن عند العجم الى آخر أمرهم » .

وفى لسان العرب أن السكة (بوزن العلـة) حديدة قد كتب عليها ، يضرب عليها الدراهم ، وهــي المنقوشــة ، وفى الحـديث أن النبــي صلى الله عليه وسلم نهى عن كسر سكة المسلمين الجائزة بينهم الا من بأس . وقد أراد بالسكـة الدينار والدرهم المضروبين . سمى كل منهمــا سكة لانه طبع بالحديدة المعلمة له .

٢ ـ الدينار وهو وحدة من وحدات العملة الذهبية ، وقد جاء ذكره فى القرآن الكريم ، حيث يقول : « ومن أهل الكتاب من أن تأمنه بقنطار يؤده اليك ، ومنهم من أن تأمنه بدينار لا يؤده اليك ، الا ما دمت عليه قائما » .

قيمة الدينار والدرهم

وقد قدر بعض الباحثين المعاصرين ذلك الدينار بنحو سبعة وعشرين قرشا ، ومنهم من قـدره بنحو واحد وخمسين قرشا ، ولكن الأقرب الى الضبط هو أن الدينار يساوى ستين قرشا .

٣ ـ الدرهم وهو اسم لوحدة مـن وحدات العملة الفضية ، ويقال ان قيمته كانت سبعــة أعشار الدينار . وهذا قول بعيد ، الأرجح أن أن الدرهم كان عشر الدينار ، وعلى هذا الاساس يساوى « الدرهم نحو ستة قروش . ويقــول الجاحظ عن الدرهم : « الدرهم هو القطب الذى تدور عليه رحى الدنيا » وهو فيما يبدو يريد أن يبين أهمية النقد وأكثرها تداولا وهو الدرهـم فى تحريك الحياة الاقتصادية . وكانوا يطلقون كلمة « النقرة » على الدراهم الفضية .

ولكن يمكن أن نفهم ـ الى جوار هذا ـ أن الدرهم كان اكثر من غيره استعمالا ، لأن أساس النقد فى المجتمع الاسلامي كان فى الغالب هــو الدرهم والدينار فبهما كان يتم التبادل والتقدير والتعامل فى الدولة الاسلامية ، وعلى أساسهما تحدد الواجبات الشرعية المتعلقة بالمقادير المالية ، كالزكاة والكفارات والضرائب والمهور والنفقات والديات ... الخ .

٤ ـ الدانق وجمعه الدوانيـق هو سـدس الدرهم ، فتكون قيمته نحو القرش .

٥ ـ القيراط وهو نصف الدانق ، فتكـون قيمته نحو نصف القرش .

٦ ـ الفلس وهو عملة نحاسية قليلة القيمة ، وهى تساوى جزءا من ثمانية وأربعين جزءا من الدرهم .

٧ ـ الورق (بكسـر الراء) وهي النقـود الفضية ، وقد جاء ذكرها فى القرآن الكـريم ، حيث يقول : « فابعثوا أحدكم بورقكم هذه الى



المدينة فلينظر أيها أزكى طعاما فليأتكم برزق منه وليتلطف ولا يشعرن بكم أحدا » .

وقد أمكن معرفة مقادير هذه الأنواع من العملة والنقود ـ على وجه التقريب ـ عن طريق أوزان النقود الأثرية الاسلامية التى لا تزال باقية الى اليوم ، وفى المتحف الاسلامي بالقاهرة كثير منها . وممن عنوا بالكلام عن هذه النقود علمان من رجال الاقتصاد فى الاسلام ، هما البلاذرى فى كتابه « فتوح البلدان » والماوردى فى كتابه « الأحكام السلطانية » كما يمكن مراجعة ما يتعلق بهذا الموضوع فى كتاب « محاضرات فى تاريخ الأمم الاسلامية » للخضرى ، وكتاب « النظم الاسلامية » لحسن ابراهيم ، و « التمدن الاسلامي » لجورجي زيدان ، و « الخراج والنظم المالية فى الدولة الاسلامية » لضياء الدين الريس .

مناطق

ولقد كانت الدولة الاسلامية فى الماضي منقسمة الى منطقتين : المنطقة الأولى يكثر فيها التعامل بالدينار ، أو يعتبر فيها هو أساس المعاملة ، كمصر والشام ، والثانية يكثر فيها التعامل بالدرهم ، أو يعتبر فيها هو أساس المعاملة ، مثل العراق وما جاورها ، ويمكن أن نسمي المنطقة الأولى « منطقة الذهب » لانها كانت تتعامل بالدينار وهو يصنع من الذهب ـ ويقابله الآن الجنيه عندنا ـ والمنطقة الأخرى« المنطقة الفضية » لأنها كانت تتعامل بالدرهم ، وهو مصنوع من الفضة ـ ويكاد يقابله الآن ربع الريال ، قطعة الخمسة القروش الفضية .

ولكن التعامل ـ مع ذلك ـ كان مقبولا بأحد النقدين فى هذه المنطقة أو تلك ، ويحول الى الآخر بحسب النسبة ، وهى ما نعبر عنه اليوم بقولنا « سعر الصرف » السائد فى السوق ، والذى تحدده الأحوال التجارية، دون تدخل من الحكومة .

ويلاحظ ـ كما ينص على ذلك كتاب الخراج والنظم المالية ـ أن هذه التقديرات كلها من حيث العملة فى ذاتها ، ولا يدخل فيها تقدير القوة الشرائية ، فالنقود قد تكون هي هي ، ولكن تختلف القوة الشرائية بينها اختلافا كبيرا أو صغيرا ، وفى العصر الحديث نعرف جيدا معنى « التضخم النقدى » ، فاذا أردنا أن نقدر ثروات الأيام السابقة ، وقيم الاجور ، ومستويات المعيشة، فاننا لا بد أن ندخل فى حسابنا مقدار « القوة الشرائية » للنقد فى العهد الذى هو موضع الدراسة ، بالنسبة الى قوة شراء العملة المقابلة فى العصر الحاضر وينبغي أن نلاحظ أن وزن « الدرهم » وقيمته يختلفان بسبب اختلاف الأزمنة والأمكنة والاصطلاحات ، وقد جاء في مقدمة ابن خلدون أن الدرهم كان وزنه فى أول الاسلام ستة دوانيق ، والمثقال وزنه درهم وثلاثة أسباع الدرهم ، فكل عشرة دراهم بسبعة مثاقيل، والسبب فى ذلك أن الدراهم كانت مختلفة عند الفرس . وكان منها على وزن المثقال عشرون قيراطا ، ومنها اثنا عشر ، ومنها عشرة ، فلما احتاج الفقهاء فى الاسلام الى تقدير الدرهم أخذوا الوسط من الثلاثة ، وهو أربعة عشر قيراطا ، فكان المثقال درهما وثلاثة أسباع درهم .

الدراهم أنواع

وكذلك كانت للدراهم أنواع فمنها البغلي وهو بثمانية دوانق ، والطبرى بأربعة دوانق ، والمغربى بثلاثة دوانق ، واليمنى بدانق ! . فلما كان عهد عمر اختار الأغلب فى التعامل وهو البغلي واليمنى وهما اثنا عشر دانقا ، فكان الدرهم ستة دوانق ، وان زدت ثلاثة أسباعه كان مثقالا ، واذا نقصت ثلاثة اعشار المثقال كان درهما .

وقد تحدثت المقدمة كذلك عن حقيقة الدرهم والدينار الشرعيين وبيان مقدارهما ، وأنهما كانا مختلفين فى المقادير والموازين فى الآفاق والأمصار ، وان الاجماع ـ مع هذا ـ قد انعقد منذ صدر الاسلام وعهد الصحابة والتابعين على أن الدرهم الشرعي هو الذى يزن العشرة منه سبعة مثاقيل من الذهب ، والأوقية منه اربعين درهما ، وهو على هذا سبعة أعشار الدينار . ووزن المثقال من الذهب الخالص اثنتان وسبعون حبة من الشعير الوسط ، فالدرهم الذى هو سبعة أعشارهخمسون

حبة وخمسا حبة ، وهو أيضا ستة دوانق ، وكان هذا التقدير عرفيا فى بادىء الأمر ، ولما اتسعت رقعة الدولة اختلف التقدير ، وصار أهل كل أفق يستخرجون الحقوق من نقودهم بمعرفة النسبة التي بينها وبين مقاديرها الشرعية .



والمعروف أن العرب لم يضعوا لأنفسهم نقودا خاصة بهم قبل الاسلام ، بل كانوا يتداولون فيما بينهم نقود الفرس والروم ، ولما جاء الرسول عليه الصلاة والسلام بدعوته لم يجد الجو صالحا لتغيير النقود المتداولة لأنه كان مشغولا من أمور الدعوة الاسلامية بما هو أهم ، وكذلك كان عهد ابي بكر ، ولما جاء عمر بن الخطاب خطا خطوة نحو استقلال النقد العربي الاسلامي ، فسك دراهم على صورة الدراهم الفارسية ، ولكنه نقش عليها كلمة « الحمد لله » وكلمة « محمد رسول الله » وكلمة « لا اله الا الله وحده » .

ولما جاء عثمان بن عفان سك نقودا ونقش عليها كلمة « الله اكبر » وهكذا نرى أن المجتمع الاسلامي قد ربط بين العملة والمبادىء الدينية ، وكأنه أراد أن يبث جانبا من التعاليم الأسلامية عن طريق قطع النقود المتداولة ، أو لعله أراد أن يذكر بالمبادىء الدينية عن طريق النقود ليصونها من يستعملها ، ولا يسيء التصرف بها ، ولما جاء معاوية صنعنقودا ، ونقش عليها صورته وهو متقلد سيفه،فكرهالمسلمون منه ذلك العمل، وانتقدوه لأنه يدل على حب الذات والميل للشهرة ، ويروى أن احد الجنود قال لمعاوية عند ذلك « انا وجدنا ضربك للنقود شر ضرب » فهدده معاوية ، ومرت الأيام تباعا ، وجاء الحجاج بن يوسف الثقفي فى العهد الأموى فكتب اسمه على بعض الدراهم مقلدا معاوية .

ويروى أن عبد الله بن الزبير هو أول من ضرب الدراهم المستديرة ، وكتب على وجه منها « محمد رسول الله » وعلى الوجه الآخر « أمر الله بالوفاء والعدل » وكان المضروب مما سبق ذكره شيئا قليلا ، لم يعم التعامل به ، ولم ينهض على مقياس محقق ثابت ، وكان فوق هذا تقليد للمضروب فى بلاد فارس والروم .

تعريب العملة

ولذلك يقرر المؤرخون أن أول من عرب النقود فى المجتمع الاسلامي بصفة عامة هو عبد الملك بن مروان ، وبعد أن صنع نقودا عربية كاملة ، وطرحها للتداول بين الناس ، جمع ما فى الاسواق الاسلامية من نقود أجنبية ، وأعاد صياغتها .

وأخذت النقود تتطور فى عهد عبد الملك من ناحية الأحجام والأشكال والكتابة . فصار يكتب عليها مثلا من جهة هذه العبارات « لا اله الا الله وحده لا شريك له » ، و « محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله » وبعضها يكتب عليه اسم الله . ويكتب عليها من الجهة الاخرى ما يشير الى تاريخ السك ، مثل « بسم الله ، ضرب هذا الدينار سنة سبع وسبعين » ثم هذا النص « الله أحد ، الله الصمد ، لم يلد ولم يولد » .

ويقول ابن خلدون فى التنويه بالمجهود الذى قام به عبد الملك فى تعريب النقود وصيانتها « ان الغش كان قد تفاحش فى الدنانير والدراهم الى أن جاء عبد الملك وأمر بطبع العملة » وقد جاء فى كتاب « الخراج فى الدولة الاسلامية » فيما يتعلق بعهد عبد الملك بن مروان من الناحية المالية والنقدية ما يلي : —

« عادت الى الدولة وحدتها السياسية — اذا استثنينا فئة قليلة — فى عام ٧٤ هـ ، وقد شعرت الدولة اذ ذاك أنها — وقد أنهكت قواها الحرب ، وساءت حالتها المادية والمعنوية ، ولا سيما فى العراق الذى كان المسرح الأول للحوادث أنها لا بد أن تبدأ عهدا من البناء والتعمير ، لذا فان سلسلة من الاجراءات اتخذت ، فيما بقي من عهد عبد الملك، وفى عهدى الوليد وسليمان أيضا ، كان القصد الظاهر منها علاج الحالة المالية السيئة ، وزيادة موارد الخزينة .

ويمكن اذن اعتبار هذا العهد — ما دام له طابع عام يميزه — وحدة قائمة بذاتها ، وهو يمتد نحو ربع قرن (٧٤ — ٩٩ هـ) ، الى أن يلي الخلافة عمر بن عبد العزيز ، فتكون له سياسة خاصة ، ولنأخذ الآن فى بيان هذه الاجراءات .

البقية فى العدد القادم

سيرة النبي

دع البيد ترو الحادثات وتُعْــرِبِ ... وتخبرك عما كان من مَجْدِ يَعْرُبِ
وللبيد أنظارٌ تُقَلِّبُ في المَـدَى ... على سَبْسَبٍ أرْخَى العِنَانَ لسَبْسَبِ
مسارحُ للأرواح لاحَتْ شُخُوصُها ... كما لاحَ في التمثيلِ أشخاصُ مَلْعَبِ
رمالٌ أحسَّتْ كُلَّ رَكْبٍ على السُّرى ... فزادَتْ دُجَى السَّارين فيها بغَيْهَبِ
هي البَحْرُ والأمواجُ كُثْبَانُها التي ... تُقَلِّبُها الأرياحُ شَرْقًا لمَغْرِبِ
على جَمْرِها الظَمْآن مَدَّ بطَرفه ... فكَحَّلَ عَيْنَيه السرابُ بمَشْرَبِ
قَوافلُ جازَتْها وللعيسِ هِزَّةٌ ... بأجْراسِها تُغْرِي الحُدَاةَ بمُطْرِبِ
وصوتُ الحُدَاءِ الحُلو يَعْلُو به الصَّدَى ... ويذهب في تَضْعيفه ألفَ مَذْهَبِ

★ ★ ★

من البيدِ بيد العُرْبِ هَبَّتْ أزاهرٌ ... فواعَجَبي للرَّمْلِ يأتي بمعجبِ
هي العبقريات اللواتي تلألأت ... وهانَ لها في الدَّهْرِ أصعبُ مَطْلَبِ
تَراخَتْ لها في الجاهليَّة أعهُدٌ ... وقَدْ أطْلَعَتْ آفاقُها كُل كَوْكَبِ
ولكنَّ نوراً ساطعاً فَاقَ في العُلَى ... وسَدَّ شهابَ الشَّمْسِ منه بأشْهُبِ
أفديه في عقبي الزمان تولهـــا ... ولو جئتــه فدَّيــت بالأم والأب
أتى القومَ بالدين الحنيف فهَالَهُمْ ... وثَارُوا به من جاحدٍ ومُكَذِّبِ
وهمُّوا به كَيْ يَقْتُلُوه فأجْمَعُوا ... لهُ الحتفَ وازْدادوا شقىً بالتألُّبِ
رأى الصَّحْبَ نزْرا والليالي حَوالكاً ... ولا سَيْف يَعْتَامُ العُداةَ بمَرْهَبِ
ففَارَقَ أهْلاً وهو يَصْبُو لمكَّةٍ ... ومَا كَانَ في هَجْرِ الديارِ بمُذْنِبِ
ولكنَّها الأوْطَانُ تَقْسُو عَلَى الفتى ... فيَهْجُرُها لا عَنْ قِلىً وتَجَنُّبِ
ذَوُو المرء حُسَّادُه يُصْلُونَهُ الأذى ... ويصمُونَه سَهْماً عَلَى كُل مَنْكِبِ
وكَمْ من غَريبٍ شَاحِط الدَّارِ واجد ... عَلَى النَّأي مَن يَهْفُو له بالتَّقَرُّبِ
كَذلك جَدُّ المُصْطَفَى كان غُرْبَةً ... فسَارَ بطَرْفٍ دَامعٍ نَحْوَ يثربِ
وكَانَ لَهُ الصديقُ أمْناً وراحــةً ... لَدُنْ لَجا في جَوْفِ غَارٍ مُحَجَّبِ

للدكتور زكي المحاسني
دمشق

إليك رسولَ الله جاءتْ مُطيعَةً   ذُرَى الأوْسِ تشأوا خزرجا بالترحب
وجاء حسانُ الذى لَمْلَم الهَوَى   فأولاكَ مِنْ شعْرِ المديحِ بأعذبِ
هِيَ الهجرةُ ازْدَدْتَ الثبَاتَ بأهْلِهَا   وكم فيهمو من فارسِ الحَرْبِ أغْلَبِ
فَحطُّوا عَلَى هَامِ الحِرَابِ نفوسَهُم   وَرُحْتَ بِهِم تَغْزُو قريشا بأحربِ
فَلَلْتَ جُمُوعَ المُبْطِلينَ وشَمْلَهُم   وأتْبعْتَ في آثارِهِم بالتعقُّبِ
إلى أنْ أتاكَ النصرُ والله حارسٌ   أخا الحق في البلوى وغيرَ مُخيَّبِ
فحف بك الفتحُ المبينُ لمكةٍ   وقد جاءَها جيشُ الخلاص بصيِّبِ
وعدْتَ إلى دارٍ وكانتْ حبيبةً   إليكَ على رَغْمِ الأسَى والتَّعَذُّبِ
فغَنَّتْ نساء بالثنيات فرحةً   يُلَوِّحْنَ بشْراً بالبنانِ المُخضبِ

★ ★ ★

وحينَ أتمَّ اللهُ نُعْمَاهُ راضياً   بدينٍ قويمٍ للأنام مُهَذَّبِ
حَجَجْتَ وداعاً تملأ العينَ دمعةً   وبِتَّ للُقْيَانِ النوى بالترقُّبِ
وبَاتَتْ لمنْآكَ النفوسُ جوازعاً   تُنَاديكَ. إنْ تَهْمُمْ على البين فاصْحبِ
فكان وفَا الأنصار قبرُكَ عندهُم   فطَابَ ثَرَاهُمْ من تجاليدِ أطيَبِ

★ ★ ★

أرَى المسلمينَ اليومَ ضلُّوا عن الهُدَى   وقد أمْعَنُوا من غيِّهِمْ بالتنكُّبِ
فكم منهمو مَنْ للشريعةِ يَجْتَوِي   وكَمْ عِنْدَهُم من للضلالة يجتبي
ورُبَّ أخي زُهْدٍ تزَمَّتَ وادَّعَى   وفي ثوبِه شيطانُ دُنياهُ يَختبي
أيَكْسِبُ باسمِ الدين مالاً، وجارُهُ   يُقَضِّي على الويلات ليلات مُتْرَبِ
وكمْ مِنْ فتىً ولّى عن الرُشْدِ مُعْرِضا   وحُجَّتُهُ كرهٌ لأهلِ التعصُّبِ
تسامحْ فقدْ كانَ الرسولُ مُسامحاً   وسَهِّلْ لهُ في الدين يُقبِلْ ويرغبِ

★ ★ ★

إذا شئتَ للإسلامِ بعثاً ورجعةً   وتُقْتَ لأيامِ العُلى والتوثُّبِ
فخذْ شرعةَ القرآنِ واحكُمْ بعدلِها   ولا تتخذْ هَدْياً سوى سيرةِ النبي



من هنا .... وهناك

يكتبها : الاستاذ ع. النمر

لا تجعلنا فتنــة

آية من القرآن الكريم كلما وصلت اليها فى تلاوتى أو سمعتها ، وقفت عندها طويلا أتأملها على ضــوء واقعنا الذى نعيشه ، وازددت فى ضراعتى الى الله وأنا أتلوها ، ((ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا واغفــر لنا ربنا انك أنت العزيز الحكيم)) .. انها دعــــاء ولكنه ليس دعاء مجردا بل دعاء يقتضي جهدا فــي التزام تعاليم الاسلام ، والتأدب بآدابه ، والتحلى بأخلاقه ، حتى يكون المسلم صورة طيبة مشرقة . مثالا فى كل قول يقوله ، وفى أى عمل يعمله ... وبذلك يكون صورة مجسمة للاسلام ويصبح دعاية طيبة له.. يجذب الناس اليه بقوله وسلوكه .... وهذه هي غاية التوفيق .

على أن الصورة المقابلة لها صورة كريهة .. انسان ينتسب الى الاسلام : ولكنه يتحلل من آدابه وتعاليمه.. فلا يؤدى فريضة، أو يؤديها، ولكنه يغش ويكذب ويحقد ويثير المشاكل بين الناس ويذكى العداوات فيما بينهم ، أو يتعامل بالربا ويسعى فى انزال الضرر بمن حوله أو تحت يده .. أو ينهش اعراض الناس ويشيع عنهم قالة السوء .. مثل هذا المسلم ســبة وعار على الاسلام .. لا سيما اذا كان ممن يتحدثون عن الدين ويظهرون الغيرة عليه .. انه صورة كريهة منفرة من الاسلام أمام الذين لا يعرفون حقائقــه ، وحائلا بينهم وبين الاقبال عليه .. بل ويحمل ضعاف الايمان على ترك الاسلام أو التهاون فى التزام تعاليمه ، وهو بسلوكه السيء ينفر الناس من الاستماع للدعاة والعلماء ، ومن قبول دعوتهم ونصحهم أو الالتفاف حولهم ومن اجل هذا علمنا الله ، أن ندعو هذه الدعوة ونربط قلوبنا بها ونشكل أعمالنا على ضوئها ((ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا)) لا تجعلنا بأعمالنا وأقوالنا صورة سيئة للاسلام ودعاية ضارة له ، تحول بينه وبين اقبال الناس عليه وتقبلهم دعوتــه والاقتنــاع بهديه وأثره فى النفوس ..

والمسلمون الاول اتخذوا هذا الدعاء بما يجسمه من عمل برنامج حياتهم وضابط سلوكهم ، فكانــوا هداية متنقلة أينما ساروا ودعاية طيبة له أينما حلوا، فاقبلت الملايين على الاسلام لحبهم للمسلمين وتقديرهم لأخلاقهم فى المعاملة . لقد كانوا يعملون كثيرا ويتكلمون قليلا .. وكان غير المسلمين يجدون فيهم الراحــة

النفسية فيطمئنون اليهم ويحبونهم ثم يشاركونهم دينهم وعقيدتهم .. وكان هذا سببا مباشرا فى أن الذين دخلوا الاسلام في البلاد التى لم تذهب اليها جيوش المسلمين أكثر من المسلمين الذين دخلت الجيوش بلادهم وحتى الذين دخلت الجيوش بلادهم لم ترغمهم هذه الجيوش على اعتناق الاسلام بل كان سلوك المسلمين هو الذى جذبهم اليه ..

والآن يكثر كلامنا عن الاسلام وفضائله . والكلام لا شك فيه خير .. ولكن كثيرا ما يضيع هذا الخير أمام السلوك السيء للذين يتحدثون ، وعدم التزامهم بما يقولون .. انهم حينئذ يأتون بنتيجة عكسية ويجنون على الاسلام وينفرون الناس منه .. لقد أصبحنا امة كلام وخطب ومقالات ، أما العمل أما القدوة الطيبة فهذا هو الذى ينقصنا .

لقد سئم الناس كثرة الكلام وأصبحوا ظامئين الى العمل والى القدوة ..

أقول هذا الكلام لي قبل أن أقوله لغيرى ،وأدعو الله من أعماق قلبي « ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا واغفر لنا ربنا انك أنت العزيز الحكيم ».

منطق عجيب !!

كاتب فى صحيفة بيروتية كتب ــ ونحن فى لفحات الذكرى الاليمة ــ يستعرض موقف الغرب فى حماسته لتأييد اسرائيل ومساعدتها .. ثم يقول « وفي ذلك دليل على مدى الخطأ الذى وقعت فيه وما زالت تقع فيه السياسات العربية .. الخ » وأنا لست من المعلقين السياسيين ولكن لي عقلا وضميرا أزن بهما الحوادث وأزن الكلام .. هل السياسات العربية هي التي جعلت الغرب متحمسا دائما لاسرائيل ؟ ! هل كانت السياسات العربية والساسة العرب ضد الغرب حينما أوجد اسرائيل سنة ١٩٤٨ ودعمها بكل قواه ؟! ألم يذرف الساسة العرب الدموع وهم واقفون طويلا أمام أبواب الغرب ، يستجدون العدل والانصاف ؟! . فهل شفع لهم كل هذا التذلل فى أن يجدوا عدلا أو انصافا أو حتى حيادا من دول الغرب ؟ !

فماذا يطلب الكاتب (العربي !!) من العرب بعد كل هذا ؟ هل يطلب منهم أن يركعوا دائما أمام الغرب ويقبلوا اليد التي تلطمهم وتجز رقابهم ؟!! أو أن منطق الكرامة ، المنطق الطبيعي لكل انسان أو شعب يشعر بكرامته أن يغضب ويثور ويقطع هذه اليد أوعلى الاقل يزيحها عنه ؟

كيف يلام العرب بعد كل هذه السنين التي وقفوها على أبواب الغرب يستجدون الانصاف حتى يئسوا ؟..!. كيف يلامون اذا قالوا للمخطىء أنت مخطىء ، وأخذوا يبحثون عمن يساعدهم فى محنتهم وهذا أضعف الايمان ؟

كان أحد البكوات الاغنياء ظالما متجبرا ، وكان يستمتع باذلال الفلاحين وضربهم بالكرباج ..

والفلاحون لا يستطيعون أن يرفعوا اصواتهم بالشكوى أو الانين ، والا اشتد فى ضربهم .. وكان لا يكف عن قسوته الا اذا تلذذ سمعه بمظاهر الذلة منهم ، فتعلم الفلاحون أن يقولوا له كلما ضربهم : « ضربك شرف لي يا سعادة البيه » .. فكيف عن ضربهم ، ولكن مؤقتا حتى تعاوده شهوة اذلالهم ..

فهل يراد من العرب الامجاد أن يمثلوا باستمرار مع الغرب دور الفلاحين ؟ !!!

حقا اذا لم تستح فاصنع ما شئت ، أو فقل ما شئت ..

حيدر بامات

مجاهد إسلامي فقدناه



فى الحادى والثلاثين من مارس سنة ١٩٦٥ توفي فجأة فى باريس ، أحد الشخصيات الاسلامية الفذة فى العالم الاسلامي المعاصر ، هو الدكتور حيدر بامات . ومما يؤسف له أن نشير الى أن نبأ وفاته لم يلق كبير اهتمام من قبل الدوائر الاسلامية ، وذلك بسبب الفوضى القائمة فى تلك الآونة .

من أجل هذا يجب ألا نسمح لمزيد من التأخير للاحتفاء بذكرى ذلك العلم الجليل الذى عاش طول عمره متمسكا بتعاليم الاسلام، كما كان مجاهدا لا يني من أجل رفاهية المسلمين فى كافة أنحاء العالم . فقد جاهد طوال الفترة الاولى من حياته بشجاعة نادرة من أجل صد العدوان ، ولانقاذ الاسلام في شمال القوقاز ، موطنه الأصلي، من ظلم الغزاة القياصرة والبلاشفة من بعدهم . وكانت البقية من حياته ـ أكثر من ٤٠ عاما ـ فى خدمة القضايا الاسلامية عن طريق الكتابة ، والقاء

بقلم الدكتور زكي علي
(جنيف)

المحاضرات ومساندة الحركات التي كانت تعمل لصون مبادىء الاسلام والتراث الاسلامي .

ولد حيدر بامات فى الثالث من نوفمبر ١٨٩٠ م فى بلدة تامر خان شورا الواقعة شمال القوقاز . ومات أبوه وهو ما يزال صبيا فربته أمه ، تلك المرأة التقية الكريمة المستقيمة التي تعهدته بتربية اسلامية شاملة . كما انحدر من الجنس الداغستاني ، الذى يتصف بالكرامة والخشونة والوعي ، وهو شعب مسلم يعيش فوق الجبال متمسك بالاسلام وسننه الصحيحة . وهنا ترد فى خاطرى كلمات المارشال سولت الذى قال فى عام ١٨٤٣ : هناك ثلاثة رجال على قيد الحياة اليوم ، يمكن أن نطلق عليهم « عظماء » وهم جميعا مسلمون : عبد القادر (الجزائرى) ومحمد علي (المصري) وشامل (القوقازي) ففي ذلك الحين كانت روسيا القيصرية تبذل محاولات للتوسع الاستعمارى جنوبا . وظل المسلمون فى شمال القوقاز لمدة قرن كامل (١٧٦٠ – ١٨٦٠) يقاومون بكل عنف المهاجمين من السلاف . واستمر زعيمهم الامام شامل لمدة ٢٥ سنة يجاهد ببسالة فائقة الغزاة الروس دون وجل ، حتى استطاع أن يوقف زحف جيوشهم عند الخليج . وأخيرا سحقت المقاومة الاسلامية تبعا لقوة الروس الهائلة وامكانياتهم المادية ، وأسر شامل عام ١٨٥٩ . وقد تم اخضاع شمال القوقاز عام ١٨٦٤ عندما استولت روسيا على سيركاسيا ، ونزعت كل مظاهر القوة من أيدى المسلمين ، وكان نصيب هذه المأساة أن تتكرر للمرة الثانية بعد حوالي نصف قرن من الزمان .

درس حيدر بامات القانون ونال اجازة الدكتوراة من جامعة القديس بترسبيرج . ولما كانت داغستان موطنه الأصلي ، مركز ثقافة اسلامية فقد درس حيدر العلوم الاسلامية واللغة العربية . وكانت مبادىء الأخوة والتضامن والحرية دائما أحب الأشياء الى نفسه . كما كانت ذكرى حروب الاستقلال التي قام بدور البطولة فيها الامام شامل تثير الحماس فى قلب حيدر .

ثم قامت الثورة البلشفية فى روسيا عام ١٩١٧ فكانت فرصة سانحة أمام شعوب بلاد القوقاز ، لكي يؤكدوا حقهم فى الحرية ، وذلك بمحاولة الانفصال عن روسيا ، واقامة دولة مستقلة . فقام الداغستانيون على وجه الخصوص بثورة وطنية جديدة ، كانت هذه المرة تحت قيادة حيدر بامات الذى أثبت أنه خير خلف للامام شامل . فجاهد ضد المستبدين الروس ببسالة بفضل قوة شخصيته وتمتعه بكثير من المواهب .

وفى مايو عام ١٩١٨ قامت أربع جمهوريات مستقلة منها جمهوريتان مسيحيتان هما :

أرمينا وجورجيا ، وأخريان مسلمتان هما : (آذربيجان وجمهورية شمال القوقاز أى (داغستان وسيركاسيا) ..

وفى يونيو ١٩١٨ كان حيدر بامات رئيس وزراء ووزير خارجية فى جمهورية شمال القوقاز ، فعقد معاهدة صداقة مع أقرب بلد اسلامي هو تركيا التي كانت مقرا للخلافة حينئذ . ولم يكن بد لدولة شمال القوقاز بصفة خاصة أن تجاهد من أجل الحصول على استقلالها ، وذلك ضد جيوش روسيا البيضاء التابعة للثورة المضادة ، والتي كانت تهدف الى اعادة الامبراطورية القيصرية،

كما كان عليهـا أن تجاهد الشـيوعيين الذين تمكنوا فى النهاية مـن اخضـاع المناطق الثائرة ، بعد أن بذلوا لها الوعود الكاذبة من منح الحريـة والاسـتقلال ووضعوها تحت نير أشد وطأة من ذلك الذى قاست مرارته زمن القياصرة .

وفى عام ١٩٢١ عادت القوقاز باكملها مرة ثانية تحت سيطرة روسيا البلشفية . لذلك قام أعضاء الحكومـات الوطنيـة لجمهوريات القوقاز وتبعهـم عدد مـن المواطنين بالهجرة الى فرنسا (باريس) حيث جاهدوا من أجل نيل الاسـتقلال والحرية لبلادهم . ومنذ ذلك الحـين عاش « حيدر بامات » فى المنفى كزعيم لحركة التحرير من أجل وطنه . فأخذ يحض مسلمي القوقاز على الاسـتعانة بجيرانهم من جهة الجنوب والشرق وهم تركيا والدول العربية وايران وافغانستان، وهذه الدول كانت تعتبر نفسها حليفة طبيعية لاخوتها القوقازيين . وفى عـام ١٩٢٩ الف حيدر بامـات كتابا باللغـة الفرنسية حول هذا الموضوع كله سماه « القوقاز والثورة الروسية » . وأهم ما كانت تنشره حركة التحرير مجلة شهرية هي « القوقاز » التي كانت تنشر باللغة الفرنسية والالمانية والروسية والجورجية والارمنية ، وكذلك باللغة التركية مـن وقت لآخر تحت عناوين مختلفة .

وفى عام ١٩٢٢ اجتمع حيدر بامات بالملك نادر شاه الذى منحه الجنسـية الافغانية تقديرا لشهامته واعترافا بحنكته السياسية . والواقع أن سـمو خلقـه وبروز شخصيته، وسعة اطلاعه ومواهبه الرفيعة قد اكسبته الاحترام من كافـة الجهات الاسلامية . وحين اعتزل الحياة السياسية اثناء الحرب العالمية الثانيـة قرر أن يؤلـف عن الاسـلام والعالـم الاسلامي كتابا كما عينته الحكومة الافغانية فى الوقت ذاته سـفيرا مفوضـا لهـا فى سويسرا . فشغل هذا المنصب فى العاصمة السويسرية (برن) عدة سنوات وكـان موضع احترام وتقدير من جميع أفـراد الدوائر الدبلوماسية الدولية .

وانه ليسعدني أن كنت صديقه الحميم زهاء ٢٠ عاما تقريبا ، حيث رأيته عـدة مـرات فى (جنيـف) كما شـاهدته فى مناسبات شتى فى (لوزان) حيث أقام عدة سنوات ، ثم بعد ذلـك حـين قدم اليها لأسباب صحية . وكنت أحمـل دائما من محادثاتي معه ذكريات لا تنسى، يشيع فيها عطفه ونزاهته وعلمه وحكمته وتقواه . فقد كان يبعث فى حديثه على الفور جوا من الهدوء والسكينة . كما كان يبدى دائما اهتماما بالغا بأوضاع المسلمين ، الذين كانت مصالحهم تشغل جل تفكيره وانتباهه . وكانت أحكامـه التي يصدرهـا على النـاس والأحداث سليمة متزنة . وبقي طوال عمره ثابتـا مخلص الولاء للتصور والتراث الاسلامي . كما كان شديد التمسك بالرابطة الروحية التي تجمع المسلمين فى ظل أمة عظيمـة من المؤمنين . فكان احساسه بالأخـوة الاسلامية قوة دافعة فى حياته كمجاهد من أجل الحرية أولا ، كما كانت حافزا له كسياسي دبلوماسي وعالـم ومؤرخ ومفكر بعد ذلك . وقد احتلت الصـلاة وتدبر معاني القرآن الكريم مكان الصدارة فى حياته الروحية . وعندمـا أخـذت صحته فى التدهور اضطر أن يسـتقيل من منصبه الدبلوماسي فى «برن» وينتقل الى « باريس » حيث عاش حتى وافته منيته .

مؤلفاتـه

صدر أعظـم مؤلـف للدكتور حيدر بامات باللغة الفرنسية التي كان يجيدها اجادة تامة . فقد نشر كتابا فى عام ١٩٤٦

بعنوان ((معالم الاسلام)) نقله الى اللغة العربية المترجم القدير المرحوم ((محمد عادل زعيتر)) فى الوقت الذى كانت تعد فيه طبعة أخرى باللغة التركية . كما تم نشر طبعة أخرى منقحة ومزيدة عام ١٩٥٨ (والناشر بايوت لوزان وباريس). وفى هذا الكتاب الشامل يكشف حيدر بامات نفسه كعالم ومؤلف مسلم يكتب باسلوب رفيع واضح يزود القراء ببيان ممتاز لمبادىء الاسلام كدين ، وبأهم الصفات وخصائص التصور التي تميز المجتمع المسلم . كما يناقش قضية التوسع الاسلامي ، ويبين المفاخر النفيسة للحضارة الاسلامية ، ودور المسلمين فى الحضارة العالمية بصفة عامة . وقد نشر طبعة موسعةمن الفصل الخاص بالحضارة الاسلامية عام ١٩٦٢ سماه((دور المسلمين فى الحضارة الغربية)) وفيه يقوم المؤلف بدراسة مفصلة للأدب الاسلامي (وعلى وجه الخصوص الأدب العربي والتركي والفارسي) والفنون والفلسفة الاسلامية . وهو يركز اهتمامه فى الاشارة الى حركات الاصلاح ،والاحياء الاسلامية . كما ينظر الى التاريخ الاسلامي كقوة حية لها أبلغ الأثر فى الصورة الجديدة للحضارة الاسلامية .

كما يستعرض الأحداث المعاصرة ، والتطورات الملحوظةفى النواحي السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية ، وكذلك يستعرض التغيرات التي طرأت فى كل من الأقطار الاسلامية . وبصفته داعية سلام بالضرورة يوجه نداء أخيرا يدعو فيه الى مزيد من التفاهم والتقارب بين الشرق الاسلامي ، الذى تلعب شعوبه دورا هائلا فى العالم الحديث وبين الغرب المسيحي .

وباختصار فان كتاب «معالم الاسلام» مؤلف قيم يحتل مكانة مرموقة فى كافة المكتبات الاسلامية . وكان المؤلف يعد طبعة ثالثة ــ للجيب ــ يتوسع فيها فى الفصل الخاص بالتطورات الحديثة التي حدثت فى العالم الاسلامي ويجدد الكتاب كله . وكان المقصود منها أن تصبح فى متناول كل من الجماهير المسلمة والقارىء الغربي . وقد انتهى اعداد كتاب عن تركيا ، ركز اهتمامه فيه حول ابراز الشعور الديني الصادق فى حياة الشعب التركي ، وهو الشعور الذى أدى الى عظمة الحضارة العثمانية . واستمر هذا الشعور ، فى رأى حيدر بامات يلعب دورا أساسيا فى الحفاظ على حيوية الشعب التركي وسر بقائه بعيدا عن تغير أشكال الحكم .

وأخيرا فكر حيدر فى كتابة مؤلف عن الجامعة الاسلامية ، كان يريد ان يبين فيه صلاحية المبادىء الاسلامية الكبرى للتطبيق فى حياة الدول والمجتمعات الحديثة . وكان أساس نظريته السياسية يرتكز على دعامتين هما الاسلام والفيدرالية . وهما أساس فكرته حول امكانية اقامة نظام جامعة الشعوب الاسلامية . ولكن حيدر بامات الذى كانت صحته تتدهور بسرعة توفى مع الأسف قبل الانتهاء من مسودة كتابه القيم . ففي الفترة الأخيرة من حياته كان يقضي يومه بين الكتابة والتأمل الهادىء والصلاة .

وهكذا قضى ذلك الرجل الذى فقد فيه المسلمون عقلا موجها للعالم الاسلامي وشخصية فذة من شخصياته. ويا حبذا لو اتخذ الشباب المسلم شخصية هذا البطل قدوة يسيرون على نهجها .

قصة العدد

ضيف

بقلم الاستاذ محمد الخضرى عبد الحميد

خواطر كثيرة متلاطمة ، وافكار جمة طاحنة ، ومشاعر متباينة ضاربة .. تجيش كلها وتضطرب بعنف عنيف فى صدر ذلك الرجل الذى احدقت به الآلام ، وتناوشته الهموم والمرارات .

ان شيئا ما يضج فى داخله ان « ليس هكذا خلق العالم ليكون » .. ثمة « نور » لا بد وان ينبثق .قطعا هناك (شعاع فجر) لا ريب سيشرق اشراقة الوليد ميمون الطالع ، من دياجير الظلمة الثقيلة الكابية المؤسية ... لينبىء بالتحول ... وليعلن . الميلاد .

ولا شك أن تلك الأحاسيس الجياشة كان مبعثها ما أشيع من أنباء عن ظهور « نبى » عظيم بارض مكة ... الا ان الصورة لم تكن ـ بعد ـ قد اكتملت فى مخيلة ذلك الرجل المهموم من قبيلة غفار .. لقد كابد الكثير من صلف السادة ، وطغيان الكبار ، وتفاهة الصغار وضحالتهم .. وثارت نفسه الأبية كثيرا فى وجه صور الظلم الصارخة بالوضاعة والخسة ... وانتابته فى كثير من الاحايين نوبات من اليأس الكالح ، وهو يتلفت من حوله عن يمين وشمال فاذا الحلوكة تتكاثف ، واذا ابواب الامل تغلق مصاريعها بقسوة فى وجهه ، الواحد وراء الآخر .

لكن كان هناك ـ دائما ـ ثمة (خيط رفيع) من شعاعات الامل ظل وحده يضىء قلبه ... ويؤكد ـ همسا واهنا خافتا ـ فى وجدانه ان . (ما خلق العالم ـ حقا ليكون هكذا .. وان لا بد من فجر مؤكد) بعد ذلك الليل البهيم الطويل .. ثم كان ما تواتر من اخبار (محمد) صلى اللـه عليه وسلم . قيل له ان نبيا عربيا ظهر فى مكة يدعو الى اله واحد أعلى ليس له من شريك ، .. فلا (هبل) ولا (لات) ولا (عزى) .. وانه يقول كلاما حلو المذاق عظيم الوقع فى القلوب والاذان ، موسيقى الجرس نفيس المعنى ، يسميه قرآنا ، ويتنزل عليه من الخالق الاعظم .

وتلك كانت بوادر التفاؤل بتحقيق الامل الغالي الذى ظل يحلم به (ابو ذر) طويلا . لكم كان يحلم من قبل ـ مجرد احلام ـ بان يسمو المجتمع العربي ، بدلا من ان يظل كما هو آنذاك . فى انحدار مطرد مريع الى مهاو سحيقة من البوار ... فالاخلاق فى انحلال يتزايد يوما بعد يوم .. والذمم تتسع وتتراخى ، والروابط تنفصم وتنهتك عراها ، والتقاليد تسف وتزداد اسفافا ، وباطراد ... ترى .. هل آن أن يتحقق حلمه العريض على يدى هذا الداعية الجديد الذى يحكون عنه ؟ ؟ .

كان (ابو ذر) عربيا اصيلا ، شريف النفس صافى الجبلة ، لم تدنسه اوضار الجاهلية واوحالها من حوله ... ومن ثم فهو يصبو الى عدالة انظف ، والى مستوى من العيش اسمى واكرم .. لم يكن فى قرارة نفسه يؤمن بجدوى الخشوع الابله امام (اصنام حجرية) لا تملك لذواتها ضرا ولا نفعا .. وما كان قط راضيا عن عربدة القوم ومجونهم ، وانتهاكهم الحرمات ، واتجارهم فى الرقيق، ووأدهم البنات ، وما الى ذلك مما صار آنئذ « سلوكا عاديا عاما » لا يثير لدى احد ـ غير ابى ذر ـ ادنى الاستنكار ، بَلْه الاستغراب .. لكن (ابا ذر) لم يكن عاديا ... كانت اعماقه النقية تطفح بأمل مبهم كبير ، فى (تحسين شامل) منتظر وكان فكره دائم الاهتزاز بما يمر فيه من آراء ، وما يتلاطم من افكار غامضة حـيرى ، تموج وتفور .. ولكنها لا تتبلور ابدا عـن (قواعد) محددة ، و (دساتير) واضحة ، فى امكانها ان ترسم لمجتمعه الذاوى المنهار سبيلا اقوم .. فكيف يتم له ما يريد ؟ هو نفسه لم يكن يدرى ؟ .

كرّم الله وجهه

علي

محمد مؤمن

وشغلت هذه الدوامة الخفية العاتية (أبا ذر) فلم ينتبه الى أنه قد توغل فى الصحراء بعيدا عن حدود قبيلته (غفار) . وبينما هو يراجع نفسه ، مستغرقا واياها فى حوار صامت ، وجدل رهيب لكنه مكتوم يحتدم اواره تحت (السطح) ، لا يسمع ، ولا تبين له على القسمات آثارا ، ابصر باعرابيين يمرحان معا وهما يتبادلان من فوق اثنين من الابل . حوارا مسموعا ...

وثمة كلمة حلوة الصدى ، صافحت أذنى (أبى ذر) فجعلته يرهف السمع ويتوارى خلف كثيب عال من الرمل ، يتسمع ما يقول الاعرابيان المقبلان فى طريق القوافل العائدة من مكة ... وكانت الكلمة العذبة هي بدء ما ترامى اليه من الحديث ..

محمد ... نعم ، هذا هو اسمه .

لكن .. احق ان يقتنع (الطفيل) هكذا سراعا كما يقول ؟ .

ذلك ما كان ... ان هى الا كلمات حدثه بها (محمد) عن دينه ، وتعاليمه ، وسطور قرأها له من .. من ال .. ذلك ال .

القرآن . أنى أنا ايضا احفظ اليسير منه ، لكنى اكتم ذلك عن القوم .

اجل .. وعلى الفور آمن به (الطفيل بن عمرو) واعلن انه اسلم ، وصار يتبع دين محمد .

الطفيل . ؟ .. سيد القبيلة .. اى مغنم لمحمد ، واى كسب لدينه .

ليت ذلك فحسب ، والا لهان الأمر بعض الشيء ... أما أتاك ان الطفيل لما عاد الى قومه انشأ يزين الاسلام لآله وبنى قبيلته ، فآمن كثيرون مثله ، وكان اول من اسلم ابوه وزوجه ، حتى بلغ عدد المسلمين فى القبيلة سبعين رجلا وامرأة ..

واللات ، ان هذا لشيء عجيب ..

ان مكة كلها ترتج لهذا ال ...

وكادت رأس ابى ذر ــ وهي تشب الى امام ــ ان تنغرس كلها فى كثيب الرمال ، تتبعا لبقية المحاورة التي انداحت اواخرها فى رحاب الصحراء الساجية بابتعاد ذينك الاعرابيين ، حتى لقد ود لو انه مضى وراءهما خببا يستكمل البقية ، و (يستجدى) استجداء ان يجيباه بما يشفى الغليل ، ويشبع الفضول من نهاية القصة وتتمة الفصول .

وسرعان ما نصب قامته ... وراح يلقى نظرة ملؤها الازدراء على ربوع (غفار) وفيها ما فيها من دواعى السخط ومسوغات القنوط .

واخذت حصيلة الافكار والاحاسيس تزداد فى أغوار وجدانه احتداما وجيشانا ، حتى خيل اليه ان قد صار لها ما يشبه دوى الطبول تصدر من أعماقه ، فلا يكاد يسمع لغيرها هديرا .

وعلى الفور عقد عزمه على ان يستجيب للنداء السحرى الغامض الغلاب .. لقد صمم على ان يلبي نداء الحافز المستتر القاهر . فمضى الى الطريق المضاد الذى سار فيه الاعرابيان .. بادر (أبو ذر) يتخذ وجهته قدما الى مصدر النبأ الجليل ، وموطن الاحداث الجسام ...

على التوّ يمم وجهه صوب مكة .

وعول (ابو ذر) على ان يتخذ من الانصات الذكى والتسمع المتئد والتقصى الوقور الحذر .

(وسائل استكشاف) ومقدمات معرفة ، خشية ان يحيق به سوء لو انه عمد الى الجهر والسفور ، فى ظروف صعبة كتلك التي سمع انها تواكب (الآن) دعوة محمد .

وفى مكة راح الاعرابى الواجم رقيق الحال يجوس الديار ، ويطوف بالشعاب والاركان ... غير ملق بنفسه الى تهلكة الافصاح والوضوح .

فى مكة سمع – اتفاقا – طرفا مكملا من قصة اسلام (الطفيل بن عمرو) ذلك السيد فى قومه ، الذى لم يكتف باسلامه هو ، بل نقل الاسلام الى قبيلته كلها ، فكانت تلك الضربة الاليمة شديدة الوقع على (حكومة مكة) ، ومن ثم فقد شددت الحصار على (محمد) ، وراحت تبتدع الأفانين الفلاذ فى منعه ، بكل الوسائل من الاتصال بطوائف الحجيج ، او وفود المتاجرين ، او اى غريب من النازحين .

وبينما (ابو ذر) يهم بسؤال شخص عند الكعبة عن حاجة عرضت له .. لم يدر الا وجندى مدجج من جنود مكة يتصدى له بوجه جهم وملامح مشدودة منكرة تنذر بالشر .. فسأله عمن يكون ، ومن اين اتى ، وماذا يريد ؟ لكن ابا ذر الحصيف ، صاحب الهدف الغالى وحامل الرغبة العارمة ، الذى يساعده فى مثل ذلك المقام (مظهره الرقيق) ، وطيبته الفطرية الوديعة .. لم يعدم كلمات – معقولات . – يقولها للجندى ،فلا يلبث ذاك ان يتركه لحال سبيله ، لكن بعد ان ينذره بالهلاك المحقق والضياع المحتم ان هو كان – او يحاول ان يكون . – من (رجال محمد) .

وابتعد ابو ذر عن الكعبة قليلا ، مشفقا متوجسا ، وقد ابصر فى كل ركن من اركان البيت العتيق عشرات من (الزبانية) ينبثون فى كل المواقع ... يتفرسون فى الناس .. ويتفحصون الملامح ... ويستشفون المقاصد ... والويل كل الويل لمن كانت به (مجرد شبهة) على انه يسعى الى (محمد) بن عبد الله ، فى أى شأن من الشئون ...

وفى احدى الامسيات ، وكانت قد انصرمت ليالى طوال ثقال منذ ان حل (ابو ذر) بارض مكة .. وبينما كان يضطجع وحيدا على أديم الثرى بالقرب من الكعبة ، وقد كاد ييأس تماما من العثور على منفذ يتصعد منه الى حضرة ذلك المبعوث الذى ايقظ اناسا من سباتهم واضاء للتائهين طريقهم ، اما الطغاة فقد زلزل طمأنينتهم ، وأقض مضاجعهم ... اذ ابصر برجل مهيب قسيم الملامح صبوح المحيا واثق الخطو ، يقترب منه هونا .. فيكاد ينخلع قلب « ابى ذر » المسكين ، ليس عن خوف هذه المرة ، ولكن . مهابة واجلالا ... (ماذا ؟ .. او يكون (هو) ؟ .. من يدرى ؟ لكن ..) غير ان الرجل الجليل قطع عليه تخيلاته ، وما كاد ينساق وراءه من ضروب التخمينات ... عندما ابتدره سائلا ، وهو يبتسم ابتسامة رائقة وضاءة .

– « كأن الرجل غريب ؟ ؟ » .

– هو ذاك .

– هلا صحبتني اذن الى دارى ، ضيفا كريما ، على رحب وسعة ؟ .

– .... ؟ ..

لم يجيب « ابو ذر » ؟ .. لم يجب ولكن اكتفى بان تبع الرجل مهيب الطلعة ، صامتا ،وعلى امل .

وهناك فى الدار المضيافة طعم وبات ليلته ، لكنه من شدة الذعر الذى اشاعه جند مكة فيه ، وبين عامة القوم لم يجرأ على ان ينبس بكلمة واحدة تتصل من قريب او بعيد بسره الدفين المكنون .

وراح المضيف يوفر لضيفه – ما استطاع – كل أسباب الراحة والمؤانسة .. لكن راعه منه حزنا ثقيلا ، وهما وشجنا ، وعبوسا وانطواء .. فتركه آخر الامر ليخلو بنفسه ، على سجيته ... وعندما اشرق الفجر قام يطل عليه ، فلم يجد له فى كل رحبات الدار اثرا ..

وعجب رب البيت لامر ضيفه الغريب .. لكنه فى سماحة ، وبسعة صدر ، التمس للرجل غريب الاطوار عذرا .. فقد تكون به خصاصة يؤثر ان يخفيها عن انفة وتعفف ، او قد يكون مضطرا لان يسعى وراء قوت عصى يستلزم نواله الصحو المبكر ولو فى الاسحار .

لكن .. ما ان خيم غبش المساء على قباب مكة ، حتى كان « الضيف الغريب » مقبلا على الدار كرة اخرى .. يالعجيب امره ... ها قد عاد وحده ...

وضحك بانشراح صدر وارتياح ، فالآن يستطيع تدارك ما قد يكون قصر فيه من واجب ضيافة ، نحو هذا الفقير الحائر .

وتمهل المضيف الكريم حتى فرغ الرجل من عشائه .. ثم راح يباسطه فى ود رفيق ، محاولا ان يزيل عن نفسه المكلومة ما ترزح تحته من غم ، وهم شديد والم ... فسأله .

« الا تحدثني ما الذى اقدمك هذا البلد ؟ ؟ » .

وارتعد « ابو ذر » فرقا ... فها قد جُوبِهَ - بغتة - بمن يسأله (صراحة) عن سبب المجىء ولكن اتراه يجيب ؟ ... وان لم يجب ، فكيف به يطعم فى بيت وينام فيه ، ثم لا يأمن صاحبه انه - اذن - لضال خوان ان هو فعل ... فاجاب .

« ان اعطيتني عهدا وميثاقا ان ترشدني ... فعلت » .

اعاهدك بالله العلى العظيم ان ارشدك و ......

مهلا .. ما هذا الذى قلت ؟ ... تعاهدني ب .. ماذا ؟ .. فانت من اولئك ال .. ؟ ؟

وضحك صاحب البيت مرة اخرى وهو سعيد يربت كتف ضيفه المقرور جزعا ورعبا ، ثم قدم له نفسه فى اعتداد وبساطة اشعارا له بالامان .

انا صاحب رسول الله (محمد) .

انت ؟ ؟ ... من انت ؟ .

انا علي بن ابى طالب .

وما ان افصح ابو ذر عن امنيته الكبرى ، حتى عاجله (علي) بقوله .

هلم بنا الى حضرة « محمد » .

وفى الطريق راح ابو ذر المرتجف شوقا ، المضطرب حنينا ، والمفعم خشية على الحلم الكبير ان يفسده (الصحو) على يد الجند فيضيع هباء .. راح يقص على مسامع (علي) بقية الامر ، وكيف انه لما اتقد العطش فى قلبه وعقله جميعا . جاء يلتمس لقيا محمد ، ليكون على بينة ، ولينظر عن كثب فى كنه الحقيقة ... وحكى له طرفا مما كان يفعل الجند بكل غريب وافد ، من حصار وتضييق خناق ، فلا يخلى للطائف والمار سبيل الا اذا قدم البراهين الدامغة على انه ابعد ما يكون سببا عن محمد وطريق محمد .

وعلى باب البيت الذى اتخذ منه النبي العظيم (محمد) قاعدة اولى لنشر بواكير نور الاسلام على مكة والعالم العربى .. همس علي بن ابى طالب فى اذن ابى ذر الغفارى .

« اتبعنى ، وادخل حيث ادخل .. فان رأيت احدا اخافه عليك دنوت من الحائط كانى اقضى حاجة ، فامض انت » .

كان الاسلام قوة جديدة خارقة ، ارتعدت لاشراقها فرائص الفجار والبغاة ، فكان النكال يزداد ضراوة ، والبطش يطرد عنفا وشدة كلما انتشرت رقعة النور ، وكلما تكاثر عدد الذين يدخلون فى دين الله افواجا ... ومن ثم كان الحرص على ان يظل النور مطرد الانتشار والشمول . رائدا للنبي وصحبه ان يأخذوا بالحكمة وان يتصرفوا بالمنطق والتعقل ، حفاظا على جلال الدعوة ان تصطدم مع الزبانية الضالين وهى لما تزل - بعد - فى مهدها .

وفى الحضرة المنورة كاد يغشى على ابى ذر وهو يجد نفسه بين يدى (محمد بن عبد الله) خاتم الانبياء والمرسلين ، ناشر الوية الاسلام ، الذى يتنزل عليه القرآن من السماء ...

واستمع أبو ذر وقلبه يختلج - لاول مرة - بفرحة حقيقية عارمة الى آيات الكتاب ، وتعاليم الاسلام .. ولم يكد يقوى على ان يتحمل نشوة كهذى عظيمة القدر ، فما اسرع ان جأر بصوته يعلن اسلامه ، ويشهد الله والناس على انه مسلم وان لا اله الا الله وحده لا شريك له ، وان محمدا عبده ورسوله ونبى خير امة أخرجت للناس . بل لقد عاهد الرسول على انه سيحمل دعوته الكريمة الى (غفار) بين آله وقومه ، كما حملها من آمن بها قبله ، مثل (الطفيل بن عمرو) وغيره وغيره .

وتبسم ((محمد)) صلوات الله وسلامه عليه ، راضيا سعيدا بذلك العبد المؤمن يدخل دين الله عن وعى واقتناع ، غير مسوق ولا مجبر ... لكنه ــ صلى الله عليه وسلم ــ عاد فخشى عليه من الاعداء المتربصين خارج مكة وداخلها ، فقال له مودعا ومحذرا .

((يا أبا ذر .. ارجع الى قومك فاخبرهم ، واكتم امرك عن اهل مكة ، فانى اخشاهم عليك)) .

ولا ريب ان ابا ذر فهم ووعى معانى قول الرسول .. ذلك الى ما رآه هو بنفسه رأى العين من ضروب التنكيل والفتك بكل من تؤخذ عليه (شبهة) بأنه (يعرف شيئا عن محمد) .

لكن ابا ذر ــ من وجهة اخرى ــ لم يعد يحس الا انه صار شيئا جديدا ، كل الجدة ... لم يعد ذلك البائس الذليل الذى جاء يرسف فى اغلال المهانة يتلصص بين شعاب مكة ودروبها متسقطا فى حرص مذعور اخبار نبيها الجديد .. الآن اصبح (ابو ذر) خلقا آخر ... ثمة ((جرعة عظيمة الفعالية)) فى روحه العطشى فاروت واشبعت ، ثم الهبت فيــه كوامن العزة ، وهواجع العظمة والسيادة ....

حاشا ان يكون فهمه قاصرا عن معنى التحذير الذى اسداه اليه رسول الله ، خشية عليه من جفاة مكة الموتورين غلاظ الاكباد ... انه يفهم تماما ، ويعى جيدا ، ويقدر تمام التقدير ماذا سيكون المصير الذى سيلقاه على ايدى الكافرين لو ان الزكانة ورباطة الجأش خانتاه ، فاظهر ما ينم على انه ((ذو صلة ما بمحمد)) ... فما باله لو قد لاح عليه انه (اسلم) وآمن بدين الاسلام الذى ينشر (محمد) مصابيح نوره ؟ .. انه ــ اذن ــ للدمار الماحق الذى لا مفر منه ولا محيص .

ولم يمض طويل وقت حتى كان علي بن ابى طالب رضي الله عنه عائدا من الحضرة الشريفة فى الطريق الى بيته مارا بالكعبة ... فرأى جموعا من الناس تقتتل وتتشابك بالايدى ويستطير من تحت النواصى والاقدام عجاج العثار مختلطا بصيحات مستعرة لا تكون ــ عادة ــ الا فى ميدان وغى او حومة من حومات الحروب .. واذ اقترب من المعمعة يستطلع جلية الامر ... سمع مقاطع من صرخات المتعاركين المتقاتلين ((بل وجاء يتحدانا)) . و ((الا يقيم وزنا لمشاعر اللات ، وكرامــة هبل ؟)) . و ((اقتلوه قتلا ذلك الخارج عن دين آبائنا واجدادنا)) . ثم (أرأيتم) ؟ ... كاد يتغلب علينا جميعا ذلك المجنون . ، وايضا سمعته يقول بملء فمه انه مسلم ، وراح يدعونا نحن الى الاسلام مثله ... ولكنه سمع ايضا صوتا مجلجلا عاليا طغى على جميع الاصوات ... وكان صوت (العباس بن عبد المطلب) يصرخ فى الناس وهو يدفعهم بقوة وبكلتا يديه عن (شيء) عنيد باسل صعب المراس جبار الدفاع تكالبوا كلهم عليه يبتغون فتكا به ذريعا .

((ويلكم .. الستم تعلمون انه من بنى غفار ، وان طريق تجارتكم الى الشام يمر عليهم ؟ ...

فرفعوا ايديهم عنه ، وما ان فعلوا حتى هب من تحت أيديهم كالعملاق الضارى المسحور ((ابو ذر)) ، مواصلا ــ من جديد ــ تحدياته ، مكررا باعلى صوته انه مسلم ، مسلم ، مسلم ، وانه يشهدهم جميعا على ان لا اله الا الله ، وان محمدا نبى الله ورسوله ، وانه منطلق الى قومه ، حاملا اليهم الاسلام فى قلبه .

ورفت على شفتي علي بن ابى طالب ابتسامته الوادعة ... وعجب ــ مرة اخرى ــ لضيفه هذا الغريب العجيب ... الذى جاء اول الامر يمشى على استحياء وفى ذلة يتسقط الانباء همسا حذرا ، ويذوب جوعا الى المعرفة وعطشا .. فاذا هو الآن ــ وعلى الرغم من تحذيره ونصحه ... منه ومن صاحبه النبى نفسه ــ ها هو ذا لا يمضى فى صمت كما نصحه اولو الامر وحذروه ... وانما هو ، بدافع الفرحة العظمى بالهداية الحقة ــ يأتى بقدميه عامدا ، الى هنالك بالذات حيث معقل طغاة الفجار والكفرة اللئام ... والى قلب قاعدة الاصنام... يدعو سكارى الغافلين الى الاسلام...

وتمتم (علي) وهو يتبع ببصره الغفارى المؤمن ، حتى غاب طيفه المحلق الشامخ فى آفاق مكة .. بكلمات لم تستبين ، وان كانت شواهدها تقول ما معناه . ((جئت ضعيفا خائرا مكلوم الفؤاد يائسا ، مشتت الفكر جزعا حائرا ... وها انت ذا ــ بعد الجرعة الاولى من النبع الشهى المطهر الاسمى ــ تمضي قويا مرفوع الرأس ، وضاء الجبين ، ممتلىء الاهاب ايمانا وقوة وعزة ... فاهنأ بما به رويت ... واذهب فى رعاية الله أبا ذر)) .

رسالة من نيويورك

الشعوب الدينية بمنطقة الشرق الأوسط

الدكتور محمد عبد الرءوف

أرسل الينا هذه الرسالة الدكتور محمد عبد الرءوف مدير المؤسسة الاسلامية فى نيويورك ، وقد وصل الى هناك فى ديسمبر الماضي ..
والدكتور من خيرة الأزهريين المعروفين بنشاطهم وأعمالهم فى البلاد الاسلامية . عمل بالكويت ، ثم شغل منصب مدير الكلية الاسلامية فى الملايو نحو عشر سنوات ثم شغل منصب رئيس قسم البعوث بالأزهر فمدرسا بالجامعة الأزهرية قبل أن يختار لمنصبه الحالي ..
وقد ارسل الينا هذه الرسالة التي ننشرها له شاكرين ، راجين أن ننشر له كثيرا من البحوث والرسائل عن امريكا والاسلام مع تمنياتنا له بالتوفيق فى مجاله الجديد .

« الوعى »

عقد لمدة يومين ، الثامن والتاسع من مارس ١٩٦٦ مؤتمر بالمركز الكنائسي المواجه لهيئة الأمم المتحدة عن « الشعوب الدينية بمنطقة الشرق الأوسط » . وقد دعا الى هذا المؤتمر مجلس الكنائس الوطني للولايات المتحدة الامريكية . وكان هدفه كما جاء فى برامجه الرسمية « اتاحة الفرصة للقاء بين ممثلين للهيئات الدينية والمنظمات غير الحكومية فى الشرق الاوسط » لدراسة التطورات والتغييرات التي تعانيها تلك الأمم وكيف تستجيب هذه الشعوب لعوامل التغيير .

كان المتحدث الأول فى اليوم الأول الاستاذ « جون بادو » مدير قسم دراسات الشرق الأوسط بجامعة كولومبيا

الذى كان عميدا للجامعة الامريكية بالقاهرة من قبل ، كما كان سفيرا للولايات المتحدة الامريكيةلدى الجمهورية العربية المتحدة سابقا ، والذى زار بعض بلاد الشرق الأوسط ومنها الكويت أخيرا . تحدث الاستاذ المذكور عن العوامل والمؤثرات فى حياة شعوب الشرق الأوسط قديما وحديثا . وكان أهم ما ركز عليه فى حديثه أن الاسلام أشد العوامل تأثيرا فى حياة هذه الشعوب وان ما قد يبدو من مواقف علمانية لبعض الدول الاسلامية فى الوقت الحاضر فانما ذلك امر سطحى ، والحقيقة ان الاسلام كان ولا يزال من أهم الدوافع والعوامل للمسلم كفرد وللمجتمع كدولة .

وتحدث عدد آخر من اساتذة الجامعات المختلفة عن مختلف الموضوعات الاقتصادية والاجتماعية وختم اليوم الأول الدكتور « أدوين م رايت » اخصائي فى شؤون الشرق الأدنى بوزارة الدولة لحكومة الولايات المتحدة الامريكية بحديث عن « الوحدة العربية » وكان هداما ، فقد سرد عوامل الوحدة السياسية وذكر أنها اللغة أو الجنس أو الدين أو الثقافة أو الخوف المشترك او الحدود المشتركة أو المصالح المشتركة أو القيم المشتركة ثم حلل كل واحدة من هذه القواعد وشرح كيف أنها لا تصلح تكئة تقوم عليها وحدة العرب السياسية، فقال مثلا ان العرب لا يتكلمون بلهجة واحدة بل قد لا يفهم عربي فى العراق عربيا فى المغرب ، واللغة الفصحى وان كانت متفقة غير أنها لا يعرفها الا القليل (هكذا !) ، وأما الجنس فذكر أن كل دولة عربية تقريبا تتكون من عدد من الشعوب والاجناس .

أما الدين فزعم ان الاسلام لم يوحد المسلمين الا ثلاثة أعوام عندما استطاع محمد أن يقسر قومه بحد السيف على الاتحاد تحت سلطانه بعد أن قهر مكة عام ٦٢٩ (هكذا) على أن الاسلام يدعو للعدوان والحرب فيقول « واقتلوهم حيث ثقفتوهم » ولقد لقى الخليفة الثاني والثالث والرابع حتفهم اغتيالا ، ومنذ مات محمد ما اتحد العرب (هكذا) ، واما الثقافة فليس للعرب ولا للاسلام ثقافة وانما هي ثقافة الاغريق نقلها الى العربية غير عرب تحت لواء خلفاء نصفهم فارسي (هكذا) . . . وهكذا كانت محاضرته هدامة مدلسة تستفز المشاعر ، ولما استأذنت وعلقت عليها سلتم بأنه قصد بها الاستفزاز ؟ وكان هذا موقفا عجيبا !

ولما قلت ان قول الكتاب « واقتلوهم حيث ثقفتموهم » يرجع للمعتدين المشار

اليهم « وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا » حاول اثارة الغموض حول معنى العدوان ! .

وفى اليوم الثاني كنت أول المتحدثين ، وكان موضوعي عن الاسلام ودوره فى الحياة المعاصرة لشعوب الشرق الأوسط . وقد ركزت على شمول الاسلام وأنه ليس هناك دين ودولة ، وعلى مرونة الاسلام وصلاحيته لمواجهة حاجات كل عصر وبيئة ، وسقت الأمثلة على ذلك ، وذكرت ان الاسلام لمرونته قد يتقبل عناصر ثقافية لا تتعارض مع مبادئه الأساسية ، ولكن ما يبدو الآن من مفارقات انما هو نتيجة الاستعمار الغربي الذى فرض على بلاد الاسلام أوضاعا اقتصادية وقانونية ما كان هناك ما يقتضيها لو حسنت نية المستعمر وطوّر الاوضاع على ضوء تقاليد البلاد وعقيدتها . على أن أنواع التغيير التي نشاهدها ليست كلها ناشئة عن الاحتكاك بالغرب بل ان هناك عوامل داخلية ناشئة « عن تغير الزمن نفسه وطبيعة التطور ذاتها ، ومهما يكن من أمر فان المسلمين يتطلعون ـ لا الى ثلاثة عشر قرنا أخرى من حياة الاسلام كما يزعم بعض المؤلفين الغربيين ـ بل الى مجد دائم للاسلام والمسلمين بعد أن ينفضوا غبار الضعف الذى نشأ منذ غارات المغول الوحشية وعدوان الصليب المقوت . وقد سرني تعليق الحاضرين ورئيس الجلسة حيث أكد موافقة الحاضرين لما أشرت اليه من ردود على زعم دكتور رايت ، وذكر أن اكثرهم لا يرى رأيه .

ثم تعاقب المتحدثون ، وكان مما يلفت النظر محاضرات المتحدثين باسم الكنائس المختلفة عن موقفها من الاسلام ، وكانت الخلاصة أن موقف الكنائس أول الأمر من الاسلام كان عدائيا مغالطا مشوها للحقائق ، وكان على رأس هؤلاء « سانت توماس اكويناس » الذى شوه شخصية محمد ودينه بشكل فاحش نفر منه المسيحيين ، ولكن نتج عن قيام أجيال من علماء الغرب الذين كرسوا حياتهم لمعرفة الحقائق دون حيف قدر الامكان ان تكشفت الحقيقة وظهر أن هناك مبادىء سامية يشارك فيها الاسلام المسيحية مما نتج عنه بيانان للبابا زعيم الكنيسة المسيحية فى عام ١٩٦٤ وعام ١٩٦٥ عبر فيهما عن مزايا الاسلام ومدى قربه من المسيحية .

وكانت شهادات غير المسلمين للاسلام بين حين وآخر فى بلد ملحد مادى صهيوني تهتز له المشاعر وتتحرك لها النفوس ! .

الفتاوى

السؤال : ـ

ورد من مسلم باستراليا السؤال الآتي :

مسلم تزوج مسيحية وعقد عليها في استراليا . بشهادة مسلم ومسيحية والموثق مسيحي فهل يصح هذا العقد شرعا ؟ .

الجواب : ـ

للاجابة يتعين البحث في امرين .

١ ـ شرط وجود الولى في عقد الزواج .

٢ ـ جواز زواج المسلم بغير المسلمة وشهادة غير المسلم على عقد الزواج . اما الولاية .

فقد اتفق المالكية والشافعية والحنابلة على ضرورة وجود الولى في النكاح فنكاح يتم بدون الولى يقع باطلا فليس للمرأة ان تباشر عقد زواجها سواء كانت كبيرة ام صغيرة لقوله عليه الصلاة والسلام « ايما امرأة انكحت نفسها بغير اذن وليها فنكاحها باطل » . وذهب الاحناف الى ان الولى ليس بضرورى في البالغة العاقلة بكرا كانت ام ثيبا لانها صاحبة الحق في تزويج نفسها ممن تشاء ثم ان كان غير كفء فلوليها الاعتراض وقالوا ان كل الاحاديث التي يفيد ظاهرها اشتراط الولى خاصة بالصغيرة وفاقدة الاهلية التي لا يصح لها ان تتصرف .

اذ ان النكاح عقد من العقود كالبيع والشراء . وللمرأة البالغة الحرية المطلقة في بيعها وشرائها متى كانت رشيدة . ولها كذلك عقد الزواج بنفسها قياسا على صحة تصرفاتها في شئونها المالية .

واما زواج المسلم بغير المسلمة وشهادة غير المسلم على العقد فان المقرر شرعا انه يجوز للرجـــل المسلم ان يتزوج امرأة كتابية لقوله تعالى « اليوم احل لكم الطيبات وطعام الذين اوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من الذيـن اوتوا الكتـــاب من قبلكم اذا آتيتموهن اجـــورهن » .

ويترتب على هذا الزواج آثاره من حقوق وواجبات كزواج المسلمة الا انه يختلف في امور . منها انه يصح ان يكون شاهدا الزواج غير مسلمين ، واذا مات احدهما فلا يرثه الآخر والاولاد يكونون تبعا لابيهم في الدين .

والشهادة شرط لعقدالزواج فلا بد ان يحضره شاهدان لقوله عليه الصلاة والسلام « لا نكاح الا بشاهدين » والاحناف والمالكية والشافعية والحنابلة والشيعة الامامية يشترطون الشهادة ، وان كان الامام مالـــك يرى ان الشهادة ليست شرطا لانشاء العقد وصحته ابتداء ولكنها شرط عند الدخول فلو دخلا بلا اشهاد وجب الفسخ جبرا وهناك قول في مذهب مالك وابن حنبل ايضا بعدم اشتراط الشهادة ابتداء ولا انتهاء عند الدخول لصحة عقد الزواج اكتفاء باعلانه للناس ليتميز عن الزنا .

وقد ذكر الاحناف انه اذا كان احد طرفي العقد وكيلا وكان الاصيل موجودا ولا يوجد سوى شاهد واحد فلا مانع من اعتبار الوكيل شاهدا ثانيا ليكمل نصاب الشهادة وهو رجلان او رجل وامرأتان وبما ان هذا العقد حضره رجل مسلم وامرأة مسيحية وهذا غير كاف في نصاب الشهادة فلا مانع من اعتبار الموثق شاهدا ليكمل النصاب الشرعي قياسا على اعتبار الوكيل مكملا للنصاب .

لهذا نرى ان العقد المذكور صدر صحيحا مستوفيا شرائطه واركانه وتترتب عليه آثاره من حقوق وواجبات .

انتظار الصلاة

السؤال : ـ

جرت العادة فى بعض المساجد أن تؤخر اقامة الصلاة عن الاذان فترة طويلة قد تمتد الى ٣٠ دقيقة وقد نبهت أحد أئمة المساجد الى هذا فأجاب بأن السنة أن يفصل بين الأذان والاقامة بفاصل يتسع لحضور المصلين الجماعة ، فما رأيكم فى هذا .

ف . م . ص ـ الكويت

الاجابة :

يسن للمؤذن أن يجلس بين الاذان والاقامة بقدر ما يحضر الملازمون للصلاة فى المسجد مع المحافظة على وقت الفضيلة ، الا فى صلاة المغرب فانه لا يؤخرها ، وانما يفصل بين الاذان والاقامة فيها بفاصل يسير قدره الحنفية بما يسع قراءة ثلاث آيات قصار ، وقدره الحنابلة بجلسة خفيفة .

ونرى أن امتداد الفترة بين الاذان والاقامة الى نصف ساعة أمر يتضرر به بعض المصلين من أصحاب المصالح كالتجار والعمال والمسافرين وغيرهم وربما يصرفهم عن صلاة الجماعة ، والدين يسر لا عسر . وبجانب هذا نود أن نشير الى أن جلسة خفيفة فى المسجد هي رياضة روحية للمسلم تجدد نشاطه ، وتقوى عزمه على مواصلة الكفاح والنضال فى الحياة ، وهو فى هذه الجلسة الطاهرة تتنزل عليه رحمات الله ومغفرته قال صلى الله عليه وسلم « لا يزال العبد فى صلاة ما كان فى مصلاه . ينتظر الصلاة ، والملائكة تقول اللهم اغفر له ، اللهم ارحمه حتى ينصرف أو يحدث » . وخير الأمور الوسط .

فى الميراث

السؤال : ـ

سأل السيد / حمدان النزال المعصب / شارع مسجد النزال/الفروانية/الكويت السؤال الآتي :ـ

١ ـ توفى الى رحمة الله تعالى فهد هادى الردعان ، عن ورثته وهم :

والدته (ميثة ردعان) وابنه (هادى) وبنته (رقيه) .

٢ ـ ثم توفيت بعده والدته (ميثة) المذكورة عن بنتها (نوير) وولدى ابنها فهد الذى توفي قبلها وهما هادى ورقية المذكورين .

الأجابة : ـ

بوفاة المتوفى الاول فهد هادى عن والدته وولديه المذكورين توزع تركته على الوجه الاتي : ـ

أ ـ للام السدس فرضا . والباقي لولديه المذكورين للذكر مثل حظ الانثيين .

ب ـ بوفاة المتوفاة الثانية (ميته ردعان) عن بنتها وولدى ابنها فهد الذى توفى قبلها توزع تركتها على الوجه التالى ـ

للبنت النصف فرضا . والباقي لولدى ابنها وهما هادى ورقية المذكورين للذكر مثل حظ الانثيين .

والله أعلم «»

السؤال : ـ

توفي شخص وترك ورثة هم :

بنت ـ أخت شقيقة ـ أخ لاب ـ أخت لام .. فما نصيب كل وارث .

م . ح . الاردن

الاجابة : ـ

للبنت النصف فرضا .

والباقي وهو النصف للاخت الشقيقة .

ولا شيء للاخ لاب لان الاخت الشقيقة صارت عصبة مع البنت ، وبصيرورتها عصبة حجبت الاخ لاب ـ كما أنه لا شيء للاخت لام ـ لانها محجوبة بالفرع الوارث وهو البنت .

والله أعلم «»

الزيارة التاريخية

قضى حضرة صاحب السمو أمير البلاد المعظم فى رحلته التي قام بها فى الشهر الماضي لامارات الخليج العربي نحو عشرة أيام كان خلالها محاطا بمظاهر الحفاوة والتكريم ، وكانت هذه الزيارة موضع تعليقات صحفية متعددة منها هذا التعليق الذى كتبته صحيفة ((الرأى العام)) تحت عنوان ((الزيارة التاريخية)) تقول فيه :

لا شك أن الحفاوة البالغة التي قوبل بها حضرة صاحب السمو فى امارات الخليج الشقيقة تحمل فى ثناياها ابرز المعاني والدلالات على عمق الروابط وصدق العواطف ، وعلى أن ما بين الكويت والامارات هو أكثر مما يكون بين الأشقاء . والواقع أن الروابط التي تجمع بين الكويت وشقيقاتها هي ما يجمع بين الشعب الواحد بل العائلة الواحدة أيضا .

وزيارة حضرة صاحب السمو الأمير هي تجديد لهذه الروابط وتمتين لها ، وتدعيم للتعاون المثمر البناء ، لخير هذه المنطقة ، ولارساء نهضتها على دعائم وثيقة وصحيحة .

لقد لعب الخليج ابرز الأدوار على مسرح النهضة العالمية ، فكان رجاله يجوبون البحار ، ويوصلون القارات ، يحملون مع تجارتهم معالم المدنية والتقدم وينشرون نور العلم والمعرفة يوم كان العالم يغط فى سبات عميق من الجهل والتأخر .

واذا كان دور الخليج الفاعل على المسرح العالمي قد تضاءل ، حين توالت على الأمة العربية النكبات ، فلقد حان الوقت اليوم ، ليستعيد الخليج العربي مكانه الطليعي ليؤدى دوره الحضارى الكامل وليسهم مع القوى الخيرة فى اداء رسالة العدل والخير .

من هذه الزاوية تستمد زيارة حضرة صاحب السمو الأمير ، أهميتها الفائقة فهو رئيس للدولة الانموذج التى تعى التزاماتها وواجباتها ، وتقدم لما هو فوق الواجب والمفروض ، والتى هي الدولة الاكبر التي سبقت فى التجربة ، واستطاعت أن تكيف النظم بما ينسجم مع العادات والتقاليد الجيدة .. وتمكنت بفضل توجيهات أميرها المفدى ، أن تتبوأ مكانة مرموقة فى المحافل العربية والدولية على حد سواء ..

من هذه الزاوية بالذات ، نستطيع أن نقول ان نتائج هذه الزيارة التاريخية المباركة سوف تكون وفق ما تصبو اليه نفوس كل المخلصين المؤمنين الراغبين فى أن يروا شعب الخليج يتبوأ مركزه اللائق ، ويسهم فى صنع التقدم العالمي ، ولا يعيش على هامشه .

سلوك الغايات الكبار

وتحت هذا العنوان كتبت مجلة حضارة الاسلام الدمشقية تقول

ان اولئك الذين تلهيهم بسمات أطفالهم عن دموع حرى لاطفال آخرين ، ويحجبهم فرح ذويهم عن احزان غامرة تسود حياة الآخرين .. نستطيع أن نقرر ان هؤلاء الناس لا يتمتعون بوضوح فى الرؤية ، ولا صدق فى الشعور ، فهم الى الخطأ أقرب منهم الى الصواب والى الجفوة أدنى منهم الى الحب والاخوة والمودة .. ومن لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم .

وعلى هذا الطريق ـ ان الاغتصاب الواقع لجزء غال من أرضنا هنا ، والبلاء النازل هناك ، وظلام السجون المرخى سدوله هنالك ، لا يعنى بحال من الاحوال انعتاقنا نحن هنا فى ارضنا وذوينا وأهلنا .. من أى واحد من ذلك كله ..

ويوم تملك أمتنا أن تزيح الركام من الطريق ،فتتحرر من أذى الغاصبين فى أرضها وفكرها واخلاقها فذلكم هو المبتغي ، وتلكم هي الفرحة الكبرى .

وطريق الامة الى ذلك روح الجندية المؤمنة فى الالتزام ، وروح الجهاد الصادق فى التنفيذ ، ووحدة الشعور على أساس من نسب الاسلام ... وكأين من معركة فاصلة خاضها المسلمون كان النصر فيها منوطا بالالتزام ووحدة الشعور ، ولكأن هذه الحقيقة النابعة من هذا المبدأ في الاسلام تثبت وجودها على كل المستويات ومن خلال كل التحركات للفرد والجماعة والامة ، ولقد عاشت أمتنا ذلك فى الماضي فكان لها ما كان من طابع الذاتية وسلامة الصلة بالاسلام . ان جانبا كبيرا من معالم القوة يكمن هنا .. فاذا كان التزام صادق فقل القوة والمنعة ، واذا كان العكس ـ لا قدر الله ـ فقل وقعت الواقعة ، وسارت الحوادث فى غير طريقها المأمون .

ان امتنا التى جعلها الله خير أمة أخرجت للناس والتي ترتبط بتاريخ غني بالعبر والتجارب ، جديرة بأن تسلك للغايات الكبار ، سبيلا على مستوى تلك الغايات قوة وصعودا ، ويومئذ يحق لها أن تفرح بنصر الله الذى هو من فضله ورحمته « يا أيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما فى الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين . قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون »

كيف نقيم حضارة الاسلام

وكتبت مجلة رسالة الاسلام البغدادية للاجابة على هذا السؤال تقول :

يجب ان ندرك أن مظاهر الفساد المختلفة ليست اعراضا فى واقع يخالف جوهرها ، وينافى طبيعتها ليسهل علاجها ، ويمكن مقاومتها ، ولكنها وجوه ومظاهر للحضارة القائمة تلتحم واياها التحاما عضويا . ولذلك فمن ضياع الجهد أذن ان نفكر فى ان حربنا لجانب من المنكرات الراهنة ، ينتهي وراء القضاء الظاهر عليها ـ اذا أمكن ـ لان هذا الجانب أو ذاك من الفساد لا يشكل الا فصلا من فصول الحضارة المادية القائمة ووجها من وجوهها ، ومن العبث أن تريد أن تبعد عنك ظل شجرة خبيثة قائمة بصورة نهائية بأن تعمد الى جذ فرع من فروعها ، فى حين تضرب جذوعها فى الارض ، ويسمق ساقها فى الهواء ليفرع غصونا كثيرة يمتد ظلها يوما بعد آخر .

ان اجتثاث الحضارة المادية واقامة الحضارة الاسلامية مكانها ، وجعل القرآن قاعدة للامة عليه تقوم مفاهيمها وقيمها ، ومنه تستمد مقاييسها وانظمتها هو العلاج الوحيد للوضعية المتهرئة ، وللتبعية الخانعة التى تعيشها الامة اليوم، فهى بذلك تسترجع مركزها، وتستعيد اصالتها وتقضى على مشاكلها .

مرحبا بالبطل

وتحت هذا العنوان جاء فى الملحق الديني لصحيفة الجمهورية القاهرية .

يزور الجمهورية العربية المتحدة حاليا البطل العالمى المسلم محمد على كلاى ، ونحن اذ نرحب به فى بلادنا وعلى أرضنا ، فانما نرحب به كرمز لانتصار الايمان والارادة القوية .

لقد تحدى محمد على كلاى كل القوى الشريرة ، انتصر على جميع المعوقات . حارب التفرقة العنصرية وتحمل فى سبيل ذلك الكثير من المشاق والمتاعب ، ولكنه لم يهن ولم يضعف .

وعندما أعلن البطل اسلامه لم يشأ أن ينكره بل جاهر به وافتخر باسلامه ، حتى عندما وقفت ضده كل العناصر التى آلمها اسلام البطل وحاولت أن تحطم هذا الايمان . لم ييأس . حاربوه فى رزقه . فى شهرته. وقفوا له بالمرصاد . أذاعوا عنه الاتهامات الباطلة والدعايات المضللة ، وبرغم ذلك كله صمد البطل وانتصر فى كل معركة خاضها . وكان الايمان هو الدافع القوى لصموده ومن ثم لانتصاره .

لقد رفض محمد على كلاى كل المغريات المادية والأدبية ، وآثر أن يعيش مسلما عزيزا كريما حرا . يناضل ويكافح فى سبيل ايمانه . لقد كانت ارادة البطل أقوى من كل شيء . وهكذا يكون الايمان وتكون التضحية فى سبيله .

فمرحبا بكلاى الذى أصبح صورة كريمة للرجل المسلم ، ومرحبا بالبطل القوى .. المنتصر . مرحبا بمحمد على « كلاى » .

ممنوع دخول الخنافس

وطالعتنا مجلة المصور القاهرية بهذا الخبر والتعليق عليه :

لقد منع ديجول دخول الخنافس الى فرنسا ، حتىلا يشجع هذه القدوة السيئة التى أرخت شعور شبان العالم فى السنوات الاخيرة ، وضيقت خواصرهم ، ورفعت كعوب أحذيتهم ، حتى أصبح من الصعب عليك وانت تمشي فى شوارع روما وبرلين ولندن ونيويورك ، ان تميز بين الفتى والفتاة !

على ان فرنسا لم تمنع دخول الخنافس فقط .. بللقد منعت سائحا اجنبيا من دخول فرنسا ، لمجرد انه يطلق شعر رأسه على طريقة الخنافس ..

اننى اذ أحيي ديجول على هذه المبادرة الاخلاقيةالكبيرة ، آمل أن تحذو حكوماتنا العربية المسلمة هذا الحذو ، فتمسك بالرقعاء الذين يقلدون الخنافس ، ويملأون الشوارع والمقاهي ، وتحلق رؤوسهم ، وتعطيهم (علقة) ساخنة فى أقسام الشرطة لعلهم يثوبون الى رجولتهم فى مثل هذه المرحلة الحاسمة من تاريخ أمتنا ، فان وجود انصاف الرجال عملا هداما .. وحاجة تكسف ..

ازمة الضمير العربي

وجاء فى مقال تحت هذا العنوان نشرتهمجلة الرائد العربي الكويتية ما يأتي ــ

ان الازمة الراهنة للضمير العربي هي وليدة الكثيرمن الرواسب فلا يمكن مع انبعاث العصبية وعبادة مراكز الرياسة ، وفقدان التوازن المادى للمجتمع ،ولا مع محاولات تسخير الدين للمظاهر وخدمة المنافع الضيقة ، ولا مع التقليد المضحك الغبي لحضاراتالامم الاخرى ، لا يمكن مع هذه جميعا أن تبرز الذاتية المبدعة للنهضة المتينة الاساس .

ان العالم كله ليتجاوب بطريقة خاصة مع أحداثالامة العربية فى محاولاتها لحل ازماتها الراهنة ، وذلك على ضوء التجارب التاريخية الماضية ، وحاجةالارض الى من يمنحها سلما شريفا لا يفرق بين الاسود والابيض . سلما خاليا من الاستغلال والظلم ،سلما بريئا من التعصب والضيق ، ملء اعطاف البر والتكافل الانساني ، والصيانة من الجوع والترفوالبطالة ، سلما ينتظم القلوب العامرة والحدائق المزهرة ، والمصانع الحافلة ، سلما يسوى بين انسانيةواحدة ، ثم يربطها بالهها الواحد .

وليس من ريب أن كل معسكرات الاستغلالوالتسلط والالحاد تضع ايديها على الزناد فى وقت ارتقاء نهضتها الى معارج رفيعة .

ان أول كلمة تنزل بها الملاك الطهور على قلبالرسول ان (اقرأ باسم ربك) ان هذه الكلمات الثلاث تستطيع ان تشكل الاطار الحق للنهضةالراهنة التى تنحل بها عقدة الازمة فى الضمير العربي ، اننا مطالبون بالقراءة .. بالعلم الذىتنطوى عليه القراءة ، بالمعرفة التى هي نبع القوة ، ولكن شريطة أن تتم المعرفة والعلم والقراءة ، ومايتبع عنها من القوة باسم الله ، وفى خدمة الله ، اى خدمةالحق والعدل والرحمة ، وخدمة البر والسلام.. اليس الله تعالى هو الحق الرحمن الرحيم .. ، السلام المؤمن المهيمن ، وهكذا تتجه الحياة الى حلمهاالجميل دون هذه السخرة للشيطان .

هذه هي الابعاد الشاسعة لرسالة الامة العربية فىهذا الزمان ، ومن دون تحقيقها لا بد من التلطف فى حيازة أقصى ما وصل اليه العلم وبلغته القراءة ثمجعل ذلك كله تحت لواء الله ؟

فهل عجيب ان ترتفع حرارة هذه الامة وهي تعانيعملية انصهار شديدة فى هذه الفترة ؟

وهل قليل ما يجابهنا ونحن نقبس أسباب التجمعوالقوى المادية من أمم لا يضارع قوتها بالعلم الا انحرافها المخيف عن أهداف العلم فى المثل الاعلى .

ان نهضة الاسلام مرهونة بنهضة العرب ، ونهضةالبشرية من عثرات الحروب والقلق والضياع ومن اشكال التعصب والغطرسة والاستغلال مرهون كلهبنهضة الاسلام ..

بأقلام القراء

مولد الهادي

بعث الاستاذ اسماعيل حمود عطوان المدرس بمدرسة التربية الاسلامية ببغداد ، قصيدة تحت هذا العنوان نقتطف منها : ـ

قبس ذو سناء — يملأ الكون ضياء
قد سرى بين الروابي — نور بشر وبهاء
والدجى أخفاه بدر — سابح حول الفضاء
كوكب المولد يزهو — بين أرجاء السماء
ولد الهادى يتيما — ملأ الرحب هناء
عاش فى أحضان نبل — وخيار أمناء
نشأت فيه خصال — ساميات في العلاء
قوله صدق وحق — قد خلا منه افتراء
ولقد كان أمينا — وشجاعا ذا مضاء
ونزيها قد تسامى — عن دعاوى السفهاء

أمنية العمر

الحديث عن الاماني حديث عذب شفاف والاستاذ ع.س.ع يكاد اسلوبه وهو يتحدث عن أمنية العمر يسيل رقة وصفاء ، فيقول : ـ

قال صاحبي الذى عاد من الحج أخيرا..ادركتني رحمة الله حين اختارني مولاى عز وجل لتأدية فريضة الحج هذا العام .. وذهب بي الى مسجد الرسول الاعظم فى مدينته المنورة .. وهناك سلمت على الحبيب ولا شك انه رد على السلام ! فروحه كما ورد فى الحديث الشريف ترد اليه حتى يرد السلام على من يلقيه عليه ! وعشت مع نفحات الرسول الاعظم فى رحاب المسجد الفسيحة .

وكانت أياما ! أياما جميلة جمال الروح وطهارتها .. أياما هي خلاصة العمر ..أحلى اماني العمر .. تهون الدنيا وتهون اللذائذ ..وتهون المطامع والمطامح .. ويهون كل شيء .. وتتفه الدنيا ويتفه معها الطواغيت .. ويولى سلطان المادة ..وتعيش الروح نفسها .. فاذا هي تخفق بأجنحة ربانية فى ملأ علوى بكر .. كله طهارة وكله خشوع ..وكله حمد وتسبيح .. وكله ذكر ونشوة .. يا لله ما احلاها مسرة تهون معها جميع المسرات .. كما وصفها الصوفى العارف ابو يزيد البسطامي حين قال :

لو عرف الملوك ما نجد لقاتلونا عليه ..

وأضاف صاحبي : وفى سهول المدينة وبقيعها وأحد ، وفى شعاب مكة ، وعلى جبل النور فى غار حراء ، وفى منى وعلى جبل الرحمة فى عرفة عشت تجربة مليئة طوفت خاشعا ذاكرا ملبيا حامدا شاكرا لله فيوضه وأنعمه وفتوحاته .. وكنت اهتف من كل قلبي يا ليت هذه الايام تطول ! كان هناك مهرجان

للروح .. وكان هناك موسم ربيعي للقلب .. وكان القلب طوال الوقت مشدودا الى السماء بحبال من نور .. لرب النور ..

وزاد صاحبي .. يا ليتك يا أخي تقوم بهذه التجربة الروحية .. وتمر فى تلك الساعات الخاشعة.. وتسيل منك العبرات ويخفق منك الفؤاد ..وتستشعر تلك اللذة العبودية الحقة لله الذى يستحقها وحده (وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون) .. (يا ليتك تطوف بالكعبة بالبيت العتيق اول بيت وضع للناس .. بيت ابراهيم واسماعيل .. وتستلم الحجر الأسود أو تتعلق بأستار الكعبة .. فيقشعر منك البدن .. ويلين منك القلب من خشية الله ..

ما أروعها من تجربة كنت ابدأ الطواف بحال..فما هي الا لحظات حتى يتغير مني الحال .. وتعود النفس غير النفس .. وتنطلق بالتلبية والدعاء وهي تردد : اللهم لا عيش الا عيش الاخرة .. اين ذهبت الدنيا ، وكيف تجسمت الاخرة امام الروح فذهلت عن الواقع الى عالم الروح .. هذا كله بقدسية هذه البقعة المقدسة .. بؤرة الاشعاع الروحي .. قبلة كل مسلم فى كل ركن من اركان الارض ما كان اروعها من تجربة تجل ـ والله ـ عن الوصف « ولا يمكن ان يحيط بها القول ولكنى اكتفي بقول الشاعر العربي القديم :

وكان ما كان مما لست اذكره   فظن خيرا ولا تسأل عن الخبر

ثورة الامام الحسين

ومن كلمة للاستاذ مجتبي الحسينى بكربلاء بمناسبة الاحتفال بذكرى مقتل سيد الشهداء : ـ

فى مطلع كل عام هجرى تتجدد ذكرى ثورة سيد الشهداء ، وابى الاحرار الكرام ، الامام ابى عبد الله الحسين بن على بن ابى طالب ـ سبط الرسول المصطفى ، ونجل على المرتضى ، وعزيز فاطمة الزهراء، وأخ الحسن الزكى ، ووالد الائمة الاطهار ..

فى مطلع كل عام هجرى تتجدد ذكرى تلك الثورة المباركة ، ولم يمر على المسلمين عام واحد منذ ان ثار الامام الحسين الى الوقت الحاضر الا وكان لذكراها الحزينة الباكية دوى هائل فى النفوس ، فى كل قطر ضم فريقا من المسلمين ، وفى كل بلد استوطنه جماعة من المؤمنين .

وهنا سؤال يفرض نفسه قائلا : ولماذا لا تنمحى هذه الذكرى من الخواطر والنفوس بعد أن مضى على تلكم الثورة الف وثلثمائة عام او تزيد ؟ والجواب ان امتداد ذكرى الثورة يختلف باختلاف طبيعتها من ناحية الهدف مادة وأسلوبا ، وقوة وضعفا .... ، فهناك طائفة من الثورات يفجرها اصحابها طمعا فى حيازة الكراسي ، وشغفا بالسلطة ، وحبا للحكم .. ونجد طائفة أخرى منها تهدف لابتزاز الاموال الطائلة والاستيلاء على كميات كبيرة من الحطام .. ونشاهد طائفة ثالثة تقوم لحساب ومصلحة القوميات والعصبيات والطائفيات .. ونرى طائفة رابعة هدفها اصلاح موضعى ، او تصحيح خطأ من الاخطاء التى تضر الدولة والشعب .. وهكذا .. وهكذا .. ولذلك ـ تجد ذكراها تخلد بخلودها نفسها ، وما دامت اسبابها وعواملها باقية ، اما حين تزول تلك الاسباب والعوامل من المجتمع فلا تعدو أن تضمحل ذكراها فى الافئدة والنفوس مباشرة وبلا فاصل . وحيث ان ثورة الامام الحسين كانت ثورة الاسلام على الكفر ، والحق على الباطل ، والمظلوم على الظالم ، وحيث ان معركة الاسلام والكفر ، وحرب الحق والباطل وملاحقة الظالم والمظلوم لم تزل قائمة ولا تزال الى أبد الدهر ، فلذلك كله لم تزل ولا تزال ذكرى واقعة الطف الفجيعة تتمثل أمام الناس ، ما دام هناك اسلام وكفر ، وحق وباطل ومظلوم وظالم !!! .

وبعد ذلك السؤال يأتي دور سؤال ثان يقول : وما الفائدة فى هذه الذكرى واحيائها وتجديدها فى رأس كل عام ، وما يمكن للانسانية أن تجتنيه من مكاسب ومنافع ذكرى عاشوراء ، وثورة الامام الحسين ؟

والجواب : ان أول فائدة واهم منفعة واكبر كسب ، تحصل الانسانية عليه من هذه الذكرى الثورية العظيمة هو : عدم الرضوخ للباطل ، والثورة فى وجه الحكام المستغلين الظالمين .



مثل عليا

هــل تولى الأئمة الأربعــة ــ رضى اللهعنهم ــ مالك وأبوحنيفة والشافعي وأحمد مناصب فى الدولة وكانوا يتقاضون عليهامعاشات شهرية واذا لم يكونوا ، فما هي مصادر الدخل التي كانوا يتعيشون منها ،وكيف كانت معيشتهم ؟

(اسماعيل حمدون ــ الاردن) .

● المعروف عن الامام مالك بن أنس أنه أثناءطلبه للعلم كان يعيش فى قل من المال ، ويروى أنه كان له أربعمائة دينار كان يتجــر فيها ، ومنهــا كان قوام معيشته ، فلما ذاع فضله ، اتصل بالخلفاء والولاة ، وآتاه الله بسطة منالعيش، بما كانوا يغدقون عليه منالهدايا ، وكان رحمه الله يعتقد أن للعلم حقا فىبيت المال ، وأن الحكام لا يعطونه هبة مــن مالهم ، وانمايجرون عليه رزقا لانه حبس نفسه على العلم والدرس والفتيا وانقطع عن الكسب ، فكان حقا على بيتالمال أن يسد حاجته ، وأن يعطيه ما يكفيه وأهلهبالمعروف وقد بدت عليه آثار النعمة فى كل مظهر من مظاهرحياته فى مأكله وملبسه ومسكنه ، ومما يــؤثر عنه قوله ما أحب لامــرىء أنعــم الله عليه ألا يرى أثرنعمته عليه ، وخاصة أهل العلم .

أما أبو حنيفة النعمان بــن ثابت ــ رحمه اللهفقد نشأ فى بيت من بيوت التجارة بالكوفة ، وعاش فى بحبوحة من العيش لانه استمر تاجرا الى أن مات ،وكان له شريك عاونه باخلاص ليفرغه للعلم والفقه والحديث ، ولم يقبل عطاء الحكام ، ولم يأخذ شيئامن بيت المال ، ومع هذا الورع الشديد ، فقد كان حريصا على أن يستمتع بالحياة استمتاعا حلالا خالصافكان يعنى بثيابه ، ويلبس جيدها حتى روى أنكساءه كان يقوم بثلاثين دينارا .

عرض عليه أبو جعفر المنصور أن يتولى القضاء ،فقال له الامام الأعظم لا يصلح للقضاء الا رجل يكون له نفس يحكم بها عليك وعلى ولدك وقوادك ، وليستلى تلك النفس ، فقال له المنصور لم لم تقبل صلتى ؟ فاجاب . ما وصلني أمير المــؤمنين بشىء مــن مالهفرددته ، انما وصلنى من بيت مال المسلمين ، ولا حق لي فى بيت مالهم . اني لست ممن يقاتل من ورائهمفآخذ ما يأخذ المقاتل ، ولست من ولدانهم ، آخذ ما يأخذه الولدان ، ولست من فقرائهم ، فآخذ مايأخذه الفقير .

أما محمد بن ادريس الشافعي عالم قريش ــ رحمهالله ــ ، فقد عاش فى نشاته الاولى عيشة اليتامى والفقراء مع الاصل العريق والنسب الرفيع ، هاجرالى المدينة ولزم مالكا وعاش فى كنفه نحو تسع سنين ولما مات مالك أراد الشافعي عملا يعيش من رزقه ،فتوسط له أحد القريشيين عند والى اليمن ،فأخذه

الوالى معه ، يقول الشافعي فى ذلك . ولم يكن عندأمى ما تعطيني ما اتحمل به ، فرهنت دارا فتحملت منه ، فلما قدمنا عملت له على عمل .. والعمل الذى تولاه الشافعي كان بنجران ، فسار فيها بالعدل والقسطاس ، لم يتملق واليا ، ولم يصانع غنيا . قال الشافعي وليت نجران ، وبها الحارث بن عبد المدان وموالى ثقيف ، وكان الوالى اذا أتاهم صانعوه ، فأرادوني على نحو ذلك ، فلم يجدوا عندى ثم تنقل الشافعي بين مكة وبغداد وأخيرا استقر به المقام فى مصر ، ويروى انه قال عند رحيله اليها .

لقد اصبحت نفسي تتوق الى مصر ... ومن دونها قطع المهامة والقفر
فوالله ما ادرى أللفوز والغنى ... اساق اليها ، ام أساق الى القبر

ولقد حقق الله له كلا الامرين ، فقد نال الغنى اذ فرض له الوالى العربى عطاء من سهم ذوى القربى من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم أدركه الموت بها .

أما امام دار السلام وشيخ الفقهاء والمحدثين فى عصره احمد بن محمد بن حنبل ، فقد عاش فقيرا . وترك له والده عقارا صغيرا يغل كل شهر سبعة عشر درهما ، كان الامام ينفق منها على عياله ، وكانت الحاجة تضطره أحيانا لان يعمل بيده ليكسب قوته وقد امتنع عن الاخذ من بيت المال ، ورضى بأن يعيش عيشة الكفاف على أن يأخذ مالا لا يدرى أجمع بحله ، أم جمع بغير حله . قال اسحق بن راهويه كنت أنا وأحمد باليمن عند عبد الرازق ، وكنت انا فوق الغرفة ، وهو أسفل فاطلعت على أن نفقة أحمد قد فنيت ، فعرضت عليه فامتنع ، فقلت أن شئت قرضا ، وان شئت صلة ، فأبى فنظرت اليه ، فاذا هو ينسج التكك ، ويبيع وينفق .

• الاستاذ عبد المنعم محمد حلمى

الخطاط بمحافظة القاهرة

تضمنت تحيتكم الشعرية الرقيقة ردكم على الاستفتاء الذى وجهته المجلة الى القراء بمناسبة دخولها فى عامها الثاني ، وسننشر التحية فى العدد القادم .

• الاستاذ محمد عبد الجبار الشبوط

بغداد ــ الكرادة الشرقية

نشكرك على ثقتك بالمجلة التى تقرأها من الغلاف الى الغلاف، ونعتز بصداقتك ونرحب بجميع ماترسله وننشر منه ما يتفق مع مخططنا ، وفى باب الاخبار طائفة من أخبارك .

• الاستاذ ع . ص ــ الكويت

قصتك الواقعية التى أرسلتها بعنوان الايمان سلاح قوى ، والتى تصور أثر الصلاة فى نفس المؤمن وتحصينها ضد المغريات مناسبة ولكنا ننصح بالاتتحدى السمراوات والشقراوات ، فانه مسلك غير مأمون العاقبة .

• الأخ أبو عبد الله بالموصل

وصلتنا طرائفك، ونحيى فيك روح الاطلاع والقراءة وهواية الكتابة ، ونترقب المزيد من مطالعاتك .

اخبار العالم الإسلامي

الكويت

قام صاحب السمو امير البـلاد حفظهالله بزيارة الى العـراق الشقيق استمرت أربعة أيام ، احيط فيها سـموه بمظاهرالحفاوة والتكريم ، حيث جرت مباحثات فيما يهم البلدين خاصة والعرب عامة .

* صرح سعادة خالد احمد الجسار وزير العدلبمناسبة عودته من زيارته الرسمية للجزائر والمغرب بأنه يحمل رسالة شفوية الى حضرة صاحب السموامير البلاد من سيادة العقيد هوارى بومدين . وان الرئيس الجزائرى كرر الدعوة لسمو الامير لزيارةوطنه الثاني الجزائر .

* يجرى البحث حاليا بشأن انشاء كلية للطبضمن الكليات التى تضمها الجامعة الكويتية ..

* استقبل سعادة عبـد الله المشارى الروضانوزير الاوقاف والشؤون الاسلامية فى مكتبه ، السيد القائم بأعمال السفارة الهندية فى الكويت ، حيث قدمله الامير اسماعيل شهاب الدين شقيق سلطان البهرة وقد دار البحث خلال الاجتماع حول شؤون المسلمينفى الهند .

* قررت لجنة المساعـدات الاسلامية الخارجيةالتبرع بمبلغ (٣) آلاف دينار لمعهدالجالية الاسلامية فى اميركا وبمبلغ خمسة آلاف دينار للمدرسة الآصفيةالدينية فى الفلوجة بالعراق الشقيق .

* وافق مجلس الامة على اقتراح يقضي باطلاقاسم شهيد الاسلام المغفور له المشير الركن عبدالسلام محمد عارف على أحد شوارع الكويت الرئيسية .

* زار البلاد وفد مـن مسلمي الصين الشعبيةقادما من بفداد ، وذلك ضمن جولة يقوم بها فى عدد من البلدان العربية والاسلامية لتوطيد التفاهم بينالمسلمين الصينيين ومسلمي هذه البدان .

القاهرة

* قررت وزارة الاوقاف ايفاد مبعوثين مـن أئمةالمساجد الى الدول الافريقية ، لنشر الثقافةالاسلامية هناك .

أقام فضيلة الشيخ أحمد حسن الباقورى مديرجامعة الازهر حفل تكريم للبطل العالمي محمـد على كلاى ، الذى وصل للقاهرة بدعوة من سيادة الرئيسجمال عبد الناصر ، .

وافقت لجنة الخدمات الثقافية والاعلام بمجلسالامة على اقتراح بتطوير محطة اذاعة القرآن الكريم بحيث تقدم برامج دينية ، وان تقوى المحطة بحيثيمكنأن تصل برامجها الى الدول الافريقية والاسيوية لنشر الثقافة الاسلامية .

* تم فى غزة انشـاء مدينة أزهرية تضـم مساكن للطلبـة والعلمـاء ، ومبنى المعهـد الذى يضـم المرحلتين الاعدادية والثانوية . وتدرس الجهـات المختصة انشاء اول كليـة فـي المدينـة تتبع جامعـة الازهـر فـي القـاهرة .

العراق

صرح سفير تركيا فى العراق أنه سلم رئيس الوزراءالدكتور عبد الرحمن البزاز الرسالة الموجهة من قبل رئيس وزراء تركيا بشأن دعوته لزيارة تركيا رسميا .

أصدرت كلية الفقه بالنجف الاشرف مجلة دينيةحافلة بالبحوث القيمة ، والدراسات الاسلامية فى قضايا العقيدة والفكر .

أقيم فى بغداد حفلة تابين كبرى لفقيد العروبةوالاسلامالرئيس المشير الركن عبد السلام محمدعارف، وقد اشترك فى الحفل وفود تمثل البلاد العربيةوالاقطار الاسلامية .

السعودية

* قام الأمير سلمان بن عبد العزيز أمير الرياض بزيارة لامارات الخليج ونزل ضيفا على الكويت بدعوة من سعادة وزير الخارجية .

* زار السيد ادريس المحمدى مدير عام الديوان الملكي المغربي جلالة الملك فيصل وسلمه رسالة من جلالة الحسن الثاني ملك المغرب ..

* تم الاتفاق بين السعودية والأردن على تدريب عدد من طلاب السعودية على الشؤون الزراعية .

الاردن

افتتح الملك حسين العمل فى مشروع سد المخيبة ،ووضع الحجر الاساسي لهذا المشروع الجبار ، وسط جموع من المواطنين ، يتقدمهم ممثلو الملوك والروساءالعرب ، ووفود القيادة العربية الموحدة والجامعة العربية .

السودان

قررت حكومة السودان انشاء ادارة خاصة للشؤونالدينية . كان اول عمل للمصلحة الجديدة اقامة عدة مراكز تعليمية للمحافظة على القرآن الكريم .

أخبار متفرقة

المانيا

أقام اتحاد الطلبة المسلمين فى برانشويج بالمانيادعوى جزائية على رئيس تحرير مجلة شتيرن الالمانية لنشرها مقالا تضمن كثيرا من المفتريات عن وضع المرأةفى الاسلام . وقد رفضت هذه الدعوى مع الاسف بحجة أن القانون الالمانى لا يعترف بالاسلام كدينرسمى .

بلجيكا

كون الطلبة المسلمون فى بلجيكا اتحادا لهم باسماتحاد الطلبة المسلمين فى بلجيكا . وقد أصبح هذا الاتحاد عضوا فى أسرة اتحاد الطلبة المسلمين فى أوروبا

امريكا

وجه اتحاد الطلبة المسلمين فى الولايات المتحدةوكندا رسالة الى الرئيس جونسون ورئيس ولاية أوهايو ورئيس بلدية كليفلاند يستنكر فيها الصورة التى عرضتها مؤسسة الامراض العقلية فى امريكا عن نبينا محمد عليه الصلاة والسلام .

بانكوك

اجتمع الامير عبد الرحمن رئيس وزراء ماليزيا فىشمال الملايو ببعثة صداقة اندونيسية لتمهيد الطريق نحو اعادة العلاقات بين البلدين الى سابق عهدها .

طشقند

تبرعت الهيئات الاسلامية فى الاتحاد السوفيتيبمبلغ ١٤٤ ألف دولار لاعادة بناء مدينة طشقند التى هدمتها الزلازل فى الفترة الاخيرة .

نيجيريا

بدأ المركز الاسلامي فى مدينة ابادان بنيجيريابرنامجا لتعليم اللغة العربية للشباب النيجيرى .. ومما يذكر ان للازهر بعثة هناك تعمل فى عدة بلاد

مكتبة المجلة

قادة فتح الشام ومصر

الكتاب الثالث من سلسلة كتب قادة الفتح الاســـلامي التي يصدرها اللواء الركن محمود شيت خطاب .

وهذا الكتاب يحتوى على سير القادة العرب المسلمين الذين زلزلوا عرش قيصر فى أرض الشام وفى أرض مصر أيضـــا ، أمثال ابو عبيدة بن الجراح ، وأســامة ابن زيد ، والزبير بن العوام ، وعمرو بن العاص ، وعبادة بن الصامت ، وعشرات غيرهم من الذين حملوا رايات الاســلام شرقا وغربا .

والكتاب فى ٣٩٨ صـــــفحة ومزود بالخرائط والرسوم ، وقامت بطبعه دار الفتـــح للطباعة والنشر ببيروت وثمنه (٧) ليرات لبنانية .

خواطر فى النقــد الادبي

فصول شيقة مفيدة فى النقد الادبي ، تثير لدى القارىء شغفا به وتهديه فى سلوك سبله قـــدر المستطاع ، والمؤلف الفاضل الاستاذ عبـــد الله عبد الهادى العاني مولع بالادب ، وهو اذ يقـــدم الى القراء هذا الكتاب فانما يقدم لهم جهـــدا مشكورا لا شك فى قيمته ، وفى فائدته ، وفى قصده الى توجيه الافكار والعناية بهذا الموضوع والاهتمام به والكتاب فى (٧٦) صفحة من طباعة مطبعـــة المعارف ببغداد العراق وثمن النسخة الواحـــدة ١٥٠ فلسا .

الكويت ماضيها وحاضرها

كتـــــاب فى ١٢٦ صفحة من تأليف الاستاذ ابراهيم الحـــر وهو يبحث فى تاريخ وجغرافية الكويت ومراحل تطورها وتقدمها ، والنهضة الثقافية والتعليمية فيها كما تطرق المؤلف أيضا الى الناحية الاسلامية ، فتحدث عنها باسهاب مبينا دور العلماء فى نشر هذه الرسالة الدينية والكتـــاب من مطبوعات مطبعة الاديب ببغداد ، وهو مزود بكثير من الصور التي تبين هذا التقدم الذى تسير فيه دولة الكويت قدما الى الامام .

حجاب المراة المسلمة فى الكتاب والسنة

كتاب مـــن تأليف الاستاذ محمد ناصر الدين الالباني يقـــع فى ١٢٢ صفحة يبين للناس الزى الواجب على المـــراة الادثار به اذا خرجت الى المجتمع ، والشروط الواجب تحققها فيه حتى يكون زيا اسلاميا واستند المؤلف فى كتابه على القرآن والسنة ، واسترشد بأقوال الصحابة والائمـــة والكتاب من منشورات المكتب الاسلامي ببيروت — لبنان ، وثمنه ١٥٠ ق.ل.

لآخــر رمق

مجموعة قصص قصيرة بقلم الاستاذ محمد الخضرى عبد الحميد جمعت فى ١٣٤ صفحة ، وطبعتها المؤسسة المصرية العامة للتاليف والطباعة والنشر بمطبعة الاستقامة بالقاهـرة .. والكتاب الذى أهداه مؤلفه الى المجلة حائـز على كاس القصة القصيرة لعام ١٩٦٥ ، ومجموعة قصصه اجتماعية هادفة يستحق مؤلفها فعلا مثل هذا التقدير ...

اقرأ فى هذا العدد

((الى راغبى الاشتراك))

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك فى المجلة . ورغبة منا فى تسهيل الامر عليهم ، وتفاديا لضياع المجلة فى البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات من الآن ، وعلى الراغبين فى الاشتراك أن يتعاملوا رأسا مع متعهد التوزيع عندهم ، وهذا بيان بالمتعهدين ، فيما عدا شمال أفريقيا :ـ

بغداد : ـ مكتبة المثنى ـ السيد قاسم محمد الرجب .

عمـان : ـ وكالة التوزيع الاردنية ـ السيد رجا العيسى .

بيروت : ـ الشركة العربية للتوزيع ـ لبنان .

القاهرة : ـ توزيع الاخبار ـ ٧ شارع الصحافة ج . ع . م .

الخبـر : ـ مكتبة النجاح الثقافية ـ ص ب ـ (٧٦) السعودية .

مكة المكرمة : ـ مكتبة الثقافة ـ السعودية .

الطائف : ـ مكتبة الثقافة ـ السعودية .

المدينة المنورة : ـ مكتبة المنار .

عـدن : ـ وكالات الاهرام التجارية ـ ص ب (٦٣٩) .

البحرين : ـ المكتبة الوطنية وفروعها ـ السيد فاروق ابراهيم .

المكـلا : ـ مكتبة الشعب ـ ص ب (٢٨) المكلا ـ حضرموت .

دبـى : ـ المكتبة الاهلية ـ ص ب (٢٦١) .

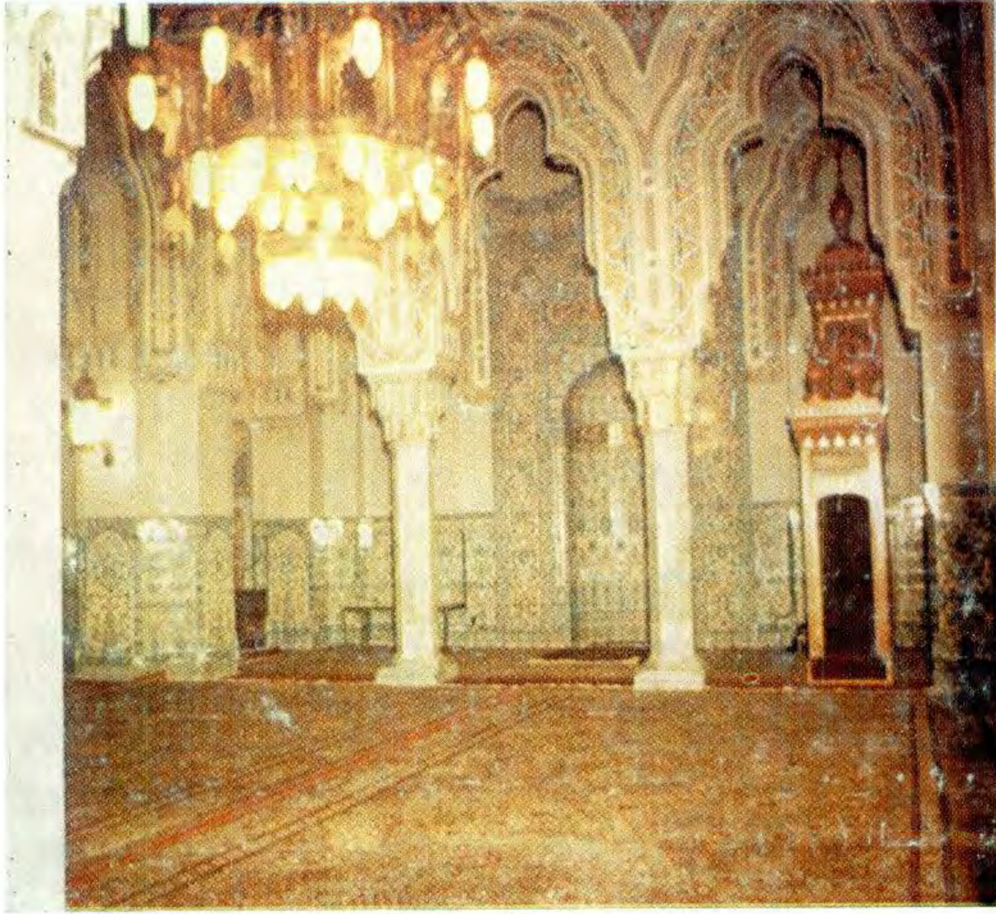
مسقط : ـ المكتبة الاهلية ـ السيد حسن قمر سلطان .

قطـر : ـ مكتبة الثقافة ـ الدوحة ص ب (٨٤٢) .

بورسودان : ـ مكتبة كرري ـ السيد عطا المنان ص.ب ٣٠٣ .

الكويت : ـ مكتب منار للتوزيع ـ شارع فهد السالم ص.ب ١٥٧١

ونوجه النظر الى أنه لا يوجد لدينا الآن نسخ من الاعداد السابقة من المجلة



صورة فنية رائعة لجزء من داخل المسجد

في أجمل بقعة في مدينة « واشنطن » عاصمة الولايات الامريكية . وفي حي السفارات الفخم .. وعلى مساحة ثلاث آلاف متر ، ووسط حديقة رائعة التنسيق يقوم بناء المركز الاسلامي حول المسجد الذي ترتفع مئذنته الشامخة تعلن كلمة التوحيد في الدنيا الجديدة ، وقد وضع الحجر الاساسي لهذا الصرح الاسلامي الشامخ في ١٩٤٩م واشتركت جميع الدول الاسلامية وبعض المسلمين الامريكان في تكاليف الانشاء التي بلغت مليون دولار ، كل دولة حسب طاقتها :

مصر فباكستان فالسعودية فبقية الدول الاسلامية . وكان الدكتور محمود حب الله الأمين الحالي لمجمع البحوث بالازهر أول مدير للمركز سنة ١٩٥٢ وتم في أيامه معظم المباني ، ثم افتتح رسميا بعد اتمامه في ٢٢ يونيو ١٩٥٧ حين كان الدكتور محمد بيصار مديرا للمركز وذلك في حفل كبير ضم السفراء والدبلوماسيين وأبناء الجالية الاسلامية في انحاء امريكا ، وحضره الرئيس الامريكي الاسبق مستر ايزنهاور وقرينته .

وتعتبر هندسة المسجد ، ونقوشه الفنية الرائعة ، والآيات القرآنية التي زينت جوانبه آية في الابداع الفني التي تنطق هناك بمهارة الفنان العربي وأصالته .

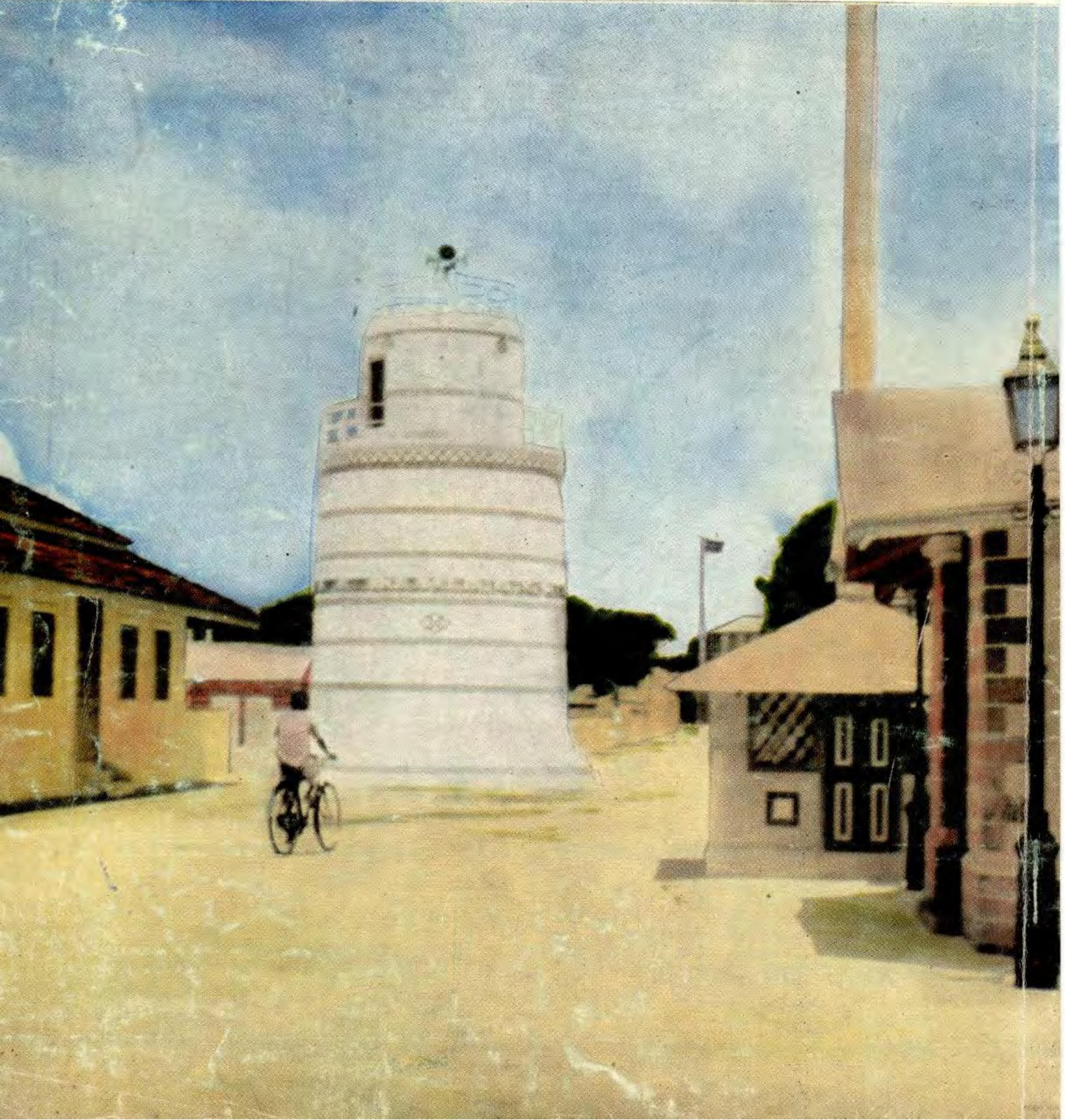
هذا ويشغل منصب مدير المركز الآن الدكتور على حسن عبد القادر العميد السابق لكلية الشريعة بجامعة الأزهر .

مطبعة حكومة الكويت

الوعي الإسلامي

إسلامية ثقافية شهرية

العدد السادس عشر السنة الثانية ربيع الثاني ١٣٨٦ هـ ـ ١٩ يوليو ١٩٦٦م





بطولة وايمان

أقرأ قصة العدد ص ٨٠

الوعي الإسلامي

اسلامية ثقافية شهرية

العدد السادس عشر • السنة الثانية
غرة ربيع الثاني سنة ١٣٨٦ هـ
١٩ يوليو ١٩٦٦ م

تصدرها وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية
بالكويت فى غرة كل شهر عربي

المجلة حرة ، والوزارة غير مسئولة عما
ينشر فيها من آراء

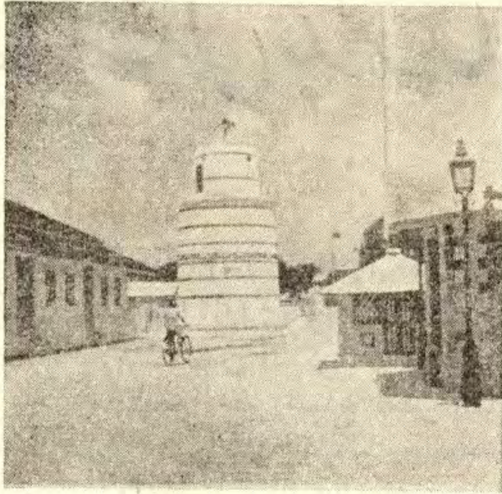
المشرف العام
عبد الرحمن المجحم

رئيس التحرير
عبد المنعم النمر

مدير التحرير
على عبد المنعم

سكرتير التحرير
رضوان البيلى

صورة الغلاف



أول مسجد اسس فى المالديف ويظهر أمامه برج الأذان الذى انشىء منذ ٣٠٠ سنة
(طالع المقال عن جزر مالديف ص ٦٨)

الثمن

الكويت	٥٠	فلسا
السعودية	١	ريال
العراق	٧٥	فلسا
الاردن	٥٠	فلسا
ليبيا	١٠	قروش
المغرب	١	درهم
الخليج العربي	١	روبية
اليمن وعدن	٧٥	فلسا
لبنان وسوريا	٥٠	قرشا
مصر والسودان	٤٠	مليما
تونس والجزائر	١٠٠	مليم

الاشتراك السنوى للهيآت فقط

فى الكويت ١ دينار
فى الخارج ٢ ديناران
(أو ما يعادلهما بالاسترليني)
أما الافراد فيشتركون رأسا
مع متعهد التوزيع كل فى قطره

عنوان المراسلات : مجلة الوعى الاسلامي — وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية الكويت ص . ب ١٣ — هاتف ٢٢٠٨٨

الاحتفال بذكرى مولد الرسول صلى الله عليه وسلم

احتفل العالم الاسلامي فى الثاني عشر من ربيع الأول بذكرى مولد الهدى والنور سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، واستعاد المسلمون الذكريات المجيدة لحياة الرسول ، وجددوا العزم على أن يكونوا خير أتباع لخير رسول ..

وقد احتفلت الكويت حكومة وشعبا بهذه الذكرى المجيدة ، وأقامت وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية حفلها السنوى المعتاد بمسجد السوق الكبير الذى نقلته الاذاعة والتلفزيون ، وافتتحه سعاد الوزير عبد الله المشارى الروضان بكلمة ثم تتابع بعده المتحدثون ..

وفيما يلي نص الكلمة التي ألقاها سعادته :

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين . وبعد :

فمن حق رسول الله علينا أن نحتفل بذكرى مولده الكريم . هذا المولد الذى أشرف على الوجود واستقبلته الدنيا بشوق ولهفة .

فكان مولده صلى الله عليه وسلم رحمة بهذا العقل الانساني ، الذى فقد سلطانه على صاحبه ، فأخذ يعبد من دون الله ما لا يملك لنفسه نفعا ولا ضراً : ولا موتا ولا حياة ولا نشورا .

حيث كان مولده رحمة بتاريخ الانسان وحضارته ورقيه وتقدمه ، ومروره بمراحله المختلفة ، فاذا بهذا الانسان يعود الى الوراء ، الى جاهلية جهلاء ، حيث يستبد القوى بالضعيف ، ويأكل الكبير الصغير .. فكان مولد الرسول رحمة لهذا العالم كله ، رحمة للسلام الذى كان يئن تحت وقع السيوف رحمة بالعقول التي كانت تتخبط فى ظلام الجهل . رحمة بالتاريخ الذى ارتد الى عصور ما قبل التاريخ . فميلاد الرسول كان مشرق هداية ، ومبعث حضارة ، وانطلاق فكر ، وسيادة للانسان ، ونشرا للسلام . وصدق الله ((وما أرسلناك الا رحمة للعالمين)) .

وفى سبيل هذه المبادىء ظل الرسول يكافح ويجاهد ، ويناضل ويجالد ، ويصبر ويصابر ، ويدعو وينادى ، فلا يستجيب له الا القليل ممن هداه الله الى الايمان ، ولا يكون نصيبه من قومه الا الاستهزاء والسخرية . يدعوهم الى استعمال العقل ، فيتهمونه بالجنون .. ويدعوهم الى الحرية ، فيعاديه السادة والملأ .. ويدعوهم الى السلام ، فيقذفونه بالحجارة .. ويدعوهم الى الجنة ، فيدعونه الى النار .

هذه المبادىء نادى بها رجل كان يرعى الغنم فى مكة ، وكان عاملا على تجارة



صاحب السـعادة وزير الاوقاف والشئون الاسلامية يلقي كلمة الافتتاح

خديجة .. نادى بها رجل أمى لم يدخل مدرسة ، ولم يتخرج من جامعة ، ولم يقرأ فى كتاب .. نادى بها رجل منذ ألف وأربعمائة عام فى أرض غير ذى زرع من فوق جبال مكة ، فكانت الجبال تردد أصداءها وتهبط من خشـية الله ، ولا تتحرك قلوب المعاندين .. نادى بها رجل وقف فى سـبيله أعداؤه وخذله أقرباؤه . لكنه كان مخلصا فى دعوته قويا فى حجته ، أسوة فى أخلاقه ، متجردا لوجه الله ، لا يبتغي عليها جزاء ولا شكورا .

فى مدى بسيط استطاع رسولكم بفضل الله وتأييده أن يحدث كل هذا التغيير فى المناطق الوعرة والجبال الصماء والقلوب القاسية .. فى مدى بسيط استطاع أن يدير وجه التاريخ الى الأرض التي كانت تعيش على هامش التاريخ .. استطاع الرجل الذى كان ممنوعا من دخول مكة أن يجاوز بدعوته أرض الجزيرة ، وأن يبعث بسفرائه الى كسرى وقيصر وبقية الملوك والأمراء يكتب الى كل منهم ((أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين)) .. استطاع الرجل الذى كان يعذب فى داخل المسجد أن يجعل الأرض كلها مسجدا ، وأن يجعل للمسلم حرمة فى قربه وبعده وغيبته وحضـوره .. وصدق من خاطب الكعبة قائـلا ((ما أعظمك واعظم حرمتك ، ولكن المسلم أعظم حرمة منك)) .

استطاع هذا الرجل العظيـم ، ذو الخلق العظيـم أن يحيط الانسـان بضمانات تحفظ له حرمته ، وترعى له حقه ، وتجعله جديرا باستخلاف الله له ، جديرا بكلمة مسلم ، جديرا بكلمة انسان . استطاع أن يحقق للانسان كل هذه المكاسب دون ما حاجة الى دعاية ، ولا تهريج ولا طنطنة ، ولا مبالغة ، ولكنه حققها علما وعملا ، ونفذها حقا وصدقا بالحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتي هي أحسن . وصدق الله تعالى ((لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم)) .

وختاما يطيب لوزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية وهي تشكر لكم اجابتكم دعوتها أن تسأل الله تعالى أن يعين المسلمين على استعادة مجدهم واسترداد حقوقهم ، كما تسأله تعالى أن يحفظ صاحب السمو أمير البلاد المعظم وولي عهده ، وأن يديم للبلاد أمنها وسلامتها ، واستقرارها وتآخي أبنائها .

وكل عام وأنتم بخير . والسلام عليكم ورحمة الله .

((والوعى الاسلامي)) تتقدم الى المسلمين جميعا بأطيب تهانيها راجية من الله أن يلهمهم الرشدوالتوفيق على نور من هدي الرسول عليه الصلاة والسلام .



بسم الله الرحمن الرحيم

كتب الينا الشريف عبد الله البيتي من ((تانزانيا)) فى شرق أفريقيا رسالة مطولة يتحدث فيها عن نشاط القاديانيين هناك ،ومحاولاتهم الدائبة لجذب المسلمين السنيين الى مذهبهم ، ويقول : انهم يدعون أنهم مسلمون ، ويأتون بصور لهم أثناء الحج ويغررون بالبسطاء من المسلمين ، ويطلب منا أن نبين على صفحات المجلة حقيقة مذهب هؤلاء ، ويود لو أن ذلك ترجم الى اللغة الانجليزية أو السواحلية ليقف المسلمون الذين لا يعرفون العربية على حقيقة هذا المذهب ..

ومع أننا أخذنا على عاتقنا أن تكون المجلة فوق مستوى الخلافات بين المسلمين ، وأن تعمل ما وسعها الجهد على تقريب وجهات النظر بينهم ، ومع ما نعرفه من الخدمات التي يقوم بها القاديانيون أو الاحمديون أحيانا فيما يكتبون عن بعض المبادىء الاسلامية الا أننا لا نستطيع أن نديم الصمت ازاء هذا الموضوع بعد ما تعددت الرسائل الواردة الينا من شرق افريقيا وغربها ،حتى يعرف كل مسلم موقفه من الاسلام الصحيح ..

ان أهم نقطة صدع بها ميرزا غلام أحمد القادياني العقيدة المجمع عليها من المسلمين على اختلاف مذاهبهم وهي : أن محمدا صلى عليه وسلم خاتم الانبياء والمرسلين هي ادعاؤه أنه نبي يوحى اليه ، وأنه صاحب دعوة جديدة يجب الايمان بها ، فيقول ((ان الكلام الذى أتلوه هو كلام الله بطريق القطع واليقين كالقرآن والتوراة ، ويجب على كل مسلم أن يؤمن بأنى المسيح الموعود،وكل من بلغته دعوتي فلم يحكمني ولم يؤمن بأن الوحى ينزل على من الله هو مسئول ومحاسب من السماء ، وان كان مسلما)) !! ((ان الله كشف على أن كل من بلغته دعوتي ولم يقبلني ليس بمسلم)) !!

ولما وجد أن ادعاءه النبوة يتنافى مع نص القرآن الكريم فى قوله ((ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين)) أول (خاتم النبيين) بمعنى حلية النبيين وزينتهم !! ولما ووجه بالاحاديث الصحيحة القاطعة بأنه لا نبي بعد محمد صلى الله عليه وسلم ، وانه آخر النبيين لجأ الى التعسف فى تأويل هذا أيضا فقال : المراد لا نبي تشريع .. وأنا لست نبي تشريع ، ولكني نبي فقط !!!!

ولماذا نبى ؟ وما الحاجة اليه اذن ؟ اذا كان الاسلام يحتاج الى دعاة له يحيون تعاليمه ، فهم دعاة ومصلحون ومجددون ،كما أشار الى ذلك الحديث الصحيح .

ثم اذا لم تكن نبيا مشرعا ، ففيم ادعاؤك أن الوحي ينزل عليك ؟ وأن الكلام الـذى تقوله انما هو كلام الله كالقرآن والتوراة ؟وما الحاجة اليه وقد أكمل الله الدين وأتم علينا النعمة ؟ وما معنى أن ينزل عليك الوحى بأن قرية « قاديان » التي ولدت فيها بالهند أصبحت مقدسة كمكة والمدينة ويجب الحج اليها فتقول « ما أشقى الرجل الذى يحرم نفسه التمتع بالحج الاكبر الى قاديان »؟!!

لماذا الاصرار على ادعاء النبوة ؟ قل : مصلح . مجدد ـ اذا كنت تعمل لاحياء تعاليم القرآن وتجديدها فى النفوس ـ تجد من يصدقك .. ولا بأس على من رفض تصديقك ، على أن المصلح المجدد لا يعلن عن نفسه بالقول ، وانما يعلن عنه عمله ، وما تركه من آثار جليلة فى خدمة الاسلام ..

أما ادعاء النبـوة والتستر وراء « نبى بدون تشريع جديد » فهذا تلاعب بالالفاظ والعقول وجرى وراء أغراض وأهداف لاصلة لها بالدين ولا بخدمة المسلمين بـل العكس هو الصحيح ..

لقد قضى ميرزا غلام أحمد فترة مـن حياته عالما يدافع عن الاسلام ، وعن مبادئه الصحيحة ، بل انه رفض فى هذه الفترة من حياته ما أراد بعض المنافقين من حوله أن يزينوه له من أنه المسيح الموعـود وأنكره بشدة ، وكان لذلك موضع اعجاب وتقدير اجماعي من المسلمين فى الهند ، ولعل ذلك مع وسوسة بعض المريدين له من حوله مع عوامل أخرى هى التي زينت له أخيرا أن يدعى « أنه المسيح الموعود ارسله الله والملائكة عن يمينه وشماله ليدك الصليب ويقتل الخنازير » . وما دك الصـليب ، ولا قتـل الخنازير ، ولكنه قضى حياته فى خدمة من رفعوا الصليب ومكنوا له ، وأقسموا على حمايته !! ثم من أجل تمكينهم من الشعب الهندى بما فيه من المسلمين أعلن الغاء الجهاد الذى فرضه القرآن دفاعا عن حرمة الاسلام والمسلمين .

ان ادعاء النبوة مغامرة مثلها المغامرون الطامحون أو المتهوسون منذ عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ، ووجدوا لهم بعض المشجعين أو المصفقين من أمثالهم ، ولكنهم ذهبوا وذهب أنصارهم ، وكانوا على سطح التاريخ كفقاعات الماء سرعان ما تنتهى ولا يبقى لها أثر .. فادعاء الميرزا النبوة فى القرن التاسع عشر أمر ليس بجديـد على تاريخ الاسلام ، وان كان مخرجوه وممثلوه مـن نوع جديد :

ان الميرزا الذى ادعى انه المسيح المنتظر وأن الله أرسله ليكسر الصليب ويـدخل الناس جميعا فى الاسلام ، كتب الى الحاكم الانجليزى لمقاطعته سنـة ١٨٩٨م رسالة

يقول له فيها مبرهنا على ولائــه وطاعته:((لقد ظللت منذ حداثة سنى ــ وقد ناهزت اليوم الستــين ــ أجاهــد بلساني وقلمي لاصرف المسلمين الى الاخــلاص للحكومة الانجليزية ، والنصح لها ، والعطف عليها ،وألغى فكرة الجهاد التى يدين بها جهالهم ، والتى تمنعهم من الاخلاص للحكومة)) !!

ويقول : ((لقد ألغى الجهاد فى عصر المسيح (عصره) الغاء تاما ، وأن الفرقــة المباركة التى قلدنى الله امامتها وسياستها تمتاز بأنها لا ترى الجهاد بالسيف ، ولا تنتظره ، ولا تستحله سرا أو علانية ،وتحرمه تحريماباتا)) .

واذا عرفنا أن المسلمين فى الهند كانوا فى هذا الوقت قد سلبهم الانجليز سلطانهم ، وقضوا على امبراطورهم سنة ١٨٥٨م ،ونفوه وسجنوه حتى مات ، وأنهم كان فيهم بقية من روح اسلامية مجاهــدة تحــاول التخلص من المستعمر والابقاء على التقاليد والثقافة الاسلاميــة التي يعمل على ابادتهــا وأن الانجليــز كانــوا يرتعدون خوفا من فكرة الجهاد التي اعتنقها المسلمون بعدما أعلنها وأفتي بوجوبها شاه عبد العزيز الدهلوى ابن الامام ولى الله الدهلوى سنة ١٨٠٣م ضد تسلط الشركة الانجليزية على الامبراطور المسلم ، أقول : اذا عرفنا ذلك أمكننا أن نعرف من الذى أرسل غلام أحمد ومن الذى كان يوحى اليه ، ويحيطه بعنايته ورعايته وتشجيعه !!!

أى شىء قدمه للاسلام سوى اضعاف أهله وتفرقة صفــوفهم وتمكين عــدوهم منهم ؟!

هل أتى بجديد ؟ نعم .. انه نبى .. وأنه نذر نفسه واتباعــه لخدمة أطماع أعــداء الاسلام !! .

ماذا بعد ذلك ؟ لا شيء ..

ان الهندوس أنفسهم وجدوا فى هــذه النبوة الهندية التى جعلت من ((قاديان)) بلدا مقدسا يجب الحج اليه ؟ .. وجدوا فيها شيئا يسرهــم ، ويرضى نزعتهــم !! فكتب الدكتور ((شــنكر داس مهرا)) فى صــحيفة ((بندى ماترم)) يقول ((ان تقدم الحركة الاحمــدية ضربــة قاضيــة على الحضارة العربية والدعوة الاسلامية ، وكل من اعتنق الاحمــدية تغيرت وجهة نظــره وضعفت صلته الروحية بمحمد)) !!

فهل عرفت يا سيد عبد الله وعرف غيرك من المسلمين شيئا عن القاديانية ؟

ولعلنا نعود الى الموضوع بتوسع بعد ذلك (ليهلك من هلك عن بينة ، ويحيا من حى عن بينة) .

رئيس التحرير

مع سورة القلم

خطرات حول بعض ما تشتمل عليه السورة المباركة من معان عظيمة

للاستاذ / عبد العزيز العلى المطوع

بسم الله الرحمن الرحيم ((ن والقلم وما يسطرون))

((صدق الله العظيم))

بدئت سورة القلم بحرف ((ن)) الأمر الذى يجعلنى أعود بالذاكرة الى كلمة نشرت لى بمجلة منبر الاسلام الغراء حول بدء بعض السور القرآنية بحرف أو اكثر من الحروف الهجائية ، وقد انتهيت فى تلك الكلمة الى أن الراجح عندى هو أن هذه الحروف تشير وتذكر بعظمة كتاب الله وبيانه المعجز ، وآية ذلك أن ذكر الكتاب المبين كان يأتى فى الاغلب عقب تلك الحروف الهجائية التي افتتحت بها السور ، مثال ذلك قوله تعالى (الم . ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين) (الم . الله لا اله الا هو الحى القيوم . نزل عليك الكتاب بالحق ..) (المص . كتاب أنزل اليك) (الر . تلك آيات الكتاب الحكيم) (ص والقرآن ذى الذكر) (ق والقرآن المجيد) .

(ن والقلم وما يسطرون)

وهنا نجد أن الله قد أقسم بعدها بالقلم ، وما يسطر العلماء والفقهاء به من علوم مفيدة ومعارف نافعة تنبثق أصلا من كتاب الله العظيم الذى لا تنقضى عجائبه ، ولا ينضب معينه ، ويؤكد ذلك قوله سبحانه فى آخر السورة (وما هو الا ذكر للعالمين) .

ولقد اقتضت حكمته تعالى أن يكون هذا القرآن العظيم والذكر الحكيم خاتم المعجزات ، وأن ينزله على قلب خاتم الانبياء والمرسلين محمد صلى الله عليه وسلم ليكون بذلك فيضا خالدا متجددا فى مضمار العلم والمعرفة ، استجابة لحاجة البشر المتطورة فى شتى نواحى الحياة ،

ومختلف الازمنة ، كما اقتضت حكمته تعالى أن يتلقى العلم والمعرفة عن هذا الرسول العظيم ، ومن فيض ذلك القرآن الكريم خلف صالح حمل الامانة وأدى الرسالة ثم يتوالى هذا التلقى فى الامة خلفا عن سلف ، وسيظل متتابعا فى العدول من كل خلف حتى يرث الله الارض ومن عليها ، وفى هذا التطور الطويل المدى يحمل العدول من اتباع محمد صلى الله عليه وسلم رسالته متأسين بسننه ، وحاملين لواءه ، مستلهمين الهداية ، وملتمسين ينابيع الفهم والمعرفة فى القرآن الكريم يزجونها للعالم أجمع ، ويستمــدون منه النــور ليشعوه على البشرية جمعاء .

ولقد قال سبحانه فى سورة الانعام . (قد جاءكم بصائر مــن ربكم فمن أبصر فلنفســه ومــن عمى فعليها وما أنا عليكم بحفيظ . وكذلك نصرف الآيات وليقولوا درست ولنبينه لقوم يعلمون) وفى الآية الكريمة الاولى من سورة القلم اعداد النفس لمثل هذه المعاني والبيان ـ على بصيرة وعلم ـ فى الآيات المتكررة نزولها فى مواطن عديدة من كتاب الله ، وفى مثل هذا المعنى يقول سبحانه . (ان علينا جمعه وقرآنه . فاذا قرأناه فاتبع قرآنه . ثم ان علينا بيانه) كما وعد سبحانه بحفظ ذلك كله بحفظ القرآن بقوله جل شانه . (انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون) .

وفى ضــوء ما تقــدم نستطيــع أن نلمس عظم مسؤولية اتباع محمد صلى الله عليه وسلم نحو أداء أمانة العلم ، ونشر المعرفة ، والدعوة الخالصة الى الله على بصيرة ونور وهدى استجابة لقوله سبحانه . (قل هذه سبيلي أدعو الى الله على بصيرة أنا ومن اتبعنى وسبحان الله وما أنا مــن المشركين) .

وقد جاءت هــذه المســؤولية وتلك الرسالة مكملة لما سبقها من مسؤليات ورسالات مهدت لها مــن لدن آدم ، حتى بعثة محمــد عليهم الصلاة والسلام ، وآية هذا التكامل من بين تلك الرسالات وما حملته من هداية وعلم ومعرفة قوله جل شانه (آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا واليك المصير) .

ومما لا شك فيــه أن القراءة والكتابة هما وسيلتا التقدم العلمي،والتطور الفكرى والتسلسل الحضارى ، والقلم هو الواسطة والاداة للقراءة والكتابة ، وفى القسم به وبما يسطره تعظيم لشانه من رب العالمين وبيان لفضله على العلم والمعرفة .

وأى تكريم يعادل ما جرت به حكمته جل شانه من أن يجىء ذكــر القلم ، أولى الآيات الكريمة نزولا بقوله جل شانه (اقرأ باسم ربك الذى خلق . خلق الانسان من علق . اقرأ وربك الاكرم . الذى علم بالقلم . علم الانسان ما لم يعلم) .

(انتصار العلم الآدمى)

وفى ضوء الهدى القرآنى العظيم نجد أن العلم الادمى ينتصر على مخلوقات أخرى من غير البشر فى مناسبتين عظيمتين وهما .

١ ـ حين اختصم الملا الأعلى عند خلق آدم طلب الله سبحانه من الملا ـ بما فيه من طاقات جبارة ومن ايمان بالله عظيم ، وتقدير لله حق قدره ، وتسبيح بحمده وتقديس ـ الاحتكام الى العلم ففاز آدم الانســان فأمرهم جل شانــه أن يسجــدوا جميعا لهذا المخلــوق الطينى اجلالا لفضل العلم الذى علمه ربه .

٢ ـ عندما تنافست الطاقتان ـ الانسية والجنية وتسابقتا فى عهد النبى سليمان فى احضار عرش بلقيس رجحت الطاقة العلمية الآدمية كما جاء فى قوله سبحانه . (قال عفريت من الجن أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك وانى عليه لقوى أمين . قال الذى عنده علم من الكتاب أنا آتيك به قبل أن يرتد اليك طرفك فلما رآه مستقرا عنده قال هذا من فضل ربى ليبلونى أأشكر أم أكفر) وقد يهىء الله للبشر شيئا من ذلك الاعجــاز الذى جرى فى عهد سليمان فى يوم من الايام اذا نجح العلماء فيما يفكرون فيه اليوم من تحويل المادة الى طاقة تنقل بجهاز ارسال ، وتلتقط بجهــاز استقبال كما هى الحال فى الطاقة الصوتية التى صارت بفضل العلم تاتينا فى لحظات من بلادبعيدة بواسطة جهازى ارسال واستقبال، وكما هو الحال كذلك فى الصور المرئية عن طريق التلفزيون .

(ماأنت بنعمة ربك بمجنون)

ومحمد صلى الله عليه وسلم هو سيد العلماء تلقى النبوة والعلم وحصافة الرأى من رب العالمين بقلبه ، وعقله ، وسمعه ، وبصيرته ، ولما كان المرء بطبيعته عدوا لما يجهل فقد يتهم من يأتيه بعجائب العلم ، وخوارق المعرفة ، بالجنون تعصبا لدين

آبائه واعتزازا بجهله الموروث ، كما جاء فى آخر السورة الكريمة. (وان يكادالذين كفروا ليزلقونك بأبصارهم لما سمعوا الذكر ويقولون انه لمجنون) فيرد الله سبحانه على هؤلاء فيقول « وما هو الا ذكر للعالمين » كما رد هذه التهم فى أول السورة مخاطبا الرسول العظيم ذا الخلق الكريم . (ما أنت بنعمة ربك بمجنون . وان لك لاجرا غير ممنون . وانك لعلى خلق عظيم) .

(فستبصر ويبصرون)

لقد تحدى الله هؤلاء بقوله سبحانه لرسوله . (فستبصر ويبصرون . بأيكم المفتون) ومن هو الذى يستحق هذا الوصف ، ومما لاشك فيه أن مرد الحكم النهائى الى الله وحده وكفى به عليما (ان ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين) .

(فلا تطع المكذبين . ودوا لو تدهن فيدهنون)

ويقول سبحانه كذلك فى سورة الحاقة التى تلى سورة القلم . (وانا لنعلم أن منكم مكذبين وانه لحسرة على الكافرين) والكافر هو الذى يغطى الحقيقة ، ويكابر فى الحق ، وهذا المكذب قد يود أن يتقارب مع النبى صلى الله عليه وسلم بالمداهنة والملاينة وتقريب وجهات النظر بمصالحة ظاهرية ، لا عن تصديق وايمان كاملين، ولكن محمدا صلى الله عليه وسلم يصدع بما يؤمر به من الحق ويصبر على أذى المكذبين الكافرين ، وذلك بما وصفه الله به من خلق عظيم ، فلا يقبل المساومة من مكذب ولا يخشى فى الحق لومة لائم .

التعاون الدينى

بهذه المناسبة أود الاشارة الى ما نراه من اهتمام كبير فى العالم للتعاون الدينى فى مقابل اللادينيين : وهذا أمر ضرورى لتزايد عدد الملحدين وكبر مجموعة اللادينيين ، الا أن فكرة المهادنة بين اصحاب الكتب السماوية بنشر كتب فيها آيات من القرآن وخلطها بقدر مماثل من الانجيل أو جمع الكتابين فى مجلد واحد مثل تلك الافكار التى ظهرت أخيرا أرى أنها من المداهنة التى ينهى عنها القرآن العظيم .

فلو آمن أهل الكتاب كما آمنا وصدقوا كما صدقنا ، واجتمعنا على كلمة سواء بيننا استجابة لهذا النداء القرآنى . (قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله) لكان فى ذلك خير لنا ولهم ، ومجال للالتقاء الدينى بين أهل الكتب السماوية فى مواجهة موجة الالحاد واللادينية ، على أنى لاارى مانعا من المقارنة بين الكتب فيما هو مشترك بينها كقصص الانبياء والوصايا العشر ، وسائر مكارم الاخلاق الموجودة فى الكتب السماوية ، وقد قال المصطفى صلى الله عليه وسلم فى ذلك (انما بعثت لاتمم مكارم الاخلاق) .

ومما لا شك فيه أن الكتب السماوية الصحيحة يصدق بعضها بعضا . (شرع لك من الدين ما وصى به نوحا والذى أوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى أن اقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه كبر على المشركين ما تدعوهم اليه الله يجتبى اليه من يشاء ويهدى اليه من ينيب) سورة الشورى ، (قل ما كنت بدعا من الرسل وما أدرى ما يفعل بى ولا بكم ان أتبع الا ما يوحى الى وما أنا الا نذير مبين) سورة الاحقاف ،آملين أنلا تكون الدعوة الى التجمع الدينى لمجرد الدافع السياسى ، أو لمجرد تقسيم المنطقة الى قسمين مؤيد وغير مؤيد ، أولمجرد تمكين الاقليات المسيحية فى بعض الدول الافريقية بالذات من الاكثريات المسلمة فيها كما هو حاصل فعلا ، واذا حسنت النية وسلم القصد فآيات القرآن العظيم تؤيد التعاون والتجمع على الخير ، وما أعظم هذه الآية القرآنية الكريمة فى ذلك وهى قوله سبحانه . (ولو لا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوى عزيز) ففى هذه الآية الكريمة اشارة واضحة الى الفائدة من تعاون أهل الاديان السماوية ضد اللادينية ، فالرسالة المشتركة تجمعنا فى الدفاع عن مثلنا ومقدساتنا .

(ولا تطع كل حلاف مهين ..)

كرر الله سبحانه النهى لنبيه الكريم عن طاعة كل من فيه الصفات التى لا تقرها الاديان السماوية جميعها ، لان الاديان السماوية فى أصولها تأمر بكل خير وتنهى عن كل شر ، ومن فيه هذه

الصفات ينبذ من بين صفوف المؤمنين باللهوكتبه ورسله ، ولا يؤخذ له رأى ، ولا يطاع له أمر ، وقد عددت هذه الاية الكريمة وما بعدها هــذه الصفات . (ولا تطع كل حلاف مهين . هماز مشاء بنميم . مناع للخير معتد أثيم . عتل بعد ذلك زنيم . أن كان ذا مال وبنين . اذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الاولين) .

(سنسمه على الخرطوم ...)

وقد فسر ذلك بمعنى وضع سمة أو عــلامــة على الانف ، ولعل فى ذلك عذابا له فى الدنيــا قبل الآخرة ، وعلامة سوء يعرف بها ، فان الله سبحانه قد يعاقب من يستحق العقاب فى الحيــاة الدنيا ، وقد يكــون فى ذلك تنبيه لبعض العباد ليرجعوا عن غيهم ويتوبوا من ذنبهم كما جاء فى قوله سبحانه . (انا بلوناهم كما بلونا أصحاب الجنة اذ اقسموا ليصرمنها مصبحين. ولايستثنون فطاف عليها طائف من ربــك وهــم نائمون ، فأصبحت كالصريم) . والظاهر من معنى الاستثناء هو عدم قولهم الا أن يشاء الله وعدم تذكرهم لله جــل جلاله ، ولعل معنى يتخافتــون يتسارون ويتناجون بصوت منخفض كيلا يسمعهم أحد من المساكين الذين كانوا يأملون أن ينالهم نصــيب مننتاج الحرث (وغدوا على حرد قادرين) والغدو وهو السير صباحا : أى وقت الغداة ومعنى على حرد لعله على منع وغضب على المساكين ففوجئوا باحتراق حرثهم ، الامر الذى لم يدر بخلدهم أثناء غدوهم متجهين الى جنتهم (فلما رأوها قالوا انا لضالون . بل نحن محرومون . قال أوسطهم ألم أقل لكم لولا تسبحون . قالوا سبحان ربنا انا كنا ظالمين . فأقبل بعضهم على بعض يتلاومون . قالوا يا ويلنا انا كنا طاغين . عسى ربنا أن يبدلنا خيرا منها أنا الى ربنا راغبون . كذلــك العذاب ولعذاب الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون) .

وغير خاف ما فى هذه الآيات الكريمة من عظة كبيرة للاغنياء ، ولاصحاب الاراضى الزراعية الذين لا يحسبون لمشيئة الله حسابا وينســون أن فى أموالهم حقوقا للمساكين يجب أن تؤدى ، والا استحقوا عذاب الله فى الــدنيا وفى الآخرة ، أما المتقون الذين يؤدون ما عليهم من واجبات فلهم جنات النعيم لقوله سبحانه . (ان للمتقين عنــد ربهم جنات النعيم) كما يقول سبحانه فى موضع آخر من كتابه العزيز . (وسيجنبها الأتقى . الذى يؤتى ماله يتزكى . ومــا لاحد عنده من نعمــة تجزى . الا ابتغاء وجــه ربــه الاعلى . ولسوف يرضى) ثم تأتى بعد ذلك الآيات الباقية فى السورة بصفة استفهامية ، مقررة معاملة المسلم فى حياته الدنيوية وحياته البرزخية قبل البعث وحياته الثالثة بعد البعث بقولــه ســبحانه . (أفنجعل المســلمين كالمجرمــين) ؟ ما لكم كيف تحكمون ؟ (أم لكم كتاب فيه تدرسون) ؟ (ان لكم فيه لما تخيرون) ؟ لنتأمل هذا الاعجاز فى هذه الصيغة الاستفهامية الاستنكارية فى قوله سبحانه (أم لكم كتاب فيه تدرسون) أى كتاب منزل غير القرآن يقــرر ما تذهبــون اليه ، بحيث يجازى المجرم بالاحسانوالمسلم بالاساءة، ثم يقول سبحانه (سلهم أيهم بذلك زعيم) من يزعم هذا الزعم الذى لا يتمشى مع الحق ، ولا يتجاوب مع العدل الذى جاء بهما القرآن العظيم ، ويقول سبحانه فى سورة ((ص)) (أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين فى الارض أم نجعل المتقين كالفجار) ثم يتساءل سبحانه وتعالى . (أم لهم شركاء فليأتوا بشركائهم ان كانوا صادقين) فاذا كان لهم معبود غير الله ينزل عليهم كتابا بمــا تشتهى أنفسهم فليأتوا به ان كانوا صادقين ، ثم يقول سبحانه بعد ذلك .

(يوم يكشف عــن ساق ويدعــون الى السـجود فلا يســتطيعون . خاشــعة أبصارهم ترهقهم ذلة وقد كانوا يدعون الى السجود وهم سالمون)

ولعل هذه الآية الكريمةتشير الى الحياة الثانية التى لا يستطيع الانسان أن يسجد فيها كما كان يسجد فى حياته الاولى ، التى يترتب عليها وعلى تصرفاته فيها النعيم المقيم أو العذاب الاليم ، واذا كان الله سبحانه وتعالى يمهل المكذبين من أولى النعمة من العقاب فانه لا يهملهم ، بل يجازيهم بما يستحقونه اذا لم يرجعوا الى الله ويتوبوا من ذنبهم فى حياتهم الاولى ، ويقول فى ذلك سبحانه (فذرنى ومن يكذب بهذا الحديث سنستدرجهم من حيث لا يعلمون . وأملى لهم ان كيدى متين) أى يملى لهم خطوة خطوة ودرجة درجة ويتركهم لأنفسهم حتى يلاقوا جزاءهم ، ومما يدل على غناهم وبخلهم قوله سبحانه . (أم تسالهم أجرا فهــم من مغرم مثقلون) ومما يدل على افترائهم قوله

سبحانه . (أم عندهم الغيب فهم يكتبون) ، يكتبون كما يشاءون أو كما تسول لهم نفوسهم ثم يقول سبحانه

(فاصبر لحكم ربك)

فيعيد سبحانه على صفوة خلقه محمد صلى الله عليه وسلم الامر بالصبر على ايذاءالجاهلين المكذبين الذين لا يعلمون كنه الذى جاء به الرسول الكريم ، والسعادة الخالدة التى يدعو لها وأن لا يتعجل انزال العذاب بهم لعل الله يهديهم لان الانسان مهما بلغ فى المكابرة والعناد فانه لا يخلو من نصيب من الخير فيه قد ينمو ويتغلب على الشر يوما ما ، كما أن الانسان فى الوقت نفسه مهما بلغ من العبادة فانه لا يخلو من نصيب من الشر كامن قد ينمو ويتغلب على الخير يوما ما ، فعلينا أن لا نتسرع فى الحكم وأن لا نيأس من الخير ولا نأمن المكر (أفأمنوا مكر الله فلا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون) .

(ولا تكن كصاحب الحوت)

ثم يذكر الرسول بقصة نبى الله يونس عليه السلام فى عدم صبره على قضاء الله لما رفع العذاب عن قومه وقبل الله عودتهم الى الخير عندما آمنوا بالله ، فبدلا من أن يفرح بايمانهم ونصر الله للحق الذى جاء به ، فقد تأثر لظهوره مظهر غير صادق القول معهم - بعد أن أنذرهم بالعذاب لعدم ايمانهم - وخرج بعيدا عن القرية يترقب أخبارهم ، فاذا بالاخبار تأتيه بأن الله سبحانه كما جاء فى سورة الانبياء . (وذا النون اذ ذهب مغاضبا فظن أن لن نقدر عليه فنادى فى الظلمات أن لا اله الا أنت سبحانك انى كنت من الظالمين فاستجبنا ونجيناه من الغم وكذلك ننجى المؤمنين) ويقول سبحانه فى سورة الصافات . (وان يونس لمن المرسلين . اذ أبق الى الفلك المشحون. فساهم فكان من المدحضين . فالتقمه الحوت وهو مليم فلولا أنه كان من المسبحين . للبث فى بطنه الى يوم يبعثون ، فنبذناه بالعراء وهو سقيم . وانبتنا عليه شجرة من يقطين . وأرسلناه الى مائة ألف أو يزيدون . فامنوا فمتعناهم الى حين) . ويتبين من هذه الآية المتقدمة أن يونس عليه السلام عندما أبق على سيده ومولاه رب العالمين كان من المدحضين ولكنه جل شأنه منع البحر عن اغراقه والقضاء عليه قبل التقام الحوت وبعده ، كى يعلم أن لا ملجأ ولا منجى من الله الا اليه وحفظه من الموت والاختناق فى ظلمات الاعماق ، وفى بطن الحوت حتى اعترف بظلمه ، وسبح الله ، فغفر له واجتباه ، وجعله من الصالحين المقربين .

(لا حساب على الانبياء بعد الموت)

ومن ذلك يظهر لى أن الانبياء لا يموتون الا مغفورا لهم ، وبدليل قوله سبحانه وتعالى . (فلولا أنه كان من المسبحين . للبث فى بطنه الى يوم يبعثون) ، أى أن الله سبحانه لا يقضى على الحوت ، ولا على يونس فى بطنه الى يوم البعث وذلك حفظا للانبياء من الموت على خطيئة أوذنب ونرى الله سبحانه يحاسب أنبياءه ورسله عما يدور فى خلجات نفوسهم من الامور التى قد تكون عادية بالنسبة لغير الانبياء كقوله سبحانه : (عبس وتولى . أن جاءه الاعمى) .. الخ ، وقوله سبحانه . واذ أسر النبى الى بعض أزواجه حديثا) .. الخ وقوله سبحانه . (واذ تقول للذى أنعم الله عليه وأنعمت عليه أمسك عليك زوجك واتق الله وتخفى فى نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه) وذلك ليستغفر النبى صلى الله عليه وسلم حتى من أحاديثه النفسية العادية ، ليلقى الله طاهر السريرة ، حسن السيرة ، مؤديا الامانة ، مبلغا الرسالة بصبر جميل واحتساب كبير ، وكذلك الحال مع جميع الانبياء والمرسلين ، ولعل هذا ما يشير اليه قوله سبحانه . (لولا أن تداركه نعمة من ربه لنبذ بالعراء وهو مذموم) أى أنه لولا نعمة من الله سبحانه أدركته لنبذ بالعراء مذموما معرضا فى حالة سقمه وضعفه للهب الحر ، وقر البرد وهو مذموم ، وهذا نوع آخر من أنواع العذاب فى الحياة الدنيا ، ولكن الله اجتباه (فاجتباه ربه فجعله من الصالحين) ثم أعاد ارساله الى قومه كما جاء فى سورة الصافات . (فأرسلناه الى مائة ألف أو يزيدون . فآمنوا فمتعناهم الى حين) ، ويرتبط ختام السورة ببدايتها اذ جاءاتهام الكافرين لمحمد صلى الله عليه وسلم بالجنون فى آخرها كما تقدم . (وان يكاد الذين كفروا ليزلقونك بأبصارهم لما سمعوا الذكر ويقولون انه لمجنون . وماهو الا ذكر للعالمين) ويرد الله هذا الاتهام هنا كما رد فى بداية السورة (وما أنت بنعمة ربك بمجنون . وان لك لاجرا غير ممنون . وانك لعلى خلق عظيم) .

٢ محمّد رسول الله وخاتم النبيين

للشيخ علي عبد المنعم عبد الحميد
المستشار الثقافى لوزارة الاوقاف والشئون الاسلامية

عن عبد الرحمن بن صخر رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مثلى ومثل الانبياء من قبلى كمثل رجل بنى بنيانا فأحسنه واجمله الا موضع لبنة من زاوية من زواياه فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ويقولون . هلا وضعت هذه اللبنة ، قال فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين . رواه الشيخان .

١ ــ ... وكلما أهل شهر ربيع الأول ، قفزت الى أفق الوجود ذكريات وأى ذكريات ، تنشر اريجا عبقا تثيره ذكرى ميلاد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، آخر الانبياء ، الذى عطر الكون ، وشرف الانسانية وحقق آمالها ، وخط لها الطريق اللحب الى الكمال المطلق فى كل شيء ، فى مثل هذا الشهر المبارك كان انبثاق النور الذى أضاء جنبات الدنا ، فقضى على حنادسها ، وصير ليلها نهارا ، وأحال بؤسها نعيما ، وكان اللبنة التي جملت البنيان وأتمته ، وأحسنت تكوينه ، وسدت نقصه ، وأضفت عليه كمالا ما بعده كمال .

قارنت صباه وشرخ شبابه صلى الله عليه وسلم حوادث خارقة لما دأب عليه الخلق ، بل لازمته منذ طفولته مفصحة بلسان واقعها عن مستقبله المستكن فى ضمير الغيب الالهى حينذاك ، والذى بدا حين بدا حافلا بالعظائم ، فكان مهيئا القلوب لاستقبال أضخم رسالة حملها بشر ، رسالة تهدف الى استقرار هنيء فى دار مؤقتة محدودة ، من جعلها هجيراه وزم على تعاليمها جلجلان قلبه ، وصل الى سعادة الابد فى دار خالدة باقية (وان الدار الآخرة لهى الحيوان لو كانوا يعلمون) (١) .

٢ ــ شب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والله يكلؤه ويحفظه ويحوطه ويرعاه ، ويباعد بينه وبين أقذار الجاهلية ، فقد عاف الاصنام وعزف عنها ، ولم يرد موارد ريبة قط ، ولم يقف موقفا يشان فيه أبدا ، وذلك بأن الله مولاه ومؤدبه (أدبنى ربى فأحسن تأديبى) . هيأه لما أراده له من قيادة الخلق وهدايتهم الى الحق والى طريق مستقيم ، فكان صلى الله عليه وسلم أفضل قومه مروءة ، واكملهم خلقا ، واكرمهم حسبا ، وأحسنهم جوارا ، وأعظمهم حلما ، وأصدقهم حديثا ،

---

(١) العنكبوت . الآية ٦٤ .

والمثل الأعلى فى الأمانـــة ، والبعد عـــن الفحش وهجر القول وسوء الفعال .

روى ابن جرير الطبرى عن ســيدنا علي كرم الله وجهه قال . سمعت رسول اللــه صلى الله عليــه وســلم يقول : « ما هممت بشيء مما كان أهل الجاهلية يعملون به غير مرتين ، وفى كل ذلـــك يحول الله بيني وبين ما أريد ، ثم مــا هممت بسوء حتى أكرمنى الله عز وجل برسالته ، فانى قلت ليلة لغلام من قريش كان يرعى معى بأعلى مكة . لو أبصرت لي غنمى حتى أدخل مكة فأسمر بهــا كما يسمر الشباب ، فقال . افعل ، فخرجت أريد ذلك حتى اذا جئت أول دار من دور مكة سمعت عـــزفا بالدفوف والمزامير ، فقلت . ما هذا ؟ . قالوا فلان بن فلان تزوج فلانة بنت فلان فجلست انظر اليهم فضرب اللــه على أذنى فنمــت ، فمــا أيقظنى الا مس الشمس ، قال . فجئت صاحبي ، فقال ما فعلت ؟ قلت . مــا صنعت شيئا ، ثم أخبرته الخبر ، قال . ثم قلت له ليلة أخرى مثل ذلك ، فقال . افعل ، فخرجت فسمعت حين جئت مكة مثل ما سمعت حين دخلتها تلك الليلة ، فجلست أنظر ، فضرب الله على أذنى فوالله مــا أيقظنــى الا مس الشمس ، فرجعت الى صاحبي فأخبرته الخبر ، ثم ما هممت بعدها بسوء حتى أكرمنى الله عز وجل برسالته (١) .

ويروى ابن اسحاق عن عصمة الله لرسوله صلى الله عليه وسلم فى صباه ، أنه عليه الصلاة والســلام قال . (لقد رأيتنى فى غلمان قريش ننقـــل حجارة لبعض ما يلعب به الغلمان ، كلنا قــد تعرى واخذ ازاره فجعله على رقبته ، يحمل عليه الحجارة فانى لاقبل معهم كذلك وادبر ، اذ لكمنى لاكـــم ما اراه لكمة وجيعة ، ثم قال . شد عليك ازارك ، قال . فأخذته وشددته علي ، ثم جعلت احمل الحجارة على رقبتي وازارى على من بين اصحابي (٢) . وتعليقا على هذه الرواية يقول السهيلى . (وهذه القصة انما وردت فى الحديث الصحيح فى حين بناء الكعبة ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ينقل الحجارة مع قومه اليها ، وكانوا يحملون أزرهــم على عواتقهــم لتقيهم الحجارة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحملها على عاتقه وازاره مشدود عليه ، فقال له العباس رضى الله عنه . (يا بن أخي ، لو جعلت ازارك على عاتقك ، ففعل فسقط مغشيا عليه ، ثم قال . ازارى ، ازارى ، فشد عليه ازاره وقام يحمل الحجارة) (٣) .

٣ ــ وقبل هذا وذاك وبعده يحدث التاريخ . ان محمدا صــلى الله عليــه وسلم حملته أصلاب كريمة وتنقـــل فى ارحام نقية طاهرة فهو خيار من خيار من خيار ، ونشأ فى أسرة لها الصدارة والقيادة والسيادة والرفادة والسقاية فى مكة المكرمة ، ولما درج على البسيطة ما صاحب الا فاضلا ، وما ساير الا كاملا ، وما جلس الا الى ذى وقار ومروءة ، ومن أبرز الذين لازمهم ولازموه شاب يلتقى معه نســبا فى مــرة بــن كعب ويكبره (محمد) بعامين وشهور ، وكان قريبا له فى الجاهلية وصحبه فى رحلتــه الى الشام مع عمه أبى طالب ، وسمع حديث بحيرا الراهب عنه ، وكان مقامه بمكــة قريبا من مقام (خديجــة بنت خويلد رضى الله عنها) التي تزوجهــا محمد صلى الله عليه وسلم وأقام فى بيتها ، ولكل ذلك توطدت الألفة بينهما وزادها قوة تقاربهما فى الميول والطباع ووحدة الاتجاه والبعد عن مواطن الزلل والهــزء والسخرية ، مع الاعتصام بالمثل العليا فى الخلق والسلوك، فقد روى أن الصديق رضى الله عنه لم يتعاط خمرا فى الجاهلية قط ــ مع انتشارها بين المكيين لانه رأى يوما رجلا ثملا يأتي قبيحا من الفعال فصدف عنها مخافة أن يوقفه قربانها

(١) تاريخ الامم والملوك ص ٣٤ ، ج ٢ . (٢) السيرة النبوية ج ١ ص ١٩٤ الحلبى بالقاهرة .
(٣) الروض الانف ص ١٢٠ ج ط الجمالية بالقاهرة سنة ١٣٣١ هـ .

موقفا لا يحب أن يرى نفسه فيه ، كما ابتعد عن الأصنام بعد أن أخذه أبوه الى مكانها وامتدحها له وطلب اليه أن يقرب لها القرابين ويخصها بالعبادة ، ثم خلاه وشأنه معها ، فلما خلا له المكان من أبيه نادى الأصنام سائلا اياها أن تعطيه طعاما وشرابا ، أو تدله على صواب الحياة من خطئها ، وهيهات أن تجيب ، فما كان من أبى بكر الا أن القى على كبيرها حجرا جعله يخر لوجهه ويتناثر أشلاء ، وغادر المكان لا يلوى على شيء ... وكان هذا آخر عهده بها .

كان محمد صلى الله عليه وسلم يختلف الى أبى بكر رضي الله عنه كثيرا ولعل الحديث - والحديث ذو شجون - ساقهما يوما الى ما كان عليه الجاهليون من عكوفهم على أصنام لا تسمن ولا تغنى فى مجال العقيدة السامية شيئا ، أصنام يخضعون لها خضوعا أعمى دون تدبر أو تفكير ، مع أن قليلا من التبصر يرى أنها لا تسمع ولا تبصر ولا تغنى من الحق شيئا - ثم كيف تسأل هذه الصم الصلاد جلب خير أو دفع ضر بينما هي لا تستقيم الا اذا أقيمت ولا تستقر الا بفعل أضعفهم أو أقواهم ، ولعل هذا الحديث جرهما الى نقد سائر عادات الجاهلية التي لا تتفق مع العقل السليم والمنطق المستقيم الطليق من قيود الوراثة وسدود المجتمع الذى تعيش فيه ، بل توحى بها فطر منحرفة وشهوات جامحة ، وليس ببعيد أنهما كانا يأملان أن يريا الفضيلة تسيطر على مجتمعهم ، والرذيلة تنجاب عنه بوسيلة ما لم يحدداها ، بل هو نوع من الصفاء الروحي يجعل الانسان يتوقع تغييرا لبعض أحوال لا يراها منسجمة مع الجبلة النقية ، وواقع لا توافق بينه وبين ما ينبغى أن يكون .

ومما يزيدنى يقينا بأن أمثال هذه الأحاديث كانت تثار كلما اجتمع محمد وابو بكر ، حبب (محمد) صلى الله عليه وسلم للعزلة والخلاء بعد أن قطع شوطا بعيدا من عمره الشريف ، كأنه لم يطق أن يرى ما عليه معاصروه من أنواع الرذائل وصنوف الضلال ، فآثر الانزواء بعيدا عن الموبقات ومواطنها حتى يأتى الله بالفتح أو أمر من عنده فتتطهر القريه وتسعد ، وكذلك ما روى عن أبى بكر رضى الله عنه وحديثه مع امية بن أبى الصلت الذى كان معروفا بتعبده على شرعة أبى الأنبياء ابراهيم خليل الرحمن وأنه سمعه يوما يقول :

كل دين يوم القيامة الا
ما قضى الله والحنيفة بور

وما كان من حديثه مع ورقة بن نوفل ابن أسد القرشي الذى هجر الأصنام قبل الاسلام وكان على معرفة بدين عيسى عليه السلام بل كان له علم واطلاع على كثير من كتب الأولين . وقد قال لأبى بكر يوما : انه قد أظلنا زمان نبى يظهر من اوسط العرب نسبا يقول ما يقال له . وفى هذا المقام يورد ابن عساكر وغيره قصتين وقعتا لأبى بكر قوتا عنده الأمل فى تغيير شامل لأحوال الجاهلية على يدى رجل يوحى اليه من السماء ، وأنه سيكون من أشياعه الأقربين الذين يقيمون معه البناء على أقوم أسس وأوطد أركان . ونحن نردهما تأكيدا لما ذهبنا اليه من تشوف أبى بكر كصاحبه محمد الى تحول بيئتهما الى احسن حال .

وأولاهما

ما يقوله أبو بكر من أنه خرج يقصد اليمن قبيل مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل على شيخ من الأزد له إلمام بعلوم الأولين ، يقول أبو بكر . فلما جلست اليه سألنى . ألست من الحرم ؟ قلت نعم . قال . وتيمى أنت ؟ قلت . نعم ، أنا من تيم بن مرة ، فقال . ستكون صاحبا لنبى يبعث فى الحرم .

وثانيتهما

ما روى من أنه كان فى بعض رحلاته

- البقية على ص ٣٠ - ٣١ -

المستشرقون والإسلام

للدكتور عرفان عبد الحميد
استاذ بكلية الشريعة ـ جامعة بغداد

ليست في حقل الدراسات الانسانية دائرة سادتها الفوضى وعمها الاضطراب وعمل فيها الحقد والتحامل المقيت كدائرة الدراسات الاسلامية في الغرب ، ذلك لان الاستشراق كمنهج وكمحاولة فكرية لفهم الاسلام : حضارة وعقيدة وتراثا ، كان دافعه الاصيل « العمل من أجل انكار المقومات الثقافية والروحية في ماضي هذه الامة والتنديد والاستخفاف بها (١) وهكذا ففي الوقت الذي يتصف فيه الباحث الاوربي اثناء دراسته للاديان والحضارات الاخرى « بالرصانة والاتزان، وفي احيان كثيرة بتقدير واكبار وديين » (٢)نراه يتنكر عند بحثه في الاسلام لهذا المنهج » فتعمل المحاباة العاطفية فعلها في هذه الرصانة الغربية ، بصورة تكاد تكون دائمه وثابتـه ، فتضطرب وتختل » (٣) فتتنكب عن الحق وتحيد عن الصواب

وهذه ظاهرة فكرية نحتاج في تفسيرها الى تفهم الاسس النفسيه لاقدم العلاقات الفكرية بين العالمين الغربي والاسلامي ، ذلك لان ما يفكر الغربيون فيه ، ويشعرون به نحو الاسلام اليوم ، متأصل في انفعالات وتأثيرات ترجع الى معارف سابقة عميقة الجذور في الفكر الاوربي ، فهي تعود الى فترة الحروب الصليبية والقرن الذى

(١) البهي (الدكتور محمد) « المبشرون والمستشرقون في موقفهم من الاسلام » ، من منشورات الجامع الازهر ، مطبعة الازهر ــ ص (١) .

(٢) اسد (محمد) « الطريق الى مكة » ــ ترجمة عفيف البعلبكي ، الطبعة الاولى ببيروت ، سنة ١٩٥٦ ، ص ٢٠ .

(٣) المصدر السابق : ص ٢٠ ــ ٢١



سبقها مباشرة ، أى نهاية حقبة الالف سنة الاولى من التاريخ المسيحى ، والتى وصفها محمد اسد بـ « الطفولة المبكرة للمدنية الغربية (٤) .

وقد يبدو من سخرية التاريخ ان يظل هذا الحقد القديم ضد الاسلام قائما بطريقة لا شعورية ، فى زمن خسر فيه الدين القسم الاكبر من تأثيره فى مخيلة الاوربي ، بيد أن هذا فى الحق لا يبعث على الدهشة ، فنحن نعرف ان شخصا ما يمكنه ان يفقد بالكلية المعتقدات الدينية التى لقنها فى طفولته ، ومع ذلك فان انفعالا معينا ذا صلة بتلك المعتقدات اصلا يستمر دونما وعى ، فى حالة العمل ، ابان حياته فيما بعد ، وهذه حقيقة أشار اليها اكثر من مستشرق معاصر ، فالاستاذ مونتكمرى واط يقول « منذ القرن الثاني عشر جد الباحثون من اجل تقويم الصورة المشوهة التى تولدت فى اوروبا للاسلام ، ولكن ورغم الجهد العلمى المبذل فان آثار الموقف المجافى للحقيقة والتى ولدتها كتابات القرون الوسطى فى أوروبا لا زالت قائمة ، فالبحوث والدراسات الموضوعية لم تقدر بعد على اجتثاثها كليا » (٥)

ويقول الاستاذ برنارد لويس « لا تزال آثار التعصب الدينى الغربي ظاهرة فى مؤلفات عدد من العلماء المعاصرين ، ومستترة فى الغالب وراء الحواشى المرصوصه فى الابحاث العلميه » (٦)

ويقول الاستاذ جيب عند الكلام عن ابحاث المبشرين من المتشرقين « ولقد قامت فى صفوفهم فى السنوات الاخيرة محاولة ايجابية تحاول النفاذ بصدق واخلاص الى اعماق الفكر الدينى للمسلمين بدل السطحية الفاضحة التي صبغت دراساتهم السابقة ، ولكن ورغم ذلك فان التأثر بالاحكام التى صدرت مسبقا على الاسلام والتى اتخذت صورة (تقليد منهجى) فى الغرب لازال قويا فى بحوثهم ، ولا يمكن أغفالها فى اية دراسة لهم عن الاسلام » (٧)

ويقول الاستاذ نورمان دانييل « رغم المحاولات الجدية المخلصه التى بذلها بعض الباحثين فى العصور الحديثة للتحرر من المواقف التقليدية للكتاب المسيحيين من الاسلام فانهم لم يتمكنوا ان يتجردوا كليا عنها كما قد يتوهمون . (٨)

وهذا البحث محاولة تهدف الى بيان امور ثلاثة :

١ ــ توضيح معالم الصورة المشوهة ، التي كونتها اوربا عن الاسلام فى القرنين الثاني والثالث عشر ، والتى استمدت موادها الاولية من مصادر تاريخية بيزنطية شرقية واسبانية لاتينية مع ما اضيف اليها من معلومات مباشرة تولدت خلال الحروب الصليبية .

٢ ــ التأكيد على أن هذه الصورة اتخذت شكل « تقليد منهجى » و « اطار فكرى » فى اوروبا توارثته الاجيال التالية ، وتحولت الى « فتاوى شرعية » أخذ بها المتأخرون « وحقائق مسلمة » تلقوها من غير بحث فيها او نظر .

٣ ــ التأكيد على أن هذه الصورة المشوهة والحقد الدفين الذى سببها ، لا زالا قائمين رغم ادعاء المستشرقين المعاصرين بأن ابحاثهم اتخذت شكل الموضوعية ، والتجرد عن الاهواء ، والاخذ باسباب البحث العلمي ، وما تمليه النزاهة العلمية . وذلك بايراد مجموعة منتخبة من اقوالهم المدونة فى كتبهم ومقالاتهم والتي تؤكد « استمرارية التقليد » رغم الاختلاف فى التعبيرات والمصطلحات ذلك الاختلاف الذى يوجبه واقع الحال وطبيعة الزمن .

---

(٤) المصدر السابق : ص ٢٣ .

5) Watt, W.M. **Muhammad, Prophet And Statesman,** (Oxford), 1961 , p. 3.

(٦) لويس (برنارد) . العرب فى التاريخ . ص ٦٣ (الترجمة العربية) .

7) Gibb, H.A.R. **Mohammedanism,** (Oxford), The preface.

8) Daniel, Norman. **Islam and the West,** the making of an image (Edinburgh), The Introduction, p.i.

أولا : لقد تكونت في أوروبا للاسلام ونبيه خلال فترة الحروب الصليبية والقرن الذى سبقها صورة ذات ملامح بشعة مشوهة أملاها الحقد المقيت والجهل الفظيع بالاسلام واصوله وعقائده وتاريخه .

فقد صور الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ وحاشاه : بانه كان كاردينالا منشقا على البابوية . طمع فى كرسيها ، فلما خابت آماله ادعى النبوة ولصا ، وقاتلا ، وزير نساء ، وكافرا ، وساحرا ، ودجالا ، وخائنا ، وفاجرا ، وشيطانا من الشياطين: وارهابيا يشيع الموت وينشر الدمار وداعية اباحية اتخذ من شيوعية المرأة وسيلة لهدم الكنيسة المسيحية وفضائل الاخلاق (٩) .

وصور الاسلام بانه مزيج مشوه مستقى من أصول مسيحية ويهودية ، تلقاها الرسول صلى الله عليه وسلم من اساتذته احبار اليهود ورهبان النصارى وقسسهم ، وصور الاسلام ايضا بصورة زندقة لا بل ومنبع الزندقات ، وفرقة منشقة عن الكنيسة . (١٠)

وصور القرآن الكريم : بانه كتاب يناقض بعضه بعضا ، غير منسجم فى افكاره ، وغير منتظم فيما يحويه ،وكل مافيه يخالف العقل ويعوق الفكر (١١)

وصور المسلمون : بانهم وحوش وأبناء شياطين ، وأهل لواط ، ومشركون يعبدون مجمعا من الاصنام الذى يضم الالهة جوبيتر ، آبولو ، دايانا ، ـ افلاطون ، والمسيح الدجال . (١٢)

شكلت اوروبا هذه الصورة من معارف استقتها من مصادر بيزنطية واسبانية ، واضافت اليها المعلومات المنحرفة التى جمعتها أثناء الحروب الصليبية .

فاوليات هذه الصورة البشعة جاءت مدونة فى كتاب للقديس يوحنا الدمشقي بعنوان « De kearesi - Bus » الذى عاش فى عصر خلفاء بنى أمية ، ومن رسالة ثانية دونت باللغة العربية يبدو فيها انها منتحلة تحمل اسم مؤلف يدعى انه مسلم ارتد وتنصر ، اسمه عبد المسيح بن اسحق الكندى ، وقد اعيد نشرها فى القرن التاسع عشر بلندن ، وذلك لتخدم اغراض المبشرين العاملين فى الشرق الاسلامي ، كما لخصها وترجمها الى الانجليزية السير وليم ميور وجعلها فى مقدمة كتابه المشهور « حياة محمد » ١٣ ثم جاءت الحروب الصليبية فزادت من رسوخ هذه الصورة وتعميق اثرها فى الفكر الاوربى ، ذلك لان « الاذى الذى جلبته الحروب الصليبية لم يقتصر على اصطدام استعملت فيه الاسلحة ، بل كان اولا وقبل كل شيء ، أذى عقليا نتج عنه تسميم العقل الغربي ضد العالم الاسلامي عن طريق تفسير التعاليم والمثل العليا الاسلامية تفسيرا خاطئا متعمدا ، لانه كان من الضرورى لاذكاء الحملة الصليبية أن يوسم نبى المسلمين بعدو المسيح ، وان يصور دينه بأكلح العبارات ، كينبوع للفسق والفجور والانحراف عن الحق (١٤) .

بدء فكرة التبشير

ولقد تخللت هذه الحروب التي دامت طيلة قرنين (١٠٩٥ م ـ ١٢٩٢ م) فترات انتكاسات

9) Daniel, Norman, Op. cit., pp. 28, 28, 73, 78, 81. See also, Southern, R.W. **Westren Views Of Islam in the Middle Ages** (Harverd-University press, 1962) pp. 24-25, 30, 31. 74.
10) Daniel, Norman, op. cit. pp. 208-9, 211. Also, See, Southern, R.W. Op. vity., pp. 30. 38, 81, 94.
11) Daniel, Norman. Op. cit., pp. 47, 62-5, Also, Southern, R.W. Op. cit, pp 71,81
12) Ibid, pp 69-70.
13) Ibid, The Introduction, pp. 3-4.,
كتب القديس يوحنا الدمشقي كتابا آخر عنوانه (Dialexies) كان المفروض ان يستخدم كمرشد للنصارى الشرقيين فى جدالهم مع العرب الفاتحين .
(١٤)اسد (محمد) « الطريق الى مكة » : ص



حربية ارتفعت بسببها صيحات تدعو الى نقل المعركة من ساحة الحرب الى حقل الفكر والمعرفة ، وكان من اوائل من دعا الى التبشير بدل الحرب القديس بطرس الراهب الذى طلب سنة ١١٤٣ م من « روبرت كيتون » ترجمة القرآن الكريم الى اللاتينية ، وقد اوضح بطرس الراهب هدفه من نشر هذه الترجمة التي شحنت بالتعليقات التي رددت التهم التي اشرنا اليها سابقا بقوله « ان القرآن منبع الزندقات ، وسبب الحركات الهدامة التي تهدد كيان الكنيسة المسيحية ، فاذا اريد القضاء عليه ، فلا بد من دراسته ، والدعوة الى انه كتاب فيه تعارض وتضارب وتناقض ، وان ما فيه يرفضه العقل (١٥) الا ان هذه الصيحة من أجل احلال التبشير محل الحرب فشلت بسبب انتكاسة مروعة منيت بهـا الحملات الصـليبية ، وهكذا اعاد البابا اينوسنت الثالث سنة ١٢١٣ م الدعوة الى مزيد من القوة تشهر فى وجه المسلمين والقضاء على ما اسماه بـ « دعوة المسيحالدجال »

روجر بيكون وخطة التبشير

ثم ظهرت الدعوة ثانية لاحلال التبشير محل الحرب ، وكان بطل الدعوة هذه المرة الفيلسوف المشهور روجر بيكون ، الذى ضـمن دعوتـه فى رسالة وجهها سنة ١٢٦٦ م ــ ١٢٦٨ م الى البابا مقترحا فيها :

آ ــ وجوب ادخال اللغات الاجنبية (وخاصة العربية) فى مناهج الدراسات الجامعية وذلـك كوسيلة للتبشير ونشر المفتريات .

ب ــ دراسة احوال من يراد ردتهم ، لتسهل معرفة المسارب التي منها يمكن النفاذ الى عقيدة المسلمين لهدمها وتقويضها (١٦) .

وقد عاد فى هذه الاونـــة عدد مـن القسس والرهبان الذين اشتركوا فى الحروب الصليبية ، وصاروا ينشرون مذكرات وكتبا عن أحوال الشرق الاسلامي ، عملت من جديد على ابراز وتعميق ملامح الصورة المشوهة التي ذكرناها .

ومن اشهر هؤلاء Simon Sem eonis الايرلندى الذى كان من اعضـــاء رابطـــة الاباء الفرنسيسكان ، والذى زار فلسطين سنة ١٣٢٣ م وحصل خلالها على نسخة من القرآن الكريم ، ثم نشر كتابا عن المسلمين وصفهم فيه بانهم « وحوش وخنازير وأبناء شياطين ومحترفو لواط .

ومنهم ايضا James Ofverona الايطـالي الذى هو الاخر كتب عن الاسلام واصفا اياه بانه « صورةمشوهة مخزية من تعاليم المسيحية (١٨)

وكانت دعوة روجر بيكون فى هذه الاونة قـد وجدت آذانا صاغية عند المسؤولين فى روما ، فقرر مجمع فيينا الديني المنعقد سنة ١٣١٢ م ادخال اللغة العربية من بين غيرها من اللغات الى جامعات اوروبا المشهورة مثل : اكسفورد ، باريس، سالمنكه ، ورما ، وكان المحـرك الاول وراء تنفيذ هذه الخطـة وتحقيقها ريموند لل الاســـباني (١٢٣٥ ــ ١٣١٦) (١٩) .

والهدف ..

وهكذا نرى أن الدافع من وراء انشاء مراكز الدراسات العربية الاسلامية فى

15) Southern, R.W. Op. cit., p. 37. See., Also, Tibawi, A.L. **English Speaking Orientalists,** A Critique of their approach to Islam and Arab Nationalism (Published by the Islamic Culturaɪ Center, London, 1964) P. 4.
16) Southern, R.W. Op. Cit., pp. 56-7.
17) Southern, R.W. Op. cit., p. 70. also, Daniel, Op. cit., p. 171.
ɪ8) Southern, R.W. op. cit., p 71.
19) Ibid., p. 72. also, Tibawi, Op. cit, p4.

الغرب لم يكن عمليا منذ البداية ، بل كانت الغاية منه والهدف « دينيا تبشيريا هدميا (٢٠) ، وقد انضم الى هذا الدافع الديني في القرن السابع عشر ، سبب استعماري استغلالي ظهر للوجود كنتيجة للصلات الاقتصادية وخطط التوسع الاقتصادي التي ظهرت في اوروبا ، فقد جاء في المذكرة التي رفعها جمع من العلماء سنة ١٦٣٩ م الى المسؤولين في جامعة كمبردج ، والتي طلبوا فيها انشاء كرسي للدراسات العربية الاسلامية ما يلي « يضع المركز نصب عينيه خدمة مصالح الملك والدولة» وذلك بالعمل من اجل ازدهار تجارتنا مع الاقطار الشرقية وتوسيع حدود الكنيسة ـ اذا شاء الله ـ في الوقت المناسب ، ونشر هدى الدين المسيحي بين اولئك الذين لا يزالون يتخبطون في ظلمات الجهالة (٢١) .

ان الحضارة الاوروبية المعاصرة تعتمد في تكوينها العقلي الى حد كبير على حركات فكرية تتابعت في تاريخها الحديث مثل حركة النهضة الاوروبية ـ الرينسانس ـ والاصلاح الديني وحركة التنوير، وقد زادت هذه الحركات من رسوخ ملامح الصورة المشوهة التي كونتها اوروبا عن الاسلام في القرنين الحادي عشر والثاني عشر ، وذلك كنتيجة لترديد التهم الباطلة التي الصقت بالاسلام ونبيه وكتابه المقدس ، ف « دانتي » الشاعر الايطالي المشهور واحد أعمدة حركة الرينسانس صور الرسول عليه الصلاة والسلام « وقد القي في الدرك الثامن والعشرين من جهنم ، وقد شطر الى نصفين من راسه الى منتصفه ، وصوره وهو ينهش بيديه في جسمه ، عقابا له على ما اقترف من فضائح وآثام وما سبب من شقاق ، ولانه في رأيه تجسيد كامل للروح الشريرة » وصور الاسلام كمن سبقوه « زندقة انتجت ظلا مخيفا خيم على العالم كله » (٢٢) .

واكد بوليدور فيرجيل ـ الذى يعتبر هو الآخر واحد من أكبر اركان النهضة ـ ما ذكره سابقوه من تهم : وزاد عليها فزعم ان الاسلام نسيج مشوه مستقى من مصادر مسيحية ، وان الرسول كان مصابا بالصدع ، وأن الاسلام انتشر بحد السيف وفيه شيوعية المرأة » (٢٣) .

اما فولتير (١٦٩٤ ـ ١٧٧٨) الذى يعتبر النموذج الامثل لرواد حركة التنوير ، فقد وصف الرسول بانه « مثير فتن ودجال يدعى كذبا المناجاة مع روح القدس ، ويزعم انه صاحب رسالة كل سطر فيها ينم عن السخف الذى يناقض مبادىء العقل الاولى » (٢٤) .

ووصف « ديدرو » ـ وهو الاخر من رجال التنوير الفرنسي ومن كتاب الموسوعة الفرنسية ـ وصف الرسول بقوله « قاتل رجال ، وخاطف نساء ، واكبر عدو للعقل الحر » (٢٥) .

في القرنين : ١٩ ، ٢٠

تلك هي ملامح الصورة المشوهة القاتمة التي تكونت في اوروبا عن الاسلام قبل القرن التاسع عشر ، اما في القرنين التاسع عشر والعشرين ، فقد انتشرت في العالم الاسلامي مجموعة كبيرة من الابحاث التي قام بها المستشرقون في تاريخ الاسلام وحضارته وأصول عقائده ، ادعى فيها اصحابها انها دراسات موضوعية تتسم بروح البحث العلمي المجرد من آثار التعصب الديني ، وما تمليه النزوة والهوى والمحاباة العاطفية الا ان نظرة تحليلية في هذه الدراسات تثبت نقيض ما يدعى

20) Tibawi Op. cit., p 4. See also, Rashdall, H. **The Universities of Europe in The Middle Ages** (Oxford, 1895), ii, pt. i, pp. 30, 81-82, 96.
21) مقتبس من A.J. Arberry, The Cambridge School of Arabic (Cambridge, 1948), p.8.
22) Daniel, Norman. op. cit., p 192. also, Andrae, Tor. **Mohammed, The Man and His Faith** (london-ed impression, 1956), p. 173.
23) Daniel, Norman, Op. cit., pp. 279.283.
24) Andrae. Tor. op. cit., p 174. Daniel, Norman, op. cit., p. 289.
25) Andrae, Tor. op. cit., p. 175.



اصحابها ، فالصورة المشوهة القاتمة للاسلام لا زالت قائمة فى كلياتها ، وان طرأ تغير جزئي على تفاصيلها ، والدراسة التي تتنكب الموضوعية والنزاهة لا زالت هي السائدة الغالبة على هذا الحقل ، وان كان ثمة تغير فذلك مما تحتمه القاعدة المشهورة « اختلاف الاحكام باختلاف المصالح والازمان » .

ان الاستشراق لا زال يعيش فى عالم الافكار الجامحة التي كونتها اوروبا فى فجر ولادتها الفكرية فلا زال يدعو الى ان :

اولا ـ الوحى ، تصور ووهم وظن وخيال وحمى اصابت الرسول .

يقول كولد زيهر : فى معرض كلامه عن الوحى « ان الامراض التي تصيب الرجال الذين فوق البشر دون سواهم والتي يستقون منها حياة جديدة كانت قبل ذلك مجهولة ، كما يتخذون منها قوة تهدم جميع العقبات ومن ذلك حمية النبى او الحوارى (٢٦) .

ويقول بروكلمان : عند كلامه عن الوحى « اعلن (اى الرسول) ما ظن انه قد سمعه كوحى من الله » (٢٧) .

ثانيا ـ ولا زال الاستشراق يعمل من اجل هدم السيرة النبوية ، والتشكيك فى مصادرها .

يقول تور اندريه : « لا نعرف بالضبط متى ولد محمد ، وأكثر ما جاءنا عن حياته الاولى معلومات اسطورية » (٢٨) .

ويقول برنارد لويس : « لا يعرف الا القليل عن نسب محمد وأوائل حياته ، بل ان هذا القليل قد اخذ يتناقض شيئا فشيئا كلما تقدم البحث الاوروبي ، وأثار شبهة بعد اخرى حول المادة المضمنة فى الاخبار الاسلامية » (٢٩) .

ويقول نيكلسون : ان الحقيقة المجردة هى أن محمدا قبل نبوته كان قرشيا مغمورا ، وكل ما روى عن حياته التي سبقت نبوته لا يمكن اعتباره حوادث تاريخية واقعة سوى زواجه من خديجة (٣٠) .

ويقول بروكلمان : لسنا نعلم علم اليقين السنة التي ولد فيها النبي ، والمشهور ان ولادته كانت حوالي سنة ٥٧٠ م ولكن الذى لا شك فيه انها متأخرة عن ذلك بعض الشيء (٣١) .

ثالثا ـ ولا زال الاستشراق يدعى ان القرآن كتاب فيه تناقض وتضارب وتدافع .

يقول تور اندريه : « ان افكار محمد غير متجانسة وغير منسجمة ومضطربة اشد الاضطراب (٣٢) . ويقول فى مكان آخر « يبدو محمد فى القرآن بصورة حالم او ضال ينشد الحقيقة ، فيشكل آراءه ومثله استنادا الى ما يتلقاه من تعليمات تصله اتفاقا بدلا من ان يقيمها على حقائق ثابتة وحية » (٣٣) .

ويقول كولد زيهر : ومن العسير ان نستخلص من القرآن نفسه مذهبا عقيديا موحدا متجانسا وخاليا من التناقضات ، ولم يصلنا من المعارف الدينية الاكثر اهمية وخطرا ، الا آثار عامة نجد فيها ، اذا بحثناها فى تفاصيلها ، احيانا تعاليم متناقضة . ثم يستطرد ويقول « كان وحى النبى » حتى فى حياته معرضا لحكم النقاد الذين كانوا يحاولون البحث عما فيه من نقص ، وكان عدم

---

(٢٦) كولد زيهر (اجناس) . العقيدة والشريعة فى الاسلام ، الترجمة العربية ، ص ١٢ .

(٢٧) بروكلمان (كارل) . « تاريخ الشعوب الاسلامية » الترجمة العربية ، ج ١ ص ٤٠ .

28) Andrae, Tor· op. cit.‘ p. 31.

(٢٩) لويس (برنارد) . العرب فى التاريخ ، الترجمة العربية ، ص ٤٩ .

30) Nicholso, R.A. **A literary History of the Arabs**, p. 148

(٣١) بروكلمان (كارل) . المصدر نفسه ، ج ١ ص ٣٤ .

32) Andrae, Tor. op. cit., p. 27.

33) Ibid, p. 39.

الاستقرار والطابع المتناقض البادى فى تعاليمه موقع ملاحظات ساخرة » (٣٤) .

ويقول ولهوزن : ويبرز فى القرآن شأن القدرة الالهية تارة ، وشأن العدل الالهى تارة اخرى . وذلك بحسبما كانيحس به (النبي عليه السلام) دون مراعاة للتوازن بين الطرفين ولا شعور من محمد (عليه السلام) بما فى ذلك من تناقض ، لانه لم يكن فيلسوفا ولا واضعا لمذهب نظرى فى العقائد (٣٥) .

ويقول دى بوير : قبل الرعيل الاول من المؤمنين ما فى القرآن من تناقض ، وهو الذى نعلله نحن بتقلب الظروف التي عاش فيها النبي (عليه السلام) وباختلاف أحواله النفسية (٣٦) .

ويردد هذا القول نيكلسون (٣٧) مكدويالد (٣٨) وستوك هورخنيه (٣٩) وشاخت (٤٠) .

رابعا ـ ولا زال الاستشراق يزعم بأن الاسلام نسيج مشوه استمده الرسول عليه السلام من المصادر اليهودية والمسيحية والزرادشتية .

يقول تور اندريه : لا شك ان الاصول الكبرى للاسلام مستقاة من الديانتين : اليهودية والمسيحية وهذه حقيقةولا يحتاج أثباتهاالى جهد كبير(٤١).

ويقول برنارد لويس : روايته (اى الرسول عليه السلام) لقصص الكتاب المقدس توحى بان معرفته به كانت عن طريق غير مباشر ، وربما كانت عن طريق التجارةوالرحالة اليهود والنصارى الذين كانت اخبارهم متاثرة بالمؤثرات المدراشية والايوكرثا (٤٢) .

ويقول اندرسون : « ليس من شك فى ان محمدا اقتبس افكاره من مصادر التلمود والايوكرثا والمسيحية » (٤٣) .

ويقول بروكلمان : وليس من شك فى ان معرفته بمادة الكتاب المقدس كانت سطحية الى ابعد الحدود وحافلة بالاخطار ، وقد يكون مدينا ببعض هذه الاخطار للاساطير اليهودية التي يحفل بها القصص التلمودى ، ولكنه مدين بذلك دينا اكبر للمعلمين المسيحيين الذين عرفوه بانجيل الطفولة ، وبحديث اهل الكهف السبعة ، وحديث الاسكندر وغيرها من الموضوعات التي تتواتر فى كتب العصر الوسيط (٤٤) .

ويقول فى مكان آخر « وبينما كان محمد (عليه الصلاة والسلام) واصحابه يصلون مرتين فى اليوم فى مكة وثلاث مرات فى المدينة كاليهود ، فقد جعلت الطقوس المتاخرة المتاثرة بالفرس عدد الصلوات المفروضة فى اليوم خمسا » (٤٥) .

ويقول فى مكان آخر « ان الرسول عليهالسلام »

ـ البقية على ص ٣٥ ـ

(٣٤) كولد زيهر (اجناس) المصدر نفسه ، ص ٧٨ ـ ٧٩ وكذلك كتابه الآخر : مذاهب التفسير الاسلامي ٢ الترجمة العربية ، ص ٤ .

(٣٥) ولهوزن (يوليوس) . الدولة العربية وسقوطها ـ الترجمة العربية ـ عبد الهادى ابو ريده ص ٢٠ .

(٣٦) دى بوير . تاريخ الفلسفة فى الاسلام ـ الترجمة العربية ـ عبد الهادى ابو ريده ، ص ٤٩ .

37) Nicholson, R.A. **A Literary History of the Arabs,** (Cambridge. 1962), p. 223.

38) Macdonald, D.B. **The Development of Muslim Theology**, Jurisprudence and Constitutional Theory (london, 1903), p. 127.

39) Snouk Hurgronje, Selected Works, p. 77.

40) Schacht, **J E I**, The Atricle, Usul.

41) Andrae, Tor. op. cit., pp. 10.26.

(٤٢) لويس (برنارد) . « العرب فى التاريخ » ص : ٥٠ .

43) Anderson, J.N.D. The World Religions (ed. London, 1950) The Article on Islam, pp. 7-8, 54, 56, 58, 59.

(٤٤) بروكلمان (كارل) . « تاريخ الشعوب الاسلامية » جـ ١ ، ص ٤٣ .

(٤٥) بروكلمان (كارل) . « المصدر السابق » ، ص ٨٧ .

نحو ثقافة إسلامية

لقد استقلت معظم البلاد الاسلامية والعربية سياسيا ، وأصبح لها كيان دولي قوى ، ورأى له قيمته وخطره فى المشاكل الدولية والعالمية بعد أن كان يصدق عليها قول الشاعر العربي .

ويقضي الأمر حين تغيب تيم
ولا يستشهدون وهم حضور

وجرت في مضمار الاستقلال الاقتصادى اشواطا بعيدة ولم تعد تابعة لأحد فى اقتصادها كما كانت من قبل وبقى عليها أن تتم استقلالها الثقافى، وأن تحيى ما أماته الاستعمار من ثقافتنا الاسلامية العربية الأصيلة ، هذه الثقافة التي هي بسبب وثيق من ديننا واخلاقنا وعروبتنا وبيئتنا ، والتي تتسم بالروحانية والخلقية الكريمة والمعاني الانسانية النبيلة ، والتي أظلت العالم بظلالها الوارفة أحقابا من الزمان، والاستعماريون الدخلاء لما اغتصبوا بلاد الاسلام والعروبة فى القرن الاخير لم يكتفوا بالغزو السياسى والاقتصادى ، بل جعلوا جل اهتمامهم مسخ معالم الثقافة الاسلامية والعربية من نفوس الشعوب واحلال الثقافة الغربية محلها ، واتبعوا فى ذلك وسائل الارهاب حينا ، والترغيب حينا آخر حتى تم لهم الكثير مما أرادوا، وغدا من المؤسف حقا ان نجد بعض اللغات الأوروبية كالانجليزية والفرنسية هي السائدة في بلاد جل اهلها عرب مسلمون وأصبحت اللغة العربية لغة القرآن غريبة فى هذه الاقطار ، لا تستقيم بها ألسنة أهلها ، وانما ينطقونها برطانة أعجمية ، ولسان غير عربي ، واذا كان هذا حال اللغة العربية فما بالك بغيرها من الوان الثقافة الاسلامية والعربية ، وما اكثرها وأجلها .

وليس أدل على نجاح المستعمرين فى اضعاف الثقافة الاسلامية والعربية في البلاد التي منيت بهم من أن علوم القرآن الكريم وعلوم السنة النبوية، وهما الاصلان الأصيلان للاسلام لا يكاد يعرف منهما طلاب المدارس والمعاهد والجامعات المدنية شيئا ذا غناء ، واذا استثنينا جامعة الأزهر ، وبعض الجامعات الاسلامية الأخرى ، وبعض الكليات التي

عربية أصيلة

للدكتور محمد محمد أبو شهبة

الاستاذ المساعد بكلية اصول الدين ـ جامعة الازهر

تعنى بالدراسات الاسلامية فاننا نجد الثقافة القرآنية والحديثية تكاد تنحصر في جملة من الآيات ، والأحاديث النبوية **تدرس دراسة سطحية خاطفة على انها نماذج ادبية ، او امثلة لاداب واخلاق اسلامية ، من غير ان يكون لها اثر واضح فى الاعتقاد والسلوك والاداب .**

وكم من المثقفين وطلاب المدارس والجامعات من يعرف ما هو القرآن ؟ وكيف نزل ؟ ومتى نزل ؟ وعلى أى حال كان يتلقاه النبي صلى الله عليه وسلم ؟ وأسباب نزوله ؟ ومكيه ومدنيه ؟ ومميزات وخصائص كل من القسمين ، وكيف جمع القرآن الكريم ودون بين يدى النبي صلى الله عليه وسلم ؟ وما هي الأطوار التي مربها جمع القرآن وكتابته وعناية الأمة الاسلامية بكتابها من لدن الصحابة حتى وصل الينا كما أنزله الله من غير تحريف ولا تبديل ، ولا زيادة ولا نقصان ، وما هو اعجاز القرآن ؟ وما هي وجوه الاعجاز ؟ واقامة الأدلة والبراهين على هذا الاعجاز الى غير ذلك من الثقافة القرآنية التي لا يستغنى عنها مسلم فضلا عن طالب علم كأمثال القرآن ، وأقسامه ، وقصصه ومجازه ، ومحكمه ومتشابهه ، وجدله ومناظراته ، وأنواع حججه وبراهينه وطريقته الفذة الغضة في اقامة براهينه العقلية والكونية ، والوجدانية ، وهذا قل من كثر ، وغيض من فيض من الثقافة القرآنية ولعلك تعجب معي من هذه القصة . قال الأصمعي سمعت بنتا من الأعراب خماسية أو سداسية (١) تنشد .

أستغفر الله لذنبي كله
قتلت انسانا بغير حله
مثل غزال ناعم في دله
وانتصف الليل ولم أصله

فقلت لها قاتلك الله ما أفصحك !! فقالت ويحك أيعد هذا فصاحة مع قوله تعالى « وأوحينا الى أم موسى أن أرضعيه

(١) يعني بنت خمس أو ست سنين

نحو
ثقافة
اسلامية

فاذا خفت عليه فألقيه في اليم ولاتخافي ولاتحزني انا رادوه اليك وجاعلوه من المرسلين » فجمع في آية واحدة بين خبرين ، وأمرين ونهيين ، وبشارتين(١) فاذا كانت ثقافة هذه البنت الصغيرة على هذه الحال، **فما بالك بالكبار** من الرجال ، والكبيرات من النساء ؟!! وكم من المثقفين وطلاب العلم اليوم من يساوى هذه البنت أو يدانيها في ثقافتها ؟ .

وليست الثقافة الحديثة بأوفر حظا من الثقافة القرآنية لدى الكثرة الكاثرة من طلاب العلم والمثقفين وكم من هؤلاء من يعلم ما هي السنة وما هو الحديث ؟ وما هو الخبر وما هو الأثر ؟ ومنزلة السنة من القرآن ؟ والأدلة المتكاثرة على حجية السنة واعتبارها مصدرا من مصادر التشريع ،ومتى دونت الأحاديث؟ وعناية المسلمين بها من لدن النبى صلى الله عليه وسلم الى **ان دونت وكتبت في الصحاح ، والمسانيد ، والسنن ، والجوامع ثم استمرت هذه العناية الى وقتنا هذا شرحا وفقها واستنباطا ، وتنقية لها من كل شوائب الاختلاق والدس بحسب الجهد البشرى ، وذلك بفضل القواعد والأصول التي وضعها علماء أصول الرواية في الاسلام والتي تعتبر بحق أوفى القواعد وأرقاها ، وأدقها في علم النقد بقسميه نقد السند والمتن،او بالتعبير الحديث،النقد الخارجى والنقد الداخلي ، وللمحدثين في تاريخ نقد الرجال وميزانهم الميزان الدقيق ثروة لا تكاد تعرف في امة من الأمم فكم من المثقفين وطلاب العلم من يثقفون هذه المعارف ويعرفونها ؟**

فمتى نرى هذه الثقافة الاسلامية الأصيلة امرا مشاعا بين طلابنا وطالباتنا، ومثقفينا ومثقفاتنا ، حتى نعود بالمجتمع الاسلامي الى ما كان عليه من نضج علمي، وثقافة واسعة بالقرآن والسنة .

واذا تركنا الثقافة القرآنية والحديثية الى غيرهما من الوان الثقافة والمعارف الاسلامية وجدنا معرفة الطلاب والمثقفين لها ضحلة ، فالدراسات الفقهية والتشريعية لم تلق العناية بها ، ونحن الأمة الاسلامية لنا تاريخ حافل مجيد في الفقه والاجتهاد ، وعندنا ثروة ضخمة من كتب الفقه والاصول والشروح والأقضية والفتاوى تعدو عن الحصر ، وتملا خزانة وحدها ، وهذه الثروة الطائلة لا تحتاج الا الى ترتيب وتهذيب وتقنين فتبدو في ثوب قشيب جذاب **يجذب الابصار ويشبع العقول، وكان من** اثر ضعف الثقافة الفقهية ان الكثرة من طلاب العلم العرب يعرفون عن رجال القانون ، واصحاب الشروح على هذه القوانين ما لا يعرفونه عن الأئمة أبى حنيفة، ومالك، والشافعى، وأحمد ، والاوزاعى ، والليث بن سعد ، وأبى يوسف القاضي ، ومحمد بن الحسن ، والبويطى ، والمزنى، والربيع الجيزى ، وابن القاسم ،وأشهب

(١) الخبران اوحينا ، وخفت ، الامران ارضعيه والقيه ، النهيان ولا تخافي ولا تحزني ، البشارتان، انا رادوه اليك وجاعلوه من المرسلين .

والخلال ، والسرخسي والطحاوى وغيرهم من اساطين الفقه والشريعة ، والدراسات اللغوية والادبية ضعيفة وقل الاعتناء بها ، ولذا نجد الطلاب يعرفون من ادباء الغرب وأعلامه أكثرمما يعرفون عن اعلام اللغة والادب من المسلمين العرب أمثال الأصمعى ، والجاحظ وابن عبد ربه ، وأبى علي القالي ، وأبي الفرج الاصبهانى ، والقلقشندى ، والنويرى والجرهرى ، والفيروز اباذى وابن منظور وغيرهم وما أكثرهم ..

وكذلك الدراسات العقلية والفلسفية الاسلامية لا تجد عند طلاب الجامعات ومعاهد العلم قبولا ورواجا كدراسة الفلسفة الأوروبية ورجالها ، لذلك لا تعجب اذا كان الطالب يعرف عن اعلام الفلسفة الغربية ما لا يعرفه عن الغزالي والكندى وابن سينا والفارابي وابن رشد والرازى الذين لم يكونوا مجرد نقلة للفلسفة الاغريقية كما زعم المتجنون على العرب ، وانكروا ان يكون لهم فضل وابتكار فى علم او فلسفة وانما فهموا وناقشوا ، وهضموا ما وعوه ، وصيروا منه عصارة شهية مستساغة ، وضموا الى ذلك ما ابتكروه ، وابتدعوه من نظريات وبذلك خطوا بالمعارف الفلسفية والانسانية خطوات مشكورة .

ويعرف عن علماء الغرب واعلام الفكر الذين ساهموا في التراث الانساني ، مالا يعرفه عن البخارى ومسلم والطبرى والقاضي عياض وابن حزم وابن عبدالبر والزمخشرى وابن القيم والذهبي والسبكي وامام الحرمين وابن حجر والسخاوى والسيوطى والالوسى وغيرهم وما اكثرهم .

ويعرف عن رواد الاصلاح الديني والاجتماعي والسياسي ما لا يعرفه عن ابن تيمية وجمال الدين الأفغاني ومحمد عبده والكواكبي ومصطفى كامل ومحمد فريد وسعد زغلول وغيرهم .

وكان من آثار الاستعمار السيئة في الثقافة انه حاول طمس معالم الحقيقة فنسب الى الغرب كل علم وحضارة وجرد الشرق ولا سيما العرب من كل فضل مع ان فضل العلماء العرب على الحضارة الانسانية معروف غير منكور ، ان طلابنا فى المدارس والمعاهد والجامعات يدرسون الكثير من النظريات في الطبيعةوالكيمياء والرياضة والفلك وغيرها ، ويعرفون الكثير عن اصحاب هذه النظريات قدامى ومحدثين ولكنهم يجهلون فضل العلماء المسلمين والعرب على العالم في ابتداع اصول هذه العلوم والوصول الى بعض نظرياته ، هذا الفضل الذى شهد به المنصفون من علماء الغرب مثل « كاجورى » الذى قال « ان العقل ليدهش عندما يرى ما عمله العرب في الجبر » ومثل « سيديو » العالم الفرنسي الذى قال « ان انتاج افكارهم – اى العرب – الغزيرة ومخترعاتهم النفيسة تشهد انهم اساتذة أهل اوروبا في جميع الأشياء » .

لقد آن الأوان للقضاء على ما تركه الاستعمار من مسخ ثقافي ، وافتراءات على الثقافة الاسلامية العربية الأصيلة وأن نعيد هذه الثقافة قوية كما كانت ، وأن نجعل لها السيادة على الثقافات الأخرى وأن نلقن الطلاب والناشئةفضل آبائهم وأجدادهم على العلم والحضارة ،

حتى يشبوا وهم معتــزون بثقــافتهم وبأنفسهم .

اليس من المؤسف ان يغيب عن علم طلابنا ومثقفينا ان « الخوارزمي » العالم العربي يعتبر من كبار رياضيي العالم وأنه أول من وضع علم الجبر بشــكل مستقل عن الحساب ، فقد رتبه وبوبه ووضع اصوله التى تعد اساسا لكثـير من بحوثه ، و « جابر بن حيان » العالم العربي من ألمع علماء الكيمياء العالميين الذين أضافوا مباحث هامة ، ونظريات دقيقة الىالثروة الانسانية العلمية جعلته فيعداد الخالدين فيتاريخ التقدم الفكرى، و « البيروني » العالم العربي كان لــه كعب عال وقدم راسخة في كثـير مــن العلوم والمعارف الانسانية وكـانت لــه ابتكـارات قيمــة وبحــوث نادرة في الرياضيات والفلك ، والتاريخوالجغرافيا وقد قال « سخاو » بعد أن اطلع عــلى مؤلفاته وبحوثه المبتكرة « ان البيروني اعظم عقلية عرفها التاريخ . .

و « ابن الهيثم » من مفاخر الأمــة العربية ومن علماء العرب العالميين برع في الرياضيات ولا سيمــا في بحــوث البصريات ولولاه لمــا تقــدمت تقدمهــا المعروف ، والعلماء المسلمون والعرب هم الذين هــذبوا الأرقــام الهنديــة التى نستعملها الآن والتي وصلت الى الغرب بوساطة الكتب العربية ، وهــم الــذين استعملوا الصفر للغايةالتى نستعملهاالان ووضع علامة الفاصلة للكسر العشرى ، وقد اثبتت التحريات الحديثة ان العرب هــم الــذين اخترعوا « الرقاص » و « الاسطرلاب » وانهم من الذين مهدوا لايجاد التكامل والتفاضل واللوغورتمات الى غير ذلك من المعــارف الانسانيــة والاختراعات العلمية التي ساهمت في تقدم الفكر وتكوين الحضارة البشرية(1)

انني حينما ادعو الى احياء الثقافة الاسلامية العربية لا أريد الانعزال عــن الثقافات الأخرى من غربية او شرقية ، وعدم الاستفادة منها ، لأن الثقافــات يلقح بعضها بعضا ، ويستفيد بعضها من بعض ، ولكني أريد أن لا تطغى الثقافات الأخرى على ثقافتنا الاسلامية العربية الأصيلة ، وأن يكون علمنا بها علما شاملا لكل مسلم وعربي لا يختص بفئة دون فئة ، ولا بجامعة دون جامعة ، ولا بكلية دون كلية وماذا على طالب الطب وطالب الهندســة وطالب الرياضــة وطــالب التجارة وطالب الزراعة وطالب الفلسفة و . . و . . لو حظى بقسط من الثقافة الاسلامية والعربية يجعلــه عــلى علــم بهــا ، وبذلك تزول الأميــة الدينيــة عن كثير من المتعلمين ، ثم ليكن بعد هذا التخصص والتعمــق فــي الدراســات الاسلامية للجامعات والكليات التيعنيت عناية خاصة بهذا اللون من الثقافةفمبدأ التخصص هذا أمر معروف ومعمول به في كل جامعات العالم .

ومن العجيب أن الجامعات الاسلامية أو معظمها قد حظى طلابها بقسط غير

(١) انظر كتاب « تراث العرب العلمي في الرياضيات والفلك » للاستاذ الجليل قدرى حافظ طوقان.

قليل من العلوم الأخرى كالرياضة والطبيعة والكيمياء والأحياء وتقويم البلدان (الجغرافيا) ونحوها بينماطلاب الكليات المدنية لم يخطوا أى خطوات تذكر نحو الثقافة الاسلامية الأصيلة .

ان هذه الانفصالية بين علوم الدين وعلوم الدنيا لم تكن معروفة فيعصور الاسلام الذهبية أيام ان كانت الحضارة الاسلامية العربية هي السائدة في أركان الدنيا المعروفة ، فكان الأطباء والفلاسفة وأمثالهم على علم أصيل بعلوم الشريعة واللغة العربية ، وأوضح مثل لذلك ابو الوليد ابن رشد **فيلسوف قرطبة** بالأندلس ، فله بجانب كتبه الفلسفية كتب قيمة في الفقه والتشريع اجلها كتاب « بداية المجتهد ونهاية المقتصد » وهو يعتبر من كتب الفقه المقارن ، عرض فيه مؤلفه الآراء الفقهية عرض عالم بالشريعة خبير بآراء الفقهاء وأدلتهم وأصولهم .

واقرأ ما كتبه المؤرخ الكبيروفيلسوف العرب الاجتماعي ابن خلدون في مقدمته عن العلوم الاسلامية والعربية فانك سترى عالما خبيرا بكل هذه العلوم والمعارف الاسلامية والعربية، بل اقرأ ما كتبه حجة الاسلام الغزالي في كتابه ((تهافتالفلاسفة)) لتجد نفسك أمام عالم كبير بالشريعة والاصولين أصول الدين وأصول الفقه مع احاطته بالفلسفة ودقائقها وأصولها .

وأحب ان أنبه الى أن الثقافة شيء ، والعلوم ولا سيما التجريبية شيء آخر ، فالثقافة تتلون بألوان الشعوب أى بالمقومات التي تكون هذه الثقافة ، اما العلم فكلا مباح للبشرية جمعاء ، فلنأخذ منه ما نشاء ، ولنجر فيه اشواطا لنلحق فيه منسبقنا، أو نسبقهم ان استطعنا. وقد قال معلم البشرية ومنقذ الانسانية نبينا محمد صلوات الله وسلامه عليه ((الحكمة ضالة المؤمن ، حيثما وجدها فهو أحق بها)) رواه ابن ماجه ، ورواه العسكرى بلفظ ((العلم ضالةالمؤمنحيث وجده أخذه)) .

فهل تعود للثقافة الاسلامية العربية مكانتها ؟ وهل يعيد أبناء الجيل الحاضر أمجاد الماضي ؟ ذلك ما نرجو وما ذلك على الله بعزيز .

- الصدق امانة والكذب خيانة .
- انظر ما تقول ، ومتى تقول .
- بادروا فى مهل آجالكم قبل ان تنقطع آمالكم .
- ان عليك من الله عيونا تراك .
- أكيس الكيس التقي ، واحمق الحمق الفجور .
- اصلح نفسك يصلح لك الناس .
- اصبر فان العمل كله بالصبر .
- أرى الرجل فيعجبني فاذا قيل لا مهنة له سقط من عيني .
- ليس الفخر الا نفشل بل الفخر ان ننهض كلما فشلنا .

التجارية الى الشام ، فرأى فى منامه رؤيا قصها على بحيرا الراهب فقال له . ان صدقت رؤياك فانك ستكون صاحبا لنبى يبعث فى قومك ، فأحتفظ أبو بكر بذلك لنفسه ولم يلقه الى أحد حتى ظهر أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فآمن به وصدقه .

٤ — .... وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجاور (١) فى غار حراء شهرا من كل سنة يتحنث ويتحنف ، وبينما هو يمشي يوما على قمة الجبل فى سيره الى الغار ، اذ طرق سمعه صوت غريب لا عهد له به ينطلق من جهة السماء ، يقول عليه الصلاة والسلام واصفا هذا الموقف الرهيب بالنسبة لحياته الهادئة الوادعة ، فرفعت بصرى الى السماء فاذا الملك يقول لي . اقرأ ، فقلت . ما أنا بقارىء . فأخذنى فغطنى حتى بلغ منى الجهد ثم أرسلنى فقال . اقرأ . فقلتما أنا بقارىء ، قال . فأخذنى فغطنى الثانية حتى بلغ منى الجهد ، ثم أرسلنى ، فقال . اقرأ ، فقلت . ما أنا بقارىء ، فأخذنى فغطنى الثالثة . ثم أرسلنى ، فقال لي فى الثالثة . (اقرأ باسم ربك الذى خلق . خلق الانسان من علق . اقرأ وربكالأكرم . الذى علمبالقلم . علم الانسان ما لم يعلم) . فرجع رسول الله صلى الله عليه وسلم يرجف فؤاده حتى دخل على خديجة بنت خويلد رضى الله عنها فقال : زملونى ، زملونى ، فزملوه حتى ذهب عنه الروع ، وأخبرها الخبر . وهنا تبرز صفات السمو والعقل والكمال وحسن الفهم وعمق الادراك النفسي من خديجة رضى الله عنها لقرينها سيد الخلق ، فتجيبه اجابة من درست عشيرها دراسة فاحصة دقيقة تامة ، وعرفت منه نقاء الجوهر وجمال المبنى وأمل الغد المشرقالوضيء ، فتكون اجابتها منطقية معقولة (والله لا يخزيك الله أبدا) رتبتها على المقدمات المؤكدة الانتاج : (انك لتصل الرحم ، وتحمل الكل ، وتقرى الضيف ، وتكسب المعدوم ، وتعين على نوائب الحق) ثم تنطلق معه الى ابن عمها ورقة بن نوفل تبثه حاله فقال . (هذا الناموس الذى أنزلعلى موسى ، ياليتني فيها جذعا) (١) اذ يخرجك قومك قال . أو مخرجى هم ؟ ! . قال . نعم ، لم يأت رجل قومه بمثل ما جئت ، الا عودى ، وان يدركنى يومك أنصرك نصرا مؤزرا) .

وبهذا تبدأ صفحة جديدة فى حياة الأمين الوادع لا عهد له بها ، ولا دراية لقومه بما وراءها ، فآمن قوم وتجهم آخرون ، وما درى المتقاعسون عن قبول الدعوة الالهية وعن معاضدتها ، أن محمدا صلى الله عليه وسلم يحمل الى بطاح مكة سعادة الدنيا وعزها وسيادتها ومجدها وسبقها وتقدمها ، وأن رسالته الشريفة ستحيلها الى معقل خير ومبعث نور ومشرق هدى للقاصي والدانى ، وأن مكة المكرمة الخالدة ما خلد الزمان ستبقى بعده ما بقيت الحياة درة يتيمة فى عقد الوجود وغرة مشرقة فى جبينه ، ولن تتمخض أى بقعة فى الأرض بمثل ما تمخضت عنه أم القرى ، وأنى لهم أن يدركوا ذلك وهم عبدة هبل والعزى وأحلاس اللات ومناة ، وتمضى الأيام برسول الله صلى الله عليه وسلم وبدعوته الكريمة ويلاقى المؤمنون الأمرين من طغاة الشرك وقادة الكفر ، ويشاء العلي الكبير أن تكون أول شهيدة فى الاسلام (سمية) أم عمار رضى الله عنها حين مر بها وهي تعذب مع زوجها وابنها عتل عات أثيم فطعنها بحربة طعنة قتلتها وصعدت روحها المؤمنة الى بارئها راضية مرضية مسرعة الى الجنة تسرح فيها كيف تشاء ويبوء قاتلها بخزى الدنيا وعذاب الآخرة ، ويبدأ اضطهاد

---

(١) يجاور : يعتكف .

(٢) جذعا — يقصد ياليتني كنت شابا حين تؤمر بالتبليغ حتى أناصرك فى الدعوة الى الله تعالى .

المشركين للمؤمنين ، وما يصدهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الا قدرة رب العالمين وحياطته لرسوله وحفظه له .

أخرج مسلم عن عبد الرحمن بن صخر انه قال . قال أبو جهل . أيعفر محمد وجهه بين أظهركم ؟ . فقيل نعم ، فقال واللات لأطأن على رقبته فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلى يريد به السوء فما فجأ القوم الا وهو ينكص على عقبيه ويتقى بيديه ويقول . بيني وبينه خندق من نار وهول وأجنحة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم . « لو دنا منى لاختطفته الملائكة عضوا عضوا » .

٥ ـ ويستمر الرسول فى التبليغ ممتثلا أمر ربه (يأيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك وأن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس . . .) (١) وتزداد عداوة المشركين ضراوة وشراسة ، وكلما تكالبوا على كفرهم وعنادهم كلما أصر المؤمنون على عقيدتهم وتكون الهجرة الى الحبشة ويلاحقهم المشركون الى هناك ، فيمضى عمرو بن العاص وعمارة بن الوليد الى النجاشى وهما يومئذ كافران وتدور معركة حامية الوطيس فى نقاش طويل بينهما وبين جعفر بن أبى طالب زعيم المهاجرين فى حضرة النجاشى وينتصر الرجل للحق بعد أن يراه واضحا أبلج فى كل كلمة فاه بها جعفر ، ويشاهد الظلم والاستفزاز والتجهم للخير فى أسلوب عمرو وصاحبه ، ويؤمن المهاجرين ، بل ويؤمن هو بما آمنوا به ، ويعود مبعوثا أهل مكة خاويى الوفاض حتى من خفى حنين ، ولما مات النجاشى صلى عليه الرسول صلى الله عليه وسلم فقال المنافقون . يصلى على علج مات بأرض الحبشة فنزل قوله تبارك وتعالى (وان من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما أنزل اليكم وما أنزل اليهم خاشعين لله لا يشترون بآيات الله ثمنا قليلا أولئك لهم أجرهم عند ربهم ان الله سريع الحساب) (٢) .

٦ ـ وهكذا لم يترك أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم طريقا يسلك للفرار بدينهم الا سلكوه حتى أتم الله نوره ورغم أنف الكافرين ، وقد نصرهم الله وأعزهم فهو سبحانه لا يتر عاملا عمله ولا يضيع أجر من توكل عليه وآمن به واحتسب كل جهده عنده .

وطريق النجاح دائما محفوف بالمخاطر والاهوال ولا عدة لسلوكه وبلوغ الغاية فيه الا الصبر الدائم والجهاد المتواصل والعمل الدائب وامتلاك النفس وقهرها ، وقسرها على الانتاج المفيد النافع الصالح الموصل الى الهدف الأسمى ، وكل ذلك بعد الايمان بالله قيوم السموات والأرض صاحب القدرة المطلقة والارادة النافذة ، والثقة التامة بما عنده ، وما أعده للعاملين المخلصين من أجر ومثوبة ، والتوكل عليه وحده حق التوكل واللجوء الى حماه كلما حزب أمر أو اشتد هول وثارت مشكلات وبرزت معضلات ثم سلوك الطريق التي رسمها لرسوله وسار فى دروبها صحابته مع الدراسة الواعية والاحاطة الشاملة والتيقظ لكل بادرة تنجم فى الوجود المعاصر من أحوال وأفكار وثقافات واتجاهات ، ليعد المسلم لكل شيء عدته ، مع تناسى (الأنا) بل والقضاء عليه قضاء مبرما بترويض النفوس وتهذيبها ودمجها مع غيرها فى تحمل المسئوليات عامة أو خاصة ، فالأنانية داء وبيل قاتل مفرق للجماعات ومزيل للحضارات ، والذين تطهرت قلوبهم منها لا يجد الحقد ولا الحسد اليهم سبيلا ، وهم دائما قادة ناجحون وأساة فالحون ، يفنون فى المجموع ويعملون لصالح الجماعة ، أولئك الذين هداهم الله فبهداهم اقتده والله الموفق المستعان .

---

(١) المائدة ـ الآية ٦٧ . (٢) آل عمران ـ الآية ١٩٩ .

نعيش على الماضي

سوانا بآثار الحضـــــارة ينعـــم ... ونحن بأشتات الامانى نحــــــلم
نعيش على الماضى ، ونهتــف باسمه ... وحاضرنا بالبؤس والذل مُفْعَــــم
نرتِّلُ امجاد الذين تقدَمـــــوا ... ولم نتبع نهج الذين تقدمـــــــوا
كَسَلْنَا وجدَّ الباحثون إلى العُـــلا ... فما نحن ايقاظٌ ، ولا نحــن نـــوَّم
وكُنَّا مع الفرقان شملا موحــــدا ... جميعا ، ونحن الآن نَهْبٌ مُقَسَّـم
حمانا مُباح للمغيرِ مُحَلَّـــــل ... ولكنَّه بَسلٌ علينا محــــــرم

***

تحكم الاستعمارُ فينا ، وبعضُنـــــا ... على البعضِ منا صائلٌ مُتَقَحِّـــمُ
يعادى أخٌ منا أخاه ، وينحـــــنى ... لمن هو فينا غاشم مُتَحَكِّـــــمُ
وما دولة الا تكيــد لأختهـــــا ... وتُعْرِب في حَوْك الشباك وتُعْجِـمُ
وما أسرةٌ الا تبدَّد شَمْلُهَـــــا ... سواء أبٌ في غيِّه وابنُـــــمُ
فلا عروة الاسلام ضَمَّت شَتَاتَنـــا ... ولا أدْنَت الفُصْحَى ، ولاقرَّبالدَّمُ
ولا جمعتنا للوئـــام حضــــارةٌ ... أشَعَّ بها التاريخ والكونُ مظلـــم

***

بنى الشرق ضَيَّعْتُم على الشرق مَجْدَه ... ولم تحفظوا حق الجدود عليكمـــو
تعود بىَ الذكرى اليهم فأنتَشِـــى ... وان كنْتُ من اوضاعكم أتألَّـــمُ
تذكَّرْتُ روحانية الشرق حينمـــا ... أضاء به مُوسى وعيسى ومَرْيَـــمُ
تذكَّرْتُ في البيت العتيق ,,مُحَمَّداً,, ... ومن حوله الشرك العَتِى مُخَيِّـــمُ
تَذَكَّرْتُ اذْ ضاق بالشرك فانتحـــى ... بغَار حراء باحثاً يتوسَّــــــم
يُقَلِّبُ عَيْنا في الوجود بصـــيرة ... تَشُق حجاب الغيب ،والغيبمُعْتِمُ
يناجى ويستهدى ، ويرجو ويتقـــى ... وَيَنْشُدُ كَشْفَ السرِّ،والسر مُبْهَمُ
إلى أن تجلى الله بالوحى فَانْجَلَـــى ... لفطنته السِّرُّ العميقُ المُكَتَّـــمُ
وعانقه الروح الأمين مُحَيِّيـــاً ... وأهدى اليه فوق ما يتوهَـــــمُ
وقال له . ,, اقْرَأْ ,, قال . ما أنا قارئٌ ... فقال . بفضل الله تتلو وتفهـــــم

وتهتف باسمه

للاستاذ الشاعر علي عبد العظيم
الاستاذ بكلية الآداب ـ الجامعة الليبية

ستحمل باسم الله أسمى رسالة … وحسبك أن الله نِعْمَ المُعَلِّمُ
فأشرقت الدنيا بأنوار ربِّها … وحَفَّتْ بها من رحمة الله أنعُمُ
تذكرت عهد ,, المصطفى ,, فتألَّقت … أشعَّتُه وانجاب عنها التلَثُّمُ
وشفَّ ستار الغيب بيني وبينه … فطالعني ترحيبُه والتبسُّمُ
مَثُلْتُ لديه خاضعا متبتِّلا … أصلي عليه خاشعا وأسلِّمُ
واسمع تسبيح الملائك حوله … يجاوبه تسبيحُه والترنُّمُ
وللملأ الأعلى ابتهالٌ مقدسٌ … وللسِّدرة العصماء شَدوٌ مُنَغَّمُ
وللحرم المكيِّ رَنَّةُ واجد … يُرَدِّدُها عنه الحطيم وزَمْزَمُ
وكلٌّ بِحَمْدِ الله داعٍ مُؤَمِّنٌ … وكُلٌّ بذكْر الله صبٌّ مُتَيَّمُ

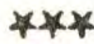
★★★

تذكرتُ أصحاب الرسول وكلهم … حَفِيٌّ بآيات النُّبُوَّة مُغْرَمُ
وكل فتى فيهم كريمٌ مُكَرَّمٌ … وكل فتى منهم حكيمٌ مُحَكَّمُ
ففي باحة المحراب داعٍ مُسَبِّحٌ … وفي ساحة الهيجاء ليثٌ مُصَمِّمُ
إذا حلَّ وقت السِّلم فهو حمامةٌ … وان سُعِّرَتْ نارُ الوغى فهو قَشْعَمُ
وما هو الا دارسٌ او مجاهد … وماهو الا قَيِّمٌ أو مُقَوِّمُ
لقد أقسموا أن ينشروا دين ,, أحمد ,, … فبرُّوا بما آلوا عليه وأقسموا
وليس لهم الأ العَزِيمةَ مُسْعِفٌ … وليس لهم الا البصيرةَ مُلْهِمُ

★★★

تذكَّرْتُهم أيامَ صالوا وجاهدوا … وسادوا وشادوا واستفادوا وعلَّموا
فما بطروا عند السيادة أو طغوا … ولكنهم فيها أبَرُّ وأرحم
لهم تحت أستار الظلام تَهَجُّدٌ … يقَرِّبُهُمْ لله والناس نُوَّمُ
إذا رتلوا القرآن سالت عيونهم … وكادتْ بأفلاذ الحشاشة تَسْجُمُ
وان ثارت الهيجاءُ خفُّوا إلى الوغى … فلا خَصْمَ الا مُسْلِمٌ أو مُسَلِّمُ

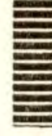
فيا قومُ هذا ما رعاه جدودكـــــم ... ففيم عدلتم عن هداه وحدتمـــو ؟ ؟
رضيتم بأحكام الطغـــاة وبغيهـــــم ... وياطالما قُلْتُم ، فماذا فعلتمُـــو ؟ ؟
لقدْ فرض الله الجهادَ ، فمالكــــم ... نَكَصْتُم على أعقابكُمْ وارتددتمو؟ ؟
وكم نبهتكم للاله مواعـــــظٌ ... وآياتُ تحذير ، فهلاً اتعظْتُمُــو ؟ ؟
عصيْتُم كتاب الله ، أما عدوُّكـــم ... فكم ذا سمعتم قوله وأطعتمـــو ..
تركتم ذرى العلياء قسرا لزحفـــه ... وأنتم من المجد المؤثل أنتمـــو . .
لقـــد نالكم بالقهر والبغي والأذى ... فهلاَّ ذكرتم كيف كان وكنتمـــو . .
ألم تتحرك نخوة العزِّ فيكمـــو ؟ ؟ ... ألم ينقشع سترُ الغشاوة عنكمـــو ؟ ؟
أفيكم حماةٌ للشريعة يقّـــظٌ ؟ ؟ ... أفيكُمْ أباة مخلصون ؟ أفيكمـــو؟ ؟
فان لم تصونوا دينكم حانَ حَيْنكُم ... وقام عليكم مأتمٌ ثُم مأْتَـــمُ



كأنى بصوت « المصطفى » في سُموِّه ... يصيح بكم. « طال النكوصُ ، فأقدموا »
كأنى به في ساحة الخلد عاتبـــا ... يسائلكم . « ياقوم ماذا صنعتمـــو »؟
أحقا تركتم سنتى ؟ وهجرتُمُـــو ... كتابى ؟ وحِدْتُم عن طريقى وملتمو ؟
أحقا سَخَوْتم بالالوف على الهـــوى ... وأعوزكم في نصرة الدين درهـــم ؟
أحقا غفلتم عن تعاليم دينكـــم ... فلم يُجْدِ نُصَّاحٌ ولم يغن لـــوَّمُ
حرام عليكم أن تنام عيونكـــم ... وللدين طرف لايُفارقه الــــدم
حرام عليكم أن تَقَرَّ جنوبُكـــم ... وللدين قلب واهن متألـــم
أما صانَ حَقَّ الله فيكم مُعَلِّـــم ؟ ... أما جَدَّ في ادراكه مُتَعلـــم
إذا لم تحوطوا بالجهاد شريعـــتى ... فما أنتمو منى ، ولا أنا منكمـــو



فيا شيعة المختار ان لم تحافظـــوا ... على دينكم ضيَّعتُمُوه وضعتُمـــو
خصومكمو في الكيد للدين يُقَّـظٌ ... وأنتم على تلك المكايد نـــوم
لقد ظلموا الدين القويم بإفكهـــم ... وأنتم إذا لم تنصروا الدين أظلـــم
أتَلْهَوْنَ عنه والعُداة تنوشـــه ... فَلِلَّه ما يلقاه منكـــم ومنهمـــو ..
وانى لأخْشَى أن تُلِمَّ ملمَّـــةٌ ... يُطَالِعُكُمْ فيها القضاءُ المُحَتَّـــمُ
فيدهمكم ليلٌ من الرجز أَلْيَـــلُ ... ويُصْبِحُكُم يومٌ من الشرِّ أَيْـــوَمُ
وقد يأخذ اللهُ العصاةَ بظُلمهـــم ... وان كـــان يعفو عن كثير ويرحم



جعل يوم الجمعة يوم صلاة عامة على غرار السبت اليهودى » ! ! وانه « شرع صوم العاشوراء وهو اليوم العاشر من المحرم على غرار الصوم اليهودى فى يوم الكفارة .. وبينما كان المؤمنون فى مكة لا يصلون الا مرتين فى اليوم ، أدخل فى المدينة على غرار اليهودية ايضا صلاة ثالثة عند الظهر » (٤٦) !! .

ويقول ترتون : الصوم اول ما شرع كان تقليدا لما عند اليهود : ثم بدل وغير ، وصار اشبه بصوم النصارى مع شيء من التغاير ويقول « ان فكرة صلاة الجمعة اقتبسها الرسول من الزردشتية !! » (٤٧) .

ولقد لخص كولد زيهر هذه المفتريات فى جملة واحدة فقال : تبشير النبي العربي ليس الا مزيجا منتخبا من معارف وآراء دينية عرفها واستقاها بسبب اتصاله بالعناصر اليهودية والمسيحية وغيرها والتي تأثر بها تأثرا عميقا (٤٨) .

* * *

خاتمة :

ان الاستشراق كمنهج عقلى تولد من ابوين غير شرعيين : التبشير الذى خطط له ، والاستعمار الذى غذاه . لا زال يعمل من اجل الغرض الذى أوجد من أجله ، الا وهو تقويض اركان العقيدة الاسلامية ، واحلال تصورات ومفاهيم مناهضة لهذه العقيدة ، وتكوين شبكة فكرية فى العالم الاسلامي تدور فى فلكه ، وتبشر بتعاليمه وتستمد منه .

وهذا الاستمداد الفكرى والدعوة له ، هو الهدف الجديد للاستشراق لينتهى الامر الى خلق جيل يتنكر لتراث هذه الامة ، لتصير الى حيرة واضطراب فكرى ، وخلاء روحى ، فيسهل عنده غزو المجتمع الاسلامي بالفكر والمبادىء والمفاهيم والتصورات الغربية على دين الامة وعقيدتها .

* * *

ان الفكر الاسلامي المعاصر وهو يخطو نحو انطلاقة خلاقة ، ويحاول ان ينفض عن نفسه مخلفات الجمود العقلي الذى منى به منذ سقوط بغداد ، لا بد وأن يدرك خطورة هذه التحديات الفكريةالتي تروجها شبكات الاستعمار الفكرى ، والتي يهدفون من ورائها الى تحطيم المعنويات ، وبقية الروح الاسلامية التي يستند اليها وجودنا التاريخي بملامحه الخالدة المميزة له .

وان الاستجابة الفكرية لهذهالتحديات يجب الا تتخذ قالبا سلبيا ، يستغرق هو الآخر جملة من جهودنا ، وانما الضرورة تقضى ان تكون الاستجابة ايجابيه بناءة سليمة ، تهدف الى ترسيخ المعنويات القديمة وبقية الروح الاسلامية وتجديدها ، واعطائها روحا جديدة ، بها يمكن ان نتحصن ضد الغزو الفكرى الذى يبشر به الزاحفون العقليون من جهة ، ونعطى الفكر الاسلامي ـ من الجهة الاخرى ـ الاندفاع الذاتي الذى افتقده منذ زمن ليس بالقصير .

---

(٤٦) بروكلمان (كارل) . « المصدر السابق » ص ٥٢ ـ ٥٣ .

47) Tritton, A.S. Islam, Belief and Practices (London, 1957) pp. 18-19.

(٤٨) كولد زيهر (اجناس) . العقيدة والشريعة فى الاسلام ص ١٢ .

نحوَ تقنينٍ إسلاميٍّ

للدكتور
محمد زكى عبد البر
المستشار بالاستئناف
« القاهرة »

« للدكتور زكى نشاط ملموس وخاصة فيمايتصل بدراسة الفقه الاسلامى الذى اصدر فيه عدة مؤلفات وبحوث قيمة ، كما كان أحدالمؤسسين للعمل فى الموسوعة الفقهية فى دمشق والقاهرة وسيطالع له القراء بعض أبحاثه فى هذه الناحية التي يبدؤها الآن بهذا التقديم »

« الوعي الاسلامي »

لا بد لكل مجتمع من قانون ينظم علاقات الناس ، ويرسم لكل فرد فيه طريقه الذى يظهر فيه حقه وواجبه ، ويبين طريق الحصول على الحق ، والسبيل لردع الظالم كي تطمئن النفوس ، ويسعى الناس الى مصالحهم ومصالح مجتمعهم وهم آمنون راضون .

وكي يحقق القانون هذه الغاية ، يجب ان يقوم على بصيرة من احوال المجتمع الذى يشرع له ، وعلى معرفة من احوال الناس وأخلاقهم وأعرافهم وعاداتهم ، وما يؤثر فيهم ، ومدى الأثر الذى يحدثه بأمر أو نهي ، والا كان فاشلا لا يحقق القصد منه ، ولا الغاية التي يشرع من اجلها .

ومن هنا كان القانون صورة لأخلاق الأمة واعرافها وتقاليدها وعاداتها ، كما انه المرآة للحد الأدنى من مثلها العليا التي ترسمها لنفسها ، فهو يأمر بما تتطلبه حياتها ، وينهي عما تنفر منه ، ويضع العقاب والجزاء بالدرجة التي تفيد في تقنين قصده ، دون أفراط او تفريط ، لأن لكل من الطرفين اضرارا تؤدى الغاية المرجوة .

فاذا صدر في مجتمع ما قانون يحرم شرب الخمر وبيعها فمعنى ذلك أن المجتمع قد فشا فيه الخمر ، وأنه يرى في انتشارها ضررا عليه ، وانه لا بد دفاعا عن نفسه من تحريم شربها وتداولها ومن فرض عقوبة على من يفعل ذلك . . واذا صدر في مجتمع ما تشريع يحرم الربا ، فمعنى ذلك ان الربا قد انتشر ، وان هذا المجتمع يجد في هذا الانتشار ما يؤذيه ، فلا مناص له ـ دفاعا عن نفسه ـ من اصدار ذلك التشريع . (واذا صدر تشريع يفرض التسعير الجبرى في سلعة ما ، فمعنى ذلك ان السعر في هذه السلعة قد اضطرب ، وان هذا الاضطراب قد أدخل الفساد في حياة الناس ، وانه لا بد من تشريع يحدد هذا السعر ، ويحرم تجاوزه، وبذا تسكن النفوس ، ويسود الاطمئنان الناس جميعا .

واذا لم تجد في امة قانونا يحرم الخمر مع انتشارها ، فمعنى ذلك ان المجتمع لا يرى بأسا في ذلك . واذا وجدت الاسعار حرة في مجتمع ما دون تشريع يقيدها فمعنى ذلك أن هذا المجتمع لم يسده اضطراب من هذه الناحية ولم يجد حاجة للتدخل في هذا المجال .

ومن ثم كان القانون يختلف من بلد الى بلد ، بل يختلف في البلد الواحد من زمن الى زمن لأنه ـ كما تقدم ـ متصل بعادات الناس وأعرافهم ، قائم على ما يحبون ويكرهون ، وما يضطرب في نفوسهم من مشاعر ، وما يؤثر فيها من مؤثرات ونوازع .

ولذلك كان واجبا كي يؤدى القانون ثمرته المرجوة ، ويحقق الغاية منه ،وهي العدل بين الناس ورفع الضرر عنهم وجلب النفع لهم . ان ينبثق من نفس المجتمع الذى يطبق فيه ، وان يصدر عن اخلاق الناس في هذا المجتمع ، وأن يكون المشرع خبيرا بأحوال الناس وأخلاقهم ، ونفسياتهم وتقاليدهم، وعقلياتهم ومثلهم، كما انه لا بد للطبيب ان يرى المريض ، وان يفحص جسمه ويبحث عن علته ، ويصف لها الدواء المتفق مع تكوينه .

ومن هنا كان لكل مجتمع قانونه النابع من ظروفه ، المتفق مع طبائع الناس فيه، نجد ذلك في القديم وفي الحديث ، وسنجده دائما في كل زمان ومكان . فكان لكل من الفراعنة والاشوريين والرومان والفرس قانونهم . وكان لأهل البادية قانونهم ، ولأهل الحضر قانونهم. واليوم لكل من الامريكان والانجليز والروس والفرنسيين قانونهم . ولكل امة قوية من امم الأرض قانونها .

واذا نظرنا قديما وحديثا ، في الشرق وفي الغرب ، فانا لا نجد دولة استعارت قوانينها من دولة أخرى ما دامت قوية ، واذا وجدت امة فعلت ذلك فاعلم ان هذه الامة قد ضعفت وذلت وسيطر عليها قوم آخرون . وحينئذ تعمد اما قهرا واما طوعا نتيجة ما يتملكها من شعور الرغبة في التقليد الى الدولة القوية تتخذ من قوانينها تشريعات لها ، كما تحاول ان تقلدها في عاداتها ، وتقاليدها وطريقة حياتها .

فمصر عندما كانت قوية مستقلة ترسل الجيوش غازية منتصرة هنا وهناك كان لها قانونها النابع من نفسها الصادر من ظروفها وأخلاقها وعاداتها حتى ان

نحو
تقنين
اسلامي

الامام الشافعي رضي الله عنه لما جاء الى مصر عدل في مذهبه القديم الى ما يتفق مع عادات المصريين وأعرافهم ، وكان له بذلك مذهبان . مذهب قديم ومذهب حديث فلما اضطربت امورها وحل الضعف بها محل القوة واحتلها الأجنبي لجأت طوعا او كرها الى هذا الدخيل تتخذ من قوانينه تشريعات لها تحكم علائق الناس ،وتوجه الحياة فيها.

ونجد ذلك أيضا في شمال افريقية ، فقد كانت بلاد هذا الشمال الافريقي محكومة بتشريع صادر عن معتقدات اهلها وعاداتهم ونفسياتهم ، فلما احتلها الأجنبي تغيرت قوانينها ، فساد القانون الايطالي ليبيا ، وساد القانون الفرنسي تونس والجزائر ومراكش .

والدولة العثمانية كانت تطبق في بلادها التشريع المتفق مع اسس حياتها فلما اضطربت فيها الامور ، أو تجمعت عليها اسباب تدهورها وضعفها نبذت تلك القوانين ، ولجأت الى تشريعات نبتت في بيئات اجنبية تتخذها مقاييس للصلاح والفساد فيها ، ورحم الله شوقي اذ يقول في كمال اتاتورك .

أأقول من أحيى الجماعة ملحد
وأقول من رد الحقوق اباحي

نقل الشرائع والعقائد والقرى
والناس نقل كتائب في الساح

والقانون لما كان في بلادنا وفي بلاد غيرنا متأثرا بالضعف والقوة ، كان هدفا من اهداف المستعمر ، ذلك لأ نه بالقانون يستطيع المستعمر ان يغير في المجتمع على النحو الذى يشاء ، وفي الاتجاه الذى يريد .. يستطيع ان يترك الرذيلة تتفشى ، وان يترك الفضيلة تذوى .. يستطيع بالتشريع ان يحارب عادات طيبة ، ويحل محلها مسلكا سيئا ، ويستطيع بالتشريع ان يغير في طريقة فهم الناس للحياة . ومن ثم كان المستعمر حريصا على امتلاك زمام سلطة التشريع في البلاد التي يحتلها .

ولقد كانت لنا قوانيننا النابعة من نفوسنا وظروفنا والتي تعالج احوالنا بالطريقة المؤثرة حسب اخلاقنا وطباعنا وظروفنا ، فلما سيطر علينا الأجانب لم يكتفوا بالسيطرة علينا من الناحية العسكرية ، بل سيطروا علينا من الناحية التشريعية ، فأحلوا تشريعاتهم محل تشريعاتنا ، وبذلك احتلنا بتشريعاته ، كما احتلنا بعساكره وأجناده ، واحتل تفكيرنا القانوني بأسلوبه في التفكير ومعالجة الامور ، واستطاع بذلك ان يسيرنا على النحو الذى يسير به مجتمعه ، وأن يجتذب تفكيرنا وعقليتنا وأن يبعدنا عن أنفسنا وان يجعلنا نتخذ بلاده كعبة لنا وتفكيره مثالا أعلى لنا ، واستطاع ان يباعد بذلك بيننا وبين تاريخنا أى بيئتنا وبين أنفسنا .

واذن فلا عجب اذا نظرنا فوجدنا ان هذه التشريعات التي استمدت من الخارج لم تحقق لنا اصلاحا كاملا ، ففي ظل هذه التشريعات اضطرب التعامل ، وكثر التحايل ، وضعفت العوامل الروحية التي نمتاز بها على غيرنا ، وانتشرت المفاسد ، ولم يعد قانون يردع ظالما عن ظلمه ، ولا يعطي صاحب الحق حقه لأن هذه القوانين ليست مبنية على

ما فى نفوسنا من مثل واخلاق ، فضلا عن ان هذه القوانين قد قطعت ما بيننا وبين ماضينا المجيد من صلات تذكرنا بعظمتنا وربطت بيننا وبين هذا الدخيل مما يجعلنا دائما فى شعور متصل بالتبعية الدائمة له .

واذا كانت بعض البلاد المتقاربة فى موقعها وفى ظروفها وفى حياتها قد حاولت ان توحد بعضا من تشريعاتها فوقفت ما بذلت من جهود ضخمة عند حد المحاولة فمن الطبيعي ان تفشل فى معالجة ادوائنا تلك القوانين التي استوردناها من الخارج .

وقد شاء الله ان يدور الفلك دورته وأن نقوى بعد ضعف ، وأن ننتبه بعد غفلة ، وأن نتحرر بعد استعباد ، فخرج جنود الاحتلال من بلادنا ،خرج الفرنسيون من الشام وشمال افريقيا ، وخرج الانجليز من مصر والسودان وخرج الايطاليون من ليبيا وسيخرج المحتلون من البلاد العربية والاسلامية التي يحتلونها . وحين نحقق ذلك نتبع السياسة التي تمليها علينا مصالحنا والتي تتفق مع استقلالنا وشعورنا بذاتنا .

ولكنا وان كنا قد حققنا هذا الاستقلال فى النواحي العسكرية والسياسية والمالية والاقتصادية فما زلنا فى تشريعنا وفى تفكيرنا الفقهي مستعمرين محتلين ، اذ ما زلنا نحكم بتلك القوانين التي انبعثت من مجتمع يختلف عن مجتمعنا لتعالج ادواء غير ادوائنا وتقدم دواء غير الدواء الصالح لنا .

ونحن لا نقصد بالتشريعات تلك التشريعات الخاصة الجزئية بل نقصد الدستور ومجموعات القوانين او التقنينات كمجوعة القانون المدني ومجموعة قانون المرافعات المدنية والتجارية وقانون العقوبات وقانون الاجراءات الجنائية وقانون التجارة،ذلك لأن هذه التشريعات هي التشريعات الاساسية التي ينبغي ان تصدر التشريعات الخاصة الفرعية منسجمة معها ، فهل من سبيل الى الاستقلال فى هذا الجانب الهام من حياتنا (جانب التشريع والقانون) نعم هناك سبيل حق مستقيم .

وليكن واضحا انا لا نريد بالاستقلال الانعزال عن بقية بلاد العالم ، فالاستقلال ليس معناه كذلك ، وانما نريد ان تنبثق قوانيننا من ذاتنا من ماضينا وحاضرنا بما فيه من تقاليد وأعراف ، هي الصورة لما فى أنفسنا من اخلاق وقيم ، وهذا لا يتنافى مع الافادة من النظم التشريعية ومن القوانين التي تصدر فى البلاد الأخرى ، بل ومن الاقتباس منها اذا كانت تعالج علات نشأت فى مجتمعنا مثيلات لها ، وكانت تتفق معنا ، وتصلح دواء لدائنا وتتفق مع اسس تشريعاتنا ، ولا يترتب عليها تناقض فيما عندنا من تشريع ، كما انه لا يمتنع على الدول الأخرى ان تقتبس من تشريعنا هذا ، ولا يقال انها اخلت باستقلالها التشريعي .

والفقه الاسلامي هو العين الثرة لهذه التشريعات ، وهو من السعة والعمق بحيث يتسع بمختلف مذاهبه ، لمعالجة احوالنا . وهو من المرونة بحيث يجارى مقتضيات التطور ، ولقد نشأ وعاش ردحا طويلا من الزمان فى رقعة كبيرة من الأرض نابعة بالحياة والحضارة

نحو
تقنين
اسلامي

والازدهار ، فما استعصى على تطور ، ولا وقف ضد تقدم على اختلاف الأعراف والبيئات والأزمان .

ولقد اعترف بذلك الفقهاء الاجانب فى عدة مناسبات ففي « اسبوع الفقه الاسلامي » المنعقد فى يوليو سنة ١٩٥١ فى كلية الحقوق بجامعة باريس استمع المجتمعون ومنهم رجال القانون الفرنسيون والمستشرقون الى ما عرض فيه من بحوث فى الفقه الاسلامي ، وقرروا ما يأتي :

ان المؤتمرين بناء على الفائدة المتحققة من البحوث التي عرضت اثناء « اسبوع الفقه الاسلامي » وما جرى حولها من المناقشات التي تخلص منها بوضوح :

أ : ـ ان مبادىء الفقه الاسلامي لها قيمة «قانونية تشريعية» لا يمارى فيها .

ب : ـ وان اختلاف المذاهب الفقهية فى هذه المجموعة القانونية العظمى ينطوى على ثروة من المعلومات والافكار والاصول القانونية هي مناط الاعجاب ، وبهما يتمكن الفقه الاسلامي من ان يستجيب لجميع مطالب الحياة الحديثة والتوفيق بين حاجاتها .

يأملون ان تؤلف لجنة لوضع معجم للفقه الاسلامي يسهل الرجوع الى مؤلفات هذا الفقه ، فيكون موسوعة فقهية تعرض فيها المعلومات الفقهية الاسلامية وفقا للأساليب الحديثة .

وهذا فضلا على أن هذا الفقه يرتكز اول ما يرتكز على الكتاب الذى يجمع بين المسلمين فى مشارق الارض ومغاربها يتلونه صباح مساء ، فيقرب بينهم ، ويرسم لهم منهجا واحدا يتبعونه على اختلاف الوانهم والسنتهم وديارهم ، وعلى سنة النبي محمد صلى الله عليه وسلم الذى يؤمن برسالته المسلمون ، ويؤمنون بأنهم مأمورون باتباع اوامره ونواهيه « ما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا » وهو بمجموع مذاهبه يكون ثروة ضخمة فيها ما يناسبنا ، وفى اصوله ما يجعله قابلا للتطور حسب حاجيات المجتمع وتغير الاحوال . ولقد امتحن بالتطبيق فى عصور الازدهار فى رقعة متسعة من الأرض فتحقق فى ظله كل تقدم .

ولقد عزمنا ، يحثنا الايمان بشريعة الاسلام ، على تقنين المعاملات المالية فى الفقه الاسلامي ، وفق نسق القانون المدني المصري ونحوه من التشريعات الحديثة سائلين الله سبحانه وتعالى التوفيق والهداية ، ورأينا انه ينبغي قبل كل شيء وضع منهج تفصيلي للعمل وذلك بتخطيط مبدئي لهذا المشروع ، يكون بمثابة الفهرست لهذا العمل الضخم ، حتى نسير على هدى وبصيرة ، معتمدين على الله مخلصين النية له سبحانه ولشريعته ، وما التوفيق الا من عند الله .

إني مسيحي أجلّ محمداً

مهداة الى ذكرى ميلاده « صلى الله عليه وسلم »

للاستاذ : عبد الله يوركي حلاق

صاحب ورئيس تحرير مجلة الضاد ـ حلب ـ سوريا

قبس من الصحراء شعشع نوره   فجلا ظلام الجهل عن دنيانا
ومشى وفي اردانه عبق الهدى   واريج فضل عطر الاكوانا
بعث الشريعة من عميق ضريحها   فرعى الحقوق وفتح الأذهانا
مرحى لأميٍّ يعلم سفره   نبغاء يعرب حكمة وبيانا
من ذا يجاذبه الفخار وقد حمى   أم اللغات وشرف العربانا
أمحمد والمجد نسج يمينه   مجدت في تعليمك الأديانا
وسحقت رأس الشر حين وطئته   وزرعت في قلب العتيِّ حنانا
ونشرت ذكر الله في أمية   وثنية ونفحتها الايمانا
وامرتها بالبر فاعتزت به   وتسابقت في نشرها الاحسانا
بعث الجهاد لدن بعثت وجردت   اسياف صحبك تقمع الطغيانا
وتساعد الضعفا وتصفع من بغى   صفعات صدق تزهق البهتانا
انى مسيحيّ أجل محمدا   واراه في سفر العلى عنوانا
وأطأطئ الرأس الرفيع لذكر من   صاغ الحديث وعلم القرآنا
انى اباهي بالرسول لأنه   صقل النفوس وهذب الوجدانا
ولأنه حفظ العروبة وابتنى   للعرب مجدا رافق الأزمانا
صان الفخار البكر ذكر محمد   وهفا فشنف باسمه الآذانا
أمعزّ الفصحى ومطلع شمسها   ذكراك عيد يذهب الاشجانا
ذكراك تجمعنا وتجمع حولنا   اخوان صدق عانقوا الاخوانا
انا حلفنا ان نصون اخاءنا   بسياج عز لن يمس هوانا
وغدا نزيل العار عن أوطاننا   لنرى الجنوب محرراً وعمانا

النقود في الإسلام

٢

للشيخ احمد الشرباصي
المدرس بجامعة الأزهر

اصلاح العملة

كانت الدولة الاسلامية حتى هذا الوقت لا تزال تتعامل بالعملات الأجنبية ، بالدنانير الرومية ، وبالدراهم الفارسية فى الأكثر ، واليمنية فى الاقل ، فرأى عبد الملك أن يجعل للدولة عملة مستقلة . روى البلاذرى أن سعيد بن المسيب سئل من أول من ضرب الدنانير المنقوشة ؟ فأجاب عبد الملك بن مروان . وروى أيضا عن محمد بن عمر الواقدى عمن حدثه ان عبد الملك أول من ضرب الذهب عام الجماعة سنة ٧٤ هـ .

وعن المدائني انه قال : ضرب الحجاج الدراهم آخر سنة ٧٥ هـ ثم أمر بضربها فى جميع النواحي سنة ٧٦ هـ . كما روى البلاذرى أيضا عن ابي الزبير الناقد أنه قال ضرب عبد الملك شيئا من الدنانير فى سنة ٧٤ هـ ثم ضربها سنة ٧٥ هـ .

فهذه الروايات كلها متفقة فى أن ضرب الدنانير بدأ فى عام ٧٤ هـ ثم أعيد ضربها كذلك ، وأن ضرب الدراهم بدأ فى سنة ٧٥ هـ ، ثم أمر بتعميمه فى جميع النواحي سنة ٧٦ هـ .

واذا كان الطبرى ذكر أن عبد الملك أمر بضرب الدراهم والدنانير فى عام ٧٦ ، فهذا محمول على أن المراد الأمر بتعميمها ، وليس البدء فى ذلك ، ولا سيما أن روايته تتفق فى اسنادها مع احدى روايات البلاذرى التي مرت بنا ، فلا يناقض الرواة أنفسهم ، وتاريخ ٧٤ هـ هو التاريخ المقبول، لأنه هو الذى يلي وقوع الحرب بين المسلمين والروم فى عام ٧٣ ، وقد قرر المؤرخون أنهناك صلة بين سوء العلاقات بين دولتي الاسلام والروم وبين تفكير الأولى فى وضع عملة لها مستقلة .

كان سبب نشوب تلك الحرب .. هو ايقاف عبد الملك دفع المال الذى كان اتفق على أدائه الى ملك الروم فى صلح سابق ، وقد كان هذا هو المتوقع ، اذ أنه ــ الخليفة ــ ما كان قبل الصلح الا لضرورة ، اما بعد انتهاء الفتنة ، ونجاحه فى التغلب على خصومه وتوحيد الدولة ، فلم يعد هناك ما يدعو لأن يستمر فى هذا الاداء الذى كان يرمز الى الخضوع ، بل يتنافى مع شعوره بالعزة ، ولا يقره ضميره الديني .

وهذا هو السبب الذى ذكره أيضا « جيبون » ونحن نرجحه . فلم يكن السبب اذن ما ذكره « ثيوفانيس » من أن ذلك كان لعدم قبول ملك الروم الدنانير الدمشقية التي ضربها عبد الملك ، فانها لم تكن قد طبعت بعد . ثم لا يعقل أن يرفض « جستنيان » ما قدم اليه من دنانير لمجرد اختلاف النقش ، اذ أن قيمة الذهب محفوظة ، وان اختلفت الصورة ، وقد استاء « جستنيان » الذى وصفه المؤرخون بالحمق والطغيان من فعل عبد الملك ، فبدأ بالعدوان ، ولكن جيوش المسلمين لاقته ، فانزلت به هزائم فادحة فقد على أثرها أرمينية كلها .

جاء فى الطبرى فى حوادث سنة ٧٣ « وفيها غزا محمد بن مروان الصائفة فهزم الروم ، وقيل

انه كان فى هذه السنة وقعة عثمان بن الوليد بالروم فى ناحية أرمينية ، وهو فى أربعة آلاف ، والروم فى ستين ألفا ، فهزمهم وأكثر القتل فيهم » . وقد اقترنت بهذه الحرب مسألة خطيرة ، زادت من سوء العلاقات ، وأثارت الشعور الديني والقومي ، لمساسها الدين والمصلحة الاقتصادية ، وهي مسألة « القراطيس » التي ذكرتها المصادر العربية .

وخلاصة هذه المسألة كما ذكرها البلاذرى أن القراطيس أى ورق الكتابة ــ كانت تدخل بلاد الروم من أرض مصر ، ويأتي العرب من قبل الروم الدنانير ، وكانت الأقباط تكتب فى رءوس الطوامير ــ أى الصحف عبارات تنسب المسيح الى الربوبية ، كما ترسم فى صدرها الصليب ، فأمر عبد الملك ــ وكان أول من أحدث ذلك ــ أن يكتب فى مكانها آية « قل هو الله أحد » وغيرها من ذكر الله ، فكره ذلك ملك الروم واشتد اليه ، وكتب الى الخليفة « انكم أحدثتم فى قراطيسكم كتابا نكرهه ، فان تركتموه ، والا أتاكم فى الدنانير من ذكر نبيكم ما تكرهونه » .

قال فكبر ذلك فى صدر عبد الملك ، لأنه كره أن يدع سنة حسنة سنها ، وازاء هذا التهديد استشار من حوله ، فاشار عليه خالد بن يزيد بن معاوية بأن يحرم دنانيرهم ويمنع التعامل بها ، ويضرب للناس سككا ، ويمنع أن يدخل بلاد الروم شيء من القراطيس .

قال البلاذرى بعد أن ذكر ما مر « فمكثت حينا لا تحمل اليهم » اى فانقطعت التجارة التي كان يتم بها التبادل بين الأوراق والدنانير .

كانت الحرب مع الروم اذن ، وما أثارت من مشاعر ، وما أدت اليه كانقطاع التجارة وقلة النقد السبب ــ أو السبب المباشر ــ الذى دعا عبد الملك الى الشروع فى اصدار عملة خاصة . ليحقق للدولة استقلالها الاقتصادى ، فأنشأ دارا للضرب (أى سك النقود) .

وبدأ اذن فى عام ٧٤ هـ ــ وكان عام الجماعة ــ باصدار دنانيره الذهبية التي عرفت باسم الدمشقية . ولكن اذا كان هذا كافيا لتعليل اصدار العملة الذهبية . فانه لا يكفي لتعليل اصدار العملة الفضية ــ الدراهم ــ بالعراق، الا اذا كان يقال ان التفكير فى تلك أدى حتما الى التفكير فى هذه ، ليكون المشروع واحدا ، ولارتباط العملتين احداهما بالاخرى ، غير أن الواقع انه كانت هناك أسباب سابقة ، وكان للمسألة جذور أعمق تتصل بالحياة الاقتصادية وتتعلق بها اعتبارات دينية .

فان الدولة الاسلامية الواسعة الأرجاء ــ بعد أن مضى عليها الى ذلك الوقت اكثر من نصف قرن منذ أيام الفتح الاولى ــ كان لا يمكن أن تظل معتمدة فى نشاطها الاقتصادى المتزايد على نقد أجنبي ، محدود الكمية ، باق من أيام الجاهلية ، أو يورد من بلاد العدو بوسيلة تجارة ضئيلة ، تهددها الحرب بالانقطاع من آن لآخر .

كما أن كثيرا من العملة ولا سيما الفارسية كان مغشوشا ، قال قدامة :

« لما أخذ أمر الفرس يضمحل ، ودولتهم تضعف ، وسياستهم تضطرب ، فسدت نقودهم، فقام الاسلام ونقودهم من العين والورق (١) غير خالصة ، الى أن اتخذ الحجاج دار الضرب ، وجمع فيها الطباعين » .

وقال الماوردى مثل قوله « وقد كان الفرس عند فساد أمورهم فسدت نقودهم ، فجاء الاسلام ونقودهم من العين والورق غير خالصة ، الا أنها كانت تقوم فى المعاملات مقام الخالصة .. الى أن ضربت الدراهم الاسلامية فتميز المغشوش من الخالص » .

نقول ولا بد أن القانون الاقتصادى المشهور ، الذى ينسب اكتشافه الى « جريشام » وهو أن النقد الردىء يطرد النقد الجيد ، كان يعمل عمله فى تلك الحال .

ثم كانت النقود مختلفة الأوزان والقيم ، دون أن يكون هناك مقياس ثابت موحد فى جميع أنحاء الدولة ، يمكن به أن تحدد النسب بينها .

يمكن أن يستنتج اذن ان حالة النقد هذه كانت عائقا هاما للنشاط التجارى ، كما أن الأفراد من المسلمين كانوا يلقون حرجا عند أداء واجب الزكاة ، وكذلك كانت الدولة تجد صعوبة كبيرة

(١) العين الذهب ، والورق (بكسر الراء) الفضة .

اذا أرادت ان تستوفي حقوقها من الجزية والخراج وغيرهما ، وفى مثل تلك الأزمة التى وجدت فيها أى الدولة ـ نفسها عقب الفتنة ، كان لا بد أن تعنى أشد العناية بأمر الخراج .

يدل على أن بعض هذه الصعوبات شعر بها قبل الآن ، أن بعض الخلفاء والولاة ضرب نقودا ذهبية أو فضية ، كما نقل عن معاوية ومصعب ، روى أن الأول ضرب دنانير ، وعن الثاني أنه ضرب الدراهم بأمر أخيه عبد الله بن الزبير سنة ٧٠ على ضرب الأكاسرة ، فلما جاء الحجاج غيرها ، وقيل ضرب الدنانير أيضا . لكن هذه كانت نقودا قليلة ولم يعم التعامل بها ، ثم انها كانت على الضرب القديم للأكاسرة والروم ، دون تحقيق جديد للوزن ودرجة النقاء .

عملة رسمية مضبوطة

أما عمل عبد الملك فكان اصلاحا حاسما ، فقد فحص عن أمر الدراهم والدنانير ، وحدد عيارا ثابتا لكل من النقدين بنسبة معينة بينهما ، وفق ما أقره الشرع . ثم طبقا لذلك أصدر العملة الرسمية بطابعها الخاص ، جاعلا حق اصدارها مقصورا على دور الضرب الحكومية المعتمدة ، وان كان اذن للتجار وغيرهم ان يضربوا بها نقودا لحسابهم ، نظير أجرة قدرت بواحد فى المئة ، وحينئذ حرم أن تضرب نقود خارج تلك الدور ، كما سحبت النقود الأخرى التي كان يجرى بها التعامل ، فبطل منذ ذلك الوقت التعامل بالنقود الفارسية والرومية ، وصارت العملة موحدة فى جميع الأقطار .

فعبد الملك اذنذ هو أول من أوجد النقد القومي العربي للدولة الاسلامية ، وبقي عملة لأنه قام على أساس علمي ... وقد كانت الدولة شديدة العناية بجودة العملة ، وتعاقب من يعبث بها عقابا شديدا . وتنافس الولاة فى البلوغ بالجودة أكمل درجة .

كان هذا ولا شك اصلاحا كبيرا . اذ قضى على المفاسد التي كانت موجودة ، وأفادت منه الرعية كما أفادت منه الدولة ، بل كانت بمثابة حجر الأساس للنهضة التجارية الاسلامية ، التي كان مقدرا أن تبلغ أوجها فى العصر العباسي .

ويروى أن بعض النـاس على عهد خامس الراشدين عمر بن عبد العزيز اقترح عليه ان يمحو ما كتب على النقود من آيات أو أسماء شريفة كاسم الله واسم الرسول . فقال لخامس الراشدين : ((هذه الدراهم فيها كتاب الله تعالى يقبلها اليهودى والنصراني ، والجنب والحائض ، فان رأيت أن تأمر بمحوها)) وكأنما كره عمر تنفيذ هذا الاقتراح ، فرد على الرجل قائلا : ((اردت أن تحتج علينا الأمم ، ان غيرنا توحيد ربنا ، واسم نبينا صلى الله عليه وسلم)) ! ! .

★ ★ ★

تزييف النقود

والاسلام يعد تزييف النقود جريمة كبرى شنيعة العقوبة ، حتى لقد سئل سعيد بن المسيب عن تزييف النقود فقال : هذا من الفساد فى الأرض ، وبالغ بعض الفقهاء أو تشدد فقال بقطع يد من يزيف النقود ، تأديبا له وزجرا لغيره . وقد روى البلاذرى أن عبد الملك بن مروان أخذ رجلا يضرب على غير سكة المسلمين ـ أى يزيف النقود ـ فأراد قطع يده ، ثم ترك ذلك وعاقبه .

وروى أن خامس الراشدين عمر بن عبد العزيز ضبط رجلا يزيف نقودا فعاقبه ، وأخذ ما زيفه فألقاه فى النار ليتلفه ، حتى لا يبقى فيتداول بين الناس .

وكان ابان بن عثمان واليا على المدينة وكان اذا جيء اليه بشخص ينقص من قدر الدراهم ضربه ثلاثين سوطا أو جلده ، وأمر أن يطاف به أى يدار به فى الشوارع تشنيعا لعمله ، وكانت العادة فى هذا التشنيع فى بغداد ـ كما يروى الأب الكرملي ـ أن يجعل فى عنق المتهم جرس ، ويركب على دابة مقلوبا ، أى وجهه من جهة ذنبها ، وكان يشهر أيضا على وجه آخر ، وهو أن يمشي امام المذنب رجل وبيده جرس يقرع به باستمرار تنبيها للناس ، أو أن يلبس المذنب قلنسوة فيها أجراس

ـ البقية على ص ٨٥

أغلى من الذهب

للاستاذ احمد محمد جمال
مكة المكرمة

كان احد رجال الفكر والادب ، من اولى الاهتمام بالدراسات الاجتماعية والاخلاقية ، يحاضر فى ندوة ثقافية بمكة المكرمة ، حول مشكلة « الفراغ » وما وضعه الواضعون الاجتماعيون لها من حلول بالنسبة لفراغ الطلاب والشباب ، وفراغ الموظفين والعمال ، وفراغ النساء والاطفال .

وكان الى جانبي فى مكان الاجتماع شاب مثقف ثقافة غربية ، فهمس فى اذني ، كأنه يعتز بمعرفة للغة الانجليزية وادبها ، ما اروع ما يقول الانجليز ـ والغربيون عامة ـ عند حديثهم عن الفراغ ، وضرورة شغله بأى عمل ، وفى اى مجال .. انهم يقولون « الوقت من ذهب Time Is Money »

ولم ارد على جارى فى الندوة ، لان المحاضر كان يواصل حديثه ، ولكن بالي انشغل بهمسته تلك ، عن المثل الانجليزى الذى يسعر الوقت بالذهب ، فعزمت ان اعقب على المحاضرة بكلمة وجيزة اشير خلالها الى المثل الغربى عن ذهبية الوقت ، وابدى رايى فيه ، واتحدث عن نظرة الاسلام الى « الوقت » وتوجيهه الراشد الى شغل « الفراغ » بنافع من العلم او صالح من العمل ..

وكان تعليقا وجيزا ، لم يتجاوز الدقائق الخمس ، ثم رأيت ان اتناول الموضوع بحديث اوسع ، وبحث اوفى ..

ان المثل الغربى « الوقت من ذهب » نابع من تفكير مادى ، وتصور آلى .. انتجا هذه الحضارة الغربية ، التى ترى المال ـ والذهب فى ذروته غلاء وبهاء ـ هو كل شيء فى الحياة الدنيا ! من اجله ـ اى المال او الذهب ـ يعيشون ، وفى سبيله يكدحون ، وعلى ملته يقتتلون ويقتلون !

ولكن الاسلام ـ وهو دين الروح والمادة ، ودين العقل والعاطفة ، ودين الآخرة والاولى ـ فى نظرته الى الوقت ، وتوجيهه للمسلمين نحو اعتباره واستثماره ـ يرى غير ما يرى الغربيون الماديون الآليون ، ويقول غير ما يقولون .

ومع ذلك ـ مع هذا الفارق الكبير

بين النظرتين : الاسلامية والغربية تجاه الوقت او الفراغ ـ ما اكثر ما نردد ـ نحن المسلمين ـ المثل الانجليزى « الوقت من ذهب » كلما اردنا توجيه صديق ، او تنبيه قريب الى وقته الثمين ، الذى يبدده فى لهو ولغو . وكلما انكرنا على احد منا اهماله لواجب عليه .. من عمل بيده ، او سعى بقدمه ، او تفكر فى نفسه ، فى سبيل وظيفة خاصة او عامة ، أو من اجل خير مطلوب ، له أو لاهله او لمجتمعه .

اجل .. ما اكثر ما نقول « الوقت من ذهب » فى احوال ومناسبات نرى خلالها العمر يمضى يوما فيوما ، او شهرا فشهرا ، او سنة فسنة .. دون ان نكتسب خيرا ، او نجتنب شرا ، او ندخر اجرا . ودون ان ندرك ان هذا اليوم ، او الشهر ، او العام ، الذى ذهب هباء لن يعود مرة اخرى ، وهو محسوب علينا بلهوه ولغوه وهبائه !!

★★★

وعلى شرعة الاسلام ، وفى مدرسة النبوة بخاصة ـ نتلقى نحن المسلمين درسا واعظا ، وتوجيها زاجرا .. عن قيمة « الوقت » التى لا تقدر بثمن ، ولا توزن بميزان ، اذ هى فوق الاثمان ، واجل من ان تسعها الموازين . ذلك بأن الوقت هو العمر ، والعمر هو الحياة . فهل من شيء اغلى من الحياة ؟!

يقول رسول الاسلام ، عليه صلاة الله وسلامه « ما من يوم ينشق فجره الا ومناد ينادى : يا ابن آدم انا خلق جديد ، وعلى عملك شهيد ، فتزود منى فانى لا أعود الى يوم القيامة » .

ان كل يوم يطلع فجره ، وتشرق شمسه على الانسان هو خلق آخر .. غير الامس الدابر الذى ولى ، وهو ـ اليوم الجديد ـ شهيد على عمل الانسان ، من خير وشر ، كما كان الامس تماما ، وكل الايام شهود تتابع على الانسان وهو غافل عنها ، يسهر ليله ، لينام ضحاه ، لا يعبأ بالفجر الطالع ، ولا بالشمس المشرقة ، وانما كل همه ان يمضى الصباح كما مضى المساء ، وان يقضى الليل كما انقضى النهار .. دون تدبر فى قيمة « الوقت » . هذا الخلق الثمين الذى يحاول الانسان ان يبحث عن مال (يقتله) به ، ويمارس كل اسباب (قتله) ويسميه خداعا لنفسه وللناس باسم (الفراغ) .

والفراغ ـ لو صح ان الوقت الذى هو العمر وهو الحياة فراغ لوجب ان يشغل لا ان يقتل .. ان يشغل كله بالطيبات ، لا ان يقتل بالخبائث !

★★★

وفى حديث آخر للنبى صلى الله عليه وسلم « ايها الناس ان لكم معالم فانتهوا الى معالمكم ، وان لكم نهاية فانتهوا الى نهايتكم ، فان العبد بين مخافتين : اجل قد مضى لا يدرى ما الله فاعل فيه ، واجل باق لا يدرى ما الله قاض فيه ، فليأخذ العبد من نفسه لنفسه ، ومن دنياه لآخرته ومن الشبيبة قبل الهرم ، ومن الحياة قبل الموت . فوالذى نفس محمد بيده ما بعد الموت من مستعتب ، ولا بعد الدنيا من دار الا الجنة او النار » .

يحدد الرسول عليه الصلاة والسلام فى هذه الخطبة الجامعة ـ موقف المؤمن ـ ذكرا كان ام أنثى ـ تجاه « العمر » الذى يعيشه ، طال ام قصر ، فهو محسوب عليه ، ومكتوب له ما اكتسب فيه . وما مضى منه لا يدرى ما الله صانع فيه .. ايقبله بفضله ام يرفضه بعدله ؟ وهل رضى عنه ام سخط عليه . فقد يحسب الانسان انه احسن صنعا واسدى خيرا ، بينما يكون فى حقيقة امره ، وحسب ميزان الله الذى لا يظلم احدا ، قد اساء ولم يحسن ، او شاب صنيعه شيء من نفاق او رياء او مداراة ، او سكوت على حق ، او اغضاء عن ظلامة ، وهو يظن ان ذلك ينجيه من المؤاخذة والحساب ، وليس بمنجيه الا ان يتغمده الله برحمته ..

وحسبنا هنا ان نذكر قول الرسول

الكريم (لن يدخل الجنة احد بعمله ، قالوا ولا انت يا رسول الله قال : ولا انا . الا ان يتغمدنى الله برحمته) يريد صلى الله عليه وسلم ، بذلك ان يدفع عن امته الغرور والتباهى بالاعمال الصالحة ، فانهما قد يحبطانها ولا اجر عليها !

★★★

ونمضى فى تأمل حديث المؤمن بين مخافتين .. فنتدبر المخافة الاخرى ، بعد ان تدبرنا المخافة الاولى ـ انها مخافة ما بقى من عمر الانسان . ولئن كان على المؤمن ان يوجس خيفة مما مضى من عمله ، اذ لا يدرى ما الله فاعل به : ايقبله ام يرده ، فأجدر به ان يكون اشد خيفة مما يأتى ، اذ لا يعلم ما الله قاض فيه .. ايثبت على ايمانه وصلاحه ، ام ينقلب على وجهه فيخسر الدنيا والآخرة ؟! وذلك هو الخسران المبين ..

ويؤكد هذا المعنى ـ الحديث النبوى (ان منكم من يعمل بعمل اهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها الا باع او ذراع ، فيسبق عليه الكتاب ، فيعمل بعمل اهل النار فيدخلها . وان منكم من يعمل بعمل اهل النار حتى ما يكون بينه وبينها الا باع او ذراع ، فيسبق عليه الكتاب ، فيعمل بعمل اهل الجنة فيدخلها) او كما قال عليه الصلاة والسلام .

ومن هنا جاء الطب النبوى الشافى جاء توجيه الرسول عليه الصلاة والسلام للمسلم الخائف الوجل من آجل عمره ، الى كسب وقته الثمين ، والى محاسبة نفسه بنفسه ، والى ان يدخر من اعماله فى دنياه ما يرجو مثوبته فى آخرته ، والى الا يبدد قوى شبابه ، وطاقات فتوته فى اللهو والعبث .. حتى اذا ادركه عجز المشيب وضعفه ووهنه ندم على ما فرط فى جنب الله ـ ولات ساعة مندم او ملام ..

★★★

ان هذا التوجيه الاسلامى الى ان (يأخذ المؤمن من نفسه لنفسه ، ومن دنياه لآخرته ، ومن الشبيبة قبل الهرم ، ومن الحياة قبل الموت) يؤكد بأن (الوقت) ليس من ذهب ـ كما يقول الغربيون ومن سايرهم من المسلمين ـ وانما هو أغلى من الذهب ـ وأغلى من الماس ، ومن الدر والياقوت ، وأغلى من كل شيء غال فى الحياة . هو النَّفَس الذى يجرى فى صدر الانسان . وليس من شيء أغلى من العمر او من الحياة !

ولذلك اثر عن الخليفة الراشدى الاول ابى بكر رضى الله عنه انه كان يدعو (اللهم لا تدعنا فى غمرة ولا تأخذنا على غرة ، ولا تجعلنا من الغافلين) كما اثر عن الخليفة الراشدي الثانى عمر بن الخطاب رضى الله عنه انه كان يدعو (اللهم ارزقنا البركة فى الساعات واصلاح الاوقات) .

وفى الحديث النبوى (نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ) .

ومن اقوال الشعراء والحكماء بيت شوقى :

دقات قلب المرء قائلة له
ان الحياة دقائق وثوان

وقول الآخر :

أليس من الخسران ان لياليا
تمر بلا نفع وتحسب من عمرى

وقول ثالث :

ان الشباب والفراغ والجدة
مفسدة للمرء اى مفسدة

وان كان لا بد من راحة ولهو ، فليكن ذلك بمقدار ، وفى غير اثم ولا معصية . فقد اثر (روحوا القلوب ساعة بعد ساعة فان القلوب اذا كلت عميت) .

ويقول شاعر حكيم :

افد طبعك المكدود بالجد راحة
يجم ، وعلله بشيء من المزح
ولكن اذا اعطيته ذاك ـ فليكن
بمقدار ما تعطى الطعام من الملح

أخلاق العرب قبل الإسلام

للاستاذ محمد عطية الابراشي

بعث الله محمدا رسولا الى الناس كافة ، ليعبدوا الله ويوحدوه ، وكانوا يعبدون من دونه آلهة شتى ، من حجر منحوت، وخشب منقوش ، وأوثان وأصنام ، ظانين أنها لهم عند الله شافعة، ولهم نافعة . قال تعالى « ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله (سورة يونس ١٨) « وقالوا ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى » (١) .

وكان العرب قبل الاسلام متفرقي الكلمة ، مضطربي الأحوال ، يشنون الحروب والغارات لأتفه الأسباب . كل قبيلة تفكر فى نفسها ، وتشن الغارة على جيرانها . وكانوا يشربون الخمر ، ويلعبون الميسر ولا يعرفون شيئا عن الحياة الاجتماعية ، والمبادىء السياسية، والعلاقات الدولية . لا فن لهم ولا صناعة . يقطعون الأرحام ، ويئدون البنات . « واذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم (٢) . يتوارى من القوم من سوء ما بشر به ايمسكه على هون (٣) أم يدسه فى التراب ألا ساء ما يحكمون » . « واذا الموءودة (٤) سئلت . بأى ذنب قتلت » .

وكانوا يقتلون أولادهم خشية الفقر ، والى ذلك يشير الله جل شأنه « ولا تقتلوا أولادكم خشية أملاق نحن نرزقهم واياكم ، ان قتلهم كان خطئا كبيرا » والاملاق هو الفقر ، والخطء هو الخطأ .

وقد أمعنوا فى ارتكاب المنكرات والرذائل ، والنهب والسلب والانتقام لا يردعهم ضمير ولا يردهم قانون .

المرأة العربية والرجل العربي

وان من يتتبع الشعر العربي يجد أن العرب كانوا يفخرون بأنسابهم وآبائهم وأمهاتهم ، وأن المرأة العربية كانت تفرق الشمل اذا شاءت ، وتجمع بين المتفرقين اذا أرادت ، وتدعو الى السلام اذا أحبت وتشعل النار بين القبائل اذا رغبت فى الانتقام .

---

(١) الزلفى : القربى والمنزلة . (٢) ضابط شعوره ونفسه .
(٣) هوان ومذلة . (٤) المدفونة حية .

وكان الرجل العربي يغار على زوجته ، ويحافظ على شرفه ، ويستشير ابنته اذا تقدم أحد يريد أن يتزوجها . ويعد رئيس الأسرة العربية ، صاحب الكلمة النافذة فيها ، ويفخر بأن أمه حرة نسيبة أى ذات نسب معروف .

وكان العرب يعددون بين الزوجات ، من غير حد معين لهن ، ويتخيرون زوجاتهم ، لاعتقادهم فى الوراثة ، قائلين ان العرق دساس .

وقد تأثر بعضهم بالاباحيين من قدماء الفرس ، فكان الواحد منهم يتزوج ابنته كلقيط بن زرارة أحد أشراف بني تميم ، فانه تزوج بنته دختنوس .

وفى معاملة العربي لأخيه وأبناء عمه كان العرب ينفذون المعنى الحقيقي الذى يفهم صراحة من قولهم « انصر أخاك ظالما أو مظلوما » فكان العربي قبل الاسلام ينصر أخاه فى كل حال ، سواء أكان مصيبا أم مخطئا ، عادلا أم ظالما . واذا تأخر أحدهم عن نصرة بني عمه ذمه الشعراء ، وذموا القبيلة كلها ولكن الاسلام بروحه قد عدل هذا المعنى وغيره ، ووضح نصرة الأخ الظالم بمنعه عن الظلم بالقول والعمل .

موازنة بين العرب وغيرهم من الأمم

وكان العرب يعرفون بالمروءة — وهي كمال الرجولة والانسانية — ، لا يعلمون شيئا فى السر يستحيون منه فى العلانية ، ومن صفاتهم اغاثة الملهوف ، وحماية الضعيف .

وقد وازن ابن المقفع بينهم وبين غيرهم من الأمم ، فقال « ان العرب حكمت على غير مثال مثل لها ، ولا آثار أثرت ، أصحاب ابل وغنم ، وسكان شعر وأدم (١) ، يجود أحدهم بقوله ، ويتفضل بمجهوده ، ويشارك فى ميسوره ومعسوره ، ويصف الشيء بعقله فيكون قدوة ، وبفعله فيصير حجة ، ويحسن ما شاء فيحسن ، ويقبح ما شاء فيقبح ، أدبتهم أنفسهم ، ورفعتهم هممهم ، وأعلتهم قلوبهم وألسنتهم » .

والعربي كريم بفطرته ، جواد بطبيعته ، بار بعشيرته ، وفى بقبيلته .

وقد سئل خالد بن صفوان عن الأحنف : بم ساد ؟ فقال بفضل سلطانه على نفسه .

وقيل لقيس بن عاصم بم سدت قومك ؟ فقال : بكف الأذى ، وبذل الندى ، ونصر المولى .

وقد عرف العرب الشجاعة والاقدام ، والدفاع عن الوطن والنفس ، والشرف والعرض ، وعدم المبالاة بالحياة والموت . ومن مات حتف أنفه ذموه ، ومن مات بالسيف أو الرمح مدحوه .

وفى ذلك يقول الشاعر العربي :

وما مات منا سيد حتف أنفه
ولا طل(٢) منا حيث كان قتيل
تسيل على حد الظبات(٣) نفوسنا
وليس على غير الظبات تسيل

وفى العقد الفريد لابن عبد ربه، وعيون الأخبار لابن قتيبة الدينورى ، وبلوغ الأرب فى معرفة أحوال العرب لمحمود شكرى الألوسي أمثلة كثيرة فى شجاعة العرب واقدامهم ، وعدم اكتراثهم للحياة .

الكرم سجية للعرب

وكان الكرم سجية لهم ، قال اكثم ابن صيفي فى وصية له : « صلوا من رغب اليكم ، وتحلوا بالجود يلبسكم

---

(١) الادم — باطن الجلد .

(٢) طل دمه — اهدر دمه .

(٣) الظبات — جمع ظبة ، والمقصود بها السيوف هنا .

المحبة ، ولا تعتقدوا البخل فتتعجلوا الفقر » .

وقال ذو الاصبع العدواني فى وصية له لولده أسيد : « واسمح بمالك ، واعزز جارك ، وأعن من استعان بك ، واكرم ضيفك ، وصن وجهك عن مسألة أحد شيئا » .

ومن المعروفين بالكرم العربي حاتم الطائي ، الشاعر الجاهلي ، فكان يضرب به المثل فى الجود فيقال أجود من حاتم . وقد اعتاد كرماء العرب أن يوقدوا النار ليلا ، لترشد الضيوف والغرباء الى بيوتهم قال أحد الشعراء يصف كلبا له :

أوصيك خيرا به ، فان له
خلائقا لا أزال أحمدها
يدل ضيفي علي في غسق اللي
ل اذا النار نام موقدها

وقد سئل قيس بن سعد ـ وكان معروفا بالكرم ـ : هل رأيت من هو أسخى منك ؟ فقال نزلنا البادية على امرأة ، ولما حضر زوجها قالت له انه نزل بك ضيفان ، فجاء بناقة فنحرها ، وقال شأنكم . فلما جاء الغد جاء بأخرى ونحرها ، وقال شأنكم ، فقلت ما أكلنا من التي نحرتها البارحة الا اليسير ، فقال اني لا أطعم أضيافي الغاب (١) .

فأقمنا عنده أياما والسماء تمطر ، وهو ينحر لنا كل يوم ناقة . فلما أردنا الرحيل وضعنا فى بيته مائة دينار ، وقلنا للمرأة اعتذرى لنا منه ، ومضينا .

فلما متع (٢) النهار اذا برجل يصيح خلفنا : قفوا أيها الركب اللئام . أعطيتمونا ثمن القرى (٣) ، ثم انه لحقنا وقال : لتأخذنها والا طعنتكم برمحي ! فأخذناها ، وانصرف .

وقد أقر الاسلام الصفات الحسنة للعرب ، وترك الصفات الذميمة ، وزاد على الأخلاق الحسنة فضائل أخرى .

الوفاء العربي

ويضرب المثل بالوفاء العربي ، فالعربي يحفظ العهد ، ويفي بالوعد ، ويكره الغدر ، وفى الكتب الادبية والتاريخية أمثلة كثيرة تدل على مغالاة العرب فى الوفاء . وقد قيل : ان رجلا من بنى عامر بن كلاب قدم هو وأخ له اليمامة ، ودخل فى جوار عمير بن أبي سلمى ، فحدث أن أخا لعمير يسمى قرينا عدا (٤) على الجار فقتله ، وكان عمير غائبا ، فذهب أخو المقتول الى قبر سلمى والد عمير وقرين ، فعاذ به (٥) . ولما رجع عمير أخذ أخاه ليقتل وفاء بحق الجار ، فحاول البعض استنقاذ قرين بأضعاف الدية لأخي القتيل ولكنه أبى . فما كان من عمير الا أنه خرج بأخيه حتى قطع وادى اليمامة ، فربطه الى نخلة ، وقال لأخي القتيل ، أما اذا أبيت أن تعفو أو تأخذ الدية ، فأمهل حتى أقطع الوادى راجعا ، ثم شأنك بأخي ولا أرينك ، فقتله الكلابي وفى ذلك يقول عمير :

قتلنا أخانا للوفاء بجارنا
وكان أبونا قد تجير مقابره

ولا عجب ، ان كانت هذه الامة مهد الرسالة الاسلامية .

---

(١) الطعام الذى تمضي عليه ليلة .
(٢) ارتفع .
(٣) الضيافة .
(٤) عدا عليه اعتدى عليه اعتداء شديدا .
(٥) عاذ به لجأ اليه .
(٦) أجاره الله من العذاب انقذه . تجير تنقذ .

الربا فى مكة قبل الاسلام

وكان أهل مكة من العرب يحبون المال حبا جما ، ويستثمرون اموالهم بالتجارة والربا . وكان بها كثير من المرابين المولعين بالربا . وقد بلغ فى مكة أربعين فى المائة ومائة فى المائة . وكانوا لا يرون فرقا بين الربا والتجارة ، ولا يفهمون للرحمة معنى . « قالوا انما البيع مثل الربا »

وقد بلغ من قسوتهم انهم كانوا يكرهون المدين على اكراه بناته ونسائه على البغاء .

« ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء ان أردن تحصنا لتبتغوا عرض الحياة الدنيا » . وذلك لايفاء ما على الأب أو الزوج من الدين وما يضاف اليه من الربا الفاحش. فكان المرابون متخمين ، يشبعون ليجوع الناس ، ويسعدون ليشقى غيرهم ، ويرتاحون ليتعب سواهم .

لهذا كله قلت الخيرات ، وزادت الأثرة وحب النفس فى قلوب العرب قبل الاسلام ، وامتنعت الصدقات وظلم الفقراء والمعوزون ، وكثر قطاع الطرق ، وانتشر الظلم ، وأخذت أموال الناس بالباطل ، وانعدمت الشفقة والرحمة .

تفنن اليهود فى الربا

وكان اليهود ـ مع أنهم قد نهوا عن الربا ـ يتفننون فى ابتداع الحيل فى الربا ، ويقولون « لا تقرض أخاك بربا ، أما الأجنبي فأقرضه بربا » ويقصد بالأخ اليهودى . وفى ذلك يقول جل شأنه « ليس علينا فى الأميين سبيل » .

فقراء العرب عبيد للأغنياء قبل الاسلام

وكان الفقراء من العرب عبيدا أو أرقاء للاغنياء ، والثروة فى يد طبقة جاهلة منهم ، ولم يكن للفقراء والمساكين قانون يحميهم من سادتهم الاغنياء ، أو شريعة تفكر فيهم ، وتعطف عليهم ، وترأف بهم ، وتنقذهم من ذلك الموت الاجتماعي ، والرق الأبدى . استمر الفقراء يعملون ليلا ونهارا ، ويكلفون ما لا طاقة لهم به ، فنزعوا الى الفوضى والفساد فى الارض ، والتشرد ، والسرقة بالعنف ، وبدأ الشعراء يحسون ما يشعر به الفقراء المعوزون من البؤس والشقاء ، ويلومون الأثرياء ، ويدعونهم الى الرفق بهم ، والعطف عليهم .

قال بشر بن المغيرة يستحث الأغنياء :

وكلهم قد نال شبعا لبطنه
وشبع الفتى لؤم اذا جاع صاحبه

وقال الأعشى :

تبيتون فى المشتى ملاء بطونكم
وجاراتكم غرثى يبتن خمائصا (٣)

ولكن هذه الصيحات لم تؤثر فى تلك القلوب الغليظة ، والنفوس القاسية ، فى مكة والبلاد العربية وغيرها حتى جاء الاسلام فهذب النفوس المنحرفة وغذى النفوس الطيبة وعبأ الجميع لحمل رسالة الاسلام الى الناس كافة فى المشارق والمغارب .

(١) البقرة (٢٧٥) .
(٣) جائعات .
(٢) الروم (٣٩) .

بالخلق الكريم انتشر

بدأ تبليغ الدعوة الاسلامية عندما نزل الامر الالهى الكريم الى رسول الله الصادق الامين فى النص الشريف (وانذر عشيرتك الاقربين . واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين . فان عصوك فقل انى برىء ممــا تعملون) وكان ذلك بعد ثلاث سنين من حين البعث ، ظل الرسول يعمل طوالهــا لنشر الدعوة الاسلامية سرا ، واستجابة لامر الله جل شانه دعا الرسول بعض قومه الى دار الارقم على الطعام اعده لهم ثم قال ((الحمد لله احمده واستعينه وأؤمن به واتوكل عليه واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له . يا بنى عبد المطلب يا بنى عبد مناف يا بنى زهرة ، يا بنى تيم ، يا بنى مخزوم ، يا بنى اسد ان الله امرنى ان انذر عشيرتى الاقربين وانى لا املك لكم من الدنيا منفعة ولا من الآخرة نصيبا الا ان تقولوا لا اله الا الله)). وبهذا بدأت صفحة جديدة مشرقة فى تاريخ البشرية تتميز بالدعوة الــى توحيد اللــه وعبادته وتتصف بالخلق الحسن الكريم ، اذ اقترن الاذن الكريم بتبليغ الدعوة الاسلامية بالامر بالرحمة والاحسان والحب لمن يستجيب واما من عصى فلا حرب له ولا عدوان عليه وهذا هو شعار الاسلام دائما .. السلام والخلق الحسن .

ولم تكن وسائل التبليغ قاصرة على مجرد الاعلام بالدعوة بل انها اعتمدت اساسا على التعريف بالاسلام الذى تختلف وسائله فى داخل البلاد العربية حيث نزل القرآن الكريم بلغتها عن خارجها ولكن الامر الذى يمكن ان يكون من وسائل الدعوة الى الاسلام داخل البلاد العربية وخارجها ايضا هو الخلق الحسن، اذ كان خلق المسلم من اهم وسائل نشر الاسلام، منذ ان اعلن سيدنا رسول الله صــلى الله عليه وسلم دعوته فى دار الارقم حتى الآن بل وحتى الى نهاية الحياة الدنيا . اذ ما ان ذاع فى مكة خبر اعلان الدعوة الاسلامية ، وبــدأت العقــول الــواعية والقلوب السليمة تستجيب للحق الواضح المبين ، وتترك الضلال الشديد، والباطل الاكيد ، حتى ثارت ثائرة قريش وخرجت جموعها تؤذى المسلمين ، وتصب عليهم الالوان القاسية من التعذيب والتنكيل . فهذا بلال بن رباح يخرجه قومه ويطرحونه ارض الصحــراء فى قيــظ الظهــيرة اذا انتصف النهــار وارتفعــت الشمــس ، ويضعون فوق صدره الصخر الكبير ، وما كان اسرافهم فى تعذيبه الا ليزيد صوته ارتفاعا وهو ينادى (أحد .. أحد ..) متمنيا ان يلقى الله ، فلا يكون على لسانه

الإسلام

للاستاذ عبد الرزاق نوفل

اذا كان الاسلام قد انتشر بالسيف كما يقول المغرضون فكيف صار المسلمون فى البلاد التى لم يفتحها العرب اكثر من المسلمين فى البلاد العربية ؟!

غير ذكر الله الواحد الاحد .. وهذا عمار بن ياسر يخرجه قومه مع والده وامه الى العراء ويضربونهم بالسياط حتى يموت الاب من التعذيب ، ويقتل ابو جهل الام بسيفه ، وما كان ذلك ليثنى عمار عن قول لا اله الا الله ... وهذا خباب بن الارت بلغ من تعذيب قومه له ان اداروا رأسه فاصبح به عاهة واى عاهة .. تغير موضع رأسه من جسمه .. وصهيب بن سنان الرومى بن فهيرة وغيرهم .. بل لم تسلم النساء من الاذى والتعذيب وحتى سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم لقى من اذاهم الكثير ، فكم وضعوا الشوك والاذى فى طريقه ، وكم ألقوا التراب على رأسه الشريف وهو ساجد لله ، وكم قالوا فيه الفحش والسباب فهل كان يعجز المسلم عن الاقتصاص من كافر او مشرك اذا لقيه فى دروب مكة الواسعة او شعابها المتعددة او فى ليلها الطويل ؟ لقد منعهم الخلق الحسن الذى اكتسبوه من الاسلام . فالعفو والصفح ، ودفع السيئة بالحسنة من خلق المسلم فآيات القرآن الكريم توجه المسلمين بالنص الشريف (ادفع بالتي هي احسن السيئة نحن اعلم بما يصفون) ، (ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي احسن فاذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم) .

والخلق الحسن الذى دعا اليه الاسلام والذى من صوره دفع السيئة بالحسنة من صوره ايضا رد الاعتداء طالما وجد هذا الاعتداء على المسلمين .. على دينهم او على جماعة منهم ، او على ديار بعضهم اذ يجب رد الاعتداء عند ذلك بكل قوة يمكن ان يصل اليها المسلم وذلك بنص الآيات الشريفة (فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم) ، (وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله فان انتهوا فلا عدوان الا على الظالمين) . فالفرق كبير بين التسامح والصفح وبين التخاذل والتكاسل .

ولقد كان الخلق الحسن ضمن وسائل نشر الاسلام فى مشارق الارض ومغاربها، بل من اهم وسائله . فعندما وجد الرسول ان الاذى قد اشتد من قريش على من استجاب لدعوته امر صلى الله عليه

وسلم بعض قومه بأن يخرجوا الى ارض الحبشة حتى يجعل الله لهم مخرجا مما هم فيه فكانت اول هجرة فى الاسلام قوامها ثلاثة وثمانون رجلا وثمانى عشرة امرأة وعلى رأسهم جعفر بن ابى طالب .. وبعد ان تحقق الامان لاقامتهم فى وطنهم رجعوا من الحبشة وقد تركت اخلاقهم فيها اثرا طيبا تدارسه اهالى الحبشة وتعجبوا من امرهم .. انهم لا يشربون الخمر ولا يأتون الفاحشة ولا يكذبون ولا ينافقون وعلى ربهم يتوكلون .. فوقر الاسلام فى نفوسهم وتوالت الانباء على سيدنا رسول الله تبشره بدخول الافواج من الاحباش فى دين الله، وتزايد عددهم بمرور الزمن حتى اصبح فى الحبشة فى القرن الثامن الهجرى سبع ممالك اسلامية مستقلة ، واصبح عدد المسلمين فيها الان يزيد على سبعة عشر مليون مسلم ، هؤلاء لم يدخلوا الاسلام نتيجة حرب او جهاد فلم ترسل الجيوش لحربها ولا بسبب تبليغهم آيات القرآن والتدبر فيها فهم على غير لغته ، وانما نتيجة الخلق الاسلامى الذى كان يتحلى به فئة من المسلمين الذين هاجروا الى الحبشة ، حيث عاشوا فترة قصيرة من الزمن ، كتب لهم بأخلاقهم فيها افضل الثواب وخير الجزاء على من دخل الاسلام بسببهم واهتدى بهديهم واقتدى بهم .

وكان للخلق الاسلامى اثره فى فتح مكة فبعد ان هاجر الرسول صلى الله عليه وسلم الى المدينة واشتاق الى حج بيت الله الحرام بعد ثمانية عشر عاما من بعثه سمحت له قريش بالزيارة فى عامه التالى على الا يقيم بها سوى ثلاثة ايام بلا سلاح غير السيوف فى قرابها .. ودخل المسلمون فى الموعد المتفق عليه ، يتقدمهم سيدنا رسول الله ، وطافوا وادوا مناسكهم وغادروها بعد المهلة المحددة ، وكانت هذه الايام الثلاثة كافية تماما لكى يفكر اهل مكة فى الاسلام ويقبلوا عليه قبل ان يكون الفتح فقد رأى الاهالى ما يجل عن الوصف وما يحير العقل .. اصحاب رسول الله على وجوهم النور لا يعبدون الا الله ، ولا يقترفون الاثم ، ولا يأتون بمعصية ولا تفتنهم الحياة الدنيا بزينتها .. فارسل خالد بن الوليد اقراره للرسول يبايعه فيه ويعلن اسلامه وكذلك عمرو بن العاص ، وعثمان بن طلحة حارس الكعبة ، وعشرات من القادة ، ومئات من الجموع .

ثم دخل الرسول مكة بعد شهور ليطهر بيت الله الحرام وليبايعوه مبايعة جماعية مطلقة .. دخل صلى الله عليه وسلم فى عشرة آلاف من المسلمين وتذهب الظنون بصناديد قريش ممن آذوا الرسول واضطهدوه كل مذهب وترتسم على وجوههم علامات الخوف والخزى والاضطراب فلا يذكر النبى ما فعلوه به ، وينسى كل اساءتهم له ويسألهم (ما تظنون انى فاعل بكم ؟) وكأنهم عرفوا اخلاق الرسول فقالوا . (خيرا اخ كريم وابن اخ كريم) فيقول صلى الله عليه وسلم (اذهبوا فأنتم الطلقاء) .. ويدخل بسبب هذا الخلق الكريم باقى اهالى مكة فى الاسلام راغبين طائعين .

ويحدثنا التاريخ ان معظم الدول غير العربية قد انتشر فيها الاسلام نتيجة

الخلق الاسلامى الكريم ، ومنها بل واكثرها كان السبب فى اسلامها الخلق الحسن لفرد مسلم درس القوم نتيجة له الاسلام على حقيقته فانتشر بها كما نرى فى الهند وجنوب شرق آسيا . ففى الملايو نزل عالم مسلم يدعى الشيخ عبد الله واجتمع حوله بعض الاهالى لما لمسوه فيه من العفة والاستقامة والنظافة الظاهرة والباطنة ورغبة منهم فى التمثل باخلاقه درسوا الاسلام فأسلموا وحسن اسلامهم ، وكانوا دعاة للاسلام فى وطنهم، بل انتشر بعضهم فى الدول القريبة والبعيدة حبا فى قيامهم بالدور الذى قام به امامهم .

ووصل الى الفلبين رحالة مسلم هو كريم المخدومى والذى يطلقون عليه هناك اسم الشيخ « ماقدوم » كانت أخلاقه سبب تعلق الاهالى به فسألوه واجاب ، وناقشوه فأصاب ، وراقبوه فكان نعم الانسان ، فأسلم منهم العدد الوفير ، وتفرقوا بين بلاد وطنهم ، يدعون للدين العظيم عن طريق الخلق الكريم ، ويبلغ الان عدد المسلمين بها ثلاثة ملايين نسمة .

وانتشر التجار من المسلمين فى غرب وشرق وجنوب افريقيا وارتحل عدد منهم الى الصين واليابان ومنهم من رحل الى روسيا وامريكا . وفى كل مكان نزل التاجر المسلم وجد المتعاملون معه عجبا واى عجب. . الاحاديث الصادقة والامانة المطلقة والنزاهة التامة ، والاستقامة الكاملة فيتعجبون من سوء خلق غيره وحسن اخلاقه ، ولا يجدون سببا لذلك الا دينه ، فيقبلون على الاسلام يدرسونه ويبحثون امره فاذ بهم لا محالة يدخلون فى الزمرة الطيبة الصالحة من عباد الله ، ويكون بذلك ما يكتسبه الفرد منهم باسلامه من الخلق من الاسباب المباشرة لنشر الدعوة الاسلامية بينهم .

واما دور الخلق الاسلامى فى نشر الدعوة داخل البلاد العربية وفى البلاد الاسلامية نفسها فان اثره لا يحتاج الى دليل فكم من ضال اهتدى عندما رأى جماعة المسلمين فى صلاتهم الجامعة وكم من مشرك تحرر من عقيدته الزائفة بمراقبة اثر التوحيد فى نفس المسلم وانعكاسه على تصرفاته وخلقه ، وقد تحدث الشيخ احمد بشير رئيس جمعية اقامة الاسلام بالفيليبين اثناء زيارته للقاهرة اخيرا ان احد الاساقفة وهو الاسقف بوتوريس كان يسير فى احد الميادين العامة بمانيلا صباح اول يوم عيد الاضحى المبارك فى العام الماضى ، فرأى جموع المسلمين فى صلاة العيد ، فى صفوف منتظمة ، وطاعة تامة للامام ، وخشوع كامل لله، فوقف وتأمل، ودرس واستمع الى الخطبة فدخل المسجد مكبرا معلنا اسلامه ، وهو الان يجوب انحاء وطنه داعيا الى الاسلام مجاهدا فى سبيل الله .

* * *

لذلك يجب على كل مسلم ـ فكل مسلم انما هو داعية ـ ان يكون القدوة الحسنة ، والمثل الاعلى الذى يتمنى كل من يراه او يعرفه ان يكون على شاكلته فيهتدى به الى الاسلام .

(أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده) .

أضواء إسلامية

على

المجتمع الصالح

حين يتدابر الناس في غير حق ، وتتنافر منهم القلوب ، وتتناكر الوجوه في فترة من فترات الحياة ويمضون افرادا وجماعات اوزاعا ، لا تعطف بعضهم الى بعض واشجة من وشائج الدين ،ولاتحكم وثاقهم رابطةمن روابط القربى ، ولا تشد عراهم آصرة من أواصر الاخوة الانسانية الجامعة ، يكونون بذلكاهون علىالله،وعلى الحياة والاحياء ، وعلى انفسهم من غثاء السيل ، الذى لا تتعلق به نفس ، ولا يحسب حسابه احد ، ويكونون كذلك واقعا مؤلما من نذير الصادق الصدوق صلوات الله عليه ، في قوله :

(يوشك ان تداعى عليكم الامم كما تتداعى الاكلة الى قصعتها ، فقال قائل: او من قلة نحن يومئذ يا رسول الله ؟ فقال لا بل انتم يومئذ كثير ، ولكنكم غثاء كغثاء السيل ، ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم ، وليقذفن في صدوركم الوهن ، قالوا : وما الوهن يا رسول الله ؟فقال حبالدنيا وكراهية الموت) .

وحب الدنيا التي خلقها الله لعباده، واستخلفهم فيها لينظر كيف يعملون ، وكراهية الموت ، وهو سبيل كل حي ، ونهاية مطاف كل موجود ، حيث يبدو الناس بعده على حقائقهم مجردين من ثياب الزور ، واقنعة الاثم التي قضوا وراءها حياتهم ، لا يفسحان في رزق عبيد الحياة ولا يؤخران اجل الله اذا جاء ودنت مشارع الآخرة ، فاذا قضى الى هؤلاء اجلهم وخرجوا من الدنيا ولا حسنة لهم واستراحت كواهل الناس من ثقلهم الفادح ، لم تجزع لمهلكهم

نفس ، ولم تبكهم عين ، وانما يتنفس الناس الصعداء ، وهم يذكرون من مصارع الظالمين ومصاير المفسدين في القرآن الكريم ، قول الله تعالى : —

« كم تركوا من جنات وعيون، وكنوز ومقام كريم ، ونعمة كانوا فيها فاكهين ، كذلك وأورثناها قوماآخرين . فما بكت عليهم السماء والأرض وما كانوا منظرين » . (١)

قال الهيثم بن عدى

بينما حذيفة بن اليمان وسلمان الفارسي يتذاكران اعاجيب الزمان ، وتغير الايام ، وهما في عرصة ايوان كسرى ، وكان اعرابي من غامد يرعى

للاستاذ الشيخ معوض عوض ابراهيم
الواعظ العام فى العقبة — الاردن

شويهات له نهارا ، فاذا كان الليل صيرهن الى داخل العرصة . وفي العرصة سرير رخام ، كان كسرى ربما جلس عليه ، فصعدت غنيمات الغامدى على سرير كسرى !!!

وهكذا تتقلب الحياة بالمفتونين بها عن الله بين لين وعنف ، وقسوة ولطف ، ووصل وصد ، وابتسام وعبوس ، وهي في اقبالها وادبارها كنار القش تذهب صاعدة في الجو حتى تمتلىء بها العيون ، وتجتليها الأبصار ، ثم تحور بعد لحظات رمادا مكانه بين الأقدام ، وفي مهب الرياح .

واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء انزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض فاصبح هشيما تذروه الرياح وكان الله على كل شيء مقتدرا (٢) .

ان ميزة الانسان الاولى : هي ان يألف الناس ، ويألفوه ، ويودهم ويودوه ، على اساس من الحق الذى لا يعرف بالرجال — كما يقول الامام علي — ولكنهم يعرفون به ، وفى اضواء فطرة الله التي فطر الناس عليها ، وبصراحة ووضوح لا يطويان خلالهما من عناصر الشر والفساد شيئا ، وان يكون المرء ايجابيا فعالا فيما حوله منفعلا بهم ، يعمل لله وللحياة مع اخوانه قدر امكانه ، دون ان يجمد فى مكانه ، او يعزل عن الركب نفسه ، فيصير مناخ الشيطان ، ووسيلته وسبيله الى ما استهدف — منذ كان — من ضلال وخسران ، واذا كان الرسول صلوات الله عليه يقول : ان الشيطان مع الواحد ، وهو مع الاثنين ابعد فهو يقول : (انما يأكل الذئب من الغنم القاصية) ويؤكد عليه السلام (ان من شرار الناس من نزل وحده وجلد عبده ومنع رفده اى عطاءه ، وان اكثر منهم من لا يرجى خيره ، ولا يؤمن شره) .

ولو ان كل واحد من هؤلاء اضاء فى اقل القليل على طريق الحياة شمعة بدل ان يلعن الظلمات كما يقولون — لملأت هذه الشموع بالنور دنيا الناس،وكشفت لهم معالم طريق الخلافة الحقة عن الله، وجعلتهم وجها لوجه امام العزة التي قاسمها الله عباده المؤمنين فى قوله : « ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يفقهون » (٣) .

ولعل اسم الانسان يجلو معاني الانس — والانسجام والتفاهم ، والوئام التي لا يترابط الناس بعد الايمان بالله بامثل منها ، والتي تبعد عن طريقهم الوحشة والسلبية ولعنة (الانا) التي اخرجت ابليس مذموما مدحورا من حظيرة القدس ، وهي مخرجة اشياعه من سكينة الدنيا ، ودعة الحياة قبل ان يلاقوا حساب الله .

---

(١) الدخان آيات ٢٥ — ٢٩ . (٢) الكهف ٤٥ . (٣) المنافقون ٧ .

والرسول صلوات الله عليه يقول : المؤمن الف مألوف ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف .

وما امتن الله على رسوله بقوله » وألف بين قلوبهم لو أنفقت ما فى الارض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم انه عزيز حكيم » (١) ، الا بعد ان منحه من كريم الشيم، وشريف الخلائق، ما يشير سبحانه اليه بقوله : ـ

(فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك) (٢) .

ان الرفق بالناس يثمر استلانة قلوبهم ـ فطالما استعبد الانسان احسان ـ ولقد جبلت النفوس على حب من عرف لها كرامتها ، وصان عزتها ، وخالطها مخالطة خيرة نيرة ، ومن مأثوراتنا ـ

« ان قلوب الناس وحشية فمن تألفها اقبلت عليه » .

ولا يستطيع ان يصنع ذلك سلطان قاهر يضمحل غدا ويزول ـ فكل حال لضده يتحول ـ فاذا الذين كانوا بالأمس مقهورين ، يصبحون اعزة قادرين على الأعراب عن رأيهم ، والتعبير فى انفاس الحرية عن وجهات نظرهم فى التعمير ، والبناء والاخاء والرخاء ، بحكمة وسداد لا بغدر ومكر وافساد ، « ولا يحيق المكر السيء الا بأهله فهل ينظرون الا سنة الأولين ، فلن تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا » (٣) .

والنبي صلوات الله عليه يقول : ان من احبكم الي ، واقربكم مني مجلسا يوم القيامة أحاسنكم اخلاقا الموطئون اكنافا الذين يألفون ويؤلفون . وأن من ابغضكم الي وابعدكم مني مجلسا يوم القيامة الثرثارون المتفيهقون المفرقون بين الاحبة الباغون العيب للبراء » . الطبراني .

وما اكثر ما تكلف الحياة الاتقياء الانقياء من صعاب ، انهم يرتفعون بانفسهم عن المستوى الاخلاقي النازل فى مجتمع من المجتمعات ، ويربأون بها عن التدلي الى ما يخر فيه الى الاذقان من سفساف الامور اقوام ، ويعيشون فى الجو الذى قال فيه الامام احمد بن حنبل لاحد حكماء العرب .. اخبرني كيف اسلم من الناس ؟ فقال بثلاثة اشياء :

تعطيهم مالك ولا تأخذ مالهم ،

وتقضي حقوقهم ولا تطالبهم بقضاء حقوقك .

وتصبر على اذاهم ولا تؤذهم .

فقال الامام احمد : انها لصعبة ، فقال الحكيم وليتك مع هذا تسلم ...

اجل ان السلامة من ألسنة الناس بعيدة المنال ، صعبة المدرك ، وما سلم الله سبحانه من عباده الذين يعطيهم بحكمته ، ويبتليهم بلطفه ورحمته ، ولا سلم النبيون والصالحون عبر التاريخ من ألسنة التافهين الذين لا يعرفون شرف الكلمة ، ولا امانة القلم الذى جعلوه فى ايديهم معول هدم ، واداة تحريف للكلم عن مواضعه، وليكن سلوى الذين استحفظوا مواريث الفضيلة ، والخير مما ينبجهم به النابحون فى كل اتجاه ، هذا الأدب الرباني « يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا وكان عند الله وجيها يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا . يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم

(١) الانفال ٦٣ . (٢) آل عمران ١٥٩ (٣) فاطر ٤٣ .

ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما » (١) .

ويقول مالك ابن دينار « من عرف نفسه لم يضره ما يقول الناس فيه ، ويقول الامام الشافعي : احرص على ما ينفعك ودع كلام الناس فانه لا سبيل الى السلامة من ألسنة العامة » .

والكلمتان تكشفان من اخلاق الناس جوانب لا بد ان تكون قيد النظر ، وموضع الاعتبار ، فالمرء مسؤول مسؤولية كبرى عن أقواله واعماله ، فهما المرآة التي ينظر الله والناس من خلالها اليه بعيدا عما تواضعوا عليه من أحساب وأنساب ، والقاب ودرجات علمية لم يطل بها ذووها على جمال الحق والخير ، ولم تهدهم الى ما يجب لله من ولاء ، ولدينه من اتباع واذعان .

والى الذين يحرصون بمناسبة وبغير مناسبة على التحرش بالعلماء والتشكيك فيما يذكرون به من مقررات الاسلام واحكامه الوضيئة الدافعة للحركة والسبق ، الى هؤلاء الكتاب فى اقطار وامصار يتجه قول رسول الله صلوات الله عليه وسلامه « ليس منا من لم يجل كبيرنا ويرحم صغيرنا ويعرف لعالمنا حقه » (٢) ولقد خطب زياد على منبر الكوفة يوما فقال « ايها الناس ، اني بت ليلتي هذه مهتما بخلال ثلاث : رأيت أن أتقدم اليكم فيهن بالنصيحة (رأيت اعظام ذوى الشرف ، واجلال ذوى العلم وتوقير ذوى الاسنان ، والله لا اوتى برجل رد على ذى علم ليضع بذلك منه الا عاقبته ، ولا اوتى برجل رد على ذى شرف ليضع بذلك من شرفه الا عاقبته ، ولا اوتى برجل رد على ذى شيبة ليضعه بذلك الا عاقبته ، انما الناس باعلامهم وعلمائهم وذوى اسنانهم . « جامع بيان العلم لابن عبد البر .

ويقول الامام الشافعي (اظلم الناس اللئيم اذا ارتفع جفا اقاربه ، وانكر معارفه ، واستخف بالاشراف وتكبر على ذوى الفضل) .

وذنب اولى الفضل عند الذين لا يتقون الله فيما يسودون فى صحف ومجلات يجلوه قول ابي‌حيان التوحيدي فى كتابه (الاشارات الالهية) « اللهم انهم عادونا من اجلك ، لاننا ذكرناك لهم فنفروا ، ودعوناهم اليك فاستكبروا ، واوعدناهم بعذابك فتحيروا ، ووعدانهم بثوابك فتجبروا ، وتعرفنا بك اليهم فتنكروا ، وصناك عنهم فتنمروا) .

ذكر ابن عائشة قال : كان الخليل بن احمد يحج سنة ، ويغزو سنة .. الى ان مات ، وبعث اليه سليمان بن علي الهاشمي بطرف وكساء وفاكهة ، فقبل الفاكهة ورد ما سواها ، وارى الرسول ما بين يديه من خبز يابس وقال : ما عندى غير هذا ، وما دمت‌اجده فلا احتاج الى سليمان ، ولا غيره ، قال الرسول أفابلغه عنك ؟ فقال :

ابلغ سليمان اني عنه فى دعة — وفي غنى غير اني لست ذا مال
سخا بنفسي اني لا أرى احدا — يموت هزلا ولا يبقى على حال
والرزق عن قدر لا العجز ينقصه — ولا يزيدك فيه حول محتال
والفقر في النفس لا في المال نعرفه — ومثل ذاك الغنى في النفس لا المال

فهل تلتقى الوجوه والقلوب على‌الحق ؟ .... هذا رجاء الى لقاء ...

(١) الاحزاب ٦٩ — ٧١ .
(٢) الترمذى عن انس واحمد والحاكم عن عبادة بن الصامت .

مساجلات ومعارك

في الفكر العربي والإسلامي

اعداد أنور الجندى

فى اضمامات الصحف ، وخبايا الاوراق القديمة ـ منذ اوائل هذا القرن وما قبله بقليل ـ ذخائر وكنوز ودرر جديرة بأن تخرج الى الضوء ، لينتفع بها جيلنا الذى لا يعرف عنها الا القليل . ولقد اتيح لي أن اعمل منذ عشر سنوات فى هذا المجال تقريبا باحثا وراء جذور فكرنا العربي الاسلامي المعاصر فى قضاياه الاصلية ، ومسائله الكبرى ، وكيف بدأ الكتاب والمفكرون تناولها . واستطعت ان استخرج كثيرا من معاركها ومساجلاتها فى موسوعة معالم الادب العربي المعاصر .

وقد أحببت « أن اخص قراء الوعي الاسلامي ببعض هذه المساجلات والمعارك التي لم يدركها الشباب المعاصر » .

والواقع ان الحرص على اذاعة هذه الآثار الجديدة القديمة ، الحية النابضة بالحياة ، المرتبطة بواقعنا وفكرنا اليوم ، أمر مقدور أثره وفضله . وقد بدأت بشيخ العروبة احمد زكي باشا . الذى كانت له صولات وجولات فى هذا المجال ، وقد أتيح له برحلاته ومكتبته الضخمة (١٨ الف مجلد) ومخطوطاته ان يواجه كل القضايا مواجهة العالم الحصيف ، وان اضاف الى ذلك طابعه الشخصي المتسم بالزهو والاعتداد والدعاوة لنفسه وفضله .

واذا بدا اليوم موضع نقد ، فانه حين ينظر اليه على ضوء عصره ووقته

• من معارك احمد زكي
شيخ العروبة المتوفى سنة ١٩٣٤م
• هل الفراعنة اتراك
ام انهم عرب عرباء؟

يبدو امرا ليس بالغريب ، فقد بدأ احمد زكي حياته الفكرية منذ عام ١٨٩٢ حين مثل مصر فى مؤتمر المستشرقين فى لندن ، ثم ساح فزار الاندلس فى هذا الوقت الباكر ، ومضى يعمل فى مجاله الفكرى حتى توفى عام ١٩٣٤ فى خلال أربعين عاما . لذلك كان يرى فى سائليه من الباحثين والمتصلين به بالسؤال عن هذا الأمر او ذاك تلاميذه وابناءه .

ولقد كتب احمد زكي فى صحف المؤيد والأهرام والمقطم وعشرات المجلات اكثر من الف مقال ، ما تزال حتى الآن مدفونة فى بطون الصحف . وكلها محاورات ومساجلات ، ومعارك ، حول قضايا الفكر والعصر والأدب والتاريخ والتراث .

ولم يكن احمد زكي فى دراساته تابعا للفكر الغربي اومواليا لمدارس المستشرقين بقدر ما كان موجها لهؤلاء الباحثين هاديا لهم الى الحق ، الذى كان يفوتهم ، أو يشتبه عليهم .

وكانوا يرونه استاذا لهم ومرجعا ، وكان ايمانه بأمته وفكرها العربي الاسلامي مصدر عمله كله ، ومن ثم كان حريصا على اعلان كلمته فى كل مجال . وتلك مدرسة ضخمة قد انقرضت الآن أو كادت ، وانا لنرجو ان نتابعها حتى لا تموت نهائيا وأن تظل كلمة الحق فى فضل الفكر العربي الاسلامي على الفكر الغربي والحضارة الحديثة واضحة معلنة ، تصحح المفاهيم ، وتذكر شباب هذه الأمة دائما بعظمة تاريخهم وتراثهم ، وأثرهم الواضح فى الفكر الانساني والحضارة العالمية .

وفى هذم الدراسة محاولة لرسم صورة صادقة لبعض هذه المعارك على النحو الذى كانت تدار به فى الصحف اليومية ، وكيف تبدأ برسالة اليه ، ثم برد منه ، ثم تتوالى الاستفسارات والتوضيحات وتنتقل المساجلة من قضية الى قضية .

واليوم نعرض لاحدى هذه المعارك معركة الجذور العربية للفراعنة .

*** مكان المعركة جريدة المقطم**

*** زمن المعركة سبتمبر واكتوبر ١٩٢٩**

— ١ —

فى ١٩٢٩/٩/٢ .

من م . صفا بك صاحب جريدة صدى الحق .

أتقدم الى سعادة العلامة احمد زكي باشا على غير سابق معرفة الى الاستفسار التالي لأني موقن انني سأجد من واسع فضله ضالتي المنشودة .

يقول الدكتور رضا نور فى تاريخه « تورك تاريخي » ان أصل الفراعنة هم الترك بدليل ان هناك بلدتين احداهما تسمى « اور » والأخرى « اورون » وكلا الاسمين تركيان فان اور معناها (خندق) وأورون معناها (قبيلة) وكتابتهما كتابة مسمارية اى انها تكتب من اليمين الى الشمال . ثم توضع فى أسطر عمودية . كما ان الدين الذى يدينون به هو الأرض والسماء . وغير ذلك كما هو حال دين « شامان » أى دين قدماء الترك .

بهذا أردت ان اشرك «شيخ العروبة» فى هذا البحث طالبا ان يكشف لنا الحقيقة . والله تعالى يمده بلطفه وعنايته .

الفراعنة أتراك ؟ ؟ كلا ثم كلا

ورد احمد زكي باشا عليه وقال

جوابا على السؤال الطيب الحكيم الذى وجهه الي اقول .

الأمم كالأفراد ، فى الطموح الى المعالي ، وفى انتحال الفضائل ، التي تدنيها من الكمال . فكلما بذ الرجل اقرانه حاول هو او المعجبون به والمتزلفون اليه اثبات نسبه الى ارومة زكية زاكية ، واسناد مناقب شتى اليه ، هذا ناموس عام لا تزال مظاهره تتوالى الى ساعة الناس هذه . وهكذا رأينا الأمم عندما يواتيها الزمان وتخدمها الحظوظ تتطلب ذلك بالحق وبالادعاء .

فكان المصريون الأقدمون لا يسمون الانسان انسانا ، ولا يعتبرونه جديرا بنعمة الحرية فى هذه الحياة الا اذا كان منبت ابيه وأمه على ضفاف النيل المقدس . وكذلك جعلوا لكل الناس الآخرين اسما يدل عليهم وهو يرمى الى المهانة ويشير الى التحقير .

أما اليونان فكان كل من عداهم من الاقوام برابرة .

وكذلك الرومان كانوا يطلقون هذا الاسم (برابرة) على كل من لم يسعده الله بالتحدر عن ظهر الفلاحين (روموس) و (رومولوس) اللذين ارضعتهما الذئبة فكانت منهما جرثومة الأمة الرومانية .

حتى اذا برز العرب الى الميدان أطلقوا اسم « العجم » والأعاجم على كل المخلوقات التي لم تتشرف بالانتساب الى « يعرب » فى شخص قحطان أو عدنان .

وهكذا نرى الانجليز فى هذا الزمان ، لا يكادون يؤمنون بأنهم مخلوقون الا من طينة خلاف التي جعل الله منها سائر الباقين من بني آدم ، فلماذا تريد يا فتى العرب ان يكون الاتراك خارجين عن هذه القاعدة العامة ، او خارجين على ذلك الناموس العمراني .

انهم اصابوا فى سالف الأيام القريبة قسطا من الحكم ، كان كبيرا وفيرا ، فكانوا يرون ان مظاهر العظمة محصورة فيهم ، ومقصورة عليهم .

لذلك لا تراني أعجب أو استنكر عندما اراهم مسوقين بذياك الناموس العمراني الى انتحال ما يجوز لهم وما لا

يجوز من المحامد والمفاخر ، والى التمادى فى هذا الميدان حتى صاروا يغتصبون لامتهم كل رجل من افذاذ الأمم الشرقية ، ويتحملون لذلك من الأسباب التي قد يجوز بعضها بطريق التمويه ، ولكن اكثرها مما لا يقبله الواقع ، ولا يقره التاريخ .

ورضي الله عن الكاتب المفضال « صفا بك » فقد تكرم بالاشارة الى الشبهة الواهية ، بل الى الخرافة الوهمية ، التي يتوكأ عليها بعض كتاب الترك لاثبات هذا المحال .

هو يقول فى السؤال الذى وجهه لي على صفحات المقطم ان الدكتور رضا نور يقول فى كتابه تاريخ الأتراك (تورك تاريخي) ان اصل الفراعنة من الترك ، بدليل انه كان هناك بلدتان . . كذا ، الله الله هكذا يكون البرهان . وهكذا تتجلى الحقائق ، وهكذا تصدر الاحكام .

ولولا ثقتي ببراعة صفا بك فى النقل من التركية لكنت شككت فى نقله هذه البرهانات ، التي هي من قبيل الترهات ، وكان لي ان اتخيل انه اجترأ فافترى عليه هذه السخافات .

فالعهدة عليك يا صفا بك . فان ناقل الكفر ليس بكافر ، فهو مطالب بالامانة فى النقل . اذا صح نقلك يا صفا بك . ــ وانا اظنك امينا فى النقل ــ فان رضابك يكون أول هادم لما يقرره رضا بك نفسه .

ولا اقول فى هذا المجال « كفى الله المؤمنين القتال » بل اقول للمصريين « لا نزال ولا نضال » فقد افحم الخصم نفسه بنفسه ، وهدم بقلمه ما بناه بوهمه .

كان الوقوف عند هذا الحد يكون محمودا ، ولكني افرض ان هناك نظرية ربما تستلب بعض العقول بما فيها من بهرج ، لأن الجمهور والدهماء مغرمون بالخرافة اكثر منها بالحقيقة ، فلذلك ارى وضع السؤال فى شكل آخر .

ما هو أصل الفراعنة

وأقول فى الجواب انهم مصريون واذا أردنا ان نعرف منشأ المصريين وجب علينا اولا الرجوع الى اقوال العلماء الباحثين النقابين ثم الادلاء برأينا الشخصي الذى تؤيده ملامح الوجوه وأساريرها .

من أين جاء الفراعنة والى أي سلالة ينتسبون ؟

لأجل الجواب عن هذا السؤال لا بد من معرفة جرثومة الأمة المصرية عند ظهورها فى فجر التاريخ على ضفاف النيل . فالفراعنة منها وهم اليها ينتسبون .

ولا محيص لنا فى هذا المقام عن الرجوع الى ما قرره اهل التحقيق الذين درسوا توزيع الناس فى المربع المعمور على ضوء الاسانيد التي تكشفت لهم اثناء اعمال الحفر والتنقيب وبعد المقارنة بين طوائف الناس وجماهير الحيوان فى بقاع الارض المختلفة .

والى القراء والى غلاة التورانية بنوع خاص ، البرهان على فساد ما يتوهمونه او ما يختلقونه فى محاولة اغتصاب ابناء سام وحام من الفراعنة ونسبتهم بالزور والبهتان الى الأتراك الذين هم من ذرية يافث بن نوح بلا جدال .

هناك قولان فى اصل السكان بمصر ومن أين جاءوا

احدهما وهو ما عليه الاكثرية الكبرى (وان شئت فقل من المتفرنجين الاغلبية الساحقة) من علماء العاديات المصرية من ان اوائل المصريين الاقدمين قد هبطوا من ارض آسيا الى وادى النيل .

يقول بذلك بروكش الالماني وابن وطنه ايبرس وثالثها لوث والعلامة ليبلن (نروج) والعلامة روجيه الفرنساوى .

البقية على ص ٧٤

الإسوة الحسنة

هاتوا من الدين ما كنا ورثناه … وامضوا إلى الحق فيما انزل الله
ماذا عن الحق ؟ قد خال الزمان بنا … حتى نسينا فضل الركب مسعاه
فيمموا سبل التوفيق وانطلقوا … حتى نرى الركب باسم الله مجراه
ماذا نقول إذا ما الحق طالبنا … عند الحساب بحق قد أضعناه
الناس للحق قد باعوا نفوسهم … ونحن باللهو والتفريط بعناه
يا أيها المسلم الناسي رسالته … هل ضقت بالحق حتى رحت تنساه
أم خفت في الحق — ان مارسته عنتاً … تلقاه من معشر أعماهم الله
أن تؤذ في الحق طوبى انه شرف … يبلوا به الله من للحق زكاه
قد كان احمد يؤذى في رسالته … حتى الملائك ناجت فيه مولاه
اذ يهتفون ... الهي رد كيدهم … عمن بعثت فان الكيد أعياه
فيسكب الحق وحياً في مسامعهم … ان كان يطلب معواناً نصرناه
فيهمسون اليه وهو مستتر … خلف الجدار ووقع الرجم أدماه
أشك الظلوم فان الله منتقم … ممن رموك فلم ينطق بشكواه
وذاق في الحق مالو ذاقه جبل … لاندك حتى استوى في الارض أعلاه
لايترك الحق لو ألقوا بيمنه … شمس الضحى وأحلوا البدر يسراه
قالوا لك الجاه والاموال قال لهم … لا المال يعدل ايماني ولا الجاه
ان كان مالكم قد غركم زمناً … فالمال لله أعطاه وأحصاه
أو كان جاهكم قد زادكم عنتاً … فصاحب الجاه يا قومي هو الله
وكل صاحب عرش عز جانبه … فالله سيده والله مولاه

★ ★ ★

صيحة الاسلام فى وجه الملاحدة ...
والاسوة الحسنة فى كفاح الرسول الكريم

للاستاذ محمد التهامى
المستشار بالجامعة العربية

حتى إذا جاء نصرُ الله وازدهرتْ ... بالفتح مكّةُ وازدانتْ لتلقاهُ
وطافَ بالبيتِ فاهتزّتْ قواعدُه ... وبادر الركنُ للمختارِ حيّاهُ
ونادت الكعبةُ الاصنامَ فارتعدتْ ... وزالَ شيطانُها . ما كان أغزاهُ
وقالت اللاتُ للعُزّى دنا أجَلي ... فنكّسي الرأسَ هذا ما خشيناهُ

***

وسيقَ للمصطفى من كان أخرجهُ ... من قومه وغدوا فى القيد أسراهُ
تذكّرَ المصطفى ما كان في أحدٍ ... فعادَه الحزنُ وانضمت ثناياهُ
وكشّر الليثُ فارتاعتْ فريستُهُ ... وأيقنَ الكلُّ ان اليومَ منعاهُ
واطرقَ المصطفى حيناً وعاودَهُمْ ... وقد بدا الحزنُ بشراً في مُحيّاهُ
وجاءَه العفو ، عفو القادر اجتمعت ... فيه الشجاعةُ لما ذلّ اعداهُ

***

طال الزمانُ وقد فتنّا هدايتَهُ ... ففاتنا المجدُ من يأسٍ وفُتّناهُ
هل من يعيدُ إلينا بعضَ سيرتِه ؟ ... هل من قليلٍ لدينا من سجاياهُ ؟
إن كانَ فالخيرُ يسعى في مواكبنا ... والسعدُ والمجدُ والتوفيقُ والجاهُ



من هنا .... وهناك

يكتبها الشيخ ع.النمر

تعصب

كان من فضل الله علي أنني عشت أنفر من التعصب ، وأعتبره جناية على حرية الانسان وتفكيره وفهمه المتزن للامور .. بل انه ليحول الانسان الى شبه حيوان نافر جامح يدوس بحوافره كل ما أمامه .. حتى فى ايماني بديني ومبادئه ، لا أؤمن به ايمانمتعصب يثور ويحرق ويدمر الجسور حين يصطدم بمن يخالفه فيه .. بل أؤمن بأن الرفق مع المخالفوتقدير ظروفه يثمر أكثر ما يثمر التعصب الجارف ان كان لمثل هذا التعصب ثمرة حلوة ..

ومن كراهيتي للتعصب ونفورى منه عشت لمأقيد نفسي بحزب أو هيئة برغم اشتغالي بالأمور الدينية والوطنية لأنني كنت أعتبر التقيد بآراء حزب أو هيئة وتبعيتي لهما يحد من حرية التفكير عندى ، ويجعلني أحيانا اقاد بهذه التبعية فى أمور أكرهها ولا أؤمن بها .. فقد تكون مبادىء الحزب أو الهيئة مبادىء طيبة ، ولكن تنفيذها سيء تطغى عليه المصالح الشخصية ، او التفكير الاسود للقائمين عليها . وحينئذ أجد نفسي مدفوعا لكى أؤيد هذه المصالح وأصحابها فى غير حق أو مصلحةعامة.. فلذلك كنت طول حياتي اعملفى خدمة ديني ووطني الصغير والكبير بعيدا عن التعصبوالانتساب لمنظمة أو كما كنت اقول أعمل لأهدافي « من منازلهم » وكثيرا ما رثيت لحال التابعينالمتعصبين ، ولحال أولئك الذين يخوضون المعارك من أجل الأهلي أو الزمالك أو العربي أو غير ذلك من النوادى .. ويسألني أولادى احيانا أنت مع من ؟ فاقول مع اللاعب الجيد .. ولو انهزم فانني أرثى لحاله ..

ولكنى مع ذلك أجدنى أحيانا متعصبا ومغاليافى التعصب ، وذلك حين أجد التسامح الذى أبديه يقابل بالتعصب الاحمق من الجانب الاخر .. وحينأجد ان الغير يستغل تسامحي فيؤوله الى ضعف . وحين أجد الغير يتعسف معى أو مع غيري لمجرد أننيأو أن ذلك الغير مسلم .

أسوق اليك هذه المقدمة لأنني وجدتني متعصباوثائرا وحانقا على غير عادتي فى شيء يتصل بالرياضة ، وقد تعجب وتقول وما للشيخ والرياضة ؟ وما لهيتعصب ؟ . ولكنى أقول يا أخي اننى لم استطع

أن أملك زمام نفسي وأنا أتابع أخبار البطل العالميمحمد علي كلاى منذ أعلن اسلامه ، فقد تألب عليه ـ كما تعرف ـ الاتحاد العالمي للملاكمة لا لشيء الا لأنه أعلن اسلامه .. ورأيناه يطارد حتى من الرسميين هناك للحيلولة بينه وبين هذه البطولة ..

وبالرغم من أن محمد علي كلاى فخر تتنازعه كل دولة ، وتتمنى أن يكون منها الا أنهم هنا فى أمريكا رفضوا هذا الفخر فى موجة التعصب الجارف ،وآثروا أن تحرم أمريكا منه ما دام البطل قد أسلم ..

انهم ينتقصون السود ويتعصبون ضدهم ،ولكنهم تنازلوا عن تعصبهم ضد السود حين وجدوا من بينهم أبطالا عالميين ، ولكنهم لم يطيقوا أن يتنازلوا عن تعصبهم ضد الاسلام حين وجدوا أن (كلاى) قد أسلم ..

ومن أجل ذلك تعصبت لهذا البطل وتابعت أخباره ، ودعوت له : رجاء أن يكبت الله بفوزه هؤلاء المتعصبين ويشفى صدور قوم مؤمنين .

وحين دعته القاهرة لزيارتها سررت لأنه تكريم للبطل تقوم به دولة اسلامية ردا على ما عاناه من تعصب ضده ، وتمنيت لو أن دولا اسلامية أخرى تدعوه وتكرمه ان لم يكن الآن ففي المستقبل الذى أرجو ويرجو معي مئات الملايين من المسلمين أن يكتب الله له الفوز فيه حتى يزور الشرق الاسلامي مرة أخرى محتفظا ببطولته . ويظل الغربيون المتعصبون فى لهب من تعصبهم ..

لقد فضحوا أنفسهم بهذا الموقف ، ولم يبق عذر لمسلم (مغفل) يحسن الظن بهؤلاء ، فلقد كان الرياضيون ـ كما نظن وكما يقال عنهم ـ أبعد الناس عن مثل هذا التعصب ..

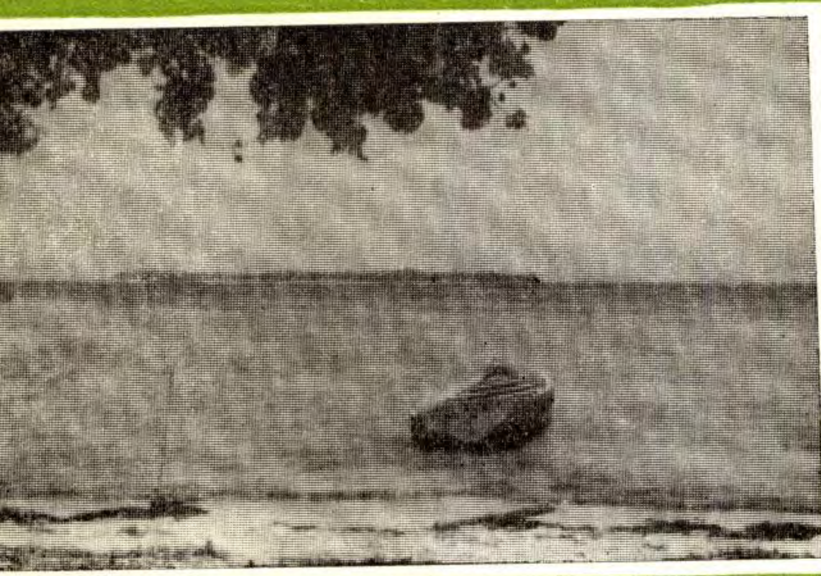
قد يقول بعض الناس ان محمد علي يتبع مذهبا اسلاميا بعيدا عن الاسلام الصحيح . ولكني أقول لهؤلاء ان الذين تعصبوا ضده تعصبوا لمجرد أنه قال :انني مسلم ونحن ننتصر له ردا على موقفهم منه ..

تقاليد

جاء يستأذن فى الانصراف مبكرا وسألته عن السبب ، فقال : ان قريبا لي مات فى ((ظفار)) بالجنوب ، ونحن هنا نريد أن نقيم له ((مقرأة)) فدعاني حب الاستطلاع الى أن أعرف شيئا من عادات الجنوب العربي فسألته ، وماذا تعملون فيها ؟فقال : نذبح الذبائح ونعد طعاما لمن يحضر للعزاء ، وكذلك الشربات ، وبعد أن يأكلوا يجلسون ويقرءون للميت ! ! فسألته : كم تكلفكم ؟ قال : حسبت المصاريف مبدئيا فوجدتها وصلت الى ستين دينارا ،ولا بد أنها ستزيد .. وأخذ يخرج لي كشفا من جيبه .. فرثيت لحاله لأن مرتبه قليل وقلت ان هذا لا يجدى الميت ولا ينفعه بشيء .. وكان الأولى ان تنفقوا هذا المبلغ فى شيء مفيد لورثته أو فى مشروع نافع لكم هنا أو هناك .. فقال وماذا نعمل ؟ لو لم نفعل هذا لتناولتنا ألسنة جماعتنا ..

وانصرف الشاب الظفارى وبقيت أفكر وأقابل ما يفعله هؤلاء فى هذه المناسبات بما يفعله غيرهم فى بعض البلاد الاسلامية الاخرى ، فأجد التشابه بينهم كبيرا فى العقلية وفى العمل .. التقاليد تشبه التقاليد، والظن بأن مثل هذا ينفع الميت هو الظن ـ والتقاليد هذه لا يقرها الاسلام ، والميت لا ينفعه الا عمله .

ومع ذلك يظل المسلمون أسرى تقاليد وظنون ،يحافظون عليها أكثر مما يحافظون على الفرائض الدينية الصريحة .. ويبذلون فيها المال الكثير ..وربما استدانوه .. شيء مؤسف ! !



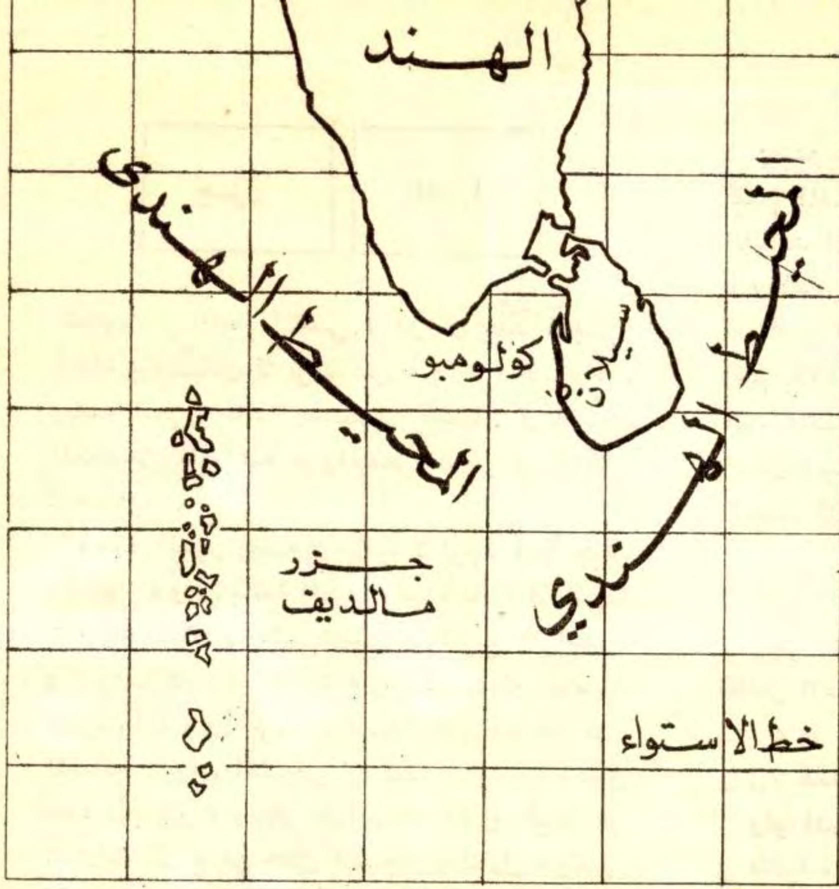
اعرف وطنك

جزر المالديف

للأستاذ مأمون عبد القيوم
عضو البعثة المالديفية بالازهر

اذا نظرت الى خريطة آسيا فقد تسترعى انتباهك عدة نقط سوداء دقيقة ، متشابكة كالسلسلة ، ممتدة من الشمال الى الجنوب فى المنطقة الواقعة جنوبي غرب ((سيلان)) من المحيط الهندى . ولعلك تظن لاول وهلة أن هذه النقط الدقيقة ما هي الا نقط حبر سقطت سهوا من قلم الرسام ، ولكنك سرعان ما تراجع نفسك فتدرك خطأ هذا الظن ،لان أية نقطة فى الخريطة مهما بلغت ضآلتها ، فسوف تقابلها فى الطبيعة عشرات الاميال من الارض . واذاأمعنت النظر فى هذه النقط الدقيقة المتشابكة وجدت بجانبها كلمتي ((جزر المالديف)) مكتوبتين بخط رفيع ...

جزر المالديف ؟! أغلب الظن أنك لم تسمع عنها من قبل ، ولكنك قطعا سمعت عن ابن بطوطة الرحالة العربي الشهير ، الذى طاف ببلاد الشرق فى القرن الرابع عشر الميلادى . لقد زار ابن بطوطة أثناء رحلته الشهيرة جزر المالديف أيضا ، ولكنها لم تكن زيارة عابرة ، فقد تزوج منها ، ومكث فيها مدة





إحدى عجائب الدنيا

جَنة عائمة في المحيط الهندي يعيش فيها مائة الف مسلم

من الزمن ، تولى خلالها منصب القضاء .. ثم كتب عنها يقول : انهـا تشتهر بالجمـال الطبيعي السـاحر ، والهدوء الشامل والنساء الجميلات ، ووصفها بأنها احدى عجائب الدنيا السبع ..

فما هي قصـة هذه الجـزر التـي أعجبت ابن بطوطة الى هذا الحد ؟ .

((١٠٠٠ جزيرة فى أحضان المحيط))

تقع جزر المالديف على بعد (٦٥٠) كيلومترا من الشاطىء الغربي لسيلان : وتشغل فى المحيط الهندى مساحة طولها (٧٥٠) كيلومترا ، وعرضها فى أوسع الاماكـن (١١٥) كيلومتـرا . وتتكون المالديف من أكثر من الف جزيرة (عددها بالضبط ١٠٨٧ جزيرة حسب احصـاء دقيـق قامت به

جـزر	المالديف

الحكومة فى العام الماضي) غير أن عدد الجـزر الآهلة بالسـكان لا يزيد على (٢١٥) جـزيرة ، وبقية الجزر خالية يسـتغل بعضهـا فى انتـاج المحاصيل الزراعية ، والبعض الآخر فى انتـاج الأخشاب .

وهذه الجزر رملية مرجانية لا توجد فيها جبال ولا أنهار ، وهي بالغة الصغر بصفة عامة، فأصغرها لا تزيد مساحتها على الكيلومتر المربع الواحد ، وأكبرهـا لا يزيد طولها على سـبعة أو ثمانيـة كيلومترات ، ولا يزيد عرضـها على نصـف هذه المسافة . ومن الطبيعي أن تقف فى وسط احدى هذه الجـزر ، وتنظر حواليـك فترى البحر من الجهات الأربع من خلال الأشجار والمنازل ، وتغطى كل الجزر غابات كثيفة من الأشجار الاستوائية الضخمة ونخيل جوز الهند الشاهقة .

وجزر المالديف تنقسـم طبيعيـا الى (١٣) مجموعة ، تفصل بينها بحار متسـعة نسـبيا ، ولكنها مقسمة سياسيا الى (١٩) مجموعة لاعتبارات ادارية رأتها الحكومة ، وعلى رأس كل مجموعة حاكم أو محافظ معين من قبل الحكومة ، يدير كل شؤونها . ووسيلة المواصلات بين الجزر هي الزوراق البخارية والمراكب والقوارب الشراعية المصنوعة محليا .

((بلاد السمك))

والاسم الذى تعرف به هذه الجزر الآن هو جزر المالديف Maldive Islands ، وكان ابـن بطوطة يسميها فى كتاباته ((ذيبة المهل)) وكانت الدوائر الرسمية المالديفيـة الى وقت قـريب ، تستعمل اسم ((محلديب)) ، فما هو سبب هذا الاختلاف ، وما هي التسمية الصحيحة ؟ .

الواقع أن الأسماء الثلاثة محرفة عن الاسـم الأصلي لهذه الجزر فاسمها الأصلي هو ((مالديب)) وهو مكون من كلمتين باللغة السـنهالية (وهي اللغة التي يتكلم بها أهل سيلان ، والتي كان يتكلم بها المالديفيـون الأوائـل) وهاتان الكلمتان هما ((مال)) ومعناها سمك ، و ((ديب)) ومعناها بلد ، فمالديب معناها بلاد السمك ، وقد سميت بهـذا الاسم لوفرة الأسماك فى بحارها .

ويبدو أن ابن بطوطة حاول تعريب هذا الاسم ، فقدم المضاف على المضاف اليـه كما تقتضيـه القواعد العربيـة وسـماها ((ذيبة المهل)) أمـا ((محلديب)) فهي محاولـة من المالديفيـين بعد اعتناقهم للاسلام وتعلقهم باللغة العربية لتقريب اسم بلادهم من النطق العربي . وأما ((مالديف)) فهي التسمية الانجليزيـة لهذه الجـزر ، وقد انتشر استعمالها الآن بصـورة أدت الى هجر الأسماء الأخرى .

((جنة عائمة))

وجزر المالديف من المناطق التي تتجلى فيهـا مظاهر الاعجاز الالهي ، فهي ـ كما قال ابن بطوطة ـ آية فى الجمال الطبيعي ، وقلما يوجد له مثيل فى أية بقعة أخرى من العالم .

ولو قدر لك ـ أيها القارىء ـ أن تحلق فوقها فى طائرة ، لبهرك منظر قد لا تقع عيناك على أروع منه فى هذه الدنيا ...

بساط أزرق لا نهائي تلمع فى ثناياه أمواج هادئة كذرات من فضة ذائبة ، وجـزر قد تناثرت هنـا وهناك كأنها درر صغيرة ، وهي شديدة الاخضرار فى الوسط ، يقل اخضرارها تدريجيا كلما اقتربت من الشواطىء ، وينتهي بحلقـة ناصعة البياض تلف الجزيرة الخضراء ـ هي رمـال الشـواطىء الناعمة ـ ثم حلقات من الماء تحيط بها من كل جانب يتغير لونها كلما بعدت عنها ، خضراء فاتحة ، فخضراء قاتمة ، فزرقاء تشتد زرقتها تدريجيا حتى تندمج فى المحيط القاتم الزرقة .

ثم مناظر شروق الشمس وغروبها التي تشاهد فى المالديف بألوانها المتعددة الباهرة ، ولياليها المقمرة بسحرها الفياض ، وشواطئها البديعـة برمالها البيضاء الناعمة ، ومياهها الصـافية الخضراء ، وأشجارها المورقة بثمارها الاستوائية الشهية ، وزهورها البريـة المختلفـة الألوان بأريجها الذكي المنتشر فى كل مكان ، وجوها المعتدل الرائع طوال العام بشمسه الدافئة وهوائه اللطيف المنعش . تلك من الأشياء التي لا يمكن أن تنسى .

وقد زارها الكاتب المصرى المعـروف الدكتور حسين فوزى وأعجب بها لدرجة أنه سماها جنة الله فى أرضه ، وقال انه يتمنى لكل انسان ، لو استطاع أن يزور هذه الجنة العائمة ، ولا أعتقد أن الدكتور حسـين فوزى يبالغ فى وصـفه للمالديف ، فهي جميلة حقا ، ورائعة حقا ..



ضريح علي رسجفان فى المكـان الذى استشهد فيه على الشاطىء الغـربي من العاصـمة

((مياه عذبة وسط البحار))

وجزر هذا الارخبيل قد رتبتها يد القدرة الباهرة ترتيبا عجيبا ، يجعل من العسير على السـفن الاجنبية أن تسير فى مياهها بلا معونة المرشدين المحليين ، وكثيرا ما يصادف مثل هذه السـفن مياها ضحلة أو ترتطم بصخور ، ويضطر ملاحوها الى هجرها وسط الأمواج ، وفى هذا يقول ابن بطوطة ((فمجموعة هذه الجزر مستديرة كالحلقة ، لها مدخل كالباب ، لا تدخل المراكب الا منه ، واذا وصل المركب الى المدخل فلا بد من دليل من أهلها يسير به الى سائر الجزائر ، وهي مـن التقارب بحيث تظهر رؤوس النخـل التي باحداها عند الخروج من الأخرى ، فان أخطأ المركب فى سيره لم يمكنه دخولها ، وحمله الريح الى خارجها)) وهذا الكلام ما زال صحيحا الى الآن .

ومن المظاهر التي تتجلى فيها القدرة الالهية فى المالديف أيضا ، أن مياه الشرب التي تستخرج من الآبار الارتوازية هناك مياه عذبة غايـة فى النقاء ، لا أثر فيها لملوحة على الاطلاق بالرغم من ان مساحة الجزر غاية فى الصغر ، يحيط بهـا البحر المالـح من كـل جانب ((وهو الذى مرج البحرين هذا عذب فرات وهذا ملح أجاج وجعل بينهما برزخا وحجرا محجورا)) .

ومن تلك المظاهر كذلك أن هذه الجزر ـ رغم وقوعها فى أحضان المحيط الهندى العاتي ـ لا تتعرض ـ ابدا لأعاصير او عواصـف أو أمواج عالية ، أو غيرها من ثورات الطبيعة التي تتعرض لها الجزر الأخرى والمناطق الساحلية ، وان اهل المالديف ليحمدون الله كثيرا على نعمه المتعددة ورحمته الواسعة ...

((ملك منتخب))

وجزر المالديف يسودها النظام الملكي ، والملك لا يرتقى العرش بالوراثة ، بل ينتخبه الشـعب ويظل ملكا مدى الحياة الا اذا ارتكب ما يوجب عزله طبقا للدستور . والملك الحالي هو الملـك محمد فريد الأول الذى انتخب ملكا على البلاد فى عام ١٩٥٤ .

والملك فى المالديف رمز على سيادة الدولـة ووحدتها ، فالسلطات التنفيذية تتركز فى يد مجلس الوزراء الذى يضع السـياسة العامة للدولة ، ويباشر تنفيذها باسم الملك .

ورئيس وزراء المالديف الآن هو السيد ابراهيم ناصر الذى تولى الحكم فى عام ١٩٥٦ ، وكان فى ذلك الوقت أصغر رئيس وزراء فى العالم ، اذ كان عمره حينذاك ٢٨ سنة فقط ، وقد تكرر انتخابه مرتين بعد ذلك بسبب مواقفه الحاسمة ضـد الاسـتعمار البريطاني مما أكسبه ثقة الشـعب وحبـه .

ومجلس الوزراء مسئول أمام ((مجلس الشعب)) (البرلمان) الذى يتولى السـلطة التشريعيـة ، ويتكون ((مجلس الشعب)) من ٥٤ عضوا منتخبين يتم انتخابهم مرة كل خمس سنوات .

العاصمة ذات المساجد

وعاصمة المالديف هي جزيرة ((مالي)) Malè وفيها مقر الملك والوزارات وكل المصالح الحكومية، وتقع مالي فى وسط الارخبيل تقريبا ويبلغ تمداد

جـزر	المالديف

السكان فيها حوالي (١٥) الفا . وهي مدينة صغيرة أنيقة ، شوارعها بيضاء نظيفة ، وبيوتها فيللات جميلة تحيط بكل واحدة منها حديقة مليئة بالنباتات الاستوائية . ولعل مما يدل على تعلق أهلها بالدين أنه يوجد فيها (٣٩) مسجدا رغم صغر مساحتها .

وتوجد أمام « مالي » الميناء الرئيسي للمالديف الذى ترسو فيه البواخر التي تسير بينها وبين سيلان والهند والباكستان وغيرها من الدول . وتقع على بعد ٣ كيلومترات من العاصمة « جزيرة هولولي » التي افتتح فيهـا أول مطـار مدني فى المالديف فى شهر ابريل الماضي ، وينتظر أن تهبط فيه طيارات الشركة العالمية التي تعمل بالمنطقة .

العضو رقم ١١٧ فى الأمم المتحدة

وجزر المالديف دولة مستقلة ذات سيادة ، وقد نالت استقلالها التام ـ فى يوم ٢٦ يوليو ١٩٦٥ . وكانت بريطانيا قد فرضت حمايتها على المالديف فى ديسمبر ١٨٨٧ بموجب رسالتين متبادلتين بين السلطان محمد معين الدين الثاني ، وبين السير آرثر هاملتون جوردون الحاكم العام البريطاني فى سيلان . وقد حرصت بريطانيا على أن تذكر فى كل الاتفاقيات اللاحقة أن فرض الحماية كان استجابة لطلب السلطان ، غير أن الوثائق التي اكتشفت حديثا أثبتت كذب هذا الادعاء ، وأوضحـت أن السلطان قد أكـره على قبول الحمايـة تحت التهديد بالاحتلال .

وتحسن الاشارة هنا الى أن هذه الحماية طوال فترة استمرارها من عام ١٨٨٧ الى عام ١٩٦٥ كان لها وضع متميـز خاص ، فلـم يكن لبريطانيا فى المالديف فى أى وقت من الأوقات حاكم ولا مندوب سام ، ولا أى مسئول آخر من جهتها يباشر السلطة الفعلية ، وانما كان يحكم المالديـف أبناؤهـا ، فالحماية لم تكن الا نوعا من التبعية القانونية التي حدت من حريتها فى التعامل مع الدول الأخـرى ، ولم تقـاس المالديف من ويـلات الاسـتعمار كما قاست الدول الأخرى .

وبعد أن نالت المالديـف اسـتقلالها بمقتضى الاتفاقية التي عقدت بين الطرفين فى يوم ٢٦ يوليو سـنة ١٩٦٥ ، انضمت للامـم المتحدة فى شـهر سبتمبر من نفس العام ، فأصبحت العضو رقم ١١٧ فى الهيئة الدولية .

وبعد حصول المالديف على الاستقلال ، يثور سؤال حول مستقبل القاعدة البريطانية بجزيرة « جان » (احدى جزر المجموعة التاسعة عشرة) وهي القاعدة البحريـة والجويـة التي أنشـأتها بريطانيا هناك عام ١٩٥٦ ، ولا أعتقد أن بقاءها حتى نهاية مدتها فى عام ١٩٨٦ أمر مؤكد ، نظرا للتيار التحررى القوى الذى يسود المنطقة كلها ، وحرص المالديف على التخلص من كل ما قد يكون له أثر فى المساس بحريتها التي نالتها بعد طول حرمان .

« بلاد اسلامية ١٠٠ ٪ »

يبلغ عدد سكان المالديف ١٠٠ ألف نسـمة ، وكلهم مسلمون ، ولعل المالديـف هي الدولـة الوحيدة فى العالم التيتبلغ نسبة المسلمين فيها ١٠٠ ٪ والشعب المالديفي شديد التمسك بأهداب الدين ، وحريص على تنفيذ تعاليمه وأحكامه ، ومن الطبيعي أن تنعكس آثار هذا على القانون المالديفي، فالدستور لا يسمح لغير المسلمين بالاقامة الدائمة فى المالديف ، والافطار بلا عذر شرعي يعتبر جريمة يعاقب عليها قانونا ، كما أن استيراد المشروبات الروحية أو صناعتها ممنوع منعا باتا . ومع أن صيد السمك هو مصدر رزق أغلب السكان فان الخروج الى الصيد صباح يوم الجمعة ممنوع خوفا من فوات صلاة الجمعة .

الابن الذى يشبه الزهرة .. أول من أسلم

أما كيف دخل الاسلام هذه الجزر النائية ، فتلك قصة تدل على ما يتمتـع به الاسـلام من وضوح وبساطة وسلامة عقيدة تجتذب الناس اليه اجتذابا . وبطل هذه القصة أحد الدعاة الذين وهبوا أنفسهم لله ، وكرسوا جهودهم لنشر دينه وتبليغ دعوته الى الشعوب التي لم تبلغها بعد ، واسمه الشيخ الحافظ ابو البركات يوسـف البربرى ، وهو من بلاد المغرب .

فقد وصل الشـيخ الجليـل الى المالديف فى منتصف القرن السادس الهجرى ، مـع بعض التجار العرب الذين كانوا فى ذلك الوقت يقومون برحلات تجارية منظمة بين الجزيرة العربية من جهة ، وبين موانىء الهند وسيلان والمالديف من



مباني العاصمة تحيط بها النباتات الاستوائية

جهة اخرى . وعندما نزل الشيخ أبو البركات الى العاصمة ووجد أهلها على الديانة البوذية طلب مقابلة السلطان ، فلما حضر بين يديه دعاه الى الاسلام ، ولكن السلطان أبى فى أول الأمر أن يترك دين آبائه وأجداده ، غير أنه قربه اليه وأكرم وفادته ، وما زال الشيخ يعرض عليه الاسلام فى كل فرصة تسنح له ، وما زال يجادله بالحكمة والموعظة الحسنة ، حتى شرح الله صدره للاسلام فأسلم على يديه وأمر الشعب باعتناق الاسلام . وكان ذلك فى اليوم الثاني من شهر ربيع الثاني سنة ٥٤٨ هـ (١١٥٣ م) .

وهناك قصص كثيرة شبيهة بالأساطير ، يتناقلها الناس فى المالديف تصف كرامات كثيرة خارقة ، يقال انها ظهرت على يدى الشيخ أبى البركات حتى اقتنع السلطان والأهالي وآمنوا جميعا . ولا توجد أدلة تاريخية تؤكد صحة هذه القصص . وكل الذى نستطيع أن نقطع بصحته هو تاريخ دخول الاسلام الى المالديف ، واسم الداعية الذى كان سببا مباشرا فى ذلك ، واسم السلطان الذى أسلم على يديه ، اذ أن هذه المعلومات مكتوبة فى اللوحة الموجودة بالمسجد الذى أمر ببنائه السلطان بعد اسلامه ، وهي مكتوبة باللغة العربية ، والكتابة التي عليها ما زالت واضحة .

وهذا السلطان الذىأسلم على يدى الشيخ أبى البركات كان اسمه قبل اسلامه « درمس كالامنجا » وكان يلقب بـ « كوى ملا » ومعناه الابن الذى يشبه الزهرة ، وبعد أن أسلم أسمى نفسه « درمس محمد بن عبد الله » وقد حكم مالديف ٢٥ سنة ، ١٢ منها قبل اسلامه ، و١٣ بعده .

« برج الآذان »

ومن آثار هذا السلطان المسجد الذى بناه فى العاصمة ، وهو أول مسجد يؤسس فى المالديف ، ولا يزال هذا المسجد باقيا وفى حالة جيدة ، وأبوابه ونوافذه تعتبر دليلا حيا على التفوق الذى بلغه الفن المالديفي ، وقد قام عدة ملوك جاءوا بعده بتوسيعه وترميمه فى أزمنة مختلفة .

وأمام هذا المسجد يوجد برج الأذان الذى انشيء منذ (٣٠٠) سنة وهو أيضا من الآثار التاريخية الخالدة ، وهو عبارة عن بناء دائرى أبيض بخطوط عرضية زرقاء وقطره حوالي (٢٥) قدما عند القاعدة ، وأقل منه عند القمة ، وعلى ارتفاع حوالي (٣٥) قدما توجد شرفة دائرية يقف عليها المؤذن للصلاة خمس مرات فى اليوم .

« ضريح أبى البركات »

وبقى الشيخ أبو البركات فى المالديف بعد اسلام أهلها يعلمهم القرآن وتعاليم الدين ، ويعاون السلطان ويوجهه الى تطبيق أصول الاسلام ومبادئه الى أن توفى . وقد دفن فى ضريح أقيم له أمام المسجد الذى بناه السلطان ، ولا يزال هذا الضريح قائما فى مكانه ، وهو من الأماكن التاريخية التي يعتز بها أهل المالديف ، ولا يزال كل من يمر به يحرص على أن يتوقف أمامه لحظات ، يقرأ فيها الفاتحة على روح هذا الشيخ الجليل الذى كان السبب الذى هيأه لله لاسلام بنى وطنه .

وقد ألحقت غرفة بالضريح وضع فيها كل ما بقى من آثار الشيخ منها سريره الخشبي وبعض مراوح مصنوعة من ريش النعام ، ومظلة كان يستخدمها للاتقاء من الشمس كما يفعل المالديفيون، وتعتبر هذه المظلة قطعة فنية تدل على براعة صانعها المالديفي ، فهي لا زالت محتفظة بكامل رونقها وألوانها الأصلية رغم مرور أكثر من ثمانية قرون عليها .

ـ البقية فى العدد القادم ـ

على ان القائلين بمجيء المصريين الاولين من آسيا قد اختلفوا في بيان الطريق الذى سلكه أجدادنا البائدون فى اثناء نزوحهم الى كنانة الله فى ارضه ، فذهب بعضهم الى القول بأقرب المسالك وهو برزخ السويس وقال البعض الآخر انهم تنقلوا فى البلاد ، وجابوا الصخر بالواد ، وواصلوا الترحال بالترحال، حتى انتهت بهم خاتمة المطاف عند باب المندب . فعبروا البحر وقطعوا جبال الحبشة ثم ساروا مصعدين مع النيل الى جهة الشمال حتى ألقو عصا التسيار واستقر بهم فى مصر القرار .

٢ :ـ اماعلماءالطبيعيات والاخصائيون فى دراسة أحوال الشعوب فيقولون بمجيء اوائل المصريين الى هذا الوادى من صحراء لوبيا وما اليها من الاصقاع الممتدة على ساحل البحر الأبيض المتوسط . وحكموا بأن نواة هذه الأمة المصرية قد انتقلت الى ربوع النيل المقدس من ناحية الغرب والشمال الغربي اى ان اصل المصريين صادر عن ذلك الجبل الكبير الكريم جبل البربر .

٣ : ـ وهناك نظرية ثالثة وهي اعجب ما يساق من الحديث ذلك ان الاستاذ رنيش النمساوى قرر ان المصريين من أصل افريقى ذهب فى ذلك الى نهاية المدى . وقال ان جميع السلالات البشرية العائشة فى الدنيا القديمة (افريقيا وآسيا وأوربا) وكلهم منحدرون عن منبت واحد وأسرة واحدة وكان مقامها على شطوط البحيرات الكبرى فى وسط افريقيا الاستوائية .

أما العلامة ((ماسبيرو)) وهو من أساطين العلم واركان العرفان فقد جنح الى الرأى الراجح وهو الأول .

اما الرأى الثاني فقد اضطلع به علماء الالمان وشاركهم فيه اخونا احمد باشا كمال الاثرى وهو أن المصريين جاءوا الى هذا الوادى عن طريق الجنوب ومن جهة باب المندب .

وسواء عندى أصحت الرواية الاولى أم كان الصواب قرين الرأي الثاني فلا مشاحة فى ان مصر انما استعمرها عرب الشمال الحجاز ونجد وبادية الشام ، أو عرب الجنوب عن طريق اليمن الا اذا صح انهم من البربر . وليس عندى ما أضيفه على ذلك سوى كلمة واحدة فى الرد على من توهم انهم من البابليين أو الكلدانيين ، ذلك أن هذا الرأي مرجوح ولم يقم عليه ادنى دليل .

وصفوة القول ان النعرة التورانية الجديدة المنبعثة عن تلك النشوة التركية المحمودة ، ليس لها مبرر فى الادعاء بأن الفراعنة من سلالة الاتراك .

وما أسخف الاستناد على اسم (مدينة اور) واسم مدينة (اورون) لان معناهما خندق وقبيلة فأي رابطة تجعل وجود هذين الاسمين هنا أو هناك دليلا على ما يناقضه التاريخ ، وتناقضه الحفريات ، وتناقضه ملامح الوجوه وأساريرها وسحنتها .

ولست ارضى عمن يتغالى ، فيقابل دعوى الزور بمثلها ، ويقول للاتراك أنهم هم وآباؤهم وأجدادهم الاولون منحدرون عن فرعون .

اما استنادهم الى تشابه الاديان على فرض صحته ـ وهو بعيد ، فليس

بدليـــل ولا شـــبه دليل . والا لكان الزنجي العائش فى اواسط افريقيـــا منحـدرا عن الاتراك او كان التورانيون منحدرون عنه .

وفى الثانى من أكتوبر ١٩٢٩م نشرت الجريدة هـــذا التعليق الذي بعث به الاستاذ نقولا حداد وقال فيه :

اطلعت بشوق على مقال سعادة العلامة الاستاذ زكي باشا عن اصل الفراعنة ، واعجبت بسعة علمه وبما أدلى به مـــن براهين ، وخطر لـــي ما ذكـــره المؤرخ الانجليزي رولنصون الذى أسـهب فى تاريخ الدول الخمس الشرقية وأصولها واذكر جيدا شرحه الطويل عن اصـــل المصريين القدماء ، وملخصه ان المصريين الاولين وفدوا من بلاد العـــرب وعبروا البحر الاحمر ونزلوا عند حدود الحبشة ثم تدرجوا الى أن هبطوا وادى النيـــل واسسوا دولتهم .

ولهذا المؤرخ براهين وتعليلات لهذه النظرية وجيهة جدا . فألفت نظـــر سعادة الاستاذ اليها فلعله يجدها أصح من ســـائر نظريات المؤرخين الآخرين . فاذا رجحت نظـــرية « رولنصون » فيكون العرب قد دخلوا الى مصر ثلاث مرات (الاولى) هي التي نحن بصددها ، و (الثانية) غزوة الهكسوس أي الرعاة ، و (الثالثة) الفتح الاسلامي ، ولذلك لا يبقى شك بأن المصريين من سلالة عربية الاصـــل .

الفراعنة عرب عرباء . نعم . نعم

فكتب الاستاذ احمد زكي ثاني يـوم هذا الرد الذي يقول فيه :

بقدر ما احسن قد اساء .

ذلك هو الصديق الصادق فى الوداد ، الكاتب القدير « نقولا الحـداد » النافخ يراعه فى شبرا . الناشر لمجلة السيدات والرجال وناهيك بها وبشريكته الفضلى فى تحريرها وتحبيرها .

اما الاحسان فمن سجاياه ، ولكنــه شذ بالامس ، فارتكب معي وعلى العروبة جريمة هي محل الحساب .

انه وكد نظريتي وأيد حجتي فى تدليلي على ان للعروبة ارومة يفخر بها النيـــل قديما ، ولا يزال يباهي بها الى الآن والى الغد البعيد .

فمن هذه الناحية كان الاستاذ الحداد جديرا بشكر الناطقين بالضاد وهـــم العرب وحدهم ، دون سواهم من جميع الناس الذين لا يمكنهـم قط ان ينطقوا بالضاد العربية الصحيحة .

اما الاساءة فهي كبيرة تكاد تقـارب الخطيئة على اني سأفتح له باب المغفرة على مصراعيه ليدخله بسـلام وأمان . هـو يعلم أن معرفتى بالانجليزية قليلة وتافهة . وهو قد عرف ممـا كتبت فى اثبات العروبة للفراعنــة انني لم أحط علمــا بالبراهين التي سردها المؤرخ الانجليزي الكبير (رولنصون) .

وهل فاته ان من جاور الحداد انكوى بناره .

فكيف بالمسكين الحداد (نقولا) وقد اقتحم معي هـــذه النار المتأججة بين اضالعي لمجد قحطان ولفخر عدنان .

فادخـل نارى بسلام يا حداد ، ولا سبيل لك دون تقـديم ورقة الجواز متضمنة لبراهين « رولنصون » وهكذا نضيف لك فضلا فوق مالك من قديـم وطريف .

هذا نموذج من المساجلات التي قامت بين علمائنا الافذاذ فى أوائل هذا القرن اقدمها لأبناء جيلنا ليصلوا حاضرهـم بماضيهـم القريب . ويلموا بما حوته هذه المساجلات من فوائد وطرائف .. والى الملتقى حول مساجلة اخرى عـن لبنان ...

كتاب الشهر

الانسان... وحقيقته في العالم الآخر

تأليف : الاستاذ محمد صالح كريم خان

نقد وتلخيص : الاستاذ عبد المعطي محمد بيومي

ما أجمل أن يخلو الانسان لنفسه ساعة، يفرغ فيها من هم الدنيا ومشاغلها، ويحلق في آفاق التأمل بعيدا عن الحياة الى ما وراء الحياة .. الى المستقبل المحتوم لكل انسان بعد رحلة العمر ، الى العالم الآخر وما فيه من ثواب للمحسن ، وعقاب للمسيء .

وكتاب « الانسان وحقيقته في العالم الآخر » . الذى اهداه لادارة المجلة المؤلف الفاضل الاستاذ محمد صالح كريم خان كتاب يكفل للقارىء ساعات علوية حافلة بالتأمل المثمر الذى ينقل الانسان من واقعية المادة الجامدة الى شفافية الروح الصافية بحثا عن حياة انصرف عنها كثير من الكتاب والمؤلفين ، بل وانكرها كثير من العلماء والباحثين .

وقد بدأ المؤلف كتابه عن الحياة الآخرة وحقيقة الانسان فيها بمقدمة تضمنت ابراز هذا الغرض في أسلوب سهل واضح ، ومنهج منظم . وجعل المؤلف كتابه - بعد المقدمة - على قسمين كبيرين لكل من عالم الدنيا وعالم الآخرة .

ففى عالم الدنيا يبدأ المؤلف حديثه في الفصل الاول عن قصة خلق الانسان الاول وتزويده بالعلم ومولد العداوة بينه وبين الشيطان، وهبوطه هو وزوجته الى الارض في صراع دائم مع الشيطان حتى يأتي امر الله .

وفى الفصل الثانى سرد المؤلف في اسلوب عاطفى قصة الجريمة البشرية الاولى التى لعب الجمال فيها والانانية والشهوة الدور الرئيسي بين ابنى آدم حين قتل احدهما الآخر ، بعد ان رفض الله منه قربانه دون قربان اخيه .

وعن منزلة الانسان في الحياة الدنيا ذكر الكاتب في الفصل الثالث ان الله كرم ذلك الانسان على خلقه جميعا فخلق من اجله الكون كله ليسخره لمنفعته ، واحاطه بكثير من العطايا من عقل وحواس ومعرفة وعلم ، وما عليه الا ان ينتفع بكل ذلك ابتغاء مرضاة الله .

ثم اورد المؤلف الفصل الرابع عن « مكانة الحياة الدنيا » بعد مكانة الانسان فيها فقال : انها وسيلة للحياة الآخرة ، والمؤمن الحق هو الذي يستطيع التوفيق بينهما على ان يتقوى بالدنيا للآخرة « وللآخرة خير لك من الاولى » .

ثم عقد الفصل الخامس عن « الانسان جسد وروح » وجعل حديثه عن هذا الموضوع على بابين لكل من الجسد والروح .

وفى باب الجسد ذكر ان للجسد اهميته ـ كما للروح ـ فى الاسلام لانه دين التوازن بين المادة والروح فالجسد الذى جمع حواس العلم واحتوى على دقة الاعجاز فى التركيب دليل على وجود خالقه وقدرته وله حق التمتع بالزينة والطيبات من الحياة الدنيا فى حدود الحلال المشروع .

وفى الباب الخاص بالروح يدخل المؤلف فى تفصيلات يضيق عنها المجال فى ماهية الروح ثم يذكر أن الايمان فطرة فى النفس ظهرت فى عبادات مختلفة منذ القدم ، ثم ينبه على أن الموت ظاهرة طبيعية يعقبها البعث والجزاء ليدخل من ذلك الى البحث فى الغيبيات .

وعن مسألة هامة فى المغيبات عقد المؤلف الفصل العاشر وهى مسألة الجزاء المادى . ذلك ان بعض الفلاسفة الالهيين انكروا البعث المادى ـ بعث الاجسام ، وانكروا تبعا لذلك النعيم والعذاب الماديين ، وزعموا ان الثواب والعقاب هى الروح وحدها ، والحقيقة ان النصوص وردت كلها تؤيد وجود نعيم وعذاب ماديين بجانب النعيم والعذاب الروحيين . قال تعالى « وبشر الذين امنوا وعملوا الصالحات ان لهم جنات تجرى من تحتها الانهار كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذى رزقنا من قبل واتوا به متشابها ولهم فيها ازواج مطهرة وهم فيها خالدون » .

ثم استدل المؤلف على « سهولة الحياة فى الاخرة » فى الفصل الحادى عشر والاخير من قسم الحياة الدنيا ، فبالتفكير فى خلق السموات والارض ينقطع كل شك ، فان ما نرى من تطور العيش فى عالمنا لدرجة مدهشة يعطى الدليل والتفسير لحياة الآخرة ثم انه فى يسر الحياة الدنيا وكثرة اختراعاتها فكرة عن الحياة الواقعية اليسيرة فى الآخرة .

والى هنا يكون المؤلف قد استوفى الحديث عن « عالم الاخرة » فى القسم الاول من الكتاب ، وأخذنا معه نستعد للانتقال الى القسم الثانى عن « عالم الآخرة » الذي قسمه ايضا الى احد عشر فصلا ، يقول فى الاول منها عن « العالم الآخر فى عقيدة شعوب العالم القديم » ان عقيدة البعث وفكرة الحياة الآخرة نشات منذ اقدم العصور التاريخية ولقد كانت مشاهد الطبيعة بما فيها من يقظة ونوم وحياة وموت باعثا على التفكير فى حقيقة الموت وسر الحياة ، ثم كانت الشمس فى الاغلب مدار التفكير فى العقيدة الالهية منذ فجر البشرية بعد ان فشلت عقائد تاليه القمر والكواكب الاخرى .

ولقد عمل المفكرون والانبياء فى كل عصر على تعميق هذه العقيدة فى النفوس ، وانتقلت على ايديهم من طور الى طور ـ حتى تلقى الضمير الانسانى اخر كلمات الدين كله منذ اول رسول حتى اخر المرسلين، جاء القرآن ليعلنها بصراحة ووضوح « ان الساعة آتية اكاد اخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى » بل واعتبر الايمان باليوم الآخر ركنا هاما من اركان

الاسلام فكان بذلك منتهى ما يمكن ان يصل اليه التطور البشرى فى عقيدة البعث والخلود .

ولكن . ماهي الادلة العقلية عليها فى الكتاب . هنا يترك المؤلف الادلة على واقعية البعث واليوم الآخر ويؤجل ذلك الى الفصل الثالث بينما يشغل الفصل الثاني عن أشراط الساعة ، ولان اثبات الحقيقة اهم من اثبات اماراتها فكان الاجدر ان يسارع فى الفصل الثاني الى ايراد الادلة بدلا من ايراد الاشراط .

وحتى فى حديثه عن امارات الساعة فى ذلك الفصل اكتفى بسرد الآيات والاحاديث الدالة عليها تاركا خطةالبحث المنهجي دون تمييز بينعلاماتها الصغرى، من مثل قلة العلم وطغيان الجهلوكثرة الزلازل والفتن والقتل ، وكثرة المال والزنا وفجور النساء وتطاول الاسافل على الاعالي وقلة الامانة وشرب الخمر.. الى غير ذلك ، وعلاماتها الكبرى ، التي جاءت فى حديث رسول الله ، عن حذيفة الغفارى رضي الله عنه قال : « اطلع النبي صلى الله عليه وسلم ونحن نتذاكر فقال « ما تذكرون قالوا نذكر الساعة قال انها لن تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات فذكر الدخان والدجال والدابة وطلوع الشمس من مغربها ونزول عيسى بن مريم صلى الله عليه وسلم وياجوج وماجوج وثلاثة خسوف خسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس الى محشرهم » رواه مسلم والترمذى وابو داود .

وعلى كل حال .. اخفي الله سبحانه موعد الساعة « لتجزى كل نفس بما تسعى » .

البعث

وفى الفصل الثالث الذى خصص للدلالة على البعث أورد المؤلف آيات واحاديث تدل على ذلك من اشهرها قول الله تعالى « أولا يذكر الانسان انا خلقناه من قبل ولم يك شيئا » فالقادر على البدء اقدر على الاعادة وان الذى خلق كل شيء من لا شيء اقدر على اعادة الروح الى الاجسام التي رمت بعد جمع اجزائها المتفرقة ، وليس ذلك بأصعب من خلق السماوات والارض . على انه ليس فى قدرة الله تفاوت فالممكنات بدؤها واعادتها بالنسبة اليه تعالى سواء . انما التفاوت للقدرة الانسانية .

وهنا عرض الاستاذ كريم خان لراى بعض الفلاسفة الالهيين الذين زعموا ان البعث للروح دون الاجساد وسفه هذا الرأى بقوله « فكان هذا الرأى نموذجا جديدا من الكفر وكيدا جديدا لابليس وهمساته بما يجد من المرتع الخصب فى مجرىالدم » ، ثماكتفى بذلك وتركالرأى وما يتعلق به الى سرد الآيات والاحاديث منجديد يستدل بها على واقعية البعث، وليس من المقبول عقليا او منطقيا ان يسفه رأي من الآراء دون حجة تنهض بازائه ودون دليل يهدم دليله، وخاصة اذاكان للرأى انصار طالما ساندوهبالدليل يقفو اثره الدليل ، والرأي بالبعث الروحاني رأى تداوله مشاهير من فلاسفة الاسلام يكفي ان يكونفىمقدمتهم ابن رشد وقاموا عليه بالادلة العقلية المتكاثرة التي تقتضينا امانة البحث أن نورد اقواها فىبساطة ووضوح:انالانسان عندما يموت يتحلل جسده الى تراب يتغذى منه نبات يأكل منه انسانجديد ويدخل فى تقويمه ثم يموت الانسان الثاني ويأخذ نفس الدورة فينشأ انسان

ثالث يتغذى من النبات الذى تغـذى من تراب الانسان الثاني وهكذا، فأجزاء الاول دخلت فى تركيب الثاني واجـزاء الثاني دخلت فى تركيب الثالث الى عدد لا يحصى من الافراد فاذا قلنـا ببعث الاجساد فأى جسد سيبعث لهـذه الارواح او الأناسي المتعددة ؟ وكيـف يبعث مع الاول جسده وقد تناقل فـي أجساد الآخرين ؟ وكيف يبعثون هـم أيضا ؟ واذا كان احدهم مؤمنا والآخـر كافرا فأىجزءسيلقى الثواب أو العقاب؟ فبعث الارواح وحدها هو المخلص مـن هذه الورطة وهو المقبول عند العقـول (هكذا) .

ومن‌هنا كان ينبغي على‌مؤلفنا الاستاذ كريم خان ان يوضح هذا الراى ودليله بهذا الشكل ايمانا بأمانة الكلمة‌والانصاف فى البحث وحتى لا يخدع من يقرأ الرأى فى كتاب من الكتب التي تعتقده ، ثـم عليه بعد ذلك ان يدحضه بالدليل علـى ان قدرة الله لا يقف أمامها شيء ، ولا يحول دون‌ارادتها شيء فليس بمستبعد ولا مستصعب على الله ان‌يبعث كل‌روح بجسدها . على ان هناك فلاسفة‌مسلمين آخرين يرون ان بعض اجزاء الانسـان اصلية وبعضها غير اصلية فالاصلية‌تبقى حتـى البعث وتتحلل ، وتتـداخـل الاخـرى فـي كـثير من الاجسـاد ولا يضر ذلك ولا يمنـع تحـقق البعث بأي حال ، امـا الصـمت امام الآراء وشجبها بالاتهام بالكفر فلا يحصـن القارىء اذا اطلع عليها فى مؤلف آخـر يؤيدها ويقويها وليس ذلك من البحـث العلمي فى شيء .

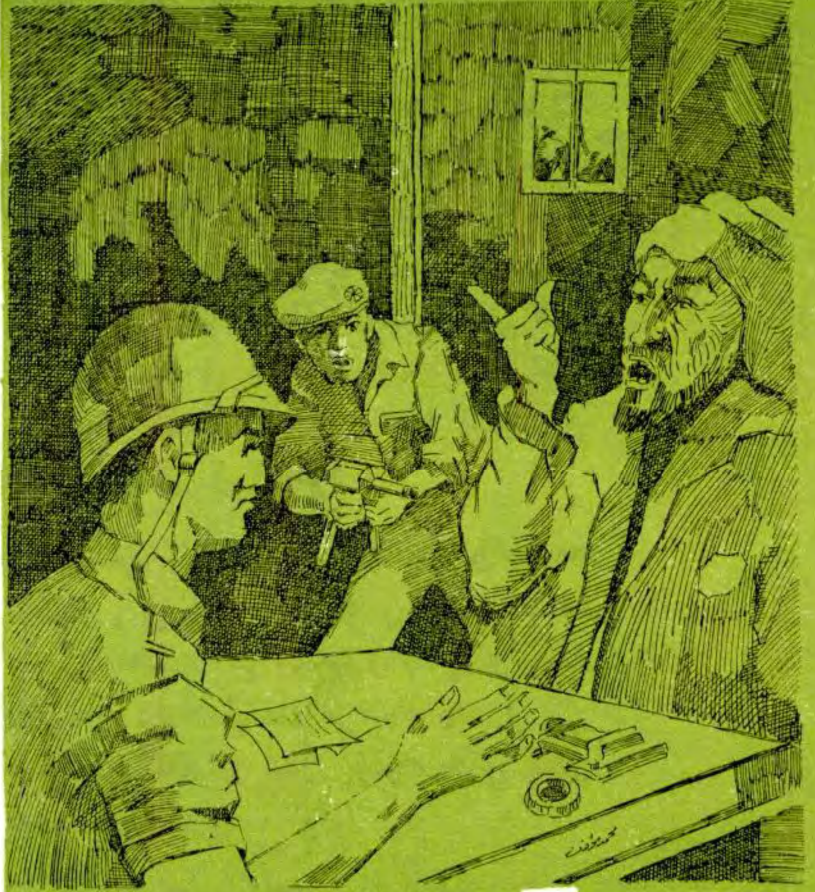
ثم تحدث المؤلـف عن موعد البعث وحقيقته وأدلته لينتقـل الى الفصـل الرابع عن كيفيته ثم يتحدث عن يـوم القيامة ومشاهده والجنة والنار ، ثـم يقـف وقفـة فى الفصـلين التاسـع والعاشر مع أهل الجنـة وأهـل النار ، ويعقد فصلا نهائيا للمشاهد الطريفـة المتقابلة بين الفريقين .

وأخيرا .. ((وفى نهاية المطاف)) يختم المؤلف كتـابه بكلمة تحت هذا العنـوان يذكر فيها أن عالم الدنيا وعالم الآخـرة كما اتضح من الكتـاب ليسا منفصلين وليست بينهما الشقة المقصورة فى كثير من الاذهان ، اذ أن كثـيرا من مشـاهد الحشر والقيامة تبدو وكأنها تبـدأ فى الدنيا وتنتهى فى الآخرة .

فعـلى كل انسـان أن يعى وضـعه الطبيعى فى هذه الحياة ورحلته بعدها ويبنى لنفسه خير الدنيا والآخرة،وليبتغ الانسان دنياه ابتغاء مرضاة ربه فى كل سلوك يسلكه او عمل يؤديه حتى يفوز بسعادة الدارين .

وهكذا ينتهى المؤلف من كتابه وبالرغم مما فيه من كثرة التفصيلات والفصول التى يلهث بينها القارىء ما ان يكاد يبدأ فى أحدها حتى يفاجأ بغيره بحيث يمكن الاستغناء عن بعضها على الاقل ، فمثـلا يجعل الجنة وأهلهـا ، وكذلك النـار وأهلها فى فصلين بدلا من أربعة فصول ، تجنبا لكثـرة التقسيمات المملة الا أن الكتاب مع ذلك كتاب قيم شامل استطاع مؤلفه فيه على مدى ثلاثمائة وخمسـ عشرة صحيفة بالقطـع الكبير بأسلوب رائق ومنهج منظم أن يتناول كثيرا مـن المغيبات فى الاسلام تلك المغيبات التـي يحظر الاقتراب منها فى كثير من الاديان مثبتا بذلك أنه لا سرية فى الاسـلام ولا كهنوت بل المعرفة للجميع ومن اجل الجميع .

وشكرا للمؤلف والى المزيد بتوفيق من الله .



بطولة وإيمان

تمثيلية : بقلم
حسان المجذوب
المدينة المنورة

الفصل الاول

المكان : مرتفـع من الارض يطل على سهول تتخللها البيوت والبساتين .
الزمن : ما بين العصر والمغرب .
الاشـخاص : شـيخ جاوز العقد الخامس ، واطفال ثلاثـة ، اكبرهـم لا يتجاوز الرابعة عشرة .

الشيخ : (يطل بحـزن والـم على السـهول الخضـراء متكئا على عصـا بيمينه وعلى طفله بشماله) : يا فلسطين الحبيبة ، أيتها السهول الجميلة والخمائل الخضراء ، انا على فراقك لمحزونون ، لو أن لنا الخيـار ما تركناك .. كم اعطونى ثمنا لك فلم ارض .. ولو أنهم جعلوا لي جبلا من ذهب ثمنا لك مـا رضيت ، ولكنني اخرجت مكرها ، بعد ان عجزت يدى عن حمل السـلاح ، وأرغمت على فـراقك .. وفى القلـب جروح لا يشفيها سـوى العـودة الى معانقة ثراك ، والتنعم بظلالك (ويلتفت قائلا ومشيراً بعصاه) : أى بنى .. هذه أرضكم وأرض أبيكـم وأجدادكـم .. انظروا الى الدار امام تلك الشـجرة العظيمة ، انه بيتكم الذى بنيته بيدى .

فريد : ولماذا تركته يا أبى وأتيت بنا الى هذا الكوخ الصغير .. نكاد نموت فيه من البرد فى الشتاء ، ويشوينا الحر فى الصيف ..

الشيخ : (ينظـر الى فريد متنهدا متابعا كلامه) : وذلك البستان الواسع تحت كل حفنة منه تاريخ يشـهد لنا ولآبائنا بالدأب فيه ... انه بسـتانكم الذى فيه ولد أبوكم .. فيـه من كـل الثمرات تفاح ومشمش وعنب ولوز ..

غياث : (يقاطعه) : ولماذا أتيت بنا الى تلك الرمال الحارة نكاد لا نتذوق من هذه الثمار الا ما يجود به علينا المحسنون .

الشيخ (متنهدا ومتابعا) : وهذا النهر الصغير .. انه يجرى فى اراضيكم ولكن ..

وائل : يا أبت ــ اذن ــ لم نحن فى هذا التعب المتواصل .. ولنا كل هذا النعيم والجنان والمياه ؟ ! .

الشيخ : هذه الاسلاك الشائكة تفصل بيننا .. لقد كنا نملك هذا كله ، ولكن اليهود والخيانة والاستعمار تعاونوا معا فاخرجونا بعد ان دافعنا عنها ونفد السلاح ..

غياث : ألم يعاونكم اخواننا العرب فى بقية البلاد العربية ..

الشيخ : نعم يا بنى .. لقد خضنا المعركة وكان النصر لنا بالرغم من كثرة سلاح العدو وقلة السلاح بأيدينا ، وقد كدنا نلقى هؤلاء المغتصبين فى البحر لولا ... لولا ..

غياث : لولا ماذا ...

الشيخ : لولا .. معاونة الاستعمار بالسلاح والرجال لليهود .. وبعض من غرهم اليهود بالمال فخانوا بلادهم ، وباعوا أراضيهم لليهود ، ثم تركوها لقمة سائغة فى افواه المجرمين .. وها نحن اولا ندفع ثمن خيانتهم .

غياث : صدق الله العظيم : (واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة واعلموا ان الله شديد العقاب) .

فريد : يا ابى .. اعطونا سلاحا حتى ندخل بلادنا فنحرر وطننا ونعود الى أراضينا ...

الشيخ : نعم يا بنى ... ولكن لم يحن الوقت بعد .. غدا تصبحون شبابا .. وستحملون السلاح مع الشباب ، فتحرروا وطنكم ، وتعودوا الى اراضيكم .. ومن اجل هذا اتيت بكم الى هنا لتعرفوا بلادكم ، فلعل ساعات عصيبة تحول بيني وبينكم ... فهذه اراضيكم (ويخرج اوراقا من جيبه) وهذه مستنداتها .. وانه ليسرني ان تنالوا احدى الحسنين ، اما الموت فى سبيل الله او النصر .. وكل منهما شرف لكم . وتشاركوا اخوانكم الفدائيين ..

غياث : يا ابت .. نسمع ان الفدائيين يدخلون اراضى العدو فيذبحونه ، ويفجرون ثكناته فأين هم .. حتى نذهب اليهم ؟ ..

الشيخ : انظروا الى قمة الجبل ... على يمينها قليلا ثلاث اشجار منفردة ..

الثلاثة : نعم ! ... هذه ...

الشيخ : فى أسفلها غار عميق كبير .. انه المكان الذى تنطلق منه عصابات الفدائيين ، فتحرم اليهود النوم .... وتجعلهم فى خوف دائم . وعلى ايديهم ستعود فلسطين الى اهلها ان شاء الله .

الثلاثة : سنصبر يا أبانا على ما نحن عليه ... ونستعد ، حتى نصبح شبابا ... فنشارك اخواننا فى تحرير بلادنا والعودة الى أرضنا ...

الشيخ : ان شاء الله .. واياكم .. اياكم ان تذكروا مكان الفدائيين لاحد .. فينقطع كل امل فى تحرير بلادنا .

الثلاثة : كلا ... كلا ...

الفصل الثانى

المكان : غرفة تحقيق لقائد يهودى ..

الاشخاص : قائد وجنوده يهود ... والشيخ وأطفاله الثلاثة .

(الشيخ يجره ثلاثة جنود من اليهود .. وآخرون بأيديهم السلاح .. وقد

بطولة
وايمان



ذهب غطاء رأسه وأنفاسه تترى يتبعها الانين) .

القائد اليهودى : أين أمكنة الفدائيين ... ؟

الشيخ : (بصوت خافت) : اللهم ان لم يكن بك علي غضب فلا أبالي .. (يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وانتم تعلمون) .

القائد : عليكم به ...

الشيخ : الله المستعان على ما تصفون .. يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ...

(الجنود اليهود بكعوب بنادقهم يضربونه ... وبعضهم ينهال عليه بحزام جلدى) .

القائد : (يضرب الشيخ بقدمه) قل أين امكنة الفدائيين (يشير لاحد الجنود الى سلك كهربائي) (الجندى يتناول السلك ويضعه على يدى الشيخ) .

الشيخ ينتفض من قوة الكهرباء ، ويصرخ بأعلى صوته .. والجنود مستمرون فى ضربه) : صبرا آل ياسر ، ان موعدكم الجنة . (واطفاله الثلاثة متكئون على جدار الغرفة يبكون ، وأحد الجنود واضعا بندقيته بوجوههم) .

القائد : آه ... لن يعترف ... اين امكنة الفدائيين ... ؟

الشيخ أ لا .. لا أعرف ... لا اعرف ...

القائد : لا أعرف لا أعرف ؟ ؟ ؟ .. (يقطع الغرفة ذهابا وايابا ... يضرب كفا بكف ...) . لقد منع الفدائيون عنا النوم .. لقد جعلونا فى نفير دائم .. آه أين امكنة الفدائيين ... ؟ ؟

(يجلس القائد خلف مكتبه ويأمر بايقاف التعذيب عن الشيخ ، ينفث دخان سيجارته بقوة .. ويضرب مكتبه بقبضة يده .. ثم يهدأ .... ويشير الى جنوده بالخروج من الغرفة . فيجرى الاطفال نحو ابيهم ، ويعانقونه ويقبلونه والدموع تسيل على وجوههم) .

الاطفال : أبى .. أبى .. قل لهم ... قل لهم ...

القائد : (يقوم عن مكتبه باتجاه الشيخ بينما الاطفال حين يرونه قادما يحضنون أباهم بأيديهم) .

القائد : بلطف ولين وصوت هادىء يا شيخ .. ارحم اطفالك .. وارحم نفسك أن الفدائيين يعتدون علينا وينهبوننا ... فأرح ... واسترح ...

الشيخ : (بصوت منخنق) حسبي الله . لا اله الا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم .

القائد : قل لنا يا شيخ رحمة بك ... اين مكان الفدائيين ولك منا ان نعيد لك ارضك وبيتك ونعطيك من المال ما تكون فيه أغنى العرب ، فتعلم اولادك فى ارقى المعاهد والجامعات .. فتنسى كل اسى مر بك .

غياث : البيت ... البستان ....

فريد : النهر الجميل ... ؟

وائل : تعليم ... مال ... ثياب جميلة مثل اولاد الامير ... ؟

الثلاثة : قل .. يا أبى .. قل له يا أبى ...

القائد : انك بذلك ستدخل السرور على قلوب ابنائك ... وسيتمتع ابناؤك بالبساتين الجميلة .. وبالنهر الجميل بالعلم .. بالمال ... قل يا شيخ ..

الثلاثة : نحن نقول لكم .. (يهمسون بذلك فى اذن والدهم سرا) .

الشيخ : (ينهض بثقل عن الارض وينظر الى اطفاله بخوف ودهشة)

سأقول ... سأقول لكم .. أين امكنة الفدائيين .

القائد : عظيم ونحن على العهد .

الشيخ : ولكن ... ولكن ...

القائد : ولكن ماذا ... ؟) ويرفع القائد الشيخ على الكرسي،وينفض ثيابه، ويطلب كأسا من الماء ، يبل منديله به ويمسح الدم عن فم الشيخ ووجهه) .

القائد : ولكن ماذا ياشيخ ؟ .

الاطفال : قل يا بابا . أو نحن نقول لهم .

الشيخ : سأقول لكم ، ولكن أشترط عليكم شرطا واحدا ..

القائد : اشترط ما تشاء ...

الشيخ : (هامسا) : أخرج الاطفال من الغرفة (ويأمر القائد أحد الجنود فيخرجهم) .

القائد : نعم ما هو الشرط ؟ .

الشيخ : اننا نحن العرب والمسلمين اعظم شيء نفتخر به ونرفع به رؤوسنا الأمانة والشرف .. فسأقول لكم ، ولكن عندما يكبر اولادى فسينتبهون الى ان اباهم كان خائنا ومجرما ، فألعن فى قبرى ومع ذلك فقد أصبحت لا أتحمل العذاب ، واريد ان اقضى بقية حياتي فى دعة وهدوء وأمان ...

القائد : هذا حق ... فما تريدنا .. وما تشترط ؟ .

الشيخ : اريد ان اتخلص من اولادى





.. فتقتلوهم امامي واحدا .. واحدا .. وبذلك اكون امينا على نفسي من العار .. ولا يكون هناك من يعيرني فى المستقبل .

القائد : ولكنهم أولادك .

الشيخ : نعم أولادى .. ولكن هو الشرط .. وأمامى .. وعليكم ان تؤتوني موثقا على كل ذلك ..

القائد : موافق ..

(وينادى القائد اليهودى بعض جنوده ، فيدخلونهم فيستل القائد مسدسه ويفرغ ثلاث رصاصات فى رأس كل منهم ، وقد وضع ابوهم كفيه على وجهه ، ثم يسقط على الارض غائبا عن وعيه) .

الفصل الثالث

(ويأمر القائد الجنود ليخرجوا جثث الاطفال الصرعى .. ويأمر بأجلاس الشيخ واعادته الى وعيه ، فينتبه وهو يتمتم بآى من القرآن ، ويطلب له كأسا من الشاى ...)

القائد : الآن سيقول لنا أين أمكنة الفدائيين .. سننام بملء اعيننا .. وسترفع رتبتي ...

الجندى : تفضل يا شيخ .. الشاى .. تفضل يا شيخ .. تفضل ..

(والشيخ جالس مطرق برأسه متكئا على عصاه مغمضا عينيه ، وحين يرى القائد ذلك يتناول كأس الشاى بنفسه ليقدمه الى الشيخ ؟ .

القائد : تفضل يا شيخ .. الشاى .. أشرب .. أذهب الهم عن نفسك .. غدا تنسى كل هم .. تفضل يا شيخ نحن على العهد ...

الشيخ : (يرفع رأسه ببطء ناظرا فى عمق الى القائد ، وفجأة يضرب كأس الشاى فى وجه القائد ... وينتفض واقفا بأعلى صوته وأنا على العهد .. العهد الذى قطعته ... لا .. لن أقول ان الامانة اغلى من ان تباع بالاموال .. والشرف أثمن من كل متاع ... والدنيا ظل زائل وعرض حائل ... لا . لن أقول .. لقد طلبت منكم أن تقتلوا اطفالى الذين هم أحب الناس الي ، لانهم يعرفون أمكنة الفدائيين .. اما الآن فلا يعرف الا الله وأنا ، والموت اسمى امنياتي .. ؟

(القائد يتقاطر الشاى من وجهه ، والجنود واقفون بذهول ..)

الشيخ : (مستمرا) لا .. لن أعترف ... ان الاسلام الذى حرر فلسطين من الصليبيين ، كفيل بتحريرها ثانية من اللصوص .. أقتلوا .. اذبحوا .. افعلوا ما شئتم بى .. اما هذا القلب الذى آمن بالله ربا ، وبالجهاد بابا من ابواب الجنة . فلن تصلوا اليه ؟ .

القائد : (بصوت جنونى وكأنه استيقظ من حلم) آقتلوه ... اصلبوه ... اذبحوه .. انه يكفى أن يكون بين العرب والمسلمين واحد مثل هذا حتى يحرروا فلسطين ... ويلقوا بنا الى البحر ... رصاص . نار .. (وتتجه أفواه البنادق باتجاه الشيخ برشات من الرصاص) .

الشيخ : (يسقط على الارض .. ومع انفاسه الاخيرة ..) لنا الجنة ولكم النار .. ونرجو من الله ما لا ترجون .. الحمد لله الذى قبلني شهيدا .. وأرجو من الله ان يجمعني مع ابنائي فى مستقر رحمته ...

صوت المقرىء من بعيد : « من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا » .

(الستار)

الاجابـــة :

المقرر فقها عند المالكية كما ورد فى الشرح الكبير وحاشية الدسوقي فى باب الهبة .

« للأب اعتصار الهبة (الرجوع) من ولـده ذكرا أو أنثى صغيرا أو كبيرا غنيا أو فقيرا ولو حازها الابن . وكذا الام لها الاعتصار لما وهبته لولدها اذا كان صغيرا ذا أب ، أما لو وهبت كبيرا فلها حـــق الاعتصار ـ مطلقا ـ وحاصل فقه المسألة ان الأم اذا وهبت لولدها فان كان وقت الهبة كبيرا ، كان لها الاعتصار سواء كان للولد أب وقت الهبة أم لا وان كان الولد وقت الهبة صغيرا كان لها الاعتصار ان كان له أب وقت الهبة سواء كان ذلك الاب عاقلا ، أو مجنونا موسرا او معسرا فان تيتم الولد الصغير بعد الهبة فهل لها الاعتصار نظرا الى أنه وقت الهبة غير يتيم أو ليس لها الاعتصار نظرا ليتمه حال الاعتصار ؟ قولان . وان كان الولد الصغير حين الهبة لا أب له فليس لها الاعتصار قولا واحدا ولو بعد بلوغـه .

والمقرر عند الاحناف ـ أنه يصح للواهب أن يرجع فى هبته بعد أن يقبضها الموهوب له . وان كان الرجوع فى الهبة مكروها تحريما على الراجع ما لم يكن الموهوب قريبا . فاذا وهب لابيه أو ابنه أو أخيه أو عمه أو غير ذلك من محارمه بالنسب فان حقه فى الرجوع يسقط ، اما اذا وهب لمحارمه من الرضاع أو المصاهرة فان له حق الرجوع كالغرباء (ج ٣ فقه المذاهب الاربعة) . ملخصا .

والمقرر عند الشافعية أن الهبة تلزم ولا يصح الرجوع فيها الا للاب والجد وان علا ، وكذلك الام والجدة وان علت فللوالد أبا أو أما ان يرجع فى هبته على ولده سواء كان ذكرا أم أنثى صغيرا أم كبيرا .

والمقرر عند الحنابلة أن للواهب الرجوع فى هبته قبل القبض لأن عقد الهبة لا يتم الا به ، أمـا بعد القبض فلا حق للواهب فى الرجوع الا اذا كان أبا أو أما (المراد به الأب المباشر) .

فاذا فضل الأب أحد أبنائه بهبة فان الرجوع يكون واجبا اذا كانت الهبة من غير اذن الباقى من أولاده لأن التسوية بين الابناء بحسب حقوقهم الشرعية واجبة على الاب والام .

وحيث أن هذه المـــرأة وهبت لأحد الولدين الصـــغيرين فى حياة أبيـــه ووهبت للثاني بعد وفاتـــه فيجوز لها الرجوع بالنسبة لمن وهبت له فى حياة أبيه على قول فى مذهب الامام مالك وعلى رأى الشافعي وابن حنبل وأما بالنسبة للولد الثاني فليس لها حق الرجوع بلا خلاف فى مذهب مالك . كما أنه لا يجوز لها الرجوع مطلقا فى مذهب الاحناف لان من موانع الرجوع القرابة . ولكن على مذهب الشافعية والحنابلة يجـــوز .

لذلك نفتيك أنه اعتمادا على مذهب الشافعية والحنابلة وقول فى مــذهب الامام مالك يحـــق لـــك (الواهبة) الرجوع فى هبتيك للولدين الاول والثاني.

فى الميراث

السؤال : ـ

تقدمت السيدة / ع . ن مـــن الكويت بالسؤال الآتي

أولا توفى والدى عن أولاده الستة ثلاثة ذكور وثلاث اناث وأخ شقيق .

ثانيا ثم توفى الأخ الشقيق (عمي) عن أخ وأخت من أم وأولاد الأخ الشقيق الستة (الموجودين بالســـؤال الاول) وليـــس له أقارب سوى ذلك . فكيف توزع التركة ؟

الاجابة : ـ

أولا بوفاة المتوفى الاول عــن أولاده الستة والاخ الشقيق توزع تركته بين أولاده فقط للذكر مثل حظ الانثيين ولا شى للاخ الشقيق لحجبه بالابناء الذكور .

ثانيا وبوفاة المتوفى الثانى توزع تركته على الوجه الآتي ـ

للاخوين للام ثلث التركة بالتساوى بينهما فرضا والباقى لاولاد أخيه الذكور فقط بالتســـاوى بينهم تعصيبا ولا شيء لبنـــات الأخ مطلقا لانهن لسن مـــن العصبات ولا من أصحاب الفروض ولا يعصبهن وجود أخوة لهن لان ابن الاخ لا يعصب أخته .

قالت صحف العالم

وقد أقامت جامعة الازهر حفل تكريم للبطل العالمي المسلم محمد علي كلاى ، وألقى الدكتور حسن جاد الأستاذ المساعد بكلية اللغة العربية بجامعة الأزهر القصيدة الآتية تكريما له . وهي قصيدة رائعة حقا لا نملك الا أن ننقلها لك بتمامها عن صحيفة الجمهورية القاهرية .

بنت الكنانى العتيق توسمي ... وتفرسي وجه الكمى المعلم
يا كعبة الاسلام شاقك مسلم ... بطل على طول المدى لم يهزم
أعرفته ؟ هذا ((كلاي)) فعانقى ... فيه اعتزاز المسلمين وسلمى
اهلا ((محمد)) بين شعب هاتف ... لك بالقلوب محبة قبل الفم
قدر البطولة فى الرياضة بعد ما ... عرف البطولة فى الرئيس الملهم
يلتف حولك فى النزال مشاعرا ... تطوى الأثير على القلوب الحوم
راعت بطولتك الشعوب وتوجت ... بالفخر هامة كل شعب مسلم
فى الشرق والغرب استطار دويها ... وطوى الجواء فهز سمع الانجم
قل لي بربك . أى بأس تحتوى ؟ ... ولأى جنس فى الضراغم تنتمى ؟
وبأى ظفر فى الفريسة ناشب ... تصمى فلا يرتد الا بالدم ؟
ما سر قوتك التي تعيى القوى : ... فى الساعد المفتول أم فى المعصم ؟
قدت من الفولاذ قبضتك التي ... ترمي بها الخصم العنيد فيرتمي
تنقض صاعقة : وآنا عاصفا ... يلوى ، وتلبد تارة كالضيغم
خيبت آمال الملوك وظنهم ... فيمن يلوذ بعرشهم أو يحتمي
وصرعت أبطال الصدام ففودروا ... بين الحقود عليك والمستسلم
لاذوا بمخلوق ، ولذت بخالق ... شتان بين محقق ومرجم
من غره جاه الملوك وزيفه ... فالله جاه المسلم المستعصم



يا قاهر الابطال حسبك عصمة ... ثقة بربك والنبى الاكرم
من كان يجمع بين قوة روحه ... والجسم أقدم وأثقا لم يحجم
اطلقت بالاسلام صيحة مؤمن ... فى معشر صم المسامع نوم
وحملت مشعله فشع ضياؤه ... فى عالم خرب العقائد مظلم
دين المساواة الذى لم يعترف ... بالعنصرية فى لظاها المضرم
السود مثل البيض ، كل اخوة ... فى الحق ، والعربى مثل الأعجمى
متكافئون فلا تباين بينهم ... باللون فيه ، ولا تفاضل بالدم
دين السلام الحق غير ملثم ... كم من سلام يدعون ملثم
قتلوه أطماعا واعجب قاتل ... باك على مقتوله فى المأتم
اصدع بدينك يا محمد بينهم ... وأبن حقيقته لمن لم يفهم
اقنع بمنطقه القويم ، فمن أبى ... صلفا فاقنعه بكفك والكم
من ليس تقنعه الحقيقة منطقا ... فالبأس أفصح فى المقال من الفم

مــرحى فتى الاســـــلام حَقّق بأســـــمه
نصـــــرا حليفـــــك دائمـــا ، وتَقَـدم

حيتـــك جامعـــة نماهـــا منجـــب
هـــرم الـــزمان وعزمـــه لـــم يهـــرم

دم ظافـــــرا التكمـات جبـــار الخطـــا
واســحق بهـا شـــوك المكائـد ، واســلم



تحدثث صحيفة « أخبار الكويت » عــن شركات البتــرول وأنخفاض معدل الانتاج فى الكويت فقالت : ــ

الاحصائيات الاخيرة لانتاج النفط فى دول الخليج فى الثلث الاول من هذا العام ، تشــير الى أن هذا الانتاج قد ارتفع بنسبة ٤ر١١ بالمئة الا فى الكويت التي انخفض فيها بنسبة ٤ر٢ عن نسبته فى العــام الفائت ، وهذا الاحصاء تؤيده أخبــــار النشرات والمجلات المهتمة بشؤون البترول فى العالم .

ولا شك أن مثل هذه الاخبار تثير التساؤلات ليس لدى الكويتيين فحسب ، بل فى العالم أجمع ، لان الكويت عرفت بانها دولة البترول ، وأنها تحتل المركز الثاني العالمي ، وهي فى ارتفاع مستمر فى هذا الانتاج بشكل لا مثيل له .

أما نحن فلا نستغرب الامر ابدا ، بل كنا نتوقع ذلك ، لأن مــن عادة الشركات الاحتكاريــة أن تكون جشعة للغاية ، وأن تمارس شتى الاساليب الملتوية ، والضغوط للوصول الى مآربها ، على حســاب غبن الاخرين ، وبخسهم حقهم .

رسالة المربى

تحت هذا العنوان كتبت مجلة « هدى الاسلام » الاردنية مقالا نقتطف منه :

(ان المعلم هو الجسر الذى تعبر عليه الاجيال الى ميدان الحياة ، والرجل المجرب الذى يعد تلاميذه ليكونوا رجالا متفاعلين مع الحياة ، قادرين على تسخير مرافقها لنفع الانسانية ، وترقية الاجتماع ، فمن واجبه نحو تلاميذه تهذيب أخلاقهم ، وتثقيف عقولهم ، وبناء أجسامهم ، وتعليمهم ما يحتاجونه من أمور الدين والدنيا ، وتنشئتهم على حب الدين والوطن فهو بهذا يحمل أعظم رسالة : ويقوم بأفدح عبء ، وكأني بالشاعر قد عناه بقوله :

قـــد رشـــحوك لأمــر لــو علمـــت بـــه
فـاربأ بنفســـك أن تــرعــى مــع الهمــل

وهذه الرسالة محفوفة بالمشاق ، لا يؤديها الا من طبع على حبها ، وتأهل لها فمنحها اخلاصه وموهبته بل عاش ، ومات فى سبيلها ..

بين المادية والمثالية

وتحت هذا العنوان كتبت مجلة البعث الاسلامي بالهند مقالا جاء فيه :

ان روح البطولة العربية تستيقظ اليوم من جديد فى كل واحد من أبناء هذه الامة ، وليس قادة الثورات التحريرية الا معبرين عنها عازفين على قيثارتها نغمات الحرية والسيادة .

وان الذين حققوا النصر والمجد والعزة فى العالم لامتهم العربية فى الغابر لم يكونوا ملوك الغساسنة ولا ملوك المناذرة ، ولكنهم كانوا أولئك الذين لم يكن يعرفهم أو يسمع بهم أحد من الناس من قبل ، ان الرسول العظيم ، اليتيم الفقير ، وأتباعه وأصحابه من أبناء الصحراء والبلد الحرام هم الذين جلبوا السعادة للعالم : وأكسبوا العرب شرف الدفاع عن المظلومين والمحرومين وحماية الحقوق ورد المظالم وتحرير البشرية ، فكان للعرب المنزلة العظمى عند الله والذكر الخالد فى التاريخ .

وان المعارك اليوم امامنا لنرد عدوان المعتدين أيا كانوا أرضاء لله وتحقيقا لشرائعه كلها ، وتصديقا لحقيقتنا ودفاعا عن انفسنا ، وعن تراث الانسانية الذى نحن حماته وحراسه ، أما الاستعمار وأجراؤه وعملاء الصهيونية فهم ناهبو كنــزه ومخربو بنائــه وصرحه .

بأقلام القراء

« يعبرون عن أفكارهم دون أن تلتزم المجلة بآرائهم »

شبابنا والتربية الاسلامية

تشيع فى الاوساط التعلمية كلمة التربية الحديثةكوسيلة فضلى ووحيدة لتكوين جيل قوى ناهض ،وقد أرسل الينا السيد / عبد المنعم ابراهيم من نوساالغيط دقهلية ج .ع. م، كلمة تحت هذا العنوان جاء فيها : ـ

ان الاسلام دين اجتماعي يؤمن بالفرد والمجتمع ،ولم ينعزل عن الحياة والناس ، بل كان مرشدا وموجها للافراد والجماعات ، ووضع الحلول للمشاكل التىتقف فى طريق أبنائه كى يعيشوا حياة هانئة سعيدة شعارها الود والمحبة ، والتربية الاسلامية هي خير زاد للشباب العربي ، وهى تقوم على أسس من الاخلاق الطيبة والصفات الحميدة التى يبثها الاسلام فىأبنائه،وربما يظن البعض أن التربية الاسلامية لا تهتم الا بالاخلاق فقط ، ولكنها تؤمن أيضا بالتربية الجسميةففى قوة الجسم تربية للمدارك وبث للنشاط وزيادة فى الروح المعنوية وكسب للاخلاص والصفاتالحميدة ، يقولون .. لقد وجدوا طرقا حديثة للتربية ولكن التربية الاسلامية كانت موجودة بمبادئها وطرقها من قبل ذلك بمئات السنين ، فالاسلام نادى بالتربية الاستقلالية والاعتماد على النفس وبالحريةوالمشورة ، ونادى بمراعاة الفروق الفردية بينالاطفال وبملاحظة الميول والاستعدادات ، ونادى بمخاطبة الناس على قدر عقولهم كما نادى مع ذلك بحسن الخلق لانه الاساس الاولفى عملية التربية الصحيحة . وللاسرة دور كبير فى تربية الابناء التربية الاسلامية الصحيحة : فالأب والام يقومان بدور كبير فى ميدانالارشاد والتوجيه ، وبث الاخلاق الحميدة التى تحميهم من الانحراف .

ومدارسنا كذلك يجب أن تهتم بالدين اهتماماأكبر حتى يجد فيها الابناء ضالتهم من الثقافةالدينية والتوجيه ، بل ويزودون بزاد من الايمان والحبوالاخلاص يحفظهم من الانحراف .

ان باستطاعة المدرس ان يقوم بما يفشل الآباء فىتحقيقة ، فهو يستطيع أن يفتح أبواب الامل أمام تلميذه ، ويوقظ فيه المواهب الكامنة عنده ويوحىاليه كثيرا من الاخلاق الفاضلة كالصدق فى القول ، ويضع أمامه سيرة أبطال التاريخ كقدوة طيبة له .

وفى النهاية أضع أمام شبابنا ما فعله اخوانهم فى صدر الاسلام من تضحيات وكفاح وجهاد ومثابرة فاستطاعوا بايمانهم أن يرفعوا الراية الاسلامية عاليةخفاقة فى كل مكان ، وأن ينشروا تعاليم الاسلام هنا وهناك .

الفكرة الاسلامية

قد تشمل الحيرة بعض المخلصين للفكرة الاسلاميةلما يرون عند بعض المسلمين من ضروب السلوك التى تخالف هذه الفكرة على وضوحها وأصالة جوهرها ،والاستاذ أحمد محمد مصطفى السفارينى ـ ستوديو آسيا ـ نابلس الاردن ـ يكشف عن هذه الحيرة ويلقى ضوءا على بعض عوامل التفشية على الفكرة الاسلامية فى رسالة بالعنوان المذكور نقتطف منها ما يلى .

ربما لم يعش المسلمون فترة أحرج من هـذه اللحظات التى يعيشونها الان . ولم يمر عليهم قرن أعظم خطرا من القرن العشرين ، ولم تجابههم تجربة مصيرية كتلك التجربة التى ما زالت نهايتها مجهولة العواقب تتأرجح بين اليأس والرجاء او بين الهبوط والارتفاع . فالاسلام وهو دين المسلمين الذى يحيون به ، ويقيمون شئون حياتهم عليه ، ويدخرون ارواحهم من أجله ، هذا الاسلام يتعرض منذ بداية هذا القرن العشرين الى أعنف واخبث هجوم عرفه التاريخ .ولا تظنن أن الخطر آت من كون الاسلام ضعيفا ، أو من عجزه عن صد مثل هذه الهجمات ، كلا ، ففى الاسلام قدرة غير محدودة على ممارسة الحياة وفضح كل مؤامرة مهما كانت خفية : ولديه القوة الخارقة على مجابهة اى خطر محتمل أو واقع ، وخوض غمار أية حرب فعلية أو وقائية ، عسكرية أو فكرية والخروج منها كعادته منتصرا ظافرا . ومن أصدق من الله قـولا وشهادة ونصرا اذ يقـول « انا نحـن نزلنا الـذكر وانا لـه لحافظون »

ولكن الباب الذى انفتح على مصراعيه انما كان لعوامل أثرت على المسلمين فأضعفت فهمهم للاسلام وبالتالى تصميمهم على مواصلة الكفاح والنضال لصد عاديات المعتدين .

أحد هذه العوامل

الفلسفات القديمة التى دخلت بعض أفكارها عن طريق دراستها ، والتأثر بهـا حينما امتد سلطـان المسلمين الى بلاد تلك الامم .

وثانيها .

محاولات الحكام غير العـرب من الاتراك وغيرهـم توضيح وتفسير وفهم الاسلام بغير اللغـة العربية ، فكان ان فصلت الطاقة الهائلة فى اللغة العربية عـن الطاقة الاسلامية .

أما الثالث .

فخضوع المسلمين فترة مـن الزمـن للاستعمار العسكرى الذى اصطحب معـه الاستعمار الثقافـي والاقتصادى والفكرى .

هذه العوامل الثلاثة الرئيسية هى عوامل التفشية على الفكرة الاسلامية ،وهى التى أضعفـت فهـم المسلمين للاسلام ، وأوجدت هذا الانفصام بين الاسلام وسلوك المسلمين .

فواجب المسلمين اذن العمل على ازالة العوائـق بتحطيم عوامل التفشية التـى طرأت على الفكـرة الاسلامية ليسهل تناول الاسلام وفهمه ، ثم ليتمكنوا من مناقشة هذه الافكار التى تزحم مجتمع المسلمين واذهانهم ليتسنى لهم تطبيق أفكار الاسلام والدفاع عنها ، والله عز وجل مع الذيـن اتقوا والذيـن هم محسنون .

شمس النبوة

وبمناسبة الذكرى العطرة لمطلع شمس النبوة فى ربيع الاول أرسل الاستاذ محمد اسماعيل العيسوى المدرس بمدرسة التجارة الثانوية للبنات بالاسكندرية قصيدة تحت هذا العنوان يقول فى مطلعها .

قبس أضـاء المشرقين مـــن الجـزيـرة فى ربيع
قـد شـع فى الصحـراء ايـذانا بميـلاد الشفيع
فأستبشرت تلك الحياة وقد كسا البشر الجميـع
هــذا الذى سيحـرر الدنيـا مـن الظلم الشنيع
ويقيم فيهـا للعـدالة صرحهـا العالى المنيـع
ليعيش انســان الـورى فى منـزل سـام رفيـع
فـاذا الوجــود يعمه بشر ويمـن وبهـــاء
وملائك الرحمن قـــد نـادت وكـررت النـــداء
هـــذا رســول العالمين وخــاتم للانبيـــاء



الأفغاني ومحمد عبده .. والماسونية

جاءتنا رسالة من السيد علي عبد الرحيم كيلاني بالأردن . يعلق فيها على ما نشرناه عن الماسونية فى الأعداد الماضية ، ويعجب من تغلغلها فى تركيا والبلاد الاسلامية ويتساءل هل كان جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده ماسونيين ، وينقل عن كتاب الاتجاهات الوطنية للدكتور محمد محمد حسين نصوصا تؤيد تغلغل الماسونية فى رجالات الشرق ، وأن الافغاني كان مؤسس الماسونية فى مصر .. وأن محمد عبده كان صديقا للانجليز .. الخ .

ونحن نشكر الأستاذ على غيرته ازاء تاريخه العربي ورجاله الأفذاذ . وليس دفاعا عن الثورة العرابية أو رجالها ، ولا عن الافغاني أو محمد عبده انما هو انصاف للحقيقة والتاريخ أن نؤكد ان ما نقلته عن كتاب الاتجاهات الوطنية فى الأدب المعاصر ليس الا وجهة نظر أخذت من زاوية خاصة مع احترامنا التام لصاحبها . فليس صحيحا أن جمال الدين هو مؤسس الماسونية فى مصر كما يقول الدكتور محمد محمد حسين ، كل ما فى الأمر أن السيد لما وصل الى مصر ونفسه مفعمة بالرغبة فى الاصلاح ما استطاع الى ذلك سبيلا ، وجد الحزب الماسوني الاسكتلندى ينتسب اليه فى مصر رجال من علية القوم تحت شعار « حرية . مساواة . اخاء » فتصور أنه لو انضم الى هذا الحزب فسيتوفر له قدر أتم من الحرية لبث آرائه ففعل ، ولكنه لم يكد يخالطهم حتى انكشف له خداع الماسونية ، ونقد الماسونيين بغرورهم وتنازعهم عن الرياسة ورغبتهم فى اغماض عيونهم على ما يقع على الأمة من ظلم ، كما نقدوه بالتهور وكثرة المشاكل ، وانتهت المشاكل بينهم وبينه بانفصاله عن الحزب الماسوني ، وانفصل معه كثير من شباب الأمة وقادتها ممن اشتركوا فى الثورة العرابية ليكون السيد معهم حزبا جديدا ، وقد خدعوا من قبل بما للماسونية من شعارات .

وهكذا نرى أن انضمام السيد ومن معه من تلاميذه للماسونية لم يكن الا تحت تصور سرعان ما تكشف فانشق عنها معلنا محاربتها .

اما أن الشيخ محمد عبده كان صديقا لكرومر أو للانجليز عامة فقد كان من طبعه ـ كما يقول الدكتور أحمد أمين ـ أن يهادنهم أحيانا أو يصادقهم حتى ينفذ الى غرضه وتلك سياسة ، والا فقد كانت للأستاذ الامام مواقف عديدة خالدة فى كفاحه للاستعمار والاستعمار الانجليزي على وجه الخصوص .

اما ما جاء فى خطابك من أن أكثر دعاة الحرية كانوا متأثرين بالثورة الفرنسية ، وأنهم كانوا يدعون الى نفس شعار هذه الثورة من الحرية والاخاء والمساواة ، فذلك ليس على اطلاقه فان كثيرا من دعاة الحرية فى مصر وخاصة الاستاذ الامام وأستاذه السيد جمال الدين لم يكونوا يعتمدون فى كفاحهم على غير الدين الاسلامي ومبادئه التي تجعل فى مقدمتها الحرية والاخاء والمساواة من قبل أن تظهر الثورة الفرنسية .

ويقينا أن غضبة الشعب العربي فى مصر ابان الثورة العرابية لم يكن الا بتأثير من دينهم الاسلامي الذى أثاره فى نفوسهم هؤلاء القادة والدعاة .

حساسية

وهذه رسالة من ع . م المنيل ج.ع..م يقول فيهاانه مسرور من دعوة المجلة الى أن تتصون المرأة فى ملابسها ولا تغالى فى التقليد ، ولكنه يأخذ علينا أنصورة الغلاف ـ عدد صفر ـ فيها « فتاة قد ظهر جزء من رجليها وشعر رأسها » .

ونحن مع شكرنا للسيد الفاضل غيرته نقول : انصورة الفتاة التى يتحدث عنها انما هى لبنت صغيرة فى ركن من الصورة ـ اثناء تصوير المسجد ـ مع طفلين ، ولم يبد منها الا شعرها من الخلف وهذا لم يمكن التحرز منه .

على كل حال شكرا لك على هذه الحساسية التينرجو ان تؤتى ثمرتها فى المحيط الذى تعيش فيه .

والمسئولية مشتركة

وهـذا الأخ حسام الديـن بهى الديـن بدسوقج.ع.م يبعث الينا برسالة فى الموضوع نفسه يقول فيها ، ماذا يفعل أو يفعل غيره اذا ذهب الى أحـدالنوادى وتصادف أن جلس فى مقابلة فتاة منهن ، ويقول صدقوني ان الشباب مظلوم مع الجنس الآخر . مساكين نحن الشباب .

ونحن نقول ان المسألة فى هذه الحالة سهلة الحلفقم الى مكان آخر ، ولكـن المشكلة هى أن هـذه المظاهر أصبحت عامة ، وشبه عادية عند المرأة وزوجهاأو أبيها ، وهو ما يؤسف له حقا ، وقد طالبنا باشراك المرأة والرجل فى المسئولية كما يريد السيد حسامحين قلنا :

« لماذا يعاقب القانون حقيقة هؤلاء الشباب ولا نفكر فى صاحبات العرض المغرى لمفاتنهن ؟ أليس مثل هذا العرض دعوة عملية لاثارة الشباب ، والبادى أظلم ؟ ولماذا لا يحفظ شبابنا من هذه الاثارة ثم نحاسبه بعد ذلك ؟ » .

فلعل الجميع يستجيبون ويؤثرون رضا الله على « المودات » والمظاهر الكاذبة ..

ردود سريعـة

السيد م.ل الكويت

الحمد لله الذى وفقك للاقلاع عن هذه العادة ، والتوبة عن نزوات الشباب ، أما أن الله يقبل توبتك فذلك ما نرجوه معك اذا أخلصت فى هذه التوبة ، وعزمت على ألا تعود لشيء مما كنت تفعل « قل يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفور الرحيم » .

ونرجو لك من الله الثبات والتوفيق .

السيد عبد الفتاح محمد فتح الله ــ القاهرة

صحة الشطرة كما وردت فى المجلة (منورة كالبدر شماء كالسها) بالهاء والمعنى أن هذه الجبهة التي تعنو لله سبحانه انما هي جبهة كالبدر تضىء بتعاليم الحق والخير والجمال ، وهي عالية كالسها أعلى نجم فى السماء ، ولكنها تخفض عند الحق وفى مقام السجود لله ، وبقية القصيدة فى الشوقيات .

اما شكواك عـن الحج والحجيج فتوجه بها للمختصين ، وان بعثت بها فسننظر فى نشرها ان كانت صالحة للنشر .

الأخ موسى عبد الله علي ــ صور . لبنان .

شكرا لك على عواطفك ويمكنك الاتصال بالشركة العربية للتوزيع فى بيروت والاشتراك عن طريقها .

اخبار العالم الإسلامي

(الكويت)

* قام سمو الأمير المعظم بزيارة رسمية للبنان الشقيق ، أستغرقت أربعة أيام ابتداء من ١٩٦٦/٦/٢٥، وقد صرح سموه عقب انتهاء زيارته الرسمية للبنان قائلا بأن زيارتي أكدت الروابط الراسخة والصلات الوثيقة النابعة من مشاعر المودة والاخاء بين البلدين والشعبين الشقيقين . وقد تبرع سموه للهيآت الخيرية بمبلغ ٥٠٠ الف لــيرة .

* تقدم لامتحان الشهادة الثانوية العامة هذا العام (١٣٥٣) طالبا وطالبة نجح منهم (٩٧٢) وكانت نسبة النجاح : فى القسم الأدبى ٨١٪ بنين و ٨٠٪ بنات وفى القسم العلمي ٧١و٢٪ بنين و ٧٦و٦٪ بنات .

* بدأت جامعة الكويت الجديدة استعداداتها لتسجيل الطلبة والطالبات الذين تدفقوا على الجامعة بشكل منقطع النظير .

وقد انتدبت الحكومة الكويتية الدكتور عبد الفتاح اسماعيل وكيل التعليم العالي فى الجمهورية العربية المتحدة ليكون مستشارا للتعليم الجامعي ، كما تم اسناد مهام أمانة الجامعة الى الأستاذ أنور النورى . وستضم الجامعة هذا العام كليتين . للعلوم ، والآداب ، وكلية خاصة للبنات .

* عقد مجلس الأمة جلسته الختامية فى صباح يوم السبت الموافق ١٩٦٦/٧/٢ م .

* وجهت الحكومة التونسية الدعوة الى وزارة التربية لايفاد خمسين طالبا كويتيا لزيارة الجمهورية التونسية . وقد وافقت وزارة التربية على هذه الدعوة .

القاهرة

* فى أول يوليو بدأت محطة اذاعة القرآن الكريم من القاهرة باذاعة برامجها الجديدة طبقا لخطة تطويرها ، وتذيع من السادسة الى الحادية عشرة قبل الظهر القرآن الكريم فقط ، ومن الثامنة الى الحادية عشرة مساء للبرامج الجديدة . هذا وقد قام السيد أمين هويدى وزير الارشاد باذاعة كلمة افتتاح المحطة .

* خصصت وزارة الأوقاف مبلغ (١٥٥) الف جنيه لتشجيع حفظة القرآن الكريم ، وقامت الوزارة باعداد مسابقات للقراء ، وارسال بعض القارئين الناجحين الى البلاد الاسلامية .

* تقرر بصفة نهائية عقد مؤتمر علماء المسلمين بالقاهرة اعتبارا من يوم ٣٠ سبتمبر القادم . ويرأس المؤتمر فضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الأزهر .

* تم توقيع اتفاق تجارى ثقافى بين القاهرة وتركيا لزيادة التقارب بين البلدين ، ويقضى الاتفاق الثقافي بالاعتراف بالشهادات ، وتبادل الطلاب والأساتذة والخبراء الفنيين ، والاعتراف باللغتين العربية والتركية فى كل منهما ، وفتح مركز فى كلا البلدين لتعليمها .

* استطاع الطبيب العربي الدكتور محمد شريف (٣٨) سنة المدرس فى جامعة الاسكندرية ، من أن يحقق انتصارا عالميا عندما صمم جهازا يمكن الطبيب من اكتشاف السرطان قبل ستة أشهر من ظهور أعراضه . ولذا قررت كلية الجراحين الملكية باستوكهلم اهداءه الزمالة الفخرية تقديرا لاختراعه العظيم .

بغداد

* أحبطت السلطات العراقية يوم الخميس ٣٠ يونيو الماضي محاولة انقلاب فاشلة ، قام بها عميد الجو السابق عارف عبد الرزاق . وقد قبض عليه هو وبعض انصاره ، وذكر الدكتور عبد الرحمن البزاز

رئيس الوزارة العراقية فى مؤتمر صحفي عقده بعد الاطاحة بالانقلاب ان عدد ضحايا الانقلاب الفاشل بلغ ثمانية قتلى و ١٥ جريحا ، وأن التآمر داخلي لا صلة لدولة ما به .

* قام السيد رئيس الوزراء بزيارة ودية لتركيا تلبية لدعوتها لدعم أواصر التفاهم بينهما .

السعودية

* تعد العدة الآن فى السعودية لارسال (٣٠) داعية مسلم لنشر الاسلام فى شتى أنحاء افريقيا من السعوديين وغيرهم بعد ان يتموا دورة تستغرق اربعة اشهر فى اللغة الانجليزية والفرنسية .

* اتفقت الحكومة مع الامم المتحدة على اعتبار مكتب الامم المتحدة فى الرياض مكتبا للجزيرة العربية يشرف على مساعدات الامم المتحدة فى مناطق الخليج العربي ، وتتحمل الحكومة جزءا من نفقاته .

الجزائر

* صدر قانون بالفاء البغاء ، وقرر عقوبة للمرأة الزانية بالسجن سنتين بينما جعل عقوبة الزاني المتزوج سنة واحدة ، كما نص على عقوبة الذين يمارسون الشذوذ الجنسي بالسجن ثلاث سنوات .

* احتفلت الجزائر يوم (٤ يوليو) بذكرى استقلالها .

* سافر وفد رسمي وشعبي فى اوائل يوليو الى دمشق ، برئاسة السيد عبد العزيز بوتفليقة وزير الخارجية لنقل رفات المجاهد الجزائرى الامير عبد القادر الجزائرى الذى توفى بدمشق عام ١٨٨٣ م ، وكان الزعيم الجزائرى قد لجأ الى دمشق بعد أن اشترك فى محاربة الاستعمار فى بلاده ، وقد وصل رفات المجاهد الى العاصمة الجزائرية يوم الاثنين (٤ يوليو) الذى صادف احتفال الجزائر بعيد استقلالها .

الجنوب العربى

* اتفقت حكومات قطر ودبى والشارقة وابو ظبى مع الحكومة السعودية مؤقتا على احلال الريال السعودى محل الروبية الهندية حتى يتم اصدار عملة محلية .

* بات فى حكم المؤكد ان تعلن امارة قطر فى غضون عام من الان دولة مستقلة فى الخليج العربي هذا وقد اتخذت حكومة قطر فى الفترة الاخيرة سلسلة من الاجراءات الهامة لمجابهة العهد الجديد .

تركيا

* ارسلت الحكومة التركية للجامعة العربية موافقتها على فتح مكتب للاعـلام فى انقـرة ، يتمتع بالحصانة الدبلوماسية .

* أعدت الترتيبات اللازمة لافتتاح عدة مدارس للامامة والخطابة فى تركيا .

* تقرر عقد مؤتمر اسلامي فى أنقرة لمناقشة القضايا التي يواجهها المسلمون فى تركيا . أشرف على الدعوة للمؤتمر وزير الدولة التركي .

اندونيسيا

* ذكر المراقبون أن هناك بوادر متزايدة داخل المؤتمر الاستشارى الاندونيسي ، لاصدار قـرار بتجريد الرئيس الأندونيسي أحمد سوكارنو من لقب الرئيس مدى الحياة .

* المؤتمر الاسلامي الآسيوى الافريقي فى جاكرتا قرر اصدار مجلة اسمها « صوت المسلمين » بلغات ثلاث هي اللغة العربية واللغة الاندونيسية واللغة الانجليزية .

* اجتمع المجلس الأعلى للشعب الأندونيسي ، وقرر اسناد السلطة الفعلية للجنرال سوهارتو ، وتناول عهد سوكارنو بالنقد والتجريح .

سيلان

* احتفل مؤخرا بافتتاح أكبر مسجد فى سيلان ، وهو مشيد على الطراز الاسلامي من طابقين ، ويقع فى أكبر قرية اسلامية هناك .

اقرأ فى هذا العدد

((الى راغبى الاشتراك))

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك فى المجلة . ورغبة منا فى تسهيل الامر عليهم ، وتفاديا لضياع المجلة فى البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات منا من الآن ، وعلى الراغبين فى الاشتراك أن يتعاملوا رأسا مع متعهد التوزيع عندهم ، وهذا بيان بالمتعهدين ، فيما عدا شمال أفريقيا :ـ

بغداد : ـ مكتبة المثنى ـ السيد قاسم محمد الرجب .

عمان : ـ وكالة التوزيع الاردنية ـ السيد رجا العيسى .

بيروت ودمشق : ـ الشركة العربية للتوزيع ـ لبنان .

القاهرة : ـ شركة توزيع الاخبار ـ ٧ شارع الصحافة ج.ع.م.

الخبر : ـ مكتبة النجاح الثقافية ـ ص ب ـ (٧٦) السعودية .

مكة المكرمة : ـ مكتبة الثقافة ـ السعودية .

الطائف : ـ مكتبة الثقافة ـ السعودية .

المدينة المنورة : ـ مكتبة المنار .

عدن : ـ وكالات الاهرام التجارية ـ ص ب (٦٣٩) .

البحرين : ـ المكتبة الوطنية وفروعها ـ السيد فاروق ابراهيم .

المكلا : ـ مكتبة الشعب ـ ص ب (٢٨) المكلا ـ حضرموت .

دبى : ـ المكتبة الاهلية ـ ص ب (٢٦١) .

مسقط : ـ المكتبة الاهلية ـ السيد حسن قمر سلطان .

قطر : ـ مكتبة الثقافة ـ الدوحة ص ب (٨٤٢) .

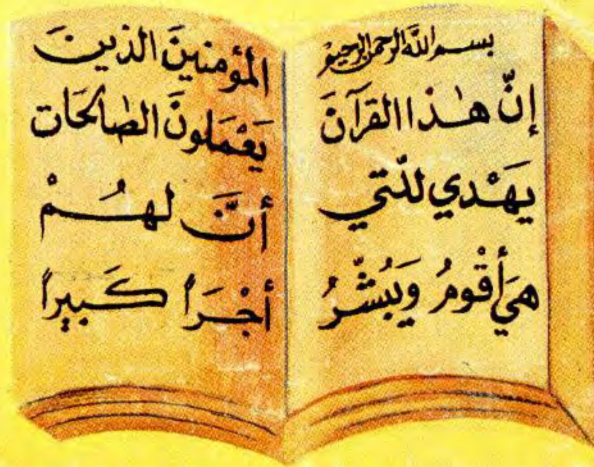
الخرطوم : ـ الاستاذ حسن نجيلة ـ دار الرأى العام .

بور سودان : ـ مكتبة كرري ـ السيد عطا المنان ص.ب ٣٠٣ .

الصومال : ـ مقديشو ـ محمد أحمد عمر .

الكويت : ـ مكتب منار للتوزيع ـ شارع فهد السالم ص.ب ١٥٧١

ونوجه النظر الى أنه لا يوجد لدينا الآن نسخ من الاعداد السابقة من المجلة



محمد مؤذن

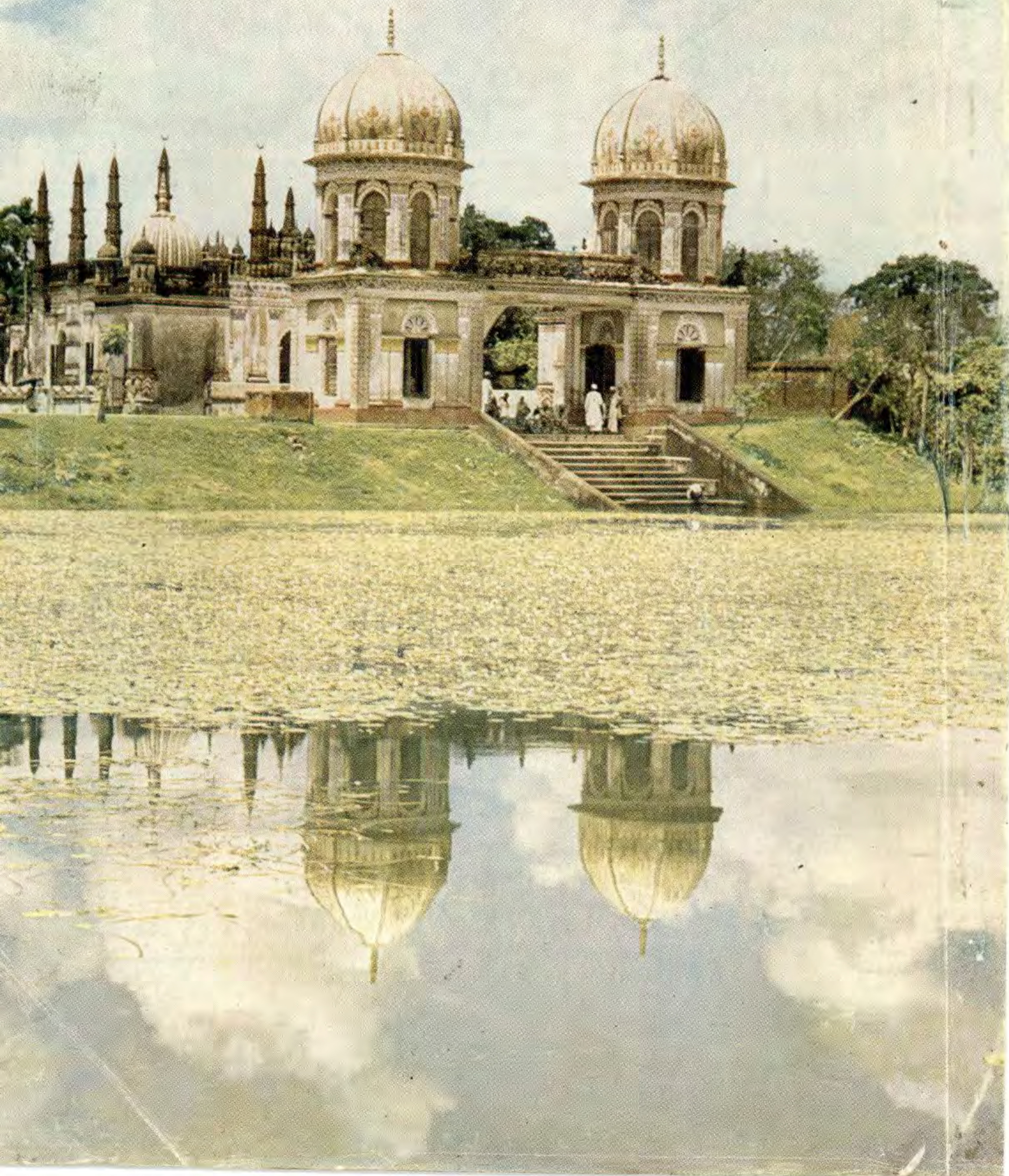
« قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللهِ نورٌ وكِتَابٌ مُبِينٌ »

صدق الله العظيم

الوعي الإسلامي

اسلامية ثقافية شهرية

العدد السابع عشر
السنة الثانية
جمادى الاولى
١٣٨٦ هـ
١٧ أغسطس (آب)
١٩٦٦ م





فاطومي ...

قصة العدد ــ ص : ٨٠

الوعي الإسلامي

اسلامية ثقافية شهرية

العدد السابع عشر ـ السنة الثانية
غرة جمادى الاولى سنة ١٣٨٦ هـ
١٧ اغسطس (آب) سنة ١٩٦٦ م

تصدرها وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية
بالكويت فى غرة كل شهر عربي

المجلة حرة ، والوزارة غير مسئولة عما
ينشر فيها من آراء

المشرف العام
عبد الرحمن المجحم

رئيس التحرير
عبد المنعم النمر

مدير التحرير
على عبد المنعم

سكرتير التحرير
رضوان البيلي

صورة الغلاف



مسـجد دانبادي التاريخي فى ميمنسانغ (باكستان الشرقية) وهو فريد فى طرازه وهندسته وزخرفته مما يشهد بعظمة المسلمين الذين كانوا يحكمون هذا الجزء من العالم .

الثمن

الكويت	٥٠	فلسا
السعودية	١	ريال
العراق	٧٥	فلسا
الاردن	٥٠	فلسا
ليبيـا	١٠	قروش
المغـرب	١	درهم
الخليج العربي	١	روبية
اليمن وعدن	٧٥	فلسا
لبنان وسوريا	٥٠	قرشا
مصر والسودان	٤٠	مليما
تونس والجزائر	١٠٠	مليم

الاشتراك السنوى للهيآت فقط

فى الكويت ١ دينار
فى الخارج ٢ ديناران
(أو ما يعادلهما بالاسترليني)
أما الافراد فيشتركون رأسا
مع متعهد التوزيع كل فى قطره

عنوان المراسلات : مجلة الوعى الاسلامي ــ وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية الكويت ص . ب ١٣ ــ هاتف ٢٢٠٨٨

بسم الله الرحمن الرحيم

أخي القارئ

ان طبيعة العيش فى هذه الحياة وانتظام الامور فيها تقتضي أن تتوزع الأعمال والأعباء بين الأفراد ، بحيث يكون لكل انسان اختصاص وعمل يقوم به : الزارع فى مزرعته ، والعامل فى مصنعه والتاجر فى متجره ، والموظف فى ديوانه ، والجندى فى ميدانه ، والقاضي فى محكمته ، والمدرس فى مدرسته ، والطبيب فى مستشفاه أو عيادته. والحاكم فى دائرة حكمه . كل عليه واجب ، وله اختصاص يجب أن يشعر به شعورا كاملا ، ويؤديه فى اخلاص واتقان .. حتى فى المجتمع الصغير فى البيت تلقى على عاتق كل فرد فيه مسئوليات يجب أن يحسن القيام بها ، متعاونا مع من حوله . وبذلك يتكامل بنيان المجتمع ، وتقوى أركانه ودعائمه ، ويحس كل فـرد فيه من الراحة والطمأنينة ، ما يدفعه الى عمله ، والى بذل جهده فى اجادته واتقانه .

ان المجتمع كالبناء الكبير لايقوم الا على قوة أعمدته وسلامة كل جزء فيه حتى يؤدي وظيفته .. وكالماكينة لا تعطينا انتاجها الا اذا كان كل جزء فيها سليما يؤدي وظيفته متضامنا ــ من حيث لا يشعر ــ مع بقية الأجزاء ، فسعادة المجتمع ونهضته متوقفان ــ اذن ــ على احساس أفراده بمسئوليتهم واخلاص كل واحد منهم فى بذل أقصى طاقته فى القيام بواجبه ، وبمقدار هذا الاحساس والاخـلاص تكون سـعادة مجتمعهم وبالتالي سعادتهم هم فى حياتهم .. لأن المجتمع ما هو الا الأفراد مجتمعين وكل جهد يبذله الواحد منهم فى عمله يعود عليه نفعه .. وكلما أحس الانسان أن حقوقه مؤداة ، وأن المجتمع حوله يوفر له مصالحه ، ويؤدى اليه حقوقه ، كان أكثر انصرافا لعمله ، واجادة له . وهكذا يأخذ الانسان من مجتمعه بقدر ما يعطيه .

على أنه اذا كان كل فرد عليه مسئوليات نحو مجتمعه ، فانه مما لا شك فيه أن هذه المسئوليات تتضخم كلما اتسعت دائرة أعمال الانسان ، وكلما كان يملك من السلطان ما يستطيع به التوجيه أو البت فى مصالح الناس ، ومصير المجتمع .. فليس الذى يتحدث للناس فى حجرة . كمن يتحدث لهم عن طريق الاذاعة أو التلفزيون .. وليس الذى يكتب فى صحيفة صغيرة غير منتشرة كمن يكتب فى صحيفة كبيرة واسعة الانتشار .. وليست مسئولية المتحدث أو الكاتب المسموع الكلمة الذى يتخذه الناس موجها وقدوة لهم كمسئولية متحدث آخر ليست له هذه المكانة فى النفوس ، وليست مسئولية الحاكم أو الموظف الصغير كمسئولية الموظف أو الحاكم الكبير او الحاكم الأكبر

فى الدولة .. كل واحد عليه مسئولية ، تتفاوت تفاوت المركز الذى يشغله . ومع ذلك فلا بد من تعاون الصغير والكبير فى تحمل مسئولياتهم وأدائها على الوجه الأكمل ..

ومصدر الاحساس بهذه المسئولية والعمل على أدائها قد يكون الخوف من سلطة الرئيس ، أو سلطة القانون . وهو فى هذه الحالة يكون احساسا مهزوزا يوجد أو يقوى حينا وينعدم أو يضعف حينا آخر حسب اشراف الرئيس ومراقبة القوامين على تنفيذ القانون ..

وقد يكون نابعا من ذات الانسان .. من ضميره ، من دينه ، من شعوره بأن الله يراقبه ، ويعد عليه خطواته ويحاسبه على نياته ((ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم ولا خمسة الا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر الا هو معهم أينما كانوا ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة)) .

وهنا يحرص الانسان على أداء ما عليه من مسئوليات فى اخلاص ، وجد الرئيس أم لم يوجد ، أشرف عليه القوامون على تنفيذ القانون أم لم يشرفوا ، لأنه يراقب الله فى عمله ، ويخشاه ولا يخشى أحدا سواه ، والله يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور ، ومن هنا نضمن سلامة الأعمال ، وقوة البنيان ..

ولهذا وجدنا الرسول صلى الله عليه وسلم يوجه اهتمامه الى تربية المسلم على الخشية من الله فى سره وعلنه ، ووجدنا كل تعاليم الاسلام قائمة على اشعار المسلم بأنه لبنة فى بناء الأمة ، وعضو فى جسمها الكبير . عليه أن يكون قويا فى نفسه ، ثم يؤدى ما عليه لأمته .. فهو لا يؤمن حتى يشعر بشعور أخيه ، وحينئذ يدفعه هذا الشعور الى أداء ما عليه من مسئوليات نحوه . وهو راع فى كل عمل يطلب منه ومسئول عن رعيته و ((الله سائل كل راع عما استرعاه حفظ ذلك أم ضيعه)) .

وأولى المســئوليات وأدناها نحو الجماعة مسئولية الرجــل فى بيته ، وأضخم المسئوليات مسئولية الحاكم الذى تتجمع فى يده مصائر أمته ومصالحها ، أو مسئولية المجالس النيابية التي تملك حق اصدار التشريعات ، ومحاسبة المقصرين فى أعمالهم مهما تكن مراكزهم . ولهذا وجدنا الرسول صلى الله عليه وسلم يبدأ بمسئولية الرجل عن رعايته لبيته وينتهى عند مسئولية الامام أو الحاكم العام عن رعيته ثم يقول ((ألا فكلكم راع ومسئول عن رعيته ..)) .

والرسول بهذا يضع فى عنق كل مسلم مسئولية أمام الله عما استرعاه ، ووكل اليه من أعمال : صغرت أم كبرت ، ويطلب منه أن يتقن عمله ، ويحسن تصرفه ، ويشارك مشاركة فعالة فى تقوية أمته ، والنهوض بها حين يقول ((ان الله يحب من أحدكم اذا عمل عملا أن يتقنه ..)) حتى جعل المسلم مسئولا عن تقويم أخيه اذا اعوج كيلا تكون هناك لبنة ضعيفة تعرض البنيان كله للانهيار وذلك حين أوجب عليه أن يأمر بالمعروف ، وينهى عن المنكر ، وحذره من السكوت عن الأخطاء والاستهتار بالمسئولية حين قال الله له ((واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة)) وعلى هذا الأساس بنى الرسول مجتمعه الاسلامي فى قلب الجزيرة ، فكان خير مجتمع وكانوا خير أمة كل يعرف مسئوليته ويقوم بها .

ثم رأينا خلفاء المسلمين الأوائل يضربون المثل لأمتهم على حسن الشعور بالمسئولية والقيام بها ، فوجدنا عمر الحاكم رضى الله عنه يقول ((لو أن عناقا ((أنثى المعز)) ذهبت بشاطىء الفرات لأخذ بها عمر يوم القيامة)) ويقول ((لو أن دابة عثرت بالعراق لسئل عنها عمر لم لم يعبد لها الطريق)) .

وهكذا يكون الشعور بالمسئولية والحرص على أدائها حين يكون نابعا من دين الانسان وخوفه من الله .

واذا كنا نشكو الآن من عدم شعور الفرد بمسئوليته أو من تقصيره فى القيام بها ، فان ذلك يرجع الى ضعف الوازع الديني فى النفوس .

ان بناء المجتمع لا يكون ولا يقوم الا على أفراد لهم خلق ودين يدفعهم الى الاخلاص لأمتهم ومجتمعهم فى أعمالهم .. وانه لا يكفى مطلقا أن نبنى المصانع ونصـــدر القوانين بل لا بد أولا من بناء الرجال الذين يديرون المصانع وينفذون القوانين .. لا بد من تربيتهم على الشعور بمسئوليتهم وعلى مراقبة الله فى أعمالهم .

ان الأزمة التي تمر بنا ليست فى قلة المال أو الرجال أو المصانع أو نقص القوانين ، ولكن الأزمة الحقيقية هي أزمة الأخلاق . وهي ناشئة من جدب النفوس من الوازع الديني ، ومن الشعور بالمسئولية نحو الجماعة وان قوة الأمة الاسلامية لا تتحقق الا على يد أبنائها الذين ينسون مصالحهم الشخصية ، ويراقبون الله فى أعمالهم ، ويتقونه فى أمتهم ، ويتعاونون فى اخلاص وحسن أخلاق ليردوا لها اعتبارها ، ويعيدوا مجدا كان لها فى سالف أيامها .. فان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ..

ومن عجب أن يكون هذا أمرا ندركه جميعا ونكرره ثم نتباطأ فى العمل له ! . ماذا نقول للمريض الذى وضع امامه الدواء الشافى ثم تلكأ فى استعماله ؟ ! .

رئيس التحرير

٣ محمّد رسول الله وخاتم النبيين

للشيخ علي عبد المنعم عبد الحميد
المستشار الثقافى لوزارة الاوقاف والشئون الاسلامية

عن عبد الرحمن بن صخر رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مثلى ومثل الانبياء من قبلى كمثل رجل بنى بيتا فأحسنه وأجمله الا موضع لبنة من زاوية من زواياه فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ويقولون . هلا وضعت هذه اللبنة ، قال . فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين » . « رواه الشيخان »

١ ــ مصدر ما دعا اليه الرسل جميعا واحد ، وهدفهم فى كل ما بلغوه لا يختلف ، وغايتهم لا تتعدد ، فالدين على ألسنتهم كافة هو الاسلام (ان الدين عند الله الاسلام) فجميع الشرائع التى أوحيت الى الانبياء روحها وجوهرها الانقياد والخضوع لبارى الكون ، وتوحيده والانطواء تحت سلطانه ، ونبذ الاعتراف بأية قوة غير قوته ، فهو الذى يحيى ويميت ويبدىء ويعيد (تبارك الذى بيده الملك وهو على كل شىء قدير . الذى خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا وهو العزيز الغفور) (١) فمتبع واحد من رسل الله عليهم الصلاة والسلام هو متبعهم عامة ، حيث خلص من شوائب الشرك ، وتجرد من علائق الخلق ، وأسلم وجهه لله رب العالمين ، فراض نفسه على بذل جوده لبنى جنسه، وحرص على نفعهم بما يستطيع ايصاله اليهم ، فان كان ذا ميسرة أعطى المعسر ، وان كان عالما فقه الجاهل ، وان كان قويا أعان الضعيف. وان كان عنده فضل ظهر حمل من لا ظهر له ، وان شئت أجملت المراد فى معنى ما قاله خاتم الانبياء والمرسلين . « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لاخيه ما يحب لنفسه ويكره له ما يكره لها » وما دام هذا منهجهم جميعا فمن خالف واحدا منهم فقد خالفهم مجتمعين .

٢ ــ حين يتحدث القرآن الكريم عن رسول الله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم يحمله ما حمل المبعوثين من قبله (انا أوحينا اليك كما أوحينا الى نوح والنبيين من بعده وأوحينا الى ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب والاسباط وعيسى وأيوب ويونس

(١) سورة الملك . الايتان ١، ٢ .

وهارون وسليمان وآتينا داود زبورا . ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل ورسلا لم نقصصهم عليك وكلم الله موسى تكليما .) (١) ويجعل غاية ارسالهم التبليغ لاوامر الله ونواهيه وقطع حجة البشر على الله يوم الحساب (رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزا حكيما (٢) . ويقول لخاتمهم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم . (قل ما كنت بدعا من الرسل وما أدرى ما يفعل بى ولا بكم ان أتبع الا ما يوحى الى وما أنا الا نذير مبين) (٣) .

قل لهم يا محمد . لماذا تعجبون من دعوتى لكم الى الله فأنا لست أول من بلغ عن ربه ، بل قد جاء العديد من قبلى يحملون رسالات ربهم الى أقوامهم ولست الذى لا نظير له فى رسالته حتى تستنكروا قولى ، وما أتبع الا الوحى الذى اتبعوا ، وطريقى طريقهم وهى التعالى بالانسانية عن الاخلاد الى الارض ، وابعادها عن اتباع الهوى المضل عن سبيل الله ، وقيادتها الى المستوى الملائم لتكريمها وتفضيلها على كثير من خلق الله ، وهدايتها الى الصراط المستقيم الذى يوصلها الى القمة قمة المخلوقات للاستيلاء عليها تحقيقا لتسخير الله اياها للانسان (وسخر لكم ما فى السموات وما فى الارض جميعا منه ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون) ((٤)) وليرقى بهذا الى الوظيفة الحقيقية له فيقيم العدل ويقرر الاعتدال فى كل شىء مع نفسه ومع غيره لتتخلص النفوس من الاشتغال بالنفوس الى عبادة بارئها فى هدوء لا يلاحقه ازعاج ، وأخاء دون نفار ، ومحبة لا تشوبها أنانية ، فتنقضى حقبة الاقامة المؤقتة فى سلام شامل للالوان منتظم للاجناس منكافىء مع الثواب الموعود به فى دار خلود دائم ونعيم مقيم ، وكل هذا مع التسليم لله والعجز أمام جلاله وقيوميته : ثم ان ما شرعه الله لكم هو ما وصى به نوحا وما وصى به ابراهيم وموسى وعيسى وغيرهم من ارباب الشرائع السماوية ، فالكل مأمور باقامة الاسلام وهو التوحيد . (ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه) ((٥)) .

٣ — والرسول صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم لم يقل ابدا انه يمثل جنسا متميزا عن البشر ، ولا تجرى فى عروقه دماء تخالف دماءهم ، وهذا نص المحكم من الكتاب المبين يؤيد بشريته ويحقق مثليته لمن أرسل اليهم (قل انما أنا بشر مثلكم يوحى الى أنما الهكم اله واحد) وطريق وصولكم الى مرضاته هو التوحيد والعمل الصالح لكم وللبشرية كافة (فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا) (٦) . ويصرخ صلى الله عليه وسلم بذلك لمن هابه واضطربت فرائصه أمامه قائلا (هون عليك فانما أنا ابن امرأة كانت تأكل القديد بمكة) . وحين نفقه كنه الاسلام ونعى حقائقه وندرس أحوال رسوله وهو المثل الاعلى فى الخلق الكريم ندرك بمالا يرقى اليه شك أن الحسد القاتل والحقد الدفين وما يمت لفصيلتهما بصلة من ذميم الخصال ، هى التى ولدت العداوة والبغضاء فى قلوب المعاندين الجاحدين منذ البداية فقال كفار قريش وهم يعضون على النواجذ (لو لا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم) (٧) وتمنى أهل الكتاب لو عاد من آمن الى الكفر مرة أخرى (ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد ايمانك كفارا حسدا من عند انفسهم من بعد ما تبين لهم الحق) (٨) .

---

(١) (٢) الايات ١٦٣ ، ١٦٤ ، ١٦٥ من سورة النساء . (٣) الاية ٤ من سورة الاحقاف .
(٤) الاية ١٣ من الجاثية (٥) الاية ٨٥ من سورة آل عمران (٦) الاية ١١٠ من سورة الكهف
(٧) الاية ٣١ من سورة الزخرف (٨) الاية ١٠٩ من سورة البقرة

٤ ـ بظهور رسول الله عليه الصلاة والسلام برزت لاول مرة فى تاريخ الانسانية رسالة سماوية متكاملة من جميع الوجوه تعنى بمصالح الناس وتعالج ما يعنيهم فى حياتهم الدنيا وتضع الحلول التى لا تدع مشكلة الا أزالتها ، ولا عقدة الا حلتها ولا خطأ الا أصلحته ولا معوجا الا قومته ، فالعليم بما تنطوى عليه القلوب وما تكنه الضمائر وما يدور بالخلد خبير بالادوية الشافية والعلاجات الحاسمة .

مما اقتضته حكمة السميع البصير حجب الغيب عن الانسان ، فقد أسدل على مكنون الغد ستارا كثيفا لا يمكن أن يخترق ، واقام دونه حواجز لا يمكن تخطيها ، فمهما أوتى المخلوق من ادراك ودراية وخبرة وعلم فهو عاجز كل العجز وقاصر تمام القصور عن فتح ثقب صغير يطل منه على ما تحمله اللحظة التالية فى وجوده المحدود ، فهو يقدر ويفكر ويدبر ويحصى ويقيس الغائب على الشاهد ، وأخيرا يجد نفسه دائرا فى حلقة مفرغة لا يدرى أين طرفاها . وما وصل اليه فى عصرنا من محاولات شارك بها بعض المخلوقات الاخرى الملهمة فصعد الى الكواكب مراغما نفسه للوصول اليها ، أو ما ظن أنه سيطر عليه من ذرات الكون ، أليس هذا حركة فى موجود واظهارا لمكنون مخلوق ، وادراكا لبعض اسرار احتفظ بها الكون دهرا طويلا فى خبيئات مقوماته تنقلت معه فى أطواره المتعاقبة وهو لا يشعر بها حتى اذا حان ميعادها الموقوت : ودقت ساعتها المعينة هداه بارئها الى ايقاظها من سباتها ووفقه لتلقيها ، وأمكنه من السيطرة على جماحها فحبسها فى دائرة معينة لتلعب دورها فى الوجود ، ومن يدرينا فقد يفلت زمامها منه وتنفر من سلطانه الموهب له فتدمره وتأتى على ما قدم وما أخر فى هذا الميدان ، وهل يأمن الانسان ان يصيبه ما أصاب جنسا آخر وصل الى استراق السمع فاتبعه شهاب ثاقب على أن ما يعطيه هذا الموقف للناظر المتأمل ، وما يصوره له واقعا هو تأخر الانسان فى ادراك بعض حقائق الكون عن غيره دهورا ودهورا ، ومن أزال القفل عن قلبه وتدبر القرآن توصل أنى أن غوص الانسان وراء حقائق الكون ، ومحاولته استكناه خفاياه عمل واجب عليه ، بل هو مكلف به ومطلوب منه أداؤه ، ولو قصر أو ترك ما كان متجاوبا مع رسالات السماء واذا ذكرت توجيهات رب السموات والارض فى هذا الصدد فلا معدى لاى انسان مهما بلغ علمه واتسعت دائرة اطلاعه عن اسناد الدعوة الملحة للبحث والاستقصاء ـ الى رسول الله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، فقد أمر الله فيما اوحاه اليه وأطال فى الامر ، ووجه وأكثر فى التوجيه وخاطب وأوفى على القصد فى الخطاب ونادى عباده فى محكم كتابه (قل انظروا ماذا فى السموات والارض وما تغنى الايات والنذر عن قوم لا يؤمنون) (١) فصدر الآية أمر بالنظر وفى تقديم السموات على الارض فى الذكر اسرار واسرار ونجد هذا التقديم مكررا فى كل آية جمعت السماء مع الارض (٢) فى توجيه الى البحث وختام الاية يصم بالغباء والجهالة والتهاون والاستهتار وعدم تقدير النفس لوجودها عند قوم لم يعوا مرماها ولم يفقهوا معناها ولم يتصلوا بمنزلها ولم يخضعوا ليعرفوا ولم يتداركوا ليصلوا ولم يعلموا ليتعلموا ولم يسلكوا ليهتدوا «(٣)» .

ونستطرد بالبحث الى آية كريمة تحسم موضوعا اختلف فيه علماء الكون فى عصرنا الذى يتصل بالكواكب الاخرى وهل توجد فيها حياة أو حيوان، وتزول هذه الحيرة حين نتأمل ببصائرنا قول الله تعالى (ومن آياته خلق السموات والارض وما بث فيهما من دابة وهو على جمعهم اذا يشاء قدير) «(٤)» .

قال المفسرون . « من دلائل قدرة الله وعظمته وسلطانه القاهر ـ خلق السموات والارض وما نشر فيهما من دابة تدب وتتحرك ، وهذا يشمل الملائكة والانس والجن وسائر الحيوان على اختلاف أشكالهم والوانهم «(٥)» ... وقصارى القول فى ذلك أنه سبحانه قدير على جمع ما

---

(١) الاية ١٠١ سورة يونس (٢) الامانـدر
(٣) فى هذا بحث طويل حيث ينطوى القرآن على اسرار بعضها لم يدرك بعد .
(٤) آية ٢٩ من سورة الشورى . (٥) ولا وجه لتحديد الاسماء والامكنة فالبث عام والامكنة كذلك.

بث فيهما من دابة اذا جاء وقت جمعه كما لم يتعذر عليه خلقه وبدايته » (١) .

... ومع كل هذه العلوم والمعارف فباب الغد موصد ومفتاحه لم يصل ولن يصل الى البشر وما امكن واعتقد أنه لن يمكن مستقبلا تسور موانعه ولا مقاومة حرسه ، فلو كان بحثه داخلا تحت سيطرة البحث لما قال الخالق المدبر (وما تدرى نفس ماذا تكسب غدا «٢» ويؤيد ذلك ما حكى القرآن عن أحب الخلق وأقربهم الى رب الخلق (ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسنى السوء) «٣» وقد أراح العبد الصالح نفسه بترك الامور لمجريها فهو وحده البصير بخوافيها (وأفوض أمرى الى الله ان الله بصير بالعباد) «٤» .

خلاصة هذه الفقرة من البحث . أن ايصاد باب الغد واحتفاظه بما فيه من خير وشر بعيد عن ادراك البشر حمل الانسان حملا قويا على الاغراق فى واقعه اغراقا عجيبا ، فقل من يؤمن بما غاب عن حسه أو يصدقه ، وأوقف هذا الجهل بالغد وما يخفيه ـ الانسان أمام دعوة الحق والخير موقف المترددوالشاك احيانا والمتهيب الوجل تارة اخرى، وقلة ممن أنعم الله عليهم سلموا وآمنوا ودخلوا فى مداخل الحقيقة ، شربوا من رحيقها وذاقت ارواحهم حلاوتها ففنوا فيها ووهبوا أنفسهم لها وللدفاع عنها ، وكان اعجازهم الذى أعيا التاريخ أن يلاحقه وأوقفه مشدوها أمامه فى كل ميدان طرقوه وكل باب ولجوه . والحيارى المترددون فى المحسات الذين غرتهم الحياة الدنيا وشدتهم الى مغرياتهم فقنعوا بعيش السوائم (يأكلون ويتمتعون كما تأكل الانعام والنار مثوى لهم) «٥» أولئك هم الذين عارضوا وعاندوا وجحدوا وركزوا جهودهم ورصدوها لحرب خاسرة بالنسبة لهم محاولين طمس الشمس واخفاء القمر وتبديل خلق الله ومعارضة ارادته ، وهؤلاء اتخذوا صورا واشكالا مختلفة . فى التاريخ مع كل دعوة فاضلة منالبشر ورسالة خالدة من السماء ، والطائفة التى نعنيها منهم فى بحثنا هي التى لازمت ظهور الاسلام وصاحبته فىالحقب التى مرت به حتى الان .

٥ ـ ونعود فنتساءل . ما دامت أصول الاسلام ثابتة فى دعوات الانبياء والرسل السابقين ، وسيدنا محمد ليس بدعا من الرسل ، وكل تعاليمه **وارشاداته لصالح البشر (يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم اصرهم والاغلال التى كانت** عليهم) «٦» . وما دام الانسان لا **يستطيع بحال أو حيلة أن يستشف ما وراء الغيب فلماذا لا يلقى رحاله فى رحاب مولاه الذى لا يأمره الا بما ينفعه ولا يصده الا عما يضره ، وصدق الله العظيم (وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين) .**

والمتتبع لذلك الشنآن وتلك العداوة يجدهما قد صاحبا الرسالة منذ أن بدأت تتمركز فى بلاد العرب وتقتعد مكانها فى الوجود وتتقرر لها شخصيتها المميزة ، والذى يثير الدهشة والعجب هو أن الذين حملوا وزر محاربتها هم أولى الناس بمساندتها وتدعيمها وقتال أعدائها لانهم يدورون فى نفس الفلك الذى تمضى فيه ويستمدون مقومات كيانهم من مصدرها ويرمون عن قوسها ووجودهم متبلور فى أهدافها ان أرادوا الحق لانه الحق وآثروا ذا اثير ،، هم أهل الكتاب الا فترة قصيرة فى مكة عاداها جهلة متعصبون لا كتاب لهم

---

(١) المراغى ج ٢٥ ، ص ٤٦ (٢) آية ٣٤ سورة لقمان (٣) ١٨٨ سورة الاعراف (٤) أية ٨٨ سورة غافر (٥) آية ١٢ من سورة محمد (٦) اية ١٥٧ من سورة الاعراف .

ولا حجة لديهم الا التعلل بما وجدوا عليه آباءهم وهى حجة أو هى من بيوت العناكب وان كانت دائرة مع الزمان والمكان حيثما دارا ، فالناس أسراء ما ألفوا وعبيد ما اعتادوا ، فلما انتقلت الدعوة الى المدينة ذر قرن الشر وتزعمه الذين كانوا يبشرون بصاحبها قبل ظهوره ويستنصرون به على أعدائهم وهو لا يزال غيبا من الغيب، فلما سطعت شمسه حاربوه حيث خيل اليهم أنه مقصيهم عن رياساتهم الزائلة فاشتروا الدنيا بالاخرة واستحبوا العمى على الهدى ، وهؤلاء لهم القدح المعلى فى قتال رسل الله وقتلهم منذ زمن ضارب فى أغوار التاريخ ، وما أحكم القرآن حين يصور مواقفهم من الرسول عامة (ولقد آتينا موسى الكتاب وقفينا من بعده بالرسل وآتينا عيسى بن مريم البينات وأيدناه بروح القدس ، أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى انفسكم استكبرتم ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون) ((١)) ولا يستحيون أن يصموا أنفسهم بأقبح الاوصاف وأشنعها فما أهونهم على الله وما اجرأهم على الكذب (وقالوا قلوبنا غلف بل لعنهم الله بكفرهم فقليلا ما يؤمنون ((٢)) وحين أوحى الى الصادق المصدق لما معهم لووا رءوسهم كبرا وعنادا وانكروا وهم يعرفونه كمايعرفون ابناءهم (ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين) ((٣)) .

٦ ـ وظهر منهم فى المدينة عميد المنافقين عبد الله بن أبى فيفضحه القرآن ويعلن للناس أمره مفصحا عن مكنون قلبه الحاقد الجاحد لوحى السماء الخائن لما أؤتمن عليه من التوراه ، ويمضى مع شروره ، وتدور الايام وتطلع الشمس ذات يوم على شر منه على عبد الله بن سبأ ، فيسعى جاهدا فى تشتيت شمل المسلمين وتفريق كلمتهم وفصم عرى وحدتهم وتقع على يديه الآثمتين الواقعة ويراق الدم العزيز على الله وعلى رسوله ولا يجتمع المسلمون بعده أبدا ، ويمضى الفلك فى حركته الدائبة لا يتوقف ، ومع الاصباح والامساء يتوالى ظهور أعداء الاسلام وتتطور اسلحتهم بتطور الزمان وان كانت تتحد على هدف واحد هو هدم الاسلام والقضاء على المسلمين .

وايجازا للقول ندع ما مضى ونقرؤه تاريخا للعظة والعبرة وان كان الحاضر مرتبطا به ارتباط الوليد بوالده والنار بموقدها والصدى بمصدر الصوت ، ونجعل اهتمامنا منصبا على الواقع الذى يعايشنا وقد أخذ صورا وأشكالا جديدة من الحرب مستعملا الاسلحة التى تناسب تفكير عصر الذرة وتكافىء الاهداف ، أولئك هم الذين ابتكروا اساليب متعددة يخفونها طورا فى تكتلات سرية تنطوى على سم ناقع ، ويجهرون بها تارة أخرى بوجوه باسمة من ورائها أنياب تنهش ، ومخالب تفتك ، وأحيانا يسمون انفسهم أساة وهم مصدر الجراح ، ويقولون نحمل اليكم نور المعرفة ولكن على طريقتهم الخاصة . النجاة لهم والدمار للاسلام ، عاشوا فى ديار المسلمين باحثين منقبين عن الدر الدفين فى تراثنا يمحون به جهالتهم ويطمسون معالم السلوك الكريم فى مدارجنا ، وحماة الدار نائمون قد قبعوا فى عقر دارهم متفرجين على المسرح من خصاص الابواب وليتهم يدركون حقيقة واقعهم فلا يدبرون الفتن ولا يزكون العداوات بين أقوامهم ، حتى لا تتفرق القوى الخيرة ايدى سبأ ولا تتمزق شذر مذر ـ والله يهدى من يشاء الى صراط مستقيم .

---

(١) اية ٨٧ من سورة البقرة . (٢) اية ٨٨ من سورة البقرة (٣) اية ٨٩ من سورة البقرة .

الرسم العثماني للمصحف

الخلاف في رسم المصحف قديم
هل يمكن تغيير الرسم حسب قواعد الإملاء المعروفة؟

للاستاذ محمود غنيم

لا أظن موضوع الرسم العثمانى للمصحف من الموضوعات الشائكة التى لا ينظر المتحرجون الى وضعها على بساط البحث بعين الارتياح . اننا ندين كل الدينونة بتقديس القرآن الكريم ، ولكن ما هو القرآن الذى ندين بتقديسه ؟ انه كلام الله تعالى المنزل على نبيه الكريم ، هذا الكلام ينبغي أن يقرأ كما انزل دون ان يمسه تحريف أو تصحيف ، أما طريقة الرسم الذى يؤدى به النطق على الصورة المطلوبة فليست فيما نعتقد من التقديس فى شىء ، فانما هى من وضع البشر، وعلى ذلك فهى خاضعة لقواعد الاملاء قديما وحديثا .

وليس الخلاف فى رسم المصحف ابن اليوم ، وانما هو خلاف قديم تمتد جذوره فى باطن التاريخ الى زمن سحيق بين رجال الدين انفسهم ، فريق يقول بضرورة المحافظة على الرسم العثمانى،

دون أن يبدى لذلك سببا معقولا ،وفريق يقول بتطور رسم المصحف طبقا لتطورات الكتابة ، وما يستبنط لها من قواعد من شأنها التيسير على الكاتبين والقارئين .

وقد رأيت ان اعرض لهذا الموضوع وتطوراته عرضا يلم بأطرافه من جميع نواحيه ، لأنه وثيق الصلة بأقدس مقوم من مقوماتنا الدينية واللغوية والقومية ، وأعني به القرآن الكريم ، حتى نسلط بعض الأضواء على هذه المسألة تمهيدا لاعادة النظر فيها من جديد : أتبقى على ما هي عليه ، أم يتخذ فيها اجراء آخر ؟ .

وقد عرض لي هذا الموضوع عندما كنت أضع كتابا عن المرحوم حفنى ناصف بتكليف من بعض دور النشر . أما صلة حفنى بهذه الموضوع فهي من أوثق الصلات ، ولعل كثيرين من قراء القرآن الكريم فى مختلف أرجاء العالم الاسلامي لا يعلمون أنهم مدينون بضبط المصحف الشريف ، ورسمه بالصورة التي هو عليها الآن لهذا الرجل العظيم ، الذى مضى على وفاته ما يقرب من نصف قرن (١٨٥٥ ــ ١٩١٩) وقد شاءت المقادير أن يقوم بتصحيح آخر تجربة من تجارب طبع المصحف ، وهو على فراش الموت .

وتتبدىء قصة رسم المصحف من عهد كتابة الخليفة عثمان بن عفان له فى القرن الأول الهجرى ، أو فى النصف الأول منه ، وتنتهي بتجديد هذه الكتابة نفسها على يد حفنى ناصف وزميليه (١) فى القرن العشرين ، أو فى أوائله ، بعد أن كادت معالم الرسم العثماني أن تنطمس آثارها ، لكثرة ما شاع فيها من الأخطاء والتحريفات بتوالي الطبع على مر الزمان فى مختلف البلدان ، حتى خيف من تسرب البلبلة والاضطراب الى خير كتاب عرفته الانسانية جمعاء .

حينئذ قامت وزارة المعارف المصرية فى ذلك العهد بتكليف المرحوم حفني ناصف مراجعة كتابة المصحف ، والقيام بتصحيح ما فيه من أخطاء ، ولم يكن أمر هذه المهمة من الهنات الهينات ، فقد سلخ من عمره فى انجاز هذا العمل زهاء سبع سنوات من ١٩١٢ الى ١٩١٩ م . ثلاث منها قبل احالته الى المعاش ، وأربع بعد الاحالة . والى هذه المهمة يشير فى البيت الأخير من قصيدته الرائية المشهورة التي بعث بها الى حسين باشا رشدى رئيس الوزارة اذ ذاك ، طالبا مد أجل خدمته ، والتي مطلعها : ــ

صاحب الدولة يا شيخ الوزارة
حاجتي ان شئت تقضى باشارة

ويقول فى آخرها : ــ

ليس عندى ضيعة تكفل لي
رزق أولادى ولا عندى تجارة

ان أولادى على كثرتهم
ليس فيهم بعد من يكسب بارة

أبقني بضع سنين ريثما
يقدر الأكبر أن يؤوى صغاره

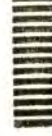
أو الى أن ينتهى ما فى يدى
وهو ــ ان تم ــ فخار للنظارة

والبيت الأخير هو الذى نعنيه ، فهو يشير بقوله « ما فى يدى » الى عمله فى ضبط المصحف .

وقد اقتضاه هذا العمل أن يبحث عن قواعد الرسم العثماني وأصوله ، فوفق الى ذلك بعد مجهود كبير .

(١) اختار المرحوم حفنى ناصف لمساعدته فى هذا العمل العالمين الجليلين الشيخ احمد الاسكندرى ، والشيخ مصطفى عنانى .

الرسم العثماني للمصحف



وكانت جملة ما قام بتصحيحه من الأخطاء بعد تطبيق هذه القواعد التي استنبطها تربو على مائتي غلطة املائية .

اما هذه القواعد نفسها فقد ضمنها كتابا خاصا قائما بذاته ، الا أنه مما يؤسف له أن هذا الكتاب قد ضاع فيما ضاع من آثاره ، ولكن من حسن الحظ اننا عثرنا بمحض الصدفة على المقدمة التي وضعها لهذا الكتاب فيما عثرنا عليه من مخلفاته . وفي هذه المقدمة يعرض لقصة رسم المصحف عرضا تاريخيا مفصلا ، ويسرد مبررات ضرورة العودة الى الرسم القديم ، ويرد على المعارضين بكل ما وسعه من منطق واقناع . الأمر الذى يدل على أن المسألة كانت موضع خلاف مستحكم بين العلماء .

وقد كنا نود أن نسجل هذه المقدمة بنصها ، ولكننا ـ تجنبا للتطويل ـ آثرنا أن نشير الى أهم ما ورد فيها من النقاط الجوهرية التي تتصل بصميم الموضوع ، محتفظين لأنفسنا بحق التعقيب على بعض هذه النقاط .

بدأ حفني مقدمته بقوله « جاء في حديث عائشة وفاطمة رضي الله عنهما : أن جبريل ـ عليه السلام ـ كان يعارض (١) النبي صلى الله عليه وسلم القرآن في كل سنة في شهر رمضان مرة واحدة وفي السنة الأخيرة من حياته عارضه مرتين ، فأحس بدنو أجله » .

وقد كتب القرآن بعد العرضة الأخيرة زيد بن ثابت ، وأبي بن كعب ، وأبو الدرداء ، ومعاذ ، وغيرهم من أكابر الصحابة ـ رضوان الله عليهم أجمعين ـ ولكن الوحي لم ينقطع ، حتى قبض عليه الصلاة والسلام ، فألحق الكاتبون ما نزل أخيرا بما كان عندهم .

في عهد الخلفاء

ثم انتقل الى المرحلة التي سلكها موضوع تدوين القرآن الكريم في خلافة أبي بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ فأشار الى أنه عقب توليه الخلافة ارتد من ارتد من العرب عن الاسلام ، وادعى مسيلمة النبوة في اليمامة وتبعه بنو حنيفة ، فأرسل أبو بكر خالد بن الوليد لقتالهم على رأس جيش من المقاتلين المسلمين ، وفي أثناء دوران رحى المعركة بين الطرفين استحر القتل في القراء ، حتى بلغ عدد من مات منهم في هذه المعركة زهاء (٧٠٠) رجل . ولما عرف عمر ذلك ارتاع ، وخشي على القرآن الضياع اذا استحر القتل في بقية المعارك ، كما استحر في هذه المعركة ، فتكون النتيجة القضاء على البقية الباقية من حفاظ القرآن ، فيذهب منه بذهابهم الشيء الكثير ، وحينئذ بادر أبا بكر ، وأشار عليه بجمع القرآن ، فاستصوب أبو بكر رأى عمر وبعث من فوره الى زيد بن ثابت ، وقال له « انك رجل شاب عاقل لا نتهمك ، وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فتتبع القرآن لتجمعه » فصدع زيد بالأمر ، وجعل يتتبع القرآن من صدور الرجال ، ومن الرقاع ، والأضلاع ، وقحوف السعف ، حتى أتم جمعه ، أو كاد .

يقول زيد « ففقدت آية كنت أسمعها من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لم أجدها عند أحد ، فوجدتها عند رجل من الأنصار ، وهي « من المؤمنين رجال

(١) معنى المعارضة أنه يقرأ والآخر يقابل عليه .

صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر » فألحقتها فى سورتها ، ثم فقدت آية أخرى ، فاستعرضت المهاجرين والأنصار أسألهم، فوجدتها عند خزيمة بن ثابت ، وهي « لقد جاءكم رسول من انفسكم .. الآيتين » فألحقتها فى آخر السورة ، ثم عرضته على نفسي عرضة ثالثة ، فلم اجد فيه شيئا » .

ومعنى أنه لم يجد الآية أنه لم يجدها عنده مكتوبة فيما سبق أن كتبه فى حياة الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ مع كونه يحفظها ، فمعنى أنه وجدها عند الأنصارى أنه وجدها مكتوبة ، لأن زيدا كان يهمه أن يطلع على الكتابة ، اذ كان فيها علائم مخصوصة تدل على أوجه القراءة التي أذن بها رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ وأقرأ بها وفود القبائل من العرب من فك وادغام وامالة وتفخيم واشمام ومد وقصر وتغليظ وترقيق

قال عليه الصلاة والسلام ((نزل القرآن على سبعة أحرف فاقرأوا ما تيسر منه)) قيل انها لغات قريش وكنانة وأسد وهذيل وبني تميم وضبة وقيس، وهم الذين انتهت اليهم الفصاحة ، وسلمت لغاتهم من الدخيل ، وبذلك تم جمع القرآن كله فى الصحف مشتملا على الأحرف السبعة ، وبقيت تلك الصحف عند أبى بكر حتى مات ، ثم كانت عند عمر حتى مات ، ثم كانت عند حفصة زوج النبي صلى الله عليه وسلم .

ثم انتقل حفني فى مقدمته الى مرحلة تدوين القرآن فى خلافة عثمان بن عفان ، وهي أهم المراحل التي سلكها هذا التدوين ، فأشار الى أن حذيفة بن اليمان قدم عليه ذات يوم فزعا ، وكان قد سار مع جيش من المسلمين للقتال فى أرمينية ، وقال « يا أمير المؤمنين ، اني سمعت الناس اختلفوا فى القراءة ، حتى والله اني لأخشى أن يصيبهم ما اصاب اليهود والنصارى من الاختلاف ، فما كنت صانعا ــ اذا قيل هذه قراءة فلان ، وهذه قراءة فلان ، كما صنع اهل الكتاب ــ فاصنع الآن » .

ولم يكن عثمان خالي الذهن من أمر هذا الاضطراب قبل حديث حذيفة بن اليمان ، بل كان قد بلغه طرف من هذا الاختلاف بين المعلمين فى المسجد يقول أحدهم « قراءتي خير من قراءتك » ويقول الآخر « أني رويت هذه القراءة عن فلان عن فلان » ، ويتمادون فى الخلاف الى حد المقاتلة ، ولا يسلم أحدهم بقراءة الآخر . وحينئذ وجد عثمان نفسه أمام حادث جلل لا بد أن يتخذ فيه اجراء حاسما ، فجمع الناس ليشاورهم فى الامر ، وكان عدة من اجتمع بهم زهاء اثنى عشر الفا ، وقال لهم « بلغنى أن بعضهم يقول . « قراءتي خير من قراءتك » وهذا يكاد يكون كفرا ، فماذا ترون ؟ قالوا . « فماذا ترى ؟ » قال . « ارى ان يجتمع الناس على مصحف واحد ، فلا يكون فيه فرقة واختلاف » قالوا : « فنعم ما رأيت » .

فارسل من فوره الى حفصة ان ارسلي الينا بالصحف ، فارسلتها اليه ، فاستدعى زيد بن ثابت ، وسعيد بن العاص، وعبدالله بن الزبير ،وعبدالرحمن ابن هشام ، وقال لهم ((انسخوا هذه الصحف فى مصحف واحد)) وقال للنفر القرشيين . ((ان اختلفتم انتم وزيد بن ثابت فاكتبوه على لسان قريش ، فانه نزل بلسانهم)) فصدعوا بأمر الخليفة ، واخرجوا للناس اربعة مصاحف كلها مكتوبة بخط زيد ، واملاء القرشيين ، وليس فيها أية علامة من العلامات التي كانت فى الصحف قبل ، لتدل على الاحرف السبعة ، فأرسل منها مصحفا الى الكوفة ، وآخر الى البصرة ، وثالثا الى الشام ، وامسك عنده واحدا ، وامر بتحريق كل الصحف والمصاحف التي كانت من قبل .

وقد اقره على ذلك الصحابة ــ

البقية على ص ٢٣

الإسلام
ورسوله
وتعاليمه
بلغة
العصر



الرسل كدليل على وجود الله



للاستاذ احمد حسين ـ المحامي

اذا كان التحليل المنطقي قد انتهى بنا الى انه لا فكاك للعقل من التسليم بوجود سبب يعلو على الاسباب ، وان هذا الوجود لا يمكن ان يكون الا من خلق اله واحد قديم حي حكيم عادل رحيم فان العقل لا يلبث ان يتساءل ، لماذا لا يكشف هذا الاله عن نفسه للانسان ، ويكون على صلة دائمة به .

وحقا ان كل ما حول الانسان من وجود يكشف عن الله وقدرته ، ابتداء من أدق الاحياء وأصغرها حتى أعظم الاجرام السماوية وأبعدها ، ابتداء من الزهرة ذات الالوان الجميلة المبهجة ، والاريج العطر المنعش، حتىالقمر المتعدد الاوجه، والشمس المحرقة ، والسماء المرصعة بنجوم لا حصر لها ، ابتداء من الطيور فى الهواء والاسماك فى الماء ، وكل ورقة شجر تسقط ، وكل حبة رمل تذروها الرياح ، حتى الليل والنهار والخسوف والكسوف .. كل شيء من حول العقل يجرى على سنن وبنواميس أخفى من الخفاء ، تدل على انها صنعت بمعرفة حكيم قدير .

ولقد ظن أقوام أنه بقدرتهم أن يفسروا كل ظواهر الطبيعة الخارقة ، من دوران القمر حول الارض ، ودوران الاثنين معا حول نفسيهما وبقية الكواكب الاخرى حول الشمس ، وانطلاق المجموعة الشمسية باكملها هي والوف الملايين من أمثالها فى الفضاء اللانهائي ، فلا يختل عقدها ، ولا تبطىء سرعتها ولا يصطدم ، بعضها ببعض ، ظن أقوام أنهم بمجرد ان يتلفظوا بكلمة الجاذبية ، وأن قانون الجاذبية هو الذى يفعل ذلك كله ، أنهم كشفوا السر وحلوا اللغز ، ولم يعودوا فى حاجة للايمان بالله ، ناسين أنهم قد استبدلوا بكلمة الله الجاذبية ، فعزوا الى هذه الكلمة الخفية كل أسرار الكون وعجائبه ، وجعلوا من هذه الجاذبية السبب الاول القديم والحكيم الفعال ، متناسين ان مكتشف قانون الجاذبية نفسه وهو اسحق نيوتن قد حذر من هذا الوهم ، وكان من اشد الناس ايمانا بالله ، ومن أعظم الدعاة للايمان به حيث يقول لنا :

« لا تشكوا فى الخالق لانه لا يعقل أن تكون الضرورة وحدها هي قائدة هذا الوجود ، لان ضرورة عمياء متجانسة فى كل مكان وزمان ، لا يتصور ان يصدر منها هذا التنوع فى الكائنات ، ولا فى هذا الوجود كله بما فيه من ترتيب اجزائه

وتناسبها من تغيرات الازمنة والامكنة ، بل ان كل هذا لا يعقل ان يصدر الا من كائن أزلى له حكمة وارادة » .

ثم يمضي نيوتن وهو الذى اكتشف علاقة الاجرام السماوية فيما بينها ، ولماذا تدور فى أفلاكها فيقول :

« من المحقق أن الحركات الحالية للكواكب لا يمكن ان تنشأ من مجرد فعل الجاذبية العامة ، لان هذه القوة تدفع الكواكب نحو الشمس ، فيجب لكي تدور هذه الكواكب حول الشمس أن توجد يد الهية تدفعها على الخط المماس لمداراتها ، ومن الجلى الواضح أنه لا يوجد سبب استطاع ان يوجه جميع الكواكب وتوابعها للدوران فى وجهة واحدة ، وعلى مستوى واحد بدون حدوث أى تغيير يذكر ، فالنظر لهذا الترتيب يدل على وجود حكمة سيطرت عليه » .

ويختتم نيوتن الذى يعتبر أعظم عالم عرفته البشرية فى القرون الحديثة بحثه بقوله :

« ان نظام الكون يدل على وجود اله حكيم منزه عن الجسمانية حي حكيم موجود فى مكان ما يرى حقيقة كل شيء فى ذاته ويدركه أكمل ادراك » (١)

وكان يجب عندما يتكلم كاشف قانون الجاذبية عن أن وجود هذا القانون فى الطبيعة هو فى حد ذاته برهان علي وجود الله الذى نظم الكون على هذه النواميس ، أن يسكت كل متشدق بأن قانون الجاذبية يغنينا عن الايمان بالله ، ولكن هكذا شاءت حكمة الله ان يمد للانسان فى حرية الجدل وحرية الاختيار ، ليكون ذلك أساسا لمسئوليته .

فالكون والوجود كله من حول العقل اذن يكشف عن وجود الله وقدرته ، فأى مصنوع دليل على وجود صانعه ، وكلما عظم المصنوع ودق ، كلما عظم الصانع ، ولكن العقل الانساني وهو نفحة من روح الله ، متطلع ابدا ، متشوق ابدا للمعرفة الكاملة ، واليقين الثابت ، ولذلك فانه مع اقراره بأن الوجود من حوله يكشف عن خالقه ، فانه يظل يتساءل ، لماذا لا يتصل الله بالانسان اتصالا مباشرا ، لماذا وقد زود الله الانسان بالروح والقلب الواعي والعقل المفكر ، لا يخاطب الانسان خطابا مباشرا ، ليوجهه ويهديه ويرشده الى طريقه ، بدلا من أن يتركه نهبة للشك والقلق والضياع . بل ان الماديين والملحدين ليتخذون من هذه الحجة بالذات دليلا على انكار وجود الله ـ يقولون لو كان الله موجودا وهو الذى خلق الانسان لما تركه بدون هداية وارشاد .

وهكذا نرى أن الايمان بالله العادل الرحيم يستتبع على الفور بعثة الرسل ، ليبلغوا البشر عن وجوده ، وليرشدوهم الى سبيله ، وليبينوا لهم ما يرضاه وما لا يرضاه لهم من أعمال ومعتقدات .

ولما كان الله حقا كما قدمنا ، فان رسله حق كذلك ، فقد بعث الله بالفعل من بنى البشر أشخاصا يهدون الى سبيله ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، ويقودون بني الانسان الى طريق الله .

فمن هم هؤلاء الرسل ، وما هي سماتهم ، وما هو السبيل للتحقيق من صدق رسالتهم ، وكيف يثبتون بمحض حياتهم وسيرتهم وأعمالهم وجود الله حقا وصدقا ، وانه هو الذى أرسلهم وكلفهم بأداء ما اضطلعوا به من رسالات ؟

وجريا على ما التزمناه من منهاج حتى الآن وهو أن لا نسوق القول بصيغة تقريرية ، وانما نتلمس السبيل اليه من خلال الاقناع عن طريق المشاهد والمتعارف عليه والثابت من تجارب الانسانية ، فسوف نستعرض حياة نموذجين من هؤلاء الرسل ، وهما المسيح عيسى ابن مريم ، ومحمد بن عبد الله (صلوات الله عليه) محاولين عن طريق الاستقراء اثبات رسالتيهما ، الى أن نعود فيما بعد للتحدث عنهما كجزء من تعاليم الاسلام ومبادئه الواجب اعتقادهما على كل مسلم .

العباقرة من البشر

تقول لنا المعارف الانسانية المتراكمة بين أيدينا عن تاريخ البشرية ، أنه قد ظهر فى كل

---

(١) من كتاب « فى الايمان والاسلام » للمؤلف .

والايمان الصحيح ينزه الله عن التحيز فى مكان . « الوعي »



جيل ، وفى كل جماعة وفى كل أمة ، نفر من البشر يمتازون بالتفوق فى ضرب من ضروب النشاط الانساني ، ما بين رؤساء وزعماء وقواد وملوك وغزاة فاتحين من ناحية ، وما بين حكماء ومفكرين وفلاسفة وكتاب وشعراء وفنانين من ناحية أخرى ، وبعض هؤلاء الاعلام لم يؤثر الا فى محيطه الضيق ، والبعض الاخر تعدى أثره الى دائرة اوسع .

هذا النفر من اعلام البشر ممن يطلق عليهم اسم الابطال ويوصفون بالعبقرية ، يقول عنهم العلم الحديث ـ الذى يحاول أن يضعف كل شيء وأن يحلل كل شيء ويخضعه للتجارب العملية ـ انهم يجيئون ثمرة ناضجة لبيئتهم وعصرهم ، وتعبيرا عن النوازع والتيارات السائدة فى أيامهم ، فهم حصيلة الحضارة فى أى مجتمع من المجتمعات . فما من فيلسوف أو عالم أو مخترع او قائد أو زعيم وفنان ، من أى طراز كان ، الا ويمكن تحليل العناصر التي أدت الى نبوغه وتفوقه وسلوكه الطريق الذى سلكه ، وما على الانسان الا أن يبحث عوامل الوراثة ليضع يده على مصدر الموهبة او الاستعداد الطبيعي ، ثم عليه بعد ذلك ان يتتبع النابغة أو البطل فى حياته ، ماذا تعلم ؟ ماذا قرأ ؟ بمن تأثر ؟ ما هي الحوادث التي تعرض لها ؟ لكى يضع يده على العوامل التى كونت البطل .

فالبطل العبقرى، لا يعدو ان يكون نتيجة حتمية للمقدمات التي تكون منها ، انه مجموعة الارصدة والحسابات والمعادلات التي تتألف منها بيئته واسلافه .

انطواء الابطال فى بطون الكتب

وقد ترتب على أن أى بطل من الابطال ، هو نتاج عصره ، ومن صنع بيئته ، أن لا يكاد هذا العصر يطوى ، والبيئة تتغير حتى يصبح هذا البطل او العبقرى فى خبر كان ، فلا يعود له أثر يذكر فى الحياة الا باعتباره اسما او حادثا من حوادث التاريخ ، وما علينا الا أن نتساءل اليوم : كم من البشر البالغ عددهم اليوم ثلاثة آلاف مليون قد سمع عن اسم ارسطو أعظم عقل بشرى عرفته الانسانية ؟ والذين سمعوا باسمه هل يزيد ما سمعوه عنه شيئا فوق أنه كان فيلسوفا فى بلاد الاغريق ..

والقلة النادرة من الاساتذة التي تعرف كل شيء عن ارسطو ، هل فيهم من يحاول أن يكيف ابسط تصرف فى حياته على هدى ما كان يفعل ارسطو ؟ كأن يلبس كما يلبس ، أو يأكل كما كان يأكل ، فضلا عن أن يتزوج او يطلق على مذهب ارسطو وتعاليمه .

لو أن انسانا فعل ذلك لاعتبر مجنونا .. على الرغم من أن ارسطو قد وصف بأنه المعلم الاول ، وذلك لانه ذهب وراحت أيامه ، واذا كان هذا شأن ارسطو وافلاطون فكم بالاحرى يكون الموقف بالنسبة لمن هم دونهم شهرة ومكانة .

الحق أن أعلام التاريخ مهما عظم شأنهم ، ونبه قدرهم ابان حياتهم ، فانهم لا يكادون يموتون .. وينطوى عصرهم ، حتى يدخلوا الى زوايا النسيان بالنسبة لجماهير الشعب العريضة، وينعدم كل أثر لهم فى تسيير الحياة اليومية لبنى البشر ، ولا يعودوا يؤلفون سوى ذكرى بالنسبة للعدد القليل من الدارسين والباحثين والمنقبين، وقد يحتلون سطوراأو صفحات وربما فصولا كاملة فى بطون كتب التاريخ ، ولكنهم بالرغم من ذلك كله لا يعدون أن يكونوا ذكريات .

استثناء من القاعدة

على انه من بين هذه الالوف من العباقرة الذين جر الزمان عليهم ذيول النسيان ، ينفرد بضع نفر يعدون على أصابع اليد الواحدة ، لا يزالون يؤثرون فى الحياة اليومية لمئات الملايين من البشر على الرغم من انقضاء عشرات القرون على انقطاعهم عن هذه الدنيا ، والمشاهد والملحوظ أن هذا التأثير يتضاعف كلما تباعد الزمن بهم ، بل أن اعجب من ذلك ، أن اى انسان يلوذ بهم ، يأخذ بدوره نصيبه من التأثير والسلطان على

بنى البشر (١) ، وبهذا خالف هؤلاء الناموس الاجتماعي لبنى الانسان ، وهو أن يزول تأثير أي انسان بمجرد موته ووفاتـه .

وثمة ظاهرة أخرى بالنسبة لهذا النفر ،يشذون فيها بدورهم عن القاعدة التي يخضع لها سائر الابطال والعباقرة ، والتي تقول انهم ثـمرة بيئتهم ، وحصيلة العوامل الوراثية والظروف المكانية والزمانية ، التي فرضت عليهم القيـام بما قالوا به .. وانجاز ما انجزوه من أعمال .

فالباحث المنصف الامين لتاريخ هذا النفر ، يذهله عظم المفارقة بين ظروف ولادتهم وما ورثوه او تعلموه وتلقنوه ، وبين ما دعوا اليه وحققوه ، واثروا ولا يزالون يؤثرون به على كل تفسير أو تعليل علمي ، انهم اشبه ببراكين روحية أو زلازل انسانية لا مقدمات لها أو طلائع، او ارتباط بعصرها ومن هنا أثروا ويؤثرون وسيظلون يؤثرون على جماهير البشر العريضة ما بقيت السماء سماء ، والأرض أرضـا .

عيسى ابن مريم

ولعل عيسى ابن مريـم او كما يطلق عليـــه « المسيح » أول نموذج يساق للكشف عنخصائص هذا النفر من البشر فهو على ما تقول الاناجيل ، وهي الكتب المعتمدة بين اتباعه ، قد ولدته أمه فى احدى قرى فلسطين (بيت لحم) منذ ١٩٦٦ سنة ثم هربت به الى مصر خوفا من حاكم فلسطين ، ولم تلبث أن عادت بعد موت هذا الحاكم الـى أرض فلسطين ، وذلك هو كل ما نعرفه عن طفولة المسيح ، وفجأة تحدثنا الانجيل عنه وقد أشرف على سن الثلاثين يدعو الى سبيل الله ، ويصف الله بانه حب كله ورحمة كله ، ويدعو الى الزهد والتصوف وترك العنف ، والاخلاد للسلام والاخوة البشريـة .

وقد جاءت هذه الدعوة الانسانية على نقيض كل المفاهيم التي كان يغص بها العالم اليهودى الذى خرج منه المسيح ، أو العالم الرومانـي الذى كان يحكم فلسطين .

ويقول علماء المسيحية ، ان مدة دعوة المسيح مذ شرع يكرز فى جبال فلسطين وأوديتها ، حتى صعد الى الرفيق الاعلى ، لم تتجاوز العامين ، وأن تلامذته أو حوارييه الذين تابعوه على دعوته لم يزد عددهم على اثنى عشر حواريا ، لم يلبثوا أن نقصوا واحدا خان المسيح ، وباعه الىاليهود الذين كانوا يبحثون عنه لاعدامه بيد السلطات الرومانية .

والسؤال الان : أى سر ينطوى عليه هـذا الانسان الذى لا يعرف عنه شىء ، ومع ذلك فلا يكاد يفتح فاه ببعض الحكم والمواعظ ، حتى ترتج الدنيا لما يقول ، بحيث يؤثر على البشرية فى هذين العامين اللذين دعا فيهما بدعوته بما لم يؤثر به الملوك والاباطرة والامبراطوريات كلهـا فى قرون وقرون من السنين .

بأى سر وبأية قوة خفية ، تحول هذا النفـر من صحابة المسيح والذين كان بعضهم نجارا ، والاخر صيادا ، والثالث راعيا .. كيف تحول هؤلاء البسطاء الى قادة للبشرية ، وأصحـاب السلطان على القلوب اولا ، والعروش والتيجان ثانيا . بحيث يزيد اتباع المسيحية اليوم على تسعمائة مليون نسمة فى العالم أى ما يقرب من ثلث سكان العالم .

ولا يجد الماديون ما يفسرون به هذا السر ، الا أن قصة المسيح كلها ليست سوى اسطورة من نسج الخيال ، وينسون انهم بهذا القول قـد زادوا الامر تعقيدا ، فلماذا كانت هذه الاسطورة من بين سائر الاساطير هي التي حظيت بكل هذا الاهتمام من البشر وأثرت كل هذا التأثير ؟ ... وبأى سر استطاعت هذه الاسطورة أن تقضى على كل ما عرف البشر قبلها من اساطير ، وتتربع هي على عرش القلوب والارواح ، لماذا استطاعت هذه العقيدة أن تقتلع مـن النفـوس العقائـد السابقة عليها ؟ .

ومرة أخرى يحاول الوضعيون والماديون ، أن يجدوا لهم مخرجا، فيحدثونا عن شخصية المسيح غير العادية ، وقدرته على استهواء الجماهير ، بما فى نفسه من قوة الايحاء وعندنا أن ذلك كله تفسير للماء بعد الجهد بالماء ، فلماذا كانللمسيح هذه الشخصية الطاغية التى توثر على الملايين

---

(١) اعظم الناس شهرة وتأثيرا بعد الرسل ، هم حملةرسالتهم .



بعد موته ؟ .. لماذا كان هو من دون البشر أجمعين صاحب هذه الشخصية وصاحب هذا التأثير ؟ .

محمد بن عبد الله

وما يقال عن عيسى ابن مريم يقال عن محمد بن عبد الله ، الذى لا يعرف عنه قبل الرسالة الا أنه طفل عربى يتيم مات أبوه ، وهو لما يزل فى بطن أمه ، ولم تلبث أمه أن خلفته فى الحياة ولما يتجاوز بضع سنين ، فكفله جده عبد المطلب الذى لم يلبث أن مات بدوره فأخذه عمه تحت رعايته ، فنحن ازاء طفل وصبى وشاب قد رضع اليتم فى كافة صوره وأشكاله ، ولم يكن له من عمل بعد أن شب عن الطوق الا أن يرعى الغنم ، ثم اشتغل مع عمه فى التجارة وكان كالاغلبية الساحقة من قومه لا يعرف القراءة أو الكتابة ، ولم يكن فى مكة مسقط رأسه كبير حضارة او مدنية ، فانما هي حياة فظة خشنة جاهلية ، تصل الى حد ان يقتل الرجل ابنته ، وتعبد فيها أوثان قبيحة الشكل والمنظر . فاذا بمحمد بن عبد الله يطلع على هذه البيئة ، بل على الانسانية كلها بمبادىء وتعاليم لا تزال البشرية بكل دعاويها وغرورها عاجزة حتى الان عن تحقيقها ، فلا يزال التمييز العنصرى قائما وسط ارقى مجتمعاتها ، حيث دعا محمد بن عبد الله الى التآخى بين البشر لا فضل لعربى على عجمي ولا أبيض على أسود الا بالتقوى .. وحيث لا تزال البشرية تغص بالاحقاد والشرور والمفاسد ، جاء محمد يدعو الى السلام والمحبة والاخاء بين البشر على اختلاف اديانهم وجنسياتهم والوانهم منذ قرون ..

ولا يكاد يرسل دعوته ، حتى يعنو لها الزمان ، وتستسلم الحوادث ووقائع الدهور ، فتتوحد الجزيرة العربية التى لم تعرف قبل أيامه معنى الوحدة ، وتتداعى عروش القياصرة والاكاسرة كما لو كانت من قش أو ورق أمام وهج الدعوة الاسلامية ، وان هو الا قرن واحد من الزمان (حيث احتاجت المسيحية الى أربعة قرون) حتى كانت الدولة الاسلامية تمتد من حدود الصين الى ساحل المحيط الاطلسى ، حيث يرتفع صوت المؤذن خمس مرات كل يوم شاهدا بأن الله واحد ، وأن محمدا رسول الله.. واليوم وبعد أن زال سلطان المسلمين العسكرى والسياسى ، لا يزال الاسلام يبث تعاليمه ويتملك النفوس والارواح ، حتى ليناهز معتنقوه (٥٠٠) خمسمائة مليون من البشر .

ومرة أخرى يعرض السؤال نفسه ، بأى سر وصل محمد بن عبد الله ، العربى الامى الى كل هذا الاثر فى حياة البشرية ، لماذا استطاع دون غيره من كل من سبق أو لحق من العباقرة والاعلام ، أن يفرض سلطانه الروحى على الدول والجماعات والملوك والسلاطين لا أثناء حياته ، ولكن بعد أن مات وتوالت عليه القرون .

على كل متشدق بالعلم التجريبي والفلسفة الوضعية والنظريات المادية أن يقول لنا ، لماذا لم يكن فى البشرية كلها الا عيسى ابن مريم واحد ، ومحمد بن عبد الله واحد ، لينفردا بهذه الخاصية .. خاصية طبع البشرية بطابعهما وتكييف حياتها على أساس من تعاليمهما .

أهم آلهة ؟

لقد تقبلت جماهير الشعوب احد التفاسير التى قال بها غلاة المحبين والتابعين لهذا النفر من أعلام البشر من أنهم فى الحقيقة ليسوا سوى الله بذاته ، وقد تجسد على الأرض فى صورة انسان .

هكذا قال البوذيون المنحرفون عن رجلهم العظيم بوذا بعد موته (١) ، فاقاموا له الهياكل والمعابد وانشأوا له النصب والتماثيل حيث يعبد فيها

(١) سنعرض لموضوع بوذا والديانة البوذية فى ابحاثنا القادمة .

عبادة ويقدس تقديسا ، ويتقرب له بالصلاة والدعاء والقرابين .

وكما قال المسيحيون عن عيسى ابن مريم ، فصاغوا له هذه الدعوى العجيبة ، من أنه ابن الله وقد أرسله الى الارض ، ليتألم ويعذب ويرفع على الصليب ليفتدى البشر ، ويكفر عن خطيئة آدم .

ولم يحل دون تأليه المسلمين لمحمد بن عبد الله بعد موته الا أن آيات القرآن جاءت تترى تؤكد بشريته ، وأنه عبد الله ورسوله ، ولم يدع الرسول صلوات الله عليه مناسبة من المناسبات، الا وراح يغرس هذا المعنى فى نفوس أصحابه ، حتى قال لرجل راح يرتجف فى حضرته من فرط هيبته « هون عليك فانا ابن امرأة من قريش كانت تأكل القديد » .

فلولا هذا الصدق والنور الذى حمله محمد لجماهير المسلمين لفتنوا به كما فتن الذين من قبلهم ، ولاعتبروه الها وعبدوه من دون الله .

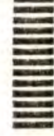
فلا معدى اذن امام الباحث الدارس لشخصيتي عيسى ومحمد وانفرادهما بهذا الاثر الذى أحدثاه ويحدثاه فى البشرية، أن يأخذ بهذا التفسير العامى الشائع من أنهما الله ، أو أن يأخذ بتفسير الصادق الامين سيدنا محمد ، من أنهما بشر كبقية البشر ، ولكن الله اصطفاهما كما اصطفى بضع نفر من قبلهما لابلاغ رسالته للعالمين .

هل يمكن الا أن يكون محمد بن عبد الله صادقا

وهل يمكن أن يكون سيدنا محمد الذى أحدث كل هذا الذي أحدث ، والذى جاء بدين يهيمن على كل الاديان السابقة عليه ، وأخرج مئات الملايين من البشر من ظلام الشرك والوثنية الى نور التوحيد والايمان ، وحمل لبنى الانسان قرآنا عربيا تعبد به الناس ويتعبدون وسيظلون يتعبدون به الى قيام الساعة ، أيمكن ان يتصور العقل أن فاعل ذلك الخير كله يمكن الا أن يكون صادقا امينا ؟ الحق أنه لا يمكن الا أن يكون الصدق ذاته وما هو فوق الصدق ، فاذا قال انه قد تلقى وحيا من رب العالمين وأنه جاء الى الناس كافة لابلاغ رسالة الله ، فمن الذى يستطيع ان يقول ان ذلك كله كان كذبا ومينا وخداعا ووهما واستغلالا لاهواء الجماهير الا أن يكون ملتاث العقل والضمير ، أعمى العينين والقلب ، مريض النفس والجسد . ان الكذب هو الصفة التي ينفر كل طبع سليم من الاتصاف بها ، وأى انسان مهما انحط شأنه يغضب اذا وصف بالكذب ، فأعجب لمن يتطاولون على أعلى ذرى الكمال الانساني ، ليصفوا قوله بالكذب ، والحقيقة تشهد ، والله يعلم أنهم هم الكاذبون مهما غلفوا أقوالهم بمعسول الاقوال ، وادعوا العلم ونزاهة البحث ، وفلسفة التجريب ، والعلم والنزاهة والتجربة منهم براء ، وليست هذه الاقوال الحارة التي تختلف عن اسلوبي ومنهجي فى البحث الا ترجمة متواضعة لما عبر به كاتب غير مسلم ، وهو الانجليزى الشهير توماس كارليل ، عندما ثار فى وجه قومه من المتعصبين ضد الاسلام ونبى المسلمين ، فقال لهم فيما قال فى كتابه « الابطال » (1)

« لقد أصبح من أكبر العار على أى فرد متمدين من أبناء العصر ، أن يصغى الى ما يقال من أن دين الاسلام كذب ، وأن محمدا خداع مزور ، وقد آن لنا أن نحارب ما يشاع من مثل هذه الاقوال السخيفة المخجلة ، فان الرسالة التي أداها ذلك الرسول ما زالت السراج المنير مدة اثنى عشر قرنا لنحو مائتي مليون من الناس أمثالنا ، خلقهم الله الذى خلقنا ، أفيظن أحدكم أن هذه الرسالة التي عاش بها ومات عليها هذه الملايين الفائقة الحصر والاحصاء كذبة وخدعة ؟ أما أنا فلا أستطيع أن أرى هذا الرأى أبدا ، ولو أن الكذب والغش يروجان عند خلق

(1) كتاب الابطال ـ ترجمة محمد السباعي



الله هذا الرواج ، ويصادفان مثل هذا التصديق والقبول ، فما الناس اذن الا بله ومجانين ، وما الحياة الا سخف وعبث وأضلولة كان الأولى بها الا تخلق » (١) .

وعندنا أن كارليل كان يجب أن يمضى فى منطقه الرائع حتى نهايته ويرد عليهم بمنطقهم ، فلو أن محمد بن عبد الله بكل مجده وبهائه ، كان كاذبا فيما ادعى من أنه رسول رب العالمين ، ومع ذلك انطلى خداعه وكذبه على كل هؤلاء الملايين الذين آمنوا به بعد وفاته ، فما الذى يضمن أن لا يكون ذلك شأن رسل المسيح الذين أبلغوا رسالته الى شعوب الدنيا ؟ !!

ان الشك فى صدق محمد ، يستتبع على الفور الشك فى أى انسان آخر فلم يعرف البشر انسانا بلغ قدر محمد ، وانهيار رسالة محمد يستتبع على الفور انهيار كل رسالة اخرى ، فقضية الرسل جميعا هي قضية واحدة اما أن تقوم أو لا تقوم ، وهو ما حرص الاسلام فى تعاليمه على تقريره ، كما سنرى فابراهيم واسحق ويعقوب وموسى وعيسى وغيرهم من النبيين الذين نعرف أسماءهم وما لم نعرف ، كلهم جاءوا بالحق والنور المبين ، أما الخلافات والانحرافات ، فهي من صنع البشر غيرالمعصومين ، وقد جاء الاسلام ليصحح الاخطاء التى تردى فيها بعض البشر ، وليجلى الحق الذى قال به الانبياء والرسل من قبل ، ومن هنا حق للاسلام كما سوف نرى ، أن يكون خاتم الرسالات كلها ، لانه جاء كاشفا عن جوهرها الواحد ، ودعوتها الحقة .

وليس الآن مجال الاستطراد فى هذه الناحية ، وحسبنا ان نصل الى ختام هذا البحث من أن ما يتطلبه العقل من اتصال الله الخالق بالبشر عن طريق بعثة الرسل ، قد تحقق بالفعل ، وأشرق فى سماء الانسانية بضع نفر من الاعلام ، أعلنوا أنهم رسل رب العالمين ، وقد أيدتهم الحوادث وصدقتهم الأيام ، وتهيأ لهم من السلطان الروحي على نفوس البشر ، ما لا يشاركهم فيه انسان آخر ، فحق الايمان بهم وتصديقهم فى كل الذى قالوه وبشروا به ، فليس من المستساغ أن يصدق بعض الذى قالوا ، ولا يصدق البعض الآخر ، وليس من المقبول أو المعقول ، أن يصح كلامهم فى جزء ولا يصح فى البعض الاخر ، فهو لا يمكن الا أن يكون صحيحا كله ، وصدقا كله .

فاذا طلبوا منا أن نؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، وما يستتبعه ذلك من بعث ونشور وحساب وجنة ونار فقد وجب الايمان والتصديق بذلك كله ، ما دام القائل بذلك من أهل الثقة الذين شهد الزمان بصدقهم .

ونحسب أن موضوع الايمان بالملائكة لا يثير كبير صعوبة فى فهمه وادراكه .

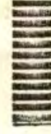
وكذلك الايمان بالرسل السابقين ، وقد رأينا كيف أن الايمان ببعضهم يستتبع حتما الايمان بالآخرين من حيث أن القضية واحدة ، وكذلك الشأن بالنسبة للكتب ، أو بالأحرى التعاليم التي جاء بها كل رسول ، كل ذلك لا يثير صعوبة فكرية من أى نوع كان ، لانه تطبيق لمنطق الاشياء .

وانما تبدأ الصعوبة الفكرية بعض الشيء ، عندما يدور الايمان حول اليوم الآخر ، وما يستتبعه من بعث ونشور بعد الموت وحساب وجنة ونار ، مما يوصف بالغيبيات التي يتعين على المؤمن أن يصدق بها ، دون أن يلتمس الدليل العقلي على ثبوتها ، وعندنا أن هذا القول ان جاز بالنسبة للاقدمين ، حيث كان علمهم محدودا .. فهو لم يعد جائزا فى عصرنا الحديث ، حيث انكشف لنا من العلم ، ما يجعل موضوع البعث والنشور بعد الموت مسألة تكاد تلمس باليد ، وتثبتها التجربة كما سنبين ذلك فى مقالنا التالي ان شاء الله .

---

(١) اذ اننا نبيح لانفسنا ان ننقل بعض العبارات عن الكتاب من غير المسلمين فذلك لانه أبلغ فى الدلالة من ناحية فالفضل ما شهدت به الاعداء .

بقية الرسم العثماني للمصحف



رضوان الله عليهم ، حتى قال علي بن ابى طالب ــ كرم الله وجهه ــ . « لو وليت لفعلت فى الصحف الذى فعل عثمان » .

وقد امر بعد ذلك بكتابة مصحف لاهل المدينة ، وآخر لاهل مكة ، وثالث لاهل البحرين ، ورابع لاهل اليمن . وقد نقل الجعبرى عن ابى على ان عثمان امر زيد ابن ثابت ان يقرىء بالمدنية ، وبعث عبد الله بن السائب مع المكى والمغيرة بن شهاب مع الشامى ، وابا عبد الرحمن السلمى مع الكوفى ، وعامر بن عبد قيس مع البصرى ، ولم يعرف من بعث مع اليمنى او البحرانى ، ولهذا انحصر الائمة الخمسة فى السبعة الامصار .

قال الجعبرى . « والاعتماد فى نقل القرآن على الحفاظ ، ولهذا أنفذهم الى اقطار الاسلام للتعليم ، وجعل هذه المصاحف اصولا ثوانى حرصا على الانقاذ ، ومن ثم ارسل الى كل اقليم المصحف الموافق لقراءة قارئه فى الاكثر »

ويفهم من كلام الجعبرى ان بين المصاحف شيئا من الاختلاف فى الرسم ، وهو صحيح ، ولم يكن غرض عثمان ــ رضي الله عنه ــ منع الناس من قراءة القرآن بالقراءات المروية بالتواتر ، وحملهم على الاقتصار على لغة قريش ، وتضييق ما وسعه الله على عباده من الاذن لنبيه بأن يقرئهم على الاحرف السبعة تسهيلا لهم ورحمة بهم ، بل غرضه الضرب على ايدى من يتشبث بما وصل اليه ، ويحجر على الناس القراءة بما وصل اليهم ، ويقول . « قراءتي صواب وقراءة غيري خطأ » ووضع حد ثابت لقبول الروايات ، فكل رواية لا تنطبق على مرسوم المصاحف العثمانية يضرب بها عرض الحائط ، ولا يجوز القراءة بها ، ولذلك قال ابو محمد مكى . « لقد سقط العمل بالقراءات التي تخالف خط المصحف ، فكأنها منسوخة بالاجماع على خط مصاحف عثمان » .

ولو كان عثمان امر باتباع حرف واحد لما جاز لنا ان نخالفه ، فان عرفنا عينه اخذنا به ، وان لم نعرفه اقتضت قاعدة الحظر والاباحة عدم جواز القراءة بأى حرف كان ، اذ لا حرف الا وهو محتمل أن يكون غير مراد ، فهو محتمل للمنع .

وما ظهرت هذه المصاحف الا وقد تقاطر عليها الناس لنسخها ــ كما هي ــ من غير تغيير فى شيء ، حتى الحروف المخالفة لاصول الرسم القياسى .

وكانت الكتابة فى ذلك العهد خلوا من نقط الاعجام ومن الشكل بأى طريقة كانت ، فكانت مصاحف عثمان كذلك ، وكان المرجع فى القراءة الى المقرئين الذين انفذوا الى الاقطار ومن تلقى تلقى عنهم .

وأول من وضع الشكل ابو الاسود الدؤلى بطلب زياد بن سحية ، عامل معاوية ، فوضعه نقطا حمرا فوق الحروف وتحتها وعن يمينها .

واول من وضع نقط الاعجام نصر بن عاصم الليثي مستعينا باستاذه يحيى ابن يعمر العدواني بطلب الحجاج عامل عبد الملك بن مروان .

وأول من غير النقط الحمر الى الحروف الصغيرة الخليل بن احمد الفراهيدى بعد انقراض دولة بني امية .

ومن هذا نعلم ان مصاحف عثمان كانت صالحة لان تقرأ على اوجه شتى حسب ما يحتمله رسمها ، فكانت الرواية هي المخصصة لبعض هذه الاوجه دون بعض ، وبسبب تعدد الروايات تعددت القراءات .

من حقائق الدعاء

وقال ربكم ادعوني أستجب لكم

يقول عمر رضي الله عنه ، أنا لا أحمل هم الإجابة ، وانما أحمل هم

كلام أصيل نفيس ، فليس كل دعاء مجابا ، فمن الناس من يدعو أن يأخذ الله ذلك الذى يزحمه فى سوق المنافسة على العيش ، أو ذلك الذى يسبقه الى قلوب الرؤساء ، ومرضاة السادة ، وكل دعاء من هذا القبيل لا يجاوز الى الله شفتي قائله ، فالدعاء مخ العبادة كما يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم ... وليس من العبادة أن يستدبر الانسان وجه الله ويزهد فيما عنده ، ثم يدعوه بمثل هذا الدعاء الباطل .

الدعاء مخ العبادة ، أى سرها ، ورحيقها .. وحقيقة الدعاء : أنها ذلك الشعور الرقيق ، الذى تقبل به على الله فى صفاء ، تعلن به عبوديتك له ، واعترافك به ، وحاجتك اليه ، وعجزك بين يديه ... حاجتك الى المزيد من كمال النفس ، وعزائم الخير ، ومنازل الصدق .. وعجزك عن مجاهدة النفس ، ومدافعة أسباب الفتنة والغواية ، لتقوى به على ما تريد من العصمة والسير على مناهج الحق .

ذلك الشعور الرقيق الذى يقبل بجوارحك كلها على الله ، ما ظهر منها وما خفى ــ هو مخ العبادة ، أى حقيقتها ، وخلاصة نورها .. لأنك باقبالك هذا عليه ، انما تدعوه بكل ما فيك . تدعوه باشراق الذهن ، وشوق السريرة ، ونبض القلب ، وخلجة العاطفة .. وهى حال لا تكون معها شخصا مؤلفا من لحم ودم ، بل أنت ــ اذا ــ وجدان راق يسرى فى ضمير الكون ، ويمتزج بما فيه من أسرار الجمال والقوة والخير ، وتكون بها أقرب ما تكون الى الله ... ويكون الله أقرب ما يكون اليك ... وسواء عليك فى هذه الحالة أدعا لسانك بما تريد ، أم أكننته فى نفسك ، فالله سبحانه مجيبك الى ما هتفت به سريرتك اليه من خير .

الدعوة سهم من سهام الله ، فاذا نزعت عن جوانح ناظرة الى الله ، راغبة فيما عنده لم يكن لها سوى عرش الله محل ... أوى عمر يوما الى كومة من الرمل بعد أن أجهده الطواف والسعى فى مصالح المسلمين ، فلما وجد مس

للاستاذ البهي الخولي

الدعاء ، فاذا الهمت الدعاء كانت الإجابة معه

الراحة على الرمل قال « **اللهم قد كبرت سنى ، ووهنت قوتى ، وفشت رعيتي فاقبضنى اليك غير مضيع ولا مفتون ، واكتب لى الشهادة فى سبيلك ، والموت فى مدينة رسولك** » . . .

فخبرنى بربك أى شىء فى هذا الدعاء تنظر اليه معدة عمر أو جيبه أو شهوته الدنيا ؟ . . انها الهمم الرفيعة ، والنفوس الكبيرة أبت أن تتقوم آمالها بشىء من عرض هذاالادنى ، كثيرا كان أم قليلا . . هذا الرجل الكبير لم يقل هذا الدعاء الناصع الرائع ، وهو فى أعماق عزلة من الناس ، أو صومعة فى رؤوس الجبال فارا اليها من معترك الحياة ، وانما قاله وهو يسوس الشرق والغرب ، وهو مجهد من السعى فى مصالح المسلمين .

ماذا يرجو عمر من الله ؟ انه يشكو اليه ضعف قوته ، وثقل اعبائه ، ويدعو أن يعصمه من الفتنة ، وتضييع الرعية . . . وأى فتنة لمن هو فى مثل موقفه ، والمال بين يديه ، يكال بالكيل ، ولا يحصى بالعدد، والجاه والنفوذ فى اشارة من اشاراته ؟ ! . . وهل يفتن امرؤ فى مثل هذا الا أن تراوده الدنيا بالمال عن نفسه وهمته ومثله العليا ؟ أو أن يطيش حلمه ويسفه رأيه بما معه من الجاه ، فيدل على الناس بجاهه وعزة منصبه ، وتروج لديه سوق الرياء والنفاق والملق الوضيع ؟ . . وهل تضيع الرعية الا بهذين ، أو واحد منهما ؟ .

وأخيرا فهو يسأل الله الشهادة فى سبيله ، والموت فى مدينة رسوله . وان فطنتك ورهافة حسك لمدركة جمال العناية فى الشهادة فى سبيل الله ، ومدركة صفاء تلك العاطفة حين تسيل حبا وحنينا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فاذا لم يسمع الله الى خلجات تلك الجوانح ، وهمسات هذه السرائر فلمن يسمع ؟ . . أيسمع للملحدين المطموسين، الذين لا يدرون من سر وجودهم شيئا ،



أو يســمع لأولئك الغافلين المتمرغين فى أوحال المادة والمنافسة عليها ؟ .

تلك جوانح شف عنها الغطاء ، فغدت مقادير الله تلقى عليها ما يشبه الظلال ، أو الضياء .. فلا تلبث أن تستحيل فى فطرتها الصافية الى مشاعر ملهمــة ، تنطق اللسان أو تلهمه أن يدعو الله ، فاذا الدعاء ترجمة لتلك الظلال ، وارهاص بما شاء الله من مقادير .. وحين يتردد الصدى بين مقاديـر اللـه ، وجوانح المؤمنين ، ويعمر الافق بما بين هذين الطرفين الكريمين من تجاوب ، فهى ساعة الاجابة ، وهى ساعة الهام الدعاء ، وهى ما يقول عنه عمر « فاذا الهمت الدعاء كانت الاجابة معه » .

وكل انسان يستطيع أن يدعو ، ولكن العبرة ليست بالدعاء ، بل بالشـعور الباعث على الدعاء ، وهو شعور تهتف به الجوانح ، عندما يسطع عليها ظل من ظلال المقادير الموشكة ، وليس فى طوق بشر أن يصنع ذلك الشعور ، لانه ليس فى طوق بشر ان يتصرف فى ظلال تـلك المقادير ، وهو ما عناه عمر بقوله « أنا لا أحمل هم الاجابة وانما احمل هم الدعاء ... » فالاجابة قرينة الدعاء لا محالة .. ولكن أنى لنا بالقدر الذى يلهم الدعـاء ويحفز اليه ؟ ذلك ما يحسب له عمـر الحساب كله .

وما دامت الهمة منوطة بحوافز الدعاء ومثيراتـه ، فالسبيل الى هذا الدعـاء الصالح أن تستقبل وجه الله فى كل شىء ، وفى كل حال ، ولا تنظر الا الى ما عنده من مثوبة وكرامة ومنزلة .. ذلك فى نظر الناس سيرة طيبة ، وهمة عالية ، وخلق فاضل عاطر ، ولكنه بالنسبة لك رقى فى منازل الكمـال ، وتنقيـة وتهذيب ، فيغدو لك مع أسرار هذا الوجود تجاوب .. لا أقول تعلم الغيب ، ولكن أقـول : تجاوب رقيق عميق ، به الهام ومشاعر طيبة مباركة ، تنهض الى خير العمل ، وتوحى بأطهـر النيات ، وتلهم الكلـم الطيب ، والدعاء الصالح ...

لا يكون صاحب هذه السريرة بشرا مغلقا مطموسا ، تمر به نفحات هــذا الكون وأسراره ، كما تمر النسمة الرقيقة بالصخرة الصماء ، بل قلبا هينا لينا ، وبصيرة مستقبلة متأثرة متجاوبة ، فهو ممتزج بالوجود ، والوجود ممتزج به .

ولكن ماذا فى هذا الامتزاج والتجاوب؟

فيه أشياء كثيرة لا نعرض لهـا الآن فى هذا المقام . ولكن من هذه الاشياء أن الاحداث بخيرها وشرها حين تقع له ، لا تقع منه موضع المفاجأة . لا لأنه كان يعلمها من قبل ، بل لأن امتزاجه بروحها وسرها الغامض جعـل نفسه فى مقـام التهيؤ لكل طارىء ، فلا يطير به الفرح اذا طالعه ما يسر .. ولا يحطمه الحزن اذا نابه ما يسوء ، وذلك من جلال الخلق وعظمة النفس .. وأحب أن أرقى بك الى غير هذه فأقول ان اتصال سريرتك بروح هذا الوجود ، وامتزاجها بسره ، قد يدق ، ويلطف ، ويزداد حتى يزداد أنسها بالقدر الذى يسوء ، فاذا هو فى نفسك نعمة مرجوة ، وطلبة منشـودة تسألها الله فى دعاء حار ..

من منا يا أخي يحب أن يطعن فى بطنه بخنجر طعنات قاسيات ، تمزق أحشاءه حتى يندلق منها الطعام والشراب ؟... هذا الحادث القاسى الذى تقشعر منـه الابدان ، كان جنينا فى ضمير قدر مـن اقدار الله التي خبأها لعمـر . ولكـن

امتزاج عمر بحقيقةالوجود ونفوذ أسراره الخفية الى نفسه الملهمة ، كان منه أن سطع هذا القدر فى أشراق حلو على قلبه ... لم تكن صورة هذا القدر واضحة لمفهوم معين ، ولكنه كان اشراقا حلوا هتفت به الجوانح وترجمه اللسان « اكتب لي الشهادة فى سبيلك والموت فى مدينة رسولك » دون أن يدور بخلده على أى صورة يكون هذا الاستشهاد ..

نموذج آخر : النعمان بن مقرن

واستمع الى نموذج آخر ممن طهروا جوانحهم من أن تلصق بها أوساخ المادية، ذلك « النعمان بن مقرن » يستعمله عمر على ناحية اسمها (كسكر) يجمع الزكاة من أهلها ، وهي شيء كثير ، وليس على النعمان فى ذلك رقيب ولا أمير ، ولا عمر الذى تنأى به المراحل والمفاوز عن (كسكر) .. فهو وحده الذى ينظر فى مال الناس ، ليفرض على كلٍّ ما يشاء من الزكاة . ان شاء استوفى وبالغ ، وان شاء طفف وترك .. وليس معه دواوين ولا دفاتر تحفظ ما يأخذ وما يدع ، ولا هو يعطيهم على نفسه وثائق بما أدوا من حقوق الله .

رأى النعمان ذلك ، ورأى المال الكثير والدنيا العريضة تتزين له وتراوده ، فاستعصم وتماسك ونأى بجانبه .. ولكن المال الذى لا حارس له استمر يطرق على قلبه فى اغراء وغواية .. ويستعيذ النعمان بالله من هذه الفتنة الملحة التى ألقاه عمر فى تيارها فكتب اليه ((**يا أمير المؤمنين ان مثلي ومثل (كسكر) كمثل رجل شاب عنده مومسة تتلون له وتتعطر ، واني أنشدك الله لما عزلتني عن (كسكر) ، وبعثتني فى جيش من جيوش المسلمين ...**)) .

وكم كان بودى لو أقمنا طويلا على هذا المثل نتأمل عمق العبرة فيه ، ونقارن بينه وبين حال كثيرين من اولئك الذين فرغوا من حساب الشرف ، والخلق ، والكرامة ، ليخلص لهم المال قذرا ملوثا بأبشع ما يقشعر له الضمير من جرائم الضعة ، وامتهان القيم الرفيعة ، ونرى النكسة البشعة التى أصابت الانسانية فى خلقها ومثلها العليا .. فهذا الرجل القديم لو أخذ واختلس وخان لما أحس أحد أخذه واختلاسه وخيانته .

ولن تكلفه الخيانة مع ذلك أن يصانع أحدا ، أو يحتال لها فى اخفاء أمره ، بل كانت تتم بأيسر مؤونة دون أن يأبه لها أحد ، أو يرتاب فى أمرها انسان ... ولكنه يرفض الرذيلة لذاتها ، لا لخفائها عن أعين الرقباء .. ثم انظر الى مرامى همته . فهو يطلب الاقالة من عمله ، لا ليخلد بعدها الى الراحة والعافية فى عقر داره ، بل طلب أن يبعث الى جيش من جيوش المسلمين ! !

كان بودنا لو نطيل المقارنة هنا ، لنظهر الفرق بين تلك الكواكب الدرية ، وهذى الخنازير الجرباء التى تداب الدهر فى القاذورات تدهدهها بأنوفها ، ولكن شاهد العبرة ينتظرنا عن قريب ، ويعجلنا عما نريد من كل ذلك .

لقد أعجب عمر بهذا الضمير الذى لا يريد لصاحبه أن يعيش لصا ، وبتلك الهمة العالية التى نبذت مساومة المال الى ميدان المصاولة والنزال .

ورأى عمر ببصيرته أن تلك النفوس المطهرة ، الموصولة حقا بنور الله ، خليقة بأن ينزل عليها الله سبحانه نصره ، ويختارها مظهرا لكرامته فى خلقه .. فكتب اليه أن يسير الى « نهاوند » وأن يكون أميرا لجيشها ..

أنظروا أيها القراء بعد ذلك الى هذا القائد القدوة ، كم كانت تساوى الحياة فى هذه الارض لديه ؟ **لقد قال لجنده : انى سأهز الراية ثلاثا ، أما الاولى فليقض الرجل حاجته وليجدد وضوءه .. وأما الثانية فلينظر الرجل شسع نعله ، ويرم من سلاحه .. فاذا هززت الثالثة فاحملوا .**

البقية على ص ٣٧

التوكل على الله

ليس التوكلُ سُبْحةً ... وهِراوة ومرقّعَه
ولحى تطول وصيحةً ... بين الخلائقِ مُفْزِعَه
وتماوتاً وتعارضاً ... وبطالةً مُتَسكّعَه
ويدا تُمد بذلة ... وبنبرةٍ متفجعَه
لكنه عملٌ إذا ... ما دامَ أثمرَ منفَعَه
عمل يصون مروءةً ... ويقيك من عارِ الضعَه
يجد الكدوحُ لنفسهِ ... عيشاً به ولِمَنْ مَعَه
من أسرةٍ يُعْلِي بها ... بَيْنَ البرايا أربُعَه
إن الشعوبَ أساسهَا ... أسرُ تجنب مَضْيَعَه
والفردُ يبذلُ جهدَه ... في معملٍ او مزرعَه
منه التسببُ أولاً ... بمواهبٍ متنوعَه
وعلى الالهِ نجاحُه ... ان جدَّ فيما أزمعَه
هذا توكلُ مؤمنٍ ... اللهُ - حقاً - شرعَه
لا من يمنّي نفسَهُ ... وينامُ في ظل الدعَه
مترقباً ما لا يكو ... نُ ولا يحققُ مطمَعَه

للاستاذ المدني الحمراوي
وزارة العدل المغربية ـ الرباط

الا بسعيٍ مفلحٍ — وبهمةٍ مترفعَه
فالله زود عبدَه — خيرَ الأداةِ ومتعَة
إن كانَ أحسنَ صرفها — أجدى عليه وشجعَه
وإذا تجاهلَ سرهَا — كانَ التحسرُ مرجعَه

★ ★ ★

يامن توكل قاعداً — احذرْ هواكَ ومرتَعَه
واعملْ فقد أوتيتَ مَا — لاينبغِي ان تدفَعَه
عقلاً يدلك نورُهُ — وجوارحاً لك طيعَه
فاذا عَمِلتَ فقد أصبْتَ من التوكلِ موضعَه
وإذا قنعت بمنيةٍ — لم تغدُ إلا إمَّعَه
رضي الهوانَ لنفسه — ولقومِه وتجرعَه
ونفَى مزيةَ نوعِه — ونفىَ الحِجَى اذ ضيعَه
فكفاك أنك ناشزٌ — يبغى لعقل مصرعه
يحي بفكرٍ ميتٍ — كالماشياتِ بأربعَه

مائدة القارئ

الفكر والحق

- الحق يحيا بالقوة ...
- والقوة تحيا بالتدبير ..
- والتدبير يولد الفكر ..

أمانـة

مر عبد الله بن عمر على راع يرعى غنم سيده فأراد أن يمتحنه .

قال له : هل من جزرة .

قال الراعي : ليس ها هنا ربها .

قال عبد الله : تقول له . ان الذئب أكلها .

قال الراعي : اتق الله .

فسر ابن عمر واشترى الراعى من سيده وأعتقه ثم اشترىالغنم ووهبها.

فـن

قيل لعنترة : أأنت أشجع العرب وأشدهم ؟ .

قال : لا .

قيل : فلماذا يقول عنك الناس هذا ؟ .

قال : كنت أقدم اذا رأيت الاقدام عزما ، وأحجـم اذا رأيت الاحجام حزما ، ولا أدخل موضعا الا أرى منه مخرجا ، واقصد الضعيف الجبان فاضربه ضربة يطير لها قلب الشجاع فانثنى عليه فاقتله .

أصناف الرجال

قال الخليل بن أحمد :

الرجال أربعة :

١ ـ رجل يدرى ويدرى أنه يدرى فذلك هو العالم فسلوه .

٢ ـ ورجل يدرى ولا يدرى أنه يدرى فذلك هو الناسى فذكروه .

٣ ـ ورجل لا يدرى ويدرى أنه لا يدرى فذلك هو الجاهل فعلموه .

٤ ـ ورجل لا يدرى ولا يدرى أنه لا يدرى فذلك هو الأحمق فابغضوه .

سبيل المجد

قدم الأحنف الكوفة فى أيام مصعب ابن الزبير فرآه رجل أعور قصيرا دميما أحنف الرجلين فقال له : يا أبا بحر بأى شيء بلغت فى الناس مـا أرى فوالله ما أنت بأشرف قومك ولا أجودهم .

فقال الأحنف : يا ابن أخي بخلاف ما أنت فيه .

قال الرجل : وما هو .

قال : تركى من أمرك ما لا يعنيني كما عناك من أمرى ما لم تتركه .

قصيدة قديمة

ألهى بنى جشـم عـن كـل مكرمـة
قصـيدة قالها عمـرو بن كلثـوم

يفاخـرون بهـا مذ كـان أولهـم
يا للرجال لفخـر غـير مسـئوم

ان القديـم اذا ما ضـاع آخـره
كسـاعد فلـه الدهـر محطـوم

علـــم وعمـــل

قال يحيى بن خالد لشريك ـ علمناما علمك الله يا أبا عبد الله . فقال له شريك . اذا عملتم بما تعلمون علمناكم ما تجهلون . أى أنه لا فائدة للعلم بلا عمل . وان العمل بالعلم القليل ينميه ويجعله كثيرا . فلا عبرة بكثرة العلم اذن وانما العبرة بان تعمل .

ويوشك أن يكون هذا هو معنى الحديث الشريف ((من عمل بما علم أورثه الله علم ما لم يعلم)) .

حضارة الاسلام

قال الدكتور ((انسبانذ)) الايطالى فى كتابه ((الاسلام وسياسة الخلفاء)) ان الكرم العلمى والصدقة الفكرية صفتان من صفات الاسلام شانهما أن تجعلا الأمة العاملة بهذا الدين أهلا لأن تبلغ من الحضارة ذروتها العليا .

لباقـة

أقبل أعرابى يطلب رجلا وبين يديه تين فغطاه بكسائه وجلس الأعرابي فقال له الرجل هل تحسن من القرآن شيئا ؟ قال : نعم وقرأ ((والزيتون وطور سنين)) فقال الرجل وأين التين ؟ قال : هو تحت كسائك .

صناعات أبنـاء الملوك

روى ابو عمر بن عبد البر آن عبد الملك بن مروان قال يوما لبنيه يا بنى لو عداكم ما انتم فيه ما كنتم تقبلون عليه ؟

قال الوليد اما انا ففارس .

وقال سليمان أما أنا فكاتب سلطان

فقال ليزيد فانت .

فقال والله يا امير المؤمنين ما تركا حظ المختار .

فقال عبد الملك فأين انتم يا بنى من التجارة التى هي اصلكم ونسبكم

قالوا تلك صناعة لا يفارقها ذل الرغبة والرهبة ولا ينجو صاحبها من الدخول فى جملة الدهماء والرعية

فقال عليكم اذن بطلب الادب فان كنتم ملوكا سدتم وان كنتم وسطا رأستم وان اعوزتكم المعيشة عشتم .

رد مقنـع

قال زياد لأبى الاسود الدؤلى لولا أنك قد كبرت لوليناك بعض اعمالنا فقال ان كنت تريدنى للصراع فليس عندى كفاية ، وان كنت تريد رأيى وعقلى فهما أوفر مما كانا .

وقيل لابى الاسود ايضا انت والله ظرف لفظ ، وظرف علم ، وظرف حلم « أى وعاء لكل ذلك » غير أنك بخيل ، فقال وما خير ظرف لا يمسك ما فيه .

٣

الإسلام دين ودولة

الشريعة الإسلامية جاءت بأمثل النظم لكلا الأمرين، وهي من الشمول والسعة بحيث تصلح للحكم في كل زمان ومكان وتفضل القوانين الوضعية

للمستشار علي علي منصور
الرئيس السابق لمحكمة الاستئناف بمصر

تمهيد

بينا فى المقال الأول (١) كيف دخلت القوانين الوضعية البلاد العربية الاسلامية، وكيف طغت على الشريعة الاسلامية وزحزحتها عن مكان الصدارة وحولتها مصدرا ثانويا .

وفى المقال الثاني (٢) تكلمنا عن مكانة الشريعة وتفوق الفقه الاسلامي على الفقه الوضعي مستدلين بأن معظم النظريات الغربية الحديثة مأخوذة عن شريعتنا . ثم تكلمنا عن دعائم الشريعة الاسلامية التي أهلتها لتفوق الاكتمال والتميز بالسبق .

وها نحن نتابع البحث : —

اطوار التشريع الاسلامي

ولقد مرت الشريعة الاسلامية بعصور وأطوار مختلفة .

أولها — طور التشريع :

ومدته ٢٣ سنة هي مدة البعثة النبوية ، ومصدر التشريع فيها الكتاب والسنة .

والطور الثاني :

طور الاجتهاد ويذهب البعض الى أن مدته ثلاثة قرون بعد لحوق المصطفى بالرفيق الأعلى ، وهو اجتهاد الصحابة والتابعين ، وفقهاء الأمصار ، وهنا ظهر مصدران آخران للشريعة هما : الاجماع والقياس . ويذهب فريق آخر الى أن الاجتهاد امتد الى القرن العاشر الهجرى . وعلى كل حال ففي القرون الثلاثة الأولى بعد الهجرة وضعت تلك الثروة الضخمة من الفقه الاسلامي ، حتى أنهم فرضوا المستحيلات وافتوا فيها وتبلورت المذاهب الفقهية المختلفة .

الطور الثالث :

وهو دور التقليد ، وقيل انه يمتد الى الآن ، ولم يخل من بعض المجتهدين كابن تيمية ، وهو ينتسب الى مذهب الامام احمد ، وابن حزم وينتسب أصلا الى الظاهرية .

وفى هذا الطور حيث قفل باب الاجتهاد ، رجع العلماء الى الفقه القديم فنقلوه ، اما فى مبسوطات ، واما فى كتب وسيطة ، أو فى كتب مختصرة ، سميت (بالمتون) واكتفى العلماء أخيرا بحفظها ، ثم اهملت المبسوطات .

وكان قفل باب الاجتهاد دون قفل باب الحوادث والاحداث ، فاضطر الناس الى التماس الحلول للمشاكل بالحيل . كالمحلل وغيره ، وباستيراد القوانين من الخارج .

الا أن هذا الطور هيأ الفرصة لظهور كتب سميت كتب الاختلاف «المقارنات» وهي مقارنة بين احكام المذاهب المختلفة ، ومن أهمها المغنى لابن قدامة ، والمحلى لابن حزم ، فوضعوا بذلك نواة علم المقارنات ، على انه فى هذا الطور أيضا تنبه بعض العلماء الى الخطر فى قفل باب الاجتهاد فنبهوا الى ذلك ، منهم ابن تيمية وابن القيم ، وجمال الدين الأفغاني ، ومحمد عبده ، والكواكبي .

والتقليد فى ذاته ليس معيبا ، بل قيل انه واجب على كل من لا تتوافر له شروط الاجتهاد ولا يقدر عليه ، لعدم تمكنه من الكتاب والسنة . وعلوم القرآن والحديث وقواعد الاستنباط للاحكام من اصولها ، وعدم تمكنه من اللغة العربية فالله يقول « لا يكلف الله نفسا الا وسعها » ويقول « فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون » .

اما اذا كان المسلم قادرا على الاجتهاد فى فروع الشريعة ، فهل يجوز له تقليد غيره أو لا يجوز ؟

والآراء فى ذلك ثلاثة :

الأول : أنه يحرم عليه تقليد غيره ، ويجب عليه الاجتهاد والعمل بما يؤديه اليه اجتهاده ، وهذا المذهب يمثل روح الاسلام ، والحث على النظر ، والتأمل والحرية الفكرية والدينية ، ومن أصحاب هذا المذهب الشيعة الامامية والزيدية وابن حزم الظاهرى والدبوسى الحنفى حيث يقول (ان المقلد ملحق بالبهائم والتقليد باطل ، بدليل أن الله رد على الكفرة حجتهم فى تقليد الآباء) .

الثاني : أنه يجوز للقادر على الاجتهاد أن يقلد غيره ، بشرط أن يقف على أدلة من يقلدهم من الائمة ويقتنع بها ، وممن قال به ابن زروق المالكي ، بل ان الائمة الاربعة أنفسهم قالوا بذلك ، فكان ابو حنيفة يقول « علمنا هذا رأى لنا ، وهو احسن ما قدرنا عليه ، فمن جاءنا بأحسن منه فهو الصواب ، ولا يحل لأحد أن يقول بقولنا حتى يعلم من أين قلنا » - وكان مالك يقول (انما أنا بشر اخطىء وأصيب فانظروا فى رأيى فان وافق الكتاب والسنة فخذوا به ، وما لم يوافقهما فاتركوه) وكان الشافعي يقول « لا تقلدوني فى كل ما أقول وانظروا فى ذلك فانه دين » ويقول الامام أحمد بن حنبل « لا تقلدوني ولا مالكا ولا الشافعي ولا الثورى وخذوا من حيث اخذوا » .

الثالث : وهو رأى ضعيف يجيز للقادر

على الاجتهاد التقليد دون أن يشترط عليه معرفة دليل الامام الذى يقلده .

الاتجاه الى القوانين الوضعية الأجنبية

ذكرت أن سبب ذلك قفل باب الاجتهاد، ووجوب ايجاد حلول لمشاكل الناس . وقد شرحنا فيما مضى الأسباب الظاهرة التي دعت لأخذ قوانيننا عن القوانين الأجنبية عام ١٨٧٣ م وما بعده الى الآن ، ثم عمت القوانين الوضعية بعد ذلك معظم البلاد العربية الاسلامية .

الا أن القيمة التشريعية للفقه الاسلامي بدت تظهر فى المحافل الدولية ، وان أهملها اصحابها ، من ذلك :

أولا ــ مؤتمر القانون الدولي المقارن :

انعقد بلاهاى بهولندا فى اغسطس ١٩٣٢ م وكانت الشريعة الاسلامية ضمن القوانين المقارنة فى حيز ضيق جدا ، وفى هذا المؤتمر أعلن الأستاذ « لامبير » تقديره للشريعة الاسلامية من الناحية الفقهية .

وقدم الدكتور على بدوى عميد كلية الحقوق بالقاهرة بحثا عن العلاقة بين الأديان والقوانين كوسيلة للتحدث عن التشريع الاسلامي ، وقد اهتم المؤتمر بعد سماعه بما للشرع الاسلامي من أهمية فى علوم القوانين الحديثة ، ووافق بالاجماع على اقتراح مؤداه أن يحدد فى المؤتمر فى دورته التالية قسم خاص لدراسة الشرع الاسلامي كمصدر للقانون المقارن .

ثانيا ــ انعقد نفس المؤتمر فى اغسطس سنة ١٩٣٧ :

ودعى لشهوده ممثلان للازهر الشريف هما الشيخ محمود شلتوت والشيخ عبد الرحمن حسن . وقدما بحثين احدهما عن اسئولية الجنائية والمسئولية المدنية فى نظر الاسلام ، والثاني عن علاقة القانون الروماني بالشريعة الاسلامية وانتهى المؤتمر الى اصدار القرارات الآتية : ــ

١ ــ اعتبار الشريعة الاسلامية مصدرا من مصادر التشريع العام .

٢ ــ اعتبار الشريعة حية صالحة للتطور .

٣ ــ اعتبار التشريع الاسلامي قائما بذاته وليس مأخوذا من غيره .

٤ ــ تسجيل البحث الأول فى سجل المؤتمر واعتباره مرجعا فقهيا .

٥ ــ استعمال اللغة العربية بالمؤتمر فى دوراته المقبلة .

ثالثا ــ مؤتمر المحامين الدولي بلاهاى :

انعقد فى سنة ١٩٤٨ م واشتركت فيه ٥٣ دولة وقيل فيه الكثير عن الشريعة الاسلامية بمثل ما مر ذكره وأوصى مؤتمر المحامين الدولي بتبني دراسة الشريعة الاسلامية دراسة مقارنة .

رابعا ــ جمعية القانون الدولي العام :

اعتبرت هذه الجمعية محمد بن الحسن الشيباني صاحب ابى حنيفة الرائد الأول للقانون الدولي العام ، والفوا جمعية باسمه (١) ، ومن مهام هذه الجمعية بحث وتحقيق ونشر مؤلفاته وفقهه ، واصبح لها فى الهند فرع، وكذلك فى الباكستان . ومن مؤلفاته كتاب السير الكبير عن المغازى والجهاد ، ونظم الحرب والسلم وعلاقات الدول فى كل من الحالين .

خامسا ــ أسبوع الفقه الاسلامي فى باريس سنة ١٩٥١ :

خصصت كلية الحقوق هذا الاسبوع كله للفقه الاسلامي ، وطلب القائمون على

(١) انظر فى العدد الخامس ترجمة وافية له ...

اعداد هذا الاسبوع الى علماء الاسلام ، تقديم بحوث معينة كما اطلقت لهم الحرية فى القاء ما يرونه من بحوث اخرى ، اما البحوث الاسلامية التي عينت لما كان يحوطها من عدم الفهم من جانب علماء القانون الفرنسي وغيرهم فهي :

١ ـ اثبات الملكية .

٢ ـ الاستملاك للمصلحة العامة ، وهو ما يعرف بنزع الملكية .

٣ ـ المسئولية الجنائية .

٤ ـ تأثير المذاهب الاجتهادية فى بعضها البعض .

٥ ـ الربا فى الاسلام .

وكان نقيب المحامين فى باريس رئيسا للمؤتمر فى الجلسة النهائية واختتم اعمال المؤتمر بكلمة قيمة قال فيها (لا أدرى كيف أوفق بين ما كان يصور لنا من جمود الشريعة الاسلامية والفقه الاسلامي ، وعدم صلاحيتها كأساس لتشريعات متطورة ، وبين ما سمعته فى هذا المؤتمر مما يثبت بغير شك ما عليه الشريعة الاسلامية ، من عمق وأصالة ودقة وكثرة تفريع وصلاحية لمقابلة جميع الاحداث) وانتهى الاسبوع بالقرارات الآتية :

١ ـ مبادىء الفقة الاسلامى لها قيمة قانونية تشريعية لا يمارى فيها .

٢ ـ اختلاف المذاهب يحوى ثروة تشريعية هى مناط الاعجاب ، ومنها يستجيب الفقه الاسلامى لجميع مطالب الحياة ، ثم انحى اعضاء المؤتمر باللائمة على فقهاء الاسلام فى العصر الحالى واصدروا التوصية الآتية وهي :

اخراج موسوعة للفقه الاسلامي تعرض فيها المبادىء والنظريات مبوبة تبويبا عصريا .

موسوعة الفقه الاسلامى

ومضت الايام ولم ينشط احد للعمل على تحقيق هذا الامل ، حتى اسست كلية الشريعة بجامعة دمشق سنة ١٩٥٥ فأقبلت على تحمل هذا العبء والفت لجنة تقوم بوضع الموسوعة وعملت حتى صدر المرسوم الجمهورى رقم (١٧١١) لسنة ١٩٥٦ م وينص على أن تصدر كليةالشريعة موسوعة « دائرة المعارف » غايتها صياغة مبادىء الفقه الاسلامى بمختلف مذاهبه ، وافراغها فى مصنف جامع مرتب على غرار الموسوعات القانونية الحديثة ، بحيث تعرض مواد الفقه الاسلامى عرضا علميا حديثا ، يسهل الرجوع الى نصوصه للافادة منها الى ابعد حد ، ويرشد الباحثين الى مصادر هذا الفقه . وتألفت اللجنة الاولى من : الدكتور مصطفى السباعى ، والاستاذ السمان ، والاستاذ الزرقا ، والدكتور الدواليبى ، والدكتور العشى .

وبعد الوحدة بين مصر وسوريا صدر من رئيس الجمهورية العربية المتحدة قرار جمهورى رقم ٥٣٦ لسنة ١٩٥٩ م اضاف الى لجنة الموسوعة فى جامعة دمشق الاستاذ المبارك ، والاستاذ الكنانى ، والدكتور محمد زكى عبد البر ، ولما ان انشىء المجلس الاعلى للشؤون الاسلامية بالقرار الوزارى رقم ١ لسنة ١٩٦١ بتوجيه من رئيس الجمهورية العربية المتحدة ، واعلن عن فروعه ولجانه المختلفة ومن بينها لجنة لوضع دائرة معارف اسلامية ، واخرى لوضع موسوعة للفقه الاسلامى ، بينت اهدافها وجميع ما يتعلق بها فى المواد من (٢٩ ـ ٣٣) لما حصل ذلك وعلم به اهل سوريا حضر الى مصر بعض اعضاء لجنة الموسوعة بدمشق ، وجرت اتصالات لتوحيد الجهود ، وانتهت بالاتفاق على الابقاء على لجنة الموسوعة بدمشق ، واضافة آخرين من الاقليم الجنوبى هم بحسب ورود ذكرهم فى القرار الوزارى ، فضيلة الشيخ محمد احمد فرج السنهورى ، والمستشار على على منصور والدكتور عثمان خليل ، وفضيلة الشيخ على الخفيف ، وفضيلة الشيخ محمد ابو زهرة (القرار الوزارى رقم ٢٤ لسنة ١٩٦١) .

ثم اصدر وزير الاوقاف بمصر القرار الوزارى رقم ٢٣ لسنة ١٩٦١ بتسمية الموسوعة « موسوعة جمال عبد الناصر فى الفقه الاسلامي » .

وقد انتهت اللجنة الى استخراج جميع المصطلحات الفقهية من المذاهب الفقهية الثمانية ، وهى : **مذاهب اهل السنة الاربعة، ومذاهب الشيعة الامامية والزيدية ، ومذهب اهل الظاهر ، ومذهب الاباضية** ، ورتبت ترتيبا هجائيا ، واصدرت اللجنة نموذجا لما ستكون عليه الكتابة فى الموسوعة عن بعض الالفاظ ، ومن القرارات التى اتخذتها اساسا للعمل :

١ ـ ان تكون الموسوعة مدونة ، ترتب موادها ترتيب حروف المعجم مراعى فى ذلك اول الكلمة والحروف التالية لها .

٢ ـ ان تكون اسماء كتب الفقه وابوابه موادا مستقلة توضع فى ترتيبها الهجائي .

٣ ـ ان تكون الموسوعة جامعة لاحكام المذاهب الفقهية الثمانية التى مر ذكرها مع اهدار الاقوال الشاذة ساقطة الفكرة .

٤ ـ ان يكون ايراد ادلة الاحكام فى حدود الاعتدال وبمقدار ما تستبين به وجهة النظر .

٥ ـ ان وظيفة الموسوعة ليست الموازنة بين الشرائع ولا بين المذاهب الفقهية ولا ترجيح بعض الاقوال على بعض ولا نشر البحوث والآراء . وانما وظيفتها جمع الاحكام الفقهية ، وترتيبها فى دقة وامانة بعبارة سهلة ، من المراجع التى تلقاها الناس بالقبول ، حتى نهاية القرن الثالث عشر الهجرى .

٦ ـ ان يكون فى نهاية كل جزء من اجزائها فهارس للآيات والاحاديث والاعلام .

هذا وقد اصدر السيد المهندس احمد عبدة الشرباصى نائب رئيس الوزراء ووزير الاوقاف فى ٦ مايو سنة ١٩٦٤ القرار الوزارى ١٩٢ سنة ٦٤ باعادة تنظيم المجلس الاعلى للشؤون الاسلامية وتنص المادة ٢٨ منه على انه يجوز ترجمة الموسوعة الى اللغات الاجنبية .

وكان الدكتور محمد البهى وزير الاوقاف السابق بمصر قد اصدر قرارا وزاريا بوقف اعمال لجان المجلس الاعلى للشؤون الاسلامية ومنها لجنة موسوعة الفقه الاسلامى لحين اعادة تشكيلها ، ولكنه لم يعد تشكيلها الى ان تغيرت الوزارة وعين المهندس احمد عبدة الشرباصى نائبا لرئيس الوزراء ووزيرا للاوقاف وشؤون الازهر فكان من بواكير اعماله اصدار القرار الوزارى باعادة تنظيم المجلس الاعلى للشؤون الاسلامية، واعاد تشكيل لجنة الموسوعة بالقرار الوزارى رقم ٢٤٢ لسنة ١٩٦٤م واصبح رئيس اللجنة صاحب الفضيلة الاستاذ الاكبر الشيخ حسن مأمون شيخ الجامع الازهر ، ونائب الرئيس الدكتور على بدوى والاعضاء فضيلة الشيخ محمد محمد المدنى ، والمستشار على على منصور ، والدكتور ضياء الدين صالح ، وفضيلة الشيخ على الخفيف وفضيلة الشيخ احمد هريدى ، وفضيلة الشيخ عبد اللطيف السبكى ، وفضيلة الشيخ احمد الفاضلى ، وفضيلة الشيخ محمود الحفناوى والاستاذ محمد سلام مدكور مقرر اللجنة .

ولجنة الموسوعة تهيب بأولى الامر وعلماء الاسلام فى جميع البلاد ان يمدوا اليها يد المعونة تحقيقا لهذا الامل وما فيه من خدمة جلى للشريعة الاسلامية .

الوعى الاسلامى :

حين ترحب بهذه الخطوات فى سبيل انجاز الموسوعة ترجو ان تتضافر كل الجهود والكفاءات الاسلامية لانجازها فى اقصر وقت ممكن . وترى من المناسب الاشادة بالموقف الكريم الذى وقفه مجلس الامة والحكومة بالكويت ازاء الموسوعة الفقهية . فقد طلب المجلس من وزارة الاوقاف العناية بموضوعها . ورحبت الوزارة بهذه الرغبة وادرجت فى ميزانيتها للعام القادم مبلغا لذلك ..



ثم قال : ولا يلوين أحد على احد .. وان قتل النعمان بن مقرن (يعنى نفسه) فلا يلوين أحد عليه .. وانى داع اللــه بدعوة ، فأقسمت على كل امرىء منكم لما أمن عليها : (اللهم ارزق النعمان اليوم شهادة فى نصر وفتح على المسلمين) .

فتكهرب المعسكر بهذه الدعوة الرائعة ، وارتجت جوانبه بالتأمين عليها ، وكان النعمان أول قتيل فى المعركة وفتح اللــه على المسلمين ونصرهم فى ذلك اليوم نصرا مؤزرا .

أرأيت كيف ألهم النعمان الدعــاء ؟ وكيف كانت الاجابة معه ؟

انه القدر حضر والاجل معه ، فألقى ظلاله وأسراره على صفحة النعمان ، فاذا به يأنس للخطب ، واذا الانس يعظم فى نفسه ويعذب ، حتي يستحيل الى نعمة منشــودة ، وطلبــة مرجــوة ، فيهتف بالشــهادة ، وهو لا يعلم أنها على بعــد خطوات منه فى يمين القدر ، ولكنه الدعاء الذى حضر والاجابة معه ؟ .

وأم المؤمنين

واليك مثالا ثالثا تتعزز به كلمة عمر .

أتي اليه رضى الله عنه بمال كثير ، فقال « **أيها الناس قد جاء مال كثير ، فان شئتم أن نكيل لكم كلنا . وان شئتم أن نعد لكم عددنا . وان شئتم أن نزن لكم وزنا »** فقال رجل من القوم « يا أمير المؤمنــين ، دون للناس دواوين ــ أى دفاتر ــ يعطون عليها » فاشتهى عمر ذلك . ففرض لكل من المهاجرين خمسة آلاف درهم ، وفرض لكل أنصارى ثلاثة آلاف ، وفرض لكل زوجة من أزواج رسول الله عليه السلام اثنى عشر الفا . . وكانت زينب بنت جحش رضى الله عنها احداهن . . وكانت أسخى زوجاته عليه السلام ، وأدناهن الى قلوب الفقــراء بالعطاء والصدقة ، فلما رأت ما أرسل اليها عمر وجدت شيئا عظيما ، لم تــر مثله ، ولم تحسبه لها ، بل ظنت أن عمر أرسل به اليها ، لتقسمه على صواحبها من زوجات النبى ، فقالت : غفر الله لامير المؤمنين ، لقد كان فى صواحبى من هى أقوى على قسمته منى ، فقيل لها : ان هذا المال كله لك . . فأمرت به فصب ، وغطته بثوب .

وكانت صائمة ، وقالت لبعض مــن عندها ، ادخلى يدك لآل فلان .. وأدخلى يدك لآل فلان ، وآل فلان .. فلم تزل تعطى لآل فلان وآل فلان ، حتى قالت لها احدى الجالسات ، لا أراك تذكريننى ولى عليك حق ، فقالت: لك ما تحت الثوب . فكشفت الثوب ، فاذا خمسة وثمانون درهما ، فأخذتها وانصرفت . فقالت لها خادمتها : هلا كنت أبقيت لنا شيئا نتقوت بــه وأنت صائمة ؟ فقالت لــو ذكرتنى لفعلت ، وعند الله فضل كثير .. ثــم رفعت الطاهرة المطهرة يدها الى الله ، وقالت : اللهم لا يدركنى عطاء عمر بن الخطاب بعد عامى هذا . فكــانت أول زوجاته صلى الله عليــه وسلم لحوقــا به ...

وبعد فهل عرفنا حقيقة الدعاء ؟ .. وهل تعلمنا كيف ندعو الله ؟ ... وهل أدركنــا المطالــب التى ندعــوه بهـــا سبحانه ؟ ...

ألهمنا الله الخير ، ووفقنا الى الحقيقة، وهدانا سواء السبيل .

الإجارة في الإسلام

(نشرت المجلة الجزء الاول من هذا الحديث فى العدد الثالث ، وقد انتهى الكاتب الى ان اجارة الاشخاص جائزة شرعا ، ولا وجه للتشدد فى القول بضرورة احلال الجديد من التسميات كعقد العمل الفردى ، وفيما يلى بقية البحث) .

للاستاذ عيسى عبده

رئيس قسم الاقتصاد بمعهد الدراسات الاسلامية ـ القاهرة

اجارة الاشخاص واهل الصنائع ـ اذن ـ جائزة شرعا فى عبارة الفقهاء .. وهى اصل فى التنظيم الاقتصادى المتفق مع فطرة الانسان وعمارة الارض .. وهى نظام فى المحل الاول .. فما هى رأى يقول به مصلح .. ولا هى نظرية علمية يمكن نقضها .. وانما هى اوضاع وروابط واحكام .. تستفاد من مصادر علوية .. لا يستطيع الانسان ان يعدل فيها .. وان كان عند التطبيق يملك ان يتخذ طريقا وسطا او ان يلتزم بما هو خير .. او ينحرف .. فاذا ساءت احوال الاجراء فى مجتمع ما .. فالسبب هو سوء التطبيق ..

وجدير بالذكر ان عقد الاجارة فى انشائه وتنفيذه .. من اعمال الادارة .. وهنا نجد ارادة الفرد تتدخل .. وقد يعمد المالك او وكيله او الادارى الى ايقاع الظلم بالاجراء .. لفساد فى الناس .. لا فى النظام الذى جاءت به شريعة كاملة وخاتمة ..

ولكل نظام عناصر او مقومات .. ونريد بها ما يتعين توافره لكى يبقى النظام قائما .. والا جاز ان يختفى .. ونريد بالعناصر ايضا البيئة التى تحيط بالنظام المعين وتضمن بقاءه .

وهنا معيار دقيق للحكم على النظم .. فتلك التى يضعها الانسان تزول تباعا .. لانها تحمل فى طياتها بذور فنائها كما تثير من حولها تيارات عنيفة تزعزع الثقة بها .. او تقوض اركان البيئة التى تولد عنها النظام .. ومن ثم تزول .. ويزول النظام بزوالها ..

وهنا أيضا ننبه الى مواطن التفاخر بين النظم الموضوعية والنظريات التي يفرضها أصحاب المذاهب . فالماركسية

ـ مثلا ـ ترفض الاجارة (١) وترفض ملكية أدوات الانتاج وتدعى أن الرأسمالية تحمل فى طياتها بذور فنائها .

والرأسمالية تزعم بأن الشيوعية كالنار يأكل بعضها بعضا لانها ـ فى المدى الطويل ـ تهبط بالانتاجية فتزول او تتحول الى اعتناق اوضاع جديدة من الملكية .

هذا التفاخر بين اصحاب المذاهب الوضعية .. شبيه ببرامج الاحزاب .. أقله صدق واكثره ادعاء .. وهو على أية حال ، من نتاج الفكر البشرى .

والفكر قد يصيب ، وقد يضل .

اما عناصر نظام الاجارة فى الاسلام .. فهى وحى اولا وتطبيق لحياة الرسول .. فى كل الاصول .. وما من مصدر بعد ذلك يجوز له ان يصطدم او يبدل قاعدة وضعت .. أو حقيقة جعلت دعامة من دعائم النظام .. ولذلك كانت الاجارة فى الاسلام متفقة مع الفطرة .. كما كان الدين كله كذلك .

أما العناصر او مكونات النظام وعوامل بنائه وصلاحه .. فهي :

١ ـ التفاوت فى القدرات :

يقول الله (جل وعلا) « وهو الذى جعلكم خلائف الارض ورفع بعضكم فوق بعض درجات ليبلوكم فيما آتاكم » ويقول « .. اهم يقسمون رحمة ربك نحن قسمنا بينهم معيشتهم فى الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا ورحمة ربك خير مما يجمعون » .

ويقول « والله فضل بعضكم على بعض فى الرزق فما الذين فضلوا برادى رزقهم على ما ملكت ايمانهم فهم فيه سواء أفبنعمة الله يجحدون » .

تنبئنا هذه الآيات الكريمة بأن الله قد فاوت فى خلق الناس ، فأعطى بعضهم قدرات ، ولبعض آخر قدرات مغايرة .. وعلى هذا يحمل الرزق .. وليس الرزق اذن هو النقود ولا الوظيفة وانما هو عنصران .

أ ـ القدرات الشخصية والمواهب ، كالذكاء وبعد النظر والكفاية فى مباشرة النشاط بأنواعه .. وقد يكون القوة العضلية وحدها أو لياقة البدن .

ب ـ واستجابة المجتمع لما يصدر عن الفرد من قول أو عمل .

ومن محصلة هذين العنصرين يكون تقدير المجتمع للفرد حال نشاطه لتدبير المعاش أو ما يعرف بالأجر .. ثم ان هذه الآيات تنبىء بأن هذا التنظيم .. انما يراد به أن يتخذ بعضكم اجراء من البعض الآخر .. وفى هذا اسهب علماء التفسير وأهل التأويل ..

هذه الدعامة تجىء من آيات ظاهرها الخبر ، وباطنها العلم .. العلم اليقيني .. الذى لا يتحول .. العلم الذى لا يقوم على نظرية مادتها من المشاهدة أو من التجربة .. وانما مادتها من « الحقيقة » حقيقة الخلق .. وهذا أمر نعلمه ونراه ونسلم به .

٢ ـ التزام المجتمع بتحقيق العمالة الكاملة .

هذا هو العنصر الثاني من عناصر نظام الاجارة ، نجد كتاب الله يقرره ،

---

(١) الاصل فى ذلك هو ثورة طبقة العمال على من يملكون أدوات الانتاج ، وهي رأس المال ، ولذلك لا تعرف الشيوعية قطاعا خاصا ولا اجارة .. وتميل الى اعتبار الأجر فى القطاع العام ايرادا فرديا .

فكل آدمى مطالب بأن يعمل لكسب قوته .. وليس له الا سبيل من اثنين .

فاما أن يعمل لحسابه .

أو أن يعمل لحساب غيره .

وعلى المجتمع أن يوفر فرص العمل لكل قادر عليه ، ومصدر الحكم هو قوله تعالى « .. فقلنا يا آدم ان هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى » .

وقد حمل أهل التأويل « الشقاء » على أنه الجهد المبذول فى سبيل المعاش .

وفى الاقتصاد الحديث .. لا يزيد العمل على أنه (اجتهاد عضلى أو ذهنى) .

وفى عبارة بعض الاقتصاديين المحدثين تسليم بأن الشقاء فى سبيل اشباع الحاجات .. هو ضريبة الحياة (١) .

اذن ما دام الشقاء فى سبيل مطالب الحياة .. قانونا ثابتا أو أزليا .. بنص القرآن الكريم .. فقد تعين على كل فرد أن يؤدى عملا يحتاج اليه المجتمع .. وعلى المجتمع أن يمكنه من ذلك .

وبعبارة أخرى من أول الوظائف التي يتولاها ولى الأمر ويحرص عليها .. توفير فرص العمل لمن يطلبه .. لأن السعى فى سبيل الرزق ضريبة على كل حى ، ومن حق كل فرد علىولي الأمر .. أن يمكنه من ذلك كجزء من نظام الاجارة .. الذى يشمل المؤجر والأجير والأجر جميعا .

وهنا نلمح جزئية كبيرة القيمة .. وهي التزام ولى الامر بتحقيق العمالة الكاملة .. وهذا هو بعض التأويل الصحيح لقوله تعالى « .. فتشقى » اذ خاطب الاله القادر عبده آدم .. محذرا من الغواية .. وأعلمه بأنه ان خرج من الجنة فهو حتما سيشقى .

ولقد خرج آدم .. فكان حقا عليه وعلى ولده الى يوم القيامة أن يشقى كل منهم فى سبيل تدبير معاشه .. وكلمة الله هي القول الفصل .. وهي قانون أزلى .. فكما وضع للأجرام أفلاكها وللنواة أفلاكها كذلك .. وضع للانسان سنة فى الأرض التى هبط اليها نتيجة لما كان من ضعفه عن التزام عهد الله .. يقول جل شأنه (ولقد عهدنا الى آدم من قبل فنسى ولم نجد له عزما) وقد ورد هذا القول الكريم فى مفتتح الآيات التى نشير اليها فى هذا البند والذى يليه .. ومحل النظر هنا .. هو أن شقاء الانسان فى سبيل اشباع حاجاته وحاجات عياله .. هو قانون أزلى ، علمنا به (مجرد علم) بمعنى أننا لسنا فى موقف الاختيار .. حتى يجوز لنا أن نفكر فى أسلوب للحياة يعفي الآدمى من العمل .. كما لا يجوز لنا بحجة التقدم وارتقاء الحضارة .. أنتحاول التشكيك فى لزوم العمل ووجوبه .. والشقاء فى سبيل تدبير المعاش .. وبقى على الانسان أن يبذل كل ما فى طاقته .. لاحلال التعاون والتراحم محل القسوة والاستغلال ..

وبعبارة أخرى .. كل بحث فى تهذيب شروط العمل وضمانه وتخفيف مشقاته وضمان السلامة للعاملين .. وحماية عيالهم .. كل هذه البحوث تصدر عن الفكر الناضج والرأى المتفق

---

(١) راجع مثلا « شارل رست » فى تاريخ المذاهب الاقتصادية .. الا انه عبر عن شقاء العمل بأنه لعنة Curse متأثرا بما بين يديه من ترجمة للتوراة .. اما القرآن فنصه واضح وثابت .. ولا تجوز عليه الترجمة .

مع الأوضاع الانسانية .. ولذلك يجد الباحث فى مصدر التشريع الاسلامي ما يحقق له هذا كله ..

اما مناقشة العمل (للحساب الخاص أو لحساب الغير) من حيث المبدأ .. بحجة أن التقدم العلمي يأبى استمرار هذه الاوضاع (كما حدث من أواخر القرن التاسع عشر) فهو قول لا يصدر الا عن نظر سطحي .

ومن الأمثلة على المغالطة الصغيرة فى الجدل .. القول (عند شراح القانون الفرنسي) بأن استئجار الانسان عمل غير لائق بعصر الحرية الذى انبثق مع الثورة الفرنسية وتقدمت فى ظله التشريعات .. خلال عشرات السنين .. ويقولون أيضا بأن استئجار الآدمي غير لائق بمثل هذا العصر .. وانما الذى تقع عليه الاجارة .. هي مهارة الانسان .. لا جسمه ككائن حى .. ولكي يصبغ هذا الفريق من الشراح كلامه بمسحة كاذبة من الصواب .. يقولون .. ان تستأجر الدابة وتسخرها .. وحاشا للمدنية الحديثة والحضارة الصناعية أن تهبط بالآدمي الى هذه المرتبة .. ولذلك يصرون على أن (الاجارة) انما تقع على المهارة دون البدن .. ومن ثم دعا هذا الفريق الى الغاء كلمة الاجارة من تشريعاتهم الوضعية .. وأصبح فى تاريخ القانون المقارن .. فصل يقول بأن استئجار الاشخاص وأهل الصنائع .. هو عمل ذهب فى التاريخ .. دليلا على سذاجة التشريعات السابقة على القرن التاسع عشر .. أما الآن فان العقد الجدير بحضارتنا .. هو عقد العمل .. الفردى ، والمشترك .. الخ .

ولاظهار فساد هذه المزاعم ومجافاتها لأبسط قواعد المنطق .. يكفى أن نعرضها على التطبيق فى الحياة العملية .. فنحن الآن فى عصر الحرية التى بدأت مع الثورة الفرنسية . وتشريعات القرن التاسع عشر .. نتصل بالطبيب (فى جوف الليل) ونلتمس منه ادراك المريض على الفور .. فهل هذا الطبيب يرسل مهارته لانقاذ المريض ولا يسخر بدنه مع علمه وتجاربه !!

وهل العامل الفني الذى يقف من وراء الأداة أو الآلة .. انما يفعل ذلك بمهارته .. ويظل بدنه معافى من التكليف ؟ !! هل الضابط المتمرس بفنون القتال .. يقود المعركة دون بذل اى جهد بدنى ؟ !! .. ورائد الفضاء يضع استعداداته وقدراته .. فى خدمة مشروعات الفضاء .. وأما بدنه فلا يقع عليه تسخير ولا استئجار .. ولا يواجه اخطار الصاروخ الذى يحمله !! وكل ذلك يقال لسبب بسيط .. هو أننا نعيش فى عصر الحضارة !!

الحق .. ان جراة الفكر البشرى على الأوضاع التى ليست من اختصاصه .. قد زادت مع الثورة الصناعية — خلال ما ئتي عام — ولذلك لم يتحقق للبشرية ما هو مفروض من رفاهية .. بسبب التقدم الهائل فى علوم المادة والطاقة .. وما من علة سوى هذه .. وهي جراة البسطاء على الأمور الانسانية .. وانتشار هذه الجرأة على كل وضع يحفظ على الآدمي كرامته .. كتكوين الأسرة ونموها وانقضائها .. وما بين الراعي والرعية من روابط انسانية .. وما بين الأجير والمؤجر من روابط .. كفلها الشرع الذى لا يحيد ولا يقصر ولا يتحول ..

وخلاصة القول فى هذا العنصر الثاني من عناصر نظام الاجارة فى الاسلام .. ان هذا العقد يستمد وجوده من طبائع المجتمعات والأفراد .. وانه وضع أزلي ثابت .. تحكمه ضوابط ثابتة بدورها ..

٣ ــ كفاية الأجر

هذا هو العنصر الثالث .. ويتناول مستوى الأجر وكفايته للآدمي .. وهنا نلمح الاعجاز فى التنظيم الالهي ، وليس معنى ذلك أنه غير واضح حتما فى غيره من العناصر ، بل معناه أنــه غــالب فى موضعه هذا ، وعظيم الابانة عن نفسه وقد يدق الاعجاز فى مواضع أخرى .. وقد لا يدركه الفرد .. أو الجيل من الناس .. ثم يدركه آخرون ..

أما الاعجاز البين هنا .. فيتمثل فى بقية الآية الكريمة التى تقدم بعضها (من سورة طه) ذلك قوله تعالى « .. فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى.ان لك الا تجوع فيها ولا تعرى.وأنك لا تظمأ فيها ولا تضحى » .

وهكذا حددت الآية جملة الحاجــات الحيوية للانسان ، وهي أربع لا تزيد ولا تنقص بيانها .

الحاجة الى الطعام ، والكساء ، والماء، والمــأوى .

وكل أجر لا يوفــر للآدمى حاجاتــه الاساسية .. هذه .. لا يقره شــرع ، فان كانت أنتاجية الأجر لا تبرره فالعيب فى التنظيم أو فى الأسواق . أو فى أيــة ناحية الا فى نظام (الاجارة) لأنها (١) لا تستند للفطرة .. ومن فطرة الانسان أن يسعى لاشباع حاجاته الأساسية ، ومن حقه أن يكون الأجر كافيا للابقاء عليه ككائن حي . ومما هو جدير بالتنبيه اليه هنا أن النظم المعمول بها فى كثير من البلاد المتقدمة لا تكفل هذا المستوى فى شمول تام .. لا من حيث العمالة ، ولا من حيث الكفاية لمواجهة ضرورات الحياة .

هنا تفريع يتضح فى التطبيــق .. ويتسع للقواعد والنظريات التى تصح حينا ولا تصح حينا آخر .. فمثلا اذا كان العلم بالثمن (٢) فان الحاجات تتسع حتى تشمل التعليم .. والأجر يرتفــع حتى يكفى النفقة اللازمة لطلب العلم .. وحين يكون التعليم والاعلام بالمجان فان الأمر يختلف .. وهذا مثل من الفروق الجوهرية بين مقومات النظام (وهــي ثابتة) والقواعد وهي قابلة للتحول ..

ان العنصر الذى نراه هنا هو (كفاية الأجر لضرورات الحياة) أما نوع هذه الضرورات ففيها حد أدنى نصت عليــه الآية الكريمة .. وفيها اضافات يفرضها الدين أيضا كالتعليم .. وانما يتأثر الأجر بالاضافات .. تبعا لنمط المعيشــة فى المكان والزمان .. وتبعا لجملة الخدمات التى يكفلها المجتمع .

وهنا أمر ثان بالغ الأهمية .. يتصل بالحد الأدنى فى نظام الاجارة كما يقرره الاسلام ..

ذلك أن المجتمع مسئول عن الفــرد حال حياته ، فيوفر له فرصة العمل ، ومسئول عن عياله من بعده .. ولذلك لا بد من شمول الأجر لما يكفى العجز لأى سبب والعيال بعد الموت .. فان خيف سوء تدبير الفرد .. قامت الدولة بكفالة الفرد فى عجزه ومرضه ، وكفلت عياله من بعده ، وأدخلت هذه المزايا عنــد حساب الحد الأدنى للأجور .

(١) الاشارة الى الناحية التى يشوبها العيب .. لأنه اذا كانت جزئيات النظم والسياسات تتفق مع فطرة الانسان فانها لا بد صالحة .

(٢) اى اذا كان طلب العلم يستلزم نفقة كبيرة .

النوم والصحة

للدكتور أحمد شوكت الشطي

جعل الخالق جل جلاله الليل والنهار دائبين ، وجعل الليل لباسا ساترا بظلمته ، وسكنا تسكن فيه أكثر الخلائق من التعب وحدته . وجعل الليل والنهار خلفة يخلف كل منهما الآخر ، ففي الليل سبات وراحة للأبدان ، وفى النهار نشور طلبا للرزق سواء فى الحيوان والانسان .

تبدو حياة أكثر الحيوان مقسمة بين حالين ، يناسب تعاقبهما تتابع النهار والليل ، احداهما اليقظة ، والثانية النوم ، ويلائم ذلك حالتين من حالات النفس ، حالة استراحة ان حرمتها النفس ضعفت وكلت ، وحالة عمل ان أراحها الانسان فيها ساءت الصحة وتخلت . فان لهما قدرا محدودا ، وزمانا موعودا ، يضر بالنفس الافراط والتفريط فى كل منهما . على أن حاجة الجسم الى الاستراحة بالنوم تفوق حاجته الى الغذاء ، فقد يستطيع الانسان أن يصبر عن الطعام أياما معدودة ، ولكنه لا يقوى على التخلص من النوم لشدة الحاجة اليه ، ولذلك قيل عن النوم انه سلطان جائر وملك مطاع قادر ، لا سبيل الى الافلات من قوة بأسه .

يستولى فى الغالب النوم على الأعضاء بصورة متتابعة ، فتسترخي أكثر العضلات الارادية ، ولذلك نرى أن رأس النعسان ، الجالس ينخفض بتأثير ثقله ، وارتخاء عضله ، حتى اذا اقترب من الصدر ، تيقظ النائم قليلا ، وعاد الى هز رأسه وهذا هو التهويم (١) فى لغتنا ، ويتبع العضلات فى الاسترخاء أعضاء الحواس فيخف تأثير المنبهات فيها ، على أن حاسة السمع هي آخر ما يغيبه النوم . وقد سمى العرب هذا النوم : التغفيق وهو النوم وأنت تسمع كلام القوم .

والناس متباينون فى صدد النوم ، فمنهم من ينام بسرعة فيغط فى النوم عقب اضطجاعه ، ومنهم من لا ينام الا بعد تقلب طويل فى الفراش ، كأنما خلقت عيناه للسهر ، وكأن النوم قد غضب على مآقيه وعصى جفنيه .

---

(١) هوم اذا هز النائم برأسه

أسباب النـوم

أما أسباب النوم فعديدة ، منها طول مدة اليقظة ، وتعب الجسم والعقـل ، وظلمة الليل وسكونه ، وقلة الحركة فيه وهدووءه على ان من الناس من يستطيع النوم فى الضجيج والنور . وقد يشعر الانسان بحاجـة الى النـوم فى حالات متباينة كالجوع والشبع والحر والبرد . وقد مدحت العرب فى أمثالها السائرة نوم النهار فى الصيف والحر ، وذمته فى الشتاء والبرد أو القر ، فقالوا : قائلـة الصيف راحة ، وهي فى الشتاء وتاحة ، اى أنها عديمة الجدوى أن لم تكن ضارة .

آثار النوم

يبطؤ بالنوم التنفس ، وتنقص سعة تهوية الرئة ، ويقل عدد دقات القلب ، وتنخفض حرارة الجسم قليلا ، ويخف نشاط الهضم ويتكثف البول ، ويبطؤ دوران الدم . وبذلك يتحقق بالنوم تجديد القوى ، وسكون الجوارح وهدوء البال واستراحة الحواس والأعضاء ، وزوال التعب والاعياء مما يلاقيـه الجسم فى اليقظة ، وفيه أيضا راحة النفس والفكر والعقل واستعادة مظاهر نشاطها ، واننا لنذكر فيما يلي بعض الملاحظات الصحية عن النوم :

١ ـ غرفة النوم : يجب أن تكون واسعة وان تهوى قبل النوم فى الليـل ،واثناء النهار ، وان تكون خالية من حيوان أو نبات أو أزهار ، لأنها تشارك الانسـان فى هوائه ، فتنقص من صفائه، وتحـدث تغييرا فى تركيبه وبنائه ، فيفسد ويقل نفعه ، وقد ينجـم من ذلـك محاذيـر تؤذى النائم وتمرضه .

لذلك كان من المستحب الاعتياد على فتح النوافذ أو تأمين تجديد الهواء ببطء واستمراره فى الصيـف لان استمرار تجديده يجلب النوم الهادىء والـرقاد الهنيء .

٢ ـ ان للنوم عقب الأكـل محاذيـر معروفة وأضرارا موصوفة ، تظهر آثارها خاصة فى الشيوخ ، لذلـك كان لا بـد من انتظار ساعتين بعد الأكلة الأخـيرة قبل الاستسلام الى سلطان النوم .

٣ ـ لا يجوز تدفئـة غـرف النـوم لأصحاء الجسم مطلقا . أما المرضى فـلا حرج فى تدفئة غرفهم ، ولا يجوز أيضا انارة غرف النوم . وقد جاء فى الحديث الشريف « اذا نمتم فاطفئوا المصابيح » .

٤ ـ على الانسان اجتناب لبس الثياب الضيقة والاربطة المشدودة أثناء النوم ، وعليه أن يختار فى الصيف ثيابا واسعة مصـنوعة مـن نسـيج ، يضـمن مص الافرازات لأن النائـم تتوسـع عروقه ، ويكثر عرقه .

٥ ـ يستحسن لا بل يجب تسويك الفم قبل النوم لازالة ما علق بين الأسنان من آثار الطعام ، التي ينتج عن فسادها نتن الفم ، وكراهة رائحته ، وفسـاد الأسنان ، واضطراب الجسم من جـراء ذلك فى بعض الأحيان . ومن هنا ندرك السر فى عناية الاسلام بالسواك .

٦ ـ وقت النوم : ان افضـل وقت للنوم هو الليل ، ففيه يسـود الهدوء ، وتعم الظلمة ، وتنقص المنبهات ، وقـد اعتـاد بعض النـاس اطالـة السـهر ، والتعويض عن نوم الليل بنوم قسم من النهار ، وهذا خطأ عظيم ، لأن نوم الليل اكبر اثرا فى اراحـة الجسـم وتجديد قواه(١) أما نوم النهار فرديء ، وأرداه نوم أول النهار واردأ منه النوم فى آخره وقد قال الشاعر فى هذا الصدد .

الا ان نومات الضحى تورث الفتى
خبالا ونومات العصـير جنـون

وقيل نوم الضحى خرق والقيلولـة خلق ونوم العشى حمق . وليعلم ان نوم ساعتين قبل وسط الليل خير من النوم

---

(١) ومن هنا ندرك السر فى التوجيه الاسلامي بالنوم المبكر وقول الرسول صلى الله عليه وسلم « البركة فى البكور » ؟ .

« الوعى »

أربع ساعات بعده . يجب والحالة هذه التبكير فى النوم والتبكير فى اليقظة(٢) وعدم اطالة مدة النوم وقد جاء فى امثال العرب السائرة من أطال المنام رأى الاحلام ومن لزم الرقاد ، عدم المراد « على أن نوم النهار جائز فى الصيف لطوله وشدة حره . وينطبق امتداح العرب للنوم بعد الغذاء على قيلولة الصيف اذ قالوا « النوم بعد الغداء دواء وبعد العشاء عناء .

٧ ـ مدة النوم : تختلف باختلاف السن وهي من سبع ساعات الى ثمان ساعات للشبان والكهول من رجال ونساء ، ومن تسع الى عشر ساعات للأحداث واليفعان ، وهي أكثر من ذلك للاطفال والولدان ، واما الرضع فثلثا حياتهم نوم ورقاد .

هيئة النوم

٨ ـ يذم النوم على البطن للشباب والكهول والشيوخ لأنه يضر بالتنفس ويعيق عمل اعضاء الصدر والبطن ، ويعد النوم على الظهر رديئا لأن اللهاة أو شراع الحلق يندفع فيه الى الوراء فيضيق النفس ويضطرب اذ تنحدر فيه مفرزات الأنف الى الوراء ، فتبلغ الحلق وتخدشه وتستقر فى البلعوم وتخرشه . ولا يحمد النوم على الجانب الأيسر ، ولا سيما بعد الطعام ، وذلك لأن هذه الهيئة لا تيسر مرور الطعام من المعدة الى الأمعاء ، فيبطؤ الهضم وكثيرا ما يكون ذلك سببا لاحلام رديئة .

ان أنفع النوم ما كان على الجانب الأيمن ليكون الغذاء أسرع انحداراً عن المعدة ، وهو من السنة الشريفة وقد ثبت أن مرور الطعام من المعدة الى الامعاء يتم فى هذه النومة بثلاث ساعات ، بينما يحتاج انحداره الى خمس ساعات او سبع ساعات فى النوم على الجانب الايسر .

٩ ـ لا يجوز نوم شخصين فى سرير واحد ، وتعد هذه العادة من أسوأ العادات واقبحها ، ولها محاذير عديدة صحية واجتماعية لذلك يجب على معتاديها تركها فى كل حال ، ومهما كان الحال وعلى كل حال (١) .

تغطية الوجه

١٠ ـ يجب أن يغطى النائم بأغطية تختلف باختلاف الطقس ، ويحتاج النائم الى فضل دثار بسبب برد طارىء . وقد اعتاد بعض الناس أن يغطي الوجه اثناء النوم فى الشتاء ولذلك اضرار كبيرة . أهمها أن النائم على هذه الحالة يستنشق هواء رديئا فاسدا ، وريحا كريها زائدا من الغازات السامة التى يدفعها الجوف ، ولا بد من ترك الانف مكشوفا دائما .

وفى كل حال من الأحوال على الانسان أن لا يغطي رأسه ، وأن يعتاد على النوم حاسر الرأس ما لم تكن لديه موانع صحية تحول دون ذلك .

١١ ـ وأخيرا يجب أن يكون راس النائم مرفوعا بوسادة لا ناعمة محشوة بريش الطير ولا يابسة محشوة بالقش ، بل محشوة بقطن أو صوف نظيف ، كما أنه من الخطأ الافراط فى ترفيه النفس بالفراش الوثير وغطاء الحرير .

هذه بعض قواعد النوم الصحية ذكرتها داعيا الى العمل بها مرغبا فى اتباعها ، فعلى كل انسان عاقل أن يقدر حاليه حال نومه ودعته ، وحال يقظته وحركته ، وأن لا يغفل أمر النوم ففيه نشاط ونعيم وهناء ، وقوة وعافية وشفاء والسلام .

---

(١) أذكر مع هذا قوله تعالى (ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون) (٧٣) القصص ، فجعل الليل هو وقت النوم الطبيعي .. « الوعى » .

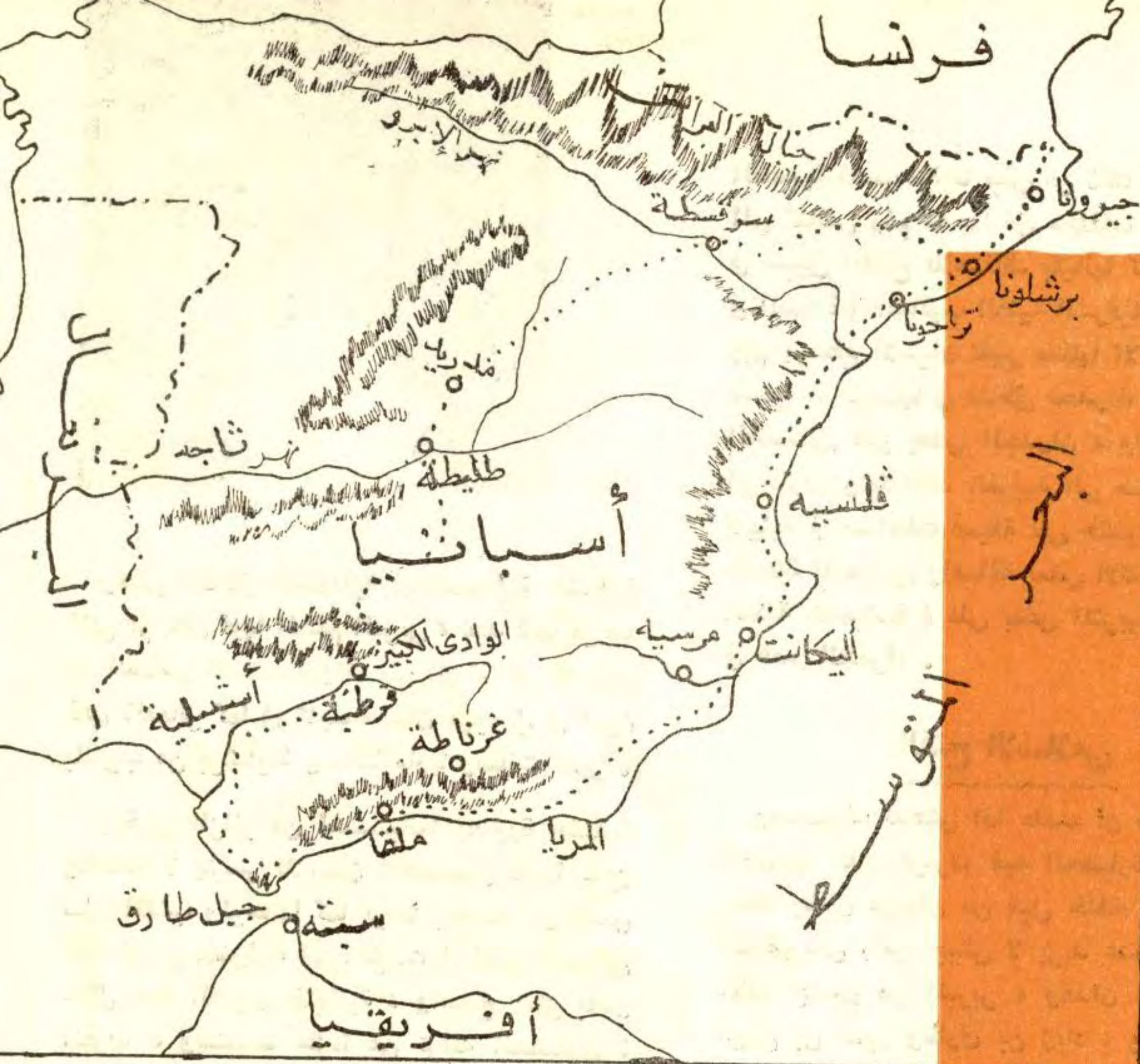
(٢) ومن هنا كان توجيه الرسول صلى الله عليه وسلم (مروا أولادكم بالصلاة لسبع واضربوهم عليها لعشر وفرقوا بينهم فى المضاجع) « الوعى » .



عقـد فى قصر الجعفرية بسرقطة ويجمع بين الفن العـربى فى زخارفه النباتية وكتاباته الكوفية وبين الفن القوطى الممثل فى العقد ذى الفصوص الكثيرة (الحنيات) .

أثر حضارة العرب في اسبانيا

محمد مؤنس



للأستاذ محمد رجب البيلي

مَن يقطع أسبانيا طولا وعرضا ، ويتتبع طريق دخول العرب فيها وخروجهم منها يجد آثارهم واضحة وبكثرة فى المناطق التي تمركز فيها استيطان العرب ، وطال فيها حكمهم ، وخاصة الآثار المادية كالعمائر الحربية والمدنية والدينية والفنون التطبيقية كالعاج والخشب والمعادن والمنسوجات والسجاد ، وغيرها ، فضلا عن الروح الشرقية المتأصلة فى الدم والعادات والتقاليد وأساليب الحياة .

ومن ينتبه به المقام فى جنوب شبه الجزيرة الاسبانية أو جنوبها الشرقي فى سهول الاندلس فى غرناطة واشبيلية وبلنسية ومرسيه ، يجد نفسه فى بيئة شرقية بحتة ، وجو شرقي لايختلف عن الشرق فى شيء سوى لغة الشعب الاسبانية التى حلت محل اللغة العربية بعد خروج العرب من أسبانيا بنحو قرن ، وبعد أن أصبحت اللغة الدينية فى الكنائس .



وحتى المناطق الشمالية والشمالية الشرقية التي لم يطل فيها الحكم العربي ، نجد فيها مزيجا من العناصر المسيحية والعربية ان لم يكن فى الدم ففي العمائر كما فى كنيسة سان ميجويل فى ليون بالقرب من برشلونة وسانتا ماريا وسانت نذير .

ويخرج الزائر من اسبانيا بصورة حقيقية واضحة لا يتيسر للانسان الحصول عليها بين ثنايا الكتب ولوحاتها كما يراها بنفسه ، ويتلمس تلك الروح الشرقية التي طبعت فى نفس الاسباني خلال تلك القرون الثمانية ، وأصبح يعتز بآثار العرب ، ويعتبرها جزءا من تراثه الحضارى : الفني والتاريخي بعد أن كان ينظر اليها بكراهية شديدة كنظرة الوطني الى المستعمر الغاصب ، فكان يعتبر تلك القصور والقلاع العربية وصمة فى جبين تاريخه لما تبعثه فى نفسه من الشعور بالذل وامتهان بكرامته . ربما كان الاسباني مضطرا الى ذلك للشعور الجارف والعصبية المتطرفة ضد كل ما هو عربي حتى عقب خروجهم منها .

أما اليوم فان تلك النظرة قد تغيرت ، وذلك الشعور قد تبدل ، وأصبح الاسباني يعتز بتراث العرب ، ويفخر به ، بل يمجده ، ويغار عليه من ايد الأعداء وصروف الدهر . وكيف لا يولى الاسباني اهتمامه الى ذلك التراث القومي وهو احد حلقات تاريخه المجيدودعامة نهضته الحالية .

العصبية المسيحية

وسواء رضي الاسباني بهذا التراث كرها أو طوعا ، فانه أصبح أثرا خالدا فى حياته ودمه رغم تعصبه الشديد ومحاولته محو كل ما هو عربي ، كما يشاهد اليوم فى أنحاء البلاد المختلفة من آلاف المساجد التي أقامها العرب لدعم صرح الديانة الاسلامية فى طول البلاد وعرضها . فحولت العصبية المسيحية ما تبقى من ذلك الصرح الخالد الى كنائس رغم ما بها من مخلفات عربية تناضل فى سبيل الكفاح للاحتفاظ بكيانها كالطرز العربية فى العمارة والأساليب الفنية الشرقية فى زخرفتها ، ولم يستطع الاسبان تغيير معالمها الا بالقدر الذى تسمح به طبيعتها فى مناطق محدودة كاضافة بعض الصور الى بعض الجدران ، وتحويل بعض الزخارف والكتابات العربية الى صلبان وكتابات لاتينية فى مساحات ضيقة على حشوات باب جامع طليطلة النحاسي واضافة بعض الأشعرة (الرنوك الملكية الاسبانية) على بعض التربيعات الخزفية فى قصر الحمراء .

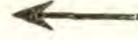
الفتح الاسلامي

وسوف تدهش اذا علمت أن هذا الميدان الخصب الذى ترعرت فيه الحضارة العربية قد فتحه بطلان عربيان من قبل خلفاء بني أمية فى دمشق على رأس جيش لا يزيد عدده عن ثمانية آلاف جندى من البربر ، وهذان القائدان هما موسى بن نصير وطارق بن زياد ، وبفضل ايمان هذين القائدين وحماسهما وصياح طارق فى جيشه « أيها الناس ، العدو أمامكم والبحر وراءكم وليس لكم والله الا الجلد والصبر » واستجمع جنوده شجاعتهم وصاحوا « اناوراءك يا طارق » كانت هذه الصيحة بداية الزحف من الشاطيء الافريقي ثم النصر بالاستيلاء على جنوب اسبانيا ووسطها . ثم دب الخلاف بين القائدين العظيمين ، ولكن ما لبثا أن تصافحا ونبذا ما بينهما ووضعا خطة موحدة لافتتاح ما بقى من اسبانيا ، فزحفا نحو الشمال الشرقي معقل الثوار الفارين أمام الفتح الاسلامي ، فاخترقا ولاية أراجون ، ثم أخذت تنهار المدن الشمالية الواحدة تلو الأخرى ، كطرقونة وبرشلونة اللتين مهدتا السبيل لموسى بن نصير أن يعبر جبال البرانس والاستيلاء على المدن الفرنسية كناربون ، ومنها سار شمالا الى جنوب وادى الرون حتى مدينة ليون بفرنسا .

ويقال ان موسى بن نصير اراد أن يواصل تقدمه لفتح جنوب أوروبا ليصل اسبانيا بتركيا ، ومنها الى دمشق مقر الخلافة الأموية فى الشام ، وجعل البحر المتوسط بحيرة اسلامية .

الا أن الخلاف دب بين الخلافة وقواد العرب





قطعــة من النسيج الحريرى ترجــع صناعتها الى القرن الثاني عشر وبهــا رسوم طيور وحيوانات تحيط بشجرة الحياة وافريزان من الكتابة الكوفية .

حول هذه المغامرة . واستغلت الأمم المسيحية هذا الانقسام فاتحدت لايقاف تقدم العرب وان لم يستطيعوا ردهم على أعقابهم الى ما وراء جبال البرانس . وقد تم لهم ما أرادوا اذ انتصروا على العرب فى موقعة تور فى سهول نهر اللوار عندما انشغل العرب بجمع الأسلاب والغنائم عقب أول انتصار لهم فى هذه الموقعة . واضطر العــرب الى العودة ثانية الىما وراء جبال البرانس فى اسبانيا. ولولا تلك الموقعة لوجه تاريخ اوربا بصفة خاصة وجهة أخرى غير وجهته الحالية . وكان للعرب والاسلام شان آخر .

وعلى الرغم من انهــزام العرب حــربيا فقد انتصروا عنصريــا الى مدى محدود ، فتــركوا فى السهول الجنوبية من فرنسا آثارا واضحة فى الدم والعادات كشعر الفرنسيات الأسود وعيونهم البنية أو الداكنة مع سمرة طفيفة فى البشرة واعتدال فى تقاطيع الوجه كالعرب .

كما عثر على بقايا بعض الآثار العربية فى تلك المناطق رغم ضآلة الفترة التي مكثها العرب شمال البرنييه . ومن هذه الآثار بعض النقود العربية ، واناء من نحاس أصفر (١) نقشت عليه الكتابــــة الآتية « العز الدائم والاقبال الزائد والجد الصاعد والدهر المساعد والنعمة الكاملة والسعادة الشاملة والسلامة لصاحبها أبدا » .

ووجهت هذه الموقعة العرب الى الاكتفــاء بتوطيد أقدامهم فى شبه الجزيرة ، والقضاء على تلك العناصر المسيحية المناوئة لهم والتي التجأت الى جبال البرنييه للاحتماء بها وجمع فلولهــم وتلقى المساعدات الحربية والمالية من ملوك الفرنجة فى فرنســا ، وانتهاز فرصة ضــعف المســلمين وانقسامهم والهجوم عليهم لاستعادة ما فقدوه من نفوذ وسلطان ، كما حدث فعلا فى أوائل حكم العرب لاسبانيا اذ ادى التنافس بين الحكام المســلمين الى استعانة بعضهم بحكام الفرنجة ، كما حدث من سليمان بن يقظــان الكلبي ـ أحد الخارجين على عبد الرحمن الأموى عامل برشلونة ـ اذ دعا شارلمان ملك الفرنجة وامبراطور الدولة الرومانية فيما بعد ، الذى لبى الدعوة واســـتعان بثوار البرنييه ، ليضع حدا لتقدم المسلمين بل ليستأصل شأفتهم من اسبانيا ، وتقدم شارلمان جنوبا وحاصر مدينة سرقسطة .

وتنبه المسلمون الى هذا الخطر الداهم فوحدوا كلمتهم واستجمعوا قوتهم واستطاع عبد الرحمن الأموى أن ينتصر على شارلمان وجيشــه ويكبده

(١) هذا الاناء يوجد الآن فى مجموعة الدوق بلاقاس B l a c a s ويقول السيد سبنسر سمث انها وجدت فى معسكر العرب بعد موقعة تور .

خسارة فادحة وأرغموه على الانسحاب والهرب الى فرنسا عبر جبال البرنييه ، وتعقبهم المسلمون ، ومزقوا مؤخرة فلول جيش الفرنجة الهاربة، وبذلك هلكت زهرة الجيش الفرنجي .

لم يكن جهاد العناصر المسيحية فى منطقة البرنييه مستمرا كما كان ينتظر فكان هناك فترات استطاع المسيحيون والمسلمون الحياة جنبا الى جنب كصديقين حميمين ، وتبادلا العلاقات الطيبة مع بعضهما فتغلغلت المؤثرات العربية فى المناطق المسيحية ، وامتزجت بفنها وعاداتها حتى فى عهد الخلافة الاسلامية فىقرطبة التي اخذت فى التدهور السريع بعد وفاة أميرها الموهوب المنصور الحاجب. وكذلك بعد سقوط قرطبة ٦٣٤ هـ .

ملوك الطوائف

وسرعان ما قامت فى اسبانيا دويلات صغيرة يحكمها ملوك يعرفون بملوك الطوائف فكان أغلبهم على جانب عظيم من الثقافة ، فتعددت مراكز العلم والأدب والفن فى شبه الجزيرة الأندلسية ، ولا تزال آثارهم واضحة فى قصر الجعفرية بسرقسطة وكنيسة كريستودى لالوز التي كانت مسجد باب مردم بطليطلة مما يشهد على عظمتهم واتساع نفوذهم من اقصى جنوب الجزيرة الى شمالها .

ولم تنقطع صلة العرب ببلادهم الاصيلة فكانت تفد اليهم من آن لآخر موجات عربية تشد أزرهم وتمدهم بالقوة والسلطان والحضارة العربية .

يوسف بن تاشفين

ومن تلك الموجات التي كان لها أثر واضح فى حياة اسبانيا قوة المرابطين بزعامة ملكها يوسف ابن تاشفين وهم من بربر مراكش أو سكانالصحراء التي اجتاحت الأندلس ، ثم خضعت اسبانيا لحكم الموحدين أكثر من قرن بعد أن قضوا على المرابطين وهي طائفة دينية نشأت بجبال أطلس بشمال افريقيا واسبانيا وجعلت منهما دولة واحدة ، ومن آثارهم الخالدة انشاء مدينة اشبيلية وما بها من آثار كالبرج الذهبي والجيرالدة . وكان اضطهادهم للمستعمرين من بنى الأندلس سببا فى هجرتهم الى الشمال . فنقلوا معهم الكثير من عادات المسلمين وأزيائهم وصناعاتهم ، ولما تقدمت فتوحات المسيحيين ، وصاروا يعملون للملوك والأمراء الأسبان تعلم منهم غيرهم وانتشرت أساليبهم الفنية فى الأقاليم الشماليةوالشمالية الشرقيةالمسيحية.

ولم يأت عام ١٢٣٦ حتى انحصر سلطان العرب فى امارة غرناطة الشهيرة الناشطة ، وعلى الرغم من قوة هذه الامارة تحت حكم بنى الأحمر وحماية الجبال لها فانها استنجدت عام ١٤٨٩ بمصر لتنقذها من براثن النصرانية أو جيوش قشتالة وأراجون ومليكتهما ايزبيلا وفرديناند فى الوقت الذى كانت فيه مصر تهتز فى كفة القدر ويرنو اليها بنو عثمان بجشع ، فاشتد حصار الاسبان لغرناطة حتى اعترفت بسلطان قشتالة وسقطت عام ١٤٩٢ وكان سقوطها فى نظر المؤرخين ضربة أصابت العالم الاسلامي كله .

وقد شهد المؤرخون الأجانب بعظمة العرب كما دهشوا لذلك الفتح السريع ولقضائهم على مملكة الفرنجة فى أقل من عامين وتوطيد سلطتهم فيما بين البحر المتوسط وجبال البرنييه .. وقل أن تجد مثلا آخر فى التاريخ اجتمعت فيه السرعة والكمال والرسوخ بمثل ما اجتمعت فى هذا الفتح كما يقول المؤرخ الأمريكي سكوت .

الفنون الاسلامية

وقد كان المظنون فى البداية أن هذا الغزو انما هو أمر مؤقت فقط ولم يتوقع أحد أن يكون احتلال البلاد دائما . فلما استقرت الجماعات المستعمرة اهتمت بتوطيد اركان الحضارة العربية فى اسبانيا فاستغلت موارد البلاد الخام كمناجم الزئبق والياقوت بالقرب من مالقة واستخراج اللؤلؤ بالقرب من شواطىء تراكونة ، وفتحت الثغور لتجارة الشرق . وبرز العرب فى شتى ضروب أنواع الفنون الاسلامية والحضارة العربية . ونقلوا معهم كثيرا من الأساليب الفنية الأموية والعباسية فالفاطمية .



صحن من خزف ذى بريق معدني صنع فى فلنسبة . وينتمى الى النصف الاول من القرن الخامس عشر .

وقد كان نقل هذه الأساليب الفنية اما بطريقة مباشرة على يد صناع من الشرق الى اسبانيا او بطريقة غير مباشرة لانتشار تلك الأساليب فى حوض البحر المتوسط ، ثم انتقلت بدورها الى اسبانيا .

وسواء نقلت الفنون العربية الاسلامية بطريقة مباشرة أو غيرها ، فان ما تركه العرب من التحف الفنية الخشبية أو العاجية او المعدنية والخزفية والمنسوجات الحريرية يدل على التشابه الكبير فى اسلوبها وزخرفتها بينها وبين التحف الفاطمية والمملوكية ، مع اختلاف يسير فى التحف الاسبانية ، لما اكتسبته من طابع محلي ، يميزها عن غيرهـا المصرية . وخير مثل فى التحف الخشبية منبـر المسجد الجامع بقرطبة . أما القطع الفنية التـي عرفت بعد ذلك فكانت اما تقليدا للأساليب الفنية التي عرفت فى القطع الخشبية السالفة أو تطبيقا للاساليب الفنية التي عرفناها فى عصر المماليك وهو تكوين زخارف هندسية من حشوات خشبية على شكل أطباق نجمية وغيرها وحفرها بزخارف نباتية من فروع أوراق الشجر ذات طابع خاص يميزها عن غيرها من بلدان العالم الاسلامي .

وانطبق هذا على جميع فروع التحف الفنية الأخرى العاجية منها أو المعدنية فاشتهرت مدينة المرية واشبيلية ومرسيه وغرناطة بصنع الدروع والآلات الحربية .

وهناك عامل آخر هام أدى الى ذلك التشابه بين التحف الفنية الاسبانية والعربية الشرقية وهو تبادل الهدايا بين الخلافة العربية والامارات المسيحية فى اسبانيا وبين ملوك المسلمين فى الشرق وخاصة مصر وعن طريق الهدايا انتقلت الأساليب الفنية وطرزها وزخارفها الى الفنون العربيـة المحلية فى شبه الجزيرة الاسبانية .

ويبدو ذلك التشابه واضحا فى صناعة المينـا والخزف الذى نقل من العراق الى القيروان بالمغرب ومنها الى اسبانيا . وتمركزت ملقا بصناعة الخزف ذى البريق المعدنى حتى غدت لا تدانيها فى صناعتها فى العصور الوسطى أى دولة فى أوربا ، ولعل سر اتقان هذه الصناعة يتوقف على مادة الطلاء الداخل فى تركيبها المعدن المطلوب وطريقة حرقها .

واستمرت العلاقات بين مصر والأندلس فى عهد الفاطميين وانتقلت معها الأساليب الفاطمية التي انتشرت فى انحاء العالم الاسلامي حتى ليقال ان بعض التحف المعدنية الاسبانية كالتمثال (الحصان) المحفوظ بمتحف طليطلة الأثرى . انه صنع فى مصر نظرا لما بينه وبين التحف المعدنية الفاطمية مـن تشابه عظيم .

أما فى عهد المماليك فقد كانت هناك معاهـدة تجارية منذ ٦٦٩ هـ (١٢٧٠ م) بين ملك اشبيلية والسلطان بيبرس تبودلت بينهما كثير من الهدايا(١).

٢ ـ عرض النويرى لهذه الهدايا بكثير من التفصيل فى كتابه نهاية الأرب ج ٢٨ ص ٤٨ ـ ٦٩ .



قلاوون وملك قشتالة

وارسل الفونس ملك قشتالة (٦٨١ هـ - ١٢٨١ م) رسولين الى السلطان الملك المنصور قلاوون ومعهما هدية من الخيل والبغال فأحسن السلطان ضيافتهما واجزل لهما العطايا .

وفى أواخر القرن الثالث عشر الميلادى أرسل ملوك أرغونة بعض الرسائل الى السلطان الناصر محمد بالتوصية على جميع المسيحيين المقيمين فى المملكة . وأهم تلك الرسائل بين ملك أرغونة (برشلونة) يعقوب الثاني والسلطان الناصر محمد خلال سلطنته الثانية والثالثة ، ما بين سنتى ١٢٩٢ - ١٣٢٧ م وقد بلغ عدد هذه الرسائل ستا ، حين بلغ عدد الرسائل التي بعث بها الناصر الى يعقوب ثمان ، وكان الغرض من هذه الرسائل ان يحصل تجار أرغونة على ميزات تجارية فىالمملكة المصرية ، وتسهيل سبيل الحج الىالأراضيالمقدسة لأهالي المغرب ومنح الحرية لرعاياه منالمسيحيين .

ورد عليه الناصر أنه اعتبر نفسه حامي الاسلام فى الشرق والغرب وأكد الناصر محمد فى رسالته السابقة انه يبادل الملك يعقوب حبا بحب وودا بود .

ويقدر ما كان تسامح المسلمين فى مصر كان تسامح زملائهم الخلفاء فى الغرب . اذ ساعد اعتدالهم على تخفيف ألم هزيمة المسيحيين . وكان دفعهم للجزية يضمن الحماية لهم كما كان يسمح للورع المتعصب منهم مزاولة شعائره دون تدخل . كما سمح للملحد أن يجاهر بآرائه دون خشية المطاردة على حد قول المؤرخ سكوت . كما قضى الحكام الجدد على جميع عوامل الفساد والاضطهاد التي كانت متفشية فى ربوع البلاد على يد الرومان منذ قرون ، وحطموا سلطة الأشراف والطبقات المتازة حتى كادت تمحى واستولوا على ضياعهم الواسعة وحولوها الى ملكيات صغيرة وزعت توزيعا عادلا . ورفع عبء الضرائب عن الطبقة الوسطى فكان ذلك عاملا على تحسين حال عامة الشعب وخاصة تلك التي كانت مستعبدة .

اذ كان الاسلام أكثر تعضيدا لتحرير الرقيق من النصرانية . لذلك أقبل المسحيون على اعتناق الاسلام والعمل بمبادئه ، والنهوض بنشره ، وحملوا مشاعل الحضارة العربية ، بل ساهموا فى توطيد أركانها فى شبه الجزيرة فترعرعت ونمت وأتت بثمارها فى جميع أنواع العلوم والفنون حتى غدت اسبانيا (الأندلس) أول مشعل لتلك المدنية التي أرسلت ضوءها فبددت ظلمات الجهالة التي عمت أوروبا بأسرها فى العصور الوسطى وأشرقت فيها بنور العلم والعرفان وكانت سببا فى قيام عصر النهضة فيها .

وتعلم الغرب عن المسلمين كثيرا من أسرار حياتهم وصناعاتهم فى العمارة والفنون الزخرفية . ولعل أهم مظهر لهذا الطور الطراز الاسباني المعروف بالموزاراب السائد الانتشار بصفة خاصة فى ليون بالشمال حيث اختلط الفن الشرقى العربى بالفن المسيحيالمسجد الذى كان سائداقبلدخول العرب فى شبه الجزيرة . وهذا الطراز الجديد أكثر ملاءمة للكنائس التي بنيت عقب خروج العرب ككنيسة سانتا ماريا . وسان ميجيل دى اسكلاد وغيرها فتظهر بها العقود التي على شكل حدوة الفرس والتى تشبه الى حد كبير نظيرتها بالحمراء والقبوات التي تعد من أهم ميزات الفن العربي باسبانيا كما أن من المباني التي تنتمي الى فن الموزاراب ما انشىء بأيد مسلمة أتت من الأندلس نفسها .

وتطور فن الموزاراب تطورا كبيرا لكثرة ما طعم به من الروح والفن الشرقي بالفن المسيحي حتى اصبح يعرف بفن المدجنين الذين استخدموا المهندسين العرب لبناء برج تريل فى جواد لوب
Guadelupe Touer of Texuel

وسانتا كلارا دى فورد سيلاز
Santa Clara de Fordesillas

وينسب هذا الفن الى المدجنين أو المسلمين الذين دخلوا خدمة المسيحيين بعد زوال دولة

العرب وقد نشأ هذا الطراز فى طليطلة واشتغل الصناع المدجنون فى زخرفة الكنائس ودور الخاصة فى انحاء اسبانيا ونبغوا فى صناعة الخزف والمنسوجات والنقش على الأخشاب والعاج .

خلود الفن الاسلامي

وقد استمرت الأساليب الفنية العربية واضحة حتى بعد خروج المستعربين والمدجنين ١٦٠٩ م رغم المقاومة الشديدة التي واجهتها فى بعض الجهات ، والتنافس الشديد لاستخدام الفن القوطي لمسايرة عصر النهضة فى أوروبا ، وقد اتجهت اليها اسبانيا تستمد تقاليدها وأساليبها الفنية الا أنها لم تستطع الاستغناء عن مقومات الحضارة العربية ، وهي الدعامة التي بنيت على اساسها الحضارة الاسبانية ، وجمعوا بينها وبين الحضارة الحديثة ليوحدوا بين القديم والجديد وتكوين وحدة واحدة منهما ، فاستخدموا من فن المدجنين الطوب والجص فى واجهة العمائر فى عصر الباروك والنهضة . كما استخدموا الزخارف كالجدائل والتطعيم ولذلك يعتبر فن المدجنين حلقة اتصال بين الفن العربي الشرقي والفن القوطي الذى خلفه . اذ أن كل العوامل التي يعتمد عليها هذا الفن شرقية مثل الاقواس المدببة.

كذلك تأثروا فى صناعاتهم التطبيقية بالعرب ، ومنها صناعة الفضة ، فقد ورثوا صياغتها من العرب واستخدموها فى أديرتهم الأندلسية .

ولم يقتصر اثر العرب بعد خروجهم على الفن والصناعة ، وانما امتد ذلك الى الادب واللغة الاسبانية نفسها لدرجة أن أوربا لم تر فى عهد من عهودها حفاوة بالادب وأهله كما رأت فى الاندلس.

ومن الطبيعي الا تزول اللغة العربية من البلاد الا بعد فترة انتقال كبيرة لتحل محلها اللغة الاسبانية اللاتينية الجديدة . وقد استغرقت تلك الفترة نحو قرن من الزمان ويقول الدكتور مانويل جومث « ان اللغة العربية والآداب ظلت سائدة حتى اصبحت اللغة اللاتينية اللغة الدينية فى الكنائس ، بينما ظلت اللغة العربية راسخة فى دم الشعب الى فترة متأخرة من تاريخ اسبانيا » .

وقد ساعدت اللغة العربية اللغة الأندلسية باصطلاحاتها اللفظية الخاصة ومقاييسها الخطابية على تكوين مفردات لغة قشتالة وهي كما هو معلوم لغة اسبانيا الوطنية على ان الكلام الدارج فى بلنسية ومرسية وغرناطة يشتمل على نسبة أكبر من الألفاظ العربية وان جزءا كبيرا من الكلمات والمصطلحات وأسماء الأثاث الفاخر والزينة ما زالت الى اليوم من مصدر عربي . كما أن استمرار استعمال اللغة العربية فى جميع الاتفاقات وجميع العقود الخاصة بالبيع فى طليطلة زهاء جيلين أو ثلاثة أجيال بعد استيلاء الفونس السادس على اسبانيا عام ١٠٨٥ (١) لدليل واضح على الطابع الذى خلفته هذه الحضارة .

وقد امتد أثر هذا التأثير العربي الشرقي الى ما بعد خروج آخر عربي من الأندلس وسقوط مملكة غرناطة فى القرن الخامس عشر ، وظهر ذلك فى كتابة سرفانتز . أشهر كتاب أسبانيا فى القرن السادس عشر . وقد رفع سرفانتز شأن أسبانيا فى جميع أنحاء العالم بفضل كتابه المشهور « دون كيخوت » وقد ولد هذا الأديب بعد خروج العرب من اسبانيا بنصف قرن ، وقد ألف هذا الكتاب بأسلوب سهل يقبل عليه الاطفال ويقرأه الشبان ويفهمه الرجال ويمدحه الشيوخ .

وقد عكس سرفانتز صورته وصورة الشعب الاسباني بل صورة النفس الشرقية العربية فى كتابة دون كيخوت فنجد فيه خيال العربي الخصب والاسراف فى النشاط والاكتفاء بالخيال عن الواقع ، كما صور النفس الاسبانية فى صميمها ولبابها التي استمدت جمالها من النفس العربية الاسلامية .

وما خلفته فى نفوس من تلاها من أجيال الاسبان .

---

(٣) تراث الاسلام ــ ليفى بروتنسال مجلة الكاتب المصرى المجلد الرابع ١٦ يناير ١٩٤٧ .

تدفقي يامياه

تدفقي .. تدفقي يا ميـــــاه   فهكذا ينبــض قلب الحيــــاه
تدفقي فجـرا رحيـب السنــا   إذا بدا شق الدياجـي سنـــاه
تدفقي نـورا يشـع الهـــدى   لأنـــه من فيض نور الالـــه
تدفقي صوتا بعيـد المـــدى   لاتسمع الآفـاق صـوتـا سـواه
تدفقي ربيـــع قلـب بـــدا   ينثر في الآفــاق أبهـــى رؤاه
تدفقي شـباب عمـر جـرى   فيه الضحى .. فازدهرت ضفتاه
تدفقي حبـا وروحيـــــة   فالحب والروح سـبيل النجــاه
تدفقي شوقا يحــث الخطـى   إلى غد تشـــرق فيه خطـــاه
الليـل كم أيقـظ أشجانـــه   ودمعة الفجـر .. وناى الرعـاه
من أيـن أقبلت ؟ فكم حدثـوا   وكم تبارى في الحـديث الرواه
من خالـق .. من خالق لا يُـرى   ولايـكاد الوهـم يرقـى ذراه
وأين تمضـين ؟ إلى هــــوة   يغيب فيها الشيءُ فيما عـــداه
كالعمـر لا يُعـرف ما بـدؤه؟   أجـل .. ولا يعـرف ما منتهـاه ؟
ياليت عمـرى كلــه لحظـة   تدفقـت من خالـــق لا أراه

« الى المياه المتدفقة من الاعالي بالخير والخصب والحياة »

للاستاذ ابراهيم محمد نجا

تجمعت فيها المنى كلها — وحازت الكون وما قد حواه
أعيشها .. أعصرها مرة — دفقة نور .. حلوة .. مشتهاه
وحينما أمتصها .. أرتوى — فأدرك الغيب ، وأدرى مداه
ياليتنى أحيا على حالق — قد صافحت نجم الأعالى يداه
كالنسر .. إن طرت فلا عائق — إلا ربا المجهول أو شاطئاه
ترجِّع الآفاق صوتى ، فما — يزال في الأسماع حيا صداه
أنشودتى هناك منسابة — كضوء نجم سابح فى علاه
صافية كالنبع .. فواحة — كالعطر .. نور فوق كل الشفاه
لكننى في القاع أنشودة — مخنوقة الصوت كخطو الحفاه
مكذوبة المضمون .. خداعة — بأحرف مصبوغة منتقاه
يا ليتنى .. كم قلت يا ليتنى — ولم أزل في القاع .. واحسرتاه

★★★

تدفقى .. تدفقى يا مياه — فهكذا ينبض قلب الحياه



من هنا .... وهناك

يكتبها الشيخ ع.النمر

ادارة مجلة « الوعى الاسلامى » المحترمين .
الكويت

تحية وبعد ..

نود ان نعلمكم أنه سبق وأرسلنا الى سوريا عن طريق وكيلنا فى بيروت كمية خمسمائة نسخة من الوعى الاسلام رقم (١٥) .

وقد وصلنا اليوم كتاب من وكيلنا يعلمنا فيه ان السلطات السورية قد منعت توزيع العدد المذكور فى الاراضى السورية دون ان تبدى أية اسباب .

هذا للعلم .. ولكم صادق التحية .

الكويت فى ١٩٦٦/٧/١٠

مكتب منار للتوزيع
امضاء
عبد العزيز العيسى

عتب خفيف

ذلك هو نص الكتاب الوارد الينا من شركة منار للتوزيع فى الكويت .. وفىالوقت الذى تسلمناه جاءنا البريد برد العددين الاخيرين من المجلة . وكنا ارسلناهما للكاتب والمؤلف الكبير الاستاذ محمد عزة دروزة بدمشق وكتب عليهما كلمة (مرفوض) .. ولم يكن فى الامر مفاجأة لنا ، اذ ان المجلة منعت من دخول سوريا من أول عدد ظهر منها ، وسكتنا على مضض واسف . والرسائل من الكتاب والقراء والمكتبات تأتي الينا من البلد الشقيق بكثرة تطلب المجلة ، وتلوم وتعتب لعدم توفيرها لهم هناك ثم علمنا اخيرا من طريق الشركة العربية انه سمح بدخولها وان الشركة ستتولى التوزيع هناك وفى مناطق اخرى فسررنا لهذه الخطوة الطبيعية ــ وان جاءت متأخرة ــ لانها ستوقف عنا سيلا من اللوم والعتب ، وتتيح للقراء الاطلاع

على نوع جديد من المجلات الاسلامية ، التي جعلت هدفها خدمة الثقافة والافكار الاسلامية ، بعيدا عن جو الخلافات المذهبية والسياسية . وجعلت هدفها احياء الروح الاسلامية الاصيلة ، ولفت انظار المسلمين ـ ولا سيما الشباب منهم ـ الى تراثهم الضخم ، وثقافتهم الاصيلة ، وجوهم الاسلامي الطبيعي الذى يجب ان يعملوا على توفيره ، ليعيشوا فيه ، ويسعدوا به ، وتستريح نفوسهم على نسماته ويستردوا امجادهم بعرفانه .

لا شيء اكثر من هذا . لا نتعرض لمذاهب او تيارات سياسية تجرى فى البلاد العربية ولا نمس شخصية حاكمة او وضعا اختاره اى بلد لنفسه ... مقدرين أن الخدمة الاصيلة للاسلام والمسلمين من ناحية دينهم وعزتهم وكرامتهم ، هي ان نقدم لهم الثقافة الاسلامية بعيدة عما يجتاح العالم العربي ـ مع الاسف ـ من تيارات وخلافات تعصف به ، وتهد من كيانه ، داعين الى وحدة القلوب التي دعا اليها القرآن ، والتي تحيا بها أمة الاسلام .

ودخلت المجلة بهذا الى كل بلد عربى واسلامي ، والى قلب كل مسلم يطلع عليها فى شتى انحاء العالم .. لم يمنع دخولها بلد من البلاد ، ولم تتوقف على حدود ... اللهم الا فى لبنان ، مع عدد ربيع الأول الماضى حيث نزعت الرقابة منه صفحتين معترضة على بعض كلمات وردت فى مقال «فتح القسطنطينية» وهي كلمات تاريخية ، وعلى بيت من الشعر ورد فى مقال «محمد خاتم النبيين» حينما هاجم ابرهة الحبشى الكعبة ، ومع ذلك لم تمنع المجلة من دخول لبنان ، بل طمست الكلمات التي لا تحبها ، ثم سمحت بدخولها . ونحن وان كان لنا عتب على طمس كلمات تاريخية ، لا نعتقد أنها تشير الى شيء ، او تثير شيئا ، الا اننا مع ذلك نحترم رأى الرقابة ووجهة نظرها هناك ، وان كان هذا لا يؤثر على خطتنا ، أو على وجهة نظرنا ..

اننا لا نأسف لان عدم دخولها سوريا سيؤثر على كمية التوزيع ، فان وزارة الاوقاف لا تهدف الى كسب مادي من ورائها ، بل انها تضحي بميزانية كبيرة خصصت لها من اجل نشر الثقافة الاسلامية ، على ان بلدا عربيا آخر طلب وحده اكثر من عشرة آلاف ولم تستطع ان نلبى طلبه ، حتى بنصف ما طلب ، وكذلك الحال مع بلاد اخرى ، وانما نأسف لهذا الموقف تجاه مجلة اسلامية هذا شأنها ، وتلك خطتها ، نأسف لحرمان اخواننا هناك منها وحرماننا من الاتصال الروحي والثقافى بهم ، مع كثرة طلبهم وعتبهم ولومهم ، ومع حرصنا على تدعيم هذا الاتصال بيننا وبين كافة المسلمين المثقفين .

ومع ذلك فان حسن الظن يحملني على أن أقول . لعل هذا المنع لا يعبر عن رأى المسئولين الكبار .. لعل وعسر حتى تجد «الوعي الاسلامي» طريقها الى القراء فى سوريا ، كما تجد زميلتها الكويتية « العربي » ..

الصور الخليعة .. ؟

وهذا المنع او هذا الطمس يجرنا حتما الى الكلام عما تحفل به بعض المجلات من صور خليعة ماجنة ومثيرة وكلام جنسي مفتوح ... فكيف يسمح بلد اسلامي بنشر هذه الصور ؟ وأى هدف وطنى او اجتماعي من وراء نشرها ؟ وكيف يسمح بلد اسلامي بدخول مجلة خليعة تحمل هذه الصور المثيرة التي وصلت الى حد نشر المرأة مجردة من أى شيء يستر جسمها ؟ ! .

نقول ونعيد . الشباب ، وتربية الشباب ، والمحافظة عليه من الانحراف .. الى آخر هذه النغمة التي يرددها المربون والغيورون على الشباب عماد المستقبل .. و .. و .. ثم نترك هذه المجلات الداعرة تحطم روحه ، وتقضى على بذور الاستقامة فيه ، والشباب معذور يسير مع غريزتـه التي تنميها وتثيرها هذه المجلات ، ويتهافت على شرائها . والذى يكسب من وراء هذا كله .. صاحب المجلة .. يكسب مالا .. واعداء الامة يكسبون ضعفها وميوعتها ، وانصراف شبابها ، بل ورجالها عن الاهداف الكبرى لها . ثـم نقعد وننعى على الشباب فى هذه الايام انحرافه ! ! .

اننا نطارد المخدرات محافظة على صحة الامة . وهذا واجب ، فكيف لا نطارد هذه السموم الجنسية محافظة على صحة الأمة الجسمية والروحية ؟ وهذا أشد وجوبا ..

من سجلات الفتح الإسلامي

٢

الفتوحات لم تستهدف
أبطال الفتوحات قادة أفذاذ

الفتوحات فى عهد عمر

لم يفتح من العراق فى زمن أبى بكر الا الاراضى الواقعة غرب الفرات ، وكان من أسباب سرعة انتصار خالد انه كان يطلب رئيس الجيش للمبارزة ، فان برز اليه قتله لا محالة ، فينهزم جيشه ، وان لم يبرز ضعفت ثقة جيشه به ، وضعفت تبعا لذلك قوته المعنوية ، فيكون الانكسار نصيبه حتما اضافة الى عبقريته التى تبدت فى مجال التكتيك العسكرى ، والتى أصبحت فيما بعد مدرسة لرواد التكتيك الحربى حتى عصرنا الحاضر .

وقد تنبه الفرس الى الخطر الذى يهددهم بعد فتوحات خالد فى بلادهم ،فوحدوا صفوفهم وأعادوا تنظيمهم فى الداخل ، وعين رستم قائدا عاما للجيش الفارسى ، وقد علم المثنى باستعدادات الفرس العظيمة فذهب بنفسه الى المدينة يطلب مددا : فوجد أبا بكر على فراش الموت ، فتأخر ارسال المدد حتى تولى الخلافة عمر ، واطلعه على الموقف ، والح بطلب القوى والجند ، فأرسل جيشا الى العراق بقيادة أبى عبيد بن مسعود الثقفى ، وجعله قائدا عاما . وكان رستم وزير فارس حينذاك قد أعد جيشا كبيرا بقيادة (بهمن جاذويه) المشهور عند العرب ب « ذو الحاجب » واعطاه راية الفرس الكبرى (درافش كابيان) المصنوعة من جلود النمر . وجعل فى مقدمة جيشه الفيلة . فانتصر على أبى عبيد فى معركة الجسر قرب الحيرة سنة ٦٣٤م ، قتل فيها أبو عبيد عندما كان يعبر نهر الفرات الى الفرس ، بعد أن كان قد هزمهم فى معركة سابقة ، وارتد جيش المسلمين متكبدا خسائر فادحة .

وحينما تولى المثنى القيادة استعاد السيطرة على الموقف ، وعبر الفرات متراجعا الى الغرب ،

كنا قد نشرنا فى العدد العاشر من هذه المجلة (الجزء الاول) من هذه الدراسة التاريخية التي تتناول بالعرض والتحليل بعض الصفحات المشرقة فى « سجلات الفتح الاسلامي » .. ويسرنا أن نقدم فى الصفحات التالية الجزء الثاني منها .

دراسة أعدها
الاستاذ موفق بني المرجه
محرر بمجلة الكويت

السيطرة وإنما حماية الدعو...

مازالت خططهم تدرس حتى اليوم

واخذ يلم فلول جيشه استعدادا لمعركة اخرى يثأر فيها من الفرس ، فلما وصله المدد اشتبك مع الفرس فى معركة « البويب » على فرع للفرات يمر بمكان الكوفة : فانتصر انتصارا باهرا انتقم فيه لمعركة الجسر .

وقد اثرت هذه المعركة على الفرس ، وخافوا سوء العاقبة ، فتركوا منازعاتهم الداخلية ، وانتخبوا « يزد جرد الثالث » ملكا عليهم . فاستعد هذا لحرب العرب ، وعين رستم قائدا عاما ، فلما بلغ المثنى بن حارثة خبر استعداد الفرس العظيم،كتب الى عمر يعلمه بالامر ، ويطلب منه المدد ، فأهتم عمر بالامر كثيرا ، وأعلن التعبئة العامة فى بلاد المسلمين ، فتجمع الجند المسلمون فى المدينة ، وعقد ما يشبه مجلس الحرب الاعلى ، ونوقشت الخطة الجديدة ومسألة القيادة ، وكان الخليفة يريد ان يسير بنفسه لقتال الفرس فاتفقوا على ان ينتدب غيره للقيادة وان يبقى هو فى المدينة ، وأشاروا عليه بسعد بن أبى وقاص . فأرسل اليه كل ما أمكنه جمعه من مدد بقيادته ، وسار بجيشه حسب تعليمات الخليفة عمر حتى وصل الى زرود ، ونزل بها حيث لحقت به بعض القوى العربية ، وهناك جاءه نعى المثنى متأثرا بجراحه .

وكتب الخليفة ايضا الى ابى عبيدة يأمره باعادة جند خالد الى العراق سيما وان معركة اليرموك قد انتهت . فسار سعد الى العراق ، وعسكر قرب القادسية (وهى قلعة قديمة تقع الى الجنوب الغربى من الكوفة) وكان عدد جيشه (٣٠) الفا .

معركة القادسية

وكان يزد جرد قد أعد جيشا كبيرا بلغ عدده ١٠٠ ألف بقيادة رستم للقضاء على العرب ،

من سجلات الفتح الاسلامي



فخاف المثنى وتراجع الى غرب الفرات ينتظر وصول جيش سعد ، الا انه اصيب بالحمى ، ولما أحس دنو أجله كتب الى سعد رسالة (١) يبين فيها أنجع الوسائل لمحاربة الفرس ، لانه خبرهم وعجم عودهم . فلما سمع سعد بقدوم رستم اعد جيشه اعدادا رائعا واتم تعبئة قواته في ((زرود))، ثم تابع الزحف فبلغ ((شراف)) ونزلها ، وأخذ ينظم قواته استعدادا لخوض المعركة التى يتوقف على كسبها مصير المسلمين فى العراق ، وفى هذا المكان وصلته تعليمات (٢) جديدة من الخليفة عن كيفية تنظيم الجيش ، وقد اختار الخليفة ((القادسية)) لتكون قاعدة لجيش المسلمين فى هذه المرحلة ، بينما حشد الفرس كل ما استطاعوا من قوة خلال هذه الفترة ، بعد أن أدركوا أنهم على أبواب معركة فاصلة ، فاما ان ينتصروا على المسلمين ويستردوا نفوذهم ، واما أن يفوز المسلمون فيندثر سلطانهم .

غادر رستم المدائن الى الحيرة ، ورتب نقاط اتصال بينه وبين المدائن لنقل أخبار جيشه الى الملك يزد جرد .

وكذلك فعل سعد بينه وبين المدينة ، ليطلع الخليفة على تطورات الموقف .

ثم ارسل الخليفة الى سعد طالبا منه ارسال وفد الى كسرى لتبليغ الفرس وانذارهم ودعوتهم الى الدخول فى الاسلام ، وذلك حقنا للدماء ، وتجنبا للحرب ، فأرسل سعد وفدا الى كسرى وجرت مفاوضات انتهت بطرده ، وبعد ذلك جرت مفاوضات بين وفود سعد ورستم ، ولكنها لم تصل الى النجاح .

ولما استنفد المسلمون الوسائل لمنع الحرب ، أصدر سعد امرا الى قادة جيشه بالتأهب للقتال ، ولما تمت التعبئة ، وصلى الناس صلاة الظهر كان سعد قد اتفق مع قادة جيشه أن تكون التكبيرة الرابعة ، ايذانا بابتداء القتال .

موقعة القادسية

التقى الجيشان عند القادسية فى أولحزيران (يونيو) سنة ٦٣٦م (شعبان سنة ١٤ هـ) ، عند الظهر واستمرا حتى الهزيع الاول منالليل ، وكان فى جيش الفرس عدد من الفيلة ،فاحتدمت المعركة بضراوة لا مثيل لها مدة ثلاثة أيام — أو أربعة فى رأى آخر — كان النصر فى اليوم الاول للفرس لان خيول العرب نفرت من الفيلة ، وسمى العرب هذا اليوم بيوم ((ارماث)) . وقد أدار سعد المعركة من شرفة قصره ، اذ كان مصابا بدمامل فى جسمه لا يقوى معها على الركوب .

---

(١) نص الكتاب الذى تركه المثنى الى سعد بن أبى وقاص . قال فيه : ((قاتل الفرس على حدود أرضهم على أدنى حجر من أرض العرب ، وأدنى مدرمن أرض العجم ، فان يظهر الله المسلمين عليهم فلهم ما وراءهم ، وان تكن الاخرى فاءوا الى فئة ثم يكونون اعلم بسبيلهم ، وأجرأ على أرضهم الى ان يرد الكرة الله لهم)) .

(٢) التعليمات التي وصلت سعد من الخليفة عمر : ((أما بعد فسر من ((شراف)) بمن معك من المسلمين وتوكل على الله واستعن به على أمرك كلهواعلم انك تقدم على امة عددها كثير ، وعدتهم فاضلة ، وبأسهم شديد واذا لقيتم القوم فابدءوهم الشدوالضرب ، واياكم والمناظرة لجموعهم ، ولا يخدعنكم فانهم خدعة مكرة ، وأمرهم غير امركم ، الا أنتحادوهم ، واذا انتهيت من القادسية فتكون مسالحك على انقابها ويكون الناس بين الحجر والمدرعلى حافات الحجر وحافات المدر والجراع بينهما . ثم الزم مكانك فلا تبرحه ، فانهم اذا أحسوكانغصتهم رموك بجمعهم الذى يأتى على خيلهم ورجلهم وحدهم وجدهم ، فان انتم صبرتم لعدوكم واحتسبتم لقتاله ، ونويتم الامانة رجوت ان تنصروا عليهم ، ثم لا يجتمع لكم مثلهم أبدا ، الا أن يجتمعواوليست معهم قلوبهم ، وان تكن الاخرى كان الحجر فى أدبارهم فانصرفتم من ادنى مدر من أرضهم الىأدنى حجر من ارضكم وكنتم عليها اجرأ ، وبها اعلم ، وكانوا عنها اجبن وبها أجهل ، حتى يأتى الله بالفتح ويرد لكم الكرة عليهم)) .

فكان يتمدد فى الشرفة المطلة على ميدان القتال ، ويصدر أوامره بأوراق صغيرة الى خالد بن عرفطة الذى كان الى جانبه فيبلغها خالد الى القادة للعمل بموجبها .

وفى اليوم الثاني استعد العـرب لمقاومتها فبرقعوا بعض الخيول ، وجللوا بعض الابـل لتنفير الفيلة ، حتى صار شكلها غريبا ، واعدوا بعض صناديد العرب لضرب الفيلة بالسـيوف على خراطيمها ، وبالرماح فى عيونها ، فنفـرت جامحة ، وأخلت بنظام الجيش الفارسي، فأصبحت المعركة مائعة لكنها الى جانب العرب أميـل . وفى هذا اليوم وصل مدد للمسلمين من الشام عدته عشرة الاف مقاتل بقيادة هشام بن عتبة ، فاشتدت عزائم المسلمين بوصول المدد ، وحملوا حملة صادقة ، ودام القتال حتى منتصف الليل. ويسمى العرب هذا اليوم بيوم « أغواث »لوصول الغوث فيه من الشـام .

وفى ضحى اليوم الثالث استؤنف القتـال بحملة شديدة من المسلمين على أمل انهاء امـر الفرس ، فقابلهم هؤلاء بحملة مثلها ، لانهم أدركوا أن انهزامهم يعنى فناءهـم . ثم بـرز بعـض الفدائيين المسلمين (١) وصوبوا رماحهم الـى عيون الفيلة ، وأدخلوها فيها ، فارتدت الفيلة مذعورة ، واوقعت الاضطراب والذعر فى صفوف الفرس ، واندفع المسلمون كالاسود بحملة قويـة يعصفون بالجيش الفارسى ، حتى شلوا جناحيه، واستمر القتال طول الليل ، وكل جانب يرجو الفوز . وقد دعى هذا اليوم بيوم « عماس » . ويروى بعض المؤرخين تفاصيل اليوم الرابـع باعتباره اليوم الذى حسمت فيه المعركة بمقتـل « رستم » فيقولون . ان بوارق النصر والفوز قد لاحت فى ذلك اليوم فشدد المسلمون الحملة على جناحى الفرس وصدقوا فى حملتهم ، وعند الظهر تقهقهر جناح الفرس ، وثبت القلب حيـث كان رستم على رأس راية فارس الكبرى ،فحول

---

١ ـ من أشهر اقاصيص بطولات هذه المعركة قصـة البطل الاسـلامي ، أبو محجن الثقفى الذى كان سجينا لتعاطيه الخمر وحينما رأى من نافذة سجنه حوادث المعركة استبدت به الحماسة وما زال يلح على زوجة سعد حتى فكت وثاقه واندفع يقاتل بشدة اذعرت الاعداء فاستغرب سعد واخوانه امـر الفارس الملثم وقال : « ان الضير ضير البلقاء ـ أى فرس سعد ـ والظفر ظفر أبى محجن وما أن انتهت المعركة حتى سارع أبو محجن اليها لتشد وثاقه من جديد ، ولكن سعد عفى عنه حينما علم الحقيقة فأبطل ابو محجن الخمور بعدها .

من سجلات الفتح الاسلامي



سعد ثقل الهجوم الى القلب ، واصدر أوامره أن تشترك قوى المسلمين كلها فى الحملة على القلب ، وكانت هجمة شديدة اضطرب معها جيش الفرس ، وتسابق الفدائيون المسلمون الى سرادق « رستم » الذى حاول الفرار حينما شعر بوصولهم ، فلحق به هلال بن علقمة فقبض عليه وقتله ، ثم صعد على سريره وقال (قتلت رستم ورب الكعبة) ، فهلل المسلمون وكبروا ، وتضاعفت معنوياتهم ، وانهارت معنويات الفرس ، فأندفع المسلمون يقاتلون بكل حماسة ، حتى ولى من بقى من جيش الفرس الادبار ، وبدأت عملية المطاردة ، فقتل قسم كبير من الفرس ، وأسر قسم اخر ، وغنم ضرار بن الخطاب راية الفرس .

وكان سعد قد أصدر التعليمات الوافية سلفا لنساء العرب فى القادسية حول العناية بالجرحى وتجهيز الماء والطعام للمقاتلين ، وكذلك خصص أماكن لدفن الشهداء ، وقد قدر شهداء المسلمين ب (٧٥٠٠) بينما جاوز عدد قتلى الفرس اضعاف ذلك . وكانت القادسية من اعظم المعارك التي شهدها المسلمون .

أهداف معركة القادسية

أما الهدف من هذه المعركة التى أدارها الخليفة بنفسه من عاصمة خلافته فقد كان القضاء على دولة الفرس باعتبارها العدو اللدود لدولة المسلمين ، والعقبة الكأداء فى وجه الدعوة الاسلامية وقد اوضح الخليفة هذا الهدف للجموع التى احتشدت شرقى المدينة ، ولسعد عندما ولاه قيادة ميدان العراق وكانت الضربة قاصمة للجيش الفارسى فى القادسية ، بحيث لم يستطع الفرس الوقوف امام جيش المسلمين فى المعارك التي تلتها ، وكانت سلسلة من الهزائم حتى تم انهاء أمر فارس فيما بعد .

معركة نهاوند

بعد انتهاء معركة القادسية عين النعمان بن مقرن قائدا عاما فاشتبك مع جيش يزد جرد فى معركة نهاوند . وقتل فى المعركة قبل نهايتها ، وخلفه فى القيادة حذيفة بن اليمان ، فانتصر فى المعركة ، وعلى أثرها سقطت بلاد فارس ما عدا أجزاء صغيرة فتحت فى زمن عثمان بن عفان رضى الله عنه ، وقد تم بذلك تقويض دعائم الامبراطورية الفارسية التى كانت تتحكم بمصائر عدد كبير من الشعوب المستضعفة ، وتفتحت للشعب الفارسى النوافذ ، وعرف الاسلام فأسرع الى اعتناقه ، فكان هذا الفتح نعمة له فى دنياه وآخرته ، ثم توجهت الجيوش الاسلامية بعد ذلك وجهة اخرى حيث يممت وجهها شطر الجزيرة الفراتية .

فتح الجزيرة الفراتية

لما سيطر المسلمون على سوريا والعراق سهل عليهم فتح الجزيرة لان القبائل العربية قد بسطت سلطانها على معظم مدنها قبل الاسلام من حين الى آخر ، ولان سكانها من الآريين كانوا مضطهدين من قبل الكنيسة الملكانية فى ذلك الوقت فرغبوا فى التخلص من حكم الروم .

وقد أمر عمر اياد بن غانم عامله على حمص وقنسرين أن يتوسع فى الجزيرة الفراتية ففتحها كلها فى عام ونصف ، ولم يلق مقاومة الا فى مدينة رأس العين ثم فتح الموصل وهاجم أرمينيا لكنه توفى قبل أن يتم اخضاعها .

ومن جديد اتجهت انظار المسلمين وجهة اخرى حيث التفتوا الى الخصم العنيد الآخر الذى يقف فى وجه الدعوة الاسلامية .. وهو (امبراطورية الروم) .

فتح مصر

وقد رغب عمرو بن العاص أن ينال قسطه من شرف الفتوحات ، فأوضح للخليفة عمر أهمية فتح مصر نظرا لموقعها الهام ولما فيها من ثروة عظيمة ، وليأمن العرب شر الاسطول الرومى بالاستيلاء على قاعدته فى الاسكندرية ، هذا علاوة على كونها

مفتاح الطريق الى شمال افريقيا حيث المجال الخصيب لانتشار الدعوة الاسلامية . لهذا كله اغتنم فرصة وجود الخليفة فى القدس ، واستطاع اقناعه جزئيا بضرورة فتح مصر ، التي طالما راوده الحلم بفتحها لما كان تاجرا وزارها مع قافلته ، فأعطاه عمر جيشا عدده ٤ آلاف جندى، ووجهه لفتح مصر ، وأخبره أنه سيرسل اليه كتابا بعد عودته للمدينة فاذا وصله الكتاب قبل دخول مصر وفيه أمر بالرجوع فليرجع من فوره ، وان كان قد دخل الحدود فليتقدم على بركة الله.

ولما رجع عمر الى المدينة استشار الصحابة ، فبينوا له الاخطار التى تحدق بالحملة ، فأرسل الرسالة لعمرو يأمره بالرجوع فوصلته قبل ان يعبر الحدود المصرية ، ولكنه لم يفضها الا بعد أن دخل العريش ، مخافة أن يكون فيها أمر بالرجوع . واستمر فى سيره متتبعا الطرق التى سلكها الفاتحون لمصر من قبله مثل جنكيز والاسكندر ، فوصل الى (الفرما) وهى أول مدينة محصنة ، فسقطت بعد حصار شهرين .ثم تقدم الى بلبيس ففتحها بعد حصار شهر ،واندفع نحو حصن بابليون الرابض على ساحل فى النيل لكنه لم يحاصره لقلة جنده وعدم وجود آلات حصار معه ، فعسكر فى عين شمس وطلب المدد من الخليفة .

وكان حاكم مصر فى ذلك الوقت المقوقس الذى شغل أيضا منصب بطريرك الاسكندرية منذ سنة ٦٣١م ، فأسرع هذا الى الحصن ومعه قائد الجيش العام تيودورس . ولم يمض طويل وقت حتى وصل المدد الى عمرو بن العاص بقيادة الزبير بن العوام فبلغ عدد جيشه ١٠ آلاف ، يقابلهم ٢٠ الف جندى بيزنطى بالاضافة الى خمسة الاف حامية الحصن . فوقعت المعركة الفاصلة فى عين شمس سنة ٦٤٠ م التي تمزق فيها جيش العدو فهرب تيودورس الى الاسكندرية واعتصم المقوقس فى الحصن . وتقدم العرب وحاصروه وطال أمد الحصار لعدم وجود آلات حصار لديهم ، وجرب المقوقس أن يخدعهم ففشل لانهم لم يقبلوا غير احد شروطهم المعروفة الثلاثة ، لذلك طلب المقوقس وفدا لمفاوضته فى الروضة . وكم كان غيظه عظيما حينما جاءه الوفد برئاسة عبد حبشى وهو عبادة بن الصامت ، غير أنه اضطر الى قبول دفع الجزية وارسل شروط الصلح الى هرقل فرفضها واستدعاه الى القسطنطينية .

ولما لم تنجح المفاوضات استمر المسلمون فى حصار الحصن ، وبعد سبعة أشهر استطاع الزبير بن العوام مع ثلة من زملائه أن يتسلقوا السور بالسلالم فقتلوا الحرس ، وبسرعة البرق ، دوى داخل الحصن صوت (الله اكبر) فتدفق أبطال المسلمين الى داخل الحصن وفتحوه وكان هرقل قد توفى أثناء الحصار وخلفه على العرش ابنه قسطنطين .

فتح الاسكندرية

بعد سقوط الحصن يممعمرو شطر الاسكندرية ـ أجمل وأقوى مدينة فى العالم بعد القسطنطينية ـ ـوكانت تحيطها سلسلة من القلاع وكان فيها السرابيوم وهو بناء ضخم فيه مكتبة الاسكندرية ومعبد سرابيس ومسلتان من الجرانيت وتقع أمامها من جهة البحر الفنارة العظيمة التى عدت من عجائب الدنيا السبع .

وقد جاء عمرا مدد من الجزيرة فبلغ جيشه ٢٠ الفا ، وكان عدد حامية الاسكندرية ٥٠ الفا تدعمهم قوة الاسطول الرومى . ولما كان العرب لا يملكون سفينة واحدة ولا آلات حصار اصيبوا بهزيمة فادحة من جراء القذائف التى كانت تسلط عليهم من منجنيقات السور . الا أنها لم تفل من عزمهم واستمروا فى الحصار فأرسل امبراطور الروم عامله المقوقس ليفاوض العرب ، فعقد معهم صلح الاسكندرية وبموجبه يدفع الروم جزية مقدارها ديناران عن كل رجل ، وضريبة الخراج عن الاراضى ، ويتعهدون بعدم ارسال اى جيش لاعادة احتلال مصر ، وبجلاء جيوشهم عن الاسكندرية خلال ١١ شهرا ، وبموجب الصلح جلا الروم عن الاسكندرية ، ودخلها العرب وقد ارسل عمرو الى الخليفة ينبئه بالنصر بكتاب هذا نصه (قد فتحت مدينة أعظم من انتوصف) .

وبذلك أصبحت مصر كلها فى قبضة المسلمين ، وكان للاقباط فضل فى تسهيل الفتح اذ ساعدوا العرب تخلصا من اضطهاد الروم الذين كانوا

ـ البقية على ص ٨٥ ـ

لاقت « رسالة من نيويورك » التي نشرناها في عدد ربيع الأول استحسانا عاما لدى القراء ولهذا نقدم هذه الرسائل التي وردت ايضا من الدكتور محمد عبد الرءوف مدير المؤسسة الاسلامية في نيويورك لما جمعته من معلومات تكشف لنا كثيرا مما يجرى هناك . « الوعي » .

ماذا يجري هناك ؟

ان الحركات الاسلامية في نيويورك توجت - بفضل جهود المرحوم كامل عبد الرحيم - بتأسيس المؤسسة الاسلامية عام ١٩٥٧ وهي التي أعمل فيها الآن ، اجتمعت جهود بعض المسلمين فاشتروا منزلا في أحسن مكان في نيويورك كلفهم حوالي سبعين ألف دولار ، ويساوى اليوم ما لا يقل عن (٢٥٠) ألف دولار (وعلى فكرة كان لجهود السيد كامل عبد الرحيم الفضل الأكبر في نجاح مشروع المركز الاسلامي بواشنطون عندما كان سفيرنا هناك فلما صار مندوب الجامعة العربية لدى هيئة الأمم حاول أن يعمل بنيويورك مثل ما صنع في واشنطون) وتعتبر هذه المؤسسة أكبر الهيئات الاسلامية جميعا وأهمها ، وللأسف لم تتطور منذ بدأت ، وأملي أن تتحسن الأوضاع ويكون لها نشاط اسلامي محسوس في القريب العاجل ، ومن مشروعاتنا التي نهدف اليها بناء مركز اسلامي يحتوى على مسجد كبير مناسب ومدرسة اسلامية تراعى حالة الظروف هنا ، ومكتبة ومكاتب وأماكن لأنواع النشاط الاسلامي والشباب المسلم الى غير ذلك . وهو مشروع يتكلف الملايين ، وقد تلقيت كتابا من السيد سفير ليبيا يفيد بأن جلالة الملك ادريس الأول تبرع بمائتي ألف دولار للمشروع ، ومن قبل تبرع حاكم الكويت الرشيدة بمثل هذا المبلغ وكذلك الحكومة السعودية . وأحاول الآن جهدى للحصول على قطعة أرض بمثابه منحة من احدى المؤسسات الكبرى هنا عن طريق تأييد بعض الأساتذة الأوروبيين بحجة ما ينشأ عن هذا المشروع من منافع ثقافية وأدبية . والأرض وحدها قد تبلغ أكثر من مليون دولار لأن الارض هنا أغلى ما في الدنيا . والله المعين . على كل أرجو أن أكتب لك في المستقبل عن المؤسسة وأغراضها ومشروعاتها ونشاطها ان شاء الله . كما أرجو أن أكتب لك عن الاسلام والمسلمين في أمريكا .

٦٦/٣/٢٠

عزيزي الأخ .

لقد وصلني عدد الهجرة الممتاز ، وكلما قرأت لكم ازداد اعجابي بكم ، واعجبني نعيكم على المسلمين عنايتهم بعيد الميلاد المسيحي ، وعدم عنايتهم بقدر مناسب بعيد الهجرة . وهنا فى نيويورك احتفلنا ــ رغم صعاب مادية ــ بعيد رأس السنة الهجرية أو بذكرى الهجره ، وكان احتفالا ناجحا بحمد الله ، تحدث فيه بعض سفراء الدول الاسلامية ، وحضره سائر السفراء وزعماء المسلمين ورجال الجامعات ، ولقد كانت هذه أول مره يحتفل فيها فى هذه المناسبة فى هذا البلد ، لذا وقعت كلمتكم مني موقعا حسنا لما قرأتها ، وخصوصا لأن الكثيرين هنا سرهم هذا الاحتفال ، وكثير من المسلمين لم يكونوا يفهمون معنى الهجرة، ولكن هذه الكلمة العربية بنصها كانت مكتوبة على بوابة الفندق الذى استأجرنا قاعة خاصة به لهذا الاحتفال لدلالة المدعوين على مكان الاحتفال ، فحفظها المسلمون وغير المسلمين وعرف الكثير معناها ومغزاها بحمد الله . ولعلك تعجب أن نقيم هذا الحفل بعد أيام من الشهر ، ولكن كيف نصنع وليس لدينا مكان متسع بالمؤسسة ، وعلينا أن نستأجر مكانا باحد الفنادق ، وهذه الصالات ليست متيسرة فى كل يوم ، وهي فى أيام عطلات الأسبوع غالية للغاية ، حيث تؤجر من أجل النشاط الآخر الذي تعرفه وتنعاه فى اخلاص على صفحات مجلتك ! .

أخي

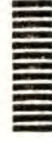
لا أدرى ماذا أكتب اليك ، انني لأعاني غير القليل من القلق والحيرة ، وذلك لما يحيط بنا هنا من الحاد صارخ واباحية جارفه وصهيونية ممقوتة ، هل تتصور أن تصدر كتب ومقالات وعناوين كبيرة جريئة تقول « قد مات الاله » .. أعوذ بالله ! وتتشدق الصحف عن التسامح « الجنسي » وتمتدحه على أنه أمر تقدمي ، فتستعرض « التساهلات » من جانب سلطات المدارس والجامعات فى شتى الأنحاء ، بحيث تسمح للطالبات بزيارة الطلاب فى مخادعهم فى وقت متاخر من الليل ، والغاء ضرورة ترك الباب مفتوحا قليلا ، وتذكر مسئوليه هذه السلطات فى تزويد الطلاب والطالبات بوسائل منع الحمل ، ويتحدثون عن الشذوذ الجنسي ببساطة وكأنك تتحدث عن بعض ألوان الطعام المباحه ، ومنذ أيام ثلاثة تتحدث الصحف ــ ومنها نيويورك تايمز ــ عن ناد لهؤلاء الشاذين ، سمع هذا النادى بأن السلطات توعز الى أصحاب البارات بألا يرحبوا بذوى الشذوذ الجنسي ، فيقوم ثلاثة من أعضاء النادى بجولة حول عدد من البارات فى المدينة ــ بصفتهم الرسمية فى النادى ! ــ لتحدى هذا الموقف ، وتذكر الصحف أنهم كانوا يدخلون على على صاحب البار فيقولون نحن (كذا وكذا) والعياذ بالله ! ويطلبون ما يشاءون ، فلم تتردد أكثر هذه النوادى فى تقديم طلباتهم ، وتذكر الصحف أيضا أسماءهم وأعمارهم ، هل تتصور أن ذلك يا أخي يحدث فيما يزعمون أنها بلاد العلم والمدنية ! .

أما الصهيونيه فحدث عنها ولا حرج ، ومركزها الأكبر عندنا هنا فى نيويورك بالأسف ، لا تكاد تذهب الى حانوت أو مكتب أو مصنع الا وتصادفهم ! أتعلم أن هنا فى نيويورك مليونين من اليهود ؟ وهل تعلم أن عددهم فى أمريكا أكثر من ثمانية ملايين ؟ .

وهل تعلم أن أعضاء ما يسمونه باتحاد الهيئات للاكتتاب لاسرائيل يبلغون سبعمائة وخمسة وسبعين ألف عضو ــ كما ذكرته جريدة نيويورك تايمز صباح أمس (٢٥ ابريل ١٩٦٦)

وهل تتصور أنهم يجمعون سنويا ستمائة وخمسين مليونا من الدولارات ، تذهب منها خمسمائة مليون دولار لاسرائيل المزعومة ، ومائة وخمسون

رسالة من نيويورك



مليونا تشـــترى بها الذمـم من أجـل الصهيونية سنويا ؟ ! .

ومما يجرح الفؤاد أن حاكم ولايــة نيويورك وقع بالأمس اعلانا يسميه ((يوم استقلال اسرائيل)) ، ويصنع السـيد عمدة نيويورك مثل ذلك فيوقع اعلانا آخر يجعل هذا الاسبوع كله ((اسبوع اســتقلال اسرائيــل)) يقولون أن أمس كان العيد الثامن عشر لاستقلال اسرائيل بالتاريخ العبرى ، وليت شـعرى كيف يسمى هذا استقلالا ؟ وهل كان ما حدث أكثر من أن عصابة وحشية اغتصبت أرض سادتهم وأملاكهم من عرب فلسطين الأبرياء تحت سيطرة المنتفعين المرتشين وتأييدهم ! وما هذه المجاملـه والنفاق من جانب السلطات العليا هنا ؟ انهـا السياسة والانتخابات ! .

وختاما أرفـق بهذا صـورة نشرتها جريدة ((نيويورك تايمز)) صباح اليـوم ((التقليعة)) أترك لك وصـــفها (١) ، يقولون عنها اجتمع فيها الجد بالمـرح ، والدين مع الرقص ! ترى فيها الشباب يرقصون رقصا خليعا على أنغام دينية فى احدى الكنائس الكبيرة هنا ! ويصف القسيس الجمع بأنه ((عبادة قديمـة على موسيقى حديثة)) ، ويســـمون الخطبة بأنها خطبة دينية راقصة! ويهتف بعض الحاضرين ((سبحوا الله برقصـة الروكندرول ! ، انه تعالى يحب أن يرى عباده مرحين سعداء)) ! ! ، ويهتف آخر : سبحوا اسم الله بكثير من الرقص ! .

٦٦/٤/٢٦

عزيزى الأخ

وصلني عدد شـهر صـفر وأعجبت بتعليقاتكم على أحوال الشباب وخلاعـة الشابات ، وتصادف أن قرأت فى نفس اليوم أن المشرف على امتحان الجامعات باكسفورد منع الطالبات من الحضـور بالفساتين القصيرة لغرفـة الامتحانات لأنه يرى فى ذلك خلاعة لا تتفق مع جلال الامتحان وهيبة الروب الجـامعي الذى عليهن أن يرتدينه داخـل الجامعـة ، بالاضافة الى أن المنظر المكشوف فوق الركبة قد يشغل الشباب عن التركيز على الاجابة عن أسئلة الامتحان ، فكان هذا اتفاقا عجيبا ، زادكم الله توفيقا . كمـا أعجبنـي فى العدد بعض النقـاط الأخرى مما لا يتسع الوقت للافاضـة عنه ، كما أعجبني العدد الأخير أيضـا وسرني أن اقرأ فيه مقالا للدكتور زكي على بجنيف عن زعيم اســلامي مجاهد من بلاد القوقاز .

★★★

يزور الملك فيصل الـولايات المتحدة الآن ، وقد أحدثت زيارته ضجة هنا ، وخاصة لتصريحاته ضد الصهيونية فى واشنطون أمس ، والمفروض أن يحضر مساء اليوم الى نيويورك ليقضي عشرة أيام بها ، وكان مفروضا أن تعمل له مآدب واحتفالات رسمية ، يقيمها حاكم الولاية وعمدة مدينة نيويورك ، ولكن الصهيونيين ــ لعنهم الله ــ احتجوا بشدة على عمدة نيويورك مما اضطر هذا المسكين الى أن يعلن الغاء الاحتفالات كلها ، وهي ضربة مؤلمة جارحة للغاية بل ما كانت تتصور ، ولكنها تبدي لك مبلغ نفوذ اليهود هنا ، الواقع أنني قد شعرت كأنني أعيش فى «تل أبيب» ، لا يتيسر لنا عمل اصلاحات بدار المؤسسة بسهولة ، لم نسـتطع اجراء التأمين على مبنى المؤسسة رغم المحاولات المتعددة ، وكمـا سـمعت أن

---

(١) كنت أود نشر هذه الصـورة ليراها القارىء ويعجب ولكن حال دون ذلك أسباب فنية .

نفوذ اليهود قد ازداد هذين العامين الأخيرين أكثر من أى وقت مضى ، ولا تخلو الصحف يوميا مما يجرح مشاعرنا ، والأفلام على التلفزيون اليوم عن العرب والجواري والعبيد ليصوروا للناس مبلغ تأخر العرب يوم يزورهم ملك من العرب ، ومنذ أيام وصلني مقال بعثت به احدى المؤسسات اليهودية كتبته يهودية بعنوان « الاسلام كطريق للتفاهم بين اسرائيل وجيرانها العرب .. » يتحدث عن الاسلام بعبارات ظاهرها السلامة وباطنها الحط من الاسلام . ومع المقال كتاب واستمارة لاملأها عن العدد المطلوب من النسخ من هذا المقال لتوزيعها مجانا على طلاب المدرسة كسائر طلاب المدارس !! وتظهر فى السوق كتب وروايات كلها تقلب الحقائق التاريخية من طرق ملتوية فيها خلط الحق بالباطل ، خلط الحق الذى يعرفه الناس بالباطل ليظهر الكل فى ثوب مزيف من الحقيقة .

★★★

■ قرأت فى الأسبوع الماضي عن كتابين ظهرا عن الحروب الصليبية ، أحداهما يصف صلاح الدين باللؤم والخداع ، ويتحدث فيها عن فلسطين بأساليب تفرض يهوديتها ، ثم اذا تحدثوا عن قيام اسرائيل سموه «استقلال اسرائيل» وما حدث من حرب أيامها كان « ثورة اسرائيل ضد الاستعمار الانجليزي لاكراه الانجليز على الخروج » واللاجئون ما خرجوا من فلسطين خوفا من اليهود ، ولكن الحكومات العربية استغلت الثورة الوطنية اليهوديةضد المستعمر البريطاني فأرادت ضرب اسرائيل فنصحت عرب فلسطين بمغادرة البلاد حتى لا يهلكوا مع اليهود فلما انتصر اليهود على البريطانيين واكرهوهم على الخروج واستقر الوضع فى اسرائيل ، فلا يمكن اجبار حكومة اسرائيل على قبول عودة العرب الذين تركوا بلادهمطوعا واختيارا تلبية لدعوة الحكومات العربية ! ولو أطلقت للقلم العنان لضايقتك بطول الحديث .

★★★

■ سيجتمع مؤتمر اتحاد الجمعيات الاسلامية بالولايات المتحدة وكندا يوم ١٥ يوليو القادم فىمدينة «لندن» بكندا ، وربما أحضره فاذا تمكنت من ذلك فأرجو ان أكتب لك رسالة عنه ، ويسركم أن تعلموا أن حكومة الكويت أهدت مكتبة المؤسسة مجموعة من الكتب العربية القيمة منها مجموعة كاملة لمجلة الوعي الاسلامي للعام الأول من صدورها مجلدة فى مجلدين جميلين باللون الأخضر ، وذلك فى الشهر الماضي وقد سعدت بها جدا . ولعلكم سمعتم عن صدور كتابي عن الملايو الذى كان لكم الفضل فى أن بدأت كتابته فى ٢٢ مارس ، كما صدر لي أربع كتب دراسية قبل ذلك بشهر فى الملايو ، واستعين الله حاليا فى كتابة سلسلة من الكتب الدراسية فى الدين الاسلامي واللغة العربية لاستعمالها فى المدارس هنا ، وقد تم الجزءان الأولان بحمد الله ونسأله تعالى أن ييسر طبعهما قبل بدء العام الدراسي فى سبتمبر ،

والى جانب هذه المدرسة اعتزمنا أن نبدأ مدرسة ليلية بالمؤسسة لتدريس اللغة العربية ، نرجو الله أن يكفينا شر الصهيونيين ، هل تصدق أن ضابط بوليس قال لي انه يعجب كيف يمكن للمؤسسة أن تبقى هنا فى نيويورك ؟ الواقع أننا لو استطعنا أن نبنى مسجدا هنا ذا مئذنة عالية شامخة ، فسوف يكون انتصارا للعالم الاسلامي كله . كان الله معنا .

والسلام عليكم ورحمة الله .

١٩٦٦/٦/٢٢

المخلص
محمد عبد الرءوف

من أعلام الطب في الإسلام

أبو القاسم الزهراوي
نابغة الطب في الأندلس

للدكتور محمد ابو شوك
رئيس الوحدة الباطنية بالمستشفى الاميرى ـ بالكويت

فى الوقت الذى تتباهى فيه بغداد على العالم بعلمائها وبنور المعرفة الذى يشع منها ، وتفخر بفخرها الرازى ، وبالعالم الرئيس ابن سينا . فى هذه الاثناء تبرز قرطبة بالاندلس لتنافس بغداد حاملة مشاعل النور على يـد علمائها العرب .

وكانت قرطبة فى القرن العاشر أكبر مدينة مزدهرة الحضارة فى أوروبا سكانها حوالى مليون نسمة تحوى ٣٠٠ مسجد و ٧٠ مكتبة و ٥٠ مستشفى . وانشئت جامعتها فى القرن الثامن فكانت المنار الوحيد للعلم فى القارة الاوروبية ، وفتحت أبوابها للمسلمين وغير المسلمين ـ دأب العرب لا يبخلون على أحد بعلم ـ ولم لا واسلامهم دين الرحمة والمحبة والعلم والمعرفة . يأمرهم بالتزود من العلم والتعلم وعرض علومهم على البشرية لينهلوا منها ما شاءوا .

وهذه مكتبة جامعة قرطبة تضم فى جنباتها أكثر من ٢٢٥ ألف كتاب فى شتى العلوم والفنون ، ليرتوى منها كل راغب فى علم لا فرق بين العربى وغير العربى ، المسلم وغير المسلم . فالكل فى محراب العلم سواء .

وتخرج فى جامعة قرطبة علماء أوروبيون كانوا قادة فى دولهم بعد تخرجهم مثل ميكل الاسكتلندى وغيره .

وفى قرطبة الشامخة يسطع نجم الجراحة العربية اللامع أبو القاسم الزهراوى ـ أعظم جراح اسلامى فى المغرب والاندلس فى ذلك الوقت .

ولد أبو القاسم الزهراوى عام ٩٣٦ ميلادية ، ولم يعرف عن حياته الاولى الا النزر القليل . ولكن المعروف عنه

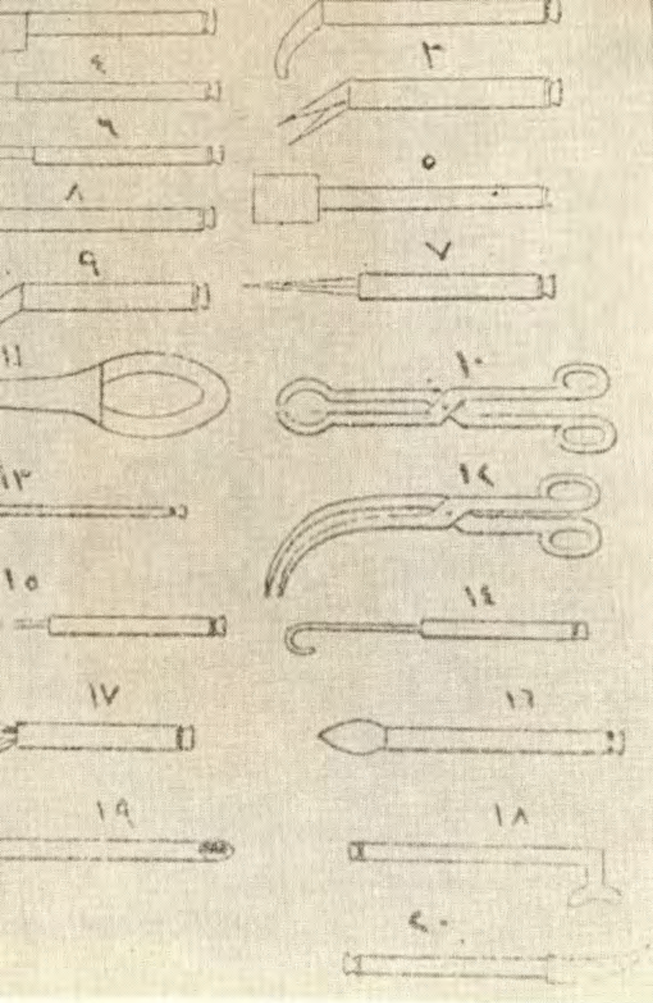
أنه تألق نجمه حتى أصبح الطبيب الخاص للخليفة عبد الرحمن الثالث أعظم خلفاء الاندلس . وكان نبوغه خاصة فى ناحية الجراحة ، فوضع أسسا عميقة لها ، وجعلها فرعا قويا من فروع الطب المتعددة ، بعد أن كان ينظر الى الجراحة فى هذا الوقت نظرة غير لائقة بها ، فاليه يرجع الفضل فى النهوض بالجراحة ، وانى لاحس ان كل جراح يدين بالفضل لهذا العبقرى الفذ . فالى جراحى العرب والاسلام بل والى جراحى العالم أجمع أقدم صورة الزهراوى الخالدة فى علم الطب والجراحة .

التصريف لمن عجز عن التأليف

هذا هو مؤلف الزهراوى النفيس وضع فيه كل تجاربه فى فن الجراحة ، وجاء فى ثلاثين مجلدا وقد احتوت النسخة التى كتبت عن الجراحة على ما يزيدعن ٢٠٠ آلة جراحة ، كان يستعملها الزهراوى فى عملياته . ونظرة دقيقة الى هذه الآلات نرى أن معظمها يستعمل فى الوقت الحالى ، بعد ان ادخلت عليها تعديلات طفيفة من حين الى آخر حتى وقتنا هذا . وانى لادعو زملائى فى الجراحة العامة وجراحة العظام لينظروا الى هذه الآلات وسيجدونها قريبة الشبه للالات التى تستعمل الان . فأية عبقرية هذه التى يتمتع بها جراح العرب الاول .

ثم انظروا معى تروا هذه الآلات التى تطلقون عليها أسماء أصحابها باللغات الاجنبية ، قد اقتبس أصحابها الكثير منها عن الزهراوى قائد الجراحة الاول بينما ننساه فلا نطلق اسمه حتى على آلة من هذه الآلات .

وانه ليجدر بكل جراح عربى أو اسلامي فى عصرنا هذا ان يدقق النظر فى هذه الالات ، ويخرج علينا بآلة بل وبآلات ويطلق عليها اسم رائد الجراحة الاول .



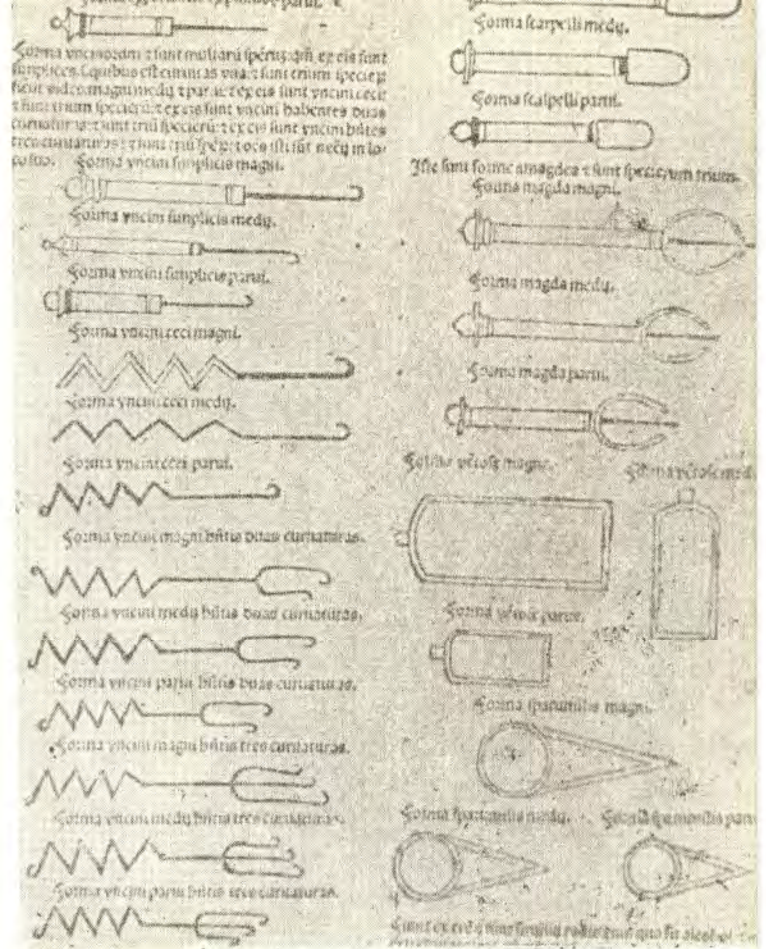
آلات الجراحة التي كان يستعملها الزهراوي ، وكذلك ترى فى الصور الأخرى .

هذا عن الآلات وماذا عن العمليات الجراحية التى قام بها ؟

ففى محيط الجراحة العامة .

فى أوائل هذا القرن طلع علينا الجراحون يقولون انهم توصلوا الى ايقاف النزيف بواسطة الكى ، ولم يعلموا أن الزهراوى كان أول من قام بهذه العملية منذ عشرة قرون مضت . ثم ان الزهراوى كان أول من قام بعمليات سرطان الثدى ، وكان أول من حذر من انتشار السرطان لذا كان له قصب السبق فى هذا المجال وفتح الباب على مصراعيه لكل باحث فى السرطان وانتشاره فى الجسم .

وكذلك قام بعمليات استخراج حصى



المثانة ، وذلك بفتح المثانة أو تفتيت الحصوة ، ويطالعنا جراحو الغرب بانهم أول من قاموا بهذه العملية ، وما كان أجدرنا وأجدرهم أن يرجعوا الى تاريخ العمليات الجراحية ليجدوا الزهراوى فوق قمة من قام بهذه الجراحة .

وفى جراحة العظام .

كان الاول فى معالجة الكسور ، ونظرة الى الالات التى كان يستعملها فى هذه الجراحة نراها لاتختلف كثيرا عن الالات الحديثة اليوم .

وكذلك وصف الزهراوى التهاب المفاصل وسبق بوت Pott فى وصف السل فى العمود الفقرى بـ ٧٠٠ عام .

وكذلك قام بعمليات تشوهات الفم والفك ، وكان أول من أوقف النزيف من الشرايين الكبيرة بربطها ، وبذلك سهل العمليات الجراحية — ومن العجيب أن ينسب الجراح الفرنسى ابرواز بارى Aberoise Pare هذا الى نفسه عام ١٥٥٢م ، وأغفل اسم الجراح العربى وتناساه ، مع أنه سبقه بحوالى ٦٠٠ عام والى ابي القاسم جراح العرب الاول يرجع الفضل فى عملية تخييط الجروح من الداخل ، بحيث لا تترك أثرا على سطح الجلد ، وكذلك طريقة استعمال التخييط بواسطة ابرتين وخيط واحد مثبت بهما — واستعمل الخيوط المصنوعة من أمعاء القطط فى جراحات البطن والامعاء .

ثم ان الزهراوى كان أول من أوصى برفع الحوض والارجل فى العمليات التى تجرى على أسفل الجسم قبل أن ينادى بذلك ترندلنبرغ Trendelburg الالمانى .

وأنت يا أخى فى جراحة الانف والاذن والحنجرة تذكر عندما تقوم بانقاذ مريض بعملية شق الحنجرة تذكر دائما الزهراوى لانه كان أول من قام بهذه العملية ، فقد أجراها على خادمه لينقذ حياته من موت محقق .

وفى مضمار الولادة .

كان أول من وضع نظرية الجفت الذى يستخرج به الجنين من بطن أمه ، ولو أنه استعمله فى استخراج الطفل الميت من بطن أمه ، ولكنه على أى حال فتح المجال لاستعماله فى هذه الحالات . فالى الزهراوى يدين العالم أجمع لهذه الارواح التى عاشت من يوم استعمل الجفت فى استخراج الاطفال الاحياء من بطون أماتهم الى يومنا هذا ، وسيبقى هذا الفضل على مر الزمن مادام الجفت يستعمل فى الولادات العسيرة .

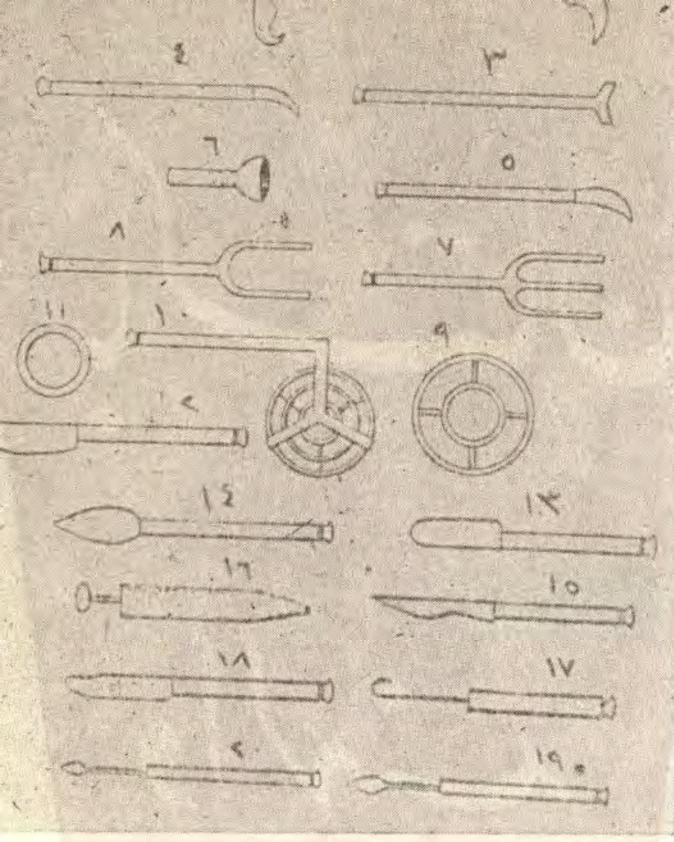
وكذلك وصف حالات الولادة العسرة فى حالة خروج اليد أو الركبة عند بدء الوضع ، كما وصف الوضع الوجهى Face Presentation و كان أول من عالج هذا الوضع. ثم أنه سبق Walcher بمئات السنين فى وصف الوضع الذى تكون عليه المرأة ساعة الولادة ، والذى يعرف الان باسم من نسبه الى نفسه بعد أن أخذه من الزهراوى الا وهو وضع Walcher الالمانى .

ثم ان الزهراوى قام بعمليات فى المهبل ، وأوجد مرأة خاصة بالمهبل ونظره الى الآلات نرى أن من بينها آلات كانت تستعمل لتوسيع عنق الرحم .

ولقد كان تأثير كتاب « التصريف لمن فاته التأليف » للزهراوى واضحا ، فظل المرجع للجراحة قرونا طويلة ، فكان يدرس فى مدرستى سالرنو ومونبيليه وغيرها فى مدارس الطب المتقدمة فى العصور الماضية ، ولقد تأثر به جاى ، وروجر ، ولانفرانك وغيرهم الذين يرجع اليهم الفضل فى التشريح والجراحة فى أوروبا ، فكان هذا الكتاب نبراسا لهم وهاديا الى هذا التطور الجراحى الذى تتمتع به أوروبا فى هذه الايام .

ولقد ترجم الكتاب فى فنيسيا فى سنة ١٤٩٧ واستراسبورج سنة ١٥٣٣ وبازل سنة ١٥٤١ والجزء الخاص بالجراحة ترجم الى اللاتينية فى مجلدين فى أكسفورد سنة ١٧٧٨

وهكذا سما الزهراوى بالجراحة الى المكانة اللائقة بها ، واليه والى العرب فى كنف الاسلام الحنيف يرجع الفضل فى رفع مستوى الجراحة وفى بقاء علم الجراحة ذلك الفرع من الطب الذى خفف من آلام المرضى ونجاهم من موت محقق لولا التدخل الجراحى .



قرر بابوى عجيب .

وشتان ما بين العرب فى تلك العصور وبين الغربيين عندما كانوا يصفون الجراحة بانها عملية حقيرة لا يحترفها الا الجلادون والجزارون والحلاقون حتى ان قرار « نورس البابوى » عام ١١٣٦ حرم تدريس الجراحة فى مدارس الطب ، وأعلن أن أى طبيب يقوم باجراء أى جراحة ما هو الا حقير وغير شريف فالى العرب خاصة والى المسلمين عامة أقدم فخر الجراحة أبو القاسم الزهراوى كما قدمت من قبل فخر الطب الرازى فاليهما يرجع الفضل كل الفضل فى علم الطب ــ علم التضحية والانسانية .

وفاته .

وتوفى الزهراوى عام ١٠١٣ ميلادية بعد أن خلد ذكراه ووضع اسمه على قمة الجراحين العرب وغير العرب . فرحمة الله على الجراح الاول الذى سما وعلا فى كنف الاسلام الحنيف .

باكستان والهند في عيد

للعرب وللكويت بصفة خاصة علاقة عميقة الجذور بشبه القارة الهندية ، ترجع الى ما قبل الاسلام ، وزادت هذه العلاقة وثوقا عندما دخل الاسلام الى تلك البلاد، منذ عهدالخلفاء الراشدين.. واصبح للمسلم هنا اخوة له هناك يعيشون فى شبه القارة ، يرفعون شعار التوحيد ويتجهون للكعبة ... وفى مثل هذه الايام من العام الماضى شغل العالم وفى مقدمته المسلمون بالنزاع الدموى الذى قام بين الشقيقتين الهند وباكستان .

وفى اغسطس من كل عام تحتفل الشقيقتان بعيد استقلالهما ، بعد ان رزحتا معا تحت عبء الاستعمار وذاقتا سويا مرارته ، وكافح المسلم والهندوسى جنبا الى جنب ، واختلطت دماؤهما معا فى سبيل التحرر والتخلص من قبضة الاستعمار .

وبودنا هنا فى هذه المناسبة أن نقدم لك دراسة تاريخية عن ظروف قيام الدولتين ،وذلك بمناسبة عيد استقلالهما : وقد حلينا الغلاف بصورة لمسجد فخم أقامه المسلمون الذين حكموا شبه القارة ، قبل ان يسيطر عليها الاستعمار الانجليزى ... وقد اردت ان اكتب لك هذه الدراسة ولكنى وجدت أن أنسب وأوفى ما اقدمه لك منها هو تلك الخاتمة التى ختمت بها كتابى ((كفاح المسلمين فى تحرير الهند))

ولعل من المفيد ـ قبل ان اقدم لك هذه الدراسة التاريخية ـ ان امر معك سريعا بتاريخ شبه القارة منذ دخلها الاسلام .

فقد طرق المسلمون العرب ابوابها من ساحل بحر العرب منذ عهد الخلفاء الراشدين وتقدمت خطاهم داخل البلاد بأرض السند فى عهدالامويين والعباسيين ، ثم حين ضعف العباسيون اقام المسلمون فى الهند امارتين اسلاميتين وظل الامر على ذلك حتى طرقت ابواب الهند من الشمال جيوش اسلامية اخرى بقيادة السلطان محمود بن سبكتكين الغزنوى حاكم افغانستان الذى توغل فى ارضها ، وحالفه النجاح فى كل لقاء التقى به مع حكام الهند .. وكان ذلك سنة ٣٩٢ هـ (١٠٠١م) .

حتى اذا انتهت الدولة الغزنوية على يد الدولة الغورية تابعت الاخيرة خطة سابقتها فى التوغل بأرض الهند .. حتى سقطت مدينة دلهى فى يد المسلمين سنة ٥٨٩ هـ ـ ١١٩٣ م ..

استقلالها

بقلم : عبد المنعم النمر

ومنذ ذلك الوقت ظلت دهلى أو كما سماها الانجليز دلهى عاصمة الدولة الاسلامية فى الهند الا فى فترات قليلة .. وبدأ الملوك المسلمون يستقرون فيها ، ويحكمون البلاد منها .

وقد تعاقب على حكم الهند عدة دول اسلامية ، كل منها تأخذ الحكم من سابقتها ، حتى كانت الاسرة التيمورية المغولية اخر الاسر التى حكمت الهند من ٩٣٢ هـ الموافق ١٥٢٦م الى أن قضى الانجليز على آخر امبراطور منها ١٢٧٣ هـ - ١٨٥٧م .. وادخلوا الهند ضمن مستعمرات التاج البريطانى ، بل كانت باتساعها وغناها اغلى درة فيه كما كان يقال ..

وقد كان حكام الاسرة التيمورية اعظم من حكموا الهند من المسلمين وذلك فى العهد الاول من حكمهم ، واقاموا فيها حضارة مزدهرة تكاد تفوق الحضارات الاسلامية الاخرى ، وتركوا من اثار هذه الحضارة ما تفاخر به الهند الان ، وفى مقدمة هذه الاثار « تاج محل » احدى عجائب الدنيا السبع .. وقد أقامه الامبراطور شاه جهان فى مدينة « أجرا » كما بنى القلعة الحمراء والمسجد الجامع الفخم بمدينة دهلى ..

ولكى تتصور عظمة الاباطرة المسلمين الذين حكموا الهند اسوق اليك هذه الواقعة التى ذكرها كتاب حضارة الهند لجوستاف لوبون .

حين بدأ لعاب الانجليز يسيل على خيرات الهند وتكونت شركة الهند الشرقية الانجليزية ارسل ملك انجلترا جيمس الاول رسولا الى الامبراطور المسلم « جهانكير » (١٠١٤ - ١٠٣٧ هـ الموافق ١٦٠٥ - ١٦٢٧م) ومكث الرسول الانجليزى سنتين ينتظر سماح الامبراطور له بمقابلته واخيرا طلب ان يحمل كتابا من الامبراطور لمليكه فكان رد رئيس وزراء الامبراطور عليه « ان مما لا يناسب قدر ملك مغولى مسلم ان يكتب كتابا الى سيد جزيرة صغيرة يسكنها صيادون بائسون .

وفى هذا الوقت كان الانجليز قد بدأت خطتهم على ارض الهند باسم التجارة ، وبدأت شركة الهند الانجليزية الشرقية عملها باذن من الاباطرة وهم لا يتصورون انها اخيرا ستقضى عليهم وعلى امبراطوريتهم ولكن هذا ما كان ، وانتهى الحكم الاسلامى على يد الانجليز ١٨٥٧م .

ودخلت الهند فى قبضة الاستعمار الغربى ، وبدأ المسلمون فيها يلاقون اقسى انواع الظلم والعنت والاضطهاد على يد الانجليز ، خوفا من ان يرفعوا رؤوسهم ، ويعيدوا ملكهم السليب .. والمسلمون تقوم لهم جيوب مجاهدة هنا وهناك ، والانجليز يطاردونهم .. حتى بدأت حركة التحرر بقيادة زعماء المسلمين والهندوس معا فى مطلع هذا القرن ، وكان المسلمون بحكم ثاراتهم من الانجليز فى مقدمة المضحين والمجاهدين ، حتى انتهت الامور اخيرا الى تخلى الانجليز عن الهند وتسليمها لاهلها فى اغسطس سنة ١٩٤٧م ...

ولكن اهلها لم يفرحوا باستقلالهم فرحة كل شعب يحصل على استقلاله ، فقد انقسمت البلاد ، واصر اغلبية المسلمين على ان تكون لهم دولة ، وعارضهم الهندوس وبعض المسلمين .. وقامت مذابح بينهم فى الوقت الذى نالوا فيه استقلالهم .. فكانت البلاد كالعروس التى تزف فى بحر من الدماء ، وعلى اشلاء القتلى ، ورأى المسلمون والهندوس معا من المآسى ما لم تشهده بلاد اخرى مما لا يزالون يعانون آثاره حتى الان .

واذا كان لنا من رجاء بمناسبة ذكرى استقلال

الهند وباكستان فهو ان تتغلب الحكمة على قادة الدولتين حتى يقضــوا على الآثار التى خلفهــا المستعمرون وراءهم ، وعلىالجروح و «الخراجات» التى تركوها فى جسم الدولتين ، حتى يرفرف السلام والصفاء على ربوعهما ، ويتعاونا معا فى سبيل الخير المشترك لشعبين كانا الى عهد قريب شعبا واحدا يجابه المستعمر صفا واحدا .

وبعد ذلك هيا بنا الى صفحة ٣٣٧ من كتاب « كفاح المسلمين فى تحرير الهند » لنقدم لـــك دراسة تاريخية لنعرف منها كيف قامت الدولتان والظروف التى أحاطت بقيامهما :

« تمخض الجهاد المشترك ـ كما عرفنا ـ الى تقسيم الهند الكبرى الى دولتين : بهارت أى الهند ، وباكستان ، فى ١٥ اغسطس ١٩٤٧ ، ولم يكن حظ الدولتين متساويا فى هذا التقسيم ، لا من حيث المساحة ، ولا السكان ، ولا المدن الكبرى، ولا مراكز الصناعات ، ولا من حيث الوضع العام لرقعة الدولــة .

فقد قام التقسيم على أساس الاغلبية الدينية فى المنطقة : الاغلبية الهندوسية للهند ، والاغلبية المسلمة للباكستان ، والمسلمون اقلية بالنســبة للهندوس ، فقد كانوا يبلغون حين التقسيم نحو مائة مليون مسلم ، وهم وان كانوا موزعين فى انحاء الهند ، بحيث لا تخلو منهم قرية أو مدينة ، الا انهم كانوا يكونون نسبة عالية فى الشرق ، وكذلك فى الغــرب .

باكستان

فكان من حظ باكستان منطقتان : احداهما فى الشرق الاقصى من البلاد الهندية وهى البنغال ، وثانيتهما فى أقصى الغرب منها وهى ارض السند. ويفصل الواحدة منهما عن الاخرى مسافة نحــو « ١٢٠٠ » الف ومائتى ميل من الاراضي الخاصة بالهند .. كما أن الطريق البحرى بين المنطقتين طريق طويل ، يبدأ من كراتشى على ساحل بحــر العرب ، وينتهى عند موانى البنغال فى خلــيج البنغال ، ويبلغ ٢٥٠٠ ميل .

وكان هذا الوضع ، هو أحد الاوضاع الشاذة والصعبة ايضا فى تكوين الدولة الجديدة ، وسير حياتها ، فهو وضع تتخلف عنه متاعب عديدة للدولة ، ان لم يكن من ناحية الحكم ، فمن ناحية الدفاع ، والاقتصاد ، والاتصال المباشر بين سكان الدولة الواحدة .

فكم يلزم تبادل المنافع الاقتصادية بين الجزأين من صعوبات . وكم يلزم الدفاع عنهما كذلك من أعباء ونفقات لاعداد جيش قوى فى كل منهما ، يصلح للدفاع وحده عن حدودها الممتدة ،المجاورة لدول عديدة فى الشرق او فىالغرب ، ولو لمدة تتسع لوصول المدد من الناحية الاخرى ، ان استطاع التغلب على الصعوبات والمخاطر التى يتعرض لها فى الطريق ؟! .

والجزآن لا يربطهما رابط من روابط الجنس أو اللغة او الارض ، والرابط الوحيد بينهما هو رابط الاسلام ، الذى جعل منهما دولة واحدة ، وهو بلا شك من اقوى الروابط التى تربط الامة، ان لم يكن أقواها ، ولا سيما فى وقت قامت فيه الدولة الجديدة على أساسه ، لتجابه تعصبا دينيا آخر ، خشوا منه على تراثهم ومصالحهم .

ولكن الى متى يظل هذا العامل مسيطرا على روح الشعب ، دافعا له الى الوحدة مع شقيقه فى الناحية الاخرى ، متغلبا على الصعاب الاخرى التى تجابهه ؟ هذا هو السؤال الذى يجيب عليه الزمن .

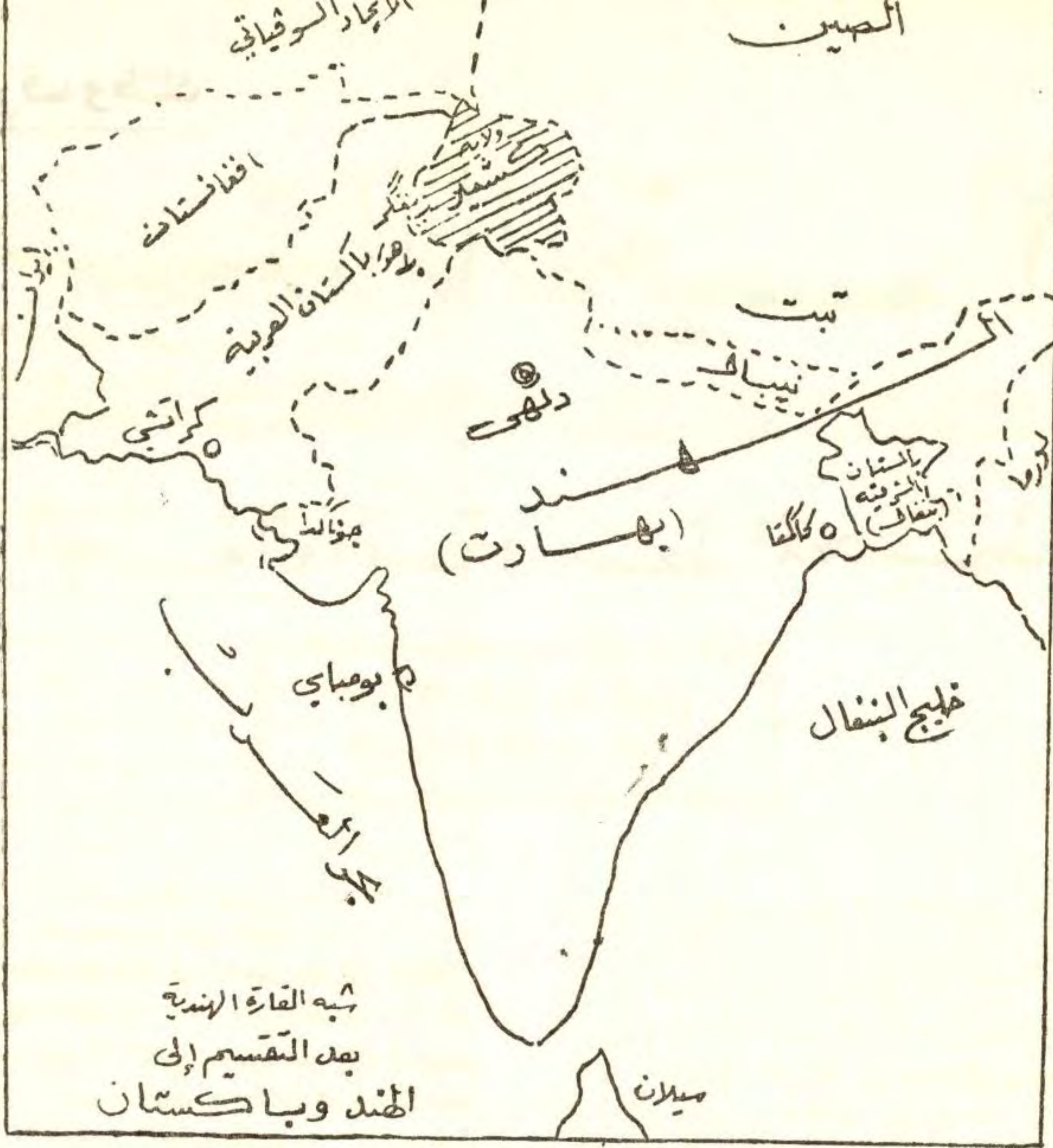
والقسم الشرقى (البنغال) : خصب ، غزيــر الامطار كثيف السكان ، مساحته نحو ٥٤ الــف ميل مربع ، وهى أقل من مساحة القسم الغربى ، ولكن عدد السكان فيه نحو ٤٢ مليونا .

بينما تبلغ مساحة الباكستان الغربية نحـــو ٣١٠. الف ميل مربع ، وسكانها نحو ٣٣ مليون نسمه ، أى أن مساحة الجزء الغربى نحو خمسة اضعاف الشرقى ، ومع ذلك فهو أقل منه فى عدد السكان ، نظرا لكثرة الاراضى الصحراوية فيه ...

وجملة عدد السكان شرقا وغربا نحو ٧٥ مليونا حسب احصاء ١٩٥١م (١) ونسبة الاقليات من هندوس وبوذيين ومسيحيين ومجوس ، تبلغ نحو

---

(١) فى احصاء سنة ١٩٦١ بلغ مجموع الســــكان٦١٣ر٧٢٠ر٩٣ مليونا . فى الغرب ٨٨٠ر٤٢ مليونا وفى الشرق ٨٤٠ر٥٠ مليونا ، وعدد المسلمين فيهما ٨٢: مليونا ونصف أى بنسبة ٨٨٪ والهندوس بنسبة ٧ر١٠٪ والباقى طوائف أخرى .



١٤٪ ، ولكن نسبتهم فى الشرق أعلى ، اذتصل نسبة الهندوس نحو ٢٣٪ من عدد السكان .

والعاصمة هى كراتشى ، وهى ميناء على البحر العربى فى باكستان الغربية ، وقد تقرر نقل العاصمة الى مدينة « راولبندى » فى أقصى الشمال . أما عاصمة القسم الشرقى فهى مدينة « داكـــا » .

ظروف عصيبة

وقد نشأت الباكستان فى ظروف عصيبة ، يكفى فيها ان نتصور قيام دولة جديدة بكل اجهزتها الضرورية فى ظرف سريع ، فقد كانت دلهى هى العاصمة قبل التقسيم ، والمدن الكبرى كلها تقريبا كانت من نصيب الهند ، ولم تكن كراتشى فى عداد هذه المدن ، مثل بومباى وكلكتا .. وقد انتقل الجهاز الحكومى اليها ، ليواجه مصاعب الدولة الجديدة وضرورياتها .. وفى هذا الظرف جابهت الدولة الناشئة ظروف تدفق اللاجئين الذين بلغوا نحو سبعة ملايين .. وما يحتاجه مثل هذا العدد من توفير الاقامة له وحل مشاكله .

ثم ان هناك حقيقة يجب ألا نهملها ، وهى أن الاراضى او المدن التى كانت من نصيب باكستان، لم يكن فيها من الثروة المعدنية ، ولا من المراكز الصناعية مثل ما كان للهند ، بل كانت شبه خالية تقريبا من ذلك ..

فلقد عمل الانجليز منذ استقروا فى الهند ــ كجزء من خطتهم فى اضطهاد المسلمين ــ على اهمال المناطق التى يكثر فيها عدد المسلمين ، وركزوا الصناعات والجامعات والمكتبات ، وعمليات انشاء الطرق ، وكل مظاهر العمران الهامة فى المناطق التى تسكنها اغلبية هندوسية .. وهــذا شيء ملاحظ لا سبيل الى انكاره حتى أن الزعيم

ــ البقية على ص ٨٦ ، ٨٧ ــ

جـــزر المالديــف ٢

الجنَّـــة العائمَـــة وسْـــطَ المحيـــطْ

للاستاذ مامون عبد القيوم
عضو البعثة المالديفية بالازهر

((صفحات مجهولة))

يبدأ التاريخ المالديفي الحقيقي بدخول الاسلام، وأما الفترة السابقة لذلك فلا يعرف عنها الا أقل القليل ، وهو ما ذكره المسعودى فى كتابه ((مروج الذهب)) الذى الفه فى عام ٣٣٢ هـ أى قبـــل اعتناق المالديفيين الاسلام بقرنين .

وقد وصف المسعودى المالديف بانها بلاد مستقلة يحكمها ابناؤها ، وبانها متقدمــة فى الصــناعات اليدوية وتصدر منتجاتها منها الى البلاد القريبة ، وقال ان المالديفيين يستخدمون الودع فى المعاملات التجارية بدل النقود ، كما قرر أن التي تحكمهم امرأة وانهم يعبدون الأوثان وان المالديف بلاد يسودها الرخاء ، وأن كميات كبيرة من العنبـــر تاتى بها الأمواج الى شواطئها .

هذا كل ما كتبه المسعودى عن المالديف ، وهو كل ما نعرفه عنها قبل اسلام أهلها ، وأما ما عداه فصفحات مجهولة قد تكشــف عنها الأيـــام وقد لا تكشف .

((تاريخ مجيد))

ومن دواعي الفخـــر لدى الشـــعب المالديفي ، أن بلاده قد احتفظت بكامل حريتها واستقلالها منذ أقدم العصور ، رغم صغرها وقلــة سكانها ، فقد روى المسعودى فيما سبق أن المالديف كانت دولة مستقلة قبل دخول الاسلام ، وهي الفترة شبه المجهولـــة فى تاريـــخ هذه الجزر ، وأما بعد اسلامها فنعرف أنهـــا ظلت محتفظة باستقلالها وسيادتها على أراضيها فيما عدا ثلاث مرات .

كانت المرة الأولى عندما أغار عليهـــا الاسطول البرتغالي بقيـــادة الادمـــيرال اندرسون فى منتصف القرن الســـادس عشر الميلادى ، واستولى على البلاد بعد معركة عنيفـــة ، ضرب فيها الشـــعب المالديفي مثلا رائعا فى الدفاع عن الوطن بقيادة السلطان علي رسجفان الذى كان ملكا على المالديف فى ذلك الوقت ، ولم تنته المعركة الا باســـتشهاد مئات مـــن المالديفيين الاحرار من بينهـــم السلطان نفسه ، وقد أقام الشعب ضريحا يضم جثمان البطل الشهيد فى المكـــان الذى استشهد فيه على الشـــاطىء الغـــربي لجزيرة ((مالى)) العاصمة ، ومـــا زال موجودا هناك رمزا للبطولة والفداء .

وقد حكـــم البرتغاليـــون المالديـــف بالحديد والنـــار ، وحاولوا أن يجبروا الناس على الارتداد عن الاسلام واعتناق المسيحية ولكن دون جدوى ، ولم يـــدم

حكمهم سوى ١٦ عاما ، اذ هيأ اللـه للمالديف أعظم أبطال تاريخها فى شخص شاب من احدى جزر الشمال اسـمه « محمد تكرفان » ، استطاع أن ينظم صفوف الشعب ، ويقود معارك خاطفة ضد البرتغاليين ، انتهت بقتل اندرسون وكثير من جنوده وانتصار الشعب على أعدائه ، وتولى البطل القائد حكم البلاد وعرف باسم « السلطان الغازى محمد تكرفان الأعظم » .

والمرة الثانيـة كانت عندما هاجمها المالا باريون فى منتصف القرن الثامـن عشر واسـتولوا عليهـا ، وكانت فترة حكمهم قصيرة جدا ، اذ لم تدم سـوى أربعة أشهر ، استرد بعدها الشـعب المالديفي حريته السـليبة بعد معركـة ظافرة قادها البطل حسن عز الدين .

وأما المرة الثالثة والأخيرة فهي الفترة التي خضعت فيها المالديف للحمايـة البريطانية ، ابتداء من عام ١٨٨٧ حتى يوم الاستقلال فى العام الماضي .

« ملكات حكمن المالديف »

والتاريخ المالديفي زاخر بشخصيات نسـوية قوية ، فرضن انفسهن على الحياة العامة ، وتولين اعلى منصب فى الدولة وهو منصب السـلطان ، فقد ارتقت اربع ملكات فيما نعرف عرش البلاد فى فترات مختلفة ، واحدة منهن قبـل دخول الاسلام الى المالديف ، وقد حكمت البلاد فى القرن الرابع الهجـرى ، وهي التي ذكرها المسـعودى والثلاث الاخريات تولين الملك بعد دخول الاسلام ، بل وفى قرن واحد هو القرن الثامن الهجرى .

واشهرهن هي السلطانة خديجة رهندى التي حكمت المالديف (٣٥) سـنة كاملة على ثـلاث فترات ، تخللتها فترتان حكم فيها اثنان من الملوك ، وكل منهما كان قد توصل الى العرش عن طريق الزواج بها .

وقد كانت رحلة ابن بطوطة الى المالديف أثناء فترة حكمها الأول ، فرحبت به وأكرمته وعينته فى منصب القضاء ، وقد ذكر ابن بطوطة تفاصيل زيارته بتوسع فى كتابه « تحفة النظار فى غرائب الأمصار وعجائب الأسفار » الذى أملاه على تلميذه ابن جزى .

أصل سكان المالديف سيلانيون

ليست هناك أدلة تاريخية تثبت بصفة قاطعة كيف بدأ استيطان هذه الجزر ، ولا فى أى زمن ، ولا من هم سكانها الأولون .

نعم ، ان هناك أقاصيص تحكى كيف أن جماعة من الهنود قد اكتشفوا هذه الجزر مصادفة منذ أكثر من ألفى عام ، واسـتقروا فيهـا لجمالها وهدوئها ، كما تحكى هذه الأقاصيص أن سلاطين المالديف من نسل أمير سيلاني تزوج فتاة مالديفية وارتقى عرشها ،وكل هذا يعوزه الدليل .

ويرجح اكثر المؤرخين أن أول من اكتشف هذه الجزر واستوطن فيها هم جماعة من أهل سيلان ، فقد كشفت الحفريات عـن بقايا معابد بوذيـة ، وبعض التماثيل التي تمثل بوذا فى العاصـمة « مالي » وفى بعض الجزر الأخرى ، ومعلوم أن السيلانيين يدينون بالبوذية من قديم ، ويؤيد ذلك أيضا تشابه المالديفيين والسيلانيين فى البنية والملامح ، وتشابه اللغة المالديفيةواللغة السنهالية التي يتحدث بها سكان سيلان .

بعض المالديفيين تجرى فى عروقهم دماء عربية

وليس معنى هذا أن المالديفيين الحاليين من عنصر سيلاني محض لم تختلط به عناصر اخرى ، فالثابت أن العنصريـن الهندى والعـربي ، قد اختلطا به فى فترات مختلفة من التاريخ ، وذلـك ان سكان الجزر الشمالية كان لهـم فيما مضى صلات تجارية بالمدن الواقعة على شواطىء الهند ، وفى رحلاتهم التجارية كانوا يتزوجون من بنـات الهند . وبذلك اكتسبت سلالاتهم العنصر الهندى الذى يبدو واضحا فى ملامحهم .

وبنفس الطريقة اكتسب سكان الجزر الوسطى (وهي العاصمة وما حولها من الجزر) العنصر العربي ، فقد كانت لهؤلاء صلات تجارية ببـلاد العرب ، كما استقر كثير من التجار العرب فى هذه الجزر ، فاصبحت الدماء العربية تجـرى فى عروقهم ، ولذلك فهم قريبو الشبه بأهل اليمن والجنوب العربي .

أما سكان الجزر الجنوبيـة فقد كانوا أكثـر محافظة على أصلهم السيلاني فلم تختلط بهـم دماء أخرى ، ولذلك فهـم يشبهون فى بنيتهـم وملامحهم سكان القرى فى سيلان .

تعمير المالديف يرجع الى ٢٠٠٠ سنة ..

وعن طريق المقارنة بين اللغتين المالديفية والسنهالية ، توصل السيد محمد امين ديدى الذى كان رئيسا لوزراء مالديف من ١٩٤٤ الى ١٩٥٣ والذى كان بجانب كونه رجل دولة اديبا وشاعرا ومؤرخا ـ الى أن جماعة من السيلانيين كانوا يقيمون فيها قبيل ظهور سيدنا عيسى عليه السلام . وذلك لان أقرب لغة الى اللغة المالديفية الحالية هي اللغة السنهالية النقية قبل اختلاطها باللغتين البالية والسنسكريتية ، والثابت تاريخيا ان هذا الاختلاط قد بدأ حدوثه فى الفترة التي عاصرت ظهور سيدنا عيسى،مما يؤكد أن السيلانيين قد استوطنوا فى المالديف قبل هذا التاريخ ، ومن هنا رجح السيد محمد أمين ديدى أن تعمير هذه الجزر يرجع تاريخه الى ٢٠٠٠ سنة على الأقل .

وبالرغم من أن المرجح أن جماعة من السيلانيين هم أول من استوطن المالديف ، فانه من المستبعد أن تكون هذه الجزر قد خضعت للحكم السيلاني فى مبدأ استيطانها او فى غيره من الأوقات . لان ذلك لو حدث فى أى وقت من الأوقات لجاء ذكره فى ((المهافنسا)) وهو كتاب التاريخ المعتمد لدى السيلانيين الذى دونت فيه كل أحداث تاريخهم ، و ((المهافنسا)) خال عن أى اشارة الى ذلك .

تغيير جوهري فى اللغة المالديفية بعد الاسلام

على الرغم من ان اللغة المالديفية ترجع فى اصلها الى اللغة السنهالية ، فانها تعتبر الان لغة مستقلة تماما ، لها قواعدها وأصولها وحروف كتابتها وأدبها وشعرها . وذلك لانها اختلطت بلغات كثيرة وتأثرت بها مثل الفارسية والبالية والسنسكريتية ، كما أنها قد تطورت وفقا لمتطلبات البيئة والحاجة عبر اجيال طويلة ، حتى اصبحت مختلفة كل الاختلاف عن اللغة الأم .

وقد تأثرت اللغة المالديفية باللغة العربية ، كما لم تتأثر بغيرها من اللغات ، وسبب ذلك ـ كما يقول السيد ابراهيم حلمي ديدى الذى يعتبر حجة فى اللغات الشرقية ـ هو أن المالديفيين ـ بعد اعتناقهم للاسلام دخل فى قاموس حياتهم كلمات وعبارات جديدة مثل الله ـ الرسول ـ القرآن ـ الملائكة ـ الآخرة ـ الثواب ـ العقاب ـ وغيرها من الكلمات والعبارات التي لها صلة بأصول الدين الحنيف ، والتي أصبحت جزءا من حياتهم الجديدة ، يستخدمونها فى عبادتهم ، بل وفى تفكيرهم وكتاباتهم وأحاديثهم اليومية . ولشدة تعلقهم بالاسلام وحبهم للغة القرآن ، استخدموا الكلمات والعبارات الجديدةبلغتها الأصلية العربية وبحروفها العربية ، ولم يحاولوا ترجمتها الى اللغة المالديفية ولا كتابتها بالحروف المالديفية . وهنا واجهتهم عدة صعوبات أهمها أن اللغة المالديفية كانت فى الأصل تكتب من الشمال الى اليمين بحروف قريبة الشبه بالحروف السنهالية ، فاستبدلوا بها حروفا جديدة ابتكروها ابتكارا تكتب من اليمين الى الشمال كالعربية ، وذلك حتى يسهل استعمال الكلمات الجديدة العربية الأصل ، اذا جاءت أثناء الجملة ، ومن المألوف منذ ذلك الوقت حتى الآن أن تكتب كل الكلمات العربية التي تحتويها اللغة المالديفية الآن بالحروف العربية ، وتكتب بقية الكلمات بالحروف المالديفية .

((صيادون مهرة))

ان الحرفة الرئيسية لأغلب سكان المالديف هي صيد الاسماك التي تتوافر فى بحارها بكثرة ، فالظروف الطبيعية والمهارة التي اكتسبها الصيادون المالديفيون عبر أجيال طويلة ، قد جعلتا من الصيد حرفة مربحة ، على الرغم من ان الطريقة التي ما زال يتبعها معظمهم هي نفس الطريقة القديمة التي كان يتبعها اجدادهم .

يخرج الصيادون قبل شروق الشمس فى قوارب شراعية مصنوعة خصيصا لهذا الفرض ، الى مناطق معروفة لجمع الطعم الذى يستخدمونه فى عملية الصيد ، وهو نوع من الأسماك الصغيرة ، يجمعون كميات كبيرة منه بواسطة الشبك . ومن الضرورى الاحتفاظ بهذا الطعم حيا ، ولذلك فهم يغرقون قاع القارب بماء البحر عن طريق عدد من الثقوب المحفورة فى جسم القارب بطريقة معينة تسمح بفتحها واغلاقها حسب الطلب .

((١٠٠ سمكة فى الدقيقة !))

وعندما يفرغون من عملية جمع الطعم يخرجون الى عرض البحر ، ويمعنون النظر فى كل الاتجاهات بحثا عن الطيور التي يدل تواجدها بكثرة فى منطقة

من المناطق على وجود تجمعات ضخمة من السمك فيها . فاذا أبصروا الطيور فى ناحية ما أسرعوا نحوها ، ويقوم أحد الصيادين بقذف كميات من الطعم يمينا وشمالا ، واذا رأتها الاسماك أسرعت لالتهامها غير واعية للخطر الذى يحدق بها .

وهنا يقوم ثلاثة أو أربعة من الصيادين المهرة المدربين بصيد الأسماك الجائعة المتلهفة على التهام الطعم بواسطة السنانير ، وهي تظنها أسماكا صغيرة من أسماك الطعم ، وتبلغ مهارة هؤلاء الصيادين حدا مذهلا يمكن الواحد منهم من اصطياد ما بين (٣٠ و ٤٠) سمكة فى الدقيقة من الاسماك التي تزن الواحدة منها كيلو جرام ، وبما ان ثلاثة أو أربعة صيادين يشتركون فى العملية ، فان مجموع ما يستطيعون اصطياده فى الدقيقة الواحدة يزيد على ١٠٠ سمكة ! .

واذا امتلأ القارب بالسمك ـ والقوارب تختلف فى سعتها ، فتتراوح حمولتها ما بين (٥٠٠) ، (١٠٠٠) سمكة ـ عادوا الى الجزر وهم يتغنون بأناشيد الفرح والانتصار ، ويستريحون بقية النهار والليل ، ثم يخرجون للصيد فى الصباح التالي .

ويوجد فى بحار المالديف أنواع كثيرة من السمك ولكن نوعين منها فقط ، هما اللذان يصطادان بكميات وافرة ، وهما البونيتو والتونة . وتجفف أسماك البونيتو بطريقة خاصة وتصدر الى الخارج ، ولها أسواق ممتازة فى سيلان والهند ، وتعرف فيها باسم « السمك المالديفي » ويعشقها السيلانيون بصفة خاصة ، ولا تخلو موائدهم منها ابدا . وتبلغ قيمة ما يصدر منها حوالي ٩٠٪ من صادرات المالديف .

« الصيد بالوسائل الحديثة »

وقد أخذت الحكومة فى السنوات الاخيرة فى تشجيع الصيد بالطرق الحديثة فاستوردت من اليابان عددا من زوارق الصيد ، كما انشأت صناعة زوارق الصيد الميكانيكية ، وتقوم الحكومة بعرض منتجاتها من الزوارق المصنوعة محليا ، للبيع بأسعار معقولة مع تسهيلات كثيرة فى دفع اثمانها ، وقد بدأ النـاس يقتنعون بجدوى استعمال الوسائل الحديثة ، ولكن من الطبيعي ان يمر بعض الوقت قبل أن يتسع نطاق استعمالها بصورة ينعكس أثرها على الاقتصاد الوطني .

« فاكهة الخبز ... »

وتاتي الزراعة فى المرتبة الثانية بعد الصيد ، فتنتشر فى المالديف زراعة مختلف أنواع الحبوب والبقول والتوابل .

غير أن أهم حاصلات المالديف هى جوز الهند الذى يملأ نخيله سماء كل الجزر ، وتصدر كميات كبيرة من جوز الهند المجفف المعروف باسم « الكوبرا » الى سيلان والهند ، كما يستخرج منه زيت جوز الهند الذى يمتاز بقيمة غذائية عالية ، وله قيمة علاجية أيضا لكثير من الأمراض وخاصة الأمراض الجلدية .

ومن الحاصلات الرئيسية فى هذه الجزر أيضا ما يسمى بفاكهة الخبز Bread Fruit وثمارها مستديرة ، متوسطة الحجم ، ذات قشرة خضراء محببة ، وتشبه البطاطس فى الطعم ، وتستعمل مثلها فى الطهى وشجرها ضخم . كثير الفروع غزير الورق ويكثر فى المناطق الاستوائية .

وتزدهر فى المالديف زراعة الفواكه ، فتكثر فيها المانجو والموز والبطيخ والليمون ، كما تكثر فيها الفواكه الاستوائية مثل الاناناس والجاكوالبرنجول وغيرها .

« تحف فنية من الخشب »

ويشتهر المالديفيون باجادة الصناعات الخشبية منذ قرون طويلة ، فالأخشاب متوفرة ، والمهارة قد اكتسبوها بالخبرة والممارسة عبر العصور والأجيال ، فتزدهر فى المالديف صناعة الأثاث ولوزام المنازل ، كما أن التحف الخشبية المصنوعة محليا لتزيين الحجرات تبلغ قمة الابداع الفني ، ولها أسواق رائجة فى سيلان .

« نزهة الأصيل »

ويجيد المالديفيون بناء المراكب الشراعيةوقوارب الصيد والنزهة ، ويصنعونها من خشب جوز الهند الذى يمتاز بالمتانة والقوة ومقاومة الماء ، وتعتبر القوارب الشراعية المالديفية من اجمل القوارب الشراعية فى العالم ، وأدقها صنعا ، وأسرعها سيرا ، ويعتز بها أصحابها ، فيدهنونها بالوان جذابة ، ويحرصون على صيانتها ، ومن المناظر المألوفة الرائعة منظر هذه القواربالرشيقة المختلفة الالوان بأشرعتها البيضاء الناصعة ، وهي تقطع البحر جيئة وذهابا ساعة الأصيل .



فاطومي

للاستاذ
محمد لبيب البوهي

كان رجال المدينة يسمونها « فاطومي » ، وكان الشيوخ منهم يسمونها اللعنة ، وكان نسوة المدينة يقولون انها الشيطان فى صورة امرأة ، وكان شباب القرى والمدن جميعا يطلقون عليها اسم « زهرة البنفسج اليانعة » .

ولم تكن فاطومي فى منأى عما يقال عنها أو يشاع ، ولكنها كانت تستقبل كل ذلك ساخرة فى غير اهتمام ، هازئة بالرجال والشباب والنساء على حد سواء ، لا تلقى بالا لأحد من هؤلاء أو هؤلاء .

ولكن الشيء الذى لا يب فيه انها كانت تنطوى على سر كبير رهيب ، سر لا يعرف أحد كنهه ، وكانت ذات غرض لم تبح به لأحد ، وهدف لم تتحدث به الى انسان ، ولكن الناس كانوا يرون عدد ضحاياها يزداد يوما بعد يوم .

★★★

كانت فاطومي اذن ذات أهداف شيطانية ، وبدا كأنما اتخذت لنفسها نذرا أن يكون لها من كل قرية ضحية ، وأن تكون الضحية دائما أبدا من ذوى المكانة والجاه والصيت البعيد ، يستوى فى ذلك أن يكون شابا وسيما أو شيخا طاعنا ، حسبها أن تهدم ركنا ركينا من الاركان .. فكان الرجال يحترقون وهم يتهاوون فى وقودها كما تحترق الشهب أو تتهاوى النجوم فى عالم الهباء .

★★★

عشرات من الكهول والشباب ساروا من خلفها أسارى هذه النظرات الساجية ، او عبيدا لذلك الجيد العاجي ، أو مسربلين بأغلال ذلك الصوت الدافىء الحنون ، أو مأخوذين بروعة هذا الجسد الفتان ..

وذهب الناس فى تأويل شأنها مذاهب شتى ، فقال بعضهم .. امرأة غدر بها رجل تدلهت فى هواه فعذبها ، وألقى بها حطاما فهي تنتقم لنفسها ولجنسها باذلال الرجال ، وقال آخرون : بل مخلوقة شاذة ومصاصة دماء لا ترتوى ، وقال آخرون : بل هي لون من الوان البلاء الذى يتعرض له الناس ليمتحنوا فى ارادتهم وعزمهم ، وقال آخرون غير هذا وذاك ، ولكنها آثرت الصمت عند كل سؤال فلا تجيب .

★★★

ولم يكن هناك رغم ذلك للراغبين فى تذوق هذه الفتنة من عاصم ، وكانت على ثقة من أمرها ، فكم ابتسمت لأولئك الذين كانوا يلعنونها ، فاذا بهم ينسون اللعنات ، ويتنافسون فى مرضاتها .

كانت ذات قدرة لا تحد فى صيد الرجال ، تمسك بطرف الحبل ، وتعقد الطرف الآخر كالأنشوطة وتلقي به على من تشاء فاذا بها تجره اليها جرا .

وكان ممن وقعوا فى قبضة يمنيها فتانا ذاك بطل هذه القصة ، وقد كان على درجة كبيرة من خلق وعفة وحياء ، وكان ذا زوج وأطفال ، ووجمت زوجه وعقدت الدهشة لسانها ، وشلت المفاجأة احساسها — فلم تعرف من قبل على رجلها ريبة — وضربت يديها أسفا وحسرة ، كيف وقع ذلك القوى الامين فى ذلك الشرك المهين ؟! ولكن الزوجة كانت على شيء من الحكمة والأناة ، فلم تشأ أن تقيم على الأمر فضيحة ، فما أبعد الفضائح فى علاج الأمور ، انها ان فعلت فلن تزيد على أن تجعله يخرج بأمره ذاك من الأسرار الى الاعلان ، ثم لا شيء بعد ذلك على الاطلاق .

كان عليها اذن أن تعالج الامر فى هدوء،ولم يكن أمامها الا أن تلج باب الحكيم هارون .

كان هارون حكيم القرية غير منازع ، وكان رغم عدم تجاوزه سن الشباب يلقب بالحكيم لكثرة علمه ، ومزيد ورعه ، وكان قد أوتى بسطة فى العلم والجسد ، مع قوة العقل ، ومتانة الخلق ، وصلابة العزيمة ..

وكان هارون على علم بأمر فاطومي ، يتحرق شوقا من شهور كي تتاح له فرصة تأديبها وكسر شوكتها وانقاذ الناس من شرها .

وكان الحكماء وذوو الراى حين يسمعون بالقصص الكثيرة عن فاطومي يهزون رؤوسهم أسفا ويقولون ، لن ينقذنا منها غير هارون بحزمه وبأسه ، وشدة غيرته على دينه ، واستعلائه على كل الفتن التي يتعرض لها الشباب .

فلما لجأت الزوجة المهيضة الجناح الى هارون ، استمع الى القصة وهو يتميز من الغيظ ، وقرر أن يضع للشيطان فى القرية حدا ، وكان الوقت مساء فلم يطق صبرا ان ينتظر الصباح ، فأخذ عصاه ، وتوجه من فوره الى وكرها .... الى بيت فاطومي .

كان الليل هادئا ساكنا كأنما يصغى الى صوت عذب ذا رنين ذهبي يأتي من بعيد ، من خلف أسوار الحديقة حيث كانت فاطومي فى شرفة دارها فى هذه الليلة من صيف يوليو مسترسلة وحدها فى الغناء ..

وتوقف هارون وأخذ يستعيد الكلمات النارية التي سيصبها على فاطومي صبا ، فلما اطمأن تماما الى ثقته بنفسه وبأسه ، تقدم خطوات وقرع الباب .

***

ولم يجبه أحد ، ومرت اللحظات وهو ما زال ينتظر ، كان كبركان يتلظى داخله من الحمم .. لقد تذكر كل ما جرته هذه المرأة على الناس من وبال ، وها هي هناك فى الشرفة تغني ، فى غير مبالاة بالطارق الليلي ، لقد تعودت أن تستهين بالرجال ، ان تدعهم عند أبوابها يلهثون ، ولكنه ليس من ذلك الصنف ، من ضعاف النفوس ، أسرى الاهواء ، لقد شد من قبضة يده وتقدم فى ممشى الحديقة ، واعترض طريقه عـــود ياسمين فانتزعه من الشجرة فى عنف وقسوة ، وألقاه أرضا ، وداسه بقدميه ، ونظر صوب مصدر الصوت ، فاذا بفاطومي فى غلالة بيضاء من نسج شفيف يشى بكل مفاتن جسدها ، وكانت تدور حول نفسها راقصة فى مرح ، وهي تغني كأنها عابدة لجمالها ، تتعبد لذلك الجمال ، وأغمض عينيه وتمتم ببضع كلمات وهو يقول فى نفسه :

ما أشد وطأة هذه الفتنة على قلوب الشباب ! ؟ .. أى مخلوق من طين يستطيع الصمود أمام هذا الاغراء ! ؟ ووقف منها غير بعيد يرسل من عينيه نظرات كأنها شواظ من نار .

وتوقفت فاطومي عن رقصها هنيهـــة ، وجمعت فى غير اهتمام اطــراف غلالتها وهتفت فى غير خوف أو وجل . من .. ؟ من الطارق ! ؟

فتقدم خطوات فى عزم وتصميم . وقال هارون .. الحكيم هارون ايتها السيدة فاطومي .

ولم تصدق فاطومي أذنيها ، انه الرجل الذى كان يمعن فى صب اللعنات عليها ، وكانت تتحرق شوقا لتوقع به .. ترى أجاء كما يجيء الآخرون .. ! ؟ قالت فاطومي فى نفسها ليس الأمر بمستبعد فأكثر الرجال سواء ... أيكون ذلك حقا . ! ؟ أيكون هارون بنفسه وشخصه .. ! ؟ أيكون ذلك الذى استعصى عليها أعواما طوالا ؟ ومسحت عينيها مرتين حتى تأكدت أنه ليس سواه ، وعلت على الفور شفتيها ابتسامتها الآسرة ، وارتسمت فى عينيها النظرات النفاذة الآمرة وهبطت الى الحديقة ، الى حيث يقف وهي تردد مرحبا وأهلا .. اى ريح طيبة تلك التي جاءت الى دارى بالبركات .. !! ؟

وفارت الدماء فى قلب هارون غيظا وغضبا ، وارتسمت فى ذاكرته صور الضحايا من القرى القريبة والبعيدة ، فتقدم الى المقعد وأرسل فى هدوء قوى مشحون بالايحاء . . .

أيتها السيدة فاطومي ، لي معك حديث قصير . وليكن هنا فى هذه اللحظات ، فى تلك الحديقة ، لن أردد القول بأنك رجس من عمل الشيطان ، أو أنك فتاة مطرودة من رحمة الله ، لا أيتها السيدة ، لن أقول هذا القول مهما كنت تتمرغين فى الغواية والضلال ، فما أنت على كل حال الا أخت فى الانسانية ، ان كان قلبك اليوم فى غفلة من أمرك فسوف ينكشف لك الغطاء فى يوم من الأيام ، انك جميلة أيتها السيدة بغير شك ولا نزاع ، جميلة فى الظاهر ، كجمال قشرة التفاح ، ولكن ليس فى داخلك ما فى داخل التفاحة ، خلف قشرتك الظاهرة عفن وديدان فى يوم قريب أو بعيد سيذهب هذا الجمال ، ولكنه يوم آت لا ريب فيه ، وفى ذلك اليوم سيمر بك الذين يسجدون لهذا الجمال فلا يمنحونه بعد أن يولي الا اللعنات والبصقات ، وستنهض أرماس الضحايا من قبورها لتطارد روحك يوم تستيقظ وتلعنك ، ستطاردك اللعنة حتى القبر ، أيتها السيدة ذات الغلاف الجميل الزائف ، هناك جمال آخر فى الأعماق أشد قوة وأعظم خلودا . . ابحثي عن هذا الجمال ، انه هو الباقي . . اخرجي من قشرتك الظاهرية العفنة ، وغوصي فى أعماق عالم الجمال الأبدى . .



لأول مرة استمعت فاطومي فى حياتها لمثل هذه الكلمات ، فشملها غضب شديد ، ولكنها جمعت غلالتها تماما ، وتداخل بعضها فى بعض وصرخت فى وجه هارون . انسحب من وجهي . .

فقال هارون وهو ينسحب . ستذبلين أيتها السيدة وشيكا كما تذبل الوردة ، وتداس البقايا منك بعد ذلك بالأقدام .

وأمام صرخاتها العالية انسحب تماما ، فأمسكت بحجر وألقت به من خلفه وهو يبرح الباب ، ثم عادت مسرعة الى غرفتها ، وانكفأت فى فراشها تبكي ، وامتد بها البكاء ساعات وساعات . . وانتبهت الى نفسها فوقعت على صورتها فى المرآة ، وبدا لها ـ كما قال الشيخ ـ ان جيوشا من الديدان تتلوى على وجهها الجميل وتنهشه ، فصرخت وقذفت المرآة بآنية كانت بالقرب منها فهشمتها .



وعاد هارون الى داره هادىء النفس ، يتصور أنه قد أدى رسالته ، وحاول أن يوقظ منها الضمير . . وجلس شاردا يتذكر تفاصيل هذه المغامرة ، وعلى الرغم منه ارتفعت همسات من أعماقه . . ما أروع فتنتها ! ؟ وما أجمل هذا الجسد !! ؟ وارتسمت صورتها أمامه وهي تدور فى غلالتها راقصة تتعبد لجمالها ، ومرت دقائق وهو يحدق ماخوذا فى هذا الخيال الفاتن الساحر الأخاذ .

ولم ينم هارون هذه الليلة ، ولم يستطع أن يقرأ كثيرا فى الكتاب ، لقد اتيحت له فرصة ، لقد حام حول الحمى وقضى لحظات فى حضرة امرأة ، لم يكن غيره واياها ، لم يكن هناك من ثالث ، ولكن ماذا يحدث حين يجتمع رجل وامرأة . . ؟ أيكون الشيطان قد حضر ووسوس ! ؟ . . أكان عليه أن يأخذ معه صديقا رفيقا يبدد وجوده سحر الخلوة ومفاتنها ووسوسة الشرير . . !! ؟

راح هارون يدير هذه المعاني فى راسه ، ولكن الخيال الراقص كان قد انتقل الى خاطره ، وراح الخيال يدق فى عنف وقسوة كل كيانه .. وفى أحلام اليقظة تمنى اشياء كان يخجل أن يديرها على لسانه .

اى طعم لهذه الفاكهة الحلوة .. !! ؟ بلى أى طعم ؟

ومرت ايام .. وأيام .. وأيام ..

★★★

استيقظ فى داخل فاطومي شيء جديد ، لقد رات نفسها على ضوء هذه الحقيقة التي كشفتها كلمات هارون ، وأدركت تماما أنها كانت تعيش فى الوحل والعفن ، وراحت تحن الى عالم الجمال الحقيقي .. والطهر والصفاء ، بينما كان هارون نفسه يسبح فى خيال عالم الأماني العذاب .. يتمنى لو تتاح له الفرصة ليتقرب من الشجرة ....

وذات مساء راى نفسه على الرغم منه عند بابها .. كان يقدر تماما أنها تحن الى الايقاع به .. وها هو ذا قد جاء الى كنوز الفتنة يسعى ، وقد قرر أن يلبي نداء الجمال ، ويتذوق ثمار شجرة التفاح ..

وتوقف عند باب الحديقة ، واستمع الى وجيب قلبه الذى أخذت دقاته تعربد قوية مجلجلة فى صندوق صدره ، ولعله هم أن يتراجع ، ولكن قوة لا قبل له على دفعها شدته الى الداخل ، وكان باب شرفتها مفتوحا فراح يتقدم .. ويتقدم . وهناك رأى فاطومي على صورة لم يعهدها من قبل .

كانت واقفة وظهرها اليه ، فظل لحظات يتعبد لهذا الجمال القاهر المنقطع النظير ، وانتظر حتى تلتفت اليه ، ولكن الامر امتد دقائق .. ودقائق ، حتى ظنها قد سمرت فى مكانها ذاك .. وأصاخ السمع فاذا به يضطرب ولا يستطيع أن يتماسك .. لقد كانت الغانية تتلو الآيات .. لقد كانت تصلي ... حتى اذا أتمت صلاتها ، استدارت اليه بوجه تحيط به هالة من نور وابتسمت ، لترحب بهاديها ومنقذها ، وهمت أن تشكره ولكن شيئا رهيبا فظيعا فى عينيه أخافها فسترت عينيها بيديها ، وهمست وقد أدركت كل شيء . لا .. لا أيها الحكيم .. عد من حيث جئت ..

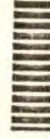
فمد يده يريد أن يتحسس جسدها ملاطفا فامعنت النظر فى عينيه ، ثم اندفعت الى الداخل مهرولة تصرخ .. خنزير .. خنزير ..

فقد رأت فى صورته بفراستها التي أصبحت لا تخيب .. أن ذلك الذى اهتدت بكلماته الى الطريق قد تحول الى خنزير ..

وشاع أمر هذه الخاتمة بين الناس ، وذهب كل يلتمس منها عبرة من زاوية خاصة فمن قائل : ان على المرء أن يحرس ايمانه ، وأن يتعهده بالرعاية والتثبيت ، وذهب آخرون الى ما فى الخلوة بالمرأة الاجنبية من خطر محقق يعرض القلب للزيغ والضلال .

ولكنهم كانوا جميعا يتحدثون : حقيقة ان العبرة دائما بالخواتيم .. ، فلا يسخر قوم من قوم ولا نساء من نساء ...

بقية
من سجلات
الفتح الاسلامي



يجبرونهم على تغيير مذهبهم ، ولما لمسوه فى المسلمين من حسن معاملة ، وفى الاسلام من سماحة ..

بناء الفسطاط

وتفرغ عمرو للاعمال العمرانية فبنى الفسطاط واتخذها عاصمة وبنى فيها مسجده الشهير ، ونظف القناة القديمة ، وابقى ادارة مصر كما كانت فى زمن الروم ، وقد عين الخليفة عمر بن الخطاب عبد الله بن ابى السرح مساعدا له فى ادارة مصر العليا .

فتح برقة وطرابلس

سهلت هزيمة الروم فى مصر على العرب التقدم غربا فسار عمرو بن العاص بحملة الى برقة ففتحها وتجاوزها غربا الى طرابلس .

ويفترى بعض المؤرخين على عمر بانه اراد ان يكون من العرب المسلمين أمة عسكرية يبعدها عن الاختلاط بالاجانب ، فمنعهم من فلاحة الارض خارج الجزيرة العربية ، وأمرهم أن يقيموا فى مراكز معينة كالجابية وحمص وعمواس وطبرية فى الشام،والبصرة والكوفة فى العراق ، والفسطاط فى مصر وكان غرضه من ذلك ان يتفرغوا للادارة والاعمال العسكرية فجعل الجيش منهم وحدهم وسلمهم الوظائف المهمة وحرم على سكان البلاد المفتوحة دخول الجيش والوظائف العليا . مع ان الوقائع التاريخية الثابتة تشير الى ان جيوش المسلمين لم تكن تفرق بين عربى واعجمى وان القيادة العليا لم تكن فى يوم من الايام من نصيب العرب وحدهم بل كثيرا ما عقدت ألوية الجيوش الى قادة من الاحباش او الفرس او العجم او البربر ، ولعل عودة بسيطة الى استعراض اسماء ابطال الاسلام تؤكد هذه الحقيقة .

هذا من جهة ومن جهة اخرى فان عمر وخلفاءه لم يستهدفوا الجنوح بالدولة نحو خلق أمة عسكرية بغرض فرض السيطرة كما توحى الكلمة اليوم .. فلقد كانت جيوش المسلمين تستهدف تحرير الانسان من الشوائب والادران ورفعه الى الدرجة التى يجدر به أن يعيش فى كنفها .. درجة الانعتاق من المادية ، والعبودية لله وحده .

نتائج الفتوحات

وهكذا انتهت المرحلة الاولى من الفتوحات الاسلامية التى حملت معها الى كل ارض حلت فيها الاسلام ودعوته ، فنشرت الدين الاسلامى بين الشعوب ، وصهرتها فى بوتقة واحدة بفضل الانظمة الرشيدة التى طبقتها مما جعل من هذه الشعوب أنفسها قاعدة كبيرة للفتوحات الاسلامية الكبرى التى جرت فى عهد الامويين والعباسيين .

- ارحموا عزيزا ذل ، وارحموا غنيا افتقر ، وارحموا عالما ضاع بين جهال .
- كل واحد ينفق مما عنده .
- ما استب اثنان الا غلب ألأمهما .
- اياك وعزة الغضب فانها تصيرك الى ذل الاعتذار .
- تواضعك فى شرفك أكبر من شرفك .
- من لم يجلس فى الصغر حيث يكره لم يجلس فى الكبر حيث يحب .
- أعظم المصائب انقطاع الرجاء.

---

(١) وسميت بـ « الفسطاط » لان عمرا عندمانزل مصر ضرب خيامة فى هذه المنطقة ثم بنى فى نفس المكان عاصمة مصر وسماها بـ « الفسطاط » وهى الخيام .

بقية باكستان والهند



نهرو لاحظ ذلك ، وعده احدى الصعوبات التى تجابه الداعين الى التقسيم .. فقال (٢) . — « واذا رسم التقسيم بحيث يفصل ما بين المقاطعات التى تقطنها أكثرية هندوسية ، أو أكثرية اسلامية ، فعندئذ تشتمل المقاطعات الاولى « الهندوسية » ، على الجزء الاعظم من الثروة المعدنية ، والمناطق الصناعية ، وهكذا فان المقاطعات الهندوسية لن تعانى كثيرا من وجهة النظر هذه » .

« ومن الناحية الثانية فان المقاطعات الاسلامية سوف تكون متخلفة اقتصاديا ، وعاجزة ماليا فى أكثر الاحيان ، مقاطعات لن تستطيع الحياة بغير مقدار كبير من المساعدات الخارجية » .

وهذه الحقيقة هي التى كانت سببا فى اتصال الباكستان بالدول الغربية ، وربط سياستها بها لكى تساعدها على النهوض ... وكان لذلك اثره بلا شك فى تقدم باكستان السريع ، وقيام الصناعات بها ، ووقوفها على قدميها ... وهذه الحقيقة قد تغيب عن كثيرين ممن يوجهون اللوم العنيف لباكستان من أجل ارتباطها بسياسة الغرب ...

الله مع باكستان

عندما زرت كراتشى فى يناير سنة ١٩٥٦ فى طريقى الى الهند ، التقيت باحد المصريين — وكان يعمل خبيرا فى الامم المتحدة ، وتنقل كثيرا فى الدول الشرقية الاسيوية — فاخذ يحكى لى كيف تقدمت باكستان ، وكيف كانت كراتشى مثلا منذ سنوات مضت .. ثم قال لى .. ان زميلا أمريكيا له جاءه ذات يوم — وكان يزور باكستان بعد سنوات من زيارته الاولى — فقال له : الان عرفت أن الله مع باكستان .. فسأله . وكيف ؟ فقال . لم أكن اصدق حين انشئت تحت الظروف التى شاهدتها ان تقف على قدميها ..

ذلك قول لا آخذ منه الا ما أريده من تقدير هذا الامريكى للظروف التى جابهتها الدولة الناشئة..

الهنـد



أما الهند : فكانت كالاب الواسع الثراء ، الذى يقيم مع أبنائه فى بيته العريق المؤثث ، المستعد لمجابهة الحياة بكل احتمالاتها ، ثم انفصل عنه أحد أبنائه ، ليبدأ حياة جديدة ، فى بيت جديد لم تهيأ فيه وسائل الحياة كبيت أبيه .. ذلك تصوير بسيط لحالة الهند وباكستان عند الانفصال.

بقيت للهند الرقعة الواسعة من أراضى الدولة الكبيرة . هذه الرقعة تبلغ نحو مليون وربع مليون ميل مربع ، وهو ما يوازى ثلثى قارة أوربا ، باستثناء روسيا ويوازى أربعة اضعاف باكستان تقريبا ، ويسكنها نحو ٣٦٠ مليون نسمة حسب احصاء سنة ١٩٥١ م (٣) ..

بقيت لها دواوين الحكومة المجهزة ، ووسائل مواصلاتها ، وجيشها بكافة اسلحته ، وموانيها ومطاراتها ، وكل مقومات الدولة .. بقى كل شيء كما هو .. بقيت مراكز الصناعة ، ومراكز الثروة المعدنية ..

وأهم من ذلك بقيت الحياة تسير كما هى ، بنظامها المعهود ، وقوانينها المعروفة ، فاستأنفت الحياة دون شعور كبير بنقص أو حاجة .. من سافر من المسلمين ، ونجا بنفسه ، سافر وترك كل شيء وراءه كان يملكه حيث هو .. ومن آثر البقاء . اقام حيث هو . وسط الاشواك والزهور ، بين الخوف والرجاء . الرجاء فى مستقبل آمن مستقر على أرضه التي نشأ فيها..

المسـلمون فيها

وكان عدد الذين اثروا البقاء من المسلمين نحو ٤٠ مليون نسمة حسب احصاء سنة ١٩٥١ منهم نحو ١٨ مليون من المسلمين الشيعة .. وهم منتشرون فى كل قرية ومدينة .. لهم مساجدهم ومدارسهم الدينية ، وغير الدينية ، وجمعياتهم ، وكفل لهم الدستور الهندى ما كفله لكل مواطن هندى ..

وفى الهند تقوم الاثار الاسلامية الفخمة التى تنطق بحضارة المسلمين المزدهرة أثناء حكمهم

---

(١) ص ٤٠٣ من كتاب من السجن الى الرياسة .

(٢) بلغ عدد السكان فى احصائية ١٩٦٦م ٥٠٠ مليون نسمة : الهندوس ٣٦٦ مليونا ، والمسلمون ٦٠ مليونا ، والمسيحيون ١٢ مليونا ، والسيك ٧ملايين والبوذيون ٥ ملايين ، والجينيون ٢مليون والباقى طوائف اخرى .

للبلاد ، وعلى راس هذه الاثار احدى عجائب الدنيا السبع ((تاج محــل)) .

كما تقوم مدارسهم الدينية العربية الكثيرة ، وفى مقدمتها ((دار العلوم ديوبند)) التي تسمى ((أزهر آسيا)) لشهرتها ومكانتها فى الهنــد وما حولها شرقا وغربا ، ودار العلوم ندوة العلماء فى ((لكنو)) التي تعنى بالعربية عناية خاصة ، وتصدر بها مجلتين ((البعث الاسلامى)) و ((الرائد)) وفى الهند المكتبات الاسلامية الضخمة التــى تضم نوادر الكتب والمخطوطات .

ويقوم المسلمون الذين آثروا البقاء فى وطنهم بمهمة حراسة هذا الميراث الاســـلامى الضخم وتنميته ، وهم يؤدون بذلك أعظم الامانـــات لماضيهم ومستقبلهم .. وفاء للماضى المجيــد ، وقياما بالواجب نحو الجيل الجديد من أبنائهم واحفادهم .

ترى ماذا كان ينتظر هذا الميراث الاســـلامى الضخم المجيد من مصير ، لو أن هؤلاء المسلمين آثروا الهجرة الى باكستان ، كما فعل غيرهم ، وتركوا جميعا ارض الهند ؟ !!

ماذا كان ينتظر المساجد الضخمة والمدارس والجامعات والمكتبات والمؤسسات والاثار الاسلامية؟

وماذا كان يمكن ان يكون عليه وجه الهند ، لو تركها المسلمون جميعا وهاجروا الى باكستان ؟ وكم تكون فجيعة المسلمين جميعا وفى كل مكان لو تم هذا) .

وهل كان من الممكن ان تتسع باكستان لهذا العدد الكبير ، وتوفر لهم ما يحتاجون ، وهــى الدولة الناشئة ، التى عانت ــ ولا تزال تعانى الكثير ــ فى سبيل توفير الحياة المستقرة لسبعة ملايين من اللاجئين المهاجرين من الهند ؟ .

ان الخيال يجرى بى سريعا الى الماضى .. الى الاندلس ومأساتها ، فاغمض عينى ، حتى كاننى اشاهد هذا الخيال البشع امامى ، ثم أحمد الله ان هيأ لاخواننا المسلمين فى الهند أن يؤثروا البقاء فى وطنهم ، برغم الظروف التى كانت ، ولا يزال بعضها يحيط بهم ، ليحول بقاؤهم فيهــا دون وقوع الكارثة .

كنت افزع حينما اسمع ــ وانا فى الهند ــ ان مسجدا صغيرا فى قرية أو فى حى من أحيـــاء مدينة ما امتهن وتحول الى غير مسجد ، وأعرف ان السبب فى ذلك كان خلو القرية أو الحــى من المسلمين بالهجرة الى باكستان ، او مكان آخــر فى الهند ، طلبا للامان !! وأقول : كان هذا هــو المصير الطبيعى لكل مساجد الهند ، لو ان المسلمين جميعا استجابوا لنداء الهجرة الى الباكستان وأغراهم الفردوس الاسلامى المنتظر بالهجرة اليه.

وكنت كلما رأيت المدارس الاســلامية تمــوج بطلابها ، والمساجد تمتلىء بعبادهـا ، والمآذن تدوى من فوقها كلمة : أشهد ألا اله الا الله ، وان محمدا رســـول الله ، والمجــلات والكتب الاسلامية تطبع وتتداول بين ايدى قرائها ، وأرى اللغة العربية لها حماتها وكتبها ومجلاتها أحمد الله ، وأزداد تقديرا لاخواننا المسلمين الهنود ، الذين وهبهم الله الشجاعة وحسن التفكـــير والتقدير ، ليظلوا فى وطنهم جنودا مرابطين .. وفاء منهم لتراثهم ووطنهم ..

جنود مرابطون

نعم ، اننى وقد شاهدت كل شيء هناك بنفســى ، وعشــت فيه بقلبى وحسى ، ولمست الظـروف التي يعيش فى جوها هؤلاء الاخوان ــ وهى ظروف ليست مريحه فى كل حال ــ لأنظر اليهم ــ وقد أخذوا على عاتقهم حراسة أثمن واقدس ما يعتز به المسلمون فى كل مكان ــ نظرتى الى الجنود المرابطين المعرضين للمفاجآت فى سبيل مثلهم العليا .

انهم هناك يتحملون وحدهم ميراث التقسيم ، وما تركه لهم من مسئوليات جسام ، وما خلفه فى النفوس من آثار ، حينما تثور وتفور ، بل وحينما تهدأ .

وعلى عاتقهم وحدهم كل ذلك ، وعلى عاتقهم وحدهــم ايضــا عبء النهــوض بدينهم وتعليمه لابنائهم ، وغرس حبه وصيانته فى قلوبهم ، وســط الامــواج العاتية ، وذلك كله بجوار ما عليهم مــن حقوق لوطنهم ، كمواطنين صالحــين شرفاء .

ان لهم على المسلمين فى كل مكان ــ وبخاصة فى العالم العربى الذى تهفــو اليه قلوبهم ــ لهم عليهم حـــق . الا ينسوهم ، وأن يظلوا دائما يذكرونهم ــ مع التقدير والعون ــ ويذكرون ذلــك الدور الكبير ، الذى حملتهم اياهالمقادير. كان الله لهم حافظا ومعينا ونصيرا .

الفتاوى

السؤال : ـ

تقدم السيد / ع . ع بالسؤال الآتي :

توفى والدى منذ سنوات بعد أن أوصى بثلث ماله الى أحفاده من أبنائه الذكور ، وكان له وقت وفاته ابنان متزوجان وأنا الابن الثالث لم أتزوج حال حياته ثم تزوجت بعد وفاته وانجبت أولادا ولـم تقسم التركة الا بعد أن انجبت أولادا .

فهل يكون لاولادى نصيب من هذه الوصية أم هى مقصورة على أولاد الاخوين اللذين تزوجا قبل وفاتـه) .

الاجابة : ـ

هذه الوصية جائزة شرعا لانها فى حدود الثلث ولغير وارث لوجود أبناء المتوفى الذين يحجبون أبناءهم

وبما أن الموصى قد أوصى حال حياته لاحفاده بثلث ماله ولم يعينهم بالاسم فهي وصية لجميع الاحفاد مطلقة ، حيث أن المطلق ينصرف الى اكمل افراده وحينئذ تصرف وصيته الى جميع احفاده الموجود منهم وقت وفاته ، والذين يوجد منهم بعد ذلك مثله فى ذلك مثل الوقف ، اذ الوصية تشبه الوقف الا ترى أن الواقف لو وقف على ذريته فيشمل الموجود منالورثة والذى يوجد بعد ذلك وهو فى وصيته لم يعين الاحفاد بالاسم بل اطلق فيكون قصده جميع الاحفاد .

وبما أن السائل قد قرر فى سؤاله أن التركة لم توزع فعلا ، فحينئذ يتعين توزيع القدر الموصى به على جميع أحفاد الموصى الموجودين وقت التوزيع بدون التفات الى الموجود منهم وقت وفاته فقط ، هذا ما ذهب اليه السادة الحنفية وأيدهم فى ذلك السادة المالكية ، وعارض فى توزيع الوصية على غير الموجودين وقت الوصية الشافعية والحنابلة .

لهذا نفتيك بتوزيع القدر الموصى به على جميع الاحفاد الموجودين وقت توزيع الوصية . تحقيقا لفكرة التسوية بين الاحفادوعدم التفاضل فيما بينهم.

السؤال : ـ

تقدم السيد / ع . س بالسؤال الآتى :

ماتت زوجة عن : زوج ، بنت ، اخوين شقيقين ،أخت شقيقة وتركت مبلغا من المال وماتتزوجة أخرى عن زوج ، بنتين ، اخوين شقيقين ، وتركت مبلغا منالمال أرجو بيان استحقاق كل وارث .

الاجابة : ـ

فى الصورة الاولى يكون الميراث كالآتى :

١ ـ للزوج الربع ، وللبنت النصف ، والباقي يوزع على الاخوة الاشقاء للذكر مثل حظ الانثيين .

٢ ـ اما فى الصورة الثانية فيكون للزوج الربع فرضا وللبنتين الثلثان ، والباقي يوزع على الشقيقين بالتساوى .

السؤال : ـ

سأل السيد / س . م من الكويت السؤال الآتي :

أختي من الرضاع ارضعت بنتا فى سن الرضاع ثلاث مرات فهل يحل لي الزواج من البنت التي ارضعتها اختي المذكورة ام لا يحل ذلك ؟

الاجابة : ـ

المقرر شرعا عند المالكية والاحناف ان قليل الرضاع وكثيره سواء فى التحريم ، ويستندون فى ذلك الى مطلق الآية فى قوله تعالى « وأمهاتكم اللاتى أرضعنكم وأخواتكم من الرضاعة » .

وعند الشافعية والحنابلة ان القدر المحرم لا يقل عن خمس رضعات متفرقات ، ويستندون فى هذا الى بعض الاثار التى رويت وفيها ان عبد الله بن الزبير كان يخبر ان الرسول صلى الله عليه وسلم قال « لا تحرم المصة من الرضاعة ولا المصتان وفى رواية اخرى « لا تحرم الرضعة ولا الرضعتان » كما استدلوا بما ورد عن عائشة ان الرسول صلى الله عليه وسلم توفى والتحريم ثابت بخمس رضعات .

وفى المحلى لابن حزم « ولا يحرم من الرضاع الا خمس رضعات تقطع كل رضعة من الاخرى » او خمس مصات كذلك او خمس ما بين رضعة ورضعة تقطع كل واحدة من الاخرى . هذا اذا كانت الرضعة تغنى شيئا من دفع الجوع والا فليست شيئا ولا تحرم شيئا .

ولما كانت البنت التي تريد الزواج منها لم ترضع سوى ثلاث رضعات فقط فلا تعتبر بنت اخت لك من الرضاع استنادا الى ما ذهب اليه الامامان الشافعي واحمد من ان الرضاع المحرم هو خمس رضعات لهذا نرى انه لا مانع شرعا من زواجك بالبنت الواردة بالسؤال .

السؤال : ـ

شاب مسلم تزوج منذ عشر سنوات ولم ينجب أطفالا فذهب الى الطبيب لعلاجه وعالجه باخذ حقن لمدة تزيد عن ثلاثة اشهر .

وطلب حكم الشرع فى العلاج بهذه الحقن هل هو حلال ام حرام ، وهل تحتوى على حيوانات منوية من رجل اخر ؟ .

الاجابة : ـ

ان الله سبحانه وتعالى خلق الداء وخلق الدواء والاسلام يرغب فى التناسل ، وكذلك طبيعة الانسان تدعو اليه ، كما امر الاسلام بالتداوى من الامراض .

وبما انك اخذت الحقن السالفة الذكر للعلاج بناء على رأى الطبيب المختص فلا شيء فيها ـ يوجب الحرمة .

هذا وقد اتصلنا بالدكتور محمد ابو شوك رئيس الوحدة الباطنية بالمستشفى الاميري بشأن هذه الحقن فافاد بأنها تحتوى على هرمونات من خصائصها تقوية الجسم وتنشيط الناحية الجنسية فقط كما افاد بأن الحيوانات المنوية لا تعيش فى مجارى الدم وحينئذ فلا مجال للظن بأن الاولاد غير شرعيين . ونسأل الله ان يحقق املك وامل امثالك .



وصلتنا رسالة من السيد / عبد الحسين جاسم محمد بجامعة ليفربول هندسة الكهرباء ، يسجل فيها اعجابه بالمجلة وتقديره للوعي الصحيح الذى يشع من صفحاتها ، وللمجاهدين الذين هياهم الله للعمل بها .. ويشفق علينا من صراحتنا فى الحق التي تبدو فى الافتتاحيات ، ويذكرنا بأن نستفيد من قوله تعالى ((الا أن تتقوا منهم تقاة)) ضمن حدود الاباحة الاسلامية .. لأن ((أمتنا اذ تجهل الاسلام تحتاج الى جهد جديدة لبعث اسلامها ، ويجب أن تتخذ نفس الأساليب المحمدية فيه)) و ((ولكم فى رسول الله أسوة حسنة)) وخاصة ناحية التدرج ((ضمن حدود الاباحة الاسلامية .. فى عرض الاسلام)) .

ثم ينتقل الى الحديث عن موضوع الخلافة بين أهل السنة والشيعة .. ومن أحق بها ؟ ويذكر رأيه حسب ما درس . ويستشهد بنصوص قرأها . ثم يعترض على ما نشرناه نقلا عن مجلة ((الأضواء الاسلامية)) التي تصدر فى النجف فى باب ((قالت صحف العالم)) من قول الكاتب ((صلى الله عليه وسلم)) ويقول كان أولى به أن يقول ((صلى الله عليه وآله وسلم)) .

ثم يختتم رسالته الطويلة فيقول ((انني فى هذا مطبق قوله صلى الله عليه وسلم : الدين النصيحة ..)) ولولا استئناسى اخلاصكم للقضية الاسلامية لعاملتكم معاملة دعاة الاسلام فى كثير من المجلات والجرائد التي تدعي زورا أنها اسلامية ..

وأبادر فاشكر الأخ عبد الحسين على حسن ثقته التي أرجو من الله أن نكون جديرين بها .. كما أشكره على اخلاصه الذى دفعه لكتابة هذه الرسالة الحافلة ، ورسالة قبلها آسف لعدم وصولها ، وللنصائح التي رآها نافعة فوجهها الى .. شكرا للأخ على هذه الروح وهذه الثقة ، وأرجو أن نكون جميعا جنودا مخلصين واعين ، وبعد ذلك أتناول المسائل التي أثارها بما يتسع له هذا المجال الضيق ..

لا شك أن بعث أمتنا يحتاج الى جهد شاق لتحويلها عن الحياة التي ارتبطت فيها بأساليب الغرب وأفكاره ، كما أن هذا التحويل يحتاج كذلك الى تدرج . وكل ذلك يحتاج الى حكمة وبصيرة ، فان من الدعاة الى الاسلام أناسا منفرين تخرج أساليبهم فى الدعوة عن آداب الاسلام وحكمته ، فيبعدون الناس عن الاسلام ولا يقربونهم اليه ، وقد يكونون مخلصين ولكن الاخلاص وحده لا يكفى ، بل لا بد من الحكمة والتبصر ((ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة)) ((قل هذه سبيلى أدعو الى الله على بصيرة أنا ومن اتبعنى)) ومن هنا تنبت فكرة التدرج الآن فيما لا يمكن تغييره دفعة واحدة .. وقد دعوت الى مثل هذا فى كتاب صدر لي منذ اثنتى عشرة سنة ((الاسلام والشيوعية)) .

اما ما أثاره الأخ من موضوع الخلافة فهو موضوع تاريخي تحفل به بطون الكتب ، وقد شغل المسلمين منذ وجد ، وفرق صفوفهم ، وأثار بينهم حروبا دموية ، ولا نحب أن تثار الآن مثل هذه الموضوعات التاريخية التي لا صلة ولا يمكن أن تقوم لها صلة بحاضرنا ، وليست هناك جدوى من اثارتها الا اذكاء نار الفرقة فلنترك هذا الموضوع الذى يتصل بأسلافنا الكرام ــ لله يحكم فيه بعد أن انطوت صفحات أصحابه .. ولنجابه الواقع المر الذى نعيشه ونتكاتف للقضاء على ما يخلفه هذا الواقع لنا من مشكلات . لا نلتفت للوراء الا بمقدار ما ناخذ العبرة ، ونستمد الأسوة فيما ينفع ، ويوحد القلوب ، ويجمع الصفوف ..

أما ما ذكرته من اعتراض على الاقتصار على قول « صلى الله عليه وسلم » فيما نقلناه عن صحيفة « الأضواء الاسلامية » التي تصدر بالنجف دون أن يقال « صلى الله عليه وآله وسلم » فليس مرد هذا الاقتصار فيما ذكرته الصحيفة او فيما نذكره أحيانا تعصبا كما تقول ، أو انتقاصا من آل البيت ، فان حبهم لدى كل مسلم أيا كان مذهبه من حب رسول الله ، ولا تختص به فئة دون فئة ، والصلاة والسلام على الرسول وآله وصحبه تملآن القلوب ، وان لم ينطق بهما اللسان أو يسطرهما القلم .

وقد كتبت أنت أمام كلمة الرسول « ص » فقط ولم تذكر الصيغة التي تطالب بها كاملة ، ومع ذلك لا يخطر على بال أحد اتهامك بشيء . على ان الذي نقل الينا الكلمة وارسلها اكتفى كذلك بكلمة « ص » .

وكم أحب أن نعتبر الخلافات فى الأمور الفرعية اختلافات فى وجهة النظر لا تورث حقدا ، ولا تترك بين المسلمين خصومة .

وشكرا أخي ، وأكثر الله من أمثالك الشباب الغيورين ، والله يحرسك ويرعاك فى غربتك ..

خطأ وصحيح

وهذه رسالة أخرى بتوقيع « مسلم » بالكويت يبدى فيها اعجابه بالمجلة « لما لها من طيب الأثر فى نفس كل مسلم » ويذكر تأثره بها « حتى ليغيب عن الوجود حوله حين يقرؤها » ومع هذا الاعجاب بعض ملاحظات ذكرها عن عدد صفر .

ونحن نشكر الأخ على تقديره واعجابه ، كما نشكره على ما أبداه من بعض الملاحظات التي رآها ونطلب منه أن يكتب الينا مباشرة بكل ما يراه .

أما الملاحظات التي أبداها فهي :

أولا — أخذ على الدكتور مصطفى زيد فى مقاله « التفسير وأعلام المفسرين » أنه قال « والتفسير من الفَسْر » وظن أن ذلك خطأ . وصوابه عنده أن التفسير من فَسَّر لأن أصل الاشتقاق هو الفعل الماضي .

ونقول له ان ما ذكره الدكتور مصطفى صحيح ، وما ذكرته أنت صحيح كذلك .. لأن أصل الاشتقاق عند العلماء البصريين هو المصدر ، وعند الكوفيين هو الفعل .. ولكن رأى البصريين هو الأرجح ، وهو الذى سار عليه الدكتور ، وفى هذا يقول ابن مالك فى ألفيته « وكونه أصلا لهذين انتخب » أى وكون المصدر أصلا للفعل والوصف أى اسم الفاعل والمفعول الخ . هو المختار ..

ثانيا — يرى أن كلمة « أجمله » التي جاءت فى الحديث فى مقال « محمد خاتم النبيين » للشيخ علي عبد المنعم خطأ . وصوابها عنده « وجمّله » من التجميل . ونقول له لو أنه رجع الى المصادر لوجد أن كلمة « أجمله » جاءت هكذا فى صحيحى البخارى ومسلم .. وقد جاء فى القاموس المحيط ص (٢٥١) ج ٣ طبعة مطبعة السعادة ما نصه « أجمل الصنعة حسنها وكثرها » وعلى هذا تكون كلمة « أجمله » صحيحة رواية ومعنى .

ثالثا — يرى أن كلمة « القريشيين » التي جاءت فى بريد الوعي « فتوسط له أحد القريشيين » خطأ . وصحتها عنده « القرشيين » ونقول له لو أنه رجع كذلك الى المصادر لوجد أن ما كان على وزن فُعيل بضم الفاء وفتح العين فان القياس عدم حذف يائه عند النسب اذا كان صحيح الآخر مثل عقيل وقريش . فتقول « قريشى وعقيلى » أما قرشى فقد جاء على خلاف القياس ، ويسمونه فى هذه الحالة شاذا .

وقد جاء فى تعليق الشيخ محيي الدين على شرح ابن عقيل فى هذا الموضوع « وقالوا فى النسب الى قريش وهذيل قرشى وهذلى وذلك شاذ » راجع هذا الشرح بتعليقه الطبعة العاشرة ص (٣٨٩) .

ومن هذا ترى أن قولنا « القريشيين » صحيح وقد جاء على مقتضى القياس ..
وشكرا مرة ثانية .

بأقلام القراء

يعبرون فيه عن افكارهم دون أن تلتزم المجلة بآرائهم

يشهد عصرنا الحاضر صراعا مريرا بين مذاهب وافكار من الشرق والغرب تدعى كل منها انها وحدها التى تعمل لخدمة البشر ، وانها الطريق الافضل لسعادة الانسان فى حياته ، ثم تحاول ان تقنع الناس جميعا بذلك .

ويتساءل الناس اين الحقيقة ؟ وليس الا فى الاسلام جواب عن هذا السؤال ، فهو الذى يفضل كل هذه الآراء والافكار جميعا بلا استثناء .

وهذا هو الاخ ابو منير من كربلاء يشير الى هذا الموضوع فى رسالة جعلنا عنوانها « فضل الاسلام » يقول فيها :

جاء الاسلام ثورة كبرى على التفرقة والبغضاء بين الشعوب والامم .. ونادى الملأ كله (يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله اتقاكم) فوضع بذلك اسس الانسانية الشاملة فضلا عن الاخوة العامة بين المسلمين الذين تربطهم رابطة سامية تفوق جميع الروابط التاريخية والجغرافية .. ألا وهي رابطة العقيدة فى الله .. فاختلطت هذه الشعوب وامتزجت وانصهرت فى بوتقة الدعوة الاسلامية ، فزالت الحواجز التى كانت تحول بين قلب وقلب ، وتحطمت الحدود التي كانت تفصل بين بلد وبلد .

ان الاسلام الذى ندعو اليه عقيدة تنبثق منها شريعة ، ويقوم على هذه الشريعة نظام اجتماعي كامل .. والاسلام لا يعيش فى الظلام بل هو نور يعيش فى النور ، وانه لا يخادع ولا يداور ، بل هو كلمة الحق عاشت وستعيش الى الابد . فهو الدين الذى يؤدى الى تكريم الانسان وسعادته ، وان الدعوة اليه حددها وبين وبين معالم طريقها القرآن الحكيم حين قال تعالى (ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هي أحسن)



واذا كان للاسلام كل هذا الفضل على كل تشريعات البشر وآرائهم فأين أمجادنا السالفة اذن ، بل ما هو السبب فيما نحن فيه الان ، ويبين السبب الاخ الاستاذ محمود الكولى المحرر بجريدة الاهرام القاهرية فى رسالة بعث بها الينا تحت عنوان (المسلمون فى حاجة الى الوعى الاسلامى) فيقول :

اذا قيل فى بعض المسلمين :

* انهم نسوا الله فانساهم انفسهم .. فان ذلك حق !!

* أو أنهم ضعفت فيهم العزائم فافلتت الرايةمن أيديهم .. فذلك حق !

* او انهم فرطوا فيما ورثوه من كنوز الاسلاموفتنتهم شهوات الدنيا .. فان ذلك حق !

* أو أنهم اتخذوا الكافرين أولياء من دون المؤمنين فاشاعوا بينهم الفرقة والتنازع على سلطات الدنيا فذلك حق !

* أو أنهم هجروا عاداتهم وتقاليدهم الاصليةوفتنوا بكل ما هو أجنبى .. فشاعت بينهم الفاحشة وانتشر الانحلال .. فذلك حق !

* أو أنهم اهملوا الصلاة .. ولم يخرجوا الزكاة واصبحوا يحجون الى اوروبا .. ولا يحجون الى بيت الله .. وينتشون لصوت المطربين والمطربات ولا تطمئن قلوبهم الى تلاوة الآيات البينات .. فذلك حق !

* أو أنهم آثروا الراحة على الجهاد .. والرفاهية على التضحية .. وتعاملوا بالربا والحرام .. وتتبعوا خطوات الشيطان .. ولم يسلكوا الطريق الطبيعي الى طاعة الرحمن .. فذلك حق !!

* أو أنهم أهملوا الثقافة والتعليم حينا من الزمن ، فنشأت أجيال منهم فى جهالات ، بينما سبقهم غيرهم الى علوم الذرة والمخترعات .. فذلك حق !

* أو أنهم آثروا فى ثقافتهم انحراف الثقافات الغربية .. على استقامة الثقافات الاسلامية .. فأفسدت عليهم تفكيرهم .. وانحرفت بطريق مستقبلهم وحياتهم .. فذلك حق !!

* فما هو أقرب طريق يمكن أن يسلكوه اذا أرادوا تصحيح أوضاعهم ؟

* ليس هناك من طريق الا أن يعودوا الى الله وكتابه .. والى رسوله وسنته ..

* وأن يقوم بينهم (وعي اسلامي) رشيد ، ويتواصوا بالحق .. ويتواصوا بالصبر ..

وبذلك يملكون بقوتهم ناصية الدنيا ، وسنام الدين ، ويصبح الفرد المسلم كما قال فيه الشاعر :

فلا هو فى الدنيا مضيع لنفسه ولا عرض الدنيا عن (الدين) شاغله !



ولكن ترى هل هذا الطريق سهل ؟ وهل تتم النهضة الاسلامية بلا صعاب ؟

يجيب الاخ أجود نصوح : ((قلقيلية / بالاردن)) عن ذلك ، فى رسالة بعث الينا بها بعنوان ((الصعوبات التي تقف وجه النهضة)) فيقول : النهضة فى المفهوم الاسلامي هي الارتقاء الفكرى على الاساس الروحي أى ارتقاء الافكار على أساس الدين ، وهذه النهضة فى جيلنا المعاصر تعترضها صعوبات أهمها :

وجود الافكار اللااسلامية وغزوها للعالم الاسلامى : فى عصر كا نفيه ضحل التفكير قليل المعرفة ضعيف العقلية فوجدت هذه الافكار تربة خصبة خالية من المقاومة فتمكنت منها ، وبذا تشبعت عقلية المسلمين ـ سيما فئة المثقفين ـ بهذه الافكار فكونت منها عقلية أجنبية مشبعة بالتقليد ، بعيدة عن الابتكار ، غير مستعدة لقبول الفكرة الاسلامية فى كثير من نواحي الحياة .



ورغم هذه الصعاب المتكاثرة فى طريقنا الى التقدم والنهوض فهل نسمح لليأس يتسلل الى نفوسنا ، وهل تتلاقى طبيعة اليأس مع طبيعة الاسلام الحنيف ؟

عن ذلك يحدثنا السيد / خضير مرزوك الجنابى من بغداد . فى رسالة له بعنوان . اليأس يقول فيها :

يجب أن نتعلق بحبال الرجاء ، بأمل النجدة : ويجب أن ناخذ بالاسباب ونترك النتائج بيد الله الخالق الاعظم ، فانه أدرى منا بذلك وأعلم .

فالذين تسرى فى نفوسهم آفة اليأس هم الذين لا يدركون بأن هناك قوة لا تقهر ، كفيلة بأن تمسح جل المصائب والرزايا ومحركيها ، أما اذا آمنا لله حق الايمان وآمنا بقدره ، وآمنا بأن اليأس من روح الله كفر بوجوده وقدرته ، وآمنا بأن الجهاد فى سبيله حق ، فان النصر لنا مهما وضعت فى طريقنا أشواك وعقبات فالله سبحانه يقول ((وكان حقا علينا نصر المؤمنين))

المرأة فى الكويت

اجاب سمو نائب امير الكويت المعظم وولي العهد على سؤال صحفى لجريدة الرسالة الكويتية حول اعطاء المرأة حقوقها السياسية فى الكويت فقال : —

((ان المجتمع الكويتي ليس مهيأ بعد للقبول بهذه الفكرة ، يضاف الى ذلك ان المرأة الكويتية لم تبلغ بعد من الوعي الاجتماعي والفكرى الذى يؤهلها للمشاركة فى التشريع)) وقال ((لقد فتحنا أمام المرأة الكثير من الآفاق المغلقة ، ولا شك انها استطاعت ان تخطو خطوات طيبة الى الأمام ، للمشاركة فى بناء الوطن فى الميادين التي تستطيع ان تسهم فيها .

وفى رأيى ان على المرأة ان تثبت وجودها أكثر .

((مع وزير التربية))

نشرت صحيفة الرأى العام الكويتية حديثا مستفيضا لسعادة السيد خالد المسعود الفهيد وزير التربية اعلن فيه ((ان هناك مشروعا لتوقيع اتفاقيات ثقافية مع كل من دول المجر ، والولايات المتحدة ، والمملكة المتحدة وفرنسا واليابان ، وقد ارسلت هذه الاتفاقيات بالفعل الى سفارات الدول المذكورة ، ثم تابع معاليه الحديث عن جامعة الكويت ومسئولية المدرسة نحو التربية الخلقية ، ومسئولية الناظر ، ثم قال : ((ان المدرسة يجب ان تعمل على توفير الأمن والطمأنينة للطلاب ، وتشعرهم بكافة الوسائل انها تعمل لصالح مستقبلهم . وأن تعمل على تحويل المبادىء والقيم الخلقية والاجتماعية الى سلوك وممارسة عملية داخل المدرسة عن طريق مجالات الدراسة ، والانظمة المختلفة ، وينبغي أن تراعى المدرسة بأن يكون سلوك المدرسين مثلا من حيث التمسك بالفضائل والاحساس بالمسئولية والصراحة التامة)) .

أثر الاسلام على الهند

ادلت رئيسة وزراء الهند السيدة انديرا غاندى بحديث صحفى خاص الى مندوب جريدة الاهرام القاهرية ، اجابت فيه عن بعض الاسئلة ، وردا على سؤال حول ابعاد العلاقات العربية الهندية أجابت .

العلاقات بين الهند والعالم العربى ذات جذور وارتباطات عميقة فى التاريخ بعثت حرارة فى اتصالاتنا وبعثت تعاطفا مشتركا فى فهم حوافزنا القومية وأهدافنا الاجتماعية . ولقد ترك مجيىء الاسلام الى الهند — كما تعرفون — اثرا عميقا على حضارتنا ، وعلى طبيعتنا القومية ، وأصبح الاسلام أحد المقومات الحيوية فى تراثنا الثقافى ،فوق انه دين يؤمن به خمسة وخمسون مليونا من أبناء وطننا . وهـــذه الحقيقة جعلت علاقاتنا بالحياة العربية وبالتاريخ العربى والثقافة العربية حميمة ومثمرة على الدوام .

واتصالا من هذا التراث الغنى جاء كفاحنا المشترك ضد السيطرة الاستعمارية ، فوثق الرباط القوى بيننا ، ومهد الطريق لنمو الفهم المتبادل فى زمننا المعاصر . وعند هذه المرحلة أصبحت مسئوليتنا الكبرى ان نساعد هذا التراث من الصداقة على ان ينمو ، وعلى ان يستجيب بكفاءة لتطورات الزمن الحديث ، وبالتالي تظل علاقاتنا قادرة على مجاراة الظروف المتغيرة فى العالم وحركة الآمال النامية لشعوبنا .

كرم سبط يهودا (هيلاسلاسي)

تحت هذا العنوان . كتبت مجلة حضارة الاسلام الدمشقية تقول : —

ابرمت مؤخرا اتفاقيات بين حكومة الحبشة ، وبين (موشى ديان) وزير الزراعة الصهيوني . أهدت حكومة أثيوبيا بموجب هذه الاتفاقيات لاسرائيل :

١ ــ خمسين الف هكتار (٥٠٠٠٠٠ دونم) لزراعة القطن ، بعد أن نزعتها من اصحابها المسلمين ، وهي بالقرب من ضفاف نهر ستيت الكبير النابع من جبال ارتيريا . ومنحتها لشركة (انكودا) الاسرائيلية .

٢ ــ عشرين الف هكتار (٢٠٠٠٠٠ دونم) لشركة اسرائيلية لتربية المواشى وللخضار ، ولهذه الشركة فروع لتربية المواشى فى عدة أقاليم فى اقليم (هرر) الاسلامي .

٣ ــ ألفي هكتار (٢٠٠٠٠ دونم) لشركة « اناجن » الاسرائيلية فى منطقة « عيلت » .

وهذه الهبات رمزية ليس الا ، وتعتبر رمزا لتوطيد عرى التعاضد بين الحبشة واسرائيل . امـا القوارب الاسرائيلية لصيد السمك من البحر الاحمر فانها تعمل فى ميناء « مصوع » الارتيرى المسلم ، وتشحن الأسماك،باذن الحكومةالاثيوبية المستعمرة،منهالى ميناء أيلات بدون أيمعاملات أو رسوم جمركية . وفى أيلات تعلب وتصدر مرة أخرى الى خارج اسرائيل ولا سيما الى القارة الافريقية .

كما سمحت حكومة الامبراطور لمجموعات تفوق الحصر من الجزارين الصهاينة بالاقامة فيها .

أدركوا أخلاق الأمة الاسلامية

وتحت هذا العنوان كتبت مجلة التربية البغدادية تقول : ــ

وها هي اليوم أزمة الاخلاق آخذة بخناقنا فى كل مجال من كل جانب تنظر الى الصغير فيملؤها الخوف مما يشب من أخلاق ، وتنظر الى الشاب فلا تملك نفسك من الاشفاق عليه مما نراه فيه .

وتنظر الى المرأة فيأخذك العجبمما وصلت اليه.وتقلب الطرف فى أصناف الناس التاجر منهم والعامل والفلاح والكاسب والموظف كبر كرسيه أم صغر فلا ترى من الأخلاق الا أدناها وأحطها . انه طوفان لم ينج منه الا من رحم الله من أولئك الذين تمسكوا بأهداب الفضيلة وتشبثوا بها غير آبهين بمن خالفهم ، ولكن هؤلاء على قلتهم على خطر عظيم ، فهم كالقابض على الجمر يتبصر تصبرا ويتجلد .

ولقد أدرك الناس هول هذا الخطر على اختلافهم فى تصوره وفهم أسبابه ودواعيه ، وعلى اختلافهم أيضا فى طريقة معالجته أو فى امكانية هذه المعالجة ،فما هو سبيل الخلاص ؟ وهل هناك امكانية للتغلب على هذا الخطر والخلاص من هذه الأزمة ؟ .

ان التغلب على هذا الخطر الداهم والداء الوبيل ممكن وسبيله واضح ، ولكن جهودا كبيرة وفى مجالات متعددة لا بد أن تبذل بصبر وجلد ويقين ، لكى تؤتى بعد ذلك ثمارها ، وتنقذ الأمة من وهدتها وتقيلها من عثرتها الكبرى هذه .

اننا اذا أردنا التخلص من الدنايا التي سقطناعليها ، فان ذلك لا يكون بدرس يلقى ولا بحديث يذكر ولا بموعظة تقال ، وانما لا بد من العمل لتغيير البيئة التي نعيش فيها تغييرا جذريا يستهدف المنزل والمدرسة والنظم والاحكام والعقائد والافكار والاعراف والآراء والفنون والآداب وجميع وجوه التمدن الأخرى .

سانحة

وتحت عنوان « سانحة » كتبت مجلة « الهدى الاسلامي » الليبية كلمة جاء فيها : ــ

نسى الناس أن المساجد فى معناها مراكز عظمى لقيادة الانسانية ومبعث الانطلاق نحو الكمال المادى والادبى للأمة . نسوا ان المسجد يجمع الناس بقلوبهم ليخرج كل انسان من دنيا ذاته ، فلا يفكر احد انه اسمى من أحد . ولقد يكون الى جانب العظيم ، الصانع أو الأجير أو الفقير أو الجاهل فينظر اليه والى نفسه فيحس كان خواطره متوضئة متطهرة من مقاييس دنيا الناس . ويرى كلمة الكبرياء قد فقدت روحها . ثم اذا ما نودى للجماعة فى الصلاة . هرعوا خلف الامام ، صفا ردف صف . اذا اختلفت مراكزهم وسماتهم ، فقد توحدت قلوبهم ومشاعرهم ، توحد وجوههم نحو بيت الله . ثم تقول المجلة .

ولقد تجلت حكمة الاسلام فى مشروعية الخطبة الجمعية وتحديد الأعذار المبيحة للتخلف عنها . ذلك لما لها من اثر عملى فى المجال التربوى . لانها تفسير دائم للتشريع الاسلامي ومعالجة المشكلات العامة من خلال هذا التفسير ، حتى يظل الناس على صلة وثيقة بدينهم . ولهذا فانها ينبغى ان تكون عظة مليئة بالغذاء الروحي والتوجيه الاجتماعي ، هدفها تحديدالمعالم وتقويم المفاهيم . ومن أجل هذا قامت مقـام الركعتين فى الصلاة . صلة العبد وربه ، وصلة بين العباد بعضهم لبعض .

أخبار العالم الإسلامي

الكويت

*** رفع الى حضرة صاحب السمو أمير البلاد المعظم سعادة الشيخ صباح الاحمد الجابر وزير الخارجية نتائج مهمته الى المملكة العربية السعودية والجمهورية العربية المتحدة بشأن وساطة الكويت فى قضية اليمن .**

* تبرع صاحب السمو أمير البلاد المعظم بثمانمائة الف ليرة لبنانية للجمعيات الخيرية والمدرسة الحربية فى لبنان .

*** طلبت وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية من وزارة الخارجية الاتصال بالحكومات العربية والاسلامية فى جنوبى شرقى آسيا وافريقيا لابداء مقترحاتها لنشر الدعوة الاسلامية .**

* أبلغت سفارة الكويت بالجزائر الجهات المختصة بالكويت بأن الجزائر الشقيق بحاجة ماسة الى بناء مساجد وهذه الرغبة موضع عناية المسئولين .

*** تلقى معالى وزير الاوقاف والشئون الاسلامية رسالة من رئيس رابطة علماء مسلمى نيجيريا تتضمن شكر حكومة الكويت لتبرعها السخى من أجل تدعيم الرابطة المذكورة .**

* زار البلاد الحاج محمدوى جانغ رئيس اتحاد الشباب الكورى المسلم فى «سيوول» وقد اجتمع أثناء الزيارة بالمسئولين فى وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية من اجل المعاونة لبناء مسجد فى العاصمة الكورية .

*** أكد وكيل وزارة الخارجية فى حديث اذاعى ببرنامج المائدة المستديرة الذى يذاع فى الامم المتحدة أن قضية فلسطين لا يمكن حلها الا بالقضاء على اسرائيل . وأكد أن الوحدة شعور يعيش فى قلب كل عربى .**

* طلبت المملكة المغربية من الجهات المختصة تزويدها بكافة المعلومات عن جامعة الكويت وموعد بدء الدراسة فيها .

* أعلنت وزارة التربية عن قبول طلبات الالتحاق بالجامعة للطلاب والطالبات (غير الكويتين) .

* قامت بعثة طلابية تونسية بزيارة دولة الكويت لتوثيق عرى الصداقة بين طلاب القطرين الشقيقين .

*** تم وضع حجر الاساس لبناء خمسة مساجد جديدة وبدا العمل فيها وكان قد وضع فى الشهر الماضى حجر الأساس لبناء خمسة مساجد أخرى فى المناطق التى اتسع فيها العمران .**

القاهرة

★ أعلن السيد محمود رياض وزير الخارجية أن العقيد هوارى بومدين رئيس مجلس الثورة الجزائرى سيزور مصر قريبا .

★ وجه المجلس الاعلى للشئون الاسلامية الدعوة الى زعيم مسلمى امريكا السيد

اليجـــا محمـــد لزيارة الجمهورية العربية المتحدة للالتقاء بعلمـــاء الازهر للتباحث معهم فى الشئون الدينية .

★ أصدر المجلس الاعلى للشئون الاسلامية الجزء الاول من موسوعة جمـال عبد الناصر فى الفقه الاسلامى التى يشترك فى تحريرها أكثر من الف عالم من علماء المسلمين فى مختلف المذاهب الاسلامية ، ومن المنتظر أن تصدر الموسوعة فى خمسين جزءا .

★ أقر مجلس جامعة الازهر قواعد قبول أوراق الطلبة الجدد وتنص على عدم قبول من يقل مجموعه عن ٥٠٪ وبالمنسبة لكليات الطب والهندسة والاسنان ٦٠٪ .

السعودية

★ تبرع جلالة الملك فيصل عاهل المملكة العربية السعودية بمبلغ ١٠٠ الف دولار لتغطية نفقات بناء جامع فى مدريد ، بعد أن وعدت الحكومة الاسبانية بتقديم الارض اللازمة .

★ بعث جلالة الملك المعظم برقية تهنئة لسيادة رئيس الجمهورية العربية المتحدة بمناسبة عيد الثورة الرابع عشر ، وقد تلقى جلالته برقية شكر جوابية من سيادته .

★ أقام سمو أمير مكة المكرمة حفلا كبيرا تكريما لمعالي وزير خارجية الكويت خلال زيارته الاخيرة وحضر الحفل عدد كبير من رجالات الدولة .

★ نشرت صحيفة البلاد أن حريقا كبيرا شب فى منطقة باب السلام فى مكـة المكرمة ظل أكثر من ساعتين وقد امتدت النار فيه الى بعض أجزاء المبنى الجديد للمسجد. وقد شكلت لجنة للتحقيق وتقدير الخسائر ورفع النتيجة الى صاحب السمو الامير مشعل أمير منطقة مكة .

★ وصل الى الاراضى الحجازية السيد رئيس جمهورية الصومال بدعوة من جلالة الملك فيصل لزيارة السعودية .

الجزائر ـ اكد سيادة العقيد هوارى بومدين رئيس مجلس الثورة الجزائرى لصاحب السعادة الشيخ عبد الله الجابر الصباح وزير التجارة والصناعة أن الجزائر حكومة وشعبا تتطلع الى زيارة حضرة صاحب السمو أمير البلاد المعظم الرسمية للجزائر .

الاردن ـ احتفلت كلية الشريعة فى عمان بتخريج دفعة جديدة من خريجيها ، وقد القى جلالة الملك حسين فى حفل التخريج كلمة دعا فيها الى اتباع مبادىء الدين الاسلامى ، وحث الخريجين على نشر الدعوة لتدعيم الروابط بين المسلمين فى شتى اقطارهم .

لبنان ـ اطلق المجلس البلدى فى العاصمة اللبنانية اسم المرحوم سمو الشيخ عبد الله السالم الصباح على أحد شوارع بيروت، وذلك تقديرا من المجلس لشخصية الراحل الكريم ولما له من أياد بيضاء فى تدعيم المؤسسات المختلفة فى لبنان .

المغرب ـ وصلت الى المغرب المكتبة الاسلامية التى أهدتها وزارة الاوقاف فى الجمهورية العربية المتحدة ، والتى تضم ثلاثة الاف مجلد .

نيجيريا ـ سيعقد فى جامعة « ابادان » بنيجيريا مؤتمر اسلامى طلابى عالمى ، وسيناقش المؤتمر موضوع « الاسلام والمجتمع فى العصر الحديث » .

تركيا ـ قررت الحكومة التركية اغلاق عدد من المكاتب السياحية الاسرائيلية فى تركيا .

باكستان ـ صرح السيد وزير خارجية الباكستان فى كراتشى بأن سياسة بلاده سياسة استقلالية اسلامية وطنية .

اقرأ فى هذا العدد

((الى راغبى الاشتراك))

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك فى المجلة . ورغبة منا فى تسهيل الامر عليهم ، وتفاديا لضياع المجلة فى البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات منا من الآن ، وعلى الراغبين فى الاشتراك أن يتعاملوا رأسا مع متعهد التوزيع عندهم ، وهذا بيان بالمتعهدين ، فيما عدا شمال أفريقيا :ـ

بغداد : ـ مكتبة المثنى ـ السيد قاسم محمد الرجب .

عمان : ـ وكالة التوزيع الاردنية ـ السيد رجا العيسى .

بيروت ودمشق : ـ الشركة العربية للتوزيع ـ لبنان .

القاهرة : ـ شركة توزيع الاخبار ـ ٧ شارع الصحافة ج.ع.م.

الخبر : ـ مكتبة النجاح الثقافية ـ ص ب ـ (٧٦) السعودية .

مكة المكرمة : ـ مكتبة الثقافة ـ السعودية .

الطائف : ـ مكتبة الثقافة ـ السعودية .

المدينة المنورة : ـ مكتبة المنار .

عدن : ـ وكالات الاهرام التجارية ـ ص ب (٦٣٩) .

البحرين : ـ المكتبة الوطنية وفروعها ـ السيد فاروق ابراهيم .

المكلا : ـ مكتبة الشعب ـ ص ب (٢٨) المكلا ـ حضرموت .

دبى : ـ المكتبة الاهلية ـ ص ب (٢٦١) .

مسقط : ـ المكتبة الاهلية ـ السيد حسن قمر سلطان .

قطر : ـ مكتبة الثقافة ـ الدوحة ص ب (٨٤٢) .

الخرطوم : ـ الاستاذ حسن نجيلة ـ دار الرأى العام .

بور سودان : ـ مكتبة كررى ـ السيد عطا المنان ص.ب ٣٠٣ .

الصومال : ـ مقديشو ـ محمد أحمد عمر .

الكويت : ـ مكتب منار للتوزيع ـ شارع فهد السالم ص.ب ١٥٧١

ونوجه النظر الى أنه لا يوجد لدينا الآن نسخ من الاعداد السابقة من المجلة



امبراطور الهند المسلم ((جهانكير))
١٠١٤ – ١٠٣٧ هـ – ١٦٠٥ – ١٦٢٧ م

لوحة بالألوان المائية
بريشة : محمد مؤذن

مطبعة حكومة الكويت

الوعي الإسلامي

إسلامية ثقافية شهرية

السنة الثانية * العدد الثامن عشر * جمادى الثانية ١٣٨٦ هـ * سبتمبر ١٩٦٦م





ابو دهبل الجمحي الشاعر

قصة العدد : شعاع من القلب ص ٨٢

الوعي الإسلامي

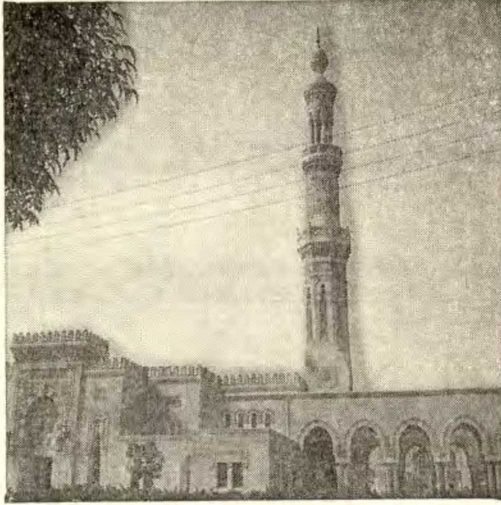
اسلامية ثقافية شهرية

العدد الثامن عشر ــ السنة الثانية
غرة جمادى الثانية سنة ١٣٨٦ هـ
١٦ سبتمبر (ايلول) سنة ١٩٦٦ م

تصدرها وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية بالكويت فى غرة كل شهر عربي

المجلة حرة ، والوزارة غير مسئولة عما ينشر فيها من آراء

صورة الغلاف



مسجد قاهر التتار قطز فى ضاحية مصر الجديدة بالقاهرة وتتجلى فيه عظمة البناء وجلال الهندسة وجمال الموقع .

الثمن

الكويت	٥٠	فلسا
السعودية	١	ريال
العراق	٧٥	فلسا
الاردن	٥٠	فلسا
ليبيا	١٠	قروش
المغرب	١	درهم
الخليج العربي	١	روبية
اليمن وعدن	٧٥	فلسا
لبنان وسوريا	٥٠	قرشا
مصر والسودان	٤٠	مليما
تونس والجزائر	١٠٠	مليم

الاشتراك السنوى للهيآت فقط

فى الكويت ١ دينار
فى الخارج ٢ ديناران
(أو ما يعادلهما بالاسترليني)
أما الافراد فيشتركون رأسا مع متعهد التوزيع كل فى قطره

عنوان المراسلات : مجلة الوعى الاسلامي ــ وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية ــ الكويت ص . ب ١٣ ــ هاتف ٢٢٠٨٨

صاحب السمو الأمير المعظم
يوجه كلمة إلى مؤتمر الطلبة العرب

تفضل حضرة صاحب السمو أمير البلاد المعظم بتوجيه كلمة سامية الى المؤتمر السنوى الخامس عشر للطلبة العرب فى الولايات المتحدة وكندا الذى افتتح فى الشهر الماضي بجامعة كولورادو الامريكية .

وفيما يلى نص كلمة سموه حفظه الله .

أبنائي الاعزاء .

من دواعى سرورى أن أنتهز هذه الفرصة الطيبة لافتتاح مؤتمركم .

فباسم الكويت أحيى فيكم روح الشباب الناهض ذخر أمتنا ومحط آمالها الذى تفخر به وتعتز دوما . ولا يسعنا الا أن نشيد بكفاحكم المبارك لرفع اسم العروبة عاليا فى ربوع الغرب وباهتمامكم الجاد بقضايا الوطن العربى الهامة ، وطبيعى فى هذه المرحلة من التطور ، وفى الوقت الذى تسعى فيه البلدان العربية لاستغلال طاقاتها المادية والروحية وتوكيد شخصيتها المستقلة وأعادة بناء مجتمع عصرى أن تتجلى لها بوضوح أهمية التخطيط بمفهومه العلمى الحديث وفائدة العمل المدروس على أن تحقيق ذلك على الوجه الاتم انما يتطلب وضوح الرؤيا بالنسبة لماضينا ومستقبلنا . فثمة قيم وتقاليد اصيلة واجتماعية واخلاقية ـ يعتز بها تراثنا العربى . وعلينا أن لا نغفلها فى خضم التيارات الجارفة الجديدة .

لا شك أنه يهم كل عربي مخلص ان يرى مجتمعنا عربيا متينا متكاملا قوامه العدل والحرية والديموقراطية السليمة ، حيث تصان للفرد كرامته وتتحقق سعادته واطمئنانه وينعم بالخير العميم ، اذ تتاح له الفرصة الكافية للكشف عن مواهبه وقواه الخلاقة معتمدا على ذاته آخذا بزمام المبادرة فى كل عمل منتج كلما دعا الداعى .

ومهما يكن من شيء فنحن هنا فى الكويت ، سائرون قدما بعون الله على الدرب والنهج القويم لتطوير مجتمعنا ورفع مستوى شعبنا مستعينين بجهاز التخطيط الذى يضم عددا من الخبراء الفنيين فى التخطيط الاقتصادى والتربوى والصحى والانشائي وغيره ، فيقدم البرامج المزودة بالاحصائيات والتقارير للتنسيق والتطبيق والمتابعة .

وفى نطاق الخدمات الاجتماعية والصحية والاسكان وغيرها يولى اهتماما خاصا للتعليم الحر كأساس لبناء صرح الحياة الفكرية .

هذا ، وأننا نعلق أملا كبيرا على الجامعة الكويتية التى ستفتح أبوابها



فى مستهل العام الدراسى القادم لتصبح فى هذا الجزء من العالم منارة للاشعاع ومركزا للبحث العلمى الحـــر .

أما من جهة الاقتصاد ، فيسير اقتصادنا حرا ، مع ذلك اعددنا برنامجا للتنمية الاقتصادية لزيادة الدخل القومى وعدم الاعتماد كليا على البترول . فالى جانب مساهمة الحكومة فى تمويل المشروعات الاقتصادية المختلفة يمنح كل تشجيع للاستثمار الخاص الفردى مع التسهيلات لخلق الجو الملائم للاستثمار ونشر الوعى الاجتماعى وسن القوانين المرنة المتمشية مع هذه الغاية .

واننا جد معنيين بخلق صناعات أخرى غير التى تقوم على البترول والغاز الطبيعى . ولا مجال للتفصيل ، عدا عن ذلك فنحن بسبيل اعداد خطـــة للزراعة والرى المزدهــــرة .

هذا ، ويمكن القول بارتياح أن مساهمة الكويت فى التخطيط لا تقتصر على حدودها بل تتخطاها الى كافة البلدان العربية الشقيقة عن طريق الصندوق الكويتي للتنمية الاقتصادية العربية . وفى ذلك تؤدى جزءا هاما من رسالتها القوميـــة .

ختاما ، اننا اذ نتطلع الى مستقبل زاهر يتحقق فيه للعرب ما يصبون اليه من آمال كبار استعادة لمجدهم التليد ، ندرك فى الوقت ذاته أن السبيل الوحيد لذلك انما هو الجهد والعمل البناء لا مجرد القول والتمنى .

وعليكم رجال الغد المزودين بسلاح العلم والمعرفة لما فيهما من نفع وقوة تقع مسئولية كبرى تجاه بناء وطننا الاكبر عاليا شامخا .

وفقنا الله جميعا الى مافيه خير أمتنا المجيدة وعزها ورفعتها ، راجين أن يحقق هذا المؤتمر غايته المنشودة وأن تكلل جهودكم الخيرة بالنجاح والتوفيق . وشـــكرا لكم والســلام .



القارئ

بسم الله الرحمن الرحيم

يحلو لبعض كتاب الصحف والمجلات والقصص والأفلام أن يوجدوا هوة بين الجيل الصاعد من الشباب والشابات وبين آبائهم ومربيهم ، وذلك حين يصورون أفكار الآباء والمربين بأنها آراء عتيقة بالية ، لا تصلح لقيادة هذا الجيل ، حتى أصبحنا نرى الشباب القليل الخبرة بالحياة وبما يضره أو ينفعه فيها ، كلما وجه اليه آباؤه نصحا أو لوما أو حالوا بينه وبين نزواته وطيشه نراه شديد التبرم بما يسمعه سريع التخلص من آراء موجهيه بحجة أنها آراء عتيقة لا تصلح لهذه الايام ..

ومع أننا لا ننكر أن لكل جيل ظروفه ، وأن على الآباء أن يكونوا حكماء وواقعيين فى توجيه أبنائهم الا أننا نرى أن من الجناية على الأبناء ــ وهم فى سن يحتاجون فيها الى حسن الرعاية والتوجيه ــ أن نحرمهم من الاستفادة بخبرة آبائهم ومربيهم بالحياة بعد ما عركوها وعركتهم ، ونقيم بينهم وبين هذه الخبرة سدا وذلك بما نقدمه لهم من آراء أو نعرضه عليهم من تمثيليات ، تزين لهم عدم الاعتداد بآراء آبائهم وموجهيهم . والشباب بحكم طبيعته ميال الى الاعتداد بنفسه ، وابراز شخصيته ، وقد لا يبالي فى سبيل ذلك بما يحطمه من قيم ، فاذا قرأ أو سمع أن آراء الآباء رجعية لا تصلح له ، وأنه خلق لزمان غير زمانهم زاد فى غروره ولج فى خروجه وانحرافه ... وسد أذنيه عما يسمعه من نصح .. وبذلك يفقد أغلى ما ادخره الله له من عطف الأبوة وتوجيهها ، ويعيش كالنبات السطحى لا جذور له تغذيه وتحميه من تقلبات الأيام وتياراتها وعواصفها .. أو كالسفينة التى تعطلت محركاتها ، وفقدت ربانها وصارت لعبة الامواج والرياح.. حقيقة يوجد فى بعض الآباء رغبة تصحبها شدة أحيانا ، فى طبع الابناء بطابعهم وجبرهم على أن يكونوا صورة منهم من تفكيرهم ونظرتهم للحياة وخطواتهم فيها ، ويميلون الى أن يعاملوا الأبناء المعاملة نفسها التى كان آباؤهم يعاملونهم بها كأنهم نسخة مكررة لهم ، وقد يكون فى هذه الرغبة المصحوبة بالشدة تكليف للأبناء بما لا يطيقون ، وهم ان رضخوا صغارا خوفا من الآباء فانهم لا يلبثون أن يتمردوا عليهم حين يشتد ساعدهم ، وحينئذ يستعصى علينا أن نسلس قيادهم ، أو نردهم الى صوابهم ..

وبعض الآباء تدفعهم غيرتهم على أبنائهم ورغبتهم فى سعادتهم الى أن يضيقوا ذرعا ــ أحيانا ــ بسلوك الأبناء فيدفعونهم بالفساد والمروق ، ويشعروهم بأنهم فقدوا الأمل فيهم . وهذا وحده قد يكون كافيا لقطع كل خيط يشد الابن بأبيه لا سيما فى زمن رعونته وطيشه ..

ومن هنا كان من الواجب على الآباء أن يكونوا حكماء فى اختيار الاسلوب الذى يعاملون به أبناءهم ، وفى توجيههم للسلوك الذى يحبونه لهم .. ويعتمدوا على الاقناع

والترغيب أكثر مما يعتمدون على الأوامر والترهيب ، ويحافظوا ما أمكن حتى فى حال شدتهم على أن يشعروا الابناء بعطفهم .

واذا كنا نقول هذا للاباء ليغلفوا عطفهم الطبيعى على أبنائهم بالأسلوب الحكيم المناسب ، فاننا نحب أن نقول للأبناء ــ وهم فلذات أكبادنا وقرة عيوننا وأملنا الذى نكدح من أجله فى هذه الحياة ــ أن عطف الأبوة ــ مهما يكن حوله من أشواك ــ لا يمكن تعويضه ، وهوكنز خاص بهم وحدهم لا يشاركهم فيه غيرهم فاذا وجدوا معه شيئا يتعبهم فليتقبلوه راضين مقدرين فلا بد للشهد من ابر النحل ، والذى يريد أن يمتع نفسه بالورد الندى يقطفه من أغصانه لا يسلم من وخز أشواكه .

ولقد كان أمير الشعراء أحمد شوقى عليه رحمة الله صادقا كل الصدق ، وهو يصور عاطفة الأبوة فى مدحه للرسول صلى الله عليه وسلم بالرحمة حين قال :

واذا رحمت فأنت أم أو أب   هذان فى الدنيا هما الرحماء

نعم هذان هما الرحماء فى هذه الدنيا المجدبة من نسائم الرحمة والعطف والحب الطبيعى الذى لا يشوبه غرض .. فليحرص الأبناء دائما مهما تبلغ سنهم أو تسمو بهم مراكزهم أن ينهلوا من هذا العطف ، وأن يستدروه ويستفيدوا من نبعه الصافى الذى يسعدهم فى دنياهم وآخرتهم ويزيد من منزلتهم عند الله والناس ..

لا أحب من الأبناء أن يضيقوا ذرعا بما يسمعونه من آراء أو توجيهات أبوية ، ربما يرونها غير صالحة للتطبيق فى عصرهم ، وعليهم أن يقدروا كل التقدير مبعث هذه الآراء والحامل عليها ، فان مقام الأبوة لا يهدره ولا ينال منه مجرد الاختلاف فى الرأى، بل ولا الاختلاف فى الدين بل يسمو على هذه الاختلافات ، ويبقى له حقه من التقدير والوفاء ((وان جاهداك على أن تشرك بى ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما فى الدنيا معروفا))

والمربى فى معهده والد روحى تربطه بأبنائه الطلاب معان وقيم رفيعة ، ومعرفة وثقافة يقدمها غذاء لعقولهم وأرواحهم ، وجهد يبذله ليرقى بهم درجات الســـلم الى القمة التى يحلمون بها ، ويعدون أنفسهم لبلوغها .

وبمقدار غيرته وحرصه على مستقبلهم تكون يقظته وشدته فى مراقبتهم وحسن توجيههم ، فليتقبلوها منه بمقدار حرصهم على مستقبلهم .. ويبذلوا له من الاحترام والتقدير ما يزيده حبا فيهم ، وغيرة على مستقبلهم ، ورعاية لآمالهم . وليذكروا دائما وهم يواجهون شدة من آبائهم أو مربيهم هذه الحكمة المعبرة عن واقع الآباء والمربين .

فقسا ليزدجروا ومن يك حازما   فليقس أحيانا على من يرحم

رعاكم الله يا شباب وأنتم تقبلون على عام جديد من حياتكم ، وسقى نبتكم حتى يثمر الثمرة المرجوة منكم ، وجعلكم جنودا مخلصين لدينكم ووطنكم .

إحاطة القرآن الكريم بالفطرة

للدكتور محمد أحمد الغمراوى

موضوع كريم جليل يدعو الى بحثه بما ينبغى له من الدقة والاحتياط نصان كريمان فى كتاب الله . هما قوله تعالى (ما فرطنا فى الكتاب من شىء) فى الآية « ٣٨ » من سورة الانعام ، وقوله تعالى (ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شىء) فى الآية « ٨٩ » من سورة انحل .

والنص الكريم من آية النحل لا يحتمل لفظ (الكتاب) فيه الا معنى واحدا هو القرآن الكريم.

والنص كما ترى عام طابعه الاستغراق ، لم يأت فى الآية ما يخصصه ، أو يقيده ، لكن أكثر المفسرين حملوه على الدين وأحكامه ، لان شغلهم الشاغل كان تبليغ الدين بمعناه الخاص وتبيين أحكامه ، فلم ينصرف ذهنهم الا الى ما كانوا مشغولين به . والقلة منهم هى التى أخذت بظاهر النص . ومن هؤلاء المفسر المحدث الامام ابن كثير صاحب التفسير بالمأثور فانه بعد أن روى تفسيرين أحدهما لصحابى هو ابن مسعود ، والآخر لتابعى هو مجاهد اختار قول ابن مسعود لانه أعم وأشمل .

قال مجاهد فى تفسير قوله تعالى (ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شىء) انه تبيان لكل حلال وكل حرام . وقال ابن مسعود رضى الله عنه « قد بين لنا فى هذا القرآن كل علم وكل شىء » وعقب عليهما ابن كثير بقوله « وقول ابن مسعود أعم وأشمل ، فان القرآن اشتمل على كل علم نافع من خبر ما سبق وعلم ما سيأتى فى كل حلال وحرام ، وما الناس محتاجون اليه فى أمر دنياهم ودينهم ومعاشهم ومعادهم » .

وابن مسعود هو الصحابي الجليل الذى ذكره عبد الله بن عمرو ، فيما روى البخارى ، فقال

لا أزال أحبه سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول «خذوا القرآن من أربعة . من عبد الله بن مسعود وسالم ومعاذ وأبي بن كعب » ثم هو الذى روى عنه البخارى (١) قوله « والله لقد أخذت من فى رسول الله صلى الله عليه وسلم بضعا وسبعين سورة . والله لقد علم أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أنى من أعلمهم بكتاب الله ، وما أنا بخيرهم » .

والنبي عليه الصلاة والسلام كان يعلم الصحابة معنى ما يحفظهم من القرآن ، فلا ينقلهم من آيات حفظوها الى آيات ليحفظوها الا بعد أن يكونوا فقهوا الآيات التى حفظوا . ولازم هذا أن ابن مسعود رضى الله عنه ، لما تلقى من فم النبى قوله تعالى (ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شىء) ، تلقاه نصا ومعنى . فقوله فى تفسير النص الكريم « قد بين لنا هذا القرآن كل علم وكل شىء » ليس رأيا من عنده ولكن تعبيرا عن معنى تلقاه عن النبى صلوات الله وسلامه عليه . وفى هذا حجة لتفسير ابن مسعود أكبر من الحجة التى ساقها ابن كثير من كون تفسيره أعم وأشمل، جريا فيما يبدو على مبدأ حمل القرآن على أجل احتمالاته وأليقها باعجازه . وهو مبدأ صدق يتبع ان كان هناك مانع يمنع من الجمع بين المعانى التى تحتملها الآى ، والا فالاليق بكتاب الله واعجازه الا يعدل عن وجه يفيده النص القرآنى الا بقرينة مانعة ، وان تعددت الاوجه ، فلو شاء الله لأنزل النص لا يحتمل الا معنى واحدا لو كان المعنى الواحد هو المراد . وما دامت الآية الكريمة، آية سورة النحل ، عامة مطلقة فى صيغتها ، وقد فهمها الصحابى الجليل على ظاهرها من العموم والاطلاق ، وكان أكبر الظن أن ما فهمه منها انما أخذه عن النبى صلوات الله وسلامه عليه ، فقد وجب على الباحث أن يمضيها على ما تظاهر عليه التعبير اللغوى والعقل والنقل ، وان يحاول استبانة المدى الذى يمتد اليه ذلك العموم ، فينظر اولا كيف كان القرآن تبيانا لكل شيء فى الدين ، ليتخذ من ذلك معيارا ومقياسا لكون القرآن تبيانا لكل شيء فى الفطرة .

أما ان القرآن تبيان لكل شىء فى الدين ، فقد أجمع عليه ائمة الفقه وأئمة التفسير . لكنهم لم يقصدوا بهذا ان القرآن حوى أحكام الدين بالتفصيل ، فان التفصيل قد علموه فى السنة النبوية المطهرة .

لكن لما كان الحق سبحانه قد وكل الى نبيه تبيين الكتاب فى مثل قوله تعالى (وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم ولعلهم يتفكرون)(٢) ، وأوجب على الناس طاعته صلى الله عليه وسلم فيما يبين وفيما يأمر وفيما ينهى ، وذلك مثل قوله تعالى (من يطع الرسول فقد أطاع الله ومن تولى فما أرسلناك عليهم حفيظا) (٣) ، وقوله عز وجل (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا (٤) ، فقد اعتبر الائمة وثقات العلماء جميعا أن الكتاب العزيز قد حوى السنة المطهرة كلها بعموم تلك النصوص . وهذا هو المعنى الذى قصده مجاهد رحمه الله حين قال قوله الذى نقله عن ابن كثير من أن القرآن قد بين كل حلال وكل حرام ، اذ لم يكن يخفى عليه أن تفصيل ما أحل الله وحرم انما بينته السنة النبوية . وقد نقل أبو حيان عند تفسير قوله تعالى (وانزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم) قول مجاهد . « لتبين » بتفسيرك المجمل وشرحك ما أشكل ، فيدخل فى هذا ما بينته السنة من أمر الشريعة .

والصحابة رضوان الله عليهم كانوا يرون هذا . كانوا يرون أن ما سنه الرسول صلوات الله وسلامه عليه فقد سنه الله فى كتابه بعموم قوله تعالى فى سورة الحشر (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) . يدل على ذلك ما رواه البخارى (٥) عن علقمة قال « لعن عبد الله — أى ابن مسعود — الواشمات والمتنمصات والمتفلجات للحسن المغيرات خلق الله ، فقالت أم يعقوب ما هذا ؟ قال عبد الله وما لى لا العن من لعن رسول الله وفى كتاب الله . قالت والله لقد قرأت ما بين اللوحين فما وجدته . قال والله لئن قرأتيه لقد وجدتيه . (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) » .

---

(١) الحديثان فى كتاب فضائل القرآن فى الجزءالسادس من صحيح البخارى .
(٢) الايـة (٤٤) سورة النحل — (٣) الآيـة (٨٠) سـورة النساء
(٤) الآيـة (٧) سـورة الحشر — (٥) فى الجزء السابع فى أواخر كتاب اللباس .

الحكمة . السنة

والسنة النبوية مذكورة في كتاب الله باسم الحكمة في قوله تعالى (لقد من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين) (١) ، وقوله عز وجل (وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم) (٢) ، قال ابن كثير في تفسيره (ويعلمهم الكتاب والحكمة) ((يعني القرآن والسنة)) وكرر نفس المعنى في تفسيره الاية الثانية .

وتفسير الحكمة بالسنة ((قاله الحسن وقتادة ومقاتل بن حبان وأبو مالك وغيرهم)) فيما ذكر ابن كثير في تفسير (ويعلمهم الكتاب والحكمة) من الآية (١٢٩) من سورة البقرة ، وقاله الزمخشري في الكشاف في تفسير آية آل عمران المذكورة آنفا ، كما قرره الامام الشافعي في الرسالة التي أصل فيها أصول الفقه ، والقاضي الفيلسوف ابن رشد في كتابه الذي كتبه مقدمة للمدونة في فقه الامام مالك .

قال الشافعي ((كل ما سن رسول الله مما ليس فيه كتاب ، وفيما كتبنا في كتابنا هذا من ذكر ما من الله به على العباد من تعلم الكتاب والحكمة، دليل على أن الحكمة سنة رسول الله)) (٣) . وقال ابن رشد في الفصل الذي عقده في المقدمة في بيان الطريق الى معرفة أحكام شرائع الدين ، وانها تدرك من أربعة أوجه أولها . كتاب الله عز وجل . والثاني . سنة نبيه عليه الصلاة والسلام الذي قرن الله طاعته بطاعته ، وأمرنا باتباع سنته، فقال عز وجل (وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول) وقال تعالى (من يطع الرسول فقد أطاع الله) وقال (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) وقال (واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة) .

والحكمة السنة (٤) والشاهد هو في الجملة الأخيرة وان بدا أن آية آل عمران أو آية النساء كانت أولى بالاستشهاد بها من الآية التي ذكر ابن رشد من سورة الاحزاب . وقد ذكرنا كلام ابن رشد بتمامه ، على تكرار فيه لشواهد قرآنية سبقت ، لتدل على أن دلالة تلك الآيات الكريمة مسلمة ، حتى عند من كانت شهرته بالفلسفة أكبر من شهرته بالفقه مثل ابن رشد . ومثله لم يكن ليتابع الأقدمين تقليدا ، ولكن عن بصيرة واقتناع .

ان قوله تعالى (وانزل الله عليك الكتاب والحكمة) نص لا ينبغي ان يغفل عنه مسلم ، في أن السنة النبوية من عند الله ، سواء أكانت وحيا بالفعل ، كما في حادثة المعتمر المتضمخ بالطيب ، أم القاء من روح القدس في روعه صلى الله عليه وسلم ، كما في حديث الأمر بالاجمال في طلب الرزق ، أم اجتهادا منه صلى الله عليه وسلم ، فان الوحي ينبهه الى حكم الله ان لم يصادف اجتهاده حكم الله ، كما في حادثة أسرى بدر .

وحادثة المحرم بعمرة وهو متضمخ بطيب رواها البخاري في مواطن متعددة من صحيحه عن يعلى ابن أمية رضي الله عنه قال . في كتاب الحج — ((بينما النبي صلى الله عليه وسلم بالجعرانة ومعه نفر من أصحابه جاء رجل ، فقال يا رسول الله كيف ترى في رجل أحرم بعمرة وهو متضمخ بطيب ؟ فسكت النبي صلى الله عليه وسله ساعة فجاءه الوحي ... ثم سرى عنه فقال أين الذي سأل عن العمرة ؟ فأتى الرجل ، فقال اغسل الطيب الذي بك ثلا ثمرات ، وانزع عنك الجبة ، واصنع في عمرتك كما تصنع في حجك)) .

وروى الشافعي في الرسالة عن المطلب بنحنطب قال قال رسول الله ((انالروح الامين قد ألقى في روعي أنه لن تموت نفس حتى تستوفي رزقها ، فأجملوا في الطلب)) (٥) وعقب الامام عليه بقوله ((فكان مما ألقى في روعه سنته ، وهي الحكمة التي ذكر الله .)) وبهذا أكد رضي الله عنه تفسيره للحكمة في الآيات الكريمة بالسنة .

---

(١) آية (١٩٤) من آل عمران . (٢) الآية (١١٣) من النساء .

(٣) الفقرة (٩٦) من الرسالة للامام الشافعيتحقيق القاضي المحدث احمد محمد شاكر رحمه الله .

(٤) صفحة ١٤ من المقدمة طبعة الحاج محمد ساسيالمغربي .

(٥) رقم ٣٠٦ في الرسالة بتحقيق وشرح احمد محمدشاكر .

وأما أخذه صلى الله عليه وسلم فى أسرى بدر برأى الصديق من قبول الفدية ، لا برأى الفاروق من القتل ، فهو الذى كان يقضى به العقل الانسانى وتقضى به الرحمة البشرية فى ذلك الموقف ، حتى نزلت آية سورة الانفال . ما كان لنبى أن يكون له أسرى حتى يثخن فىالارض) «(١)» ، وكانت بدر أول موقعة للنبى ظفر فيها بأعداء الله ، ولم يكن صلى الله عليه وسلم يعلم أن لاسراها حكما عند الله خاصا غير حكمه العام الذى نزل بعد فى سورة محمد (فاما منا بعد واما فداء حتى تضع الحرب أوزارها) (٢) أى أن اجتهاده عليه الصلاة والسلام اصاب ووافق حكم الله العام فى أسرى الحرب فى الاسلام ، حين لم يكن فى الامكان ان يصيب موضع الاستثناء الفذ الوحيد من ذلك الحكم العام ،فنزل القرآن ينبه الى حكم الله فى أسرى أول موقعة يظفر فيها الاسلام بأعدائه ليكونوا عبرة لمن خلفهم ، ولتكون الحادثة وما نزل فيها دليلا خالدا على أن القرآن من عند الله لا من عند محمد ، وليكون نزول الحكم مع اقرار ما عمل النبى قبل نزوله مظهرا جليلا لاشراف الوحى على عمل الرسول ، فلا يقر ابدا الا على ما وافق اجتهاد الرسول فيه حكم الله ، ثم ليكون هو الحكم فى مثلها لو استدار الزمان وعاد الموقف . ولقد عاد بالفعل فى فلسطين عام ١٩٤٨ ، ولكن أولى الامر من المسلمين عندئذ لم يعملوا بحكم الله فيه ، ولم يتذكروا او لم يتفكروا فى الوعيد المنطوى فى خطاب الله لرسوله وللمسلمين عقب رفقهم بأسرى بدر ، اذ يقول سبحانه (لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما اخذتم عذاب عظيم) (٣) ، ولازم هذا النص أن من يخطىء حكم الله فى مثلها فلا يثخن فى أعداء الله يصبه من الله عظيم العذاب . وليس أعظم مما اصاب المسلمين فى دير ياسين ، ومن تشريد أهل فلسطين حين لم يثخن المسلمون فى اليهود وقد أمكن الله منهم لاول مرة . ولو أنهم أخذوا فى اليهود حينئذ بحكم الله ذلك ، لما أبقوا على ما كان بأيديهم من الاسرى ، ولما قبلوا الهدنة وجيوشهم على أبواب تل أبيب ، ولقد انتقم الله من أولى الامر الذين عصوه فى أعدائه ، فكانوا سبب تلك النكبة . واذا كان عذابه لم يقتصر عليهم ، فانما كان ذلك مصداقا لقوله تعالى (واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة) «(٤)» . واحكام الله فى كتابه ، هى طبق سنن له سبحانه فى البشر كسننه فى الفطرة ، أو الطبيعة كما يسميها مقلدة الافرنج ، لا تتبدل ولا تختلف . من يخالفها يلق فى الدنيا من سوء العاقبة مالا يشفع له معه حسن نية ولا خطأ ولا نسيان ، وان شفع له ذلك يوم القيامة عند الحساب الا فيما يتعلق بالتبعات وحقوق العباد . يشهد لذلك أن الرسول صلوات الله وسلامه عليه كان لا يصلى على ميت مدين الا اذا حمل احد عنه دينه او كان فيما تركه وفاء . فان لم يكن له أو لم يحمل عنه كان صلى الله عليه وسلم يقول « صلوا على صاحبكم » لان الصلاة على الميت دعاء ، ودعاء النبى مستجاب فامتناعه عن الدعاء للميت فى تلك الحالة دليل واضح أن الميت رهين بدينه ، لا يسقطه عنه الا أداؤه ، ومن باب أولى ما هو أكبر من الدين من التبعات .

هذا كما ترى استنباط وقياس . والقياس ثانى مصدرين للتشريع فى الاسلام ، يقومان باذن الله الى جانب كتابه وسنة رسوله ، ليكون فيهما باب لالتماس حكم الله فيما يجد للمسلمين من أقضية على مر العصور . وأول المصدرين هو الاجماع ، والاجماع والقياس لم يكونا طبعا مصدرين للتشريع الاسلامى الا استنادا الى أصل لهما فى القرآن . وثبوت كل منهما عن طريق نص قرآنى مثال اخر للآية القرآنية تفتح الباب واسعا لاعمال الفكر والعقل اجتهادا فى الدين ، فكأنما هى بذلك قد شملت كل ما قد نتج أو يمكن أن ينتج من أحكام عن طريق الاجماع أو القياس الصحيح .

وكتب الاصول حافلة بالاستدلال عليهما من الكتاب والسنة ، ناهجة النهج الذى افتتحه الامام الشافعى للعلماء فى الرسالة التى اقتبسنا منها ، وسنعود أن شاء الله اليها نقتبس . لكن لما كان ابن رشد فيما نظن أقرب الى قلوب مثقفة هذا العصر فانا نؤثر فى هذا المقام أن نورد ما استدل به من كتاب الله على طريقى الاجماع والقياس ، فانهما هما الوجهان الثالث والرابع من الاوجه الاربعة التي قال ، فيما سبق أن

---

(١) الآية (٦٧) (٢) الآية (٤) . (٣) آية . (٦٨) من سورة الانفال
(٤) الآية (٢٥) من سورة الانفال .

أوردنا من كلامه ، أن بها تدرك أحكام شرائع الدين . قال ابن رشد بعد كلامه على سنة النبى التى هى الوجه الثانى من الاوجه الاربعة . —

(والثالث) الاجماع الذى دل تعالى على صحته بقوله (ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا) «(١)» ، لأنه عز وجل توعد باتباع غير سبيل المؤمنين ، فكان ذلك امرا واجبا باتباع سبيلهم . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا تجتمع أمتى على ضلالة » .

(والرابع) الاستنباط وهو القياس على هذه الاصول الثلاثة التى هى الكتاب والسنة والاجماع لان الله تعالى جعل المستنبط من ذلك علما ، وأوجب الحكم به فرضا ، فقال عز وجل (ولو ردوه الى الرسول والى اولى الامر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم) «(٢)» ، وكلمة (يستنبطونه) لا يزال لها نفس المعنى الذى كان لها عند الوحى لم يتطور بالاستعمال . وأصله استخراج الماء من البئر أول ما تحفر « فأستعير لما يستخرجه الرجل بفضل ذهنه من المعانى والتدابير فيما يعضل » كما يقول النسفى فى تفسيره .

ومن الممكن تلخيص كيف أن القرآن بيان لكل شىء فى الدين ببعض أقوال الامام الشافعى فى الرسالة . قال رضى الله عنه . « فجماع ما أبان الله لخلقه فى كتابه ، مما تعبدهم به لما مضى من حكمه جل ثناؤه ، من وجوه .

فمنها ما أبانه لخلقه نصا . مثل جمل فرائضه فى أن عليهم صلاة وزكاة وحجا وصوما .. مع غير ذلك مما بين نصا .

ومنه ما أحكم فرضه بكتابه ، وبين كيف هو على لسان نبيه ، مثل عدد الصلاة والزكاة ووقتها ، وغير ذلك من فرائضه التى انزل من كتابه .

ومنه ما سن رسول الله مما ليس فيه نص حكم وقد فرض فى كتابه طاعة رسوله والانتهاء الى حكمه . فمن قبل عن رسول الله فبفرض الله قبل .

ومنه ما فرض الله على خلقه الاجتهاد فى طلبه ، وابتلى طاعتهم فى الاجتهاد كما ابتلى طاعتهم فى غيره مما فرض عليهم «(٣)» ، « والاجتهاد القياس » «(٤)» .

عن عمرو بن العاص أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « اذا حكم الحاكم فاجتهد فأصاب فله أجران ، واذا حكم فاجتهد ثم أخطأ فله أجر » (٥) .

ولم يجعل الله لاحد بعد رسول الله أن يقول الا من جهة علم مضى قبله . وجهة العلم بعد الكتاب والسنة والاجماع والآثار وما وصفت من القياس عليها . » ولا يقيس الا من جمع الالة التى له القياس بها ، وهى العلم بأحكام كتاب الله . فرضه ، وأدبه ، وناسخه ، ومنسوخه ، وعامه ، وخاصه ، وارشاده .

ويستدل على ما احتمل التأويل منه بسنن رسول الله ، فاذا لم يجد سنة بها جماع المسلمين ، فان لم يكن اجماع فبالقياس » (٦) .

وقد أفاض رضى الله عنه فى آداب المجتهد وفى شرح كل وجه ذكره بضرب الامثال ، كما أفاض قبل فى وجوب معرفة لسان العرب حتى يعلم العام فى القرآن الذى يبقى على عمومه ، والعام الذى أريد به الخصوص الى آخر ما قال مما وضحه أيضا بالمثل بضربه بعد المثل .

والآن وقد تبينا معنى احاطة القرآن بكل شىء فى الدين كما فهمه وأقره ثقات العلماء ، فلننظر هل القرآن محيط نفس الاحاطة بالفطرة التى فطر الله الكون عليها ؟

والفطرة ، كما سبق أن نبهنا ، هى ما غلب تسميتها بالطبيعة ممن غلبت عليهم ثقافتهم الغربية . فالافرنج يقولون الطبيعة فعلت ، حين

---

(١) آية ١١٥ سورة النساء .
(٢) الآية ٨٣ سورة النساء .
(٣) الفقرات ٥٥ — ٥٩ من الرسالة .
(٤) الفقرة ١٣٢٦ من الرسالة .
(٥) الفقرة ١٣٢٦ من الرسالة .
(٦) الفقرات ١٤٦٨ — ١٤٧٠ من الرسالة .

ينبغى أن يقول المسلم المثقف الله فعل . والكلمة الافرنجية هى Naturé . وقد ذكرت بلفظ (نيتشر) تعريبا لها فيما يبدو فى رسالة السيد جمال الدين الافغانى فى الرد على الدهريين .

والحديث الشريف ينهى المسلم ان ينسب فعل الله الى غير الله ، وهو يأثم أكبر الاثم ان فعل . فقد روى البخارى فى الجزء الاول فى (باب بدء الأذان) عن زيد بن خالد الجهنى رضى الله عنه أنه قال « صلى لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الصبح بالحديبية على اثر سماء كانت من الليل ، فلما انصرف أقبل على الناس فقال هل تدرون ماذا قال ربكم ؟ قالوا الله ورسوله أعلم . قال أصبح من عبادى مؤمن بى وكافر . فأما من قال مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بى كافر بالكواكب . وأما من قال مطرنا بنوء كذا وكذا فذلك كافر بي مؤمن بالكواكب » . وليس بعد هذا الحديث الشريف تشديد فى النهى أن يقال الطبيعة منحت والطبيعة حرمت ، فما النوء الذى كانت العرب تنسب له المطر الا مظهر من مظاهر ما تعود الافرنج أن يسموه بالطبيعة .

وكلمة (فطر) لها فى العربية عدة معان ، منها معنيان مناسبان لموضوعنا هذا ، ذكرهما صاحب القاموس مع ما ذكر .

فطر الأمر . ابتداه وانشاه .

فطر الله الخلق . خلقهم وبرأهم .

فالله فاطر السموات والارض كما وصف سبحانه نفسه فى آيات متعددة - أى مبتدئها ومنشئها وخالقها وبارئها .

ولم ترد كلمة (فطرة) فى القرآن الكريم الا فى آية واحدة هي الآية (٣٠) من سورة الروم . (فاقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون) فهي فى الآية مصدر أضيف الى فاعله وهو الله عز وجل . وليس بعد هذا تكريم وتشريف لفطرة الانسان وخلقته التي يولد عليها كما نطق ، الحديث الشريف . (كل مولود يولد على الفطرة وأبواه هما يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه) أو كما قال صلى الله عليه وسلم . فالآية الكريمة نص فى أن الاسلام جاءت أحكامه طبق سنن الله فى الناس،أفرادا وجماعات ، وسنن الله لا تتغير ولا تتبدل (لا تبديل لخلق الله) . فالفطرة اذن تشمل كل ما يتعلق بالانسان بنص القرآن فى آية سورة الروم . فهذا أول وجه من وجوه احاطة القرآن بالفطرة .

وقد وردت مادة فطر على صيغة الماضى فى آية سورة الروم كما رأيت ، وفى آيات أخر على السنة الرسل فيما قص الله علينا من أنبائهم ، بعضها فيه مفعول فطر ضمير المتكلم الراجع الى النبي المحكية قصته يقيم الحجة على قومه بأنه مخلوق لا يذعن الا للذى خلقه ، ولا يعبد الا الذى فطره ، وفيه اشارة واضحة الى أنهم مخلوقون مثله ، خلقهم الذى خلقه ، فعليهم أن يعبدوا خالقهم وخالقه ، لا الأصنام التي كانوا يعبدون . وعلى هذه الصورة ورد الفعل على لسان نبى الله هود فى الآية (٥١) من سورة هود . (يا قوم لا أسألكم عليه أجرا ، ان أجرى الا على الذى فطرنى ، أفلا تعقلون) وعلى لسان نبى اللهابراهيم فى الآية (٢٧) من سورة الزخرف . (واذ قال ابراهيم لأبيه وقومه انني براء مما تعبدون . الا الذىفطرنى فانه سيهدين) .وبعضها فيهمفعولفطر السموات والأرض أو الضمير الراجع اليهن ، يقيم النبى على قومه حجة أبلغ من الأولى أن الذى فطر السموات والأرض هو الواجب أن يقصد ويعبد لا غيره . وعلى هذه الصورة ورد الفعل على لسان خليل الله ابراهيم فى الآية (٧٩) من سورة الأنعام . (انى وجهت وجهى للذى فطر السموات والأرض حنيفا وما أنا من المشركين) والآية (٥٦) من سورة الأنبياء . (قال بل ربكم رب السموات والأرض الذى فطرهن ، وأنا على ذلكم من الشاهدين) .

البقية على ص ٢٣

٤ محمّد رسول الله وخاتم النبيين

للشيخ على عبد المنعم عبد الحميد
المستشار الثقافى
لوزارة الاوقاف والشئون الاسلامية

عن عبد الرحمن بن صخر رضي الله عنه قال . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((مثلى ومثل الانبياء من قبلى كمثل رجل بنى بيتا فأحسنه وأجمله الا موضع لبنة من زاوية من زواياه فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ويقولون : هلا وضعت هذه اللبنة ، قال : فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين .)) . رواه الشيخان البخارى ومسلم

١ ـ لئن كان لكل أمة ما تفخر به وتعتز ، وما تحرص عليه وتفديه بكل غال ونفيس ، فلأمة العرب ما ليس لغيرها من أمم الارض جميعا ، من مقومات الحضارة الانسانية : تملك هدية الله وهدايته ، اختارها لحمل خير الرسالات : لا ينازعها فى ذلك منازع ، اصطفى منها رسوله ، وبعثه اليها والى البشر كافة بشيرا ونذيرا بين يدى الساعة ، وندبها لتلقى الامانة التى اشفقت منها السموات والارض .

وما كان للهادى والقائد المؤسس بعد أن أكمل الله دينه وأتم نعمته الا أن يلتحق بالرفيق الاعلى فلكل أجل كتاب ، وتلك سنة الله فى خلقه ولن تجد لسنته تبديلا ، والأسس والمبادىء والقواعد وأصول الشريعة هى الباقية ما بقى الزمان : ولكنها لا تنهض بنفسها ، وانما يحملها رجال أمناء يؤدونها لرجال مخلصين : وعلى قدر عظمة الدعوة وقوتها تكون قوة ومكانة القائمين عليها ، كما يتصدى الاعداء والمعاندون والحاقدون ـ وما أكثرهم فى كل زمان ومكان ـ للنيل منها ، ومحاولة هدمها ، يظهرون حين تختفى آسادها ، ويختفون حين تفضحهم شموسها .

٢ ـ وكما قلت فى مقال سبق (لندع ما مضى ونقرؤه تأريخا للعظة والعبرة) .. ولا نغمط السلف حقهم فقد قارعوا الحجة بالحجة ، وحفلت بمناقشاتهم موسوعات خلفوها : وآثار كريمة لازالت هى المراجع الاولى لدى المشتغلين بالعقليات فى العالم .

واليوم دخل النزاع طورا جديدا، وتطورت أسلحة المعركة من جانب الأعداء ، فهاجموا الاسلام باسم الثقافة

والتثقيف ، وأحيانا فى تكتلات سموهـا جمعيات (١) روحية آلى آخر ما هناك.

ولي وقفة قصيرة مع بعض المستفيدين من تراثنا ، الجاحدين لفضله عليهم ، والعادين على رسول الانسانية بغير حق ، تقرأ كتبهم : فلا تصدق مطلقا أنها لعلماء باحثين لأنها لا تصدر الا عن جهل فاضح أو حقد دفين ، فمنهم من يقول. (ان القرآن كتاب مسيحى يهودى نسخه محمد ، وان الاسلام دين مادى لا روحية فيه ، يدعو الى الدنيا وليس الى صفاء النفس والمحبة) (٢) .

فهل يصدر هذا الكلام عن فاقه فاهم للقرآن دارس له ، مقارن بينه وبين الانجيل والتوراة محيط بما فى الكتب السابقة على القرآن كما أنزلت ، أو أن هذا خبط عشواء ، وقىء حاقد أثيم .

وهل حقا أن الاسلام لا روحية فيه ، وأنه يدعو الى المادية ، ويورث العداوات بين البشر ، ويزكى حمية اللون والجنس.

وهل يصدق أن كاتب هذا القول المجافى للحق والبعيد عن الواقع قد أطلع على ما ورد فى القرآن الحكيم من قوله تعالى (ان اكرمكم عند الله أتقاكم) وقوله سبحانه (انما المؤمنون اخوة) وقوله تعالى (فمن عفا وأصلح فأجره على الله) ... (ادفع بالتى هي أحسن فاذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم) .

وهل عرف شيئا من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم . وهل درى ما صدر عنه عليه الصلاة والسلام من الحث على المحبة والتعاطف والتراحم والتواد والتكافل والصفح والغفران ، ألا يكفيه أن يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم (المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده) وأن يقول (ترى المسلمين فى تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الاعضاء بالحمى والسهر) ألم يطالعوا بالذكر الحكيم قول الله تعالى حاثا على موادة غير المسلمين والاحسان اليهم (لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا اليهم ان الله يحب المقسطين) (١) .

هذا نموذج من المبادىء الانسانية الرحيمة التى دعا اليها رسول البشرية ، وطبقها عملا وحكما وقامت على أسسها امة مثالية ذات حضارة وارفة الظلال ، نعم بها المسلمون وغيرهم ممن أظلهم حكم الاسلام فهل تثبت بعد هذا فرية مفتر أو جحود مكابر .

٣ ــ ان حياة رسول الله الشخصية والاجتماعية واضحة كل الوضوح ، وهو فى هذا متميز على كل البشر من لدن آدم الى يوم الدين ، فلم يوجد على ظهر الارض رسول أو مصلح ، أو حاكم عرف تاريخ حياته كله ، ودونت سيرته، وأحصيت حركاته وسكناته ، وتوفر له من أصحابه من تعلقت عيونهم وأبصارهم بشخصه ، كما توفر ذلك لسيدنا ومولانا محمد خاتم النبيين وسيد المرسلين .

ان حياة رسول الله وسيرته لا يغض منها عبث عابث أو جهل جاهل أو حقد حاقد ، ومع هذا فلا توجد شخصية ثار حولها الجدل بالحق والباطل كما ثار حول رسول الله خاتم النبيين ، ولكن الحق دائما يعلو شامخا لا يواريه دجل أو شعوذة ، وقد أحنى الاعداء العقلاء هاماتهم اجلالا لعظمة رسول الله الذى حقق من الاعمال الخارقة فى مدى قصير مالم تشهد له الدنيا مثيلا .

(لقد أنجز محمد فى مدى عشرين سنة ما عجزت عن انجازه قرون من جهود

---

(١) راجع مقال الشيخ الفزالى بنفس العدد

(٢) المبشرون والمستشرقون للدكتور محمد البهى ص ١

(٣) سورة الممتحنة آية (٨) .

المصاحبين اليهود والنصارى برغم السلطة الزمنية التى كانت لهم ، لقد استأصل من بلد كامل تراث أجيال من الوثنية والخرافة والجهل والبغاء والقمار ومعاقرة الخمر واضطهاد الضعيف والحرب الضروس ومثل ذلك من الشرور الاخرى ، وليس فى استطاعة التاريخ أن يدلنا على أى مصلح آخر وفق الى احداث تحول فى مثل هذه الروعة والتمام ، وعلى مثل هذا النطاق الواسع خلال فترة فى مثل هذا القصر ، فلم يكن الاصلاح فى أيما يوم ميؤوسا منه أكثر مما كان عند ظهور الرسول صلى الله عليه وسلم) «(١)» .

(... ولو كان الاسلام الحقيقي معروفا فى أوربا لكان من المحتمل أن ينال — اكثر من أى دين آخر — من العطف والتأييد من جراء روح التدين التى نجمت عن الحرب الكبرى ، فانه والحق يقال يلائم جميع ميول معتنقيه على اختلاف مشاربهم ، فهو ببساطته المتناهية كما يذهب المعتزلة ، وباشتماله على روح التصوف كما يذهب اليه الصوفية — يهدى علماء أوربا واسيا الى الطريق المستقيم ويجدون فيه تعزية وسلوى من غير أن يحول بينهم وبين حريتهم التامة فى آرائهم وأفكارهم) (٢) .

٤ — وفى ختام هذا البحث الذى استغرق أربع مقالات لا نرى بأسا من ايراد صورة مما كان عليه أعداء الاسلام فى أول أمره ، ثم نعقبها ببيان موجز لعمل الاعداء المعاصرين ...

(أ) فى مكة

اجتمع الى الوليد بن المغيرة المخزومى نفر من قريش وتباحثوا فى أى طريق يسلكونها لصد الناس عن الاسلام وعن نبى الاسلام « فقالوا : نقول : كاهن ، قال : لا والله ما هو بكاهن لقد رأينا الكهان ، فما هو بزمزمة الكاهن ولا سجعه ، قالوا : فنقول : مجنون ، قال : ما هو بمجنون ، لقد رأينا الجنون وعرفناه ، فما هو بخنقه ولا تخالجه ولا وسوسته ، قالوا : فنقول : شاعر ، قال : ما هو بشاعر ، لقد عرفنا الشعر كله رجزه وهجزه وقريضه ومقبوضه ومبسوطه ، فما هو بالشعر ، قالوا : فنقول : ساحر ، قال ما هو بساحر ، لقد رأينا السحار وسحرهم فما هو بنفثهم ولا عقدهم ، قالوا : فما تقول ؟ .

قال . ان أقرب القول فيه لان تقولوا : هو ساحر جاء بقول هو سحر يفرق به بين المرء وأبيه ، وبين المرء وأخيه ، وبين المرء وزوجه ، وبين المرء وعشيرته .

وبلغ أشراف قريش من الحرص على عدم ترك انسان يصبأ ما صاروا يراقبون به محمدا مراقبة دقيقة ، وأثرت فى الاخنس بن شريق وفى أبى سفيان وأبى جهل تلاوة محمد للقرآن ليلا ، فذهب الاخنس الى أبى سفيان ، ثم الى أبى جهل ليعرب عن مشاعره ، فقال لابي جهل . « يا أبا الحكم ما رأيك فيما سمعنا من محمد ؟ « فكان جواب أبى جهل عن سؤال هذا الضعيف . « ماذا سمعت ؟ تنازعنا نحن وبنو عبد مناف الشرف ، أطعموا فاطعمنا وحملوا فحملنا ، وأعطوا فأعطينا ، حتى اذا تحاذينا على الركب وكنا كفرسى رهان قالوا : « منا نبى يأتيه الوحى من السماء ، فمتى ندرك مثل هذا ؟ » .

ب — اما اسلحة أعداء الاسلام ورسول الاسلام المعاصرين فتتمثل فى اصدار الصحف والكتب والنشرات المسمومة ، وانشاء المدارس والجمعيات والمؤسسات لمحاربة الاسلام فى بلاد المسلمين دون رقيب أو حسيب ، اللهم الا فى بعض بلاد وعت حديثا ، فأخضعت كل مؤسسة ثقافية

---

(١) حياة محمد ورسالته لمولانا محمد على ص ٦ .

(٢) محمد رسول الله ص ١٦ ترجمة الدكتور عبد الحليم محمود

أجنبية لسلطان الحكومة ، وذلك مظهر كريم من مظاهر سيادة الدولة فحبذا لو سرى هذا فى جميع بلاد المسلمين .

لقد صـــدق اللــه العظيـم حين يقـول ((انا نحـن نزلنـا الذكـــر وانا له لحافظون)) . وقد أخذت مظاهر الفورة الاسلامية فى هذا العصر أشكالا كريمة وأساليب طيبة فهنا فى دولـــة الكويـت الفتية قامت وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية بمجهودات مشكورة لخدمة القضايا الاسـلامية فى مختلف أنحاء المعمـــورة ومدهـــا بالمـــال والمساعدات الفنية .

وكذلك الشأن فى كل بلد اسلامـى ناهض . تكتب الاقلام وتنطق الالسنة وتتعدد الاعمال والانجازات للتمسـك بهذا الدين واعلاء كلمته ونشر محاسـنه ودعوة الناس اليه ، فالجامعات الاسلامية فى أفريقية واسيا منارات هادية ،

والحفاظ عـــلى القـرآن الكريـــم تحفيـــظا وتلقينـــا وأداء اتخـــذ فى هذا العصر صورة مشرفة وحسبـك أنك تستطيع أن تدير جهاز الاذاعـة فى أى لحظة من ليل أو نهار لتسمع آيات الله تعمل عملها فى القلوب وتترك آثارها فى النفـوس .

وليس هذا فحسب فانه وســـط القلاع المعادية للاسلام تقوم الجمعيات وتؤسس الاتحادات من المسلمين للدعوة لدين الله الخالد ، ونحيل القارىء على ما نشر فى هذا العدد من جهود اتحـاد الطلبة فى أمريكا وكندا .

وقد انتشر الاسلام منذ أول عهده بالكلمة الطيبـة ، والدعـوة الكريمـة الحسنة ، والقدوة المثالية الصـالحة فوصل الى أبعد آفاق الارض عن منبته الاصلى (مكة المكرمة) ، ودخل الناس فى دين الله أفواجـا من أقاصي آسـيا وأدغال أفريقيا ، واستراليا ، وبـلاد الامريكيتين بعد اكتشافهما حمله الى هناك تجار مسلمون ورواد آمنوا بربهم وزادهم هدى ، كما لا يزال يحمله فى بقاع الجنوب السائحون المؤمنون وطلاب العلم والتجار أيضا .

وكل العوامل ، والاحوال العالمية التى تظل البسيطة الآن، وما يعترى مجتمعاتها مـن اضطرابات نفسـية ، وفقـــدان للسعادة القلبية ، وبعد عن الراحـــة والرحمة المستمدة مما نزل به الـروح الامين على قلب خير المرسلين ــ كـل ذلك ــ سيدعو الناس حتما الى اللجوء الى اللـه تعالى والبحث عن المسكنات لجنـون الذرة وايقـاف التسـابق فى التسلح، والقضاء على التفريق العنصرى وسوف لا يجـدون البـرد والراحـة والاطمئنان وهدوء البال مشفوعا كـل هذا بسلام دائم الا فى الاسلام وقواعده فهو وحده البلسم الشافى الذى يعالج أزمة الضمير العالمي ، ويستل السخائم من النفوس ويوارى الاحقاد ، ويقضي على كل ما يعكر صفـو الانسانيـة لان مصدره العليم الحكيم القائل (يا أيهـا الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله أتقاكم ان الله عليم خبير) صـــدق الله العظيم .

والخـــلاصة

ان سيدنا محمدا هو رسول اللــه ولا شك وهو خاتم النبيين دون ريب، وأن القرآن والدين كله محفوظ الى أن تقوم الساعة ، ونسأل اللــه أن يقيض للمسلمين الخير ويجمعهم على كلمـــة الحق ويقرب ما بينهم ويحقق فيهم قوله تعالى (واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمت الله عليكم اذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم) .

وأسأل الله جلت قدرته أن يبصرهم بقوله تعالى (ولا تنازعـوا فتفشـلوا وتذهب ريحكم) انه هو السميع العليم نعم المولى ونعم النصير والصلاة والسلام على رسوله وآله أولا وآخرا والحمد لله رب العالمين .

مناهج
التفكير
في
الشريعة
الإسلامية

صورة من الخلاف المنهجي

ابن حزم الظاهرى الاندلسي المتوفي سنة ٤٥٦ هـ ، وابن قيم الجوزية الحنبلى المتوفي سنة ٧٥١ هـ ، كلاهما فارس مغوار من جهابذة الفقه الاسلامي وأعلامه الذين يفخر بهم تاريخ الاسلام .

اشتغل كل منهما بمختلف العلوم الاسلامية ، التي لها تأثير على الفقه والاستنباط ، أو التي تشترط فى تكوين الفقيه المستنبط ، وألف كل منهما فى الفقه وأصوله على طريقة الدرس والتحليل والاستقلال الفكرى . وكل منهما يمتاز بالقدرة على التعبير والتقرير ،وطول النفس فى المناقشة والجدل والتحليل ، وتجد ذلك واضحا فى كتابى ((الاحكام)) و ((المحلى)) لابن حزم ، وفى كتب ابن القيم وفي مقدمتها كتاب ((أعلام الموقعين)) .

وأحب أن أقف قليلا عند كتاب « أعلام الموقعين » لأفيد القراء فائدة هامشية فى تحقيق عنوانه ، قبل أن أدخل فى موضوع هذا المقال .

وذلك أن بعض الناس يقرأ هذا العنوان . ((أعلام الموقعين عن رب العالمين)) ـ بكسر الهمزة فى كلمة ((أعلام)) ، وهذا خطأ ، والصواب هو ((أعلام الموقعين)) ـ بفتحها ـ وذلك لأنه ألف هذا الكتاب وبدأه بذكر أعلام أهل الفتيا ، وهم الموقعون عن الله تعالى، وهو على تشبيههم بمن يوقع على الكتاب الذى يرفع اليه بجملة أو بكلمة تفصح عن رأيه فيما جاء بهذا الكتاب أو هذا العرض ، فالخلفاء والولاة ترفع اليهم ظلامة ، أو مثل ما نسميه بالمذكرة ، فيوقع أحدهم عليها ، أى يذيلها برأيه أو بأمره ، وذلك معروف لأهل العلم بتاريخ أدب اللغة العربية ، حيث يعتبرون التوقيعات بابا من أبواب الأدب العربي ،

في أصول التشريع

بين ابن حز[م] وابن القي[م]

للشيخ محمد محمد المدنى

تعتمد البلاغة فيه على الايجاز والتركيز ، فيقولون مثلا :

تظلم احد أولياء المأمون اليه فى أمر ، فوقع على التظلم بقوله . « من علامات الشريف أن يظلم من فوقه ، ويظلمه من دونه ، فأى الرجلين أنت ؟ » .

ومن توقيعات جعفر بن يحيى فى قصة رجل ادعى النصيحة له ، فوشى ببعض أصحابه ، فكتب جعفر « بعض الصدق قبيح » ــ أى فى الوشاية .

ووقع أيضا جعفر بن يحيى فى قصة مستمنح قد كان وصله مرارا « دع الضرع يدر لغيرك كما در لك » .

فابن القيم اعتبر المفتين موقعين عن رب العالمين ، على ما يرفع اليهم من الاستفتاءات ، فكل منهم يذكر الحكم فيما استفتى فيه ، وهو فى ذلك لا يصدر عن رأيه وحكمه ، ولكن يصدر الفتوى والحكم باسم الله ، وبالنيابة عنه أى عن شرعه ودينه ، اذ المفتى انما هو مبلغ عن الله ، متحدث بالحكم الذى يعلم أن الله حكم به .

أما قول بعضهم « أعلام الموقعين » ــ بكسر الهمزة ــ فلا معنى له يمكن قصده بهذا الكتاب ، فهو لا يعلم الموقعين بشيء عن رب العالمين ، أى لا يفيدهم بشيء يتعلق بصفات الله مثلا ، وهو أيضا لا يضع نفسه موضع من يعلم المفتين قواعد الفتوى وأصولها .

هل الأصل الاباحة أو التحريم

بعد هذا نعود الى ما بدأنا به فنقول :

لقد تحدث كل من « ابن القيم » و « ابن حزم » عن القاعدة التي ذكرناها فى مقالنا السابق **« هل العقود والمعاملات على أصل الاباحة ، حتى يعلم النص على تحريمها ، أو هى على التحريم حتى يعلم النص على اباحتها أو ايجابها ؟ »** .

وقد التزم ابن حزم بالثاني ، والتزم ابن القيم بالأول . ولكى يرى القراء صورة من صور الخلاف بين الائمة فى الأصول التي تنبنى عليها مناهج التفكير ، نعرض فى هذا المقال رأى كل من هذين العالمين الجليلين ، وما استدل به من أدلة أو واجه به أدلة مخالفيه ، ثم نعقب برأينا .

رأى ابن حزم

فأما ابن حزم فقد تناول هذا الموضوع فى اول الجزء الخامس من كتابه «الاحكام» حيث يقول فى ص ٦ من هذا الجزء .

« وأما العقود والعهود والشروط والوعد ، فان اصل الاختلاف فيها على قولين لا يخرج الحق عن أحدهما ، وما عداهما فتخليط ومناقضات لا يستقر لقائلهما قول على حقيقة .

فأحد القوانين المذكورين : أنها كلها لازم حق الا ما أبطله منها نص، والثانى : أنها كلها باطل غير لازم الا ما أوجبه منها نص ، أو ما أباحه منها نص .

هكذا صور ابن حزم الخلاف وحدده ، ثم ذكر أدلة الرأيين، ورجح الرأى الثانى، وهو أن كل العقود والشروط والعهود والوعود باطلة الا ما جاء نص باجازته باسمه .

ويترتب على نظرية ابن حزم هذه أن المسلمين لا يجوز لهم أن يتعاملوا الا بما ورد عن المشرع جواز التعامل به ، فمثلا أنواع الشركات التجارية التي عرفها الفقهاء نقلا عن المشرع ، هي فقط فى نظر ابن حزم التي يجوز التعامل بها ، وليس للناس أن يستحدثوا أى نظام جديد فى الشركات لم يأذن به الله ، وهو بذلك يجعل أفراد الأمة متعبدين بنظام معين فى هذا الجانب ، ليس لهم أن يتجاوزوه ، كما هم متعبدون بنظام معين فى الصلاة مثلا ، أو فى الوضوء ، أو فى الحج ، الى غير ذلك من أنواع العبادات .

ويدلل ابن حزم على صحة نظريته هذه بأدلة منها :

أن الله تعالى يقول « اليوم أكملت لكم دينكم » ويقول : « ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون » ويقول : « ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا خالدا فيها » .

وفى الحديث الصحيح . « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب عشية فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ، ثم قال : « أما بعد فما بال أقوام يشترطون شروطا ليست فى كتاب الله . ما كان من شرط ليس فى كتاب الله فهو باطل . ولو كان مائة شرط . كتاب الله أحق . وشرطه أوثق » .

فهذه الآيات وهذا الخبر براهين قاطعة فى ابطال كل عهد وكل عقد وكل وعد وكل شرط ليس فى كتاب الله الأمر به، أو النص على اباحة عقده، لان العقود والعهود والاوعاد — أى الوعود — شروط ، واسم الشرط يقع على جميع ذلك .

ومنها أن كل شرط أو عقد ليس فى النصوص ايجابه ولا الاذن فيه ، فانه لا يخلو من أحد وجوه أربعة : اما أن يكون صاحبه قد التزم فيه اباحة ما حرم الله ورسوله ، أو تحريم ما أباحه ، أو اسقاط ما اوجبه ، أو ايجاب ما أسقطه ، ولا خامس لهذه الاقسام، فمن ملك المشترط والمعاقد والمعاهد جميع ذلك ، انسلخ من الدين ، ومن ملكه البعض دون البعض ، فهو متناقض يسأل . ما الفرق بين ما يملكه من ذلك وما لم يملكه ، ولن يجد الى هذا الفرق سبيلا .

رأى ابن القيم

وأما ابن القيم فقد تناول هذا الموضوع فى أوائل الجزء الثاني من كتابه « أعلام الموقعين » حيث يقول فى ص ٣٤ من هذا الجزء :

الخطأ الرابع لهم اعتقادهم أن عقود المسلمين وشروطهم ومعاملاتهم كلها على البطلان حتى يقوم دليل على الصحة ، فاذا لم يقم عندهم دليل على صحة شرط أو عقد أو معاملة استصحبوا بطلانه فأفسدوا بذلك كثيرا من معاملات الناس وعقودهم وشروطهم بلا برهان من الله ، بناء على هذا الاصل ، وجمهور الفقهاء على خلافه ، وأن الاصل فى العقود

والشروط الصحة الا ما أبطله الشارع أو نهى عنه ، وهذا القول هو الصحيح فان الحكم ببطلانها حكم بالتحريم والتأثيم ، ومعلوم أنه لا حرام الا ما حرمه الله ورسوله ، ولا تأثيم الا ما أثم الله ورسوله به فاعله ، كما أنه لا واجب الا ما أوجبه الله ، ولا حرام الا ما حرمه الله ، ولا دين الا بما شرعه .... وما سكت عنه فهو عفو » .

وهكذا نرى ابن القيم يستصحب قاعدة الاباحة الاصلية ، فيما لم يرد نص بتحريمه أو حله ، فيعتبره «عفوا» يجوز فعله .

ومع ذلك نرى ابن القيم يتجه الى أخذ الطريق على ابن حزم ومن يرى رأيه ، فيقول بأن النصوص قد صرحت بأن العقود والشروط والمعاملات على الاباحة فيما عدا ما حرمه الله ، بل ان الله تعالى يأمر بالوفاء بالعقود والعهود كلها اذ يقول : «وأوفوا بالعهد» ، ويقول : « يأيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود » « والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون » « والموفون بعهدهم اذا عاهدوا » الى غير ذلك من الآيات ، وفى صحاح الاحاديث . « ان من علامات المنافق . اذا حدث كذب . واذا عاهد غدر . واذا وعد أخلف » وأنه « يرفع لكل غادر لواء يوم القيامة بقدر غدرته ، فيقال : هذه غدرة فلان بن فلان » الى غير ذلك من الأحاديث .

فابن القيم كأنه يقول لابن حزم . على رسلك فنحن نؤمن كما تؤمن بآية « اليوم اكملت لكم دينكم » ونقول ان الدين الذى اكمله الله يأمر بالايفاء بالعقود كلها الا ما حرم الله ، ونحن نؤمن كما تؤمن بصدق قوله تعالى « ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون » ولكن الذى يعمل بمقتضى الامر بايفاء العقود والعهود الا فيما حرم الله ، لا يكون متعديا حدود الله .

ثم يقول لابن حزم فى شأن ما استدل به من قوله صلى الله عليه وسلم « ما كان من شرط ليس فى كتاب الله فهو باطل » .

يقول له : نعم هذا صحيح ونحن نسلم به ولا يسعنا ان ننكره ، « ولكن هذا انما يعرف بعد معرفة المراد بكتاب الله فى قوله « ما كان من شرط ليس فى كتاب الله » ومعلوم أنه ليس المراد به القرآن قطعا ، فان اكثر الشروط الصحيحة ليست فى القرآن ، بل علمت من السنة ، فعلم أن المراد بكتاب الله حكمه ، كقوله تعالى : « كتاب الله عليكم »، وقول النبي صلى الله عليه وسلم : « كتاب الله القصاص» ـ فى كسر السن فكتابه سبحانه يطلق على كلامه وعلى حكمه الذى حكم به على لسان رسوله ، ومعلوم أن كل شرط ليس فى حكم الله فهو مخالف له فيكون باطلا ، فاذا كان الله ورسوله صلى الله عليه وسلم قد حكم بأن « الولاء للمعتق » فشرط خلاف ذلك يكون شرطا مخالفا لحكم الله ، ولكن اين فى هذا أن ما سكت عن تحريمه من العقود والشروط يكون باطلا حراما ، وتعدى حدود الله هو تحريم ما أحله الله ، أو اباحة ما حرمه ، أو اسقاط ما أوجبه ، لا اباحة ما سكت عنه وعفا عنه ، بل تحريمه هو نفس تعدى حدوده » .

ثم يرد ابن القيم على ابن حزم فيما ذكره من تضمن الشرط الذى ليس فى كتاب الله للامور الاربعة المحظورة فيقول له : « لقد فاتكم قسم خامس ـ غير الاربعة ـ وهو الحق ، وهو ما أباح الله سبحانه للمكلف من تنويع احكامه بالاسباب التي ملكه اياها ، فيباشر من الاسباب ما يحله له بعد أن كان حراما عليه ، أو يحرمه عليه بعد أن كان حلالا له ، أو يوجبه بعد أن لم يكن واجبا ، أو يسقطه بعد وجوبه ، وليس فى ذلك تغيير لاحكامه سبحانه فهو الذى أحل وحرم وأوجب وأسقط ، وانما الى العبد الاسباب المقتضية لتلك الاحكام ليس الا ، فكما ان شراء الامة ونكاح المرأة يحل له

ما كان حراما عليه قبله ، وطلاقها وبيعها بالعكس يحرمها عليه ويسقط عنه ما كان واجبا عليه من حقوقها ، كذلك التزامه بالعقد والعهد والنذر والشرط ، فاذا ملك تغيير الحكم بالعقد ملك تغييره بالشرط الذى هو تابع له ، وقد قال تعالى « الا أن تكون تجارة عن تراض منكم » فأباح التجارة التي تراضى بها المتبايعان ، فاذا تراضيا على شرط لا يخالف حكم الله جاز لهما ذلك ، ولا يجوز الغاؤه ... ومحرم الحلال ، كمحلل الحرام » .

هذا وابن القيم يفرق بين العبادات والمعاملات ، فيرى أن الأصل فى العبادات عدم المشروعية حتى يتبين أنها مطلوبة مشروعة ، أما المعاملات فالأصل فيها كما بينا الاباحة حتى يتبين أنها ممنوعة محظورة وقد شرحنا الفكرة فى ذلك شرحا وافيا من قبل .

أما ابن حزم فلا يفرق فيما ذهب اليه بين العبادات والمعاملات ، فكلها فى قاعدته سواء . لا يجوز الحكم بمشروعية شيء منها الا اذا علمت هذه المشروعية عن الله أو رسوله ، ولذلك نراه يسائل من يناقشهم فيقول « ... ونسألهم عمن التزم صلاة سادسة ــ أى غير الصلوات الخمس المشروعة ــ أو حجا الى غير مكة ، أو فى غير أشهر الحج ، وكل هذه الوجوه تعد لحدود الله ، وخروج عن الدين ، والمفرق بين شيء من ذلك قائل فى الدين بالباطل » .

مع ابن القيم

بعد هذا نبدى رأينا فى هذا الخلاف ، فنقول :

ان كلا من الفريقين ــ الفريق الذى يمثله ابن حزم ، والفريق الذى يمثله ابن القيم يقرر أنه لا يجوز لأحد أن يأتي الى عبادة شرعها الله فيسقطها ويزعم أنها غير مشروعة ، كما لا يجوز لأحد أن يشرع عبادة لم يشرعها الله تعالى .

وكلا الفريقين لا ينازع فى أنه اذا كان هناك حكم من الله أو رسوله فى شيء من الأشياء ، أو فى معاملة مسماة معهودة ، فلا يسوغ لمسلم أن يخرج على هذا الحكم فيحرم ما أحله ، أو يحل ما حرمه .

انما الكلام فيما سكت عنه الشرع فلم ينص فيه على حكم بالحل أو بالحرمة ، ولم يدخل فى عموم بالتحليل أو التحريم عرف عن الشارع ، سواء أكان ذلك من قبيل الاشياء والذوات ، أم من قبيل الحقائق المركبة على سبيل المواصفة والمواضعة ، من كل ما يقع عليه التعاقد ، وتتصل به الشروط والالتزامات بين الناس .

وهذا أمر قد فصل فيه كل من الكتاب والسنة . فالله سبحانه وتعالى ينص على أنه عفا عن أشياء فيقول « عفا الله عنها » وقد قال العلماء : ان معنى ذلك أن ما لم يذكره الله فى كتابه فهو مما عفا عنه ، اى سكت عنه وتركه ، فليسكتوا عنه كما سكت الله عنه ، وليعلموا أن فى ذلك توسعة عليهم ، وفتحا لمجال النظر والفهم وتطبيق الأمور على حسب المصالح ، وما يكون من اختلاف الظروف والبيئات ، وفى الحديث الشريف : « ان الله فرض فرائض فلا تضيعوها . ونهى عن أشياء فلا تنتهكوها . وحدا حدودا فلا تتعدوها . وسكت عن أشياء رحمة بكم غير نسيان فلا تسألوا عنها » وفيه أيضا « ما أحل الله فهو حلال . وما حرم فهو حرام . وما سكت عنه فهو عفوه. فاقبلوا من الله عافيته فان الله لم يكن لينسى شيئا » ــ أخرجهما الطبراني عن أبى الدرداء وأبى ثعلبة بسند حسن ــ وليس بعد كلام الله ورسوله كلام لأحد .



ووردت مادة فطر على صيغة اسم فاعل مضافا الى السموات والأرض ، في الآيات التي وردت فيها المادة على هذه الصيغة ، وهي خمس في خمس سور هي حسب ترتيب نزول الوحي بها . فاطر (الآية الاولى) ، ويوسف (الآية ١٠) والزمر الآية (٤٦) ، والشورى (الآية ١١) ، وابراهيم (الآية ١٠) وفي كل دلالة على الله ومظهر للتوحيد غير ما في أخواتها ، ومن عجيب الاحكام والحكمة أن المادة لم ترد في القرآن الحكيم بصيغة المضارع لأن معناها الذى سبق ذكره عن القاموس يحول دون ذلك . فهي تدل على الابتداء والانشاء والبرء وذلك كله قد كان وتم بالفعل . وما تم ابتدأوه وانشاؤه يكون من الخلف والاحالة استعمال مضارع المادة فيه. أما التجدد لا الابتداء غبر عنه بالمضارع في مواطن كثيرة من القرآن كما في قوله تعالى (يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى) في الآية (١٩) من سورة الروم ، وقوله عز وجل (وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فاذا هم مظلمون) الآية (٣٧) من سورة يس .

وأمثال هذه الآيات التي ترشد الانسان الى مواطن البحث والنظر في الفطرة كثيرة في القرآن . وهي فيه أكثر من آيات الأحكام ومجملها مقابل المجمل من آيات الاحكام . وتفصيل هذه موكل بيانه الى النبي صلى الله عليه وسلم بنص الكتاب وتحت اشراف الوحى كما قد رأينا ـ أما تفصيل الآيات الكونية ، آيات ظواهر الفطرة ، فموكول الى أهل العلوم التجريبية ، كالفلك والطبيعة وما اليهما ، تحت اشراف سنن الله المطردة المتسقة في الفطرة ، لأن أهل تلك العلوم يتحاكمون دائما الى التجربة العلمية لمعرفة مدى الخطأ والصواب ، في فروضهم ونظرياتهم التي أدى اليها اجتهادهم في تفسير الوقائع التي كشف عنها البحث في كل ميدان من ميادين العلم التجريبي . وهم في هذا انما يتحاكمون الى سنن الله في كل ميدان من ميادين الفطرة التي شغل العلماء ببحثها . فالحكم في ميادين العلم التجريبي هو عين الحكم في ميادين الدين الاسلامي . هو الله سبحانه فاطر الفطرة ومنزل الدين هدى ورحمة للناس .

وقد أقر الاسلام نتيجة التجريبية العلمية ، فكأنما أقر نتائج العلوم التجريبية كلها . وكيف ؟ على يد رسوله في حادثة تأبير النخل المشهورة التي أساء أكثر الناس فهم الحديث الشريف فيها ((أنتم أعلم بأمور دنياكم)) . فظنوا ألا حكم للدين فيها ، مع أن الله قد حكم باقرار سنته في تثمير النخل التى دلت عليها تجارب الناس المتكررة ، واخلف ظن نبيه ولو شاء لحققه معجزة له . لكن زمن المعجزة الحسية كان قد فات فأهل الحادثة كانوا من المؤمنين وأراد الله أن يشرع للناس في الاسلام الى أبد الدهر تشريعا عمليا . ألا يخالفوا ما ثبت بالتجربة المتكررة من سننه سبحانه في الخلف ، كما ثبت حسن اثمار النخل بالتلقيح . فان خالفوا لقوا من الخيبة ما لقى أصحاب النخل الذين عدلوا عن تلقيحها الثابت بالتجربة اتباعا للظن الذى قال الله عنه (ان الظن لا يغنى من الحق شيئا) .

وكون الظن في الحادثة كان ظن آكرم الرسل وخاتم النبيين أقوى للحكم وأدل على مراد الله من ايجاب اتباع سننه في الكون التي تثبت في الروحانيات والاجتماع عن طريق الكتاب والسنة ، وفي عالم غير الانسان عن طريق العلوم التجريبية ، أو التجربة المتكررة عند الناس .

وفي القرآن الكريم تفصيل بعض الاحكام الدينية في بعض آياته ، يقابلها تحديد في بعض الحقائق الكونية في بعض آياته أيضا . لكن المقام لا يتسع لأكثر مما قد قيل . فلنكتف بهذه المقارنة على اجمال فيها . وعسى أن يكون قد تبين بها ، ولو على وجه الاجمال : أن القرآن الكريم محيط بالفطرة احاطته بالدين بالمعنى الذى قرره العلماء الثقات مثل الشافعى وابن رشد ، والأجلاء من الصحابة مثل عبد الله بن مسعود .

عبرة

من تاريخنا

للاستاذ علي الطنطاوي

كنت اتمنى الا احدثكم الا أحاديثالمكارم والمفاخر ، ولا أقصعليكم الا اخبار النصر والظفر ولكني رجل مؤرخ ، وحياةالامم كحيوات الافراد ، فيها الصفاء وفيها الكدر ، وفيها الاعراس وفيهاالمآتم . ولا اكون امينا على التاريخ ، ولا صادقا فى الرواية ، ولا ناصحا للقارئين ،اذا اريتكم صفاء الماضي دون كدره ، وسردت عليكم مباهجه دون مآسيه ،ولعل العبرة فى الهزيمة اكبر من العبرة بالنصر .

وانا أستجديكم اليوم الدمع ،وأدعوكم الى البكاء لا بكاء ابى عبد الله الصغير الذى ساحدثكم حديثه فهذا بكاءالانذال ، انما اريد بكاء الرجال ، والرجل قد تجيش عاطفته ، ويسيل قلبه دمعامن عينيه ، ثم يمسح الدمعة ، وينسى العاطفة ، ويحكم العقل ، ويمضي الىالعمل فلئن ضاعت منا الاندلس (وسترون لم ضاعت) فقد ابقت لناعبرة ، ولقنتنا درسا .

حديث اليوم عن الفردوس الاسلامي الذى فقدناه ، عن المأساة التي لم ير تاريخنا مثلها ، اللهم الا مأساة فلسطين ، التي ستغدو لنا ان بقينا على غفلتنا وانقسامنا ، اندلسا جديدة ، ولن يكون ذلك ان شاء الله ما دام فى السماء رب عادل ، وعلى الارض شعب مسلم .

الحديث عن ابى عبد الله الصغير ، وعن سقوط الاندلس ، وما هو (مع الاسف) الا اشارات عابرة لتلكم الاحداث الجسام ، وكلمات قليلة عن هاتيكم الفواجع الكثيرة التي ملأت صحف التاريخ اسى وحزنا .

نحن الآن فى أواخر العهد بالاندلس ، فلقد تقلص ذلكالمجد المنبسط ، وانزوت تلك الراية التي كانت ترفرف على اسوار طليطلة وقصور قرطبة ، وعلى سيف البحر من المرية الى برشلونة ، والتي جازت جبالالبرانس (البيرنة)حتىبلغت قلب فرنسا لقد مضى ذلك كله وانقضى ، فلا امية باقية ، تلوح اعلام قوادها وهي على عرش الخضراء فى دمشق ، أو على عرش الزهراء فى قرطبة ، ولا الموحدون تموج (الزلاقة) بفرسانهم الذين ينتزعون النصر من بين فكى الدهر ، لقد ذهبت الدول الحاكمة القوية ، فناد اليوم لا يلبك القائد عبد الرحمن الغافقي

ولا الامير عبد الرحمن الداخل ، ولا الخليفة عبد الرحمن الناصر ، ولا يجبك الملك المظفر اسد الصحراء ابن تاشفين .
وقد ذهبت الامارات القوية ، فما فى البلاد اليوم مثل الحاجب المنصور ولا مثل ابن عباد ، ما فيها الا امارة صغيرة حقيرة فيها عرش صغير حقير ، نخر سوس الخلاف باطنه ، وهدت فؤوس الاسبان جوانبه ، ولا يزال اهله يتنازعون عليه ، ويتقاتلون من حوله ، عرش بنى الاحمر فى غرناطة .. اتعرفون من اين جاءت هذه الامارة التي كتب الله ان يكون ضياع الاندلس على ايديها ؟ .

كانت دولة الموحدين تحكم البلاد كلها ، والموحدون صحراويون أشداء ، لم تكن الحضارة بترفها قد أفسدتهم يوم اقبلوا ولا المدن بنعيمها ، فكانوا ينامون بمثل عين الذئب ، ويكشرون عن مثل انياب الاسد ، كانوا اسود قفر ؛ فانجحرت منهم الذئاب ، وفرت من امامهم ، فلما ذاقوا متع الحضارة ، واستراحوا الى النعيم صاروا طواويس، فأستأسدت من ضعفهم الثعالب .

وخرج عليهم ابن هود ، فاقتطع لنفسه ما استطاع من بلادهم ، وخرج على ابن هود ابن الاحمر ، فانتزع منه ما قدر عليه من بلاده ، وكان الموحدون فى الاصل خارجين على الامامة العظمى فكانت مملكة بنى الاحمر هذه ، مملكة خوارج على خوارج على خوارج .

ولم ينج ابن الاحمر من امراء كانوا اصغر منه ، فخرجوا عليه ، يشترون منه ملكه برأس ماله ، وكان يحميهم الاسبان الذين كانوا يمدون أيديهم ابدا من وراء ستار ، فيضرمون هذه النار ، فلم يجد وسيلة لاستبقاء لذة الحكم ، الا ان يبيع نفسه للشيطان ، ويخضع للاسبان ، ويجعل من نفسه ملكا على المسلمين ، وتابعا لاعدائهم وكذلك يصنع حب السلطان .

وهذه مصيبتنا دائما ، الانقسام وشهوة الحكم .

ثم تتنبه فى نفسه حمية المسلم ، وتستيقظ عزة المؤمن ، فيقطع حبل مودة الاسبانيين ، وتقوم الحرب بينه وبينهم ، ويعينه ملوك المغرب بجامع الاخوة الاسلامية التي لا تنفصم قط عراها ، فينتصر عليهم .

ويتسلسل الملك فى اولاده ، الى العهد الذى احدثكم حديثه ، حين يقوم النزاع على هذا العرش الصغير الذى لا يستحق ان يتنازع عليه غريبان ، فضلا عن ان يتقاتل من اجله اخوان ، ابو عبد الله الكبير المعروف بالزغل ، وابو الحسن والد ابى عبد الله الصغير ، وغلب الاول على الملك ، وان كان الثاني اقوى واحزم وابرع واحكم ، واستهوته حلاوة هذا العسل ، فانسته السم الكامن فى قرارته ، وحمات النحل التي تحوم من حوله ، وغرق فى لذائذه . وكانت له زوجة شريفة عفيفة من بنات عمه اسمها عائشة ، هي ام ولديه محمد وهو ابو عبد الله الصغير ويوسف ، فتركها وعشق فتاة اسبانية بارعة الجمال فاتنة الحسن وارتكب جريمة مثلثة اللعنات .

١ ــ حكمها فى نفسه وقصره ، واطلعها على دخيلته وسره هي وقومها الاسبان اعداؤه واعداء بلاده ودينه .

٢ ــ وظلم من أجلها زوجته الشرعية وجافاها واذلها .

٣ ــ ثم عمل مالا يعمله رجل شريف ،

فحبسها هي وولديها فى البرج وبقيت الحمراء كلها لهذه الاسبانية تمرح فيها هي وأعوانها وتكيد للعرش وصاحبه ، وتخدم قومها الاسبانوهى محمية بعرش الملك المسلم .

وكانت هذه السيدةعائشةامرأة قادرة داهيــة أريبــة فلم ترض لنفسها هــذا المصير ، واعدت العدة للفرار مــن البرج العالي وكاتبت أنصارها ، وهيأتهم للثورة على زوجها، ثم شققت الستائر والملاحف واتخــذت منها حبالا تعلقت بها وولداها وهبطت من البرج .

وبينما كان أبو عبد الله الكبير يقاتــل الاسبان ، ينــازل جيشا لهم جرارا جاء ليقضى على هذه البقية الباقية من دولة العرب فى الاندلس ، كانت عائشة وابنها أبو عبد الله الصغير يقاتلان الملك العربي ، الأب يؤثر لذته على مروءته ويسىء لولده ارضاء لزوجته، والابن يحارب أباه ، وكل ذلك والعدو على الابواب .

هذا العدو الذى لم يكفه ما اقتطع من بلاد العرب ، ولم يكفه ما أراق من دمائهم فهولا يزال لما يرىمن تخاذلهم وانقسامهم وغفلتهم ، يطمع فى القضاء عليهم .

وانتزع ابو عبــد الله الصغير هــذا العرش المنحوس مــن ابيه ، وغلبه عليه ولكن الاسبان جاءوا فأسروا أبا عبد الله الصغير ، وحرموه بر الوالد ، ولذة الحكم

وراحت عائشة تعمل عملها ، تستبيح كل شىء لتنقــذ ولــدها ، لقــد غلبتها عاطفتها فنسيت حقوق الامة وواجبات الدين واحكــام الشرف ، فعرضت على الاسبان معاهدة تخضع البلاد كلها لحكم ملك قشتالة ، ويؤدى أهلها الجزية اليه

بعد أن كانوا هــم الذين يأخــذونها منه معاهدة الذل والخزى والعار ، ومع ذلك فقد تدلل الاسبان وأعرضوا ، وشمخوا بأنوفهم لانه لم يعد يرضيهم وقد رأوا العرب يفقدون سلائق آبائهم ، ؟ وبطولات ماضيهم الا أخذ كل شىء . ولم يطلقوا أبا عبد الله الصغير من الاسر الا بعد ثلاث سنين . ودفعت البــلاد حريتهــا ثمن حريته ، وبذلت كرامتها وحياتها ليتربع على عرشه ـ وعاد وعاد معه الانقسام ، وانشطرت البلاد الاسلاميةشطرين شطر تبع هذا الملك الذى باع نفسه للشيطان كما فعل جده من قبل ، فكان ملكا على المسلمين وعبدا للاسبان ، وشطر بقىعلى الولاء لعمه أبى عبد الله الكبير .

ووقعت الحرب الاهلية،واعان الاسبان صنيعتهم وتابعهم، فطرد عمه وانفرد على هذا العرش الملطخ بالاوضار .

ورحل أبو عبد الله الكبير الى المغرب وكان بطلا مجربا وقائدا حازما اريبا ، ورأى الاسبان انه لم يبق فى الميدان الا هــذا الشاب الضعيف ، أبو عبــد الله الصغير ، فقرعوا طبول الحرب ، واعلنوا أن قد ازفت ساعةطرد العرب مناسبانيا

وكانت عائشة قد أغضبت الله لترضى الاسبان ، والبست قومها الذل والعار ، ليستمتع ابنها بهذه اللعبة الحلوة التي اسمتها (العرش) فلم تستبق العرش . ولا رضا الاسبان .

وكانت المعركة الاخيرة ، وبدأ الهجوم الغادر على القرى المسلمة فى الضواحى فكان منهــا أمثال « دير ياسين » وورد اللاجئــون بالآلاف المؤلفة على غرناطة ، وهاج الناس وماجــوا يفتشــون عــن القائد . والمسلمون مهما قل عددهم ، ونضــب موردهــم وســاءت حالهــم ، وانقطع مددهم ، لا يفقدون بطولتهم ما داموا يجدون القائــد الذى يقودهم فى المعركة الحمراء ـ فلما ظهر هذا القائد

وكان البطل الفارس المغوار موسى بن ابى الغزان ورفع لهم لواء الجهاد ، وسل سيف القتال ، عصفت فى رؤوسهم نخوة العروبة ، وغلت فى دمائهم عزة الايمان واقدموا يدافعون ، ولولا ضعف أبى عبد الله الصغير ، ولولا هذه الحاشية حاشية السوء ، ولولا الانقسام وتدخل النساء فى شؤون الملك ، لبدأت هذه الفئة المجاهدة ، عهدا جديدا فى تاريخ الاندلس ، قد يمتد قرونا أخر ، وما كان طارقا يوم هبط هذه الجزيرة ، أقوى عدة ولا كان أكثر عددا ، ولكن كان جنده اشد اتفاقا وطاعة ، واكثر ايمانا .

لقد ابدى موسى وهؤلاء الابطال المجاهدون من ضروب البطولة ، والوان التضحيات ، ما لم يعرف التاريخ أعظم منه روعة ، واكثر جلالا ، لكن كانت لله ارادة فى العرب والاسبان ، فلم يكن لهذه التضحيات وهذه البطولات ثمرة تقطف من رياض النصر . لقد قر رأى هذا الملك الضعيف العاجز وحاشيته على التسليم وكانت الهدنة .

وعقدوا معاهدة جديدة مع الاسبان ونسوا أنهم كلما عاهدوا عهدا نقضوه . معاهدة ظنوا انهم سيحفظون بها للعرب املاكهم وحريتهم فى دينهم ودنياهم ، فلم يكن منها الا ما حدثكم التاريخ ، وقص عليكم الرواة .

وتلفتوا يفتشون عن نصير ، فلم يجدوا نصيرا ، واستجاروا باخوانهم المسلمين فلم يلقوا مجيرا ، وكان آل عثمان فى اوج سلطانهم ، يحكمون مابين خراسان واسوار فينا ، ولكن لم يلتفت اليهم السلطان سليمان عاهل آل عثمان ، رغم الصرخة القوية التى أطلقها الشاعر الاندلسي ، فدوت فى أرجاء **الارض ولا تزال** تدوى فى أجواء الزمان .

وخرج الملك المسلم ، سليل الابطال ، ليضع بين يدى عدوه امانة القرون التى انتهت اليه ، ليلقى على قدميه بكرامة المسلمين وامجادهم ، ليفتح له عاصمة ملكه ، ويبيحه أبهاء الحمراء ومقاصرها . فلما تلاقيا هم بان ينزل عن فرسه ، مترجلا امام فرد يننـد ، فمنعه من الترجل وتقبل خضوعه واستخذاءه ، ثم حوله الى زوجته ايزابيلا فقدم اليها طاعته وولاءه . وسلمها مفاتيح غرناطة .

وختم هذا السفر الضخم الذى ملاناه مجدا وفضيلة وعلما ، فكانت خاتمته الخزى والعار ، وهكذا تقوض هذا الصرح الذى اقمناه على جماجم ابطالنا ، ونضحنا عليه دماء شهدائنا ، ثم هدمناه بمعاول التفرق والانقسام ، وشهوة الحكم وانتهاب اللذات ، وهكذا انتهت فى لحظة حياة ثمانمائة سنة عاشها العرب فى الاندلس جعلوها فيها شعلة نور ، وروضة زهر وثمر ، على حين كانت اوربة صحراء موحشة ، تائهة تحت سجف الظلام .

وبكى أبو عبد الله بكاء الجبان الذليل فصرخت أمه عائشة : ابك مثل النساء ملكا لم تحافظ عليه مثل الرجال .

ومشى أبو عبد الله حتى اذا بلغ تل غرناطة ، وقف وتلفت ينظر من بعيد الى شرفات القصر الذى كان منزل آبائه وملعب صباه وعرش ملكه فصار لعدوه .

فهو لن يدخل أبهاءه مرة ثانية ولن يمرح فى جناته ، ولن تكتحل عينه برؤية الماء يفور من نوافيره ولن يصافح انفه ريا عبيره .

وأدار رأسه ، ومشى الى الامام يستقبل الآتى المجهول . وغابت عن عينيه ابراج الحمراء الى الابد .

صدق المعرفة ووحدة الوجود

درجات المؤمنين فى معرفة الله متفاوتة الى حد بعيد .
ولا تقبل هذه المعرفة ـ ابتداء ـ الا اذا كانت صحيحة ، مطابقة للواقع .
فاذا شاب هذه المعرفة جهل فاضح كالشرك أو التجسيد ردت في وجه صاحبها ولم تغن عنه شيئا ....
والمعرفة الصحيحة مراتب ، فالذى يعرف ربه معرفة واضحة غير الذى يعرفه معرفة غائمة .
ووضوح الرؤية للغاية المنشودة شىء آخر غير الاندفاع باحساس غامض ونظر مختلط .
والمعرفة العميقة غير المعرفة السطحية ، الاولى تبقى على اختلاف الظروف والاخرى قد تهتز مع الاختبارات العارضة .

والمعرفة الآلفة المستمرة غير المعرفة العابرة المارة .

فقد تعرف انسانا معرفة جيدة ، وتنشغل عنه بأمور كثيرة أو قليلة ، وقد تعرف آخر معرفة صحبة واستقرار ..

والذى يعرف ربه كلما شعر بحاجة اليه ، فاذا انتهت حاجته شغلته نفسه ، غير الذى أنشأ علاقة مع ربه يتعهدها بالتحبب والتردد على ساحته ، فهو موال له معتز بصلته .

والمعرفة الموقنة الناشطة التي تجعل المؤمن يسارع فى الخيرات ، وينهض بالتكاليف غير المعرفة الكسول الوانية التي يصحبها التفريط فى الواجب أو استثقال أدائه .

والمعرفة العاصمة من الدنايا الكابحة للجماح غير المعرفة المنهزمة أمام النزوات ..

والمعرفة المورثة للتوكل على الله فى مواطن القلق والفزع .. غير المعرفة التي تجعل المرء ضارعا للخلق ذليلا أمام أصحاب الحول والطول ..

للشيخ محمد الغزالى

ان الايمان يزيد وينقص ، وآثاره فى النفس والحياة تمتد وتنكمش .

والزيادة والنقصان ليسا فى أصل المفهوم العقلى ، وانما فى كمه وكيفه فالصوت من الفم العادى يتضاعف ألف مرة عندما يمر بمذياع ضخم البوق بعيد الصدى .

والايمان فى بعض النفوس قد يتحول الى حياة تصبغ الشعور والفكر وتهيمن على الحركات والسكنات ، وتجعل صاحبها فى نهار دائم من الأنس بالله والف عظمته .

ومن ثم لا يتفاضل المسلمون فى أصل عقيدة التوحيد . وانما يتفاضلون فيما يبلغه التوحيد فى نفوسهم من أبعاد وآماد .

ومن الجور أن نسوى بين العميق والضحل والمتين والضعيف ..

وأقدار المؤمنين عند الله وحظوظهم من مثوبته تتبع درجات ايمانهم على ما شرحنا ...

واكتمال الايمان يوصل اليه بعد جهاد طويل ، ورياضة متصلة ...

ومن الخير أن نعترف بمدخل العناية العليا فى هذا المضمار ، فان الفالحين يفرسون جميعا لكن حصيلة الثمر فى كف القدر .

وما من جهد يذهب هدرا ، حاشا لله ، فهو القائل « والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وان الله لمع المحسنين » .

والمشكلة ليست فى أن الله جل جلاله يثيب من قصده .. فهو مثيب مجيب .

وانما الذى يجب أن يعرف بحسم أن العبد فى هذا الميدان محتاج الى سعة الفضل لا الى ضمان العدل .

وأن ما يأخذه ان كان أجرا على عمل فلن يعدو المرء مكانه ، أما ان كان تطولا من ذى الجلال والاكرام « فان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم . يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم » .

ولذلك لا يسبق الا فقير متجرد من الدعوى ، متعرض للمنحة ، متطلع الى عطاء المنعم الواسع تبارك اسمه .

واذا أحب الله انسانا رطب بذكره لسانه وانعش به جنانه ويسر له ما يرده اليه ان بعد ، وما يقيمه على الصراط ان شرد .

والدرب الموصل الى الله قد تكفل الاسلام بوصف مراحله ومعالمه ، فليس هناك شيء وراء كتاب الله وسنة رسوله .

الا أن عواطف الايمان قد تهيجها عواطف مشابهة وان اختلف سببها ، وهذه طبيعة البشر اذا غمرهم شعور ما ، فان هذا الشعور قد يجيش فى جوانحهم بعد سكون لأبعد المثيرات .

وتأمل كيف يبكى متمم بن نويره أخاه مالكا .

وقال أتبكى كل قبر رأيته
لقبر ثوى بين اللوى فالدكادك
فقلت له ان الشجا يبعث الشجا
فدعنى فهذا كله قبر مالك ..

وجيشان العواطف المؤمنة عند جمهور العارفين هو الذى جعلهم ينقلون الى ميدان الحق معانى قيلت ابتداء فى مواقف تافهة وصغيرة .

ومن هنا ناجوا الله بقول الشاعر .

ان بيتا أنت ساكنه
غير محتاج الى السُّرج
وجهك المأمول حجتنا
يوم يأتي الناس بالحجج

وهي أبيات من قصيدة فى الغزل ....

وكذلك ناجوا الله بقول الشاعر .

فليتك تحلو والحياة مريرة
وليتك تصفو والأنام غضاب
وليت الذى بينى وبينك عامر
وبيني وبين العالمين خراب
اذا صح منك الود فالكل هين
وكل الذى فوق التراب تراب

وهي أبيات قيلت فى مدح سيف الدولة ..

والحق انه كثير على بشر أن يخاطب بهذه المعانى ، فالله جل شأنه أولى من يناجى بها ..

ولا نريد أن نقف عند تلك الخطرات بل يهمنا أن نصف حقيقة العبودية التىتنضح بهذه المعانى، أو تتجاوب معها ، وحسبنا فى ذلك الكتاب والسنة ..

ان القرآن الكريم ينقل الايمان من ميدان التصورات النظرية المعزولة الى ميدان الشعور الحى المأنوس الواقع ...

ففى مجالسنا حيث نسمر ، أو نجد يجب أن نعد بين الحضور رب العالمين « ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم ولا خمسة الا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر الا هو معهم أينما كانوا » .

وهذا الاحساس بالحضور الآلهى له نتائجه من رغبة ورهبة . والله جل شأنه يريد أن نشعر بهذه الهيمنة الشاملة ، وأن نحسب حسابها فيما نفعل ونترك « وما تكون فى شأن وما تتلو منه من قرآن ولا تعملون من عمل الا كنا عليكم شهودا اذ تفيضون فيه .. » .

وفى الخريف الماضي كنت جالسا وحدى فى حديقة تحت احدى الشجرات ، فسقطت على ورقة جافة ، فتلفت فى مكاني انظر هنا وهناك وعلى لساني قوله تعالى « وما تسقط من ورقة الا يعلمها ولا حبة فى ظلمات الأرض .. » .

قلت لنفسي ان الله ، يعلم بسقوط هذه الورقة الآن ..

وقلبتها بين أصابعى أتأمل فى ظهرها وبطنها ، وأتفرس فى شبكة العروق اليابسة المنتشرة بين الوسط والأطراف .

ومددت بصرى فاذا أوراق كثيرة ساقطة ، ووجدت أنى ان استطعت عد هذه الأوراق الكبيرة فمن المستحيل أن أعد الأوراق الصغيرة تحت الشجيرات الأخرى ..

قلت ذلك وأنا بين بضع شجيرات فى بقعة لا تذكر من أرض الله ، فكيف بما تنفضه رياح الخريف فى القارات الخمس ؟ .

ثم قلت وعلم ذلك أن أعيى العادين فى عصر واحد لكثرته الهائلة ، فكيف باحصاء ما تساقط على مر القرون من بدء الحياة الى منتهاها ؟ .

وأخذتني حيرة وروعة وأنا أتابع سلسلة هذه الصور ، ثم وأنا أمسك مرة ثانية بالورقة الجافة وأتساءل . كيف نسجت مادتها وكيف تمت صباغتها ..

ان الخضرة فى وجهها هذا غير الخضرة فى وجهها الآخر ، ثم ان أطراف الورقة مزخرفة بمنحنيات متناسقة كثيرة .....

وستعود هذه الورقة طينا وتنبثق من ظلمات الأرض مرة أخرى ورقة ناضرة يانعة ... وهي فى كل آن من هذه المراحل فقيرة الفقر كله الى الخالق المصور الذى يتولى ايجادها .

ايجادها وحدها ؟ كلا بل الألوف المؤلفة ، والالوف المؤلفة في كل بستان وحقل ، كان أو يكون .

وعدت أقرأ الآية كلها من جديد « وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو ويعلم ما فى البر والبحر وما تسقط من ورقة الا يعلمها .. » .

والقرآن الكريم مشحون بالمشاهد التي تعلم الناس « مقام الاحسان » والتي تدرجهم فى مراتب العبودية على مقدار طاقاتهم العقلية والنفسية ..

والفقيه فى سيرة صاحب الرسالة صلوات الله عليه وسلامه يدرك أنه بلغ فى عبوديته لله مدى من الاستغراق والاشراق تنقطع دونه همم الخلائق كافة ...

وسنلمح الى ذلك فى مقال تال .

والأساس العقلى للشعور بوجود الله يقوم على ما تقرر فى علم التوحيد من أن اقسام المعلوم ثلاثة « واجب » « ومستحيل » « وممكن » .

فالواجب يستحق الوجود فى ذاته ولا يتصور عدمه .

والمستحيل يستحق العدم من ذاته ولا يتصور وجوده .

والممكن مالا يستحق من ذاته عدما ولا وجودا : وانما وجوده ان وجد ، من واجب الوجود وحده .

والعالم كله ، ما نعرف منه وما لا نعرف ، ما نبصر ومالا نبصر ، من هذا القسم الاخير .

حياته عارية من غيره ، تستوى فى ذلك الجراثيم التى تسكن الوفها المؤلفة رأس ابرة ، والكواكب التى تتهادى فى دارات الفضاء بين شروق وغروب، انها جميعا تستعير وجودها وحراكها ونظامها من الله « الذى أعطى كل شىء خلقه ثم هدى » ..

والشعور بهذه الحقيقة العلمية تجاوب مع الواقع الذى لا ريب فيه .

ولعل ذلك ما أوحى بهذه الابيات التى جرى بها قلم مؤلف لا أذكر اسمه .

الله قل ، وذر الوجود وما حوى
ان كنت مرتادا بلوغ كمال
فالكل دون الله ان حققته
عدم على التفصيل والاجمال
من لا وجود لذاته من ذاته
فوجوده فى الحق محض خيال

ونحن نزكى هذا الاحساس لكنا نلفت النظر الى شطط يعتريه ويفسده .

فمن حق الله الا نغفل عن وجوده ، ومن حقه أيضا ألا نجحد أو نجهل ما أوجد .

بل اننا لن نعرف الله المعرفة الصحيحة الا اذا درسنا العالم الذى خلقه واودع فى تضاعيف هذا الخلق دلائل عظمته ، ومعانى أسمائه الحسنى .

والايمان الذى دعا اليه القرآن الكريم هو ثمرة الدراسة الواعية للكون الكبير وما انبث فى جوانبه من أحياء ...

انك تستطيع أن ترى الله فى كل شىء ، أى تستطيع أن ترى قدرته وابداعه ومجده ، وتستطيع أن تلمح أنه القيم على كل شىء ، فى أغوار الارض وابعاد السماء .

عندما أعلن الاحصاء الاخير لسكان الارض ساورنى خاطر محدود .

هناك أكثر من ثلاثة آلاف مليون انسان يعيشون على ظهر هذه الكرة ، قلت لنفسى . ان الله من وراء ثلاثة آلاف مليون عقل يجرى فيها تيار الفكر بطيئا أو قويا ، ترى فيم يفكر كل واحد من هؤلاء ؟

ومن وراء ثلاثة آلاف مليون قلب تجيش بالرضا أو القلق بالفرح أو الحزن بالرجاء أو اليأس ، ترى ما يشغل كل قلب من هذه القلوب ؟

من وراء ثلاثة آلاف مليون جسد تغلى الحياة فى أعضائها ويجرى الدم فى عروقها وتنقبض وتنبسط بالزفير والشهيق رئاتها .

ما أكثر هؤلاء .. ومع ذلك فالله من ورائهم محيط ولامورهم مدبر وفوقهم قاهر وعليهم قيوم.

هم وحدهم ؟ كلا ، هم والاصول التى انحدروا منها والفروع التى تنشأ عنهم الى ما شاء الله جل جلاله ..

هم وحدهم ؟ كلا .. وعوالم الاحياء الاخرى التى تزحم البر والبحر ، وتنتشر فى ملكوت نجهل منه أكثر مما نعرف « وله ما سكن فى الليل والنهار وهو السميع العليم » .

ما أوضح شىء فى عالمنا هذا ؟ الشمس فى حجمها الضخم ، وما يضطرم فى كيانها من نار ونور ؟

ان الحريق المستعرة فى جوفها وسطحها ترمى

البقية على ص ٤٠

باطل زاهق

محمد يوسف

للدكتور احمد الحوفى
استاذ الادب العربى بكلية دار العلوم

أرأيت الى الوعل الذى ينطح الصخرة ليوهنها فيتكسر قرناه ، ويدمى رأسه ، وتبقى الصخرة صلدة سليمة ساخرة من حمقه ؟

هذا شأن أعداء الاسلام ، وخصوم الحق ، اذ يتوهمون أنهم بسهامهم الطائشة ينالون منه أى نيل .

وكأنما لم يتعظوا بخيبة سابقيهم ، فجاء بعضهم اليوم يتستر فى زى البحث الاجتماعي ، لينفث سمومه من خلاله ، كما فعل ماربون كابلان فى كتاب سماه (دراسة موضوعية للمجتمع الاسلامي) ، وكما صنع روبين ليفى فى بحث سماه (البناء الاجتماعي للاسلام) .

ولقد سلكا ما سلكه غيرهما من خصوم الاسلام ، من تجاهل الحقائق ، وتشويه الوقائع ، وقلب الاوضاع ، والتمويه بقليل من الانصاف لستر كثير من التحامل والاجحاف ، وهذه أمثلة من أباطيلهما :

الخراج والزكاة

زعم الكاتب أن من الاسباب التى يسرت للاسلام أن ينتشر اعفاء من يسلمون من دفع الخراج ، لأن هذا الاعفاء شجع كثيرا من الناس على اعتناق الاسلام ، حتى ان ايراد الدولة نقص نقصا كبيرا ، فلم يستطع الخليفة الأول أبو بكر أن يجنى ثمار الحروب التى أوقد نارها .

ولو أن هذا الكاتب الذى يختفى وراء البحث الاجتماعي ، درس أو أنصف لتكشفت له هذه الحقائق التى تبطل ما زعم .

١ ـ ان المسلمين فرضوا الخراج على أهل الذمة فى مقابل انتفاعهم بالارض ، ومساهمة فيما تنفقه الدولة على الارض وعلى المرافق العامة للشعب من مسلمين وغير مسلمين .

٢ ـ وأن المسلمين كانوا فى تقديرهم للخراج وفى جمعه ، أرحم كثيرا من الفراعنة والبطالسة والرومان والبيزنطيين والفرس .

٣ ـ ثم انهم راعوا فى تقدير الخراج أن يكون على الارض المزروعة ، ونظروا الى عوامل شتى تكفل العدل والرحمة ،مثل خصوبة الارضورداءتها وجودة المحصول وقلته ، وطريقة رى الارض ، وقربها من السوق أو بعدها عنه .

٤ ـ على أن القدر الذى كان يدفعه الذمى عن أرضه المزروعة ضئيل بالنسبة الى المحصول ، وبالنسبة الى ما كانت تجبيه الحكومات غير الاسلامية .

٥ ـ ثم ان المسلم كان يؤدى عن محصوله العشر أو نصف العشر ، بحسب الطريقة التى يروى بها أرضه .

ومع هذا فان أكثر الفقهاء متفقون على أن الارض الخراجية اذا زرعها مسلم ، فعليها الخراج والعشر معا ، أى أن يدفع عنها ضريبتين هما الخراج والزكاة ، ورأى بعض الفقهاء أن الخراج يغنى عن العشر ، وسواء أكان هذا أم ذاك فان الاسلام لم يكن يعفى زارع الارضمنضريبةالخراج، سواء أكان مسلما أم غير مسلم .

٦ ـ وقد كان المسلم مكلفا فوق ذلك أن يزكي عن أمواله الاخرى .

ومعنى هذا كله أن الضرائب التى كان المسلمون يدفعونها أكثر مما كان الذميون يتحملونه .

واذن فلا علاقة بين الخراج وانتشار الاسلام ، بل انتشر الاسلام لاسباب كثيرة ، بعضها راجع الى صفائه ونقائه وسمو تعاليمه ومطابقته للفطرة ، وبعضها راجع الى ما لحق بالديانات الاخرى من تشويه وتحريف واباطيل ، وبعضها متصل بفساد النظم السياسية والاقتصادية والاجتماعية والاخلاقية فسادا ضج منه الناس .

واما ادعاؤه أن اقبال الناس على الاسلام فوت على أبى بكر أن يجنى ثمرات الحروب التى اشعلها فانه ادعاء عجيب .

ذلك أن أبا بكر لم يوقد نار الحروب ، بل كان يدفع المعتدين عليه وعلى الاسلام ، ولم يكن يصح له وهو رئيس المسلمين أن يستسلم للعدوان الداخلى والخارجى ، فلا يسارع الى صده .

وأن الذى يتتبع حروبه فى جزيرة العرب أو فى العراق أو الشام ، يتبين له أن أبا بكر لم يكن يبتغى من ورائها لونا من الاستعمار والاحتلال واستلاب الغنائم والاستئثار بالخيرات ، انما كان يريد أن يلقى القوة المعادية بقوة حامية ، ليكفل للدولة الاسلامية الناشئة الامن والاستقرار، ويمهد للدعوة الجديدة طرقها التى تصل بينها وبين الناس .

الاسلام نظام كامل

وادعى الكاتب أن الاسلام لم يجد ترحيبا فى العالم الغربى ، لأن الاسلام يهيمن على سلوك الفرد فى حياته اليومية ، على حين أن الفرد يستمتع فى الغرب بحرية واسعة فى سلوكه وفى تفكيره .

فما معنى هذا ؟

هل يريد من الاسلام أن يكون عقيدة فحسب ، فلا شريعة ولا قانون ولا عبادات ولا رغبة فى ثواب الله ، ولا خوف من عقابه ؟

انه اذن يريد من المسلمين أن يقنعوا من تدينهم بالانتساب الى الاسلام ، ثم ينطلق كل منهم فى سلوكه الفردى والاجتماعى وفى أعماله الظاهرة والباطنة على ما يهوى ويشاء ، وليس هذا من التدين فى شىء .

ونحن المسلمين نفاخر بأن الاسلام نظم حياة الفرد تنظيما يكفل له الخير كله ، ونفاخر بأن الاسلام يهيمن على سلوك الافراد والجماعات هيمنة تحبب اليهم الخير والحق ، وتبغض اليهم الشر والباطل ، وتصون المجتمع من المفاسد والآثام .

واذا كان عبيد الاهواء والشهوات ، وأسرى الفوضى والانحراف والانحلال ، قد انصرفوا عن الاسلام لانه ـ كما زعم الكاتب ـ يقيدهم بقيوده ،

ويحول بينهم وبين ما يشتهون من شرور وآثام ، فان العيب ليس عيب الاسلام ، بل عيب الراتعين فى الضلال ، الذين يبصرون أضواء الارشاد ، فيغمضون دونها الابصار .

على أنه تناسى أن الغربيين انصرفوا عن الاسلام لأسباب أخرى ، منها أن دعوته لم تبلغهم على حقيقتها اذ أقام رجال الدين والسياسة بين شعوبهم والاسلام حواجز من الاضاليل ، ووسائل التنفير والكذب على التاريخ ، وتشويه الحقائق .

وليس أدل على صدق هذا من أن كثيرا من الغربيين سارعوا الى الاسلام حينما تبينوا حقائقه، ولا مطمع لأحد منهم وراء اسلامه أو دفاعه عن الاسلام ، بل ان اسلامهم يسبب لهم كثيرا من المتاعب وخسارة المال .

ولعل الكاتب ليس فى حاجة الى من يخبره أن عدد الذين يسلمون من الأمم الغربية فى نماء وازدياد .

جهل فاضح

ثم زعم أن الخلفاء الذين جاءوا بعد الثلاثة الراشدين أمهاتهم جوار من الزنوج والترك واليونان .

وهذا زعم مضحك ، لأنه لا يمت الى الصواب بسبب من الاسباب .

فالخلفاء الراشدون أربعة لا ثلاثة ، هم أبو بكر وعمر وعثمان وعلي ، وما كان من حق من يجهل هذه الحقيقة أن يحمل قلما يتهجم به على خاتم الأديان .

ثم ان الخلفاء الذين جاءوا بعد هؤلاء الاربعة عرب خلص من بنى أمية ، وليس فيهم واحد ولدته أم غير عربية .

فهل يرجع الكاتب الى مصادر التاريخ الاسلامى عربية وغير عربية ، ليعلم شناعة جهله بالاسلام ، وتاريخ المسلمين ؟

وليعلم أن الخلفاء الذين كانت أمهات بعضهم غير عربيات هم العباسيون الذين قامت دولتهم بعد الدولة الأموية ؟

ثم ما عيب هذا على فرض حدوثه فى فجر الاسلام ؟

أيعاب الاسلام لأنه سوى بين الناس ، حتى صار الخليفة يتزوج جارية تلد له ابنا يتولى الخلافة من بعده .

أيعاب الاسلام لأنه أباح للمسلم أن يتزوج كتابية تنجب له ؟

ان هذا لعجيب من كاتب يعيش فى زمن يهتف فيه العالم كله بالاخاء والمساواة ، حيث لا اخاء ولا مساواة .

حقوق المرأة

ثم ادعى أن النساء المسلمات كن محرومات من الحرية فى اختيار أزواجهن ، ومن التصرف فى أموالهن .

وهو مخطىء فى الدعويين .

١ — لأن الاسلام يقرر أن تختار المرأة الثيب زوجها بنفسها ، وأن يستأذن الأب أو ولى الامر الفتاة البكر فى زواجها .

وللاسلام طريقة فى الخطبة تكفل للخاطب والمخطوبة أن يلتقيا ، ويرى كل منهما الآخر ، فيقبله أو يرفضه ، فى نطاق من العفاف وصيانة الاعراض والبعد عن الشبهات .

٢ — ولأن الاسلام يبيح للمرأة أن تمتلك وأن تتصرف فيما تملك ، كما يتصرف الرجل ، وقد جعل لها نصيبا مفروضا فى التركة كما يتبين من علم الميراث .

ولعل الكاتب يعلم أن حق الملكية كان محظورا على المرأة العبرية واليونانية .

ولعله يعلم أيضا أن القانون الانجليزى الذى صدر فى القرن الثامن عشر قد حرم المرأة حقوقها المالية كلها تقريبا ، فكانت ثروتها لأبيها ثم لزوجها ، ولم يخولها القانون حق التملك الا منذ سنة ١٨٨٢ م.

وأحب أن يتذكر الكاتب الذى يدرس شؤون المجتمع أن المرأة الفرنسية المتزوجة ما زال محظورا عليها أن تتصرف فى مالها ، الا باقرار من زوجها

وموافقته ، مالم تشترط فى عقد الزواج أن تكون حرة فى تصرفها المالى مستقلة عن الزوج .

فليوازن بين ما خوله الاسلام المرأة منذ أربعة عشر قرنا ، وبين ما تقيدها به القوانين الغربية الحديثة ، ليعلم أنه يخبط فيما ينسبه الى الاسلام .

ادعى الكاتب أنشرف المرأة كان مرهونا بمحافظة زوجها عليها ، ومراقبته لها ، فاذا قصر فى حماية شرفه واستسلمت زوجته لرجل آخر فلا يلومن الا نفسه .

وهذا كلام باطل لانه يريد أن يصور المسلمات متهالكات على الرجال ، فلا يعصمهن من الفحشاء الا رقابة الأزواج ، ويريد أن يصور المسلمين خونة يتحينون الفرص للعدوان على أعراض اخوانهم فى الدين .

ولست أدرى كيف اباح الكاتب لنفسه ان ينكر على المرأة المسلمة حرصها على عفتها ، وصيانتها لرباط الزوجية ، واستنكارها ان يخلو بها رجل غير محرم ؟

والعجيب أنه أراد أن يصم المسلمين بأنهم عبيد شهواتهم ، لا تردعهم التقوى ، ولا يمنعهم خلق كريم من أن يختانوا الأزواج فى زوجاتهم .

وهو فى هذا قد ناقض نفسه أو ناقض زميله ، لأنه ذكر من قبل أن الاسلام يهيمن على سلوك الفرد فى حياته اليومية ، وعزا الى هذه الهيمنة قلة انتشار الاسلام فى أوروبا ، ثم ادعى هنا أن الزوجة تسارع الى رجل آخر اذا قصر زوجها فى مراقبتها .

واذا كان الكاتب يعيب غيرة المسلمين على زوجاتهم ، ولكنه يريد أن يشوهها بهذا التصوير القبيح ، فليعلم أن الغيرة من مقتضيات الاسلام، ومن تقاليد العرب المتوارثة قبل الاسلام ، وانها من دلائل الرجولة والأنفة والحرص على سلامة الأعراض ونقاء الانساب ، وهى فى الوقت نفسه من مظاهر تقدير الرجال للحياة الأسرية ورعايتها واعزازهم للنساء ، والحدب عليهن وصونهن عن الابتذال وعن القيل والقال .

وأحب أن أنبه الكاتب الى أن يدرك البون الشاسع بين مجتمع يغار فيه الرجال على النساء، ومجتمع منحل لا غيرة فيه ، يخادن فيه الرجال النساء متزوجات وغير متزوجات ، ويتعامى فيه الازواج عن زلات زوجاتهن ليتعامين عن سلوك هؤلاء الازواج .

وأحب أن يسأل نفسه أيهما أليق بالانسانية الكاملة أن تعف الزوجة ويغار عليها الزوج ، أم أن تتمادى فى غوايتها ولا يغار عليها الازواج والأقارب ؟ .

الرق المقنع

وزعم - أن النبى - عليه الصلاة والسلام - تقبل نظام الرق دون اعتراض ، واعتبره أساسا فى النظام الطبقى للامة .

ولو كان الكاتب على اثارة من علم الاجتماع الذى ادعى أنه يبحث من أجله لقرر نقيض ما زعم . فقد جاء الاسلام والرق نظام اجتماعى سائد فى العالم كله ، أقرته الأديان والفلسفات ، ولم تحاول علاجه باى دواء .

ولكن الاسلام تفوق عليها كلها تفوقا ليس هنا مجال تفصيله .

ويكفى أن نشير الى أنه وضع النظم وابتكر من الوسائل ما يكفل الغاءه الغاء متدرجا لا يزلزل النظام الاقتصادى والاجتماعى القائم .

فليعلم الكاتب أن الاسلام ضيق مصادر الرق بعد أن كانت لا تخضع لضابط أو نظام .

وليعلم أن الاسلام ابتكر وسائل شتى لتحرير الأرقاء ، وأنه اعترف بأنهم بشر لهم حقوق يجب أن ترعى وتصان ، وانه حض على احسان معاملتهم ، لانهم أعضاء فى أسرة الملاك . وخير له أن يقرأ ما كتب الباحثون فى هذا الموضوع ، ليجد ما يبهره من تشريع عظيم ، سبق به الاسلام ما تشدق به الغربيون من تحرير الأرقاء بعد دعوة الاسلام بثلاثة عشر قرنا .

ثم لينظر الى ما يعانيه الملونون فى امريكا وجنوبى افريقية من مهانة واجحاف وعدوان من

البيض عليهم ، وهم دخلاء على ديارهم ، وسلابون لثروات بلادهم ، ليعلم أن هذا أشنع من الرق ، وأولى بأن تشن عليه الحملات .

قوة الاسلام الذاتية

وادعى الكاتب أن السبب فى انتشار الاسلام هو ارتباط الحماسة الدينية بالطموح الحربى ، بعد وفاة النبى عليه الصلاة والسلام بعامين ، وأن النبى علم العرب أن محاربتهم لأعداء الاسلام حرب مقدسة ، الجنة ثواب من يقتل فيها ، كما فعل الصليبيون فيما بعد حينما حاربوا المسلمين .

وهنا دعويان باطلتان يكذبهما الحق ويبرأ منهما الصدق .

١ ــ أما بطلان الدعوى الاولى فلأن الكاتب يتجاهل تاريخ المسلمين ، فيزعم أنهم لم ينتصروا الا بعد وفاة رسول الله على حين أن نصرهم بدا واضحا منذ وقعة بدر ، واستمر فى مواقع عدة بعدها ، ورسول الله حى يشهد المواقع بنفسه ، حتى دانت جزيرة العرب بالاسلام .

ثم انه يتغافل عن حقيقة لا مجال للشك فيها ، وهى أن الاسلام انتشر بقوته الذاتية الجاذبة ، لا بالقسر والاكراه والاغراء ، فالقرآن الكريم يقرر صراحة أنه لا اكراه فى الدين ، ويخاطب النبى عليه الصلاة والسلام بأنه ليس عليه هداهم ، ولأن تاريخ الفتوح الاسلامية يسجل أن المسلمين لم يجبروا أحدا على أن يسلم ، بل كانوا يتركون الناس أحرارا فى عقائدهم وعبادتهم ، حتى لقد شجعوا المسيحيين واليهود على اقامة الكنائس والبيع .

وليس لباحث أن يتغافل عن هذه الحقيقة ، وهى أن الاسلام كان ينتشر فى فترات فقد فيها المسلمون نفوذهم الحربى والسياسى ، وما زال ينتشر الى اليوم بقوته الذاتية ، ويعتنقه كثير من المفكرين الذين يتعرفون حقيقته .

ويقول السير توماس أرنولد : لقد تصدعت أركان الامبراطورية الاسلامية العظمى ، وتضعضعت قوة الاسلام السياسية ، ولكن غزواته الروحية ظلت مستمرة دون انقطاع ، وعندما ضربت جموع المغول بغداد سنة ١٢٥٨م وأغرقوا فى الدماء مجد الدولة العباسية ، وعندما طرد فرديناند ملك قشتالة وليون المسلمين من قرطبة سنة ١٢٣٦ م ، ودفعت غرناطة ــ آخر معاقل المسلمين فى اسبانيا ــ الجزية للملك المسيحى ، فى هذين الوقتين كان الاسلام قد استقرت دعائمه ، وتوطدت أركانه فى جزيرة سومطرة ، وكان يشق طريقه الى تقدم ناجح فى جزر الملايو .

كذلك يذكر توماس أرنولد ، أن الاسلام اجتذب الى اعتناقه عددا كبيرا من الصليبيين فى القرن الثانى عشر ، وكان فى هؤلاء الذين أسلموا قوادا وأمراء انضموا الى المسلمين فى أوقات انتصر فيها المسيحيون .

ويقول ان ستة من أمراء مملكة القدس اعتنقوا الاسلام بغير أن يضطرهم أحد .

فعلى الكاتب وأمثاله ممن يتهجمون على الاسلام زاعمين أنه انتشر بحد السيف ، أن يتذكروا أن الاسلام قد شق طريقه الى قلوب الغالبين المسيطرين من خصومه ، وهم أصحاب الحول والطول ، أولئك هم الأتراك السلاجقة فى القرن الحادى عشر ، والمغول فى القرن الثالث عشر ، اذ أسرع الفاتحون الغالبون الى اعتناق الاسلام دين المغلوبين .

كذلك نجد دعاة الاسلام الذين لا سلطان لهم ، قد حملوا عقيدتهم الى افريقية الوسطى والصين وجزائر الملايو وغيرها ، فنشروها فى يسر وحسنى .

وعلى هذا الكاتب أن يقرأ ما قاله هوبير ديشان حاكم المستعمرات الفرنسية فى افريقية الى سنة ١٩٥٠ م. وهو فرنسى مسيحى « لم تقم دعوة الاسلام على القسر ، بل قامت على الاقناع الذى كان يتولاه دعاة متفرقون ، لا حول لهم ولا طول الا ايمانهم العميق بالله . وكثيرا ما انتشر الاسلام بتسرب سلمى بطىء من قوم الى قوم ، فاذا اعتنقه السادة تبعتهم القبيلة كلها ، ولقد سهل انتشاره أمر آخر ، هو أنه دين الفطرة سهل التناول لا لبس فيه ولا تعقيد ، سهل التكييف والتطبيق فى جميع الظروف » .

واذن فلا صحة لما ادعاه الكاتب من انتشار

الاسلام بالقوة ، أو انتشاره مصحوبا بحماسة حربية .

٢ ـ وأما الدعوى الثانية فانها لا تقل بهتانا عن سابقتها ، لأن النبى ـ عليه الصلاة والسلام ـ لم يكن داعية حرب ، بل كان داعية سلام ، وكان يؤثر السلام ما وسعته الدعوة والايثار ، فاذا لم يجد بدا من الحرب لحماية العقيدة وصيانة الأرواح ، والدفاع المشروع عن حق الحياة ، اضطر الى الحرب اضطرارا ، فحروبه كلها حروب دفاع لا حروب عدوان .

ومع هذا فقد ضرب أروع المثل فيما سنه من قوانين شريفة فى اعلان الحرب ، وفى مقدماتها ، وفى سيرها ، وفى نتائجها ، وفى معاملة الأسرى ، وفى معاملة المغلوبين ، ليس هنا مجال تفصيلها .

أما تنظير الكاتب بين المسلمين الأولين والصليبيين، فانه تنظير باطل ، لأنه أقامه على أن الصليبيين كانوا يعتبرون المسلمين كفارا ، كما كان المسلمون الأولون يعتبرون مخالفيهم كفارا ، وبنى على هذا التنظير أن المسلمين الأولين والصليبيين كانوا يتهافتون على قتال خصومهم ، وعلى الموت المقدس فى حربهم .

وشتان ما بين المسلمين والصليبيين ، لأن المسلمين اذ كانوا يحاربون المشركين كانوا يرتخصون أرواحهم فى الذود عن عقيدتهم وعن حريتهم ووطنهم فيدفعون عن أنفسهم شرا واقعا أو شرا يوشك أن يقع .

أما الصليبيون فقد كانوا معتدين مستعمرين مخربين حانقين على الاسلام وعلى المسلمين .

وما من باحث يجهل الفرق الكبير بين حرب همجية مبعثها الجشع والحقد والطغيان ، وحرب مشروعة مبعثها الدفاع عن العقيدة والنفس والحرية والوطن .

فليرجع الكاتب الى التاريخ ليتبين أن المسلمين كانوا فى حروبهم ذوى مروءة وشرف ورحمة ورعاية للقيم الانسانية، وليرى أن الصليبيين كانوا يمثلون الوحشية والهمجية والطغيان .

ولن يستطيع بعد الموازنة المنصفة الا أن يمحو هذا التنظير، ويشهد للحروب الاسلامية بأنها سنت من النظم السامية والمثل العالية ما لم تستطع أمة أن تأخذ به نفسها فى القديم ولا فى الحديث .

وأكتفى بأن أنقل للكاتب فقرات مما قاله العلامة جوستاف لوبون .

« لم يكتف قومنا الصليبيون الاتقياء بضروب العسف والتدمير والتنكيل التى اتبعوها فى معاملة المسلمين ، بل عقدوا مؤتمرا اتفقوا فيه بالاجماع على ابادة سكان القدس جميعا من مسلمين ويهود، وقد بلغ عدد الذين أبادوهم فى ثمانية أيام ستين ألفا ،لم يستثنوا منهم امرأة ولا شيخا ولا وليدا ».

وقوله « يدل على سلوك الصليبيين فى جميع المعارك على أنهم من أشد الوحوش حماقة ، اذ كانوا لا يفرقون بين الحلفاء والأعداء والاهلين العزل والمحاربين والنساء والشيوخ والأطفال ، بل ينهبون ويقتلون على غير هدى .

ثم ينقل جوستاف لوبون عن مؤرخين ورهبان شاهدوا بيوتهم ، فيذكر أن الصليبيين كانوا يجوبون الشوارع ، ويصعدون الى سطوح المنازل ، ليرووا غليلهم من التقتيل ، وكانوا يذبحون الاولاد والشبان والشيوخ ، ويقطعونهم اربا اربا ، وكانوا يشنقون أناسا كثيرين بحبل واحد بغية السرعة ، ويبقرون بطون الموتى ، ليخرجوا منها قطعا ذهبية، وكانت الدماء تسيل كالأنهار فى طرقات المدينة المغطاة بالجثث ، وقد ذبحوا عشرة آلاف مسلم فى مسجد عمر بالقدس .

وهكذا يعدد جوستاف لوبون مخازى الصليبيين كما يعددها غيره من ثقاة المؤرخين .

أما بعد ، فلقد كان على المتهجم أن يدرس قبل أن يصوب سهامه المغلولة ، فلعل دراسته تكشف له عن كثير من حقائق الاسلام ، وتجنبه ما تورط فيه من أضاليل وأباطيل ، تنبىء عن جهل أو تجاهل وحقد وبغضاء والاسلام من أباطيله كلها براء .

إشراقة نور

سبح الله ونورُ المشرق
طالع في الأفق حلوُ الرونق
ونسيماتُ الصباح الشيقِ
تتهادى في بحور من ضياء

★★★

ربِّ يا مبدعَ تلكَ الأنفسا
من شعاعِ النورِ يَحْوِي قبَسا
خلقةٌ جلت وطَابت مغرسا
فمن الطينِ ومن ماءِ السماءِ

★★★

تشرقُ الشمس فتحيي الأمَلاَ
وتثيرُ العزمَ في كُلِّ المَلاَ
فتَرَى الورقَ شَداً والبلبُلاَ
يالـه من عمل ضافي البناءِ

★★★

يا لِنفسِ المرء كَمْ من مدع
انكر الحق وقولَ المبدعِ
خَابَ مَسْعَاهُ ومامن مهيع
وثوى في النار من غير انتهاء

★★★

للاستاذ جاسم عبد الرحمن الجاسم
وزارة العدل ـ الكويت

فـــاذا الليـــلُ تَـــدَانَـــى بالظـــــلامِ
واختفَـــى البَـــدرُ سريعـــاً بالغمـــام
وبـــدا النـــائمُ يَغْفُـــو في المَنَـــام
فـــلوجـهِ اللهِ فاكثـــر بالدعـــــاء



نظـــرةٌ لله تَشْفـــى السقَمَـــا
وهـــى للمحـــزون دومـــاً بَلْسَمَـــا
وغـــذا للـــروح طابَتْ مَطْعَمَـــا
يـــا لَهَا بُشْـــرَى لِـــكل السعَـــدَاء



فإلى الخَيْـــرِ فبـادِرْ مُسْـــرِعـاً
ولـدَاعِـــى الحَـــق فاسْمَـــعْ مَنْ دَعَا
فَازَ مَـــن لَبى وللخيـــرِ سَعَـــى
قاصـــداً لله ربِّ الضعفـــاء



فَمَـــعَ النـــاسِ فَـــكُنْ سَهْـــلَ القيـــاد
فَـــاتِحـــاً قَلْبَـــكَ حبـــاً للـــودادِ
ناصحـــاً للحـــقِ موفـــورَ الرشـــادِ
فتنـــالَ الحَمْـــدَ مَـــعْ حُسْنِ الثنـــاء

بقية : صدق المعرفة



باللهب على مسافات هائلة هي بعض مظاهر الجبروت الآلهى فى التكوين .

فهل بعد ذلك يضعف الاحساس بالخالق ويقوى الاحساس بالمخلوق ؟

وحدة الوجود خرافة

ان الشعور بالوجود الآلهى يجب أن يكون حيا غامرا لدى أولى الالباب ..

لكن الكون شىء غير صاحبه ، والعالم شىء غير الله ، ومعرفتنا بالله فيما أوجد لا تعنى أن الوجود هو الموجود .

ومن السخف أن يرتكس الفكر الانسانى فى هذه الحمأة .

ان الآلة شىء غير من اخترعها ، والقصر شىء غير من بناه ..

وقد خلقنا الله وكلفنا ، ورتب على تكاليفه مثوبات وعقوبات ، وأنزل بذلك كتبا وبعث رسلا ...

فكيف نجرؤ على وصفه بالهزل والتزوير فى ذلك كله ؟

ولقد أحصى العلماء العناصر التى يتكون منها العالم ، وقرروا ما لكل عنصر من خصائص لا تزيد ولا تنقص ، فكيف توصف هذه العناصر بعد ذلك بأوصاف الالوهية ؟

ان القول بوحدة الوجود هو ـ عند التأمل ـ نفى للألوهية واثبات للكائنات وحدها ...

فالماء مثلا مادة معروفة وقد شرح الكيمائيون أسلوب وجودها من عنصريها الاساسين .

وهى من قبل ومن بعد لن تكون الا الماء .

فالزعم بأنها ، اله أو جزء اله تخرص علمى سيسقط من تلقاء نفسه ،وتبقى بعد ذلك العناصر وحدها دون أى وصف الهى .

ومن ثم قلنا ـ . ان وحدة الوجود عنوان آخر للالحاد فى وجود الله، وتعبير ملتو للقول بوجود المادة فقط وما دام لا يوجد شىء وراء هذا العالم ، فالقول بأن الله داخله هو صورة أخرى للقول بنكرانه ...

وفلسفة وحدة الوجود، أو خرافة وحدةالوجود تفكير هندى قديم ، والقوم يتصورون أن هذا العالم أزلى ابدى ، وأن الارواح تخرج من أجسادها لتعود فى أجساد اخرى ـ وقد تكون اجساد حيوانات ـ وأن قصة الحياة تدور فى هذا النطاق المحصور ، وتبدأ من حيث تنتهى ، وهكذا دواليك الى ما شاء الله ، والله ـ فى أوهامهم ـ هو هذه العمليات المتكررة .

والغريب أن هذه الوحدة الموهومة قد تسللت الى بعض الديانات السماوية وبين يدى قصيدة لشاعر عربى تصور هذه الاسطورة المنكورة تصويرا تاما ، قال .

عل الوجود هو اللـه الذى اتجهت
هدى النفوس اليه بالعبادات ..
له العوالم أعضاء مرددة
فيها الحياة على بعد المسافات .
وما الاثير وما الاجرام سابحة
فيه ، سوى الدم ، يغلى بالكريات
ما كان قط عن الاشياء منفردا
بل هن فيه لصون الذات بالذات
تعاشق الكل ، من أعلى الشموس الى
أدنى الرمال الى أخفى الذريرات
لو قال كن ، كان للتكميل مفتقرا
وكان فى حاجة الماضى الى الآتى
سر التحول والتكرار مطردا
هذى البدايات من تلك النهايات
رباه أشرق لروح منك منبثق
أما أنا فيك من بعض الخليات . .
حاولت ترويض عقلى فاندفعت به
فى مد حض زيق بالعبقريات
فخذ بكفى ، ولا تغضبك فلسفتى
وعدها لى من بعض الحماقات .

وهذا الذى قاله الشاعر حماقة لا ريب فيها ، ومن حق رب العالمين أن تغضبه تلك الفلسفة السمجة ، وأن يسخط على كل من يعتنقها ويروجها .

ومن العجائب أن بعض المتصوفة من المسلمين قد انزلق الى هذه الهاوية وينسب الى الحلاج قولـه .

سبحان من أظهر ناسوته
سر سنا لاهوته الثاقب
ثم بدا فى خلقه ظاهرا
فى صورة الآكل والشارب
حتى لقد عاينه خلقه
كلحظة الحاجب بالحاجب

وقد دفع الحلاج دمه ثمن هذا الحمق .

ولا أدرى كيف يقول مسلم ، بل كيف يقول عاقل بوحدة الوجود ، ان كان حقا يؤمن بالله ويصدق المرسلين ؟

لو كانت الارض لؤلؤا ومرجانا ما صح أن تكون ذاتا لله ، فكيف وهى الى جانب ذلك حصى وبعر ، ولو كانت زهرا فهناك الشوك ، ولو كانت وفاء وأمانة فهناك الغدر والخيانة ..

ان الصاروخ المنطلق في مداره شىء غير الانسان الذى أطلقه ، كذلك العالم شىء غير الرب الذى أبدعه وسيره « الله خالق كل شىء وهو على كل شىء وكيل . له مقاليد السموات والأرض والذين كفروا بآيات الله اولئك هم الخاسرون » .

وأظننا أوضحنا بعد البون بين الاحاطة الالهية التى يحسها المؤمنون ووحدة الخالق والمخلوق التى يتوهمها الخراصون ..

ثم ان العارفين بالله المشاهدين لقيوميته قد يستغرقون فى حالات من التأمل العميق تطول أو تقصر ، والاستغراق العقلى او النفسى فى امة ما ليس بدعا فى شئون الناس .

وقد يفجؤنى أحيانا أمر من الامور فأحشد له كل ما فى كيانى من انتباه الى أن أفرغ منه .

وللعلماء نوادر فى ذهولهم العلمى وغلبة بحوثهم على تصوارتهم .

وليس مستغربا أن يجتذب الحب الآلهي بعض أولى الالباب فيشغلهم عن ذاتهم ، وينتقل بهم من مآرب الارض الى أشواق السماء ..

الا أن هذه الاصول عوارض لا تصبغ الحياة الانسانية طولا وعرضا .. وهى بداهة لا تنال الا أصحاب السناء الفكرى والنفسى .

أى أنها شارات اكتمال ثقافى وعاطفى فلا يمكن أن يحسها أهل البلادة والقصور ، ان التألق طبيعة الشخصية المتقدة لا الشخصية المعتمة ..

ويبقى أن نتساءل . ما مدى هذا الاستغراق ؟ والجواب ان لحظات الانتباه الذهنى موقوتة بطبيعتها ، فما يزعمه البعض أنه مجذوب طول عمره الى الحضرة الالهية دعوى غير مسلمة .

نعم هناك الوف المؤمنين المتفانين فى مرضاة الله الراغبين اليه البائنين حياتهم وفق مراده ، ولكن ذاك شأن غير ما نحن بصدده .

والمثال العلمى الاكمل للمعرفة التامة والاقبال العظيم على الله يؤخذ من سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فان انتباهه المشدود الى الله تبارك وتعالى ما أوهى حسه بالحياة ولا علائقه بالخلائق ..

ومن هنا فسيرة المجاذيب من المتصوفين الذاهلين عن الوجود المادى ، نعدها نحن حالات مرضية لا أمارات صحة ...

فاذا انضم الى هذا الذهول ما يقال من فناء عن النفس أو فناء فى اللـه ، وما يضيفه الخيال المعتل فى مثل هذه الحالات من صور حلول أو اتحاد ، كل ذلك لا يمكن وصفه الا بانه اختلال فى القوى المعنوية ، أو ضرب من الخيال ..

ان المتفانى فى عشق امرأة لا يحولـه الهيام الى ضلع منها او جهاز فى بدنها ..

والايمان صراط مستقيم لا يتحمـل ذرة من هذا الاعوجاج ....

فى تاريخ القرآن

بقلم الدكتور عبد الصبور شاهين
المدرس بكلية دار العلوم ـ جامعة القاهرة

لا أحد يجهل تلك اللحظة الحاسمة فى تاريخ الانسانية ، لحظة تنزل جبريل الأمين على قلب محمد صلى الله عليه وسلم ، فى غار حراء ، بالخيوط الاولى من شعاع القرآن ، وكانت بداية حملت الى الانسانية تخطيط مصيرها على طريق الحضارة ، التي يجب منذ الآن أن تسلك سبيل المعرفة ، وأن يرتبط مصيرها بمدى ما تبلغه عن طريق المعرفة من انتصارات على المجهول من أسرار الكون . نزل جبريل بالامر العجيب ((اقرأ)) ، وكأنما كان يوجه أمره الى الانسانية كلها ، فى شخص ذلك المتحنث فى غار حراء ، وكأنما كان هذا الامر مفتاحا سلكته السماء فى ضمير الانسانية ، فانفتحت لها مغاليق الكون ، وباح لها بأسراره . ومن يومها والدنيا منطلقة انطلاقا واعيا الى القراءة، فى حركة دائبة لا تهدأ ، لقد استودع الله فى هذا الامر سر التقدم والحضارة ، وجسد فيه معنى الحياة .

واستمر الوحى يتنزل بعد هذه البداية الرائعة ، آية آية ، ونجما نجما ، الى أن اكتمل الدين على مدى ثلاثة وعشرين عاما ، مختوما بتلك الخاتمة ذات المغزى التاريخي . ((اذا جاء نصر الله والفتح.ورايت الناس يدخلون فى دين الله أفواجا.فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان توابا)) .

ولسنا بحاجة الى أن نصف كيفية

نزول الوحي ، فهي موصوفة فى كثير من الاحاديث الصحاح ، وأشبعها علماؤنا تفسيرا ، وانما يشغلنا ابتداء ثلاث مشكلات ، لازمت الوحي على طول زمنه، وهي التي تأثر بها تاريخ القرآن فى أكثر جوانبه .

المشكلات الثلاثة

وأولى هذه المشكلات . مشكلة الخط الذى استخدم فى تسجيل الوحي .

وثانيها . مشكلة جمع ما تنزل من الوحي على عهد رسول الله أولا ، ثم فى عهد الصحابة من بعده .

وثالثها . ما صاحب هذين الامرين من الاعتماد على الذاكرة لحفظ النص عن ظهر قلب ، مخافة أن يتبدل أو يتغير .

فأما المشكلة الاولى فان لها جانبين ، أحدهما . ما يتعلق بتاريخ الخط العربي عموما ، وثانيهما . ما يتعلق بمعرفة النبي صلى الله عليه وسلم لرموز هذا الخط ، وبعبارة أخرى . أكان صلوات الله وسلامه عليه يعرف الكتابة والقراءة أم لا ؟

ولا بد لنا من تناول كلا هذين الجانبين بتفصيل علمي ، بعيد عن التهويمات التي تطلق فى ثوب ألفاظ مبهمة ، وعن الاقاويل التي تورط فيها المستشرقون ، وكل ما أرجوه من القارىء أن يصبر على تناول هذه المشكلة ، فلا يمل ما تحتوى من تفصيلات تبدو قليلة الأهمية ، فكل تفصيل فى هذه المسائل ذو مغزى، ما دام قد ورد من طريق الثقات ، بصرف النظر عن دقته التاريخية .

الخط العربى وتاريخه

وتاريخ الخط العربى ، أعنى نشأته حيث نشأ ، ثم دخوله الى البيئة المكية قبل بعثة النبي صلى الله عليه وسلم ـ قد ورد فى أخبار كثيرة طوال وقصار ، ونحن نورد بعضها هنا ، بحسب الترتيب الزمنى لمراجعها ، ليمكن ان نلحظ ما تنطوى عليه أحيانا من تناقض .

١ ـ فابن أبي داود السجستاني (المتوفي ٣١٦ هـ) يذكر لنا ثلاث روايات .

أ ـ ان المهاجرين تعلموه من الحيرة ، وان أهل الحيرة أخذوه عن أهل الانبار .

ب ـ أن رجلا يقال له بشر بن عبد الملك الكندى تعلمه من الانبار ، ثم وفد الى مكة فى بعض شأنه فتزوج الصهباء بنت حرب بن أمية ، وعلم أباها حرب بن أمية ، وأخاها سفيان بن حرب صناعة الخط ، ثم تعلمه معاوية من عمه سفيان ، وتعلمه كذلك عمر بن الخطاب وسائر قريش .

جـ ـ أن مرامر بن مرة ، وسلمة بن حرزة هم الذين (١) وضعوا هذا الكتاب (يقصد الكتابة) وهم من بولان، قوم من طيء ، كانوا يسكنون بقة (وهي قرية وراء الانبار) (٢) .

وهذه الروايات لا تختلف فى المصدر الاول للخط ، وهو الانبار ، ولكنه يجمل وصف حركة انتقاله من الانبار الى الحيرة ، ثم الى المهاجرين فى الخبر الاول،

(١) نقل عن نص قديم ، ولذا نلتزم تعبيره حرفيا ، وله ولا شك وجه فى الكلام .
(٢) كتاب المصاحف للسجستاني ١/٤ ـ ٥ .

ويفصل فى الخبرين الآخرين امر انشاء الخط فى الانبار ، أو امــر انتقاله منها الى مكة .

فاذا تركنــا السجستاني الى احــد المؤرخين ، وهــو الجهشيارى (المتوفي ٣٣١ هـ) نجــده يبعد كثيرا فى نشــأة الخط العربى ، حيث ينقل رواية عــن كعب الأحبار ان آدم عليه السلام قــد وضــع الكتــاب السرياني قبل موتــه بثلاثمائة عام ، وروى أن ادريس عليــه السلام أول من خط بالقلم بعــد آدم ، وروى أن أول من وضع الكتابة العربية اسماعيل بن ابراهيم ، ثم يعــود ليروى مثــل ما ورد لــدى السجستاني مــع تفصيلات أكثر (١) .

ويأتى ابن النديم (المتوفي ٣٨٥ هـ) فيستبعد ما قاله كعب الاحبار ، ويبرأ الى اللــه منــه ، ربما لأنه أقــرب الى الاسطورة منه الى النظر العلمي ، ولكنه يعود فيرجح أن الله انطق به اسماعيل فى سن الرابعــة والعشرين ، وأن أبناء اسماعيل هم الذين وضعوه مفصلا فيما بعد (٢) .

وهكذا تتراوح روايات القدماء بــين القول بالتوقيف من الله عز وجل ، علمه آدم ، أو أنه مــن صــنع البشر ســواء أكانت النشأة جماعية أم فردية .

المشكلة عند ابن خلدون

ولــم يناقش أحــد فى القديم هــذه القضية مناقشة عقلية غير ابن خلدون (المتوفي ٨٠٨ هـ) ، وهو يربط وجود صناعة الخط وعدمها ، وجــودة الخط ورداءته ، بقانون الحضــارة والبداوة ، فيقول . ((وقد كان الخط العربي بالغا مبالغه من الاحكام والاتقان والجودة فى دولة التبابعة لما بلغت مــن الحضــارة والترف ، وهو المسمى بالخط الحميرى، وانتقل منها الى الحيرة ، لما كان بها من دولــة آل المنذر ، نســباء التبابعة فى العصبية ، والمجددين لملك العرب بأرض العراق ، ولــم يكن الخط عندهم مــن الاجادة كما كان عند التبابعة لقصور ما بين الدولتين ، وكانت الحضارة وتوابعها من الصنائع وغيرها قاصرة عن ذلك ومن الحيرة لقنه أهــل الطائف وقريش .. الخ (٣))) .

وابن خلدون فى هــذا النص عالــم لا يعنيه تحديد اشخاص ، انما هو يتتبع حركة الخط التاريخية من مركز الــى مركز ، الــى ان انتهت الــى قريش ، بوساطــة شخص معين أو غــير معين ، فذلك كله ممكن . ولكن كلامه يدلنا على أنــه يفترض للخط العربي الذى كان الحميري مرحلة من مراحلة تاريخا أبعد مما تصور السابقون عليه جميعا ، فلا شك على هذا ان نشأته كانت قبل دولة التبابعة ، وهي المعروفة فى التاريخ باسم ((الدولة الحميرية الثانية)) (حوالي عام ٣٠٠ ــ ٥٢٥ م) .

وهذا الرأى لابن خلدون يبدو أنــه هــو الذى انتهى اليــه مؤرخــو أوربا ومستشرقوها ، فقد حــدد المستشرق

(١) الوزراء والكتاب ص ١و٢ .
(٢) الفهرست ص ١٢/١٣ .
(٣) مقدمة ابن خلدون ص ٢٩٣ .

الفرنسي جان كانتينو بدء دخول الخط الآرامي الى بلاد العرب ببداية القرن الثالث الميلادى وهو ما فهمناه من حديث ابن خلدون السابق .

هذا عن دخول الخط من حيث هو صناعة الى جزيرة العرب .

الخط فى البيئة المكية

أما دخوله الى البيئة المكية فلا ريب أنه كان متأخرا ، وبصورة فردية بداهة، بحيث كان انتشاره حتى مبعث النبي صلى الله عليه وسلم فى حدود عدة نفر من قريش ، لا يتجاوزون خمسة عشر رجلا ، برغم أنه كان موجودا بالجزيرة قبل البعثة بحوالى أربعة قرون .

محاولة لاكتشاف الخط

لقد حاول المؤرخون أن يتعرفوا ملامح هذا الخط الذى قبسه أهل الجزيرة العربية عن غيرهم من الأمم التي سبقتهم فى مضمار الحضارة ، لكن الجزيرة لم تسعفهم بالدلائل والآثار ، لقد كان ضنها لسبب بدهى هو قلة عدد الكاتبين من العرب فى الجاهلية ، وعدم انتشار فنون النحت والحفر فى تلك البيئة فى ذلك العهد البعيد ، فصوبوا جهدهم الى مجال آخر كانت الحضارة فيه مزدهرة ، هنالك فى روابى الشام ، فوقع لهم كشف هام لنقش (اغريقى ــ سورى ــ عربى فى بلدة زبيد ، مؤرخ بعام ٥١٢م) ونقش آخر (اغريقى ــ عربى) فى حران، الى الجنوب الشرقي من دمشق (مؤرخ بعام ٥٦٨م) ، وهذان التاريخان سابقان على ميلاد النبي صلى الله عليه وسلم . وكان مما لاحظوا فى خطهما تماثل الرموز الدالة على حروف (ب ــ ت ــ ث ــ ن ــ ى) ، دون ان يميز بينها أى رمز اضافي ، كالاعجام مثلا ، كذلك لاحظوا وجود رموز للحركات الطويلة (أعني ألف المد وياءه وواوه) ، على حين عدمت الاشارة الى الحركات القصيرة (الفتحة، والكسرة ، والضمة) ، ويستخرجون من هذا أن صناعة الخط آنذاك كانت شبه بدائية ، فلم يكن قادرا على تمثيل حاجات الفكر أو الثقافة العقلية ، بل كان استعماله مقتصرا على عمليات البيع والشراء ، والتراسل البسيط .

ويستطرد المستشرق الفرنسي رجيس بلاشير فى معرض الحديث عن الخط العربي ليقرر ان الخط لم يكن وحده هو المستعار فحسب ، بل كانت ادوات الكتابة ذاتها مستعارة ايضا . ومن امثلة ذلك . لفظة « قلم » ، (وجمعها. أقلام) فهى مأخوذة أما عن اللفظة الاغريقية « قلموس » ، أو السريانية « قلوما » ولفظة . « قرطاس » وجمعها. (قراطيس) شبيهة بالكلمة الاغريقية (خرطيس) ، والسريانية (قرطيسا). وكلمة « لوح » (وجمعها . ألواح) ليست سوى الكلمة العبرية . (لوح) الواردة فى سفر الهجرة . وكلمة «كتاب» (وجمعها . كتب) يغلب انها من الكلمة الآرامية (كتابا) والافعال . كتب وسطر ونسخ ــ ترجع كلها ايضا الى امثالها فى العبرية او السريانية ، وقد جاءت هذه الالفاظ كلها فى القرآن .

أهداف معلومة

والذين يسوقون هذه الاقوال يهدفون من ورائها الى تقرير « ان صناعة الخط الى جانب أنها لم تكن أصيلة فى الجزيرة كانت هزيلة ، وانها عاشت على هامش الحياة العربية الى أن جاء الاسلام فأعلى من شأنها ، ولكنها خلفت قبل نضجها فى وثائقه نقصها وهزالها ، وكل هذا من أجل القاء ظلال مهزوزة على عملية تسجيل القرآن الكريم » .

والواقع أن الخط ــ كما سبق أن قررنا ــ دخل الى الجزيرة قبل الاسلام بأربعة قرون ، وفرق بين الجزيرة من حيث هي بيئة مترامية الاطراف كثيرة القبائل والشعوب ، وبين مكة التي لم

البقية على ص ٦٥

العالم العربي

في ماضيه وحاضره

بقلم الاستاذ
احمد مظهر العظمة

— ١ —

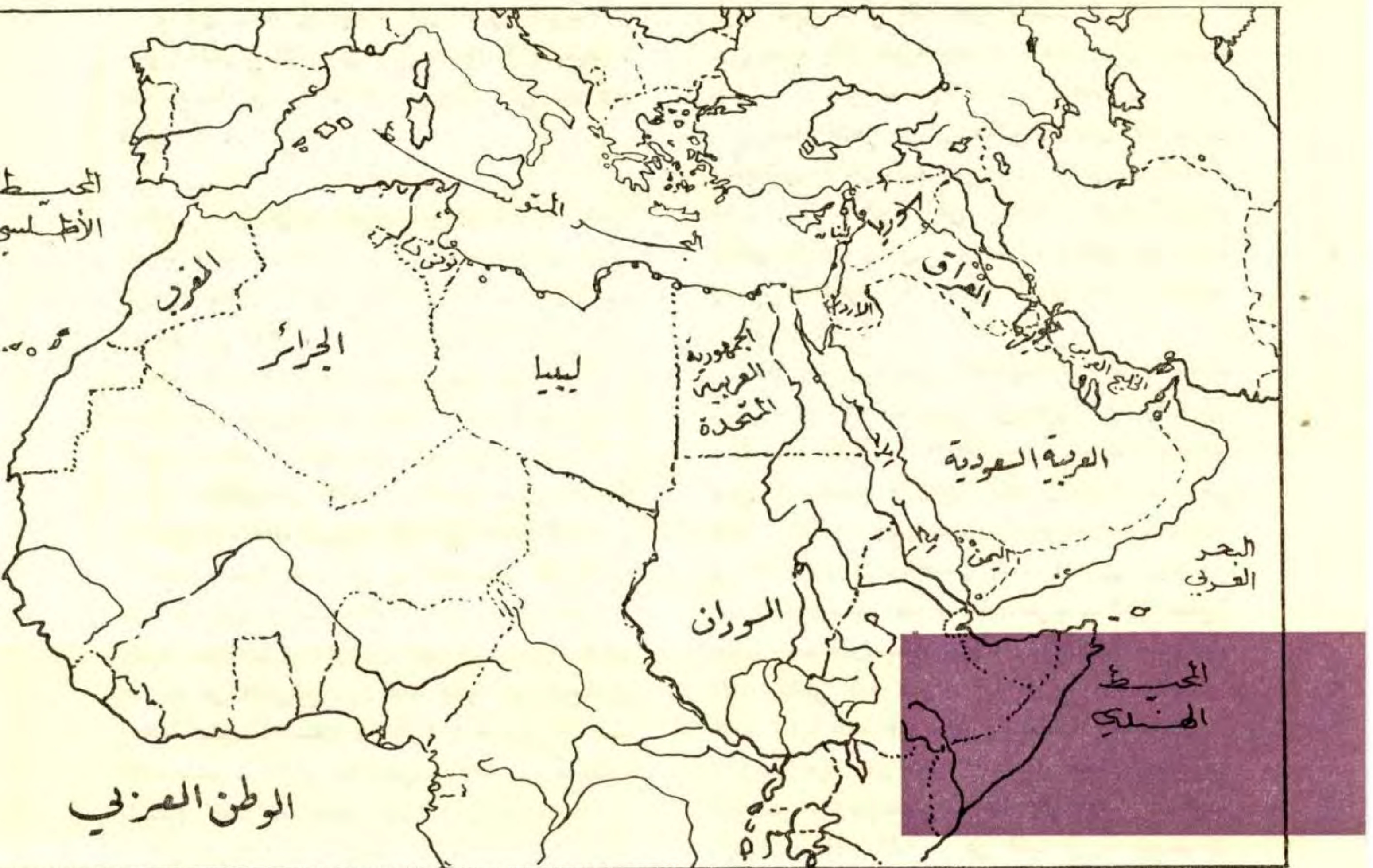
وطن العرب الاكبر الذى الف تجمعهم الاقليمى الاول والأشهر ، الذى استقروا فيه ، هو شبه جزيرة العرب «(١)» ، وقد ازداد هذا الوطن الرحب اتساعا بموطن الهلال الخصيب ، ووادى النيل ، وشمالى افريقية .

والعرب هم أحد الشعوب السامية «(٢)» ، وصفهم أديب العربية الكبير المرحوم مصطفى صادق الرافعى فقال : « وقد أصبحت بقاياهم الضاربة فى بوادى العربية ومصر وسورية لهذا العهد موضع العجب لاهل البحث من علماء الطبائع، حتى أجمعوا على انه لاند لهذا الجنس فى جميع السلائل البشرية ، من حيث الصفات التى تتباين فيها اجناس البشر خلقا وخلقا ، وحتى صرح بعضهم بأن هذه السلالة تسمو على سائر الاجيال ، بالنظر الى هيئة القحف وسعة

---

(١) حددها العلامة الالوسي بأنها من بحر القلزم الى بحر البصرة ، ومن أقصى حجر باليمن الى أوائل الشام بحيث كانت تدخل اليمن فى دارهم ولا تدخل فيها الشام (بلوغ الارب فى معرفةأحوال العرب ج ١ ص ١١) .

(٢) قال ابن خلدون « اتفق النسابون ونقلة المفسرين على ان ولد نوح الذين تفرعت الامم منهم ثلاثة . سام وحام ويافث ، وقد وقع ذكرهم فى التوراة ... فأما سام فمن ولده العرب على اختلافهم، وابراهيم وبنوه صلوات الله عليهم باتفاق النسابين ... والخلاف بينهم انما هو فى تفاريع ذلك أو نسب غير العرب الى سام .. (تاريخ ابن خلدون ج ١ ص ٨ و ٩ ط ١٣٥٥) يشمل هذا الجنس البابليين والسريانيين والعبرانيين والفنيقيين والاراميين والحبشيين والسبئيين والعرب ، وان كان بين العلماء خلاف فى بعض من هددنا ساميا ، كما يختلفون فى الموطن الأصلي للجنس السامي قبل أن يتفرق ويتنوع .. (المفصل فى تاريخ الأدب العربي ج ١ ص ٨ للاساتذة أحمد الاسكندرى وزملائه) .



الدماغ وكثرة تلافيفه ، وبناء الاعصاب وشكل الالياف العضلية والنسيج العظمى وقوام القلب ونظام نبضاته ، فضلا عما هى عليه من ملاحة السحنة وتناسب الاعضاء وحسن التقاطع ووضوح الملامح ، وفضلا عما فى طباعها من الكرم والانفة والاريحية وعزة النفس والشجاعة .

لا جرم كانوا اهل هذه اللغة المعجزة التى ناسبتهم باوضاعها فى معانى التركيب ، حتى كانما كتب لها أن تكون دين الالسنة الفطرى ، لتصلح بعد ذلك أن تكون لسان دين الفطرة ((١)) .

ثم قال . (مما لا يمترون فيه أن العربية كانت أبعد آفاق التاريخ التى أضاء فيها كوكب الحضارة المشرق ، وقد تحققوا ذلك بما اكتشفوه سنة ١٩٠١ للميلاد فى بلاد السوس من آثار دولة حمورابى ، وهى المسلة التى دونت عليها الشريعة البابلية فى ٢٨٢ نصا ، وما ثبت لهم من أن هذه الدولة عربية ، وهى تبتدىء سنة ٢٤٦٠ ق.م ، وبهذا الاكتشاف قضى للجنس العربى أنه أسبق الامم الى وضع الشرائع ، وأنه بلغ طبقة عالية فى الحضارة سقطت دونها الشعوب القديمة ، بل يذهب الاستاذ صموئيل لا ينج فى كتابه (أصل الامم) الى أن الساميين استوطنوا بلاد العرب ، وانهم حيثما وجدوا فى غيرها فهم غرباء : وأن تقدمهم فى الحضارة مفرق فى القدم ، ربما كان زمن تحول العصر الحجرى ، فتحولوا يومئذ عن الصيد والقنص الى الزراعة والصناعة ، وهو يشير بذلك الى الدولة المعينية التى جاء ذكرها فى سفر الاخبار الثانى ، الاصحاح ٢٦ عدد ٧ .

وقد عثر الباحثون على أمة بهذا الاسم ،ذكرت فى أقدم آثار بابل سنة ٣٧٥٠ ق.م على نصب من انصاب النقوش المسمارية ((٢)) .

(١) تاريخ آداب العرب للرافعى ج ١ ص ٣٤ يشير بذلك الى العناية الالهية التي أعدت اللغة العربية لتكون لغة الاسلام قرآنه وحديثه .

(٢) تاريخ آداب العرب ص ٣٧ .

ثم قال . « وبالجملة فان اصل العرب من أصول التاريخ الانسانى التى الحقها الله بغيبه ، فلا يجليها لوقتها الا هو ، وفوق كل ذى علم عليم . » ..

— ٢ —

لعل أظهر مزايا العرب بيانهم ، وبه سموا العرب (فانه مشتق من الابانة ، لقولهم أعرب الرجل عما فى ضميره اذا أبان عنه ... والبيان سمتهم بين الامم .) «(١)» ومعلوم أن البيان ليس بضاعة لسان ، الا اذا كانت الكهربا ثمرة أسلاك ، فهو مكنون فكر وخاطر وجنان ... فاذا أضفت الى بيان العرب مالهم من ذكاء وبداهة وفراسة ، وما فى طباعهم من الكرم والعزة والاريحية والشجاعة ، فقد صورت قوما فى مقدمة الاقوام .

ولعل أسوأ مساوئهم فى جاهليتهم ما كانوا عليه من شرك ووثنية «(٢)» ، ومن عصبية عمياء . وشبه معذرتهم فى الاوليين أنهم لم يكونوا مكلفين بشريعة من الشرائع ... فقد كانوا بين اسماعيل ومحمد عليهما السلام فى فترة تزيد على ثلاثة آلاف سنة ، اذ أن دعوة موسى وعيسى عليهما السلام كانتا مختصتين ببنى اسرائيل «(٣)» .

قال سبحانه . « لتنذر قوما ما أنذر آباؤهم فهم غافلون » يس . (٦)

وقال تعالى . (يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية) آل عمران (١٥٤)

وقال سبحانه وتعالى (والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى) الزمر (٣) .

يعنون الاوثان الذين أشركوا بها .

أما العصبية الذميمة فهى تلك الحمية التى تكون من فرط الشعور بالانفة والاستكبار ، ومما جاء فى القرآن الكريم اشارة الى ذلك قوله تعالى . (اذ جعل الذين كفروا فى قلوبهم الحمية حمية الجاهلية) الفتح (٢٦) وفى السنة الشريفة قول النبى صلى الله عليه وسلم لابى ذر : حين سب بلالا فعيره بأمه . (انك امرؤ فيك جاهلية ، أخوانكم خولكم ...) «(٤)» .

ووصف جعفر بن أبى طالب (رضى الله عنه) للنجاشى ما كان عليه العرب مما يتصل بما قدمناه فقال . (كنا قوما أهل جاهلية ، نعبد الاصنام ونأكل الميتة ، ونأتى الفواحش ، ونقطع الارحام ، ونسيىء الجوار ، ويأكل القوى منا الضعيف ..الخ) (٥) .

وقد أدت عصبيتهم القبلية الى معارك كثيرة بينهم ، أو أيام كما نعتها المؤرخون ، فعشرات من (الايام) كانت بين القحطانيين أنفسهم ، وبينهم وبين العدنانيين ، وبين ربيعة وتميم ، وبين قيس وكنانة ، وبين قيس وتميم ، وبين ضبة وغيرها . وروى صاحب (كشف الظنون) وغيره أن أبا عبيدة قد ألف فى أيام العرب — كتابا صغيرا حوى خمسة وسبعين يوما ، واخر كبيرا جمع فيه ألفا ومائتى يوم ، وأن أبا الفرج الاصفهانى ألف كتابا جمع فيه ألفا وسبعمائة يوم (٦) .

وكان من آثار هذه العصبية فقدان العرب الاندلس ، ونكوصهم — كما قال الامير شكيب أرسلان رحمه الله — عن قلب أوربة بعد أن وطئوه بأقدامهم، وكادوا يستولون على تلك القارة. وقد كانوا كلما تم لهم الظفر فى واقعة على الاجانب، عادوا فاقتتلوا فيما بينهم بين قحطانى ومضرى ، ففشلوا وذهبت ريحهم (٧) .

واذ لم يكن للعرب دين يذكرهم الاستقامة الحقة، فلا عجب اذا كان فيهم مثل وأد البنات (لفرط غيرتهم) وشرب الخمرة ، ولعب الميسر ، والربا ، والزنى ، والامية (٨) ، واغفال الصناعة .

ولكن الذى ينبغى ألا يفوتنا التذكير به هو أن الاقوام الاخرى كانت لها حينئذ مساوىء لا تقل عما كان للعرب منها ، وكثيرا ما تربو عليها ، وان كثيرا من مآثر العرب لم تبلغها الشعوب الاخرى،

---

(١) بلوغ الأرب ج ١ ص ٨ .
(٢) راجع اديان العرب للاستاذ نعمان الجارم .
(٣) بلوغ الأرب ج ٢ ص ٢٨٦ .
(٤) صحيح البخارى .
(٥) السير النبوية لابن هشام ج ١ ص ٣٠٤ — ٣٠٥ وقد فصلنا الكلام فى العقلية العربية فى كتابنا (حضارتنا) ص ٤١ — ٥٠ .
(٦) أيام العرب فى الجاهلية للأستاذ محمد أحمد جاد المولى وزميليه ، صفحة ك .
(٧) ملحق الجزء الاول لتاريخ ابن خلدون ص ١٦ .
(٨) ذكر البلاذرى فى فتوح البلدان ص ٤٧١ أنه دخل الاسلام وفى قريش سبعة عشر رجلا يكتب ، وقد أشرنا الى ذلك والى دعوة الاسلام التعليمية فى كتابنا (الثقافة العربية) ص ٧ — ١١ .

ولم تطمح ببصرها اليها ، وان تغافل عن ذلك الشعوبيون ، فتحاملوا على العرب حقدا ومكرا وثأرا ، لانهم خفضوا بالفتح الاسلامى العربى أعلامهم ، وأزالوا سلطانهم .

— ٣ —

ورث العرب بعض مواقعهم (فى جزيرتهم) وغنموا بعضها بعد استقرارهم بما بلغوه بهجراتهم (١) وبالفتح العربى الاسلامى المبين ، فتح الهداية والمعرفة والحضارة ، فأصبحت بيئاتهم تؤلف موطنا فذا فى جملته بقلب العالم القديم ، يمتد من حدود ايران والخليج العربى شرقا الى ساحل المحيط الاطلسى غربا ، ومن جبال طوروس على حدود تركيا شمالا الى بحر العرب ومنابع النيل والصحراء الكبرى جنوبا . هذا الوطن الغالى المترامى الاطراف تلتقى عنده قارات ثلاث هى اسيا وأوروبا وافريقية ،التى كان لكل منها دورها الخاص بتاريخ البشرية ،ويمتد من سواحله من الشام بحر قديم كان مهدا لكثير من مظاهر المدنية القديمة والحديثة هو البحر الابيض المتوسط ، الذى امتاز بهدوء مياهه ، وانتظام ريحه ، وانتشار جزره وكثرة تعاريج سواحله وخلجانه ، حيث قامت المرافىء والموانىء منذ أقدم العصور . كذلك يتوغل فى هذا الشرق العربى من الجنوب ذراعان للمحيط الهندى والبحر العربى ، هما البحر الاحمر والخليج العربى ..

والحق أن هذا الشرق العربى فى جنوب غربى اسيا وشمال شرقى افريقية قد لعب بموقعه الجغرافى دورا خطيرا فى تاريخ الاتصالات العالمية ، وتاريخ البشر بوجه عام ، وساعده على ذلك أنه كان مهدا لكثير من الحضارات القديمة فى مصر وبلاد الشام وسومر وبابل واشور وعمان وبلاد اليمن ، انشئت فيه عدة امبراطوريات امتد نفوذها وسلطانها الى الشرق أو الغرب أو الى الاثنين معا . وكان فوق ذلك مهبط الديانات السماوية الثلاث ، فيه نشأت ومنه انتشرت ، ومبعث كثير من ألوان الفكر والثقافة العلمية التى بقيت على الزمن .

ولو أننا نظرنا الى تاريخ الانسانية المكتوب وحسبنا أنه يمتد خلال خمسة آلاف عام أو نحو ذلك ، لكان من الطريف أن نذكر أن هذا الاقليم الذى نحن بصدده — أو أجزاء منه على أقل تقدير — كان مركز القوة السياسية الاول ، ومبعث الثقافة والعلم والمعرفة الانسانية ، خلال ما يقارب ثلاثة ارباع تلك الفقرة .

ولو قيست أهمية أقاليم وجه الارض فى تاريخ البشر بطول الحقبة التى كانت فيها كل منها مركز السلطان ، ومبعث المعرفة ، لكانت لهذا الاقليم المكانة الاولى بين الاقاليم . ولعل من الخير والانصاف أن نتمثل هذه الحقيقة البسيطة أمام أعيننا ، حتى لا يضلنا تغييرالظروف والاحوال فى الوقت الحاضر والزمن الذى نعيش فيه فلا ندرك أهمية اقليمنا ، ولا نقدر مكانته العالمية على وجهها التاريخى الصحيح .) (٢)

أقاليم وشعب واحد

(تحجز بين البلاد العربية بعض الحواجز الطبيعية كالصحارى ، وذلك مما سبب انقسامها الى مناطق وأقاليم ، وهى .

١ — منطقة بلاد الشام ، وتشتمل اليوم على سورية ولبنان والاردن وفلسطين .

٢ — منطقة العراق .

٣ — الجزيرة العربية ، وتشتمل على المملكة العربية السعودية (نجد والحجاز) واليمن وامارات الجنوب العربى والكويت وقطر والبحرين وعمان .

٤ — وادى النيل ، ويشتمل على مصر والسودان .

٥ — المغرب العربى ، ويشتمل على ليبيا وتونس والجزائر والمملكة المغربية .

وللبلاد العربية فوق هذا امتدادات فى جنوب المغرب العربي وجنوب السودان وعلى سواحل افريقية الشرقية .

ولكن هذه المناطق والاقاليم على تعددها وتنوعها يسكنها شعب يشترك فى جميع مقوماته الاساسية

(١) راجع تفصيل ذلك فى (الوطن العربى) للأستاذ أنور الرفاعى ص ١٦ — ٢٠ وتاريخ غزوات العرب للأمير شكيب أرسلان .

(٢) العالم العربى لجماعة من الباحثين ص ١٤٢ — ١٤٣ من كلمة فى الجامعة العربية وأسسها الجغرافية والتاريخية .

فى الحياة ، وليس الاختلاف بينها بأكثر من الاختلاف بين اقاليم البلاد الاخرى ، ومناطقها فى تنوع اللهجة اللغوية وبعض عاداتها فى اللباس والطعام وغيرها ، فى حين ان عناصر الاشتراك والتقارب لها غلبة واضحة .. (١) .

(وتمتد رقعة الوطن العربى على مسافة تبلغ اثنى عشر مليونا من الكيلومترات المربعة ، مقسمة الى ٣ر٥ مليون كم٢ فى آسيا و ٥ر٨ مليون كم٢ فى افريقيا ، فهو أوسع من القارة الاوربية جميعها .) (٢)

(ويبلغ العرب اليوم (٨٥ مليون نسمة)... فتبلغ الكثافة العامة ٧ نسمة فى الكيلومتر المربع ، وهى كثافة منخفضة) . (٣)

— ٤ —

من هو العربى

ولا جرم أن من المنطق (اعتبار) كل من يسكن هذه البلاد ويتكلم العربية ويشعر شعور أهلها الصادق عربيا ، كما أن من المنطق أن يعتبر عربيا من لم يسكن بلاد العرب ما دام من المحافظين على النسب العربى وما اليه .

أما اشتراط الجنس نسبا فى المقيمين فى بلاد العرب — كما يفعل علماء الالمان فى تمييز بنى جلدتهم — فهو من الصعوبة بمكان . هذا مع اعترافنا بأن لاصالة الجنس خصائص معينة ، لاننا نجزم بان المواطن يعوض عن ذلك بالشعور الذى يحصل عليه بالثقافة والمخالطة ووحى اللغة ، ولكل لغة وحى خاص بمفرداتها وطرق التاليف بينها والتعبير بها ، ثم بتراثها .

لهذا جنح العلماء الامريكيون الى أن أهم دعامة تقوم عليها القومية هى اللغة والثقافة والشعور المشترك ، ولم يذهبوا مذهب علماء الالمان — لملابسات خاصة بهؤلاء — فى جعل أهم دعامة للقومية وحدة الاصل والجنس (٤) .

ونذكر بهذه المناسبة بما يردده علماء الاجتماع من أن سلوك الفرد ناتج مما يتعلمه فى المجتمع الذى يعيش فيه ، فهو الذى يوجه سلوكه ويطبعه بطابع خاص يميزه من غيره ، فاذا لم يتح له عامل أقوى منه تأثيرا ثبت على ما أخذه عنه ، فالمرء يكتسب من مجتمعه اللغة والدين والعادات والعواطف والافكار السائدة ، ولو أن عربيا نسبا ودما ولد فى مجتمع أجنبى وترعرع وشب فيه ، لكاد أن يكون غريب اللسان عن العروبة وغريب العقيدة والتفكير والعاطفة والعادة والهدف ، الا اذا أتيح له من يتعهد عروبته وما اليها بما هو ضرورى لها .

الثقافة بدل الجنس

والاسلام الذى صار اليه أكثر العرب ثقافة شاملة فى جملته ، اذ لم يدع ناحية من نواحى الظاهر والباطن الا تولتها ثقافته ووجهتها وتعهدتها ، فتعهدت بذلك الانسانية كما يجب أن تكون ، فاذا تاثر بذلك متأثر كما ينبغى ، فقد بلغ ما هو مرجح ألف مرة ومرة على الهام الجنس وحده .

فاذا اجتمع للمرء الحسنيان . أصالة النسب وأصالة الهداية ، فقد بلغ مستوى رفيعا من الخصائص الطيبة والانسانية الصادقة وسلوكها المثالي ، واية ذلك الجيل العربى الاول الذى تعهده الاسلام فعاش فى حماه مستتما نعمة الله بالشكر ، وكان له المجد على طرف الثمام ، ففتح أبواب الامم ، وضرب آباط الامور ومغابنها ، واستشف ضمائرها وبواطنها ، وبنى مالم تستطعه الاوائل ، وما تفاخر به الاواخر ، وهذا الجيل فى مراتب الكفاية والشرف على تفاوت ، لذلك جاء فى الحديث الشريف . (الناس تبع لقريش فى الخير والشر (. قال النووى معناه فى الاسلام والجاهلية — كما صرح به فى الرواية الاخرى — لانهم كانوا فى الجاهلية رؤساء العرب ، وأصحاب حرم الله تعالى ، وأهل حج بيت الله ، وكانت العرب تنتظر اسلامهم ، فلما أسلموا وفتحت مكة جاءت وجوه العرب من كل جهة ، ودخل

---

(١) الامة والعوامل المكونة لها للأستاذ محمد المبارك ص ٨ و ٩ .

(٢) الوطن العربى ص ٩ .

(٣) جغرافية الوطن العربى والجمهورية العربية السورية للأستاذ صلاح الدين السفرجلانى ص ٦ (آلة ناسخة) .

(٤) حول القومية العربية للدكتور جابر العمر ص١٠ .

الناس فى دين الله افواجا . وكذلك فى الاسلام هم أصحاب الخلافة والناس لهم تبع (١) .

ـ ٥ ـ

قدماء ومحدثون

نعود الى بداية ما نحن بسبيله ، فنذكر (٢) بان الأمة العربية منها القدماء ومنها المحدثون . فالعرب القدماء ثلاث طبقات .

أولاها العرب البائدة وهؤلاء لم يصل الينا شىء صحيح من أخبارهم الا ما قصه الله علينا فى القرآن الكريم والا ماجاء فى الحديث النبوى ، ومن أشهر قبائلهم .

طسم ، وجديس ، وعاد ، وثمود ، وعمليق ، وعبد ضخم .

ثانيتها العرب العاربة ـ وهم بنو قحطان الذين جلوا عن سقى الفرات واختاروا اليمن منازل لهم ، وامتزجت لغتهم بلغة سابقيهم ، ثم انتشرت فى انحاء الجزيرة ، ومن أمهات قبائلهم كهلان وحمير ...

وثالثتها العرب المستعربة ـ وهم بنو اسماعيل الطارئون على القحطانيين ، والممتزجون بهم لغة ونسبا ، والمعروفون بعد بالعدنانيين ، ومن أمهات قبائلهم ربيعة ، ومضر ، واياد ، وأنمار (٣) .

والعرب المحدثون . هم سلائل هؤلاء الأقوام الممتزجون بسلائل غيرهم ، والمنتشرون بعد الاسلام فى بقاع الأرض ... ويتكلمون بلهجات عامية مختلفة ترجع الى اللغة العربية الفصيحة التي يتعرفونها بالتعلم .

ـ ٦ ـ

العالم العربى الآن

هذا العالم الذى تحدثنا عن مهده ونسبه ولغته وخطورته .... عانى أزمات مادية وروحية وفكرية وأدبية واجتماعية واقتصادية ، ولا يزال يعانى الكثير من هذه الأزمات ، ويرجى أن تصلح شؤونه بتشبثه بمقومات تراثه الشامخ واغتنامه كل صالح مشروع من نهضات الأمم السابقة فى أمور دنياها ، وتعاونه وأقطار العروبة والاسلام على هدى وبصيرة وأحكام .

ومما نحمد الله عليه أن أكثر أقطار العروبة تنعم الآن باستقلالها ، وان كان هذا الاستقلال درجات قوة وضعفا ، تقيدا وانطلاقا ، وأنها توالى جهادها فى سبيل استكمال حريتها (٤) ، ولقد قوى استقلال الجزائر التي ضربت أروع الأمثال فى الجهاد والنضال حتى بلغت نعمة الاستقلال ـ آمال المجاهدين العرب ، ليتابعوا جهادهم ونضالهم ، ويبلغوا حريتهم واستقلالهم ، وفى مقدمتهم أحرار فلسطين وعمان والجنوب العربي .

الجامعة العربية

وقد غدا التعاون العربى منذ عشرين عاما عمليا ـ الى حد ما ـ ماديا ومعنويا ، ففى عام ١٩٤٥ قامت الجامعة العربية التي نص ميثاقها على (توثيق الصلات بين الدول المشتركة فيها وتنسيق خططها السياسية تحقيقا للتعاون بينها وصيانة لاستقلالها وسيادتها والنظر بصفة عامة فى شؤون البلاد العربية ومصالحها) .

ولقد كان هذا التعاون فى مجالات السياسة والثقافة والاقتصاد ـ وان اكتنفته بعض الشوائب ـ فاثمر مزية الوجود الدولى للسياسة العربية ، اذ برزت فيه (الكتلة العربية) ، وكان لها نضالها فى السياسة الدولية ، قويا أو ضعيفا تبعا لدرجة سلامة الجامعة من التاثر الخارجي ومؤتمراته ومؤامراته ومحاولاته وأحلافه وتضامن أعضائها فى سياستها الخارجية الموحدة ، ونشدانها

---

(١) فى كتاب تاريخ الأدب العربى تبيان لرجحان لغة قريش .. ومعلوم أن اللغة مرآة العقلية والكفاية .. أما الحديث الذى أوردناه فقد نقله العلامة المناوى فى فيض الغدير ج ٦ ص ٢٩٤ ونقل ما ذكره الامام النووى فى شرحه وبين المناوى أن الحديث أخرجه الامام أحمد فى مسنده والامام مسلم فى صحيحه عن جابر .

(٢) الوسيط فى الأدب العربى وتاريخه للأستاذين الاسكندرى والعنانى ص ٥ و ٦ .

(٣) من تعليقات الامير شكيب أرسلان الممتعة جدا على ما ذكره ابن خلدون فى الجزء الاول من كتابه ، بحث مستفيض فى الانساب العربية من ص ٣ ـ ٢٢ (من ملحق الجزء الاول لتاريخ ابن خلدون) .

(٤) راجع تاريخ اليقظة القومية للأستاذ أمين سعيد .

المصلحة العربية الخالصة مصورة بالحرص على الحرية والسلام الخاص والعام .

ولا اخال الاستعمار مهما بلغ حقده وتآمره ، يقوى بعد أن تضامن العرب الآن تقريبا ـ على مثل ما قوى عليه حين ضمن الوطن الصهيوني فى فلسطين العربية ، التي هبت ثورتها وحيدة عام ١٩٣٦ لتناهض الصهيونية والاستعمار بكل ما أوتيت من قوة ، فكانت هذه الثورة حقا عنصرا هاما فى لفت أنظار العرب الى الخطر المحدق بهم ، والى ضرورة تعاونهم وتضامنهم ، والى وجود رابطة عربية فعلا ـ كما قدمنا ـ فكانت الجامعة العربية التي عنى ميثاقها بفلسطين ، اذ كان له ملحق خاص بها ، نص على استقلالها شرعيا وعلى اشتراكها فى مجلس الجامعة عمليا .

ولست أعنى أن الجامعة العربية مبرأة من كل تقصير سياسيا وثقافيا (١) واجتماعيا .. ولكنى أعنى الاشارة الى فضلها فى جملته ، والاشادة بآثارها على علاتها ، ولسنا الان بصدد تبيان الاخطاء وأسبابها .

وقد التقى العرب أخيرا وكثيرا فى مؤتمرات سياسية وثقافية واقتصادية ، وكانت لقاءات على مستوى عال فى عدد من عواصم ، ويرجى ـ على ما كان فى بعضها ـ أن تتخلص الأمور تدريجيا من انحرافاتها وتسير الى هداية وعزة بوحى تاريخنا المشترك ونضالنا ووعينا الصحيح الشامل ، معنويا وماديا .

واذكر بان الرابطتين الاسلامية والعربية المؤمنة، هما دائما على وفاق وانسجام ، على أن تتسع النظرة وتوحد الغاية ويتعاون أنصار الرابطتين على بصيرة ووعى ، ولمصالح العالمين الاسلامي والعربى وسعادتهما ، ثم لسعادة الانسانية جمعاء.

ولا ينكر كل مسلم الا من كان طامس القلب لا يعى ان فى العروبة طاقات غذاها الاسلام ، وكفايات نماها وزودها بكل ما ينبغي لها ، وأنه حبا العرب ـ الذين كانوا شعب الاسلام الأول ـ كل اسباب النهوض الصحيح والتقدم الرشيد ، فانتقل العرب بذلك من وجودهم القبلى وعصبيتهم العمياء الى وجودهم الانساني وجود التعارف والتآلف والتعليم والتوجيه ، فكان الاسلام الذى تنزل كتابه عربيا مبينا على الرسول العربي صلى الله عليه وسلم تعبيرا صادقا عميقا عن انسانيتهم الرفيعة ، وآمالهم الصادقة ، فحبوا البشرية ـ بفتحهم الانساني ومجدهم المثالى ـ ، محبتهم القلبية ، وهدايتهم السماوية .

تضامن الهداية والعروبة

فانظر تضامن الهداية والعروبة الحقة فى قوله تعالى . « وكذلك أنزلناه حكما عربيا ولئن اتبعت أهواءهم من بعد ما جاءك من العلم مالك من الله من ولى ولا واق » الرعد (٣٧) .

وانظر الى ترداد هذا المعنى وتوكيده بمثل قوله تعالى . « وانه لتنزيل رب العالمين . نزل به الروح الامين . على قلبك لتكون من المنذرين . بلسان عربي مبين » . الشعراء ـ ١٩٣ ـ ١٩٦ .

وانظر الى الانسانية الشاملة أو التقاء القوميات تحت راية التقوى فى هذا الكتاب العربي المبين ، وذلك فى قوله تعالى . « يأيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله أتقاكم ان الله عليم خبير » الحجرات ـ ١٣ .

بذلك ونحوه طرقت فتوح العرب أبواب الدنيا ، وانفذت مبادىء دينهم شعوب الارض ، وأظلت حضارتهم الاسلامية العربية الأمم ، وهذا بعض معانى قوله تعالى . (لقد أنزلنا اليكم كتابا فيه ذكركم أفلا تعقلون) الأنبياء ـ ١٠ .

كان هذا الكتاب تذكيرا للعرب ـ وغيرهم ـ ، اذ نبه ووجه ورغب وحذر ، وكان ذكرا اذلم يجهل العرب بعده أحد ، بعد أن صار هذا الكتاب دعوتهم المنيرة ، وحياتهم الرشيدة ، ومجدهم الباذخ ، وشرفهم الرفيع ، ولولاه ما حلوا بطائل ، ولا حظوا بنائل ، وكلما غفلوا عنه أطبقت عليهم حنادس الظلام ، وطمت عليهم الفتن العمياء ، وتجهمتهم الأمور السود ، ونزلت بهم النوازل والعظائم ، فأصابتهم جفوة المجد ، وحل فيهم ضعف السلطان أو زواله ، فيستعقبون من أمرهم الندامة ، ولا معقب لحكم الله . والله تعالى يقول . (ان فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد) ق ـ ٣٧ .

---

(١) انظر (فى وكر الهدامين) للاستاذ الدكتور محمد محمد حسين .

الإسلام والحضارة

محمد يوسف

٢

للدكتور مازن مبارك
الاستاذ بجامعة الرياض

نظرة الاسلام الى الانسان

ليس الصراع الذى يدور اليوم بين دول العالم والذى تستعمل فيه أنواع الأسلحة ووسائل القوة الا صورة ظاهرية للصراع الحقيقي بين أفكار تلك الدول ومعتقداتها ، وذلك لأن كل عمل من الأعمال هو فى حقيقته تجسيم لفكرة من الأفكار ينبثق عنها ويصدر بوحي منها ، وما أسهل أن نعلل كل تصرف ونحكم على كل عمل ونحدد اتجاهه اذا عرفنا الفكرة الدافعة اليه والأساس الاعتقادى الذى صدر عنه ذلك العمل . اذا كنا نعجب للوهلة الأولى من التناقص الشديد بين عملين ، تقوم أمة فى احدهما بتقديس البقر مثلا وعبادته ، وتقوم أمة أخرى فى ثانيهما بنحر البقر ... فما أسرع زوال دهشتنا اذا عرفنا الفكرتين الأساسيتين اللتين انبعث عنهما العملان ، فكرة التقديس التي انبعثت عنها عبادة البقر عند الهندوس ، وفكرة الأضحية التي انبعثت عنها اراقة دماء الاضاحي عند المسلمين . ان ما بين العملين من الاختلاف صورة ظاهرة لما بين المعتقدين من التباين ، والى هذا الاختلاف فى المذاهب والافكار يرجع اختلاف الدول فيما بينها فى نظم السياسة والاقتصاد ومناهج التربية والتعليم اذ تصوغ كل منها فى كل ميدان من ميادين الحياة ما يتناسب مع مذهبها ويلائم عقيدتها .

فما هي نظرة الاسلام العامة الى الوجود ؟ الى الانسان والى الكون (١) وما هى صفاتها العامة ؟ وهل هي صفات ملائمة للتطور صالحة لبناء الحضارة ؟ .

ان نظرة الاسلام العامة الى الكون وما فيه من مخلوقات هى فى الاسلام منطلق كل تشريع وأساس كل نظام ، وعلينا أن نقف عندها مستعرضين دارسين .

---

(٢) انظر « نظرة الاسلام العامة الى الوجود وأثرها فى الحضارة » للاستاذ محمد المبارك .

كان العالم قبل الاسلام ينظر الى الكون نظرة فيها الكثير من الاوهام والخرافات ، وفيها الكثير من الغموض والنقص ، كان بين الامم من آمن بآلهة كثيرين .. وكان هناك من آمن بالله أو آلهة ايمانا يشوبه الشرك وتختلط فيه عبادة الله بعبادة الاصنام التي هي على زعمهم انما تقرب الى الله زلفى .. وكان هناك من آمن بالكواكب وسجد للشمس والقمر .. وكان بين الناس من آمن بغير ذلك من ارواح شريرة تسيطر على العالم ، أو أشباح ذات أجنحة نسمع حفيفها عند هبوب الريح .. وكان بينهم من آمن باليهودية ومن آمن بالنصرانية .

ولما جاء الاسلام كان أول من أعطى عن الحياة والكون والمخلوقات فكرة عامة غير ناقصة ، واضحة غير مبهمة ، معقولة لا أثر فيها للوهم او الخرافة، فلقد ازاح الاسلام الستار عن حقيقة الخلق وكشف القرآن الستر عن حقيقة « الانسان » فى مصدره ومنشئه ومادة خلقه : وتحدث عن مراحل نموه وتطوره .. انه من صنع الله الخالق العظيم الذى خلقه وخلق جميع ما يدب على الارض (والله خلق كل دابة من ماء فمنهم من يمشي على بطنه ومنهم من يمشى على رجلين ومنهم من يمشى على اربع) (١) وأما المادة التى خلق منها الانسان فهي الطين والماء (وبدأ خلق الانسان من طين . ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين . ثم سواه ونفخ فيه من روحه) (٢) . وأما مراحل خلقه من كونه طينا الى كونه بشرا سويا فهي واضحة التصوير فى القرآن (ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين . ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر، فتبارك الله أحسن الخالقين (٣) وقد عددها مرة أخرى فقال (يا أيها الناس ان كنتم فى ريب من البعث فانا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم ونقر فى الارحام ما نشاء الى أجل مسمى ثم نخرجكم طفلا ثم لتبلغوا أشدكم ومنكم من يتوفى ومنكم من يرد الى أرذل العمر ...) (٤) .

وليس لهذا الاصل الترابى أو لذاك الماء المهين أثر فى كرامة الانسان أو الحط من قيمته ، فهو مخلوق مكرم مفضل على غيره (ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا(٥) بل لقد امر الله ملائكته بالسجود لهذا المخلوق الكريم (اذ قال ربك للملائكة اني خالق بشرا من طين . فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين) (٦) وقرر القرآن وحدة المنشا حين اعلن ان البشر جميعا من اصل واحد سواء فى ذلك قديمهم وحديثهم ، (يايها الناس اعبدوا ربكم الذى خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون) (٧) ذكرهم وأنثاهم (يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء ..) (٨) أبيضهم واسودهم (ومن آياته خلق السموات والارض واختلاف السنتكم والوانكم ، ان فى ذلك لآيات للعالمين) (٩) .

لقد كانت هذه النظرة الى الانسان نظرة جديدة تطالع العالم لاول مرة بعد ان كثرت ضلالات الامم فزعم بعضها ان الانسان نوعان: بشر وبربر ... وزعم بعضها ان الانسان جنس واحد هو الذكور فقط ..

---

(١) سورة النور ٤٥ (٢) سورة السجدة ٧ — ٩ (٣) سورة المؤمنين ١٢ — ١٤
(٤) سورة الحج ٥ (٥) سورة الاسراء ٧٠ (٦) سورة ص ٧١ (٧) سورة البقرة ٢١
(٨) سورة النساء ١ (٩) سورة الروم ٢٢

ولعل أجدر ما ينبغى أن نقف عنده فى نظرة الاسلام الى الانسان ، بعد تقريره لوحدة المنشأ ومراحل الخلق وأطوار النمو هو هذه الواقعية التى تتصف بها نظرته ، وهي واقعية ذات أثر بعيد فى بناء الحضارة الانسانية وعمارة الكون ، لقد نظر الاسلام الى الانسان فى واقعه البشرى فقرر أنه ليس ملكا طاهرا مصفى، ولا شيطانا كله رجس ونس، وانما هو ـ تمشيا مع خلقه الترابى الروحي ـ من لحم ودم وعاطفة وشعور ، وحب وشهوة ، ومن عقل وارادة وروح ، وهو يتمتع بما وهبه الخالق من سمع وبصر وفؤاد تمتعا لا ضرر فيه ولا ضرار، اذ أنه مسؤول عن حواسه (ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولا) (١) .

ان القرآن اذا وصف الانسان وصفه على حقيقته البشرية وعدد ما يرغب فيه بطبيعته من نساء واموال وبنين وما تزينه له شهوته وما توسوس به نفسه (زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحرث...)(٢) وما دام الاسلام يعترف بما جبلت عليه طبيعة الانسان من شهوة وحب لتلك المتع فلن يكون فيه ما يصدم الطبع ، وان كان فيه ما يهذبه ، ولن يكون فيه ما يعارض الفطرة وان كان فيه ما يسمو بها . ومن هذا الموقف المتوسط بين الاعتراف بغرائز الانسان ، وعدم الاسراف بتقريرها ، واطلاق العنان لها ، يستمد الاسلام حلا لمشاكل الانسان الغريزية وذلك بايجاد متنفس يحقق الانسان رغبته عن طريقه بصورة معقولة . واعترافا من الاسلام بهذه الغرائز الفطرية فقد نهى عن الرهبانية ، لانها كبت يعارض الفطرة وأباح حق التملك لانه من اصل الفطرة .

لقد كان لهذا الموقف الاسلامى المعقول من غرائز الانسان أثره البعيد فى النفس الانسانية التى قدم الاسلام لها نماذج انسانية رائعة ، وصل اصحابها الى درجة رفيعة من السمو النفسي والكمال الانسانى . لقد أعطت تلك النماذج الانسانية الاسلامية أكبر برهان على ان تحقيق الرغبة والتنفيس عن الغرائز بشكل معقول هو خير وسيلة لئلا يفكر الانسان بها ، ولان يلتفت الى الرقى بنفسه ، والسمو بروحه ، ليحقق رسالة السماء فى الارض وليصبح أهلا لحمل الامانة الثقيلة التى عرضت على السموات والارض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الانسان .

على ان الاسلام الذى اعترف للانسان بغرائزه ، لم يتركه حرا يغرق وراء شهواته فى بحار المتعة وانما حدد له الطريق ، ورسم له المعالم ، ووضع القيود ، ثم أيقظ فى الانسان ضميره وجعله وازعا نفسيا شديد الوطأة ، بل أقامه حارسا أمينا حازما ، وهو ضمير طالما دفع بالمسلم الى العمل ، وطالما جنبه الاثم ، وطالما ارقه الليل ، وشدد عليه الحساب .. فكان لعمرى أقوى فى نفس المسلم من اى حافز ، وأوقع من أى قانون ، وأحزم من أى محكمة .

وكما نظر الاسلام الى الانسان فى نفسه، نظر اليه فى مجتمعه ، فقرر أن الانسان عضو فى المجتمع الانسانى ، وانه لاتفاضل بين أبناء هذا المجتمع المتساوين فى المنشأ والمصير بسبب من أسباب النسب او الثروة او اللون ، وانما يكون التفاضل بينهم بالعمل الصالح ، والعمل الصالح من مستلزمات الاسلام ، وهو مقرون فى القرآن بالايمان .

وهكذا ارتفع الاسلام بالانسان فوق شهواته جميعها بعد الاعتراف بها ، وبمشروعية تحقيقها ، كما ارتفع به فوق العصبيات القبلية والقومية، وربطه بعالم الانسانية الواسع غارسا فى نفسه أنه رسول خير وعدالة وهدى الى الناس كافة، وأن الخلق كلهم عيال الله، وأحبهم الى الله أنفعهم لعياله ...

للبحث صله

---

(١) سورة الاسراء ٣٦

(٢) سورة آل عمران ١٤



من هنا ... وهناك

يكتبها الشيخ ع.النمر

شكر وانصاف

كتبت فى العدد الماضى متأسفا لمنع دخول المجلةلسوريا الشقيقة كما تحدثت عن المجلات الخليعة وخطرها ، ثم كانت لى بعد ذلك رحلة للبلاد العربيةومنها سوريا ... وسألنى كثيرون عن المجلة .... ودار الحديث مع كثيرين عن منعها .. وكانوا يدهشونويتألمون ، ثم كانت لى جلسة فى مصيف « بلودان » مع الاستاذ زكى الارسوزى أحد كبار المفكرين الذينلهم تأثيرهم وتقديرهم لدى رجال الحكم فى سوريا ، وجرى الحديث بيننا الى المجلة فتعجب هو الآخر منمنعها بعد أن اطلع على بعض أعداد ، وأكد لى أن لا بد من سوء فهم لوضعها .. وتعهد ببحث موضوعها.. ومع أننى كنت حريصا على أن أوفر لنفس قسطها من الراحة والاستجمام الا أن حرصى الآخر على أنيقرأ اخواننا السوريون المجلة جعلنى أتابع هـذا الموضوع الى نهايته .

فكان لى لقاء آخر مع الاستاذ صابر فلحوط ـمدير الرقابة بوزارة الاعلام ـ اطلع خلاله على بعض أعداد من المجلة كانت معى .. وحدثته عن آثار منعمثل هذه المجلة الهادفة البناءة فى الوقت الذى تفتح فيه الابواب لسيل المجلات الهادمة للاخلاق والروح بماتنشره من صور عارية فى أوضاع شاذة ، ومن كلام تافه وآخر جنسى يحطم روح الامة ، ويزلزل قوتها ، فى وقتنقف فيه جميعا على خط النار متأهبين .. وكان رجلا متفتحا متجاوبا فاسرع يقول لى لقد منعت كل هذهالمجلات ومد يده الى احداها وأرانى صورا فى غاية الشذوذ .. ثم قال لقد منعنا أيضا الاستعراضاتالراقصة التى تقدم فى دور السينما قبل عرض الافلام، محافظة على روح الشباب والشابات وأخلاقهم ..فهنأته على هذه الخطوة .. ثم قلت له . اذن نحـن متفقون فى هدف المحافظة على أخلاق الشباب وتربيتهمتربية سليمة ثم تواعدنا على اللقاء ثانى يوم .. وقد حرصت على أن أؤكد له اننى أحدثه ـ بعيدا عـنالرسميات ـ حديث معنى بمصير هذه الامة ، وبحسن توجيهها وجهة تتفق مع دينها وتقاليدها ، والاسسالثابتة التى لا تقوم نهضتها الا على أعمدتها .

وفى الموعد المحدد تلاقينا .. واستقبلنى بحيويتهوبشاشته ـ وهو أديب وشاعر كما قيل لى ـ وقال « لقد انتهى الامر » وعلى الرحبوالسعة تدخل المجلة. البلد بلدها .. وان كانت ستخضع للرقابة كبقيـة المجلاتالتى تدخل عندنا. لقد كنا نظن أن لها خطا آخرتسير فيه،وشد على يدى وهنانى على المستوى الرفيع الذى تصدر به ، وعلى خطتها البعيدة عن الدخول فىالخلافات بين رجال العرب ...

فشكرته بدورى على تحيته ، وكررت له تهنئتىبموقفه من المجلات الخليعة . ورجوت أن يكون هذا هو موقف الرقابة فى جميع البلاد الاسلامية محافظة علىأخلاق النشء فيها ، وصيانة لدورها التاريخى المنتظر فى محو العار الذى لحق منذ أن استقر الافاكون فىقلبهـا ..

وقد علمت بعد ذلك من الشركة العربية للتوزيعفى بيروت أن الرقابة فى العراق أيضا منعت دخول هذه

المجلات فقلت . والبقية تأتى ان شاء الله ، فليست البلاد الاسلامية الاخرى باقل فطنة أو غيرة على دينها ومصيرها من البلاد التى منعتها ..

لماذا ؟

حرصت على أن اقضى بعض الوقت فى ربوع لبنان كذلك اتعرف عليها . وحرصت أكثر على أن يكون قضاء هذا الوقت فى منطقة محافظة بعيدا عن الضجيج وغيره .. فأشار على الاصدقاء بالذهاب الى « سير » شمال لبنان وعملت بمشورتهم وانا أكتب هذا فى حديقة فندق سير أو « سير بلاس أوتيل » بعد أن قضيت وقتا فى جلسة فكرية طيبة مع سماحة الاستاذ الكبير الشيخ نديم الجسر مفتى طرابلس الذى قدم لزيارتى ، وبعد أن عدت من جولة قصيرة أشار على بها رجل فاضل من أهل البلد لرؤية النبع الذى تنحدر اليه المياه من باطن الجبل . وكنت أنا ذاهب الى هذا النبع امنى النفس بمنظر يشرح الصدر ، ولكنى أشهد أننى عدت منقبضا ، فقد رأيته تحيط به مناظر متخلفة تثير الاشمئزاز . ونظرت لصاحبى وقلت له . لماذا يترك هذا الموقع هكذا ؟ . قال . مع الاسف لو جاء رجل آخر لاحسن استغلاله . فقلت . ولماذا لا تستغلونه أنتم ؟ هل ينقصكم العزم والروح والذوق والمال ؟ ألا يكفى ما فات المسلمين وقد رأوا الدنيا من حولهم ، ورأوا غيرهم يزحف ويجيد دوره فى استغلال الحياة حوله ؟ فالى متى ؟ ..

فكرة

على جانب احد سيارات الركوب العامة «الباصات» استلفت نظرى وانا سائر فى أحد شوارع دمشق ـ لافتة شعرية مكتوبة بخط جميل على جانبه فوقفت اقرأ ـ وكان « الباص » قادما من طرابلس لبنان .. فكان المكتوب

اذا رأيت الكلب فى أيام دولته ... فاجعل لرجليك أطواقا من الذهب
وأعلم بأن عليك العار تلبسه ... من عضة الكلب لا من عضة الاسد

فكرة جديدة واتجاه طيب فى استغلال جوانب السيارات ـ والكبيرة بنوع خاص فيما يفيد . أليس كذلك ؟

البشر أم البقر ؟ .

استرعى نظرى عنوان جانبى فى ملحق الاهرام بجانبه صورة لرهبان الهندوس جالسين على الارض أمام البرلمان الهندى يقول هذا العنوان . الهندوس يطالبون بوقف مذابح البشر « فسررت لاول نظرة وقلت حسنا انهم يعلنون عن آرائهم تجاه المذابح البشرية التى تحدث فى فيتنام وغيرها . وتابعت التعليق على الصورة فاذا أنا فى واد والحقيقة فى واد .. واذا بالسبب فى هذا خطأ مطبعى كتب «البشر» مكان « البقر » اذ أنهم يعربون عن احتجاجهم على استمرار المسلمين فى ذبح البقر واتخاذ لحمها طعاما لهم » ويتابع الاهرام تعليقه فيقول « والمعروف أن البقرة هى أعلى الحيوانات فى مرتبة القداسة عند الهندوس ، وعلى الرغم من المجاعة الحالية التى تتعرض لها الهند ، فهم يصرون على ترك الابقار تمرح فى الشوارع دون أن تمسها سكين أى جزار » وهذه المعلومات عرفتها على الطبيعة حين أقمت فيها أكثر من سنتين ، بل عرفت أن نقاشا دار فى البرلمان لفرض معاش للبقر الذى يتقاعد عن العمل حتى لا يغرم صاحبه مئونته دون أن يؤدى له عملا فيدفعه ذلك الى التخلص منه ، فكل واحد عنده بقرة عجزت عن العمل يأخذ لها معاشا من الدولة يعينه على المحافظة على حياتها حتى ينقضى أجلها ... وغير البقر من القرود يتمتع بشيء من هذه القداسة ، والسبب اسطورة تاريخية تقول ان القرد تدخل فى قديم الزمان لانقاذ آلهة من آلهتهم او بالضبط لانقاذ سيتا التى صارت فيما بعد تأخذ مكانها فى صف الالهة عندهم ، وكان هذا التقديس سببا فى احجام الحكومة الهندية مرة عن تصدير بعض القرود للخارج لاجراء تجارب عليها ، وذلك خوفا من الاساءة الى الشعور الدينى الهندوسى ..

وأعود الى العنوان فأقول هل جاء هذا الخطأ المطبعي لتصحيح وضع أو فكر ..

الإسلام والأدب

للاستاذ عزت العزيـزى
عمان ـ الاردن

الكلمة وخطورتهـــا

بالكلمة كان الوجود ، وبالكلمة قامت السموات والارض ، وبالكلمة تغير التاريخ مرات ومرات ، لم يتحول التاريخ تحولاته الخطيرة الهائلة بتغير وسائل الانتاج ، ولا سواها، كما يزعم أفاقو الديالكتيكية، فالحضارة المسيحية لم تقمها طبقة ، فما قـام السيد المسيح للدفاع عن البروليتاريا ، ولا عن البرجوازية ، وثورة الاسلام الرائعة العجيبة ما قامت بها طبقة ضد طبقة ، وما حركتها آلة ، ولا اثر فيها اقطاع ، ولا أشعلها برجوازى أو رقيق .

انما هي الكلمة القاهرة التى لم تنبعث حتى من الارض بما فيها من طبقات وتصارع على الطعام والشراب ، وانما هبطت من السماء على قلب الانسان (اقرأ باسم ربك الذى خلق) .

أسرت هذه الكلمة الانسان الرسول ، فلـم يملك الا ان يصدع بها ، أيقظته من النوم فـلا هجوع ولا رقود (يا أيها المدثر . قم فأنذر . وربك فكبر . وثيابك فطهر . والرجز فاهجر) .

وانى للانسان ان يقاوم سحر الكلمة ؟ لقـد كانت سلاح محمد الرسول عليه صلوات اللـه وسلامه ، بها قاوم الكفر والالحاد ، فأيقظت قلوبا ، وفتحت أبصارا وآذانا ما أراد أصحابها أن يوقظوها أو يفتحوها .

هاجم النظم الفاسدة الظالمة فى ميادين الاقتصاد والسياسة والاجتماع والاخلاق ودمرها بالكلمـة أولا ، ثم اقام مكانها نظام الاسلام الرائع العادل ، فانتصرت الكلمة قبل أن ينتصر السيف والساعد القوى، انتصرت رغم ضعف الساعد وفقد السلاح ، حتى ظن الواهمون انه السحر ، لانهم فعـلا قد سحروا بروعة الكلمة ، فألقوا سـلاحهم رغـم ارادتهم ، وانى لهم مقاومة الكلمة ، وهي تسير الجبال لو ألقيت عليها ووعتها ؟ (لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا مـن خشية الله) .

نعم ان جبال المقاومة للحق أعتى وأقوى مـن أعظم جبال العالم ، ولقد صدعها القرآن الكريم ، وما القرآن الا الكلمة الواعية الهادفة الساحرة بالحق .

هذا القرآن هو الذى وضع حدا للادب الفارغ

- الإسلام يعني بالكلمة ويقدر خطورتها .
- كيف طوّر الإسلام أدبَ الجاهليّة ؟
- هل ظل الأدَب العربي كما طوّره الإسلام ؟
- أدبنا الحديث وإلى أين يسير ؟
- هل يَعيش أدباؤنا في سلبيّة ؟



الأدب قبل الاسلام

عندما جاء الاسلام كان عند العرب أدب ، وكان لهم شعر ونثر وكان أدبهم ينبثق عن طبيعة الحياة العربية قبل الاسلام ، والتي سماها الاسلام حياة الجاهلية فكان ذلك الأدب أدبا جاهليا .

كانت تسيطر على تلك الحياة روح النظام القبلي من جهة ، والفردية الذاتية من جهة ثانية .

فالقبيلة هي التي تمنح الحماية للافراد ، وعلى أساسها تقوم العلاقات الاجتماعية بينهم ،فعلاقة الانسان بالانسان يحددها المفهوم القبلي والنظام القبلي ، فمن هذه الزاوية على الاديب ان يسخر أدبه لخدمة القبيلة التي ينتمي اليها ، دون أى اعتبار انساني او اخلاقي غالبا .

فمـا أنا الا من غزية ان غـوت
غـويت وان ترشـد غـزيـة أرشـد

فاذا تجاوزنا ما تمليه ظروف ارتباط الفرد بالقبيلة من الولاء لها ، والدفاع عنها ، ومخاصمة أعدائها ، تلك الخصومة التي لا تقوم على أى أساس من الانسانية او الحق أو العدل ، اذا تجاوزنا ذلك فالفرد حر بنفسه والأديب حر

اللا هادف ، كما وضع حدا للحياة الفارغة اللاهادفة .

الأدب الاسلامي

بالقرآن بدأ الادب الاسلامي ، ومن القرآن استمد الادب الاسلامي وجوده ، ومن القرآن استقى معينه ، اذن : ما هو الادب الاسلامي ؟ .

أرى أننا نخطىء خطأ كبيرا اذا اعتقدنا أن الأدب الاسلامي يعني قطاعا زمنيا معينا ، فنسمي كل ما أنشىء من الأدب في هذه الفترة او تلك ادبا اسلاميا ، ان الاسلام بطبيعته لا يعترف بقيود الزمان ، كما لا يعترف بقيود المكان ، بل يتحرر من قيودها جميعا ، ويحرر كل ما يتصل به من كل قيد يحد من امتداد الفكر الى ارحب ما يمكن من الآفاق . فلا يكون الشيء اسلاميا لانه عاصر الاسلام ، كما لا يكون غير اسلامي اذا لم يعاصره « فابراهيم الذى كان قبل الاسلام بقرون عديدة مسلم ، لانه التقى مع الاسلام على صعيد العقيدة والفكر ، رغم أنه لم يلتق بالاسلام زمنيا » .

وعلى هذا فلا يمكننا أن نعتبر أدبا ما أدبا اسلاميا ، الا اذا انطبق عليه مفهوم الادب الاسلامي . فما هو اذن مفهوم هذا الأدب ؟ .

بادبه ، فله أن يبيعه أو يؤجره ، وهذا ما كان يفعله شعراء المدح والهجاء ، يقبضون الثمن ، فيرفعون الممدوح على قدر ما دفع ، لا على قدر ما يستحق ، ويقبضون الثمن فيهجون له من يريد على قدر ما دفع كذلك من ثمن لشتم أعراض الناس وتجريحهم .

أما حين لا يؤجر الأديب أدبه مادحا أو هاجيا ، فلا يجد الا ان ينطلق مع ذاته ، يتتبع شهواته وغرائزه ومتعه التي تنطلق غالبا دون أن تتقيد بقيمة من القيم ، فالحياة عند معظم شباب العرب فى جاهليتهم كما قال طرفة (خمر ونساء وحرب) .

ولا يعني هذا ان لا يبرز بين الفنية والفنيةاديب شاعر ، أو خطيب يثور على الاوضاع القبلية الظالمة ، أو الفردية المنحرفة الفارغة ، كزهير بن أبى سلمى ، ولبيد ، وقس بن ساعدة ، وغيرهم ولكنها صيحات فردية كانت تضيع فى الموج الهادر .

أدب العقيدة

وعندما حدد الاسلام مفهوم الادب رفض ذلك كله ، رفض الأدب القبلي ، لانه رفض القبيلة والنظام القبلي ودعا الى تكوين مجتمع يقوم على غير الاسس القبلية او العنصرية او الاقليمية . مجتمع واسع قادر على اذابة الالوان والاجناس والحدود الجغرافية ، لان علاقة الناس فيه أوسع من ذلك كله ، تلك علاقة العقيدة والفكرة ، يستوىفيها البشر مهما اختلفتألوانهم وأجناسهم وبلادهم .

ولم يكن ذلك فى الاسلام مجرد نظرية ، بل كان واقعا حقيقيا قائما ، حققه الرسول عليه الصلاة والسلام فى الجماعة الصغيرة المؤمنة فى مكة ، ثم فى المجتمع الصغير فى المدينة ، ثم فى المجتمع الكبير فى جزيرة العرب ، ثم أتم العمل أصحابه ، فحققوه فى المجتمع الاكبر الفريد فى أوسع دولة فى العالم القديم ، ضمت أجناسا وألوانا ولغات وأقاليم شتى ، كانت قبل الاسلام تشكل دولا وشعوبا مختلفة فيما بينها أشد الاختلاف .

وبناء على ذلك أقام الاسلام ادب العقيدة والفكرة مقام أدب القبيلة ، وبذلك منع الادب القبلي بجميع اشكاله وألوانه (من دعا الى عصبية فقد دعا بدعوى الجاهلية) ، (ليس منا من دعا الى عصبية) ، (دعوها فانها منتنة) ، (يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله أتقاكم) (١) ، (لا فضل لعربى على أعجمي ولا لاعجمي على عربي ولا لاحمر على أسود الا بالتقوى) ، (الناس سواسية كأسنان المشط) .

وهكذا حول الادب من الارتباط بالقبيلة ومثلها الارضية الزائفة الى الارتباط بالعقيدة والفكرة دون أى اعتبار لغيرها ، فوقف حسان بن ثابت الخزرجي يدافع عن محمد بن عبد الله القرشي ، ويهاجم قريشا قبيلة محمد صلى الله عليه وسلم نفسه ، أو يهاجم بعض الخزرج أنفسهم ، ان كان فيها منافق يعادى محمدا والاسلام ، وسخر أدبه واستعد ان يضحي بأسرته وقبيلته فى سبيل محمد ، باعتباره ممثلا للعقيدة والفكرة .

فان أبى ووالده وعرضي
لعرض محمد منكم وقاء

وكذلك وقف عبد الله بن رواحة القرشي يهاجم بشعره قبيلته قريش ، لانها ناصبت العقيدة التى آمن بها العداء .

---

(١) سورة الحجرات .

القرآن والأدب

وقد ركز القرآن الكريم على رسالة الادب فى خدمة العقيدة والمبدأ مهاجما فى نفس الوقت ما كان يعانيه ادباء الجاهلية من ضياع وقلق ، وما اتجهوا اليه من انحراف فى القيم .

(والشعراء يتبعهم الغاوون ، ألم تر أنهم فى كل واد يهيمون وأنهم يقولون ما لا يفعلون . الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا وانتصروا من بعد ما ظلموا وسيعلم الذين ظلموا اى منقلب ينقلبون) (١) .

فليس انتصار الاديب اذن لمصلحته الذاتية وأهوائه ، ولا انتصاره لقبيلته وأسرته ، وانما انتصاره للحق وللقيم التى ينبغي أن يسخر لها قلمه ، فهو جندى من جنود العقيدة ، عليه واجب العمل من أجلها بما وهبه الله من ملكة فى ابداع القول الجميل المؤثر ، ولم يستهن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى يوم من الايام بقوة هذا السلاح وفعاليته، بل كان مقدرا له أعظم التقدير ، مكافئا في نفس اصحابه احسن مكافأة ، فهو يقول عن شعر حسان وغيره فى قريش (ان المؤمن يجاهد بسيفه ولسانه والذي نفسي بيده لكأن ما ترمونهم به نضح النبل) .

ويفسح لحسان أقرب مكان اليه فى مسجده ، ويقبل عليه بوجهه يسمع انشاده ، ويثني عليه ، ثم لا يكتفي بذلك بل يمضي فى تشجيعه فى هجاء أعداء الدعوة الاسلامية (اهجهم والروح القدس يؤيدك) .

خطة الاسلام فى تحويل الأدب

وبذلك يكون الاسلام قد حول أيضا ادب المدح القائم على التكسب ، وازجاء المديح لمن يدفع الثمن ، ولو كان لا يستحق حتى الهجاء ، يكون قد حوله الى طريقه الطبيعي الصحيح ، فليمدح الاديب خطيبا أو منشدا ، ولكن لا يمدح للمال والعطاء ، وانما هو انسان عقائدى لا يقول الا ما يعتقد أنه الحق ، فلا يمدح الا من هو أهـل للمدح ، ومقياس الاهلية بلاء الممدوح فى سبيل العقيدة والفكرة التى آمن بها الأديب ، فهو اذ يمدح شخصا معينا ، لا يمدحه لانه فلان ابن فلان ، أو لانه من هذه القبيلة أو تلك الاسرة ، أو لانه يثاب ممن يمدحه بالذهب والفضة وكريـم العطاء ، وانما يمدحه لانه يعمل باخلاص ويضحي فى سبيل العقيدة والفكرة .

وهكذا كان مدح شعراء المسلمين عندما لـم يكن انحراف فى مفاهيم الحياة المختلفة .

أما أولئك المداحون الذين اتخذوا الأدب حرفة ، وجعلوا من الكلمة بضاعة تباع وتشترى ، فقد احتقرهم الاسلام ، ودعا الى احتقارهم ، فهم ممن يشترى لهو الحديث ليضل عن سبيل الله ، ولا يستحقون الا النبذ والطرد ، ولا جزاء لهم الا تعفير وجوههم التى أراقوا ماءها بسؤال الناس بمدح كاذب باطل ، وفى هذا يقول الرسول عليه الصلاة والسلام (احثوا فى وجوه المداحين التراب) .

أما أدب الضياع والقلق الذى كان متمثلا فى الأدب الذاتي ، فقد استطاع الاسلام ان يقضـي على اسبابه ولم يلجأ الى منعه بقرار ومرسوم ، وانما جعل للحياة معنى اعمق ، وهدفا أسمى ، فلم يعد للفراغ والضياع والقلق مكان فى حياة الفرد المسلم ، فقد نمى الاسلام المسؤولية وعمقها فى نفس كل فرد ، ومهما يكن وضعه فى المجتمع فان عليه تبعات ومسؤوليات تجاه عقيدته ومجتمعه ، الى حماية هذا المجتمع ، الى مسؤوليته فـي نشر الاسلام وتبليغ الدعوة لكل أهـل الارض ، وبمختلف الوسائل ، ومنها الجهاد فى سبيل الله، الى مراقبة الحاكم حتى لا ينحرف عن نـظام الاسلام ، ونصحه ونصح كل مسلم .

كل هذه الواجبات يطالب بها الفرد المسلم مطالبة فردية خاصة الى جانب المطالبة الجماعية العامة ، فان فلسفة الاسلام ان يعمق المسئولية الفردية حتى لا تضيع المسئولية وتتميع . ففرد عليه مثل هذه المسئوليات وفى مثل هذا المجتمع لا يمكن ان يجد متسعا فى نفسه أو فى وقته للتافه الرخيص من الأدب ، فلم تعد الحياة عنده خمر ونساء وحرب بلا غاية ولا هدف الا السمعة وثناء الناس .

فلم يعد مكان فى الادب الاسلامي لمثل خمريات

---

(١) آخر سورة الشعراء .

الاعشى ، ومجون امرىء القيس ، وفخر عمرو بن كلثوم ، ولا ضياع طرفة وقلقه ، أو نفاق النابغة ، فالمسئولية تقتضي أن لا تهدر الكلمة وان لا توضع الا حيث تؤدى دورها فى البناء .

الاسلام والأدب الشخصي

ولا يعني هذا أن الاسلام رفض الكلمة الجميلة المعبرة عن كل عاطفة ، والصورة لاى جمال مالم تكن من الأدب الملتزم الكامل الالتزام ، لا فالاسلام اعرف بالنفس الانسانية وأدرى ، وبانه لا بد من الترويح عن النفس ، ومنحها قسطا من الحرية فى التعبير عن النزعات الفردية الخاصة ، بعيدا عن جو العمل الجمعي والمسئولية العامة : الجادة ، ولكن فى حدود من الذوق الرفيع والخلق الكريم من غير اثارة رخيصة أو انحراف وشذوذ ، أو مجاهرة بكفر ومعصية ، أو ترويج لفسق فى الفكر ، أو تحلل فى الخلق .

وتطبيقا لهذه المبادىء ، أثنى الرسول عليه الصلاة والسلام على بعض شعراء الجاهلية كعنترة ولبيد وزهير بن أبى سلمى ، لما تضمنه شعرهم من قيم رغم ما فيه من غزل وحديث ذاتي عن النفس لا يخرج عن حدود الذوق والخلق .

قال عليه السلام :

(اصدق كلمة قالها لبيد (الا كل شىء ما خلا الله باطل) كما تمنى أن يكون قد رأى عنتره .

وبالمقابل ذم أمرأ القيس لما فى شعره من مجون وانحلال خلقي ، فقال عنه انه حامل لواء الشعراء الى النار . أى قائد امثاله من المجانين المتحللين اذ راد لهم ذلك الطريق المنحرف .

وكذلك سمع الرسول عليه السلام كثيرا من القصائد فى الغزل الرقيق ، بلا مجون أو استهتار، كقصيدة كعب بن زهير وأثنى عليها ، بل كان يطلب مثل هذا الشعر ويسمعه فيطرب لانشاده،. جاءت عائشة رضى الله عنها النبي صلى الله عليه وسلم ، تستأذن بأن تذهب مع نساء من المهاجرات فى زواج مهاجر من انصارية ، فقال هل اخذتم من يغنى ، فقالت لا ، فقال لها أن الانصار قوم يحبون الطرب فهلا اخذتم من يغنى .

أتيناكم أتيناكم
فحيونا نحييكم

ولولا الحبة السمراء
ما جئنا لواديكم

فهو لا ينكر على الانصار حب الطرب ، بل ويأمر بالشعر الرقيق أن يتغنى به ، ولكن فى مثل مناسبات الافراح حتى لا يكون ذلك عادة تستهلك الوقت وتشغل عن الواجب .

خروج عن الأدب الاسلامي

مما مر نستطيع أن نعلم ان كثيرا من الادب ، وخاصة الشعر الذى انشىء بعد عصر الرسول والخلفاء الراشدين ، من عصر الامويين وما بعدهم لا ينطبق عليه مفهوم الادب الاسلامي ، رغم أنه وجد فى العصور الاسلامية ، وذلك كمدح المنافقين الكاذب للحكام الظلمة ، ومهاجاة الشعراء بعضهم بعضا بدافع العصبية القبلية ، وما نهشوا من أعراض وحرمات ، وما خاضوا فيه من مجون وتحلل ، وما روجوا من شك والحاد ، كل ذلك خروج عن مفهوم الادب كما يريده الاسلام مهما يكن عصره ، وأيا كان قائله .

ميادين جديدة للفكر والأدب

واذ ضيق الاسلام على الشعراء خاصة والادباء عامة ميادين القول لا تعنتا ، ولكن لمجافاتها للاسلام وبعدها عنه ، فقد فتح لهم أبوابا وميادين جديدة أكثر التصاقا بالفكر ، وأكثر اتصالا بالحياة ، وذلك حين وجهالفكر الاسلامي وجهة عملية واقعية، كبحث مسائل الحياة المختلفة فى ميادين السياسة والاقتصاد والعلاقات الاجتماعية ، كما وجه الفكر للنظر والتأمل فى الحياة ذاتها ، والكون والانسان ، ودعا الى تحرير الفكر تحريرا كاملا من كل شوائب التقليد ، التي تحد من انطلاقه فى آفاقه الرحيبة الواسعة .

هذه الميادين الجديدة هي التي أغنت الفكر الاسلامي والمكتبة العربية ، وهي التي نستطيع أن نعتبرها بحق مظهرا للفكر الاسلامي الصحيح ،

بما انشىء فى اطارها من أبحاث فى الاخلاق والاجتماع والنظر الفلسفي الحر .

كما أن ما قام حول القرآن من دراسات واسعة وعميقة ، شملت كافة فروع الدراسات اللغوية وغيرها من تفسير وبلاغة .

وقد يقول قائل : وما بالك تقحم هذه الابحاث والموضوعات ، التي تكاد أن تكون علما بحتا فى ميدان الأدب وهو فن لا علم ، ولكنا نقول : ان تلك التعريفات المدرسية للادب اذ حصرته بابواب من الشعر وضروب محدودة ضيقة من الخطابة والنثر ، قد حالت بين طلاب مدارسنا وبين اطلاعهم على تراثنا الفكرى الحقيقي ، فنحن نعرف الكثير عن امثال الاخطل وجرير وبشار وابي النواس وابن الرومي ، بل حتى عن ديك الجن وابن لنكك ، ولا نكاد نعرف شيئا عن الطبرى وابن كثير والقرطبى ، أو عن الشافعي أو الزمخشري والغزالي ، أو عن امثال ابن القيم وابن تيمية وابن حزم وغير هؤلاء جميعا من مئات المفكرين الاسلاميين ، الذين يمثلون بحق الفكر الاسلامي ، وهم فقط الذين يعطون صورة حقيقية مشرقة مشرقة عن الحضارة الاسلامية بكل ما فيها من عطاء وصفاء .

أدبنا الى أيـن ؟

وبناء على ما اتضح من مفهوم الادب الاسلامي ، أين يمكننا أن نضع أدبنا العربي الحديث ، هـو هو أدب اسلامي حقا ؟ .

ان الادب ـ كما يقـول كتابه ـ ابن بيئتـه ، وانعكاس للحياة القائمة فى المجتمع ، وحياتنا فيها ملامح من الاسلام ، كما أن فيها الكثير الكثير مما هو خارج عنه ، ولسنا فى معرض استقصاء مظاهر هذا الخروج فى ميادين الحياة المختلفة من أنظمة الحكم والاقتصاد والاجتماع والقوانين والاخلاق ، لكنني هنا أحب أن اتسـاءل أيهما أدى لوجود الآخر ؟ هل الأدب هو الذى عمل على تفشي هذه المظاهر وطغيانها ، أم أن هذه المظاهر التي انبعث بعضها من داخلنا ، واستوردنا اكثرها من وراء الحدود ، وعبر البحار من حضارة الغرب هي التي مهدت لهذا الأدب الفارغ ؟ .

وكذلك هنا لا أريد أن أقف للبحث عن جواب لهذا التساؤل ، فحسبنا انه يفتح أمامنا سؤالا آخر هو ، هل استطاع أدبنا المعاصر أن يؤدى دوره فى حياتنا المعاصرة ؟ وما هو هذا الدور الذى عليه أن يؤديه ؟ .

لا شك أن دور الأدب هو دور الرائد والقائد فى جميع ميادين الحياة ، يأخذ بيد المجتمع نحو الأفضل فى كل شيء ، كما أنه يؤدى دور الضابط المراقب لما يمكن أن يتفشى فى المجتمع من انحراف او خطأ ، يقوم المنحرف ويصحح الخطأ .

أدباؤنا والسلبية

ونحن لا ننكر أن أدبنا الحديث فعل بعض ذلك ، وأدى ما لا ينكر من بعض ما يجب عليه ، فقاوم الخرافة والجهل ، كما قاوم الظلم والتخلف ، ودعا الى الحق والفضيلة . ولكن لم يفعل ذلك دائما ، ولا فعله على الوجه الأكمل ، كما أنه فعل ما يكاد يطغى على كل ما سبق من خير وفضل .

أما أنه لم يفعل فان هذا واضح من مواقف الأدب السلبية من كثير من قضايا الحق والعدالة ، اذ يشغل كثير من الادباء بأنفسـهم وذواتهـم ، ويعيشون فى أبراجهم العالية البعيدة عن مواقع امتهم وشعوبهم (١) .

أما أنه لم يفعله على الوجه الاكمل ، فذلك واضح من سطحية الاعمال الادبية ، التي تتصل بالقضايا العامة والمشكلات الاجتماعية ، اذ لم يمنحوها من انفسهم ما منحوه لأنفسهم من صدق وعمق .

أما أن الأدب فعل ما قد ينسف كل خير وفضل ، فذلك أن كثيرا من أدبائنا قد أخذوا بما رأوا من حياة الغرب وحضارته ، وأصابهم البهر ، ففقدوا الكثير من أصالتهم ، وضاعت عند الكثير من هؤلاء الأدباء معالم الشخصية المتميزة ، وأصبح مثلهم الأعلى ورائدهم هو ما ينتجه انسان الحضـارة الغربية الحديثـة بكل ما فيـه من تناقض وقلق وضياع ، وزعم كثير منهم بأننا مضطرون أن نأخذ الحياة الغربية ، ومثلها بكل ما فيها من أخطـاء بحجة أن الحضارة كل لا يتجزأ .

---

(١) ذلك حكم على الأدب والادباء نترك الرأى فيه للمشتغلين بالأدب .

((لا بد من الأدب))

ومهما قال القائلون فالانتاج مستمر والمطبعة تقذف والقراء يتلقون ، فكما لا يستغني الانسان عن الطعام والشراب والنوم وغيرها من ضرورياته الاساسية ، فهو لا يمكنه أن يستغنى عن المعرفة والتزود منها ، وكما يمكن أن تنحرف صحة الانسان حين يتناول الخبيث الضار فيقتل نفسه ، كذلك قد ينحرف سلوكه وتمرض نفسيته حين يتناول الأدب الضار الخبيث ، والمسئولية على من يقدم الفكر المنحرف والأدب الضال ، وعلى من يتلقاه ويتقبله . الا أن مسئولية العارض المروج دائما اظهر وأبين ، وجريمته فى حق امته ومجتمعه أشد وأنكى .

وما دام الأمر كذلك فالطريق الصحيح هو أن يحمل الادب على العودة الى طريق الحق ، وذلك لصالح الأدب أولا حتى لا يكون داء وسما قاتلا ، وليكون جديرا باسمه ورسالته اذ يكون ابداعه وجهده للبناء لا للهدم وللجد لا للضياع والقلق .

ولصالح الحق نفسه ومصلحة الاسلام ذاته ثانية

وذلك أن الأدب الجاد الهادف خير عون على رسالة الاسلام ، واحقاق الحق ، وقد اتضح لنا فيما سبق خطورة الكلمة وأهميتها فى نشر الدعوة أول أمرها .

الى كل أديب مسلم

واننا اذ ننظر فى واقع الأدب الحديث ، نفتقد الأدب الاسلامي افتقادا ، يكاد يكون تاما فى بعض الميادين ، ولا أريد أن استقصي ذلك واحصيه ، فحسبنا فى هذا المثال ، فالقصة على اختلاف انواعها اذا استثنينا عددا قليلا منها ــ تكاد تخلو من أى قصص اسلامي ، وخاصة فى العشر السنوات الأخيرة .

وميدان آخر مهم وخطير ذلك هو المجلة الأدبية ، وهي بلا شك منتدى الأدب ، تلتقى فيها الآقلام ويتم فى رحابها التعارف والتعاون بين عقول وأقلام تباعدت ديارها ، ونجد فى هذا الميدان أن معظم المجلات الاسلامية ــ ان لم يكن جميعها ــ تتجه نحو الفكر الاسلامي الخالص، وتعنى بالقضايا الفكرية ، والابحاث والدراسات ، ولا تكاد تلتفت الا قليلا للادب على اختلاف ميادينه وتعدد أشكاله.

وأرى أن مسئولية ذلك كله مزدوجة ، فهي أولا على أولئك الذين يملكون القدرة على النشر من رجال الفكر الاسلامي ، اذ عليهم أن يتجهوا هذه الوجهة ، ويمنحوا الأدب ما يحتاجه من عناية وجهد ، وثانيا على الأدباء المسلمين الذين اتجهوا الى الدراسات والابحاث الفكرية البحتة ، وهجروا ميدان الأدب رغم قدرتهم عليه ، وتمكنهم منه ، وعلى أولئك الذين ضعف انتاجهم من كل ذلك ، وكأنهم ألقوا سلاحهم أمام صبيان الضياع والقلق (! ! !) .

لا تشك لغير الله

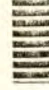
شكا رجل الى آخر الفقر فأجابه قائلا :

« يا هذا تشكو من يرحمك الى من لا يرحمك » .

● قال الاحنف بن قيس شكوت الى عمي وجعا فى بطني، فهزني ثم قال يا ابن أخي ! ! ! اذا نزل بك شيء فلا تشكه الى احد ، فانما الناس رجلان ، صديق تسوءه ، وعدو تسره ، والذى بك لا تشكه الى مخلوق مثلك لا يقدر على دفع مثله عن نفسه ، ولكن اشك الى من ابتلاك به فهو قادر على أن يفرج عليك .

يا ابن اخي ! ! ! احدى عيني هاتين ما ابصر بهما سهلا ولا جبلا من اربعين سنة وما اطلعت على ذلك امرأتي ولا احدا من اهلي .

بقية : فى تاريخ القرآن



تكن سوى بيئة محدودة ، ذات تقاليد اخلاقية ، وعادات عقلية ، أهمها : اعتزاز اهلها بالاعتماد على ذواكرهم فى حفظ النصوص والآثار ، وعلى ذممهم فى حفظ العهود والمواثيق ، فلم تكن بهم لهفة الى استخدام هذه الصنعة فى شئون حياتهم، ولذلك تأخر دخولها الى بيئتهم ، برغم انهم كانوا يجوبون الآفاق فى رحلة الشتاء والصيف وامثالها ، على ما حدث القرآن لكنهم حين بدأوا يتعلمونها كانت قد نضجت على أقلام الكتاب حوالي أربعة قرون ولذلك صلحت لديهم أداة يكتبون بها أحلافهم ، ويستودعون رموزها ، من بعد ، آيات الوحي المنزل .

وحتى اذا سلمنا بأن هـذه الالفاظ التي تعبر عـن أدوات الكتابة مستعارة فان جميع اللغات تأخذ وتعطى ، واذا لم تكن العربية أقدم اللغات السامية فمن المسلم علميا أنها أقرب اللغات السامية الى اللغة السامية الأم ، ومن المحتمل أن هـذه الالفاظ أصـيلة فيها ، كما هي أصيلة فى السريانية أو الارامية بل مـن المحتمل أيضا أن يكون وجودها فى العربية أقدم من وجودها فى غيرها من أخواتها الساميات ، وقد صـار من المشـهور تاريخيا أن الوجود العربى قد عمر هذه المنطقة وما حولها منذ أكثر مـن أربعين قرنا ، فالقول بأن العربية قد أخذت عن غيرها من الساميات يتساوى فى الاحتمال العلمى مع القول بأن غيرها قد أخذ عنها ولا عيب فى ذلك ولا تثريب . وقضـية اقتراض العربية للألفاظ من غيرها من اللغات ليست مقتصرة على هذا العدد من الألفاظ بخصوصه ، ولكن للاقتراض قواعد ومقاييس ليس هنا مجال الحديث عنها ، وقد صفت هذه القضية صياغة علمية فى رسالتى عن (القراءات الشاذة) .

نظرة أخرى الى الخط العربى

وعودة الى ما استنتجه بعض المؤرخين من نقشى زبيد وحران . أن الخط العربى كان مختلط الرموز ، لنضع فى مقابله من آراء القدماء قول ابن خلدون . ان الخط العربى كـان بالغا مبالغه مـن الاحكام والاتقان والجودة فى دولة التبابعة ، لما بلغت مـن الحضـارة والترف ، فكأن النقص لم يكن فى الخط ذاته ، وانما كان فى مهارات بعض الكاتبين ، والذين كانوا يختلفون باختلاف بيئاتهم ومسـتواها الحضارى .

فاذا وضعنا بازاء هذا انه قد اكتشفت وثيقة بردية يرجع تاريخها الى عام ٢٢ هـ ، على عهد عمر ابن الخطاب رضى الله عنه ، وهى مكتوبة باللغتين العربية والاغريقية ، وقـد وجـد ان بعض حروفها منقوط معجم ، وهى حروف (الخاء ، والذال ، والزاى ، والشين ، والنون) وكـذلك الشـأن فى نقش وجـد بقرب الطائف ومؤرخ بعام ٥٨ هـ ، على عهد معاوية بن ابي سفيان رضى اللـه عنه ، فان أكثر حروفه التي تحتـاج الى نقط منقوطـة معجمة (١) ـ أدركنا مبلغ صحة الرأى القائـل بهزال الخط العربى ، واقتربنا من تصديق ابن خلدون .

ومعنى هذا ببساطة أن الخط العربى لم يكن بالنقص الذى يشير اليه نقشـا زبيد وحران ، بل نضـيف الى ذلك أن الوثيقتين المشار اليهما ربما لم يرد فيهما حروف تحتاج الى اعجام اكثر مما ذكر ، (وهو اعجام مخالف فى تفصيلاته ما عليه الاعجام الحديث) ، ولو وجدت هـذه الحروف لألقى ضوء كاشف منهما لحال الخط العربى فى الجاهلية ، يبدو مـن حوله ما فشا فى السنة بعض المؤرخين ، وما قر فى أذهـان بعض المستشرقين ، والى فرصة أخرى .

---

١ ـ مصادر الشعر الجاهلى ص ٤٠ ، وحياة اللغة العربية ص ٧٠ .

الماوردي

للشيخ أبو الوفا المراغى
مدير المكتبة الازهرية

تناولنا فى مقالنا السابق الكلام على شخصيات الماوردى الدستورية والادبية والتربوية ، ونتناول فى هذا المقال الكلام على شخصياته الاخرى التي تبرز صورة الماوردى واضحة السمات والقسمات .

الماوردى الاخلاقى

تكلم الماوردى فى مسائل فى التربية جعلته يأخذ مكانه بين علمائها ، كما أشرنا اليه سابقا ، وتكلم فى مسائل من علم الاخلاق تجعله فى الصدارة بين علماء الاخلاق الاسلاميين ، وحين يتكلم عن الاخلاق لا يجعل من وكده ان يجمع وينسق ، ولكنه يأخذ نفسه بتحليل السلوك الانساني خيره وشره ، ويربطه بأصوله فى مغارس النفوس الانسانية وهو حين يتكلم عن مسائل الاخلاق ، يستعين فى مادته وتوضيح آرائه بما ورد فى القرآن والسنة ، وبما ورد عن علماء العرب والفرس واليونان ، حتى انه ليدهشك كيف تجمع للماوردى هذا المعين الثقافى المختلف المصادر فى مادتي التربية والاخلاق والتربية والاخلاق صنوان ، فالتربية تهذيب للنفس بالعلوم والمعارف ، والاخلاق تهذيب للسلوك بالمجاهدة والرياضة ، وانى استميح القارىء عذرا ان أطلت فى الاقتباس بعض الاطالة لان توضيح آراء الماوردى الاخلاقية يستدعى ذلك .

من القواعد الاخلاقية عند الماوردى ، أن للهوى سلطانا على النفوس وآثارا تنعكس على السلوك ، ويقول فى ذلك : وأما الهوى ، فهو عن الخير صاد وللعقل مضاد ، لانه ينتج من الاخلاق قبائحها

ويظهر من الافعال فضائحها ، ويجعل ستر المروءة مهتوكا ، ومدخل الشر مسلوكا قال النبي صلى الله عليه وسلم : « طاعة الشهوة داء . وعصيانها دواء » وقال ابن عباس رضي الله عنه : الهوى اله يعبد من دون الله . ثم تلا قوله تعالى « أفرأيت من اتخذ الهه هواه » .

وعلاج تسلط الهوى عند الماوردى يكون عن طريق التفكير فى مساوىء آثاره ، وما يستجره من الآثام والمغارم ، ويقول فى ذلك : وحسم ذلك ـ أى ما يقود اليه من المكاره ـ ان يستعين العقل بالنفس النفور ، فيشعرها ما فى عواقب الهوى من شدة الضرر ، وقبح الاثر ، وكثرة الاجرام ، وتراكم الآثام ، قال العباس بن عبد المطلب : اذا اشتبه عليك أمران فدع أحبهما اليك وخذ أثقلهما عليك .

وعلة هذا القول هو أن الثقيل تبطىء النفس عن التسرع اليه فيصح مع الابطاء ، وتطاول الزمان صواب ما استعجم .

ومن القواعد الاخلاقية عند الماوردى أن صلاح الجماعة يكون بصلاح الفرد ، وفسادها بفساده،وكذلك العكس اى ان صلاح الفرد يكون بصلاح الجماعة وفسادها بفسادها : لانهما مرتبطان ومتفاعلان يؤثر احدهما فى الآخر ، ويتأثر به، ويقول فى تقرير ذلك : لأن من صلحت حاله مع فساد الدنيا واختلال امورها ، لن يعدم ان يتعدى اليه فسادها ، ويقدح فيه اختلالها ، لانه منها يستمد ، ولها يستعد ، ومن فسدت حاله مع صلاح الدنيا وانتظام امورها لم يجد لصلاحها لذة ولا لاستقامتها اثر ، لان الانسان دنيا نفسه ، فليس يرى الصلاح الا اذا صلحت له ،ولا يجد الفساد الا اذا فسدت عليه ، لان نفسه اخص ، وماله امر فصار نظره الى ما يخصه مصروفا ، وفكره على ما يمسه موقوفا . وصلاح الدنيا مصلح لسائر اهلها لوفور أماناتهم، وظهور دياناتهم ، وفسادها مفسد لسائر اهلها ، لقلة اماناتهم وضعف دياناتهم ، وقد وجد ذلك فى مشاهد الحال تجربة وعرفا ، كما يقتضيه دليل الحال تعليلا وكشفا . فلا شيء انفع من صلاحها كما لا شيء أضر من فسادها .

ذلك ما قاله الماوردى عن ارتباط الفرد بالجماعة ، وارتباط الجماعة بالفرد ، وقد اعقب ذلك ببيان ما يصلح كلا منهما وما يفسده فى تحليل نفسي ، وتعليل منطقي ، يشد القارىء الى تتبعه، واستبانة ما فيه من عمق واصالة .

الماوردى الفقيه

احتل الماوردى مكانا بارزا بين فقهاء الشافعية يتردد اسمه ، وتشيع أقواله فى المراجع الكبرى من كتبهم ، قال الخطيب عنه : كان ثقة من وجوه الفقهاء الشافعية ، وله فى الفقه كتابا الحاوى والاقناع ، ولا يخطىء من يعد كتاب الاحكام السلطانية كتابا من كتب الفقه ، حيث عالج ناحية خاصة منه ، وهي الاحكام المتعلقة بنظم الحكم والادارة والاقتصاد الاسلامي .

وكتابه الحاوى من اشهر كتب فقه الشافعي ، ومن المراجع المعتبرة فى

المذهب ، قال صاحب كشف الظنون عنه : كتاب عظيم يقع فى عشر مجلدات ، ويقال انه لم يؤلف مثله .

وقال الاسنوى عنه لم يصنف مثله ، وقال ابن خلكان لم يطالعه احد الا وشهد له بالتبحر والمعرفة التامة .

وكتاب الاقناع كتاب مختصر فى الاحكام المجردة عن الادلة ، قال الاسنوى عنه : انه يشتمل على غرائب .

وقد نقل ابن السبكى فى طبقاته مختارات من فوائده الفقهية من كتابى الحاوى والاحكام السلطانية ، ولشهرة كتاب الحاوى عرف به فقيل عنه : انه صاحب كتاب الحاوى ، وفى المكتبات مخطوطات من كتاب الحاوى ، واجزاء متفرقة منه ، وهو ثروة فقهية عسى ان يقيض الله لها من يعمل على نشرها من القادرين على ذلك من اصحاب الرأى والقيادة فى الامم الاسلامية . وانها لخدمة اسلامية ستظل ذكراها باقية مقرونة بالدعاء والثناء ما بقى الفقه الشافعي بل ما بقي الاسلام .

أخلاق الماوردى

لم يعن المترجمون بالكلام عن اخلاق الماوردى ، وفى سيرته وتراثه ما يعين على التعرف اليها ، ففي فتواه التي اشرنا اليها فى مقالنا السابق ضد جلال الدولة ، وفى مواقفه من المعتزلة ، وفى وصيته للعلماء بتجنب الرياء والعجب ، فى كل ذلك ما يدل على شجاعته وحرية رأيه ، وخشيته من الله وتواضعه وبغضه للرياء ، فكان شديد المحبة والتعلق برسول الله صلى الله عليه وسلم وكان يراه فى المنام وكأنما يستوضحه بعض الامور .

قال فى أدب الدنيا والدين : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المنام ذات ليلة فقلت : يا رسول الله ، أوصنى فقال استحى من الله عز وجل حق الحياء. ثم قال: تغير الناس، قلت : وكيف ذلك يا رسول الله ؟ قال كنت انظر الى الصبى فأرى من وجهه البشر والحياء ، وانا أنظر اليه اليوم فلا ارى ذلك فى وجهه ، ثم تكلم بعد ذلك بوصايا وعظات تصورتها ، واذهلني السرور عن حفظها ووددت لو انى حفظتها ، فلم يبدأ بشيء صلى الله عليه وسلم قبل الوصية بالحياء ، على أن صاحب معجم الادباء قال ، لم أر اوقر منه ولم أسمع منه مضحكة قط ، ولا رأيت ذراعه منذ صحبته الى ان فارق الدنيا .

هل كان الماوردى معتزليا ؟

فى تاريخ الماوردى نقطة هامة لها تقديرها فى تاريخ العلماء الاسلاميين الاقدمين ، ولها أثرها فى توثيقهم والتلقى عنهم، والافادة منهم اوتضعيفهم والاغضاء عنهم ، وهي سنية العالم أو اعتزاليته — وهي هل كان معتزليا أو سنيا ؟ .

ذكر ابن العماد فى الشذرات نقلا عن ابن الصلاح ، انه اتهم بالاعتزال فى بعض المسائل بحسب ما فهم عنه فى تفسيره فى موافقة المعتزلة فيها ، ولا يوافقهم فى جميع اصولهم ، ومما خالفهم فيه أن الجنة مخلوقة ، نعم يوافقهم فى القول فى القدر ، وهى بلية على البصريين .

ونقل ابن السبكى عبارة ابن الصلاح مفصلة فقال : قال ابن الصلاح : هذا

الماوردى عفا الله عنه يتهم بالاعتزال ، وقد كنت لا اتحقق ذلك عليه ، وأتأول فى كونه يورد فى تفسيره الايات التى يختلف فيها اهل السنة ، وتفسير المعتزلة غير متعرض لبيان ما هو الحق منها ، واقول لعل قصده ايراد كل ما قيل من حق او باطل ، ولهذا يورد من أقوال المشبهة أشياء مثل هذا الايراد حتى وجدته يختار فى بعض المواضيع قول المعتزلة ، وما بنوه على أصولهم الفاسدة .

ومن ذلك مصيره فى الاعتراف الى ان الله لا يشاء عبادة الاوثان ، وقال فى قوله تعالى « وكذلك جعلنا لكل نبى عدوا شياطين الانس والجن » وجهان، أحدهما حكمنا بأنهم أعداء ، والثاني تركناهم على العداوة فلم نمنعهم منها ، وتفسيره عظيم الضرر لكونه مشحونا بتأويلات أهل الباطل تلبيسا وتدليسا ، على وجه لا يفطن له اهل العلم والتحقيق ، مع انه تأليف رجل لا يتظاهر بالانتساب الى المعتزلة، ويجتهد فى كتمان توافقهم فيما هو لهم موافق ، ثم هو ليس معتزليا مطلقا ، فانه لا يوافقهم فى جميع أصولهم ، مثل خلق القرآن كما دل عليه تفسيره فى قوله عز وجل « ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث » وغير ذلك ، ويوافقهم فى القدر، وهى البلية التى غلبت على البصريين وعيبوا بها قديما .

وقد احسن ابن السبكي فى نقل نماذج من تفسير الماوردى التى يستبين بها اتهامه بالاعتزال ، ويكون الحكم عليه حكما بالبينة والدليل ، ولولا ما ذكره ابن السبكى لكان الحكم باعتزال الماوردى حكما يحتمل الصحة أو الرجحان أو البطلان ، واذا انعمنا النظر فى قول ابن السبكى « ليس معتزليا مطلقا » واضفنا اليه حادثة فتيا الماوردى ضد جلال الدولة بن بويه وهو الرئيس الاعلى للدولة اذ ذاك ، والصديق العزيز على الماوردى امكننا ان نقول ان ما رمى به الماوردى من الاعتزال ليس اعتزالا ، بل هو نوع من حرية الرأى والاجتهاد فى الفهم ، وليس تقليدا خالصا للمعتزلة، وقد عرف الماوردى بالاجتهاد وبغض التقليد .

روى صاحب معجم الادباء ، انه لما سلك طريقه فى توريث ذوى الارحام ، وانه يسوى بين البعيد والقريب منهم ذهب اليه الشينزى فى جماعة الى المسجد وقال له : ايها الشيخ اتبع ولا تبتدع . فقال الماوردى : بل اجتهد ولا أقلد . فانصرف الشينزى .

وفى عبارة صاحب معجم الادباء عن الماوردى تضعيف لتهمة الماوردى ، فقد قال عنه : كان عالما بارعا متفننا شافعيا فى الفروع ، معتزليا فى الاصول على ما بلغني والله اعلم فعبارة على ((ما بلغني)) عبارة عن الشك فى الحكم فى عرف العلماء

على أن العلامة ابن حجر ـ وهو الحجة فى جرح العلماء وتعديلهم ـ قد فصل فى هذه القضية حيث قال فى لسان الميزان بعد ان ذكر بعض المسائل التي وافق الماوردى فيها المعتزلة : ((وله مسائل وافق اجتهاده فيها اجتهاد المعتزلة ، ولا ينبغي أن يطلق عليه اسم الاعتزال)) والظاهر ان هذه التهمة لم تؤثر على سمعة الماوردى العلمية بدليل قول المترجمين له ، انه ثقة وتقبل الرواية عنه، كما ذكر ابن السبكي بعض الاحاديث التى وقع فى اسنادها الماوردى .

لم ينجح الإستعمار في تغيير

البناء الإجتماعي يحتاج إلى

قيادة اوربا للعالم سبب تمزق

حديث مع الأستاذ مالك

الاستاذ ملك بن نبي مستشار التعليم العالى بالجزائر أحد الدعاة الاسلاميين المعاصرين الذين تضلعوا فى الثقافة الغربية الى جانب الثقافة الاسلامية ، ومؤلفاته الكثيرة تتسم بالاصالة وعمق التفكير ، وتطوافه بالعالمين الغربى والاسلامى زادت تجربته فى دراسة المجتمعات الانسانية .

وقد اغتنمت مجلة الوعي الاسلامي زيارته للكويت فى الفترة الاخيرة فأوفدت اليه أحد محرريها لاستطلاع رأيه فى كثير من الامور التى تهم المسلمين وفيما يلى نص الحديث : ـ

س ـ ما هو الهدف من زيارتكم للكويت؟

زيارتى للكويت كانت زيارة مسلم عربى الى بلد شقيق تربطه به كل الروابط ، ومن الناحية الرسمية فمن أجل القيام بمهمة تتعلق باتفاقية ثقافية بين الكويت والجزائر .

وقد وجدت فى الكويت كل مايسر ويملأ النفس رجاء فى مستقبل المجتمع العربى الاسلامى ، كما شعرت مذ حللت الكويت كأننى فى معمل يصنع جانبا كبيرا من تاريخ الامة الاسلامية ، وقد تأكد فى نفسى هذا الانطباع حينما تشرفت بمقابلة صاحب السمو الشيخ صباح السالم الصباح أمير البلاد .

س ـ ما هي البلاد الاسلامية التى زرتموها وأشهر انطباعاتكم عنها ؟

زرت تقريبا كافة البلاد الاسلامية فى

المفاهيم الإسلاميّة بنـاء الفـرد أولاً المجتمع الانسـاني

بن نبي



الاسـتاذ مالـك بـن نبي
مستشار التعليم العالي بالجزائر

القارتين الآسيوية والافريقية ، أما انطباعاتى عنها فقد كونت وجهة نظر فى تاريخ الحضارات والمجتمعات ، وكنت أجد الحياة فى مختلف البلاد الاسلامية على ما كنت أتوقعه ، أعنى بذلك أن الاختلافات الشكلية يخدع بها أحيانا المسلم عندما يواجه مشكلات البلاد الاسلامية ويضفى عليها الطابع المحلي .. ولقد كانت هـذه الرؤيا تحجب عليه الحقيقة الكبرى الا وهي أن مصير المجتمع الاسلامى مصير واحد متحد ، كما أن مصير المجتمع الغربى بما فيه الاتحاد السوفيتى رغم الاختلاف المذهبي العميق واحد ، كما دلت على ذلك الحرب العالمية الثانية ، وكما تدل عليه الملابسات الدولية الراهنة .

س ـ كانت ثورة المليون شهيد مثلا أعلى فى تصميم الشعب الجزائرى وايمانه بحقه فما هى النقطة التى بدأت منها انطلاقة الشعب واستمراره فى ثورته فى رأيكم ؟

هذه الكلمة تتضمن معنيين ـ المعنى المحلى والمعنى الادبي ، فأما المكان الذى انطلقت منه الثورة فمن جبال أوراس أعنى من مقاطعة جزائرية تعتز باسلامها وبعروبتها ، أما المعنى الثانى فهي العقيدة الاسلامية نفسها التى كانت المحرك والدافع الكبير للتيار الثورى فى الجزائر .

س ـ لا شك أن الاستعمار قد غير كثيرا من مقومات الحياة فى الجزائر ليطبعهـا بطابعه فالى أى مدى نجح فى ذلك ، وما هي الوسائل التى اتخذتموها للعـودة بالشعب العربى المسلم الى طابعه الاصيل؟

لم ينجح الاستعمار فى تغيير المفاهيم الاسلامية والقيم الروحية فى نفس المسلم، ولكنه غيرها فى الدور التاريخي السياسى، ولقـد سـبق أن أوضحت أن الثـورة انطلقت من جبال أوراس ، أى من البيئة التى كانت أكثر تمسكا بدينها ، فكـان من الطبيعي أن يفكر الاستعمار فى فك عجلة الثـورة من يد هـؤلاء القـوم ، لتسليمها الى أيدى من يتقرب اليه عن وعى أو غير وعى ، وذلك بطريقة تكوينه الثقافى أو بطريق العمالة كما وقع ذلك فى جميع البلاد الاسلامية . .

وفى الوقت الراهن أخذ الامر يستتب فى أيدى من يمثل القيم التى يقدسـها الشعب من دين ولغة ووطن .

★ ★ ★

س ـ أرجو أن توضحوا للقراء الناحية التعليمية والتربوية فى الجزائر ومراحل التعريب فيهـا ؟

الجزائر منـذ اللحظـة الاولى مـن استقلالها واجهت مشـكلات تعليميـة عويصة ، اذ كان الاستعمار عند اجلائـه عنها ، قد سحب معه جميع وسـائل الحياة الاجتماعية سحب ما يقرب مـن ٣٠ ألف معلم ، فأحدثوا فراغا كبيرا ، فأصبحت السلطات الجزائرية تجـابه هذا الفراغ كرد عنيف عاجل حتى تبرهن أن سيادة الوطن تبقى محفوظة مـع كرامته ومع وظيفته الاجتماعية رغم الظروف المصطنعة التى خلفها الاستعمار عند انسحابه ، فجنـدنا فى المسـتوى الابتدائى مـن له قسط مـن العلم كي يؤديه لاخوانه الذين يتعلمون ، فأدهش هذا العمل المستعمر نفسه ، لأنه كـان ينتظر من وراء انسحابه وسحب جهازه الادارى والتعليمي ، صرخة اليأس مـن طـرف الشعب الجزائرى واستسلامه للظروف القاسية ، ولكن كل فرد مـن الشعب أدى واجبه فى حقل التعليم كما يجب ، وسد بذلك الفراغ المصطنع، وتم كل هذا فى غضون ثلاثة أشهر ، وهـذا طبعا لم يحـل كل مشكلات التعليم فى الجزائر فى كافة مستوياته ومن بين هذه المشكلات لا زلنا نواجه ، غير مستيئسين مشكلة التعريب التى لا تخص فيما أعتقد الجزائر فقط ، بل تخص البلاد العربية كلها حيث لا زالت الجامعات الكبرى فى العالم العربى تدرس أكثر من مادة بلغة أجنبية عدا جامعة دمشق .

★ ★ ★

س ـ يقولون أن معركة البناء الداخلي أدق وأخطر من مرحلة الكفاح المسلح . . فالى أى حد ينطبق هـذا القول عـلى التجربة الجزائرية ؟

هذا لا ينطبق فحسب على التجربة الجزائرية بل على كل تجربة انسانية ، وهذه الحقيقة هى التى أشار اليهـا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى رجوعه من احدى غزواته «الآن رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر» فمرحلة البناء الاجتماعى تتضمن بناء الفرد أولا وقبل كل شيء ، وبذلك تتضمن جهادا وصراعا عنيفا مع رواسب ما خلفه الاستعمار فى النفوس وما تبقى فيها من قابليـة للاستعمار .

س ـ ما هى أسباب فترة القلـق التى يعيشها عالمنا اليوم وطريق الخلاص منها ؟

الانسانية تدين بقلقها الحاضر الى أسباب متنوعة ، بعضها يعود الى نفسية الشعوب التى نصفها بالمتقدمة ، وبعضها يتصل بشعوب نصفها بالنامية (تفاؤلا) .

فعدم التوازن بين هاتين الناحيتين هو فى الحقيقة أخطر مشكلة يواجهها العالم اليوم ، ولا يمكن حلها الا بطريقتين . رفع ضمير الانسان المتحضر الى مستوى الانسانية أعنى عندما يخرج من برجه العاجى ويدخل فى معركة مصير شامل يخص الاسرة البشرية كلها ، هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى رفع عقل البلاد المتخلفة الى مستوى الحضارة .

فعندما تتم التسوية الاخلاقية التى ترفع الشعوب المتحضرة الى دورها الطبيعى بالنسبة للانسانية كلها ، وأكثر ما يكون ذلك حين تتم التسوية الاجتماعية بالنسبة للمجتمعات المتخلفة كى تكون فى مستوى حضارة القرن العشرين ـ تكون الانسانية قد حلت مشكلاتها ، وأزالت أسباب قلقها الراهن ، وهذا يعنى أن دور الاسلام فى هذه المرحلة الانتقالية ـ يجب أن يكون دورا حضاريا ويجب على المسلم الذى يدرس القضايا الاسلامية أن يدرسها من الزاوية الحضارية .

★ ★ ★

س ـ ماذا خسر العالم بانحسار دولة الاسلام ، وكيف السبيل لاستعادة المسلمين مركزهم القيادى ؟

يقول المفكر الفرنسى الكبير العلامة غوستاف لوبون كأنه يجيب على هذا السؤال فى كتابه « حضارة العرب » : « ان معركة بواتيه قد أخرت التيار الحضارى فى أوروبا لثمانية قرون » .

واذا تحقق هذا فى نظر العلامة الفرنسى بالنسبة لبلاده وأوروبا ، فان مفهول التخلف فى سير التاريخ أصبح يجرى على العالم عندما تولت أوروبا القيادة فيه منذ عصر نهضتها ، بالاضافة الى ذلك فان غوستاف لوبون يشير هنا الى الجانب العملى والمادى من الحضارة بينما كان للاسلام لو استمرت القيادة فى يده أن يجنب الانسانية كوارث التاريخ (مثل الحرب الاولى والثانية) ويجنبها بصورة ادق ذلك التمزق الذى أصاب المجتمع الانسانى عندما دخل تحت سلطة الروح الاستعمارية ، والسبيل الى الخروج من هذا المأزق سبق أن نوهت به ، يضاف الى ذلك سيطرة المادة اليوم اذ تدفعه الى كل ما يهدد كيانه من الجانب السياسى فى تصرفات الدول ، ومن الجانب الاخلاقى فى تصرفات الافراد .

يجب اذن لمواجهة هذه الاخطار ، وهذه الانحرافات أن يقوم المسلم بدوره كمرشد لاخوانه من الاسرة البشرية يهديهم الى صراط مستقيم . ولا يمكن ذلك الا بشرطين : ـ أولهما : أن يهتدى المسلم نفسه الى هذا الصراط ، والشرط الثانى أن يقوم المسلم باتباع الاسلام لا بأقواله فحسب ، ولكن بأعماله كى يضرب به المثل القياسى للانسانية فى ميدان الفن حيث قطع الركب مسافات بعيدة ، وفى الميدان الاخلاقى حيث تخلف الركب عن المثل التى أتت الاديان المنزلة من أجل ترسيخها فى السياسات والمعاملات .

رحلة مع الكلمات

محمد يوذن

الرَّجُلُ الصادقُ .. يدعو الناس إلى التوحيد .. فينصرفونْ
و يُلَفْلِفُ في الكلمات دموعَ العين ... فتحترق عيونْ
يدعوهم حتّى للإبحار وراء الحسّ ... فينهزمونْ
و كأن جبال العالم تجثو فوق النبض .. فيحترقون



كلماتُ الرجل الصادق تُبْصِرُ حتى بعيون الأقدار
تتلفت ظمأى نحو قلوب الناس .. وتدعو الأمطار
عَلَّ الأمطار تُلين الصخر .. وتفتح قلب الاحجار
لكنَّ الجدب يطارد خلف التّيه جذوع الأشجار



و الكلمة بعضُ ثمار الربِّ .. تُقاتل بالحرف جيوشا
في كل حنايانا تُدفئُ بالحب صباحا مرعوشا
وتَخُطُّ على خطِّ الزحف العملاق شعارا منقوشا
(الموتُ لأعداء الكلمات) (سنبني للضوء عروشا)

المهاجرة

للاستاذ محمد أحمد العزب

ومَضَتْ كلمات الرجل الصادق تأكلُ أحداق الظلماتْ
وتبعثر ضوءَ الفجر على الأعراف .. وخلف الأكَمَاتْ
فارتعشت بالحقدِ الضارى ... واللوثةِ .. كلُّ الربوات
وانفلتت السيفُ .. يثير الحرف ... ليحرق نبْض الكلمات

★★★

حملتْ كلماتُ الرجل الصادق فوق أناملها الفجرا
وانْدَاحَتْ خلف الأبعاد السوداء لتغتصب النصرا
كانت ترنو للسيف .. فيجثو السيف ... ويزدرد القهرا
ويُكَبِّرُ تحت سماء الحرف ... جبانًا يلتمس العذرا

★★★

لكنَّ الكلمةَ ... والقائدَ .. والجيلَ الموعودَ .. سماءُ
كانوا أحْنَى ... فأخضرَّتْ فوق شفاه الناس الأضواءُ
وتجاوب كل الكون بأصداء ... تحدوها أصداء
يَاكُلَّ زحوفِ الليل .. أصيخوا ... أنتم ؟ أنتم طُلَقَاءُ .

مائدة القارئ

عشاء أمير المؤمنين

دخل زبان بن عبد العزيز على أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز ، فشكا له عمر وقال :

– قل نومى هذه الليلة ، فاتهمت عشاء تعشيت به .

– ما هو ؟

– عدس وبصل .

– لقد وسع الله عليك وتضيق على نفسك .

– أطلعتك على سرى ، فوجدتك غاشا غير ناصح أما والله لا أعود الى مثلها أبدا .

واحدة بواحدة

كان أحد السياح – وهو انجليزى – يسير بين المقابر فى الصين ، فرأى صبيا صينيا يضع طبقا من الارز المطبوخ فوق قبر ، فقال له متهكما متى تظن أن فقيدك يقوم فيأكل الارز ؟!

فأجابه الصينى بقوله : ((يكون ذلك متى جاء فقيدكم يستنشق روائح الازهار التى تضعونها على قبره)) .

عـدالة عمر

لقى عمر بن الخطاب أبا مريم السلولى الذى قتل أخاه زيد بن الخطاب ، فقال له عمر . والله انى لا أحبك حتى تحب الارض الدم .

قال السلولى : أفيمنعنى ذلك حقا ؟

قال عمر : لا .

قال السلولى : فلا ضير ، انما يأسى على الحب النساء .

الضيف الثقيل

نزل رجل عند قوم ، وأطال الضيافة ، فكرهوا اقامته . فقال الزوج لزوجته : كيف لنا أن نعلم مقدار اقامته ؟ قالت : نتشاجر غدا ، ونتحاكم اليه ، لنعلم متى يرحل . فتشاجرا وقالت الزوجة للضيف : استحلفك بالله الذى يبارك فى سفرك غدا أينا أظلم ؟ فقال الضيف : والله الذى يبارك لي فى اقامتي عندكما شهرا ، ما أعلم أيكما أظلم .

دموع الصائد

قال الفضل بن موسى الشيبانى :

كانت الريح عاصفة ، وأخذ بعض الصيادين يصطاد العصافير ، وعيناه تذرفان لما يدخل فيهما من الغبار ، فكلما صاد عصفورا كسر جناحه ، وألقاه فى ناموسه . فقال عصفور لصاحبه : ما أرأفه ؟ ألا ترى الى دموع عينيه .

فقال آخر : لا تنظر الى دموع عينيه ولكن أنظر الى عمل يديه .

اشرف الناس

أراد الكسائي معلم الامين والمأمون أن يقوم من مجلسه ، فتسابق الامين والمأمون على أن يكون كل منهما أسبق من أخيه بتقديم نعلي الكسائي ليلبسهما في رجليه .

فسأله الرشيد ـ من أشرف الناس ؟

قال الكسائي ـ أنت يا أمير المؤمنين .

قال الرشيد ـ بل هو من اذا همّ بلبس نعليه تزاحم في تقديمهما له وليا عهد أمير المؤمنين .

امام العلماء

سئل عمر بن الخطاب قبل موته : لو عهدت الينا . اخترت خليفتك بنفسك وبايعناك عليه .

فأجاب : لو كان معاذ بن جبل حيا ، ووليته عليكم ، ثم قدمت على ربي عز وجل ـ فسألني : من وليت على أمة محمد ـ لقلت : وليت عليهم معاذ بن جبل ، بعد أن سمعت النبي يقول : معاذ ابن جبل امام العلماء يوم القيامة .

مانعة الاصطدام

* ليس من المستطاع ،ولا من الصالح أن تتخلى أمة عن تقاليدها ، لأن التقاليد ضرورة من ضرورات التقدم والمدنية ، اذ هي تقوم بوظيفة مانعة الاصطدام .

* اذا نحيت الوحي لتفسح مكانا للعقل فقد أطفأت نورهما معا .

قيادة رشيدة

عندما تم الصلح بين أمير جيوش المسلمين في الشام أبي عبيدة وبين أحد قواد الروم جاءه بطعام فاخر وقال له : هذا طعام الامير . قال أبو عبيدة : وأطعمتم الجند مثل هذا الطعام ؟

قالوا : لم يتيسر .

قال أبو عبيدة : لا حاجة لنا فيما يقتصر علينا وحدنا من ألوان الطعام. بئس المرء أبو عبيدة ان صحب جندا قدموا دماءهم دونه ، فاستأثر عليهم بشيء يصيبه . انا لا نأكل الا مما يأكلون .

الزوجة الوفية

قال لويس الرابع عشر عند وفاة زوجته لقد حرمت زوجة كان موتها أول ما ساءني منها .

كلهم مسلمون

صدرت الليدي « ايفلين كوبولد » كتابها « الحج الى مكة » ، بالعبارة التالية :

« لقد تساءل جيته اذا كان هذا هو الاسلام ألسنا كلنا مسلمين ؟ » . فأجابه كارليل : « أجل .. ان من يحيا بالروح انما يحيا على الاسلام » .

مركب النقص

وقف الاحنف بن قيس ومحمد بن الاشعث بباب معاوية رضي الله عنه ، فأذن للاحنف ، ثم لمحمد بن الاشعث ، فأسرع محمد في مشيته حتى دخل قبل الاحنف ، فلما رآه معاوية قال له : والله اني ما أذنت له قبلك وأنا أريد أن تدخل قبله انا كما نلي أمركم كذلك نلي أدبكم . ما تزيد مزيد في أمره الا لنقص يجده في نفسه .

اتحاد الطلبة المسلمين في الولايات

تجمع طلابى اسلامى عالمى على مبادىء الاسلام الصحيحة ومفاهيمه الاصلية .

شعاره : الاسلام الحنيف افضل ما يضمن السعادة ويوصل الى الخير . ويخرج البشرية من الظلمات الى النور .

مبادئه : الاسلام نظام شامل تناول الحياة ، فهو دولة وامة وخلق وقوة ورحمة وعدالة وتجمع واتحاد .

اهدافه : وحدة الشباب المؤمن فى العالم اجمع ، صموده امام تيار المادية الجارف ، تصحيح ما دسه المستشرقون والمبشرون على الاسلام من كذب وافتراء ، التصدى لحملات الصهيونية على الاسلام . دعوة الناس جميعا الى الاسلام .

فى حقبة من التاريخ كان التجار الذين يصلون الى جزر اندونيسيا والفليبين وشواطىء افريقيا هم الدعاة الى الاسلام ، وعلى أيديهم دخل سكان تلك البلاد فى دين الله افواجا ، وهؤلاء التجار على بساطة عملهم كان لهم دور ايجابى فعال فى ايصال الاسلام الى تلك النفوس ، وذلك بما كانوا عليه من اعتصام بدينهم واعتزاز بعقيدتهم وتمثلهم لتعاليم قرآنهم فى معاملاتهم مع الناس .

ومع انطلاقة دعوة الاسلام الواعية ، المجردة من الزيف والجمود فى مطلع هذا القرن ، شهد عالم الغرب نموذجا من هؤلاء الدعاة الى الاسلام ، لم يكونوا فى هذه البلاد تجارا وانما طلبة علم فى جامعات امريكا وكندا والمانيا وانجلترا وغيرها من الجامعات وقد اتخذ نشاطهم الاسلامى طابعا علميا واعيا منظما كان له اثر كبير فى تصحيح المفاهيم الخاطئة عن الاسلام التى دسها التبشير والاستشراق ، وتعميق المفاهيم الاسلامية الصحيحة في نفوس الشباب المؤمن الملتقى على طاعة الله ورسوله بالاضافة الى اعتناق عدد كبير من شباب الغرب لهذا الدين الحنيف عن فهم وعلم ويقين ، وقد تبلورت هذه النشاطات الطلابية الاسلامية فى اتحادات اهمها :

اتحاد الطلبة المسلمين فى الولايات المتحدة الامريكية وكندا .

اتحاد الطلبة المسلمين فى اوروبا .

اتحاد الطلبة المسلمين فى المملكة المتحدة .

جمعية الطلبة المسلمين فى فرنسا .

اتحاد الطلبة المسلمين فى نيجيريا .

وهذه الاتحادات لاشك انها نواة مباركة لاتحاد طلابى اسلامى عالمي ، يكون له دوره الايجابى الفعال فى انطلاقة الدعوة الاسلامية المباركة الى العالم اجمع .. وحديثنا فى هذا العدد عن اتحاد الطلبة المسلمين فى الولايات المتحدة الامريكية وكندا .

نبذة تاريخية

ان اقبال الطلاب المسلمين على طلب العلم فى

المتحدة الأمريكية وكندا

البلاد الاجنبية قد تطور منذ ان استقلت اكثر الاوطان الاسلامية تطورا شديدا بلغ منه ان اصبح في الولايات المتحدة الامريكية وكندا أكثر من خمسة عشر الف طالب مسلم ، هذا العدد الضخم من الطلاب المسلمين فى مختلف الجامعات الامريكية والكندية سيعود الى اوطانه عاجلا أو آجلا ليأخذ فيها مكانا مرموقا ، وليشغل فيها مراكز هامة فى توجيه امور المسلمين ، لعل اثرهم بذلك فى حياة الامة سيكون اقوى وافعل من كل وسائل الوعظ والارشاد فى بلادنا .. ان الكثرة من هؤلاء الشباب يفدون على ديار الغرب وليس عند احدهم فكرة واضحة عن الاسلام الا صورة اليمة من أحوال المسلمين تزيد في قلق النفس والفكر ، فاذا واجه الحياة الغربية وفنونها المادية واغراءها المتجدد ، بدأت صلته الوراثية التقليدية بالاسلام تهتز ، وبدأت الشكوك تراود نفسه ، وتبلبل اتجاهه ثم يأتى الضعف امام الاغراء فيتهاوى على المعصية فى تردد ثم فى استسلام ، وقد ينحدر فى هذا الاتجاه وهو هارب من نفسه شارد من وازع من ضميره وقد يصل به الانحدار الى التمرد على الدين كله ، اما فى نزوة المفتون المغلوب على أمره واما فى الحاد سافر .

والقلة القليلة التى تذهب للدراسة فى الخارج مزودة بوعى اسلامى وورع عند حدود الله ، لا تلبث أن تستشعر قسوة البيئة ومرارة جهد النفس ومغالبة التيار ، فاذا علمنا ان هؤلاء الطلاب المسلمين الوافدين على بلاد الغرب ليسوا كل المسلمين فيها ، بل ثمة آلاف من العائلات المسلمة ومشكلة مشاكلهم تربية اولادهم تربية اسلامية واذا اضفنا الى كل ذلك ان عقدة العقد فى علاقات الامم الاسلامية بغيرهم هى فى سوء فهم هؤلاء للاسلام وان احوال المسلمين الوافدين الى بلادهم هى الصورة التى يحكمون بها للاسلام او عليه ، وضح مبلغ المسؤولية الكبيرة فى عنق كل مسلم نحو دينه هذه العوامل كلها هى التى حدت بنفر كريم من طلبة العالم الاسلامى والعربى من الذين يدرسون فى معاهد الولايات المتحدة وكندا الى اللقاء فى صيف عام ١٩٦٣م المصادف ١٣٨٢ هـ ليجمعوا امرهم للتصدى للموجة الجارفة ، موجة الضلال والهوى وليعيدوا صفات الايمان الى القلوب وكلمات القرآن الى الشفاه وليتخلوا عن العزلة من اخوانهم فى العقيدة فى مدينة شامبين فى ولاية الينوى فكانت اتحاد الطلبة المسلمين فى الولايات المتحدة وكندا ، منظمة اسلامية .



جانب من المصلين اثناء صلاة الجمعة للطلبة المسلمين فى جامعة الينوي .

الخطيب آنذاك الدكتور محمد لال تشولا .

ملاحظة : الأوراق الموجودة امام بعض المصلين هي الرزنامة (امساكية) شهرية توزع على المصلين لمعرفة اوقات الصلوات حسب التوقيت المحلي .

مبادىء الاتحاد

١ ــ نؤمن بأننا مسلمون أولا واخيرا بهذا سمانا الله ، ولم نجداسمى وافضل من ان نكون مسلمين (ملة ابيكم ابراهيم هو سماكم المسلمين من قبل وفى هذا ليكون الرسول شهيدا عليكم وتكونوا شهداء على الناس) .

٢ ــ نؤمن بأن الاسلام وجد ليعيش فى ضمائرنا وقلوبنا وفى كل مرفق من

مرافق حياتنا ، وفيه صلاح امرنا وامر امتنا ، وان الفناء في الحق هو عـين البقاء ، وانه (لا دعوة بغير عمل) .

٣ ـ نؤمن ان تعاليم الاسلام الحنيف ومبادئه هي افضل ما يضمن لنا السعادة، ويوصلنا الى ما نبتغي من خير ويخرجنا من الظلمات الى النور ، وان الاسـلام نـظام شامل يتناول مظاهـر الحيـاة جميعا ، فهو دولة وامة وهو خلق وقوة ورحمة وعدالة وتجمع واتحاد .

٤ ـ ونؤمن ان الاسلام اساس العمل، وان الاسلام يحرر العقل ، ويحث على النظر في الكون ويرفع قدر العلم والعلماء، ويرحب بالصالح النافع مـن كل شيء فالحكمة ضالة المؤمن انى وجدها فهو احق الناس بها .

أهم اهداف الاتحـاد

تتلخص أهداف الاتحاد بما يلي :

تقوية الروابط الاسلامية ، وتثبيت اسـس الاخوة الدينية بين الطلبة المسلمين في جميـع انحـاء العالم .

التعاون على نشر تعاليم الاسلام الحنيف بين صفوف الطلبة المسلمين وغير المسلمين .

مساعدة الطلبة الوافدين حديثا الى هذا البلد وتأمين السكن والمأكل لهم وتعريفهم على اوضاع الجامعة التي ينتسـبون اليها .

العمل على تكوين روابط طلابية اسلامية في الجامعات التي ليس بها مثل تلك الروابط .

مساعدة الذين يعتنقون الاسلام في هذه القارة وتهيئـة الوسـائل اللازمة لتفهيمهم الاسـلام الصحيح وتعليمهم اسس الدين الحنيف .

الرد على ما ينشر من مفتريات عن الاسـلام وعقائده في الجرائد والمجلات والكتب التي تنشر في هذه القـارة .

الوسائل التي يسلكها الاتحاد لتحقيق الاهـداف

اصدار مجلة الاتحاد وتسمى « الاتحـــاد » ترمز الى وحدة المسلمين تحت راية القرآن الكريم وشعارها « واعتصموا بحبـل الله جميعـا ولا تفرقـوا » .

طبع نشرات دورية عن الاسلام في مواضيـع مختلفة وخاصة المواضيع التي يسأل عنها الطلبة المسلمون .

القاء محاضرات عن الاسلام في الجامعـات والكليات والكنائس والمدارس والجمعيات الاخرى.

الاشتراك في المعارض الطلابية عن الثقافـة ومدنية البلدان الاسلامية وللراغبين من غـير المسـلمين .

تعليم مبادىء الاسلام بالمراسلة لاطفال المسلمين وللراغبين من غير المسلمين .

اقامة مخيم سنوي لاطفال المسلمين لتدريبهم وتعليمهم وتربيتهم على الدين الاسلامي .

تنظيم دروس دورية في تعليم القرآن الكريـم والسنة النبوية .

الاجابة على الاسئلة الدينية من المسـلمين في هذا البلد لحل مشاكلهم .

ارسـال مطبوعات الاتحاد الـى الجمعيات والمؤسسات الاسلامية في هذه القارة وفي العالـم الاسـلامي .

ايجاد مكتبة للكتب الاسلامية باللغة العربية والانجليزية للكتب الاسلامية القيمة .

مشروع تسجيل القرآن الكريم وتوزيعه بدون ربح الى من يحب الحصول عليه .

ترتيب امور الزواج والجنائز في حالة عـدم وجود من يقوم بها في المراكز والجاليات الاسلامية.

الرد على ما يكتب عن الاسلام وعقائده ورجالاته في مختلف الجرائد والمجلات الاسلامية بكتابـة الرسائل وارسال الوفود اليهم .

اقامة مؤتمرات عامة وفرعية للطلبة المسلمين في جميع انحاء الولايات المتحدة وكندا .

جمع المساعدات لمختلف الدول الاسلامية أو المجموعات التي تعيش في هـذا البلد في حالـة الكوارث والطوارىء .

طبع وتوزيع بطاقات العيد للتذكير بالاسلام وشعائره .

تنظيم جمع الزكاة وتوزيعها الـى الجهـات المسـتحقة .

مشاريع الاتحاد فى المستقبل

زيادة عدد المؤتمرات العامة فى الاقسام المختلفة في الولايات المتحدة وكندا للتعارف ودراسة المشاكل التى يعانيها الطالب المسلم فى هذا البلد .

اقامة مخيمات سنوية فى القسم الشرقى والاوسط فى الولايات المتحدة لتعميم الفائدة من امثال المخيمات التى تقام فى كاليفورنيا كل عام .

صندوق لمساعدة الطلبة المسلمين الذين يتعرضون لضيق مالى لاسباب قاهرة .

مشروع تسجيل القرآن الكريم وتوزيعه بدون ربح .

مشروع تعليم الصلاة والآذان والقرآن الكريم بالمراسلة للمسلمين في هذا البلد .

مشروع تعليم اللغة العربية بالمراسلة .

مراقبة الجرائد والمجلات المهمة التى تصدر فى هذا البلد فيما ينشرونه عن الاسلام .

التركيز على انشاء جمعيات اسلامية محلية فى كل الجامعات التى يدرس فيها الطلبة المسلمون .

مشروع احصاء عدد المسلمين القاطنين فى هذه القارة ، بالاخص الذين اعتنقوا الاسلام .

توسيع المكتبة الاسلامية للاتحاد واهداء مجموعات من الكتب التى تمثل الاسلام تمثيلا صحيحا وشاملا لجميع نواحى الاسلام الى المكتبات المهمة فى هذه القارة .

نشراته ومطبوعاته

مجلة الاتحاد التى تصدر مرتين فى السنة .

نشرات من مواضيع مختلفة عن الاسلام مثل .

الدين الاسلامى الحنيف .. حكمة الصوم فى الاسلام .. العقائد الاسلامية .. الرسول الاعظم صلى الله عليه وسلم فى الانجيل والتوراة .. نظام الحرب فى الاسلام..عيسى « عليه السلام فىالقرآن ».. « المسلمون السود » فى أمريكا .. مكانة المرأة فى الاسلام ،الاسلام فى العصر الحديث .. تعداد المسلمين فى العالم .. خصائص القرآن الكريم .. بعض الحوادث المهمة فى التاريخ الاسلامى .. الاسلام والعلم .. نظام الحكم فى الاسلام .



مدارسة القرآن الكريم تلاوة ، وشرحا وحفظا وترجمة الى اللغة الانجليزية .

نشر المقالات الاسلامية وخطب الجمعة فى الجامعات المختلفة وفى الجرائد والمجلات الاسلامية فى جميع انحاء العالم وخاصة باللغة الانجليزية .

مدى تأثيره فى الرأى العام الامريكى

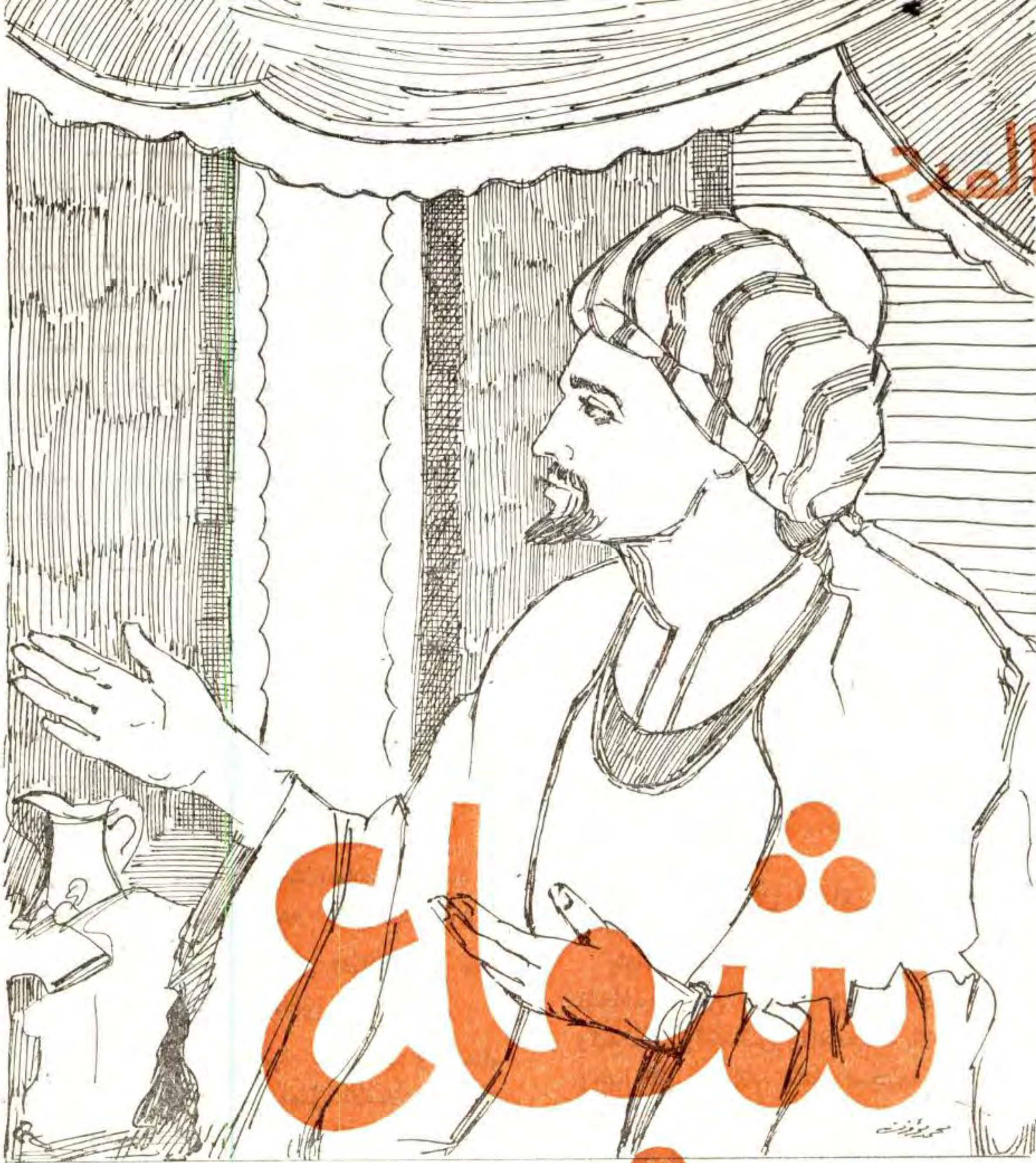
ينهال على الاتحاد مئات الدعوات لالقاء المحاضرات عن الاسلام فى الجامعات والكليات والمدارس والكنائس والجمعيات الاخرى ، لتمثيل وجهة نظر الاسلام تمثيلا صحيحا ، وقد استطاع الاتحاد والحمد لله تصحيح كثير من الافكار الخاطئة عن الاسلام والمغروسة فى أذهان العائشين فى هذا البلد من جراء الكتابات والاضاليل التى نشرها التبشير والكتاب الصليبيون وخاصة في بعض الكتب المدرسية .

كما ينهال على الاتحاد والجمعيات الفرعية مئات الرسائل لطلب المنشورات والكتب عن الاسلام أو استفسار عن ما نشر فى بعض المقالات والكتب عن الاسلام ، وهذا يتيح فرصا كثيرة لنشر تعاليم الاسلام الصحيحة .

ونتيجة لما ينشره الاتحاد من مقالات ومطبوعات وردود عن الشبهات حول الاسلام قرر كثير من المؤلفين تصحيح بعض المفهومات الخاطئة المنشورة فى كتبهم ، وكذلك اعتنق كثيرون منهم الاسلام .

وبدأ الكثيرون يحترمون المسلمين وعقائدهم ، وينظرون اليهم نظرة الاعجاب .

قصة العدد



شعاع من القلب

للاستاذ حسين الطوخي

تمضى الايام والسنون بمعاوية ، بعد أن خمدت الفتن وأخذ يسوس الناس بالرفق والمصانعة حتى استقامت له الامور ، واجتمعت حوله الكلمة ، فالتفت الى الداخل يوليه عنايته ، فانضبطت شئون الخراج ، وتأمنت سبل القوافل فى طول البلاد وعرضها ، وأقام من أوفياء عماله من العرب الخلص حكاما على الولايات وأمراء على الأمصار ، كما كان يبادر بعزل كل عامل تثبت عليه شبهة أو مظنة بعد أن يحاسبهم بالعدل والقسط ، دون ما التفات الى صلة قرابة أو وشيجة مصاهرة .

ويطيب للخليفة أن يسمر مع خلصائه ووجوه بنى أمية بقصر الخلافة فى دمشق ذات ليلة ، فيجرى الحديث فى المجلس حول شئون الدين والدنيا وامور الملك ، ويستمع الى غليظ القول ورقيقه ممن يضمه المجلس الكبير ، ويتميز «يزيد» ولده وولى عهده غيظا حين يشهد أباه يوسع صدره لهذاوذاك ، ويغضى حياء ببصره حين يغلظ اليه أحد الشيوخ فى القول .

ثم ينتهى سمر الخليفة ويأذن لسماره بالذهاب ويتهيأ للرقاد ، وحين يغادر قاعة المجلس ، يرى ابنته « عاتكة » تنتظره خارجها لتحدثه فى أمر يشغل بالها منذ ايام .

ويحنو الأب على ابنته الأثيرة ، ويقبل جبينها ، ويربت على أكتافها ، ويفتح لها قلبه الكبير ، فتطلب اليه عاتكة أن يأذن لها بالحج وزيارة قبر الرسول فى ذلك العام .

وتضىء البسمة فى وجه الخليفة ، ويجيب دعوتها ، ويأمر بأن تجهز خير جهاز ، ويرصد لها ما تتصدق به على الفقراء من أعطيات تليق بمقام ابنة أمير المؤمنين .

وتصل قافلة عاتكة ، يسبقها نبؤها الى مكة ، ويلم بها الناس ليشهدوا فخامة الموكب ، ويمنوا النفس بخير يصيبونه من صاحبته التي يتلألأ وجهها بالضياء من خلف الستور .

ويقبل الشعراء والمفنون من أطراف مكة ، لينالوا حظهم من عطاء ابنة أمير المؤمنين ، التي تصيخ سمعها الى قصائدهم وانشادهم ، وتحس « عاتكة » أنها تخففت من أثقال كانت تحملها هناك فى دمشق ، حيث يقيم الخليفة وحيث العيون والأسماع تترصد كل ما يجرى بين جدران القصر المهيب .

انتشت عاتكة بما سمعت وشهدت من المواكب الفرحة التي تعيش فى ظل خلافة رشيدة أشاعت الأمان والرخاء والسعة فى كل شئون الحياة .

كانت نشوة عاتكة مثل نشوة الطفل الغرير الذى انفلت من رقابة مؤدبيه الى آفاق رحبة يرتع فيها ويلهو دون رهبة من حساب أو خشية من عقاب .

حتى أقبل ذلك الشاعر يتئد فى مشيته ويختال فى هيئته ...

ازاحت عاتكة طرف الستر الذى يحجبها عن زحام المواكب التي تروح وتغدو بالاهازيج والغناء ونقر الدفوف ، فابصرت وجها وضيئا يتطلع الى هودجها ، ولا تبدو عليه سمات المتكسبين بالشعر ، انما يشع من وجهه جمال رصين يجذب اليه القلوب والأبصار . وأخذت نظراته تروح وتجىء متمهلة غير منهومة ، وادعة غير ملهوفة تستطلع وجه عاتكة وتتأمل قسماته .

احست عاتكة بشىء ما ينشب فى قلبها الرهيف ، ويركض فيه نبضه اللهيف ، وغامت عيناها لحظة ، ولما افاقت أبصرت الشاعر الوسيم يدير وجهه حتى لا تلحظ ما عراه من رعشة الحب الذى نزل فى قلبه ، فصيره كعود زهر أصابه الطل فارتعد .

واحس الشاعر ان سهما طاش من راميه فاصابه ، فمد يده الى قلبه يتسمع بها دقاته ، وقد أمسك بعضها بعضا حتى أوشكت أن تعصف باضلاعه ، ثم استدار نحو عاتكة فرآها أرخت الستر وتوارت خلفه ، فتقدم نحوها يبغى أن يحدثها ، فما راعه الا أن شتمته ، وأومات الى جواريها وخدمها بالرحيل الى « ذى طوى » حيث هيىء لها مقام جليل تنزل به حتى ينقضي الحج .

ولم يدر الشاعر الصب أن « عاتكة » قد غلبت على ذلك بعد ان رأت خدمها وجواريها يلحظنها ، وهي تنظر اليه وتتأمله ، وخشيت على نفسها أن تعود الى أبيها ، وهي بعد ابنة الخليفة ، تسحب من ورائها شائعات بانها احبت واحدا من الشعراء الذين يتبعهم الغاوون ، فاصطنعت غضبها امام خدمها ، بينما القلب يئن من سهام العيون .

ولما أن تحركت القافلـــة ، واختلط الحابـل بالنابل ، رجع الشاعر الى مجلسه مع نظرائه من شعراء مكة ، وظل ساهما لا يتكلم ثم جرى لسانه على غرة يترنم بصوت رخيم .

انـــي دعانـــي الحَيْـــن فاقتادنـــي
حتـــى رأيـــت الظبـــي بالبـــاب
يـا حســـنه اذ ســـبنى مدبـــرا
مســـتترا عنـــي بجلبـــاب
ســـبحان مـــن وقّفهـــا حســـرة
صـــبت علـى القلـــب بأوصـــاب
يـــذود عنهـــا اذ تطلبتهـــا
أب" لهـــا ليـــس بوهـــاب
أحلهـــا قصـــرا منيـــع الـــذرى
يحمـــى بأبـــواب وحجـــاب

وشاعت الأبيات فى عاتكة بمكـــة ، وشـــهرت وذاعت ، وانتقلت من لسان الى لسان ، وغنى فيها المغنون ، حتى سمعتها انشادا وغناء فضحكت، وأعجبتها الأبيات العذبة ، والغوانى يفرهن الثناء ، ويرقق قلوبهن الرجاء ، وبعثت تسأل عن الشاعر ، فأخبرت أنه ((ابو دهبـل الجمحى)) فتطامن جاشها ، وسكن خاطرها ، فهو الذى مدح أباها من قبل بقصائد عذبة اهتز لها وجدان معاوية ، فأمر له براتب سخى يبعث اليه فى كل عام .

وانقضت أيام عاتكة فى مكة والمدينة ، وكانت لا تود من أعماقها الأوبة الى دمشق ، والى جدران القصر الذى يموج بالخدم والجوارى والوصائف ، حيث يرقبون الرائح والغادى ، ويتسمعون دقات القلوب ، ويعدون أنفاس من يعيش داخل القصر ، وينقلون كل ما تنطق به الشفاه الى هنا والى هنــاك .

لكم تمنت ابنة الخليفة أن تبقى فى مكة لتذوب مع بسطاء الناس ، وتعيش مثلما يعيشون على أهوائهم ، وتشهد كل ما يجرى بينهم على السجية، حيث لا عين هنا ترقب ، ولا أذن هناك تلتقط مـا يجرى به اللسان أو تهمس به الشفاه .

وفى يوم الرحيل من مكة والقافلة على أهبة المسير ، بعثت عاتكة الى ((أبى دهبل)) بكسوة وجائزة ، وبكلمات لا تفهمها الرسل وتنتشي بها قلوب المحبين .

وجرت بينهما الرسل والرسائل ، وعاتكة من قبل ومن بعد ، واحدة من البشر الذين خلقهم الله بقلوب تخفق بالحب ، ولا فرق فى ذلك بين ابنة ثرى وفقير ، أو بنت أمير وخفير .

غادرت القافلة أرض الحجاز وفى قلب عاتكةجوى يتأجج لهيبه كلما ذكرت ((أبا دهبل)) ، وتمنت لو لم تكن ابنة أمير المؤمنين المطوقـــة بقيد الامارة الثقيل ، وما يتطلبه من مداراة هـــوى القلب ، وكتمان ما يضطرم بين الضلوع ...

ولكم راودتها فى نومها أحلام عذبة ، وأنهـــا خلصت لهذا العاشق الذى أحبها وأحبته ، وانهما يعيشان تحت سقف واحد ، لا يزحمهما رقيب يعد عليهما الأنفاس ، ويرصد همس الشفاه .

لكنها كانت أحلاما أو أضغاث أحلام ، وحين تفيق عاتكة لا ترى أمامها غير رمال الصحراء كأنها ذرات من ذهب سكبتها الشمس فى سخاء .

ولكم غالب ((أبو دهبل)) خفق قلبه الـــذى استهام بحب عاتكة ، على يقينه أن النجم البعيد فى السماء ، انما هو أقرب اليه من نيلها زوجة ورفيقة حياة .

لم يستطع أن يشهد عاتكة تفارق أرض الحجاز ، وأخذ يغالب رغبة عارمة فى أن يصحبها ، وغلبته رغبته ، وسار على مبعدة من قافلتها وهي تراه ، حتى اذا حطت فى محلة للراحة من وعثاء السفر ، حط العاشق قريبا مـــن خيامها يرقب غدوها ورواحها ، وينشق من عبير النسمات الرطبة روائح المسك والكافور التي تطيبت بها عاتكة ، فتغيم عيناه ، ويضطرب قلبه ، ويوشـــك أن يغيب فى اغماءة طويلة .

ولم تجزع عاتكة من مصاحبة ((أبى دهبـل)) لقافلتها ، فقد هون الحب عليها أن تحمل عتب اللائمين بأنها شجعته ، وكانت تعهده بالبـــر واللطـــف حتى وردت دمشـــق ودخلها معهـــا ، فانقطعت عن لقائه ، بعد أن غيبتها عن ناظريـــه جدران القصر والأبواب ، ومن يقـــف عليها مـــن الحجاب .

استبدت اللوعة ((بأبى دهبل)) ، فكان يخرج فى الليل ، ويجوس فى طرقات دمشـــق حتى تقوده قدماه الى قصر الخليفة ، فيأخذ فى الطواف من حوله لعله يلمح شبحها ، أو يلتقى بوصيفتها ،

لتنقل اليها وجيب قلبه المفتون ، حتى اذا يئس من لقائها عاد الى داره ذاوى النفس محزونا ، وألم به المرض وأخذ يهذى فى نومه ويقظته .

طال ليلي وبت كالمحزون
وملت الثواء في جيرون (١)
وأطلت المقام بالشام حتى
ظن أهلي مرجمات الظنون
فبكت خشية التفرق جماً
كبكاء القرين أثر القرين
وهي زهراء مثل لؤلؤة الغوا
ص ميزت من جوهر مكنون
واذا ما نسبتها لم تجدها
في سناء من المكارم دون

الى ان قال :

ولقد قلت اذ تطاول سقمي
وتقلبت ليلتي في فنون
ليت شعرى أمن هوى طار نومي
أم براني البارى قصير الجفون

وشاع هذا الشعر فى دمشق ، وتناقله الناس فى المجالس وليالى السمر ، حتى بلغ معاوية فصبر عليه ، وكان قد بلغه خبره مع عاتكة ، حتى اذا كان فى يوم الجمعة الذى يستقبل فيه الوفود والشعراء دخل عليه الناس وفيهم « أبو دهبل » فقال الخليفة لحاجبه . اذا أراد أبو دهبل الخروج فامنعه واردده الي .

وجعل الناس يسلمون ويخرجون ، فقام أبو دهبل لينصرف ، فناداه معاوية. يا أبا دهبل الي. فلما دنا اليه اجلسه ورحب به حتى خلا المكان . فقال له : ما ظننت أن فى قريش أشعر منك حيث قلت :

ولقد قلت اذ تطاول سقمي
وتقلبت ليلتي في فنون
ليت شعرى امن هوى طار نومي
أم براني البارى قصير الجفون

غير أنك قلت !

وهي زهراء مثل لؤلؤة الغوا
ص ميزت من جوهر مكنون
واذا ما نسبتها لم تجدها
في سناء من المكارم دون

والله ان فتاة أبوها معاوية وجدها أبو سفيان وجدتها هند بنت عتبة لكما ذكرت . فأى شيء زدت فى قدرها ؟ غير أنك أسأت فى قولك :

ثم خاصرتها الى القبة الخضـ
ـراء تمشي في مرمر مسنون

ارتاع « أبو دهبل » لحظة ثم قال : والله يا أمير المؤمنين ما قلت هذا الشعر ، وانما قيل على لساني ولصق بى ، وأمير المؤمنين ، أعزه الله ، يعلم قدره وسناء منزلته فى قلب شاعره الوفي .

أخذ معاوية يتفرس فى وجه أبى دهبلويستجلى قسماته ، فتضرج بالخجل ، وطأطأ الخليفة رأسه ، والبشر يشيع فى وجهه ثم قال : أما من جهتى فلا خوف عليك أبا دهبل ، لانى أعلم صيانة ابنتي لنفسها ، وأعرف فتيان الشعر لم يتركوا أن يقولوا النسيب فى كل من جاز ومن لم يجز ، انما أكره لك جوار « يزيد » وأخاف عليك وثباته ، فان له سورة الشباب وأنفة الملوك .

لم يجد « أبو دهبل » كلمة يقولها لخليفة المسلمين الذى تدين له الرقاب ، الا أن يرفع اليه وجهه ليرى فيها معاوية دموعا كبيرة هى أبلغ من كل كلام . أدار الخليفة وجهه الى خادمه ، وأسر فى أذنه كلاما ، فجرى الخادم لساعته ثم عاد يحمل كيسا مختوما دفعه الى أبى دهبل وصحبه حتى غادر آخر أبواب القصر .

نعم . كان معاوية يحب « أبا دهبل » الذى مدحه وتغنى بفضائله فى شعره دون أن يلقاه ، فقد كان معاوية يقيم فى الشام منذ خلافة أبى بكر حتى بويع له بالخلافة .

كان معاوية يحس بأن هناك شعاعا فى قلبه يربط بينه وبين ذلك الشاعر العف الذى مدحه فى قصائد رائعة ، شاعت فى أرض الحجاز ، وتناقلتها الركبان والرواة ، وتغنى بها الحداة والمغنون ، حتى بات معاوية يجرى بذكره كل لسان فىالأطراف القريبة والبعيدة على السواء .

لقد أراد معاوية بهذا اللقاء السمح بينه وبين شاعر شبب بابنته ، أن يهرب أبو دهبل فتنقضى المقالة عن ابنته ، ويأمن جانب ولى عهده يزيد .

(وكان حلم معاوية بأبي دهبل ، أبلغ من محبته له ، فقد يتغير الحال بين المحبين ، وتتبدل ما بينهم من وشائج الى سياط من البغضاء ، أما الحلم فعسير علىصاحبه ان يفارقه أو يزايله ،

---

(١) جيرون . مكان قرب دمشق .

انما يظل كامنا فى القلب كالجوهر الاصيل يشع بالجود والصفح والعطاء .

غادر ابو دهبل دمشق وارض الشام يجرجر من ورائه أذيال خزيه من أمير المؤمنين الذى قابل الاساءة بالاحسان ، واستقبل كبوته بأن أعانه على الوقوف آخذا بيديه ، لكنه لم يستطع أن يقف دون قلبه والخفق بحبها . وكذلك عاتكة ابنة معاوية خليفة المسلمين وامير المؤمنين . لم تنسه عاتكة ، وها هو ذا خياله يطوف من حولها بوجهه الصبيح ، ويحملها معه الى مكة حيث كانت هناك فى القافلة ، وأبصرته ونظر اليها قبل أن ترخى الستر .

عاد الى مكة جسدا بلا روح ، وجسما بلا قلب ، فقد ترك الروح والقلب هناك فى دمشق ، فى ذلك القصر الذى يضم خليفة المسلمين وولده يزيد وابنته التى أحبها وأحبته .

لم يقدر « أبو دهبل » أن يحول بين روحه وروح عاتكة ، ولم يستطع ان ينأى بقلبه عن ترديد حبها ، فكان يكاتبها وتكاتبه ، وتجرى الرسل بينه فى مكة وبينها فى دمشق ، وهى تتعلل فى رفض خطابها متعلقة بخيط أو هى من خيوط العنكبوت .

وبينما معاوية فى جناحه بالقصر بعد أن خلى الى نفسه يسترجع معها ما أبرم من أمور ، دخل اليه خادم له فقال . يا امير المؤمنين ، والله لقد سقط الى عاتكة اليوم كتاب ، فلما قرأته بكت ثم اخذته فوضعته تحت مصلاها ، وما زالت خائرة النفس منذ اليوم .

قال الخليفة لخادمه . اذهب فالطف لهذا الكتاب حتى تاتينى به . فانطلق الخادم ، فلم يزل يلطف حتى أصاب منها غرة ، فأخذ الكتاب واقبل به الى الخليفة فقرأ فيه .

أعاتك هلا بخلت فلا ترى
لذى صبوة زلفى لديك ولا حقا
رددت فؤادا قد تولى به الهوى
وسكنت عينا لا تمل ولا ترقا
ولكن خلعت القلب بالوعد والمنى
ولم أر يوما منك جودا ولا صدقا
اتنسين اياما بربعك مدنفا
صريعا بارض الشام ذا سقم ملقى
وليس صديق يرتضى لوصية
وادعوا لدائى بالشراب فما أسقى
واكبر همى ان أرى لك مرسلا
فطول نهارى جالس أرقب الطرقا
فواكبدى اذ ليس لى منك مجلس
فاشكو الذى بى من هواك وما ألقى
رأيتك تزدادين للصب غلظة
ويزداد قلبى كل يوم لكم عشقا

اضطرب فؤاد معاوية ، وتغير وجهه وأحس الغضب يمور فى أعماقه ، وويل للجانى من الحليم اذا غضب ، فقال لخادمه . ادع لى يزيد .

ودخل يزيد على أبيه فوجده مطرقا حزينا فقال . يا أمير المؤمنين ، ما هذا الامر الذى شجاك ؟ قال معاوية . أمرٌ أمرَضَنى وأقلقنى منذ اليوم ، وما أدرى ما أعمل فى شأنه ، قال يزيد . وما هو يا أمير المؤمنين ؟ قال معاوية وهو يغالب سورته ،. هذا الفاسق أبو دهبل كتب بهذه الابيات الى اختك عاتكة ، فلم تزل باكية منذ اليوم ، وقد أفسدها ، فما ترى فيه ؟ وكأنما كان معاوية يتحسس فى ولى عهده مقدار مواجهته لما قد يعرض له من مواقف فى خلافته المقبلة ، وكأنما كان يعرف فى يزيد حنقا تزل فيه قدمه ، وهو بعد فى سورة الشباب وابهة الملك .

قال يزيد ـ على مظنة بانه سيرضى أباه ـ والله ان الرأى لهين . قال معاوية . وما هو ؟ اجاب يزيد . عبد من عبيدك يمكن له فى أزقة مكة فيريحنا منه ...

أغاظ الرأى معاوية فاندفع يقول . أف لك . والله ان امرأ يريد بك ما يريد ، ويسمو بك الى ما يسمو لغير ذى رأى ، وأنت قد ضاق ذرعك بكلمة وقصر فيها باعك حتى أردت ان تقتل رجلا من قريش ! او ما تعلم انك اذا فعلت ذلك صدقت قوله وجعلتنا أحدوثة أبدا .

قال يزيد ـ والخجل يأخذ بخناقه يا امير المؤمنين ،انه قال قصيدة اخرى تناشدها اهل مكة ، وسارت حتى بلغتنى واوجعتنى وحملتنى على ما اشرت به فيه . قال معاوية . وما هى قصيدته التى أوجعتك ؟ قال يزيد . أوما سمعت يا ابى قوله .

الا لا تقل مهلا فقد ذهب المهل
وما كل من يلحى محبا له عقل
لقد كان فى حولين حالا ولم أزر
هواى وان خوفت عن حبها شغل

حمى الملك الجبار عنى لقاءهـــا
فمن دونهـا تخشــى المتالف والقتل
فــلا خــير فى حب يخاف وبالــه
ولا فى حبيب لا يــكون له وصــل
فواكبدى انى شــهرت بحبهــا
ولـم يك فيما بيننا ســاعة بـذل
ويا عجبا أنى أكاتـم حبهــا
وقد شــاع حتى قطعت دونهـا السبل

تنفس معاوية الصعداء لما أن سمع أبيات أبى دهبل يلقيها عليه ولده يزيد فلم يلبث أن قال . قد والله رفهت عنى ،فما كنت آمن ان يقول أنه قد وصل اليها ، فأما الان وهو يشكو أنه لم يــكن بينهما وصل ولا بذل فالخطب فيه يسير . قم عنى فقد نبا قوسك وطاش سهمك .

انصرف يزيد من مجلس ابيه يتميز غيظا وحنقا اذ يرى أباه يحلم بالناس ويوسع لهم فى رحابة صدره ، ويأخذ الامور بالرفق حتى أطمعهم فى النيل منه ، ثم لا يرضى فى النهاية أن يحاسبهم ويوقع بهم ما يستحقون من جزاء .

ولقد أدرك معاوية بعد انصراف ولده أنه لابد صانع أمرا يودى بأبى دهبل ويقطع مقالته الى غير عودة . كان يعلم انفة ولده وضيق صدره بما يتداوله الناس ، وان لا شىء أقرب اليــه من سيفه ، وان لا كلمة اسرع على لسانه مـن القتــل .

اعتزم يزيد أمرا ، واعتزم معاوية امرا آخر...

وراودت معاوية فى تلك الليلة احلام أزعجته ، رأى من خلالها شبح أبى دهبل يروح ويجىء أمامه واجف القلب يتطلع اليه بعينين دامعتين ، كأنمـا يستنجد بحلمه ليضع عنه ما يعانيه وما يضطرم فى فؤاده المحزون .

وصحا الخليفة من نومه قبل أن يطلع الفجر ، واخذ يتمتم بادعيته ، واتاه صوت المؤذن فقام واغتسل وأسبغ وضوءه وصف محرابه ، وبعد ان صلى الفجر ، ارسل يدعو اليه قيم القصر .

وانقضت ساعة صحا بعدها من فى القصر على هرج فى الابهاء والغرف ، وفى جناح الخليفــة ، ثم سرى بينهم نبأ اعتزام الخليفة أن يحج فى ذلك العــام .

حج معاوية فى ذلك العام ، فلما انقضــت أيام الحج ، كتب اسماء وجوه قريش وأشرافهم وشعراءهم وكتب فيهم اسم « أبى دهبل » ثـم دعا بهم ففرق فى جميعهم صلات سنية ، وأجازهم جوائز جمة . فلما قبض أبو دهبل جائزته وقام لينصرف ، دعا به معاوية ، فرجع اليه فقــال له . يا أبا دهبل ، مالى رأيت أبا خالد يزيد بن أمير المؤمنين عليك ساخطا فى قوارح تأتيه عنك ، وشعر لا تزال قد نطقت به وانفذته الى خصمائنا ومواليـنا ، لا تعرض لابى خالد .

جعل ابو دهبل يعتذر الى الخليفة ويحلف له أنه مكذوب عليه ، وقد دسه الواشون لينالوا من منزلته عند أمير المؤمنين . قال معاوية . لا بأس عليك ، وما يضرك ذلك عندنا . خبرنى . هل تزوجت أبا دهبل ؟ أجاب أبو دهبل مبهورا . لا يا أمير المؤمنين . قال معاوية . فأى بنات عمك أحب اليك ؟ قال . انها سلمى يا أمير المؤمنين . قال معاوية . قد زوجتك اياها واصدقتها ألفى دينار وامرت لك بألف دينار . قال أبو دهبل ودموعه تجرى من عينيه . ان رأى امير المؤمنين أن يعفو لى عما مضى . فان نطقت ببيت فى معنى ما سبق منى ، فقد أبحت دمى وابنة عمى التى زوجتنيها طالق البتة .

انفرجت أسارير معاوية ، وشــاع البشر فى وجهه بعد أن سمع ما حكم به أبو دهبل عــلى نفسه لو عاد الى التشبيب بعاتكة ، فضمن له رضاء يزيد عنه ووعده بادرار ما وصله به فى كل سنة ، وانصرف أبو دهبل ، وأخذ الخليفة يتجهز للعودة الى دمشق .

وحطت القافلة فى منتصف الطريق لتصيب حظا من الراحة ، وانعقد مجلس الســمر فى امسية فرشها ضياء القمر البازغ ، وامتـد السماط والحديث بين ضيوف الخليفة واصفيائه، ثم بدا للقريب منه أن يسأل .

ترى يا امير المؤمنين لو سألك سائل عما بينك وبين الناس فماذا تقول اعزك الله وجملك ؟

ابتسم معاوية فى وجه سائله برهة ثم قال .

والله يا اخى انك ما تصورت لو أن بينى وبين الناس شعرة ما انقطعت اذا هم شدوها ارخيتها واذا ارخوها شددتها ...

وعلى الفور سرت فى المجلس همهمة خافتة ... ان الخليفة لم يحج فى تلك السنة الا مـن اجل أبى دهبل .

خير للبشرية وهى تحث الخطى الى مستوى مادى أفضل ، أن تسعى أولا الى مستوى روحى أسمى وأكمل ، وفى هذا المعنى يتحدث الاستاذ محمد عبد الله الهمشرى مدرس أول اللغة العربية بالمدرسة الثانوية بالمحلة الكبرى فى الجمهورية العربية المتحدة .

بين الحق والواقع

كثيرا ما يختلف الحق عن الواقع . فتشيع فى المجتمع ظواهر وعادات وأمور تفتن الناس ، وتأخذ بحواسهم وقد تعجل لهم لذة تشتهى ، ونفعا يسيل له اللعاب ، ولكنها تصرفهم عن حق يطالبون به ، وتبعدهم عنه ، وتحيله فى نظرهم أمرا غير مقبول ولا مستساغ .

وأضرب لذلك أمثلة .

قال الله تعالى من سورة الشعراء : « كذبت عاد المرسلين . اذ قال لهم أخوهم هود ألا تتقون . انى لكم رسول أمين . فاتقوا الله وأطيعون . وما أسئلكم عليه من أجر ان أجرى الا على رب العالمين . أتبنون بكل ريع آية تعبثون. وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون . واذا بطشتم بطشتم جبارين. فاتقوا الله وأطيعون». ماذا أنكر سيدنا هود على قومه ؟ .

أنكر عليهم الواقع المادى الذى شغلهم عن الحق أنكر عليهم انهماكهم فىبناء المصانع، والبيوت، والاعتداد بالقوة الى حد البطش والظلم ، كأنهم فيما هم فيه يحذقون ـ خالدون . فذكرهم بالحق فى قوله : « فاتقوا الله وأطيعون » . ودعاهم الى معرفة الله والايمان به والى طاعته كرسول يبلغ شريعة الله .

ومثل هذا الموقف تكرر مع سيدنا صالح وقومه قال الله تعالى : « كذبت ثمود المرسلين . اذ قال لهم أخوهم صالح ألا تتقون . انى لكم رسول أمين . فاتقوا الله وأطيعون . وما أسألكم عليه من أجر ان أجرى الا على رب العالمين . أتتركون فيما ههنا آمنين . فيجناب وعيون . وزروع ونخل طلعها هضيم . وتنحتون من الجبال بيوتا فارهين . فاتقوا الله وأطيعون . » من سورة الشعراء .

والموقف واحد ، وينحل الى :

اناس هدفهم أن يعيشوا متمتعين بما لذ وطاب ، يبنون ويعمرون . وكلما حصلوا على شىء من المتاع تطلعوا الى ما بعده منهومين لا يشبعون ، وفى كل يوم يظهر العلم من وسائل الترفيه ما يسيل له اللعاب، وتتفتح لهالشهوات ، ولا يهدأ لهؤلاء بال حتى يحصلوا على شىء منه ، وهكذا تنتهى أعمارهم ، وأمامهم فى الدنيا لذات قصرت أيديهم عن أن يصلوا اليها . هذه صورة كثير من الناس الآن . وهى صورة تثير الفزع والقلق .

ان الله سبحانه يقول : (أيحسب الانسان أن يترك سدى) أيظن الانسان أن يترك غفلا لا يكلف ولا يؤمر ولا ينهي .. لا لن يترك وقد زود بعقل واحساس وجاءت اليه رسالات من عند ربه ، وجعله الله سيدا لهذا الكون .

والله الذى خلقه بهذه الصورة حدد له غايته (وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون) فالعبادة الهدف من خلق البشر وهى مجال اختبار لهم .

والعبادة تقضى أن يعرف الانسان ربه ويدرك عظمته ، ويؤمن بكتبه وينفذ شرعه ، ويطيع اوامره .. فيشعر بحلاوة الصلة بالله ، ويصطنع الوسائل التى ترضى الله وتصله به وسيجدها فى شرع الله فتكون العبادة حاجة الانسان لا مطلبا لله سبحانه ، وتكون مقاما كريما يجتهد فى الوصول اليه الناس ، وفيه تنافس المتنافسون .

.. أسباب كثيرة صرفت الناس عن دين الله ، وعن معرفته وعبادته ، وعن الغاية المطلوبة منهم . فهم سكارى يتخبطون وهم فى أشد الحاجة الى من يذكرهم بالله ، الى من يجلو الصدأ عن قلوبهم ، الى من يرجعهم فى رفق وأناة الى شرع الله ، وليس معنى هذا البعد عن العمل ، انما تكون هذه الاشياء وسيلة لا غاية . وسيلة الى الحياة القوية ، الحرة ، العزيزة ، الآمنة ، المؤمنة ، التقية .

ذكرى البشير الابراهيمى

وكتب الاستاذ عبد المنعم ابراهيم البحقيرى فى هذه المناسبة يقول :

مرت ذكرى رجل عظيم ، ومكافح قدير جاهد من أجل الاسلام أروع جهاد وأمضى حياته من اجل الحفاظ على حرية بلاده واستقلالها :

عاش الرجل فى وطنه الجزائر حيث الاستعمار الفرنسى يعيش على سلب الخيرات ونهب الاموال ومحاربة اللغة العربية ونشر الثقافة الفرنسية وتخريب العقول والنفوس ، وتحطيم الشخصية العربية الاصيلة ، ويصادر أموال المسلمين وأوقافهم ومساجدهم ويحولها الى كنائس . فى مثل هذا الجو نشأ البشير الابراهيمي فقاد حركة الاصلاح مع رفاق له آمنوا بمهمتهم فقاموا بها خير قيام . قام بحملة اصلاح دينى لتطهير الاسلام من الخرافات والبدع والافكار الغربية الدخيلة عليه ، وندد بالسياسة الاستعمارية التى ترمى الى محاربة الدين والقضاء عليه وطالب باعادة اوقاف المسلمين اليهم واستقلال القضاء الشرعى عن القضاء الفرنسى .

ونادى بالاخوة بين العرب والبربر ومحاربة وسائل الاستعمار للتفريق بينهما . ووقف الرجل ليعلن أن الجزائر شعب عربى وليس بقطعة من فرنسا كما زعم الاستعمار .

ووقف فى وجه حركات التبشير التى يساعدها الاستعمار واليهودية العالمية التى تحاول تحقيق أهدافها .

ووقف فى وجه الغزو الفكرى الاستعمارى ليعلن ان تاريخ الاسلام واضح لا شوائب فيه وأن المسلمين قوة لا يستهان بها ، وان مبادئهم مبادىء الحق والمساواة .. مبادىء تهدف الى حرية الانسان وكرامته .

وقف الرجل فى معركته مع الاستعمار الذى نفاه الى الصحراء وتحمل النفى صابرا ثابتا ثلاث سنوات .. ثم واصل السير فى نفس الطريق أصلب عودا وأمضى عزيمة .. واستطاع بالكفاح والعرق أن ينشىء عددا كبيرا من المدارس التى زاد عددها عن اربعمائة مدرسة . وأصدر جريدة البصائر . ولم تقتصر خدمات الرجل على الجهاد والكفاح فقط بل ترك أكثر من عشر مؤلفات أغلبها فى اللغة العربية ، كما ألف ملحمة رجزية ويبلغ عدد بيوتها ستة وثلاثين ألف بيت دارت موضوعاتها حول تاريخ الاسلام والمجتمع الجزائرى .

وقدم عددا كبيرا من المحاضرات والابحاث والفتاوى التى جمعها تلاميذه لتطبع فى كتب .

هذه قصة البشير الابراهيمى مع الكفاح والنضال من أجل الاسلام واللغة العربية ولم يكن يؤمن بالجزائر وحدها بل كان يؤمن بكل الشعوب التى تكافح من أجل استقلالها ، دافع عن حرية المغرب وليبيا وسوريا والعراق . ودافع عن مسلمى الهند وروسيا والصين .

تحية للرجل العظيم فى ذكراه ...

دور فتاة الاسلام فى معركة البناء

تناولت مجلة المعرفة الجزائرية هذا الموضوع فقالت :

ان مجتمعنا الجديد ، فى معركة التحدى للقضاء على أسباب التخلف ورواسب عصور الانحطاط ، يحتاج الى أن تميز المرأة العربية حقيقة مكانها في الركب الثائر ، وتعى مسؤوليتها الخطيرة فى صنع مستقبله .

وهى لن تستطيع النهوض بهذا الدور ، ما لم تستكمل مقومات وجودها الحر ، دون أن يخونها وعيها لذاتها ، ويخطئها تقدير تبعات الحرية ، وادراك المجال الاصيل ، الذى تحقق فيه وجودها الانسانى والقومى ..

وعلى المعلم يقع عبء كبير فى اعداد فتاة اليوم لتصنع المستقبل ، وهى مهمة يزيدها تعقيدا ما طرأ على حياتنا العامة من تطور وما فتح العصر من آفاق رحبة أمام المرأة الجديد الطامحة ، مما تقتضي حسن ادراك المعلم لروح العصر وايمانه بحتمية التطور ، كى يواجه قضايا الوضع الجديدللمرأة دون أن يقف بمعزل عن سير الحياة، أو يتصور جدوى أى جهد عقيم ، يغلق نوافذ المدرسة وأبوابها ، ليحول دون تأثر بناتنا بمناخ العصر .

وموضع الصعوبة والدقة هنا ، ان انسانية الفتاة تعطيها ما لأخيها الفتى من حق الفرصة المتكافئة فى العلم والعمل ، وأن دفع التطور قضى بأن تستشرف المرأة الجديدة لآفاق غير محدودة ومطلوب منا نحن المعلمين ، أن نقنع هذه الفتاة الطامحة ، بأن حقها المقرر لا يهدر ما بين الجنسين من فروق جوهرية فى الفطرة السوية وأن نرسخ فيها الايمان بمجد الامومة ، وجلال رسالتها فى صنع الحياة ..

وفى الاندفاع الثورى للفتاة العربية والاسلامية الجديدة ، تنيط الامة العربية والاسلامية بمعلميها مهمة تحرير فهم الفتاة الجديدة لمعنى الحرية ومغزى المساواة وجوهر العصرية ، كيلا يتشابه عليها الامر فتخلط بين التحرر والتحلل ، وبين المساواة والمسخ ، أو تخطىء فهم العصرية فتحسبها مجرد زى أنيق أو صورة مستعارة أو مظهر شكلى ..

كما تنيط بهم مهمة وصل جديد المرأة العربية والاسلامية بعريق ماضيها ، لتتحرر ــ وتحرر ابناء الغد من عقدة النقص التى روجها فينا الزعم الباطل بأن شرقيتنا سمة تخلف ، وأن الحرص على الموروث من مقومات أصالتنا ظاهرة رجعية وجمود ..

وانهم لأهل لاحتمال التبعة فى هذه المرحلة الثورية من تاريخنا ، لانهم يشغلون مركزا قياديا فى شعب يخوض معركة التحدى لبناء مستقبله وشعاره .

((ان لله عبادا ، اذا أرادوا أراد)) .

نزعة صحفية خطيرة

وتحت هذا العنوان كتبت مجلة هدى الاسلام الأردنية تقول :

اصبحت الصحافة عنصرا اساسيا فى حياتنا المعاصرة . ورسالة تتصل بمجالات الحياة كلها الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والأدبية والعلمية والعسكرية ، ولا يستغنى عن وجودها شعب مهما كان ترتيبه فى القافلة البشرية .

والصحافة يجب أن ترمى الى رفعة الانسان وخدمته وتحريره من سلطان الانانية وقيود الجهل والسطحية الفكرية . كما لا بد من أن تعمل على تحريره من سلطان الفرائز باعلائها والتسامى بها ، والافادة منها فى نواحى الخير والهناء للسير صعدا فى معارج الكمال ، ولن يتأتى هذا للصحفى الا اذا قدم لأمته الغذاء الناضج من فكر وفلسفة وثقافة وعلم ، انه ان فعل ذلك ساعد على بناء مجتمع فاضل وأمة قوية صحيحة الجسم سليمة البناء ، ولكن بعض الصحف العربية نزعت الى عرض الجنس بالقصص المكشوف والصور الفاضحة طلبا للرواج والمغنم ، وسارت بعيدا فى كشف الأستار عن الاجساد العارية والعلاقات

الغريزية المثيرة محدثة بذلك بلبلة جنسية وثورة غريزية لدى شباب الجيل . وشدت أفكارهم وأخيلتهم الى حماة القيم الرخيصة والمعاني المبتذلة ، والتصورات الهابطة مما يؤدى الى ارتكاب السوء والاثم والمنكر . وبالتالي يختل التوازن الاجتماعي وتختل المعايير وأعتقد أن ذلك لا يؤدى الى خير .

ومن الطبيعي أن أمثال هذه الصحافة لن تترك ما هي عليه ، ولن تتزحزح عن طريقها المرسوم قيد أنملة ما دام القائمون عليها يرون أنها وسيلة ناجحة أيضا لتمييع الشباب وتحطيم عزائمهم ، وقتل كرامتهم وابعادهم عن الحياة الفكرية والخلقية التي تبنى الأمم وترفع صرح المجتمع عاليا .

ولقد أرغمت الحالة الخلقية البئيسة فى فرنسا الرئيس ديجول على أن يصدر أمرا بمنع دخول أصحاب الشعور المسدلة من الشباب على طريقة « البيتلز » الخنافس من دخول فرنسا ، كما منع الشباب الفرنسى من هذه العادة وفعلاكان .

وهل هناك مايمنع من أن تصدر الدولة أمرا بمنع الصحف والمجلات الجنسية من الدخول الى أراضينا.

بين العامية والفصحى

وتناول مجلة الهدى الاسلامى التى تصدر عن الجامعة الاسلامية بالملكة الليبية ـ هذا الموضوع فتقول :

ومما ينبغى أن نلاحظه أولا وآخرا أن العرب فى كل مكان من عنصر واحد ، بقدر ما يسمح اختلاط الشعوب بوحدة العنصر ، وهم يتكلمون بلسان واحد هو اللغة العربية التي قد تختلف قليلا فى لهجاتها من قطر الى آخر ، أو من جزء من أجزاء القطر الى جزء آخر ، ولكنها فى الفصحى هي بعينها فى كل مكان . والتراث الأدبى والعلمي والفني واحد مشترك . ولقد حاول الاستعمار أن يفرق وطننا الكبير أوطانا ليغلبنا على أمرنا بالفرقة ، وليستغلنا ويسلبنا خيرات بلادنا ، ويتخذنا اتباعا نتحرك بارادته ونخضع لأمره . وكان من وسائله فى هذا تشجيع اللهجات المحلية ، ونصر الرطانات العامية ، وتقبيح التمسك بالفصحى فيما نكتب ونقرأ ونفكر . ومن أجل ذلك نهض رجال الاصلاح وذوو الغيرة من المسلمين ، عربا وغير عرب . يدعون الى تماسك الأمة العربية بلغتها تماسكها بوحدتها لأنه مما لا جدال فيه أن اللغة هي أقوى هذه الروابط بين جميع المسلمين ، حيث أنها لغة قرآنهم وأحاديث نبيهم . ولم يكن غير العرب بأقل غيرة من العرب على هذه اللغة التي جاء بها القرآن ، وكانت معجزته على طول الأزمان .

وتشير كل حركة اصلاحية حدثت فى التاريخ الى أنها كانت تقع بين الشعوب التي تتكلم لغة واحدة . ولا نعنى باللغة تلك اللهجة التي قد تتفرع منها ، وانما نقصد بها الفصحى التي يتخذها الكتاب أداتهم فى التعبير . نقصد اللغة الام التى يتعلمها الجيل الصاعد فى المدارس والمعاهد . فقد كانت اللغة هي اساس الوحدة الألمانية ، والوحدة الايطالية في القرن التاسع عشر ، وهي أساس الرابطة العامة . فعندما يتكلم مجموعة من الناس لغة واحدة فمعنى ذلك أن بينهم من الصلات مالا يعده الحصر . واذا كان بين الشعوب التي تتكلم اللغة العربية شيء من الخلاف فى أنماط التفكير وفى العادات والتقاليد ، فهو خلاف يسير لا يشوه الصورة العامة ، وفى هذا التنوع ما يشبهه فى الامم المعروفة بتماسكها الشديد فى عقيدتها وتقاليدها .

دور الأسرة فى المجتمع

وكتبت مجلة « دعوة الحق » المغربية مقالا تحت هذا العنوان نقتطف منه ما يلي : ـ

ان المجتمع الذى هو مجموعة أفراد ، لا يصلح الا بصلاح أفراده .. لم يرو لنا التاريخ عن مجتمع متقدم أفراده متأخرون . فلذا وجب أن ينصب اهتمام المصلحين والقادة على تقويم الفرد ، ولزم أن ينشأ نشأة سليمة فى البيت والمدرسة والمؤسسات التربوية . ووجب أن يكرس اهتمام الحاكمين على تثقيف عقله وتقويم طبعه وخلقه واذكاء جذوة الايمان فى صدره .. الايمان بالمثل العليا ، وبحب الخير .. ليصبح فردا صالحا ، وليتكون من أمثاله المجتمع الصالح الذى ننشده . ان المجتمعات المتخلفة لا تشكو شيئا شكواها من انعدام التربية والتهذيب فى نفوس أفرادها . فقد نجد منهم من أخذوا بحظ وافر من الثقافة ، ولم يصيبوا الا اليسير من التربية فنراهم أقرب الى البدائية والبهيمية منهم الى الانسانية . لا تعادل بين القوى المفكرة وبين الغريزة فيهم . ينساقون مع أهوائهم مثلما ينساق النحل والنمل مع الغرائز التي ركبها القدر فى طباعهم ، فجعلهم يسيرون على مقتضى جبرية حتمية . ولاهمال التهذيب والتربية نرى أفراد المجتمع قلما يسلكون فى تصرفاتهم حسب العقل الواعي المدرك الذى ميزهم به القدر عن باقى المخلوقات . فيلزم اذن أن تكرس الجهود فى آن واحد على تنمية العقل وتربية النفس ليكون الفرد صالحا فى حد ذاته وليصلح به المجتمع .



رسالة من طنجة

فى بريد الوعى هذا الشهر عدة رسائل من المملكة المغربية ، أعرب فيها كتابها عن اعجابهم الشديد بالمجلة ، وتطوعهم بالدعاية لها ، والمطالبة بتيسير الحصول عليها ومضاعفة الكميات المرسلة منها .

ومن بين هذه الرسائل رسالة مطولة من الاستاذ / الحسن بن محمد بن الصديق المدرس بثانوية الخطيب بطنجة يصور فيها حاجة الشباب المسلم الى عرض الاسلام عرضا ملائما لروح العصر عرضا يتصدى للزحف المادى المدمر ، والتيار الالحادى الجارف الذى يتقاذف الشباب يمنة ويسرة ليغرقه فى محيط القلق والشك ، وندع القارىء ليطالع جزءا من هذه الرسالة .

انه لمن حسن حظى أن وقعت بيدى مجموعة من أعداد مجلتكم الغراء المسلمة عن طريق صدفة لا أعرف ما أقول عنها الا أنى أحمد الله كثيراً عليها ، اذ أتاحت لي التعرف على مجلة طالما أسفت أنا وكثير من أمثالي الذين يعملون بحقل التدريس بالمدارس الثانوية على فقدان مجلات من نوع مجلتكم تعنى بشؤون الدين والثقافة والحضارة الاسلامية بأسلوب يساير روح العصر ، ويتخصص للكتابة فيها أعلام كبار يعرفون كيف يجذبون الشباب لقراءة ما يكتبون سواء من ناحية الموضوع أو طريقة العرض او حسن الاقناع ، حتى تسد الفراغ الذى كثيرا ما اشتكى منه شبابنا وجعلوه عذر عدم اقبالهم على المجلات الدينية لأن الموجود منها على قلته لا يجدون فيه ما يحببهم فى قراءته خصوصا أمام مزاحمة المجلات العلمية والأدبية والفنية والقصص والروايات المغرية والمثيرة سواء باللغة العربية أو الأجنبية ، مما يجعل مهمة بعض المخلصين الغيورين فى توجيه الشباب الى الثقافة الاسلامية وما تشتمل عليه من كنوز العلم والمعرفة ومحاربة تيار الالحاد الجارف نتيجة الثقافة الاجنبية والتأثر بالحضارة الغربية وتقديسها أمرا صعبا ومحدودا . ولكنى بعد ما قرأت هذه الأعداد التي وقعت فى يدى من مجلتكم . ورأيت تنوع موضوعاتها ومقدرة كتابها مع ما تمتاز به من حسن العرض واتقان الطبع وما يزينها من صور وتحقيقات واستطلاعات . أخذت فى الدعاية لها بين أصدقائي وتلامذتى وغيرهم وما منهم الا وتمنى أن لو كانت تعرض للبيع عندنا . اذا لسدت فراغا بين شبابنا فى توجيههم الى الثقافة العربية بصفة عامة ، وعملت على مزاحمة المجلات الغربية الاجنبية . وبذلك يكون للكويت فضل كبير على شبابنا فى توجيهه الى الثقافة العربية والاسلامية ، وتوقيفه على أمجادها وما يجرى فى عالم العروبة والاسلام من نهضة وتطور وأحداث حتى يقاوم مركب النقص الذى خلفه الاستعمار فى نفوس ناشئتنا ، مما يجعلنا نكبر جهود القائمين على المجلة ونتمنى ظهور أمثالها فى بلادنا وكل البلاد العربية الشقيقة .

وبعد فشكرا للأخ على رسالته ، وتمنياتنا له بالتوفيق ، وسيجد طلبته من المجلة لدى السيد أحمد عيسى صاحب مكتبة الوحدة العربية بالدار البيضاء .

الاحرف السبعة

قرأت حديثا مرويا عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : أقرأني جبريل على حرف ، فراجعته ، فلم أزل استزيده ويزيدني حتى انتهى الى سبعة أحرف .. فما معنى الاحرف السبعة التي تلقى بها النبي القرآن الكريم ؟

محمد المرضي ـ السودان

القرآن الكريم نزل بلسان العرب « انا أنزلناه قرآنا عربيا » ولسان العرب تختلف لهجاته باختلاف القبائل ، فهناك لهجة قريش ، ولهجة هذيل ، ولهجة هوازن . الخ ... وأن أشهر هذه اللهجات سبع ، ومن أمثلة هذا الاختلاف في نطق كلمة «حتى » فقريش تنطقها بالحاء وهذيل تنطقها بالعين . ولو كلف الله العرب جميعا مع اختلاف لهجاتهم القراءة على وجه واحد لشق عليهم ذلك ، فمن تيسير الله على عباده حفظ القرآن وتلاوته أنه أنزله على الاوجه التي ينطقون بها .

والقرآن الكريم نزل معظمه بلغة قريش ، فطلب النبي صلى الله عليه وسلم من ربه ان يزاد على هذا الوجه ، فاستجاب الله له ، ولم يزل يزاد حتى انتهى الى هذه الاحرف السبعة ، وفي رواية مسلم انه عليه الصلاة والسلام قال : ان أمتي لا تطيق ذلك ، ومعنى هذا انه لو نزل كله بلغة قريش خاصة لتعذر على غيرهم من القبائل تلاوته ، فخفف الله عنهم ، وأنزل عليهم القرآن على حسب لغاتهم ولغات قبائلهم المشهورة ..

ومما تجب ملاحظته ان القرآن الكريم أنزله الله تعالى على هذه الاوجه التي ينطق بها العرب يومئذ بدون أن يتغير شيء من معناه الحكيم ، أو ينقص شيء من بلاغته وفصاحته التي تحدى بها جميع معارضيه من فحول البلاغة ، بل كان اختلاف الاحرف التي نزل بها آية اخرى من آيات اعجازه ، اذ لو نزل على وجه واحد ولغة واحدة لسهل على الآخرين ان يحتجوا على عجزهم عن معارضته بنزوله على غير لغتهم ، فقطع الله على جميع العرب هذه الحجة . وصدق الله « ولقد يسرنا القرآن للذكر » ....

ردود قصيرة

السيد عبد الحميد عيسى غازي طالب ثانوي ج . ع . م

كلمتك الأدبية « عبر الجمال » المتواضعة ـ على حد تعبيرك ـ والتي بعثت بها الى المجلة لعلها تجد مكانها في باب « بأقلام القراء » كلمة وصفية ، وهذا الباب لا يتسع الا للكلمات الهادفة الواقعية التي تستهدف خدمة المجتمع الاسلامي ، ونحن نحمد لك رحابة صدرك ونحقق لك رجاءك في التوجيه والنصح في هذا الباب ، ونأمل أن تكون رسالتك التالية في هذا الاتجاه .

السيد علي ن . يس الكويت .

لا يشفع لك في فعلتك الا أنك كنت دون البلوغ ، أما وقد بلغت فان الواجب يتقاضاك أن تصارح والدك بالحقيقة ، وأن تبادر بتبرئة والدتك مما نسب اليها ظلما وافتراء ، وأن تترضاها ما استطعت ، ونحن على ثقة من أن قلب الأم أوسع من خطيئتك .

الأخ حبيب الله بن محمد موريتانيا .

نحن نعمل على العثور على وكلاء لتوزيع المجلة في جميع أقطار الأرض ، ويمكنك الحصول على المجلة عن طريق مكتبة الوحدة العربية بالدار البيضاء .

السيد مسعد فرج المقريف ـ كلية الآداب والتربية ـ بني غازي ليبيا .

وكيل المجلة بليبيا السيد محمد بشير الفرجاني وعنوانه طرابلس الغرب ص . ب ١٣٢ .

السيد / حسين أحمد الحامد الكويت .

المجلة ترسل الى حضرموت ، ويمكن طلبها من مكتبة الشعب المحدودة بالمكلا ص . ب (٢٨) ونحن نرحب بعلماء المسلمين في حضرموت ، فاكتب الى من تعرف منهم لموافاتنا بمقالاتهم .

الفتاوى

هدايا الخطبة

السؤال : ـ

ورد من السيد / ج . أ . د من الكويت السؤال الآتي :

تقدمت لخطبة بنت وتمت الخطبة وفى أثناء الخطبة قدمت هدايا كثيرة ولكن عقد الزواج لم يتم ، فهل لي الحق فى المطالبة باسترداد هذه الهدايا ؟ .

الاجابة : ـ

المقرر شرعا أن الخطبة هي طلب المرأة للزواج بها . فهي من مقدماته ، غاية الامر أنه أبيح للخاطب النظر اليها أثناء الخطبة كما ـ قال عليه الصلاة والسلام ـ (انظر اليها فانه أحرى أن يؤدم بينكما) أى تدوم المودة بينكما بعد ذلك .

فاذا رآها ورأته بالقدر الذى يكفى لكل منهما أن يتعرف على الآخر حصل فى قلب كل منهما ما يكون سببا للاقبال على الزواج أو الاعراض عنه ، فهي مجرد وعد بالزواج ، وليست عقدا به ، ولكل من الطرفين الحق فى العدول عن خطبته ، وهو حق ثابت عند جميع الفقهاء .

وبما أن الثابت أن الخطبة ليست الا مجرد وعد بالزواج ـ فالخاطب اذا عدل عن خطبته ـ وكان قد قدم هدايا لمخطوبته مثل الشبكة أو الهدايا التي تقدم فى المناسبات المختلفة كالأعياد والمواسم فقد اختلف الفقهاء فى هذه الهدايا : فيرى بعضهم أن مثل هذه الهدايا تعتبر هبة ، وتأخذ حكمها ، ويطبق عليها قواعدها فله حق الرجوع بما لم يستهلك . فالموجود منها يرد الى الخاطب ، وما استهلك لا ترد قيمته .

ويرى البعض أن الخاطب لا يرجع فى شيء مما أهداه ان كان العدول منه ، ولو كانت الهدايا باقية ، اما اذا كان العدول منها فله الحق فى استرداد كل ما قدمه من هدايا ، سواء فى هذا ما كان باقيا على حاله او لم يكن باقيا فيأخذ الباقي وقيمة ما استهلك .

ونحن نختار الافتاء على أساس أن العدول لو كان منها فعليها أن ترد كل شيء وصل اليها من الخاطب بعينه أو قيمته . وان كان العدول منه يسترد الأشياء الباقية بعينها ، أما ما استهلك فلا حق له فى المطالبة بقيمته .

يجب التفريق

السؤال : ـ

ورد من ج . س / العراق السؤال الآتي :

أردت الزواج أنا وابنى من أختين شقيقتين : الكبيرة لي والصغيرة لابنى ، وأجرى العقد ، وفى ليلة الزفاف حصل خطأ ، فدخلت زوجة كل منا فى حجرة الآخر ، لاقامتنا

فى منزل واحد ، وحصل الدخول الفعلي دون أن يتنبه واحد منا الى هذا الخطأ ، حيث لم يكن أحد منا قد رأى زوجته من قبل ، وفى الصباح تبين هذا الخطأ . فما حكم الشريعة فى ذلك ؟ .

الاجابة : ـ

لا شك أن دخول كل واحد منكما بمن دخل بها كان على أساس أنها زوجته الحقيقية ، ولذلك يعتبر هذا الوطء فى حكم الشريعة وطئا بشبهة .

وقد ذهب الأئمة الأربعة الى أن الوطء بشبهة يوجب التحريم ويسقط الحد ، ومن ثم فتحرم موطؤة كل منكما على الآخر تحريما مؤبدا . كما أجمع جمهور العلماء وأصحاب الرأى على أن الرجل اذا وطىء امرأة بنكاح فاسد فانها تحرم على أبيه وابنه وابن ابنه وأجداده .

وقد ورد فى المغنى ص ٥٤٥ ـ جـ ٦ (وتحرم موطوءة الأب من غير تزويج لدخوله فى قوله تعالى (ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء) . كما أن تحريم موطوءة الابن على أبيه بشبهة تدخل تحت عموم قوله تعالى (حرمت عليكم أمهاتكم وبناتكم الى قوله تعالى وحلائل أبنائكم الذين من أصلابكم) .

لهذا نفتيك بأن الاختين حرمتا عليكما تحريما نهائيا فلا تحل واحدة منهما لاى واحد منكما ، ويجب التفريق فورا .

وانا لننصح كل مسلم راغب فى الزواج أن يتبع ما أرشدت اليه الشريعة الاسلامية من تعرف كل منهما على الآخر ، وقت الخطبة ، فى وجود الأسرة ، وينظر اليها ، حتى لا يحدث مثل هذا الخطا الجسيم ، فقد ورد عن المغيرة بن شعبة أنه خطب امرأة فقال لهالنبى صلى الله عليه وسلم (انظر اليها فانه أحرى ان يؤدم بينكما) . وعن محمد بن سلمة أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (اذا ألقى الله عز وجل فى قلب امرىء خطبة امرأة فلا بأس أن ينظر اليها) .

ولو اتبع المسلمون ارشادات الشريعة فى حياتهم لما وقعوا فى كثير من المتاعب ، فهذان الزوجان كم تكلفا وأنفقا ... وفى الوقت الذى تهيأ فيه الجميع لبدء الحياة الزوجية السعيدة يحدث هذا الخطا الذى نغص عليهم حياتهم ... ولو حصل تعارف فى حدود الشريعة قبل الدخول لما حصل كل هذا .. كان الله فى عونهم جميعا .

فى الميراث

السؤال

توجد امرأة ليس لديها أب ولا أم ولا زوج ولا ولد ، انما لها من اقاربها أخ من امها. ورجل كان تزوجها سابقا وطلقها وهو يقرب لها لأنه ولد خالتها .

ارجو الافادة . من يرثها ؟ .

الجواب

لعدم وجود أحد منأقارب هذه المرأة سوىأخيها لأمها تكونتركتها للأخالمذكور : السدسفرضا والباقى وهو خمسة أسداس التركة ترد له أيضا لعدم وجود مستحق سواه .

هذا اذا كانت عدتها من زوجها الذي طلقها قد انتهت .

أما اذا كانت لا تزال فى العدة حين وفاتها فان التركة توزع كالآتي :

الزوج له النصف فرضا لعدم وجود فرع وارث .

الأخ لأم يكون له النصف الباقي فرضا وردا .

وقرابة الزوج السابق لها بكونه ابن خالتها لا تجعل له حقا فى الميراث لأنه من ذوي الأرحام .

أخبار العالم الإسلامي

الكويت

* تبرع سمو ولي العهد بمبلغ ثلاثة آلاف دينار مساهمة فى بناء جامع مدينة الثورة فى العراق .

* تلقى سعادة وزير الاوقاف والشئون الاسلامية كتابا من رئيس الجمعية الاسلامية فى ليفربول يشكر فيه حكومة الكويت على تبرعها بمبلغ ٥ آلاف دينار مساهمة منها فى بناء مسجد الرحمة هناك .

* تبدأ الدراسة فى جامعة الكويت الجديدة فى الشهر القادم .

* أبلغت الامانة العامة لجامعة الدول العربية بموافقة الكويت على عقد اجتماع وزراء الخارجية العرب .

* أعدت الجهات المختصة خطة خمسية للقضاء على الامية ، وتهدف برامج تعليم الكبار الى محو الامية بالنسبة للمهارات الاساسية واللغوية والحسابية .

* تعتزم وزارة التربية اقامة مدرسة صناعية فى الخليج العربي خلال العام القادم .

* وصلت الى تركيا طائرة خاصة تحمل كميات من الخيام والاغطية والمواد الطبية للمساهمة فى تخفيف وطأة الزلازل التى حلت ببعض مناطق الجمهورية التركية .

* غادرت الكويت الى بغداد طائرة خاصة تقل بعثة طبية لمكافحة وباء الكوليرا الذى ظهرت بوادره فى العراق الشقيق .

القاهرة

* ردت الجامعة العربية على تقرير لجنة التوفيق الدولية بشأن أراضي العرب وممتلكاتهم فى القطاع المحتل من فلسطين العربية ـ أبرزت فيه بالأدلة والوثائق أنه ليس هناك من حل بشأنها سوى استعادتها وردها الى أصحابها الشرعيين .

* بلغ عدد المدرسين والوعاظ الازهريين المعارين هذا العام ٥٢٠ أرسلوا فى ٢٤ دولة .

* أوفدت وزارة الاوقاف بعثة من علماء الازهر الى توجو .

* أوضحت احصائيات اليونسكو أن الجمهورية العربية المتحدة تعتبر الآن ثاني دولة فى العالم من حيث الميزانية المخصصة لنشر ودعم العلاقات الثقافية الخارجية .

السعودية

* يتابع جلالة الملك المعظم زياراته الرسمية للمغرب وغينيا ومالي وتونس وكان جلالته قد زار من قبل طهران وكراتشي ومدريد وواشنطن وأنقرة .

* قررت وزارة الحج والاوقاف ـ بعد موافقة الجهات الشرعية ـ رفع قبة مقام

ابراهيم ، تمهيدا لوضع قبة مكانها أصغر حجما من الكريستال وذلك لتوسعه المطاف ، وينتظر أن يتم تركيب القبة الجديدة قبل موسم الحج القادم .

*** تبرعت الحكومة بمبلغ ٧٠ ألف جنيه استرليني لمنكوبي الزلازل فى تركيا .**

★★★

بغداد ــ صرح السيد رجب عبد المجيد نائب رئيس الوزراء بأن هدف الحكومة هو توحيد جميع القوى الشعبية فى العراق ، وتنفيذا لهذه السياسة صدرت الاوامر بالافراج عن جميع المعتقلين السياسيين .

الجزائر ــ نظم المجلس الاسلامي الاعلى فى الجزائر جولات لأعضائه فى عدد من المدن الجزائرية للتوجيه الروحي والتوعية الدينية .

هاجمت صحيفة الثورة الافريقية موضة فوق الركبة للسيدات وقالت . ان الموضة التى تكشف عن الافخاذ ، وتبرز معالم الجسم لا تتلاءم مع عقلية الشعب المسلم .

أعلن رسميا ان الحاج ابراهيم نياس أحد كبار شيوخ القبائل السنغالية عين عضوا فخريا فى المجلس الاسلامي الاعلى فى الجزائر .

السودان ــ أعلن السيد الصادق المهدى رئيس مجلس الوزراء السوداني أن حكومته ستعيد النظر فى قوانين البلاد . وتغير منها ما ينافي تعاليم الاسلام ، وانها ستعمل على دعم التربية الاسلامية .

ليبيا ــ تضم الجامعة الاسلامية فى ليبيا ثلاث كليات : أصول الدين والشريعة واللغة ، كما تضم ١٣ معهدا ابتدائيا واعداديا وثانويا ، ومعهدا للقراءات ، وأكثر من ١٤٢ مدرسة لتحفيظ القرآن الكريم ، وتقبل الجامعة الطلاب من جميع انحاء العالم الاسلامي .

الاردن ــ جرت اتفاقات سرية بين السلطات الاسرائيلية وعدد من الدول الاجنبية على قبول العائلات العربية وتوطينها وعدم السماح لها بالرجوع ، وقد تم ترحيل ستين عائلة من منطقة الناصرة وحدها الى كندا .

ــ اهاب المؤتمر الهندسي العربي العاشر الذى عقد أخيرا فى القدس ــ بالملوك والرؤساء أن يسارعوا الى انهاء مأساة فلسطين واعادة الحق الى نصابه ، وقد اشترك فى هذا المؤتمر ٤٧٠ مهندسا يمثلون الدول العربية .

متفرقات

لندن ــ يقوم البروفسور آرثر أوبرى احد كبار العلماء فى الشئون الاسلامية واستاذ اللغة العربية فى جامعة كمبردج بوضع تاريخ شامل لخطوط المصاحف .

جوهانسبرج ــ أقام المسلمون مسجدا مكان بناء قديم كانوا يقيمون فيه الصلاة منذ خمسين سنة بلغت نفقاته ٢٥ ألف جنيه استرليني ، وقد طلبت حكومة جنوب افريقيا هدمه لانه بناء غير مشروع .

لويزفيل ــ صرح محمد علي كلاى بطل الملاكمة فى العالم بأنه يعمل منذ سنتين للتبشير بالاسلام وانه يتجول فى البلاد لهذا الفرض .

هونج كونج ــ هاجم المتظاهرون الصينيون أحد المساجد فى بكين أثناء حملتهم على العادات القديمة والاتجاهات الدينية .

الارجنتين ــ افتتح المركز الاسلامي فى الارجنتين مكتبة الشيخ محمد عبده ، وقد خصص لها جناح كبير فى مبنى المركز .

كندا ــ نظمت بعض الجمعيات الاسلامية رحلة لاعضائها الى البلاد العربية ، وبلغ عدد المشتركين فيها حتى الآن ١٥٠ مسلما .

اقرأ فى هذا العدد

((الى راغبى الاشتراك))

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك فى المجلة . ورغبة منـا فى تسـهيل الامـر عليهم ، وتفاديا لضيـاع المجلة فى البريد ، رأينا عدم قبـول الاشتراكات منا من الان ، وعلى الراغبين فى الاشتراك ان يتعاملوا رأسـا مع متعهد التوزيع عنـدهم ، وهـذا بيـان بالمتعهديـن ،

القاهرة : شركة توزيع الاخبـار ــ ٧ شارع الصحافـة

مكة المكرمـة : مكتبة الثقافة للصحافة . ص ب ١٤٦

المدينة المنورة : مكتبة ومطبعة ضياء ــ السيد محمد زين العابدين ضياء

الريـاض : مكتبة المدينة ــ ص ب ١٩ ــ السيد احمد باصريح

الطائـف : مكتبة الثقافة للصحافة ــ عمارة ابن الملوح ــ ص ب ٢٢

جـده : مكتبة الصلاح العالمية ــ عمارة البنك الاهلى ص ب ٦٣٥

الخبر : مكتبة النجاح الثقافية ــ ص ب ٧٦ ــ السيد محمد سعيد بابيضان

البحرين : المكتبة الوطنية وفروعها ــ المنامة ــ السيد فاروق ابراهيم عبيد

قطـر : ص ب ٥٢ ــ السيد عبد الله حسـين نعمه

عـدن : وكالة الاهرام التجارية ــ السيد محمد قائد محمد

المـكلا : ص ب ٢٨ ــ حضرموت ــ مكتبة الشعب المحـدودة

دبـى : ساحل عمان ــ ص ب ٢٦١ ــ السيد عبد الله حسن الرستمانى

مسـقط : المكتبة الاهلية ص ب ١٥٧

بغـداد : مكتبة المثنى ــ السيد قاسم محمد الرجب

عمـان : وكالة التوزيع الاردنيـة ــ السيد رجا العيسـى

القـدس : وكالة التوزيع الاردنية ــ السيد رجا العيسـى

بيروت : الشركة العربية للتوزيع ص ب ٤٢٢٨

السـودان : ص ب ١٥٥ ــ الخرطـوم

مراكـش : الدار البيضاء ــ مكتبة الوحدة العربية ــ السيد أحمد عيسى

ليبـيا : طرابلس الغرب ص ب ١٣٢ ــ السيد محمد بشير الفرجانى

بنغـازى : مكتبة الوحدة العربية ص ب ٢٨٠ ــ السيد الشعالى الخراز

الكـويت : مكتب منـار للتوزيع ــ شارع الجهـره ..

ونوجه النظر الى أنه لا يوجد لدينا الان نسخ من الاعداد السابقة من المجلة



فارس عربي فوق صهوة جواده

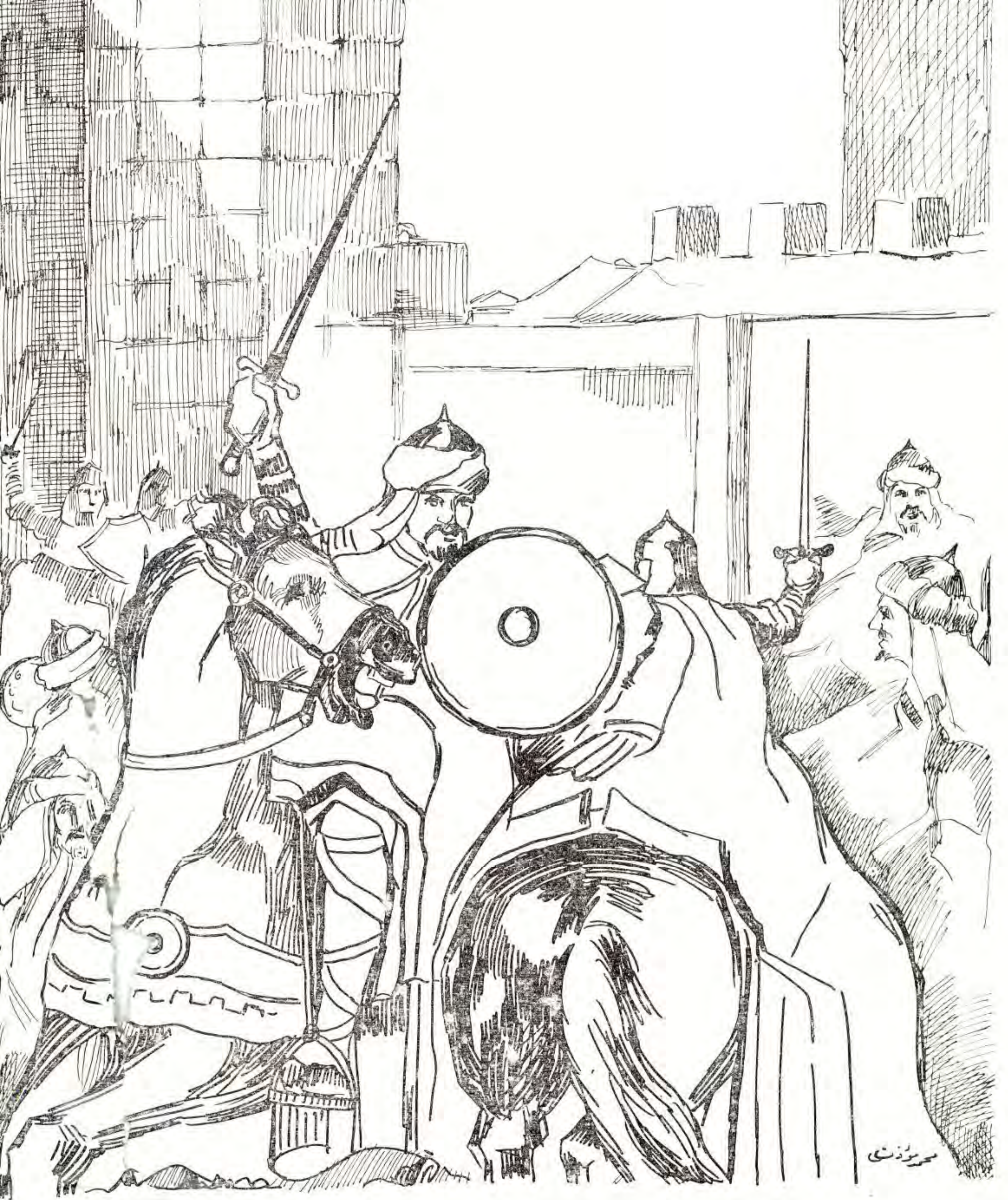
مطبعة حكومة الكويت

الوعي الإسلامي

إسلامية ثقافية شهرية

السنة الثانية * العدد التاسع عشر * رجب ١٣٨٦ هـ * اكتوبر ١٩٦٦م





جيش المسلمين بقيادة القائد

(أبو المهاجر دينار)

يحاصر قرطاجنة

اقرأ فى هذا العدد

الوعي الإسلامي

اسلامية ثقافية شهرية

العدد التاسع عشر ـ السنة الثانية
غرة رجب سنة ١٣٨٦ هـ
١٥ اكتوبر (تشرين اول) ١٩٦٦ م

تصدرها وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية
بالكويت في غرة كل شهر عربي

المجلة حرة ، والوزارة غير مسئولة عما
ينشر فيها من آراء

هدفها : المزيد من الوعى ، وايقاظ الروح ، بعيدا عن الخلافات المذهبية والسياسية

المشرف العام
عبد الرحمن المجحم

رئيس التحرير
عبد المنعم النمر

مدير التحرير
على عبد المنعم

سكرتير التحرير
رضوان البيلي

صورة الغلاف



قبة الصخرة المشرفة ملتقى آمال المسلمين وتتجلى فيها عظمة البناء ودقة الصنع وروعة الفن وجمال الموقع .

الثمن

الكويت	٥٠	فلسا
السعودية	١	ريال
العراق	٧٥	فلسا
الاردن	٥٠	فلسا
ليبيا	١٠	قروش
المغرب	١	درهم
الخليج العربي	١	روبية
اليمن وعدن	٧٥	فلسا
لبنان وسوريا	٥٠	قرشا
مصر والسودان	٤٠	مليما
تونس والجزائر	١٠٠	مليم

الاشتراك السنوى للهيآت فقط

في الكويت ١ دينار
في الخارج ٢ ديناران
(أو ما يعادلهما بالاسترليني)
أما الافراد فيشتركون رأسا
مع متعهد التوزيع كل في قطره

عنوان المراسلات : مجلة الوعى الاسلامي ـ وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية ـ الكويت ص . ب ١٣ ـ هاتف ٢٢٠٨٨

بسم الله الرحمن الرحيم



أخي القارئ

يخرج هذا العدد والمؤتمر الثالث لعلماء المسلمين يجتمع بالقاهرة فى رحاب الأزهر الشريف .. ليبحث مشكلات المسلمين الدينية والاجتماعية ، ويسهم فى حلها حلا يتفق مع اتجاه الاسلام فى بناء المجتمع ، ومع المصلحة العامة للمسلمين ..

وقد حضرت المؤتمر الاول عن قرب ، وتابعت بحوثه ومناقشاته ، وعرفت الكثير من العلماء المشتركين فيه .. وكنت ألمس فى كل منهم الغيرة الصادقة لرعاية أهدافه ، والرغبة المتوفرة لتحقيقها ، كما كنت ألمس مقدار ما يملأ صدور الناس من أمل يعلقونه عليه فى حل مشكلاتهم .. لأن الناس يحسون احساسا فعليا بكثير من المتناقضات بين مجرى حياتهم وتعاليم دينهم ويتمنون حلا لهذه المتناقضات .

وحين غادرت مصر الى الكويت لأشارك بجهدى المتواضع فى تحقيق الرسالة الكريمة التي تضطلع بها وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية ، لمست أكثر مما لمست من قبل مدى الآمال التي يعلقها المسلمون على مؤتمر العلماء ، ومدى حاجة الناس الى مقرراته ، وكنت كلما شاركت فى بحث مشكلة من المشكلات المستحدثة ، سواء كانت وليدة الأخذ بنظام الحياة الذى اقتبسناه من الغرب ، أم كانت وليدة البيئة ، نجد حرجا ـ أحيانا ـ فى البت فيها برأى ، فتتجه أفكارنا رأسا الى المؤتمر .. مؤتمر العلماء .. هل قطع فيها برأى ؟ أو لا تزال تحت البحث والدراسة .. ونحس احساسا مكبرا بضخامة الآمال والمسئولية الملقاة على عاتق هؤلاء العلماء الأفذاذ ، الذين اختيروا من كل البلاد الاسلامية .. ليختطوا على هدى من الشريعة وعلى احساس من واقع الحياة التي يحياها المسلمون طريقا واضحا ترتاح اليه ضمائرهم ، ولا يجدون فيه (مطبات) بين عقيدتهم وتعاليم دينهم ، وبين ما تقتضيه المصالح الحتمية فى سير حياتهم التي اشتبكت مع سير الحياة فى العالم كله ..

واذا سمح لي أساتذتنا واخواننا المشتركون فى هذا المؤتمر أن نشارك من بعيد فى خدمة أهدافهم التي هي أهداف كل مسلم ، فاننا نرجو كما رجونا أول مرة ، أن يجابهوا المشكلات بحلولها دون تزمت تضيق به الصدور ، ويتوقف به سير الحياة ، ودون تحرر يشبه التحلل من المبادىء الاسلامية خضوعا للأمر الواقع وتسليما له ..

اننا نريد أن يعيش كل عالم فى موضوعه باخلاص وبصيرة ، بعيدا عن اتخاذ موقف يدر عليه التصفيق من جانب المتزمتين أو من جانب المتحللين . وأمامنا مشكلات تحتاج الى هذا الاخلاص وهذه البصيرة . والوقت يجرى ، والآمال معلقة ، والنفوس منتظرة ، ولا نريد للآمال أن تذبل ، ولا للنفوس أن تمل الانتظار .. وتيار الحياة لا يرحم ولا يتوقف .

ان هناك فريقا من علماء طائفة من المسلمين أصدروا فتاوى صريحة فى بعض المشكلات كالربا والتأمين وانشاء البنوك .. ويتبعهم عشرات الملايين من المسلمين

ومن هذه الطائفة علماء مشتركون فى المؤتمر .. فما رأيه فى هذه الفتاوى ، دون تعصب أو مجازفة ؟ .

وهناك بدع فى الدين ظاهرة يصر كثير من الناس على مباشرتها ، وتحتاج الى شجب قوى من المؤتمر وقول فصل فيها ..

وهناك اختلافات فى أمور بين فقهاء المسلمين قد يكون لهم عذرهم آنذاك فى اختلاف وجهات نظرهم حولها .. ولكن بعد أن وضحت أمامنا كل الأحاديث ووسائل الأدلة أصبح من الممكن اختيار وجهة النظر التي تتفق مع قوة الدليل .

وهناك وجهات نظر أو فتاوى فى الامور الفقهيه ولا سيما فى المعاملات أبداها أصحابها ودونوها لأنها تتناسب والمصلحة فى زمانهم ، وقد تغير الزمان ، وأصبحت وجهة النظر غير معقولة ، ولا متفقة مع المصلحة ، فلماذا تبقى ويلتزم المتعلمون والعلماء أن يضيعوا وقتهم فى دراستها ، وتظل مصدرا للفتوى بها ؟ .

هناك اختلاف يحصل دائما بين المسلمين فى بدء صيامهم وتحديد أعيادهم واداء مناسك حجهم . ويثير ضجة وبلبلة ومرارة فى النفوس كل عام . فلماذا يبقى هذا الاختلاف مع آثاره فى النفوس ؟ ...

هل يمكن الاعتماد على الحساب الفلكي فى الصيام والأعياد كما اعتمدنا عليه فى تحديد أوقات الصلاة ؟ وهل يمكن بعد ذلك للمؤتمر أن يعمل على ايجاد الطريقة التي يمكن بها الاتفاق على توحيد البدء فى الصيام ، والاحتفال بالأعياد ، وأداء مناسك الحج ، متعاونا فى ذلك مع جامعة الدول العربية ؟ ..

لقد قلت فى افتتاحية العدد الأول لهذه المجلة كلمة أجدني فى هذه المناسبةفىحاجة لأن أذكر منها :

« ان المسلمين يواجهون مشاكل جديدة فى حياتهم يريدون رأى الدين فيها ... لم يعودوا يكتفون بتقرير : أن الدين صالح لكل زمان ومكان ، بل يريدون تطبيقا عمليا لهذه الحقيقة التي يؤمنون بها » .

« ان معاملات قد جدت ، ومبادىء فى تكييف الحياة قد ظهرت ، ولم تكن موجودة حين وضع الفقهاء والأصوليون كتبهم وقواعدهم ، واستطاعوا حينذاك أن يغطوا كل مشاكل الحياة التي عاصروها ، بل زادوا عليها افتراضات أوجدوا لها حلولا » .

« والعقلية الجديدة لم تعد تقتنع بأن باب الاجتهاد قد أغلق للأبد ، أو أن الأوائل لم يتركوا للأواخر شيئا كما يقال » .

« وأصبح الباحثون الاسلاميون يؤمنون بضرورة الاجتهاد .. ولو بشكل جماعي .. لمواجهة أساليب الحياة الحديثة وتكييفها من الوجهة الدينية » .

« فأين الاجتهاد اذن ؟ وأين محاولات العلماء المتخصصين لوضع حلول لمشاكلنا الحديثة ؟ ذلك هو ما أريد أن يحاوله كتابنا ، وما أريد أن أفتح صدر المجلة له ، وأعرضه للمناقشة ، لعلنا نصل بذلك الى خطوة تتبعها خطوات فيما نأمل ونرجو » .

واذا كنت حينذاك قد اتجهت بهذا النداء الى كتابنا – ومنهم بلا شك السادة العلماء المشتركون فى هذا المؤتمر – فانني الآن أخص به علماءنا الأفاضل – موضع الأمل والرجاء – فى الوقت الذى تتجه فيه القلوب الى الأزهر حيث يجتمع مؤتمرهم فى رحابه ، ويتخذون مقرارتهم على ضوء رسالته ، رسالة الاسلام الخالدة .

والله من وراء القصد ، وهو الموفق والمعين .

رئيس التحرير

في ذكرى الإسراء والمعراج

إمام الأنبياء

للشيخ/علي عبد المنعم عبد الحميد
المستشار الثقافي
لوزارة الاوقاف والشئون الاسلامية

عن أنس رضى الله عنه . « ... ثم بعث آدم فمن دونه فأمهم فى تلك الليلة . » أخرجه الطبرانى .

وعند مسلم من رواية عبد الله بن الفضل عن أبى سلمة عن أبى هريرة رفعه « ثم حانت الصلاة فأممتهم » .

وفى حديث أبى أمامة عند الطبرانى فى الاوسط « ثم أقيمت الصلاة فتدافعوا حتى قدموا محمدا » ..

وفى رواية يزيد بن ابى مالك « ثم دخلت بيت المقدس فجمع لى الأنبياء فقدمنى جبريل حتى أممتهم » .. الخ ما روى فى هذا مما حفلت به كتب الحديث الشريف .

١ — من آمن بالله سبحانه ، وأيقن بأنه تعالى قادر على كل شيء ، وأن علمه محيط بكل ما دق وما جل لأنه خالقه : « هو الذى خلق السموات والارض فى ستة أيام ثم استوى على العرش يعلم ما يلج فى الارض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو معكم أين ما كنتم والله بما تعملون بصير . له ملك السموات والارض والى الله ترجع الامور » «١» من عرف ذلك لا يداخله ريب فى صدق رسل الله وما وقع لهم من معجزات أعيت سائر البشر أن يأتوا بمثلها ، ولا يصح بحال أن يقاس غائب على شاهد بمقاييس العقول الحادثة المخلوقة التى ما استطاعت أن تجول فى غير المحسات لتنتج ، وهذا

(١) سورة الحديد / الآيتان ٤ ، ٥ .

يقتضينا أن نوقن يقينا جازما بقيومية الله وعظمته وأنه وحده مدبر الـكون ومصرف شؤونه ونسأله أن يهدينا سواء السـبيل .

٢ ـ من هذا المنطق ندرك أن الاسراء والمعراج وقعا لرسول الله صلى الله عليه وسلم بالجسد والروح معا ، وان الله أراد منهما أن يطلع حبيبه ومصطفاه على ملكوت السموات والارض ، وأن يرى ويشاهد مدى عظمة المخلوقات التى لا يقع عليها حس البشر ولا يمكن أن يقع ،فهى فـوق ما يؤملـون ، وفى مستوى لا يرقى اليه الا الذى اختاره ربه ليحمل خاتمة الرسالات السماوية « لنريه من آياتنا الكبرى » ، وفى الوقت نفسه ليكون ذلك اختبارا لمدى ايمـان المؤمنين وكشفا لنفاق المنافقين (ليهلك من هلك عن بينة ويحيا من حى عن بينة)، وقال العلماء السابقون . (ان الحكمة فى تقديم الاسراء الى بيت المقـدس عـلى العروج الى السماء ارادة اظهار الحـق لمعاندة من يريد اخماده ، لانه لو عرج به من مكة الى السـماء لم يجـد لمعانـدة الاعداء سبيلا الى البيان والايضاح ،فلما ذكر أنه أسرى به الى بيت المقدس سألوه عن تعريفات جزئيات من بيت المقدس كانوا رأوها ، وعلموا أنه لم يكن رآهـا قبل ذلك ، فلما أخبرهـم بها حصـل التحقيق بصدقه فيما ذكر من الاسراء الى بيت المقدس فى ليلة ، واذا صح خبره فى ذلك لزم تصديقه فى بقية ما ذكـره فكان ذلك زيادة فى ايمان المؤمن ، وزيادة فى شقاء الجاحـد) «١» .

٣ ـ وبدأت رحلة الاسراء بأن جيء لرسول الله صلى الله عليه وسلم بدابة دون البغل وفوق الحمار «٢» يضـع خطوه عند أقصى طرفه ، فحمل عليه ومعه الروح الامين ، ولم يزايل ظهر تلك الدابة حتى انتهيا الى بيت المقدس،وهنا يروي الامام احمد عن ابن عباس قوله . (فلما أتى النبى صلى الله عليه وسلم المسجد الاقصى قام يصلى فاذا النبيون أجمعون يصلون معه) «٣» . ولـدى فراغه من الصلاة انطلق به جبريل الى السماء الدنيا ، يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم « فاستفتح ، فقيل من هذا ؟ قال جبريل ، قيل ومن معك ؟ قال : محمد قيل : أوقد أرسل اليه ؟ قال : نعم ، قيل : مرحبا به فنعم المجيء جاء » وتكرر هذا السؤال والجواب عند كل سماء حتى السابعة ، وكانـت لـه لقاءات مع الرسل والانبياء فى كل سماء .

ففى السماء الدنيا لقى أبـا البشر آدم ، فقال له جبريل : هذا أبوك آدم فسلم عليه قال : فسلمت عليـه فرد السلام ثم قال : مرحبا بالابن الصالح والنبى الصالح ، وفى السماء الثانية وجد يحيى وعيسى فسلم عليهما فردا عليـه السلام ثـم قالا : مرحبا بالاخ الصالح والنبى الصالح ، وفى الثالثة وجـد يوسف فسلم عليه فرد عليه السـلام وقال : مرحبا بالأخ الصالح والنبـي الصالح ، وفى الرابعة التقى بادريـس فسلم عليه ورحب به ، وفى الخامسـة رأى هارون فسلم عليه ورحب به ، وفى السادسة شاهد موسى ، وفى السابعة وجد ابراهيم فقال له جبريل : هـذا أبوك ابراهيم ، فسلم عليه فرد عليـه

---

(١) ص ٢٠٠ ج ٨ فتح البارى طبعة الحلبى بالقاهرة.

(٢) هو البراق . وقد وردت له أوصاف كثيرة متعددة ، قال ابن ابي حمزة خص البراق بذلك الشرف لأنه لم ينقل أن احدا ملكه . بخلاف غير جنسه من الدواب ، والقدرة كانت صالحة لأن تصعده من غير براق ولكن ركوب البراق كان زيادة فى تشريفه لأنـه لو صعد بنفسـه لكان فى صورة مـاش ، والراكب أعز من الماشي .

(٣) (ولما دخل عمر رضي الله عنه بيت المقدس قال : أصلي حيث صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فتقدم الى القبلة فصلى) رواه الامام أحمد .

السلام قائلا : مرحبا بالابن الصالح والنبى الصالح ، ثم رفع بعدها الى سدرة المنتهى ، وبعدها رفع له البيت المعمور يقول صلى الله عليه وسلم : (ثم أتيت باناء من خمر واناء من لبن واناء من عسل ، فأخذت اللبن فقال : هى الفطرة التى أنت عليها وأمتك) ثم عرج به حيث فرضت الصلوات .

٤ ــ فى خلال الرحلة رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم أشياء كثيرة ، لا نرى بأسا من ايراد بعضها مستقى من أوثق مصادر السنة ، للذكرى والعبرة (والذكرى تنفع المؤمنين) .

أ) روى البيهقى أنه صلى الله عايه وسلم مر بشىء يدعوه متنحيا عن الطريق فقال له جبريل سر ، ثم مر على عجوز فقال : ما هذه ؟ فقال له جبريل : سر ، ثم مر على جماعة فسلموا عليه فقال جبريل : اردد عليهم ، ثم شرح له جبريل ما رأى قائلا : الذي دعاك ابليس ، والعجوز هى الدنيا ، والذين سلموا عليك : ابراهيم وموسى وعيسى .

ب) وروى البزار أنه عرض على رسول الله أقوام بيض الوجوه واخرون فى ألوانهم شىء، ثم دخلوا نهرا فاغتسلوا فخرجوا وقد خلصت ألوانهم ، فقال له جبريل . هؤلاء من امتك خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا ، ولعل فى هذا المشهد تفسيرا للاية الكريمة (يوم تبيض وجوه وتسود وجوه ..) «١» .

جـ) وروى مسلم عن ابن مسعود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سأل جبريل قائلا مالى لم آت أهل سماء الا رحبوا وضحكوا الي غير واحد سلمت عليه ورد على السلام ورحب بى ولم يضحك الى ؟ قال . ذاك مالك خازن النار لم يضحك منذ خلق ، ولو ضحك الى أحد لضحك اليك ، ورآى صلى الله عليه وسلم النار فاذا هى لو طرح فيها الحديد والحجارة لاكلتها ، نسال الله السلامة من شرها .

د) راى جبريل على حقيقته الملائكية التى خلقه الله عليها عند سدرة المنتهى ، قال ابن عباس عند شجرة النبق التى ينتهى اليها علم كل عالم ، وما وراءها لا يعلمه الا الله وحده ، وهذه الشجرة هى كما وصفها الله . « عند سدرة المنتهى عندها جنة المأوى . اذ يغشى السدرة ما يغشى . روى احمد ومسلم والترمذى انها فى السماء السابعة نبتها كقلال هجر وأوراقها مثل آذان الفيلة ، يسير الراكب فى ظلها سبعين خريفا لا يقطعها .

٥ ــ ولما كان لقاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فى معراجه قد تكرر كثيرا مع الملائكة ، فلهذا وجب أن نعرف شيئا عنهم ، وليكن معلوما أن الحديث عنهم حديث سمعى بمعنى أنه سمع من الصادق الامين ، كما ورد ذكرهم بالقرآن الكريم ، فالايمان بهم من الامور الرئيسية فى الدين كالايمان برسل الله وكتبه واليوم الاخر ، قال تعالى (آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله) « ٢ » . ومن أنكر وجودهم كفر لانه أنكر أمرا معلوما من الدين بالضرورة واردا بالقرآن العظيم والسنة الشريفة .

والملائكة . أجسام نورانية قادرة على التشكل بالأشكال الحسنة لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون

(١) سورة آل عمران الآية (١٠٦) .
(٢) الآية (٢٨٥) من سورة البقرة .

ما يؤمرون ، روى البخارى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

« اذا قضى الله الأمر فى السماء ضربت الملائكة . بأجنحتها خضوعا لقوله كأنه صلصلة على صفوان فاذا فزع عن قلوبهم قالوا : ماذا قال ربكم ؟ قال الحق وهو العلي الكبير » (وطبيعتهم الطاعة التامة لله ، والخضوع لجبروته والقيام بأوامره وهـــم يتصرفون فى شؤون العالم بارادة الله ومشيئته وهو سبحانه يدبر ملكه وهم لا يقدرون على شيء من تلقاء أنفسهم) (١) . قال تعالى . (يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون) (٢) .

وظائفهم

تحـــدثت عـــن وظائفهـــم كتب التوحيد (أو علم الكلام) طويــلا وقال العلماء : ان الواجب على كــل مسلــم ومسلمة أن يعرف أن لله ملائكة يسبحون له الليل والنهار لا يفترون وهذا اجمالا ، وان يعرف بعضـــهم ووظائفهـــم التـــي يقومون بها كما حددها الصادق الأمـــين فيما أوحاه اليه رب العالمين . كجبرائيل وهو الروح الأمين الذى نزل بوحى الله على رسله عليهم أفضل الصلاة وأزكى السلام ، وميكائيل ، وهو المكلف مـــن قبل الله تعالى بأرزاق العباد يوزعها كما أمره ربـــه ، وعـــزرائيل وهـــو قابض الأرواح عند انتهاء الآجـــال وورد أنـــه يقبض روح نفسه فى المدة التالية للنفخة الأولى ويســـتمر فى عمليـــة قبض روح نفسه أربعين سنة ، واسرافيل ، وهـــو الذى ينفخ فى الصور مـــرتين . المـــرة الأولى يصعق بها كل شيء الا من شاء الله ، والنفخة الثانية يقوم بها من مات بعد الأولى قال تبارك وتعالى (ونفخ فى الصور فصعق من فى السموات ومن فى الأرض الا من شاء الله . ثم نفخ فيه أخرى فاذا هـــم قيام ينظـــرون) (٣) . ومنهم الملك المكلف بتسجيل حســـنات البشر والملك المكلف باحصاء سيئاتهم ، قال تعالى (اذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد . ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد (٤) . ومن فضل الله على عباده أن كاتب الحسنات يثبتها فى كتاب العبد بمجرد أن يهم بها وان لم يفعلها ، فان فعلهـــا كتبهـــا عشرا وقد تضاعف الى سبعمائة ،وان كاتب السيئات لا يثبتها الا اذا عملها العبد فعلا ، فاذا هم بها (أى بالسيئة) ولم يعملها خشية لله كتبت له حسنة ، وان تركهـــا لعدم توفر أسبابها لم يكتب عليه شيء . ومنهم منكر ونكير وهما اللذان يسألان المرء فى قبره بمجرد أن يغادره آخر قدم من المشيعين . نسأل الله أن يلهمنا الجواب، ومنهم مالك خازن النار وهو الذى لم يبتسم قط منذ أن خلقه الله كما تقدم ، ورضوان حارس الجنان جعلنا الله من أهلها جميعا .

(وللملائكـــة عمـــل فى تـــدبير أمور الكون من ارسال الرياح والهـــواء ومن سوق السحب وانزال المطر وانبات النبات ونحو ذلك من الأعمال الخافية على الأنظار التي لا تقع تحت الحواس ، وهم يلازمون الانسان فى حياتـــه كلهـــا وبعد مماته) (٥) .

قال تعالى (سواء منكم من أسر القول ومن جهر به ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار . له معقبات من بين يديه

---

(١) ص ١١٤ العقائد الاسلامية للشيخ سيد سابق .
(٢) الآية (٥٠) من سورة النحل .
(٣) الآية (١٨) من سورة الزمر .
(٤) الآية (١٧ ، ١٨) من سورة ق .
(٥) ص ١١٩ العقائد الاسلامية .

ومن خلفه يحفظونه (١) من أمر الله ان الله لا يغير مابقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم . . (٢) قال المفسرون (أى للانسان ملائكة يتعاقبون عليه . حرس بالليل وحرس بالنهار يحفظونه من المضار ويراقبون أحواله ، كما يتعاقب ملائكة آخرون لحفظ أعماله من خير وشر ملائكة بالليل وملائكة بالنهار فاثنان عن اليمين والشمال يكتبان الأعمال ، صاحب اليمين يكتب الحسنات وصاحب الشمال يكتب السيئات وملكان آخران يحفظانه ويحرسانه واحد من ورائه وآخر قدامه فهو بين أربعة ملائكة بالنهار ، وأربعة آخرين بالليل ، حافظان وكاتبان كما جاء فى الحديث الصحيح « يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ويجتمعون فى صلاة الصبح وصلاة العصر فيصعد اليه الذين باتوا فيكم فيسألهم وهو أعلم بكم كيف تركتم عبادي ؟ فيقولون : أتيناهم وهم يصلون وتركناهم وهو يصلون » (٣) .

٦ ـ ونختتم الحديث عن الاسراء والمعراج بالاجابة على تساؤل وارد فى هذا المقام وهو : هل رأى سيدنا رسول الله ربه حقا ؟ والجواب . أن للعلماء منذ عهد رسول الله كلاما كثيرا حول هذا الموضوع (روى البخارى عن مسروق قال : قلت لعائشة رضي الله عنها : يا أمتاه هل رأى محمد صلى الله عليه وسلم ربه ؟ فقالت لقد قف شعري مما قلت ، أين أنت عن ثلاث من حدثكهن فقد كذب . من حدثك أن محمدا صلى الله عليه وسلم رأى ربه فقد كذب ثم قرأت (لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير (٢) (وماكان لبشر أن يكلمه الله الا وحيا أو من وراء حجاب) ومن حدثك أنه يعلم ما فى غد فقد كذب . ثم قرأت (وما تدرى نفس ماذا تكسب غدا) ومن حدثك أنه كتم فقد كذب ثم قرأت (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته) الآية ، ولكن رأى جبريل عليه السلام فى صورته مرتين) . قال الامام النووى رحمه الله (لم تنف عائشة وقوع الرؤية بحديث مرفوع ، ولو كان معها لذكرته وانما اعتمدت الاستنباط على ما ذكرته من ظاهر الآية ، وقد خالفها غيرها من الصحابة، والصحابي اذا قال قولا وخالفه غيره منهم لم يكن ذلك القول حجة اتفاقا . والمراد بالادراك فى الآية الاحاطة وهو لا ينافى الرؤية) . وأقول بعد استقراء كامل لآراء القوم ودراسة المذاهب المختلفة فى كتب البحوث العقلية والمناقشات التي دارت رحاها فى العصور الأولى للاسلام . انى خرجت مؤمنا بأنه صلى الله عليه وسلم رأى ربه حقا وصدقا ، وهذا ما لا يمنعه العقل ، ولو ذهبت أورد الأدلة العقلية لطال البحث فى غير طائل ، وعسانا لا نكون بعيدين عن الحقيقة بل متابعين للسلف من أئمة هذه الأمة والله أعلم ، وأسأل الله القوى القادر أن يعيد ذكرى الاسراء والمعراج على أمة سيد الرسل بالشمل الجميع والخير العميم والكلمة الموحدة ، ويهىء للمسلمين من أمرهم رشدا انه سبحانه نعم المسئول ، وهو حسبنا ونعم الوكيل نعم المولى ونعم النصير ، وصلاة وسلاما على امام الأنبياء وخاتم المرسلين وآله وصحبه .

---

(١) أي هم يحفظونه بأمر الله واذنه وجميل رعايته وكلاءته .

(٢) الآية (١٠ ، ١١) من سورة الرعد .

(٣) ص ٧٦ تفسير المراغى جـ ١٣ طبع الحلبى بالقاهرة ١٩٤٦ .

الإسلام
ورسوله
وتعاليمه
بلغة
العصر



للاستاذ
احمد حسين المحامي

هل هناك بعث بعد الموت ؟

البعث والحساب والجنة والنار من تعليم الرسل التي ألقوا بها الينا ، واذا جاز لبعض الأقدمين أن تعيا عقولهم بهذه الغيبيات فأن ذلك لم يعد جائزا فى العصر الحديث ، بعد أن كشف لنا العلم من آياته ما كشف حتى لقد أوشكت هذه الغيبيات أن تدخل فى نطاق التجارب العلمية ، أو بالأحرى دخول بعض الظواهر المماثلة فى نطاق هذه التجارب .

ولنبدأ برأس هذه الأمور كلها ، ونعنى به البعث والنشور بعد الموت .

صلة الموت والموتى بالحياة والأحياء

من المتفق عليه أن أعظم ظاهرة تصدع الانسان وتقهره هي ظاهرة الموت الذى يخترم حياته على حين غـرة ، بعد أن يخترم حياة الكثيرين ممن يعرف الانسان ويحبهم ويعزهم ، أو يستعين بهم .

ومن المتفق عليه كذلك ، أن كل نشاط يبذله الانسان من أى نوع كان ، ليس الا محاولة للابقاء على ذاته فى مواجهة هذا الموت ، فالانسان لا يأكل أو يشرب أو يلبس ، ولا يتحرك ، ولا يعمل ، فضلا عن أن يفكر الا لاتقاء خطر الموت الذى يقف له بالمرصاد ، ومعنى هذا أنه لولا الموت لما أخذت الحياة هذه الصورة التي هي عليها .

فكما أن الموت هو ختام الحياة ، فهو فى ذات الوقت ينبوع النشاط الحيوى ، أى أن كلا منهما مصدر للآخر ، واذا كان العقل يؤكد لنا أن الحياة وجود ، فهو يؤكد لنا فى احدى بديهياته ، أنه يستحيل أن يتحول الوجود الى عدم ، كما لا يمكن أن يتحول العدم الى وجود ، ومعنى ذلك أن الموت لا يمكن أن يكون عدما ما دام ينبثق من الحياة ، وكل الذى يمكن أن يتصور أنه تبدل وتغير ، وانتقال من حالة الى حالة ، ومن صورة الى أخرى ، كما هو الشأن بالنسبة لكل ما فى الطبيعة التي توصف بأنها صيرورة أبدا .

كل شيء فى الطبيعة يدور

ولعل أول ظاهرة من ظواهر الطبيعة التي لاحظها الانسان من مراقبته لها ، هو أنها تدور أبدا ، فتنتهى حيث تبدأ ، وتبدأ حيث تنتهي ، فالشمس فى كل يوم تشرق ، فتبدد الظلام ويكون النهار ، لتغرب من جديد ، فيكون ليل وظلام ، وهكذا دواليك .

والقمر تتعدد أوجهه يبدأ هلالا ويظل يتكامل حتى يصبح بدرا مضيئا ، لكي يأخذ طريقه بعد ذلك نحو التناقص ، حتى يدخل فى المحاق ، ليولد بعد ذلك هلالا جديدا .

وقد رأى الأقدمون فى هاتين الظاهرتين ظاهرة الشروق والغروب المتجددتين ، ما يشير الى بعث الانسان بعد الموت . ونحن نعلم اليوم ، أن ظاهرة الليل والنهار ، وأوجه القمر وفصول السنة ، تنشأ كلها من دوران القمر حول الأرض ، ودوران الارض حول نفسها ، ودوران الاثنين حول الشمس التي تدور بدورها حول نفسها ، وقد لا يعود هناك مجال لاستنتاج فكرة البعث من تعاقب الليل والنهار ، ولكن ستبقى أمامنا الحقيقة التي أصبحت الآن ثابتة ، هي أن كل ما فى الطبيعة يتحرك ، ويتحرك فى دوائر ، حتى أصغر الذرات ليست سوى دوائر ، اليكترونات تدور حول بروتونات ، والدوائر هي التي لا تعرف اين طرفاها ، فكل نقطة فيها بداية ونهاية فى آن واحد .

دورة الأحياء

واذا كان كل ما فى الطبيعة يتحرك فى دوائر ، فان الحياة وهي جزء من الطبيعة لا تشذ عن القاعدة ، فكل وحدة فيها تدور حول نفسها ، وتدور فى الفضاء حول غيرها ، وما عليك الا أن تراقب دورة النبات أى نبات وهو يدور حول نفسه فى الزمان والمكان ، فبينما هو ميت فى الشتاء تفمؤه العين ونزدريه ، فلا يحل الربيع عليه حتى يورق ويزهر ثم يثمر ثمرا جنيا ، ليتساقط ثمره وورقه بعد ذلك ، ويعود الى الخمود والسكون من جديد ، وهكذا دواليك ، وحيث تنبثق الشجرة من البذرة ، فان منتهى كمال الشجرة أن تتحول الى بذرة ، لتتحول البذرة الى شجرة من جديد عندما تواتيها الفرصة .

دور الحياة الانسانية

ويدور الانسان حول نفسه فى الزمان والمكان كأى حي آخر . انظر اليه وهو لا يزال بعد طفلا عاجزا لا يكاد يرى أو يسمع ، ثم يأخذ فى النمو والتكامل ، فيرى ويسمع ويحس ويتكلم ، ويتحرك ، ثم يقف على قدميه ، ويتعلم ويفكر ، حتى يشتد ساعده ويصل الى ذروة قوته وكماله ، لكى ينحسر من جديد ، لتذبل قواه وتضعف صحته وحواسه ، فيقل السمع والبصر والقدرة على الحركة ، حتى ليعود اذا امتد به العمر طفلا من جديد فيه كل خصائص الطفل وأخلاقه وسلوكه (١) .

---

(١) وصور القرآن هذه الحالة فى هذه الاية : « الله الذى خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة يخلق ما يشاء وهو العليم القدير »

ويبلغ الانسان كمال النضج الانساني ، عندما يكون قادرا على الاخصاب ، عندما يتلخص الانسان الكامل فى بذرة أخفى من الخفاء ، وهي الحيوان المنوى ، الـذى يظل متربصا حتى تواتيه الفرصـة ، فرصـة اخصاب بويضة الأنثى ، لينبثق من الاثنين الجنين ، فالطفل ، فالانسان الذى تتمثل فيه كل صفات أبويه ، ليبدأ بدوره دورة من دورات الحياة الطبيعية التي لا تنتهي .

المادة لا تفنى

وقد قيل لنا ان آخر المعطيات العلمية من أن المادة لا تفنى قد جرى عليه تعديل على ضوء ما تكشف لنا مـن حقائـق ، فأصبح القانون « مجموع المادة والطاقة لا يفنى » ذلك أنه قد ثبت ان المادة قد تتحول الى طاقة ، وان الطاقة قد تتحول الى مادة ، ولكن المجموع يظل ثابتا لأنـه لا شيء يذهب الى عدم ، ولا شيء يأتي من العدم .

فهذا الماء الهابط من السـماء أبدا ، ليس شيئا سوى مياه البحار والمحيطات والأنهار ، وقد بخرتها أشعة الشمس ، فارتفعت الى الفضاء سحابا ، لتنـزل من جديد أمطارا ، تملأ الأنهار والبحار والمحيطات ، وعندما ترى النار تشتعل فى أى قطعة من الخشب فتتلاشى الخشبة أمام عينيك ، فانما حدث هو أن الخشبة المحترقة قد عـادت الى العنـاصر التي كونتها : ماء وكربونات وضوء شـمس ومعادن ، لتؤلف من جديد شجرا يحرق على شكل خشـب أو فحـم ، لتعود سيرتها الأولى وهكذا .

والمصانع التى أصبح يغص بها العالم ، اصبحت تعتمد كلها تقريبا على اعـادة صهر وتشغيل ، والانتفـاع بما فسـد وتلف واسـتغنى عنـه من الفضـلات والعوادم والنفايات لاعادته للاستعمال الجيد كما كان . .

وقد لا تعرف أن المياه القذرة التـي تغص بها المجارى العمومية ، قد أصبحت تنقى وتطهر لتعود مياها رائقة صافيـة سائغة للشاربين ، صالحة لشتى صنوف الاسـتعمال .

وهكذا أصبحت الحياة اليومية للبشر تعتمد على هذه الحقيقة ، من أن المادة لا تفنى ، وما يبدو فى الظاهر أنه تلاشى وتبدد ، يمكن استعادته دائما على صورة أو أخرى .

ما الذى يعنيه الراديو والتلفزيون واجهزة التسـجيل

وقد حان الوقت الذى يسائل فيه كل انسان نفسه ، ما معنى هذه الآلات الجديدة التي دخلت الـى كل بيت ، ويحملها معه كل انسان ، ويسـتمتع بثمارها ؟ انها تعنى أن ليست المـادة فقط هي التى لا تفنى ، بل ان كل صوت ، كل حركة ، كل همسة تقع فى هذا الكون ، لا يمكن أن تفنى ، وانما تبـقى ابـدا ، وتبعث كلما شاء الانسان أن يبعثها

فأصبحنا نرى فى الافلام السينمائية وعلى أشرطة التلفزيون والراديو ، صورا أو حركات ، وأحاديث وانفعالات للذين ذهبوا عن هذه الدنيا منذ سـنوات وسنوات ، حتى لقد أبلاهم التـراب ، ولكن صورهم لا تزال تتحـرك أمامنـا كما كانوا يتحركون فى الحياة ، واصواتهم تهزنا كما كانت تهزنا أثناء حياتهم . .

ومعنى ذلك ، أن الكلمة وقد خرجت من فم قائلها ، والحركة بعد أن صدرت من ارادة فاعلها ، لم تنته ، ولم تتلاش بمجرد النطق بها ، أو الفراغ من أدائها ، وانما هى حية باقية مسـجلة .

وما على الانسان منا الا أن يتكلم أمام آلة تسجيل ، ثم يعيد تشغيل الآلة ، لكى يعجب وهو يسمع صوته وهو يسمع أنفاسه تتردد ، وهو يسمع الهمهمة من حوله ، حتى جرس الباب الـذى دق أثناء التسجيل ، أو صوت بوق السيارة

فى الشارع ، أو انصفاق أحد الابواب ، كل ذلك يراه مثبتا مسجلا ، ليثبت الحقيقة العلمية المقررة أن لا شيء يذهب الى العدم أبدا ، فكل الذى كان لا يمكن الا ان يكون أبدا .

ولا يقولن قائل ان الاصوات والحركات والصور قد سجلت وأمكن استعادتها بواسطة الالات ، فحيث لا آلات فلا تسجيل ولا استعادة ، فان الالات لا تسجل ولا ترسم أو تنقل الا ما سجل بالفعل على صفحة الكون ، فالكلمة عندما تخرج من فم انسان قد سجلت اولا على صفحة هذا الكون ، والالة عندما تسجلها انما تلتقط احد انعكاسات الكلمة التى ستظل تدوى وتدوى على صفحة الكون الى أبد الابدين ، وكذلك الشأن بالنسبة للحركات والصور ، حتى لقد قال لنا العلماء (علماء الطبيعة) فى العصر الحديث ، انه لو تصورنا انسانا يعيش على أحد الاجرام السماوية التى تبعد عن الارض أربعة آلاف سنة ضوئية ، ولو تصورناه يملك منظارا ضخما يمكنه من رؤية ما يجرى على الارض ، لكان هذا الانسان يرى الان فى هذه الساعة ، الحوادث التى كانت تجرى على الارض منذ أربعة آلاف سنة، اى لرأى المصريين القدامى وهم يبنون معبد الكرنك أو لرأى تحتمس أو رمسيس الثانى وهما يخوضان معاركهما فى قادش ومجدو .

ويذهب العلماء مع فروضهم الى حد القول بأنه سيكون من المستطاع يوما ما اختراع آلات تستعيد الصورة والاصوات والحوادث القديمة المبثوثة فى الفضاء ، لاستعادة التاريخ القديم(١) .

ومن حقنا أن نسائل بعض المتشدقين بالعلم ، اذا كان هذا هو مدى ما وصلت اليه الاجهزة والالات من تسجيل الحركة والهمسة ، مثبتة بذلك : أن لا شيء يفنى أبدا ، فعلى اى اساس يمكن انكار البعث ، بعد أن أصبح كل شيء فى الوجود يحققه ويؤكده ، اذا كان الانسان يتحول بعد موته الى تراب كما يرى بالعين المجردة ، فان الذى يتحول الى تراب أو رماد ، هو هذا الجزء من الدم واللحم الذى كونه الانسان من التراب والماء بالفعل ، فالجنين عندما ينمو فى رحم امه ، وعندما يخرج الى الحياة طفلا ويشب صبيا فرجلا ، مكونا من هذه العشرات من الكيلوجرامات ، انما يؤلف ذلك من الغذاء الذى يأكله والذى هو حصيلة الارض ومن الماء الذى يشربه ، ومن الهواء الذى ينشقه ، فهذا الجرم الانساني اذن هو وليد الارض والهواء والماء ... ولكن سر الحياة ليس فى هذا التراب ولا هو فى الماء والهواء .. انه كامن فى هذا الكائن الخفى الاخفى من الخفاء ، والذى يسمى الحيوان المنوى (٢) . وفى هذا الكائن الدقيق الذى يتآلف من اتحاد الحيوان المنوى ببويضة الانثى والذى لا يمكن رؤيته بالعين المجردة ، تنبثق شخصية الانسان ، كل انسان ، شخصية الانسان التي تميزه عن أى انسان آخر ، والتى تجعل منه هذا الكائن فى الوجود .

فالى أين تذهب هذه الشخصية ، أين تذهب هذه الذاتية هذه الطاقة التي كانت تضحك وتغضب وتحزن وتتألم

البقية على ص ٢٢

(١) امكن بالفعل فى الوقت الحاضر اختراع اجهزة تصوير تستخدم الاشعة فوق الحمراء ليكون بقدرتها أن ترسم الاشياء المادية التى تشع هذا النوع من الاشعة ، وقد أمكن بواسطة هذه الاجهزة تصوير بعض السيارات التى كانت تقف فى أحد الاماكن على الرغم من أن هذه السيارات كانت قد غادرت هذا المكان منذ فترة من الزمن قبل التصوير .

(٢) لا يتعدى حجم الحيوان المنوى $\frac{1}{\text{٥٠٠٠}}$ من حجم بويضة الانثى ، التى لا يزيد وزن (٢٠) مليون بويضة منها عن اوقية .

الحلقة
الثانية

الاقتصاد الإسلامي والاقتصاد المعاصر

للدكتور محمد عبد الله العربي
عميد معهد الدراسات الاسلامية
وعضو مجمع البحوث الاسلامية

لا زلنا فى عرض وجهة النظر الاسلامية فى الدعامة الاولى لأى تنظيم اقتصادى ـ دعامة المال ـ ونتكلم الآن عن بيان التكاليف التي فرضتها التعاليم الخلقية على ملكية المال استنادا الى عقيدة الاستخلاف التى غرستها هذه التعاليم فى وجدان المسلم .

هذه التكائيف تقيد حق مالك المال ، من حيث أنها تكليف بأمر أو بنهي ازاء ما فى حوزته من المال ، تكليف بفعل يتصل بهذا المال أو تكليف بالامتناع عن فعل ، فهي ايجابية وسلبية ، وعلى الوجهين تقيد حرية المالك فى كيفية استثمار ماله، وفى طرق التصرف فيه ، كما ترسم له الوسائل الجائزة فى كسب المال . فاذا لم يصدع مالك المال بهذه التكاليف كان آثما وظالما لنفسه . وله في الآخرة جزاء الظالمين ، واذا نهض بها فقد وعده الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الاخرة .

ولكن ما دمنا نتحدث عن ملكية المال فى مجتمع اسلامي ، تقوم فيه حتما « رياسة عامة فى أمور الدين والدنيا » و « خلافة للنبوة فى حراسة الدين وسياسة الدنيا » . فان الاسلام لا يترك تعاليمه الاخلاقية معلقة فى الفضاء بخيط من أهواء النفس البشرية ونزواتها ، بل يبادر الاسلام الى تحصينها بتعاليمه الحكومية ، التى تبسط يد الشارع ويد ولي الامر فى حمل مالك المال على احترام هذه التكاليف ، اذا لم يذعن لها طائعا بدافع عقيدة الاستخلاف ، وهذا تطبيق ما قدمناه من تساند تعاليم الاسلام الخلقية والاقتصادية والحكومية .

ونبدأ ببيان التكاليف الايجابية التى تمليها التعاليم الخلقية :

١ ـ أول تكليف ايجابي على مالك المال هو أن يوجه نشاطه وكفايته الى استثمار ماله فى نطاق الوجوه المشروعة للاستثمار ، على نحو يفي بحاجاته وحاجات من يعولهم وفاء طيبا ، وبغير عدوان على مصلحة الجماعة . فالاسلام ـ متميزا عن بعض الديانات الاخرى ـ يبغض الفقر ويكافحه ، ويدعو المسلم الى الجد فى تنمية ثروته آخذا بنصيبه من الدنيا ، فكلما حسن مركزه المادى كان مرجوا منه أن يكون أحسن فى اسلامه ، وأقدر على أداء فرائضه ، حتى العبادات التى فرضها الاسلام على المسلم لا يكون أداؤها تكأة للتراخى فى نشاطه المادى وابتغاء فضل الله بكسب المال واستثماره ، وبشرط أن يكون هذا الكسب وهذا الاستثمار فى نطاق الوسائل التي أباحها الله لكسب المال واستثماره .

فاذا ابقى مالك المال ماله عاطلا بغير استثمار يعود بالنفع على ذاته وعلى المجتمع ، وكان هذا التعطيل متعمدا من المالك وطال أمده ، جاز لولى الامر التدخل اذا اقتضت ذلك مصلحة المجتمع . واذا عمد مالك الى وسائل حرمها الله فى كسب المال أو استثماره . أو تصرف فيه أثناء حياته أو بعد مماته بغير ما أذن الله ، كان لولى الامر التدخل ، صيانة لمصلحة المجتمع الاسلامي .

٢ ـ التكليف الثاني هو الزكاة :

وهي التزام المسلم بأداء نصيب من ماله لمصلحة الطبقات الفقيرة والمحرومة فى المجتمع . وهي فريضة الزامية على كل من اجتمع لديه نصاب الزكاة ، واذا امتنع المسلم عن ادائها كان هادما لركن من أركان الاسلام ، وكان لولي الامر جبايتها منه قهرا .

والزكاة لها فى العربية مدلول مزدوج :

الاول ـ أنها تزكية وتطهير للروح ، . والثاني ـ أنها تزكية وتنمية للمال . فلها هدف روحي تعبدى ، .... ولها هدف اقتصادى نفعي ، لانها : ـ

أولا ـ تزكي نفس مؤديها ، بما تتيح له من تدريب مستمر على حرمان النفس من أجل البر بالغير ، وشفاء لها من سيطرة الشح عليها .

ثانيا ـ بما تبثه من تراحم بين طبقات المجتمع ، وما تنزع من غل عند الطبقات المحرومة للطبقات الموسرة ـ تساعد على توزع الثروة فى ثنايا المجتمع ، وتحول دون تكدسها فى أيد قليلة ، وما يلازم هذا التكدس من مساوىء خطيرة ، اقتصادية واجتماعية .

٣ ـ التكليف الثالث هو الانفاق فى سبيل الله

والانفاق أوسع نطاقا من الزكاة التى لا تقع الا على نسبة محددة من مال المالك . أما الانفاق فيمتد الى كل عطاء يخرج من ذمة المالك فى سبيل الله ، فى سبيل الخير العام .

روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « ان فى المال حقا سوى الزكاة » ، ثم تلا قوله تعالى : « ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفى الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة » (١) الاية ..

وهذا الفصل فى الآية الكريمة بين الانفاق والزكاة بالصلاة ، دليل على الاختلاف بين الانفاق والزكاة . والنص على كل من الانفاق والزكاة على حدة فى آية واحدة قاطع بأن كليهما يختلف عن الاخر وأنهما فريضتان مختلفتان . (٢)

فالانفاق اذن ، فريضة الزامية فى أصلها ، واختيارية فى نطاقها ، بمعنى ان تحديد الحصة التى ينفقها المسلم من ماله فى سبيل الله موكول

---

(١) سورة البقرة (١٧٧)

(٢) سمى الرسول صلى الله عليه وسلم ما زاد عن الزكاة المفروضة تطوعا حين رد على من سأله هل على غيرها ؟ فقال لا الا أن تطوع . وان كان التطوع يمكن أن يصير فرضا اذا دعت الضرورة اليه .

(الوعى)

الى محض اختياره واملاء ضميره ، واما الانفاق فى ذاته فمفروض عليه فرضا لافكاك منه ، فالقرآن فى عديد من الايات يرفع فريضة الانفاق فى سبيل الله الى مرتبة أعلى الفرائض وألزمها فى تأمين سلامة المجتمع الاسلامي . يقول تعالى مخاطبا جماعة المسلمين « وأنفقوا فى سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة » (١) .. فهنا يساوى بين الانفاق فى سبيل الله ، ونجاة الجماعة من الهلاك ، ويجعل الاحجام عن الاضطلاع بهذه الفريضة بمثابة انتحار اختيارى يندفع فيه المسلمون نحو حتفهم . وفى آيات أخرى نجد القرآن يساوى بين الانفاق فى سبيل الله ، وواجب بذل النفس فى سبيل الله ، بل انه ليذكر انفاق المال قبل بذل النفس « وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم فى سبيل الله ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون » (٢) .

فالخيار اذن فى فريضة الانفاق فى سبيل الله مقصور على تحديد حصة هذا الانفاق من مال المسلم ، فهذا التحديد متروك لمحض ارادة المسلم ، بعكس الزكاة التى حدد الاسلام حصتها ونصابها ومصارفها .

على أن ارادة المسلم هنا ليست مطلقة فى كل الظروف على السواء ، فقد فرض الانفاق فى سبيل الله لمصلحة المجتمع الاسلامي ، وولى الامر هو الذى يمثل المجتمع ، وينوب عنه فى تنفيذ هذه التعاليم الخلقية بمقتضى سلطة الحكم التى فوضها اليه المجتمع ، فاذا أغفل الناس أداء فريضة الانفاق فى سبيل الله ، أو أدوها بحصة لا تفى بمطالب المجتمع ، كان لولى الامر أن يحدد حصة الانفاق من مال كل مسلم على قدر يساره ، وعلى ضوء ما تمليه ضرورات المجتمع ، وهذا سند الضرائب التى لولى الامر أن يفرضها ويجبيها الى جانب ما يجبيه من زكاة .

فأداء الضرائب التى تفرضها الدولة لمصلحة المجتمع ، هي انفاق فى سبيل الله لان المجتمع الاسلامي بنيان متكامل يشد بعضه بعضا ، ومن مقتضى هذا التكافل ان المرافق المشتركة التى تهم الامة فى مجموعها ، وتنهض الدولة باسم الامة بالانفاق عليها ، يجب أن يساهم كل قادر فى الامة فى عبء الانفاق عليها ، وفى تدبير موارد هذا الانفاق لمواجهة سير هذه المرافق المشتركة .

على أن انبعاث هذا الواجب من ضمير المسلم ، بحكم اشتقاقه من واجب عام هو الانفاق فى سبيل الله ، يجعل اضطلاع المسلم به اضطلاعا صادقا ، وعن طواعية فى غير حاجة حتمية الى سلطان الدولة لانفاذه . بعكس ما هو سائد من التسابق فى التهرب من أداء الضرائب كلما غفلت عين الدولة .

٣ ـ ننتقل الآن الى بيان التكاليف السلبية :

١ ـ وأول هذه التكاليف يقع على كيفية استعمال المالك لماله ، فيجب عليه ان يمتنع عن استعمال ماله على نحو يلحق الضرر بمال الغير أو يلحق الضرر بمصلحة الجماعة . وقد أجمل هذا التكليف أمر الرسول عليه الصلاة والسلام « لا ضرر ولا ضرار فى الاسلام » . وسنطلع فى كلامنا على التعاليم الحكومية على تطبيقات كثيرة لهذا المبدأ الذى يعتبر من أركان الشريعة الاسلامية وتؤيده نصوص كثيرة فى الكتاب والسنة ، وهو الاساس لمنع الفعل الضار وترتيب نتائجه فى التعويض المالي والعقوبة ، ولمبدأ الاستصلاح فى جلب المصالح ودفع المفاسد .

ونص هذا التكليف ينفى الضرر نفيا فيفيد وجوب منعه مطلقا ، ويشمل الضرر الخاص والعام . ويفيد ايضا دفعه قبل الوقوع بطرق الوقاية الممكنة ، ورفعه بعد الوقوع بما يمكن من التدابير التي تزيله وتمنع تكراره ، كما يفيد اختيار اهون الشرين لدفع أعظمهما ، لان فى ذلك تخفيفا للضرر عندما لا يمكن منعه بتاتا .

٢ ـ وثانى هذه التكاليف يقع على كيفية تنمية المالك لماله . فحرم عليه أن يلجأ فى تنمية ماله الى الربا ، أو الى الغش فى التعامل ، أو الى الاحتكار وغيرها من الجرائم الكامنة وراء

---

(١) آية (١٩٥) سورة البقرة .

(٢) من آية (٤١) سورة التوبة .

طرق التنمية المالية الشائعة الان فى الحضارة المادية المعاصرة . ونكتفي هنا بهـذه الطـرق الثلاثـة :

(الربا والغش والاحتكار)

أ ـ حرم على المسلم السعى الى تنمية مالـه عن طريق الربا ، ولما كان الربا شائعا فى الجاهلية بفرعيه : القـرض الاسـتهلاكـي والقـرض الانتاجي ، وكان من أهم دعائم اقتصادهم الجاهلي كما هو فى الاقتصاد المعاصر ، فقد جاءت تعاليم الاسلام الخلقية فى تحريم الربا على نهج تدريجي ، سنة القرآن فى معالجتـه للامراض المزمنـة ، لا ياخذها بالعناد والمفاجاة ، بل يتلطف فى السير بها الى الصلاح على مراحل متريثة متصاعـدة حتى يصل بها الى الغاية .

فبدأ بالآية الكريمة « وما آتيتم من ربا ليربو فى أموال الناس فلا يربو عند الله وما آتيتم من زكاة تريدون وجه الله فأولئك هم المضعفون » (الروم ٣٩) .

وهذه الآية موعظة سلبية ، تفيد أن الربـا لا ثواب له عند الله ، ولكنه لم يقل ان الله ادخر لآكله عقابا .

ثم انتقل الى المرحلة الثانية ، فكانت درسا وعبرة قصها علينا القرآن من سيرة اليهود الذين قال فيهم « فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت لهم وبصدهم عن سـبيل اللـه كثـيرا . وأخذهم الربا وقد نهوا عنه وأكلهم أموال الناس بالباطل وأعتدنا للكافرين منهـم عذابا اليما » (النساء ١٦٠ و ١٦١)

فهذا تحريم بالتلويح لا بالنص الصريح . ثم انتقل الى المرحلة الثالثة ، وهي النهي عن الربا الفاحش الذى يتزايد اضعافا مضاعفة . « يأيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا أضعافا مضاعفـة واتقوا الله لعلكم تفلحون » (آل عمران) ١٣٠) وأخيرا انتقل الى المرحلة الرابعة التي ختم بها تعاليمه الخلقية فى شأن الربا ، وفيها النهي الحاسم عن كل ما يزيد على رأس مال الدين . « يأيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقى من الربا ان كنتم مؤمنين . فان لم تفعلوا فاذنوا بحرب من الله ورسوله وان تبتم فلكم رؤوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون » (البقرة ٢٧٨و٢٧٩)

ونظرا الى استقرار الربا فى الاقتصاد المعاصر فى البلاد غير الاسلامية والبلاد الاسلامية عـلى السواء فاننا سنعالج فيما بعد التوفيق بـين نهي الاسلام نهيا حاسما عن الربا والضرورات الاقتصادية المعاصرة .

ب) وحرم على المسلم الغـش فى المعاملة ، فالرسول يقول « من غشنا فليس منا » (رواه الترمذى) « والبيعان بالخيار ما لم يتفرقا فان صدقا وبينا بورك لهما فى بيعهما . وان كتمـا وكذبا محقت بركة بيعهما » رواه مسلم .

فللمسلم ان يبيع ويشترى على ان لا يغش فى السلعة ولا فى العملة ، فان كان بها عيب فعليه بيانه والا فهو غاش وربحه عليه حرام . وفى حديث آخر « كل لحم نبت من حرام فالنار أولى به » رواه الترمذى واذا استخدم صاحب المال عمالا فى تنمية ماله فبخس من أجورهم ارتكـب جريمة الغش ودخل فى زمرة المطففين الذيـن أنذرهم الله بقوله « ويل للمطففين . الذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون . واذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون . ألا يظـن اولئك انهم مبعوثون ليوم عظيم » . (سورة المطففين)

ج) وحرم على المسلم الاحتكار . قال ابـن عابدين (الاحتكار لغة احتباس الشيء انتظارا لغلائه وشرعا اشتراء طعام ونحوه وحبسه الى الغلاء) وورد فى تحريمه احاديث كثيرة . فعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال « لا يحتكر الا خاطىء » و « من دخل فى شيء مـن اسعار المسلمين ليغليه عليهم كان حقا على الله أن يقعده بعظم من النار يوم القيامة » و « من احتكر حكرة يريد أن يغلى بها على المسلمين فهو خاطىء » و « الجالب مرزوق والمحتكر ملعون » و « من احتكر طعاما اربعين يوما فقد برىء من الله وبرىء الله منه » .

وقد ذهب بعض المهتمين فى تفسير هذه الاحاديث الى قصر الاحتكار المنهى عنه على الاقوات ومـا شابهها ، والرأى الراجح هو التعميم . قال ابو يوسف « وكل ما أضر بالناس حبسه فهو احتكار وان كان ذهبا أو ثيابا » .

٣ ـ التكليف الثالث فيما فرضته التعاليم الخلقية ، هو تكليف مالك المال فى ادارته والانتفاع به بالامتناع عن الاسراف وعن التقتير على السواء ، لان كلا من الطرفين يتعارض مع مصلحة المجتمع .

فالتقتير ، وما يقترن به من اكتناز الذهب والفضة أو غيرهما من وسائل النقد ، يحول دون نشاط التداول النقدى ، وهو ضرورى لانتعاش الحياة الاقتصادية فى كل مجتمع ، فحبس المال تعطيل لوظيفته فى توسيع ميادين الانتاج ، وتهيئة وسائل العمل للعاملين . قال تعالى « والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم » (١) . كما أن التقتير يتعارض مع تعاليم الاسلام فى أن يأخذ المسلم نصيبه من الدنيا وان يتمتع بطيبات الحياة « فى غير سرف ولا مخيلة » . فكلما أن الاسلام يعطي الفقير حقه من أموال الزكاة يوسع به على نفسه ، ويستمتع بما هو فوق ضروراته ، فاولى ان ينفق الواجد ، وان يتمتع بالحياة متاعا معقولا ، وان لا يحرم نفسه من طيباتها . والقرآن يقول « وأما بنعمة ربك فحدث » (٢) . والرسول الكريم يقول « اذا آتاك الله مالا فلير أثر نعمة الله عليك وكرامته » فالشظف والمتربة مع القدرة انكار لنعمة الله يكرهه الله .

وأما الغلو فى التبذير ، والاسراف فى ألوان الترف السفيه ، فيولد البغضاء فى الطبقات المحرومة ويربى الخطر الذى ينذر بهلاك المجتمع ، وقد أجيز لولى الأمر الحجر على السفهاء ، قال تعالى « ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قياما (٣) » .

وهكذا رسم الاسلام ـ فى سلوكه الاقتصادى ـ طريقا وسطا بين النقيضين ، وقد سجلت هذه الوسطية الآية الكريمة فى قوله تعالى « ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا (٤) » .

والآيات القرآنية والأحاديث النبوية فى كراهة الترف وتحريمه كثيرة بصفة بارزة ، وتعتبر الترف مصدر شر لصاحبه وللجماعة التي يعيش فيها ، فصاحبه يستدرجه الترف الى ارتكاب المعصيات ، والى سقوط الهمة وضعف القوة « واذا أنزلت سورة أن آمنوا بالله وجاهدوا مع رسوله استأذنك أولو الطول منهم وقالوا ذرنا نكن مع القاعدين(٥) » ووضع القرآن المترفين مع أصحاب الشمال « وأصحاب الشمال ما أصحاب الشمال.فى سموم وحميم . وظل من يحموم . لا بارد ولا كريم . انهم كانوا قبل ذلك مترفين » (الواقعة ٤١ـ٤٥) .

والهلاك والعذاب لا يصيبان الفرد المترف وحده بل يصيبان الجماعة التي تسمح بوجود المترفين .

« واذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرنا تدميرا » . والارادة هنا لا تفيد « الجبرية » بمعناها الذى يفهمه العامة ، وانما المقصود جبرية الاسباب والمسببات ، أو المقدمات والنتائج فان وجود المترفين فى الجماعة ، وسماح الجماعة بوجودهم ، وسكوتهم عليهم وقعودهم عن ازالة اسباب الترف، وتركها للمترفين يفسدون ... كل ذلك أسباب تؤدى حتما الى الهلاك والتدمير بطبيعة وجودها . وهذا معنى الارادة فى الآية . أى تتبع النتائج للمقدمات وايقاع المسببات اذا وجدت الأسباب ، حسب السنة التي أرادها الله للكون والحياة .

٤ ـ التكليف الرابع فيما فرضته التعاليم الخلقية على مالك المال ، ونهيه عن استغلال مكانته المالية فى حيازة نفوذ سياسي فى تصريف شؤون الدولة وابتغاء توجيهها الى خدمة مصالحه المادية، وتسخير أداة الحكم فى اشباع شهواته الآثمة فى المزيد من الكسب على حساب طبقات المجتمع الأخرى .

يقول القرآن الكريم « ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتدلوابها الىالحكام لتأكلوافريقا منأموال الناس بالاثم وأنتم تعلمون » (البقرة ١٨٨) .

والادلاء بالمال الى الحكام ـ المنهى عنه ـ جاء هنا بصيغة عامة فهو لا يقتصر على رشوة القاضى

(١) سورة التوبة (٢) سورة الضحى (٣) سورة النساء
(٤) سورة الاسراء ٢٩ (٥) سورة التوبة ٨٦

أو الموظف أو آحاد الحكام ، بل قد يمتد الى رشوة هيئات يكون تأييدها وسيلة الى تسلم مقاليد الحكم كهيئات الناخبين ، التي يزعم الفقه الدستورى الغربي أنها السلطة الرابعة فى الدولة.

واحترام هذا التكليف احتراما دقيقا له أعمق الأثر فى صيانة المجتمع الاسلامي من أسباب الانحلال ، وعوامل الانهيار التي تصيب باستمرار المجتمعات الغربية .

فهناك نجد الأقلية القابضة على زمام الثروة القومية ، والتي تدعم سلطانها بالتجمع فى كتل احتكارية ، قد سيطرت سيطرة تامة على الجانب السياسي من حياة الأمة فى مختلف اتجاهاته ، ونجد سياسة الدولة الداخلية والخارجية على السواء خاضعة لوحي هذه الفئة القليلة واملائها النافذ ، حتى اذا استنفدت امكانيات السوق الداخلية واستنزفت كل خيراته ، واندفعت فى اصطياد أسواق خارجية وفى تامين هذه الأسواق بأساليب الغزو والاستعمار .

٥ ـ وأخيرا ياتى نظام الارث فى الاسلام ليقيد حرية مالك المال فى التصرف فى ماله بعد وفاته . فليس له أن يوصى بماله كله بعد وفاته لمن يشاء ، بل لا ينصرف سلطانه الا فى حدود ثلث التركة . كذلك ليس له أن يحابى بعض المستحقين من ورثته على حساب البعض الآخر ، بل يجرى بينهم توزيع التركة طبقا للفرائض التي قررها الاسلام . كما لا يملك أن يخص وارثا واحدا بتركته كلها على حساب غيره من المستحقين ولا يجوز له أن يوصى لوارث مستحق ـ فى حدود الثلث ـ بما يزيد على استحقاقه الا اذا أجاز هذا التصرف باقي المستحقين ، فاذا ترك ماله بغير وصية وبغير وارث مستحق آل ماله كله الى الجماعة ممثلة فى الدولة.

وظاهر أن نظام الارث الاسلامي ، يتفق مع سياسة الاسلام المالية فى محاربة تكدس الثروات وانحصارها فى أيد قليلة ، فهو يؤدى الى تفتيت الثروات الضخمة على توالى الأجيال والى معالجة التفاوت السحيق بين طبقات المجتمع الاسلامي .

وبعد ، فهذه أهم التكاليف التي فرضتها التعاليم الخلقية ـ فى توجيهاتها الاجتماعية والاقتصادية ـ على المسلم من قيود تحدد سلوك المسلم ازاء ما يملكه من مال ، قيود سلوكية يطبقها المسلم بوحي من ايمانه بالله الرقيب عليه ، خالق هذا المال ومودعه بين يديه ومستخلفه فيه ، بوحى من خشيته ليوم الحساب ، فاذا تمرد المسلم على هذه القيود أو انحرف عن هذه الحدود فقد ارتكب آثاما لكل أثم منها معقباته ، الى جانب ما يتخذه ولى الأمر النائب عن المجتمع من اجراءات لضمان احترام هذه القيود والتزام هذه الحدود .

وقد رأينا أن هذه القيود ثمانية ، نلخصها هنا تباعا لان كل قيد منها سيأتي التعليق عليه فى القسم الذى يتناول التعاليم الحكومية لبيان مجال التطبيق فيه .

القيد الأول : تقييد حرية مالك المال بالزامه باستثمار ماله اذا كان من مصادر الانتاج ، حتى لا يعرقل تعطيل الاستثمار نماء ثروة المجتمع .

القيد الثاني : تقييد حرية مالك المال بالزامه بأداء الزكاة من ماله اذا بلغ ماله نصاب الزكاة .

القيد الثالث : تقييد حرية مالك المال بالزامه بالانفاق فى سبيل الله ، على النحو الذى يفي بمطالب المجتمع وضروراته .

القيد الرابع : تقييد حرية مالك المال بالزامه بان لا يجعل من استعماله لماله مصدر ضرر لغيره أو للمجتمع .

القيد الخامس : تقييد حرية مالك المال بالزامه بالامتناع عن تنمية ماله بربا أو بغش او باحتكار .

القيد السادس : تقييد حرية مالك المال بالزامه بالامتناع عن التقتير وعن الاسراف .

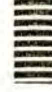
القيد السابع : تقييد حرية مالك المال بالزامه بالامتناع عن استغلال ماله لحيازة نفوذ سياسي .

القيد الثامن : تقييد حرية مالك المال بعدم الخروج على فرائض الارث والوصية .

هذه قيود مباشرة على حق الملكية الفردية ، تفرضها تعاليم الاسلام الخلقية ، وتنفذها تعاليمه الحكومية .

وهناك قيود وتكاليف أخرى غير مباشرة ، فرضتها تعاليم الاسلام الخلقية وان كانت لا تتصل اتصالا مباشرا بحق الملكية ، فاتصالها به اتصال غير مباشر اذ هي تنصب على « العمل » أهم مصدر من مصادر الملكية وكسب المال .

وفى المقال التالي نعرض بيانها ...



وتحب وتعمل الخير ، أو الشر ، اذا كنا قد رأينا ان الكلمة الواحدة تخرج من فم الانسان فانها لا تذهب أو تضيع ، فكيف نتصور أن يضيع الانسان قائل الكلمة وصانع الحركة ومفجر العواطف؟!

المورثات التى تحمل الخصائص الانسانية

ان اعتراض بعض البسطاء على فكرة البعث يقوم على عدم تصورهم عودة هذه الالوف من ألوف الملايين من البشر الذين شهدتهم الارض وسوف تشهدهم، وليس باستطاعة عقولهم ، ان تتصور بعث كل هذا العدد العديد ، دون أن تختلط شخصية كل منهم بالاخر ، مع ان العلم الحديث، بآلاته كما رأينا قد أصبح يجسد لنا ما هو أكثر تعقيدا من بعث ألوف الملايين من البشر ، فهذه المعزوفات الموسيقية والكلمات التى تبثها الاذاعات العالمية بالليل والنهار ، وتملأ بها الفضاء الكونى ، يصل عددها فى اليوم الواحد الى ألوف الملايين من النغمات والكلمات بشتى اللغات واللهجات ، ومع ذلك فان أى كلمة من هذه الالوف من ملايين الكلمات بل أى نغمة لا تختلط بغيرها من الكلمات والنغمات وتظل محتفظة بطابعها وذاتيتها، وما على أى منا الا أن يفتح جهاز الراديو فى أى ساعة أو دقيقة من نهار أو ليل ، ليسمع كلمات قالها اصحابها وفرغوا من قولها منذ أمد طويل ، ومع ذلك فهى مبثوثة فى الفضاء الكونى ليلتقطها من يريد ساعة يريد .

ولقد أشرنا من قبل الى الحيوانات المنوية وبويضة الانثى التى تحمل سر الحياة وانها تبلغ من الدقة فى صغر الحجم الى ما يجعلها أخفى من الخفاء ، وقد بقى أن نعلم أن القسم الذى يحمل شخصية الانسانية من هذه الحيوانات المنوية أو بويضة الانثى وهو الذى يطلقون عليه اسم « الجينات » أى « المورثات » والتى تحدد لون شعر الانسان وجلده وعينيه وطول قامته أو قصرها ، وعرض اكتافه أو ضيقها ، والتى تقرر مزاجه وأخلاقه ومرضه ، وكل الذى ورثه عن أسلافه القدامى والاقربين ، هذه المورثات التى تحدد شخصية كل من الثلاثة آلاف مليون من البشر الذين يعيشون على ظهر الارض فى الوقت الحاضر ، لو جمعت كلها لما تعدى حجمها حمصة صغيرة أو دون ذلك .

وأرجو أن لا يضيق القارىء بهذا الذى أقول فانما هو حديث العلم الحديث التجريبى ، حديث ما يجرى فى المعامل ويتلاقى عليه علماء الطبيعة والحياة .

فما دام الامر كذلك ، فان العقل لا يمكن أن يعيا بتصور عشرات الالوف من ملايين البشر الذين سكنوا ويسكنون الدنيا ، ما دام سر حياتهم ، ومستودع شخصياتهم كامنا فيما هو أقل من الهباء السابح فى الفضاء ، والذى عبر عنه الاقدمون فأحسنوا التعبير اذ وصفوا سر الحياة بأنه الروح التي هى شىء يغاير المادة لانها نفحة من نفحات الله ، وهو ما تقول به الاديان كلها .

وهكذا اذا جاز لاى انسان جاهل فى القديم ان يتشكك فى امكان بعث الاجساد ، بعد موتها ، فان انسان العصر الحديث الذى يعيش فى دنيا الراديو والترانزستور وآلةالتسجيل والتلفزيون، لا يمكن أن يمارى فى البعث ، وهو يرى كل ما فى الطبيعة حوله يبعث دائما من جديد ، ويعلمونه فى المدارس أن المادة والطاقة لا يفنيان أبدا .

اجماع البشر على الايمان بالبعث

والحق أن البشرية لم تشك لحظة فى أى يوم من ايام حياتها فى حقيقة البعث ، واذا كان قد وجد فى جهلاء العرب من راحوا يعترضون فى أيام سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم على فكرة البعث ، كما يوجد فى كل عصر من ينكر البعث ، فليس هؤلاء سوى قلة مسحوقة ، ازاء الاغلبية الساحقة من بنى البشر فى كل زمان ومكان ممن آمنوا بالبعث ونظموا حياتهم على هذا الاساس . وليس أدل على ذلك من طقوس الدفن عند كل بنى الانسان ، حيث تجرى الاحتفالات قبل الدفن وأثناءه وبعده ، مما ينطق بايمان البشر جميعا ، أن الموت بالنسبة للانسان لا يمكن ان يكون خاتمة المطاف ، وانما هو بدء حياة جديدة من نوع ما .

واذا كان المصريون القدامى هم أشهر الشعوب القديمة ايمانا بفكرة البعث ، مما سنعود للتحدث عنه فيما بعد ، بحيث شيدوا قبورهم وأهراماتهم على أساس من هذه الفكرة ، وحنطوا أجساد الموتى وأودعوا مع الميت كل ما يحتاجه لحياته الجديدة ، فان هذه الفكرة نفسها نراها عند مختلف الشعوب بصورة أو أخرى ، فنراها عند الهنود الحمر ، كما نراها عند الزنوج ، وعند البيض والصفر والشقر على السواء ، فليس فى بنى البشر من لا يحتفلون بموتاهم ،ويضرعون لهم ، ويلتمسون منهم العون ، ويتقربون لهم بشتى صنوف القرابين ، لا يشذ عن ذلك الشيوعيون الذين لا يؤمنون بغير المادة ، حيث حنطوا جسد زعيمهم لينين كما كان يفعل قدماء المصريين ، وعرضوه للانظار ليتبرك بمشاهدته عشرات الالوف كل يوم من المؤمنين والمعجبين بالزعيم ، وذلك ان دل على شيء فعلى أن المغرقين فى المادية ، شأنهم شأن المغرقين فى التدين (القدماء المصريين) يعاملون الموتى معاملة الاحياء سواء بسواء ، ولا يتصورونهم تلاشوا وفنوا وانتهت حياتهم الى غير رجعة .

هذا الاجماع الانسانى على فكرة البعث بعد الموت ، والحياة الثانية ، هو فى حد ذاته دليل لا يمكن أن يفر منه العقل ، كما ذكرنا من قبل عند التحدث عن الادلة على وجود الله ، لانه اذا لم يكن لهذه الفكرة اساس من الحقيقة ، فمن أين تسربت الى النفوس والعقول وأحس بها الانسان فى كل زمان ومكان .

الانكار والجحود لا يكون الا بدليل

وقد بقى أن يعلم من لم يكن يعلم ، أنه اذا كان اثبات أى شيء فى حاجة لدليل ، فان الانكار والجحود كذلك لا يكون الا بدليل .

فعندما يجمع البشر على الايمان بحقيقة ، فان على من يريد أن يتصدى لانكار هذه الحقيقة باسم العلم أن يثبت استحالتها ، وقد رأينا أن العلم التجريبى على العكس من ذلك ، قد أصبح يرجحها ، فاذا قال لنا الرسل الصادقون فى كل ما قالوا ان سيكون بعث وقيامة بعد الموت ، فلا يسع كل انسان عاقل رشيد الا أن يؤمن بالذى قالوا ، مما لم يعد ينكره العقل بل ويرجحه العلم ، ويطمئن له القلب ، وعندما تثبت قضية البعث ، فان قضية الحساب والثواب والعقاب والجنة والنار ، لا تثير أدنى صعوبة على ما سوف نرى فى المقال التالى ان شاء الله .

الرسم العثماني للمصحف

٢

للاستاذ محمود غنيم

ننشر القسم الثاني والاخير من هذا البحث الذى كتبه الاديب الكبير بما فيه من آراء ذهب اليها ودلل عليها . وقد جاءنا تعليقان من الاستاذ محمود سليم دوعر بالكويت ومن الدكتور محمد حميدالله في باريس سننشرهما انشاء الله في العدد القادم مع تعقيب الاستاذ غنيم عليهما . والباب مفتوح للمناقشة العلمية .

الوعى الاسـلامى

بعد أن عرض حفنى ناصف المراحل التى سلكها نسخ القرآن أخذ يدافع فى حماس عن وجوب المحافظة على الرسم العثمانى ، ويرد على القائلين بوجوب تطوير هذا الرسم بحجج أقل ما يقال فيها أنها قابلة للمناقشة .

فهو يرى انه قد انعقد اجماع الصحابة والتابعين وعلماء الامصار على أن كل رواية متواترة صحيحة السند يؤخذ بها متى كان لها وجه فى العربية ، وكان رسم أى مصحف من المصاحف العثمانية يحتملها ، ومن ثم يعلم أن المحافظة على رسوم المصاحف العثمانية أمر واجب لمعرفة القراءة المقبولة والقراءة المردودة لان هذه الرسوم صارت أصلا من أصول القراءة ، ودعامة من دعائم الدين الاسلامي ، فضلا عن أن فى هذه المحافظة احتياطا شديدا لبقاء القرآن على أصله لفظا وكتابة ، فلا يفتح باب الاستحسان لانه اذا فتح هذا الباب فى الرسم فقد لا يلبث أن يفتح فى اللفظ ايضا ، فيتطرق اليه التغيير والتبديل ، وهذا يوجب علينا أن نسد هذا الباب بابقاء كل شيء على أصله ، حتى ما هو مخالف لمألوف الرسم المعتاد ، ويؤيد ذلك ما روى عن مالك ــ رضى الله عنه ــ أنه سئل « هل يكتب المصحف على ما أحدثه الناس من الهجاء » ؟ فأجاب « لا الا على الكتبة الاولى » .

وما ذهب اليه مالك ذهب اليه جميع الائمة المجتهدين ، وانعقد عليه اجماع علماء المسلمين فى مشارق الارض

ومغاربها ، وأصبح من الامور التى فرغ منها ، وتم البت فيها .

واختتم حفنى حديثه بالاشارة الى بعض المعارضين مسفها آراءهم ، وفى ذلك يقول ما نصه :

(ولا نعلم أن أحدا من العلماء تحكك فى هذا الامر الا ابن خلدون فى القرن الثامن الهجرى وبعض رجال الازهر فى القرن الرابع عشر ، وليس أحد منهما اماما مجتهدا ، والحمد لله . قال الاول ما معناه ان الصحابة لم تكن استحكمت فيهم أجادة صناعة الخط ، فأخطأوا فى مواضع من رسم القرآن ، وتابعهم على هذا الخطأ من بعدهم تبركا بأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وتكلفوا لعملهم هذا تعليلات كلها لم تخطر فى بال الصحابة .

وقال الآخرون « لو كتبنا القرآن بخطنا المستعمل الآن . دون تلك المخالفة خرجنا من العهدة ، وقمنا بالامر أحسن القيام كمن كلف شيئا ، ففعل خيرا منه ، لانك قد علمت أن الخط الحاضر أحسن مما كان عليه من الطريقة القديمة التي كانت زمن الصحابة » .

وقد غفلوا جميعا عن السببين الجوهريين اللذين لاجلهما انعقد الاجماع ، وهما أن الرسم القديم واجب المعرفة لقبول ما يقبل من روايات القرآن ، ورفض ما يرفض منها ، وسد باب الاستحسان مبالغة فى التحفظ على القرآن ، فهم قد حفظوا شيئا وغابت عنهم أشياء .

ولا يبعد اذا سلم بكلام هؤلاء العلماء أن يذهب غيرهم الى كتابة المصاحف بالحروف اللاتينية ، وآخرون الى اختصاره ، وآخرون الى ارجاعه الى اللغة العامية ليعم نفعه ، الى غير ذلك من الرقاعات والخرقة ، وما بعد الحق الا الضلال ؟ .

الى هنا تنتهى مقدمة حفنى ناصف التى قدم بها كتابه فى أصول الرسم العثمانى وقواعده ، وقد حافظنا كل المحافظة على جوهرها فيما عبرنا عنه بمعناه ، كما حافظنا على النص فيما نقلناه بنصه . وأيا كان رأينا ، أو رأى غيرنا من المعارضين فى رسم المصحف : أبالاملاء القديم يرسم أم بالاملاءالحديث؟ فانه لا يسعنا الا تقدير الجهود التى بذلها حفنى فى هذه السبيل مدفوعا بغيرته الدينية الى المحافظة على كتاب الله ، الذى يعتبر المنبع الاول للدين الاسلامى ، وما يتفرع منه من تشريعات، ولعلك بعد هذا العرض الذى قدمه عرفت أن الامر لم يكن سهلا ميسورا ، وانما كان محفوفا بالمتاعب التى تجعلنا لا نستكثر فيه سبع السنوات التى قضاها فى تحقيقه .

واذا كان حفنى يدافع دفاع الابطال الكماة عن طريقة رسم المصحف على النمط العثماني ، فانه فى ذلك يأوى الى ركن شديد ، فقد عرفت أن اجماع الائمة الاربعة قد انعقد على ذلك ، وأن كبيرهم الامام مالكا يقول « الا على الكتبة الاولى » .

تعقيبات

على أن لنا تعقيبات على هذا الرأى ، فقد أورد حفنى ناصف فى ختام دفاعه عن الرسم العثمانى عبارة هذا نصها « ولا يبعد اذا سلم بكلام هؤلاء العلماء (يعنى بهم القائلين برسم المصحف على مقتضى الاملاء الحديث) أن يذهب

غيرهم الى استحسان كتب المصحف بالحروف اللاتينية ، وآخرون الى اختصاره وآخرون الى ارجاعه الى اللغة العامية ليعم نفعه » .

ونحن نقول . هذا قياس مع الفارق ـ كما يقول شيوخنا الازهريون ـ فاختصار القرآن مسخ له وتشويه ، ونطقه بالعامية أبلغ من المسخ والتشويه ، وكلاهما يتعلق بجوهر القرآن أى بنفس كلام الله المنزل على نبيه . أما كتابة المصحف بالاملاء الحديث فانما تتعلق بالشكل لا بالجوهر ! أعنى أنها لا تحدث تغييرا فى القرآن أو قراءته ، بل ربما كانت أدعى الى تيسير القراءة وسلامتها . ان القداسة ـ كما سبق القول ـ تنصب على كلام الله ، فلا مجال لتبديله ، أما الرسوم الدالة عليه فلا قداسة لها ، لانها من وضع بشر مثلنا ، فلنا أن نغير فيها ما نشاء ، بل يحسن هذا التغيير اذا كان من ورائه تيسير .

رأى جرىء

وعلى ذلك لا أظن المعارضين يجدون حرجا فيما انكره هو من كتابة المصحف بالحروف اللاتينية بل ربما قالوا بوجوبه ، اذا لاحظنا أن القرآن أس الاسلام من جهة ، وان الاسلام دين البرية كلها ، لا دين العرب وحدهم من جهة ثانية ، واننا مامورون ببث الدعوة الاسلامية من جهة ثالثة . وما دمنا مامورين بالتبشير بالدعوة الاسلامية فى مختلف الامم ، فعلينا أن نكتب لهم ديننا الذى ندعو اليه بالخط الذى يستطيعون قراءته به ، اما تكليف العالم أجمع أن يتعلم الحروف العربية ـ الرسم العثمانى نفسه ـ فهو تكليف بالمحال !!

ترجمة القرآن

وأرى هذا الكلام يجرنا من حيث نريد أو لا نريد الى الخوض فى الحديث عن ترجمة القرآن الكريم ، فان ما قلناه عن كتابته بالحروف اللاتينية ينصب على نقله الى مختلف اللغات . ولست أدرى لم يجوز لنا تفسير القرآن ولا تجوز لنا ترجمته ؟ ان التفسير استبدال كلام بكلام يؤدى معناه ، والترجمة لا تخرج عن ذلك ، وكلاهما فيه نقل العبارة الربانية الى العبارة الانسانية ، .

واذا كان المتزمتون يرون فى ترجمة القرآن نفسه حرجا ، فلا أظنهم يجدون فى ترجمة معانيه هذا الحرج ، واذن فلنسم هذه الترجمة ترجمة معاني القرآن . ومن فضول القول أن نشير الى ان غير القرآن من الكتب السماوية كالتوراة والانجيل يقرأ كله بمختلف لغات العالم ، ولم يجد أحبار اليهود ، ولا رهبان النصارى فى هذا ما يراه علماؤنا من هذا الحرج الذى وقف سدا حائلا بين الاسلام وكثير من الامم (!!) .

أمر هام

وثمة أمر هام يجب ان ندخله فى حسابنا عند الكلام عن ترجمة القرآن ، ونعنى بذلك أن النبى صلى الله عليه وسلم بعد أن استقرت الدعوة الاسلامية بعض الاستقرار فى الجزيرة العربية بدأ يبشر بها في فارس والروم وغيرهما ، وقد كانت الكتب التى يبعث بها الى ملوك هذه الدول مكتوبة باللغة العربية ، وهى فى الوقت نفسه تتضمن آيات قرآنية ، ومن الطبيعى أن هؤلاء الملوك لم يكونوا يجيدون العربية ، وانما كان اعتمادهم فى فهم هذه الكتب على الترجمة والمترجمين ، ومن الطبيعى أيضا أن ذلك لم يغب عن الرسول صلى الله عليه وسلم ، فهو اذن لم يكتب هذه الكتب الا وهو يعلم أنها ستترجم الى مختلف اللغات هي وما تضمنته من الايات ، وفى هذا اقرار ضمنى ، بل اقرار صريح من الرسول نفسه بجواز ترجمة القرآن .

وعلى سبيل المثال نذكر نص الآية التي وردت فى خطاب الرسول الى المقوقس عامل الروم على مصر ، واسمه « جيريج بن ميناء » وقد حمله حاطب بن بلتعة ، وقام بتسليمه اليه .

نص الخطاب : بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد بن عبد الله الى المقوقس عظيم القبط . سلام على من

اتبع الهدى . أما بعد فانى أدعوك بدعاية الاسلام ، أسلم تسلم ، يؤتك الله أجرك مرتين ، فان توليت فانما عليك اثم القبط (قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون) .

وعلى أى حال فمجال البحث فى هذا الموضوع ذو سعة ، وهو موضع جدل مستمر بين طوائف العلماء وسواء أبحنا أم حظرنا فان القرآن أو سورا منه على الاقل تكتب الآن بالحروف اللاتينية ، وتترجم الى غير العربية من اللغات ، فكان أولى أن يكون ذلك باقرارنا ، وتحت أشرافنا ، حتى نضمن صحة الكتابة وسلامة الترجمة ، بدل أن نتجاهل كل هذا ، كما تتجاهل النعامة الخطر ، فتدفن رأسها فى التراب حين تراه .

لماذا لا يباح لنا ما أبيح لغيرنا

وفى مقال حفنى نقطة تستدعى أن نقف عندها قليلا ، ونعنى بذلك ما ورد فيه من أن المصحف العثمانى الاصيل كان خاليا من الاعجام (وضع النقط) كما كان خاليا من الشكل الى أن جاء أبو الاسود الدؤلى وغيره ، فوضعوا النقاط وعلامات الشكل ، كما ورد ذلك فى المقال ، وقد كان ذلك بعد نسخ المصحف وقبل عهد الائمة الاربعة ، فجدير بنا أن نسأل الائمة الاربعة — وعلى رأسهم مالك صاحب الكتبة الاولى — عن آرائهم فى هذا العمل ، فان حظروه فلماذا لم يزيلوه ، أو يدعوا الى ازالته ؟ وان أباحوه فلماذا يباح لغيرنا ما لا يباح لنا على فرق ما بين عصرينا فى تقدم الكتابة ، ومبلغ ما وصلت اليه من الجودة والاتقان ؟

لا أنكر أننى لست فى صف حفنى ناصف فى هذا الرأى ، واذا كان لرأيه قيمته فى عصره فقد مضى على ذلك قرابة نصف قرن حطمت فيه الذرة ، وارتيد الفضاء ، فما أجدر المختصين أن يعيدوا النظر فى هذا الموضوع .

ابن خلدون

ونظرا لاهمية الموضوع رجعنا الى ابن خلدون ، لنعرف تفصيل رأيه الذى أشار اليه المقال اشارة خاطفة ، ونحن ننقل لك نص كلامه فى هذا الخلاف ، يقول ابن خلدون :

(كان الخط العربى لاول الاسلام غير بالغ الى الغاية من الاحكام والاتقان والاجادة ولا الى التوسط ، لمكان العرب من البداوة والتوحش ، وبعدهم عن الصنائع . وانظر ما وقع لاجل ذلك فى رسمهم المصحف ، حيث رسمه الصحابة بخطوطهم ، وكانت غير محكمة فى الاجادة ، فخالف الكثير من رسومهم ما اقتضته رسوم صناعة الخط عند أهلها . ثم اقتفى التابعون من السلف رسومهم فيها ، تبركا بما رسمه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وخير الخلق من بعده ، المتلقون لوحيه من كتاب الله تعالى وكلامه ، كما يقتفى لهذا العهد خط ولى أو عالم تبركا ، ويقع رسمه خطأ أو صوابا — وأين نسبة ذلك من الصحابة رضوان الله عليهم فيما كتبوه ؟ فاتبع ذلك ، وأثبت رسما ، ونبه علماء الرسم على مواضعه ، ولا تلتفتن فى ذلك الى ما يزعمه بعض المغفلين من أنهم كانوا محكمين لصناعة الخط ، وأن ما يتخيل من مخالفة خطوطهم لاصول الرسم ليس كما يتخيل بل لكلها وجه .

تحكم محض

ويقولون فى مثل الزيادة فى «لا أذبحنه» انه تنبيه على أن الذبح لم يقع ، وفى زيادة الياء فى « بأييد » انه تنبيه على كمال القدرة الربانية ، وأمثال ذلك مما لا أصل له الا التحكم المحض ، وما حملهم على ذلك الا اعتقادهم أن فى ذلك تنزيها للصحابة — رضوان الله عليهم — من توهم النقص فى قلة اجادة الخط ، وحسبوا أن الخط كمال ، فنزهوهم عن نقصه ، ونسبوا اليهم الكمال باجادته ،

البقية على ص ٣٤

الإسراء والمعراج

للاستاذ عبد الحكيم جبران

شَرُفَ الزمان بليلة الاسراء ... فغدا بها قبساً من الأضواء
وتجمَّعت فيها الحياةُ كأنما ... جُمِعَ الزمانُ فكان خيرَ مساء
من حجر اسماعيل خفَّ محمدٌ ... كالطَّيف يَطْرُقُ بابَ كل سماء
ورفيقهُ جبريلُ يحدو ركبَهُ ... والركبُ يَرْفُل في سنىً وسناء
وعنايةُ الرحمن ترعى ساميا ... في الكون نحو السِّدرة العلياء
ياليت شعرى . انَّ ذاك لُمنزَل ... فوق العروش وصَوْلَة الأمراء

في كنف الإله

ضاقتْ بدعوتك البسيطةُ كلُّها ... وتنكرت لك أمَّةُ الخلطاء
وثقيفُ آذتْ فيك كلَّ مشاعر ... صبَّت عليك مراجِلَ البغضاء
فدعتْك دعوتَها السماءُ مُضيفةً ... وأَرتْك رحمتُها وميضَ رجاء
من كانَ في كنف الاله فحسبُهُ ... تلك الرعايةُ فوق كلِّ عداء

مَكْرُمَة

الرُّسْلُ في الأقصى غَدوتَ إمامَهم ... فمُنِحْتَ مكرمةً على الكرماء
كالجند حولك ، أنت فيهم قائدٌ ... ومن البنود عليك خيرُ لواء
لم تتخذْ لك في الفضاء سفينةً ... تحميك من شُهُب ومن إفناء
فتخذْت من هذا البُراق سفينةً ... بذَّت سفينَ العلم والعلماء
في الكون أجراها الحكيمُ لحكمة ... لم تَبْقَ خافيةً على العقلاء
بمشيئة الرحمن أُطْلِقَ سَهْمُهَا ... وبأمره ركنت إلى الارساء
عجبت لرحلتك القرونُ ولم تزلْ ... بالسحر تُلهِمُ ألسُنَ الشعراء

أعرق أمة

فلقد بُعِثْتَ وللحماقة سَطْوَةٌ ... باتت تَسُوق مواكبَ الضعفاء
فبكل أرض للخصومة فتنةٌ ... وبكل ناحية مسيلُ دماء
ماذا جَنَتْهُ عليهمُ موءودَةٌ ... لم يُجْدِ هنّا أبداً ذليل بكاء ؟
وجدتْ لديك الأمنَ لم تظفرْ به ... من قبلُ اذْ هي في حمى الآباء
والجهلُ من فوق الخليقة مطبقٌ ... فكأنهم في ليلة ظلماء
خرُّوا لأصنامٍ بَرَوْها سُجَّداً ... ثم انثنوْا بضراعة ودعاء
فأتيت بالتوحيد خيرَ عقيدة ... ونبذْتَ كلَّ ضلالة عمياء
وبعثْتَ بالاسلام أعرَقَ أمةٍ ... رفعتْ من الأمجاد خير بناء

لو أشرق الايمان

يا أمةَ الاسلام هذا ديننا ... خلقٌ بما نطويه من بغضاء
ما ضرَّ لو صفت النفوسُ وأصبحت ... في الله مثلَ سبائك بيضاء
صدئت نفوسُ الناس يوم تعلقت ... بحطام تلك الدار في استجداء
ما أجمل الدنيا إذا هيَ أصبحتْ ... والناس قد برئوا من الأهواء
يأيها المتنكِّرون لرحلةٍ ... سطعتْ أدلّتُها كضوء ذُكاء
لِمَ يا دُعاةَ الحق كانت عندكم ... بعداً كرقْمٍ فوق سطح الماء ؟
ان قال «جاجارين» طُفْتُ بأرضكم ... مائتين ، كانَ مصدِّقَ الأنباء
وتكذّبون — مع الوضوح — محمداً ... هل بعد آي الله أيُّ جَلاء ؟
لو أشرق الايمان في أعماقكم ... ما كان في الاسراء طيف مراء

لله لا للمجد

لله لا للمجد والعلياء ... صغت القريضَ مطرَّزاً بثنائي
لم أبْغِ مدحاً للرسول — فانما ... شَرُفَ القصيدُ بصاحب الاسراء
هيهات أن يفيَ القصيد بحق من ... هو فوق دنيا الشعر والشعراء
حسْبِي إذا قصَّرْتُ عن ايفائه ... حقَّ الثناء عليه — حسنُ وفائي

مكانة السنة في التشريع

طاعة الرسول من القرآن الكريم

للدكتور عباس متولى حمادة
مدرس الشريعة بكلية الحقوق ـ جامعة القاهرة

الى المنكرين للسنة ، أو العاملين فى الظلام ضدها ، والناشرين للرسائل المجهولة فى ظلمة الليل ، أو المستأجرين للأقلام المأجورة ، والنفوس الرخيصة ، طمعا فى النيل منها ، والى المشككين فى رواتها ، حرصا على بلبلة الافكار خوفا من اشعاع هديها ، أن يطيح بهم وبأقلامهم .

اليهم بعض الآيات من القرآن الكريم الدالة على وجوب طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم :

١ ـ قال الله تبارك وتعالى « فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما «١» .

٢ ـ وقال تعالى « فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم «٢» .

٣ ـ وقال تعالى « وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأطيعوا الرسول لعلكم ترحمون «٣» .

٤ ـ وقال تعالى « قل ان كنتم تحبون الله فاتبعون يحببكم الله «٤» .

٥ ـ وقال تعالى « انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله واذا كانوا معه على أمر جامع لم يذهبوا حتى يستأذنوه «٥» .

---

(١) سورة النساء (٦٥) (٢) سورة النور (٦٣) (٣) سورة آل عمران (٣١)
(٤) سورة النور (٥٦) (٥) سورة النور (٦٢)

٦ ـ وقال تعالى « فآمنوا بالله ورسوله النبى الامى الذى يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون «١» .

٧ ـ وقال تعالى « من يطع الرسول فقد أطاع الله ومن تولى فما أرسلناك عليهم حفيظا «٢» .

٨ ـ وقال تعالى « وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا واتقوا الله ان الله شديد العقاب «٣» .

هذه الآيات يرى الناظر فيها لأول وهلة اقوى الادلة على وجوب طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم ، ولا تحتاج احداها الى استنباط وجه الدلالة من لازم اللفظ ، أو اللفظ غير الصريح أو الايماء ، أو غير ذلك من وجوه الدلالة ، اذ أنها كلها تنص بالنص الصريح على وجوب طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم ، أو اتباعه ، أو الاخذ بما أتى به ، أو التسليم لحكمه أو غير ذلك .

وهذه الآيات دلت على ايجاب طاعة الرسول ، وتحريم معصيته، وقد نهجت مناهج شتى فى بيان ذلك ، اذ تعددت وسائل الوعد والبشارة ، والحث والترغيب ، والحض على اتباع الرسول وطاعته ، كما تعددت فيها ايضا عبارات الوعيد، والانذار ، والتخويف ،والترهيب من مخالفته ، والخروج عن مقتضى أوامره ، وعدم الاستسلام لاحكامه .

وهى أيضا فى وعيدها على المخالفةلاوامر الرسول صلى الله عليه وسلم تسلك فى ذلك مسالك متعددة مختلفة ، فتارة يهددهم الله فيها باصابة الفتن ، وفى الفتن ما فيها من بلايا ونقم فى الدين والدنيا ، لا يعرف خطورة التهديد بها الا من تعرض لها ، وطورا يهددهم باصابة العذاب الاليم ، وأخرى يحكم بنفى الايمان عن الخارجين المارقين الذين لا يستسلمون لحكمه ، والله تعالى لا ينفى الايمان فقط ، ولكنه تبارك وتعالى يقسم بربوبيته ، وهو قسم ـ قلما يقسم الله به فى القرآن ـ وان أقسم به فانما يقسم لشدة تأكيد المقسم عليه ، لبالغ اهتمامه به ، وتارة يتوعدهم بما لا يعلم قدره ، ومقدار عذابه سواه ، لم يحدده بحد ولم يحصره فى نوع ، ولم يقصره على لون من ألوان العذاب والبلاء ، بل يطلقه بدون تحديد ، كأنما يحمله كل ألوان الهول والنكال ، وحتى يذهب فيه المهدد به كل مذاهب التصور . وقال تعالى « ومن تولى فما أرسلناك عليهم حفيظا » .

وكما أخذت الآيات فى وعيدها تلك الصور التى تعبر عن غضب الله تعالى القادر ، كذلك كانت عبارات الوعد للمطيعين فى آيات أخرى متعددة تحكى كل أنواع الرضاء ، وتعبر عما يدخره الله للمطيعين لرسوله ، المذعنين لأحكامه من ثواب جزيل ، فهى تارة تمنيهم بالرحمة، وتارة تعدهم بالهداية ، وطورا تعدهم وعدا يتضاءل أمامه كل وعد ، وتشتاق النفوس الى الوصول اليه . قال تعالى « قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله » . وتارة يطلق الثواب اطلاقا ، ويرسله ارسالا ليذهب فيه كل ذاهب مذهبه الذى يحبه ، وليفكر كل فى لونه ونوعه وما هيته وكنهه ، وما هو بمستطيع تقديره قدره ، قال تعالى « فسيؤتيه أجرا عظيما » .

هذا . ولم تقف الآيات عند حد الامر بالطاعة والثواب عليها ، ثم يترك الله للمتدبر فيها أن يستنبط حكم مخالف الرسول ، أو المعرض عن اتباعه ، فقد يقول قائل ان الله لم ينص على حكم العاصى لاوامر الرسول صلى الله عليه وسلم ، وقد يتجاوز انسان الحد فيقول: ان معصية الرسول على البراءة الاصلية لم ينص الله عليها ، ولهذا ذكرت الآيات بصريح اللفظ النهى عن معصيته ، بل بعض الآيات جمع الله فيها بين الأمر بالطاعة ، وبين النهى عن المعصية . فقال « وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا » .

---

(١) سورة الاعراف (١٥٨) (٢) سورة النساء (٨٠) (٣) سورة الحشر (٧) .

كما لم تقف الآيات عند الامر بالطاعة للرسول صلى الله عليه وسلم والنهى عن معصيته فى الأمور التشريعية فقط ، بل نصت على أحكام من آداب السلوك العام ، يجب اتباعها معه عليه الصلاة والسلام ، وهى آداب الانصراف من مجلسه ، فقد عالجها القرآن الكريم أيضا ، ووضع لها تعاليم ، وألزمهم بآداب خاصة معه . قال تعالى « واذا كانوا معه على أمر جامع لم يذهبوا حتى يستأذنوه » فقد يرى فى وجودهم مصلحة لا يرونها ، اذ مجالسه عليه الصلاة والسلام مجالس علم وهداية وتربية ، منحهم الله فضلها ، وخصهم بفيضها حتى يتعلموا من المعصوم المبلغ عن ربه ما يعدهم لتحمل عبء هذه الدعوة بعده، ونشر رسالته ، لأنه خاتم المرسلين، المبعوث للناس كافة ، ونصوص الشريعة تنتهى ، والوقائع لا تنتهى ، وما لا ينتهى لا يضبطه ما ينتهى .

لهذا . دعاهم الى اتباعه وطاعته ، والتعرف على هديه ، وملازمة مجالسه، وعدم الانصراف عنها ، حتى يأذن لهم بالانصراف لان وظيفته بيان الكتاب الكريم ، والوحى له بالمرصاد يتابعه ويلاحقه ، ويبين له ويرشده ، وهو فوق ذلك الهامه وحى ، وبيانه هدى ، فكان لابد لهم من مجالسته حتى يستطيعوا بعده عليه الصلاة والسلام نشر دينه الذى وعد الله أن يمكنهم به فى الأرض ، ويستخلفهم فيها ، فيكونوا حينئذ بفضل تربية الرسول صلى الله عليه وسلم وصحبته أهلا للاستخلاف ، وقيادة غيرهم .

فلم كل تلك الرعاية ؟ ولماذا كل هذا الاهتمام امن أجل القرآن الكريم فقط الذى يبلغه الرسول عن ربه؟ كما يقول المنكرون لحجية السنة ، وقد حفظوه فى صدورهم وكتبوه ،

ثم ان تلك الأوامر والنواهى التى ذكرها الله تعالى فى الآيات ، لا تشير الى تخصيص القرآن الكريم بالذكر ، وما كان الله ليقصر بيانه عن أن يحدد مراده ، فيضيف فى آية واحدة من الآيات التى أمر فيها باتباع الرسول ، ما ينص على أنه يريد القرآن الكريم كأن يقول مثلا : « وما آتاكم الرسول من كلامنا ، أو فليحذر الذين يخالفون عن قرآننا ، أو من يطع كتابنا .

لكن الله تعالى لم يقل من ذلك شيئا ، ولو كان مريدا له لقاله ، ولكن الذى أراده بالفعل هو الذى كان فى كتابه بالنص على الأمر بطاعة الرسول صلى الله عليه وسلم فى هذه الآيات وغيرها ، وهو لا يشير الى تخصيص القرآن الكريم بالذكر .

فالآية الاولى : يأمر الله تعالى باتباع أحكام الرسول صلى الله عليه وسلم ، ويحكم عليهم بعدم الايمان ان لم يسلموا بها تسليما منبعثا من قلوبهم ، لا يخالطه ريب ولا شك ، لانهم تحاكموا اليه ، فوجب الاذعان له . ثم هو يقسم بربوبيته انهم لا يكونون مؤمنين الا اذا سلموا بأحكامه .

على أن المنكرين للسنة يقولون فى مثل هذا : ان أحكامه تطاع بوصف أنه امام لهم ، وقاض يحكم فى قضاياهم ، وهذا قول غير سديد ، لان الله تعالى لم ينص على اتباع أحد كما نص على اتباع هذا الرسول ، بل ما رأينا حاكما جعل الله له هذه الطاعة التى اشترط فيها أن تصدر من القلوب ، وتخرج من الاعماق، وأى حاكم أو امام أمة قال الله تعالى فى شأنه ما قاله فى شأن هذا الرسول الكريم ؟ قال تعالى « فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما »(١) بل أى حاكم وصف المتحاكمين اذا تحاكموا اليه أنهم يتحاكمون الى الله ورسوله . كما جاء فى قوله تعالى « واذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم اذا فريق منهم معرضون» .

---

(١) سورة النساء (٦٥) .

وقال تعالى « انما كان قول المؤمنين اذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا » .

لا . فليس هذا للرسول الذى أرسله الله وايده بالوحى ، يلازمه ، ويسانده ، ويباعد بينه وبين الخطأ الذى ينجم عن زيف الحجج ، فتكون أحكامه من الله تعالى ، لأنها من الوحى استلهمت، وعنه أقرت .

وفى هذه الآية كلام ذكر فى أسباب نزولها لا يتسع المقام لذكره ، لتأكيد معنى القسم ، كما زيدت فى قوله تعالى « لئلا يعلم أهل الكتاب » لتأكيد وجوب العلم ، ولا يؤمنون جواب القسم ، وقيل انها غير زائدة ، وقد نقل الرازى « ١ » عن الواحدى وجهين فى توجيه المعنى على ذلك .

الاول أن « لا » تفيد نفى أمر سبق ، والتقدير ليس الامر كما يزعمون أنهم آمنوا وهم يخالفون حكمك ، ثم استأنف القسم بقوله « فوربك لا يؤمنون حتى يحكموك » .

الثانى ـ أنها لتوكيد النفى الذى جاء فيما بعد ، لانه اذا ذكر فى أول الكلام ، وفى آخره كان أوكد وأحسن .

وفى الآية الثانية/يحذر الله تعالى الذين يخالفون عن أمره . « وأمر » / اسم جنس مضاف ، واسم الجنس المضاف من صيغ العموم «٢» فيعم كل أمر ، والضمير فى أمره للرسول صلى الله عليه وسلم بدليل السياق فى صدر الآية . قال تعالى « لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لواذا فليحذر الذين يخالفون عن أمره » أى لا تقيسوا ولا تشبهوا أوامر الرسول صلى الله عليه وسلم بأوامر غيره ، لأنه مميز بميزة الرسالة .

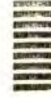
وللرسالة قداستها وقدسيتها التى جعلت ارادتنا تقتضى وجوب اتباع أوامره صلى الله عليه وسلم . قال الاخفش « عن » صلة زائدة ، فيكون المعنى : فليحذر الذين يخالفون أمره ، وغيره : ضمن المخالفة معنى الاعراض لتتعدى « بعن » لأن المخالفة فعل متعد بنفسه ، وحينئذ لا تكون « عن » زائدة حكاه الرازى « ٣ » ، ونقل الألوسى «٤» عن ابن عطية : ان معنى « عن » بعد ، والمعنى حينئذ : فليحذر الذين يخالفون بعد أمره ، كما يقال : المطر عن ريح ، وأطعمته عن جوع .

وسواء كان هذا أو ذلك فالآية بمنطوقها ، وبما صاحبها من قرائن منصوص عليها فى الاية الكريمة، وأهمها. الوعيد الشديد على المخالفة تمحض الامر للوجوب ، وتقوى من دلالتها على وجوب طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم الى أن تجعل الاوامر فى معظم ألفاظ الآيات محكمة لا تقبل التأويل ، أو التخصيص .

هذا . والباقى من دلالات الآيات سبق لى ذكرها مجملة فى صدر هذا المقال . وانى لأرجو أن يعلم كل مسلم علم اليقين أن ما ينشر الان وما يقال ضد السنة ، أو رواتها الغرض منه التخلص من تشريع الله والتحاكم الى العقل وحده .والعقل مهما سما فنتاجه رأى بشر لا يلبث أن يخبو نوره ، ويتبين فساده ، فيتسرب الاضطراب والاختلاف بين أبناء هذا الدين وهذا هو كل ما يسعى اليه أعداؤه ، منذ أن انتسبوا اليه بعد الفتح الاسلامى الى الآن « يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله الا أن يتم نوره ولو كره الكافرون » .

---

(١) الفخر الرازى (٢٦٩٣) .
(٢) الاتقان للسيوطى (١٩/٢) .
(٣) الفخر الرازى (٣٤٧/٦ ـ ٣٤٨) .
(٤) روح المعانى (٢٠٥/١٨) .



وطلبوا تعليل ما خالف الاجادة من رسمه ، وذلك ليس بصحيح .

واعلم أن الخط ليس كمالا فى حقهم ، بل هو من جملة الصنائع المدنية المعاشية، والكمال فى الصنائع اضافى ، وليس بكمال مطلق ، اذ لا يعود نقصه على الذات فى الدين ولا فى الخلال ، وانما يعود الى أسباب المعاش وبحسب العمران والتعاون عليه لأجل دلالته على ما فى النفوس . وقد كان صلى الله عليه وسلم أميا ،وكان ذلك كمالا فى حقه ، وبالنسبة الى مقامه لشرفه وتنزهه عن الصنائع العملية التى هي أسباب المعاش والعمران كلها ، وليست الامية كمالا فى حقنا نحن ، اذ هو منقطع الى ربه ، ونحن متعاونون على الحياة الدنيا . شأن الصنائع كلها ، حتى العلوم الاصطلاحية ، فان الكمال فى حقه هوتنزهه عنها جملة بخلافنا) . انتهى كلام ابن خلدون .

ورأى ابن خلدون فيما تقدم من كلامه من الوضوح بمكان ، وقد لفت نظرنا ـ بصفة خاصة ـ ما أشار اليه من التمحلات التى يلتمسها أنصار الرسم القديم تبريرا لما فيه من مخالفة القياس من مثل « لأذبحنه » و « السماء بنيناها بأيد » .

ما هو اغرب

وقد اطلعت انا على ما هو أغرب من ذلك مما يدخل فى باب هذه التمحلات . قال الجعبرى فى سياق كلامه عن هجاء المصحف ما نصه « وأعظم فوائده ـ أى الرسم العثمانى ـ أنه حجاب منع أهل الكتاب أن يقرأوه على وجهه » .

وهذا الكلام واضح البطلان لسببين .

السبب الاول أن القرآن نفسه يخاطب أهل الكتاب فى غير موطن منه « قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم .. الخ » فكيف يخاطبهم بكلام لا يتمكنون من قراءته مكتوبا ؟

السبب الثانى أن هذا الرسم لا يحجب أهل الكتاب وحدهم عن قراءة القرآن ، بل يحجب أعلام المسلمين عنها ممن لم يتخصصوا فى العلوم الدينية كأطباء المسلمين ومهندسيهم وعلماء الذرة منهم ، فان واحدا من هؤلاء لا يستطيع ان يقرأ سورة من القرآن فى المصحف العثمانى دون أن يكون وراءه مقرىء ـ كالشيخ الحصرى ـ يصحح له أخطاءه ، ويهديه الى الصواب ، ولو لم يكن فى رسم المصحف طبقا لقواعد الاملاء الحديث الا تلافى هذا العيب لكفى

ولا يسعنا قبل أن نختم هذا الموضوع الا أن نقدم لك نماذج مما يختلف فيه الرسم العثمانى عن الرسم الاملائي الحديث ، حتى تدرك اتساع مسافة الخلف ، ومبلغ ما يقع فيه القارىء بدون مقرىء من البلبلة والاضطراب ـ

الرسم العثماني	الرسم الحديث
يبدؤا	يبدأ
يصلح	يا صالح
طغين	طاغين
ضلل	ضلال
لشاىء	لشىء
الئن	الآن
ايى	اياى
انبؤا	انباء
الئيكة	الأيكة
العلمؤا	العلماء

الذوق فى الاسلام

للدكتور محمد كامل الفقى
الاستاذ بكلية اللغة العربية بجامعة الازهر

قلت في مقال سابق ان الذوق الذى يرسمه الاسلام ليكون نسقا رفيعا يسلكه ذوو البصيرة والفطنة ، وينتهجه ذوو الحس واليقظة ، يدق فى معناه ، ويرق في مغزاه ، حتى يسمو على القوانين ، ويجل عن أن تسعه النظم واللوائح ، فلا تبلغ من دقائقه وأسراره شيئا ، فهو كالنور ، يرى ولا يلمس ، وكعبق المسك يشم ولا يمس .

ونوهت بأن الذوق الاسلامى يأخذ بيد صاحبه الى السلوك الرفيع، فيصل به الى أرقى درجات المعاملة ، بينه وبين جاره وخادمه ، بل بينه وبين بني الانسان عامة ، بل بينه وبين الحيوان والطير .

وتتبعنا مظاهر هذا الذوق الذى حرص الاسلام على مؤاخاته في جميع المعاملات والعبادات ، فهو - مثلا - يؤاخيه ويصاحبه في فريضة الصلاة وفي مقدماتها من دخول الخلاء والوضوء ، وغشيان بيوت الله ، وعدم تخطى الرقاب ، واختيار الثوب الحسن . واستحسان التطيب ، وأخذ الزينة عند كل مسجد .

ثم في مراعاة الامام التخفيف في الصلاة فان فيهم الضعيف والمريض وذا الحاجة. وفي ظلال هذا الذوق ، ومع الأدب الراقي والتوجيه السديد ، يلذ للقلم أن ينوه بحال المائدة روعيت فيها هذه السنن الحميدة، وتلك المنازع الرشيدة.

يدعو المؤدب الأعظم محمد صلى الله عليه وسلم ، الآخذ بيد الناس الى صراط حميد ، أن يغسلوا أيديهم قبل الأكل وبعده ، وهو الذى يقول . الوضوء قبل الطعام ينفى الفقر ، وبعده ينفى اللمم ، وكان يأكل بيمينه ويشرب بها ، وهو الذى قال : « ان الشيطان يأكل بشماله ، ويشرب بشماله » .

وكان يشرب مصا ، ولا يتجشأ ولا يتنفس في الكوب .

وسن صلى الله عليه وسلم الا تبتدىء بطعام ومعك من هو أولى بالتقديم لسن أو لفضل ، والا يقصد أحد قوما متربصا لوقت طعامهم ، فيدخل عليهم وقت أكلهم ، فان ذلك من المفاجأة ، وقد نهى عنها (يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبى الا أن يؤذن لكم الى طعام غير ناظرين اناه ولكن اذا دعيتم فادخلوا فاذا طعمتم فانتشروا) .

ان الاسلام شرع الاستئذان ، والا ندخل بيوتا غير بيوتنا حتى نستأنس ونسلم على أهلها ، واذا قيل لكم ارجعوا فارجعوا هو أزكى لكم .

وكان صلى الله عليه وسلم اذا دعى لطعام وتبعه أحد أعلم به رب المنزل . وقال : « ان هذا تبعنا ، فان شئت ان تأذن له وان شئت رجع » .

هذه صورة للمائدة التى روعى فيها النسق الاسلامى ، والنهج النبوى ، لم توضع لها قوانين من حل أو تحريم ، لكن وضع لها سياج متين من الذوق ، لو اتبعه الناس جميعا لصفا سلوكهم من الشوائب ، وارتقوا الى الذروة ، ولم يدانهم غيرهم فى نهجهم مهما ادعى أنه على حظ من الحضارة والمدنية ، وعلى قسط من اللباقة والحكمة عظيم .

لقد نادى رجال من بنى تميم سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم من وراء الحجرات ، وقالوا . اخرج الينا ، فأبى عليهم أدب السماء أن يكونوا على هذا النبو وتلك الفلظة فى معاملة أكرم الناس على ربه ، ومن هو فى الاخلاق نسيج وحده .

ونهاهم الله اذ نطق النبى صلى الله عليه وسلم ونطقوا أن يبلغوا بأصواتهم وراء الحد الذى يبلغه بصوته . وأمرهم أن يغضوا منها بحيث يكون كلامه عاليا لكلامهم ، وجهره باهرا لجهرهم ، حتى تكون فريته عليهم لائحة ، وسابقته واضحة . وحذرهم أن يجهروا له القول اذا كلموه، أو أن يخاطبوه بقولهم يا محمد، يا أحمد ، بل يخاطبوه بالنبوة كما قيل فى بعض ما قيل فى معنى قوله تعالى (لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا) .

لقد سلكت هذه الآيات فى عقد الآيات المحكمات (يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبى ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون . ان الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى لهم مغفرة وأجر عظيم . ان الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون . ولو أنهم صبروا حتى تخرج اليهم لكان خيرا لهم والله غفور رحيم) .

ولما كلم عروة بن مسعود الثقفى رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ربما مس لحية النبى صلى الله عليه وسلم وعروة هذا هو عظيم القرشيين الذى قالت فيه قريش (لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم ؟) .

ويقال. انه الوليد بن المغيرة المخزومى، فقال المغيرة بن شعبة لعروة . نح يدك عن لحية رسول الله قبل الا ترجع اليك. فقال عروة . يا غدر «١» وهل غسلت رأسك من غدرتك الا بالامس ؟

(١) زعموا ان المغيرة صحب أناسا ايام الجاهلية فى تجارة الى مصر ، فلما كانوا ببعض الطريق قتلهم وأخذ أموالهم ثم ذهب فاسلم .

فقد رأى المغيرة أن الذوق الاسلامى والأدب العالى يمنعان أحدا مهما سما قدره ، أن يحدث رسول الله صلى الله عليه وسلم فيمس لحيته بيده .

★★★

ان الناس يستطيعون أن يحولوا مجتمعهم الى نموذج رفيع ، لو احتكم كل واحد منهم الى ذوق الاسلام، وجعل لتوجيهاته من القدسية والتكريم ما للقانون .

ولو أن الناس احتفلوا بهذا الذوق وجعلوه قبلتهم ، لرأيت الى المحبة الشاملة والود الصادق والاخاء الكريم صورا رائعة من حسن المعاملة ، وآيات بينات من نبل الاخلاق، وشرف السلوك.

ثم لَوجَدت البيئة الاسلامية مهما ترامت أطرافها قد نقى أسلوبها من القول النابى ، والعمل المؤذى ، والتصرف السخيف ، وساد المسلمين ما سادهم من طهر وملائكية تحول الحياة الى جنات ونعيم مقيم .

من آثار الذوق الذى نتعلق فى هذا الحديث بأهدابه ، أن يصعد الى القطار والسيارة وأشباههما شيخ فان أو امرأة عجوز ، أو مريض يتوكأ على نفسه ،فيهم ليجلسه من هو على الوقوف أقدر وأصبر .

ومن آثار هذا الذوق أن تميط الأذى عن الطريق،وأن تأخذ بيد الضرير لتجنبه المزالق ومظان الاذى .

ومن آثار هذا الذوق ان لا يقحم من يرتدى ثوب العمل وقد نضح زيتا أو شحما نفسه فى غمار الركاب متذرعا بالحربة الشخصية، مدعيا أنه لم يتجاوز الحق الذى كفله له القرش أو الدرهم .

لو اتشح الناس بثوب هذا الذوق أو بحلته الرائعة لما استباح صاحب السيارة أن ينهب بها الطريق ، فيثير العواصف ، وينشر الفزع ، ويهدد الحياة .

ومن الطريف ما قرأته لأشهر الاطباء المعالجين قرحة المعدة ، فقد كان فى زيارة له فى مصر ، وسأله أحد الصحفيين عن أهم أسباب هذه القرحة ، وكان جواب الطبيب . بوق السيارة ، ثم أكد الطبيب انه لم يستعمل بوق سيارته قط فى حياته وأن أخذ نفسه بالهدوء فى السير يمنعه استعماله .

ان الاسلام لم يرد من المسلمين ، أن يجعلوا سلوكهم فى نطاق الحل والحرمة، بل أخذهم مع ما له عنوان فى الحل والحرمة بآداب ومنازع ، تجمل بها حياتهم ، وتصفو بمؤاخاتها مشاربهم ، ومن ند عنها وتجافى عن شرعتها ، كان اسلامه كالمصباح الذى لا يضىء ،وحسبك أن تنظر الى الأعمى والمريض ، فليست علتهما مسقطة عن سلوكهما أن يكون وفق الذوق ، ومع أهدافه ، وفى سمته الرفيع .

انه كلما عظم حظ المسلم من ذوق الاسلام ، والتهدى بهديه ، والسير على نهجه ، والأخذ بآدابه ، كان مسلما كاملا راقيا ، وصار فيما يأتيه وفيما يدعه ، أقرب الناس لأن يكون العظيم المقتدى به ، وأصبح فى الشرف والعقل من أروع الأمثال .

حول الإسرائيليات في كتب التفسير

للاستاذ / محمد عزة دروزة ــ دمشق

فى كتب التفسير ، وبخاصة المطولة التى تعتمد المأثور ، مثل كتب الطبرى والبغوى والخازن وابن كثير والقرطبى وغيرهم ، على هامش القصص القرآنية والشخصيات والاحداث المذكورة فى القرآن على اختلافها ، روايات مسهبة بسبيل توضيح جزئيات هذه القصص ، والشخصيات والاحداث ، وكيفياتها ووقائعها وظروفها ، معزوة الى كعب الاحبار وعبد الله بن سلام ، وثعلبة ومحمد القرظيين ، وابن جريج وابن نوف وابناء منبه وغيرهم من مسلمى اهل الكتاب ، وبخاصة من مسلمى اليهود ، فيها كثير من المبالغات والغلو والصور العجيبة الغريبة . وقد سمى الباحثون هذه الروايات بالاسرائيليات، وأعتبروها من دسائس اليهود التى استغفلوا بها الرواة والمشتغلين بتفسير القرآن ، وقصدوا الى التشويش على القرآن وأذهان المسلمين .

والحق ان هذه الروايات التى امتلات بها كتب التفسير المذكورة وغير المذكورة ، والمطبوعة وغير المطبوعة قد استفرقت حيزا كبيرا ، ان لم يكن الحيز الاكبر منها ، وكادت تفطى على ما فى القرآن من مبادىء واحكام ووصايا هى جوهر القرآن ومحكمه الذى فيه الهدى والذكرى والموعظة والنور والفرقان ، حينما يريد المسلم ان يقرأ القرآن مفسرا فى كتاب تفسير من تلك الكتب . وحتى كادت تشغل المسلمين وتستفرق تفكيرهم بقصد استقصاء جزئيات القصص والاحداث والشخصيات القرآنية وظروفهاالزمانية والمكانية بحيث صارت جل اسئلتهم لمن يشتغل بالقرآن من العلماء عنها ، وبحيث صار القول انها شوشت على القرآن وأهدافه وعلى أذهان المسلمين فى محله تماما .

ولقد كان كثير من القصص والشخصيات القرآنية مما ذكر فى الكتب والاسفار التى كانت متداولة فى أيدى اهل الكتاب واليهود بخاصة الذين كان فى ايديهم القسم الاوفر منها والتى وصل طائفة كبيرة منها مما يعرف بأسفار العهد القديم . ولم تكن هذه الكتب والاسفار مترجمة الى العربية فكان هؤلاء يذكرون للرواة والاخباريين

والسائلين على هامش تلك القصص والشخصيات والاحداث البيانات فيروونها عنهم بدون تمحيص وانتباه الى ما فيهـا من مبالغـات وغـرائب وعجائب .

ولقد كانوا يعزون ـ احيانا كثيرة ـ ما يقولون الى الاسفار المتداولة فى ايديهم ، والتى غالبا ما كانوا يعبرون عنها باسم التوراة . ولم يـكن الرواة والمدونون الاولون يعرفون اللغات التـى كتبت بها .

ولقد أثر حديث نبوى رواه البخارى عن ابى هريرة قال : كان أهـل الكتاب يقرأون التوراة بالعبرانية ، ويفسرونها بالعربية لاهل الاسلام ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسـلم « لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهـم ، وقولوا آمنا بالله وما أنزل الينا وما أنزل الى ابراهيـم واسماعيل واسحق ويعقوب والاسباط وما أوتى موسى وعيسى وما اوتى النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون » .

كما أثر حديث نبوى آخـر رواه البخـارى والترمذى عن عبد الله بن عمرو عن النبى صلى الله عليه وسلم جاء فيه (حدثوا عن بنـى اسرائيل ولا حرج ، ومن كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار) .

ولقد كان جل الذين أسلموا من اليهود من الاحبار والراسخين فى العلم كما يستفاد ذلك من آية سورة النساء هذه (لكن الراسخون فى العلم منهم والمؤمنون يؤمنون بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك ...) .

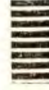
تعالم اليهـود

وكان أحبار اليهود يتعالمون على المسـلمين ، ويتبجحون بتفوقهم عليهم فى المعارف الدينية وغير الدينية مما أشار اليه القرآن فى مواضع عديدة مثل آية سورة البقرة هذه (واذا لقوا الذيـن آمنوا قالوا آمنا واذا خلا بعضهم الى بعض قالوا أتحدثونهم بما فتح الله عليكم ليحاجوكم به عند ربكم أفلا تعقلون) ـ « ٧٦ » وآية سورة البقرة هذه (ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لمـا معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذيـن كفروا ..) ـ ٨٩ ، وآية سورة آل عمران هـذه (وان منهم لفريقا يلوون ألسـنتهم بالكـتاب لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون) ـ ٧٨ ، وآيـات سورة آل عمران هذه (وقالت طائفة من أهـل الكتاب آمنوا بالذى أنزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره لعلهم يرجعون . ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم قل ان الهدى هدى اللـه أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم أو يحاجوكم عند ربكم قل ان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء واللـه واسع عليم) ٧٢ ـ ٧٣ ، فكان كل هذا مما جعل الرواة والمدونين القدماء يتقبلون أقوالهم وبياناتهم على علاتها ويوردونها فى كتبهم ، وينقلونها الى غيرهم ، لتكون مادة ومصدرا لمدونين آخرين يأتون بعدهم . وهكذا عمت هذه الروايات معظم كتب التفسير المطولة القديمة دورا بعـد دور ، لان المتأخرين كانوا ينقلون عن المتقدمين ، بل وحـذا حذوهم مؤلفو الكتب الحديثة أيضا ، وسميت بالاسرائيليات لانها مروية عن مسلمى اليهود فى الدرجـة الاولـى .

وفى كتب التفسير روايات تفيد أن المسـلمين كانوا يسألون أهل الكتاب عن جزئيات الاحداث والقصص والشخصيات والاعلام القرآنية ، وان هذا بدأ منذ الصدر الاول .

ومن الامثلة على ذلك مـا رواه المفسرون فى سياق تفسير آيات ذى القرنين فى سورة الكهف عن خلاف وقع بين ابن عباس ومعاوية رضى الله عنهما فى قراءة جملة (عين حمئة) الواردة فى آية سورة الكهف هذه (حتى اذا بلغ مغـرب الشمس وجدها تغرب فى عين حمئة) حيث كان معاوية يقرأها (عين حامية) بمعنى نبـع مـاء حار ، وكان ابن عباس يقرأها (عين حمئة) بمعنى طينة سوداء . فاتفقا على تحكيـم كعب الاحبار فسألاه كيف تجد الشمس تغرب فى التوراة ، فقال لهم فى طينة سوداء فوافق جوابه كـلام ابن عباس .

ومن ذلك اختلاف آخر كان بين أبى هريرة رضى الله عنه وصحابى آخر عن الساعة التى يستجيب الله فيها لعباده من يوم الجمعة التى ورد خبرهـا فى حديث رواه البخارى ومسـلم والترمـذى والنسائي عن ابى هريرة عن النبى صلى اللـه



عليه وسلم قال . (فيه ساعة لا يوافقها عبد مسلم وهو قائم يصلي يسأل الله شيئا الا أعطاه اياه) حيث اختلفوا فيما اذا كانت الساعة فى كل يوم جمعة أو فى يوم جمعة فى السنة ، واتفقوا على تحكيم كعب الاحبار وسألوه فقال : هي جمعة في السنة ، فأنكر عليه أبو هريرة ذلك وقال : بل هي في كل يوم جمعة ، فراجع كعب التوراة ، ثم عاد فقال : ان التوراة تتوافق مع أبى هريرة «(١)» .

والجوابان ـ ان صحت الروايات ـ وليس هناك ما يمنع صحتها ـ تدليس . لانه ليس فى الاسفار شيء مما سئل عنه كعب الاحبار ، ولكنهم قبلوا جوابه لانه ليس لهم الى معرفة نصوص الاسفار من سبيل الا سبيلهم . ولانهم كانوا فى نظرهم متفوقين عليهم فى المعارف المتنوعة ، بما كانوا يظهرونه من تعالم ، ومما كان متفقا فى ذلك مع الحقيقة من حيث أن العرب كانوا أمة أمية كما جاء فى أحد احاديث رسول الله ، وكما سماهم القرآن فى أكثر من موضع ، فى حين كان فى أيدى أهل الكتاب واليهود خاصة كتب وأسفار دينية كثيرة ، بالاضافة الى أنهم كانوا يعيشون فى بيئات متحضرة ، وكانوا يساهمون فى مختلف مجالات حياتها جيلا بعد جيل ، ولان النبى صلى الله عليه وسلم أمر المسلمين أن يحدثوا عن بنى اسرائيل ولا حرج ، وان يسمعوا لما يقولونه نسبة الى التوراة فلا يكذبوهم ولا يصدقوهم على ما جاء فى الحديثين اللذين أوردنا نصهما قبلا . ومن ثم تناقله الرواة ثم دونه المفسرون فى كتبهم دون تمحيص ولا تدقيق .

ونرجح أن جل ما روى عن مسلمة أهل الكتاب كان على هذه الصورة ، أى أجوبة على أسئلة من المسلمين عن جزئيات الاحداث والشخصيات والاعلام والمسائل القرآنية . منها ما كان يأتى مسهبا ، ومنها ما كان يأتي مقتضبا ، وانهم كانوا يعزون أجوبتهم الى ما فى ايديهم من الاسفار فيتقبله السامعون على علاته ، ويرويه الرواة ويدونه المدونون ، لانه ليس الى التحقق من صحته سبيل بالنسبة للسائلين والرواة والمدونين من أهل القرون الثلاثة الاولى ، وان كان لا يعنى هذا أنهم كانوا لا يفيضون من أنفسهم من باب الشرح والتعليق المباشرين .

مسئولية المفسرين

وواضح من هذا أن مسئولية ما أدت اليه الاسرائيليات فى كتب التفسير من تشويش واشغال اذهان وتغطية على المبادىء المحكمة والامور الجوهرية فى القرآن لا يتحملها مسلمة أهل الكتاب وحدهم ، كما هو قائم فى الاذهان ، بل ولا النصيب الاوفر منها ، وانما يتحملة الرواة والمدونون القدماء سواء الذين رووا ودونوا أجوبتهم وشروحهم لاول مرة فى كتب لم تصل الينا ، أم الذين دونوها فى الكتب التى وصلت الينا نقلا عن الكتب المتقدمة .

وكلهم مفروض فيه القدرة على تمييز الغث من السمين ، والباطل من الحق والكذب من الصدق ، وعلى لمح ما فى الروايات من غلو ومبالغات لا يصح كثير منها فى عقل ومنطق وواقع ولا يؤيدها أثر صحيح ، ثم القدرة على ادراك ما فى رواية هذه الروايات وتدوينها واستغراقها الحيز الكبير أو الحيز الاكبر من الكتب من تشويش على أذهان قارئي هذه الكتب ، وأهداف القرآن فى آياته المحكمات ، والقدرة على كون هذه دون تلك هى الجوهرية التى يجب الاهتمام لابرازها وتجليتها ، والتنبيه على ما فيها من حكم وأهداف جليلة لصلاح الانسان والانسانية فى الدنيا والآخرة ، وكون تلك لم تورد لذاتها وانما أوردت بالاسلوب الذى اقتضت حكمة التنزيل ورودها به للتمثيل والتذكير والترغيب والترهيب والعبرة والموعظة لتكون وسائل تدعيمية للمحكمات وأهدافها ، مما تقوم عليه الدلائل القطعية من سياقها وعبارتها وتكررها بأساليب يختلف بعضها عن بعض قليلا أو كثيرا ، بقصد استكمال الهدف منها ، وكون الواجب ان يوقف عندما اقتضت حكمة التنزيل منها ، دون تزيد لاطائل من

(١) فى كتب التفسير امثلة مماثلة كثيرة فأكتفينا بهذين المثالين تفاديا من التطويل الذى قد لا تتسع له المجلة .

ورائه بالنسبة لما استهدف منها ، ولكونها ليست مما يجب علمه دينا .

وقد يكون هناك بعض مفسرين وقفوا من بعض هذه الروايات موقف الناقد المنكر لما يصادفـــه المطلعون على كتب التفسير وبخاصة المتأخرة قليلا او كثيرا التى تسنى لمؤلفيها الاطلاع على الاسفار بعد أن ترجمت وعرف مقدار ما فيها من تهافت ومغايرة وتحريف وتخريف. غير أن الحق يقتضينا أن نقول ان هذا لم يكن شاملا ولا عاما ، وان الناقدين والمفكرين انفسهم رووا كثيرا منها فى مناسبات كثيرة بدون نقد وانكار فى حين أنها لا تتوافق مع الاسفار وكثيرا منها ليس بينه وبين هذه الاسفار صلة ..

أمثلة كثيرة

وننبه على أن فى كتب التفسير القديمة بيانات مسهبة حول القصص والشخصيات والاعـــلام والأحداث القرآنيـــة معزوة الى بعض أصحاب رسول الله وتابعيهم من غير مسلمي أهل الكتاب مثل عبد الله بن مسعود وابن عباس وأبى هريرة وأبى ذر وعبد الله بن جابر ومسروق ومجاهد وعكرمة والحسن والضحاك وسعيد بن جبير وزيد بن أسلم وعطاء وطاووس وابن اسحق وغـــيرهم فيها ما يماثل ما روى حول القصص والشخصيات والأعلام والأحداث القرآنية من اغراب ومبالغـة وخيال وبعد عن المنطق والعقل والامكان .

ومنها ما رووه بصيغة أحاديث نبوية غير واردة فى كتب الأحاديث المعتبرة بحيث تكون تســمية البيانات جميعها بالاسرائيليات ليس صحيحا ، وانما هو من قبيل التغليب .

ومن هذه البيانات ما هو حول قصص وشخصيات وأعلام وأحداث قرآنية ليست واردة فى أســفار أهل الكتاب وبخاصة اسفار العهد القديـم مثل قصص هود وقومه عاد فى الاحقاف . وتبع وصالح وقومه ثمود فى الحجر وشعيب وقومه فى مدين . وأصحاب الأيكة وأهل الــرس ، ولقمان وذى القرنين وأصحاب الكهف وغير ذلك مما هو عربي أو غير اسرائيلي بالاضافة الى البيانات التي تساق على هامش قصص ابراهيم عليه السلام التي لـم تذكر فى الاسفار .

والأمثلة على ذلك مما يطيل المقال ولكنا رأينا أن نختار بعضا من غير المسهب .

فمن ذلك ما يروى عن قتادة فى سياق انشاء ابراهيم بيت الله مع اسماعيل (ان الله وضع البيت مع آدم حينما أهبطه الى الأرض ، وكان مهبطه بأرض الهند ، وكان رأسه فى السـماء ، ورجلاه فى الأرض . فكانت الملائكة تهابه فنقص الى ستين ذراعا ، فحزن آدم اذ فقد أصوات الملائكة وتسبيحهم ، فشكا ذلك الى الله عزوجل فقال له يا آدم اني أهبطت لك بيتا تطوف به كما يطاف حول عرشي ، وتصلى عنده كما يصلى عند عرشي. فانطلق اليه آدم فخرج ومد له فى خطوه فكان بين كل خطوتين مفازة ، فأتى آدم البيت فى مكة ، فطاف به ومن بعده من الأنبياء) (١) .

ومن ذلك ما يروى عن السدى عن زيد بن أسلم فى سياق المناظرة بين ابراهيم عليه السلام والملك نمرود قال : (كان عند النمرود طعام وكان الناس يفدون اليه للميرة ، فوفد ابراهيم فى جملة من وفد للميرة ، فكان بينهما هذه المناظـرة ، ولم يعط ابراهيم من الطعام كما أعطى الناس ، بل خرج وليس معه شيء من الطعام ، فلما قرب من أهله عمد الى كثيب من التراب فملأ منه عدلين ، وقال أشغل أهلي عني اذا قدمت اليهم ، فلما قدم وضع رحاله وجاء فاتكأ فنام ، فقامت امرأته سارة الى العدلين فوجدتهما ملآنين طعاما طيبا ، فعملت طعاما فلما استيقظ ابراهيم وجد الذى قد أصلحوه فقال : أنى لكم هذا ؟ قالت : من الذى جئت به ، فعلم أنه رزق من عند الله عز وجل . قال زيد بن أسلم وبعث الله الى ذلك الملك الجبار ملكا يأمره بالايمان بالله فأبى ، ثم دعاه الثانية فأبى ، ثم الثالثة فأبى وقال اجمع جموعك وأجمع جموعي ، فجمع النمرود جيشه وجنوده وقت طلوع الشمس، فأرسل الله عليهم البعوض بحيث لم يروا عين الشمس ، وسلطها الله عليهم ، فأكلت لحومهم ودماءهم، وتركتهم عظاما بادية، ودخلت واحدة منها فى منخرى الملك فمكثت فيهما اربعمائة سنة يعذبه الله بها ، حتى كان يضرب رأسه بالمرزبة فى هذه المدة حتى أهلكه الله بها (٢) . على أن هناك وجها آخر

---

(١) انظر تفسـير ابن كثير لآيات سورة البقرة

(٢) من تفسير ابن كثير نكتفى بهذين المثالين اللذين لم نخترهما لانهما أغرب من غيرهما فهناك ما يفوقهما غرابـــة .

حول الاسرائيليات



لهذه المسألة . فنحن لا نعتقد ان هذه البيانات العجيبة الغريبة ، وسواء منها ما روى عن أصحاب رسول الله وتابعيهم من غيرمسلمي أهل الكتاب ، أم ما روى عن مسلمي أهل الكتاب ليست مخترعة من قبـــل الذين أوردوها جوابا عن ســـؤال أو توضيحا لمسألة من المسائل ، أو قصة من القصص، لان هذا يقتضي أن يكونوا جميعهم كذابين مفترين. ونحن ننزههم عن ذلك ، ونرجح أن هذه البيانات مما كان متداولا فى بيئتهم . ومن المحتمل جدا أن تكون واردة فى كتب وقراطيس لم تصل الينا .

اخبار انفرد بها القرآن

وفى القـــرآن أخبار عن بعض الأنبياء والأمم والأحداث والأشخاص الذين وردت أسماؤهم فى الأسفار المتداولة اليوم ليســـت واردة فى هذه الاسفار ، مثل المحاورة بين الله والملائكة فى صدد خلق آدم وخلافته . وأمر الله الملائكة بالسجود له ، وامتناع ابليس ، وتخلف أحد أبناء نوح عن الركوب فى السفينة وغرقه . وتوبة آدم وقبولها من الله . وقصص ابراهيم مع أبيه وقومه ، واسكان ابراهيم بعض ذريته فى منطقة المســجد الحرام ، وبنائه البيت هو واســماعيل ، وايمان سحرة فرعون . ومؤمن آل فرعون ، وصنع داود للدروع ، وحكومة داود وسليمان فى الحرث الذى نفشت فيه غنم القوم . وتسخير الخيل والطــير لداود ، وتسخير الجن والريح والطير لسليمان ، وبناء الجن له التماثيل والمحاريب وغوصــهم له وتقييده اياهم بالاغلال وقصة الهدهد وملكة سبأ وعرشها ، والصرح الممرد من القوارير . واحضار الذى عنده العلم عرشها فى لمح البصر ، والجسد الملقى على عرشه ، والصافنات الجياد ، وكلام عيسى عن النبى ، وبشارته وصفات النبى الصريحة فى التوراة والانجيل (١) ومائدة عيسى وكلامه فى المهد ، وغير ذلك كثير .

هذا بالاضافة الى ورود أشياء كثيرة فى القرآن مغايرة قليلا أو كثيرا لما ورد فى الأسفار ، مـــثل نسبته صنع العجل للسامرى فى القرآن بدلا من هارون فى الأسفار ، وشق قميص يوسف وهمه بامرأة العزيز ، ومثــل ما جاء مباينا لما جاء فى القرآن فى قصص يونس وأيوب وزكريا ومريم وأمها وغير ذلك كثير أيضا . فنحن نرجح بل نعتقد أنه كانت هناك أسفار وقراطيس لم يصل الينا فيها ما هو المتطابق مع ما جاء فى القرآن ، سواء فى ذلك ما لم يذكر فى الأسفار المتداولة اليوم بالمرة ، وما ذكر مباينا لما جاء فى القرآن ، وانه كان فى هذه الاسفار والقراطيس التي لم تصل الينا كثير من البيانات التى تروى عن مسلمي أهل الكتاب ، وعن بعض أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وتابعيهم من غير مسلمي أهل الكتاب .

وفى الاسفار المتداولة اليوم ذكر لاسفار عديدة من عهد موسى ويوشع وداود وسليمان وغيرهـــم ليست بين الاسفار المتداولة اليوم . من جملتها توراة موسى التي كتبها بيده ، ودون فيها تبليغات الله تعالى ووصاياه ، والألواح ومدونة وصفت بالنشيد الرباني ، وأسفار عديدة أخرى : مثل أسفار ياشر وعدى واخيلو وشيلو ، وأخبار أيام كل ملك من ملوك اسرائيل ويهوذا الخ مما يمكن أن يكون مثالا يقاس عليه .

على أن هذا الوجه من المسألة ليس من شأنه أن يخفف من قولنا بمسئولية الــرواة والمدونين الأولين ، ومن نقل عنهم بعدهم جيلا بعد جيل عن رواية وتدوين ، ونقل تلــك البيانات والروايات الغريبة العجيبة واشغال الحيز الكبــير من كتب التفسير بها ، وما أدت اليه من تشويش الأذهان والتغطية على محكم القرآن ، لأن ورودها المفروض فى كتب وقراطيس لا يبرر ايرادها فى كتب التفسير على علاتها . لأن لهم القدرة على ادراك ولمح ما فى ايرادها على علاتها من مأخذ ، والقدرة على ادراك عدم ضرورة ايرادها وكونها تزيدا فى شؤون لم تكن من أهدافها القرآنية حينما اقتضت حكمة التنزيل ايرادها فى القرآن بالأسلوب الذى وردت بــه ، وكونها ليست مما يجب علمه دينا ، وكون الواجب أن يوقف عندما اقتضت حكمة التنزيل ايراده .

---

(١) صفات النبى صلى الله عليه وسلم واسمه الصريح احمد ومحمد ، والبشارة به على لسان عيسى عليه السلام ــ ورد كل ذلك فى انجيل « برنابا » المطبوع بدار المنار بالقاهرة ... (الوعى) .

إبن الخطاب يوجه الشعراء



للدكتور عبد الرحمن عثمان

الاستاذ بكلية اللغة العربية / جامعة الازهر

استطاع الخليفة الحازم عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن يوائم بين تصريف شئون الدولة الاسلامية الناشئة ، وبين التصرف الحاذق فى براعته الادبية وعلمه بالشعر على نحو يثير العجب ويدعو الى الاعجاب، فلم يصرفه جلال المنصب وخطورته عن الاستجابة لحاسته الادبية التى شبت معه منذ حداثته ، قبيل اعتناقه لدعوة الرسول عليه الصلاة والسلام ، واقباله عليها اقبالا كان مضرب المثل فى مدى ما تحدثه العقائد القوية فى نفوس الذين يؤمنون بها عن بصيرة واقتناع .

وبهذه المواءمة البارعة اكتملت فى الفاروق قدرات أدبية ثلاث . العلم برواية الشعر ، والتذوق الفنى لجماله وأصالته ، والنقد لانماطه المختلفة بطريقته التى ابتدعها فى باب المعانى والالفاظ .

ولم يشأ أن يحطب فى حبل طرفة بن العبد ، والنابغة الذبيانى ، أو يسلك طريقهما فى النقد الذى نعرفه لهما فى العصر الجاهلى ، وانما أخضع المعانى الشعرية لما وقر فى قلبه من صدق ويقين ، وآثر منها مالا يذهب به الخيال الى المبالغة المستكرهة ، أو الكذب المفضى الى السخف والاحالة ، لأن ذلك ادنى الى طبعه السمح ، ذلك الطبع الذى ينبو نبوا شديدا عن البهرج ، وينفر أشد ما يكون النفور عن الافتعال والادعاء ،

ومن ثم شرع للشعر العربى مذهبا نقديا لم يسبقه اليه سابق ، ورسم للشعراء منهجا يلتزم الوجهة التى يراها جديرة بفن شاعر اسلامى يريد أن يسهم فى بناء الدولة الجديدة الناشئة ، وهذا المنهج لا يقع بعيدا عما نعرفه لابن الخطاب من واقعية اسلامية فاضلة ، وسلوك اجتماعى مهذب ، ومثالية خلقية عتيدة ، ومن هنا جاء مذهبه النقدى على مثال تربيته الاسلامية اذ كره من الشعراء أن يهيموا فى كل واد ، أو أن تجرح السنتهم أعراضا أمر الله أن تصان .

وكما أحب الصدق فى جانب المعنى ، آثر الوضوح والسلاسة فى جانب اللفظ ، وايثاره لهذين فى صياغة الالفاظ ، واقامة الاسلوب يدل على ما فى طبعه من وضوح

وميل الى البساطة الآسرة ، ويدل كذلك على تأثره بالنسق القرآني الفريد ، ذلك النسق الذي يبرأ من العوج ، ويميل عن التعمية والغموض .

ومذهب ابن الخطاب في نقد الشعر وتمييز الجيد منه — كما قلنا — يعتبر طرازا جديدا ظهر لاول مرة في النقد العربي متسما بالموضوعية الذكية ،التي أحسنت الفهم والتعليل فيما قررت من مبادىء ثلاث لها خطرها وأهميتها في الفن النقدي ، الذي كان حينذاك حديث الولادة على ألسنة بعض الجاهليين ممن صحت عنهم الرواية، أو اكتنفت أخبارهم شبهات قامت على الجحد أو الاتهام بالتزيد في بعض النماذج النقدية .

وخلاصة ما قرره عمر في مبادئه النقدية الثلاث يتمثل بايجاز فيما يلي :—

أولا — الحذق في الصناعة الشعرية ، وذلك يتناول ما يسميه النقادالمحدثون . « بالشكل او التصوير » .

وثانيا — الصدق في الوصف ، بحيث لا يجانب المنطق ، ولا يفضي الى الكذب، وهذا يتعلق بما يسمى « بالمضمون » .

وثالثا — كراهية الافحاش والثلب ، وهنا يظهر جانب الالتزام والتوجيه للفن الشعري كما يظهر في المبدأ الثاني ، ليسهم الشعر الجديد في بناء المجتمع الذي يريده الاسلام ، وتقديما للناحية الجادة فيارساء قواعدالاخلاق والفضائل .

فقد روى عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال . قال لي عمر بن الخطاب رضي الله عنه . « أنشدني لأشعر شعرائكم ، قلت . من هو يا أمير المؤمنين ؟ قال . زهير ، قلت . ولم كان كذلك ، قال . ((**كان لا يعاظل بين الكلام ، ولا يتبع حوشيه ، ولا يمدح الرجل الا بما فيه**)) .

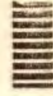
وهذه الرواية التي استفاضت في أمهات المراجع الادبية تضع ابن الخطاب في الصدارة من نقاد العرب ، لانه وضع الاساس الذي قام عليه النقد العربي في أغلب صوره ، حتى عصر عبد القاهر الجرجاني ، حين تحدث في كتابه « دلائل الاعجاز » عن النظرة الجمالية في الشعر ، فكان هذا سابقا لنقاد الغرب في ذلك المضمار .

واعجاب عمر بالحذق في الصياغة الشعرية عند زهير بن ابي سلمى ، يجعله — لا محالة — معجبا بصياغة الشاعر الحطيئة وحوكه للقريض ، لانه تلميذ زهير وراويته ، غير أن اعجابه بحكيم العرب من حيث صدقه وأمانته في محاكاة الصفات التي يألفها الموضوع الشعري ولا ينبو عنها باعتبارها صفات غير غريبة أو منحلة ، يجعله كذلك منصرفا بعض الشيء عن شعر الحطيئة حين يجنح الى صفات فيها افحاش ولذع .. ، ولكنه انصراف فيه تلفت الى حذق الصناعة الشعرية ، وفيه كثير من الاعجاب ببراعة التلميذ ، وأناته الحاذقة في تقويم قريضه ، وذلك شأن الناقد الذواقة حين ينظر الى فن شاعر جمع في نتاجه قبحا الى حسن كثير .

وبهذا المدخل الوجيز نستطيع أن نفسر موقف ابن الخطاب من شعر الحطيئة والنجاشي، غيرناسينما عرضنا له في المقال الاول من توجيه وزجر رفيق بعض الشيء لعبد بني الحسحاس .

ولكن الرواية مستفيضة في المراجع الادبية القديمة بأن عمر كان يستعين على فهم الشعر بل والقضاء فيه بشعراء مشهود لهم بالحذق والدراية ، مثل حسان بن ثابت وغيره .. ، ولقد كان ذلك في مقام الخصومة ، واقامة الحد على شاعر يظلم الناس ، ويلغ فيالاعراض وقد أجاب محمد بن سلام وأبو عثمان الجاحظ وغيرهما على هذه الاستعانة التي كان عمر غنيا عنها دون أدنى ريب ، ولكنه الخليفة الذي يقضي بين الخصوم المتنازعين .

فالشاعر ينكر أنه أتى ظلما ! ومن آله الهجاء يؤكد الظلم ، ويؤيد العدوان على شخصه أو قبيلته ، فابن الخطاب في موقف قضائي لا يبيح له أن يقضي بمقتضى علمه فقط ، ثم وهو الخليفة لا ينبغي له أن يتعرض لسفه السفهاء



بالقضاء فى مثل هذه السفاهات دون التماس دليل حاسم من شاعر يؤمن بشاعريته ويرضى بشهادته المتقاضون ، ليكون ذلك أدنى الى العدل ، وأدل على قيام الحجة التى تدرأ الشبهات ،وتجعل الهجاء أمرا يحمل طابع الاعتداء دون شك أو جدال .

وهكذا كان تعليل الجاحظ وغيره لموقف عمر بن الخطاب من القضاء فى هجاء الحطيئة للزبرقان بن بدر ، وفى تعريض الشاعر النجاشى ببنى العجلان وغمزه لهم فى جدهم الذى كانوا يفخرون به .

فحينما شكا الزبرقان الحطيئة الى عمر ، واستعداه عليه ، أقدمه عمر وقال للزبرقان . ما قال لك ؟ ، فقال . قال لي :

دع المكارم لا ترحل لبغيتها
واقعد ، فانك أنت الطاعم الكاسى

فقال عمر لحسان بن ثابت . ما تقول ؟ ، أهجاه ؟ ، وعمر يعلم من ذلك ما يعلم حسان ، ولكنه أراد الحجة على الحطيئة ، قال . ذرق عليه . فألقاه عمر فى حفرة اتخذها محبسا .

وابن قتيبة يزيد فى هذه الرواية قوله . « فقال عمر للزبرقان بعد أن سمع هذا البيت . ما أراد هجاءك ، أما ترضى ان تكون « طاعما كاسيا ؟ » قال . انه لا يكون فى الهجاء أشد من هذا ، فبعث الى حسان يسأله » .

ولا أظن صحة ما يروى ابن قتيبة عن عمر الذكى الاديب ، فان صدر البيت على انه هجاء مستقل يشير الى المراد من « الطاعم الكاسى » فى آخر البيت ، الا اذا كان مراد الخليفة حسم النزاع وانهاء الخصومة .

وحين هجا الشاعر النجاشى بنى العجلان استعدوا عليه عمر ، لانه عيرهم بجدهم فى شعره ، وقد كان « العجلان » من دواعى فخرهم قبل هذا ، لتعجيله القرى للضيفان ، فقال عمر . وما قال فيكم ؟ ، فأنشدوه قوله .

اذا الله عادى أهل لؤم ورقة
فعادى بنى العجلان رهط ابن مقبل

فقال عمر : انما دعا عليكم .. ولعله لا يجاب .. ، فقالوا . انه قال .

قبيلته لا يغدرون بذمة
ولا يظلمون الناس حبة خردل

فقال عمر : ليت آل الخطاب كذلك ، ونلاحظ هنا أن عمر انفصل عن بغى الجاهلية الى وداعة الاسلام . قالوا . فانه قال :

ولا يردون الماء الا عشية
اذا صدر الوراد عن كل منهل

فقال عمر : فذلك أقل للسكاك (الزحام) ، قالوا . فانه قال .

تعاف الكلاب الضاريات لحومهم
وتأكل من «كعب بن عوف ونهشل»

فقال عمر : كفى ضياعا من تأكل الكلاب لحمه .. ، قالوا . فانه قال .

وما سمى العجلان الا لقولهم
خذ القعب واحلب أيها العبد واعجل

فقال . كلنا عبيد الله ، وخير القوم خادمهم . فقالوا يا أمير المؤمنين هجانا ، فقال . ما أسمع ذلك .. ، فقالوا . فاسأل حسان بن ثابت ، فسأله ، فقال . ما هجاهم ، ولكن سلح عليهم .

ولسنا نجد تعليقا على هذا الخبر خيرا مما علق به ابن رشيق فى العمدة ، قال : « .. فأسلم النظر (عمر) فى أمرهم الى حسان بن ثابت فرارا من التعرض لاحدهما ، فلما حكم حسان انفذ عمر حكمه على النجاشى كالمقلد من جهة الصناعة ،ولم يكن حسان على علمه بالشعر بأبصر من عمر رضى الله عنه بوجه الحكم ، وانما اعتل » .

والحق أن عمر كان بصيرا بالشعر بصره بأمر صلاح هذه الامة ، ولهذا كان صاحب مذهب فى تقويم الحياة والشعر جميعا .

الثقافة الإسلامية بأصالتها

الثقافة الإسلامية ثمرة وحي منزل ، فهي عطاء الله لا عطاء إنسان

ماجاء به القرآن كان فوق تفكير الرسول والمجتمع .. ولم يكن من صنعهما

نحن مدعوون الى غربلة ماعلق بثقافتنا لتبقى صافية صفاء منبعها

للأستاذ محمد بن كمال الخطيب

أمين سر جمعية التمدن الاسلامي ـ دمشق

ترتكز « الثقافة الاسلامية » على أساسين من « الايمان والعمل » فى كل مصادرها الاصيلة ، التي شقت طريقها الأول بالوحي المنزل من كتاب الله « تعليما وهداية » ، على يد « الرسول المعلم الأمثل صلى الله عليه وسلم .

وان دعوة الايمان التي تتصل بالعلم والعمل على الوجه الأكمل هي التي تنظم معارف الانسان بتنظيم شؤونه وأوضاعه ، تبدأ من الفرد باصلاحه، الى المجتمع وحكمه ، فتتناول شؤون الفرد بانارة عقله ، وصدق ايمانه ، وتهذيب خلقه ، وسمو وجدانه ، وتبني منه « شخصية » أصيلة ، ولبنة متينة ، كما تتناول شؤون المجتمع : الاجتماعية والاقتصادية والادارية والتشريعية والسياسية وما اليها فتنظمها .

وهذا ما فعله الاسلام ، وقدمه الوحي (هداية) للبشر و (تعليما) لهم فكان (عطاء) الوحى مثل عطاء الروح هبة الخالق الى المخلوق ، فهو جل سبحانه الذى خلق الخلق ثم هدى كما كتب على نفسه قائلا « ان علينا للهدى » .

وبهذا العطاء تخطت (معارف القرآن) معارف:
(١) الرجل الذى بلغ الرسالة .
(٢) الامة التي تنشأ فيها .
(٣) الانسانية التى عاصرها .

تخطت كل ذلك لتعطى من جاء بعدها فى كل زمان ومكان ما تعطيه الطبيعة من آياتها ، معاني جديدة ومعارف نامية بآيات بينات ، ضمها كتاب حكيم (لا تنفد عجائبه) .

وقد رسم القرآن بهدايته طريق العمل ، وأخذ بيد الانسان (فردا وجماعة) لأفضل حياة وأكملها معا ، كما صرح بذلك قائلا « ان هذا القرآن يهدى للتي هي أقوم » فى هذه الحياة الدنيا « ويبشر المؤمنين » بحسن العاقبة فيها ولو حزبهم الامر ، ويبشرهم كذلك بآخرة ونعيم مقيم فى دار القرار..

فالوحي بذلك عطاء الله للانسان ، ينير فكره وقلبه وسلوكه ، حتى يزن أموره بميزان الحق

والباطل ، والخير والشر ، يزنهما بميزان خالق الانسان يوم الجزاء .

وأما معارف الانسان وما يرسمه بعقله لسلوكه : (تربية وتثقيفا ، وادارة وتشريعا وحكما ..) فانما يعطيه الانسان عطاء انسان تمر به أطوار ، وتقيده بيئة تسد آفاق نظره ، وتكبل قدرته .. فهو عطاء العقل المحدود بهذه الانسانية وبيئتها .. ولو قفز العقل قفزات خيال وعبقرية ، فانه يظل ابن شخصيته وبيئته مقيدا بهما ،وان له الى جانب ذلك لعثرات وعثرات .

هذا تاريخ الانسان بثقافته ، بعلمه وعمله .. وتلك حدود قدرته ، يعطي بقدر ما يأخذ ، وقد يزيد قليلا .. اما عطاء (الوحي) فانه كالنبع الجارى أبدا ، لا ينفد ما دامت الحياة .

★★★

واليك ايها القارىء الكريم نظرات تصل بين القرآن وبين الرسول عليه الصلاة والسلام ، لنرى فى ضوء ما أتى به مبلغا رسالة ربه ، صدق الدعوى ان كان (وحيا) تنزل عليه ، لا (فيضا) نبع من قلبه ، وثمرة من عبقرية تجل عنها رسالة الله .

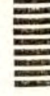
★★★

لقد تنزل القرآن وحيا منجما ، فكان مصدر الثقافة الاسلامية من علوم وفنون وبحوث ونظرات كانت على شاكلة أصحابها (ايجابية) تنظر بمنظار القرآن (ايمانا وتسليما أو بحثا وتحقيقا) أو (سليمة) على مختلف الدرجات ،من تساؤل أوشك: (نافذ أو مريب) الى طعن وافتراء ، وما الى ذلك من دركات القلوب والعقول والأهواء ... وقد بدأت هذه النظرات منذ بدأ الوحي ، وبلغ الرسول صلى الله عليه وسلم رسالة ربه وكان محمد من قبل هذا الوحي رجلا يعتزل قومه ، متعبدا فى غار حراء أو متَجرا ، وحسبه من صلاته بقومه أن ينفع ولا يضر أحدا (يحمل الكل ، ويعين على نوائب الدهر) ، كما وصفته خديجة رضي الله عنها ، وان يكون (أمينا) معروفا (بالصدق) ، محببا اذا شاهدوه مختصمين ، (كما كان الحال عند بناء الكعبة المشرفة) ارتضوا حكمه ، الذى ازال الخصومة ، وحقق للجميع الأمنية ، فتصافوا بصفاء قلبه صلى الله عليه وسلم وطهر سريرته ...

ولما حمل الرسالة مبلغا ، وقف وقفة عبد الله ، وقف عند حده ، مرددا قول ربه « قل سبحان ربى هل كنت الا بشرا رسولا » لم تتغير (نفسيته) بهذا الدور الاجتماعي الجديد الذى خالط (شخصيته) ، وانما ازداد فى مواقف (العبودية لله) شوقا ، حتى يستريح الى لقاء الله ، بوقفته فى الصلاة ، وازداد رفقا بالناس ورحمة ، كلما ازداد الناس صدودا عنه ، وايذاء له ، من درجة الاستهزاء الى أعنف مواقف الاعتداء ، فكان ينظر اليهم والى الأبناء والأحفاد من بعدهم ، نظرة الرحمة والهداية ، على المستوى الذى وصفه به تعالى ووصف رسالته بقوله « وما أرسلناك الا رحمة للعالمين » .

حتى كاد من الرحمة تذوب نفسه الكبيرة ، وسرى الله سبحانه وتعالى عنه بمثل قوله : « طه.ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى.الا تذكرة لمن يخشى » ووصفه مرفها عنه : (لعلك باخع نفسك على آثارهم ان لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفا) وحدد سبحانه وتعالى واجب الرسول بقوله« وماعلى الرسول الا البلاغ المبين .. »وقال له (حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين) ، تعاونا على اقامة شرع الله ، تعلمهم وتحضهم ، وتقيم حكم الله فيهم ، فيكونون أنموذج الخير ، كما قال تعالى لهم وفيهم (كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر) أمة هداية وتبليغ وسلطان يأمر وينهى ويجاهد حتى يحققوا أمره اذ « جعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا » وبذلك تقوم حجة الله على خلقه ، « معذرة الى ربكم » (ولتكونوا شهداء على الناس فى موقف الشهادة الكبرى والمحكمة العظمى) يوم الحساب والجزاء تكونون شهود الحق أن أرسل الله تعالى رسوله بالحق « بشيرا » بالخير ، و « نذيرا » من سوء الدنيا وعذاب الاخرة ..

وتتابعت آيات التنزيل منجمة ، تصاحب الاحداث بأسباب نزولها ، وتماشي حكمة الله فى ارشاد الناس ، بتعليم الرسول وتثبيت قلبه ،



وتعليم قومه عن طريقه « كذلك لنثبت به فؤادك » « ولا يأتونك بمثل (مجادلين أو مكذبين معاندين) الا جئناك بالحق وأحسن تفسيرا » يكشف عن وجه الحقيقة ، ووجوه اللبس والخطأ والكفر ..

وانتهى دور الرسالة ، وأنزل الله قوله فى ختامها « اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلامدينا » كاملا ينظم شؤون حياتكم على أفضل وجه وأكمله ، ويحدد لكم طريق الاستقامة ، حتى تصلوا من دنياكم ، الى آخرة تستقرون فيها بحياة خالدة راضية مرضية ، بعدما فزتم منهذه الحياة بأفضلصورها وأكملها ، وقد أنزلالله فيكم قوله « من كان يريد ثوابالدنيا فعند الله ثواب الدنيا والآخرة » حتى كانتالدنيا لكم بذلك وضاءة بنور الهداية المنزلة من الرحمن الرحيم .

وفى ضوء هذه الحياة (من سيرة محمد قبل الرسالة ، الى منتهاه صلى الله عليه وسلم حين أكمل الله له الرسالة ، وانتقل من الخوف الى سيادة الحكم والفتح المبين) ظلت شخصيته صلى الله عليه وسلم ، على أصولها (النفسية) التي أدبها ربها فأحسن تأديبها ، تردد منة الله ، وتقف مواقف الأسوة للناس والعبودية على مثل ما صورته الآيات المنزلة « ألم يجدك يتيما فآوى ووجدك ضالا فهدى .ووجدك عائلا فأغنى » تردد ذلك لترسم خطة الاستقامة والثبات والقدوة المثلى ، وهي تتبع ذلك بقوله جل سبحانه « فأما اليتيم فلا تقهر. واما السائل فلا تنهر.وأما بنعمة ربك فحدث » .

هذه الأضواء من السيرة الكريمة وصلتها بالآيات المنزلة ، بسمو معارفها وهديها ، ترينا أن شخصية الرسول وأحداث زمانه لم تكن هي الفاعلة ، والآيات بمنزلة ردود الفعل لها ، فقد جاء الكتاب بآياته هاديا للرسول نفسه ، هاديا للزمن وأهله ، ومن سيلحق بهم الى قيام الساعة .. هداية تنير القلوب والعقول معا ، بما تنشر من المعارف وآيات الخليقة ، لتدل بها على الخالق ومصائر الحياة ، وما ينبغي فيها لتكون أفضل حياة وأكملها كخير أمة أخرجت للناس .

وظلت شخصية الرسول هي هي على مثل ما عرفت به (نفسيا) من قبل البعثة ، وانما ازدادت بالرسالة ارتقاء وقوة ومضاء من أثر ايمانها ، وهداية ربها فيمواقفالعبودية والتبليغ ، وحمل أعباء الرسالة نفسها ، وبذلك يتضح برهان الوحي أن كان تنزيلا من عند الله ، لا ثمرة من بيئة وعبقرية رجل أو أمة كما يتعلل بذلك من لم يؤمن بهذا الوحي المنزل .

ان معارف القرآن وهدايته أنارت العقول ، وهذبت النفوس ، فسمت سمو وحيها الى المثل الأعلى ، وهي على الأرض ، فكانت آيات الكتاب متميزة عن عصرها ، متميزة عن شخصية رسولها ، تؤثر فيهما وتستخدمهما ، ولا تتأثر بهما أصلا ، وكان القرآن بذلك متميزا عن كل ما أتى به الناس، من معارف تسمو سمو العبقرية ، أو تمشى على الأرض مشية نظر وحكمة .. فضلا عما دون ذلك ، متميزة حتى عن مقالة الرسول نفسه فى احاديثه الشريفة ، رغم أن الوحىخالط ما أتى به وعلمه ..

ـ انه القرآن المنزل « ان هو الا وحى يوحى. علمه شديد القوى. ذو مرة فاستوى .وهو بالأفق الأعلى » .

انه يحمل طابعه المتميز الفاعل هاديا « انه لقرآن كريم . فى كتاب مكنون » فهو ميزان الحق الثابت الى يوم القيامة .

انه كلمة الهدى فى حيرة الدنيا الى مشاهد يوم القيامة .

انه المعجزة التي تتحدى العقول بمعارفها ونظراتها ، بأغراضها ومعانيها واساليبها ، « وانه لكتاب عزيز . لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد » هذا هو (القرآن) برسالته ، وهذا هو (الرسول) يستنير بوحيه ، ويبلغ الناس ، ومع ذلك فقد صد عنه من صد ، وعاند من عاند فجاء منطق البرهان يسرى عن الرسول صلى الله عليه وسلم ويرشده ، فيتاسى بمن سبق من أصحاب الرسالات المنزلة « ما يقال

لك الا ما قد قيل للرسل من قبلك » ، « انك على الحق المبين » ، « ليس لك من الأمر شيء » ، « انك لا تهدى من أحببت » ، « ان علينا للهدى » ..فهذا مقام يختص بالخالق حيال خلقه ... « ان عليك الا البلاغ » .

ولا يروعنك يا محمد ما تلقاه فالناس معادن « ومن الناس من يشترى لهو الحديث ليضل عن سبيل الله بغير علم ويتخذها هزوا » . فدع أهل الصدود والأهواء وسر أيها الرسول آمنا فى طريقك الى الغاية المثلى من هداية الناس ، انها رسالة جد وقول فصل « وما هو بالهزل . انهم يكيدون كيدا . وأكيد كيدا . فمهل الكافرين أمهلهم رويدا» فان مع الدنيا آخرة ، ومصير الناس الى وقفة وجزاء « فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر » ، « لست عليهم بمسيطر . الا من تولى وكفر »فعاندك وقاتلك ، فانه من حقك حينئذ بل من واجبك أن تصد صدوده وتقيم الحد عليه ، لتقمع ما هو فيه ويكون نكالا وعبرة ، « أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير » ، « ولو شاء الله لانتصر منهم ولكن ليبلو بعضكم ببعض » ، وقد جعل تعالى سنته فى هذه الحياة كما قال شوقي رحمه الله « ان الحياة عقيدة وجهاد » ، مستوحيا قول الله جل سبحانه، « ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض » فتكون بذلك دنيا الانسان الكادح دنيا جهاد وايمان ، « وان الآخرة لهي الحيوان » فيها الحياة الخالدة المنشـودة .

وعالجت الرسالة أمور رسولها فكيفته ، ولم تكن رسالته وحيا من نفسه ، بل تنتزل وحيا عليه من ربه ، فكان من ذلك آن كشفت الرسالة له صلى الله عليه وسلم مثلا عن المغيبات ، ولكنه ظل حيث هو فى موقف العبد بضلالته حتى يهديه الله « قل لا أملك لنفسي نفعا ولا ضر الا ما شاء الله ، ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير ، وما مسنى السوء » ، « ان انا الا نذير وبشير لقوم يؤمنون » ، « ان اتبع الا ما يوحى الى » ، فقل « انما الغيب لله » ، فهو سبحانه « عالم الغيب والشهادة » ، وبقى الرسول حيث كان عبدا اتسم بسمات العبيد من ضعف وقوة وغنى وفقر ... وصحة ومرض وحياة وموت ، وظل بسيرته يعلن بلسان الحال والمقال : انني حملت فحملت رسالة ربى فآمنت وبلغت وجاهدت ، وسألقى وجه الله وأرجو أن أبعث (مقاما محمودا) عنده ، وأن تكون لي (الشفاعة الكبرى) عنده يوم القيامة ، « يوم لا ينفع مال ولا بنون . الا من أتى الله بقلب سليم » .

بهذه الخطة عالجت الرسالة بوحيها قلب محمد رسول الله ، فى مواقف حمله الرسالة ، وصدود الناس وحربهم له ، وعالجت الموضوع من ناحيته الثانية يتحدى الاعجاز واقامة البرهان تلو البرهان ، بمثل قوله جل سبحانه « ولو كان (هذا القرآن) من عند غير الله ، لوجدوا فيه اختلافا كثيرا » ، حتى يكون هذا الاختلاف حجة لصدودهم عنه ، وتكذيبهم لدعوى وحيه ، لان ما يأتي من عند غير الله انما يتأثر باطوار الحياة وخاصة أطوار من أتى به بشخصيته وبيئتـه ومجتمعه .. فهو (بين يوم وآخر ، ونظر فردى مثلا وآخر اجتماعي) ، يأتي بالمتناقضات ، وينتهي الى المفارقات ، وينسخ اليوم ما أقره بالأمس ، وكم استخف الشباب من عبث طفولته ، كما استخف الرجل فى نضجه مما كان محل اعجابه وايمانه فى شبابه .. وكم انتهى من مطاف الحياة الى غير ما تصورها به ، وزينت له نفسه ما كان يراه ... هذا شأن الانسان حتى مع نفسه ، وكذلك حاله مع بيئته ، تبدل الاحداث نظراته .. وهذا شأن العلماء والبلغاء والحكماء والمفكرين والعباقرة فيما أتوا به .. « ولو كان (القرآن) من عند غير الله » على هذه الشاكلة » لوجدوا أى هؤلاء المعاندون له ، المتتبعون لنقده ونقضه ، وقد تحداهم باعجازه..« لوجدوا فيه اختلافا كثيرا »).

وهذا هو الحال نفسه فيما ساد او تمكن من مجتمع من مبادىء ومذاهب ، فانها بسيرتها جميعا على اختلاف حدودها ومراميها من « ما وراء الطبيعة » الى نظراتها الخلقية والفكرية والاجتماعية والاقتصادية وما الى ذلك فانها تكشف عن أثر الطبيعة البشرية والبيئة بنظراتها ، وسيرة أصحابها ، وشتان بين انتاج البشر وما تنزل وحيا ليهدى البشر بدءا من حمل الرسالة .

لقد أنزل القرآن فى فترات الوحي حتى اكتمل بالسور والأحكام على اختلاف الأوضاع والأزمان ، وانتظم بسلك واحد من الانسجام ، لم تختلف فيه

البقية على ص ٨١



يكتبها : عبد المنعم النمر

من هنا .... وهناك

بداية طيبة

بداية الحياة الجامعية فى الكويت هذا الشهر حدث يستحق التسجيل والاعتزاز . وليس هنا مقام التحدث عن هذا الموضوع فهو أعظم من أن يكون محله هذه الخواطر ، وسنعنى به فى عدد آخر ، ولكن الذى يعنينا هنا أن نسجل ظاهرة كريمة أعتبرها بداية طيبة من اخواننا الأساتذة الذين قدموا الى الكويت ، ليرسوا قواعد الحياة الجامعية ، ويكونوا أول من يستهل التدريس والتوجيه فيها .. فقد طالعت فى الصحف الخطاب الذى توجهوا به للمسئولين يعلنون فيه وضع كل امكانياتهم وخبراتهم لخدمة الكويت الشقيق فى شتى المرافق خارج نطاق عملهم فى الجامعة ، كل استاذ منهم فى ناحية تخصصه وخبرته دون أن يأخذوا على هذه الخدمات مقابلا ماديا .. وأننى أحيى هذه الروح فى الطليعة الأولى من أساتذة الجامعة الحديثة ، الذين يضعون بذلك التقاليد الطيبة لمن يأتى بعدهم .

ظاهــرة

لمستها فى زيارتى القصيرة الى سوريا ولبنان ، ولفتت نظرى ، وانتزعت منى اعجابى بالذين يصنعونها ، وأسوقها الآن الى كل شاب عربي فى غير هذين البلدين .. فقد وجدت أكثر الذين يخدمون فى الفنادق التي نزلتها فى عدة مدن من هذين القطرين الشقيقين من الطلاب . طلاب المدارس والجامعات ، يقومون بكل نوع من أنواع الخدمة المعتادة فى الفنادق ، حتى الكنس ومسح الأرض وتنظيفها . يفعلون ذلك بكل نشاط واقبال .. بل رأيت بعضهم يتزاحم فى سبيل ايجاد عمل له فيها أو فى غيرها أثناء العطلة الصيفية ، وعرفت عن الكثير منهم أنهم من بيوت عريقة وغنية ولهم أقارب يشغلون مناصب فى الدولة كبيرة وصغيرة ، لقد أكبرت هذه الروح فى هؤلاء الطلاب الذين يخوضون غمار الحياة العملية مع حياتهم العلمية جنبا لجنب ، ويكتسبون بذلك فوق المادة خبرات ومعارف لم يكونوا ليحصلوا عليها لو أنهم فعلوا كما يفعل الطلاب فى بعض البلاد العربية حين يجعلون العطلة الصيفية هما ثقيلا على ذويهم ، وعلى أهل حيهم ، وعلى مجتمعهم وبلدتهم ، حيث يملأون الشوارع ويكونون « الشلل » ويؤذون

الناس ، ويحدثون المشاكل .. ويتركون ذويهم يشقون فى سبيل لقمة العيش ، ويترفعون عن مساعدتهم ، ويعتبرون عملهم حتى فى مهنة آبائهم عارا ومنقصة ! .

وانه لفرق كبير بين طالب يسعى للعمل أثناء عطلة الصيف بأجر عند الغير ، وبين طالب يستنكف من مساعدة أهله فى عملهم وهو فارغ عاطل لا يمسك كتابا ولا يؤدى عملا .. ولكنه ينفق طاقته فى الشغب والمعاكسة ومضايقة أهله وغير أهله ... حتى يتنفس الناس الصعداء حين تفتح المدارس وتجمع الطلاب من الشوارع ...

اننى أحيى من هنا هؤلاء الطلاب العمليين وأرجو أن يحذو غيرهم حذوهم ...

ومتعة

متعة حسية وروحية معا شعرت بها حين زرت بعض زملائي من الوعاظ الأزهريين وغيرهم من أصدقائي فى منطقة « سير وبخعون » بشمال لبنان ، وقضيت بينهم وقتا قصيرا .. متعة الجو اللطيف فى هذه المنطقة ، حين تغمر الحرارة والرطوبة بعض المناطق الأخرى . متعة المناظر الخضراء المدرجة تدرج الجبل حيث تتمايل اشجار التفاح والكمثرى والبرقوق والخوخ وهي محملة بثمارها الشهية ذات الألوان البديعة ، ومتعة النفس وايناسها بالهدوء وبالأهالي الودودين الآلفين ، وهم يرحبون بكل قادم عليهم كأنه أخ لهم ، ثم المتعة الروحية الكبرى حقا حين كنت أسمع الأذان للصلوات ينطلق من المكبرات فى أعلى المآذن المنتشرة فى أعالى الجبل وسفوحه ، وأسمع آيات القرآن الكريم المسجلة لمشاهير القراء تذيعها المكبرات ، فترجع الجبال أصداءها من كل ناحية ، وتمتلىء النفس ايمانا ويقينا ، وهي ترى أمامها كتاب الكون الذى أبدعه الله وجمله ، وتسمع كتاب الله الذى أنزله ..

اننى لن أنسى مدى حياتى تلك اللحظة التي كنت اتأمل فيها الطبيعة الساحرة امامي ، وأرى فيها جمال صنع الله وقدرته ، واذا بى أسمع الشيخ عبد الباسط عبد الصمد يقرأ بصوته الطروب « فلينظر الانسان الى طعامه. أنا صببنا الماء صبا. ثم شققنا الارض شقا . فأنبتنا فيها حبا . وعنبا وقضبا . وزيتونا ونخلا . وحدائق غلبا . وفاكهة وأبا . متاعا لكم ولانعامكم » .

امانة

جاء يستشيرني فى بنت له يريد أن يلحقها بمدرسة خاصة . اى المدارس أشير بها ؟ ــ وعدد لي أسماء بعض المدارس الخاصة .. فقلت له لا أستطيع فى لحظة قليلة أن أعين لك مدرسة وأفضلها على أخرى . ولكن القاعدة عندى أن تدخل بنتك مدرسة لا تنتزع منها روحها الاسلامية العربية لتزرع مكانها روحا أخرى ، مدرسة تنشىء بنتك على حب بلادها ودينها وتقاليدها ولغتها ، حتى لا تراها تقوم فى الصباح ، وتبدأ يومها برسم علامة الصليب بالاشارة على وجهها وصدرها ، كما علمتها بعض الراهبات المدرسات ، ولا تسمع منها استهجانا لدينها أو رسولها ، كما حصل من بعض الأطفال الذين تعلموا فى بعض المدارس الخاصة ..

أن تعليم الأبناء وتنشئتهم وتربيتهم أمانة فى عنق الآباء ، وأهم شىء فى هذه الأمانة دين الطفل ، ولا سيما فى المرحلة الأولى من حياته المدرسية التي يكون فيها كشريط التسجيل يلتقط كل صوت ، ويردده ، وينطبع فى نفسه كل مظهر ويألفه . ومن هنا تعظم مسئولية الآباء ويكون حسابهم أمام الله ..

ان كانت هناك مدارس خاصة يشرف عليها مسلمون مأمونون على الدين والتعليم فلا تتردد فى دفع بنتك اليها ، والا فأنت معذور . ويبقى اثم التقصير فى اقامة هذه المدارس على الذين يستطيعون اقامتها ولا يفعلون ..

مواقف خالدة بين العلماء والخلفاء

محمد يوسف

بقلم الاستاذ احسان النمر
بنابلس ـ الاردن

دروس من الماضى يحتاج اليها العلماء فى كل عصر وقطر .

وقد ترك لنا هذه الدروس علماء اعلام ، وذلك بمواقفهم الصريحة الجريئة أمام الخلفاء والسلاطين الاقوياء ، ينصرون أمامهم كلمة الحق ، ويبذلون لهم واجب النصح ، فى أدب من القول ، وعفة عن متاع الحياة .

وأمثلة ذلك فى التاريخ الاسلامي كثيرة ولكني اقتصر منها على الأمثلة الآتية : ـ

عمر بن عبد العزيز ومحمد بن كعب

جاء فى كتاب المنهج المسلوك فى سياسة الملوك للعلامة الشيخ عبد الرحمن بن عبد الله من علماء القرن السادس : « حكى مالك بن أنس رضي الله عنه أن عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه لما ولى الخلافة دخل عليه محمد بن كعب وعنده هشام بن معاذ وقد وعظه فأبكاه فقال له محمد : ما ابكاك يا أمير المؤمنين فقال : أبكانى هشام حين ذكرنى وقوفى بين يدى ربى . فقال له محمد: يأمير

المؤمنين انما الدنيا سوق من الاسواق منها خرج الناس بما نفعهم ، ومنها خرجوا بما ضرهم ، فلا تكن من قوم قد غرهم منها مثل الذى اصبحنا فيه ، حتى اتاهم الموت فاستوعبهم منها فخرجوا منها ملومين ، لم يأخذوا لما احبوا من الآخرة عدة ، ولما كرهوا جنة ، فاقتسم فيما جمعوا من لا يحمدهم ، وصاروا الى من لا يعذرهم ، فانظر يا امير المؤمنين الى تلك الاعمال التى تتخوف منها فكف عنها ، وانظر الى الذى تحب أن يكون معك اذا قدمت على ربك فاصنع منه . وابذل حيث يحمد البذل ، ولا تذهب الى سلعة قد بارت على من كان قبلك ، ترجو ان تروج معك . فاتق الله تعالى يا امير المؤمنين وافتح الباب وسهل الحجاب ، وانصر المظلوم ، واردع الظالم . يا امير المؤمنين ثلاث من كن فيه فقد استكمل الايمان ، من اذا رضى لم يدخله رضاه فى الباطل ، ومن اذا غضب لم يخرجه غضبه من الحق ، واذا قدر لم يتناول ما ليس له قال : فاشتد بكاء عمر بن عبد العزيز وعلا نحيبه » .

سليمان بن عبد الملك وأبو حازم

وجاء فى كتاب المنهج المسلوك ايضا . « حكى ان سليمان بن عبد الملك لما قدم المدينة اقام بها ثلاثا فقال : ماهاهنا رجل ادرك الصحابة يحدثنا؟ فقيل له ان ها هنا رجلا عابدا من التابعين اسمه ابو حازم ادرك جماعة من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ونقل عنهم الاحاديث فبعث اليه فلما جاءه واستقر به المجلس ، قال له سليمان : يا ابا حازم ما لنا نكره الموت ؟ قال لانكم اخربتم آخرتكم ، وعمرتم دنياكم ، فانتم تكرهون النقلة من العمران الى الخراب .

قال : صدقت يا ابا حازم ، فكيف القدوم على الله تعالى ؟

فقال : اما المحسن فكغائب يقدم على أهله ، واما المسىء فكالعبد الآبق يقدم على مولاه .

قال : فبكى سليمان ، وقال : ليت شعرى ما لنا عند الله يا ابا حازم ؟

فقال : اعرض نفسك على كتاب الله تعالى عند قوله تعالى : « ان الابرار لفى نعيم . وان الفجار لفى جحيم » .

قال سليمان : يا ابا حازم . أين رحمة الله ؟ قال : قريب من المحسنين .

قال : فبكى سليمان ، ثم اطرق ساعة ، ثم رفع رأسه اليه وقال : يا ابا حازم من اعقل الناس ؟ قال : من تعلم الحكمة وعلمها للناس .

قال من أحمق الناس ؟ قال من دخل فى هوى رجل ظالم فباع آخرته بدنيا غيره .

قال : فما تقول فيما نحن فيه ؟ قال : اعفنى من ذلك ، فقال : انما هى نصيحة بلغتها . فقال ان ناسا اخذوا هذا الامر من غير مشورة من المسلمين ، ولا اجماع من رأيهم فسفكوا الدماء على طلب الدنيا ، ثم ارتحلوا عنها . فليت شعرى ما قالوا ، وما قيل لهم ؟

فقال رجل من جلسائه بئس ما قلت يا شيخ . فقال ابو حازم : كذبت والله يا جليس السوء . ان الله تعالى اخذ الميثاق على العلماء ليبيننه للناس ولا يكتمونه ،

فقال سليمان : يا ابا حازم كيف لنا على العلاج ؟ قال : تدع التكلف وتتمسك بالحقيقة .

قال : فكيف طريق المأخذ لذلك ؟ قال . تأخذ المال من حله ، وتضعه فى أهله .

قال : ومن يقدر على ذلك ؟ قال : من قلده الله تعالى من الارض ما قلدك .

قال : أفترى يا أبا حازم أن تصيب منا ونصيب منك ؟ قال : اعوذ بالله من ذلك . قال ولم ؟ قال اخاف ان اركن اليكم شيئا قليلا فيذيقنى ضعف الحياة وضعف الممات .

قال : يا أبا حازم فدلنى على ما أصنع قال : اتق الله تعالى ان يراك حيث نهاك . ويفقدك حيث امرك . قال : ادع لى يا ابا حازم ؟ قال ، اللهم ان كان سليمان وليك فيسره لخيرى الدنيا والاخرة ، وان كان عدوك فخذ بناصيته الى فعل الخير ، واصلحه فى الدنيا والاخرة .

فقال يا غلام اعط ابا حازم مائة دينار ليقضى بها دينه . فقال : لا حاجة لي بها ، انى اخاف ان



تكون عوضا عن كلامى فيكون أكل الميتة احب الى من اخذها .

ثم نهض فخرج من عنده فلما كان من الغد بعث اليه فأحضره ، فلما دخل عليه قال : يا ابا حازم عظنا عظة ننتفع بها ، فقال ان هذا الامر لم يحصل اليك الا بموت من كان قبلك ، وهو خارج عن يدك مثل ما صار اليك ، فبكى سليمان ، وكاد يسقط عن جنبه . فلما افاق ، قال : ارفع الى حوائجك يا ابا حازم . قال هيهات انى قد رفعتها الى من لا تحجب دونه الحوائج ، فما اعطانى منها قنعت ، وما منعنى منها رضيت وذلك انى نظرت الى هذا الحال وهذا الامر فاذا هو على قسمين احدهما لى والاخر لغيرى اما ما كان لى فلو احتلت فيه بكل حيلة ما وصلت اليه قبل اوانه الذى قدر لى فيه ، واما الذى لغيرى فذاك لا طمع فيه ، وكما منع غيرى من رزقى كذلك منعنى انا رزق غيرى ، وانصرف فما برح سليمان بعد ذلك مستضعفا حتى مات .

المنصور والاوزاعى

ومن كتاب المنهج المسلوك ايضا حكى ابو القاسم عبدالعزيز بن حسن باسناده ان امير المؤمنين المنصور بعث الى الاوزاعى وهو بالساحل فأحضر عنده فلما استقر به المجلس قال له المنصور : ما الذى ابطأ بك عنا يا اوزاعى ؟ قال وما الذى تريد منى يا امير المؤمنين ؟ قال : اريد الاخذ عنك والاقتباس منك قال يا امير المؤمنين . انك لا تجهل شيئا مما اقول ، قال وكيف لا اجهله وانا أسأل عنه قال يا امير المؤمنين انك تسمعه ولا تعمل به قال فصاح به الربيع واهوى بيده الى السيف فانتهره المنصور وقال هذا مجلس مثوبة لا مجلس عقوبة قال فصاح الاوزاعى رحمه الله تعالى : يا امير المؤمنين حدثنا مكحول ابن عطية قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أى عبد جاءته موعظة من الله فى دينه فانها نعمة من الله تعالى سيقت اليه فان قبلها شكره والا كانت حجة من الله عليه يزداد بها اثما ويزداد بها عليه سخطا » .

وقد بلغنى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : أيما وال بات غاشا لرعيته حرم الله عليه الجنة ، يا أمير المؤمنين من كره الحق فقد كره الله تعالى ، لان الله هو الحق المبين . يا أمير المؤمنين ان الذى لين لك قلوب الامة ، حتى ولاك امورهم ، لقرابتك من نبيه صلى الله عليه وسلم ، فحقيق ان تقوم له فيهم بالحق ، وان تكون فيهم بالقسط قائما ، ولعوراتهم ساترا ، فلا تغلق عليهم وعليك الباب ، ولا تقم عليك دونهم الحجاب وابتهج بالنعمة عندهم ، وتأذ لما اصابهم من مكروه . يا أمير المؤمنين ان اشد الشدة القيام لله بحقه ، وان اكرم الكرم عند الله التقوى ، وان من طلب العزة بطاعة الله رفعه الله واعزه ، ومن طلبها بمعصية الله وضعه الله تعالى واذله ، وهذه نصيحتى اليك والسلام عليك ورحمة الله .

قال فلما سكن عن المنصور البكاء رفع راسه اليه وقال : يا اوزاعى قد قلت وانت غير متهم فى نصحك ، وقد سمعناه منك ، وصادف قبولا ان شاء الله تعالى والله الموفق للخير والمعين عليه . يا ربيع أدِّ للاوزاعى ما يستعين به على زمانه . قال يا أمير المؤمنين انى غنى عن ذلك ، وما كنت لابيع نصيحتي بشيء من عرض الدنيا ، ثم ودع المنصور وانصرف الى حال سبيله .

الرشيد وابن عياض

وروى أيضا : أن الفضل بن الربيع قال : لما حج الرشيد حججت معه وبينما انا نائم ذات ليلة اذ سمعت قرع الباب ، فخرجت فوجدته الرشيد، فقلت يا امير المؤمنين لو ارسلت الى اتيتك . فقال : ويحك انه قد حاك فى صدرى شىء ، فانظر لى رجلا أسأله ، فقلت ان ههنا سفيان بن عيينة ، فقال : امض بنا اليه ، فأتيناه فقرعنا عليه الباب ، فقال : من هذا ؟ فقلت اجب امير المؤمنين ، فقال : لو ارسلت الي اتيتك ، فقلت : خذ لما جئناك به يرحمك الله ، فحادثه ساعة ، ثم قال : له أعليك دين ، قال : نعم يا أمير المؤمنين : قال : يا ابا العباس اقض دينه .

ثم انصرفنا من عنده فقال الرشيد : ما اغنانى صاحبك شيئا فانظر لي رجلا أسأله ، فقلت له : الفضل بن عياض . فقال : امض بنا اليه ، فأتيناه فسمعناه يقرأ آية فى كتاب اللـــه تعالى ، وهو يرددها . فقرعت عليه الباب ، فأوجز فى صلاته ، وقال : من هذا ؟ قلت أجب أمير المؤمنين . فقال : ما لي ولأمير المؤمنين . قلت : سبحان الله أما عليك طاعته ، فنزل وفتح الباب ، ثم ارتقى الى الغرفة فأطفأ السراج ، ثمالتجأ الى زاوية ، واخفى نفسه ، فجعلنا نجول عليه بأيدينا ، فسبقت كف الرشيد اليه ، فقال : كف" ما ألينه ان نجا من عذاب الله تعالى . فقال الرشيد : خذ بما جئناك له يرحمك الله .

فقال يا أمير المؤمنين ان عمر بن عبد العزيــز رحمه الله لما ولى الخلافة دعا سالم بن عبد الله ابن عمر ، ومحمد بن كعب القرظى ، ورجاء بن حيان ، وقال انى قد ابتليت بهذا البلاء فأشيروا على ما اصنع . فعد الخلافـــة بـــلاء ـ وانت واصحابك تعدونها نعمة ـ فقال له ســـالم بن عبد الله : ان اردت النجاة غداً من عذاب الله تعالى فليكن كبير المسلمين لك ابا ، وأوســطهم عندك أخا ، وصغيرهم ولدا ، فوقر اباك ، وتحنن على اخيك ، وارفق على ولدك .

وقال له رجاء بن حيان : ان اردت النجاة غدا من عذاب الله تعالى فأحب للمســلمين ما تحب لنفسك ، واكره لهم ما تكره لنفسك ، ثم مت متى شئت .

فهل عندك يا امير المؤمنين مثل هؤلاء القوم من يامرك بمثل هذا الامر ؟ وانى لأقول لـــك هذا ، واخاف عليك أشد الخوف يوم يزل القدم قال فبكى هارون الرشيد بكاء شديدا حتى غشى عليه فقلت له يرحمك الله ارفق بأمير المؤمنين فقال قتلته انت واصحابك وأرفق انا به ، فلما افاق قال زدنى قال يا احسن الوجه انت الذى يسألك الله تعالى عن هذا الخلق يوم القيامة فان استطعت ان تقى وجهك من النار فافعل ، واياك ان تصبح وتمسى وفى قلبك غش لرعيتك ، فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من اصـــبح غاشا لرعيته ، لم يرح رائحة الجنة .

قال : فأشتد بكاء هارون الرشيد . فلما أفاق قال : هل عليك دين ؟ قال : علي دين لربى لم يحاسبني عليه ، فالويل لي ان حاسبني ، والويل لي ان لم يلهمني حجتى . فقال : انما أردت دين العباد . قال : لا فان ربى لم يأمرنى بذلك ، بل امرني أن أصدق وعده ، وأطيع أمره . فقال تعالى « وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون . ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون . ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين » . فقال هارون الرشيد : هذه ألف دينار خذها وأنفقها على عيالك وتقو بها على عبادة ربك فهى عن وجه حل . فقال : سبحان الله : أنا ادلك على النجاة ، وانت تدعوني الى النار .

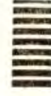
ثم سكت فلم يكلمنا ، فخرجنا من عنده ، فلما صرنا على الباب سمعنا امرأة من نسائه تقول : يا هذا قد ترى ما نحن فيه من الضائقة وسوء الحال ، فلو قبلت منه هذا المال لتقوينا به على زماننا ، فقال لها : انما مثلى ومثلكم كقوم لهـم بعير يأكلون من كسبه : فلما كبر وعجز عن الكسب نحروه وأكلوا لحمه .

فلما سمع الرشيد قال : يا فضل ادخل بنا اليه ، فلعله يقبل منا هذا المال ، فلما دخلنا عليه ، وأحس بنا ، خرج فجلس على السطح على التراب. فجلس الرشيد الى جانبه ، وجعل يكلمــه فلم يجبه ، فخرجت جارية وقالت يا هذا قد آذيت الشيخ منذ الليلة ، فأنصرف عنه يرحمك الله . فلما خرجنا من عنده قال لي الرشيد : اذا دللتني فدلنى على مثل هذا الرجل ، فهذا يوم وليلة من أشرق الايام والليالي . رحمة الله عليهم اجمعين.

وفى سيرة الامام مالك بن انس انه لما حج الرشيد زار المدينة المنورة واراد ان يسمع الحديث عن الامام مالك بن انس ، فأرسل يستقدمه ، فقال مالك للرسول . « قل لأمير المؤمنين ان طالب العلم يسعى اليه ، اما العلم فلا يسعى الى احد » فأذعن الخليفة وزار مالكا فى داره ، ولكنه امر ان يخلى المجلس من الناس ، فأبى مالك الا أن يظل الناس كما كانوا وقال : اذا منع العلم عن العامة فلا خير فيه للخاصة .

وقد ورد فى العقد الفريد للملك السعيد مواقف مشرفة جدا للقضـــاة فى العهد العباســي ، فكان القاضى منهم اذا لم يذعن له خليفة أو أمير ، فانه يختم قمطره (ملفاته) ويلزم بيته ، الى ان يذعن

مواقف خالدة
بين العلماء والخلفاء



ذلك الامير او الخليفة ، فيحضر مجلس القضاء ، ويرضى بالحكم وينفذه ، مما يدل على عزة نفوس القضاة وجرأتهم .

وقد يقول قائل ان خلفاء الاسلام والامراء كانوا يعظمون علماء الدين ، وهذا ما كان يطمع العلماء بالجرأة عليهم ، الا ان الامر لم يقتصر على الخلفاء فقد وقفوا مواقف جريئة من هولاكو والقازان وتيمورلنك كان فيها القضاء على حياتهم .

تيمورلنك والراميني

وقد كان من ابرزها واظهرها حكاية الراميني مع تيمورلنك ، فقد ورد في شرح منظومة الآداب للشيخ محمد السفاريني ، أن تيمورلنك حينما دخل دمشق صار يحرج العلماء بالاسئلة ، فطلب منهم الافتاء بان يفتوا بأن فضيلة النسب مقدمة على فضيلة العلم بلا ارتياب ، فتقاعسوا وأحجموا ، فأبتدر بالجواب الامام شمس الدين بن مفلح الراميني فقال . « درجة العلم أعلى من درجة النسب ، ومرتبتها عند الخالق والمخلوق أعلى الرتب ، والهجين الفاضل ، يقدم على الهجين الجاهل ، ثم اخذ القاضي شمس الدين في نزع ثيابه مصححا لتيمورلنك ما يصدر من جوابه ففكك أزراره ، وقال لنفسه انما انت اعارة ، وكأس الموت لا بد من شربها ، فسواء ما بين بعدها وقربها ، والموت على الشهادة من افضل العبادة ، وافضل احوالها لمن علم انه الى الله صائر كلمة حق عند سلطان جائر .

فقال له تيمورلنك : ما حملك على نزع ثيابك ، فقال له الشيخ بذلا لنفسي في سبيل الله ، صابرا لعقابك ، فقال له : قد وسعك حلمنا فلا تعدم سلمنا . فقال له : أيها السلطان الجليل . حيث مننت بالحلم فليكن الامان مصحوبا بالتفضيل من صولة بعض العسكر .

علماء الأزهر

وفي عهد المماليك اظهر علماء الازهر الاعاجيب ، فقد كانوا يؤلبون العامة على سلاطين المماليك ، ويفتون بعدم طاعتهم ، اذا كان السلطان ما يزال مملوكا لم يعتق ، وعبثا كانوا يحاولون ارهابهم بالقوة او بالاغراء بالمال . وقد وردت امثال ذلك في تواريخ عهد المماليك المفصلة . من اهمها وابرزها مواقف الامام ابن تيمية .

عز الدين بن عبد السلام

ومن مآثر شيوخ الازهر في القديم الاعتداد بأنفسهم وبدينهم كما حدث للشيخ عز الدين بن عبد السلام مع بعض امراء الدولة الذين كانوا ارقاء للسلاطين ، يتولون الحكم باسمهم . فقد تولى الشيخ القضاء وحكم على بعض هؤلاء الامراء ببيعهم ... لانه لم يثبت عنده أنهم احرار ، وما داموا ارقاء فيجب ان يباعوا ، ويضاف المال الذى يباعون به الى بيت مال المسلمين .. ولما سمع هؤلاء الامراء بذلك عظم الخطب عندهم .. وكان من بينهم نائب السلطنة فأستشاط غضبا ، واجتمع بهؤلاء الامراء ، واستقر رأيهم على ان يرفعوا الامر الى السلطان. ثمارسل نائب السلطنة الى الشيخ عز الدين يسترضيه ويلاطفه ، فلم ينثن الشيخ عن رأيه . وهنا ثار النائب وقال : كيف ينادى علينا هذا الشيخ ليبيعنا ونحن ملوك الارض ، والله لاضربنه بسيفي هذا . وقام النائب بنفسه في جماعة من رجاله ، وقصد الى بيت الشيخ ، والسيف مسلول في يده ، فطرق الباب ، ففتح له بعض اولاد الشيخ ، ثم عادوا يخبرون والدهم بالامر ، فما اكترث الشيخ ، بل خرج لمقابلة النائب الذى بهت حين رأى الشيخ يخرج اليه هادئا ثابتا لا يحمل سلاحا ، واعترت النائب رعشة مفاجئة ، فيبست يده وسقط منها السيف .

الشيخ السنباطي

وشبيه بهذا الموقف ما بلغنا عن الشيخ شهاب الدين احمد عبد الحق السنباطى ، فانه تصدى

لداود باشا وكان اذ ذاك واليا على مصر ، وصرخ في وجهه قائلا : انك رقيـــق لا يجوز ان تتولى الاحكام ، وان احكامك باطلة ما لم تحصل على عتقك من السلطان ، فهم الوالى بضرب الشيخ بالسيف ، فانحاز الجند المحيطون به الى جانب الشيخ ، وخذلوا السلطان ، فرفع داود باشـــا امر هذه الواقعة الى السلطان، فانعم عليه بالعتق، وارسل للشيخ يبلغه التحية والشكر . ثم حاول ان يقدم اليه هدية ، فرفض الشيخ ان يقبل منه مالا او هدايا ، ومن يومها اصبح الوالى لا يرفض للشيخ رأيا ولا يرد له شفاعة .

الشيخ آلباجورى والشربينى

ولعل من أعظم الدلائل على تعظيم شيوخ الازهر ان المغفور له عباس باشا الاول كان يزور حلقة درس الشيخ ابراهيم الباجورى ـ شيخ الازهر اذ ذاك ـ فلا يقوم الشيخ له . ثم يختار عباس باشا مقعدا من الجريد يجلس عليه بجوار حلقة الدرس ، ثم يقبل يد الشيخ عند الانصراف من درسه ، وكان الشيخ الشربيني شيخا للازهر فى اوائل هذا القرن ، وكان ورعا تقيا عالما فحلا ، لقب فى زمانه بامام الشافعية ، لم يقبل المشيخة الا بعد رجاء شديد من اولى الامر . ومما اثر عنه أنه دعى يوما لتناول طعام الافطارفى قصر المغفور له الخديو عباس ، فتابى كثيرا عن اجابة هذه الدعوة، ثم قبلها اخر الامر ، مشترطا ان يكون تناولـه الطعام على وضع خاص ، ولما دنا الموعد ، ركب الشيخ بغلته ، وذهب الى قصر عابديـن ، ثـم جلس مع فريق من المدعوين ، وحين بدأوا يتناولون الطعام ، نشر الشيخ منديلا كان معه على المائدة وبه طعامه الذى استحضره معه من منزله ، ووضع بجانبه قلة ماء ، فاكل وشرب ، ثم خرج مودعـا اطيب توديع من رجال القصر ، ومن ولى الامر .

الشيخ حسن الطويل

ومنهم ايضا ذلك الرجل العظيم الشيخ حسن الطويل .. كان رحمه الله يدرس بعض دروس الفلسفة والدين بمدرسةدار العلوموكانت المدرسة اذ ذاك تستعد لزيارة الخديو ، فأشـار ناظـر المدرسة المغفور له ابراهيم مصـطفى بك على الاستاذ ان يتزيا بلباس يليق بسمو ولي الامر . فأخذ الشيخ معه جبة وقفطانا فى صرة ، وذهب بهما فى اليوم المعين الى المدرسة دون ان يلبسهما . ومر الخديو على غرفة الاستاذ فاستمع اليه ، وسر من بيانه ، وغزارة علمه ، ولكنه لاحظ خجلا باديا على ناظر المدرسة ، كما لاحظ وجود الصرة بجانب الشيخ . فلما سأل فى ذلك ، قال الشيخ قولته التي أثرت عنه . « ان كنتم تعظمون حســن الطويل » ، فها هو ذا ، وان كنتم تعظمون ثيابه فها هي ذى ، ونشر الشيخ ثيابا جديدة .

الشيخ ابو الفضل وثورة ١٩١٩

ولعل القصة التالية تبين مبلغ شجاعة شيوخ الازهر وحرصهم على اعزاز الدين الاسلامي . كان الازهر فى عام ١٩١٩ مهد الثورة المصرية ، وفى تلك الايام اراد القائد ولسون قائد القوات الانجليزية الاتصال بشيخ الازهر فى ذلك العهد وهو الشيخ ابو الفضل . فقصد اليه الشيخ ومعه مدير الازهر الشيخ عبد الرحمن قراعة والشيخ شاكر من كبار العلماء ، وتكلم قائد السلطة فوجه الى الشيخ ابى الفضل كلاما ينطوى على تهديد قائلا : « ان الازهر اصبح مبعث قلق لنا ، لان الثائرين يلوذون به ، وذلك لا يمكننا من القبض على ناصية الامر ، ولذا فنحن نرى غلقه » ، فأهتاج الشـيخ غاضبا ثم قال له . « ان الازهر ليس لمصر وحدها ، بل لجميع المسلمين عامة » . ثم لـوح للقائد بيده بعنف ، وقال للقائد « أغلقوه انتم ان استطعتم ولن تستطيعوا » . وجمع الشيخ ثيابه بيديه ، وخرج غاضبا والقائد ورجالـه ينظرون اليـه مندهشين مبهورين ، دون ان يسـتطيعوا كلاما .

هؤلاء هم شيوخنا القدماء الذين صدق فيهم قول الشاعر :

ان الاكابـــر يحكمـون على الـــورى
وعلى الأكابـــر تحكــم العلمــــاء

خواطر في الإسراء

وفي جلوة الأسراء طوفتُ بالدنـــا … وطافت بى الذكرى لشَعْب تَحطَّمَا

فَمِن حَول بيت الله أحداث أمَّــة … ومِنْ حول بيت القُدْس شر تَحكَّما

ومِنْ حولنا نَلقىَ بَقايا لأمَّــــة … بها أيمٌ تَسْعَى وطفلٌ تَيتمَّـــا

وأقسى وأقسى أن يجدّ زمانُنـــا … ونَهزِلُ قبلاً ثم نَنْماعُ بعدمـــا

تُطالعنا الأحداثُ في كل ساعـــة … وتسمعنا الأخبار كم أهدروا دَمَـــا

ألا للدم المطلُول ياصحبُ قَوْمَـــةٌ … تُنير لنا جَوا من الليل أظلمــــا ؟

وهل لأولاء اللاجئين .. أخو وفـــا .. … يُعيدُ هناك العَيْشَ أرْغَدَ أنْعَمَـــا

بَني العُرْبِ ..دِينُ العُرْبِ بذل وعِزَّةٌ … وكُلُّ ذَليلٍ .. لا أُسَمِّيه مُسْلِمَا

بنى العُرب.. هل يَدعوالى السلم ظَالِمٌ؟ … إذا لم يكن يرجو من السلْم مَغْنَمَا .

إذا مَلَكَ البَاغِي فلا العَدْلُ قائـــمٌ … ولا أنت ترجو في حماه التَّقَدُمَـــا ..

ولن تَصلُحَ الدنيا إذا بَاتَ أمرُهَـــا … على عاتِق « الصهيون » نَهْبا مُقَسَّمَا .

وسوف نَرَى فيها الدماَءَ غَزِيـــرَةً … وسوف نرى فيها البلاء المُجسَّمَـــا

سراى

للاستاذ محمود جبر

أحبَّاءَ قلبي هَلْ إلى اللهِ رَجْعَةٌ ... تزيل سحاباً في العروبةِ خيَّمَا ؟
فلا الرقْصُ مَمْنُوعٌ..ولاالنكرُ حَرمُوا ... ولا شاربُ الخمر البَغيضَةِ أحْجَمَا
ولا وازعٌ لِلدِّينِ يُرْهِبُ فَاجِراً ... ولا صَوْلَةُ القانُونِ تُرْدِعُ مُجْرِمَا
جَعَلْنَا كِتَابَ اللهِ فينا تَمَائِماً ... وأصْبَحَتِ الآياتُ .. لحْناً مُنَغَّمَا
وَسودتُ بالأشعارِ كُلَّ صحائفي ... فلم أغْنِ بالأشعار في النَّاسِ مُعْدِمَا
شَقيتُ بأحساسي وبُؤتُ بحسرتي ... ولي مضغتان اليوم أمرى اليهما
ولِلْعُربِ آمالٌ ولِلْدينِ مَطمحٌ ... وكُلٌّ أحاديثي تَدُورُ عليهمَا
ولا زَال بين القُطْرِ والقطْرِ حاجِزٌ ... فواصلُ أمْلاهَا العَدُو وَحَتَّمَا
أخلاَّيَ ما أمْرِي سوى أمر شاعر ... ومن قبلُ عاشَ الشاعرُ الفَذُّ مُلْهَمَا
فان صُغْتُ أوراداً فقد بتُّ زاهداً ... وان ثُرْتُ ياصَحْبي فللدين والحِمَا ..
أخلاَّيَ عَهْدُ الفاتِنَاتِ قد انقضى ... فهاتوا .. لهذا الشرق .. نسرًا وضَيْغَمَا

الإسلام والمسلمون في امريكا

للدكتور محمد عبد الرءوف
مدير المؤسسة الاسلامية فى نيويورك

سألني زميلى الأستاذ رئيس التحرير أن أكتب له عن الاسلام والمسلمين فى امريكا ، وكنت قد تسلمت عملي الجديد للمؤسسة الاسلامية بمدينة نيويورك فى شهر رمضان الأخير ، فطلبت اليه ان يمهلني قليلا كي أنظر الأحوال والشؤون عن كثب ، وانفعل بالانطباعات عن المسلمين بالعالم الجديد ماضيهم وحاضرهم وامانيهم . وهانذا وقد مضى علي ستة اشهر بينهم أستعين الله تعالى فاكتب فى الصفحات التالية ما أرجو أن يكون تصويرا صحيحا لوضع الاسلام والمسلمين ، مبشرا بما يرجى ان يكون للاسلام من مجد فى مستقبل هذه الدنيا الحديثة ان شاء الله .

وكأنني بالقارىء العربى الكريم يتساءل : متى قدم الاسلام الى بلاد أمريكا ، وكيف ينتشر بها ؟ والى أى مدى يتيسر للمسلم أداء شعائره وواجباته الدينية فى هذا البلد الصاخب الذى يشتد فيه نفوذ المادية والالحاد ؟ وما هو عدد المسلمين ، وفى أى المناطق يكثرون ، وهل لهم منظمات ترعى مصالحهم وتدبر شؤونهم الاسلامية ؟ ثم هل هناك ما يساعد أو ما يعوق طريق الاسلام فى انتشاره بين السكان فى أمريكا ؟ .

هذه هي النقاط التي سأحاول نقاشها ، والأسئلة التي أستعين الله فى الاجابة عليها .

وانى لأوثر ان أبدأ بالحديث عن الصعاب التي تقف فى طريق الاسلام فى المرحلة الحاضرة التي يمكن اعتبارها مرحلة الاعداد والتمهيد لمرحلة تأتي بعدها ، أعنى مرحلة الانتشار والاستقرار . وانما أوثر أن أبادر بهذا الموضوع لأن شرحه أول الأمر يجعل ادراك ما يلي ايسر واوضح .

ومرحلة الاعداد والتمهيد هذه مرحلة لا بد منها فى حالة انتشار الدين عن طريق السلم بصفة خاصة ، وهي مرحلة طويله وشاقة تشبه ما حدث فى حال انتشار الاسلام ببلاد الشرق الأقصى ، ففي هذه المرحلة يتم الالف والاعتياد ، ثم الرغبة والميل ، ويأتى بعد ذلك البحث والفحص ثم الايمان والاعتقاد . غير أن حال هذه المرحلة فى أمريكا يختلف عن حالها فى بلاد الشرق الأقصى من نواح عدة .

ففي الحالة الأخيرة كان المسلمون الوافدون الى بلاد الشرق ذوى ثقافة أعلى وحضارة أسمى ، وضربوا بحسن سلوكهم ، وسمو أخلاقهم ، ورواج تجارتهم مثلا طيبة لأبناء البلاد ، مما بعث على تقديرهم واحترام ما لديهم من دين وثقافة .

أما القادمون الى أمريكا فى العصور الحاضرة فينظر اليهم على أنهم قادمون من بلاد أقل حضارة ، وأدنى تقدما وعمرانا من البلد الذى وفدوا اليه .

ثم انهم ـ للأسف ـ ليسوا فى الأعم الأغلب على درجة من الخلق والكرامة بما يبعث على محبتهم ، ويحمل على احترام دينهم ، بل ان كثيرا منهم يتصرف على عكس ما هو معروف بأنه من تعاليم الاسلام ومبادئه ، كشرب المسكر علنا ، وتقليد الغربيين فى الاختلاط وما يتصل به ، وكثيرا ما يختصمون ويختلفون ، وينالون من أعراض بعضهم البعض بشكل يضيع الهيبة ، بل يبعث على النفور والاحتقار ! .

وانك لتراهم يكونون نواديهم ، ويؤسسون جمعياتهم تحت عناوين عنصرية أو قومية لأغراض اجتماعية او سياسية .

والاسلام فى أمريكا فى امس الحاجة الى المنشآت والمؤسسات والمكتبات والمساجد المنظمة النشيطة الناجحة ، كي يظهر بشكل يبعث على الاحترام والتقدير ، ويستطيع أن يبرز محاسنه ومميزاته . كل ذلك بحاجة الى غير القليل من المال والوقت والجهد ، وقليل من هؤلاء ، حتى ممن وسَّع الله عليه فى الرزق ، من يجود عن سعة لاغراض اسلامية دينية .

ومن العوائق التي تقف فى طريق الاسلام هنا قوة نفوذ اليهود ، وسيطرة الصهيونيين ، وخاصة فى بلد مثل مدينة نيويورك ، التي تعتبر أعظم معقل للصهيونيين ونشاطهم ، ويعمل اليهود جهدهم وبكل الوسائل ـ بما فى ذلك المكايد الخفية الماكرة ـ فى الدعاية ضد الاسلام ، ويستخدمون فى ذلك ما بيدهم من قوى المال والدعاية ، وذلك لما يعلمون من أن مجد الاسلام هو مجد للعروبة ، ويستغلون فى ذلك الخلافات السياسية ، وما بين البلاد الاسلامية ، أعنى بعض حكوماتها من خصومات أو منازعات .

والنفوذ الصهيوني فى نيويورك يتغلغل فى جميع المؤسسات والهيئات ، ومكاتب الحكومة والمصانع مما يجعل حياة المنظمات الاسلامية فى مثل هذه البيئة محفوفا بغير القليل من المتاعب والمصاعب ، ومما يحمل بعض المسلمين على أن يتسموا بأسماء غربية مسيحية ، بدلا من الأسماء العربية الاسلامية ! كي يخفوا حقيقة دينهم . على أنه اذا ظهرت حقيقة دينهم فكثيرا ما يتعرضون للفصل من وظائفهم أو الاساءة اليهم فى أعمالهم !!

وهناك عامل آخر لا يقل عما ذكرنا مساءة للاسلام وسمعته ، وهو ما دسه المؤلفون الغربيون عن الاسلام ونبى الاسلام منذ التقى الصليب والهلال فى العصور الوسطى ، فكتب قديسو المسيحية اتهامات مجحفة عن ديننا الحنيف ونبينا الكريم . وجاءت بعدهم الأجيال من المستشرقين فدلسوا وزوروا ، ووجدت هذه الاتهامات الظالمة المغرضة طريقها الى الكتب المدرسية التي يدرسها ملايين الطلاب والطالبات فى مختلف المواد الدراسية كالتاريخ ، فتجدها مبعثرة متفرقة يتلقاها الطلاب بالقبول ، فتؤثر عليهم فى حياتهم الغضة

الناشئة ، وتغرس فى نفوسهم فى وقت مبكر حقدا وكراهية للاسلام وأهله .
وانك ان سألت الرجل العادى عن الاسلام فلا يكاد يعرف عنه غير أنه دين يبيح تعدد الزوجات ، وهو أمر ممقوت فى نظر الغربيين العاديين ، وأن محمدا صاحب هذا الدين كان رجلا شهوانيا يحب النساء ، وسمح لنفسه بما حرمه على أتباعه ، فتزوج من اثنتى عشرة امرأة جمع بين تسعة منهن ، وانه حمل الناس على اتباع مذهبه الذى نقله عن معلميه من اليهود والنصارى بقوة السيف والارهاب ! ! .

ولقد كان هناك الى عهد قريب تمثال للرسول العظيم بين تماثيل العظماء فى احد المتاحف بأحد الميادين الكبرى بمدينة نيويورك يصور محمدا كرجل كثيف اللحية ضخم الكتفين باحدى يديه كتاب وبالأخرى السيف ! وانما أزيل هذا التمثال بعد احتجاج سفارات البلاد الاسلامية لدى حكومة الولايات المتحدة عام ١٩٥٥ (١) وفى كتاب أصدرته السلطات الطبية أخيرا وتوزعه بالمجان مشتملا على نصائح خاصة بشأن أمراض الاغماء والصرع ظهرت صورة لمحمد « صلى الله عليه وسلم » مع سقراط وآخرين ممن قيل انهم كانوا مصابين بنوع من أنواع الصرع (٢) ، وذلك لزعم بعض الكتاب المعادين أن ما نعتقده نحن المسلمين من اتصال سماوى ، مما كان يحدث للرسول عليه السلام عند تلقى الوحي كان حالة من حالات الصرع ! .

وليت شعرى ! انهم ليذكرون أن المريض بالصرع يفقد شعوره وأحاسيسه تماما أثناء نوبات الصرع ولا يتألم بحال مما يحدث له ونحن نعلم أن ما كان يعتور رسول الله صلى الله عليه وسلم عندما كان يتنزل عليه الوحي ، ما كان يفقده شعوره ، بل كان الرسول عليه الصلاة والسلام يحتفظ بانتباهه تماما عارفا بما يلقى عليه ، وكان عقب تلقى الوحى يلقى على أصحابه ما تعلمه من ربه سبحانه على يد أخيه جبريل عليه السلام .

ثم ما هذه الضجة التي يثيرونها حول تعدد الزوجات فى الاسلام ؟ وهل هي الا مجرد اباحة للرجل عند الاستطاعة والعدل أن يؤسس أكثر من أسرة واحدة ؟ أليس ذلك خيرا من تلك الاباحية الممقوتة السائدة فى بلاد الغرب ، حيث يولد كل عام مئات الآلاف من الأطفال غير الشرعيين ، الى غير ذلك من أنواع الفساد والجنس المخزية الشاذة المتفشية بين الذكور والاناث ، مما لا نسمع عنه فى المجتمع الاسلامي الا حيث يفشو التقليد الغربي الممقوت ! وأين لهم أن ينالوا من شخصية الرسول الأكرم وهو لم يتزوج بغير واحدة حتى زاد عمره على الخمسين ، وانما عدد الزوجات فيما بعد اتباعا لسنة اجتماعية سائدة ، ومراعاة لأسباب سياسية خاصّة وما تزوج عليه السلام بعد تحريم الزيادة على الأربع ، وانما استثنى شخصه عليه السلام من فراق من زاد على الأربع من أمهات المؤمنين رضى الله عنهن مراعاة لمشاعرهن ، وجبرا لخاطرهن ولحرمتهن على غير الرسول اذا هو فارقهن ، وما كان لهن من عامل الجمال والشباب ما يغرى بالابقاء عليهن اذا استثنينا السيدتين زينب وعائشة .

ودعوى أن الرسول نشر دينه بالسلاح والبطش صادرة عن الجهل بالحقائق التاريخية ، وما حمل الرسول ولا أصحابه السيف من أجل السيادة ، ولا من أجل نشر الدعوة ، ولقد أمر أن يدعو

---

(١) وفى كتاب صدر عام ١٩٦٢ بعنوان « الاسلام والغرب » ظهر على الصفحة ١٣٥ رسم يظهر الرسول الكريم بشكل يشبه هذا ، فى يمينه سيف وبيساره القرآن ومعلق فى عنقه تميمة وعلى رأسه قاوون ! ويستعرض الكتاب تطور أفكار الغربيين عن الاسلام ، ولعل الفرصة تسنح لنا للكتابة عنه ان شاء الله .

(٢) كتبنا الى الجهات المعنية طالبين حذف الصورة فى الطبعات التالية للكتاب مراعاة لشعور المسلمين ومحتجين على هذا الخطأ ، فردوا ردا جميلا .

الى ربه بالحكمة والمنطق والموعظة الحسنة، واعلن الكتاب الذى نزل عليه أن لا اكراه فى الدين . ومكث عليه السلام ثلاثة عشر عاما بمكة يدعو الى ربه معرضا هو ومن آمن بدعوته لأذى قريش وتعذيبهم لا يحمل سيفا ولا سكينا ، حتى أنه لما اعتزل قريشا وهاجر الى المدينة واصل العدو عدوانه ، وحمل على الاسلام والمسلمين بالمدينة بجيوشه الجرارة وأسلحته القاتلة ، فاضطر الرسول عند ذلك (١) لحمل السيف لا ليكره الناس به على قبول الدعوة ، وانما ليدفع به الأذى عن نفسه وعن دينه .

وفى المعارك الأولى التي خاضها الرسول خرج العدو من بلده وحارب الرسول فى الطريق الى المدينة أو بالقرب منها مما يدل على أنه عليه السلام كان ضحية العدوان فى كل حالة ، وخروجه يوم الفتح الى مكة فى العام الثامن للهجرة كان بسبب غدر قريش للمعاهدة التي عقدوها معه يوم الحديبية ، بل ان استعداده لملاقاة الروم والحروب التي حدثت بعد انتقاله صلوات الله عليه الى الرفيق الأعلى ما كانت الا ردا على تحرش الرومان والفرس بالدين الجديد ، فلقد كانت هاتان الامبراطوريتان تخشيان بأس العرب حتى وقت تفرقهم الى قبائل متعادية ، وانشأت دولة الروم مملكة من عرب الغساسنة بالشام ، لتحمى حدودها من غارات العرب ، كما أنشأت دولة الفرس مملكة بالحيرة من عرب المناذرة لتحميها من غارات عرب الصحراء . فلما اتحد العرب تحت راية الاسلام فزعت كل من الامبراطوريتين وبيتت للاسلام شرا ، فبادر المسلمون بلقائهم فى عقر دورهم . وما انتشر الاسلام بهذه الحروب مباشرة ، وانما آمن به الناس لسلامة مبادئه وسمو تعاليمه ، على أن دخولهم فى الاسلام كان عملية طويلة استغرقت دهورا طويلة ، ولم تتم عقب الانتصارات المسلحة .

وبالاضافة الى هذه الشبه والاتهامات الباطلة فان الاسلام يواجه مشكلة خاصة بأمريكا ترجع الى واقع المجتمع الأمريكي وتكونه من ملونين وغير ملونين . ففي الولايات المتحدة الامريكية مثلا ــ ويقرب عدد سكانها من مائتي مليون نسمة ــ يوجد نحو عشرين مليون نسمة من الزنوج الذين جلب أسلافهم من افريقيا فى القرون الماضية كعبيد للخدمة بالأراضى والمصانع . وسائر السكان ــ ما عدا القليل من الهنود الحمر ــ من أصل أوروبى أبيض، وبين الزنوج والبيض كراهية وأحقاد متبادلة .

والاسلام يغرى البيض بحجته ومنطقيته ويغرى الزنوج ببساطته وعدالته ، وكسب الأبيض للاسلام صعب لما يسوء من أفكار ظالمة عن الاسلام ، غير أنه لو أن عددا من البيض ــ وهم ذوو السلطان والنفوذ ــ اسلم وانتصر للاسلام لكان للاسلام مستقبل باهر عظيم ، واسلام الزنجي أيسر غير أن بعض الزنوج ــ كما سنرى ــ استغلوا دعوة الاسلام للمساواة والعدل لأغراض سياسية وبطريقة خاصة من شأنها أن تزيد من تشويه حقيقة الاسلام وتزيد منه نفورا .

هذه هي بعض العراقيل التي يواجهها ديننا الحنيف فى العالم الجديد ، ولكن لعل الله يجعل من الضيق فرجا ، ومن العسر يسرا ، والى اللقاء فى المقال الآتي حيث نتحدث عن مجىء الاسلام الى امريكا ان شاء الله .

---

(١) وارسال الرسول السرايا عقب الهجرة ما كان لغرض الانتقام من أهل مكة ولا استفزازا لهم كما زعم ذلك بعضهم ، والا كان ذلك مجازفة منافية للحكمة فى وقت لم يستقر فيه الوضع بعد فى المدينة ، ويحيط بالاسلام أعداؤه من يهود ومنافقين ، والذى نراه هو أن الرسول عليه السلام كان يعرف بفطنته وذكائه أن قريشا لن تتركه وشانه يعظم أمره : ويزداد خطره بالمدينة فى طريق القوافل الى الشام . فكان يرسل السرايا لاستطلاع ما قد يكون لقريش من تحركات خفية حتى لا يؤخذ المسلمون على غرة .

مائدة القارئ

سرعة بديهة

خطب قتيبة بن مسلم على منبر خراسان عندما قدمها واليا ، فسقطت العصا من يده ، فتطير من ذلك ، فقام بعض الاعراب ، فمسحها ، وناوله اياها ، وقال : أيها الامير ليس الامر كما ظن العدو ، وساء الصديق ، ولكنه كما قال الشاعر

فألقت عصاها ، واستقر بها النوى
كما قر عينا بالاياب المسافر

فسر الامير ، وأمر له بجائزة .

الشعر الابيض

قدم نصيب الشاعر على عبد الله بن جعفر الطيار ، وكان نصيب أسود اللون فانشد بين يديه :

الفت (نعم) حتى كانك لم تكن ... عرفت من الاشياء سوى نعم
وعاديت (لا) حتى كانك لم تكن ... سمعت بلا فى سالف الدهر والامم

فقال له عبد الله : ما حاجتك ؟
قال : هذه رواحلى تميرني عليها .
قال : انخ انخ ، ثم أوسقها له برا وتمرا وثيابا ، وعشرة آلاف درهم ،
فقيل لعبد الله : أتعطى هذا كله لهذا العبد الاسود !
فقال لهم : ان كان هو اسود فان شعره لابيض .

بيت أمير المؤمنين

قصدت امرأة فقيرة عمر بن عبد العزيز تطلب منه المساعدة ، ولما ولجت بيته ادارت بصرها خلاله ، فلم تر فيه شيئا ، فقالت :
لقد جئت لاعمر بيتى من بيت أمير المؤمنين ، فاذا بيت امير المؤمنين خراب!!
فأجابتها زوجة عمر : انما خرب هذا البيت عمارة بيوت الناس .

رحابة صدر

خطب أمير المؤمنين المنصور العباسى يوما ، فأوصى الناس بتقوى الله ، فقام اليه رجل وقال : اذكرك من ذكرتنا به يا أمير المؤمنين .

فقال له المنصور : مرحبا مرحبا ، لقد ذكرت جليلا ، وخوفت عظيما ، وأعوذ بالله أن أكون ممن اذا قيل له : اتق الله أخذته العزة بالاثم ، والموعظة منا بدت ، ومن عندنا خرجت .

صاحب العباءة

نظر معاوية بن ابى سفيان يوما الى النحار بن أوس العدوى وكان جالسا فى ناحية من مجلسه وعليه عباءة ، فظن معاوية أنه من العامة ، ففطن النحار الى أن معاوية يزدريه لمجلسه وعباءته فقال له يا أمير المؤمنين : ان العباءة لا تكلمك ، ولكن يكلمك من فيها ،ومنزلة الرجل أدبه لا ثوبه ثم أنشد يقول : ـ

انى وان كنت أثوابى ملفقة ليست بخز ولا من نسج كتان
فان فى المجد هماتى وفى لفتى فصاحة ولسانى غير لحان

فاكبره معاوية ، ورفع منزلته .

خير البر عاجله

قال جعفر الصادق رضى الله عنه : نظرت الى المعروف فوجدته لا يتم الا بثلاث : تعجيله ، وستره وتصغيره .

فانك ان عجلته هنأته ، واذا سترته تممته ، واذا صغرته عظمته .

صراحة لاذعة

هاجم أحد النقاد كاتبا معروفا ، فشكاه الكاتب الى صديقه قائلا له : هل رأيت كيف هاجمنى فلان ؟

فأجابه الصديق مواسيا : لا تكترث به ، انه ليس الا ببغاء يردد ما يقوله الناس !!

هذا سلاحهم

كان لنساء بنى اسرائيل فى القديم عادة شاذةيستعملنها فى العراك ، فكانت الواحدة منهن اذا رأت رجلا يشتجر مع أخيها أو زوجها أوابنها تهب لنجدته ، فتهجم على خصمها ، وتقبض بيدها فى ضغط على خصيتيه حتى يهلك أويستسلم ؟

فجاءت الاية الحادية عشرة من الاصحاح الخامس والعشرين فى سفر التثنية عندهم تنهاهم عن ذلك وتقول .

« اذا تخاصم رجلان. بعضهما بعضا رجلوأخوه وتقدمت امرأة أحدهما لكى تخلص رجلها من يد ضاربه ، ومدت يدها ، وأمسكت بعورته (؟) فاقطع يدها ، ولا تشفق عينك » .

من الجنة أو من النار

قرأ شخص فى احدى الصحف نبأ وفاته ، فأمسك بالتليفون واتصل بصديق له قائلا : هل اطلعت على الخبر المنشور اليوم عنى .. ؟

فأجابه الصديق : نعم من أى مكان تكلمنى من الجنة أم النار ! .

حظ الادباء

قال رجل لبرناردشو : ان لى سبعة أولاد . منهم ستة يريدون أن يكونوا أدباء والسابع يريد أن يكون صانعا .

فقال شو : ولكن هل من العدل أن يصبح واحد من أولادك مكلفا باعالة اخوته الستة .

قرشها أغلى من حياتها

أعطت الام اليهودية طفلتها قرشا لتشترى شيئا للمنزل ، واذ هى تعبر الطريق دهستها سيارة ألقت بها على الارض ، وأصابتها بجروح ، واحتوى الطفلة اغماء طويل بيد انها ظلت قابضة على القرش فى حركة عصبية عنيدة .. ولما أفاقت وجراحها تنزف وجدت أمها أمامها ، ففتحت يدها المقبوضة ، وبسطتها الى أمها تناولها القرش قائلة .

ـ قرشك يا أمى .. لم أضيعه !!

البطل الشهيد أبو المهاجر دينار

القائد الموهوب، والداعية الغيور

بقلم اللواء الركن محمود شيت خطاب
عضو المجمع العلمي العراقي

توليته افريقية :

أبو المهاجر دينار هو مولى مسلمة بن مخلد الانصارى ، فهو مولى الانصار (١) وكان من التابعين .

ولاه مسلمة بن مخلد الانصارى (افريقية) بعد عقبة بن نافع الفهرى وذلك سنة خمس وخمسين الهجرية (٦٧٤م) ، فقدمها فى هذه السنة (٢) ، فأساء أبو المهاجر عزل عقبة بن نافع وسجنه وأوقره حديدا ، حتى أتاه كتاب من معاوية بن أبي سفيان بتخلية سبيله وأشخاصه اليه .

وكان قد قيل لمسلمة بن مخلد : « لو أقررت عقبة، فان له جزالة وفضلا »، فقال مسلمة: « ان أبا المهاجر صبر علينا فى غير ولاية ولا كبير نيل ، فنحن نحب أن نكافئه » ، فلما قدم أبو المهاجر (افريقية) ، كره أن ينزل فى الموضع الذى اختطه عقبة بن نافع ، ومضى حتى خلفه بميايين ، فابتنى ونزل ، وبذلك هُجرت مدينة (القيروان) التى ابتناها عقبة لفترة من الزمن امتدت حتى عاد عقبة الى منصبه فى (افريقية) سنة اثنتين وستين الهجرية (٣) .

---

(١) وقيل انه مولى بنى مخزوم .

(٢) الاستقصاء (٧١/١) وفى رياض النفوس (٢١/١) انه وصل الى افريقية سنة سبع وخمسين الهجرية والرواية الاولى أصح ، لانه ليس من المعقول ان يبقى سنتين بعيدا عن منصبه .

(٣) انظر ترجمة عقبة بن نافع الفهرى فى كتاب : قادة المغرب العربي

لقد أخلص أبو المهاجر لمسلمة ، ولكن اخلاصه وحده لم يكن ليؤهله الى تسلم منصب قيادي رفيع في (افريقية) لو لم تكن له مزايا عسكرية وادارية أخرى أهلته لتسنم مثل منصبه الرفيع .

جهاده :

عقد مسلمة بن مخلد لأبى المهاجر على الجيش الذى خرج معه الى (افريقية) وبعد انجاز أبى المهاجر تدابيره الادارية واعداده خطط الفتح ، سار بجيشه الى (قرطاجنه) (١) عاصمة الروم فى شمالى (افريقية) ، لأن الروم كانوا لا يزالون قوة فى ساحل المغرب من (بنزرت) (٢) الى (طنجة) (٣) .

وكان هذا الساحل الخصب المتحضر هو مرتعهم ومواطنهم ، فلا بد من تطهير تلك المناطق منهم ليتخلص المسلمون نهائيا من مستعمرى (افريقية) القدامى وليحولوا بينهم وبين اشاعة التآمر والدس على الفتح الاسلامى .

ونازل أبو المهاجر (قرطاجنة) ، فاستغلقت وتحصنت بالاسوار العالية ، فشدد أبو المهاجر عليهم الحصار . ولما علموا بأن المسلمين لن يبرحوا حتى يحققوا هدفهم بفتح (قرطاجنة) ، طلبوا الصلح ، فصالحهم أبو المهاجر باخلاء جزيرة (شريك) (٤) التى كان الروم يتخذونها دوما مثابة تحتشد جيوشهم فيها قبل مهاجمة المسلمين ، وذلك لكي يتخذها أبو المهاجر قاعدة أمامية لجنوده يرتكز فى عملياته العسكرية عليها ، وبذلك اثبت أبو المهاجر عمليا بأنه ينظر بعيدا من الناحية العسكرية ، فيفضل المواقع السوقية (الاستراتيجية) التى تفيده فى الفتح على المال الذى كان بامكانه أن يفرضه على أهل (قرطاجنة) مقابل اقراره الصلح بين الطرفين .

وفى رواية : ان أبا المهاجر بعث حنش بن عبد الله الصنعانى ـ صنعاء الشام ـ الى جزيرة شريك (٥) ، ففتحها .

وكان هدف أبى المهاجر من فتح جزيرة شريك أن يراقب الروم ويصدهم اذا هموا بالمسير الى المسلمين أثناء غزوه للبلاد ، لأن بامكان قوة الروم المرابطة فى تلك المنطقة أن تهدد بسهولة ويسر خطوط مواصلات ابى المهاجر فى حاله تغلغل قواته غربا وجنوبا .

وسار أبو المهاجر مع الساحل باتجاه الغرب لا يعترض طريقه أحد ، حتى وصل (ميله) (٦) فى الجنوب الشرقى لـ (بجاية) (٧) وتبعد عنها بحوالى خمسين ميلا ، فوجدها مستعدة للقتال،

---

(١) قرطاجنة : بلد قديم من نواحي افريقية ، وكانت مدينة عظيمة شامخة البناء اسوارها من الرخام الابيض ، وهي على ساحل البحر بينها وبين تونس اثنا عشر ميلا . وانظر التفاصيل فى معجم البلدان (٥٢/٧) .

(٢) بنزرت : من موانىء تونس الآن . انظر التفاصيل فى معجم البلدان (٢٩٢/٢) .

(٣) طنجة : مدينة قديمة على البحر وهي من الموانىء التابعة للمغرب الآن .

(٤) جزيرة شريك : كورة بافريقية بين سوسة وتونس . انظر التفاصيل فى معجم البلدان (٩٩/٣) وهي فى الواقع شبه جزيرة .

(٥) هو شريك العبسى وكان احد العاملين على هذه الجزيرة فسميت باسمه ، وشريك هذا هو والد قرة بن شريك عامل مصر المشهور

(٦) ميله : مدينة صغيرة باقصى افريقية بينها وبين بجايه ثلاثة ايام . انظر التفاصيل فى معجم البلدان (٢٢٦/٨)

(٧) بجاية : مدينة على ساحل البحر ، بين افريقية والمغرب من مدن الجزائر الآن انظر التفاصيل فى معجم البلدان (٦٢/٢) .

وكان فيها طائفة من البربر والروم قد تحصنوا بها ، فنازلها أبو المهاجر وفتحها وغنم ما فيها واستقر بها .

كانت (ميله) تتوسط المغربين الادنى والاوسط ، فهى أحسن مكان يراقب أبو المهاجر منه أمور البربر والروم فى تلك الاصقاع ، فجعل أبو المهاجر (ميله) مقره وأقام فيها سنتين ، وكان خلال هذه المدة يتصل بالبربر وينشر فيهم الدين ، ويريهم حقيقة المسلمين .

وكانت الزعامة فى المغربين الاوسط والاقصى لقبيلة (أوربة) (١) لكثرة عددها وغناها وحضارتها ومناعةمواقعها، وكان رئيسها كسيلة بنلزم الاوربي،وكان كسيلة قوى الشخصية ذكى الفؤاد ، غيورا على وطنه ، وكان البربر يجلونه ويحبونه ، وكان نصرانيا متمسكا بدينه. ورأى كسيلة أبا المهاجر فى (ميله) فعلم انه لا بد أن يسير لافتتاحالمغرب الاوسط والاقصى ، فذهب فى المغربين الاوسط والاقصى يدعو البربر لمكافحة العرب ، والاستعداد لحربهم واجلائهم عن البلاد. واستطاع كسيلة أن يجمع جيشا من البربر والروم ، فسمع أبو المهاجر بجمعه فسار اليه .

وكان كسيلة قد عسكر بـ(تلمسان)(٢) فقصده أبو المهاجر ، والتقى الجيشان هناك ، فدارت معركة حامية بينهما ، فانتصر المسلمون وأسر « كسيلة » ، فحمل الى ابى المهاجر ، فأحسن اليه أبو المهاجر وقربه وعامله معاملة الملوك ، وتمكن أبو المهاجر من البلاد وظفر بكسيلة فأظهر الاسلام ، فاستبقاه أبو المهاجر واستخلصه ، وانتهى الى العيون المعروفة بعيون أبى المهاجر ، فهو أول أمير للمسلمين وطئت خيله المغرب الاوسط ، فصالح أبو المهاجر بربر (افريقية) وفيهم كسيلة الاوربى وصالح عجم (افريقية) ، ثم رجع الى (القيروان) وأقام بها .

الشهيد :

رد يزيد بن معاوية عقبة بن نافع الفهرى الى (افريقية) سنة اثنتين وستين هجرية فخرج عقبة سريعا ، فوصل الى (القيروان) مجدا ، وقبض على أبى المهاجر أميرها ، وأوثقه فى الحديد ، وأساء عزله ، وغزا به وهو معه مكبل بالحديد .

وأراد عقبة أن ينهض الى (طنجة) فقال له أبو المهاجر : « ليس بطنجة عدو لك ، لأن الناس قد أسلموا ، وهذا رئيس البلاد ــ يريد كسيله ــ فأبعث معه واليا » ، فأبى عقبة الا أن يخرج بنفسه .

وكان كسيلة فى جيش عقبة قد استصحبه معه فى غزواته ، ولكنه كان يستهين به ويمتهنه ، فأمره يوما بسلخ شاة بين يديه ، فدفعها « كسيلة » الى غلمانه ، فأراده عقبة على أن يتولاها بنفسه وانتهره ، فقام اليها كسيلة مغضبا ، وجعل كلما دس يده فى الشاة مسح بلحيته .

وبلغ ذلك أبا المهاجر وهو معتقل عند عقبة ، فبعث اليه ينهاه ويقول : « كان

(١) اوربه : تنقسم الامة البربرية الى قسمين كبيرين ، كل قسم يحتوى على قبائل كثيرة ، وهذان القسمان هما : البرانس والبتر . والبرانس تشتمل على قبائل كثيرة اكبرها هى هوارة وكتامة وزواوة وصنهاجة وأوربة ومصمودة انظر التفاصيل فى تاريخ المغرب الكبير (٣٥/٢).

(٢) تلمسان : مدينة بالمغرب اسمها القديم افادير ، على بعد مرحلة من وهران وهما من مدن الجزائر

رسول الله صلى الله عليه وسلم يستألف جبابرة العرب ، وأنت تعمد الى رجل جبار فى قومه وبدار عزه ، حديث عهد بالشرك فتفسد قلبه ؟ توثق من الرجل، فأنى أخاف فتكه » ، فتهاون به عقبة ، فلما انصرف نكث البربر ما كانوا عليه . فقال له أبو المهاجر : « عاجله قبل أن يجتمع أمره » .

وغشى كسيلة عقبة بقرب (تهوذة) (١) فى جيش كثيف ، فنزل عقبة عن فرسه وقال : « اطلقوا أبا المهاجر » ، ثم قال له : «الحق بالقيروان وقم بأمر المسلمين، وأنا أغتنم الشهادة » ، فقال أبو المهاجر: « وأنا أغتنم الشهادة مثلك » ، فكسر كل واحد منهما غمد سيفه ، وكسر المسلمون أغماد سيوفهم ، وقاتلوا حتى قتلوا .

وفى رواية ، أن أبا المهاجر كان موثقا بالحديد ، فزحف عقبة على كسيلة ، فتنحى كسيلة عن طريقه ليكثر جمعه ، فلما رأى أبو المهاجر ذلك تمثل بقول أبي محجن الثقفي :

كفى حزنا أن ترتدى الخيل بالقنا
وأترك مشدودا على وثاقيا

اذا قمت عنانى الحديد وأغلقت
مصارع من دوني تصم المناديا

فبلغ عقبة ذلك ، فأطلقه وقال له : « الحق بالمسلمين وقم بأمرهم ، وأنا أغتنم الشهادة » ، فلم يفعل . وقيل : ان عقبة أمر بتخلية أبى المهاجر ، فقاتل وهو موثوق بالحديد ، فقتل عقبة ومن معه ، وقتل أبو المهاجر وهو موثوق فى الحديد ، وكان مقتل عقبة وأصحابه ومنهم أبو المهاجر سنة ثلاث وستين هجرية (٦٨٣م) وقتل مع عقبة زهاء ثلاثمائة من كبار الصحابة والتابعين فى أرض الزاب ب (تهوذة) وقد جعل على قبورهم أسنخة ثم جصصت ، واتخذ على المكان مسجدا عرف باسم عقبة ، وهو فى عدادات المزارات .

الانســان :

نجهل كل شيء عن أصل أبى المهاجر ومولده ونشأته الاولى ، ولعل معاملة أبى المهاجر القاسية لعقبة كان لها أثر بالغ فى اغفال بعض المؤرخين لذكره ، على الرغم مما كان يتمتع به من مزايا سامية وخصال حميدة .

فهل كان أبو المهاجر معتديا على عقبة فى سجنه ؟ الظاهر ان أبا المهاجر كان منفذا لاوامر مسلمة بن مخلد ليس الا ، اذ ليس من المعقول ولا من المنطق أن يقدم أبو المهاجر وهو مولى على سجن عقبة الصحابى العامرى القرشى مخالفا أوامر مسلمة بن مخلد وبدون موافقته (٢) ،وأنما حبسه ـ كمايبدو ـ لأنه كان يتمتع بشعبية طاغية ما كان لابى المهاجر أن ينجح فى أعماله وعقبة طليق حر . يدلنا على ذلك ان معاوية لما أمر باطلاق سراح عقبة، أطلقه أبو المهاجر وأرسله برسل من قبله حتى أخرجوه من (قابس) (٣)، فلو لم يكن أبو المهاجر

الآن . انظر التفاصيل فى معجم البلدان (٤٠٩/٢) .

(١) تهوذة : اسم لقبيلة من البربر بناحية افريقية لهم ارض تعرف بهم . انظر معجم البلدان (٤٣٢/٢) .

(٢) فى فتوح مصر والمغرب (٢٦٦) : فلما قدم عقبة مصر ركب اليه مسلمة بن مخلد ، فاقسم له بالله لقد خالفه ابو المهاجر ، ولقد اوصيته بك خاصة . انتهى . ومن المحتمل ان يكون مسلمة قد اعتذر لعقبة بذلك ليس الا .

(٣) قابس : مدينة بين طرابلس وسفاقس وهي من مدن تونس الآن ثم المهدية على ساحل البحر . انظر التفاصيل فى معجم البلدان (٢/٧) وتقويم البلدان (١٤٢ ـ ١٤٣) . وانظر رياض النفوس (٢١/١) حول اخراج عقبة .

يخشى عقبة لما أرسله مخفورا الى حدود ليبيا ، وعلى كل فان حبس عقبة كان أحد تدابير الامن التى اتخذها أبو المهاجر منعا للفتن والشغب الذى كان يتوقعه من أنصار عقبة ، ولم يكن هذا الاجراء الا من أجل المصلحة العامة التى هى فوق مصالح الاشخاص مهما يكونوا .

وما يقال عن سجن عقبة ، يقال عن سجن أبى المهاجر بعد ولاية عقبة الثانية، اذ أصبح لابى المهاجر شعبية كبيرة أيضا خاصة عند البربر وزعيمهم كسيلة بالذات ، لأن أبا المهاجر حين ظفر بكسيلة عرض عليه الاسلام فأسلم ، فأحسن اليه أبو المهاجر واستعفاه ، وكان فى عسكر المسلمين حتى عزل أبو المهاجر ، وقيل ان كسيلة انما أتى ناصرا لأبي المهاجر ، لأنه كان صديقه ، فقتل أبو المهاجر فىالتحام القتال ولم يعلم به (١).

لقد كان أبو المهاجر يوقر عقبة ويعرف ماله من المقام العظيم، فقد أبلغ أبا المهاجر أن عقبة دعا عليه وقال : « اللهم لا تمتنى حتى تمكنني من أبى المهاجر دينار بن أبى دينار » ، فلم يزل أبو المهاجر خائفا منذ بلغته دعوته ، فكيف يعاقبه أبو المهاجر ويسىء اليه بعد ذلك من تلقاء نفسه ؟ وهل يفعل ذلك الا مضطرا راغما ؟؟

وقد أثبت أبو المهاجر أنه لم يحقد على عقبة لأنه حبسه وقيد حريته ، فقد أسدى لعقبة النصح والمشورة على الصعيدين العسكرى والادارى وهو سجين ، وأخيرا بذل نفسه رخيصة فى سبيل عقيدته ، ففضل الموت شهيدا بيد صديقه الحميم كسيلة على النجاة بحياته ، مشاركا عقبة الذى سجنه مصيره المشرف ، فخسر كل شىء الا الشرف .

لقد كانت سيوف المسلمين للمسلمين لا عليهم ، وكانت سيوفهم على أعدائهم . فمن حق أبى المهاجر أن يعرف العرب المسلمون حقه عليهم ، ومن حقه ألا يغمطوا هذا الحق ، وأن يذكروه بالفخر والتقدير والاعزاز ، ويكفى أن يذكروا قولته : « القى الله فى حديدى »، مفضلا الموت الاكيد بعزة على العيش الاكيد بذلة ، ليعرفوا مبلغ عمق ايمانه وعظم تضحيته فى سبيل مبادئه وعقيدته وشرفه .

لقد كان أبو المهاجر مخلصا وفيا شهما غيورا ، وكان مؤمنا حقا وعلى شىء كثير من الحكمة وبعد النظر .

القائد :

كان الناس قبل أبى المهاجر يغزون أفريقية ثم يرجعون منها الى (الفسطاط) (٢) وأول من قام بها حين غزاها أبو المهاجر : أقام بها الشتاء والصيف ، واتخذها منزلا . وذلك أمر على جانب عظيم من الاهمية ، اذ أن (افريقية) أصبحت بذلك مقرا يقيم به المسلمون ويطمئنون فيه دون أن يعودوا الى مصر بعد كل غزوة ، أى انها أصبحت رغم تبعيتها لمصر — ولاية اسلامية

---

(١) رياض النفوس (٢٥/١) .

(٢) الفسطاس : مدينة بناها عمرو بن العاص لما فتح ديار مصر فى خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، وكان فى موضع الفسطاط قصر قديم يقال له : قصر الشمع وكان فسطاط عمرو حيث الجامع المعروف بجامع عمرو فى القاهرة الآن حيث الحى المعروف بمصر القديمة .

مستقلة الشخصية بعض الشيء ، وهذه هي الخطوة الاولى نحو ظهور ولاية أفريقية اسلامية ، فقد كان الناس قبل أبى المهاجر يغزون (افريقية) ثم يقفلون منها الى الفسطاط ، أما فى ولاية أبى المهاجر وما بعدها ، فكانوا يقيمون بها العام كله،ويخرجون للغزو من «القيروان» ثم يعودون اليها مرة أخرى .

وقد صاحب هذا التغيير السياسى الذى جد على المركز السياسى للبلاد تحول جوهرى فى سير الفتوح فيها ، فقد أصبحت غاية الغزوات أتمام فتح (افريقية) وجعلها بلادا اسلامية كمصر والشام سواء بسواء .

ومن الانصاف هنا ، أن نذكر لعقبة بن نافع الفهرى فضله فى هذا المجال ، فقد عمل جاهدا لبناء (القيروان) لتكون القاعدة المتقدمة للمسلمين فى أفريقية : تخرج منها جيوشهم للفتح ، وتعود اليها بعد انجاز مهمتها ، وتتحصن فيها عند الخطر ، وتكون مستودعا لأرزاقهم وعتادهم ومواردهم الادارية الاخرى . وما كان تحول أبى المهاجر عنها ليقضى على قيمتها العسكرية الحاسمة ، بل بقيت الاغراض التي بنيت من أجلها مدينة القيروان قائمة .

ولكن ليس معنى ذلك انه يفضل أبا المهاجر فى هذا التطور السياسى الذى جد على سير الفتوح فى (افريقية) ، بل كان لما اتسم به أبو المهاجر من بعد النظر أثره الكبير الحاسم على هذا التطور ، ولعل خير دليل على بعد نظره وعزمه الاكيد على جعل الفتح الاسلامى

فى (افريقية) ليس مجرد غارات تستهدف جمع الاموال والغنائم ، هو ما فعله أبو المهاجر فى مصالحة أهل (قرطاجنة) بشرط اخلاء جزيرة (شريك) التى يتخذها الروم قاعدة متقدمة لحركاتهم ضد المسلمين ، حتى يحرم الروم من تلك القاعدة الحيوية ، وحتى يستفيد منها المسلمون كقاعدة متقدمة لهم فى حركاتهم ضد الروم .

لقد فضل أبو المهاجر جزيرة (شريك) الموقع السوقى (الاستراتيجي) على المال والغنائم ، وهذا دون شك قرار عسكرى فى منتهى الاهمية ، وله دلالته الواضحة على ما كان يتمتع به أبو المهاجر من بعد نظر ، وتفكير عسكرى سليم .

فقد اراد ابو المهاجر من ذلك ان يكون الفتح الاسلامي فى (افريقية) فتحا مستديما تترسخ به اقدام المسلمين فى (افريقية) ، وتكون (افريقية) به بلاد اسلامية ، أسوة بالبلاد المفتوحة الاخرى والايقتصر الفتح الاسلامى فى (افريقية) على الغارات ، التي قد يكون من نتائجها الربح المادى فقط ، دون الربح المعنوى ، الذى هو الهدف الأول للفتح الاسلامى ، هذا الربح المعنوى الذى يهدف الى نشر الاسلام فى ربوع البلاد المفتوحة ، فيكون بذلك فتحا فكريا يبقى على الزمن لااستعمارا من اجل المنافع المادية ، لذلك استقر ابو المهاجرفى (ميله) سنتين يدعو البربر الى الاسلام ، وينشر هذا الدين فى ربوعهم ، فأقبلوا يدخلون فى دين الله افواجا .

لقد صاحب أبو المهاجر مسلمة بن مخلد الانصارى مدة طويلة في حروبه : فى فتح مصر ، وفى القضاء على الفتن الداخلية ، فلما تولى (افريقية) كان مهيئا للقيادة ، نظرا لتجربته الطويلة فى معاناة الحروب .

وفى ايام قيادته فى (افريقية) عانى ابو المهاجر حرب الحصار لقرطاجنة ، فأجبر اهلها على طلب الصلح، والرضوخ لشروطه وهذا النوع من الحروب يتميز القائد الذى يعانيها بالضبط الشديد ، والصبر الجميل .

كما عانى حروب الميدان حول (تلمسان) وناهض جيوشا كثيفةللبربر، وهذا النوع من الحروب يتميز القائد الذى يعانيها بالشجاعة والاقدام ، وبالقابلية على اعطاء القرارات السريعة الصحيحة ،وبالحرص على جمع المعلومات عن العدو ، وعن أرض المعركة ، وبالكفاءة الممتازة في ادارة المعركة .

لقد كان ابو المهاجر من اولئك القادة الذين يقاتلون بسيوفهم وعقولهم : يقاتل بسيفه عندما لا يجد مفرا من ذلك ، ويقاتل بعقله فيعامل الناس بالحسنى ، وبالسياسة الحكيمة ، وبالمنطق السليم ، وبالعقيدة البناءة المنشئة ، فاذا كان لسيفه بعض الاثر على انتصاره ، فقد كان لعقله اكبر الاثر على هذا الانتصار .

ولقد جعل ابو المهاجر راس سلاحه فىحربه تقوى الله والاستعانة به والتوكل عليه والفزع اليه ومساءلته التأييد والنصر،وكان محبا لرجاله محبوبا منهم، يثق بهم ويثقون به ، وكان كامل العقل ، طويل التجربة ، بصيرا بتدبير الحرب ومواضعها ، ومواضع الفرص والحيل والمكايدة ، حسن التعبئة ،حسن السيرة، عفيفا صارما حذرا ، متيقظا شجاعا سخيا ، بعيد النظر ، صحيح القرارات والخطط .

وعند تطبيق اعمال ابى المهاجر العسكرية على مبادىء الحرب ، نجد انه طبقمبدأ : (اختيار المقصد وأدامته) ــ ، فهو لم ينس أن هدفه نشر الاسلاملجعل الفتح مستديما ، فهو داعية اولا ، وقائد ثانيا ، وانه طبق مبدأ : (التعرض) ، فكانت معاركه كلها تعرضية ، وانه طبق مبدأ : (تحشيد القوة) قبلالبدءبحركاته، فاستفاد من كل مقاتل مسلم ، ولم يبق فى القيروان الا الشيوخ والنساء ، وانه طبق مبدأ (الاقتصاد فى المجهود) فلم يفرط بقواته دون مبرر ، وانه طبق مبدأ (الامن) فلم يستطع العدو مباغتة قواته فى أية معركة ، وانه طبق مبدأ (المرونة) فكانت لقواته قابلية ممتازة على الحركة ، وانه طبق مبدأ (التعاون)فوحد جهود رجاله لاحراز النصر ، وانه طبق مبدأ (ادات المعنويات) ومبدأ (الامور الادارية) بشكل ملحوظ .

لقد كان ابو المهاجر قائدا ممتازا .

ابو المهاجر فى التاريخ :

يذكر التاريخ لابى المهاجر فتحه للمغرب الاوسط ونشره الاسلام فى ربوعه .

ويذكر التاريخ لابى المهاجر ، عمله الدائب المنظم لنشر الاسلام بين قبائل البربر بالسياسة الحكيمة والحسنى والمنطق والحجة البالغة .

ويذكر له ،انه آثر الاستشهاد معابناء عقيدته ، على الحياة مع اصدقائه الشخصيين واعداء عقيدته .

رضى الله عن التابعى الجليل ، الداعية الموهوب ، القائد الفاتح ، الادارى الحازم ، ! السياسى المحنك ، البطل الشهيد ، ابى المهاجر دينار .

من مراجع البحث : تاريخ ابن خلدون معجم البلدان . البيان المغرب فى أخبار المغرب ، فتوح مصر والمغرب ، تقويم البلدان . رياض النفوس ... الخ .

لماذا أسلمت

اعداد ادارة الشئون الاسلامية

كثير من الناس ولا سيما المثقفون منهم يعتنقون الاسلام ، وتدفعنا غريزة حب الاستطلاع الى معرفة السر الذى حملهم على ترك دينهم واختيار الاسلام دينا لهم ، وهذا حديث مع شاب ألماني أسلم حديثا : وجاء الى البلاد العربية ينشد مزيدا من المعرفة بالاسلام فى رحابها ، وقد حضر لزيارة الكويت ، ووجهت اليه ادارة الشؤون الاسلامية بالوزارة بعض الأسئلة التي نقدمها هنا مع أجوبته عنها :ـ

لماذا اعتنقت الاسلام ؟

فى عام ١٩٦١ دعاني مسلم ألماني الى اجتماع لبعض المسلمين فى برلين ، وفى ذلك المساء رأيت لأول مرة صلاة الجماعة فى الاسلام ، ورغم أنني كنت أضحك فى بداية الأمر على شكل الصلاة ، فان هذه الصورة ذاتها هي ألتي أثرت فى نفسي ، وجعلتني أفكر جديا فى الاسلام ، فقد أردت أن أعرف لماذا يقوم هؤلاء الناس بالصلاة بهذه الكيفية واستنتجت أنها خير سبيل يختاره الانسان لعبادة خالقه ، فبدأت ـ وأنا ما زلت بروتستانتيا ـ فى أداء الصلاة بالكيفية الاسلامية ، وكنت فى ذلك الحين فى السادسة عشرة من العمر ، وهي المرحلة التي كنت أبحث فيها عن الحقيقة والمعرفة ، فبدأت أدرس الأديان بصفة عامة ، والاسلام على وجه الخصوص ، فأيقنت فى غضون دراستي أن دنيا تفكيري واحساسي أقرب للاسلام منها للمسيحية . وبالتدرج اكتشفت أن الاسلام كمنهج حياة كان ينسجم فى كافة الوجوه مع فطرتي البشرية .. وأستطيع هنا أن أضرب مثالا نظريا وآخر عمليا ،

فعلى سبيل المثال عندما درست وجهة النظر الاسلامية حول النبي عيسى عليه السلام عرفت أنني لم يحدث أن آمنت بأن عيسى عليه السلام ابن الله ، وكما عرفت فيما بعد أن عددا كبيرا من المسيحيين « يبلغون نحو ٨٠٪ كما قرر أستاذ بروتستانتي مرة » أقرب للاسلام منهم الى المسيحية فى هذه الناحية على الأقل من عقيدتهم ، ومن الناحية العملية كنت قبل اسلامي أنفر من الخمور والرقص وأشياء أخرى عرفت فيما بعد أنها محرمة ، فكان الاسلام بالنسبة لي يشبه عملية اكتشاف لفطرتي « فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون » صدق الله العظيم .

ولماذا تريد دراسة الشريعة الاسلامية وما هي أهدافك من وراء هذه الدراسة ؟

من تجاربي فى ألمانيا وغيرها من البلاد الأوروبية اقتنعت بأن الحركة الاسلامية فى أوروبا ـ وفى ألمانيا بصفة خاصة ـ بحاجةماسة الى متفرغين للعملالاسلامي لأن جانبا كبيرا من كافة أنواع النشاط الاسلامي يقع حتى الآن على عاتق جمعيات الطلبة المسلمين هناك ، وبطبيعة الحال فان الأخ القادم الى ديار الغرب باحثا عن المعرفة لا يستطيع أن يقضى كل ما لديه من وقت فى العمل الاسلامي ، ولكن يستطيع هؤلاء الطلاب أن يقضوا ساعة أو ساعتين يوميا : ولكن لا بد من وجود أخ يستطيع أن ينظم ، وهذا التنظيم يحتاج الى متفرغ ، ومعرفتي بالاسلام حسب المصادر التي توفرت لدى لا تعتبر كافية للقيام بهذه المهمة ، ولذلك اريد دراسة الاسلام فى جامعة اسلامية أولا كي أتمكن من الاسهام بثقافتي فى الحركة الاسلامية فى أوروبا ، وأنا مقتنع بالطبع أن الاسلام اليوم فى أمس الحاجة الى متخصصين فى ميادين أخرى ، ولكن تخصصى فى اية ناحية أخرى لن يمكنني من التفرغ التام لتنظيم الجمعيات الاسلامية فى المانيا ، ومعنى هذا أننا بحاجة الى مفكرين ، كما أننا بحاجة الى جنود للدعوة الاسلامية ، وأحب أن أكون من النوع الأخير .

وما هي نواحي النشاط الاسلامي فى المانيا ؟

ان النشاط الاسلامي فى ألمانيا حديث العهد جدا ، فقد تأسست جمعيات الطلبة المسلمين فى غضون الثماني أو العشر السنوات الماضية ، ولكن نشاطها كان نشاطا محليا ومنذ أربع سنوات ، فقد بدات هذه الجمعيات المحلية، تشكل منظمات على مستويات أشمل كاتحاد الطلبة المسلمين فى انجلترا ، واتحاد الطلبة المسلمين بأوروبا ، فقد تأسس كل منهما منذ أربع سنوات فقط ، وان كان اوجه نشاطهما حتى الآن محدودة للغاية وسبب ذلك هو الحاجة الى تنظيم ، وتتألف نشاطات الجمعيات الاسلامية المحلية من اقامة الشعائر الدينية والقاء المحاضرات الأسبوعية للمسلمين ، والندوات العامة ، وحلقات النقاش لغير المسلمين كما شرعت بعض الجمعيات فى انشاء مدارس الأحد لأبناء المسلمين ، كما أن هناك عددا صغيرا من المطبوعات الاسلامية باللغة المحلية ، وكذلك تقيم الاحتفالات الاسلامية . وقد بدأت

الجمعيات مؤخرا فى عقد الاجتماعات الأسبوعية،وأ عتقد أننا سنستفيد كثيرا لو عنى بانشاء مراكز صغيرة فى كل جامعة يوجدبها طلاب مسلمون فى الغرب يكونون قد مارسوا نشاطهم الاسلامي فيه ، وعرفوا ما تحتاجه الدعوة الاسلامية وحاجة الناس اليها ويكونون بخبرتهم وغيرتهم خير عون للدعوة الاسلامية فى داخل البلاد وخارجها ، وسيؤدى ذلك بلاشك الى خير الاسلام فى الوقت الحاضر ، ومعنى ذلك أن قيام حركة اسلامية منظمة فى الغرب مهم جدا لمستقبل الاسلام .

ما هو موقف المسلم فى أوروبا من الحضارة الغربية ؟

ان موقف المسلمين الذين دخلوا فى الاسلام عن اقتناع هو موقف سلبى من هذه الحضارة فكثير منهم يختارون الاسلام منهجا لحياتهم ، لأنهم لم يجدوا سبيلا آخر لحل مشكلاتهم فى ضوء اعتبارهم أن الانسان من مخلوقات الله ، والحضارة الغربية تضع حلا للمشاكل المادية فقط من الحياة : وقد أقر هذه الحقيقة المسلمون وغير المسلمين فى أوروبا ، ونحن نشاهد الأثر المدمر للحضارة الغربية على الحياة الانسانية ، فتحطمت الأسرة كما جمدت صلات الود بين الأفراد ، فضاعت على المجتمع فرصة حل مشاكل أفراده بصورة انسانية صحيحة ، لذلك لزاما علينا أن نقول بأننا اذا شئنا أن نكون بشرا بحق نتصرف تصرفات انسانية ، فلا بد لنا أن نعرض عن التقليد الأعمى للحضارة الغربية ، وبطبيعة الحال فان هناك مسلمين فى الغرب والشرق على السواء يعربون عن اعجابهم بالحضارة الغربية : ويحاكونها محاكاة عمياء فعليهم أن يتذكروا ما قاله راسل الذى نال جائزة الدولة . فقد كتب فى احدى مؤلفاته بأن الناس فى الغرب غير قادرين على تطوير الجانب الانساني من الحياة بنفس الكيفية التي تتقدم بها الناحية المادية ، وان كل خطوة الى الأمام فى المخترعات المادية هي خطوة نحو فناء الانسان ، وليس معنى ذلك أننا لا بد أن نرفض كافة المخترعات الغربية ولا أن ننكر العلم الذى أحرزه الغرب فى عدة ميادين من الحياة العلمية ، ولكن علينا أن نكون دائما على يقظة فلا نلقى بأنفسنا تحت رحمة هذه الحضارة ، فقد استطاع أسلافنا انيقتبسوا المعرفة من الاغريقيين القدماء بلا حاجة الى اضاعة اسلامهم وهذا ما كان يتفق ومرضاة الله وحده ، فهلا يكون بوسعنا أن نقتفى أثرهم ؟ .

العفو يا أمير المؤمنين

جاء رجل الى الخليفة العادل عمر بن عبد العزيز فذكر عنده وشاية فى رجل فقال ان شئت حققنا هذا الأمر الذى تقول فيه ، ونظرنا فيما نسبته اليه ، فان كنت كاذبا فانت من أهل هذه الآية « ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا » وان كنت صادقا فأنت من أهل هذه الآية « هماز مشاء بنميم » وان شئت عفونا عنك .

فقال الرجل النمام : العفو يا أمير المؤمنين ، لا أعود اليه أبدا .

القلادة

بقلم الاستاذ محمد الخضرى عبد الحميد

طيف ساهم حزين .. كان لا يفتأ يلوح ويختفى ، ليعود هائما ساهما من جديد ، بين رحاب دار هاجعة صامتة يخيم عليها ومن حولها السكون المقبض الثقيل .

كان ذلك فى حوالى سنة سبع من الهجرة .. والطيف القلق الحزين لواحدة من صفوة الفضليات الطاهرات ، لزينب ، ابنة « محمد » رسول الله صلى الله عليه وسلم .. والمكان بين جدران بيت من بيوت مكة هو بيت زوجها « ابى العاص بن الربيع » ، الغائب هناك فى مدينة النور والنصر ، حبيس الاسر ، فى أعقاب انتصارات « بدر » .

ما أقسى الوحدة عليها بعد ان رحل الاحباء عنها .. لكم هي أليمة مرة هذه « الغربة » بين « الاهل » . بعيدا عن أعز الأحباب ، وبين قوم صاروا هم الأعداء أعينهم ،

على أشد وأعنف ما تكون بغضاء وعداوة .. فلقد احتملت « زينب » آلاما مريرة بعد الهجرة .. وتقاسمت قلبها عواطف الحب النقى متباين الخواص لرجلين لا تتردد طرفة عين فى أن تهب لهما معا حياتها . أبيها العظيم .. وزوجها الطيب ، المحب ، الكريم .

ولقد بقيت مع هذا الزوج هنالك فى « مكة » ايثارا لوفاء .. وانتظارا لامل .. ان أملا حلوا لا ينفك يراود خيالها الصافى .. أن يعتنق « أبو العاص بن الربيع » ، ذلك الزوج حميد الخلال دين الاسلام الذى نشر أنواره فى الآفاق أبوها حبيب الله ورسوله « محمد » .. كانت هي سباقة الى الاسلام ، ولا يزال أبو العاص هناك فى جانب الشرك والمشركين ، لكن ... على أية حال « ما فائدة هذا الحديث الآن ، وموضوع الساعة ، بل مشكلة اللحظة ، أولى بالاهتمام ، وأجدر من سواها بالحل السريع ؟ » .

ما كادت « زينب » تهنأ بما نقل اليها من أخبار عن انتصارات المسلمين فى « بدر » وكيف أن الاسلام صارت له كل تلك الفعالية الهائلة التي جعلت ثلاثمائة من المؤمنين لا يملكون من عدة الحرب الا أقلها وبخاصة من الخيل ، فليس أكثر من فرسين اثنين . هؤلاء الثلاثمائة يدحرون ألفا من خيرة فرسان قريش وأبطالها من صناديد كواسر جهزوا أنفسهم قبل التقاء الجمعين بأصلب الدروع ، وأمضى الأسلحة ، وأضخم العتاد وأحدثه ، وأقوى الرغبات المتأججة فى الانتقام واستعادة مجد ضائع ... وجاه موءود ... انه الاسلام الذى يفعل فى النفوس الأعاجيب الخوارق ، والذى هو فى كلمات رددت البيداء صداها عندما قالها سعد بن معاذ الأنصارى لـ « محمد » « والد زينب » لقد آمنا بك وصدقناك .. فلو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ، ما تخلف منا رجل واحد .. هو الاسلام الذى يحمل ــ بقوة الايمان وعمقه ــ « عمربن الخطاب » على أن يقتل خاله ، ويؤدى بـ « علي بن أبى طالب » لأن يصرع بعض بنى عمه ، ويحدو بـ « عبيدة بن الجراح » أن يخوض فى دم أبيه الى صفوف المهاجمين عندما حاول أبوه ذاك أن يتصدى له درءا لخطره على صفوف أقرانه من الكفار .

ما كادت تسعد وتطرب لانباء ذلك النصر الخالد المؤزر المذهل ، حتى جاءها خبر وقوع زوجها فى الأسر .. فانه كان ــ لأسفها العميق ــ فيمن ذهبوا لتلك الحرب ، فأصيب مع من أصيبوا فى الأسارى يوم بدر .

وأخذت « زينب » ، ابنة رسول الله من خديجة أكرم زوجاته وأخلصهن له ، تهدهد بأصابعها المرتعشة من تحت الوشاح الأبيض عنقها ، حتى تتقبض الأنامل على « قلادة » ثمينة غالية ، تعتز بها كل الاعتزاز ، وتناجيها كلما برح بها الحنين الى أحب الناس الى قلبها ، أو كلما حزبها أمر جلل من أمور جليلة الخطر كثيرا ما اعترضت حياتها . انها كانت القلادة التي اهدتها اياها امها خديجة ليلة أن زفت الى أبى العاص .. وهي الحلية الغالية النادرة التي تستبشر بها ، وتفزع الى تأملها فى الخلوات تبثها همها وشجنها ، كلما تناوشتها الهموم والأشجان ... لكأن تلك الحلية النفيسة التي بقيت لها « من رائحة الحبايب . » أقرب أنيس الى وجدانها ، تستلهمه الفكرة أو تستودعه السر ، أو تستمد منه التوكيد اليقيني بأنها انما تمضي على خط سليم ، وتسير قدما فى طريق سوى قويم ..

ولكن .. فجأة .. توترت الأصابع وازداد تقلصها على فصوص الحلية وحباتها الوامضات .. وتعلقت انظارها تنشبث فى تركيز جد عميق على ما بين اليدين من ذلك ((التذكار)) الغالي ، العزيز .. اية فكرة ، تلك التي ومضت ؟ .. أترى أن الأمر جاء



على ذاك النحو ؟ .استخبرت حليتها بلسان حال يتساءل . (ما العمل أينتها القلادة الحبيبة وكيف أتصرف ؟) فاذا بالقلادة ذاتها تجيب بمنطق معنوى لا صوت فيه ان ((هو أنا يا ابنة الكرام .. أنا ولا شيء غيرى هو الحل ، أنا هو . الفداء ؟)) .

وطوحت بالبصر على كثب تيمم بمحياها صوب الديار التى أقفرت ، والتى طالما هز روحها الحزين ما يخيم عليها من وحشة بعد أن هجرها من كانوا بالامس يملأونها أنسا وبهجة .. فى ابتهال زاخر بالاسى الدفين رنت « زينب » الى بيوت طالما وقفت تناجيها باكية تارة ، صابرة تارات « اين يا أشرف بيوت مكة من ملأوا مناحيك طهرا ونورا ؟ .. اين يا أكرم المنازل . أبى محمد ، وأمى خديجة ، وأخواتى . أم كلثوم ورقية وفاطمة ، ومن قبل اخوتي . القاسم والطيب ؟ .. لكن الديار تطبق أفواه أبوابها على نورها فى جوفها ، لا تجيب .. كمن وكل اليها الاجابة ـ فيما بعد ـ عن أسئلة أشمل ، أخطر وأجل ، عهد اليها بها أمام الدهور والأجيال ، فـلا ولن يعنيها حينئذ مشكل شخصي محلى جد صغير كذاك ... وأما القلادة فقد رجعت الى مكانها حول العنق النبيل ، تحف به كما كانت .. شأن من دعيت لابداء رأى واسداء مشورة .. فقامت وأبدت وأشارت بما ارتأت ، ثم ... عادت ..

ولم تضيع « زينب » وقتا .. فالأسرى لا بد لفك اسارهم من فدية .. ذلــك قانون الحرب .. فالى الفدية ـ اذن ـ والافتداء ..

ولم يكد « محمد » رسول الله صلى الله عليه وسلم يعود من احدى جولاته فى المعسكر المنتصر بالمدينة وهو يصدر الى القائمين بمختلف الشئون تعاليمه الرحيمة ، التي لا ولم يغيرهــا نصر مهما كان النصر عزيزا . « اســتوصوا بالأسرى خيرا » .. « فليطلق سراح كل أسير يعلم عشرا من صبيان المسلمين » .. بل ان أسيرا تقدم اليه يشكو فقره فلا مال لديه يفتدى به نفسـه ، ولا علم فهو جاهل أمى ، ولكن لــه بنات فى مكة ليس لهن من عائل غيره .. فأطلق النبي الكريم سراحه تاركا اياه حرا بلا فدية من أجل بناته ، فقط اشترط عليه الا يعود الى حربه مرة أخرى ... ما ان عاد «محمد» من جولته ، وتهيأ لسويعات من الراحة فى بيت عائشة ... حتى جاءه رسول من مكة يحمل اليه عن « زينب » ابنته فدية زوجها الاسير .

وتأمل ((محمد)) صلوات الله عليه فى القلادة طويلا ، ورق قلبه الكبير للحلية وما نشرته حوله من أريج عبق لأجمل الذكريات رقة شديدة ، وسرحت بــه الخواطـر والرؤى ، فلم ينتبه الى دمعتين كبيرتــين تحدرتا مثل لؤلؤتــين على صفحتى محياه المشرق الوضيء ... والتفت قائلا لمن حوله ((ان رأيتم أن تردوا لها أسيرها وتردوا عليها مالها فافعلوا)) . فالكل يدرك ما لهذه القلادة من قيمة معنوية ، لكنه ترك الأمر لهم ، هم رجال المعسكر ان شاءوا ضموا قلادة زينب الى الفيء الحلال افتداء للاسير ، ولا جناح عليهم ان فعلوا ، فماذا فعلوا ؟ .. تسابقت اليه قلوبهم السمحة تبذل البر والعفو .. وهكذا أطلقوا الاسير .. وردوا القلادة .

أما الأسير فعاد الى مكة غير سعيد .. رجع مثقل القلب بما هو أشد نكرا من الأسر وذل الهزيمة .. عاد « أبو العاص » الى « زينب » قرينة العمر وشريكة الحياة وفى جعبته نبأ آخر أليم . أخشى يا زينب ان يكون العود ايذانا برحيل ..

ــ ماذا عنيت بقولك هذا يا ابن الربيع ؟ .

ــ أمرني رسول الله « محمد » أبوك ، ان أردك اليه .

ــ تردني اليه ؟؟ .. أو قال هو هذا ؟ .

ــ بل وجعله شرطا لردى انا ها هنا اليك ... وها أنذا كما ترين .. ما عدت لك .. الا لكى أنأى عنك .. فليتنى ما عدت ... وليتك يا زينب ما طلبت الافتداء ؟ .

ــ هو الواجب يدعونا اذن يا أبا العاص .. فأما أنا فذاهبة اليه طاعة لامره ووفاء بشرطه .. فما كان بقائي الا ترقبا لحدث طيب أظنه الآن ليس قريب الوقوع .

ــ ولقد يكون قريبا وقوعه يا ابنة الرجل المسماح الكريم ... فالى أن يقع ما تأملين .. لا مفر من الوفاء بما أخذته على نفسي من عهد ..

وانفلت من أمامها مسرعا يخب فى أرديته مغموما ليخفى دموعا تساقطت ساخنة حرى .. و .. وانطلق على الاثر يعد العدة لرحلة جديدة من رحلات تجارية الى الشام بأموال قريش ... وتمضي الأيام بـ « زينب » فى رحاب ابيها « محمد » نبى الهدى والحق عليه أزكى الصلاة والسلام .. وانتصارات الرسول ناشر أنوار الدين الأسمى تدوى مجلجلة من قلب المدينة الى خارج الجزيرة العربية ...

لكنها لا تنى تعود الى مألوف عادتها من بث النجوى الى حليتها ، الى القلادة « الخديجية » الأثيرة التي بقيت لها من آثار أمها العظيمة ، والتي ببركتها عاد اليها زوجها ، ولكن ليفترق ثانية عنها ... كانت « زينب » فى مرضها تضطجع بوهن على وسادتها ، وتناجي بعينين مخضلتين بدمع سخين قلادتها العزيزة ، تكاد تحاورها ــ محاورة الأنيس لأنيسه ــ وتستنطقها أخبار « أبى العاص » وما فعل الزمان به ، وهل هو يدرى بكل ما كان من نتائج هجوم بعض الفجار على هودجها يوم رحيلها من مكة الى المدينة ، وهي الحامل العزلاء ، حتى جمحت الناقة بها ، فسقطت ، وسقط الجنين من بطنها ، ونزف الدم بغزارة منها ، ولا تزال تعانى سقما مبرحا من يوم ذلك الروع الغبى الهمجى الذى أصابها ؟ .. لقد أزعجها « أبو سفيان » وزبانيته عندما أرغموا الناقة على العودة بها ، حتى لا يشمت « رجال محمد » فيما يرسف فيه فجار مكة من هوان اذ تخرج « زينب » علنا وفى وضح النهار .. وامتثلت ، لتعود فتكر سارية من جديد الى موطن الأحباب ، وفى غبش المساء .

وعلمت « زينب » أخيرا أن سرية لرسول الله أصابت قافلة زوجها العائد من الشام ، وغنمتها لمعسكر الرسول ، بعد أن فر « أبو العاص » هاربا .

وجزعت « زينب » لهذا الخبر . وبينما تقف خائرة القوى تتحامل على قدميها ، تتفكر فى مأثور سهومها ، منفردة ــ عقب صلاة الفجر ــ بنفسها ، تناجى ــ على مألوف عادتها ــ قلادتها .. اذ أحست وقع خطوات خفيفة تدلف متلصصة حذرة الى خدرها .. ونظرت فاذا على أعتاب الخباء « أبو العاص بن الربيع » زوجها .

دهشت « زينب » ، ولاذت بالوشاح تستر به محياها الشاحب القسيم ، اذ هى غريبة « الآن » عنه ، ما من شك فى انها تقدر هذا الرجل العربي الشريف وتوليه اعزازها ، وهي تجهر بذلك لا تنكره ولا تخفيه ، فلا تنسى له انه أجبر يوما على أن يطلقها ليكون طلاقها نكاية بـ « محمد » وصحبه ، واهانة تصدر اليه حيث هو فى المدينة ..



لكنه ــ هذا الشهم الوفى ــ أبى باصرار ، وتمسك بزوجته ، وأعلن على الملأ أنه لا يعدل بها كل أبكار مكة .

وفى هدوء صارحها « أبو العاص » بما حدث ، واستجار بها ...

فخرجت زينب تجيره من بين صفة النساء ، وكان أبوها « محمد » عليه الصلاة والسلام يصلى الصبح فى المسجد ، بينما هي تنادى خارجه :

« أيها الناس .. انى قد أجرت أبا العاص بن الربيع . فلما سلم رسول الله من الصلاة قال للمحيطين به . « هل سمعتم ما سمعت ؟ » قالوا . (نعم) .. قـال . « أما والذى نفس محمد بيده ما علمت بشيء من ذلك حتى سمعت ما سمعتم ، انـه يجير على المسلمين أدناهم » . وبعد أن قام النبي فأوصى ابنته الا تخلص لابى العاص فهى لا تحل له ، ذهب الى مكان رجاله الموكول اليهم الفيء والغنائم .. فاذا كل متاع القافلة قد رد الى أبى العاص سراعا ، وبتمامه ، وانصرف به الرجل الى طريق مكة وعلى شفتيه ابتسامة دهش وعجب ، وفى عينيه وميض غامض غريب .

وكان فى المقدور أن يسير ركب الزمن بما يمكن أن يكون .. أن تبقى « زينب » فى المدينة تعاصر أعظم الأمجاد وأروع وأخلد الانتصارات ، وتقضي الأوقات ما بـين صلواتها ونجواها .. وأن يستقر أبو العاص بين قومه هناك فى مكـة ، هانئا قريرا ، وخاصة بعد أن عاد اليهم من تجارته من الشام بالربح الوفير ..

غير أن شيئا ما حدث بغتة وفجأة .. وان لم يك كذلـك عند العارفين بـه المتوقعين له ..

الشيء الذى أذهل « آخرين » هو أنه لم يكد يمضى وقت قصير منذ وصـل « أبو العاص بن الربيع » مكة .. حتى رؤى يحلق مقبلا منها على مشارف المدينة صائحا طربا ، مهللا مكبرا ..

جاء « أبو العاص » بنفسه ، على قدميه ، مسلما موحدا .

قبل أن تختتم ((زينب)) صلاتها ، لتبدأ الاستئناس بقلادتها ومساءلتها عما كان من مصير بعلها وما كان من أمره ... فوجئت بسماع صوته يدوى عاليا فى الأرجاء معلنا انه ما رجع من المدينة الى مكة تلك المرة الاخير بالاموال والامتعة المردودة اليه ، الا ليقول لهم هناك على رءوس كل الأشهاد ((يا معشر قريش .. هل بقى لأحد منكم عندى مال لم يأخذه ؟)) .. فلما قالوا لا ((، .. فلقد كنت وفيا كريما أمينا)) .. قال : ((فأنا أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله .. والله ما منعنى من الاسلام عند محمد الا تخوف من أن تظنوا أننى انما أردت أن آكل أموالكم ، فلما أداها الله اليكم ، وفرغت منها .. أسلمت)) .

ودخل عند رسول الله ، يسبقه الحنين الجارف ، ويدفعه الايمان الحق ، ليخرج بعد قليل من الحضرة المنورة وقد تم له عقد جديد على شريكة العمر ، وقرينة الحياة .. عقد شبهه هو ب ((قلادة زينب)) النفيسة الغالية ، فلا انفصام له ، ولا انفراط لقدسية رباطه ، الا بالموت وحده .



آية (بمعارفها أو هدايتها) عن آية ، حتى كان التكامل والانسجام بأسبابه وأطواره بين الناسخ والمنسوخ ، فكان ذلك على مثل نسقه من اطراد شريعة بعد شريعة ، حتى اكمل الله سبحانه رسالاته ، حين ختم محمد النبوة ، وجعلها رسالة للناس كافة حتى قيام الساعة .. تؤثر فى الأزمان وبيئات الناس ولا تتأثر بها ، وقد انتهت كاملة وحيا من الله ، وجاءت (رغم نزولها منسجمة وتبعا لأسباب من احداث) جاءت على أكمل شرعة منسجمة ، لا اختلاف فى شيء منها ، لا فى كبيرة ولا صغيرة منذ بدأ الوحي الى ختامه .. وبذلك « آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه ، والمؤمنون ، كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله .. » .

آمن بهذه المغيبات وأبصر بنورها الحياة وما فى الحياة ومصير هذه الحياة ، ويومها الآخر واتبع أمر الله فيما فرضه ودعا اليه . وكفر بما وراء ذلك . فكان بعلمه وتقواه على نور من ربه .

و « المؤمنون كل آمن » مثل ايمانه ، واتبع سبيله ، واستنار بمعارفه ، وأركان ايمانه وكل أخذ من ذلك بنصيب من وحي الله علما وتربية ، فكان محور ثقافته كمسلم ، وبذلك تميزت الثقافة الاسلامية ، فى الأرض بوحى وعلم منزل .

واذا عرف البشر ثقافته من ثمرات العقول البشرية ، فقد عرف المسلمون من شريعتهم ما عرف غيرهم ، وأربوا عليه بما أتاهم وحيا من ربهم على لسان رسول عرفوا صدقه (لم يكذب على أحد قط ، فكيف يكذب على الناس جميعا وعلى رب الناس) كما قال بهذا المعنى توماس كارليل فى كتابه (الأبطال) وهو المعنى الذى كان يحيك فى صدره صلى الله عليه وسلم فيؤله من المعاندين حتى سرى عنه تعالى بقوله « قد نعلم انه ليحزنك الذى يقولون فانهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون » .

وان المسلمين اليوم لمدعوون الى غربلة ما تتهم به (الثقافات) و (المعاهدات الثقافية) مع البلاد غير المسلمة ، حتى يحافظوا على شخصيتهم فى ثقافتهم الممتازة المتميزة بنور الله ، ولا سيما فيما يمس نظرهم ونفوسهم وحكم الله فيهم ، وحسبهم من الغرب ما تفوق الغرب به من علوم الطبيعة وفنون الآلة .

ان وحدة المسلمين تنشأ من وحدة نظرهم ومعارفهم وتربيتهم وحكمهم كما أوحى اليهم ، وان تفرقهم اليوم أحزابا ودولا وشيعا وامارات و ... هو نتيجة مفارقة هذا الأصل الجامع لهم،وصدقت كلمة الله ومنته على محمد رسول الله الذى جمع الله به الأمة « لو أنفقت ما فى الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم » ..

ولو كان ما جاءهم به رسول الله صلى الله عليه وسلم من عنده ، « لوجدوا فيه اختلافا كثيرا » ولكنه كما قال تعالى « وما ينطق عن الهوى . ان هو الا وحي يوحى » .

ان هذه النظرة الكاشفة عن حقيقة الوحى وصدقه انما هي نظرة علم تستوجب العمل لنصون وحدتنا ، ونصون عقيدتنا ، بصيانة ثقافتنا الاسلامية ، نجليها وندافع عنها ، حتى نلقى وجه الله ، على هدى وبصيرة .

ولله المنة .

رابعة العدوية

من كلام رابعة العدوية قالت « ليس من المستطاع ان تميز بالنظر بين المقامات المختلفة فى الطريق الى الله ، ولن تتصل اليه باللسان ، فلتجعل قلبك مستيقظا ، فاذا استيقظ رأيت بعيونه الطريق وكان فى وسعك بلوغ المقام » .

حول بحث النقود في الاسلام

كنا قد نشرنا فى العددين ١٥ ، ١٦ بحثا لفضيلة الاستاذ الشيخ أحمد الشرباصي عن النقود فى الاسلام . وقد جاءنا تعقيب على ما نشر من السيد / ع.ع.ع. الطالب بكلية دار العلوم جامعة القاهرة رأينا تحويله على فضيلة الاستاذ كاتب البحث الذى أرسل الينا بعد الاطلاع عليه برد على هذا التعقيب . وننشر فيما يلي التعقيب والرد عليه بعد حذف الكلمات الخارجة عن الموضوع :

التعقيب

ان المقال المنسوب الى الشيخ احمد الشرباصى والذى نشرته مجلة الوعي بعددها الصادر فى : ربيع الثاني ١٣٨٦ والمعنون بالنقود فى الاسلام « الحلقة الثانية » .

أقول لسيادتكم : ان هذا المقال برمته وبدون أدنى تصرف منقول نقلا حرفيا من كتاب أستاذى الدكتور « ضياء الدين الريس » رئيس قسم التاريخ الاسلامي بكلية دار العلوم جامعة القاهرة .. كتاب (الخراج والنظم المالية للدولة الاسلامية فصل ـ عبد الملك بن مروان ـ اصلاح العملة) .

وبوسع سيادتكم أن يتأكد من دعواى هذه بمقارنة المقال بما ورد فى الكتاب المذكور .

هذا ـ وربما كانت المقالات السابقة تحت هذا العنوان منقولة من نفس الكتاب ـ وربما أيضا ـ تتوارد الحلقات التالية من نفس الكتاب أيضا ، لا سيما والشيخ الشرباصي ينوى الاستمرار فى اصدار عدة حلقات تحت هذا العنوان على ما يظهر ـ وأحيطكم علما بأن رسالة كهذه سأرسلها الآن الى أستاذى الدكتور (ضياء الدين الريس) المجنى عليه ـ ليرى رأيه ويبذل جهده حفاظا على أعماله التاريخية التي يعتدى عليها .

وارجو منكم اتخاذ اللازم ـ والتأكد من دعواى ـ والسلام عليكم ورحمة الله ..

الـرد

وهذا هو رد الاستاذ الشرباصي : ـ

لقد بنى الطالب ـ عفا الله عنه ـ حكمه الخاطىء على أساس غير سليم ، لأنه رأى الحلقة الثانية والأخيرة من بحث « النقود فى الاسلام » فقط .

ولو أنه تأنى فى اعتراضه ، واطلع على الحلقة الاولى المنشورة فى عدد ١٩ يونيه سنة ١٩٦٦ لرأى أنني ذكرت فى العمود الاول من صفحة ٦٨ طائفة من المراجع التي رجعت اليها ، ومنها فتوح البلدان للبلاذرى، والأحكام السلطانية للماوردى ، ومحاضرات فى تاريخ الامم الاسلامية للخضرى ، والنظم الاسلامية لحسن ابراهيم ، والخراج والنظم المالية لضياء الدين الريس .

وقبل ذلك بصفحتين ذكرت كتاب شذور العقود فى ذكر النقود «للمقريزي ، ص ٦٦ ، وبعد ذلك نقلت نصا عن ابن خلدون ، ص ٦٧ . وكذلك نصا عن عن لسان العرب ص ٦٧ ، وعدت وذكرت فى ص ٦٨ من المراجع مقدمة ابن خلدون .. الخ .

ولنلاحظ معا أيها الأخ الجليل أن المجلة نشرت البحث على حلقتين ، وفى آخر الحلقة الاولى المنشورة فى عدد ١٩ يونيو جاءت على قلمى هذه العبارة (وقد جاء فى كتاب « الخراج فى الدولة الاسلامية » ما يلي :) .

ونقلت عقب ذلك نصا من كتاب الدكتور الريس ظهر بعضه فى الحلقة الأولى ، وجاءت بقيته فى الحلقة الثانية ، فحسب الطالب المتعجل فى التهجم أن الكلام جاء على لساني ، مع أنني نصصت على مصدره ، وقد طال النص بعض الشيء لأنه تضمن نقولا عن الطبرى والبلاذرى ، وكان من الممكن تفسيخ النص ، ونسبة كل جزء منه الى صاحبه دون ذكر للمصدر ، ولكنى لم أفعل ذلك ، ونصصت على المصدر .

وقد رأى المعقب بعينيه أنني حتى فى هذه الحلقة ، وبعد نص الدكتور الريس ، قد رجعت الى البلاذرى والغزالي والكرملي وغيرهم .

« الوعى الاسلامى » حقيقة نص الاستاذ الشرباصى فى آخر مقاله الاول على كتاب الخراج فى الدولة الاسلامية ... للدكتور الريس ، صرح بالنقل عنه ، ان كان النقل قد طال كما يقول حتى بلغ ثلاث صفحات مما حمل الطالب على التعقيب.

كتاب الشهر

عَصْر النبي صَلىّ الله عليه وَسلّم وَبيئته قبل البعثة

تأليف : الاستاذ محمد عزت دروزة
عرض ونقد : الاستاذ عبد المعطي محمد بيومي

لو أردنا ، أن نستعرض هذا الكتاب فاننا للحقيقة نلتقى أول ما نلتقى بالمنهج الدقيق الذى أقيم على أدق قواعد البحث العلمى في أسلوب سهل متزن ، يحرص على الحقيقة التاريخية أن تضيع بين سطور الخيال المزوقة ، ولذلك جاء هذا الكتاب مرجعا قيما وهاما لتلك الفترة المظلمة التى ساء حظها بين المؤرخين .

وهذا الكتاب كما يقول مؤلفه محاولة لاستنباط احوال ذلك العصر من القرآن مرجعه الوحيد ـ كما يقول ايضا ـ لندرة المراجع الصحيحة لتاريخ تلك الفترة عدا روايات متضاربة ونتف قصصية متناثرة في بعض الكتب لا يعتمد عليها في هذا المجال .

وقد قسم بعد مقدمة الطبعتين الاولى والثانية على أربعة أبواب : الاول منها عن جغرافية العصر ، والثانى عن حياته الاجتماعية ، والثالث عن حياته العقلية ، والرابع عن العقائد والاديان .

أما الباب الاول فقد ضمنه المؤلف ثلاثة فصول تحدث في أولها عن الحجاز وأهله ، فاستنبط من آيات القرآن تضاريس الجزيرة والمدن الرئيسية ، وهي مكة والمدينة والطائف ، وفئات السكان ، واللغة السائدة وهي العربية الفصحى لغة القرآن .

أما الفصل الثانى عن « الحركة الاقتصادية والمعايش » فقد ضمنه المؤلف الحديث عن النشاطات الاقتصادية ـ التجارة والزراعة والصناعة ـ ثم صور الحياة المتنوعة فكانت المدن الرئيسية على طرق التجارة، وكانت للعرب رحلات تجارية الى البلاد المختلفة كاليمن والشام والعراق ، وكان الرق يشغل حيزا واسعا في الاقتصاد .

ولقد ساعد وجود اليهود في البيئة العربية على تغلغل الربا فكان موردا هاما من موارد الدخل ، أما عن العملة التى كانت متداولة فهى الذهب والفضة ، ويتجلى من آيات الميراث أن العرب كانوا يعرفون الاعداد حتى الكسور ، وكانت الكفتان

أساس الميزان . أما قدر الموازين السائدة حينئذ فلم يرد بالضبط في القرآن وان ورد فى الروايات ، وكان سكان المناطق الزراعية يزرعون بعض الحاصلات كالعنب والزيتون الى جانب النخيل ، وكان كبار الزراع العرب يستجلبون الخبراء في الزراعة من بلاد الشام والعراق ،كذلك تلهم آيات القرآن وجود بعض الصناعات المحلية التى لا يبعد أن تكون الجاليات الاجنبية اليهودية والنصرانية والسورية والعراقية والمصرية لعبت فيها دورا كبيرا ، وان العرب كانوا يستوردون ما لا يمكن لهم صناعته من الطرف أو حاجات البيت .

أما عن معايش العرب فقد كانت لهم أنماط حيوية كثيرة كتربية الحيوان والاعتماد عليه خاصة الجمل سفينة الصحراء ، والصيد بالرماح وغيرها وأكل اللحوم ، وقد نهوا عن الميتة والدم المسفوح ، كما كانوا يعرفون الخبز ويصنعونه من النبات الذى يصنع منه كالقمح والشعير ، وكان الزيت من أغذيتهم الهامة ، ومن فاكهتهم الرمان والعنب والموز والبلح كغذاء رئيسي ، كما شربوا الخمر وأنواعا من المسكرات وعرفوا الميسر ومارسوه الى جانب ألوان من الغناء والسمر ، وكانت بيوتهم تقوم على أسس وقواعد وسقف وأبواب لها فناء وسور يمكن القفز منها من غير الباب ، وبعضهم كان يتخذ الطوابق ، أما الخيام فاتخذوها من جلود الانعام ، وكان منهم من يتخذ الآوانى من جفان وقدور ، والاسرة والنمارق ، وكان للنساء وشاح وجلباب أشبه بالعباءة بحيث كن يخرجن مستترات يتحلين بالذهب والفضة ، وكان العرب أشد الناس استجابة لداعى الحرب بالاسلحة الخفيفة التى مكنتهم من اصطحاب نسائهم في الحروب التى تدر عليهم الغنائم ، أو تمكنهم من الاستيلاء على مواطن الكلأ ، ولذلك عنوا بألعاب الفروسية والتسابق العنيف وأنواع من الرياضيات .

وفي الفصل الثالث ذكر المؤلف من الجاليات الاجنبية في الحجاز النصارى واليهود وبعض الموالى .

وفي الحياة الاجتماعية موضوع الباب الثانى ذكر المؤلف في الفصل الاول – في حياة الاسرة – أن المركز الاول كان للرجل في حين كانت المرأة مهضومة الحقوق غير قليل منهن كن يتمتعن بشخصية قوية ، فلما جاء الاسلام سوى بينهما في الخطاب غير استثناءات قليلة ، مما يدل على أنها وصلت قبل البعثة الى طور من الاهمية غير قليل .

ثم سرد الكاتب عدة عادات وتقاليد سادت ذلك العصر ، من فوضوية الطلاق وظلمه ، وكذلك الظهار والايلاء والخطبة ووليمة العرش فى الزواج وشيوع تسرى الاماء ونكاح المتعة والزنا واتخاذ الأخذان وعدم الاستئذان فى الدخول الى البيت وسفور المرأة فى المجالس ووأد البنات الى غير ذلك من العادات التي بينها القرآن الكريم .

ثم تكفل الفصل الثانى بالحديث عن العصبية الاجتماعية التى كانت أهم مظاهر الحياة العربية ، وذكر أنواعها المتعددة .

وعن الحج والاشهر الحرم كان حديث الفصل الثالث حيث ذكر المؤلف فيه أن الحج عمل منذ ذلك العصر على تدعيم مركز مكة وأهلها ، اذ كان الناس يأتون اليها من كل بلد وعلى كل دين ، اما للحج عملا بدعوة ابراهيم أو للتجارة أو للتبشير ، وقد ذكر المؤلف تقاليد الحج قبل البعثة ، وهى غالبا نفس التقاليد التى أقرها الاسلام بعد ما جردها من شوائب الشرك والقبح كالطواف على عرى ، كما كانت أشهر الحج المعروفة – حتى اليوم – أشهر حرم وهدنة حتى يأتى الحجاج، ويعودوا كل عام في سلام .

أما الفصل الرابع ـ فعن نظام الحكم القبلي حيث كان التفاوت الطبقي والرق من طبيعته .

وفي الباب الثالث عن الحياة العقلية ذكر المؤلف في الفصل الاول أن لغة القرآن مقياس لقوى العرب العقلية وان ارتفع مستواه بمعانيه الروحية ، فلم يرتفع عن مستوى الافهام ، فقد كان النبي يخاطب به كل انسان فيفهمه، ثم عرض المؤلف من خلال فهمه للقرآن فنون اللغة التي كانت سائدة حينئذ وهي الشعر والسجع والمرسل والأمثال والخطابة والبرهان ، وبين انضباط تلك اللغة بالسليقة على المقاييس اللغوية ،كما استدل من وجود بعض الكلمات المعربة على اتصال العرب بغيرهم من الامم .

أما الفصل الثاني فقد ضمنه المؤلف حديثه عن العلوم والمعارف ووسائلها ، وأن القراءة والكتابة لم تكونا المقياس الثقافي كما هي الآن ، وأن كانتا منتشرتين قليلا وبشكل خاص بين النصارى واليهود ، وفي مكة بالذات ، وكانت لغة الكتابة العبرية عند اليهود والسريانية أو اليونانية عند النصارى ، ولا يبعد أن يكون العرب قد نقلوا نظام الكتاتيب من اليهود والاجانب ، وأن يكون سكان جدة وينبع والمناطق الساحلية تداولوا بعض اللغات لأنها الموانى حينئذ ، وكانت محكا دائما للاختلاط .

كذلك يفهم من القرآن ان من العرب من عرفوا بعض المعلومات التاريخية وأساطير الاولين وبعض المعلومات الطبية والجغرافية والفلكية بالاضافة الى معرفتهم بفنون أخرى تدل على القوة العقلية كالعرافة والعيافة ، ووجود الحكمة مع ذلك في بعض المنبهين والمنذرين دليل على ما وصلت اليه مرحلة التطور العقلي العربي قبل الاسلام .

وفي الفصل الرابع توسع المؤلف في الاستدلال على قوة العرب العقلية بمواقف المعارضة والمشاقة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وما دلت عليه من تفنن في المكر والدهاء والعناد ، أما الظلمات التي عناها القرآن فهي ظلمات الشرك والانحراف الخلقي وايثار المكانة الدنيوية التي دفعتهم الى المشاقة لا عن جهل بل عن عناد وعصبية ، والا فقد كانوا يعرفون (أنه الحق من ربك) كما يعرفون أبناءهم « ثم ان الله قد هداهم بعد ذلك للايمان والنور » .

أما الباب الرابع ـ في العقائد والاديان ـ فهو القسم الهام الذي يشغل حيزا أكبر في الكتاب،وقد ضمنه المؤلف ثمانية فصول جعل أولها عن الشرك وما ينطوي تحته من عقائد ومظاهر خلص فيه الى أن من العرب من عبد أشياء مادية وغير مادية كآلهة رئيسية مع الله ، ومنهم من عبدها زلفى الى الله مما بشر حينذاك بخطوة تطويرية جديدة في التفكير الديني، وليس في القرآن ما يحدد الوضع الذي كان عليه تعدد الآلهة ، والأقرب أن يكون لكل قبيلة أو بطن اله أو لنوعي الخير والشر اله أو الامرين معا ، وقد عرض الى عقيدة اتخاذ الله أولادا وبنات ، وجوز أن تكون تلك العقيدة قد تسربت اليهم من النصارى أو غيرهم .

وعن المعبودات المادية والوثنية وعبادة القوى والمشاهد الطبيعية عقد المؤلف الفصل الثاني ، وبين أن عبادة الشمس والكواكب الاخرى والنار كانت موجودة في بعض القبائل في اطار الاعتراف بالله أعظم .

وقد اتخذوا الرموز المادية ـ كما يذكر الفصل الثالث ـ كهبل واللات والعزى رموزا للملائكة كبنات الله .

وفي الفصل الرابع بين المؤلف أن العرب عرفوا الجن وأيقنوا بقدرتهم على الاتيان بأفعال خارقة من الشر فحسبوا أن بينهم وبين الله نسبا ، فعبدوهم خوفا وتقية ، أو تقربا الى الله ، وقد عرض لحقيقة ابليس وأنه من الجن ، وأثار في عرض ذلك سؤالا هاما ، كيف

عبد العرب أبليس أو الشيطان مع فهمهم من هذين الاسمين معنى الذم والهجاء ؟ ، وكان لا بد من افتراضين اما أن يكون العرب، قد عبدوهما خوفا واتقاء، واما أن تكون تعابير العبادة والتولى قد وردت على سبيل المجاز بقصد توبيخ المشركين ، وابراز نجاح الشيطان في اغرائهم حتى استجابوا له وهما افتراضان معقولان على كل حال .

ومهما يكن من أمر فان أسفار العرب ورحلاتهم ــ كما يقول الفصل الخامس ــ جعل التفكير الدينى عند العرب يرتقى قبل البعثة الى فهم معنى الله وتصوره، وان كان عندهم شيئا يمكن أن يروه كما جعلتهم الخلافات الدينية والتفاخر بين اليهود والنصارى يتطلعون الى بعثة النبي المنتظرة منهم ، ليكونن به أهدى من تلك الامم .

وهنا وقف البحث الكبير أمام سؤال الح منذ بعيد وفحواه : أن الكتاب من أوله يشيد بمستوى العرب في القوة العقلية وبعد النظر وادراكهم لعقيدة الله، بل وتمنيهم أن يكون النبى الموعود الذى يختلف عليه اليهود والنصارى من بينهم، فلماذا اذن عارضوه وشاقوه ، بل وتآمروا عليه وأرادوا أن يقتلوه ، ويحل المشكلة ويبرر الكتاب كله أن العرب عارضوه بتأثير من كبرائهم الذين حالت دون ايمانهم عوامل الحسد والخوف على أنفسهم وبلدهم مكة من ضياع الامتيازات والتنافس العائلى والقبلى وعصبية التقاليد وغيظهم لما آمن بمحمد الفقراء والأرقاء ، ثم تصورهم للنبوة وأنها فوق طاقة البشر ، فاذا بمحمد بشر يأكل مما يأكلون منه ، ويشرب مما يشربون ، ولذلك أسقط في أيديهم ، وأخذوا يهرفون تارة بأنه ساحر وتارة بأنه كاهن أو مجنون ، وهم يعرفونه كما يعوفون أبناءهم ، وبرغم ايمانهم بخلود الروح فقد أنكروا البعث وان التمس لهم المؤلف العذر ، اذ لم يأت بشأنها قبل بيان مستفيض في التوراة والانجيل .

ولقد كان العرب يهدفون بتدينهم الى أن يلجأوا الى اله يرعى أمور دنياهم فيدفع البلاء ويجلب الرخاء، ولذلك ركز القرآن على أن آلهتهم لا يملكون لانفسهم ضرا ولا نفعا .

ثم رأى المؤلف آثار خطوة تطويرية واسعة ارتقى فيها الفكر الدينى قبل البعثة درجة أعلى على يد جماعة الصابئة والحنفاء الذين عافوا الاديان السائدة جميعا . ثم عرض لتاريخ التوراة والانجيل كمصدرين من مصادر الثقافة العربية .

ثم يتهادى البحث الى النهاية في بيان كيفية العبادات التى كان يؤديها العرب كالصلاة والطهارة والصيام والاعتكاف في رمضان والنذور والقرابين والاجتماع يوم الجمعة ، وقد كانت لهم عادات معينة في التحليل والتحريم بجانب بعض العبادات النفسية كالتطير والرقى والتعاويذ والاستقسام بالأزلام كما فهموا عن النفس والروح أنهما قوتان منفصلتان عن الجسد كما يفهم من القرآن .

وعند هذا الحد مع نهاية الصحيفة الاحدى والاربعين بعد الثمانمائة بالقطع الكبير تنتهى رحلتنا الطويلة القصيرة مع هذا المرجع الكبير الذى جمع فيه الاستاذ دروزة صور الحياة العربية وملامحها في عصر النبى وقبل بعثته ، وان نص في مقدمته على أنه اعتمد على القرآن وحده دون غيره بحيث كان موقفه منه موقف المستنتج، فذلك ما لا يظهر لي ، والذى يظهر أنه اعتمد أولا وفي الدرجة الاولى على التاريخ ورواياته ــ وان كانت معتمدة ــ بجانب القرآن بحيث كان موقفه موقف المطابق لما فيه ، وان لم ينقص ذلك من قيمة الكتاب وجدة فكرته ..

شكرا للمؤلف وعذرا للقارىء فيما اقتضاه أحيانا الحيز المحدود لهذا الكتاب .

بأقلام القراء

يعبرون فيه عن افكارهم دون أن تلتزم المجلة بآرائهم

ادفعوا القدر بالقدر

تناول فضيلة الشيخ محمد على الزعبى المدرس بالجامع الكبير فى بيروت موضوع القدر بأسلوب سهل بعيد عن تعقيد الفلاسفة فقال :

الجبرى اذا فعل خيرا أسنده لنفسه ، واذا فعل شرا علله بقوله : لقد سبق بعلم الله فكتبه وقدره وقضاه ، بل واجبرنى عليه .

الجبري يتخيل من يناقشه طفلا يصدق أن : قضى وقدر وعلم تساوى أجبر !

الجبرى ، يتخيل أن قوله بالجبر دليل على قدرة الله غير المحدودة ، وأن البشر لا يستطيعون القيام بعمل ما ، ويرى هذا عبادة وزلفى ، ولكن فاته أن رأيه ينافى الشرائع والانظمة وسنن الكون وأن المشركينعللوا شركهم بهذا نفسه .

الجبرى شخص منحه الله عينين سليمتين وبيتا معرضا لنور الشمس ، فاغمض عينيه واختار الظلمة ، وأخذ يلقى تبعتها على الله نفسه زاعما أن التخبط فى الظلمة قدر .

ولئن غزوناه بحجج الاختيار التى يعجز عن مقارعتها ينسحب من المعركة زاعما أن رسول الله صلى الله عليه وآلـه وسلم ، نهى عن الخوض فى بحث القضاء والقدر ، ناسيا أن الاستسلام لجيش الجبر كاستسلام شعب صال عليه عدو طامع فحنى عنقه وقال (ان الله نهى عن الدفاع) !!

نعم أن الاستسلام للاقدار التي يستطيع الشخص أو الامة دفعها ليس من الاسلام بل دفعها هو القدر بعينه .

ألا ترى أصحاب رسول الله واجهوا قدر الطاعون بقدر الحجر الصحى لان رسول الله نفسه قابل قدر المرض بقدر الدواء ، وقدر حصار المدينة بقدر حفر الخندق ، وقدر الامية بقدر التعليم ..

فعل هذا كله ، ليعلمنا أن قدر الاستعمار يحارب بقدر الجهاد بطرد جيوشه واقتلاع جذوره من مطلق أرض لوثها بأطماعه وافساده .

لعمرى ، لنفرض أن الاستعمار والتفكك والتفرقة وسلب الكنوز واقتطاع فلذات كبد ديارنا بيد الذين خلقهم العدو التاريخى العريق ، لنفرض أن هذا قدر ألسنا مكلفين ان ننازع القدر بقدر ؟

ألا ان المصائب التى نراها أقدارا ، سهام تخذناها بأيدينا وصوبناها لنحورنا ، وثمار لذنوب اجتماعية مارسناها مختارين وقبور حفرناها وقيود احكمنا ربطها بأيدينا (وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم) ولذا لا ينبغى أن نضجر فى مكافحتها ولا نستسلم ، بل نعدل الاساليب ونحفظ الاتزان ونرى بعين التفاؤل ونستعد للتضحية ، لان التكفير عن الذنب على مقدار الذنب .

ان الذين جهلوا دفع القدر بقدر جهلوا نواميس الحياة التى لا تقبل مقدرة الذين حاولوا أن يتخذوا من الاقدار معذرة .

علينا الا نجزع من خوض معركة دفع الاقدار بأقدار ، علينا أن نوجد الفرص ، ولا ننتظر اغتنامها ، ولا

نتكل على الخوارق والدعاء المجرد ، لان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ـ وهو قدوتنا العظمى ـ جعل الدعاء خاتمة المطاف .

ان تذليل العقبات طريق يفضي لجنتى الدنيا والآخرة ، فان سجلنا نصرا على الفقر والجهل والمرض وطردنا الطامعين من ديارنا فذاك دفع قدر بقدر ، وان اخفقنا فصقل لنفوسنا وكفكفة لتمادينا وشحذ لعزائمنا .

ودفاع القدر بالقدر تارة يكون ايجابيا كما حارب رسول الله الاوثان ، وكما سار لحرب بدر وسار صلاح الدين لحطين والظاهر بيبرس لغور بيسان .

وتارة يكون سلبيا ، أي صبرا على ما لا نستطيع دفعه من الاقدار كقدر الموت اذ هو المصيبة الوحيدة التي لا ندفعها الا بدرع الرضا والاستسلام ، لان الله كلفنا صبرا ووعدنا عليه اجرا .

النصر للاسلام

وبعث مأمون فريز جرار الطالب بمدرسة جنين الثانوية بالاردن قصيدة تحت هذا العنوان نقتطف منها ما يلي : ـ

كفكف دموعك فالاسلام منتصر — ونوره فى سماء الكون منتشر
ان البشائر فى الآفاق قد لمعت — بروقها .. وجيوش الليل تندحر
الفجر أقبل والانوار تتبعه — والجدب ولى وجاء الورد والزهر

★ ★ ★

أرى الغشاوات قد زالت ستائرها — ومدنف الكفر فوق المهد يحتضر !!
أرى العقول ترى فى الدين بغيتها — أرى السكارى لشرب الخمر تحتقر !!
فجدد العزم لا تيأس فما عدمت — حرارة الدين ، فالايمان مستتر
اما انتصرنا فهذا بعض غايتنا — أو ان قتلنا فذاك الموت مفتخر
انا سنرفع للاسلام رايته — فوق الربى ليرى الانوار من كفروا
قرآننا يا أخى دستور عيشتنا — وحرز وحدتنا ، ما مثله الدرر

شكرا لكم أبدا

وأرسل الاستاذ حامد شكور المدرس الاول بتجارة دمنهور الثانوية بالجمهورية العربية المتحدة قصيدة تحت هذا العنوان نقتطف منها ما يلي :

امجلة الوعى — ومنارة الرأى
وكتيبة الحق — والنور والهدى

★ ★ ★

أمجلة الرشد — وطليعة الهدى
يا روضة الخلد — يا لثمة الوحى
أسفيرة الفصحى — فى عالم « الرغى »
أهواك من قلب — ظمىء الى رى ـ
أفديك من روح — تهفو الى رأى ـ
شكرا لكم أبدا — فى الكر والجرى
لولاك يا وعيى — ما كنت فى وعى



رسالة من موسكو

هذه رسالة من موسكو جاءتنا من الطالب : مصطفى جامع عبد الباقى يقول فيها :

« لقد اطلعت على العدد الخامس عشر من مجلة الوعى الاسلامي الغراء ، وقد أعجبت بموضوعاتها الاسلامية الحية التي تسهم بقدر كبيرفى ابراز نور الاسلام الوضيء ، ودحض الشبهات التى أثارها حوله المغرضون الذين يتألمون اشد الألـم حين يرون الجموع تهرع زرافات ووحدانا الى الاغتراف من فيض الاسلام .

واظنك تعجب كيف وقع هذا العدد بين يدى ، والسبب هو أننا ندرس بموسكو عاصمة الاتحاد السوفييتي ، ونادرا جدا ما تقع بين أيدينا أمثال هذه المجلة الاسلامية الممتازة .

وكم كان بودىأن أرسل لكم اشتراكيالسنوىلأضمنوصولها اليبانتظام،ولكنتحول دون ذلك صعوبة ارسال أى نقد من داخل الاتحاد السوفييتي ، ولا يخفى عليكم ما لمثل هذه المجلات الاسلامية من أثر فى ربط الشباب ربطا روحيا فى هذه البلاد . ففيها نجد الغذاء ، ومنها نستمد العزة فى السير قدما لرفع راية العزة الاسلامية .

● هذه واحدة من عدة رسائل وصلت الى هذا الباب من بعض شبابنا المسلم الذين يدرسون فى مختلف البلاد الأجنبية،ولهذا النوعمنالرسائل أهمية خاصةفىنفوس المعنيين بنشر الدعوة الاسلامية ،فهي تشد من أزرهم ، وتضاعف من جهدهم ، وتزيدهم ايمانا بقوة الاسلام الذاتية ، وفعاليته ، ومبلغ مقاومته لتيارات الالحاد العارمة ، وصموده لموجات الانحرافات الزاحفة ، وانتصاره فى نفوس الشباب المؤمن على طلائع الغزو الفكرى المضاد لعقيدة الاسلام وشريعته . وبحسب الناظر فى هذه الرسالة أن يحيط بالظروف الاجتماعية التي يعيش فيها كاتبها ليدرك صدق هذه الحقيقة .

ولكى نكون واقعيين يجب أن ننظر الى الصورة ــ صورة مبعوثينا فى الخارج ــ من زواياها المختلفة ، فبجانب هذا الوجه المشرق الذى تمثله هذه الرسالة نرى وجها آخر للصورة يمثل الكثرة الكاثرة من الشباب الذين يتعلمون فى الخارج وقد استهوتهم ألوان المدنية البراقة التي تحيط بهم ، ففتنتهم عن دينهم ، وسلختهم عن تقاليدهم وأعرافهم ، فتنكروا للمثل والقيم الاسلامية .

وهنا تبرز أهمية العناية بالتربية الدينية للمبعوثين قبل ايفادهم ، وأن يراعى فى اختيارهم المستوى الأخلاقي بجانب المستوى العلمي ، وأن توفر لهم الرعاية الصحيحة والاشراف الكامل مدة دراستهم فى الخارج .. بهذا نحصنهم ضد الأوبئة الخلقية التي يتعرضون لها فى هذه البلاد الغريبة عليهم فى معتقداتها واخلاقياتها . وبهذا يتحقق اخلاصهم لأمتهم وشعوبهم حين يعودون اليها بعد استكمال دراستهم ، ويتولون المناصب القيادية .

ونعود الى كاتب الرسالة ، فنصافحه ، ونشد على يديه ، ونحمله مسئولية الدعوة الى الله بين زملائه ، ونطمئنه بأن المجلة ستصله على عنوانه بانتظام .

تعليق وتعقيب

وجاءنا هذا التعليق بتوقيع (المخلص الغيور على دينه : عبد اللطيف بن ابراهيم ابن محمد) يقول فيه :

« لقد ذكرتم فى جوابكم على خطاب أحد القراء فى مجلة الوعى الاسلامي العدد الصادر فى أول جمادى الأولى ١٣٨٦ هـ صفحة ٩٠ أن الخلافة (الاسلامية) موضوع تاريخي لا يمكن أن يكون له صلة بحاضرنا » .

« ولقد استغربت أيما غرابة هذا القول من عالم بالشريعة الاسلامية مثلكم ، ومن اجل تذكير كم ولفت نظر كم جئت بهذا الخطاب بقصد تصحيح المفهوم المتعلق بالخلافة آملا أن تقبلوا الحق من أى كان والا تجدوا فى نفسكم حرجا فى قبوله ، اذ أن سعة الصدر (سيمة) أهل العلم المخلصين لله ولرسوله وللمسلمين ، ... والآن ألج الى الموضوع فأقول ان الخلافة الاسلامية ليست موضوعا تاريخيا كما ذكرتم ، بل هي حكم شرعى (هكذا) ولقد اختلف المسلمون فى السابق فيمن ينصب خليفة ، ولكنهم لم يختلفوا فى وجوب تنصيب الخليفة .. الخ ..

فهل يجهل فضيلتكم هذا الحكم المتعلق بالخلافة ، أم أنكم تتجاهلون هذا الحكم ، وتقولون عنه انه موضوع تاريخي لا يمكن أن يكون له صلة بحاضرنا ! ؟ .

هذا وان كان الموضوع « جهل أو تجاهل » (هكذا) فانني قد ذكرتكم بخطابي هذا والذكرى تنفع المؤمنين . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

● ونحن نقول للسيد / عبد اللطيف الذى قال عن نفسه انه « الغيور على دينه » اننا نرجو له ولنا معه حسن الغيرة مع البصيرة والفهم السليم وحسن الاستيعاب كذلك .. وليس فيما كتبناه « جهل أو تجاهل » كما تقول لموضوع الخلافة فى الاسلام . ولكن ما كتبناه كان ردا على رسالة تعرضت لموضوع تاريخي وهو « من كان احق بالخلافة أبو بكر أم علي » وقد بعث بها الينا الطالب عبد الحسين جاسم من جامعة ليفربول وقد لخصت رسالته وجاء فى السطر السابع من ص (٩٠) من ذاك العدد : « ثم ينتقل (أى الطالب) الى الحديث عن موضوع الخلافة بين أهل السنة والشيعة ومن أحق بها ويذكر رأيه حسب ما درس ، ويستشهد بنصوص قرأها » .

فكان جوابي على هذه النقطة من رسالته « أما ما اثاره الاخ من موضوع الخلافة فهو موضوع تاريخي تحفل به بطون الكتب ، وقد شغل المسلمين منذ وجد وفرق صفوفهم ، وأثار بينهم حروبا دموية ، ولا نحب أن تثار مثل هذه الموضوعات التاريخية التى لا يمكن أن تقوم لها صلة بحاضرنا ، وليست هناك جدوى من اثارتها الا اذكاء نار الفرقة . فلنترك هذا الموضوع الذى يتصل بأسلافنا الكرام لله يحكم فيه : بعد ان انطوت صفحات أصحابه ، ولنجابه الواقع المر الذى نعيشه .. الخ » .

فالكلام اذن صريح فى أنه كان عن موضوع : من أحق بالخلافة : أبو بكر أم علي ؟ لا علي موضوع الخلافة نفسها ... كان الكلام عن الخلاف الذى قام حول تنصيب الخليفة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم من يكون ؟ ومن هو الأحق منهما ؟ وهو موضوع تاريخي يا سيد عبد اللطيف لا نحب أن نثيره الآن ونزيد مصائبنا وخلافاتنا ، وننشغل به عن اصلاح واقعنا . فما الذى أثار غيرتك الدينية فى هذا الكلام ؟ هل من مقتضيات الغيرة الدينية أن يقف المسلمون الآن فريقين متخاصمين متناحرين .. فريق يقول : كان أبو بكر احق ، والآخر يقول : علي أحق ، ونتعارك والدنيا من حولنا تضحك علينا ؟ ! ! .

أخيرا ارجو أن تعيد قراءة الموضوع مرة ثانية ، وتستوعبه ثم تقول لنا : هل كنا نحن على « جهل أو تجاهل » ؟ . كما ارجو أن تجعل منهاجك فى غيرتك « ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن » .

والا فلن تجدى غيرة بدون بصيرة وحكمة ، بل تضر ..

الفتاوى

يسر المجلة ولجنة الفتوى بالوزارة ان تتلقى أسئلةالقراء وتجيب عنها .

افساد المرأة على زوجها

السؤال : ـ

سعى رجل لافساد زوجة جاره على زوجها ، ليطلقها ويتزوجها من بعده ، وقد نجح فى سعايته ، فهل يحل لهذا المفسد أن يتزوج هذه المرأة بعد أن طلقها زوجها ؟
يوسف ابراهيم ـ الاردن

الاجابـة : ـ

السعى بين الناس بالفساد من أكبر الكبائر ، وبين الزوج وزوجته أشد وأقبح ، ويعظم الذنب وتتضاعف العقوبة اذا كانت السعاية بين الجيران ، وهذا الساعى بالفساد ليفرق شمل أسرة ، ويقطع ما أمر الله به أن يوصل متنكر لكل القيم ، متمرد على جميع المثل . وقد تبرأ الرسول صلى الله عليه وسلم من هذا المفسد وأمثاله ، فقال (ليس منا من خبب ـ أفسد امراة على زوجها ، أو عبدا على سيده) لان هذا عمل الشياطين المفسدين . وعن جابر عن النبى صلى الله عليه وسلم قال (ان ابليس يضع عرشـه ـ سلطانه ـ على الماء ، ثم يبعث سراياه وجنوده ـ فأدناهم ـ أقربهم ـ منه منزلة أعظمهم فتنة ـ اغواء وافسادا ـ يجىء احدهم ، فيقول فعلت كذا وكذا ، فيقول : ما صنعت شيئا ، ثم يجىء أحدهم ، فيقول : ما تركته حتى فرقت بينه وبين امرأته ، فيدنيه ـ يقربه منه ، يقول نعم أنت فيلتزمه) رواه مسلم .

وهذه الزوجة المخدوعة الطائشة التى استجابت لهذا الشيطان ، شريكة فى الاثـم ، وستجنى عاقبة طيشها ونزقها فى الدنيا والآخرة ، وحسبها من المجتمع الازدراء والاحتقار ، ومن الله الغضب . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ايما امـرأة سألت زوجها طلاقها من غير بأس ـ عذر شرعي ـ فحرام عليها رائحة الجنة ـ رواه أبـو داود .

وقد ذهب بعض السادة المالكية الى أن افسـاد الرجل زوجة غيره ليتزوجهـا يحرمها عليه على التأبيد معاملة له بنقيض قصده . جاء فى حاشية الدسوقي على الشرح الكبير ج٢ص ٢١٩ عند الكلام على المحرمات (مثل ذلك الذى يفسد المرأة على زوجها حتى يتزوجها ، فقيل يتأبد فيها التحريم ، وقيل لا يتأبد فيها التحريم ، وانما يفسـخ نكاحه ، فاذا عادت لزوجها وطلقها أو مات عنها جاز لذلك المفسد نكاحها .. وهـذا هـو المشـــهور .

ولا يرى بعض الفقهاء افساد المرأة على زوجها محرما لها على من أفسدها ، وان كان يعتبر هذا العمل من أفسق الفسوق ، وأنكر أنواع العصيان .

والذى نميل اليه هو الاخذ برأى المالكية فى التحريم ، صيانة لحرمة الاسرة وقطعا لدابر الفساد . ومعاملة للمفسد بنقيض قصده .

التنكيس فى قراءة القرآن

السـؤال : ــ

ما حكم قراءة القرآن على عكس الترتيب الموجود فى المصحف ؟

يعقـوب حسـين ــ مالى

الاجابـة : ــ

قراءة الآيات غير مرتبة كأن يقرأ القارىء (اهدنا الصراط المستقيم) قبل (اياك نعبد واياك نستعين) لا تجوز لان فى هذا التقديم والتأخير فى الآيات خلطا على السامعين ، وضياعا للمعنى المراد ، وقد صرح السلف بحرمته .

أما قراءة سورة قبل أخرى كأن يقرأ سورة « ألم نشرح » ، ثم يقرأ سورة « والضحى » ــ فان كانت فى غير الصلاة جازت ، أما فى الصلاة فقد صرح الفقهاء بكراهية ذلك .

تكبيرة الاحرام

السؤال : ــ

أسمع أحيانا بعض المصلين يقول عند تكبيرة الاحرام « الله وكبر » بدلا من الله أكبر . فهل هذا النطق صحيح ؟ .

محمد ابراهيم ج٠ ع٠ م٠

الاجابة : ــ

هذا النطق صحيح لغة . أبدلت فيه همزة (أكبر) واوا لضم ما قبلها وهو الهاء فى لفظ الجلالة ، وهذا عند أهل الحجاز الذين يخففون الهمزة ، قال سيبويه فى الكتاب ١٦٤/٢ « وان كانت الهمزة مفتوحة وقبلها ضمة ، وأردت أن تخفف أبدلت مكانها واوا » .

وقد تعرض الفقهاء لهذا عند الكلام على تكبيرة الاحرام ، فقال الشيخ الباجورى فى حاشيته على ابن قاسم « ولو أبدل همزة أكبر واوا ضر من العالم دون الجاهل » فالمتعلم لا يغفر له هذا ، لأن ما يكون فى الصلاة يقتدى فيه بفعل الرسول صلى الله عليه وسلم ، ولم ينطقه الرسول بابدال الهمزة واوا فى تكبيرة الاحرام .

ويقول القليوبى فى حاشيته على الجلال فى فقه الشافعية « وابدالها واوا مبطل كمدها وقيل لا يضر لأنها لغـة » .

وبناء على هذا تكون صلاة من يقول (الله وكبر) صحيحة من الجاهل دون العالم .

فى الميـراث

السـؤال : ــ

توفيت امرأة عن زوجها وأمها وولدين ذكر وانثى وبنت ابن متـوفى وبنت بنت متوفاة فمن يرث ومن لا يرث . وما نصيب كل وارث .

حسـين المختار
البصرة

الاجابـة : ــ

بوفاة المرأة عن المذكورين يكـون الحكم فى الميراث كالآتي :

لزوجها الربع فرضا . ولامها السدس فرضا . والباقى لولديها للذكر ضعف الانثى تعصيبا . ولا شيء لبنت الابن وبنت البنت ، لحجب بنت الابن بالأعلى درجة وهما الولدان وبنت البنت بوجود ورثة من العصبات وأصحاب الفروض . الا أن هناك قانونا يحمل اسم قانون الوصية الواجبة ، وهو معمول به فى الجمهورية العربية المتحدة يجعل لكل منهما بطريق الوصية الواجبة نصيبا مثل نصيب والده لو كان على قيد الحياة . بشروط منها : أن لا يزيد ما يأخذه أصحاب الوصية الواجبة عن ثلث التركة ، وأن لا يكون المتوفـى قد أعطاه شيئا من التركة بدون عوض حال حياته .

مسلمو ليبيريا المنسيون

نشرت مجلة حضارة الاسلام الدمشقية مقالا تحت هذا العنوان مترجما عن مجلة (باكستان الفتاة الاسبوعية) التى تصدر فى دكا عاصمة باكستان الشرقية جاء فيه :

لا نجد فى ليبيريا (١) الا عددا من المساجد المبعثرة فى أنحائها المختلفة ، واما فى العاصمة فلا يوجد الا مسجدان ، ولكنهما بالطبع لا يمكن أن يستوعبا كافة المصلين ، ولذلك نجد الكثيرين يؤدون صلاة الجمعة فى الشارع . وليس هناك فى ليبيريا أيضا دعوة منظمة للاسلام الحق ، وان كنا نرى للقاديانية بعثة تبشيرية منظمة ، وينطلق مبشروها ليعلموا بجد ونشاط فى أنحاء كثيرة من الدولة . ونجد أن المسلمين ، بسبب نقص التوجيه الاسلامى ، ليس لديهم الا فكرة ضحلة عن الاسلام ، ولذلك ، وبسبب حسن تنظيم البعثات التبشيرية النصرانية ، يسهل على المبشرين تضليلهم ، حتى اننا بسهولة يمكننا أن نلمس النشاط الهائل لهذه البعثات فى كافة أنحاء غرب أفريقيا .

ونلاحظ أن رئيس جمهورية ليبيريا وكافة أعضاء الوزارة هناك هم من المسيحيين . وقد كان رئيس الجمهورية مبشرا محليا فى عدد من الكنائس ، قبل أن يصبح رئيسا للجمهورية .

وأخيرا فان الاسلام فى ليبيريا يحتاج لكل مساعدة ممكنة ، من قبل مفكرى وأغنياء ومنظمات العالم الاسلامي . فعلى هؤلاء جميعا يقع واجب تعليم المسلمين فى ليبيريا ، وتقديم كل عون ممكن للقضية الاسلامية فى تلك الاماكن النائية ، والمنسية والمهملة من قبل المسلمين .

وهناك الكثير من الاعمال الطيبة التى يمكن القيام بها فى ليبيريا ، اذا ما أرسلت المساعدات الروحية والمادية ، واذا ما أرسل الشباب المخلصون النشيطون ، الذين لديهم الجرأة والجلد على التوغل فى مجاهل افريقيا ، ثم دعوة السكان الى هذا الدين العظيم ، الذى يناسب أكثر من أى نظام آخر حاجة الافريقيين .

وليس هناك هدية قيمة ، نقدمها لشعب افريقيا ، الذى أهين من قبل وعومل معاملة السائمة ، لمدة قرون طويلة ، أكثر قيمة من أخوة الاسلام الشاملة .

الصومال

من حديث أدلى به الحاج محمود عبد شيل سكرتير جمعية الصداقة الصومالية العربية أثناء زيارته للكويت لمندوب مجلة السياسة الكويتية :

كل المحاولات التي بذلت لفصل شعبنا عن منابعه الأصيلة ، وعن عروبته ودينه ، باءت بالفشل .. وأذكر لكم بعضا من هذه المحاولات التى أعتبرها انا امتدادا طبيعيا للحروب الصليبية التى انتهت بخروج الفرنجة من الأرض العربية المسلمة ، وتستمر الان فى بلادنا بدوافع انتقامية قديمة ضد ديننا الحنيف ، وضد عروبتنا .

الصوماليون يتحدثون العربية بلهجتهم الخاصة ، ونحن لا نؤمن بان اللهجة الصومالية هى اللغة القومية للشعب الصومالى ، كلا ، ولكننا نعتبرها لهجة من لهجات العرب التى تتفاوت بين قطر عربى وقطر آخر ..

ولكن ثمة محاولات تبذل لتكريس اللهجة الصومالية كلغة رسمية قومية للبلاد ، وتكريس كتابتها بالاحرف اللاتينية ، والهدف من هذه المحاولة واضح بالطبع ، وهو القضاء على اللغة العربية فى الصومال ، والقضاء على الاحرف العربية ، وقطع الصلة بين الشعب الصومالى وبين لغة القرآن ، وهو الكتاب الذى لا يزال قلعتنا القوية التى تتحطم عند أسوارها المنيعة كل المحاولات العقيمة والمفسدة ..

---

(١) من دول غرب افريقيا على الساحل الجنوبي بين ساحل العاج وسيراليون وجنوب غينيا .

وجمعيتنا ، جمعية الصداقة الصومالية العربية ـ تدعو جهارا الى نبذ محاولة الكتابة بالحـــروف اللاتينية ، وتعتبر لهجة الصوماليين لهجة عربيـــةمحلية ، لا يجوز أن تحل بديلة للغة العربية الفصحى التى ندعو لتكريسها لغة رسمية للبلاد .

والعجيب أن كل الدول الاجنبية وبواســطةسفاراتها فى بلادنا تتفق فيما بينها على ضرورة سحق اللغة العربية وتدميرها ، وتكريس الصومال فى واقعه ،بلدا لا يمت للعرب بصلة ، ولا حتى للاســلام .

وتبذل هذه الســفارات محاولاتها بواســطةالارساليات التبشيرية ، التى تنفق عليها ملايـــين الجنيهات فى كل افريقيا ، ورغـم ذلـك فان هــذهالارساليات لم تفلح فى مهماتها التبشيرية ، ولم تفلح فى ابعاد الشعب الصومالى عن دينه ولغته ..

وهذه الدول رغم خلافاتها السياسية ، كروسياوأميركا ، تتفق كما قلت لكم على ديننا ، وعلى لغتنا ، ولا تزال تواصل جهودها العقيمة فى هذا السبيل ،وهى جهود نعرفها جيدا ، أو نعرف كيف نقاومهـــا ونتصـــدى لها .

يعيش فى كنف الله

نشرت صحيفة الاهرام تحت هذا العنوان حديثالاحد محرريها مع راقص باليه انجليزى يعمل استاذا فى الازهر نورده فيما يلى :

وحده مع الله : يعيش فى شقة جميلة تطل علىنيل الجيزة يعبد الله فى خشوع . يحاول فى صعوبة أن يقرأ بعضا من آيات المصحف الشريف بعد أن آثرصحبة الله على حياة اللهو والســـهر والاضــواء والرقص . بل ونسى كل شىء يتعلق بهـــا . نســى رقص الباليه الذى كان واحدا من أبطاله فىبريطانيا. نسى أدواره فى أفلام (انا كارنينا) و (الحصان العجيب) و (سقوط الصنم) و (اتنائيو) و (قبلينى ياكيت) وغيرها . نسى تصفيق الجماهيرواعجابها به ، وهو يلعب على مسارح لندن أشــهر مسرحيات شكسبير . وقنع بـ (٥٠ جنيها) هى كــلراتبه من جامعة الازهر ووزارة الاوقاف يدفع منها ٣٠ جنيها ايجار شقته المفروشـــة فى حين كان دخلـــهيصل الى ألف جنيه شهريا !

واقطع على (روبرت ارثر ولمزلى) ـ ٤٠ سنة ـخلوته بعد أن شدتنى قصته الى لقائه . واصحبــه فى جولة يقول لى خلالها لقد كنت شــغوفا بحب الله منذ الصـــغر . ولكنني لم أســـتطع انماء هذا الحب حتى سقطت طريح الفراش من كثرة العملوالسهر والشراب ، حيث أتيحت لى فرصة القراءة فى الكتب الدينية التى كان لها فعل السحر فى استردادصحتى . كما أيقظت فى نفسى حب الله وضرورة السعى اليه . وخرجت من المستشفى بعد عامين ،وقد صممت على البحث عن الحقيقة .. عن اليقين.. عن الله . وتركت لندن وقصدت الشرق ـ مهبطالوحى والرسالات ـ وتنقلت بين الهند وباكســـتان وانضممت الى أحد معابد البوذيين ثم دخلتالدير .. لكننى لم أجد فيهما اليقين ! حينئذ عكفت فى مكان بعيد عن الناس اسأل الله أن يهدينى الصواب .

وذات ليلة رأيت فى المنام أنى أسير ليلا مع ثلاثرفاق فى الصحراء يركب كل واحد منا جوادا . وكاد يلفنا التيه ، لولا أن رأينا رجلين عربيين يستظلانتحت ظل صخرة سألناهما عن قائدهما ، فاجابـــا (محمـــد) واستيقظت وأنا لا أفتأ أكرر (الله..محمد)وعلى الفور اعلنت اسلامى فى (مدراس) على يـــد الشيخ احمد الشرقاوى مبعوث الازهر فى الهند .

يقول ـ عبد الرشيد الانصارى ـ وهو اســـمهالجديد ـ . وعدت الى لندن بعد اسلامى ، ودعوت أهلى الى الاسلام ، فاسلمت أمى : ورفضت زوجتى ،وقاطعنى اخوتـــى !

وتركتهم وجئت الى مصر ـ بلد الازهر الشريفـحيث أحسن الشيخ حسنمأمون شيخ الأزهر والاستاذ احمد حسن الباقورى مدير جامعة الازهر لقائي ،وأسندا الى العمل مدرسا فى كلية هندسة الأزهر .

واسأله عن قدراته فى غير الرقص والتمثيل ؟فاعرف انه شاعر مجيد له مجموعة قصائد فى حـــب الله والجمال تشف رقة وعذوبة . كما أنه رســـامله لوحات غاية فى الدقـــة والتعبير .

وتركت الشاب المسلم الفنان ، وأنا لا أستطيعأن اخفى سؤالى له (هل تؤرقه الوحدة بعد فراق الاهل والاصدقاء ؟) ويرد عبد الرشيد الانصـــارى : لا يعرف الوحدة انســـان يعيش فى كنف الله ! ...

اخبار العالم الإسلامي

الكويت

● استقبل حضرة صاحب السمو أمير البلاد المعظم معالي وزير التربية وبرفقته مستشار التعليم العالي وأمين عام الجامعة والاساتذة المعارون لجامعة الكـويت وذلك بمناسبة بدء العمل فى الجامعة للاعداد للعام الدراسي الجديد .

● أعلن صاحب السعادة الشيخ صباح الاحمد الجابر وزير الخارجية ووزيـر المالية والنفط بالوكالة فى خطابه الذى ألقاه فى هيئة الأمم المتحدة أن الكـويت تعتبر قضية فلسطين جزءا من مصير الأمة العربية كلها ومن قضاياها الوطنية وهي لذلك تعطى تأييدها القلبى لحركة التحرير وتقف الى جانب شعب فلسطين فى كفاحه المقدس من أجل تحرير بلاده من الاستعمار الصهيونى .

● ألقى صاحب السعادة السيد سعود العبد العزيز العبد الرزاق رئيس مجلس الأمة ورئيس وفد الشعبة البرلمانية الكويتية فى المؤتمر السنوى للاتحاد البرلمانى الدولي الذى انعقد فى طهران خطابا مستفيضا ناشد فيه الضمير العالمى سرعة العمل على ايجاد حل عادل لقضية فلسطين قبل أن يترجم الحقد الى عمل جبار يدفع بالعرب الى خوض المعركة بكافة أبعادها من أجل استرداد الارض المقدسة والوطن السليب .

● صرح معالي وزير الأوقاف والشؤون الاسلامية بأن الوزارة سترصد خلال هذا العام مخصصات جديدة لانشاء عدد من المساجد .

● تعتزم وزارة التربية زيادة عدد الطلاب العرب الذين يدرسون فى الكويت فى العام القـادم .

● عقدت لجنة المعونات الاسلامية اجتماعا درست فيه الطلبـات التى وردت اليها من مختلف البلاد لمساعدة الهيئات والجمعيات الخيرية فى بناء مسـاجد ونشـر الدعوة الاسـلامية .

● تبرعت الحكومة بخمسين ألف دينار لانشاء كلية للبنات فى الجمهورية السودانية .

● طلبت السفارة الكويتية فى السودان تزويدها بأعداد كافية من مجلة الوعي الاسلامي تحقيقا لرغبة كثير من المسئولين السودانيين .

● حضر مؤتمر علماء المسلمين الثالث الذى عقد فى القاهرة فى آخر الشهر الماضي كل من الشيخ راشد الفرحان والشيخ على الجسار .

● قبل فى امتحان القبول فى معهد الامامة والخطابة ٥٠ طالبا من ١٠٠ طالب تقدموا للمعهـد .

● ساهمت الكويت بمبلغ عشرين ألف دينار لانشاء مبنى مستقل للمركز الاقليمى فى بيروت لتدريب كبار موظفى التعليم فى الدول العربية .

القاهرة

● عاد الرئيس جمال عبد الناصر من تنزانيا بعد زيارة رسمية استغرقت ستة ايـام .

● انعقد المؤتمر الثالث لعلماء المسلمين الذى ينظمه المجمـع الأعلى للبحـوث

الاسلامية بالأزهر فى القاهر وقد ضم المؤتمر أكثر من مائة من كبار علماء المسلمين الذين يمثلون (٤٢ دولة اسلامية) برياسة فضيلة الامام شيخ الجامع الأزهر والجدير بالذكر أن جميع المذاهب الاسلامية المختلفة ممثلة فى هذا المؤتمر . وقد ناقش الجميع ٢٠ بحثا مختلفة حول الاسلام والحياة .

● استضاف صوت العرب علماء المسلمين الذين اشتركوا فى المؤتمر فتحدثوا عن حياتهم وآرائهم وأفكارهم . تذاع الحلقات هذه الايام كما سجل لهم تسجيلات خاصة برمضان القادم تذاع خلال أيامه .

● أهدى المجلس الأعلى للشؤون الاسلامية الى الجمعيات والهيئات والمدارس الاسلامية بتنزانيا مكتبة اسلامية ضخمة .

● أصبح عدد الكراسى الشاغرة فى المجمع اللغوى سبعة بعد وفاة المغفور له الاستاذ على عبد الرازق وسيعلن المجمع قريبا عن خلوها وفتح باب الترشيح فيها أمام الراغبين .

● قررت جامعة الأزهر اعتبار (شهادة المولوى عالم) من الباقيات الصالحات وهى المسماة بالكلية العربية بالهند معادلة لشهادة النقل الى السنة الثالثة بكلية أصول الدين جامعة الأزهر .

● قرر مجلس جامعة الأزهر قبول جميع الطلبة الوافدين من الدول الاسلامية والناجحين فى الشهادة الثانوية فى الكليات دون التقيد بمجموع الدرجات .

السعودية

● **عاد جلالة الملك فيصل الى البلاد بعد أن قام برحلة استغرقت أربعة أسابيع زار خلالها تركيا والمغرب وغينيا ومالي وتونس .**

● ستفتح فى العام الدراسي الحالي كلية للتربية بالرياض لاعداد المدرس فى المرحلتين الثانوية والمتوسطة

أخبار متفرقة

● قرر وزير التربية العراقي تشكيل لجنة لدراسة موضوع توحيد أسس المناهج فى التعليم المهني والفني فى البلاد العربية .

● قرر مؤتمر المهندسين العرب العاشر القيام بوضع تخطيط تنظيمي هندسي لمدينة القدس يحافظ على طابعها العربي .

● كون أبناء نيجيريا المتخرجون من جامعة الأزهر فى بلادهم جمعية الفرض منها فتح مدارس لتعليم اللغة العربية والدين الاسلامي لأبناء نيجيريا .

قال أحد المسئولين الأمريكيين ان المسلمين الزنوج بدأوا يشكلون خطرا على الولايات المتحدة بعد أن زاد عددهم عن الاربعة ملايين .

قاطع وزراء الخارجية العرب وسفراء الدول العربية حفل الاستقبال الذي أقامه رئيس بلدية نيويورك للوفود التي حضرت اجتماع الجمعية العامة للأمم المتحدة وذلك احتجاجا على الغاء رئيس البلدية الحفل الذي كان مقررا اقامته للعاهل السعودي أثناء زيارته للولايات المتحدة فى يونيو الماضي .

وأعلن ناطق باكستاني أن وفد بلاده سحب قبوله للدعوة التي وجهت اليه لحضور حفل الاستقبال تضامنا مع الدول العربية .



مكتبة المجلة

لطفي السيد فيلسوف أيقظ أمة

كتاب من تأليف الأستاذ عبد العزيز شرف يقع فى ٦٤ صفحة ويتناول حياة أستاذ الجيل المرحوم لطفي السيد وقد قامت بطبع الكتاب مطبعة الشرق بالسنبلاوين بالجمهوريةالعربية المتحدة.

الانسان بين الجبر والاختيار

رسالة موجزة عن قضية اختلفت فيها المذاهب والآراء استخلص فيها مؤلفها الأستاذ محمد سلامة جبر خلاصة الآراء وأصحها ، والرسالة تقع فى ٤٠ صفحة من طبع مطبعة عيسى البابى الحلبى بالقاهرة .

الاسلام والأسرة

عناية الاسلام بالأسرة حقيقة انفرد بها بين الشرائع كلها فالاسلام ولا شك دين الحياة يعالج مشكلاتها التي تتصل بالاحياء أنفسهم وبما حولهم مما خلقه الله من أجلهم .

واهتمام الإسلام بالاسرة والزواج وصلة الرحم والابناء والتبني والتربية الجنسية كل هذه الأبواب اشتمل عليها كتاب الاسلام والاسرة الذى الفه الأستاذ عوض عوض ابراهيم مبعوث الأزهر الى الأردن فى ١٦٠ صفحة وطبعته دار النشر للجامعيين من سلسلة الثقافة الاسلامية .

الهجرة النبوية

بقلم الأستاذ سامى سيد طه وهو كتاب يتناول موضوع الهجرة كوحدة متكاملة مركزا الأضواء عليها مبينا أثرها فى الدعوة الاسلامية ويقع الكتاب فى ٨٢ صفحة وقامت بطبعه دار يوليوبالقاهرة.

بطولات الجزائريين الخالدة

كتاب غنى بمادته وتحقيقاته ومعلوماته التاريخية وقد عرض فيه مؤلفه الأستاذ احسان النمر فصولا ضافية عن تاريخ المغرب العربي وفتوحات العرب فيه وعن الأندلس وضياعها وطبع بالمطبعة العصرية بنابلس فى ٦٤ صفحة .

ثورة فى عالم الفلسفة

بحث يحل معضلة العقيدة حلا نهائيا بأدلة مادية محسوسة ويقدم مفتاح مشكلات الحياة ، وهو من تأليف الأستاذ حميد حسن الخالصى المدرس فى متوسطة الكاظمية والبحث جمع فى كتاب تحت عنوان ثورة فى عالم الفلسفة ، وطبعته مطبعة الأزهر ببغداد فى ١٦٠ صفحة .

فتح البديع ـ فى مدح الشفيع

قصيدة فى مدح الرسول صلى الله عليه وسلم لابى برهان مرسى شاكر الطنطاوى مشروحة بقلم الأستاذ حسين شاكر صاحب جريدة البشرى والقصيدة تعتبر درة فى بلاغة الشعر وسمو المعانى وقد نظمها مؤلفها فى نيف ومائتين وخمسين بيتا على نسق البردة فجاءت فيضا من الايمان الصحيح وثمرة من الادب الرفيع تقرأ فيها تاريخا رائعا لشخصية الرسول من مولده عليه الصلاة والسلام الى نشأته وبيئته واسرائه وهجرته ثم انتشار دعوته النبوية ، والقصيدة مطبوعة فى كتاب يقع فى أربعين صفحة طبعته مطبعة الشبكشى بالازهر بالقاهرة .

سر انحلال الامة العربية ووهن المسلمين

كتاب من تاليف المغفور له السيد محمد سعيد العرفي أبرز فيه مؤلفه الكيان العربي ورسم الصورة الصحيحة للشخصية العربية الاسلامية وعالج أوضاع الأمة العربية الاسلامية فشخص أمراضها ووصف لها الدواء باسلوب سهل ، ويعد هذا الكتاب مرجعا هاما فى الأمور الدينية والتاريخية وهو من الكتب التي كان لها أثر فى الثقافة العربية والفكر الاسلامي ، والكتاب فى ٣٦٨ صفحة وطبعته مطبعة عبد الله الملاح شارع النصر ـ دمشق ـ سوريا .

((الى راغبى الاشتراك))

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك فى المجلة . ورغبة منـا فى تسـهيل الامـر عليهم ، وتفاديا لضيـاع المجلة فى البريد ، رأينا عدم قبـول الاشتراكات منا من الان ، وعلى الراغبين فى الاشتراك ان يتعاملوا رأسـا مع متعهد التوزيع عنـدهم ، وهـذا بيـان بالمتعهديـن ،

القاهرة : شركة توزيع الاخبـار ـ ٧ شارع الصحافـة

مكة المكرمـة : مكتبة الثقافة للصحافة . صب ١٤٦

المدينة المنورة : مكتبة ومطبعة ضياء ـ السيد محمد زين العابدين ضياء

الريـاض : مكتبة المدينة ـ صب ١٩ ـ السيد احمد باصريح

الطائـف : مكتبة الثقافة للصحافة ـ عمارة ابن الملوح ـ صب ٢٢

جـده : مكتبة الصلاح العالمية ـ عمارة البنك الاهلى صب ٦٣٥

الخبر : مكتبة النجاح الثقافية ـ صب ٧٦ ـ السيد محمد سعيد بابيضان

البحرين : المكتبة الوطنية وفروعها ـ المنامة ـ السيد فاروق ابراهيم عبيد

قطر : مكتبة الثقافة ـ الدوحة ـ ص ب ٨٤٢

قطـر : مكتبة العروبة ص.ب : ٥٢

عـدن : وكالة الاهرام التجارية ـ السيد محمد قائد محمد

المـكلا : ص ب ٢٨ ـ حضرموت ـ مكتبة الشعب المحـدودة

دبـى : ساحل عمان ـ صب ٢٦١ ـ السيد عبد الله حسن الرستمانى

مسـقط : المكتبة الاهلية ص ب ١٥٧

بغـداد : مكتبة المثنى ـ السيد قاسم محمد الرجب

عمـان : وكالة التوزيع الاردنيـة ـ السيد رجا العيسـى

القـدس : وكالة التوزيع الاردنية ـ السيد رجا العيسـى

دمشـق : الشركة العامة للمطبوعات صب : ٢٣٦٦

بيروت : الشركة العربية للتوزيع ص ب ٤٢٢٨

السـودان : ص ب ١٥٥ ـ الخرطـوم

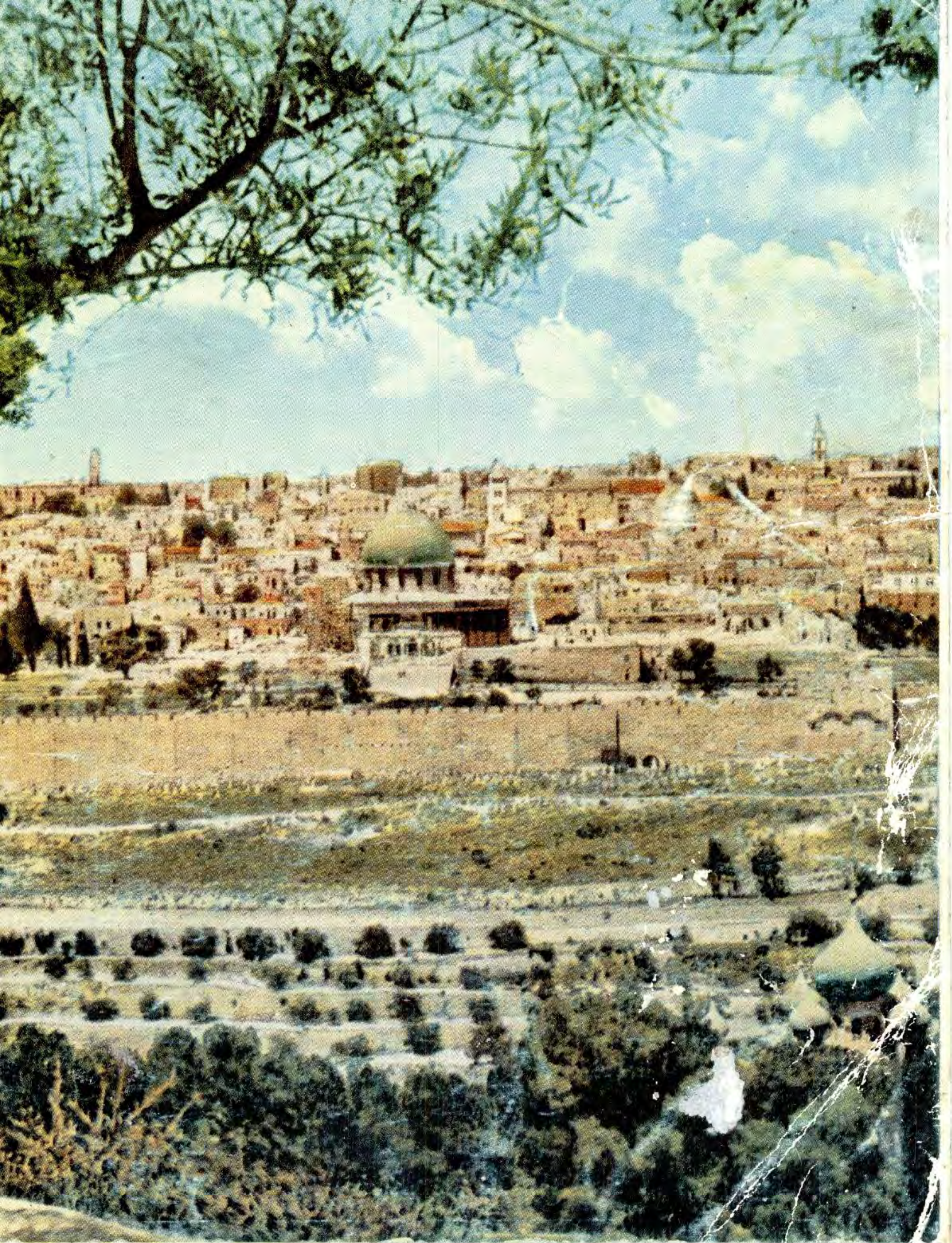
مراكـش : الدار البيضاء ـ مكتبة الوحدة العربية ـ السيد أحمد عيسى

ليبـيا : طرابلس الغرب صب ١٣٢ ـ السيد محمد بشير الفرجانى

بنغـازى : مكتبة الوحدة العربية صب ٢٨٠ ـ السيد الشعالى الخراز

الكـويت : مكتب منار للتوزيع ٢١ شار فهد السالم صب : ١٥٧١

ونوجه النظر الى أنه لا يوجد لدينا الان نسخ من الاعداد السابقة من المجلة



منظر عام لمدينه القدس تتوسطها قبة الصخرة المشرفة

مطبعة حكومة الكويت

الوعي الإسلامي

إسلامية ثقافية شهرية

السنة الثانية * العدد العشرون * شعبان ١٣٨٦ هـ * نوفمبر ١٩٦٦ م





اللهم اسقنا الغيث ولا تجعلنا من القانطين

الوعي الإسلامي

اسلامية ثقافية شهرية

العدد العشرون ـ السنة الثانية

غرة شعبان سنة ١٣٨٦ هـ

١٤ نوفمبر (تشرين الثانى) ١٩٦٦ م

تصدرها وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية بالكويت فى غرة كل شهر عربي

المجلة حرة ، والوزارة غير مسئولة عما ينشر فيها من آراء

هدفها : المزيد من الوعى ، وايقاظ الروح ، بعيدا عن الخلافات المذهبية والسياسية

المشرف العام

عبد الرحمن المجحم

رئيس التحرير

عبد المنعم النمر

مدير التحرير

على عبد المنعم

سكرتير التحرير

رضوان البيلى

صورة الغلاف



الجامع الأموى ـ دمشق
الواجهة الشمالية المطلة على الساحة وتظهر فى الصورة . القبة المعروفة بقبة النسر .

الثمن

الكويت	٥٠	فلسا
السعودية	١	ريال
العراق	٧٥	فلسا
الاردن	٥٠	فلسا
ليبيا	١٠	قروش
المغرب	١	درهم
الخليج العربي	١	روبية
اليمن وعدن	٧٥	فلسا
لبنان وسوريا	٥٠	قرشا
مصر والسودان	٤٠	مليما
تونس والجزائر	١٠٠	مليم

الاشتراك السنوى للهيات فقط

فى الكويت ١ دينار
فى الخارج ٢ ديناران
(أو ما يعادلهما بالاسترليني)
أما الافراد فيشتركون رأسا مع متعهد التوزيع كل فى قطره

عنوان المراسلات : مجلة الوعى الاسلامي ـ وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية ـ الكويت ص . ب ١٣ ـ هاتف ٢٢٠٨٨

صاحب السمو الأمير المعظم

يفتتح الدورة الجديدة لمجلس الأمة

تفضل حضرة صاحب السمو أمير البلاد المعظم صباح السبت ١٥ من رجب سنة ١٣٨٦ هـ ـ الموافق ٦٦/١٠/٢٩ بافتتاح دور الانعقاد العادى الخامس التكميلى للفصل التشريعى الاول لمجلس الامة .

وقد افتتح سموه هذه الدورة بهذا التوجيه الابوى الكريم :

بسم الله الرحمن الرحيم

أبنائي أعضاء مجلس الأمة ،

أحييكم أجمل تحية ، ويطيب لى أن أفتتح هذه الدورة التكميلية للفصل التشريعى الأول للمجلس ، منتهزا هذه المناسبة السعيدة لأؤكد من جديد عزمنا الثابت ـ متعاونين مع السلطات الدستورية ـ على المضى قدما بكويتنا الحبيب فى مدارج العزة والازدهار بلا تردد أو توقف .

ان ما لقيته خلال الأشهر الماضية من ولاء ومحبة واخلاص فى العديد من المناسبات لما يضاعف من عزيمتى على التفانى فى خدمة هذا الوطن العزيز ، والبذل السمح لبلوغ أهدافه وغاياته باذن الله تعالى ومشيئته .

اننا نعيش الآن فى بلادنا نهضة شاملة لم يسبق لها مثيل ، لها أثرها النابض وفعاليتها المثمرة فى جميع مجالاتنا . ومع ذلك فما زال أمامنا الكثير من الانجازات والاصلاحات التى تتطلب منا جميعا مزيدا من البذل ، ومزيدا من الجهود ، لبلوغ أهدافنا وتحقيق تطلعاتنا الى آفاق أوسع وحياة أفضل .

اننا نعيش كذلك فى عصر تتصارع فيه العقائد السياسية والاجتماعية بقسوة وقوة ، وانى لأحمد الله ، أن لدينا فى بلدنا من الدراية والوعى ما جعلنا ندرك أين مكاننا الصحيح من هذا الصراع العقائدى الذى لا يعين الانسانية على حل مشاكلها العديدة .



صاحب السمو أمير البلاد المعظم يلقى توجيهه الابوى الكريم .

انا نؤمن بأن الحكم تكليف لا تشريف وبأن السلطتين التنفيذية والتشريعية ما وجدتا الا لخدمة الشعب ، والسهر على راحته لا للسيطرة عليه .

انا نؤمن بأننا فى هذا البلد الامين أسرة كبيرة واحدة ، سر نجاحها حتى الآن فى التضامن والتعاطف بين جميع أفرادها فى السراء والضراء . ومن أجل ذلك فانى جد حريص على تماسك هذه الاسرة الكبيرة التى أعتبر مصيرها ومستقبلها أمانة فى عنقى .

انا نؤمن بأن تشريعاتنا المتطورة يجب ألا تكون منقطعة الصلة بماضينا ، والخيّر من تقاليدنا . وبأن الثروات الطبيعية التى أفاء الله بها علينا ، يجب أن تستغل استغلالا علميا كاملا ، لصالح الجميع لا لصالح فئة دون أخرى .

انا نؤمن بالله ورسله وبمبادىء ديننا الحنيف التي تحضنا على البر والتقوى ، لا على الشر والعدوان .

هذه هي مبادئنا التي ندين بها والمستوحاة من واقعنا . وانى لعلى يقين من أننا بتماسكنا وتعاضدنا وانصرافنا للعمل الجاد البناء الذى لا يشغلنا عنه شاغل ، نكون قد ضربنا لغيرنا مثلا حيا يشار اليه ويحتذى به .

وفقنا الله لتحقيق ما تصبو اليه نفوسنا من آمال كبار ، وسدد على طريق العمل الصالح خطانا ، والله يحفظكم ويرعاكم .

« والوعى الاسلامى » التى تعبر عن اعتزاز الكويت بدينها وثقافتها الاسلامية الاصيلة تعتز بما جاء فى كلمة صاحب السمو من الاشادة بمبادئنا الاسلامية والحرص على تدعيمها واقامة النهضة الحديثة على هديها .

بسم الله الرحمن الرحيم

أخي القارئ

منذ شهور عديدة وأنا أريد أن أتحدث معك هنا فى موضوع حيوى ، وظاهرة خطيرة فى مجتمعاتنا ، تحز فى نفسي ونفس كل غيور ، ولكني كنت أتردد فى تسجيل هذه الظاهرة أو اثارتها برغم أنها ملموسة تشغلك ، وتشغل كل مسلم ، ونعاني جميعا آثارها ومرارتها .. حتى كان العدد الأسبق فلمستها لمسا خفيفا فى ((خواطرى)) ثم أصبحت تشغلني ، وتأخذ علي جل تفكيري ، وأتحدث فيها كثيرا مع الذين ألمس فيهم العناية بالتيارات والمظاهر السيئة التي تغشي مجتمعنا وتفعل فعلها فيه .

ولعل سبب ذلك هو ما انفعلت به نفسي فى زيارتي الأخيرة لبعض أجزاء من وطننا العربي ، واتصالي بالكثير من المثقفين وغير المثقفين ، مما أتاح لي الوقوف على كثير من مظاهر الحياة الاجتماعية ، مما يشبه أن يكون اكتمالا لتكوين الصورة العامة فى نفسي .. حتى جلست أكتب هذا وأمامي شريط طويل من دراساتي ومشاهداتي فى البلاد العربية وفى البلاد الاسلامية الأخرى التي زرتها ، أو عرفت الكثير عن أحوالها ...

ولكل انسان منا فى نفسه ((ترومتر)) أو مرصد حساس يسجل ــ أكثر ما يسجل ــ الناحية التي يهتم بها ، وتعنيه أكثر من غيرها ..

ومنذ زمن بعيد ومرصدى يشغلني بتتبع أحوال المسلمين ونهضتهم الحديثة فيما أقرأ أو أسمع أو أشاهد .. حتى لأبيت الليل مسهدا لظاهرة لاحظتها،أو خبر سمعته .

ويزيد فى تكبير الصورة وآثارها فى نفسي ما عرفته من دراستي للاسلام وكفالته النهضة والقوة لأتباعه ، وما أراه ، وأعرفه من مظاهر التخلف التي تغشاهم .. والتي لم تعد نفوس المعنيين منا بشئونهم تحتمل بقاء هذه المظاهر التي سادت عهودنا السابقة ، بل تجد فيها منافاة لديننا ، ومجافاة لنهضتنا ، ومعوقا لتقدمنا ..

فلماذا نرى مظاهر التخلف والكسل هذه تغشى المسلمين أكثر من غيرهم الآن . وقد كانوا يمثلون فى عصر من العصور كل مظاهر القوة والتقدم والنشاط ؟؟ .

لماذا نرى المسلمين متخلفين عن غيرهم ، وقد يكونون جميعا ــ المسلمون وغيرهم ــ نبت بلد واحد ، وأبناء بيئة مشتركة ؟ .

لماذا يحسن غير المسلمين الاقبال على اجادة الحياة واستغلال مقدراتها لصالحهم ؟

كنا ولا زلنا نرى الأجنبى يأتى من الغرب فقيرا ، فاذا به بعد مدة يستولى على أموال المسلمين وأملاكهم ويصبح مليونيرا ! .

ودعنا من هذا الأجنبى فاننا لا نريد أن نقتصر عليه فى ميدان المقارنة ، ولندخل الى أبناء البلد الواحد ..

كنت أثناء جولاتي فى الهند أذهب الى بلد أكثريتها مسلمون ، وأزور مدارسها التي أنشأتها الأكثرية المسلمة ، وأعمد الى الوقوف على احصائية للطلاب ومذاهبهم ، فاذا بالأكثرية منهم غير مسلمين ! ! ! وأسأل عن التجارة ومن يسيطر عليها ؟ فاذا بهم غير مسلمين ! ! .

وفى بعض بلادنا العربية نجد أحيانا مناظر حسنة ،ومرافق مريحة متقنة الصنع والاخراج ، تجذب النفوس اليها ، لتوفر عوامل الراحة الجسمية والمتعة النفسية فيها، ونجد مناطق أو مناظر أخرى ، مهملة الاستغلال ، ومن الممكن بجهد قليل ، وبشىء من التنسيق والذوق والانفاق أن تكون متعة ، بل وأكثر من غيرها متعة وراحة وكسبا ماديا .. وأسأل فأجد الأولى يستغلها غير المسلم . أما الثانية فمع الأسف !!! .

وتذهب الى المتاجر والمرافق الأخرى فتجد الظاهرة نفسها !!! .

لا أقول ان ذلك أمر مطرد ، ولكنه يكاد يكون ظاهرة عامة .

فلماذا ؟ !! .

ومن العجب أن الكثيرين منا يلمسون هذا كله ، ولكنهم يقفون عند هذا الحد ، وربما تجدهم يحوقلون ، وينعون على غيرهم ، دون أن تولد فيهم هذه الظاهرة المؤلمة روح الاقدام والعمل والتسابق !! .

وظاهرة خطيرة أخرى نشكو منها جميعا ، وتعمل عملها الفتاك فى تعويقنا ووأد المواهب والكفاءات فينا .. ولكنا مع ذلك نكاد نشارك جميعا - من قريب أو بعيد - فى صنعها ..

تلك هى ظاهـرة الحقد على الناجحين منا فى حياتهـم ، ومحاولة تحطيمهم واستغلال أساليب غير شريفة لهدمهم ..

ينهض واحد منا بكده وعزمه ومواهبه واسـتعداداته ، فـلا يلبث أن يظهر فى مجتمعه ، ويأخذ دوره المناسب لكفاءته وجهوده ، حتى تتناوله الألسنة ، وتشرع أسنتها المسمومة للنيل منه والتهوين من شأنه ، وتحاك حوله الدسائس و ((المقالب)) للقضاء عليه ، ولا سيما من بيئته التي ظهر بينها ، ومن الفاشلين فيها بشكل أوضح !!

لماذا لا يساندونه ، ويشجعونه ، حتى يجنى هو ثمرة كفاحه ، ويجنى مجتمعه معه ثمرة هذا الكفاح ؟ .

لماذا لا ينافسونه منافسة شريفة ، ويتسابقون معه تسابقا بريئا ، ليستفيدوا جميعا ، وتستفيد أمتهم من هذا التنافس الشريف ؟ ! .

واذا لم يستطيعوا فلماذا لا يتركونه يشق طريقه بعرقه ودموعه ، ويقطف ثمرة جهوده ، ويفيد من حوله بماله وعلمه وكفاءته ويكون قدوة حسنة ، ومثلا طيبا حافزا لغـيره ؟ ! .

لماذا لا نترك الطائر يطير ، بدلا من أن نرميه بالحجارة ، ونثخنه بالجراح ونحن قعود ؟ !! .

ظاهرتان خطيرتان فى مجتمعاتنا ، وقد يكون لاحداهما بعض الصلة بالأخرى . نشكو منهما مر الشكوى ونتحدث عنهما كثيرا فى مجالسنا .

فالى متى يظلان حديثا يروى بيننا ، ويثير فينا الشكوى والأنين ؟ .

الى متى نترك (الميكروب) يسرى ويفتك بالأمة دون أن نحاصره ، ونقضى عليه ؟ ما سبب ذلك ؟ ما علاجه كيف نتخلص منه ؟ .

ذلك هو ما أريد الوقوف عنده ، واثارة حمية المخلصين المعنيين بمصير هذه الأمة ليكتبوا فيه ، ويشنوا من أجله حملة عملية واعلامية معا ، لتطهير أمتنا من أمراضها حتى تنطلق فى الطريق الذى أراده لها الله ، وتؤدى دورها بجدارة فى هذه الحياة .

والله مع العاملين .

رئيس التحرير

جرائم بني إسرائيل في نقض العهود

٣

للشيخ / عبد الجليل عيسى

ذكرنا فى عدد سابق ست جـرائم لهذه الأمة ، وبما أن جرائمهم تعجز من يحاول حصرها ، وقد جاءت موزعةعلى سور من القرآن ، بلغت نحو ثلث سورَه الاربع عشر ، بعد المائة ، وهذا مالم يحصل لأمة غـيرها ، كمـا جـاءت متفرقة فى آيات كثيرة ، بصور شتى ، وعلى وجوه مختلفة ، كما هي سنة الله فى معالجة أمراض النفوس ، تارة فى صورةأوامر ،وأخرى فى صـورة نواه ، وتارة بالترغيب ، وأخرى بالترهيب .

قال المرحوم الشـيخ محمد عبده . لاحظ بعض البلغاء والمفسرين ، أن القرآن يطنـب ، ويبدىء ويعيد ، فى أحـوال اليهود خاصة ، دون غيرهم من الأمم ، على قلتهم ، وكثرة تلك الأمم ، وسبب ذلك أن أذهانهم شحنت بما يظنونه علما ، واعتزوا بذلك ، فأبعدهم هذا الغرور عن وصول نـور الحـق الى قلوبهـم ، فلم يستفيدوا من كتابهم ، قال تعالى « مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها (١) كمثل الحمار يحمل أسفارا (آية ٥ من سورة الجمعة) ، فهذا الذى فى رؤوسهم هو الجهل المركب ، الذى تتعسر ازالته ، بخلاف غيرهم من الأمم ، فانه سلك معهم طريق الايجاز .

(١) أى لم يعملوا بها .

نقض العهود

نقول : بما أن جرائمهم بهذه الكثرة ، فسنكتفى بأشد مخالفتهم ضررا ، وأبشعها جرأة على ربهم . قص علينا القرآن أن الله أخذ عليهم العهد والميثاق المشدد ، بأن يعملوا أشياء ويبتعدوا عن أشياء ، فنقضوا العهد فى الجميع ، وسترى فى هذا المقال جرائمهم فى هذا الموضوع مضمومة الى ما تقدم .

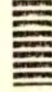
٧ ــ أخذ عليهم العهد المشدد ، أن لا يعبدوا الا الله ، وأن يحسنوا للوالدين ، ولذى القربى ، واليتامى ، والمساكين من اخوانهم بنى الانسان مهما كانوا ، وأن يقولوا للناس ، كل الناس ، لا لليهود فقط ، القول الحسن ، المشعر بعطف الأخوة الانسانية ، لا عجرفة فيه ، ولا تعاظم ، وأن يقيموا الصلاة ، وأن يؤتوا الزكاة المفروضة ، فماذا كان منهم بعد كل هذه الأوامر الالهية ، التي كلها مبعث خير وسعادة لهم فى الدنيا والآخرة ، لو كانوا يعقلون ؟ .

كان منهم أن أعطوا هذه الارشادات ظهورهم ، وهم معرضون عنها بقلوبهم ، سوى أفراد قليلين منهم ، فتعالوا على الناس ، وقالوا : (نحن شعب الله المختار) ، الى آخر فظاظتهم ، ولو فعلوا ما أمروا به في هذه الآية ، لعاشوا مع خلق الله اخوانا ، ولما وقعوا فى هذا الشقاء ، الذى أركسهم فى كراهية تلك الأمم ، التي ابتليت بهم ، حتى مزقهم الله طوائف مبعثرة فى الأرض مشتتين ، قال تعالى : « وقطعناهم فى الأرض أمما .. الخ » آية ١٦٨ من سورة الأعراف ، اقرأ فى كل ذلك قوله تعالى « واذ أخذنا ميثاق بني اسرائيل لا تعبدون الا الله وبالوالدين احسانا وذى القربى واليتامى والمساكين وقولوا للناس حسنا وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة ثم توليتم الا قليلا منكم وأنتم معرضون » آية (٨٣) من سورة البقرة .

٨ ــ بعد ما أخذ عليهم سبحانه فى الآية السابقة ، العهد بأمور يجب الوفاء بها ، أخذ عليهم العهد أيضا بوجوب الامتناع عن أمور ضارة بهم ، فنهاهم عن أن يقتل بعضهم بعضا ظلما ، ولا يخرج بعضهم بعضا من ديارهم ، وسجل عليهم أنهم جميعا أقروا هذا العهد ، وأنهم يعلمون أن عهد الله جاء فى التوراة ، ثم سجل عليهم سبحانه بعد ذلك ، أنهم لم ينتهوا عما نهاهم عنه ، بل قتل بعضهم بعضا ، وأخرج بعضهم بعضا من داره ، وكانوا يتعاونون على الشر ، وعلى كل معصية فيها اضرار ببنى جنسهم ، ومن ذلك التعدى والظلم .

ولا عجب ، فالحسد متأصل فى هذه الشرذمة ، من يوم أن تكونت خليتهم الأولى ، أليس آباؤهم هم الذين هموا بقتل أخيهم يوسف ،وهو لا زال طفلا صغيرا يلعب ؟ لعمر الحق ، لا يقدم على ذلك الا كل قلب قد من حجر ، أو أشد قسوة من الحجر ، وهذا التحاسد فيما بينهم ، سجله القرآن عليهم فى بوادر تبرز منهم بين الحين والحين ، من ذلك حسدهم لرجل عظيم منهم ، بالاعتراض على اختيار الله له ملكا عليهم ، قال تعالى فى ذلك : « وقال لهم نبيهم ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا قالوا انى يكون له الملك علينا ونحن أحق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال قال ان الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة فى العلم والجسم والله يؤتى ملكه من يشاء والله واسع عليم » آية (٢٤٧) من سورة البقرة .

وأخيرا ، حقت عليهم نقمة الله بتخليد العداوة بينهم فى دخيلة قلوبهم ، فقال سبحانه فيهم : « وأغرينا بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيامة » آية (٦٤) من سورة المائدة، وقال تعالى : فى نقضهم العهد . « واذ أخذنا ميثاقكم لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون أنفسكم من دياركم ثم أقررتم وأنتم تشهدون . ثم أنتم هؤلاء تقتلون أنفسكم وتخرجون فريقا



منكم من ديارهم تظاهرون عليهم بالأثم والعدوان وان يأتوكم أسارى تفادوهم وهو محرم عليكم اخراجهم » فى آيتى (٨٤ و ٨٥) من سورة البقرة .

٩ ــ أخذ سبحانه عليهم العهد ورفع الطور فوقهم ، لأن مشاهدة مظاهر القدرة الالهية ، بصورة تزعجهم ، تحمل أقسى القلوب على الخضوع التام ، لمن بيده الضر والنفع ، ففى هذا الحال أمرهم سبحانه أن يتلقوا كتاب ربهم بجد ونشاط ، وأن يكونوا دائما على ذكر بما فيه ، وبهذا ترجى لهم النجاة ، من كل ما فيه خطر عليهم ، فماذا كان منهم ؟ كان منهم أن أعرضوا ولم يمتثلوا ، اقرأ فى ذلك قوله تعالى : « واذ أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما آتيناكم بقوة واذكروا ما فيه لعلكم تتقون ثم توليتم من بعد ذلك .. الخ » (٦٣ و ٦٤) من سورة البقرة . وقال الله لهم : انى معكم ، أراقب تصرفاتكم ، وأحاسبكم عليها ، أخذ عليهم هذا العهد .

١٠ ــ أخذ عليهم سبحانه العهد المشدد أيضا ، مع أخذ الكتاب بقوة أيضا ، بأن يسمعوا ما فيه سماع قبول ، يستتبع عملا ، لا مجرد حفظ ، فماذا كان منهم بعد ذلك ؟ كان أن أعلنوا أنهم سمعوه كما ينبغى ، ولكنهم لم يعملوا بما فيه فكانوا بهذا الطيش ، وسوء الأدب مع ربهم ، بمنزلة العبد الذى يقول له سيده : افعل كذا ، فيقول : سمعت كلامك ، ولكني عصيتك ، ولن أنفذه ، قال سبحانه فى ذلك : « واذ أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما آتيناكم بقوة واسمعوا قالوا سمعنا وعصينا » آية (٩٣) من سورة البقرة .

١١ ــ أخذ سبحانه عليهم العهد ، وبعث منهم اثنى عشر نقيبا ، قادة لهم ، وكفلاء عليهم بالوفاء بعهده وبأنهم اذا أقاموا الصلاة ، وآتوا الزكاة، وآمنوا بكل رسل الله ، وحموهم من أعدائهم : حتى لا ينالهم منهم سوء ، وأحسنوا الى كل محتاج ، يبتغون بذلك وجه الله ، ثم أقسم سبحانه أنهم ان فعلوا ذلك ليكفرن عنهم سيئاتهم، وليدخلنهم الجنة ثم هددهم بعد هذا الترغيب الواسع ، بأن من يجحد فضل الله عليه بعد ذلك ، فقد ضل الطريق المستقيم ، ومن ضل فجزاؤه العذاب الشديد ، قال فى ذلك سبحانه : « ولقد أخذ الله ميثاق بنى اسرائيل وبعثنا منهم اثنى عشر نقيبا وقال الله انى معكم لئن أقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة وآمنتم برسلي وعزرتموهم وأقرضتم الله قرضا حسنا لأكفرن عنكم سيئاتكم ولأدخلنكم جنات تجرى من تحتها الأنهار فمن كفر بعد ذلك منكم فقد ضل سواء السبيل » آية (١٢) من سورة المائدة .

١٢ ــ أخذ سبحانه عليهم العهد بأمر هام جدا ، يتعلق برسلهم ، الذين هم منهم ، واكتفى سبحانه هنا بالاشارة اليه بذكر جريمة نقضه ، لانهم لم ينقضوه فحسب ، بل مدوا أيديهم اليهم بالقتل ، كما يفعل بهم أشد الناس عداوة لرسل الله ، أما هذا العهد المشار اليه فهو ما جاء صريحا فى البند السابق ، آية (١٢) من سورة المائدة ، من الايمان بالرسل ،

وحمايتهم من أعدائهم ، قال سبحانه : « لقد أخذنا ميثاق بني اسرائيل وأرسلنا اليهم رسلا كلما جاءهم رسول بما لا تهوى أنفسهم فريقا كذبوا وفريقا يقتلون » آية (٧٠) من سورة المائدة .

١٣ ــ أخذ سبحانه على علمائهم العهد على لسان انبيائهم ، وأقسم عليهم أن يبينوا للناس الكتاب ــ الذى جاءهم من عند ربهم ، وفيه ما ينص على صدق خاتم الرسل ، صلى الله عليه وسلم ، ولم يكتف سبحانه فى ايجاب البيان بالقسم عليهم ، بل أكده بالنهى عن كتمانه ، فماذا كان منهم ، بعد كل هذا التأكيد ؟ كان منهم ما جبلوا عليه ، فطرحوا العهد وراء ظهورهم ، وأهملوه، ودأبوا على تحريف كتاب الله حسب أهوائهم ، وشهواتهم ، لينالوا حظا من متاع الدنيا .

قال المرحوم الشيخ محمد عبده . قد كان لتأويلهم وتحريفهم أغراض كثيرة ، منها الخوف من الحكام اذا كانوا منحرفين عن تعاليم كتابهم ، ومنها : الرجاء فى نفع هؤلاء الحكام ، فيحرفون النصوص عن مواطنها بصرفها الى معان أخرى ، ليوافق الكتاب ما يريد الحاكم ، وبكل هذا يأمنون شرهم ، أو ينالون برهم ، ومنها . ارضاء العامة أو الاغنياء منهم خاصة ، ليستفيدوا بذلك مالا ، أو جاها ، فى كل ذلك قال سبحانه : « واذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمنا قليلا فبئس ما يشترون » آية ١٨٧ من سورة آل عمران ، وقد قال سبحانه فى هذه الجريمة ، غير ما هنا . « يا بنى اسرائيل أذكروا نعمتى التى أنعمت علكم وأوفوا بعهدى أوف بعهدكم واياى فارهبون . وآمنوا بما أنزلت مصدقا لما معكم ولا تكونوا أول كافر به ولا تشتروا بآياتى ثمنا قليلا واياى فاتقون . ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق وأنتم تعلمون » آية ٤٠ ، ٤١ ، ٤٢ من سورة البقرة .

١٤ ــ أخذ سبحانه عليهم العهد على أن لا يقولوا على الله الا الحق ، فلا يقولوا ان الله لن يرسل رسولا الا من بنى اسرائيل ، ولا أنه سبحانه سيغفر لنا ذنوبنا مهما كانت ، ولا أنه أحل لنا أكل أموال غير بنى اسرائيل ، «(١)» الى آخر ما قالوا من هذه الاباطيل ، ومع أنهم درسوا ما فى هذا الكتاب، وفهموا ما فيه ، وعلموا أنه ليس فيه شىء مما يقولون ، وأنه حرم عليهم أكل السحت ، مع كل ذلك فانهم لم يتركوا موبقة نهوا عنها الا ارتكبوها ، اقرأ قوله تعالى . « فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب يأخذون عرض هذا الادنى ويقولون سيغفر لنا وان يأتهم عرض مثله يأخذوه ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب أن لا يقولوا على الله الا الحق ودرسوا ما فيه والدار الآخرة خير للذين يتقون أفلا تعقلون » آية (١٦٩) من سورة الاعراف .

ولا زال المجال متسعا لعرض جرائم هؤلاء التى لا تنتهى ولن تنتهى ..

---

(١) قال الله تعالى فى هذه الاشياء (ومنهم من ان تأمنه بدينار لا يؤده اليك الا مادمت عليه قائما ذلك بأنهم قالوا ليس علينا فى الاميين سبيل ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون) آية ٧٥ من سورة آل عمران



من توجيهات الرسول
صلى الله عليه وآله وسلم

للشيخ/على عبد المنعم عبد الحميد
المستشار الثقافى لوزارة الاوقاف
والشئون الاسلامية

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الكبائر : الاشراك بالله ، وقتل النفس ، وعقوق الوالدين . ألا أنبئكم بأكبر الكبائر . قال : قول الزور »

رواه البخارى ومسلم

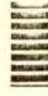
١ – من توجيهات الشريعة الاسلامية التى تجمع أصول ما حرم الله على عباده فى الأعمال والاقوال ، كما تشمل ما يقابلها من أصول البر والفضائل ما ورد متفرقا فى السنة الشريفة ، وفى كثير من سور القرآن الكريم . وما ورد فى السنة الشريفة ، نبه اليه الرسول الكريم فى مناسبات مختلفة ، كاجابة سائل ، أو توضيح الحكم فى حادثة معينة ، أو علاج أمر شائع بين الناس ، أو متوقع ظهوره فى مستقبل الايام ، وأساليب الرسول صلى الله عليه وسلم الذى أوتى جوامع الكلم فى هذا التنبيه والتوجيه ، والحث والتحذير – متعددة متنوعة فتارة يبدأ الحديث بلفظ أبايعكم . كالحديث الذى رواه البخارى ومسلم عن عبادة بن الصامت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال . « أبايعكم على أن لا تشركوا بالله شيئا ، ولا تسرقوا ولا تزنوا ، ولا تقتلوا أولادكم ، ولا تأتوا ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم ، ولا تعصونى فى معروف ، فمن وفى منكم فأجره على الله ، ومن أصاب من ذلك شيئا فأخذ به فى الدنيا فهو كفارة وطهور ، ومن ستره الله فذلك الى الله عز وجل ان شاء عذبه وان شاء غفر له » وتارة يبدأ الحديث بلفظ اجتنبوا ، كالحديث الذى رواه البخارى ومسلم عن ابى هريرة ان

الرسول قال « اجتنبوا السبع الموبقات : الشرك بالله ، والسحر ، وقتل النفس التى حرم الله الا بالحق ، وأكل الربا ، وأكل مال اليتيم ، والتولى يوم الزحف وقذف الغافلات المؤمنات » وحينما يبدأ الحديث بلفظ «ألا» كقوله صلى الله عليه وسلم « ألا أنبئكم بأكبر الكبائر : الاشراك بالله ، وعقوق الوالدين ، وكان متكئا فجلس ، وقال : ألا وقول الزور ، وشهادة الزور ، فما زال صلى الله عليه وسلم يكررها حتى قلنا ليته سكت » رواه البخارى ، ومن أمثلة ما حذر الرسول أمته منه مما يقع فى مستقبل الايام قوله « ستكون فتن القاعد فيها خير من القائم ، والقائم خير من الماشى ، والماشى فيها خير من الساعى . من تشرف لها تستشرفه ، ومن وجد فيها ملجأ أو معاذا فليعذ به » رواه البخارى ومسلم .

٢ ـ وما ورد فى القرآن الكريم ورد بعضه فى سورة البقرة ، وسورة النساء ، وسورة النحل ، وورد بعضه مفصلا فى سورة الاسراء ، وقد جمعت سورة الانعام الكثير منه ، ولما كانت تلك السورة الشريفة قد جمعت الكثير ، فسنسوقه على النسق الذى ورد به فيها ليسهل الالمام به فى يسر ،وليدرك فى رفق وهوادة قال الله تبارك وتعالى . (قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم الا تشركوا به شيئا وبالوالدين احسانا ولا تقتلوا أولادكم من املاق نحن نرزقكم واياهم ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن ولا تقتلوا النفس التى حرم الله الا بالحق ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون . ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتى هى أحسن حتى يبلغ أشده وأوفوا الكيل والميزان بالقسط لا نكلف نفسا الا وسعها واذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى وبعهد الله أوفوا ذلك وصاكم به لعلكم تذكرون . وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلك وصاكم به لعلكم تتقون) الآيات ١٥١ ، ١٥٢ ، ١٥٣ من سورة الانعام .

٣ ـ (قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم) أمر لرسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقول لعباد الله جميعا الذين أرسل اليهم . أقبلوا على أبين لكم ما حرم ربكم عليكم ، فانه سبحانه هو الذى يحل ويحرم ، وأنا مبلغ عنه باذنه ، فاسمعوا عنى هذه الوصايا واعملوا بما جاء فيها ينجكم ربكم من عذاب اليم فى الآخرة ، ويمكن لكم فى الارض فى الحياة الدنيا .

الوصية الاولى . « أن لا تشركوا بى شيئا » نهى عن الاشراك بالله ، وبدأ به لان الشرك ظلم عظيم ، فهو الكفر وهو أشد المحرمات افسادا للعقل وطمسا للفطرة السليمة لا يقبل الله معه صرفا ولا عدلا (ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء) . وكل ما عدا الله مخلوق لله وعبد له (ان كل من فى السموات والارض الا آت الرحمن عبدا) فاعبدوه وحده بما شرعه على السنة رسله وانبيائه لا بأهوائكم ولا بتوجيه احد من الخلق أمثالكم فان نكصتم على أعقابكم فذلك هو الخسران المبين (ان الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم فادعوهم فليستجيبوا لكم ان كنتم صادقين) (وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة)



الوصية الثانية . ((وبالوالدين احسانا))
وأحسنوا الى الوالدين احسانا كاملا تاما لا تدخرون فيه وسعا ، ولا تألون معه جهدا ، وهذا نهى عن الاساءة اليهما مهما صغرت ، قال تعالى فى سورة الاسراء (ولا تقل لهما أف ولا تنهرهما) وفى سورة لقمان (ان اشكر لى ولوالديك) وقد روى البخارى - والترمذى والنسائي عن ابن مسعود قال : (سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم أى العمل أفضل ؟ قال : الصلاة على وقتها (١) . قلت : ثم أى قال : بر الوالدين، قلت : ثم أى ؟ قال : الجهاد فى سبيل الله ، فقدم عليه الصلاة والسلام الصلاة لانها مشتملة على التوحيد والتضرع الى مبدع السموات والارض وما بينهما ثم أعقبها ببر الوالدين ، وقدمه على الجهاد فى سبيل الله الذى هو أكبر الحقوق العامة على الانسان ، وذلك لان حقوق الوالدين على ولدهما أعظم وأجل عند الله من جميع حقوق الخلق عليه،وعاطفةالبنوة منأقوى غرائز الفطرة ، فمن قصر فى بر والديه والاحسان اليهما كان فاسد الفطرة مضيعا للحقوق جميعها فلا يرجى منه خير لاحد .

الوصية الثالثة . (ولا تقتلوا أولادكم من املاق نحن نرزقكم واياهم) فلا يجوز بحال ، ولا يحل أبدا أن تقتلوا أولادكم خوفا من الفقر الواقع بكم فعلا أى الفقر المتحقق الحاصل ، وفى آية أخرى وردت فى سورة بنى اسرائيل نهى عن قتل الاولاد خشية الفقر المتوقع أى غير الحاصل فعلا وانما نخاف حصوله لكثرة الاولاد قال تعالى . (ولا تقتلوا أولادكم خشية املاق نحن نرزقهم واياكم) وقدم هنا رزق الاولاد على رزق الآباء عكس آية سورة الانعام ، فكانه سبحانه يقول . لا يباح لكم أبدا الاقدام على هذا الفعل الشائن لان الله يرزق العباد ، ويضمن لهم ذلك بصريح القرآن الكريم ((وفى السماء رزقكم وما توعدون . فورب السماء والارض انه لحق مثلما أنكم تنطقون)) (وما من دابة فى الارض الا على الله رزقها) ولكن لا بد من السعى والجد فى الحياة والعمل على الكسب الحلال ، فالسماء لا تمطر ذهبا ولا فضة ((فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه)) وحثت الآيات الكريمة والاحاديث النبوية الكثيرة على وجوب الجد فى سبيل كسب الرزق والحصول على ما يمكن الحصول عليه من العيش الحلال ، ولا يعترف الاسلام بالكسالى والاتكاليين ، ولا يقر أبدا سؤال الناس طريقا للحصول على القوت ، فالمسألة تجىء نكتة سوداء فى وجه صاحبها يوم القيامة ، واليد العليا دائما خير من اليد السفلى وخيرات الارض وما أكنت فى باطنها وما أجنته بحارها ، وما حوته مما أودعه الله فيها - يكفى أهلها مهما تكاثروا ، فالذى خلق الارض قدر فيها أقواتها سواء للسائلين وهو العليم الحكيم ، ولهذا كانت الدعوة الى تحديد النسل بمعنى قطعه أو التوقف عنه نهائيا دعوة مخالفة للشريعة مجافية لروح تشريعاتها ، وما قاله العالم الانجليزى (مالتس) فى نهاية القرن الثامن عشر عن تحديد النسل كان حديث خرافة . تكفل بتنفيذه أبناء جنسه فاعفونا عن مناقشته القول ، وانما يجوز التنظيم للنسل فى حدود الشريعة الاسلامية وخلاصة حديث للصادق الامين تقول لمن جاءه يطلب العزل عن سانيته وخادمته . ما من نسمة كائنة الى يوم القيامة الا وهى كائنة فافعلوا ما شئتم ، وعزل الرجل وحملت المراة فأعاد عليه الرسول القول (٢) .

الوصية الرابعة . ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن) . وتطلق الفاحشة على ما ثبتت شدة قبحه عقلا وشرعا ، ولا يرتكب الفاحشة الا البعيد عن معرفة الله وعن مستوى العقلاء . والفواحش التي يقترفها الجاهلون منها : الزنا واللواط ، وقذف المحصنات والمحصنين، وكثير من الناس من يرتكب بعضها معلنا بها ، ومنهم من يأتيها سرا بعيدا عن أعين البشر ، أخرج ابن أبي حاتم عن أبى حازم أنه سمع مولاه يقول : كان رسول الله صلى

(١) أى لاول وقتها .

(٢) ألم أقل لك . ما من نسمة كائنة الى يوم القيامةالا وهى كائنة .

الله عليه وسلم يقول: « مسألة الناس من الفواحش » وأخرج ابن أبى حاتم أيضا عن عمران بن حصين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: « أرأيتم الزانى والسارق وشارب الخمر، ما تقولون فيهم؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: هن فواحش وفيهن عقوبة، وعن عكرمة قال: ما ظهر منها ظلم الناس، وما بطن منها الزنا والسرقة، لأن الناس يفعلونهما فى الخفاء، وروى البخارى ومسلم عن عبد الله بن مسعود أن النبى صلى الله عليه وسلم قال: « لا أحد أغير من الله، من أجل ذلك حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن » وقال تعالى: « وذروا ظاهر الاثم وباطنه » وفى سورة الأعراف. « قل انما حرم ربى الفواحش ما ظهر منها وما بطن والاثم والبغى بغير الحق وأن تشركوا بالله مالم ينزل به سلطانا وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون ».

الوصية الخامسة . (ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق) نهى عن قتل النفس التي حرم الله قتلها بالاسلام أو بالعهد أو بالاستئمان. روى الترمذى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: « من قتل معاهدا له ذمة الله وذمة رسوله فقد اخفر بذمة الله فلا يرح رائحة الجنة وان ريحها ليوجد من مسيرة خمسين خريفا » وروى البخارى من حديث ابن عمر رضي الله عنهما « من قتل معاهدا لم يرح رائحة الجنة وان ريحها ليوجد من مسيرة أربعين عاما ». وقول الله تبارك وتعالى (الا بالحق) أى الا بما يبيح قتل النفس شرعا، ففى الحديث الشريف: « لا يحل دم امرىء مسلم الا بأمور ثلاثة. كفر بعد ايمان، وزنى بعد احصان، وقتل نفس بغير حق » وقد ختم الله سبحانه هذه الوصايا الخمس بقوله جل ثناؤه (ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون) اشارة اليها وهى التي تليت فى الآية الكريمة السابقة.

والوصية معناها . ما يعهد الى الانسان عمله من خير أو ترك شر مع اقتران ذلك بما يرجى تأثيره من وعظ أو توضيح لمغبة الشر ومنفعة الخير حتى يكون المرء على بصيرة بما يدع وما يأتى، ووصانا الله تبارك وتعالى بهذه الوصايا التي مر الحديث عنها لما فيها من الخير العميم والمنفعة المؤكدة، فالله لا يأمر الا بخير ولا ينهى الا عن شر، وكل هذا تدركه العقول الناضجة، والأفهام الثاقبة بالتأمل اليسير والبصر المستنير، وفى هذه العبارة الكريمة (لعلكم تعقلون) تعريض بأن من يعادى تعاليم السماء، ويطرح توجيهات رب العالمين وينكر ما جاء به الرسول عليه الصلاة والسلام، ويسدر فى غيه ويتمادى فى جهالته ويستمر فى سيره المعوج ويتخذ سبيل الغى سبيلا، من يفعل ذلك يقيم دليلا لا بد يدفع على أنه لا يعقل أمر وجوده ولا يدرك ما يرفعه مما يخلد به الى الأرض فالأمور التي سبق النهى عنها ليست فيها مصلحة ظاهرة أو خفية لدى المفكر المتدبر فعسى أن تعقلوا فتدركوا موطن الفائدة ومحط الخير وطريق الهدى فتؤمنوا بالواحد الأحد القادر مالك الملك الذى بيده مقاليد كل شيء وهو على كل شيء قدير، وحين يدرك الانسان عظمة ربه وقيوميته يطيع أمره ويجتنب نهيه، وحينئذ تتكامل انسانيته ويؤدى رسالته فى الحياة رسالة الخير فى جميع صوره وأشكاله، ويبتعد عن مهاوى الشر ومزالق الردى.

البقية على ص ٤٢

تحويل القبلة إلى الكعبة

للدكتور / محمد محمد أبو شهبة
الاستاذ بكلية اصول الدين جامعة القاهرة

إلى أيّة جهة كان يصلي الرسول قبل الهجرة ؟ متى كان التحويل للكعبة ؟

لقد فرضت الصلوات الخمس بالاجماع ليلة الاسراء والمعراج قبيل الهجرة من مكة الى المدينة وفى صبيحتها نزل جبريل عليه السلام على النبى صلى الله عليه وسلم من عند الله معلما له كيفيتها ، ومبينا له أوقاتها ، فما ان زالت الشمس حتى أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فنودى بأصحابه ، فاجتمعوا وصلى به جبريل عند البيت . النبى يقتدى بجبريل ، والمسلمون يقتدون بالنبى من ظهر هذا اليوم الى ظهر اليوم الثانى .

ففى صحيح مسلم عن أبى سعيد البدرى قال . سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول . « نزل جبريل فأمنى فصليت معه ، ثم صليت معه ، ثم صليت معه ، ثم صليت معه ، ثم صليت معه ، يحسب بأصابعه خمس صلوات »

وقيل ان جبريل صلى بالنبى يومين متتاليين ليبين له أول الوقت وآخره لكل صلاة . روى عن ابن عباس وجابر أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « أمنى جبريل عند البيت مرتين » ، وقد كان النبى والمسلمون يتوجهون فى صلاتهم الى قبلة قطعا وهذا أمر مجمع عليه ، لان استقبال القبلة شرط من شروط الصلاة ، ولكن الخلاف فيما وراء ذلك وهو : أكان النبى صلى الله عليه وسلم وهو بمكة يتوجه الى الكعبة أم الى بيت المقدس ؟

قبلة الرسول فى مكة

ذهب طائفة من العلماء الى أن قبلته صلى الله عليه وسلم بمكة كانت الى بيت المقدس الا أنه لا يستدبر الكعبة، بل يجعلها بينه وبين بيت المقدس ، وهذا لن يتأتى الا اذا وقف بين الركنين الاسعد (الأسود) واليمانى لأن وجه من يقف هكذا يكون نحو الشمال ، فيستقبل الكعبة ، وبيت المقدس فى آن واحد . روى هذا عن ابن عباس ، فلما هاجر النبى صلى الله عليه وسلم الى المدينة استمر على ذلك ستة عشر أو سبعة عشر شهرا ثم نسخ ذلك بالتوجه الى الكعبة ، وعلى هذا يكون حصل فى القبلة نسخ واحد .

وذهب الكثيرون من العلماء الى أن قبلته صلى الله عليه وسلم بمكة كانت الكعبة فلما هاجر الى المدينة أمره الله بالتوجه الى بيت المقدس المدة السالفة ، ثم ولاه الله سبحانه الى الكعبة قبلة أبيه الخليل ابراهيم عليه الصلاة والسلام، وقبلة آبائه وأجداده العرب ، لما رأى من استشراق نفسه صلى الله عليه وسلم الى ذلك ، وعلى هذا يكون حصل فى القبلة نسخان ، قال الشيخ الامام ابو عمر بن عبد البر حافظ الاندلس . « وهذا أصح القولين عندى » (١) ويؤيد هذا حديث امامة جبريل بالنبى صلى الله عليه وسلم عند البيت ، وهو ما ذكرناه آنفا ففى بعض طرقه أن ذلك كان عند باب البيت (الكعبة) ومحال لمن يكون عند باب الكعبة أن يجمع بين استقبال الكعبة وبيت المقدس فى وقت واحد ، وهذا يضعف الرأى الاول .

ويتفرع عن هذا البحث بحث آخر وهو استقبال بيت المقدس أكان بوحى أم باجتهاد ؟ .

الذى عليه جمهور العلماء أن استقبال رسول الله صلى الله عليه وسلم بيت المقدس انما كان بأمر الله ووحيه ، وأن ذلك بالقرآن ويستدلون لذلك بقول الله تبارك وتعالى . « وما جلعنا القبلة التى كنت عليها الا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه (٢) ويكون معنى « كنت عليها » أى التى أنت عليها الان وهى بيت المقدس ، ومثل ذلك قوله تعالى « كنتم خير أمة » (٣) أى أنتم فى قول بعض المفسرين ، وهذا على ما هو الظاهر من أن قوله تعالى . « سيقول السفهاء من الناس .. » الآيات نزلت قبل قوله تعالى « قد نرى تقلب وجهك فى السماء .. » الآية وقبل توجهه للكعبة وهو بالمدينة ، وهو أحد وجهين فى تفسير الاية (٤) أو المراد التى كنت عليها وأنت بمكة . وهذا انما يتأتى على أحد الرأيين فى الجهة التى كان يتوجه اليها النبى صلى الله عليه وسلم بمكة !! وعلى هذا يكون نسخ التوجه الى بيت المقدس بالامر بالتوجه الى الكعبة ثانيا نسخا للقرآن بالقرآن (!!)

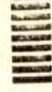
وذهب بعض العلماء الى أن التوجه الى بيت المقدس كان باجتهاد من النبى صلى الله عليه وسلم يعنى بالسنة ، ثم نسخ بالقرآن فعلى هذا يكون نسخا للسنة بالقرآن . وهو أمر مختلف فيه بين العلماء (٥) ، ومحل بسط ذلك كتب الاصول ، وليس هذا من قصدنا فى هذا البحث .

الحكمة فى استقبال بيت المقدس

وسواء أكان استقبال النبى صلى الله عليه وسلم بيت المقدس فى صلاته بالمدينة بأمر من الله ووحى ، أم باجتهاد من

---

(١) تفسير القرطبي ج ١ ص ١٥٠
(٢) صحيح مسلم بشرح النووى ج ٥ ص ٩
(٣) تفسير القرطبي ج ٤ ص ١٧٠
(٤) تفسير الآلوسى ج ٢ ص ٢
(٥) شرح مسلم ج ٥ ص ٩ تفسير القرطبى ج ٢ص ١٥٠ ، ١٥١ .



النبى . فقد كان ذلك تأليفا لليهود ، وتحبيبا لهم فى الدخول فى الاسلام ، فلما لم تثمر هذه السياسة فيهم أحب النبى صلى الله عليه وسلم أن يرجع الى قبلة أبيه وأبى العرب ابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام ،وكان كثيرا ما يدعو ويقلب وجهه فى السماء حتى استجاب الله الدعاء ، فأمره بالتوجه الى الكعبة .

روى الطبرى وغيره من طريق على بن أبى طلحة عن ابن عباس قال . « لما هاجر النبى صلى الله عليه وسلم الى المدينة ، واليهود أكثر أهلها يستقبلون بيت المقدس أمره الله أن يستقبل بيت المقدس ،ففرحت اليهود فاستقبلها سبعة عشر شهرا ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب أن يستقبل قبلة ابراهيم عليه السلام ، فكان يدعو وينظر الى السماء فنزلت أى قوله تعالى . « قد نرى تقلب وجهك فى السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره وان الذين أوتوا الكتاب ليعلمون انه الحق من ربهم وما الله بغافل عما يعلمون » (١) .

وكان مما جعل النبى يدعو ربه ويطيل الدعاء أن اليهود ـ لعنهم الله ـ اتخذوا من توجهه الى بيت المقدس ذريعة للطعن فيه فصاروا يقولون يخالفنا ويتبع قبلتنا .. بل طمع بعضهم فيما هو من قبيل المستحيل فقالوا : اتبع قبلتنا ، عما قليل سيتبع ديننا ، فحسم الله سبحانه كل هذه الاراجيف بأن أمره بالتوجه الى الكعبة ، قبلته وقبلة المسلمين الى يوم القيامة ، وبتوجه النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه الى بيت المقدس أولا ثم أمرهم بالتوجه الى الكعبة ثانيا جمع الله له وللمسلمين التوجه الى القبلتين ، وحازوا الشرفين .

كم شهرا توجه فيها النبى والمسلمون الى بيت المقدس

وقد اختلفت الروايات الصحيحة فى هذا ، ففى بعض الروايات بالجزم بستة عشر شهرا ، وفى بعضها بالجزم بسبعة عشر شهرا ،و فى بعضها بالشك والتردد بينهما ، واليك هذه الروايات وتمحيصها وتحقيق الحق فيها .

روى الامام البخارى فى صحيحه عن البراء بن عازب « أن النبى صلى الله عليه وسلم كان أول ما قدم المدينة نزل على أجداده . أو قال أخواله من الانصار ، «٢» وأنه صلى قبل بيت المقدس ستة عشر شهرا أو سبعة عشر شهرا ، وكان يعجبه أن تكون قبلته قبل البيت ، وأنه صلى أول صلاة صلاها صلاة العصر ، وصلى معه قوم ، فخرج رجل ممن صلى معه ، فمر على أهل مسجد وهم راكعون ، فقال . أشهد بالله لقد صليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل البيت ، فداروا كما هم قبل البيت ، وكان اليهود قد أعجبهم اذ كان يصلى قبل بيت المقدس ، وأهل الكتاب ، فلما ولى وجهه قبل البيت أنكروا ذلك . «٣» » وكذلك رواها مسلم على الشك أيضا ، وفى رواية لمسلم بلفظ « ستة عشر شهرا » بالجزم ، «٤» وفى رواية للبزار والطبرانى بلفظ « سبعة عشر شهرا » بالجزم .

---

(١) البقرة الآية ١٤٤ .

(٢) شك من وهم أجداده لان جدة أبيه سلمى بنت عمرو النجارية منهم وهم أخواله لانهم أخوال جده عبد المطلب فأى التعبيرين صحيح

(٣) صحيح البخارى ـ كتاب الايمان ـ باب الصلاة من الايمان .

(٤) صحيح مسلم كتاب المساجد ـ باب تحويل القبلة من المقدس الى الكعبة .

والجمع بين هذه الروايات سهل ، وذلك بأن يكون من جزم بستة عشر شهرا لفق من شهر القدوم والتحويل شهرا وألغى الزائد ، ومن جزم بسبعة عشر شهرا عدهما معا ، ومن شك تردد فيهما . أيجعلهما شهرا واحدا أم شهرين .

فى أى شهر وقع التحويل

الثابت أن قدوم النبى صلى الله عليه وسلم المدينة كان فى شهر ربيع الاول بلا خلاف بين العلماء ، وأن اختلفوا فى يوم القدوم ، والصحيح الذى جزم به جمهور العلماء أن التحويل للكعبة كان فى منتصف رجب من السنة الثانية للهجرة ، وقد روى ذلك الحاكم عن ابن عباس بسند صحيح ، فتكون المدة اما ستة **عشر شهرا أو سبعة عشر على التسامح ، واذا راعينا التدقيق فى الحساب ، وان القدوم كان فى الثانى من شهر ربيع الاول —** كما قال ابن اسحاق — تكون المدة ستة عشر شهرا وثلاثة أيام ، وهذا التدقيق ليس من شأن الأمة الأمية التى لا تكتب ولا تحسب . وذهب بعض العلماء الى أن التحويل كان فى منتصف شهر شعبان ، وقد ذكره النووى فى الروضة وأقره مع أنه رجح فى شرحه لمسلم رواية ستة عشر شهرا لكونها مجزوما بها عند مسلم ، ولا يستقيم أن يكون ذلك فى شعبان الا اذا ألغى شهرى القدوم والتحويل ، وهناك روايات أخرى شاذة لا ينبغى الالتفات اليها كروايات ثمانية عشر شهرا او ثلاثة عشر شهرا ، أو تسعة أشهر (١) وذكر موسى بن عقبة أن التحويل كان فى جمادى الآخرة من السنة الثانية والحق ما ذكرناه أولا .

فى أى مسجد وقع التحويل وفى أى صلاة؟

وقد اختلفت الروايات فى الصلاة التى وقع فيها تحويل القبلة الى الكعبة ، وكذا فى المسجد الذى وقع فيه التحويل ، فقيل الظهر ، وقيل العصر ، وقيل فى مسجد بنى سلمة ، وقيل فى المسجد النبوى . وذكر ابن سعد فى الطبقات أن النبى صلى الله عليه وسلم زار أم بشر بن البراء معرور فى بنى سلمة فصنعت لهم طعاما وحانت صلاة الظهر ، فصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بأصحابه ركعتين من الظهر ، ثم أمر بالتوجه الى البيت ، فاستدار نحو الكعبة ، فسمى هذا المسجد مسجد القبلتين ، وقد زرت هذا المسجد ، وتشرفت بالصلاة فيه ، ولا يزال معروفا الى يومنا هذا . والتحقيق — كما قال الحافظ ابن حجر — أن المسجد الذى وقع فيه التحويل مسجد بنى سلمة لما زار أم بشر بن البراء ، وان الصلاة كانت صلاة الظهر ، وأن أول صلاة صلاها بالمسجد النبوى متوجها فيها الى الكعبة هى صلاة العصر ، فخرج رجل ممن صلى مع النبى بالمسجد النبوى ، فمر على بنى حارثة وهم يصلون فى مسجدهم بالمدينة العصر ، فأخبرهم بتحويل القبلة ، فاستداروا فى صلاتهم الى الكعبة ، «٢» ثم ذهب هذا الرجل أو غيره الى « قباء » فأدركهم فى صلاة الفجر وهم يصلون الى بيت المقدس ، فأخبرهم بنزول آية التحويل فتوجهوا فى صلاتهم الى الكعبة ، وبذلك يظهر التوافق جليا بين الروايات ، وأنها يكمل بعضها بعضا ، ولا تعارض بينها فى الحقيقة ونفس الامر .

وقد كانت الكعبة ولا تزال الى يوم القيامة — قبلة المسلمين فى كل قطر ومصر ، وفى السفر والحضر ، ومثابة للناس وأمنا ، ورمزا لوحدة المسلمين فالههم واحد، وقبلتهم واحدة ، وغايتهم واحدة ، وبذلك يتحد المظهر والمخبر ، وتتوحد الغايات والمقاصد .

---

(١) فتح البارى ج ١ ص ٧٩ — ٨١

(٢) المرجع السابق ص ٨٠ .

مِنْ مزاعم الروحيّة الحديثة



للشيخ محمد الغزالـي

عند بعض المتدينين طيبة تبلغ حد السذاجة ، وايمانهم بالغيب — اذا تجاوز حدود الكتاب والسنة — قد يكون ثغرة تنفذ منها الاساطير ، وتضار بها حقيقة الدين .

وقصة تحضير الارواح التى شاعت فى عصرنا هذا ، قد اكتنفتها أوهام شتى، وسرت فى ركابها أفكار ينكرها الاسلام .

ولكن لما كان الموضوع نفسه مثيرا ، ولما كان مضادا بطبيعته للمادية التى فرضت نفسها على العلم والسلوك ... فان كثيرا من الناس هش له بدوافع حسنة ، وظن أنه يستطيع نصرة الايمان عن طريقه ، ونحن نريد معالجة هذه النزعة من أساسها على ضوء ما نحفظ من كتاب ربنا وسنة نبينا ...

ولعل احقاق الحق فى هذه القضية يضع الحدود لجدل كثير ، ويغلق الابواب أمام ترهات لا آخر لها .

ونتساءل أولا . هل الارواح فى العالم الآخر — أعني فترة البرزخ — تستأنف نشاطها العام على نحو ما كانت تسير فى الحياة الدنيا ، وأن وسائلها فى عالمها الجديد أوسع دائرة وأعظم اقتدارا ؟

ان بقاء الارواح بعد الممات عقيدة لا ريب فيها ، وهى عقيدة جميلة مشرقة ، حبذا لو ذكرنا الناس بها حينا بعد حين ، فان صورة الموت ترسمها الاذهان فى اطار قابض عفن ..

وأكثر الناس — فى هذا العصر — يظن الموت مرادفا للبلى والفناء ، ونهاية العهد بالاحساس والحياة والضياء ...

وهذه الافكار من نضح المادية التى تسود عالمنا الارضي ، أو هي من بقايا الجاهلية الاولى فى فهم الوجود وقصة الخليقة .

والدين ضد هذه الاوهام ، ونصوصه جازمة بأن الآخرة حق ، وأن الموت نقلة من عالم الى عالم ، ومن وجود مستيقن الى وجود مستيقن ...

لكن هل الارواح بعد هذه النقلة تستأنف سلوكها الاول — كما يقول

معتنقوا الروحية الحديثة ــ وان بعضها يشتغل بالوعظ والارشاد ، وبعضها يشتغل بالطب وعلاج المرضى ، وبعضها يشتغل بالنصح الفردى وحل المشكلات العارضة ، وبعضها يتسكع دون عمل ، وبعضها يمد يده بالاذى للاحياء ،وبعضها يدور مذهولا لا يدرى أنه مات . هكذا يكتب الروحانيون فى رسائلهم ، بل ان بعض الارواح عندما استحضر طلب « سيجارا » يدخنه ... الخ هل هذه سمات العالم الروحي ووظائفه ؟

وهل صحيح أن ضروب الخدمة الاجتماعية تتاح لكثير من الارواح لعلها ترقى وتنال رضوان الله وغفرانه ، أو لعلها تكفر عما فاتها فى الماضى الاول أيام الحياة الدنيا ؟ .

هنا نختلف مع دعاة هذه النحله أشد الاختلاف وتفترق بنا الطرق فيذهبون حيث شاءوا ، ونثبت نحن على ما بين الكتاب الكريم والسنة المطهرة .

الاسلام قاطع فى أن ميدان العمل الانسانى هو هذه الحياة الدنيا . وأن المرء ــ فى فترة الاجل الموقوت له ــ يبتلى بفنون التكاليف ، ويتعرض لامتحانات شتى ، وأن نجاحه وسقوطه يتقرران جميعا عند انتهاء عمره على هذه الارض. وهو بالموت مباشرة يبدأ مثوبته أو عقوبته ...

قضى الامر ، وطويت أوراق الامتحان، ومن سجلاتها وحدها يكتب من أهل اليمين ، أو من أهل الشمال ليس هناك مجال آخر لتكليف ولا تعرض آخر لامتحان . ولا استئناف لحكم أو طلب لفرصة جديدة ...

نعم ، فوق هذا الثرى وحده يكلف الانسان أن يؤمن بالله لا يراه ، لكن يرى آثاره ويعرف أدلته .

ويكلف بايثار الخير وان ضحى بشهوته العاجلة ، ونزل عن رغباته الحاضرة ، ويكلف بالاعداد لليوم الآخر ، والبذر للحياة المستقبلة موقنا بعالم الغيب ، وأن كان مغمورا بعالم الشهادة ..

فوق هذا الثرى وحده وخلال العمر المقدور له يصنع الانسان مصيره المرتقب، ويستحيل أن تتاح له فرصة أخرى لمتاب ان كان خاطئا ، أو لارتقاء ان كان قاصرا ، فان الموت فاصل قائم بين حياتي العمل والجزاء ، أو حياتي البذر .... والحصاد ....

واسمع الى اجابة الله للمجرمين وهم يلقون جزاءهم العدل .

« وهم يصطرخون فيها ربنا أخرجنا نعمل صالحا غير الذي كنا نعمل أو لم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير فذوقوا فما للظالمين من نصير » .

وهذه الاجابة الالهية تكرار لما قد يسأله المجرمون عند ساعة الاحتضار ، عندما تذهب السكرة وتجيء الفكرة ، عندما يتلهفون على ماض ضاع سدى فيقول أحدهم .

« رب ارجعون . لعلى أعمل صالحا فيما تركت كلا انها كلمة هو قائلها ومن ورائهم برزخ الى يوم يبعثون » ، نعم الى يوم البعث لا مكان لعمل ، لا استئناف لنشاط ، لا فرصة لتوبة ، لا مجال لترقيع ما فسد ..

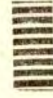
ان مجال العمل المطلوب والتوبة المنشودة فى هذه الدنيا وحدها ، والمرء فى عافية من بدنه ، وفسحة من أجله واقبال من أمله .

فاذا دنت ساعة الرحيل عن هذه الدنيا أخذ الكرام الكاتبون يطوون دفاترهم دون اكتراث لتوبة الغرغرة أو يقظة الضمير الصاحي بعد فوات الاوان.

« انما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب » .

«وليست التوبة للذين يعملون السيئات

من مزاعم الروحية الحديثة



حتى اذا حضر أحدهم الموت قال اني تبت الآن ولا الذين يموتون وهم كفار »

والواقع ان قبول الايمان من كافر فى هذه اللحظات أو قبول التوبة من مفرط ، أشبه ما يكون بقبول الغش فى الامتحان وحسبان الطالب الذى يتلقف عونا من هنا وهنا ـ ليستطيع كتابة شيء فى ورقته ـ مساويا للطالب الذى عكفعلى الدراسة ، وسهر الليالي فى انتظار هذه الساعة . وشتان بين الرجلين . ومن ثم كان الجواب الاعلى لما قال فرعون « آمنت أنه لا اله الا الذى آمنت به بنو اسرائيل وأنا من المسلمين . آلآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين ؟

وهذا المعنى السارى فى آيات القرآن طولا وعرضا ترى مثله فى أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم « اذا مات ابن آدم انقطع عمله الا من ثلاث : صدقة جارية ، أو علم نافع ، أو ولد صالحيدعو له .

وتلك بداهة آثاره فى الدنيا تخلفه بعد حياته ويجرى عليه أجرها ما شاء الله .

ومن فضل الله على كثير من خلقه أن جعل لهم « رصيدا » مفتوحا من المثوبة النامية الباقية ما بقى عملهم متجدد النفع مطرد الفائدة .

فان العمل الصالح قد يكون محدود الدائرة لا يتجاوز خيره خطا معينا .

على حين يؤلف البعض كتابا يسير هداه مع الاجيال ، أو يصنع دواء يستشفى به المرضى فى القارات كلها ..

لكن بدء هذا العمل النافع الواسع كان فى حياة صاحبه ، وأثناء الاختبار المقرر على ظهر هذه الارض أما بعد الممات فلا تكليف بعمل ، ولا مجال لابتلاء، ولا « ملحق » لنجاح أو رسوب .

قال على بن أبى طالب : « ارتحلت الدنيا مدبرة ، وارتحلت الآخرة مقبلة ، ولكل منهما بنون ، فكونوا من أبناء الدار المقبلة ولا تكونوا من أبناء الدار المدبرة فان اليوم عمل ولا حساب، وغدا حساب ولا عمل » .

وخطب النبى صلى الله عليه وسلم فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : « أيها الناس ان لكم معالم فانتهوا الى معالمكم وان لكم نهاية فقفوا عند نهايتكم ان المؤمن بين مخافتين بين أجل قد مضى لا يدرى ما الله صانع فيه ، وبين أجل قد بقى لا يدرى ما الله قاض فيه . فليأخذ امرؤ من نفسه لنفسه ، ومن دنياه لآخرته ، ومن الشبيبة قبل الكبر ، ومن الحياة قبل الموت . والذى نفس محمد بيده ما بعد الموت من مستعتب ، ولا بعد الدنيا مندار الا الجنةاو النار» .

وتوكيدا لهذا المعنى ، وانتهازا لفرصة العمل فى الدنيا قبل مفادرة الدنيا وفى أثناء العمر المتاح قبل انقضاء العمر ومفارقة الحياة يقول الرسول الكريم :

« أيها الناس ، كأن الموت فى الدنيا على غيرنا قد كتب . وكأن الحق فيها على غيرنا وجب . وكأن الذين نشيع من الاموات سفر عما قليل الينا راجعون ، نبوئهم أجداثهم ، ونأكل تراثهم ، كأنا مخلدون بعدهم ، قد نسينا كل واعظة وأمنا كل جائحة .. طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس، وأنفق من مال اكتسبه

من غير معصية، ورحم أهل الذل وخالط أهل الفقه والحكمة ، طوبى لمن زكت نفسه وحسنت خليقته وطابت سريرته، وعزل عن الناس شره ، وأنفق الفضل من ماله وأمسك الفضل من قوله ، ووسعته السنة ولم يعدها الى البدعة ».

ولا تخالط مسلما ذرة من الشك فى صدق الجـــــزاء المكتوب للصالحين والطالحين ، وان مطالعة هذا الجـــزاء تبدأ مع مفارقة الروح الجسد ، ورحيل الانسان عن هذه الدار ..

فاما هبت نسائم النعيم على أهـــل التقوى واستقبلتهم بشريات الفـــوز والنصر .. واما تطاير شرر الغضب على أهل الالحاد والعصيان ، ورأوا عواقب زيفهم عارا ونارا .. وذلك معنى الحديث « القبر أما روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار » .

الارواح بعد الموت يستغرقها الجزاء المقدور لها على ما قدمت فى حياتهـــا الاولى .

وتصور أنها تستأنف العمل بعد الموت فى ميدان ما بيننا نحن الاحياء تصـــور معتل منكور ، لا صلة له بالدين ، ولا يعتمد على اثارة منه .

فكيف ، بعد تعاليم الاسلام الواضحة ـ على ما أسلفنا ـ يجيء قوم فيزعمون أن الارواح تعمل بعد الموت ، وانهـــا تشتغل بالطب والتعليم حينا ،والتسول والاعتداء حينا . وأنها تشارك النـــاس أحوالهم ، وتقف حيث هي فى انتظار من يشير اليها لتحضر فى « قفة أو دلو » ، أو ما شاكل ذلك ..

ثم ان الجزاء الذى صوره القرآن فى عشرات السور لا تلمح له أثرا ، بل تكاد تظنه صفرا،فيما يصور به الروحيون مذهبهم العجيب ، فلا جـــرم أن نرى الذهاب اليه انصرافا عن الاسلام نفسه ، وريبة فى كتابه وسنته .

اننى أعلم ـ كغيرى من المسلمين ـ أن الارواح المجرمة تحبس فى سجنها الموحش القاسى ، وتلقى من العنت ما يشغلها عن السياحة والتسكع فى شتى القارات تنتظر من يحضرها لتسأل فتجيب . وأعلم أن الأرواح الطيبة مرحة فى بحبوحة النعيم الالهى ، وأنها قد تعرف ما يلقى الأهل والاقربون ، وأنها ترقب مجيئهم من دار الغرور الى دار الحبور ، وأنها لا تتكلف تسبيحا وتحميدا ، فقد أصبح ذلـــك طبيعة لها كالتنفس لأهل الارض . نعم نحن نعرف من كتاب ربنا وسنة نبينـــا أطرافا من ذلك الأمر المغيب، وليس وراء ذلك العرفان الا الظن الذى لا يغنى من الحق شيئا ..

ومـــع هــذه المعرفة المستيقنة فان المشتغلين بتحضير الارواح لا بأس عليهم أن يستحضروا روح « كارل ماركس » ليقول لهم . انه فى نعيم مقيم . وكم من كافر حضروا روحه لتعلن سرورها بعالمها الجديد ..

ولقد رأيت أن أسترسل وراء هــذه الكائنات التى قالوا . انها ارواح تشتغل بهداية البشر ؟ فتتبعت مواعظها ،وقرأت ما أملت من كتب وألفت من خطب فماذا وجدت ؟ وجدت من خـــلال العبارات المحمومة المتلقاة عن طريق الوسطاء أن الروحية دين جديد . له تعاليم جديدة . وسرعان ما وازنت بين هذا الدين وتعاليمه والاسلام الحنيف وما جاء به ، فأدركت أن التعاليم الجديدة مجموعة خـرافات نبتت من الأرض ، ولم تنزل من السماء وأن من أوحى بها ليسوا أرواحا هادية ، وانما هم مردة الجن ..

الحديث موصول

القرآن والنفس البشرية

فطرة الله

اختلفت آراء العلماء قديما ، ولا تزال تختلف آراء العلماء المحدثين حول الفطرة التى جبل عليها الانسان .

فذهب فريق كبير من العلماء ، ومنهم الفيلسوف اليونانى « سقراط » الى أن الفطرة خير ، ونفس الطفل فى نظر سقراط وعاء لكل كمال .

وذهب فريق ثان ، ومنهم افلاطون الى أن الفطرة شر ، والنفس ـ فى نظره ـ هبطت الى العالم المادى من عالمها الروحي للابتلاء والاختبار ، وهي لا تطهر الا بالرياضة والمجاهدة .

وعلى هذا الرأى كثير من شعرائنا المتشائمين أمثال أبى العلاء المعرى الذى يقول :

ونحن فى عالم صيغت أوائله
على الفساد ، ففى قولنا فسدوا

ويقول :

والشر فى الجد القديم غريزة
فبكل نفس منه عرق ضارب

حتى الشعراء الذين كانوا أكثر تفاؤلا وصفوا الطبيعة البشرية فى بعض تهويماتهم بأنها شر ، ومن ذلك قول المتنبى :

والظلم من شيم النفوس فان تجد
ذا عفة فلعلة لا يظلم



للاستاذ الشيخ علي حسن العمارى
المدرس بكلية البنات ـ جامعة الازهر

وقول بعض الشعراء المحدثين ـ وكان حينذاك شابا فى مقتبل العمر :

اننى ـ والعياذ بالله منى
من بنى الانس من هواة الشرور
صورتنى الحياة من شر ماء
وتكونت من ضلال وزور

والاكثرون من العلماء الشرقيين والغربيين على السواء يرون أن الفطرة مستعدة للخير وللشر ـ ومن هؤلاء (افلاطون) الذى يرى أن من الطبائع ما يميل الى الشر بسهولة محزنة ومنها ما يميل ـ على الضد من ذلك ـ الى الخير من تلقاء نفسه ، وأن الله تعالى لم يسو بين الناس جميعا فيما وهب من ميول الخير كما لم يسو بينهم فيما قدر من ميول الشر .

وقد اضطرب رأى الامام الغزالى ، فرأى فى موضع من كتبه أن الانسان ولد خيرا بطبعه ، ورأى فى موضع آخر أن الانسان ولد قابلا للخير والشر ،ورأى فى موضع ثالث أن الانسان ولد وفى طبيعته الشر .

وقد ذكر أن ميل الانسان الى الحكمة، وحب الله ، ومعرفته ، وعبادته هو مقتضى طبعه،كالميل الى الطعام والشراب، وأن ميله الى السوء والقبائح غريب عليه ، خارج عن الطبع ، كالميل الى أكل الطين الذى قد يغلب على بعض النفوس بالعادة ، كما ذكر أن القلب بأصل الفطرة صالح لقبول آثار الملك ولقبول آثار الشيطان ، صلاحا متساويا وذكر بعض الدارسين لكتبه وآرائه أنه يقول : ان الخطيئة اساسية عند كل انسان .

ومن الفلاسفة الغربيين من يرى أن الطفل منذ ولادته الى سن محدودةليس له حياة أدبية ، فلا تنسب فطرته لا الى الخير ولا الى الشر،لانه لا يعقل ما يفعل .

ومن كتابنا من يرى رأيا ويذهب يستدل عليه من القرآن الكريم ، ولا دلالة للآية على ما يرى ، فقد ذهب بعض الكاتبين مثلا الى أن الانسان يستطيع بفطرته الابتعاد عن الله ، والكفر بآياته، وذكر دليلا على ذلك قوله تعالى «والذين كفروا بآياتنا أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون » وليس فى الآية ما يشير من قريب أو من بعيد الى أن الكفر بآيات الله فى فطرة الانسان .

بعد هذا التلخيص الموجز الذى أظنه وافيا لآراء العلماء فى (الفطرة الانسانية) نقف وقفتنا مع القرآن الكريم ، فنرى آية من آياته صريحة واضحة فى هذا

الشأن ، قال تعالى فى سورة الروم : « فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون » .

وقد ذهب كثير من المفسرين الى أن معنى الفطرة أن الله خلق الخلق قابلين للتوحيد ودين الاسلام ، غير نائين عنه ولا منكرين له لكونه مجاوبا للعقل،مساوقا للنظر الصحيح،حتى لو تركوا لما اختاروا عليه دينا آخر ومن غوى منهم فباغواء شياطين الأنس والجن ، ويستدلون على ذلك بقول النبى صلى الله عليه وسلم : « كل عبادى خلقت حنفاء فاجتالتهم الشياطين وأمروهم أن يشركوا بى غيرى» وقوله عليه الصلاة والسلام : « ما من مولود الا يولد على الفطرة حتى يكون أبواه هما اللذان يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه » وفى بعض الروايات تكملة لهذا الحديث : « كما تنتجون البهيمة هل تجدون فيها من جدعاء حتى تكونوا تجدعونها » وقالوا فى قوله تعالى : « لا تبديل لخلق الله » أى ما ينبغى أن تبدل تلك الفطرة ، أو تغير أو لا صحة ولا استقامة لتبديل فطرة الله تعالى بالاخلال بموجبها ، وعدم ترتيب مقتضاها عليها باتباع الهوى،وقبول وسوسة الشيطان.

ورد هذا التفسير بأن التبديل بهذا المعنى مقدور بل واقع قطعا ، واختير عليه تفسير لعله أقرب وأصح، وخلاصته ان أحدا لا يقدر أن يغير خلق الله سبحانه وفطرته ، فالمراد بالتبديل تبديل نفس الفطرة بازالتها رأسا ووضع فطرة أخرى مكانها غير قابلة للحق ، ولا متمكنة من ادراكه .

ومعنى ما ذهب اليه هؤلاء المفسرون أن فطرة الانسان قابلة للخير والشر يأتيها من خارجها ولكن من العلماء الناظرين فى القرآن ــ أيضا من يرون أن الانسان خلق قابلا للخير والشر ويستدلون بقوله تعالى : « ونفس وما سواها. فألهمها فجورها وتقواها» وبقوله عز وجل فى شأن الانسان : « وهديناه النجدين » وبقوله تبارك وتعالى « انا خلقنا الانسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعا بصيرا . انا هديناه السبيل اما شاكر واما كفورا » .

ولا دليل فى هذه الآيات على أن الفجور طبيعة وجبلة فى النفس، لان معنى الالهام ــ هنا ــ الافهام فالله قد أودع فى النفس الانسانية العقل الذى يدرك طريق الفجور كما يدرك طريق التقوى ، ومما يؤيد هذا قوله تعالى بعد ذلك : « قد أفلح من زكاها . وقد خاب من دساها » فنسب الفعلين (زكى ودسى) الى الانسان.

وكذلك لا حجة فى الآيتين الاخيرتين لان معنى الهداية فيهما : الارشاد الى الطريقين طريق الخير وطريق الشر ولا تدل (الهداية) على أن ذلك مودع فى نفس الفطرة .

وبعض المفسرين يرى فى قوله تعالى : (انا هديناه السبيل)ان ذلك ارشاد الى الخير فقط ، لان السبيل لا يطلق الا على الهدى ، ويفسر المراد من هداية السبيل بأنه نصب الدلائل ، وبعث الرسل وانزال الكتب .

والدليل على صحة تفسير الهداية بالبيان والارشاد فى الآيتين ، والابتعاد بها عن معنى خلق ذلك فى الفطرة قوله تعالى فى آية (الدهر) : (نبتليه فجعلناه سميعا بصيرا) والاختيار لا يكون مع الالجاء ، وفائدة السمع والبصر انما تظهر مع الحرية فى العمل ، وهما كنايتان عن الفهم والتمييز .

آية واحدة من كتاب الله تحول دون تعميم الحكم على الفطرة بأنها كلها خيرة، هي قوله تعالى: (ان الانسان خلق هلوعا. اذا مسه الشر جزوعا. واذا مسه الخير منوعا) .

ففى هذا النص دلالة واضحة على أن الجزع عند مس الشر ، والشح عند مس الخير صفتان خلق بهما الانسان ، وأودعا فى الجبلة ، وبذلك قال فريق من المفسرين ، وجعلوا الاستثناء منقطعا، ولكن الذى تميل اليه النفس وهو ما يتفق مع آية الفطرة ومع أحاديث الفطرة كذلك أن غريزة حب المال التى أودعها الله فى الانسان لمصلحته ولتعمير الكون ـ كما سنشرح ذلك بعد حين ـ قد يحوطها من الظروف والاسباب ما ينحرف بها عن وجهتها النبيلة فتصير الى الشح ، وكثيرا ما يحدث ذلك ، فبالغ القرآن فى تصوير هذا المعنى فجعل الشح كانه مخلوق مع الانسان .

وفى ذلك يقول الزمخشرى : (والمعنى أن الانسان لايثاره الجزع والمنع وتمكنهما منه، ورسوخهما فيه كأنه مجبول عليهما مطبوع ، وكأنه امر خلقى وضرورى غير اختيارى كقوله تعالى : (خلق الانسان من عجل) والدليل عليه أنه حين كان فى البطن والمهد لم يكن به هلع ولانه ذم ، والله لا يدم فعله ، والدليل عليه استثناء المؤمنين الذين جاهدوا أنفسهم وحملوها على المكاره ، وظلفوها عن الشهوات حتى لم يكونوا جازعين ولا مانعين) .

والذى يعنينا من كلام الزمخشرى أنه فهم الآية على أن ما فيها من قبيل المبالغة، وليس الهلع من الجبلة ، أما بقية كلامه فموضع نظر .

وعلى هذا الوجه يكون الاستثناء فى قوله تعالى : (الا المصلين) متصلا على معنى أن الناس جميعا يجزعون عند الشر، ويمنعون اذا نالوا خيرا الا الذين وصفهم الله بعد ذلك من محافظتهم على الصلاة، وايتائهم الزكاة الى آخر هذه الصفات، فان هؤلاء آثروا الآجلة على العاجلة ، وعرفوا قيمة هذه الحياة فهم لا يجزعون ولا يمنعون) .

الموعظة الحسنة

كتب الخليفة الراشد عمر ابن عبد العزيز الى الحسن . اجمع لي أمر الدنيا وصف لي أمر الآخرة . فكتب اليه ـ انما الدنيا حلم والآخرة يقظة متيقظ ونحن فى أضغاث احلام ، من حاسب نفسه ربح ، ومن غفل عنها خسر ، ومن نظر فى العواقب نجا ، ومن أطاع هواه ضل ، ومن حلم غنم ومن خاف سلم ، ومن اعتبر أبصر ، ومن أبصر فهم ، ومن فهم علم ، ومن علم عمل ، فاذا زللت فارجع واذا ندمت فاقلع ، واذا جهلت فاسأل ، واذا غضبت فامسك ، واعلم ان افضل الاعمال ما اكرهت النفوس عليه .

تنظيم حق الملكيّة الفرديّة

تمهيد

لقد كثر الكلام حول حق الملكية الفردية ومدى السلطات التي يملكها المالك ، وهل يجوز تقييد هذا الحق لصالح فرد آخر او لصالح الجماعة ، وما هي طبيعة النظام الاسلامي ازاء غيره من النظم الاقتصادية الحديثة ؟ .

كل هذه التساؤلات سببها أمران :

أولهما : ـ ابتعاد الناس عن روح الاسلام وتعاليمه ، وظهور بعض الآثار الاجتماعية الخطيرة الناجمة عن تكدس الثروات الضخمة فى أيدى بعض الأفراد الذين لا يقومون بواجباتهم الانسانية نحو غيرهم من أبناء مجتمعهم ، وانما يستأثرون بانفاق أموالهم فى سبيل ملذاتهم الشخصية وأهوائهم الفريزية ، وتسلطهم على النفوس الضعيفة ، مما أوجد نوعا من الطبقية ، وشعورا بالحقد والبغضاء نحو أصحاب الثراء الفاحش .

ولو كان هؤلاء يساهمون فى تخفيف الآلام عن البائسين والمحرومين مع شيء من التقدير والتكريم ، كما كان يفعل أسلافنا المسلمون الأغنياء ، لما وجدنا حاجة لتدخل ولاة الأمور فى أموال أحد من الناس : اذ لا ينكر أحد ان حق الملكية مقدس فى الشرائع السماوية ، وتعتبر النزعة الفردية هي الأصل الغالب بالنسبة للملكية . فمثلا كان الأغنياء من المسلمين فى صدر الاسلام يضيقون ذرعا بأموالهم ، فيسارع الواحد منهم الى البحث والتنقيب عن طرق الخير ، وسبل الانفاق فى سبيل الله ، ليغنم الفوز العظيم فى الآخرة ، والسعادة والاطمئنان النفسي فى عالم الدنيا . فهذا ابو بكر الصديق رضي الله عنه يتصدق على المسلمين بما تحمله قافلة كبيرة من الطعام والبر قادمة له من الشام ، وهذا عمر رضي الله عنه يتصدق بالآلاف مما يملك حتى بلغ نصف ماله فى سبيل تزويد جيش اسلامي ، وهذا عثمان رضي الله عنه يجهز على حسابه الخاص جيش العسرة،

في الإسلام

للدكتور وهبه الزحيلي
وكيل كلية الشريعة ـ دمشق

ومثلهم كثير كعبد الرحمن بن عوف والزبير بن العوام وطلحة بن عبيد الله .

وحيث ظهرت مساوىء كثيرة للملكية الفردية الحاضرة ، وتضرر المجتمع بسبب تصرف الملاك ، كانت الحاجة قاضية الى النظر الفقهي فى هذا الأمر ، بناء على قاعدة دفع الضرر العام عن الجماعة الاسلامية ، لهذا فاني سأحاول بيان الرأى الحق فى هذا الموضوع غير متأثر بنزعة سياسية او مجاملة لسلطة حاكمة معينة .

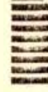
السبب الثاني : ـ ظهور الدعوة الى المبادىء الماركسية . وتطلع بعض النفوس اليها كوسيلة عندها للقضاء على مفاسد الرأسمالية وتحكمها . وهذا يدعونا الى اعطاء فكرة موجزة عن هذين النظامين ـ الرأسمالي والماركسي ـ وما يوجه اليهما من انتقادات قبل ابداء الحكم الاسلامي .

فالنظام الرأسمالي : يعترف بحق الفرد فى تملك الأموال ملكية خاصة سواء أكانت هذه الأموال من أموال الاستهلاك ، أو من أموال الانتاج ، على أنه لا يشترط أن تكون جميع الأموال مملوكة للأفراد ، بل يجوز للدولة أو احد فروعها انتتملك جانبا من هذه الأموال ، كما لا يشترط أن يكون حق الملكية الفردية مطلقا ، بل يجوز أن ترد عليه بعض القيود للمنفعة العامة .

ويقوم النظام الرأسمالي على أساس الحرية الاقتصادية للأفراد ، دون تدخل الدولة للتقييد من نشاطهم فى الميدان الاقتصادى ، ويكون السعى للحصول على أكبر كسب نقدى هو الدافع المحرك للنشاط الاقتصادى فى ظل النظام الرأسمالي .

وقد انتقد هذا النظام لأنه يؤدى الى اختلال التوازن فى توزيع الثروة بين الأفراد ، وانقسام المجتمع الى طبقتين : طبقة الرأسمالية الاقطاعية ، وطبقة ذوى الدخل المحدود من العمال والفلاحين وغيرهم ، كما يؤدى الى تركز الثروة فى أيدى فئة قليلة ، وانتشار البطالة والاحتكارات الطبيعية والصناعية . فكان من نتيجة ذلك فشل النظام الرأسمالي فى تحقيق الاستقرار الاقتصادى ، وضمان الحياة الرغدة للبشرية .

تنظيم حق الملكية الفردية فى الاسلام



وقد أدى هذا الفشل الى رد فعل معاكس : فازداد تدخل الدولة فى الميدان الاقتصادى من ناحية، وانتشرت المبادىء الماركسية من ناحية أخرى .

والنظام الماركسي : يقوم على أساس امتلاك الدولة لمختلف وسائل الانتاج من صناعة وزراعة وثروة طبيعية وخدمات عامة ، ويكون بالتالي لا وجود للملكية الفردية ، ولا حرية اقتصادية للفرد الا ما يمنحه المجتمع اياه ، ويستهدف هذا النظام اشباع حاجات الأفراد بحسب ضرورتها فقط . وعلى هذا فليست الملكية حقا ثابتا مقررا ، وانما هي آيلة الى الزوال ، لأنها وظيفة اجتماعية بحسب مصالح الجماعة .

وقد انتقد هذا النظام بأنه يهدر الحق الطبيعي المقدس للفرد وهو حق الملكية ، وفى هذا ــ فضلا عن محاربة الفطرة الانسانية ــ اضرار بالانتاج ، وكبت لروح الجد والنشاط ، وسلب لمسئولية الانسان التي هي أساس لكرامته وجزء من كيانه البشرى .

وأما نظام الاسلام الاقتصادى والاجتماعي : فهو العدل الوسط بين النظامين السابقين،وبتعبير أدق هو النظام السماوى القائم بذاته ، الذى له فكرته الاجتماعية الخاصة به ، فهو يعترف بقيمة الفرد ، كما يعترف بحقوق المجتمع ، فيقيم توازنا بينهما ، بل انه جعل الفرد متضامنا مع الجماعة ، والجماعة متضامنة مع الفرد ، « مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم كمثل الجسد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر » .

وهكذا ليس الاسلام نظاما فرديا فقط يؤدى الى الرأسمالية ، وليس جماعيا فقط يؤدى الى الماركسية ، وانما يمنح الفرد قدرا من الحرية السياسية والاجتماعية ، بحيث لا يطغى على كيان الآخرين ، ويمنح المجتمع أو الدولة التي تمثله سلطة واسعة فى تنظيم الروابط الاجتماعية والاقتصادية ، على أساس من الحب المتبادل بين الفرد والجماعة ، لا على أساس الحقد والصراع الطبقي الحاد الذى تعتمد عليه الشيوعية .

واذن فالاسلام يعترف بحق الانسان فى التملك الفردى ، ويعتبره الأصل العام فى استملاك الأشياء ، ويمنح الفرد حق الانتفاع والاستغلال ، والتصرف فى ملكيته طيلة حياته وبعد مماته ــ ولكن فى حدود معينة ، على عكس ما تقرره الشيوعية ، الا أنه فى تقرير الاسلام ينبغي ألا يعطى المالك سلطانا مطلقا فيما يملك بغير أى قيد عليه ، كما هو المقرر فى الرأسمالية ، وبذلك ننتهى بنتيجة اجمالية هي أن الاسلام يجمع بين مزايا كل من الماركسية والرأسمالية ، ويتجنب أوجه الانحراف والمبالغة فى كل منهما .

وهنا يتبادر الى الذهن ملاحظة يجب التنويه بها ، وهي أن الاسلام ليس بدين اشتراكي بمفهوم الاشتراكية المعروف ، المستقى من تعاليم ماركس اليهودى الأصل ، والتي تتلخص فى الدعوة الى الالحاد،وأن الانسان خالق وليس بمخلوق، وأن لا اله ، والحياة مادة ، والدعوة الى تغيير العالم بالثورة وبالصراع الطبقي أى تغيير النظم والاخلاق والافكار ، والغاء حق الارث .

وأما الاسلام فهو كما قلنا نظام فريد قائم بنفسه ، لا ينسب الى مذهب جديد أو قديم ، وفيه حلول لمشكلات الحياة ، وفيه قواعد للفرد والمجتمع فى الحقوق والواجبات . واذا كان فى الماركسية بعض المعاني التي جاء بها الاسلام من تحقيق التكافل أو التضامن الاجتماعي فلا يعنى ذلك أن الاسلام دين ماركسي .

المال والملكية فى تقدير الاسلام :

المال . هو ما يميل اليه الانسان طبعا ، ويمكن ادخاره لوقت الحاجة .

والملك . هو اختصاص حاجز شرعا يسوغ صاحبه التصرف الا لمانع . ويدل هذا التعريف على معنى الاستئثار واستبداد الانسان بما يتملكه من الأشياء ، بحيث يخول صاحبه منع غيره من ملكه .

والمال فى الحقيقة لله سبحانه وتعالى « لله ملك السموات والأرض وما فيهن » (المائدة ـ ١٢٠) ، وتملك الانسان للمال مجازا أى أنه مؤتمن على المال ومستخلف فيه ونائب عن الله فيه « وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه » (الحديد ـ ٧) ، ويترتب على هذا ان الانسان ملزم بالتقيد بأوامر الله سبحانه فى التملك بحسب ما يريد صاحب الملك الحقيقي ، والناس على السواء لهم حق فى تملك خيرات الارض ، والملكية الفردية حق ممنوح من الله تعالى ، والمال ليس غاية مقصودة لذاتها ، وانما هو وسيلة للانتفاع بالمنافع وتأمين الحاجيات .

تقييد الملكية وتنظيمها

يقول بعض الكاتبين لما كان المال مال الله ، والناس جميعا عباد الله ، وكانت الحياة التي يعملون فيها، ويعمرونها بمال الله هي أيضا لله ، كان من الضروري ان يكون المال ـ وان ربط باسم شخص معين ـ لجميع عباد الله ، يحافظ عليه الجميع ، وينتفع به الجميع ، وقد أرشد الى ذلك قوله تعالى « هو الذى خلق لكم ما فى الأرض جميعا » . وبهذا تكون الملكية الشخصية اذن فى نظر الاسلام وظيفة اجتماعية .

ويرى أستاذنا الجليل الشيخ محمد ابو زهرة انه لا مانع من وصف الملكية بكونها وظيفة اجتماعية ، ولكن يجب أن يعرف أنها بتوظيف الله تعالى ، لا بتوظيف الحكام ، لأن الحكام ليسوا دائما عادلين .

ونحن نرى أن الاسلام منهج واضح لا غبار عليه ، واستعمال هذا التعبير المأخوذ عن التعاليم الشيوعية يزج الاسلام فى حمأة المبادىء الماركسية ويضلل الافكار عن حقيقة نظرة الاسلام للملكية ، فالملكية الفردية حق مقدس فى الاسلام . قال الله تعالى « يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل الا ان تكون تجارة عن تراض منكم » (٢٩ سورة النساء) ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم : (كل المسلم على المسلم حرام . دمه وماله وعرضه) ، (لا يحل مال امرىء مسلم الا بطيب من نفسه) . وبناء على هذا يحرم التعدى على ملكيات الأفراد ما دامت مشروعة ، لذلك قرر الاسلام عقوبات على السرقة والغصب ، وطالب بضمان الأموال المتلفة .

متى يجوز التدخل ؟

واما الملكية غير المشروعة فيجوز للدولة التدخل فى شانها لرد الأموال الى أصحابها ، بل ان لها الحق فى

تنظيم حق الملكية
الفردية فى الاسلام



مصادرتها ، سواء أكانت منقولة أم غير منقولة ، كما كان يفعل سيدنا عمر بن الخطاب فى مشاطرة بعض ولاته الذين وردوا عليه من ولاياتهم بأموال لم تكن لهم ، استجابة لمصلحة عامة وهو البعد بالملكية عن الشبهات وعن اتخاذها وسيلة للثراء .

وكذلك يحق للدولة التدخل فى الملكيات الخاصة المشروعة لتحقيق العدل والمصلحة العامة ، سواء فى أصل حق الملكية ، أو فى منع المباح ـ والملكية من المباحات قبل الاسلام وبعده ـ اذا أدى استعمال الملك الى ضرر عام .

وبناء عليه يحق لولي الأمر العادل أن يفرض قيودا على الملكية فيحددها بمقدار معين ، أو ينتزعها من أصحابها مع دفع تعويض عادل عنها ، اذا كان ذلك فى سبيل المصلحة او المنفعة العامة للمسلمين ، كما فعل عمر بن الخطاب فى سبيل توسعة المسجد الحرام حينما ضاق على الناس ، فأجبر الناس المجاورين للمسجد على بيع دورهم المحدقة به . وكذلك فعل عثمان مرة أخرى ، لأن المصلحة العامة مقدمة على المصلحة الخاصة ، ولان الفقهاء قرروا ان لولي الأمر ان ينهي اباحة الملكية بحظر يصدر منه لمصلحة تقتضيه ، فيصبح ما تجاوزه أمرا محظورا ، فان طاعة ولي الأمر واجبة بقوله تعالى « يأأيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم » وأولو الأمر هم الأمراء والحكام . كما روى ابن عباس وابو هريرة ، وقال الطبرى انه اولى الأقوال بالصواب .

والجدير بالذكر ان تقدير وجود الضرر امر دقيق ، فلا يصح للحكام أن يتذرعوا بأضرار نادرة او محتملة فيصادروا ملكية الافراد لادنى سبب ، وانما ينبغى ان يكون الضرر محقق الوقوع ، او غالب الوقوع ، ويكفى عند المالكية والحنابلة ان يكون احتمال وقوع الضرر مبررا لمنع الفعل ، أخذا بقاعدة دفع المضار مقدم على جلب المصالح .

ويمكن ان يعتبر مسوغا لتنظيم الملكية او تقييدها كون صاحبها مانعا لحقوق الله فيها او اتخاذها طريقا للتسلط والظلم والطغيان ، او التبذير والاسراف، او اشعال نار الفتن والاضطرابات او الاحتكار والتلاعب بأسعار الاشياء ، ومحاولة تهريب الاموال الى خارج البلاد، أو تأمين حاجيات الدفاع عن البلاد ، او دفع ضرر فقر ألم بفئة من الناس ، وذلك بشرط أن يكون اجراء استثنائيا بحسب الحاجة، وبشرط عدم استئصال رأس المال .

وهذا كله يتمشى مع تطبيق الحديث الذى أخرجه مالك فى الموطأ وأحمد فى مسنده وابن ماجه والدار قطنى فى سننيهما وهو قوله صلى الله عليه وسلم « لا ضرر ولا ضرار فى الاسلام » وروى ابو هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « لا يمنع احدكم جاره خشبة يغرزها فى جداره » .

ويمكننا توضيح صلاحيات ولى الامر فى التدخل فى ملكيات الافراد فى دائرة

دفع الضرر بما ورد من الآثار النبوية فى هـذا :

من ذلك ما روى محمد الباقر عن أبيه « علي زين العابدين » أنه قال « كـان لسمرة بن جندب نخل فى حائط ـ أى بستان ـ رجل من الانـصار ، وكـان يدخل هو وأهله فيؤذيه، فشكا الانصارى ذلك الى رســول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لصاحب النخل « بعه » فأبى ، فقال الرسول . « فاقطعه » فأبى ، قال « فهبه ولك مثله فى الجنـة » فأبـى ، فالتفت الرسول اليه وقال « انت مضار » ثم التفت الى الانصارى ، وقال « اذهب فاقلع نخله » . ففى هذه الحادثة ما يدل على ان النبى صلى الله عليه وسلم لم يحترم الملكية المعتدية .

ومن الامثلة ايضا ما روى الامام مالك فى الموطأ وهو ان رجلا اسمه « الضحاك بن خليفة » ساق خليجا (ممر ماء) من العريض ـ واد بالمدينة ـ فأراد ان يمـر به فى ارض محمد بن مسلمة ، فأبى ، فكلم فيه الضحاك عمر بن الخطاب فدعا محمد بن مسلمة ، فأمـره أن يخلـى سبيله ، فقال محمد : لا ، فقال عمر : لم تمنع اخاك ما ينفعه ، وهو لك نافـع ، تسقى به أولا وآخرا ، وهو لا يضرك ، فقال محمد : لا والله : فـقال عمـر : « والله ليمرن به ولو على بطنك » فأمره عمر أن يمر به ، ففعل الضحـاك .

ففى هذا ما يدل على أنه لا يكفـى الامتناع من الضرر ، بل يجب على المسلم فى ملكه ان يقوم بما ينفع غيره ما دام لا ضرر عليه فيه .

ومثل هذه القصة ما أخرجه مالـك أيضا عن عمرو بن يحيى المازنى عن أبيه انه قال : كان فى حائط جده (بستانه) ربيع (أى ساقية) لعبد الرحمن بن عوف ، فأراد عبد الرحمن بن عوف ان يحوله الى ناحية من الحائط هى أقرب الى أرضه ، فمنعه صاحب الحائـــط ، فكلم عبد الرحمن بن عوف عمـر بـن الخطاب فى ذلك ، فقضى لعبد الرحمن بن عوف بتحويلـه .

ومن الامثلة ايضا ما فعل رســول الله صلى الله عليه وسلم وهو أنه حمى أرضا بالمدينة هى النقيع ـ موضع قرب المدينة ـ لترعى فيها خيل المسلمين ، وحمى عمر رضي الله عنه أرضا بالربذة والشرف ـ موضعان بين مكة والمدينة ـ وجعل كلأهما للمسلمين ، قائلا « المال مال الله ، والعباد عباد الله ، والله لولا ما أحمل فى سبيل الله ما حميت مـن الارض شبرا فى شبر » .

وهذه بعض نواحـى التدخل لولاة الامور فى ملكيات الافراد ، وهى حقـوق قانونية يصح اصدار تشريـع خـاص بأمثالها فى وقتنا الحاضر ، كما يمكن اصدار تشريع الزكاة ، وهناك قيـود أخلاقية وجدانية كالصدقات والنـذور ونحوها ، تقيد الملكية الشخصية مـن قبل صاحبها بدافع دينى ، هذا الدافع يمكن تنميته بالتربية والتوجيه والتثقيف والتعليـم .

والخلاصة ان الاسلام لا قصور فيه عن معالجة المشاكل والاوضاع الحديثة سواء أكانت اقتصادية أم اجتماعية ، غير أن الامر يحتاج الى فهم صحيـــح للاسلام ، وتطبيق شامل لتعاليمه ، لان الاسلام منهج عام شامل للحياة ، وكـل لا يتجزأ ، وتشريعاته حتى العبادات منها يكمل بعضها بعضا ، لمعالجة كل متطلبات الحياة الحديثة وضرورات الاقتصـاد المعاصر .



يكتبها : عبد المنعم النمـر

العلم يحرســـك

البداية الحازمة التى بدأت بها وزارة التربية فى الكويت العام الدراسى الجديد سرتنى وسرت كل غيور على مستقبل أبنائنا وبناتنا .. فقد طلبت من المدرســات أن يكن قدوة طيبة للتلميذات فى ملابسهن وزينتهن .. وكشرت عن أنيابها لكل مدرسة لا تراعى هذه القدوة .. كما أخذت الأمور بالحزم تجاه التلاميذ والتلميذات ، وعملت فى شدة على محاربة الميوعة والتدليل فى جو المدرسة ، حتى يتفرغ التلميذ لمهمته ، وينصرف الى تكوين نفسه التكوين العلمى الذى يفيده ويفيد بلاده ...

واذا كان هذا أمرا ضروريا فى كل جو علمى فى أى بلد من البلاد ، فانه أشد ضرورة فى البلاد التـى قد يغتر فيها الابناء ـ وهم فى سن المراهقة ـ بثروة آبائهم ، ويتكلون عليها فى مستقبل أيامهم ، فلا يأخذون أنفسهم بالجد والتعب فى تحصيل العلم ، ظانين ـ خطأ أو غرورا ـ أن المال هو كل شىء فى هذه الحيـاة .

والمال بلا شك له قيمته فى حياتنا ، وهو وقودها الـذى لا تسير الا به .. لكن على أبنائنا أن يفهموا أن العلم أهـم وأجـدى بالنسـبة لهم ولأوطانهم ، فهو الـذى يرسـم الطريق الصحيح لاستغلال هذا المال وتنميته ، وهو يضفى على صاحبه من الجاه والمكانة مالا يضفيه المال ، مكانة الشخص ومكانـة أمته ، وكيف تستطيعون أيها الأعزاء أن تخدموا بلادكم بدون العلم ، وبدون الشهادات العالية والتخصص فى فروع العلم المتنوعة ؟ ..

ان العلم سلاح فى يد الانسان لا يفل ولا يضيع ، والمال قد يضيع ويخسره الانسان فى غمضة عين . الشهادة التى تحملها هي سلاحك الذى تعيش به ، وتحمى به نفسك وأمتك أينما كنـت ، وفى أى مـكان نـزلت .

المكانة العلمية التي تحصل عليها ، لا تسرق منك ، ولا تفقد ، هي معك دائما تزينك فى مجلسك ، وتعينك على شدائدك ، ولا يستطيع أحد أن ينزعها منك .

العلم يا بنى هو طريق الحياة لك ولأمتك ، فاحرص دائما على أن تسير فى هذا الطريق ، وتحمل شدائده وغباره ، لتحيا وتحيا بك أمتك .

واذا كنت ترى حزما أو شدة معك فى هذه الفترة من حياتك فهى من أجلك ، من أجل توفير مستقبل سعيد لك ولوطنك . واستمع يا بنى معى لهذه الحكمة الغالية التي قالها الامام على كرم الله وجهه ، واجعلها فى قلبك ، وضعها فى « برواز » أمامك . قال رضى الله عنه :

« العلم خير من المال ، العلم يحرسك ، وأنت تحرس المال ، العلم حاكم ، والمال محكوم عليه ، مات خـُزّان الأموال وبقى خـُزّان العلم : أعيانهم مفقودة ، وأشخاصهم فى القلوب موجودة » .

وبقى أن أقول : والعلم بدون أخلاق ودين شر على صاحبه وعلى أمته .

فحصنوا أنفسكم بالعلم ، وحصنوا علمكم بالدين والاخلاق وعلى البيت ان يقوم بواجبه .

خرافة مزمنة

منشور خرافي مرت عليه عشرات من السنين ووقع ـ ولا زال يقع ـ ضحيته الآلاف من الناس الطيبين الذين ينخدعون بسهولة .. ولقد كنت ـ وأنا صبى فى الكتاب أحفظ القرآن ـ أحد ضحاياه .. بل قال لي

الذين تقدموني فى السن انه أقدم من ذلك بكثير . ومن العجيب أن أمره لا يقتصر على قطر معين ، ففى العام الماضى فوجئت بهذا المنشور يشغل الناس هنا .. وفى هذا العام وجدت بعض الناس يوزعونه وأنا خارج من صلاة الجمعة فى مسجد « سير » بشمال لبنان فاضطررت الى تنبيه الناس الى زيفه ووجوب حرقه ..

ومنذ أيام جاءنى كتاب من الاستاذ « على عبد الرحيم كيلانى » المدرس بالأردن ومعه صورة مطبوعة من هذا المنشور كتب فى آخره « طبع على نفقة الحاج يوسف السالم » يقول فى كتابه : « كنت أشرح لتلامذتى فى المرحلة الثانوية موضوع « الاسلام يحارب الخرافات .. » وانسجمت فى شرح الموضوع ، واذا بطالب يرفع يده فجأة برقعة من الورق مكتوب عليها الوصية المصاحبة ، وبعد أن علقت عليها بما يناسبها رأى الطلاب معى أن أبعث بها لمجلتنا يطلبون رأيكم .. الخ » .

هذه الوصية ــ التي لا بد أن بعض القراء قد عرف أمرها من هذه المقدمات ــ وصية فى ظاهرها تخدع بعض الصبيان أمثالى حينما كنت فى الكتاب ، كما تخدع بعض السذج من الكبار ، حتى يبذلوا المال فى طبعها ، طمعا فى الثواب أو فى الغنى أو قضاء الدين ، وخوفا من اسوداد الوجه فى الدنيا والآخرة .. كما جاء فى آخرها ..

ولكن المؤمن يجب أن يكون كيسا فطنا ، والنظرة الأولى لهذا المنشور الخرافى المزمن تجعل الانسان يبادر بحرقه لا كتابته ولا طبعه .. فمن هو الشيخ أحمد خادم الحجرة النبوية وأين هو ؟ لا وجود له . وحتى لو كان موجودا فهل يمكن أن نثق به الى هذا الحد الذى يخبر فيه أن الرسول صلى الله عليه وسلم جاءه فى المنام وقال له « أنا خجلان من أن أقابل ربى ولا الملائكة لأن من الجمعة الى الجمعة مات مائة وستون ألفا على غير دين الاسلام » ! ! ! أية جمعة هذه وفى أية سنة كان هذا الاحصاء ؟ !!

ويمضي حضرة الشيخ أحمد المزعوم فيحكى عن الرسول كل الأوصاف السيئة التى توصف بها أمة من الأمم .. ثم ماذا ؟ .. ستقوم القيامة .. ثم ماذا ؟ أخبرهم يا شيخ أحمد بهذه الوصية .. أين الوصية على فــرض أن كلامه صحيح ؟ . لا وصية .. كل ما نقله دمغ للامة الاسلامية بكل أوصاف الفساد والانحطاط .. فهل هذه هي الوصية ؟ أم أن الوصية هي أن « من يكتب هذا ويرسله من بلد الى بلد يبنى له قصر فى الجنــة ، ومن لم يرسله حرمت عليه شفاعتي » ! ! .. وما الغرض من اشاعة هذا الانحطاط عن أمة محمد ؟ وفى آخر المنشور يقول الشيخ « والله العظيم ثلاثا هذه حقيقية » فلمصلحة من يذاع هذا المنشور الخرافى المزمن ! ؟ لمصلحة من نحطم معنويات هذه الامة وندمغها بكل أوصاف الفجور والخروج عن الاسلام وتعاليمه ؟ .. لمصلحة من نشيع الفاحشة فى كل المؤمنين فى أنحاء العالم ؟ هل صارت أمــة محمد كلها على هذا الوضع المزرى ؟ .. أليس فيها صالحون ملتزمون بتعاليم دينهم ؟ أم أن الغرض هو أن نزرع اليأس فى قلب كل داعية وكل مصلح يعمل على اصلاح ما فسد من أمر الامة ، وعلى تقويم ما اعوج من أمرها .. لا ننكر أن هناك فسادا ، ولا يمكن لأية أمة فى أى زمن أن يخلو أمرها من اعوجاج ؛ لكن أن تكون كلها فاسدة خارجة متمردة فهذا لن يكون ولن يصدقه عقل .. فكيف يصدق بعض الطيبين ــ وعفوا « المغفلين » أن يصدر هذا عن الرسول . ثم يكلفون أنفسهم جهدا ومالا فى اشاعته ؟ ! ! .

وبهذه المناسبة أحب أن آخذ بتلابيب الذين يجلسون يتسلون بالكلام عن أهل هذا الزمان .. وأنه آخر زمن وأنه .. وأنه .. الى آخر هذه النغمة التي يتفق مشربها مع هذا المنشور الخرافى المزمن . أحب أن أقول لهؤلاء المتشائمين ان ما يرونه من بعض أوجه الفساد فى هذا الزمان لا يمكن أن يصل الى ما وصل اليه بعض السابقين .. هل يستطيع مسلم كائنا من كان الآن أن يضرب الكعبة بالمدافع ويهدمها ؟ ! ! هل يستطيع مسلم أن يضرب المدينة بالمدافع ويخربها كما فعل بعض السابقين ؟ .

ان فينا ــ أهل هذا الزمان ــ خيرا وعندنا غيرة على ديننا ومقدساتنا أكثر من كثير من السابقين . وان الاسلام ليزحف ويكسب قلوبا جديدة ، وأنصارا أعزاء كل يوم تطلع فيه الشمس ، فلا يلفكم اليأس الأسود بظلامه ، ويحجب عنكم هذا الوجه المشرق ، وتقعدوا لا هم لكم الا أن تندبوا حظكم ، وتلطموا خدودكم ، وتشيعوا هذا المنشور الأسود وأمثاله فى الناس .

ان المستقبل للاسلام . وكذب الشيخ أحمد المزعوم فيما يقوله ، وويل للذين يشاركون فى اشاعة اليأس والفاحشة فى الذين آمنوا ..

القاهرة تحت راية

لقب الخلافة

استوى عرش العثمانيين على « اسلام بول » وأحسوا أنهم أكبر قوة حربية وسياسية فى العالم الاسلامي ، ودفعوا برايات الهلال فوق ربى البلقان ، وجباله العالية . وحققوا حلما قديما راود المسلمين الاول من أيام عثمان بن عفان رضى الله عنه .. ومن أجله خاضوا معارك الأندلس ،وضربوا فى أرض فرنسا حتى وصلوا الى « ليون » وتسلقوا جبال الألب وسيطروا على ممراتها سنين طويلة ووضعوا قبضتهم على عنق روما ، وهبطوا الى سهول سويسرا وبحيراتها ، وتزاوجوا مع أهلها ، وهى صفحة من تاريخ البسالة العربية ، كشفت عنها وثائق الكنائس فى هذه المناطق .. ولكنهم وقفوا عند حدود بحر الادرياتيك لم يتجاوزوه ، لأن مشرق الدولة العربية ـ حيث حكم العباسيون ـ كان على أشد الخصام مع مغربها ، حيث ساد الامويون ثم العلويون .

وهكذا كانت الفرقة دائما : سببا فى اختلاف السياسات ، ومعوقا ليس كمثله معوق عن بلوغ الاهداف . وكان من أهم نتائجها ، أن تسلم راية الفتح العثمانيون ، وظفروا بنصرهم الكبير على العاصمة بيزنطة وجعلوها قاعدة مكهم ، ثم امتدوا منها حتى شاطىء الادرياتيك غربا ، وثنوا أعنة جيادهم فى عهد السلطان محمد الثاني الى الشرق ، لقتال الفرس ، وضم ملكهم الى هذه الدولة الفتية الجديدة ..

١٥ مليونا فقط

ومن عجب أن تعداد الاتراك كان يدور حول ١٥ مليون نسمة ، ومع هذا أستطاع ملوكهم ان يجندوا جيوشا جرارة ، زادت على ربع مليون جندى ، كاملة العدة والسلاح والتموين ، متفوقة فى جسارتها وطاقتها على الاقتحام .

واذا نحن وقفنا عند أول القرن السادس عشر الميلادى ، وهو أيضا

آل عثمان

بعد العباسيين

للاستاذ محمد صبيح

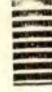
القــرن العاشر الهجــرى ، نجد أحداثا كثيرة تمر بالعالم وتستوقف النظر ..

ففى عام ٩٠٦ هـ (١٥٠٠ م) (١) كان العثمانيون قد وصلوا الى نهر الدانوب ، وهم يقاتلون للاستيلاء على مملكة المجر . ونجد السلطان الغورى يتولى الحكم فى مصر . ونجد بعض البرتغاليين يصلون الى بلاد البرازيل . ونجد نهر الامازون يوضع للمرة الاولى على الخرائط .

ونمضي قليــلا مــع هذه الاحداث ، فبعد ستة أعوام ، نجد مكتشف أمريكا ــ كريستوف كولومبس ــ يموت فقيرا منسيا لم يهتم به أحد ، ولم يحتفل له انسان . فى الوقت الذى وصــل فيــه الاستعمار الغربى الى جزيرتى مدغشقر وسيلان . ونجد حملة عسكرية غريبة ، تقوم من مصر ووجهتها الهند .. أجل الى الهند لكى توقف سير التاريــخ .. فقد أراد السلطان الغورى طرد البرتغاليين

---

(١) فى هذا العام نفسه قامت حملة بحرية عسكرية بقيادة « كبرال » الى شواطىء الهند من طريــق رأس الرجاء ليقضوا على النفوذ البحرى للعرب فى المحيط الهندى والبحر الاحمر وقامت معارك حربية على شاطىء بحر العرب بين البرتغال وحكام الهند الذين اضطروا اخيرا للاستعانة بالاسطول المصرى أيام ملكها « قنصوه الغورى » فسارع لانجادهم حيث كان يتحمس للقضاء على نفــوذ البرتغال فى الشرق ــ واشترك الاسطول المصرى مع اساطيل حكام الهند ضد الاسطول البرتغالى الذى انهزم اولا .. ثم انتصر فى المعركة التــى دارت « امام سواحل الكجرات بسبب الخيانة . ورجع الاسطول المصرى دون أن يحقق الامل .. استفحل النفوذ البرتغالى فى بحر العرب وفى الهند وكان ذلك سنة ٩١٤ هـ ١٥٠٩م .. » انظر ص ٣٢٦ وما بعدها من كتاب « تاريخ الاســلام فى الهند » لعبد المنعم النمر . « الوعى »



من هذه القارة ، واعادة التجارة الاسيوية عن طريق مصر ، بعد أن أخذت الطريق البحرى حول رأس الرجاء الصالح .

ولم يستطع السلطان الغورى أن يوقف سير التاريخ ! ! ونمت القوة البحرية العالمية وتدفقت ثروات آسيا على أوروبا .. ومعها ثروات أمريكا .

ونمضى قليلا مع هذا القرن ، فاذا برتغاليون آخرون يصلون الى جزيرة سومطره ، وشبه جزيرة الملايو فى أقصى الشرق ، ونجد فى عام ٩١٨ هـ (١٥١٢ م) سلطانا جديدا يجلس على عرش العثمانيين هو سليم الاول ، بعد وقائع وحروب حدثت بينه وبين ابيه السلطان بايزيد هرب على أثرها أخـوه الى مصر .. خوفا من الانتقام . ولكن الانتقام حل بجميع آل عثمان من الذكور ، غير أولاده ، فقد أبادهم السلطان الجديد ، حتى الرضيع الذى لم يتجاوز شهورا خوفا من أن يأتي يوم ينتزع أحدهم منه العرش ، كما انتزعه هو من أبيه ! .

واتجه السلطان سليم الى آسيا ، فصفى حساب قومه مع الفرس ، ثم نظر الى القاهرة .

يقولون فى سبب حرب الاتراك لعرب الشام ومصر ، أن السلطان الغورى كان حليفا لملك العجم اسماعيل شاه ، فلما استولى الاتراك على « تبريز » استداروا لهذا الحليف الذى أمد عدوهم بالتموين ، واستولى على قوافل الذخيرة التركية ، وهي راحلة الى جبهة القتال ..

ولكنا لا نجد هذا وحده سببا مقنعا .. فان النصر يغرى باتباعه بنصر آخر .. وما دام الاتراك قد وصلوا الى كل هذا الاتساع فى رقعة الملك ، فلماذا لا يمدون سلطانهم الى أعظم مدائن المسلمين فى ذلك الوقت، وملجأ الخلفاء العباسيين ، والطريق الى افريقية والحرمين الشريفين ؟ ..

ومن حسن حظ التاريخ ، ان شيخا من المقربين للمماليك المصريين ، دون احداث هذه الفترة ، وان كانت مهنته الاصلية مما يدعو الى التأمل .. فقد كان ضارب الرمل للسلاطين والامراء ، ينبئهم بسير الامور وطوالع المستقبل ! ! وهو الشيخ احمد المعروف بابن زمبل . الذى لم يستطع رمله واستطلاع اسراره أن يكشف له عن مستقبل رأس أميره الكبير السلطان الغورى ، الذى تدحرج بعد حين فى بئر عميق .

السلطان سليم يستشير فى غزو مصر

يروى ابن زنبل ان السلطان العثماني سليم ، استشار وزيره الاعظم ابن هرسك ، فى غزو مصر ، فعارض قائلا : نحن تصادمنا مع عسكر مصر فى زمن أبيك ، وكنت انا باش (قائد) العسكر ، وكسرونا أشد كسرة . وقبضوا علي . ودخلت مصر أسيرا حتى وقفت بين يدى السلطان قايتباى ، فمن علي باطلاقي ، وعفا عنى ، عفا الله عنه ، وقد حلفت له ألا اسحب فى وجهه سيفا أبدا .

ولكن سليما لم يأبه لهذا الرأى ، وقرر المسير الى مصر . ووصلت الانباء الى القاهرة ورأى سلطانها الغورى ، أن يزحف بجيشه الى حلب ، ويلتقى مع الاتراك هناك . وقد كانت حلب فى تقدير التاريخ هي الباب الامامى لمصر ، من غلبها ، فقد فتح الطريق أمامه للقاهرة .. ومن هنا كان رأى العسكريين ، ان الحدود العسكرية (لا السياسية) لمصر هي جبال طوروس وان خط الدفاع الاول عن أرض النيل هناك فى أقصى الشمال من الشام الكبير .

استطلاع

وكأن السلطان سليم أراد استطلاع قوة الغورى ، فبعث له برسول سلام ، وزعم له الغورى انه جاء من مصر بأهل العلم جميعا حتى يصلح السلطان سليم واسماعيل شاه ! .

وأراد الغورى أن يحصل بدوره على معلومات عن معسكر الاتراك فبعث بأحد امرائه ومعه عشرة من الاتباع فى أبهى زينة ، وأكمل عدة . فلم تعجب السلطان سليم هذه المظاهرة الصبيانية ، فأمر بقطع رقاب الاتباع العشرة ، وأمر بحلق ذقن كبيرهم ، وألبسه طرطورا ، وأركبه حمارا أعرج ، ورده الى معسكر الغورى مهينا ذليلا .

ودبت الفتنة بين مماليك الجيش المصرى ، وسرت بينهم الخيانة ، كل يريد ان تكون له السلطنة .

وكان الجيش التركى فى نحو ١٥٠ ألف مقاتل ، وعلى رأسهم سليم الاول ، يمسك بسيف هائل ، يقول انه سيف عمر بن الخطاب رضي الله عنه ..

وعندما التقى الجمعان « رد الروم (الاتراك) على الجراكسة كالبحر اذا سال بعرض الوادى . فتراجع الجميع ، وأطلقوا المدافع والبندقيات ، وحملوا على الجراكسة والعربان والمشاة .. وصار النهار عليهم مثل القيامة الكبرى .. فصارت تلك الصحراء (مرج دابق) كالمجزرة من الدماء .

وقع السلطان الغورى على الأرض ، واخذ احد جنده ثيابه المطرزة وكانت تساوى ثلاثة آلاف ذهبا .. وتحاور بعضهم وسيدهم ملقى عند اقدامهم .. قال أحدهم :

ــ ما ترى فى أمر السلطان ؟ فاجاب صاحبه :

ــ ان نحن تركناه ، ورحنا وخليناه ، يأتى العدو فيقتلونه ويأخذون رأسه ، يطوفون بها جميع بلاد الروم ...

ــ فما الرأى ؟ .

ــ الرأى ان نقطع رأسه ، ونرمى بها فى هذا الجب . والجثة بلا رأس لا يعرفها أحد .

ونفذ هذا الرأى . ومضى آخر سلاطين المماليك الى آخرته ، رأسه فى بئر ، وجسده على سطح الارض بين أجداث القتلى .. واسلاب ثيابه وسلاحه غنيمة لأحد أعوانه .

ودخل السلطان سليم العثماني حلب ، وبذا فتحت أمامه الطريق الى مصر ..

وعادت فلول الجيش المملوكى المنهزم الى القاهرة حيث تولى منهم حاكم جديد هو طومانباى .. وقد تلقى من سلطان العثمانيين كتابا طلب منه فيه ان يتولى الحكم من قبله ، وان تكون باسم العثماني الخطبة والسكة (أى النقود) .

وتابع السلطان سليم زحفه ، والتقى مرة أخرى بعساكر المماليك فى خان يونس على أرض فلسطين .. ثم تابع زحفه الى القاهرة ، ودارت على مداخلها معركة كبيرة ثالثة ، وكانت قوات سليم قد وصلت الى ٢٠٠ ألف بمن أنضم اليها من جند الشام ، وقوات المصريين حوالي خمسين ألف مقاتل .

يشنقه ويتصدق على روحه ! !

ثم استمرت الحرب مع بقايا المماليك بقيادة طومانباى عدة أسابيع أخرى . لقى فيها الاتراك (أو الروم كما كانوا يسمون) عنفا كثيرا . وانسحب الجركس الى بلدة سخا فى شمال الدلتا ، حيث كان يقيم عربان آل مرعى وشكر . وكبيرهم الامير حسن بن مرعى ، الذى استضاف كبير المماليك وأعوانه . وقد تآمروا على ضيفهم ، وقبضوا عليه وساقوه الى معسكر السلطان سليم وقد أمر بقتله ، فحملوه على بغلة الى باب زويلة ، من أبواب القاهرة ، حيث شنق وصلب وقد انقطع به الحبل مرتين قبل ان يموت . وبقى معلقا ثلاثة أيام .. وكفنوه فى ثلاثة أثواب من حرير الموصل اهداها سلطان الاتراك لجثته ، كما بعث بثلاثة أكياس من الفضة ، تصدقوا بها على روحه ! .



وبهذا آنتهى حكم خمسين مملوكا تتابعوا على سلطنةمصر والشام والحجاز منهم شجرة الدر ، وكان حكمها ثلاثة أشهر . وكان زوالهم وانضمام مصر الى سلطنة العثمانيين عام٩٢٣ هـ-١٥١٧م .

وفى اتجاه العثمانيين الى القاهرة ووصولهم اليها ، لم يبد أول الأمر أن لسلطانهم أطماعا فى مركز الخلافة آلاسلامية ، وحمل لقبه .. الا أن جمهور الامراء على الامصار العربية فتحوا المجال أمام السيد العثماني الجديد . فمثلا نجد أمير لبنان عثمان بن معن يقول فى دعائه للسلطان عندما تقدم له مع امراء اليمن والتركمان :

« اللهم أدم دوام من اخترته لملك ، وجعلته خليفة عهدك ، وسلطته على عبادك وأرضك وقلدته سنتك وفرضك . ناصر الشريعة الغراء ، وقائد الامة الطاهرة الظاهرة ، سيدنا ، وولي نعمتنا ، أمير المؤمنين ، الامام العادل ، والذكى الفاضل ، الذى بيده أزمة الامر بادشاه . ادام الله بقاه .. الخ » .

مصير الخليفة العباسي

ولم يكن السلطان سليم يعلم شيئا من آللغة العربية . ولكن ترجم له هذا الكلام ، فسر له سرورا عظيما ، وأقره على أمارة جبل لبنان ، وأطلق عليه لقب سلطان البر .. واكتفى السلطان فى هذه المرحلة بأن يكون لقبه خادم الحرمين الشريفين ، وسلطان البرين ، وخاقان البحرين . وان كان خادم الحرمين ، لم يتردد اول زحفه الى القاهرة ، فى أن يأمر بذبح القضاة الاربعة الذين يمثلون المذاهب الاربعة فى مصر ، لانهم كانوا فى صحبة الغورى ، وألحق بهم جميع أتباعهم الذين ساروا معهم الى رحلةحلب المشؤومة .. وعندما هم سليم بمغادرة مصر ، حمل منها الكثير من النفائس ، ورحل آلافا من رجال الحرف والصناعات ليساهموا فى تعمير حاضرة ملكه « اسلام بول » .. ولكن كان أهم ما حمله معه : الخليفة آلعباسي محمد المتوكل على الله .

وكان خلفاء بنى العباس قد هربوا الى مصر عند سقوط بغداد فى أيدى هولاكو التترى عام ٦٥٦ هـ (١٠٩١ م) .. أى انهم ظلوا لاجئين فى حمى المماليك أربعة قرون وربع قرن . فلما رحل آخرهم فى موكب الفاتح العثمانى سليم،انتهى اللقب فى هذه الرحلة . مع بعض شارات الخلافة التى كانت فى حوزة المتوكل ،وهى البيرق النبوى ، وسيف رسول الله عليه الصلاة والسلام وبردته ، ومفاتيح الحرمين الشريفين .

وعاش الخليفة العباسي الاخير فى ظل العثمانيين بضع سنين ، قرب فيها ، وأبعد ، وعانى حرمانا وضيقا شديدين . فلما تنازل رسميا عن لقب الخلافة ، سمحوا له بالعودة الى مصر ليقضي بقية عمره فيها ، تحت رقابة الوالى العثماني . ولا نكاد نسمع عن المتوكل شيئا ، الا فى عام ٩٢٩ هـ ، اثناء ثورة مصرية ضد الحكم العثماني .. ثم نعلم انه عمر حتى عام ٩٤٥ هـ . فلما مات ، زال آخر شبح للعباسيين فى الحياة السياسية والروحية للاسلام . وان كان الوجود الحقيقي للعباسيين آنتهى بعد سقوط بغداد .. ففى هذه القرون الاربعة وبعض القرن هان اللقب بعد عز ، وشحب لونه ، وحالت معالمه .. ولا نكاد نجد سلاطين آل عثمان يحفلون كثيرا بحمله، او المباهاة به ، لانهم شهدوا من كان يحمله بحكم الميراث ، وكيف صار اليه أمره ..

رسالة الى ملك فرنسا

وأمامنا رسالة وردت فى تاريخ جودت باشا ، بعث بها السلطان سليمان الذى تولى العرش مكان أبيه سليم الاول ،

الى ملك فرنسا ، يذكر القابه فى ديباجة الرسالة على النحو الآتي :

« بعناية حضرة عزة الله،جلت قدرته ، وعلت كلمته ، وبمعجزات سيد زمرة الانبياء وقدوة فرقة الاصفياء ، محمد المصطفى صلى اله تعالى عليه وسلم ، الكثيرة البركات ، وبمؤازرة قدس أرواح حماية الاربعة ، أبى بكر وعمر وعثمان وعلي رضوان الله تعالى عليهم أجمعين ، وجميع أولياء الله . . » .

« انا سلطان السلاطين ، وبرهان الخواقين ، متوج الملوك ، ظل الله فى الارضين ، سلطان البحر الابيض والبحر الاسود (١) ، والاناضول ، والروملى ، وقرمان الروم ، وولاية ذى القدرية ، وديار بكر ، وكردستان ، وآذربيجان ، والعجم ، والشام ، وحلب ، ومصر ، ومكة والمدينة ، والقدس،وجميع ديار العرب واليمن وممالك كثيرة أيضا التي فتحها آبائي الكرام ، وأجدادى العظام ، بقوتهم القاهرة ، انار الله براهينهم ، وبلاد اخرى كثيرة افتتحتها يد جلالتى بسيف الظفر .

« أنا السلطان سليمان خان ابن السلطان سليم خان بن السلطان بايزيد خان » .

« الى فرنسيس ملك ولاية فرنسا . . ! ! الخ » .

وعلى الرغم مما يبدو من مسحة التعاظم فى تعداد هذه الالقاب ، وهي سمة الحياة التركية فى تلك القرون ، الا ان لقبا غاب عنها ، وهو لقب « أمير المؤمنين، وخليفة رب العالمين » .

فاذا علمنا ان تاريخ هذه الرسالة هو عام ٩٣٢ هـ ، و ١٥٢٥ م ، فانا نجد اللقب انتهى من القاهرة ، ولم يظهر فى اسلام بول .

وكانت أمام السلطان سليمان مناسبة كبرى يستطيع ان يعلن فيها عن حمل لقب الخلافة ، وذلك عندما دخل بغداد فى عام ٩٤١ الهجرى (١٥٣٤ م) ، واقام فيها أربعة أشهر وزار قبور الأئمة العظام، وسافر الى النجف وكربلاء ، لزيارة مقام الامامين علي والحسين .

لم يفعل السلطان ذلك .

ولكن بعد ذلك ، نجد فى المعاهدات التي عقدها ممثلو السلطان سليمان القانوني اشارة الى لقب الخلافة ، ففي معاهدة السلام مع فرنسا التي عقدها ممثلون من الجانبين التركي والفرنسي ، نجد فى مادتها الاولى النص التالي :

البند الاول : تعاقد المتعاقدان بالنيابة عن جلالة الخليفة الاعظم ، وملك فرنسا على السلم الأكيد .. الخ .

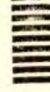
نرى اللقب يظهر هنا عندما يأتي السفراء ، والمفوضون . ولكنه لا يظهر فى مناسبات رسمية أخرى تحمل توقيع السلطان ، كما ذكرنا قبل ..

كيف سارت الامور بلقب الخلافة ، وسلطته الروحية ، وتأثير ذلك على سير الدعوة الاسلامية ؟ .

هذا هو السؤال الذى تحاول **دراساتنا القادمة الاجابة عليه ان شاء الله .**

---

(١) لا نراه هنا يضيف البحر الاحمر مع انه استولى على عدن، واصبح هذا البحر بحيرة اسلامية عثمانية لا ينازعه عليه سلطان آخر بعكس البحرين الابيض والاسود !!



الوصية السادسة . ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتى هي أحسن حتى يبلغ أشده أى مما يتلى عليكم من الوصايا الالهية الحقيقة بالاتباع . أن لا تقربوا مال اليتيم اذا كنتم ولاة أمره ، أو تعاملتم معه ، الا بأفضل الطرق التي توصل حفظ ماله ونمائه وتكاثره وزيادته ، والابقاء عليه كاملا غير منقوص ، ولا تتصرفوا فى ماله الا بما يعود عليه بالفائدة المحققة والمنفعة المؤكدة ، وقوله تعالى « ولا تقربوا » أبلغ فى النهى ، لأن هذا التعبير الكريم يتضمن النهى عن الأسباب والابتعاد عن الوسائل التي توقع فى الفعل وتوصل اليه بلوغه الأشد معناه بلوغه سن الرشد ، وقال صاحب لسان العرب . الأشد معناه : مبلغ الرجل الحنكة والمعرفة ، وقد اشترط الشارع الحكيم لايتاء اليتامى أموالهم بلوغهم سن الحلم (بضم الحاء واللام) والرشد معا ، ويظهر رشدهم فى المعاملات المالية بالاختيار والتجربة قال تعالى فى سورة النساء (وابتلوا اليتامى حتى اذا بلغوا النكاح فان آنستم منهم رشدا فادفعوا اليهم أموالهم) وهو خطاب للأولياء والأوصياء ، وميزان الرشد يبدو واضحا جليا بكثرة التجارب والمران واحسان المعاملات واجادة التصرف فى تقليب المال وتثميره ، وقد حذر الله تبارك وتعالى من أكل مال اليتيم لما يترتب عليه من الفساد والاثم الكبير قال تعالى (ان الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما انما يأكلون فى بطونهم نارا وسيصلون سعيرا) فمن هضم حق اليتيم وتعدى على ماله وتجاوز المعتاد فى معاملته فقد حشى بطنه نارا وحمل معه سعيره من الدنيا وارتكب ما يوجب غضب الله عز وجل .

الوصية السابعة . « وأوفوا الكيل والميزان بالقسط » وهذا أمر بالعدل فى حالتى الأخذ والعطاء ، فيجب اتمام الكيل والميزان اذا وزنتم لأنفسكم فيما تشترون أو لغيركم فيما تبيعون ، وقد ذم القرآن الكريم المطففين فى سورة سماها باسمهم وتوعدهم بالعذاب الشديد والنكال الأليم فقال تبارك وتعالى (ويل للمطففين . الذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون . واذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون) وأوضحت الآيات أنهم بعيدون عن الايمان بالبعث والحساب (ألا يظن اولئك أنهم مبعوثون . ليوم عظيم . يوم يقوم الناس لرب العالمين) . ولما كانت اقامة القسط تاما أمرا دقيقا جدا لا يمكن تحقيقه فى كل مكيل وموزون تمام التحقيق ، قال سبحانه وتعالى « لا نكلف نفسا الا وسعها » أى أنه تعالى لا يلزم أمرا الا ما يسعه فعله بدون مشقة ولا حرج . فالمراد أنه يضبط الكيل والميزان بحيث يعتقد أنه لم يظلم فيهما بزيادة أو نقص يعتد به شرعا ، وقد قص القرآن الكريم علينا ما كان من قوم سيدنا شعيب وبعدهم عن العدل فى ميزان أو كيل فقال لهم نبيهم « ويا قوم أوفوا المكيال والميزان بالقسط ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعثوا فى الأرض مفسدين » وروى الترمذى عن ابن عباس رضى الله عنهما قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحاب الكيل والميزان « انكم وليتم أمرا هلكت فيه الأمم السالفة قبلكم » .

الوصية الثامنة . (واذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى) أمر بالعدل فى الأقوال حين الشهادة أو القضاء ، ولو كان

المشهود له أو عليه وكذلك المتقاضى عندكم قريبا ، فالعدل فى الأقوال لازم وواجب كالعدل فى الأفعال ، وقد ورد فى سورة النساء ، واضحا جليا قول الله تعالى (يأيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين ان يكن غنيا أو فقيرا فالله أولى بهما فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا وان تلووا أو تعرضوا فان الله كان بما تعملون خبيرا) وشدد الله فى العدل حين الشهادة أو القضاء مهما كانت الصلة بالمشهود له أو عليه أو المتقاضى لأن العدل قوام حياة الأمم فلا يصح أن تحكمنا الصلات قربت أو بعدت فتحملنا على الظلم أو الميل عن الصراط المستقيم ، ومن حاد أو ظلم فالله سيحاسبه لأنه جل وعلا يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور ، ولا تخفى عليه خافية .

الوصية التاسعة . (وبعهد الله أوفوا) أمر بالوفاء بعهد الله دون ما خالفه وهو ينتظم ما عهده الله تعالى الى خلقه على ألسنة أنبيائه ورسله ، وما معاهدة الناس عليه بعضهم بعضا مما يوافق الشرع ، وقد ورد لفظ العهد فى القرآن كثيرا مشيرا الى ما ذكر قال تعالى (ولقد عهدنا الى بنى آدم) وقال (ألم أعهد اليكم يا بنى آدم) وقال (وأوفوا بعهد الله اذا عاهدتم) وقال (أو كلما عاهدوا عهدا نبذه فريق منهم) وجعل الله الوفاء بالعهد من صفات المؤمنين فقال سبحانه (والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون) وعد رسول الله صلى الله عليه وسلم نكث العهد من صفات المنافقين فى قوله (... واذا عاهد غدر) ثم ختمت الآية الكريمة بقوله تعالى (ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون) أى أن ما سمعتموه مما تلوته عليكم هو ما وصاكم به الله فلعلكم تذكرون ما فيه من الصلاح لكم فيحملكم ذلك على العمل به ويذكر بعضكم بعضا (وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر) . (وما يتذكر الا من ينيب) . (سيذكر من يخشى) .

الوصية العاشرة . (وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله) بيان لما يدعو اليه صلى الله عليه وسلم من الدين الخالص فالصراط المستقيم هو شرع الله ، عن ابن مسعود رضي الله عنه خط رسول الله صلى الله عليه وسلم خطا بيده ثم قال : هذا سبيلى مستقيما ، ثم خط خطوطا عن يمين ذلك الخط وعن شمالى ثم قال : وهذه السبل ليس فيها سبيل الا عليه شيطان يدعو اليه . ثم قرأ . وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ، وروى ابن جرير عن ابن عباس رضي الله عنهما فى معنى هذه الآية (ولا تتبعوا السبل) قال : أمر الله المؤمنين بالجماعة ونهاهم عن الاختلاف والفرقة وأخبرهم أنه انما أهلك من كان قبلكم بالمراء والخصومات . (ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون) التقوى اسم لكل ما يتقى من الضرر العام والخاص مهما يكن نوعه ، فالأمر باتباع الصراط المستقيم والنهى عن سبل الضلال هو ما وصاكم به ربكم ليهيئكم للبعد عن كل ما يشقى ويردى فى الآخرة ، وعمل ما يوصلكم الى السعادة الحقة فى الدنيا ، وقد وردت آثار كثيرة كثيرة فى شأن هذه الوصايا منها ما أخرجه الترمذى وآخرون عن ابن مسعود رضي الله عنه قال (من سره أن ينظر الى وصية محمد التي عليها خاتمه فليقرأ هذه الآيات . قل تعالوا .. الى قوله تعالى ... لعلكم تتقون) نسأل الله تبارك وتعالى أن يوفقنا جميعا الى العمل بهذه الوصايا واتباع كل ما جاء به سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، والسلام على من اتبع الهدى .

الإمام الأوزاعي.



حينما (اقترح على الاخ رئيس تحرير هذه المجلة الزاهرة) الكتابة عن الامام الاوزاعى ،طافت بخواطرى ذكريات أئمتنا الاعلام ، الذين يعدون بحق من مفاخر الاسلام الذى هو المنهاج الالهى للمسلمين وللناس اجمعين – لو كانوا منصفين – روحيا وفكريا وعاطفيا وعمليا ، طافت خواطرى بأعلام التشريع فى بداية دوره الرابع . (١) دور تصنيف السنة والفقه وتدوينهما ، وظهور الأئمة الاعلام كالامام مالك بن أنس فى المدينة المنورة ، وعبد الملك بن عبد العزيز فى مكة المكرمة ومعمر بن راشد فى اليمن ، وسفيان الثورى فى الكوفة ، وحماد بن سلمة وسعيد بن أبى عروبة فى البصرة ، وهشيم بن بشير فى واسط ، وعبد الله بن المبارك فى خراسان، وجرير بن عبد الحميد بالرى ، وعبد الرحمن الاوزاعى بالشام .

وطافت خواطرى كذلك بمن تبع هؤلاء على رأس المئتين ، الذين ألفوا المسانيد كعبد الله بن موسى (الكوفى) ، ومسدد بن مسرهد (البصرى) وأسد بن موسى (المصرى) ونعيم بن حماد (الخزاعى) واسحق بن راهويه، وعثمان ابن أبى شيبة ، وأحمد بن حنبل ، ومن تبعهم من رجال الاختيار فى مقدمتهم الامامان البخارى ومسلم .

فنحن تلقاء سيرة عظيم من عظماء الاسلام علما وأدبا وصلاحا ، يكفى للتعريف الموجز بفضله أن يكون فى زمرة هؤلاء الاعلام .

مولده ونشأته ونسبه

ولد عبد الرحمن بن محمد الاوزاعى فى بعلبك سنة ثمان وثمانين للهجرة ونشأ

(١) هذا الدور من أوائل القرن الثاني الى نصف الرابع ، وهؤلاء الاعلام كانوا فى حدود بضع وأربعين ومئة . أما الأدوار السابقة . فدور عصر الرسول ، ثم عصر كبار الصحابة ، ثم صغارهم (يراجع التشريع الاسلامي للاستاذ الخضرى – ص ١٩٢ وغيرها) .

• أعظم من أنجبته أرض الشام من الفقهاء
• إمام من طبقة الأئمة المعروفين ولكن لم ينهض أتباعه بتدوين مذهبه ..
• قال عنه الإمام مالك : إنه كان إمام أهل زمانه
• وسئل عن الثوري والأوزاعي وأبي حنيفة أيهم أرجح ؟ قال الأوزاعي .

الاستاذ/أحمد مظهر العظمة
رئيس تفتيش مكتب الدولة ــ دمشق

فى البقاع يتيما فى حجر أمه التى كانت تتنقل به من بلد الى بلد (١) نسب الى الأوزاع ، اسم قبيلة من اليمن ، أو قرية بدمشق على طريق باب الفراديس ، سميت القرية باسمهم لسكناهم بها على ما يظهر . (٢)

اخلاقه وصلاحه

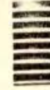
قال العباس ابن المحدث الكبير الوليد ابن مزيد العذرى البيروتي الذى روى عنه الأوزاعى . (ما رأيت ابى يتعجب من شيء ما رآه فى الدنيا تعجبه من الأوزاعى . كان يقول سبحان اله يفعل ما يشاء .. يقول : يا بنى عجزت الملوك أن تؤدب أنفسها وأولادها أدبه فى نفسه، ما سمعت منه كلمة قط الا احتاج مستمعها الى اثباتها ، ولا رأيته ضاحكا قط حتى يقهقه . ولقد كان اذا أخذ فى ذكر المعاد (أقول فى نفسى . أيرى فى المجلس قلب لم يبك ؟) «(٣)» .

وقال أبو عبد الله (الواقدى) أشهر من خط فى المغازى : قال الأوزاعى (كنا قبل اليوم نضحك ونلعب ، أما اذا صرنا

(١) ص ٤٩ من (محاسن المساعى فى مناقب الامام أبى عمرو الأوزاعى بخط الشيخ زين الدين الخطيب (فهو ناسخه سنة ١٠٤٨) وبتقديم وتعليق الأمير شكيب أرسلان ، الذى قال : (ويظهر لنا أن جامع هذا الكتاب هو من أهالى القرن التاسع ..) .

(٢) (محاسن المساعى ــ ص ٢٩) .

(٣) محاسن المساعى ــ ص ٥٠ .



أئمة يقتدى بنا فلا نرى أن يسعنا التبسم ، وينبغى أن نتحفظ) «١»

وقال عالم الشام الوليد بن مسلم : (ما رأيت أحدا أشد اجتهادا من الأوزاعى فى العبادة) «٢» . وقال العابد محمد ابن عجلان : (ما رأيت أحدا أنصح للمسلمين من الأوزاعى) «٣» .

دخلت امرأة من جيرانه على امرأته ، فرأت الحصير التى يصلى عليها بالليل مبلولة ، فقالت لها . لعل الصبى بال هاهنا ؟ فقالت : هذا أثر دموع الشيخ من بكائه فى سجوده ، وقالت . هكذا تصبح كل يوم «٤» . وكان الأوزاعى من أكرم الناس وأسخاهم فقد كان له فى بيت المال من الخلفاء اقطاع صار اليه من بنى أمية «٥» .

علمه

ترجم للامام الأوزاعى الحافظ الشهير محمد بن أحمد الذهبى فى كتابه الكاشف (وهو مختصر التهذيب) . فقال . عبد الرحمن بن عمرو شيخ الاسلام أبو عمرو الأوزاعى ، الحافظ الفقيه ، الزاهد ، أخذ عن عطاء «٦» ومكحول «٧» ومحمد بن ابراهيم «٨» ، ورأى محمد بن سيرين «٩» واخذ عن قتادة «١٠» : ويحيى بن أبى كثير شيخاه ، وابن عاصم «١١» ، والفريابى «١٢» ، وكان رأسا فى العلم والعبادة ، ورقم له علامة الجماعة ــ يشير أنه روى له البخارى ومسلم وأبو داود والترمذى والنسائي وابن ماجة ــ وهم اصحاب الكتب الستة أصول الاسلام ، والله أعلم «١٣» .

قال مالك . كان الأوزاعى امام أهل زمانه .

وقد حج مرة فدخل مكة وسفيان الثورى آخذ بزمام جمله ، ومالك بن أنس يسوق به ، والثورى يقول :

أفسحوا للشيخ ، حتى أجلساه عند الكعبة ، وجلسا بين يديه يأخذان عنه «١٤» .

وقال الحافظ الشهير يحيى بن معين . العلماء أربعة . الثورى ، وأبو حنيفة ، ومالك ، والأوزاعى «١٥» .

وقال يحيى القطان (حافظ القرآن) عن مالك . اجتمع عندى الاوزاعى والثورى وأبو حنيفة ، فقلت .

أيهم أرجح ؟ قال . الأوزاعى «١٦» .

وقال ابن زياد . أفتى الأوزاعى فى سبعين ألف مسألة بحدثنا وأخبرنا «١٧» .

---

(١) محاسن المساعى ــ ص ٨٣ .
(٢) محاسن المساعى ــ ص ٧٥ .
(٣) محاسن المساعى ــ ص ٧٠ .
(٤) محاسن المساعى ــ ص ٧٠ .
(٥) محاسن المساعى ــ ص ٧٦ .
(٦) عطاء احد التابعين انتهت اليه الفتوى بمكة (ت١١٥) « ٧ » مكحول عالم الشام (ت ١١٨) .
(٨) محمد بن ابراهيم التيمى الفقيه المحدث المدنى (ت ٢٠٠) .
(٩) محمد بن سيرين المصرى اشتهر بالحديث والفقه والورع وتعبير الرؤيا (ت ١١٠) .
(١٠) قتادة من التابعين (ت ١١٧) .
(١١) قال أمير شكيب . يجوز أن يكون أصل هذه الكلمة (ابو عاصم) .. محدث البصرة (ت ٢١٢) .
(١٢) محاسن المساعى ــ ص ٥٤ ــ ٦٢ .
(١٣) محاسن المساعى ــ ص ٦٢ .
(١٤) محاسن المساعى ــ ص ٧١ .
(١٥) محاسن المساعى ــ ص ٦٧ .
(١٦) محاسن المساعى ــ ص ٦٦ .
(١٧) محاسن المساعى ــ ص ٦٦ .

وكان الأوزاعى من رجال الحديث الذين يكرهون القياس «١» ، وكان أهل الشام يعملون بمذهبه ، وقاضى الشام أوزاعى ، ثم انتقل مذهب الأوزاعى الى الاندلس مع الداخلين اليها من أعقاب بنى أمية ، ثم اضمحل أمام مذهب الشافعى فى الشام وأمام مذهب مالك فى الاندلس ، وذلك فى منتصف القرن الثالث «٢» .

فمذهبه من المذاهب البائدة ، التى أفقدها كون روح التقليد لم تكن قد وجدت ، فضلا عن اهمال تدوينها ، وعدم وجود من ينهض بها بعد ذويها ، وله كتاب السنن في الفقه و (المسائل) «٣» .

بلاغتــه

كان الامام الأوزاعــى من الفصحاء والبلغاء النابهين السابقين الذين سخر لهم فصل الخطاب ، وتحس فيهم قوة الحجة ، وصدق الطوية ، وأصالة الاسلوب العربى المشرق الجميل ، دونما عنت ولا استكراه ، وكان يساعده على ذلك سبيله من الايجاز الذى يبعده عن التقعر والتعمل والحشو والخطل .

« وكانت كتبه ترد على المنصور فينظر فيها ويتأملها ، ويتعجب من فصاحتها وحلاوة عباراتها . وقد قال المنصور يوما لأحظى كُتَّابه عنده ــ وهو سليمان بن مخلد ــ ينبغى أن تجيب الأوزاعى عن كتبه ، فقال . والله يا أمير المؤمنين لا يقدر أحد من أهل الارض على ذلك . وقال : لاعلى كل كلامه ولا شىء منه ، وانا نستعين بكلامه نكاتب به الى الآفاق الى من لا يعرف انه كلام الأوزاعى (٤) »

كتب الى أخ له . (أما بعد فقد أحيط بك من كل جانب ، وأنه يسار بك فى كل يوم وليلة مرحلتان ، فاحذر الله والقيام بين يديه ، وأن يكون آخر العهد بك ، والسلام) «٥» .

بينه وبين المنصور

وكتب أبو جعفر المنصور اليه . (أما بعد ، فقد جعل أمير المؤمنين فى عنقك ما جعل الله لرعيته قبلك فى عنقه ، فاكتب اليه بما رأيت فيه المصلحة) .

وهو كتاب يدل على ثقة كبرى بالامام ونصحه ــ فكتب اليه : **(أما بعد ، فعليك يا أمير المؤمنين بتقوى الله عز وجل ، وتَواضَعْ يرفعك الله تعالى يوم يضع المتكبرين فى الارض بغير الحق .** واعلم أن قرابتك من رسول الله صلى الله عليه وسلم لن تزيد حق الله تعالى عليك الا وجوبا) «٦» .

ولما وقع فى يد ملك الروم الالوف من المسلمين أسرى ، وكان ملك الروم يحب أن يفادى بهم ويأبى أبو جعفر ، فكتب الأوزاعى اليه :

(أما بعد ، فان الله تعالى استرعاك هذه الأمة ، لتكون فيها بالقسط قائما ، وبنبيه صلى الله عليه وسلم فى خفض الجناح والرأفة متشبها ، واسأل الله تعالى أن يسكن على أمير المؤمنين دهماء هذه الأمة ، ويرزقه رحمتها ، فان سائحة المشركين التي غلبت عام أول ، وموطئهم

البقية على ص ٨٣

(١) اذ كان يعتمد على النصوص لا على الاشباء والنظائر وعللها فى الاحكام .

(٢) (التشريع الاسلامي) للشيخ محمد الخضرى ص ٢٨٠ وقال مؤلف محاسن المساعى بهذه المناسبة ص ٦٢ . وبقى أهل دمشق وما حولها من البلاد على مذهبه نحوا من مائتي سنة وعشرين سنة وقال ــ ص ٤٤ . ثم أفتى العارفون به (يعنى مذهبه) وبقى عنه ما يوجد فى كتب الخلاف .

(٣) الأعلام للأستاذ خير الدين الزركلى ص ٥٠٢ . (٤) أحسن المساعى ــ ص ٧٢ .

(٥) أحسن المساعى ــ ص ٨٤ . (٦) أحسن المساعى ــ ص ١٢٠ .

ما أحوج الدنيا

ماذا يطيق الشعر في ابداعـــــه   أو يستطيع الفن في آياتـــــه
لم تبلغ الأفهام في سبحاتهـــــا   ساح الخلود وأنت في ذرواتـــه
هذا الوجود ألست باعث نوره ؟   أولست فرحته وسر حياتــــه ؟
ماذا أقول وأنت في آمـــــاده   نغم على شفتيه ملء لهاتـــــه
نغم تذوب الروح في سبحاتـــه   تتفتح الدنيا على همساتـــــه
أنشودة الأجيال من أصدائـــه   ومفاخر التاريخ في صفحاتـــه
نبع من الأضواء ثر غـــــامر   نور الحياة يفيض من مشكاتـــه
فرد وتنقاد الحياة لأمـــــره   يتسابق الملكوت في طاعاتـــه
الأمس صنع يديه في لألائـــه   والمجد ذروته لدى عتباتـــــه
ماذا يقول الشعر وهو محمـــد   جبريل بعض الجند في ساحاتـــه
المجد من أعلامه والوحي مـــن   أحلامه والله في مرضاتـــــه
بشر تخاطبه السماء بزجـــرها   وتسارع الأقدار في رغباتـــه
لا يا محمد ليس لي بك طاقــــة   كلا ...ولا شعري ..ولا طفراته
هذا هو القرآن اعجاز الـــورى   وأراك قد صورت في آياتـــه
لا يارسول الله ما نال امـــرؤ   أن يبلغ الاعجاز في أبياتـــه
فاعرف مكانك يا قريض فانما   هذا مقام الوحي في سبحاتـــه
حسبي الهوى لا المدح . ان مقامه   لن يدرك المداح بعض صفاتـــه
في كل شئ في الحياة هوى لـــه   أو ما ترى للطير في باحاتـــه
فاذا سألت الأرض هلل طودها   واهتز ان نوديت في جنباتـــه
أما السماء فما تهاوى شهبهـــا   الا مقبلة ثـــرى خطواتـــه
أما الفؤاد فما يحن حنينـــــه   الا وأنت تعيش في خلجاتـــه
يا للجوى والقلب من برحائـــه   لا تبرد الآهات من غلاتـــه
شاج وما يفتر عن هذا الشجـــى   باك وما يروى سوى عبراتـــه
يشكو نواك وأنت ملء حياتـــه   لم تنفرد نجواك عن خفقاتـــه
أنا من معينك أستعير قصائـــدي   لا من خيال الشعر أو خطراتـــه

إلى نفحاته

للاستاذ
محمد بدر الدين

أهديه للأمجاد في عليائها ... وأجدد الأجيال من قطراته
ولقد تركت ذوى الخيال لأمرهم ... ومضيت أنهل من ندى راحاته
فاذا الوجود ولا وجود .. وانما ... أنا في ذهول القلب أو نشواته
نهم أعب وأستزيد .. ومن ينل ... قرب الحبيب ازداد في صبواته
ان تبسم الدنيا فأنت حيالها ... تجلو السبيل محذرا غدواته
أو تعبس الأخرى فأنت إذاً لها ... أمنٌ لمن لبّاك من عثراته
والعالم المحموم في وثباته ... ما زال دون صباك في خطواته
ميزان قسطاس وآية رحمة ... والفصل كل الفصل في كلماته
هذا الذى حزم النفوس بحلمه ... ما أحوج الدنيا إلى نفحاته
قم يا محمد اننا في عالم ... أشقى تقاذفه ضلال هداته
في كل يوم صرخة أو غارة ... حتى ألفنا في الدجى صرخاته
العقل قد زعموه خير هداتهم ... ونسوا هدى الرحمن في غمراته
فتنوا به عن ربهم وكتابه ... وهو الذى سواه من آياته
فاذا بهذا العقل يصبح نقمة ... واذا ضلال الأرض من غلاته
فمتى يعود هداك في أيامنا ... يأسو جراح الكون من رحماته

انا وان كنا أضعنا مجده ... ما زال حول الحق بعض دعاته
مازال فينا من يجمجم قلبه ... والدمع في أسف على وجناته
خزيان مما ضاع من أمجادنا ... لهفان يرجو النصر في كراته
ان ضاقت الدنيا به أو هاجه ... ألم رآك تشد من عزماته
وتذكر الشعب الذى أسكنته ... والبأس في رصد على شرفاته
وصبرت حتى جئته في عزة ... والفتح يرفع فوقه راياته
وسجدت والدمعات فاض معينها ... ووهبت للرحمن ذنب عصاته
حلم وايمان وعزم باذخ ... العفو أقوى فيه من غاراته
ماذا يطيق الشعر في ابداعه ... أو يستطيع الفن في آياته
لم تبلغ الأحلام في سبحاتها ... بعض الذى اوتيت من ذرواته

مائدة القارئ

مع الشروق والغروب

قال عليه الصلاة والسلام : ـ

« ما طلعت شمس قط الا بعث بجنبتيها ملكان ـ يسمعان أهل الأرض الا الثقلين ـ يأيها الناس هلموا الى ربكم ، فان ما قل وكفى خير مما كثر وألهى ، ولا غربت شمس قط ، الا وبعث بجنبتيها ملكان يناديان . اللهم عجل لمنفق خلفا ، وعجل لممسك تلفا » .

مسئولية الحكم

لما ولى عمر بن عبد العزيز الخلافة دعا محمد بن كعب القرظى ، فقال له : انى قد ابتليت بهذا البلاء فأشر علي .

فقال له محمد بن كعب : يا أمير المؤمنين اذا أردت النجاة من عذاب الله فليكن كبير المسلمين عندك أبا : وأوسطهم أخا ، وأصغرهم عندك ابنا . فوقر أباك ، وأكرم أخاك ، وتحنن على ولدك .

سرعة بديهة

كان للمغيرة بن عبد الله الثقفى جدى يوضع على مائدته، فحضره أعرابى ، فمد يده الى الجدى وجعل يسرع فيه، فقال له المغيرة : انك لتأكله عازفا عنه كأن أمه نطحتك . فقال الأعرابى : وانك لمشفق عليه كأن أمه أرضعتك .

قلة ذوق

قال رجل لعمارة بن حمزة : أتيتك فى حويجة . فقال له : دعها حتى تكبر ..

غباء

بعث رجل ابنه ليشترى له حبلا ، فقال له : اجعله عشرين مترا ، فقال الولد : فى عرض كم ؟ قال : فى عرض مصيبتي فيك ..

هذا الانسان

قال علي بن ابى طالب رضي الله عنه : أعجب ما فى الانسان قلبه وله مواد من الحكمة وأضداد من خلافها فان سنح له الرجاء أذله الطمع . وان هاجه الطمع أهلكه الحرص ، وان ملكه اليأس قتله الأسف ، وان عرض له الغضب اشتد به الغيظ ، وان أسعد بالرضا نسى التحفظ ، وان أتاه الخوف شغله الحذر ، وان اتسع له الأمن استلبته العزة ، وان اصابته مصيبة فضحه الجزع ، وان استفاد مالا أطغاه الغنى ، وان عضته فاقة بلغ به البلاء ، وان جهد به الجوع قعد به الضعف ، وان افرط فى الشبع كظته البطنة ، فكل تقصير مضر وكل افراط له قاتل .

علو همة

مر يزيد بن المهلب بأعرابية ، فقرته عنزا ، فقبلها ، وقال لابنه معاوية : أعطها ثمانمائة دينار ، فقال له ابنه : هذه يرضيها اليسير ، وهي لا تعرفك ، فأجابه : ان كانت ترضى باليسير فانا لا أرضى الا بالكثير ، وان كانت لا تعرفني فانا أعرف نفسي : فأعطاها اياها .

عالم وخليفة

قدم سليمان بن عبد الملك المدينة المنورة للزيارة ،فبعث الى أبى حازم ،فلما قدم عليه قال له : ما لك لا تأتينا يا أبا حازم ؟ .

قال : يا أمير المؤمنين وما أصنع باتيانك ، ان أدنيتني فتنتني ، وان أقصيتني أخزيتني ، وليس عندك ما أرجوك له ، ولا عندى ما أخافك عليه ..

قال : فارفع الينا حاجتك .

قال : قد رفعتها الى من هو أقدر منك عليها ، فما أعطاني منها قبلت ، وما منعنى منها رضيت .

معك لا معى

قال رجل لابى بكر رضي الله عنه : والله لأسبنك سبا يدخل معك القبر ..

قال أبو بكر : معك يدخل ، لا معى .

من كل شيء أحسنه

جلس أعرابى الى مجلس ايوب السختياني فقيل له : يا أعرابى لعلك قدرى قال وما القدرى فذكر له محاسن قولهم . قال : انا ذاك ، ثم ذكر له ما يعيب الناس من قولهم . فقال : لست بذلك قال : فلعلك مثبت قال : وما المثبت ؟ فذكر محاسنهم فقال : أنا ذاك ، ثم ذكر له ما يعيب الناس منهم . فقال : لست بذاك قال : أيوب : هكذا يعقل العاقل يأخذ من كل شيء أحسنه .

الأيام أربعة

١ ــ يوم مفقود ، وهو ما فاتك وقد فرطت فيه .

٢ ــ ويوم معدود ، وهو ما مضى وقد ملىء بعمل الخير .

٣ ــ ويوم مشهود ، وهو يومك الحاضر ، فاجتهد أن تتزود فيه .

٤ ــ ويوم مورود ، وهو غدك الذى لا تدرى هل هو من أيامك أم لا ..

عاطفة القرابة

مات أعرابى ، فبكى عليه أخوه ، فقيل له : أتبكى عليه وقد كان يريد قتلك ؟ فقال : حركنى للبكاء عليه ارتكاضنا فى بطن ، وارتضاعنا من ثدى ..

أخ ولكن ...

تعرض رجل لهشام بن عبد الملك ، وادعى انه أخوه ، فسأله : من أين ذلك ؟ قال : من آدم . فأمر له بدرهم ، فقال السائل : مثلك لا يعطى درهما ، فقال هشام : لو قسمت ما فى بيت المال على القرابة التي ادعيتها لم ينلك الا دون ذلك .

لا تقلق

سهرت عيون ، ونامت عيون ... فـي شـئون تكـون ، أو لا تكـون
ان ربـا كفـاك بالأمس مـا كـان ... سيكفيك فـي غـد مـا يكـون

علمتني الحياة

قال المرحوم محمد مصطفى حمام :

علمتنــي الحيــاة أن « حياتــي » ... انمــا كانــت امتحانــا طــويلا
قــد أرى بعــده نعيمــا مقيمــا ... أو أرى بعــده عذابــا وبيــلا
عــل خــوفي مــن الحســاب كفيــل ... لي بالصــفح يــوم أرجــو الكفيــلا
عــل خوفــي يــردني عــن أمــور ... خبثــت غايــة وســاءت ســبيلا

مواقف خالدة في غزوة

لم يكن قد مضى غير أشهر على عودة الرسول الى المدينة بعد عمرة القضاء التي تمت وفاء بعهد الحديبية حين أعد عليه الصلاة والسلام العدة ، وعبأ المهاجرين والأنصار للغزو والجهاد فى أطراف الجزيرة العربية شمالا لتأديب من قتلوا خمسة عشر رجلا كان قد أرسلهم الى ذات الطلح على حدود الشام يدعون الى الاسلام دعوة كان جزاؤهم عنها القتل لم ينج الا رئيسهم .

وخرج الجيش الاسلامي مؤلفا من ثلاثة آلاف من خيرة رجال النبى بقيادة زيد بن حارثة . وقال الرسول : « ان أصيب زيد فجعفر بن أبى طالب على الناس ، وان أصيب جعفر فعبد الله بن رواحه على الناس » . وقد خرج مع الجيش خالد ابن الوليد ليدل بحسن بلائه فى الحرب على حسن اسلامه .

لكن أنباء مسيرة المسلمين كانت قد سبقتهم ، فجهز الروم لمقاتلتهم جموعا حاشدة منهم ومن حلفائهم أعداء الاسلام . وفى مؤتة بدأت المعركة حامية الأوار بين مائة أو مائتى ألف من جيوش هرقل عاهل الرومان وثلاثة آلاف من رجال الرسول . وقتل زيد بن حارثة حامل راية النبي فتناولها من يده جعفر بن أبى طالب فلحق بسلفه ، فتلقى منه الراية ابن رواحة ، وقاتل تحت اللواء حتى قتل . ثم اصطلح المسلمون على خالد بن الوليد قائدا . وأمكن خالد تدبير خطته الحربية ، حتى ضم صفوف الجيش ، ثم انسحب ومن معه راجعين الى المدينة ، بعد أن تيقن أنه لا قبل له بمقاتلة الروم الذين يبلغون أضعاف جنده عددا .

تلك خلاصة موجزة لأحداث غزوة مؤتة التي تمت فى أوائل السنة الثامنة للهجرة (سنة ٦٢٩ ميلادية) وينعقد اجماع المؤرخين على أن أهمية غزوة مؤتة ترجع الى أنها كانت مقدمة غزوة تبوك ، وما كان بعد وفاة النبى من فتح الشام .

بيد أن ما نود أن نتناوله فى هذا المقام هو عرض بعض المواقف الاسلامية الانسانية الخالدة فى هذه الغزوة ، وتحليلها لكشف دلالاتها ،وتحديد موقعها من روح العقيدة الاسلامية ومكانها من البطولات الاسلامية ، وذلك فى ضوء النتائج التي أسفرت عنها الدراسات العلمية الحديثة .

وعلى رأس هذه المواقف موقف محمد القائد المرسل فى تفكيره وتدبيره وقيادته وتوجيهه .

وموقف القادة الثلاثة الذين حملوا اللواء واحدا

• زيد مولى رسول الله هو القائد الأول وبعده جعفر ابن عم رسول الله .
• ثلاثة آلاف يقطعون الأميال لمنازلة مائة ألف وأكثر
• أروع البطولات يسجلها جيش وقادته .

مؤتة

للمقدم حسن فتح الباب

بعد الآخر ، كما أوصى الرسول ، ثم موقف خالد ابن الوليد .

ويأتي بعد ذلك موقف الجند المسلمين العائدين. وأخيرا موقف المسلمين الذين استقبلوهم فى المدينة .

دقة التوقيت وبعد النظر

وأول ما يسترعى نظر المتأمل فى أنباء تلك الموقعة وظروفها هو اكتمال القدرات القيادية التي وهبها الله النبى العربى . فالقرار الذى اتخذه الرسول بالغزو تجتمع فيه دقة التوقيت وبعد النظر وسلامة البصيرة والحسم والرحمة .

أما دقة التوقيت فتتبين من اختيار القائد المرسل أكثر الأوقات مناسبة للغزو وتوافقا مع الهدف منها . فالهدف البعيد هو توسيع دائرة انتشار الدعوة الاسلامية ، حتى تتجاوز حدود الجزيرة العربية ، وتصل الى كل مكان على الأرض، لأنها دعوة لتحرير الانسانية بأسرها . وقد اجتمعت ظروف معينة لم تكن لتغيب عن القائد الأعظم الذى أنزل الله عليه الوحى من لدنه . فكان أن استخدم هذه الظروف لصالح الاسلام . ذلك أنه لم يكن قد مضى على هدنة الحديبية غير عام وبعض عام ، ولم يكن قد جد ما يوجب نقضه ، ومن ثم طرح النبى فكرة التعجيل بفتح مكة ، فضلا عن أنه كان يعلم أن الزمن فى صف الدعوة . فلتكن اذا وجهته فىنشر الاسلام أرضا أخرى . ولتكن هذه الأرض هي الشام والبلاد المجاورة شمالا للجزيرة العربية بوصفها المنفذ الأول لطريق انتشار الاسلام ، بعد أن أمن الجنوب بعهده مع قريش ، وباذعان عامل اليمن للدعوة . ومع ذلك فلم يكن النبي ليقدم على شن الحرب فى غير ضرورة من دفاع أو عقاب على عدوان .

حرب لا بد منها

ان نفرا من الأعراب قد عمدوا الى اتخاذ المركب الوعر ، فقتلوا أصحاب محمد الذين أرسلهم على حدود الشام للدعوة الى الاسلام ، فكان قراره الحاسم بتجريد حملة حربية لتأديبهم ردعا لهم ، وعبرة لغيرهم ممن قد تسول لهم أنفسهم أمر الاعتداء على المسلمين ، وبثا للعزة والقوة فى نفوس المؤمنين لأن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين . ولا يتردد القائد الأعظم فى اتخاذ هذا القرار الرادع ، بل يصدره مدبرا له كل عوامل النجاح فى التنفيذ ضمانا لتحقيق الهدف ، وسعيا اليه من أقوم



السبل . لقد أدرك القائد المبعوث من عند الله أن سكوته على العدوان من شأنه أن يطمع فيه المعتدين وغيرهم من الخصوم ، وأن الدعوة الاسلامية - وهي ما تزال بعد في نشأتها الأولى - لن يقدر لها الذيوع الا اذا ظهر أنصارها أمام أعدائها بمظهر الأقوياء الذين لا يساومون ولا يلينون ، وأن تحمل المسلمين لمزيد من التضحيات خلال تلك المرحلة خير من الانتظار الذى يطوى مخاطر شديدة على الدعوة، ويحقق مكاسب للاعداء في المدى البعيد . فالمبادرة وأخذ المشركين على غرة - قبل أن ينظموا صفوفهم، ويعقدوا الأحلاف مع أعداء الاسلام - وارهابهم بما أعد لهم من قوة ومن رباط الخيل ، هي الخطة الحكيمة التي ينبغي اتخاذها ، ولقد حان الوقت المناسب لذلك بعد أن بدت منهم بوادر الغدر وسوء الطوية .

ولقد كان طبيعيا حيال هذه الظروف أن تتخذ هذه التعبئة الروحية شكل الاعداد للجهاد ، فجهز النبى جيشا قوامه ثلاثة آلاف جندى من المسلمين . ولم يكتف بالاضطلاع بمسئوليته في اختيار القائد ، بل وضع في اعتباره احتمالات المستقبل ، حتى لا تحدث مفاجآت لم تكن في الحسبان ، فيتعرض الجيش للاضطراب ، مما يؤثر على سلامة الخطة الموضوعة . فعين ثلاثة من المسلمين لامارة الجند يلى الواحد منهم الآخر بالترتيب كلما استشهد سابقه ، اتقاء للتنازع حول الامارة ، وما قد يجره من انقسام في صفوف الجبهة لا يؤمن معه النصر على الأعداء .

احتياط

لم يكتف القائد العظيم بتعيين أمير أو أميرين على الجيش في تلك الغزوة ، بل سار شوطا بعيدا في الأخذ بالحيطة درءا لعوامل الخطر وايثارا للسلامة . واذا لاحظنا أن غزوة مؤتة كانت من أوائل الغزوات الحقيقية في تاريخ الاسلام ، أدركنا مبلغ سلامة بصيرة النبى العربى وبعد نظره ، وما ينطوى عليه كل ذلك من ارساء تقاليد جديدة لفن الحرب وادارة المعارك تنفع المسلمين بعد وفاته عليه السلام . فالقائد من الجيش بمثابة الرأس من الجسد لا قيام له بدونها . فليكن هناك أكثر من بديل يتولى الأمر عند الحاجة ويسد الفراغ ، وهذا ما يطلق عليه في علم الادارة الحديثة خلق صنف ثان من القادة،حتى يصبح العمل لا الشخص هو أساس تحقيق الأهداف .

ولقد صدق تفكير رسول الله صلى الله عليه وسلم فتأكد بالدليل العملي العبرة من هذا التقليد ، واستقرت في نفوس المسلمين كقاعدة ينبغي الالتزام بها كلما جدت ظروف مماثلة . كذلك فقد ثبت بالتجربة حسن اختيار القائد العظيم لقادة جيشه ، اذ كان اقدامهم واقتحامهم صفوف الأعداء ، حتى استشهدوا الواحد تلو الآخر دليلا ما أروعه من دليل على شجاعتهم النادرة ، وفدائيتهم المنقطعة النظير ، وحسن الاختيار هو أحد عناصر الكفاية التي ينبغي توافرها في القائد المكلف بغزوة كغزوة مؤتة ، يبلغ فيها الأعداء أضعاف أضعاف جنوده عدا ، فلا سبيل الى مقاتلتهم الا بشحذ الروح المعنوية ، وتعبئة النفوس بمعاني الايثار والتضحية والفداء ، حتى يصبح الواحد منهم كفئا لقتال العشرات ، وكم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله .

ايمان في الذروة

يا للموقف البطولي الرائع الذى وقفه القادة الثلاثة في أشد الظروف حرجا ، وأقساها على احتمال البشرية ! ها هو ذا شرحبيل والى هرقل أمبراطور الروم على الشام يستعين بمن حوله من القبائل أعداء الاسلام ، وها هو ذا هرقل يستجيب له فيمده بجيوش من الاغريق ومن العرب . وتذهب بعض الروايات الى أبعد من ذلك فتقول : ان هرقل نفسه تقدم بجيوشه حتى نزل مآب من أرض البلقاء على رأس مائة ألف من الروم ، كما انضم اليه مائة ألف آخر من لخم وجذام وغيرهما . ويقال ان تيودور أخا هرقل هو الذى كان على رأس هذه الجيوش لا هرقل نفسه .

ويبلغ المسلمين وهم بمعان أمر هذه الحشود الزاخرة ، فيقيمون بها ليلتين يفكرون ماذا يصنعون أمام هذا الطوفان البشرى الذى لا قبل لهم به ، والله تعالى يقول « ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة »

وينفذ الى أسماعهم صوت من بينهم يقول : نكتب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنخبره بعددنا فاما أن يمدنا بالرجال ، واما أن يأمرنا بأمره فنمضى له . وكاد الرأى العام أن يسير فى هذا الاتجاه لولا أن تقدم عبد الله بن رواحة وكان الى جانب شهامته وفروسيته شاعرا ، فقال فى نبرات قاطعة « يا قوم ! والله ان التي تكرهون للتي خرجتم تطلبون : الشهادة . وما نقاتل الناس بعدد ولا قوة ولا كثرة ، وما نقاتلهم الا بهذا الدين الذى أكرمنا الله به ، فانطلقوا فانما هى احدى الحسنيين اما ظهور واما شهادة » وسرى صوته كالتيار فى نفوس المؤمنين . فقال الناس : فوالله صدق ابن رواحة . ومضوا حتى اذا كانوا بتخوم البلقاء لقيتهم جموع هرقل من الروم والعرب بقرية يقال لها مشارف ، فلما دنا العدو انحاز المسلمون الى قرية مؤتة لأنهم رأوها خيرا من مشارف لتحصنهم بها .

وفى مؤتة التقى الفريقان ، وكانت المعركة بين جيشين غير متكافئين فى العدة والعتاد .

ولكنه الايمان الصادق العميق قوة لا تعادلها قوة العدو والسلاح ، والروح المعنوية الشامخة تتهاوى أمامها الحواجز والعقبات ، وتقصر المسافات ، وتتضاءل المنافع الذاتية ، ويصبح الفداء قيمة كبرى فى ذاتها لا تعدلها الا قيمة الايمان .

لقد انطلق زيد بن حارثة الى ساحة الحرب على رأس جيشه ، وقد حمل راية الرسول لا يتهيب المخاطر ولا يرهب الموت ـ حين لم يكن من الموت بد ـ وظل يضرب ويضرب ، والرماح تنوشه من كل جانب حتى هوى صريعا ، وسلك مسلك الشهداء الأبرار فى عليين .

وما أسرع ما تلقى منه الراية جعفر بن أبى طالب مقتحما صفوف الأعداء ، وقد طوقوا الجيش الاسلامي بجموعهم الحاشدة ، ضاربا بالسيف فى أعناقهم حتى قطعت يمينه فتناول الراية بيسراه ، فقطعت ، فاحتواها بين عضديه حتى خر صريعا .

وأخذ القائد الثالث عبد الله بن رواحة مكانه على رأس الجيش ، وقد اشتد الكرب وعظم البلاء ، فجعل عبد الله يتردد بعض التردد ، ثم قال وقد عقد عزمه على التضحية :

أقسمتُ يا نفسُ لَتَنْزِلِنَّه
لَتنزِلِنَّ أو لَتُكْرِهِنَّه
ان أجلب الناس وشدوا الرَّنَّة
مالى أراكِ تكرهين الجنَّة

ثم شرع سيفه مقاتلا فى سبيل الله حتى قتل :

فى سبيل الجماعة

تلك هى أعظم مراتب البطولة التي تبلغها النفس الانسانية ، ايمانا بالهدف وتصميما على بلوغه ، ولو كان الثمن هو الحياة نفسها . ذلك أن البطل اذ يضحى بنفسه انما يعلم أن هذا هو السبيل لحياة الجماعة، التي لا وجود له بدونها ، ولانتصار المبدأ الحق الذى يحمل رايته ، والذى لا قوام للجماعة بدونه . ولما كانت الحياة عزيزة على النفس والحفاظ على البقاء غريزة مركوزة فى أعماق الانسان ، فقد جعل الله النفس البشرية طيعة فى تلبية الحوافز المادية والمعنوية لكى ترجح فى الميزان ـ عند الضرورة كفة غريزة البقاء . فلا عجب اذا أن تقوم الأديان جميعها على فكرة الخلود حفزا للفرد على ايثار الجماعة على نفسه .

ان تضحيته لن تذهب هباء ، فلسوف تستمر حياة الجماعة بفضل هذه التضحية ، ولسوف يجنى هو ثمار ما عمل اذ يكون مصيره الخلود فى الفردوس ، وأنعم به من جزاء يستحق التضحية أعظم التضحية . والى هذا المعنى ترمز نهاية الأرجوزة التي أنشدها عبد الله بن رواحة اذ يذكر نفسه بالجزاء العظيم الذى ينتظره اذا قتل فى المعركة ، حفزا لها على الاقدام واطراح التردد .

أروع البطولات

لقد ضرب هؤلاء القادة الشهداء الثلاثة المثل العليا فى الاستشهاد من أجل تحقيق الخير والحرية والسعادة للانسان . وان المرء ليقف وقفة الاجلال والتقديس حيال هذه البطولات الخارقة التي ترتفع بسمو الفرض وروعة الفداء فوق الطاقة البشرية ، لا يشوبها شائبة من ضعف أو تردد ولا تسبى لبها مسرات العيش أو أطايبه ، حتى هذه الهنات التي بدرت من القائد الشهيد عبد الله بن رواحة اذ تردد بعض التردد قبل اقتحام الموقعة لم تسلم من النقد . وقد كان النقد أسلوبا للعمل انتهجه الرسول وعلمه لخلفائه



وللمسلمين عامة ، فاتبعوه من بعده تداركا للأخطاء وقضاء على الانحرافات من جذورها .

فحين علم النبى باستشهاد القادة الثلاثة كان على زيد وجعفر أكبر أسى، وقال : « لقد رفعوا الى فى الجنة فيما يرى النائم على سرر من ذهب ، فرأيت فى سرير عبد الله بن رواحة ازورارا عن سريرى صاحبيه فسأل لم هذا ؟ فقيل له : مضيا وتردد عبد الله بعض التردد ثم مضى » .

والحكمة التي توخاها الرسول من اعلام صحابته بهذه الرؤيا ، هي الحث على الجهاد والاستشهاد فى سبيل الله ، والنهى عن الخوف والتردد فى أحرج المواقف وأشد الأزمات .

فالابقاء على الحياة فى هوان وذل اهدار لقيمتها وتحقير لصاحبها . والحياة زائلة ، ومن ثم فان الخوف من الموت هو شر من الموت ذاته . ولهذا استقرت هذه التعاليم الاسلامية فى نفوس المسلمين عبر الأجيال المتعاقبة ، وتمثلتها أفئدتهم فانعكست على سلوكهم ، وتغنى بها الشعراء كما أشاد بها الكتاب والحكماء ، ومن ذلك قول شاعر العربية العظيم أبو الطيب المتنبى :

وَلَوَ أن الحياة تبقى لحى
لعَددْنا أضلَّنا الشجعانا
غير أن الفتى يلاقى المنايا
كالحات ولا يلاقى الهوانا
واذا لم يكن من الموت بد
فمن العار أن تعيش جبانا

أمر خالد نفسه

لقد استشهد القادة الثلاثة الذين أسند اليهم الرسول امارة الجيش واحدا بعد الآخر ، والمعركة ما زالت دائرة حامية الوطيس ، ولا بد من قائد يرأس جيش المسلمين ، ويحكم تدبير الخطط ، ويضم الصفوف ويشحذ العزائم . انه خالد بن الوليد القائد الحربى الشجاع والمحرك للجيوش والذى يندر مثيله . ذلك أنه ما أن قتل ابن رواحة حتى أخذ الراية ثابت بن أرقم أحد بنى العجلان فقال :

يا معشر المسلمين ، اصطلحوا على رجل منكم . قالوا : أنت . قال : ما أنا بفاعل . فاصطلح الناس على خالد . فأخذ الراية على الرغم مما شاهد من تفرق صفوف المسلمين ، وتضعضع قوتهم المعنوية ، يحفزه ايمانه الصادق العميق بالدعوة ، ورغبته فى أن يظهره على الناس فخورا به معتزا بنبيه ، باذلا من نفسه ومما خلعه الله عليه من مواهب فى سبيل الذود عن حياض الاسلام .

وبادر خالد الى التصرف بما يكفل صالح المسلمين ، فداور بهم حتى جمع صفوفهم . وأخذ فى مناوشة العدو دون شن الهجوم الشامل حتى انقضى النهار ، وغمر الظلام ساحة القتال ، فوضعت الحرب أوزارها حتى الصباح . وهكذا أتاح خالد لنفسه فرصة للتروى ، ووضع خطة حكيمة ينهى بها المعركة دون الحاق خسائر بجيشه بعد أن تأكد من رجحان كفة الأعداء عدة وعتادا .

فوزع عددا كبيرا من جنوده فى خط طويل من مؤخرة جيشه : أحدثوا اذا أسفر الصباح من الجلبة ما أدخل فى روع العدو أن مددا قد جاء المسلمين من عند النبى ، وفترت عزيمة الروم عن مواصلة القتال لا سيما أنهم أصيبوا بفرم فادح فى اليوم الأول للمعركة ، اذ لقى كثير منهم مصرعه ، وقد كان عدد المسلمين لا يتجاوز ثلاثة آلاف ، فكيف اذا جاءهم المدد . وانسحب خالد وجنوده عائدين دون أن يتقدم الروم لمقاتلتهم أو يتعقبوهم بعد أن يئسوا من احراز أى نصر عليهم ، وسروا من عدم مهاجمة خالد لهم .

عود على بدء

ويسجل التاريخ موقفا آخر من مواقف الرسول الخالدة فى هذه الغزوة ، انه موقف الرحمة من الناس جميعا ، من أنصاره ومن المستضعفين من أعدائه على السواء . ولا غرو فهو نبى الرحمة والداعى الى دين العطف والتسامح . لقد خرج الرسول مودعا جنوده حتى بلغ مشارف المدينة ، وقد سار المسلمون فى ركبه داعين معه لجيشهم (صحبكم الله ورد عنكم وردكم الينا سالمين) .

وليس ثمة حافز لرفع الروح المعنوية أكبر ولا أعمق من هذه المسيرة . وفى الطريق أوصى النبي رجاله ألا يقتلوا النساء ولا الأطفال ولا المكفوفين ولا الصبيان ، وألا يهدموا المنازل ولا يقطعوا الأشجار .

يا لعظمة محمد فى مروءته وسماحته ورحمته . انه ليعلم أن الحرب هي الحرب فيما تصيب الناس جميعا من ويلات تشمل المحاربين ولا يسلم منها غير المحاربين .

ولكنه يعمل على التخفيف من هذه الويلات ، وقصرها على جباة هذه الحرب من أعداء الاسلام حتى لا يصطلى بنارها الضعاف منهم ، لأن رسالته هي الضرب على أيدى الظالمين وتحرير البشرية كلها منهم . أما الأبرياء من القوم فهم فى حماه آمنون وبرحمته مستظلون .

ذلك موقفه عليه الصلاة والسلام فى التفريق بين المحاربين والمدنيين من أعدائه فى المعاملة ، انه شديد على الكفار رحيم بنسائهم وأطفالهم والعاجزين منهم .

أما موقفه من المسلمين فهو موقف البطل من وطنه وأهله ودا ورحمة وايثارا . فما كاد خالد ومن معه يلوحون فى مشارف المدينة حتى استقبلهم المسلمون يتقدمهم الرسول . وطلب النبى فأتى بالقائد الشهيد عبد الله فأخذه وحمله بين يديه . بيد أن المسلمين لا يرضون عن عودة جنودهم منسحبين ، وكان أملهم أن يتلقوهم غازين فاتحين لبلاد المشركين فيحثون على الجيش التراب تعبيرا عن عدم رضاهم قائلين « يا فرار فررتم فى سبيل الله » وان للمسلمين لعذرا فى قولهم هذا ، فهم لا يرضون بغير النصر بديلا،ولا يرون الغزو الا جهادا فى سبيل اعلاء الحق ونشرالدعوة . ولكنهم لا يعلمون حقيقة الأمر ، فما انسحب جنودهم ضعفا ولا خورا ، ولكنها خطة حكيمة دبرها القائد المحنك خالد ، فأطاعوه اذعانا لمبادىء الاسلام التي تدعو الى طاعة الله ورسوله وأولى الأمر ، ولو رأى خالد أن يهجموا ويقتحموا صفوف الأعداء لبذلوا أرواحهم رخيصة فى هذا السبيل .

وهنا يتجلى موقف آخر من مواقف النبوة الخالدة اذ يقول رسول الله : صلى الله عليه وسلم (ليسوا بالفرار ولكنهم الكرار ان شاء الله) فيهدأ المسلمون وتطمئن قلوب الجند العائدين لهذا التقدير الكريم الذى أسبغه عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم،وهذه الرحمة التي شملتهم .

وليس أجل من هذا التصرف الحكيم ولا أبلغ دافعا لهم على الفداء فيما يؤمرون به من غزو فى المستقبل . ومع ذلك فان قوة الايمان فى نفوس المسلمين تجعلهم لا يغفرون للعائدين انسحابهم ، حتى كان سلمة بن هشام لا يحضر الصلاة مع المسلمين خشية أن يسمع من كل من رآه : يا فرار فررتم فى سبيل الله . ولكن الله يحقق ما وعد الرسول المسلمين ، وما بشرهم به من أنهم الكرار ، اذ يظهر بعد ذلك من حضر منهم مؤتة من البطولات ما تقر به أعين المؤمنين ، كما يسجل القائد الخالد أعظم الصفحات فى تاريخ الحروب الاسلامية العادلة ، فتزول سبة الفرار التي ألصقت بالجيش . ويتحقق وعد الرسول بأنهم الكرار لا الفرار .

الرسول يواسى

وخاتمة هذه المواقف الاسلامية الخالدة ما أصاب نفس الرسول من ألم - منذ علم بمقتل زيد وجعفر - وحزن على هذين الصحابيين الجليلين . فقد ذهب عليه الصلاة والسلام الى منزل الشهيد جعفر بن أبى طالب ودخل على زوجه أسماء بنت عميس ، وكانت قد عجنت عجينها وغسلت بنيها ودهنتهم ونظفتهم ، فقال لها :

ائتيني ببنى جعفر . فلما أتته بهم تشممهم وذرفت عيناه الدمع . قالت أسماء فى لهف وقد أدركت ما أصابها ، يا رسول الله ، بأبى أنت وأمى ما يبكيك ؟ أبلغك عن جعفر وأصحابه شيء ؟ قال : نعم اصيبوا هذا اليوم ! وازدادت عيناه بالدمع تهتانا . فقامت أسماء تصيح حتى اجتمع النساء اليها . أما الرسول عليه الصلاة والسلام فخرج الى أهله فقال : لا تغفلوا آل جعفر من أن تصنعوا لهم طعاما فانهم قد شغلوا بأمر صاحبهم . ورأى ابنة مولاه زيد قادمة فربت على كتفيها وبكى . وأظهر بعضهم دهشة لبكاء الرسول على من استشهد فقال ما معناه : انما هي عبرات الصديق يفقد صديقه .

ان بكاء النبى المستشهدين من رجاله فى غزوة مؤتة لهو أعلى مراتب السمو التى تبلغها النفس البشرية فى معترك الخطوب والأحداث . انه موقف الرحمة والحنان والحب . حب الصديق لصديقه وحزنه لغيابه . ان عظمة القائد المرسل تبدو فى مجاهدته أعداء الله ، وفى مواساته لجنود الله . ان صلابته فى قتال العدو لا تؤثر فى لينه ورحمته برجاله . ولقد أصل الرسول هذه القيم الروحية فى نفوس المسلمين فاعتنقوها .

تلك هي بعض المواقف الخالدة التي نستخلصها من غزوة مؤتة ، وما أجدرها بالاتباع حتى نعيد للاسلام منعته وقوته .

أزمة الأخلاق

بين أهل الأديان

للاستاذ محمد حسين فضل الله

*** لكل تشريع أو تنظيم أســاس ينطلق منه وهدف يرمي اليه فما أساس التشريع والتنظيم الاسلامي ؟**

*** بعض الناس نراهم يصلون ويصــومون ولكنهــم لا يتورعون عن المحرمات . فما سر ذلك ؟ .**

فى هذا البحث تحليل واف لمظاهر الأزمة وأسبابها وجواب عن هذه الاسئلة وغيرها .

١ ـ اذا قدر لنا أن نعبر عن الأزمة التي يعانيها واقع السلوك فى حياة الانسان المسلم ، تعبيرا دقيقا لم نجد أفضل من التعبير عنها بأنها (أزمة أخلاق) لأنها تلتقي بالواقع الذى يتمثل لدى الانسان المحافظ ، فى أسلوبه الخاص الذى يتبعه فى التزاماته الدينية ، كما تلتقي بالمظهر المنحل لدى الانسان المتحلل من قيود الدين والتزاماته .

وربما نجد ـ فى مضمون التعبير ـ التفسير المعقول للوضع النفسي المتجمد ، الذى تعيشه المجتمعات الاسلامية فى داخل ذاتها ، المتمثل فى طبيعة العلاقات الذاتية ، والاجتماعية فيما بينهم ، التي تمثل ـ بدلا من ذلك ـ انفصالا وانفصاما ما يلفت النظر .

وقد لا نعدم الكثيرين من خصوم الاسلام ، الذين يحاولون أن يجعلوا من هذا الواقع المتفكك للمجتمع المسلم .. شاهدا على عدم امكان اعتبار

الحس الديني ، أو العقيدة الدينية ، مبدأ وحدة ، ومنطلق لقاء ، في أي مجتمع من المجتمعات .

وربما نجد ـ في الصورة التي نأخذها من فهم هذه الأزمة ، والتعرف على أبعادها ـ بعض الحديث الذي نستطيع أن نقدمه لأولئك الذين يحاولون ان يلصقوا بالاسلام تهمة الدين الذي لا يقدم للانسان ـ فيما يقدم من عطاء ـ التربية الروحية التي تخلق عنده مناعة الروح فيما تشعر به ، وفيما تتفاعل به تجاه الاخرين . لأن الاسلام ـ في نظر هؤلاء ـ لا يمثل الا قانونا مجردا يهتم بتنظيم علاقات الانسان من الخارج ، دون أن يهتم أو يلتفت الى الداخل .



٢ ـ وهكذا نجد في أزمة الانسان المسلم الاخلاقية ، مجالا كبيرا للحديث عن طبيعة الاسلام من حيث الصفة القانونية ، التي تتمثل في واقعه التشريعي الضخم ، ومن حيث القيم والمفاهيم الاخلاقية والروحية ، التي تتمثل في الخط العام الذي ترتكز عليه النظرة الاسلامية العامة للكون والحياة .

واذا استطعنا أن نصل بالحديث الى غاية معقولة ، فربما نجد ـ في نهاية المطاف ـ البون الشاسع بين واقع الاسلام ـ تشريعا وقانونا وبين واقع المسلمين أخلاقا وحياة .

٣ ـ الاسلام قانون وشريعة :

ان أدنى نظرة الى الدين الاسلامي تعرفنا حقيقة واقعه التشريعي ، الذي يحاول أن يجمع حياة الناس وينظمها في اطار قانوني متين ، تنتظم به أمورهم ، وتطمئن اليه خطواتهم ، فلا تنحرف ولا تزل ولا تزيغ .

ومن هنا نجد انه لم يغفل أي جانب من جوانب الحياة ، التي تحتاج الى تشريع أو تخطيط الا ووضع لها شريعة ، وسن لها قانونا ، فكانت العبادات التي تصل العبد بربه ، وتبلور صلته بالحياة وبالناس .. وكانت المعاملات التي تنظم علاقاته المالية والاجتماعية والسياسية .. وغير ذلك مما يمس حياة الناس ويجمع أمورهم .. كل ذلك في اطار قانوني يرسم الشريعة ، ثم يخط لها قواعدها العامة التي تستوعب تطور الحياة وتقدمها ، لتكفل لها نهجها الاسلامي في مدى الحياة الطويل .

وقد نلمح ـ هذه الصورة التي نتمثلها للدين من حيث هو شريعة وقانون ـ في اعتماده الوسائل التي يعتمدها القانون في صيانة كرامته ، والحفاظ على تنفيذه ، فكانت القوانين الجزائية والجنائية ، سبيل الدين للحد من جموح المنحرفين ، والمجرمين الذين لا يسكنون الى عقيدة تردعهم ، أو أخلاق تصدهم .. انطلاقا من الطبيعة الانسانية التي تتطامن وتتراجع أمام الترغيب والترهيب .

وعلى ضوء هذه الصورة التي قدمناها نستطيع أن نجد الجواب المعقول لأولئك الذين يجردون الدين من مهمة قيادة الحياة في سيرها نحو أهدافها النظامية والتشريعية .. لأن هذه الصفة لا يمكن أن تنطبق على الواقع الديني للاسلام ، فان شريعته لم تنفصل عن جانب العقيدة فيه ، كما أنها لم تكن متأخرة عن بداية انطلاقه في الحياة ، بل كانت تسير معه جنبا الى جنب .. فكانت العقيدة منطلق التشريع وقاعدته ، تمده بالحياة وتشده بالقوة .. وكان التشريع امتدادا للعقيدة ، يحمي حدودها ويوسع مداها .

ولذا كان الاسلام في نظر قادة التشريع عقيدة وعملا ، ايمانا بالجوانح وعملا بالجوارح ، وكانت الاستقامة على الطريق السوي للاسلام التشريعي مظهر الصدق للايمان ولصحة العقيدة عند الانسان المسلم ، والسمة الحية للشخصية الاسلامية المتزنة .

٤ ـ ما هي قاعدة التشريع في الاسلام :

واذا كان الدين الاسلامي يمثل في حياتنا دور الشريعة ، والقانون الذي تريده السماء للارض أن تسير عليه ، وتعتمده أساسا لتنظيم شؤونها ، وتركيز حياتها ، فقد نجد من الخير والاخلاص لحديثنا ان نبحث عن القاعدة التي ترتكز عليها هذه الشريعة ، ويعتمد عليها القانون .

هل هناك هدف أعلى يستهدفه الدين في شريعته ؟ .

واذا قدر لنا أن نضع أيدينا على هذا الهدف ، ونتعرف حقيقته ، فقد يبرز أمامنا سؤال آخر عن



المقياس الذى نقيس به اطاعة الانسان المسلم لله ، وانسجاما مع دينه وعقيدته الاسلامية .

فهل نستطيع أن نجعل مجرد التطبيق الحرفي للشريعة مقياسا لتلك الطاعة ، وذلك الانسجام ، دون أن نبحث عما وراءه ؟ .

أو أن القضية لا تقتصر على مجرد التطبيق ، بل تتعداه ؟ .

فلكي يحقق الانسان المسلم الانسجام الكامل بين التزاماته الدينية وعقيدته وبين عمله ، لا بد له من أن يعيش الأهداف ، والمثل العليا التي انطلقت منها الشريعة وارتكز عليها القانون .

٥ ـ الاخلاق هي القاعدة :

للجواب عن السؤال الأول يجدر بنا أن نتساءل ـ قبل كل شيء ـ عن طبيعة الهدف الذى تستهدفه المبادىء والتشريعات ـ دينية كانت أو غير دينية من وراء دعوتها الملحة الى اتباعها وتنفيذها .

لا شك أن الهدف الأكبر هو تحقيق القيم والمفاهيم التي تحملها فى داخلها ، وتجسيدها واقعا حيا فى حياة الآخرين .

فالأديان تحاول فى دعوتها السماوية ـ أن توصل الخلق الى مرضاة الله وطاعته ، وتأخذ بأيدهم الى طريق الهداية والخير والحق ، فيما ترسم من تشريع ، وفيما تخطط من مناهج وتعاليم .

ولذا فهي تحاول أن توفق بين متطلبات الروح ، وبين متطلبات الجسد ، وتوازن بين مسؤولية الفرد وبين مسؤولية الجماعة ، فلا يطغى مطلب على مطلب ، ولا يميل جانب على آخر ... لأن ذلك هو سبيل تحقيق الخير الروحي والمادى للانسان ـ فى نظر الدين .

أما المبادىء الاخرى التي ترتكز على المادة وتنكر الروح ، فهي تحاول الانطلاق من الواقع المادى للحياة والانسان ، لتعالج مشاكله على أساس الارتفاع بهذا الواقع للوصول به الى المستوى الذى تؤمله للحياة الانسانية تاركة كل جانب من الجوانب الروحية لانها ـ فى نظرها ـ مجرد وهم أو خيال .

واذا كانت القضية ترتكز على ذلك .. فمن الطبيعي أن تكون التشريعات المنطلقة من هذين الخطين صورة حية للقاعدة الفكرية التي ينطلق منها التشريع ..

وعلى هدى هذه الحقيقة نستطيع أن نقول ، اننا لا نعقل للتطبيق الحرفي للتشريع المجرد من الروح أى معنى ، فيما يتعلق بانسجام الانسان مع عقيدته ودينه ... فقد لا يكفي فى كون الانسان مسلما أن يطبق الاسلام تطبيقا مجردا ما لم تكن روحه عامرة بالقيم والمفاهيم الاسلامية .

ان الاسلام ، أو الدين بشكل عام ، يمثل مجموعة القيم والمفاهيم التي ارتكزت عليها شريعته ، فلا يمكن للانسان الذى أقفرت روحه من تلك القيم ، أن يكون مسلما متدينا ، وان التزم بشريعة الاسلام حرفيا .

تلك هي صورة القضية ـ على الاجمال ـ

أما دور الاسلام وموقفه من كل ذلك ، فنستطيع التعرف عليه من خلال الاحاديث التي عرضت للأساس الذى انطلقت منه الدعوة الاسلامية ـ كما فى الحديث النبوى الشريف المشهور « بعثت لأتمم مكارم الأخلاق » .

قد نفهم من هذا الحديث الشريف أن القضية التى يحاول الاسلام أن يثيرها فى الحياة كقاعدة لبناء المجتمع الافضل هي قضية « مكارم الاخلاق » ... فهي القضية التي يمكن لها أن تبنى ضمير الفرد من اجل ان يكون حيا طاهرا ، يتفاعل بمشاعر الآخرين ويعيش آلامهم .. وهي القضية التي تستطيع أن تجعل من عقلية الجماعة ، عقلية توجه وتعمل دون طغيان أو أثرة .. وهي فى الوقت ذاته ، قضية الحياة الكبرى التي تجعل من عمر الانسان فى الدنيا رحلة سعيدة مثمرة فى دروب الله .

وإذا كانت الاخلاق هي قاعدة الاسلام فى بناء المجتمع الاسلامي الأفضل ، كما يوحي به الحديث الشريف ، فمن الطبيعي ان ترتكز تشريعاته على هذه القاعدة وتنطلق من هذا الاساس .. الامر الذى يجعل من القوانين الاسلامية صورة حيــة للنموذج الأكمل للأخلاق الاسلامية ، ومرآة صادقة للحياة التي يريد الاسلام ايجادها للمجتمع ..

ولذا فان باستطاعتنا ان نقرر قيمة أى تشريع ينسب للاسلام بقدر قربه للاخــلاق الاســلامية وبعده عنها ، اذ لا يمكن للتشريع أن ينفصل عن قاعدته أو يبتعد عنها .

وكما يصلح ذلك مقياسا لنفس التشريـــع ، فبامكاننا أن نجعل منه مقياسا نقيس به مدى اسلامية الفرد ، وتمثله للشخصية الاسلامية التي يراد للمسلم أن يتصل بها .. فقد لا يكفي فى المسلم أن يطبق التشريع بحرفيته ، ما لم يكن داخله تجسيدا حيا لقيم التشريع ومفاهيمه .

وكما هي الحال فى الفرد ، كذلك فى المجتمع .. فالمجتمع الاســـلامي هــو المجتمع الذى تبرز فى أجوائه وخطواته وحركاته تعاليم الاسلام وقيمه ، قبل أن تبرز فيه طقوسه وعاداته وتقاليده .

ذلك هو بعض ما نستوحيه من هذا الحديث الشريف فى طبيعة الصلة القائمة بين الاخــلاق والشريعـــة .. فهي صلة القاعدة والبناء ، أو السبب والمسبب ، والعلة والمعلول .. الى غير ذلك من التعابير التي تربط الشيء بمصـــدره ، وترجع الأشياء الى أصلها .

٧ ـ ليست الأخلاق مجرد جانب للتشريع:

ومتى كان العنصر الأخلاقي ، يمثل دور الأصالة فى سير التشريع الاسلامي ، فلا بد لــه أن يكون شاملا يستوعب كل جوانب الحيــاة الفرديـــة ، والاجتماعية التي يتسع لها التشريع ، ففي مجال التشريع الاقتصادى لا بد أن تكون هناك (أخلاق اقتصادية) والى جانب ذلك لا بد أن تكون لنا فى مجال التشريع السياسي (أخلاق سياسية) لا تختلف فى قليل أو كثير عن الخــط الأخــلاقي العام الذى يرتكز عليه الاسلام .

وبكلمة واحدة ، ان العنصر الأخلاقي لا يمثــل جانبا من جوانب الدين ، أو التشريع الديني فى الاسلام ، وانما يمثل المنطلق الذى ينطلق منــه التشريــع والقاعدة التي يرتكــز عليهـــا ويمتد بامتدادها .

ومن هنا كان من الخطأ البين أن نعتبر جوانب التشريع الاسلامي ذات أقسام عدة ، نحســـب الجانب الأخلاقي واحدا منها ، فى مقابل بقيــة الجوانب الاخــرى من ســياسية واقتصاديــة واجتماعية .

٨ ـ هذه هي صورة الأزمة الأخلاقية :

وما دام الاسلام قانونا وشريعة تستمد حيويتها من (مكــارم الأخــلاق) وليس قانونا مجــردا لا يرتكز على شيء .. الأمر الذى يجعل من الأخلاق عنصرا حيويا للشخصية الاسلامية ـ كما قدمنا ـ فقد نستطيع على ضوء ذلك ـ أن نفهم صورة الأزمة التي نعانيها فى مجتمعنا المســلم ، وكيف تتمثل فيه « كأزمة أخلاقية » .

فلو قدر لنا أن نتطلع الى هذا المجتمع تطلعا واعيا ، وندرسه دراسة شاملة تتمثل أفراده فى مدى التزامهم بالاسلام كقانون ، وابتعادهم عنه .. لرأينا أفراده ينقسمون الى قسمين :

الأول : القسم المتدين المحافظ .. ويتمثـــل بالفئة التي تحاول ـ جهد طاقتها ـ أن تطبق شريعة الاسلام وقانونه على حياتها الخاصة .. فتراها تمارس العبادات ممارسة دقيقة ، فتحافظ على صومها وصلاتها وحجها وصدقاتها وغير ذلك كما أنها تحاول ـ جاهدة ـ اجتناب المحرمات التي نهى الله عنها كشرب الخمر والزنا وقتل النفس المحرمة والكذب وغيرها .

وقد يدفعها هذا التقيد والالتزام الــى ان تحتاط لعملها فتترك مالا يجب تركه فى مقــام الشبهة ، وتفعل مالا يجب فعله عند التردد .

الثاني : القسم المتحلل المنفلت من قيود الدين وتعاليمه .. ويتمثل فى الفئة التي تنظر الى الدين نظرة اللامبالاة .. فهو لا يمثل عندها شيــئا ذاتيا يقيدها ويوجــه خطواتها .. وانما يمثل عندها شعورا عاطفيا يرتبط بالعقيدة التي نشأت فى جو عاطفي صرف ، ولــم يقدر لها التربيــة الصالحة التي تركزها على أساس متين .



وهذه الفئة ـ بحكم هذه اللامبالاة ـ لا تلتزم بالواجبات ، وانما تمارسها ـ فى حالة ممارستها ـ على أساس مناسبة معينة أو ظرف خاص ـ كما أنها قد تترك المحرمات بفعل رادع خارجي أو جهة عاطفية .

هذان هما القسمان اللذان يمثلان القسم الاكبر من أفراد مجتمعنا المسلم ، ويعيشان ـ فى الوقت ذاته (أزمة الاخلاق) في داخله .

وقد يبدو غريبا أن نعتبر الفئة الأولى مصدر (أزمة أخلاقية) فقد يدخل فى الظن منافاة ذلك لما قدمناه من ارتكاز التشريع على أساس الأخلاق .. الأمر الذى يجعل من تطبيق التشريع فى حياة الانسان تجسيدا للقيم الاخلاقية الاسلامية .. نظرا الى أن القوانين الشرعية تعتبر ـ من وجهة النظر هذه ـ وسيلة من وسائل التربية الاخلاقية فى المجتمع .

٩ ـ المحافظون نموذجان

ولكن علينا أن نفرق بين نموذجين من الناس ممن يتقيد بأحكام الدين وشرائعه .

١ ـ فهناك فئة من الناس تفهم التشريع مجرد اطاعة حرفية للأوامر والنواهي فالمهم عندها ـ فى حد تعبير البعض ـ هو الخروج من العهدة ـ وبراءة الذمة لئلا يعاقب ـ فيما لو قدر له أن يترك .. فالقضية عنده تنتهي بانتهاء العمل دون أن يكون للأثر الداخلي أو الخارجي قيمة فى حسابه .

فالمهم فى اطاعة قوله تعالى (أقيموا الصلاة وآتوا الزكاة) أن يؤدى الانسان صلاته بتمام اجزاءها وشرائطها .. أما أهداف الصلاة .. أما غاياتها .. فهو أمر خارج عن التكليف فلا يجب القيام به ! ! .

والمهم فى الزكاة .. أن يخرجها كاملة غير منقوصة ، ويسلمها الى أصحابها ، دون تأخير .. لأن فى ذلك ضمانة له من العقاب .. وليس من المهم بعد ذلك أن لا تؤدى الزكاة أى هدف له داخل ذاته ، أو داخل مجتمعه ، بل ليس من المهم أن يحاول اتباع بعض الحيل التي قد تسيغها الشريعة من وجهة قانونية حرفية للتهرب من دفع الزكاة بالهروب من موجباتها .

وهكذا يتمثل هذا الواقع فى المحرمات .. فقد تجد شخصا يبتعد عن الربا فى معاملته ، ولكنه يمثل فى أخلاقه ونفسيته أخلاق المرابي ونفسيته .. فى وحشية القسوة .. وأثرة الذات .. ولذا فهو يعمل على استغلال الآخرين ، والتلاعب بآلامهم ومشاعرهم دون عاطفة أو اشفاق .. وقد يلجأ ـ فى الوقت ذاته ـ الى كثير من اساليب اللف والدوران للحصول على نتيجة الربا بطرق وحيل قانونية منظمة .

كما قد تجد انسانا لا يمارس الزنا .. ولكنه يحمل فى داخله روحية الزاني وأخلاقه .. فهو لا يتركه لعفة ذاتية ، وانما يجتنبه لرادع قانوني ، ولذا فهو يتحين الطرق القانونية لارواء جشعه الفريزي ، ووحشيته الجنسية .

ان هذه الفئة قد تكون اسلامية من الوجهة القانونية المجردة للاسلام ، اذا أردنا أن نجرده من الوجهة الأخلاقية التي يرتكز عليها .. ولكنها ـ فى الجانب الآخر ـ ليست اسلامية من وجهة القيم والأخلاق .. لأن مثل هذه الاعمال التي تمارسها قد تسقط عنها العقاب،لأنه تابع للمخالفة القانونية المفقودة هنا .. ولكنها لا تقربها من الله .. لأن القربى اليه تعالى لا تكون الا بالروح الصافية المطمئنة الرضية ، التي تعيش العفة والطهارة فى داخلها .. وتتمثل الخير والايمان فى روحها دون تكلف أو تصنع ، وتصدر منها أعمالها بسماحة محببة .

وقد نستطيع أن نفهم ذلك من بعض الأحاديث الشريفة ، التي تحاول الاشارة الى بعض القيم الاخلاقية الكامنة فى التشريع ، كما فى الحديث المأثور « من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم يزدد من الله الا بعدا » .

فقد نفهم من هذا الحديث ، ان مثل هذه الصلاة المجردة عن أهدافها من أسباب البعد عن الله لأنها لا تمثل فى ذاتها العبادة الداخلية

للانسان ، وانما تمثل صورة خالية من أى روح وأى معنى .

وقد نفهم من ذلك أنه لكي يكون الانسان مسلما لا بد له من أن تفيض عباداته فى داخله ، ويتمثلها فى نفسه تمثلا وجدانيا ، ينسـاب فى مشـاعره انسياب الروح فى الجسد ، والدم فى العروق .

٢ ـ وهناك فئة من الناس قدر لها أن تعيش جوا تربويا اسلاميا خالصا ، يعرفها روحية الاسلام من خلال قانونه ، ويبصرها بأهدافه من خلالدراسة وسائله ، ويدلها على غاياته قبل أن يخطو بهـا فى دروبـه .

ان هذه الفئة قد عاشت الاسلام فى روحيـة القانون .. فى الوقت الذى لم تبعد فيه خطوطه القانونية شعرة واحدة .

انها هي التمثيل الوحيد الحي للشـخصية الاسلامية التي يريد لها الاسـلام ان تحيـا فى مجتمعه . وهي الجماعة الاسلامية التي يريد لها الاسلام أن تقود خطى الحياة فى حركته نحـو المجتمع الافضل .

هذان هما النموذجان اللذان يتمثل بهما القسم المتدين المحافظ .. وقد يكون كل منهما مخلصـا فى عمله لأنه لم يقدر له أن يعرف القضية الا من ذلك الجانب .

ولكن ذلك لا يمنعنا ، ان نقرر أن الفئة الأولى قد شاركت مشاركة فعالة فى الأزمة الأخلاقية ، لأنها أخذت الاسلام جسدا بلا روح ، فاساءت اليه من حيث تريد أو لا تريد .

ومن المؤسف أن نفتقد الفئة الثانية فى مجتمعنا المسلم ، حتى لا نجد منها فردا بين آلاف .. وهذا ما يفسر لنا افتقاد الصورة الحية للانسان المسلم ، الذى يعيش الاسلام روحا وحيـاة فى مجتمعنا المعاصر .

وهذا ما يفسر لنا المشكلة التي نعيشها مـع جيلنا المعاصر ، عندما يهرب من الديـن محتجا بالصور الدينية المألوفة للأشخاص المحافظيـن ، الذين لا يعيشون روحية الاسلام وقيمه، وان كانوا يتمثلونه طاعة قانونية مجردة .. فهم يفتقدون ـ فى نفوسهم ـ معاني الحب والرحمـة والحنان والتسامح .. وان كانوا يطبقون القوانين التي ارتكزت على هذه المعاني ، وهم يفتقدون المرونة النفسية والاجتماعية ، التي يستطيعون معهـا أن يتفاعلوا مع مجتمعهم ويؤثروا فيه .. ومـن هنا كان المجتمع فى واد وهم فى واد ..

وأخيرا .. أحسب انه لم يبق عندنا شك فيما قلناه فى بداية الحديث من ان الواقع الاسلامي يعاني فى هذا الوقت (أزمة أخلاق) دون فرق بين الفئة المحافظة ، وبين الفئة المتحللة من قيود الدين والتزاماته .

اقدم هذا الحديث جوابا الى بعض القـراء الكرام ـ الذى أغفل اسمه ـ حين كتب لي يقول عن هؤلاء المحافظين .

« قد نراهم يقومون بتأدية الصوم والصـلاة والزكاة والخمس والحج من جهة ، لكنهم يقومون بما هو محرم من جهة ثانية اذ يتقاضون الربا .. فكيف نوفق بين هذا وذاك .. ؟ » .

يا قارئي الكريم .

أرجو أن أكون قد استطعت ان انجح فى رسم الصورة الحية لهؤلاء ، ممن يرتكبون المحرمات ، أو ما يشبه المحرمات من زاوية أخلاقية ..

أما الحل لهذه المشكلة .. فقد تتفق معي فى أن مجالها ليس هذا الحديث الخاطف .. لأن القضية ليست مرتبطة بالصورة ، وانما هي مرتبطة بالجذور والأعماق .. حيث الاسس التي يقوم عليها الحكم .. وحيث التيارات الضالة والكافرة التي تطغى علينا من كل جانب ومكان .

انها قضية جذور المجتمع الحاضر وأعماقه .. فلا بد لنا أن نبدأ الحل فى دروب الواقع .. فى مجال الحياة .. حيث الجهاد والكفاح من أجـل اعلاء كلمة الله فى الأرض كلمة الحق .. وازهاق كلمة الشيطان .. كلمة الباطل ..

حق الجوار

كان عدى بن حاتم الطائي يفتت الخبـز للنمـل ويقول : « انهن جارات ولهن علينا حق الجوار » .

مدينة دمشق ويظهر فيها المسجد الاموى بمناراته الشامخة .

الجامع الاموي

محمد مؤذن

مقدمة

جاءت عمارة المساجد فى العصر الاسلامى الاول بسيطة فى مظهرها ، فشيدت من الطين وجذوع النخل ، وخلت من أساليب الزخرفة حتى تتفق مع بساطة الاسلام ، وتقشف المؤمنين ،لكن التطور والابتكار وطبيعة الحياة ، وتدفق الأموال على الامبراطورية العربية الفتية ، وتأثر العرب بأمم الارض ذات الحضارة التليدة ، سارت بالعمارة والبناء نحو التطور والكمال ، وكانت المساجد والقصور أوفرها حظا لقدسية المساجد ومكانتها فى نفوس المسلمين ، حتى ضارعت أعظم معابد الدنيا فخامة وجلالا ، كما أصبحت قصور الخلفاء ورجال الدولة من روائع العمائر في الدنيا حتى تليق بمكانة الدولة ذاتالسلطان والسيادة التى أخضعت أكبر دول العالم .



أحد أروقة الجامع وتظهر فيه تيجان الاعمدة ذات الزخارف النباتية.

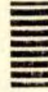
الكبير

الاستاذ
محمد الحسيني عبد العزيز

موقعه وبناؤه

يرجح أن المسجد أقيم فى مكان المعبد الوثنى القديم الذى لم يبق من آثاره سوى حجر منحوت يعود الى القرن التاسع قبل الميلاد ، منقوش على أحد وجهيه صورة أبى الهول ، ولما فتحت دمشق أبوابها للعرب ، ودخل أبو عبيدة عامر بن الجراح القائد العربى المدينة ، وضع تخطيط المسجد على مثال المساجد الاولى . صحن فى الوسط تحف به من جهات ثلاثة أروقة تحملها أعمدة ، أما الحرم فيوجد فى الجهة الجنوبية .

وأصبح الجامع منذ بنائه منتدى للمسلمين يتلقون فيه أصول دينهم ويؤدون الصلاة فيه ، ويستمعون الى أوامر الخلفاء وقراراتهم ، ويدعى منه للجهاد فى سبيل اعلاء كلمة الله ، وصار مشعلا للهداية والنور ،ومبعثا للعرفان والعلم ، وحظى المسجد برعاية الخلفاء والحكام على مر الايام تعظيما لشأنه ،



وتقديرا لمكانته فى النفوس ، فهو أول مكان عبد فيه الله سبحانه فى تلك الديار .

عمارته

تولى الخليفة الأموى الوليد بن عبد الملك الحكم ، وكان مغرما بالعمارة والهندسة ، فوجد أن مساحة المسجد أصبحت لا تكفى المصلين بعد أن دخل الناس فى دين الله أفواجا ، وكانت تجاوره كنيسة للنصارى فجمع زعماءهم ، وعرض عليهم بيعها على أن يعوضهم عنها ، ويسمح لهم ببناء كنيسة بدلا منها ، ولما قبلوا شرع فى البناء ، وارتفع الصرح شامخا شاهقا ينطق بعظمة الدولة ، واستقدم للعمل أمهر الصناع والفنانين من سائر الأمصار .

ويؤرخ للمسجد نص يقول « أمر ببناء هذا المسجد وهدم الكنيسة التى كانت فيه عبد الله أمير المؤمنين فى ذى القعدة من سنة ست وثمانين هجرية » .

وأنفق الوليد على بنائه خراج دولته عدة سنين ، وأصبح درة العمارة، وعرف بجامع المحاسن كامل الغرائب . وأطنب المؤرخون فى وصفه . ومن ذلك قولهم « لم تترك بلد الا ورسم بهذا المسجد من مناظره وأشجاره وقنواته . » وهذه الرسوم والصورة الحية من قطع الفسيفساء المذهبة النادرة . كما وصفه أحد المؤرخين الغربيين بقوله « لم يكن بناء الجامع الأموى مفخرة للحاضرة العربية فحسب بل كان أعظم ابتكار فى فن البناء العالمى فى كل العصور ، وفى كل البلاد لسعة أجزائه وعظمة تنظيماته ، وروعة زخارفه ، وغنى موارده » .

تخطيط المسجد

والمسجد مستطيل التخطيط فطوله ١٥٧ مترا وعرضه ١٠٠ متر ، ويشغل ايوان القبلة القسم الاعظم من الجهة الجنوبية . وطوله ١٣٦ مترا وعرضه ٣٧ مترا ، وقد اتخذت الناحيتان الغربية والشرقية للوضوء والصلاة المنفردة ، وهناك الصحن الرحب الذى تحف الأروقة به من الشرق والشمال والغرب .

العقود والأعمدة

ويقطع ايوان القبلة مجاز (طريق) يصل بين الباب الرئيسى بالحائط الشمالى الى المحراب ، وايوان القبلة أكبر وأوسع وأعلى من الأروقة الجانبية التى توازيه ، اذ يصل ارتفاعه نحو ثلاثة وعشرين مترا ،وقد غطى بسقف على هيئة سنام الجمل ، كما فتحت فى قمة كل عقد من عقود المجاز نافذتان لتدخل الضوء لرواق القبلة .

ويتكون كل من الايوان الشمالى والشرقى والغربي من رواق واحد ، وقد رفعت هذه الأروقة على كتل (دعائم) وأعمدة متبادلة دعامة وعمودان على التوالى ، وتيجان أعمدة الرواق الغربى والشرقى كورنثية الاصل ، (١) تزينها أوراق الأكانثث ، وترتكز الاعمدة على قواعد مربعة ، وتحمل عقودا يتجاوز شكلها نصف الدائرة ، ويعلو كل صف صفا آخر من الأعمدة الصغيرة التى تحمل بدورها عقودا صغيرة يرتكز عليها السقف .

الأبواب .

يقع باب البريد فى الجهة الغربية ، وهو مصفح بالنحاس المنقوش حين جدد فى العهد المملوكى أيام السلطان المؤيد شيخ عام ١٤١٩م ، أما الباب الشمالى أو باب الكلاسة فيقع فى الحائط الشمالى وتعلوه كتابة كوفية مزهرة تعود الى أيام السلاجقة ، وهناك باب الفراديس ، ويعرف ايضا بباب العمارة ، وقد صنع

---

(١) نسبة الى الطراز الكورنثى ببلاد اليونان .

من النحاس الذى جدد فى العهد المملوكى، ويتألف الباب الشرقى المعروف بباب جيرون من ثلاثة مداخل قديمة ، وكانت جدران هذا المدخل مكسوة بالرخام والفسيفساء كما هو الحال فى باب البريد الذى كان مكسوا بالرخام والفسيفساء الزجاجية التى اشتهرت بها عمارة المسجد الأموى ، وقد استبدلت قطع الفسيفساء اثر حريق المسجد أيام المماليك بصفائح من القيشانى الذى تميز به العهد العثمانى .

القباب

وأهم القباب ما تعرف بقبة الخزنة التى كانت ذات شكل مثمن ، وترتفع على أعمدة ثمانية لها تيجان كورنثية ، وقد صنعت رقبة القبة من الأحجار والآجر على التوالى كما زخرفت بالفسيفساء وما زالت تشاهد حتى الان ، وتبرز عظمة الفن العربى ومهارة الصناع وعبقريتهم ، وقد شيدت فى عام ١٧٢ هـ .

المآذن

أهمها منارة العروس «(١)» التى تقع فى منتصف الحائط الشمالى وتجاور باب العمارة الرئيسى ، وقد أعيد بناء الجزء الاعلى منها ايام صلاح الدين الأيوبى عام ٥٧٠هـ لكن الجزء الاسفل الذى شيد أيام الوليد لا زال باقيا ، ومقطع المنارة مربع ، ولها شرفة مسقوفة للمؤذنين ، وتعلوه شرفتان أخريان الواحدة فوق الاخرى ، والسفلى مربعة الشكل بينما العليا مثمنة ، وهذه تنتهى بشكل كروى ، أما أصل هذه المئذنة المعمارى فهو اقتباس عن منارة الاسكندرية التى شيدت أيام البطالسة .

وقد شيدت المنارتان الشرقية والغربية على أساس الصومعتين القديمتين ، وجزؤهما الأسفل مربع التخطيط ، والاعلى مثمن ذو شرفتين الواحدة تلو الاخرى ، وقمتها على شكل مخروط رفيع لانها جددت على الاسلوب العثمانى فى بناء المآذن .

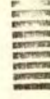
قطاع فى الرواق الكبير وتبدو فيه العقود والاقوان والتيجان البراك .

وقد تخربت المنارة الغربية ، وجددها السلطان المملوكى الاشرف قايتباى ، وشكلها مثمن، ولها شرفة مسقوفة، وفوقها شرفتان الواحدة فوق الأخرى تنتهى بشكل كروى .

الزخارف

كانت تزين جدران الحرم الداخلى وأروقة الصحن من الداخل والخارج بالفسيفساء ، كما كسيت جميع الأعمدة والدعامات التى تطل على الصحن من الداخل والخارج بالرخام النادر ، وطعمت بالفسيفساء التى صنعت من قطع الزجاج المكعب التى كان قطر كل منها حوالى ٢ سم ، وهى فريدة فى صنعها وألوانها ، وكانت تصور مناظر دمشق وما فيها من حدائق غناء وأشجار كثيفة ومياه متدفقة ومشاهد من البلاد الاسلامية ، وقد حرص الخليفة الوليد

(١) استخدمت هذه المنارة فى العهد المملوكى لارسال الاشارات الى القاهرة عند تقدم المغول الى سوريا !!



أن يظهر مسجد دمشق بصورة تليق بمكانته السامية فى نفوس المسلمين ، وتشهد بعظمة الفن الاسلامى الذى استطاع أن يبرز الدقة والاتقان والذوق فى جمع الزجاج المذهب ووضعه فى تناسق تام ، وفى صورة زخرفية رائعة واتقان منقطع الانظار نال اعجاب مؤرخى الفن والسائحين على مر الأيام .

وقد أبدع النحات فى زخرفة نوافذ المسجد ، ففرغ الحشوة الرخامية على شكل مسدس ، فى كل زاوية منه دائرة تتصل ، وتتعانق مع ما يجاورها لتكون منظرا هندسيا يسحر الابصار ، وينتزع الاعجاب ،و تعتبر هذه النوافذ الرخامية المفرغة أقدم وأروع مجموعة فى الفن الاسلامى .

حريق المسجد

وقد تعرض المسجد للحريق عدة مرات ، كان أولها الحريق الذى اصابه عام ٤٦١ هـ وكان أخطر الحرائق ، اذ تهدم معظم المسجد ، وسقطت بعض زخارفه ، ولم تبق غير جدرانه الأربعة ، كما احترق فى القرن السادس الهجرى مرتين ، وأصاب المسجد حريق فى القرن التاسع الهجرى ، وآخر حريق يعود الى القرن الرابع عشر الهجرى الذى تهدم فيه الحرم الداخلى ، ولكن حكام دمشق وولاة المسلمين تعهدوا المسجد بالرعاية ، وعمدوا الى تجديده وترميم أجزائه ، وأعادوا له سابق مجده .

التجديد فى العهد الأيوبى والملوكى

اهتم السلطان نور الدين محمود زنكى بتجديد واجهة الرواق بالزاوية الشمالية الشرقية من المسجد ، كما قام الملك سيف الدين أبو بكر باعادة تبليط الصحن فى أول القرن السابع الهجرى .

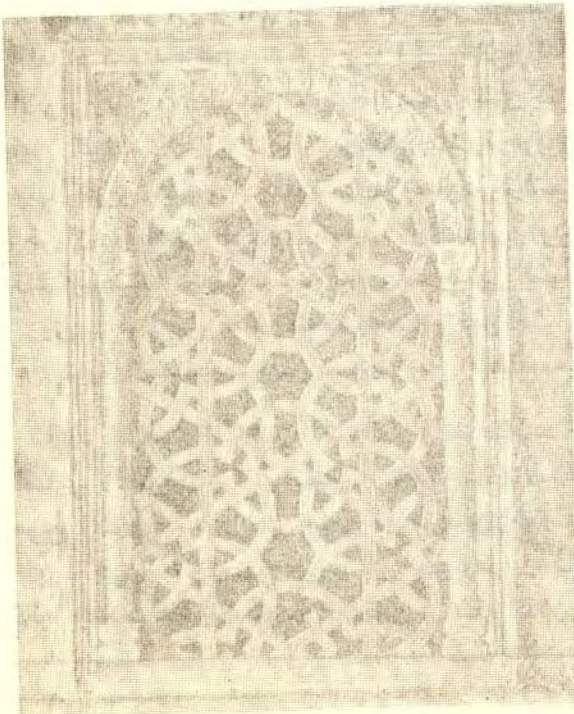
ولما تعرض المسجد لحريق عام ٧٥٣هـ وتداعت بعض أعمدته وتيجانه عدا رواق المحراب جدده الملك المنصور عام ٨٠٨هـ وأعاد ما تداعى منه ، ولهذا يلاحظ تحوير فى شكل القبة ورقبتها ونوافذها ، ولم يبق من عمارة المسجد القديم غير الحرم كما كسيت جدرانه أيام المماليك بألواح القيشانى بدلا من الفسيفساء .

قبر النبى يحيى

يقع داخل الحرم ، ويتألف من بناء حديث تحيط به أعمدة من الرخام ذات تيجان كورنثية الطراز ، ويروى الرحالة ابن جبير ان العرب حين كانوا يبنون المسجد ايام الوليد عثروا على سارية يختلف لونها عن أعمدة المسجد وأنه شاهدها بنفسه ، وكان به رمز يشير الى ضريح النبى يحيى .

قبر صلاح الدين

وبجوار المسجد يرقد البطل صلاح



نافذة زجاجية مفرغة فى الجدار الغربى

الدين الأيوبى الذى قهر الصليبيين ، وشتت جموعهم فى معركة حطين الخالدة، وقضى على أخطر زعمائهم أرناط صاحب الكرك الذى كان يهدد قوافل الحجاج أثناء ذهابها الى مكة المكرمة ، واستطاع أن يعقد معاهدة مع الصليبيين اعترفوا فيها بحق العرب والمسلمين فى بيت المقدس .

المسجد معهد للدراسة والعلم

ظل الجامع الأموى منارا للعلم والعرفان ، ومعهدا للدراسة وتحصيل علوم اللغة والدين منذ بنائه ، اذ كان قبلة العلماء والدارسين ، يفد اليه الطلاب من كل صوب ، لينهلوا من منبعه ، ويتلقوا العلم على أساطين العلماء ، وفحول الأدباء من أئمة المسجد وشيوخه الذين وهبوا أنفسهم لنشر اللغة والدين الاسلامى ، طلبا لمغفرة الله وكسبا لرضاه ، ومن أشهر أساتذة هذا المسجد الحسن بن محمد البورينى الذى قام بتدريس الفقه على مذهب الامام الشافعى ، وكان فصيحا بليغا يسأله العلماء رأيه فى مؤلفاتهم ، وقد تقلد أعلى المناصب وصنف كتبا فى التاريخ والتفسير والادب واللغة ، وألف كتاب تراجم الأعيان من أبناء الزمان ، وشرح ديوان ابن الفارض ، وأسماه:البحر الفائض فى شرح ديوان ابن الفارض .

ومن علماء الجامع أحمد بن أحمد الطيبى الذى تولى امامة المسجد زمنا طويلا وخطب فيه ، وتولى التدريس فى أروقته ، وقد تلقى العلم على يديه الشيخ اسماعيل النابلسى الذى شغل منصب مفتى الشافعية ، كما أصبح أحمد بن الطيبى الفقيه المحدث الشهير من أئمة الجامع ، وأستاذا من أقدر علمائه وتولى منصب مفتى دمشق نحو عشرة أعوام ، وقد تلقى العلم على أبيه وصار من أعظم فقهاء عصره .

ومن علماء الحنابلة الشيخ أحمد بن أبى الوفا الذى نشأ فى بيت اشتهر أهله بالعلم والتصنيف ، وبرع فى أنواع العلوم والفنون والآداب ، واشتغل بالتدريس فيه وفى المدرسة الأتابكية ، وحضر

ضريح النبى يحيى فى ايوان القبلة بعقوده الضخمة .

الدروس عليه طلاب العلم الذين أصبحوا أساتذة الاجيال ، ورواد الحركة الفكرية فى بلاد الشام ، ممن ارتقت على أيديهم علوم اللغة فى أحلك أيامها ، وحفظوا التراث الاسلامى من الضياع أيام العثمانيين .

وهكذا أسهم الجامع الاموى فى حفظ اللغة العربية والحضارة الاسلامية، واستمر يؤدى رسالته السامية أثناء الحكم الفرنسى لسوريا ، وكان معقلا وحصنا لحركات التحرر ، وانطلقت منه الدعوة للاستقلال ، وطرد المستعمر الغاصب حتى تطهرت سوريا من شرور الاحتلال .

هذا والجامع الأموى درة فنية ذو قيمة تاريخية فى الفن المعمارى الاسلامى عبر العصور ، وهو كنز لا يقدر لمؤرخى الفنون ، اذ يحكى تطور الفنون الاسلامية وتاريخها كما انه سجل حافل فى كتاباته ونقوشه وزخارفه وطرزه التى لا تجارى، ودليل على الذوق المرهف ، والابداع والحرية التى توفرت للصانع ، فابتكر ووصل فنه الى أعلى درجات السمو والاتقان .

ذكريات يتيم

للاستاذ احمد محمد مصطفى السفاريني

ما هو الأمس الذى نقطعـــه   في صراع العمر عبر الزمـــن ؟
كيف يبقى صورة في وعينـــا   وخيالا ماثلا في الأعـــين ؟
فإذا الماضى طريق لا حـــب   قطعت بالبؤس أو بالمـــنن ؟
يحملُ القلب لها إكبـــارَه   أو جراحات الأسى والمِحَن ؟
فإذا كان يتيمـــا أقفـــرت   منه نعماه كأن لم تَكُـــن ؟
فهو مثلى ضائع مستنكـــر   تائه الخطو ، رفيق الحَـــزَن ؟
يالأَيامى التى بـــــدّدها   طارقُ الليل بأدنى ثمـــن ؟
هكذا مرت هبـــاءً عبثا   دونما حس بيوم حَسَـــن ؟
فكان الأمس فيهـــا أو غـــدا   قهقهات من عتى ماجـــن ؟
تعبث الأوهام فيما أرسلـــت   من دوى صاخب مستهجـــن .

***

أنا لن أنسى لحاظا مُـــرّةً   بِتُّ أرعاها بجـــرى أعيـــنى .
منذ أن هزّ فؤادى منظـــر   طيفه أرقنى في الوَسَـــن .
بينما كنت مساءً عائـــداً   والأمانى أنجم تبهـــرنى .

وقعتْ عيني على غير هـــدى ... فوق ما رؤيته تجهـــدني .
« بذلةٌ » خلف ستارٍ عــارضٍ ... علِّقتْ ، ذاتُ وشاح يَمَـنى .
كالتي يلبسها مستكـــبراً ... بعض صحبي في دلال فاتـــن.
وعلى ياقاتها أزرارهــــا ... نُقِشَتْ صورة طير شـــادن .
ونياشين على الصدر زهــت ... تبعث النشوى كزهر السوسـن
فطويتُ الدرب مشغوفا بهـــا ... نحو أمي والمنى تسبقـــني . .
ثم ألقيت بنفسي . باكيـــا ... حاجتي في حضنهـــا المستأمَن
ولقد ساءلتهـــا أين أبـــي ... فأشاحت وجههَا لم تـــبن .
ومضت تُقسم لى في لوعـــة ... أنها سوف غداً تســعدني .
ثم لما مرَّ ميعـــادى ولــــم ... أجد البذلة تكسو بـــدني .
وبدت أمي توارى وجههـــا ... واحتوتني في حنان محـــزن .
تسفح الدمع سخينـــا دافقـــا ... وهى تشكو من زمان زَمِن .
فتوليت وكلى غصــــة ... أمضغ الوهم بقلب مثــخن .



أو صباحا في حمى مدرســتي ... دعي القوم لحفل علَــنِي .
اقبل القوم زرافات وهــــم ... باسمو الثغر ببشر بــــين .
والمدير الكهل يبدو ضاحكـــا ... يتلقى الوفد بالوجه السنى .
كل تلميذ إلى والـــــده ... بيد مشدودة مقـــترن .
غير أني لم أجد دوني أبــــا ... اصطحبه في طريقـــي الأرعَن .
واستقام الحفل في أبهــــة ... كلما قام فتى يسبقـــني .
ضجت الأصوات تعلو لـــه ... حية بالفخر حتى ينثـــني .
وتخطيت إلى دورى الخطـــى ... دون أدنى همسة في أذنـــي.
رحم الله أبي كم نعمـــة ... كان يسديها بقلب محســن .

رسالة من نيويورك

للدكتور محمد محمد عبد الرءوف
مدير المؤسسة الاسلامية فى نيويورك

شهد الصيف الماضي نشاطا اسلاميا محسوسا بأمريكا الشمالية ، فقد عقد مؤتمر الهيئات الاسلامية بالولايات المتحدة وكندا فى منتصف يوليو بمدينة لندن فى كندا ، كما عقد مؤتمر الطلاب المسلمين السنوى بجامعة ميتشجان فى أوائل سبتمبر ، ويعنى الطلاب فى مؤتمراتهم بتنظيم المحاضرات وعقد الندوات العلمية ، ويحرصون على أداء الصلوات الخمس جماعة فى أوقاتها ، أما المؤتمر الأول فأكثر نشاطه من نوع المرح والتسلية تقليدا للمهرجانات التي تعقدها النوادى العربية المسيحية لجمع المال لأغراض قد تكون دينية أيضا كاصلاح كنيسة أو الانفاق عليها ، لذلك يجذب الأول عددا أكبر من الشباب والشابات اقبالا منهم على الاستمتاع بما يهيئه المؤتمر لهم من لقاء ورقصات أهمها رقصة ((الدبكة)) الشامية ، ويبرر اتحاد الهيئات الاسلامية هذا النوع من النشاط بانه وسيلة للقاء الشاب المسلم بالشابة المسلمة الذى كثيرا ما ينتهى بالزواج بينهما ، واكبر هم المهاجرين هنا – فى بلاد الاسلام فيها غريب – مستقبل بناتهم فكثيرا ما يؤثر الشاب المسلم الزواج من أوروبية مسيحية ، وقد نتج عن ذلك أن بعض المسلمات يفوتهن الزواج ، وقد تنحرف الشابة المسلمة وتتزوج من غير مسلم رغم ارادة أهلها ، بل قد ترتد عن الدين مبالغة فى ترضية رفيقها ، ونتيجة لضعف ايمانها وقلة معرفتها بدينها ، وقد نشأت فى بيئة غربية ملحدة : والـزوجات المسيحيات ينشئن أطفالهن على غير دين آبائهم المسلمين حتى لو أعلنت اسلامها ترضية لزوجها ، بل قد يشترط الزوج المسلم عند القران أن يكون الأطفال مسلمين ، وفى بعض الحالات تعدل الزوجة بعد ذلك ، كما أخبرني بالأمس صديق عربي مسلم عن زوجته هو ، فكان الوالد يغضب اذا سمع ولده يجيب زائرا يسأله عن دينه فيقول انه مسيحي . وفى بعض الأحيان يقبل الزوج المسلم عند القران شرط أن يكون الأطفال على دين أمهم ترضية لأهلها . فالزواج من غير المسلمة اشكال كبير ، ومستقبل الفتاة المسلمة مهدد ، لذا يرى المنظمون للمؤتمر السنوى لاتحاد الجمعيات الاسلامية مبررا لاغراء الشباب بالاقبال على المؤتمر تمهيدا لخاتمة اسلامية طيبة .

ومن هنا يا أخي تبدو ضرورة عمل الهيئات الاسلامية فى هذه البلاد ومشروعية تشجيعها للعمل على تجديد المعانى الاسلامية فى نفوس المغتربين ، وانتشال أطفالهم من براثن الالحاد ، وعمل الأمهات غير المسلمات ، ويسرك أن كثيرا من طلاب مدرستنا التي تشرف عليها منظمتنا الاسلامية كانوا يعتبرون أنفسهم مسيحيين ، ولكنهم الآن يعتزون بأنهم مسلمون ، ويحرصون أشد الحرص على حضور دروسهم ، والاستفادة بما تهيئه المنظمة لهم من نشاط اسلامي مفيد . ولو قصصت عليك بعض القصص لكان حديثا



السيد راشد بن عبد العزيز الراشد سفير الكويت وهو يوقع على
الدستور الخاص بانشاء مبنى المركز الاسلامى وعلى يمينه الدكتور عبد الرءوف

ممتعا ولكن ذلك يطول . ولقد وفقنا الله تعالى فنوعنا الدراسات والفصول الدينية العربية ابتداء من هذا العام الدراسى ، وبدأنا اخراج سلسلة من الكتب ظهر منها الجزء الاول بحمد الله ، ولقى ذلك نتائج طيبة مثمرة .

وكان من أهم الأحداث التي تعنينا انشاء المركز الاسلامي بمدينة نيويورك وتوقيع الدستور الخاص به ، وذلك فى احتفال رسمي خاص عقد بدار هيئة الأمم المتحدة مساء يوم ٢٣ سبتمبر ١٩٦٦ حيث وقع على هذا الدستور بحضرة كاتب العدل المخول لدى حكومة نيويورك جمع من سفراء الدول الاسلامية من رؤساء الوفود الاسلامية الدائمة لدى هيئة الأمم المتحدة ، من بينهم سفراء الكويت ، وايران ، وليبيا ، والجمهورية العربية المتحدة ، وباكستان ، وتركيا ، وتونس ، وغينيا ، ومالى ، والمغرب ، والجزائر ، والسودان ، والأردن ، والسنغال ، وسوريا ، والعربية السعودية ، والعراق ، وكان السيد وزير خارجية الباكستان من بين الحاضرين .

والمركز الاسلامي هذا هو الذى تبرعت له دولة الكويت بمائتي ألف دولار ، وتبرعت له حكومة السعودية بمثل هذا من قبل ، كما صدقت حكومة ليبيا وأسهمت بنفس المقدار فى بداية هذا العام ، وقد بلغ شراء الأرض اللازمة للمبنى مراحله الأخيرة بحمد الله ، ونأمل أن يبدأ البناء فى العام القادم ان شاء الله . ويشمل المشروع مسجدا ومكتبة اسلامية ومدرسة ودار ضيافة ومبنى للاستغلال للانفاق على المسجد ، وقاعات للمحاضرات ونشاط الشباب المسلم ، وسلام الله تعالى عليكم ورحمته وبركاته .



أبواب السماء

بقلم / محمد لبيب البوهي

أقبلت الأم تمشى على أطراف أصابعها ، واتجهت الى الخيمة الصغيرة ، ومدت يدها فى رفق فرفعت طرفها ، وتسلل شعاع من ضوء الشمس الى الداخل، وتراقصت ذرات الغبار المتطاير فى هذا الشعاع .

وتقدمت الام خطوات ، وهى ما تزال تطأ الارض فى حذر ومهل ، حتى اقتربت من فراش الصغير النائم ، وخيل اليها أنها تراه نائما مستغرقا فى النوم ، فمسحت على رأسه فى رفق ، ثم هزت رأسها فى شىء يشبه الاسف مرة أو مرتين ، وتراجعت بعد ذلك بظهرها فى هدوء حتى خرجت من حيث جاءت ، فأعادت احكام الخيمة من جديد ، ثم ظلت فى موقفها ذاك عند مشارف الطريق هنيهة تنظر الى الأفق البعيد ، وليس على ظهر الارض من هو أشد منها بؤسا وفجيعة .

أما الصبى النائم فى الداخل فما أن اطمأن الى خروج أمه ، وأنها قد أعادت احكام أطراف الخيمة عليه حتى استوى قاعدا يحاول عبثا أن يمتص شفتيه ، فها هو اليوم الثانى فى هذا الوقت من هجير الصيف الشديد دون أن يذوق قطرة ماء .

وراح يتحسس شفتيه اللتين تشققتا من الجفاف ، وهو يحس لذلك ألما شديدا يضاعف من عذاب الظمأ الشديد ، وعلى بعد خطوات منه خارج الخيمة كانت الأم قد اتخذت مجلسها فى الظل معتمدة رأسها بين ذراعيها غير قادرة على السير فى هذا القيظ المحموم ، وغامت الدنيا فى عينيها ، وهمت أن تبكى ، وظنت أنها ستجد فى البكاء بعض الراحة ، ولكنها فوجئت بجاريتها تأتي مهرولة من منعطف الطريق فغمرها فرح مفاجىء ، وتهيأت لاستقبال النبأ الذى ستزفه اليها ، فهمست اليها الجارية فى سرور أثلج فؤادها .

ذهب سيدى الشيخ ومعه الجرة .. لقد سمع أن رجلا من يهود يخفى عشر جرار مملوءة ماء ، كان الرجل قد احتجزها قبل القحط ، وقد راح سيدى يساومه ، انه يبيع جرة الماء بمائة دينار .

ولم تدر السيدة أتضحك أم تبكى ، جرة الماء بمائة دينار ؟ وكأنما أدركت الجارية ما يجول بخاطرها فقالت .. الانسان قد يتنازل عن نصف عمره ليشرب اذا امتنع الماء وأشرف المرء على الهلاك .

***

ومرت الساعات وارتفع قرص الشمس فى كبد السماء ، وراح يلهب الناس بشواظ من نار ، وأخذ القوم يتساقطون جماعات فى داخل الخيام أو الدور أو فى أطراف الاسواق ، ووقف الموت بمنجله يجمع حصاد الكارثة .

وظهر الشيخ قادما على بعيره من بعيد ، وأسرعت الام الى ولدها فى لهفة تدعوه أن ينظر فى استبشار ، وأسرعت الجارية فساعدت الصبى كى يخرج الى الباب لينعم بمنظر أبيه القادم من بعيد ومعه جرة الماء .

ووصل الشيخ .. وكان وجهه ينضح بالحقيقة .. لقد نفد الماء الذى ادخره اليهودى .. أو هكذا ادعى اللئيم ، لقد عرض عليه ألف دينار ، ثم عرض عليه نصف ماله نظير جرة الماء ، وأقسم اليهودى أن لو أمكن ان يبيع دمه نظير هذا الاغراء المالى العظيم لما تردد ..

واجتمع الناس بعد أن تحامل بعضهم على بعض يتدارسون أمر هـذه النازلة وقال قائلهم :

يا قوم .. لقد ولى النهار ، وأخذ الليل يتقدم ، وان نبى الله موسى مقيم على مسيرة ساعتين من قريتنا ، فلماذا لا نذهب اليه ، ونطلب اليه أن يتضرع الى ربه ، فهو النبى المسموع الكلمة عند مولاه كى يرفع عنا وعن أطفالنا ونسائنا هذا البلاء .

وقال رجل كان يطيل مصاحبة النبى موسى الكليم الكريم .. بلى يا قوم هذه هي فرصتنا .. لم يعد لنا من الامر الا أن نطلب الرحمة من السماء .. فقد جفت كل ينابيع الارض .

***

وذهب القوم الى موسى عليه السلام فاذا بالبلاء قد عم كل البقاع .. فالقوم فى كل مكان قد استبد بهم الظمأ فتركهم كأعجاز نخل خاوية فقالوا جميعا :

انظر ماذا ترى فى أمرنا ذاك يا نبى الله ؟

فأخبرهم موسى عليه السلام أنه ليس أمامهم الا الدعاء ..

***

وتناقل الجميع كلمة الدعاء .. وراحت الألسن ترددها ، والاسماع تستقبلها ، والجبال تردد صداها .. الدعاء .. الدعاء ..

وذهب القوم يتنادون أن هيا أيها الناس الى رحاب السماء .. وأقبل الناس فى جوف الليل من كل صوب ، من السهل .. ومن الجبل ومن كل فج بعيد .. مئات ومئات يسوقون اطفالهم ونساءهم .. أشباحا تكاد تنقض الى الأرض اعياء من الضنى والهزال .. لقد بدا كل شىء كأنما توشك الساعة أن تقوم .. أو كأنما توشك السماء ان تنقض على الأرض ، لتذيق الناس فنونا من الهول والعذاب ، وارتفعت الضراعات الخافتة الخارجة من قلوب مقروحة تردد .. الدعاء الدعاء .. لقد أمر النبى بالدعاء عند الفجر .

هيا ومعكم أطفالكم ونساؤكم .. استعدوا وتطهروا ،،،

وتساءل الذين لا يوقنون هل يستجيب الله حقا لدعائهم ؟ لقد أخـذ الامل

العظيم يداعب القلوب الجريحة ، ترى يتحقق ذلك الأمل ؟ . ترى هل سيقدر لهم أن يعيشوا حتى يذوقوا الماء العزيز من جديد ؟ وحتى نرتوى ونسقى الأطفال والزرع !! ؟

لقد بدا لهم ذلك الاحتمال فوق كل مجال التصديق ، ولكن الذين يعلمون كانوا على يقين من أن السماء سوف تستجيب وكيف لا يستجاب لهم ، وبينهم نبى الله يدعو معهم ، ويقودهم الى رحاب الله .

* * *

وجاء الفجر وارتفعت ألوف الأكف واشرأبت الاعناق ، وموسى هناك فوق الجبل يدعو ، والناس من خلفه يرددون الكلمات . وبزغ ضوء الفجر وغمرهم شعاعه الكريم ، وبدا الناس فى هذا النور وكأنما ولدت ارواحهم من جديد ، وعادوا الى بيوتهم مطمئنين ، يمنون النفس بالغيث ، فان الله لا يرد دعاء المؤمنين ، وجاء الضحى وراحت الشمس تجرى فى فلكها العلوى ، وهي توالى ارسال شواظها دون أن يهبط المطر حتى أخذ الناس اليأس أو كادوا ، واشتدت بهم النازلة ، وأخذ منهم العجب كل مأخذ .. لقد دعوا بكل جماع قلوبهم ولكن الدعاء انتهى بهم الى تباب .

* * *

وتعجب موسى عليه السلام .

وجاءه الجواب من ربه .

ان الله قريب يجيب دعوة المضطر اذا دعاه ، ولكن الذين كانوا فى الفجر يجأرون بالدعاء كان بينهم عاص لربه ، عاص له فى سجل الموبقات صحائف سود ، فكيف يستجيب الله لهم ؟ !

***

واستبد البلاء بالناس وعم الكرب ، لقد زادت الوجيعة ، وتضاعف العذاب ، وغمرهم احساس جديد بالخزى والعار المهين ، لقد ادركوا أنه يعيش بينهم من هو آبق عن طريق الله ، منحرف عن سواء الصراط ، ترى من يكون هذا الذى حال بيننا وبين رضوان الله .. ؟

وراح بعضهم يسأل بعضا .. أننال كل هذا من أجل وجود بعض العصاة بيننا ؟ وما ذنبنا نحن فى ذاك ؟ وكان أهل العلم يجيبون .. ايها الناس اعلموا أن البلاء يعم ، وأن القرية قد ينزل بها الهلاك وبها قوم صالحون ، لأنهم لم يضربوا على أيدى العصاة ،وتركوا النهى عن المنكر والامر بالمعروف .

تلك هي الحقيقة ، ولقد مضى علينا حين من الدهر ونحن فى تقاعس عن التناصح ، وذهب كل منا يقول : نفسى .. نفسى .. يمر أحدنا بالمذنب فيهز كتفيه ويمضى .. غير عابىء بالأمر ، وغير مقدر أن الشرارة الصغيرة قد تأتي من بعيد ، فتشعل النار التى لا تبقى ولا تذر ، وها نحن نجد مصداق ذلك فى هذا الدعاء الذى اتجهنا به الى الله فلم يستجب لنا .

* * *

البقية على ص ٩٦

حول الرسم العثماني للمصحف

تعليق وتعقيب

سبق أن نشرت المجلة فى العددين السابع عشر والتاسع عشر مقالين للأستاذ محمود غنيم تحت عنوان الرسم العثماني للمصحف ، وقد جاءنا بعد نشر المقال الأول تعليقات عليه أشرنا اليها فى العدد السابق ، ووعدنا بنشرها وتعقيب الأستاذ غنيم عليهـا ، وفيما يلي التعليق والتعقيب .

قال الأستاذ محمود سليم دوعر بوزارة العدل فى الكويت بعد الديباجة : ـ
أحب أن أورد ملاحظات ، راجيا أن تتكرموا بنشرها فى مجلتكم الكريمة لعل بها بعض التوضيحات الضرورية .

أولا ، لا يسعنى الا أن أعترف بطيب ما أورده السيد محمود غنيم من حوادث تاريخية وما سرده لنا فى مقاله ، من روايات صادقة بشأن الموضوع . ورغم ذلك كان واضحا ـ حسب ظننا ـ والله أعلم أن مقال الأستاذ غنيم ، لم يسلم من بعض الأغلاط ، التي نوجزها فيما يلي : ـ

أولا : ـ فى أول سطور المقال ـ وبعد اعتراف الكاتب باختلاف فقهاء المسلمين حول الموضوع أورد رأيه بصراحة كاملة وبدون تحفظ ـ وأيضا ـ بدون براهين : أن الرسم العثماني للمصحف خاضع لقواعد الاملاء ـ قديما وحديثا ـ والحقيقة أنه لولا (شرعية رسم المصحف) بهذا الشكل ، لما كان هناك اختلاف مذاهب ولا اختلاف فقهاء بشأن فهم القرآن الكريم .

ثم أضاف الأستاذ غنيم ، أن ذلك شيء عقلي .. والحقيقة أنها مسألة شرعية بتوقيف عن الرسول عليه الصلاة والسلام ـ كما سنذكر ـ

ثانيا : ـ ان الكتاب الذى عرضه للمرحوم حفنى ناصف ، يعترف السيد غنيم ، بأنه عرض فيه الأدلة القاطعة على ضرورة العودة للرسم القديم للمصحف الشريف ، ونعنى (العثمانى) ورغم ذلك لم يذكر السيد غنيم هذه البراهين القاطعة ـ كما يقول ـ مع أن ذلك مما يقتضيه الاعتراف بالحق ، الا اذا كان السيد الكاتب قد أصر على عدم الاعتراف بتلك البراهين لأنه يريد رأيا جديدا يغاير الحقيقة ... ؟ .

ثالثا : ـ يعترف السيد كاتب المقال (بأن كل كتابة غير كتابة المصحف العثمانى) عند تدوينه ، يضرب بها عرض الحائط ولا يلتفت اليها .. بل حرفت .. كل هذه البراهين يقولها السيد الكاتب .. وفوق هذا يقول ان الرسم الحالي (شيء عقلى) أى ليس شرعيا ...

هذا بالنسبة لمقال الأستاذ غنيم .. وأحب هنا أن أزيد ، مؤيدا فقهاء المسلمين .. بل الحق أن أقول (معترفا) بفضلهم حين يقولون :

١ ـ ان الرسم الحالي للمصحف الشريف .. هو أمر شرعي ، نعم شرعي .. وتوقيفي .. بأمر الرسول عليه الصلاة والسلام ، بدليل أنه عليه الصلاة والسلام كان له كتبة للوحى (يكتبون القرآن) وهم أنفسهم كانوا يكتبون الرسائل للملوك والولاة وكانت كتابتهم للقرآن غير كتابتهم للرسائل (... فلم هذا الاختلاف ؟؟؟) قطعا لأن كتابة القرآن بهذا الرسم أمر شرعي لا يجوز تغييره أبدا ...

٢ ـ كانت كلمة واحدة ، تكتب برسمين مختلفين .. مثلا .. كلمة (الربا) كتبت هكذا .. وكتبت هكذا (الربوا) أو (الربى) وكذلك بالنسبة لكلمات أخرى كثيرة جدا .. فكان رسمها يختلف من سورة لأخرى .. وربما من آية لأخرى ... (فلم هذا الاختلاف ؟؟) لو كان الأمر متعلقا بقواعد الاملاء ؟ .

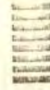
٣ ـ كان عليه الصلاة والسلام ـ رغم أنه أمى ـ يسأل الكاتب عن كيفية رسم الكلمة .. فيقره على ذلك .. وهذا يدل على أن مسألة رسم المصحف العثماني .. توقيفي عنه عليه الصلاة والسلام .

ولكن هناك مسألة أخرى .. لم يتعرض لها الأستاذ غنيم .. وهي أن كتابة الآيات للتعليم أو للترجمة أو للتدريس أو للاستشهاد .. يجوز كتابتها بغير رسمها العثماني ، لأن التوقيف عن الرسول صلى الله عليه وسلم .. خاص بالقرآن وليس خاصا بالتعليم .

ولهذا ترون معى ، أن رسم المصحف الشريف .. أمر توقيفي وبالتالي فهو مسألة شرعية فلا يجوز بحال من الأحوال ، أن تغير ولا أن تبدل .. لأن ذلك اثم كبير حيث أنه يمس أقدس مقدساتنا بل أعظم معتقداتنا بعد الشهادتين .. راجيا الله أن يبلغ مقالي الأستاذ محمود غنيم .. فيقتنع بما نقول .. وحتى لا يسطر مرة أخرى (أن رسم المصحف يخضع لقواعد الاملاء قديما .. وحديثا) .. هدانا الله لما فيه خير الأمة .

وهذا هو تعقيب الاستاذ غنيم يقول فيه :

وبعد : فانى أشكر لكم ما أتحتموه لي من فرصة الاطلاع على ملاحظات السيد المحقق محمود سليم دوعر الخاصة بمقالي (الرسم العثماني للمصحف) المنشور بالعدد السابع عشر من مجلة الوعي الاسلامي ، كما أشكر لكم حرصكم على



استطلاع رأيى فيما سماه سيادته (أغلاطا) وتلطفتم فسميتموه (ملاحظات) حول هذا الموضوع .

ولا يسعنى قبل أن أنفذ الى صميم الموضوع الا أن أبدى لكم ملاحظة أنتم أدرى بها مني ومن جمهرة قراء المجلة ، وهي أن البحث لم ينشر برمته ، وانما نشر جانب منه فقط ، وهنا يحق لي أن أتساءل : أتتابع المجلة نشر بقية نقاط البحث ، أم تجتزيء بما نشر منه فى العدد المشار اليه ؟ ان كان الأول فهو الأمثل . وان كان الثاني فهو الاقتضاب الذى يكشف عن وجه واحد من الحقيقة ويسدل الستار على عدة وجوه (١) .

والذى أرجحه أن السيد المعقب لو اطلع على البحث كاملا لاستغنى عن ابداء ملاحظاته ، أو عن بعضها على الأقل ، أو لتغير جوهر هذه الملاحظات واتجه بها سيادته اتجاها آخر .

وأيا كان الأمر فيما يتعلق باستيفاء البحث أو اجتزائه ، فليس هذا بمانعى عن مناقشة ما أبداه السيد المعقب من ملاحظات،مناقشة لا هدف لي من ورائها الا الوصول الى الحقيقة المجردة من كل ما يعكر صفاءها أو يشين بهاءها .

معنى التوقيفية

يذكر السيد المعقب فى غير موضع من ملاحظاته أن مسألة الرسم العثماني للمصحف مسألة توقيفية ، ويفسر هذه التوقيفية بقوله « أن الرسم الحالي للمصحف الشريف هو أمر شرعي ، نعم شرعي وتوقيفي بأمر الرسول عليه الصلاة والسلام » .

ونحن فى شك كبير من سلامة هذه القضية أو هذه التوقيفية ، فالمقطوع به أن الرسول عليه الصلاة والسلام كان أميا ، وهو يقول لجبريل « ما أنا بقاريء » واذا لم يكن قارئا لم يكن كاتبا من باب أولى ، والذى ليس بقاريء ولا بكاتب لا يملك توجيه كتاب الوحى الى الطريقة التي يصطنعونها فى رسم الحروف . ولم يقل أحد ــ فيما أعلم ــ بالتوقيفية على هذا النحو ، وانما يعني القائلون بالتوقيفية أنها مأثورة عن الصحابة ــ رضوان الله عليهم ــ قالوا : ومن حق الصحابة علينا أن نحافظ على تراثهم ، وعلى ما أثر عنهم من طريقة رسم الآيات القرآنية التي تبلورت فى الرسم العثماني على نحو ما أسلفنا .

وعلى ذلك فنحن حين نناقش هذه التوقيفية نستبعد من حسابنا نهائيا أية صلة للرسول بالرسم ، وما يتعلق به من قواعد واتجاهات ، وانما نناقش هذه التوقيفية على أنها أثر صحابى لا أكثر .

وليس من شك فى أن كتاب الوحى من الصحابة أدوا الى القرآن ، بل الى الاسلام ، بل الى الانسانية جمعاء ــ أيادى بيضاء بما دونوه من آيات التنزيل الحكيم التي كانت لولا تدوينهم عرضة للضياع ، أو لما يتعرض له كل ما يعتمد على الحفظ والذاكرة وحدهما من التغيير والتبديل ، والشواهد على ذلك أكثر من أن تحصى ، وأقربها الشعر الجاهلى ، بل الأحاديث النبوية نفسها ، وغير هذين مما لم يدون من فوره ، بل تأخر تدوينه فترة من الزمن .

وليس من شك أيضا فى أن العرب على عهد الرسالة النبوية كانوا أقرب الى البداوة ، وهذا يستتبع تأخر الكتابة كما وكيفا : أعنى أن الكتاب كانوا فى ذلك العهد قلة ، وأن الكتابة نفسها كانت بدائية لم تستكمل أدواتها بعد .

وليس من شك أيضا فى أن دورة

(١) نشرنا بقية البحث فى العدد السابق .

الفلك فى مدى أربعة عشر قرنا تقريبا قد فعلت فعلها فى الكتابة ، وصهرتها فى بوتقة النضج الحضارى ، حتى كادت الصلة تنقطع بين ماضيها وحاضرها : الأمر الذى جعل أرباب الثقافات وحملة الشهادات يقفون أمام الرسم العثماني للمصحف وقفة « فرنسوا شامبليون » أمام حجر رشيد (!!!) (١) .

فاذا سلمنا بهذه المقدمات ــ ولا يسع المنصف الا التسليم بها ــ كان لنا أن نقول :

ان التمسك بالرسم العثماني لمجرد أنه أثر صحابى فيه حيلولة بين المصحف والقارىء أيا كان مبلغ هذا القارىء من الثقافة ، ما لم يسبق له حفظ القرآن أو تلقيه عن أحد المقرئين ، حتى يصلح له من قراءته ما فسد ، ويقوم له منها ما تأود . وما هكذا ينبغي أن يكون موقفنا من كتاب الله الذى يعتبر مفتاح الحنيفة ، وجماع الاسلام ، والمصدر الأول من أحكامه وتشريعاته .

اننا معشر المسلمين فى هذا العصر ، بل ان معشر المسلمين فى كل عصر ــ مطالبون ببث الدعوة الاسلامية ، والتبشير بأحكام الحنيفة السمحة وتعاليمها ، فكيف يتفق هذا مع اغلاق أبواب القرآن بأقفال من فولاذ ، وقطع الأسباب بينه وبين القارىء المثقف ، أو بين هذا القارىء وقراءته قراءة سليمة لا يتطرق اليها شيء من اللحن والخطأ اللذين كثيرا ما يطغيان على المعنى ، أو يذهبان به الى غير المقصود منه .

علينا أن نجل الصحابة ــ رضوان الله عليهم ــ ولكن ليس علينا أن يحملنا اجلالنا لهم على استعمال ماء الآبار بدل الأنهار كما كانوا يستعملون ، أو على التوضؤ من الأباريق بدل الصنابير كما كانوا يتوضأون ، أو على تأدية فريضة الحج على متون العيس بدل الطيارات كما كانوا يؤدون ، فاذا لم نسلم بذلك فعلينا أن نتنازل عن القضية التي تقول « ان الاسلام صالح لكل زمان ومكان » .

بقى علينا أن نشير الى مسألتين احتج السيد المعقب بكلتيهما فى تعقيبه .

بين القرآن والرسائل

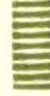
الأولى ــ ما أشار اليه من أن كتابة القرآن فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم كانت تختلف عن كتابة الرسائل ، مع أن كتبة الوحى هم هم أنفسهم الذين كانوا يتولون كتابة رسائل الرسول الى الملوك وغيرهم ، ونحن نسلم بهذا الخلاف ، ولكننا نبادر فنقول : ان هذا الخلاف لا يمس جوهر ما تعارفوا عليه من أصول الرسم وقواعده وهجاء أحرفه وما يتصل بذلك ، وانما كان الخلاف منحصرا فيما تتميز به كتابة القرآن الكريم من علامات تدل على أوجه القراءة التي أذن بها الرسول صلى الله عليه وسلم ، وأقر بها وفود القبائل من فك وادغام وامالة وتفخيم واشمام ومد وقصر وتغليظ وترقيق ، كما سبقت الاشارة الى ذلك .

بين سورة أخرى

الثانية ــ ما أشار اليه من أن رسم الكلمة الواحدة كان يختلف من سورة لأخرى ، وفى بعض الآيات عنه فى بعض آخر . ونحن نقول : ان هذا ــ ان صح ــ كان دليلا لنا عليه ، لا دليلا له علينا ، اذ أن ذلك الاختلاف لا يمكن حمله الا على اختلاف الكتاب أنفسهم تبعا لمبلغ اجتهاد كل منهم فى تطبيق أصول الرسم المتعارفة عندهم ، والا فما معنى أن ترسم كلمة واحدة تؤدى معنى واحدا فى موضعين برسمين مختلفين ؟ ان لم يكن ذلك لغرض من الأغراض التي أشرنا اليها فى المسألة الأولى فهو بالعبث أشبه .

---

(١) ليس الى هذا الحد « الوعى »



ولقد استوقف نظرى قول السيد المعقب ما نصه « والحقيقة أنه لولا شرعية رسم المصحف بهذا الشكل ما كان هناك اختلاف مذاهب ولا اختلاف فقهاء فالتلازم يكاد يكون منعدما في هذه القضية بين شرطها وجوابها ، أو قل : ان شرطها يستلزم عكس جوابها ، فشرعية رسم المصحف ـ لو ثبتت ـ لا تكون سببا فى اختلاف المذاهب واختلاف الفقهاء ، بل تكون سببا فى جب كل خلاف وحسم كل نزاع بين المذاهب والفقهاء (! ! !) .

الكتابة للتعليم

على أننى أعود فأقول : ان دائرة الخلاف بيني وبين السيد المعقب تضيق وتضيق جدا حتى تكاد تتلاشى ، وذلك حين يقول سيادته : ولكن هناك مسألة أخرى لم يتعرض لها الأستاذ غنيم ، وهي أن كتابة الآيات للتعليم أو للترجمة أو للتدريس أو للاستشهاد تجوز بغير الرسم العثماني « ونحن ازاء ذلك لا يسعنا الا أن ننحنى له انحناءة الشكر على هذا السلاح الذى وضعه فى أيدينا ، فما دامت كتابة الآيات بغير الرسم العثماني جائزة للأغراض التعليمية فكتابة السور كذلك ، لأن السورة مجموعة من الآيات وبالتالي ينصب هذا الحكم على القرآن بأسره ، لأن القرآن ليس الا مجموعة من السور ، وحينئذ نقول للسيد المعارض بملء الفم « التقينا » فنحن لا نريد أكثر من طبع المصحف طبقا لقواعد الاملاء الحديث حتى تتسنى قراءته دون لحن يشوه جماله ، ويقف حائلا بينه وبين مكنون معانيه .

أما هذا المصحف فليطلق عليه السيد المعقب اسم المصحف التعليمي ، أو يطلق عليه ما يشاء غير ذلك من الأسماء ، وأنا واثق أن هذا المصحف هو الذى سيكتب له التداول والبقاء ، وسيؤدى الى الاسلام والمسلمين أجل الخدمات .

واذا سألنى السيد المعقب عن مصير المصحف العثماني قلت له : يجب الحفاظ عليه كأثر ديني تاريخي يرجع اليه عند الاقتضاء ، ويستعمله فى التلاوة للحفاظ ومن اليهم ممن يؤمن عليهم الزلل ، وانى لأعتبر وجود هذين المصحفين أحدهما بجانب الآخر ثروة اسلامية كبرى ، واذا كان الخليفة الثالث عثمان بن عفان تقرب الى الله برسم المصحف الأول فى القرن الهجرى الأول ، فنحن نتقرب اليه برسم المصحف الثاني فى العصر الحديث .

وبعد . فيعجبني قول الفقهاء عند كلامهم عن اختلاف الأئمة الأربعة « ان كلا منهم يعتقد أن رأيه صواب يحتمل الخطأ » وبحسبي أن أتمثل بهذه العبارة، على أنني لا أنسب لنفسي فضلا ليس لي ، فالرأى ليس رأيي ولكنه رأى علماء سابقين ولاحقين ، ولا فضل لي الا فى الاقتناع به واعلانه وتعزيزه والدفاع عنه بما وسعنى من الأدلة والبراهين . وقد يكون من العجيب أن يعمل غير المسلمين على نشر الكتاب المقدس وتيسير تداوله ما وسعهم ذلك غير متقيدين برسم معين أو لغة بذاتها ، على حين نقف نحن هذا الموقف الذى لا يخلو من الجمود حيال القرآن الكريم .

وأعجب من ذلك أن ينادى رجل كالعلامة المؤرخ الفقيه القاضي ابن خلدون بوجوب طبع المصحف على قواعد الرسم الحديث فى القرون الوسطى ، ثم ينكر علينا منكر أن ننادى بذلك فى عصر الذرة والكشف عن الأجرام السماوية .

ولا يسعنى قبل أن أختم هذا التعليق الا أن أكرر شكرى لمجلة الوعى الاسلامي وللسيد محمود سليم دوعر على ما قصدا اليه من تحرى الدقة فى البحث وبغية الوصول الى الحقيقة ، سدد الله أقلامنا ، وهدانا الى الصواب .



حريم المسلمين ، واستنزالهم العواتق والذرارى من المعاقل والحصون ، لا يلقون لهم ناصرا ، ولا عنهم مدافعا ، كاشفات عن رؤوسهن وأقدامهن ، فكان ذلك بمرأى ومسمع . فليتق الله أمير المؤمنين وليبتغ بالمفاداة بهم من الله سبيلا ، وليخرج من حجة الله ، فان الله تعالى قال لنبيه : (ومالكم لا تقاتلون فى سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان) والله يا أمير المؤمنين مالهم يومئذ فىء موقوف ولا ذمة تؤدى خراجا الا خاصة أموالهم . وقد بلغني عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : (انى لأسمع بكاء الصبى فى الصلاة فأتجوز فيها مخافة أن تفتن أمه) فكيف بتخليتهم يا أمير المؤمنين فى أيدى العدو ، يمتهنونهم ويتكشفون منهم مالا تستحله الا بنكاح ، وأنت راعى الله ، والله تعالى فوقك ، ومستوف منك « يوم نضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا وان كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين » .

فلما وصل اليه كتابه أمر بالفداء (١) .

ومن أقواله المأثورة والمشهورة . اذا أراد الله تعالى بقوم شرا فتح عليهم باب الجدل وسد عنهم باب العلم والعمل (٢) .

ومن أقواله : ويل للمتفقهين لغير العبادة والمستحلين الحرمات بالشبهات (٣) .

جرأته فى الحق

ان اماما فى مثل صلاح الأوزاعي وعلمه واهتمامه بشؤون الأمة ، لا بد أن يكون جريئا لا يخشى فى الله لومة لائم ، وهذا مع علم راسخ ، وحجة غالبة ، وصلاح صادق ، وحرص تام على العدالة (ومن أجل هذا كان مالك يقول عن الأوزاعي : انه يصلح للامامة (٤) يعنى الخلافة) .

ومن أظهر أمثلة ذلك الواقعتان الآتيتان :

مع عم السفاح

١ ــ قال سفيان الثورى: يا أبا عمرو ، حدثنا حديثك مع عبد الله بن علي عم السفاح فقال : لما قدم الشام فقتل بنى أمية وجلس يوما على سريره ، دعا أصحابه أربعة أصناف ، صنف بالسيوف المسللة ، وصنف معهم الجزرة ، وصنف معهم الأعمدة ، وصنف معهم الكافر كوب (٥) ، ثم بعث الي ، فلما صرت الى الباب أنزلوني عن دابتي ، وأخذ اثنان بعضدى ، وأدخلوني بين الصفوف حتى أقاموني بحيث يسمع كلامي ، فقال لي : أنت عبد الرحمن بن عمر الأوزاعي ؟ قلت نعم أصلح الله الأمير ، قال : ما تقول فى دماء بني أمية ؟ قلت : قد كان بينك وبينهم عهود وكان ينبغي أن يثقوا بها . قال : ويحك ، اجعلني واياهم لا عهد بيننا . فأجهشت نفسي وكرهت القتل ، فذكرت مقامي بين يدى الله فلفظتها ، فقلت : دماؤهم عليك حرام . فغضب وانتفخت أوداجه واحمرت عيناه .

فقال لي : ويحك ؟ ولم ؟ .

قلت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لا يحل دم امرىء مسلم الا

---

(١) محاسن المساعى ــ ص ١٢١ ــ ١٢٣ .
(٢) محاسن المساعى ــ ص ٧٦ .
(٣) محاسن المساعى ــ ص ٤١ .
(٤) محاسن المساعى ــ ص ١٠ .
(٥) آلة من آلات الضرب .

باحدى ثلاث . ثيب زان ، ونفس بنفس وتارك لدينه) .

قال : ويحك ، أو ليس الأمر لنا ديانة ؟

قلت : كيف ذاك ؟ .

قال : أليس كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أوصى لعلي ؟ .

قلت : لو أوصى له لما حكم الحكمين . فسكت وقد أجتمع غضبا ، فجعلت أتوقع رأسي يسقط بين يدى . فقال بيده هكذا : أومى أن أخرجوه ، فخرجت ، فما ابتعدت حتى لحقني فارس ، فنزلت وقلت : لقد بعث ليأخذ رأسي . أصلى ركعتين ، فكبرت ، فجاء وأنا أصلي ، فسلم وقال : ان الأمير بعث اليك هذه الدنانير . قال ففرقتها قبل أن أدخل بيتى (١) .

مع المنصور

٢ – روى الحافظ أبو نعيم .. قال حدثني الأوزاعي قال : بعث الي أبو جعفر أمير المؤمنين وأنا بالساحل ، فأتيته ، فلما وصلت اليه سلمت عليه فرد علي السلام واستجلسني ، ثم قال :

ما الذى أبطأ بك عنا يا أوزاعي ؟ .

قلت : وما الذى يريده أمير المؤمنين ؟

قال : أريد الأخذ عنكم والاقتباس منكم .

قلت : انظر لا تجهل شيئا مما أقول .

قال : وكيف لا أجهله وأنا أسأل عنه ، وقد وجهت فيه رأيك ، واقدمتك له ؟ .

قلت : ان تسمعه لا تعمل به ، قال : فصاح بي الربيع وأهوى بيده الى السيف ، فانتهره المنصور وقال : هذا مجلس مثوبة لا عقوبة . فطابت نفسي وانبسطت فى الكلام ، فقلت يا أمير المؤمنين . حدثني مكحول قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (أيما عبد جاءته موعظة من الله فى دينه فانها نعمة من الله سيقت اليه فان قبلها بشكر والا كانت حجة عليه من الله تعالى ، ليزداد بها اثما ، ويزداد الله عليه بها سخطا) ، يا أمير المؤمنين : حدثني مكحول قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم . (أيما وال بات غاشا لرعيته حرم الله عليه الجنة) . يا أمير المؤمنين ، ان الذى لين لك قلوب هذه الأمة حتى ولاكم أمورهم لقرابتكم من نبيه صلى الله عليه وسلم ، وقد كان بهم رؤوفا رحيما مواسيا نفسه بهم فى ذات يده ، وانك عند الناس لحقيق أن تقوم فيهم بالحق ، وأن تكون بالقسط فيهم قائما ، ولعوراتهم ساترا ، لم تغلق عليك دونهم الأبواب ، ولم تقم عليك دونهم الحجاب ، تبتهج بالنعمة عندهم ، وتبتئس بما أصابهم من سوء .

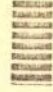
يا أمير المؤمنين ، قد كنت فى شغل شاغل من خاصة نفسك عن عامة الناس الذين أصبحت ملكهم – أحمرهم وأسودهم ، ومسلمهم وكافرهم ، فكل له عليك نصيبه من العدل ، فكيف اذا اتبعك منهم فئام (٢) وراءهم فئام ليس فيهم احد الا وهو يشكو بلية أدخلتها عليه أو ظلامة سقتها اليه ؟ .

يا أمير المؤمنين ، حدثني مكحول عن عروة بن دويم قال : كانت بيد النبي صلى الله عليه وسلم جريدة يتسلك (٣) بها ، ويروع بها المنافقين ، فأتاه جبريل

---

(١) محاسن المساعى – ص ٤٢ و ٤٣ .

(٢) الفئام : الجماعة من الناس لا واحد له من لفظه .(٣) تسلك فعل مطاوع سلك .



عليه السلام فقال : (يا محمد هذه الجريدة التي كسرت بها قرون أمتك وملأت قلوبهم رعبا) .

فكيف بمن شق أبشارهم ، وسفك دماءهم ، وخرب ديارهم وأجلاهم عن بلادهم ، وغيبهم بالخوف منه ؟ .

يا أمير المؤمنين ، حدثني مكحول عن زياد بن حارثة عن حبيب بن مسلمة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا الى القصاص من نفسه حين خدش أعرابيا خدشا لم يتعمده ، فأتاه جبريل عليه السلام فقال : (يا محمد ان الله لم يبعثك جبارا ولا متكبرا) ، فدعا النبى صلى الله عليه وسلم الأعرابي فقال : (اقتص منى) فقال الأعرابى : قد أحللتك بأبى أنت وأمى ، ما كنت لأفعل ذلك أبدا ولو أبت علي نفسي ، فدعا له بخير .

وعلى هذا الفرار استمر فى نصحه ، فخوفه الله تعالى والنار ، وذكره بزوال الملك ، والحساب على الصغيرة والكبيرة ، وعظم له تبعة الملك ، وعطفه على الرعية ... الى أن نهض فقال الخليفة : الى أين ؟ فقلت الى البلد والوطن باذن أمير المؤمنين ان شاء الله تعالى ، فقال : قد أذنت لك ، وشكرت لك نصيحتك ، وقبلتها بقبول حسن ، والله الموفق للخير والمعين عليه ، وبه أستعين ، وعليه أتوكل وهو حسبي ونعم الوكيل ، فلا تخلني من مطالعتك اياى بمثل‌هذا ، فانك المقبول غير المتهم فى النصيحة ، قلت : أفعل ان شاء الله تعالى . قال محمد بن مصعب : فأمر له بمال يستعين به على خروجه ، فلم يقبله .

وقال : أنا فى غنى ، وما كنت لأبيع نصيحتي بعرض من الدنيا ولا بكلها . وعرف المنصور مذهبه فلم يَجِد عليه فى رده (١) .

وفاته ورثاؤه

توفى هذا الامام الذى أدهش الناس وكان قدوة لهم خلقا وعلما وصلاحا وجهادا وأدبا، عام ١٥٧هـ (٧٧٣م)(٢)ولم يخلف الا ستة دنانير فضلت عن عطائه (٣) .

وممن رثاه الأديب النسيب الفاضل عبد اللطيف الياسوفى فقال :

ضاق الفؤاد بما يغشى من الكرب
مذ مات شيخ التقى والعلم والأدب(٤)

ورثاه بعضهم بقوله :

جاد الحيا بالشام كل عشية
قبرا تضمن لحده الأوزاعي
قبر تضمن فيه طود شريعة
سقيا له من عالم نفاع
عرضت له الدنيا فأعرض مقلعا
عنها بزهد أيما اقلاع (٥)

(١) محاسن المساعى ـ ص ١٢٣ ـ ١٢٧ ثم ١٣٤ ـ ١٣٦ اذ لخصنا القسم المحذوف تلخيصا .
(٢) الأعلام للأستاذ خير الدين الزركلى ـ ج ٢ ـ ص ٥٠٢ .
(٣) محاسن المساعى ـ ص ٤٤٥ .
(٤) محاسن المساعى ـ ص ١٦٤ .
(٥) محاسن المساعى ـ ص ٢٦ .

« الوعى الاسلامي » وقبره الآن بلبنان فى محلة عرفت بمحلة الاوزاعى متصلة ببيروت جنوبا على شاطىء البحر وعلى الطريق بين بيروت وصيدا .

الفتاوى

فى الرضاع

السؤال : ـ

امرأة أرضعت ولدى ـ ولهذه المرأة بنت ـ فهل يجوز لي شرعا زواج هذه البنت ؟ .

م . ن ـ الكويت

الاجابه : ـ

الرضاع يوجب التحريم حرمة مؤبدة شرعا ـ وهو ثابت بالكتاب والسنة قال تعالى « حرمت عليكم أمهاتكم وبناتكم ... وامهاتكم اللاتى أرضعنكم وأخواتكم من الرضاع » وقال عليه الصلاة والسلام « يحرم من الرضاعة ما يحرم من النسب. ويشترط فى الرضاع المحرم أن يكون فى سن الارضاع كما يشترط الا يقل عن خمس رضعات متفرقات على ما ذهب اليه الامام الشافعى .

وهذه البنت تعتبر أختا لولدك من الرضاع اذا كان الرضاع مستوفيا شرائطه . ولكن العلماء استثنوا حالات لا يحرم فيها الزواج بسبب الرضاعة لانعدام العلاقة التي هي سبب التحريم فى النسب وهي الجزئية ، ومن هذه الحالات ما ذكر فى الشرح الكبير ص ٥٠٤ ج ٢ . أم أخيك وأختك (٢) أم ولد ولدك (٣) جدة ولدك (٤) أخت ولدك (٥) أم عمك وعمتك (٦) أم خالك وخالتك .

وبما أن البنت التي تريد الزواج منها هي أخت لولدك رضاعا فيجوز لك الزواج منها لانعدام سبب التحريم بسبب الرضاع ، ولو كانت أختا لولدك من النسب لما صح لك زواجها لأنها اما بنتك وهى محرمة عليك او بنت زوجتك من آخر وهي أيضا محرمة . اذ القاعدة الشرعية مجرد العقد على البنات يحرم الامهات ، والدخول بالامهات يحرم البنات .

لذلك

نفتيك بأنه لا مانع شرعا من زواجك بأخت ولدك من الرضاع لانعدام سبب التحريم .

فى الميراث والوصية

السؤال : ـ

١ ـ توفى رجل وترك أختا شقيقة ، وأختا لأب ، وأبناء أبناء أعمام أشقاء فمن يرث من هؤلاء ومن لا يرث ، وما نصيب الورثة ؟

٢ ـ أوصى رجل بثلث ماله لأجنبي ، ثم توفى الموصي ، ويريد أخوته صرف الثلث الموصى به لدار الايتام لصرفه على المساجد ، فهل يجوز ذلك شرعا ؟ .

فلاح قاسم ـ خطيب مسجد قصر نايف
الكويت

الاجابة عن السؤال الأول :

توزع تركة المتوفى على النحو الآتى :

١ ـ النصف لأخته الشقيقة فرضا .

٢ ـ السدس لأخته لأبيه تكملة للثلثين .

٣ ـ الباقي وهو الثلث للذكر من أبناء أبناء الأعمام الأشقاء بالتساوى بينهم بشرط أن يكونوا فى درجة واحدة .

الاجابة عن السؤال الثاني :

الوصية شرعا تصرف فى التركة يضاف الى ما بعد الموت ، وهي جائزة فى حدود الثلث للأجنبي وان لم يجزها الورثة لقوله صلى الله عليه وسلم « ان الله تعالى تصدق عليكم بثلث أموالكم فى آخر أعماركم ، فضعوها حيث شئتم » .

وبما أن المتوفى أوصى حال حياته لأجنبى بثلث ماله ، فهذه الوصية جائزة شرعا ، وبوفاة الموصى ينتقل ملك الثلث الموصى به الى الموصى له ، ولا يجوز لأخوات الموصى التغيير فى الوصية ، بأى حال من الأحوال .

السؤال : ــ

١ ــ توفيت ابنتي عن زوجها ، ووالدها (أنا) وأمها (زوجتي) وثلاثة أخوة أشقاء ذكور وأختين شقيقتين .

٢ ــ ثم توفيت زوجتي (والدة ابنتي المتوفاة) عنى أنا زوجها وأولادها الخمسة المذكورين فأرجو بيان نصيب كل وارث فى السؤالين ؟ .

أحمد علي ــ الكويت

الاجابة : ــ

١ ــ توزع تركة البنت المتوفاة على النحو الآتى :

١ ــ لزوجها النصف فرضا لعدم وجود فرع وارث قال تعالى « ولكم نصف ما ترك أزواجكم ان لم يكن لهن ولد » .

٢ ــ ولأمها السدس فرضا لوجود جمع من الأخوة حجبت بهم حجب نقصان من الثلث الى السدس . قال تعالى « فان كان له أخوة فلامه السدس » .

٣ ــ ولوالدها الباقي وهو الثلث ، ولا شيء للأخوة لأنهم محجوبون بالأب .

٢ ــ توزع تركة الزوجة المتوفاة على الوجه الآتى :

١ ــ لزوجها الربع فرضا قال تعالى « فان كان لهن ولد فلكم الربع مما تركن » .

٢ ــ لأولادها الخمسة الباقي وهو ثلاثة أرباع التركة للذكر مثل حظ الانثيين .

المحلل

السؤال : ــ

طلقت زوجتي ثلاث طلقات ، ولما أردت الرجوع اليها قالوا : لا تحل لك حتى تنكح زوجا آخر ، وقد تقدم أحد أصدقائي للزواج منها ، ووعد بتطليقها بعد دخوله عليها ، لأتزوجها من بعده ، فهل يجوز ذلك شرعا ؟ .

حسن الكرخى
العراق ــ الموصل

الاجابة : ــ

قال تعالى فى سورة البقرة . (الطلاق مرتان فامساك بمعروف أو تسريح باحسان) ثم قال سبحانه بعد ذلك فى الآية ٢٣٠ من السورة نفسها (فان طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره) .

ومعنى هذا أن الانسان اذا طلق امرأته طلقة ثالثة بعد طلقتين سابقتين لا يحل له ان يعاشرها حتى تتزوج بغيره زواجا شرعيا ، وشرط صحة الزواج ان يقصد به الدوام والاستمرار .

وهذا الذى تقدم للزواج من زوجتك السابقة لم يقصد بزواجه منها الدوام والاستمرار ، وانما قصد به ان يحللها لك ، وزواج التحليل منهى عنه شرعا قال صلى الله عليه وسلم (لعن الله المحلل والمحلل له ـ ألا أخبركم بالتيس المستعار . قالوا بلى يا رسول الله . قال هذا المحلل . لعن الله المحلل والمحلل له) وروى عن عمر بن الخطاب انه قال : لا أوتى بمحلل ، ولا محلل له الا رجمتهما . وقد أفتى الامام ابن تيمية بتحريم نكاح المحلل ، وبه نفتيك .

بأقلام القراء

يعبرون فيه عن أفكارهم دون أن تلتزم المجلة بآرائهم

الاسلام والحياة

كتب الأستاذ عدنان سعد الدين من دبى تحت هذا العنوان مقالا نقتطف منه ما يلى :

لقد تعرض الاسلام ـ شأنه شأن الاديان التى سبقته والنظريات التى لحقته ـ للهجوم والنقد والدحض بمختلف الطرق والأساليب ، ومع ذلك ظل ثابتا كالطود ، وشامخا كالشم الراسيات قادرا على قبول جميع التحديات الحضارية والمذهبية ، مدللا على انه وحده محط آمال شعوب الأرض قاطبة، وقد حاول خصومه دحضه بالأسلوب نفسه الذى اتخذه خصوم المسيحية فى أوربا مستهدفين عزله عن شؤون الحياة وحصره بعيدا عن كل التحولات الاجتماعية وحياة الناس ، ولكن جميع البراهين والأدلة التى حشدها هؤلاء كانت تأتي بنتائج عكسية على غير ما يروم أصحابها .

فالقياس الذى استندوا اليــه فى تشبيه التاريخ العقائدى فى أوربا بمثله فى البلاد العربية والاسلامية قياس خاطىء يفتقر الى التجانس والتقابل بين وجهى الشبه .

فاذا كان تاريخ أوربا العقائدى وتطوره الحضارى قد سار الى طريق الفصل بين كل ما هو زمنى وما هو دينى او ما هو مادى وما هو روحى ، واذا كانت غاية ذلك اغتصاب فكرة التنظيم الاجتماعى من الدين فان هذه النتيجة لا تتوائم مطلقا وطبيعة كياننا الحضارى فى اندماجه مع الاسلام من ناحية ، ومن التوافق المتين ما بين التنظيم الاجتماعى والاعتبارات الروحية من جهة أخرى .

وبمعنى آخر اذا كان الدين قد انفصل عن الدولة فى الحضارة الاوروبية ، وتأكد هذا الانفصال فى كثير من الفلسفات والمذاهب الاجتماعية ، كما دعم تاريخيا فى الثورتين الفرنسية والبلشفية ، فليس لهذا الانفصال محل فى الحضارة العربية التى ما كانت لترى الوجود لو لم تعرف الاسلام ، ولسنا فى حاجة الى الاستشهاد بالنصوص والتفاسير فهذا اكبر من التدليل عليه وانما نعرض لرأى أحد المفكرين الغربيين السيد « ك.سميث » فى كتابه الاسلام فى العالم الحديث حيث يقول :

لا ينظــر الاسلام الى التصرفات الفردية على أنها تصرفات وقتية ، وانما هو يعلم أن لكل حركة يتحركها الانسان دلالتين فى آن واحد احداهما عارضة فى هذا العالم الدنيوى الزائل ، والأخرى خالدة فى العالم الباقى حيث يسأل كل فرد يوم الحساب عن نصيبه الشخصى فيها ، أما التصرفات الجماعية فانها تمثل أكثر المحاولات الجدية اصرارا فى سبيل تحقيق عدالة اجتماعية فى الأرض .

ولئن اعتقد المسلمون أن الحياة الآخرة أهم من الحياة الدنيا ، الا أنهم اعتقدوا فى ذات الوقت أنه لا يجوز أن يجرفهم مجرى التاريخ الى غير غاية ، وأنه لا يكون لهذا التاريخ معنى الا بقدر ما يتحقق فيه الكمال الانسانى فى هذا العالم ، ولهذا السبب يصر المسلمون على التسامى فى كل خطوة يخطوها المسلمون فى العملية التاريخية وفى هذا ضمان ان لا ينحرف الانسان خلال سيره فى التاريخ أمام ما يحققه من تقدم ، وهذا طبع التاريخ الاسلامى بسمات خاصة ومميزة ، لقد سعى المسلمون داخل هذا التاريخ الى نوع

من المجتمع يكون مناسبا للفرد وللجماعة فى حياتهم الزمنية ، وأن يكون صالحا فى نفس الوقت لأن يهيئهم لحياة الخلد فى العالم الآخر وذلك بالتزام الحق وطريق الاستقامة .

اللقاء الأول بين مالك والشافعى

وأرسل السيد آدم الفضل من بور سودان كلمة تحت هذا العنوان يقول فيها :

وصل الى الامام الشافعى وهو بمكة يفتى ويحدث خبر امام المدينة مالك بن أنس ، فعزم الشافعى على الرحلة الى المدينة لمقابلة امامها والجلوس بين يديه للدرس والتعلم ، وأخذ كتاب توصية من والى مكة الى والى المدينة ليسهل له لقاء مالك ، ويقص علينا الشافعى نبأ الرحلة والكتاب واللقاء فيقول :

دخلت على والى مكة ، وأخذت كتابه الى والى المدينة ، وقدمت المدينة ، وأبلغت الكتاب الى الوالى فلما قرأه قال : ان أمشى من جوف المدينة الى جوف مكة حافيا راجلا ، أهون على من المشى الى باب مالك بن أنس فلست أرى الذل حتى أقف على بابه ، فقلت : أصلح الله الأمير ، ان رأى الأمير أن يوجه اليه ليحضره ، فقال هيهات ، ليت انى اذا ركبت اليه أنا ومن معى ، وأصابنا من تراب العقيق نلنا بعض حاجتنا ، قال الشافعى : فوالله لكان كما قال ، لقد سرنا الى مالك ، وأصابنا من تراب العقيق حتى وصلنا الى بابه ، وقرع الأمير الباب فخرجت الينا جارية سوداء ، فقال لها الأمير : قولى لمولاك انى بالباب فدخلت فابطأت ، ثم خرجت فقالت ان مولاى يقرئك السلام ، ويقول لك : ان كانت لك مسألة ، فارفعها فى رقعة يخرج اليك الجواب ، وان كان للحديث فقد عرفت يوم المجلس فانصرف ، فقال لها : قولى له ان معى كتاب والى مكة اليه فى حاجة مهمة ، فد خلت وخرجت وفى يدها كرسى ، فوضعته ، ثم اذا انا بمالك قد خرج وعليه المهابة والوقار ، وهو شيخ طويل مسنون اللحية فجلس ، فرفع اليه الوالى الكتاب ، فقرأه حتى بلغ الى هذه الفقرة منه (وان هذا رجل من أمره وحاله ، فتحدثه ، وتفعل وتصنع ..) ، فرمى مالك بالكتاب من يده ، وقال : سبحان الله !! أوصار علم رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤخذ بالوسائل ، فرأيت الوالى قد تهيب أن يكلمه ، فتقدمت اليه ، وقلت : أصلحك الله . انى رجل مطلبى من حالى وقصتى كذا وكذا ، فلما سمع كلامى نظر الى ، وكان لمالك فراسة ، فقال ما اسمك) قلت : محمد . فقال : يا محمد اتق الله ، واجتنب المعاصى، فانه سيكون لك شأن من الشأن . ان الله قد القى فى قلبك نورا ، فلا تطفئه بالمعصية ، اذا كان الغد تجيء .

وجاء الشافعى فى اليوم التالى ومعه كتاب الموطأ ، ليقرأه على مالك ، فابتدأ يقرأه ، فأعجب مالك بحسن قراءته ، فكان الشافعى كلما تهيب الاستمرار فى القراءة ، يقول له مالك : زد يا فتى ، ولذلك أتم الشافعى قراءته على مالك فى أيام يسيرة .

وهكذا كان حرص المتعلمين على العلم وجهادهم فى سبيل تحصيله، كما كانت عزة العلماء وكرامتهم.

الخط

وأرسل الأستاذ عبد المنعم محمد حلمى عبد الرحمن الخطاط بمراقبة التخطيط والمتابعة بمحافظة القاهرة قصيدة تحت هذا العنوان جاء فيها :

الخط مما أنتجته نهى البشر ... بل انه حصن له فيه استقر
ماذا يكون الحال لو لم يخترع ... خط ؟ أتحتفظ المدارك بالاثر ؟ ! !
العلم تحفظه الخطوط وليس يحـ ... ـفظها سواها فى القواعد والصور
الخط حصن للحضارة شامخ ، ... وظهوره بدءا قديما فى الحضر
والدين حث على الكتابة أهله ... فالخط أمر من قديم ذو خطر
خير التراث تراثنا يا قومنا ... ولتسألوا ـ ان شئتموا ـ من قد خبر
ما للخطوط تأخرت فى عصرنا ! ... والخط للعرب الأماجد مفتخر
الغرب يفخر بالقليل فكيف لا ... نهتم بالماضى ولا بالمبتكر
هيا نعد للخط سابق مجده ... فالخط كنز للعروبة مدخر
والفضل للاسلام فى تجويده ... ان المهيمن بالاجادة قد أمر

مكافحة الامية فى الاسلام

تحت هذا العنوان طالعنا الملحق الدينى لصحيفةالجمهورية القاهرية بمقال جاء فيه :

لقد كانت دعوة الاسلام التى بشر بها محمد عليه الصلاة والسلام فى القرن السابع الميلادى ، ثورة اجتماعية شاملة بأجلى معانيها ، قصد بها المشرعالحكيم أن يربط الارض برسالة السماء من طريق صلاح النفس وصلاح المجتمع ، ولا يتأتى صلاح النفسوصلاحالمجتمع الا عن طريقالعلم .. فالعلم هو السبيل الى تحرير العقل البشرى وتطهيره من رواسب الجهلوزيف الباطل وخداع الاوهام والاساطير، وتيسير أمره للاهتداء الى الحق ، وتهذيب النفس حتى تصبح طاقةقوية قادرة على المساهمة فى اصلاح المجتمع بالامر بالمعروف والنهى عن المنكر .

كان الاسلام ثورة على الجاهلية التى قامت علىالشرك بالله ، والاضرار بالناس ، وكان من مظاهر الجهالة التى ضربت أطنابها ، ونشرت ظلماتها فىربوع قريش أن الكثرة الغالبة من العرب كانتمحرومة من معرفة القراءة والكتابة ، فكانت هذه المعرفةقاصرة على قلة قليلة من قريش وردت أسماؤهم فى التاريخ على سبيل الحصر ، منهم الخلفاء الراشدونعمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وعلى بن أبى طالب ، وأربعة عشر رجلا غيرهم .

وكانت أول دعوة الاسلام للناس دعوة الى تعلمالقراءة ، وهى دعوة ثورية جديدة على العرب ، مغزاها أن الانسان يشرف ويكرم حين يقرأ ويتعلم ويكتببالقلم ، فليست قيمته فى هيئته وصورته ، ولا فى بأسه وقوته ، ولكن فى علمه .. فالذى يستحق به أنيكون خليفة الله فى الارض هو اكتسابه العلم .

ولما كانت القراءة والكتابة هىأولى درجاتالعلم،فقد بدأ الاسلام بالحث على العلم من طريق تعلم القراءة والكتابة ، وكان أسلوبه ثوريا بالقول وبالفعل،فبالقول نزلت الآيات تذكر القراءة فى مستهلها ، وتدعو بقوة الى العلم وتمجد العلماء ، وحث عليهالصلاة والسلام فى مواضع كثيرة من أحاديثه على طلب العلم حتى جعله فريضة على كل مسلم ومسلمة ..وبالفعل اتخذ محمد عليه الصلاة والسلام بشأن تعليم القراءة والكتابة موقفا يعبر عنه بلغة العصربأنه موقف قيادى يستهدف التعبئة والتجنيد وحشد الجهود ، فالقائد هو الذى يتخذ جميع الاجراءاتالمشروعة الكفيلة بحل المشكلات الاساسية ، مثل مشكلة الأمية ولو كان هذا الاجراء سياسيا أو حربيا ،لان مثل هذه المشكلة لا تقل فى آثارها عن خطر حال يهدد كيان الدولة .

ويتجلى هذا الأسلوب فيما اتبعه الرسول عليهالصلاة والسلام بعد غزوة بدر الكبرى ، فلقد عرض على أسرى المشركين اطلاق سراح من يفتدى منهمنفسه بتعليم عشرة من أبناء المسلمين القراءة والكتابة .. فالأسير يشترى نفسه بثمن يتكافأ مع تحريرهوضمان حياته ، وهو أن يمحو أمية عشرة من الجيل الصاعد للمسلمين الذى سينهض بمسئولياته فىالمرحلة المقبلة من تاريخ الدعوة الاسلامية ، وفى ذلك احياء لنفوسهم ، لان الجهل هو الموت المعنوى ..ولكى تحرر دولة عليك أن تحرر الانفس من عبودية الجهالة وتضىء بصيرتها بنور المعرفة حتى يصبحأهلها أعضاء صالحين فى جسد المجتمع أشداء على الأعداء ، رحماء بينهم ففى هذا الصنيع حكمة سامية ،تدل على القيمة الكبيرة التى رفع النبى صلى الله عليه وسلم اليها منزلة تعليم القراءة والكتابة ، حتىجعلها بمثابة فدية للنفس ، فالتعليم أكثر جدوى من المال وأولى بالطلب من الثار .

اهداف التشريع الاسلامي

وتحت هذا العنوان كتب الدكتور وهبه الزحيلىفى مجلة حضارة الاسلام الدمشقية مقالا جاء فيه :

ثبت بالاستقراء والتتبع أن الاحكام الشرعية كلهاشرعت لتحقيق مصالح البشر ، اما لجلب المنفعة لهم أو لدفع المفسدة والضرر عنهم بدليل قوله تعالى« رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل » وقوله سبحانه (وما أرسلناكالا رحمة للعالمين) وهذه الرحمة ظاهرة فى أحكام الاسلام كاباحة الفطر فى رمضان للمسافر والمريض .وحكمة ذلك دفع المشقة عنهما ، وكاستحقاق الشفعة للشريك والجار لدفع الضرر عنهما ، وكايجاب الصلاةللنهى عن الفحشاء والمنكر ، وكتشريع الجهاد لرد العدوان ودفع الظلم ، وكفرض الزكاة لصيانة المالوسد حاجة أبناء المجتمع ودعم التضامن بين الافراد . وهكذا لم نجد حكما شرعيا الا وكان الباعث عليههو رعاية المصالح ودرء المفاسد . ولكن ينبغى الانتباه الى أن معيار المصلحة والمفسدة هو ما يقرره الشارعالحكيم ، وليس بحسب ما يتخيله الناس بحسب أهوائهم وأغراضهم ، فان الناس يهدفون دائما الىمراعاة مصالحهم الخاصة ونبذ اعتبارات المصالح العامة ، أو بتعبير آخر مصلحة الانسان العام ، فاذاقام التشريع وفقا لمعايير الناس انقلبت الاوضاع وعم الفساد وساءت الحال ، بل وتأثرت المصالح الخاصةنفسها بذلك ، فكان من رحمة الله بالناس فىالتشريع أن قصد حفظ التوازن بين مصالح المجتمع ومصالحالفرد حتى ولو أهدرت مصلحة الفرد أحيانا ، وفى ذلك الخير كله .

.... أمة تنتحر !

ونشرت صحيفة الشعب البيروتية تقول :

والعنوان ليس من عندنا بل هو للكاتبالبريطانىالمعروف (آرثر كوستلر) أطلقه على كتاب له أخرجه حديثا ووصف فيه الحياة المذهلة التى يعيشها شعبهاليوم .

ففي ميدان الجريمة ، اجتاحت انكلترا أخيراموجة الاجرام الطاغى ، وأعقبتها سلسلة من حوادث السطو المحبوكة على البنوك ومحال المجوهرات ،ومكاتب البريد ، وقوافله ، ومحطات السكك الحديدية . وفى كل هذه الحوادث كان البوليسموضعا للعدوان بالضرب والقتل .

وانتشر (وباء التخريب) . دون هدف وفى عامواحد خربت أجهزة مائة ألف تليفون عمومى وراح ضحية ذلك كثيرون ممن كانت حالتهم تستدعىالاسعاف ، ولكن تخريب وسائل المواصلات حال دون اسعافهم وكذلك فى حالات الحرائق .

وأصدرت مصلحة السكك الحديدية بيانا هذاالعام قالت فيه انها تخسر سنويا ملايين الجنيهات بسبب التخريب ، واصطدام القطارات وضياعالأرواح ، بسبب وضع أجسام غريبة على القضبان .

وارتفعت نسب الجرائم الجسيمة الى ٣ أضعافما كانت عليه سنة ١٩٣٨ - أى قبل الحرب العالمية الثانية ، وزادت جرائم العنف ثمانية أضعاف وجرائمالاحداث ٢٢ ضعفا ، وزادت فرصة الهرب للصوص المنازل بنسبة ٦ - الى واحد !

وفسر العلماء النزعة الى تخريب المنشآتبالملل من الحياة ، والسخط العام !

وقال المعلقون فى الصحف البريطانية ان السطوعلى ممتلكات الغير ، طريقة مستحدثة لتوزيع الثروة !

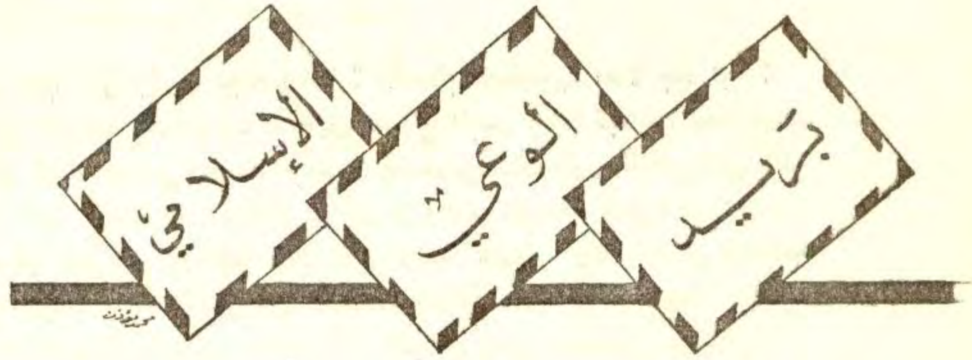
وفى ميدان الفضائح ، يتزاحم الانجليز اليومعلى متابعة التفاصيل المثيرة عن جرائم الجنس ويتهافتون على شراء ما يكتب عنها .

وفسر المعلقون البريطانيون ذلك بأن الانجليز يتحررونمن عقدهم عن طريق الفضائح .

ومن الظواهر الجديدة فى انكلترا اليوم الخلط بين ثياب النساء والرجال ، وبلغ من أمر ذلك أن شابا طويل الشعر ، مجعده أغمى عليه بسبب حادث طريق ،فنقل الى المستشفى وأدخل قسم النساء خطأ !

وشكا موظفو ادارة حمام السباحة المعروف(هامبستيد) من أنهم باتوا عاجزين عن تمييز الفتيات من الشبان حتى يدخلوا كل فريق الى كبائنه الخاصة.

ثم ماذا عن فرق الغناء والموسيقى وليستقاصرة على « البيتلز » (الخنافس) كما هو شائع . بل هناك عشرات الفرق التى اتخذت لها أسماءعجيبة مثل : فرقة الحيوانات ، والصخور ، والتويست ، والترومبى . والروكر . والبيتيك... الخ .



القوانين وحدها لا تكفى فى ردع المنحرفين

ان رمضان المبارك على الابواب ، وواجب المسلمين أن يصوموه ، ويحترموه ، واذا لم يقوموا باحترامه ، فيجب على ولى الامر أن يردعهم بالقوة .. وما رأيك فى أن حرمة رمضان تنتهك جهارا نهارا، فبعض الناس يفطرون ، ويدخنون بكل وقاحة أمام الناس وتحت نظر المسئولين، وهذا يسبب الضيق للمتمسكين بفضيلة الصوم .

فلماذا لا تطالب مجلتكم الغراء ، وهى مجلة اسلامية تقوم بنشر الوعى الاسلامى بين الناس . لماذا لا تطالبون بسن قوانين تحول دون انتهاك هؤلاء المجاهرين بالفطر لحرمة هذا الشهر .

المحب لدين الله
عبد الله المحتاج الى الله ـ الكويت

جميع الدوائر الحكومية والهيئات والمؤسسات العامة فى الاقطار الاسلامية تصدر فى غرة رمضان من كل عام تعليمات وأوامر مشددة للعاملين فيها بوجوب مراعاة حرمة هذا الشهر الكريم . وتقوم من جانبها باغلاق جميع المقاصف والمشارب فى مبانيها : وتشدد فى منع تقديم المشروبات لكائن من كان داخل مكاتبها ومصالحها طيلة هذا الشهر الكريم ، كما تحظر اقامة المآدب الرسمية فى نهاره سواء فى بلادها ، أو فى سفاراتها فى الخارج ، وبعض الدول الاسلامية تأخذ بالشدة المجاهرين بالفطر ، فتقبض عليهم ، وتحتجزهم فى السجون حتى ينتهى شهر الصوم ، وعدد قليل من أصحاب المطاعم والمشارب يغلقون أبواب حوانيتهم فى نهار رمضان ، وعلى الرغم من هذه الاوامر والتعليمات والتقاليد الاسلامية الاصيلة فانا نشهد فى نهار رمضان أفواجا من المسلمين القادرين على الصوم يأكلون ويشربون ويدخنون ، ولا يتوارون عن العيون ، ولا يستحون من الله .

وما أظن أن القوانين التى تطالب بسنها لهؤلاء المجاهرين بالفطر كافية وحدها لردعهم وزجرهم ، فكم من الجرائم ترتكب مع وجود التشريعات التى تقضى بأقسى العقوبات على مرتكبيها ، وما قانون العقاب على الاتجار فى المخدرات وتعاطيها المنفذ فى بعض البلاد العربية ببعيد ، فهذا القانون يقضى بالسجن المؤبد عليهم ، ومع هذا فان هذه العقوبة الشديدة لم تستأصل شأفة الغاوين الضالين .

وليس معنى هذا أن نسقط من حسابنا أثر القوانين فى تقويم المعوج ، وردع المنحرف ، أو أننا لا نطالب بأخذ المفطرين بالشدة ، ولكننا نحمل أنفسنا ـ نحن الرأى العام المسلم ـ تبعة تمادى هؤلاء المستهترين فى جرأتهم على الله وتحديهم لشعور الصائمين وذلك لاننا نعينهم على المعصية بسكوتنا عليهم ، بل أكثر من هذا اننا نجاملهم ونصادقهم ولا نجابههم بالامتعاض والاستياء من مسلكهم الشائن ، واستخفافهم بشعور الصائمين ، وقد أدت هذه السلبية من جانبنا الى انهم أصبحوا لا يشعرون بخجل ، ولا حياء وهم يتناولون المفطرات أمام أعين الناس ، بينما نجد شارب الخمر يتوارى عن الاعين عند الشراب ، ويستنكف أن يراه الناس وهو يشرب ، لأنه يحس فى أعماق نفسه أن المجتمع الذى يعيش فيه لا يقره على هذه المعالنة ،

والمجاهرة . فالرأى العام اليقظ يفرض الحصـــار ،ويضيق الخناق على الخارجين على مثله وقيمه ، وعقائده وتقاليده ، والاسلام يفرض على كل فرد فى المجتمع أن يقوم بواجبه فى تطهير البيئة التى يعيش فيها من الرذائل ، ويعمل جهده على اشاعة الفضائل بين ظهرانيها ، ولهذا نجد الرسول صلى الله عليه وســـلم قال « ان اللـــه يزع بالسلطان مالا يزع بالقرآن » وقـال « من رآى منكم منكرا فليغيره » وقال « أفضل الاعمال الحب فى الله والبغض فى الله ».

لماذا يختلف استعداد الناس للنوم

اطلعت على مقال النوم والصحة المنشور فى العدد السابع عشر للدكتور أحمد شوكت الشطى وجاء فيه :

أن من الناس من ينام بسرعة ، فيغط فى النوم عقب اضطجاعه ، ومنهم من لا ينام الا بعد تقلب طويل فى الفراش ، ومنهم من ينام فى الضجيج والنور . وانى رأيت عدة أشخاص يقصون على أنهم ينامون بمجرد اطلاعهم على كتب او مجرد استماعهم الى حديث طويل يلقى عليهم .

فما سبب هذا الاختلاف .

(السيد/ق.ق.ع/الجمهورية العربيـة المتحدة ـ العباسـيـة)

وقد أحلنا هذه الرسالة على السيد الدكتور كاتب المقال ، فبعث الينا ـ مشكورا ـ بالرد التالى :ـ

ان لاسباب اختلاف النوم فى بعض الناس واضطرابه عوامل عديدة منها :

١ ـ الاكثار من الطعام قبل المنام ، وتناول ما ثقل من الغذاء ، فى مائدة العشـاء .

٢ ـ الاكثار من الشاى والقهوة خاصة فى المساء .

٣ ـ هلع النفس من حزن أو هم ، وخوف أو غم .

٤ ـ تعب العقل الشديد .

ذلك غيض من فيض مما يؤثر فى النوم ، تضاف اليه عوامل وراثية وخلقية تؤدى الى خفة النـوم وعدم الاستغراق فيه فان عصبي المزاج أقل نوما من لنفاوييه .

أما رؤيتكم أشخاصا ينامون بمجرد اطلاعهم عـلى كتاب فيرجع الى تثبيت نظر القارىء مع استرخاء عضلاته استعدادا للنوم ، وكذلك يؤدى الاستماع الى حديث طويل غير مزعج لانه أى الحديث يبعد عـن السامع ما يشغل فكره ، ويلابس خاطره ، فيستسلم للنوم .

أما الانسان الذى ينام بسرعة فيغط فى النوم عقب اضطجاعه فهو عادة صحيح الجسم ، معتدل الاكل ، متزن العقل ، مرتاح الضمير ، سليم الفكر ، ناعـم البال ، غير معرض للبلبال ، وقد يكون ذلك فيه وليد تراث سعيد ، جاءه من أب قريب أو جد بعيد .

وفى كل حال ، ان الرياضة وتفريغ الأمـعاء فى المساء ، وتخفيف العشاء ، والاكتفاء فيـه بأغذيـة نباتية ، وألوان لبنية ـ لبن ومشتقاته ـ والاستعاضة عن شرب الشاى بالبابونج والزيزفون وماء الزهر ورفع الرأس بمخدة اضافية عند النوم وهدوء الجسم والفكر ، عوامل جالبة لنوم هادىء مكافحة للارق واضطراب النوم .

وفى الغرب زعم لا أومن به يقول : ان التفكه بالتفاح جالب للنوم حتى الصباح .

هذا ولا بد لى قبل انهاء هذه الكلمة من القول أن استعمال المرقدات ـ المنومات ـ التى كثيرا ما توصف بالبراءة غير جائز لانها كثيرة الأذى ، ومن جملة أذاها الاعتياد عليها ، وعدم النوم الا بها . أما استعمال الأدوية الرائجة اليوم والمنعوتة بالمهدئة فجائز بين حين وحين ونافع لمن كان سبب اضطراب نومهم هلعا أو متاعب عقلية أو ثورات نفسية أرقتهم وجعلت نومهم مضطربا .

أخبار العالم الإسلامي

الكويـــت

*** تفضل حضرة صاحب السمو أمير البلاد المعظم صباح السـبت ١٥ رجب ١٣٨٦ هـ ــ ١٩٦٦/١٠/٢٩ بافتتاح دور الانعقاد العادى التكميلى لمجلس الامة .**

*** قال سمو امير البلاد المعظم فى حديث لمجلـة ((السياسـة)) الكويتية : ان الديمقراطية لا يمكن أن تقوم الا على العدل والحرية والمساواة والاعتزاز بحرية الفرد والحرص على الجماعـة ، .**

*** قال سمو الشيخ جابر الأحمد الصباح ولى العهد ورئيس مجلس الوزراء فى تصريح له : متى نشبت المعركة فلن تكون سوريا وحدها فى الميدان بل ستكون الامة العربية كلها الى جانبها .**

* بدأت الدراسة بجامعة الكويت يوم السبت ١٥ أكتوبر ١٩٦٦ وذلك فى حفل كبير برئاسـة سعادة السيد/خالد المسعود الفهيد وزير التربية ، وفي ٢٧ نوفمبر المقبل سيفتتحها سمو أمير البلاد المعظم رسميا فى حفل كبير دعى لشهوده عدد كبير من وزراء التربية ومديرى الجامعات فى الدول العربية وبعض الدول الاجنبيـة .

* أوصى المؤتمر التربوى الاول المنعقد فى الفترة بين ٨ – ١٩٦٦/١٠/١٥ أن تهتم المدارس بالتربيـة الدينية عن طريق الممارسـة والقدوة .

* رفعت اللجنة الدائمة للمعونات الاسلامية الخارجية تقريرا الى معالى وزير الاوقاف والشئون الاسلامية التوصيات الخاصة بمعونات جمعيات منتدى المرأة المسلمة بالعراق ، والتوجيه الاسـلامى بدمشق ، والدعوة الاسلامية فى جاكرتا ، وتواصل اللجنة دراساتها بشأن بعض الجمعيات الاخرى .

* غادرت الكويت الى الجزائر طائرة تحمل المعونة التى أمر بها أمير البلاد المعظم لمنكوبى الاعاصير هنـاك .

* تسلم الاستاذ مصطفى الزرقا رئيس قسم القانون المدنى بجامعة دمشق عمله كمشرف على تنفيذ مشروع موسوعة الفقه الاسلامى الذى تضطلع به وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية .

القاهـــرة

* وجه فضيلة الامام الأكبر شيخ الجامع الأزهر بيانا فى العيد الواحد والعشرين للأمم المتحـدة اشار فيه الى أن الاسلام نادى بالحرية والاخاء والمساواة قبل أربعة عشر قرنا ، وأوجب ضرورة أن تكون لمبادىء المنظمة الدولية فعاليتها .

*ضمن مشروع تعليم الصلاة بالاسطوانة يعد المجلس الاعلى للشئون الاسلامية بالاشتراك مـع صوت العـرب ثلاثة أرباع مليـون اسـطوانة بالاسـبانية وثلاثة أرباع مليـون اسـطوانة بالاردية ومثلهـا بلغة الهوسـا وستوزع هذه الاسطوانات على المسلمين فى أسبانيا والهند وباكستان ونيجيريا .

* اعتمدت وزارة الأوقاف مبلغ ثلاثة ملايين جنيه هذا العام لتعمير المساجد القديمة فى داخل الجمهورية وفى لبنان وليبيا وتنزانيا والكاميرون والصومال والعراق واليمن ودول اسلامية اخرى .

* ووفق على استقدام خمسة طلاب من مسلمى كوريا الجنوبية للتعليم فى الأزهر لأول مرة .

* علم أن وفدا اسلاميا يمثل الجبهة الاسلامية فى نيجيريا والصومال سيزور الجمهورية العربية المتحدة والعراق والأردن وسوريا ولبنان . ستنظم الجامعة العربية هذه الزيارات .

* قدم الأزهر لوفد جبهة تحرير ساحل الصومال الفرنسى منحا دراسية لابناء الصومال الفرنسى .

السعودية

* طلبت المملكة العربية السعودية من الجمعية العامة للأمم المتحدة اعلان جنوب افريقيا دولة استعمارية عنصرية متمردة على الأمم المتحدة .

سوريا

* يقف الشعب السورى فى حالة تأهب واستعداد لمجابهة الاعتداء الصيهونى المنتظر .. وقد بلغ عدد الذين يتدربون الان من الشعب على استعمال السلاح ١٥٠ الفا .

الأردن

* افتتح جلالة الملك الدورة الجديدة لمجلس الامة فى أواخر اكتوبر الماضى .

* تعكف الجامعة العربية على وضع دراسة عن أدب وثقافة البلاد العربية وقد طلبت من الأردن ٥٠. كتاب بأقلام أدباء وكتاب أردنيين .

* أعلن وكيل وزارة الداخلية أن لجنة الحج التى يترأسها ستبحث مع السلطات السعودية موضوع شراء قطعة أرض للحجاج الأردنيين .

الجزائر

* احتفلت الجزائر مع شقيقاتها العربيات بالذكرى الثانية عشرة لبدء الثورة الجزائرية فى أول نوفمبر سنة ١٩٥٦ ثورة المليون شهيد التي انتهت باستقلال البلاد .

لبنان

* وزع مبلغ ٢٥٠ ألف ليرة من ميزانية الاسعاف الاجتماعى لمساعدة المشاريع الاجتماعية التى تقوم بها المؤسسات الخيرية .

الباكستان

* الفيلم الصهيونى ((الوصايا العشر)) منع عرضه فى باكستان لتضمنه حقائق مشوهة وأكاذيب لمناصرة الصهيونية .

* تم اتفاق بين الهند والباكستان على مد خط تليفونى مباشر بين رئيس أركان حرب الجيش فى كل منهما بقصد تحقيق السلام والحيلولة دون أى اشتباك .

أخبار متفرقة

جزر مالديف

صرح السيد أحمد حلمى ديدى مندوب مالديف فى الأمم المتحدة أن من مبادىء بلاده الالتزام بتعاليم الاسلام والتعايش السلمى وعدم الانحياز ، والرغبة فى اقامة علاقات صداقة مع جميع الدول على أساس هذه المبادىء .

واشنطن

قررت الجمعية الاسلامية الأمريكية بناء مركز اسلامى يطلق عليه أسم مؤسسة جنوب كاليفورنيا الاسلامية فى لوس انجلوس يضم مسجدا ومدرسة ومكتبة وعيادة طبية وقاعة للمحاضرات ، وسيعين به امام من جامعة الأزهر .

ماليزيا

تشترك ١٦ دولة اسلامية فى الحلقة الدولية الرابعة لقراءة القرآن هذا العام وينتظر أن تدعى للاشتراك فيها اندونيسيا وايران وباكستان .

واشتد حزن موسى عليه السلام ، وراح يستغرق فى صلاة عميقة ، ودعاء عريض ، مبتهلا الى الله أن يكشف عن أمر هؤلاء العصاة ! ليكون له معهم شأن ، وليرشد القوم عنهم ليخرجوهم من ديارهم ، أو يتصرفوا فى الامر بما يرون ، وبينما كان موسى فى ذلك الابتهال العميق ، والليل يتقدم ، والظلام يتكاثف كان القوم فى يقظة وهم فى عجب من الأمر ، لقد تولى عنهم النوم فلم يرحمهم برحمته وتركهم فى سهاد كئيب .

***

وهناك فى أقصى القرية .. أخذ انسان يتسمع وقع الخطى ، حتى اذا اطمأن الى أن أحدا لا يراه ، خرج الى العراء وبيده سكين ، وراح يتحدث فى نفسه فيقــول :

ويحى .. أى بلاء هذا الذى كنت سببا فى نزوله بقومى ! ؟

وأى عذاب لهم كنت أنا ناسج بردته ، وصانع كيانه ، ليس لى من تكفير عما جنت يداى الا ان أغمد هذا السكين فى أحشائي لاموت .

وهم أن يفعل ، وهم أن يغمد السكين فى قلبه ، ولكن قوة لا يعرف كنهها ومصدرها أمسكت بيمينه .. لا تمت كافرا ايها الرجل ، وسمع رجع الصدى من أعماقه يهتف به : أقم فى مكانك هذا تائبا نادما مصــليا مســتغفرا ، وانظر ماذا يكون من أمر الغد .

***

وذهب الناس الى موسى مرة أخرى .. أيها النبي الكريم أدع لنا ربك فقد عظم بنا البلاء .

وتقدم موسى الصفوف ، وأخذ يعتلى مدارج الجبل ، والجميع من خلفه يصعدون ، وجموع النسوة والاطفال فى الانتظار الرهيب والشوق الى تحقيق الرجاء .

وتركزت الابصار فى اتجاه موسى عليه السلام ، وخشعت القلوب فى انتظار كلمات الدعاء ، وراحوا من ورائه يرددون الكلمات ويبتهلون .

وجاءت صيحات من بعيد .. صيحات صغار رأوا غيمة شديدة تأتي مهرولة فى كبد السماء ، كأنما يسوقها سائق ، واختلط الحابل بالنابل ، وأخذ الجميع يمعنون النظر الى السماء .

وصاح آخرون .. الكرامة .. لقد بدأ الرذاذ .. وأخذ الجميع يهرولون مكبرين مهللين ، لقد تفتحت أبواب السماء بسيل منهمر .

وشرب الناس وارتووا وعاودتهم الصحة ، وسعت اليهم العافية ، وأخذ كل انسان يهنىء أخاه برضوان الله ، ولما ذهب عن الناس البأس ، راحوا الى موسى ليجمعهم الى صلاة الشكر ، وسأله سائل منهم :

من هو العاصي الذى كان سبب بلوانا يا نبي الله ؟

وتبسم موسى ضاحكا ... فقد كان يعرف الجواب ، لقد توجه بهــذا السؤال الى ربه ، فكان الجواب كيف يا موسى أنهاك عن النميمة ولا أستر عليه ؟ لقد تاب وشملتكم جميعا رحمة الله ، وتفتحت لكم ابواب السماء ...

مكتبة المجلة

تثبيت دلائل النبوة

لقاضى القضاة عبد الجبار بن احمد الهمزانى وحقق الكتاب وقدم له الدكتور عبد الكريم عثمان وقامت « دار العربية » للطباعة والنشر والتوزيع بيروت لبنان بطبع الجزء الأول من هذا الكتاب وهو الذى أهدى للمجلة ويحتوى على ٣٩٧ صفحة وبه كثير من الموضوعات التى تتعلق بحياة النبى صلى الله عليه وسلم الاجتماعية والسياسية .

الغرب والشرق الأوسط

كتاب من تأليف الأستاذ برنارد لويس رئيس قسم التاريخ فى كلية الدراسات الافريقية والشرقية بجامعة لندن وعربه الدكتور نبيل صبحى ويقع فى ٢٢٣ صفحة ويتناول الموضوعات الخاصة بالشرق الأوسط من الناحية التاريخية والجغرافية والثقافية ، وكذلك الحركات السياسية والفكرية .

الاسلام فى الشرق الاقصى وصوله وانتشاره وواقعه

للدكتور قيصر أديب مخول عميد الكلية الجامعية وأستاذ الفلسفة فى جامعة الفلبين وقام بتعريب الكتاب الدكتور نبيل صبحى ويحتوى الكتاب على ١٨٩ صفحة ويشتمل على نظريات فى وصول الاسلام وانتشاره فى ماليزيا من الناحية التاريخية والتجارية والسياسية ودور الحركة الصوفية فى هذا الانتشار وبيان تأثير الثقافة الاسلامية فى جنوب الفلبين والكتاب من طباعة « دار العربية » للطباعة والنشر والتوزيع بيروت لبنان .

الحب والحياة

للشاعر ابراهيم محمد نجا الفائز بجائزة الشعر الأولى من مجمع اللغة العربية بالقاهرة والديوان يقع فى ٢٢٤ صفحة ويحتوى على تسع وعشرين قصيدة وهو من منشورات دار الآداب بيروت ـ لبنان .

الأمثال الدارجة فى الكويت

من جمع وشرح الأستاذ عبد الله آل نورى والكتاب فى جزأين يحتوى كل جزء على ٢٥٨ صفحة من اصدار مكتبة دار اعلام الفكر بيروت .

والمثل فى كل لغة خلاصة الحكمة فيها ، يتجلى فيه القول المأثور فى ايجاز ، كثيرا ما يبلغ حد الاعجاز فيسير على الألسن ويشيع بين الناس وتكاد هذه (الأمثال الدارجة) ألا تكون وقفا على الكويت بل لها نظائر أخرى فى البلاد العربية واللغات الحية الأخرى والقارىء للكتاب سيلمس هذا بنفسه حين يستعرض تلك الأمثال ...

بحث جديد عن القرآن الكريم

الكتاب الأول من سلسلة تاريخ الاسلام بقلم الاستاذ محمد صبيح والتى تصدرها دار الثقافة العامة وهو بحث فى (٢٠٦) صفحة يتعرض الى لغة القرآن والفاظه ومعانيه من الناحيتين البلاغية والتاريخية .

قواعد الاسلام خمس وخمس

دراسة جديدة فى أعماق الدعوة الاسلامية للأستاذ محمد صبيح أيضا وهو الكتاب الثانى من سلسلة تاريخ الاسلام التى تصدر عن دار الثقافة العامة .. والكتاب طبع بالقاهرة فى (٢٠٢) صفحة عبارة عن شرح واف جديد لقواعد الاسلام الخمس وقد أضاف المؤلف اليها خمسا أخرى هى : العمل وحسن المعاملة ، العدل والصحة ، الوسط ، الجهاد فى سبيل الله .

اقرأ فى هذا العدد

((الى راغبى الاشتراك))

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك فى المجلة . ورغبة منا فى تسهيل الامر عليهم ، وتفاديا لضياع المجلة فى البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات عندنا من الان ، وعلى الراغبين فى الاشتراك ان يتعاملوا رأسا مع متعهد التوزيع عندهم ، وهذا بيان بالمتعهدين ،

القاهرة : شركة توزيع الاخبار ــ ٧ شارع الصحافة

مكة المكرمة : مكتبة الثقافة للصحافة . ص‌ب ١٤٦

المدينة المنورة : مكتبة ومطبعة ضياء ــ السيد محمد زين العابدين ضياء

الرياض : مكتبة المدينة ــ ص‌ب ١٩ ــ السيد احمد باصريح

الطائف : مكتبة الثقافة للصحافة ــ عمارة ابن الملوح ــ ص‌ب ٢٢

جده : مكتبة الصلاح العالمية ــ عمارة البنك الاهلى ص‌ب ٦٣٥

بغداد : مكتبة المثنى ــ السيد قاسم محمد الرجب

الخبر : مكتبة النجاح الثقافية ــ ص‌ب ٧٦ ــ السيد محمد سعيد بابيضان

البحرين : المكتبة الوطنية وفروعها ــ المنامة ــ السيد فاروق ابراهيم عبيد

قطر : مكتبة الثقافة ــ الدوحة ــ ص ب ٨٤٢

قطر : مكتبة العروبة ص.ب : ٥٢

عدن : وكالة الاهرام التجارية ــ السيد محمد قائد محمد

المكلا : ص ب ٢٨ ــ حضرموت ــ مكتبة الشعب المحدودة

دبى : ساحل عمان ــ ص‌ب ٢٦١ ــ السيد عبد الله حسن الرستمانى

مسقط : المكتبة الاهلية ص ب ١٥٧

عمان والقدس : وكالة التوزيع الاردنية ــ السيد رجا العيسى

دمشق : الشركة العامة للمطبوعات ص‌ب : ٢٣٦٦

بيروت : الشركة العربية للتوزيع ص ب ٤٢٢٨

السودان : ــ الخرطوم ــ السيد حسن نجيله ص ب ٤٢٤

بور سودان : السيد عطا المنان . مكتبة كررى ص‌ب : ٣٠٣

مراكش : الدار البيضاء ــ مكتبة الوحدة العربية ــ السيد احمد عيسى

ليبيا : طرابلس الغرب ص‌ب ١٣٢ ــ السيد محمد بشير الفرجانى

بنغازى : مكتبة الوحدة العربية ص‌ب ٢٨٠ ــ السيد الشعالى الخراز

الكويت : مكتب منار للتوزيع ٢١ شارع فهد السالم ص‌ب : ١٥٧١

ونوجه النظر الى أنه لا يوجد لدينا الان نسخ من الاعداد السابقة من المجلة



الامام عبد الرحمن بن محمد الاوزاعى

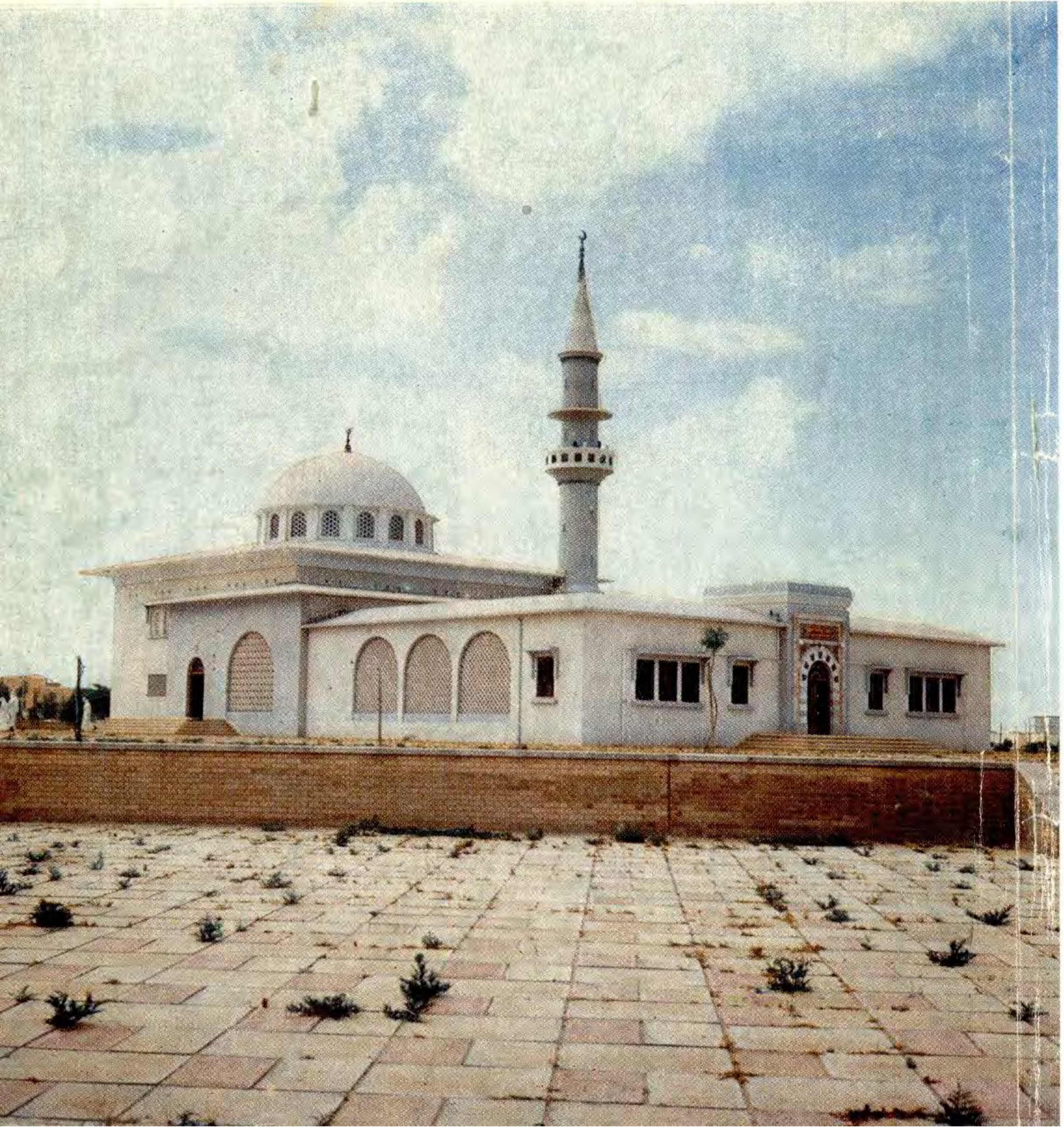
مطبعة حكومة الكويت

الوعي الإسلامي

إسلاميّة ثقافيّة شهريّة

((رسالة الصيام))
هديتك مع هذا
العدد

العدد الحادى والعشرون ـ السنة الثانية ـ رمضان ١٣٨٦ هـ ـ ١٣ ديسمبر ١٩٦٦ م

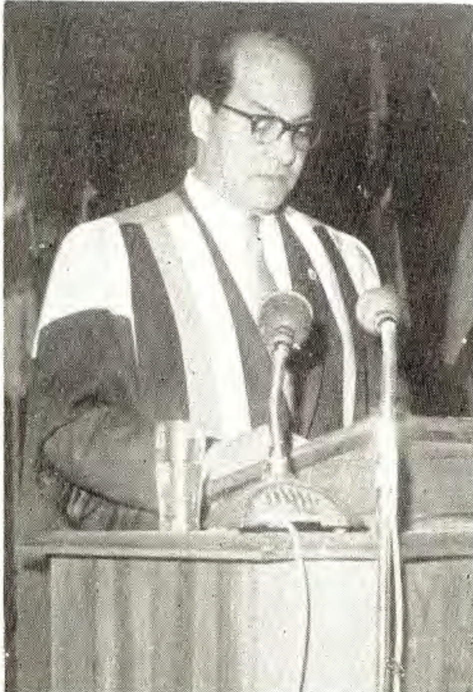




صاحب السمو الامير المعظم يستقبل فى قصر السيف العامر وفود الدول الشقيقة والصديقة الذين شهدوا حفل افتتاح الجامعة .



سعادة السيد خالد المسعود وزير التربية يلقى كلمته فى حفل افتتاح الجامعة .



الدكتور عبد الفتاح اسماعيل مدير الجامعة يلقى كلمته .

الوعي الإسلامي

اسلامية ثقافية شهرية

العدد الحادى والعشرون ـ السنة الثانية

غرة رمضان سنة ١٣٨٦ هـ

١٣ ديسمبر (كانون الأول) ١٩٦٦ م

تصدرها وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية بالكويت فى غرة كل شهر عربي

المجلة حرة ، والوزارة غير مسئولة عما ينشر فيها من آراء

هدفها : المزيد من الوعى ، وايقاظ الروح ، بعيداً عن الخلافات المذهبية والسياسية

المشرف العام

عبد الرحمن المجحم

رئيس التحرير

عبد المنعم النمر

مدير التحرير

على عبد المنعم

سكرتير التحرير

رضوان البيلى

صورة الغلاف



مسجد الخالدية بالكويت
قامت ببنائه حديثا وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية على الطراز الاسلامي بمنطقة الخالدية الجديدة

الثمن

الكويت	٥٠	فلسا
السعودية	١	ريال
العراق	٧٥	فلسا
الاردن	٥٠	فلسا
ليبيا	١٠	قروش
الخليج العربي	١	روبية
اليمن وعدن	٧٥	فلسا
لبنان وسوريا	٥٠	قرشا
مصر والسودان	٤٠	مليما

الاشتراك السنوى للهيآت فقط

فى الكويت ١ دينار
فى الخارج ٢ ديناران
(أو ما يعادلهما بالاسترليني)
أما الافراد فيشتركون رأسا مع متعهد التوزيع كل فى قطره

عنوان المراسلات : مجلة الوعى الاسلامي ـ وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية ـ الكويت ص . ب ١٣ ـ هاتف ٢٢٠٨٨

الإحتفال الرسمي بافتتاح جامعة الكويت

جامعة نحرص عليها ونرعاها

كلمة صاحب السمو أمير البلاد المعظم

كان يوم الاحد ١٤ من شعبان عام ١٣٨٦ هـ. الموافق ٢٧ نوفمبر ١٩٦٦ م. يوما حافلا وفاصلا فى تاريخ الكويت وتطورها العلمى أو هو الحدث الرابع فى تاريخ الكويت الحديث بعد ظهور النفط ، واعلان الاستقلال ، وافتتاح مجلس الامة بها ـ كما قال سعادة وزير التربية السيد خالد المسعود فى كلمته .. فقد تفضل حضرة صاحب السمو أمير البلاد المعظم بافتتاح جامعتها الوليدة فى هذا اليوم فى حفل علمى عالمى كبير تشهده البلاد لاول مرة ، وتوج حفل الافتتاح بكلمة تاريخية وأبوية كريمة يسر مجلة « الوعي الاسلامي » مشاركة منها فى هذه المناسبة التاريخية أن تسجلها فى افتتاح هذا العدد لهذا الشهر المبارك فالا حسنا لحياة هذه الجامعة التى نرجو أن تجنى الكويت والبلاد العربية والاسلامية ثمراتها الطيبة فى هدى من نور الايمان والاخلاص للاوطان .

قال سموه حفظه الله :

حضرات الضيوف الكرام ،
حضرات السادة
أبنائى أساتذة الجامعة وموظفيها وطالباتها وطلابها .
السلام عليكم ورحمة الله ، وبعد .

فباسم الله العلي القدير نفتتح ـ جامعة الكويت ـ صرحا شامخا نتوج به هامة التعليم فى بلادنا ، وحصنا راسخا ذخيرته العلم والبحث العلمي ، نحمي به نهضتنا ، ونقيها عوامل التخلف أو الجمود ، بل ونصعد بها سلم المجد درجة من بعد درجة ، على دعائم قوية من عقول وسواعد أبناء البلاد .

جامعة نعتز بها ، ونفخر ، ونضع فيها من الطاقات والامكانيات ما يجعلها قادرة على أداء رسالتها كاملة ، لتكون على شاطئنا منارة مرموقة للعلم والبحث العلمي .. لا فى هذا الجزء من عالمنا العربى فحسب ، ولكن بين أترابها من جامعات العالم كلها ، .. جامعة نحرص عليها ونرعاها ، ففيها بناتنا وأبناؤنا وهم درة حياتنا ، وأغلى شيء لدينا .. وهم فوق ذلك الدعامة الاولى لمستقبل



سمو الامير المعظم يزيح الستار عن اللوحة التذكارية للجامعة عند افتتاحها .

هذا الوطن ، ومحط آماله وأمانيه ، وثروته الحقيقية ، لا تدانيها أى ثروة أخرى مهما بلغت وايا كانت .

أيها السادة الكرام .. أبنائى الاعزاء ،

فى هذه اللحظة التاريخية التى تمثل قمة من قمم المجد فى بلادنا ، ومرحلة من مراحلها الخالدة ، يطيب لى أن استمطر الرحمات على الاجداد الاوائل الذين عاشوا على هذه الارض الطيبة سنين وسنين فى ظروف من العيش قاسية وحافظوا على أرض الوطن بالعرق والدمع والدم . ومتى ذكر هؤلاء الاجداد الاوائل ، فان النفس مدفوعة بطبيعتها الى المقارنة بين قسوة عهدهم ، ونضارة عهدنا نحن الابناء والاحفاد .

اننا مدينون بالكثير مما نحن فيه الآن الى العلم أمضى اسلحة التقدم فى هذا العصر .. فالعلم هو الذى كشف تحت رمال الصحراء عن الكنوز النفطية الدفينة .. والعلم هو الذى حول هذا النفط الى طاقة فعالة ، وتلك الطاقة الى نهضة مباركة .. ظهرت معالمها فى كل مكان عمرانا شاملا وخدمات صحية واجتماعية .. ومستوى من المعيشة ، بكل وسائلها ، لا يكاد يدانيه مستوى لدى غيرنا من الشعوب العريقة .. والجامعات فى وقتنا الحاضر هى منابت العلم ومصانع العلماء ، ولهذا فجامعة الكويت الفتية التى نحتفل اليوم بافتتاحها ، هى خير ما يمكن أن تهديه حكومة هذا البلد الى شعبه الوفى ، والى شبابنا الذى يقع عليه العبء الاول فى تخطيط مستقبل هذا البلد وتشكيله ، بعون من الله وتوفيقه ، لكى يظل علم نهضتنا المباركة مرفوعا عاليا ، فوق الهامات ، جيلا بعد جيل ، عبر الزمن .

وانه ليسعدنى فى هذا اليوم الاغر فى تاريخ بلادنا ، أن أوجه التحية والتقدير الى كل يد أسهمت فى اقامة صرح هذه الجامعة .. والى كل يد تمتد الى العمل من أجلها وتدعيمها .. والى الضيوف الكرام الذين شاركونا يومنا هذا . والله أدعو أن يوفقنا حكومة وشعبا ويسدد خطانا ، ويمنحنا القوة والعزم ، لما فيه خير بلدنا الحبيب ، والعروبة ، والانسانية جمعاء .

والسلام عليكم ورحمة الله .

بسم الله الرحمن الرحيم

أخي القارئ

عقد فى طوكيو باليابان مؤتمر طبى عالمى ، خلال شهر سبتمبر الماضى ، ونشرت بعض الصحف العربية فى لبنان والأردن أخبارا عن هذا المؤتمر طيرتها وكالة « رويتر » للأنباء ، تنسب فيها الى الصيام تسببه فى احداث قرحة بالمعدة .

ومما لا شك فيه أن مثل هذا الخبر يلفت نظر القراء ، ويشغل جزءا من تفكيرهم ، ولا سيما المسلمين منهم ،مما حمل الكثيرين على أن يبعثوا الينا برسائلهم ، ومعها القصاصة الخاصة بهذا الموضوع ، وكانت طليعة هذه الرسائل رسالة جاءتنا من السيد حمد يعقوب صادق من الكويت يقول فيها :

« أبعث لسيادتكم مع هذا ما كتبته جريدة النهار البيروتية بعددها الصادر فى ٢٥ أيلول (سبتمبر) ١٩٦٦ ، تحت عنوان (صيام رمضان له علاقة باحداث القرحة فى المعدة) وفى آخر كتابه يطلب منا (أن تقول المجلة رأيها فى هذا الموضوع) الذى يبدو فيه التهجم على أحكام الاسلام »

ثم كانت الرسالة الثانية بعدها من السيد / رفيق صالح الشريف من القدس . نقل فيها نص البرقية ثم قال : « هذا ما نشرته بالحرف الواحد احدى الصحف اليومية بالأردن ، ورأيت من واجبى أن أكتب اليكم لتبينوا للناس الحقيقة ، وتزيلوا بعض الشك الذى أصاب بعض الناس .. » .. ثم توالت بعد ذلك رسائل القراء بصورة عبرت عن غيرتهم ووعيهم .

ونحن من جانبنا لا يسعنا الا أن نحيى هذه الروح ، ونشكر لأصحابها غيرتهم ويقظتهم ، ومبادرتهم بالكتابة الينا بما نشر عن هذا الموضوع ، الذى قد يتخذ منه بعض المتحللين وسيلة وعذرا للتملص من الصيام باسم هذا الذى أثير وقيل فى المؤتمر الطبى ، كما قد يتخذ منه بعض المغرضين سلاحا يهاجم به الاسلام فى ركن هام من أركانه وهو الصيام ..

واننا وكل المؤمنين معنا بحكمة الله فيما شرعه لنا من عبادات وغيرها ، لم نتردد لحظة واحدة فى الحكم على ما نشر عن المؤتمر بأنه زيف ، وبعيد عن الواقع ، اذ لا يمكن أن الله يأمرنا بشىء نتعبده به ، ونتقرب اليه بعمله ، ويكون من شأنه أن يحدث ضررا لصحة الانسان ، أو يعرضه لخطر مثل هذا المرض .

فالله سبحانه قد أحل لنا الطيبات ، وحرم علينا الخبائث حفظا لصحتنا ، وصيانة لأرواحنا ، وأموالنا ، وعقولنا . وهدف الشارع من كل تشريعاته انما هو الصيانة . فاذا كان الانسان مريضا ، أو يعرض لخطر المرض من وراء أمر أمرنا به ، أعفانا الله من هذا الأمر حفظا لصحة الجسم .

والقواعد والأسس العامة فى هذا مأخوذة من نص القرآن الكريم نفسه : « لا يكلف الله نفسا الا وسعها » « ما جعل عليكم فى الدين من حرج » « يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر » . فهل يمكن بعد هذا أن يقوم تكليف من التكاليف الأساسية فى العبادات كالصيام على أساس أنه يضر بالصحة ويحدث القرحة ؟ هذا ما يرفضه العقل بداهة من أول لحظة ، قبل أن يتصدى له الايمان بالانكار ..

وقد كان أول مظهر لهذا ما أجمعت عليه الرسائل التى وصلت الينا من تعليق على هذه البرقية يتهم المؤتمرين ووكالة الأنباء بالغرض والحقد على الاسلام ، والرغبة فى تشويهه ، كما يفعل الكثيرون من الحاقدين ..

ومع هذا فقد رأينا بمجرد وصول أول رسالة الينا ، أن هذا الموضوع لا يصح أن يترك يمر على الناس دون توضيح يزيل كل لبس ، فربما يترك فى نفوس المتحللين ـ كما قلنا ـ عذرا يتخذونه تعلة لما يريدون من افطار ، فى الوقت الذى يتخذه الحاقدون حجة للطعن على الاسلام ، مدجلين على الناس باسم ما قيل ونشر ..

ولهذا رأينا أن نعقد على صفحات ((الوعى الاسلامى)) مؤتمرا طبيا آخر ، وبالمراسلة ، حيث يقرر كل طبيب رأيه فى هدوء عن هذا الموضوع .. فبادرنا بطبع البرقية الواردة من طوكيو .. وأرسلناها لكبار الاطباء فى الكويت وفى العالم العربى.. ومن هؤلاء الأطباء الدكتور منذر دقاق المندوب العربى السورى فى مؤتمر طوكيو ـ لا المصرى ـ كما ذكرت البرقية ، وطلبنا منهم أن يبدوا رأيهم الطبى فيما نشر عن المؤتمر .

وقد بادر كثير من اخواننا ـ مشكورين ـ بالاستجابة الينا ، وارسال آرائهم الطبية عن هذا الموضوع ، مدعمة بالاختبارات والاحصائيات ، وذلك فى وقت مناسب ، أتاح لنا أن نقدمها اليك فى هذا العدد .. لتقرأها وتزداد ايمانا بربك وحكمته ولطفه ..

ولم نقف بالأمر عند هذا الحد ، بل رأينا أن نرسل الى جريدة النهار فى بيروت خلاصة هذه البحوث ، وجعلنا فى طليعتها ما قرره الدكتور منذر دقاق مما تراه فى مقاله المنشور فى هذا العدد . وذلك لتنشره فى المكان الذى نشرت فيه برقيتها عن المؤتمر .

ولا شك أنك سترى من هذه البحوث الطبية ، بعد أن تقرأها بتمهل ـ كيف أن الايمان العميق بالله ، والرضا البصير بقضائه يجنبان الانسان كثيرا من الامراض الخطيرة ، ويمنحانه من السعادة والراحة النفسية مالا يستطيع الحصول عليه بدونه ، ولو كانت الدنيا كلها ملك يمينه ورهن اشارته ، حتى ولو وصل الى القمر واستعمره..

وسترى كذلك ـ وهذا هو ما أحب أن ألفت اليه الأنظار بنوع خاص ـ كيف أن الطريقة التي أرشدنا اليها رسول الله صلى الله عليه وسلم وبخاصة فى صيامنا وفطورنا وسحورنا هى الطريقة المثلى التى يؤكد الطب الحديث على اتباعها ، توفيرا لصحة الانسان ، وتلافيا لأضرار قد تنزل به .

لاحظ ما يقوله الطب عن آثار القلق ، والانفعال النفسى ، والتهيج العصبى فى رمضان ـ بخاصة ـ على معدة الانسان ، ثم لاحظ ما أرشدنا اليه الرسول صلى الله عليه وسلم ((اذا كان صوم يوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب فان سابه أحد أو قاتله فليقل انى صائم)) . ويلوذ بالهدوء التام .

وقارن بين ما يقوله الطب عمن يسارعون بملء بطونهم ، وتكديس الطعام فيها عندما يحين وقت الافطار ، وبين ما أرشدنا اليه الرسول وسنه بعمله من كيفية الافطار .

وتأمل ما أرشدنا اليه الرسول صلى الله عليه وسلم من الافطار على تمر ، وطبعا بعد التمر الماء وأنت تقرأ ما قرره نابغة الطب وفقيده المرحوم الدكتور أنـور المفتى ـ وتراه فى ((رسالة الصيام)) التي توزع هدية لك مع هذا العدد ـ من شدة حاجة المعدة والجسم عند الافطار فى رمضان الى مادة سكرية أولا ، وكان التمر فى المدينـة هو المادة السـكرية المتوفـرة ..

قارن ، ثم ادع الله معى : ((وقل رب زدنى علما)) وايمانا وتسليما ،

رئيس التحرير

هَدي الرسول صلى الله عليه وسلم في تبليغ الدعوة والدفاع عنها

الشيخ علي عبد المنعم عبد الحميد
المستشار الثقافى لوزارة الأوقاف
والشئون الاسلامية

روى الترمذى وأحمد والنسائي وابن ماجة عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال :

لما أخرج رسول الله من مكة وهاجر الى المدينة قال أبو بكر رضي الله عنه : اخرجوا نبيهم . انا لله وانا اليه راجعون ، ليهلكن القوم ، فأنزل الله سبحانه على نبيه . (أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير) قال أبو بكر : فعرفت أنه سيكون قتال .

الاسلام دين أخوة وسلام ، لا يدعو فى تعاليمه الأصيلة الى قتال مسلح أبدا لحمل الناس على الدخول فيه قوة واقتدارا ، وأبرز ما وصى به اتباعه فى هذا الصدد ، هو أن يحملوا نوره الى البشرية قاطبة ، ويعرضوا هداه فى لطف ورفق ، يقول الله تبارك وتعالى : (ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هى أحسن ان ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين (١)) . . قال المفسرون لهذه الآية الكريمة . (وخلاصة ذلك . اسلك فى الدعوة والمناظرة الطريقة المثلى ، وهى الدعوة بالتي هى أحسن وليس عليك غيرها ، أما الهداية والضلال والمجازاة عليهما ، فالى الله سبحانه لا الى غيره ، اذ هو أعلم بحال من لا يرعوى عن الضلال لسوء اختياره ، وبحال من يصير أمره الى الاهتداء لما ينطوى بين جنبيه من الخير ، فما شرعه لك فى الدعوة هو الذى تقتضيه الحكمة ، وهو كاف فى هداية المهتدين وازالة عذر الضالين) . وقال سبحانه قولا واضحا لا لبس فيه ولا غموض ، ولا يحتاج الى العدول عن

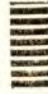
(١) سورة النحل ١٢٥ .

ظاهره ، يوضح تماما بأدنى نظر أن الحق أبلج وأن الباطل لجلج ، فيكفى الكشف عن مزايا الحق وهو الاسلام ، وتبيين زيف الباطل والكفر بالحسنى بعيدا عن أى اكراه ، وثبت ذلك بالآية الكريمة . (لا اكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم (١)) ومعنى ذلك . لا اكراه على الدخول فى الاسلام فقد بان خيره ووضح « لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد » (٢) فمن تأمل وفكر ثم ترك من تكون عبادته سببا فى الطغيان والبعد عن الحق والهدى انسانا كان أو وثنا ، أو تقليدا لمارق أو اتباعا لهوى ، ثم آمن بالله الواحد الأحد ، واعترف بقلبه وفعله بصدق الرسل عليهم الصلاة والسلام ، وأنهم مبشرون ومنذرون بأوامر الله وحده ونواهيه، فقد استمسك بأوثق عرى الفوز والنجاة ، وأقوى وسائل الخير والنجاح ، والله سبحانه يسمع ويعلم ما تبدى وما تكن الصدور ، وروى ابن جرير عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رجلا من الأنصار أسلم وكان له ابنان بقيا بعد اسلام أبيهما على دينهما ولم يسلما ، فقال الرجل ويدعى الحصين ـ للنبى صلى الله عليه وسلم . ألا استكرههما ؟ أى أأحملهما على الاسلام مكرهين ؟ حيث أبيا الدخول فيه طائعين ، وفى رواية أنه حاول ، بل وشرع فى اكراههما فعلا ، فاختصموا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال الرجل يا رسول الله : أيدخل بعضي النار وأنا أنظر ؟ . فنزلت الآية الكريمة (لا اكراه فى الدين . .) فخلاهما أبوهما وما يعبدان . . . وفى سورة فصلت رسمت الآية (٣٣) الطريقة المثلى للدعوة الى الله . . قال تعالى (ومن أحسن قولا ممن دعا الى الله وعمل صالحا وقال انني من المسلمين) . ومن أصدق من الله قيلا ؟ من أجل وأفضل وأحسن ممن يرشد الناس الى الله تعالى بقوله الصادق ، ثم يطبق ما يفعل على ما يقول ، لأن القدوة العملية أجدى وأكمل ، والمثل الأعلى فى هذا هو رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد كان سيدنا الحسن بن علي رضي الله عنهما اذا تلا هذه الآية الكريمة يقول : (هذا رسول الله ، هذا حبيب الله هذا ولى الله ، هذا صفوة الله ، هذا خيرة الله ، هذا والله أحب أهل الأرض الى الله ، أجاب الله فى دعوته ، ودعا الناس الى ما أجاب اليه) . ثم أشارت الآية التالية لهذه رقم (٣٤) من السورة نفسها الى أن هذا عمل لا يتحمله الا من عرف أن السيئة لا تكافىء الحسنة ، فيجب على الداعى أن يختار الأفضل فكلما صد وعودى وعورضت دعوته من الجاحدين دفع شرهم بخير الدعوة التي هى أحسن ، حتى يلين قلب قاسيهم ويسلس قياد عاصيهم ، ويدركوا من حسن صنيعه معهم جمال ما يحمل اليهم من سعادة وخير ، فينخرطوا فى سلكه ويوالوه ويتصدروا هم لحمل الهداية الى سواهم . . . قال تعالى : (ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هى أحسن فاذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم) قال عمر رضي الله عنه : « ما عاقبت من عصى الله فيك بمثل أن تطيع الله فيه » وقال ابن عباس رضي الله عنهما : « أمر الله نبيه فى هذه الآية بالصبر عند الغضب ، والحلم عند الجهل، والعفو عند الاساءة فاذا اقتدى المسلمون به صلى الله عليه وسلم فى هذا عصمهم الله من الشيطان واخضع لهم عدوهم » . وهضم هذا المعنى من الآية الكريمة مؤمن صادق الايمان وتمثله شعرا فقال :

سألزم نفسي الصفح عن كل مذنب
وان كثرت منه لدى الجرائم

---

(١) سورة البقرة ٢٥٦ .
(٢) سورة ق ٣٧ .



فمـا النـاس الا واحد من ثلاثـة
شريـف ومشروف ومثـل مقـاوم
فأما الذى فـوقي فأعـرف قدره
وأتبع فيه الحـق والحـق لازم
وأما الذى دونى فان قال صنت عن
اجابتـه عرضـى وان لام لائـم
وأمـا الذى مثل فان زل أو هفـا
تفضلت ان الفضـل بالحلم حاكـم

وقال آخر فيمن عادوه :

فان نهشوا عرضى وقرت عروضـهم
وان هووا غيى هـويت لهم رشـدا

ثم جاءت الآية الكريمة رقم (٣٥) من نفس السورة فأشادت بفضل سلوك هذا الطريق طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الدعوة الى الله تعالى وبينت أن هذا هو سبيل أولى العزم من الرسل عليهم الصلاة والسلام وضخمت حظ من سار على شاكلتهم قال تعالى : (وما يلقاها الا الذين صبروا وما يلقاها الا ذو حظ عظيم) . قال المفسرون : (.. وما يتقبل هذه الوصايا وينسج على منوالها ويطبقها تماما على سلوكه الا الصابرون على تحمل التكاليف الشاقة والقادرون على تجرع مرارة الشدائد والكاظمون الغيظ والتاركون الانتقام لأنفسهم لأن هذه أمور شاقة صعبة المنال ، لا يتحملها فى مجرى العادة الا من عصمه الله ووفقه » . نسأل الله أن ينظمنا فى سلكهم ويسلك بنا طريقهم انه هو البر الرحيم .

وفوق هذا وذاك يحث الله أمة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم على حمل تعاليمه بنفس الطريقة ، طريقة الهدوء والحلم وضبط النفس والبشر ، والابتعاد عن كل ما يثير المدعو ويغضبه ، فيقول سبحانه فى سورة آل عمران آية رقم (١٠٤) (ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون) . وبهذا يستمر حملة مشاعل الهداية سائرين فى الطريق اللا حب الذى سلكه مرشد العباد ومنير دجنتهم ومبصرهم سيدنا رسول الله ، وتستمر أيضا صوى وأعلام الدعوة تهدى الضال وترشد الحيران بأسلوب بعيد عن العنف يقرب ولا ينفر ويحبب ولا يبغض .

بعد أن استبان بالكتاب والسنة ، أن الدعوة الاسلامية قد أمر رسولها باتباع الطرق السلمية فى التبليغ عن الله تعالى نعود فنتساءل . اذاً ما الذى حمل الرسول الكريم وصحبه على خوض المعارك الحربية منذ غزوة بدر وما سبقها من سرايا وما تلاها من غزوات ؟ ما الذى أجبر هؤلاء الهداة على الاشتباكات المسلحة ، ويجيء الجواب نصا من القرآن الكريم ينزله الله على نبيه آيات تتلى وتحمل فى ثناياها السبب الداعى لهذا الاذن بالقتال حين يقول الله تعالى : (اذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير . الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق الا أن يقولوا ربنا الله ..) (١) وهى أول آية أذن فيها لرسول الله صلى الله عليه وسلم وصحبه الكرام بالقتال ، وتنص صراحة على السبب الداعى الى هذا الاذن ، وقد أجمله سبحانه وتعالى فى قوله (بأنهم ظلموا) والظلم الذى وقع على رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحابته فى مكة أول الدعوة باد للعيان فى ايذاء المشركين لهم ايذاء شديدا تناول الأبدان بالضرب والقتل أحيانا ، وتناول الأقوات بحبس الطعام عنهم ومقاطعتهم فى البيع

(١) الآيتان ٣٩ ، ٤٠ من سورة الحج .

والشراء والأخذ والعطاء وتناول العقيدة نفسها بصدهم عن مزاولة عباداتهم فى الأماكن العامة فضلا عن البذاءة فى القول والاساءة فى المعاملة ، وكانت نهاية المطاف فى التفنن فى ايذاء الذين آمنوا بالله ورسوله أن أخرجوهم من ديارهم مسقط رؤوسهم ومراتع صباهم ، ففروا بدينهم الى البلد الذى يطمئنون فيه على عقيدتهم ويجهرون فيه بعبادة ربهم وحده ، روى الترمذى وأحمد والنسائي وابن ماجة عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال : لما أخرج النبى صلى الله عليه وسلم من مكة الى المدينة قال أبو بكر رضي الله عنه . أخرجوا نبيهم . انا لله وانا اليه راجعون ، ليهلكن القوم ، فأنزل الله سبحانه على نبيه . (أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير) قال أبو بكر . فعرفت أنه سيكون قتال ... وما كان للمسلمين من ذنب ولا جناية الا أنهم تركوا عبادة حجارة لا تنفع ولا تضر وعبدوا الله الواحد الأحد قيوم السموات والأرض ، يقول القرآن الكريم (يخرجون الرسول واياكم أن تؤمنوا بالله ربكم) (١) ويقول : (وما نقموا منهم الا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد) (٢) مبينا بهذا شأن الكافرين دائما فهم ينقمون على المؤمنين ايمانهم .

ونخلص من هذا الى أن الأسباب التي دعت للدخول فى الاشتباك المسلح مع الكفار تتلخص فى :

١ ــ حماية الدعوة ، ودفع الاعتداء الواقع على حملتها ، كما حدث من اعتداء كسرى على من أرسله رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم محاولته (أى كسرى) قتل رسول الله عندما شرع هذا المشرك العنيد يغرى بالعطاء الجزيل من يأتيه برأس محمد رسول الله ، وكما فعل هرقل ملك الرومان حين أمر بقتل كل من أسلم من أهل الشام ، ولكل ذلك جهز عليه الصلاة والسلام جيشا قبيل وفاته لقتال الروم بالشام .

٢ ــ درء المفاسد وجلب المصالح مع النهى عن الاعتداء والبغى والظلم قال تعالى : (وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين) (٣) فحروب الرسول كانت دفاعا وليس فيها شيء من العدوان ، وقد كان المسلمون يكرهون القتال ويحبون المسالمة وتشهد لذلك آية نزلت فى فرض القتال . قال تعالى : (كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون) (٤) قال المفسرون . « المراد بذلك أن المسلمين أنفسهم فئة قليلة حملت هذا الدين واهتدت به ، فخافوا أن يقاوموا المشركين بالقوة فيهلكوا جميعا ويضيع الحق الذى هدوا اليه وكلفوا اقامته والدعوة اليه ، فأبان الله سبحانه وتعالى لهم سنته التي جرت بنصر الحق وحزبه على الباطل وأهله ما استمسكوا به ودعوا اليه ودافعوا عنه ، وأن القعود عن المدافعة ضعف فى الحق يغرى به أعداءه ويطمعهم فى التنكيل بحزبه والتألب عليه للايقاع به » .

٣ ــ من أسباب القتال المشروع نقض العهود ونبذها قال تعالى (ألا تقاتلون قوما نكثوا أيمانهم وهموا باخراج الرسول وهم بدأوكم أول مرة أتخشونهم فالله أحق أن تخشوه ان كنتم مؤمنين) (٥) أى بدأوا بالقتال ثم نقض العهد فهم المعتدون فعلا ، كما حدث فى نقض الكفار لعهد رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى عقده معهم فى صلح الحديبية ،

البقية : على ص ٧١

(١) سورة الممتحنة الآية ١ . (٢) الآية ٨ من سورة البروج .
(٣) الآية ١٩٠ من سورة البقرة . (٤) الآية ٢١٦ من سورة البقرة .
(٥) الآية ١٣ من سورة التوبة .

ليلة القدر المباركة

— ١ —

جمهور المفسرين على أن الضمير فى (أنزلناه) عائد الى القرآن . وروح السورة قد تلهم ذلك . وقد يدعمه آيات سورة الدخان هذه (حم . والكتاب المبين . انا أنزلناه فى ليلة مباركة انا كنا منذرين) حيث يبدو بصراحة أن ضمير (أنزلناه) عائد الى الكتاب المبين وهو القرآن .

ولقد روى المفسرون عن ابن عباس وغيره فى صدد مدى (أنزلناه) أن الله عز وجل أنزل القرآن جملة واحدة فى ليلة القدر ، ثم نزل منجما فى ثلاث وعشرين سنة .

وهذا الحديث لم يرد فى كتب الأحاديث المعتبرة . وليس فى هذه الكتب شيء آخر من ذلك . ولقد روى بعض المفسرين عن الشعبى أحد علماء التابعين أن العبارة عنت بدء نزول القرآن فى ليلة القدر . وهو ما تطمئن اليه النفس . لأنه لا يفهم أى حكمة للقول الأول، كما أنه غير متسق مع طبيعة الأشياء من حيث أن معظم فصول القرآن احتوت صورا متنوعة للسيرة النبوية فى مكة أولا ثم فى المدينة . وكثيرا ما كانت تنزل فى مناسبات أحداثها وابان حدوثها .

وعلى هذا يمكن القول ان السورة احتوت تنويها بعظم حادث بدء نزول القرآن ، وبخطورة الليلة التي شرف الله قدرها بحدوث هذا الحادث العظيم .

والتنويه قوى رائع . والليلة التي وقع فيها هذا الحادث جديرة به . فهو أعظم حادث فى تاريخ الاسلام . واليه يرجع كل حادث فيه . وكل ذكرى من ذكرياته . وكل خير وبركة من خيراته وبركاته . وهو الجدير بأن يكون تاريخه موضع تنويه واشادة وتكريم وحفاوة فى كل جيل من أجيال البشر . وفى كل مكان من الأرض . فالنبوة المحمدية التي بدأت به هى نبوة الخلود والبشرية جمعاء . والقرآن الذى بدىء بانزاله على النبى صلى الله عليه وسلم فى هذه الليلة هو كتاب الله الخالد الذى فيه الرحمة والهدى والشفاء لجميع الناس فى كل مكان وزمان . والذى احتوى ما فيه الكفاية لرجع أمور الدين والدنيا الى نصابها الحق ولاقامة اخاء عام بين البشر ، ونظام اجتماعي وسياسي واقتصادى مرتكز على قواعد الحق والعدل والحرية والمساواة والكرامة .

وهذا التاريخ هو التاريخ الوحيد المعروف فى مثله من تاريخ الأنبياء وكتبهم .

إنا أنزلناه في ليلة القدر . وما أدراك ما ليلة القدر . ليلة القدر خير من ألف شهر . تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر . سلام هي حتى مطلع الفجر

للأستاذ محمد عزة دروزة ـ دمشق

والقرآن هو الكتاب الوحيد الذى بقى فى أيدى الناس كما بلغه النبى الذى أنزل عليه سليما تاما فوق كل مظنة . ومحمد هو النبى الوحيد الذى لم يدر حول وجوده وشخصيته وتاريخه ما دار حول غيره من الشكوك والأقوال صلى الله عليه وسلم .

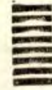
وفيما احتوته السورة من الاشارة الى نزول الملائكة وعلى رأسهم عظيمهم (الروح) فى هذه الليلة المباركة بأوامر الله وبركاته وشمولها بالسلام والتجليات الربانية قصد الى بيان عظمة شأنها ورفعة قدرها أولا . وثانيا دعوة ضمنية للمسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها الى احيائها فى كل عام اقتداء بالملائكة وتحصيلا للبركة الربانية فيها وتكريما للذكرى المقدسة العظمى التي انطوت فيها .

ومن العجيب أن يغفل المسلمون عن المعنى العظيم لهذه الذكرى ، وأن ينتهوا من أمرها الى المعانى والأهداف المادية الخاصة فيما يدعون الله به فى ليلة السابع والعشرين من شهر رمضان ، كما هو السائد فى الأوساط الاسلامية منذ قرون طويلة .

ـ ٢ ـ

ولقد رويت أحاديث نبوية عديدة فى عظم شأن هذه الليلة وتعيينها . منها حديث رواه الخمسة (١) عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : (من قام ليلة القدر ايمانا واحتسابا غفر الله له ما تقدم من ذنبه) وحديث رواه الخمسة كذلك عن عائشة قالت : (كان النبى صلى الله عليه وسلم اذا دخل العشر شد مئزره وأحيا ليله وأيقظ أهله) ولفظ رواية الترمذى (كان يجتهد فى العشر الأواخر ما لا يجتهد فى غيرها) وحديث رواه الشيخان والترمذى عن عائشة قالت : (كان النبى صلى الله عليه وسلم يجاور العشر الأواخر من رمضان ويقول تحروا ليلة القدر فى العشر الأواخر من رمضان) وحديث رواه الخمسة الا الترمذى جاء فيه (قال ابن عمر ان رجالا من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم رأوا ليلة القدر فى المنام فى السبع الأواخر ، فقال الرسول صلى الله عليه وسلم أرى رؤياكم قد تواطأت فى السبع الأواخر ، فمن كان متحريها فليتحرها فى السبع الأواخر) وحديث رواه الشيخان والترمذى عن عائشة قالت : (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تحروا ليلة القدر فى

(١) نعنى البخارى ومسلم وأبا داود والترمذى والنسائي . وهم أصحاب أوثق كتب الحديث .



الوتر من العشر الأخير من رمضان) أى فى الليالى المفردة (٢١ ، ٢٣ ، ٢٥ ، ٢٧ ، ٢٩) وحديث رواه الخمسة الا البخارى عن زر بن حبيش قال (سألت أبى بن كعب فقلت ان أخاك ابن مسعود يقول من يقم الحول يصب ليلة القدر ، فقال رحمه الله أراد ألا يتكل الناس . أما أنه قد علم أنها فى رمضان وأنها فى العشر الأواخر وأنها ليلة سبع وعشرين ثم حلف لا يستثنى ـ لا يقول ان شاء الله ، وهذه الجملة فقال : خشية الحنث فى اليمين ـ انها ليلة سبع وعشرين) . وحديث رواه أبو داود وأحمد عن معاوية بن أبى سفيان عن النبى صلى الله عليه وسلم قال (ليلة القدر ليلة سبع وعشرين) وحديث رواه البخارى ومسلم وأبو داود عن ابن عباس عن النبى صلى الله عليه وسلم قال (التمسوها فى العشر الأواخر من رمضان . ليلة القدر فى تاسعه تبقى . فى سابعه تبقى . فى خامسه تبقى (١) .

وهناك أحاديث أخرى وردت فى غير الكتب الخمسة المعتبرة منها ما هو المتطابق ومنها ما فيه مباينة . فاكتفينا بما ورد فى هذه الكتب لأنها الأكثر وثاقة وشهرة .

والمشهور المتواتر أنها ليلة السابع والعشرين من رمضان . وكون ليلة القدر هى فى شهر رمضان مؤيدة بآية سورة البقرة هذه (شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان . .) الآية ١٨٤ ثم بالأحاديث السابقة الذكر .

ـ ٣ ـ

ولقد روى المفسرون أن النبى صلى الله عليه وسلم ذكر يوما رجلا من بنى اسرائيل لبس السلاح فى سبيل الله ألف شهر فعجب المسلمون فأنزل الله السورة . كما رووا أن النبى صلى الله عليه وسلم ذكر يوما أربعة من بنى اسرائيل عبدوا الله ثمانين عاما لم يعصوه طرفة عين فعجب المسلمون فأتاه جبريل فقال يا محمد عجبت أمتك من عبادة هؤلاء النفر . فقد أنزل الله خيرا لك من ذلك ثم تلا عليه السورة .

وهذه الأحاديث لم ترد فى كتب الأحاديث وبخاصة المعتبرة منها . والمتبادر استئناسا من تبكير نزول السورة أولا وترتيبها فى المصحف بعد سورة العلق ثانيا ـ ونحن نعتقد أن ترتيب السور فى المصحف كان بأمر النبى صلى الله عليه وسلم ـ أنها نزلت بعد قليل من نزول الآيات الخمس الأولى التي كانت أولى القرآن نزولا على ما هو المشهور الأوثق سندا بقصد التنويه بحادث نزول أول وحى قرآنى الجدير حقا به .

ولقد قال الطبرى ان أشبه الأقوال بظاهر التنزيل فى معنى جملة (ليلة القدر خير من ألف شهر) قول من قال (ان عملا فى ليلة القدر خير من عمل فى ألف شهر ليس فيها ليلة القدر) وروى عن مجاهد أن معناها هو أن قيامها والعمل فيها خير من ألف شهر . ومع ما فى هذه الأقوال من وجاهة فلا نزال نرجح أن الجملة جاءت بقصد التوكيد على ما فى ليلة القدر من خير وبركة وخطورة وشأن بسبيل التنويه والتعظيم للحادث العظيم الذى كان فيه .

ـ ٤ ـ

وقد رويت أحاديث عديدة فى أول ما نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرآن فى ليلة القدر المباركة . وأشهر هذه الأحاديث الحديث الذى رواه البخارى ومسلم عن عائشة رضي الله

---

(١) نقلنا نصوص الأحاديث من كتاب التاج الجامع لأصول أحاديث الرسول الجزء الثاني ص ٧٣ ، ٧٤ ، ٧٥ ، ٧٧ ، ٧٨ .

عنها فى أولية الوحى قالت (أول ما بدىء به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحى الرؤيا الصالحة فى النوم فكان لا يرى رؤيا الا جاءت مثل فلق الصبح . ثم حبب اليه الخلاء . وكان يخلو بغار حراء فيتحنث – أى يتعبد – فيه الليالى ذوات العدد قبل أن ينزع الى أهله ويتزود لذلك ، ثم يرجع الى خديجة فيتزود لمثلها حتى جاءه الحق وهو فى غار حراء ، فجاءه الملك فقال اقرأ قلت ما أنا بقارىء قال فأخذنى فغطنى حتى بلغ منى الجهد ثم أرسلنى فقال اقرأ ، قلت ما أنا بقارىء فأخذنى فغطنى الثانية حتى بلغ منى الجهد ، ثم أرسلنى فقال:اقرأ فقلت ما أنا بقارىء ،فأخذنى فغطنى الثالثة ثم أرسلنى فقال . اقرأ باسم ربك الذى خلق. خلق الانسان من علق . اقرأ وربك الأكرم » فرجع بها النبى صلى الله عليه وسلم يرجف فؤاده فدخل على خديجة بنت خويلد رضي الله عنها فقال زملونى زملونى فزملوه حتى ذهب عنه الروع، فقال لخديجة وأخبرها الخبر لقد خشيت على نفسي فقالت خديجة كلا والله ما يخزيك الله أبدا . انك لتصل الرحم وتحمل الكل وتكسب المعدوم وتقرى الضيف وتعين على نوائب الحق . فانطلقت به خديجة حتى أتت ورقة بن نوفل بن أسد ابن عبد العزى ابن عم خديجة . وكان امرءا قد تنصر فى الجاهلية ، وكان يكتب الكتاب العبرانى فيكتب من الانجيل بالعبرانية ما شاء الله أن يكتب ، وكان شيخا قد عمى فقالت له خديجة يا ابن عم اسمع من بن أخيك فقال له ورقة : يا ابن أخى ماذا ترى فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم بخبر ما رأى فقال له ورقة: هذا الناموس الذى نزل الله على موسى . يا ليتنى فيها جذعا . ليتنى أكون حيا اذ يخرجك قومك. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أو مخرجى هم . قال نعم . لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به الا عودى . وان يدركني يومك انصرك نصرا مؤزرا . ثم لم ينشب ورقة أن توفى وفتر الوحى) (١) .

ولا يمكن لأى انسان الا أن يقف خاشعا أمام موقف أم المؤمنين خديجة رضى الله عنها ، وهى تتكشف عن حدس صادق وبصيرة نيرة ونظرة ثاقبة صافية وحب عظيم وثقة لا تحد فتهتف بما تهتف به لتؤيد رسول الله ، وتذهب عنه الروع وتذكره بأخلاقه العظيمة التي كانت من أسباب اصطفاء الله تعالى له لرسالته العظمى ، والتي وصفها القرآن كذلك وهو يهتف بالنبى (وانك لعلى خلق عظيم) فى أوائل آيات سورة القلم التي تجىء الثانية فى ترتيب السور نزولا ، وتسجل بذلك أعظم موقف وقفه مسلم فى أول وأعظم حادث فى تاريخ الرسالة المحمدية.

والمتبادر أن الله تعالى والله أعلم قد قصد بالآيات أمر رسول الله أولا بتلاوة ما يلقى اليه ، وثانيا تنبيهه الى المهمة العظمى التي انتدب اليها ، وتعلمه أن يذكر الله فى كل أمر من أموره دون سواه . وفى هذا تلقين جليل مستمر المدى وشامل للناس جميعا بالانصراف عما سوى الله ، وبالارتفاع بالنفس الانسانية الى أفق لا تتأثر فيه بقوى الدنيا ومخاوفها . . ولا ترتبط فى حياتها ومعايشها ومطالبها وآمالها بغير الله الرب الأكرم ويزيد فى قوة هذا التلقين أنه جاء فى أول آيات أنزلها الله تعالى على رسوله المصطفى .

وينطوى فى الآيات الى هذا تنويه بالقراءة والكتابة والعلم ، وبالانسان الذى اختص وحده بالقابلية لهذه النعم. وبدء القرآن بذلك يزيد فى قوة هذا التنويه . فكأنما أريد جعل هذه النعم فى مقدمة نعم الله التي أنعمها على الانسان وفى مقدمة ما يجب على الانسان أن يشكر الله عليه ويسعى فى اكتسابه .

والقرآن على هذا الاعتبار أعظم وأقوى وأول داع دينى الى العلم والقراءة

البقية : على ص ٢٢

(١) التاج ج ٣ ص ٢٢٦ ، ٢٢٧ .

من الدراسات القرآنية

فواصل

« ١ »

ليس فى لغة العرب كلام يشبه القرآن الكريم ، فى طريقة الأداء .

فهو ليس شعرا ؛ لأنه لا يجرى على ما يجرى عليه الشعر من أوزان ، ولا هو يلتزم ما يلتزمه الشعر من قافية .

وهو ليس شعرا لأن للشعر مضطربا من المعانى يجول فيه ، فان الشعر القديم يصف الأطلال والمرابع ، ويصف الحنين والرحلة ، ويصف الناقة ، وحمر الوحش ، ويصف النعام والظلمان ، ويعرض للمرأة فى غزل مكشوف أو مستور ، وهو يخرج عن ذلك أحيانا الى الفخر أو الهجو ، والى الاعتذار أو المديح والى الحرب والوعيد ، والشعر غير القديم يأخذ فى هذه الأغراض وما يدنو منها ، أو يتصل بها من أحوال الطبيعة أو النفس الانسانية .

وأيا ما كان أمر الشعر فهو لا يأنف من المبالغة والخيال الطائر ، ولا يعنيه أن يلتزم الحق والقصد فى القول ، بل ربما كان الجنوح عن الحق والاسراف فى القول من أبرز خصائصه .

وما كان القرآن الكريم من ذلك كله فى شىء . فى نظمه وأسلوبه ، ولا فى معانيه وأغراضه ، وانما هو شىء أحد له سيماه التى لا تشتبه بأى كلام ..

وأبرز المظاهر التى مازت القرآن عن كل كلام سبقه أو جاء من بعده هو مجيئه على صورة آيات مفصلة ، لها مزاجها الخاص فى الاتصال والانفصال ، وفى الطول والقصر ، وفيما يظهر من من الائتلاف والاختلاف . (كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعملون) .

ونحن لا نعلم كتابا نهج النهج القرآنى فى النظم الا كتاب (الفصول والغايات) لأبى العلاء المعرى ، وموضوعه تمجيد الله تعالى والزلفى اليه ، وهو يقوم على فواصل تحاكى فى ظواهرها فواصل الكتاب العزيز ، ولكن من يقرأ فصلا من كتاب أبى العلاء يجد الاختلاف البين فى الطبقتين ، فأبو العلاء فى فواصله وغاياته يحجل فى قيود ضيقة من المعنى والاسلوب ، ويشق على نفسه وعلى

القرآن

١

للاستاذ كامل السيد شاهين
المدرس بكلية البنات الاســلامية
جامعة الازهر

الناس بما يتكاءدهم فهما حتى يضيقوا به ، ويملوه منذ أول فصل ، فلو أن صابرا تصبر لقراءته فهو الصبر على الدرس ، ومكارهة النفس على المشقة ، فاذا جاءتك الفواصل جاءتك مقتسرة مجلوبة مخزومة من أنوفهــا ، مناخة على صخور لا يطيقها مطيق ..

ونحن لا نتهم أبا العلاء بأنه كان يناصى القرآن ويعارضه ، فمذهب الرجل وسلوكه لا يسمح لنا بظن السوء فيه ، أليس هو القائل فى شأن القرآ الكريم .

« وان الآية منه أو بعض الآية لتعترض أفصح كلم يقدر عليه المخلوقون ، فتكون فيه كالشهاب المتلألىء فى جنح غسق والزهرة البادية فى جدوب » .

« ٢ »

ولكن ما شان هذه الفواصل ، ولماذا بنى نظم القرآن عليها ؟

اما الفواصل فهى نهايات الآيات ، وهى قد تتفق فى اواخرها ، وقد تختلف ، وقد تتقارب ، وهى اذا اتفقت لون من الوان السجع غير أن القرآن الكريم اختص باسم الفاصلة ، نظرا لأن السجع قد شوهه استعمال الكهان له ، حيث يقتسرونه اقتسارا ، ويجعلون المعنى تابعا له ، ويحكمون حكمهم على حسب ما يتيسر لهم من استجابة السجع .. ومن ثم فقد عاب الرسول صلوات الله عليه من قال له « أَنَدِى من لا شرب ولا أكل ، ولا صاح فاستهل ، ومثل ذلك يطل » فانت ترى نظم الكلام مضطربا ، وكان الوجه فيه أن يقال ، أندى من لم يأكل ولم يشرب ، ولم يستهل صائحا ، ان مثل ذلك يهدر .. ولذلك غضب صلوات الله عليه وقال . أسجعا كسجع الكهان ... فالنبى صلوات الله عليه لم يعب السجع من حيث هو سجع ، ولكنه عابه من حيث شابه سجع الكهان فى تكلفه وايثار اللفظ مهما يكن على المعنى ، وذهب بعض العلماء الى التفرقة بين السجع والفاصلة ، بان الفواصل لا تحيد عن المعنى أبدا ، وأن السجع يحيد عن المعنى أبدا .

ولم يرتض الخفاجى فى (سر الفصاحة) هــذا القول حيث قال عنه . « وهو غلط » فان مــن السجع ما لا تكلف فيه ، ولا يستحق بذلــك اسم الفاصلة فالصواب انهما من واد واحــد غير أن رغبتهم فى تنزيه القرآن عن الوصف اللاحق بغيره من الكلام المروى عن الكهنة وغيرهم دعاهم الى تسمية كل ما فى القرآن فواصل .



« ٣ »

ولما كانت الفواصل تعين على الضبط والحفظ ، وتحسن النغم وتقويه ، ولما كان القرآن قد أنزل ليتلى ، ويتلى في صوت يسمع ، ويظهر الوانا مختلفة تروع باختلاف جرسها ، وباتفاق جرسها أيضا ، كان ايقاع المناسبة في مقاطع الفواصل متأكدا جدا على حد تعبير الزركشى فى البرهان ، ذلك لأن هذه المناسبة فى الايقاع مؤثر فى نسق الكلام وحسن موقعه فى النفوس ..

ولهذا السبب خرج النظم القرآنى عن النظم المألوف فى بعض الأحيان .

فقد يزيد من أجل اتساق الفواصل حرفا ، كما زاد الالف فى قوله سبحانه (وتظنون بالله الظنونا) لأن المقاطع فى فواصل هذه السورة (سورة الأحزاب) ألفات منقلبة عن تنوين الوقف ، ومثله قوله تعالى (انا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا) وقوله عز وجل (أطعنا الله وأطعنا الرسولا) .

وقد يحذف حرفا ، كقوله سبحانه (الكبير المتعال) (ما لهم من دونه من وال) (والليل اذا يسر) فلو اتصلت الياءات لاختلفت الفواصل .

وقد يفرد ما أصله الجمع ، كقوله سبحانه (ان المتقين فى جنات ونهر) قال الفراء : الأصل (أنهارا) ، وانما وحد لأنه رأس آية ، فقابل بالتوحيد رءوس الآى .

وقد يثنى ما أصله أن يفرد كقوله تعالى . (ولمن خاف مقام ربه جنتان) .

قال الفراء : هذا كقولهم (ديار لها بالرقمتين) ، وقولهم (قولا لأهل المكتين) ، قال : وانما ثناهما الله تعالى لأجل الفاصلة ، والقوافى تحتمل فى الزيادة والنقصان ما لا يحتمله سائر الكلام .

وأنكر ذلك ابن قتيبة ، وأغلظ للفراء وقال : انما يجوز فى رءوس الآى زيادة هاء السكت أو الألف ، أو حذف همزة أو حرف . فأما أن يكون الله وعد جنتين فنجعلهما جنة واحدة من أجل رءوس الآى ، فمعاذ الله . وكيف هذا وهو يصفها بصفات الأثنين ، قال . (ذواتا أفنان) ، ثم قال . (فيهما) .. ولو أن قائلا قال فى خزنة النار : انهم عشرون ، وانما جعلهم الله تسعة عشر لرأس الآية أى ليوافق قوله قبل (وما أدراك ما سقر . لا تبقى ولا تذر . لواحة للبشر) ما كان الا كقول الفراء .. وغير ذلك كثير .

« ٤ »

والقرآن العظيم ، لم يجر فى فواصله على نهج واحد لا يختلف ، ولكنه جاء أحيانا على تلاؤم تام فى الفواصل ، كما فى قوله سبحانه (والطور . وكتاب مسطور . فى رق منشور . والبيت المعمور ..) وقوله تعالى (طه . ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى . الا تذكرة لمن يخشى . تنزيلا ممن خلق الارض والسموات العلى ..) .

وأخرى على تقارب فى الفواصل ، كما نرى فى قوله جل شأنه (الرحمن الرحيم . مالك يوم الدين) ، وقوله تبارك وتعالى (ق . والقرآن المجيد . بل عجبوا أنه جاءهم منذر منهم فقال الكافرون هذا شىء عجيب) .. وربما التزمت حركة بعينها وان اختلفت الحروف فى أواخر الكلمات كالذى نرى فى سورة الكهف (فلعلك باخع نفسك على آثارهم ان لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفا . انا جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملا . وانا لجاعلون ما عليها صعيدا جرزا) وتمضى السورة على هذا النحو الى آخرها .

قال بعض الباحثين : وأكبر الظن أن التزام هذه الفواصل المنسقة انما يكون حين يتحد موضوع السورة أو يأتلف ائتلافا شديدا . فسورة الشعراء مثلا قد اختلفت فيها قصص الامم التى كذبت رسلها ، ولكن موضوعها واحد هو التخويف والارهاب ، وانذار قريش وغيرها من مشركى العرب بأن ما أصاب تلك الامم التى أصرت على تكذيب الرسل قد يصيبهم ان أصروا على تكذيب النبى صلى الله عليه وسلم ، وسورة طه توشك قصة موسى أن تستغرقها ، وسورة مريم تمجيد للأنبياء ، وتخويف للجاحدين .

وأكبر الظن أيضا أن الفواصل حين تلتزم على هذا النحو يدل التزامها على أن السورة أنزلت مرة واحدة ، ولم تنجم آياتها كما تكون الحال فى سورة أخرى لم تلتزم فيها الفواصل على هذا النحو ، ولم يتحد موضوعها ، أو يشتد الائتلاف بين موضوعاتها ان تعددت ، واتحاد الموضوع نفسه ، وشدة ائتلاف الموضوعات حين تتعدد قد يشعر بأن السورة أنزلت جملة واحدة وان لم يلتزم فى فواصلها ما نراه قد التزم فى السور التى أشرنا اليها .

فسورة يوسف مثلا قد اتحد موضوعها اتحادا لا شك فيه ، وقد قصرت على قصة يوسف ، وما أرى الا أنها قد أنزلت جملة .

ومثلها فى ذلك سورة هود فهى تبدأ بالانذار والتخويف ، وضرب الأمثال للموعظة ، ثم تقص قصة نوح ، وتتلوها قصة عاد ، فثمود ، وتعرض طرفا من حديث ابراهيم وقوم لوط ، ثم قصة شعيب ، ويلاحظ أن قصة قوم نوح ، وقوم هود ، وقوم صالح ، وقوم شعيب قد ختمت كلها بخواتم متشابهة ، ففى آخر قصة قوم نوح (**وقيل بعدا للقوم الظالمين**) وفى آخر قصة قوم هود (**ألا بعدا لعاد قوم هود**) وفى آخر قصة ثمود قوم صالح (**ألا بعدا لثمود**) وفى آخر قصة مدين قوم شعيب (**ألا بعدا لمدين كما بعدت ثمود**) ..

وهذا للتذكير بين الحين والحين بالغرض والغاية المرادة من ذكر القصة ، ومع هذا الترابط والالحاح فيه نجد السورة تختم بالتذكير بآيات الله واثبات أن النبى صادق فيما يحدث به ..

وربما كانت خواتيم السورة الواحدة مختلفة فيما بينها اختلافا يضيق أو يتسع كما نرى فى سورة البقرة ، فان موضوعاتها على جانب كبير من الاختلاف ، ولم يلتزم فى فواصلها ولا فى أسلوبها نسق بعينه منذ تبدأ الى أن تنتهى ، فهذا التنوع فى التعبير ، وهذا الاختلاف فى الفواصل ، وهذا التباين فى الاساليب والاغراض ، يدل على أن السورة لم تنزل جملة واحدة ، وان كان القرآن الكريم كله ينتظمه أنه يدعو دائما الى أصول معينة .. يدعو الى توحيد الله تعالى ، ونبذ الشرك على اختلاف صوره والايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم ، وما جاء به من كتاب ، والايمان بالرسل الذين جاءوا من قبله ، وما نزل عليهم من كتاب . والايمان بالبعث والحياة الاخرة وما بها من نعيم مقيم لمن أخبتوا لله ، واتبعوا رسله ، ومن عذاب خالد لمن أعرضوا عن رسالات الرسل ونفروا منها ، واستكبروا عنها .

ثم هو يأمر الناس بأن يقيموا حياتهم على هذه الأسس .. فتطهر نفوسهم ، وتصفو ضمائرهم ويسيطر ضميرهم على سلوكهم ، ولا يظلمون غيرهم ، ولا يستغلون، ولا يؤثرون الشر، وانما ينأون عنه ، وينهون عنه ما وسعهم النأى والنهى .. ويحسنون الى الوالدين ، ويتوخون طاعتهما ، ويبرون أولى القربى واليتامى والمساكين وذوى الحاجات ويعتبرون الناس جميعا نظراء لهم مهما تكن منازلهم فى الحياة الدنيا ، فللفقير ما للغنى من حق ، وللضعيف ما للقوى من حق ، وللمولى ما للسيد من حق .

فلا غرابة أن تختلف مذاهب القول فى القرآن باختلاف الموضوعات وبتعدد المقامات ، وانما الغرابة فى التزام منهج واحد من مناهج القول فى التشريع والقصص والتبشير والانذار والموعظة الرقيقة واللوم العنيف .



((٥))

ويسوقنا هذا الى اختلاف الآيات طولا وقصرا ، فهناك فواصل تأتيك بعد كلمات معدودة فيتوالى رنينها ، ويطرد جرسها (يأيها المدثر . قم فانذر . وربك فكبر . وثيابك فطهر . والرجز فاهجر . ولا تمنن تستكثر . ولربك فاصبر) .. أوامر يردف بعضها بعضا فى ولاء وعجلة، لا ريث فيها ولا مهل ، ولا مجال معها للتراخى والمطاولة .

ويطرد ذلك فى ذكر الحساب وهول الجحيم ومشاهد القيامة ، والقيام ليوم الدين ، وبيان ما أعد للمجرمين من هول، وما أعد للمؤمنين من أسباب الرضا والمغفرة والنعيم ، فتكاد تمسك جنبيك من الرعب والرهب ، والخوف والامن ، والفزع والاطمئنان .

ودائما تجد بازائك الصورتين تردف احداهما الاخرى ، صورة الطاعة وما وراءها من نعمة وسعادة وخير عميم ، وصورة العصيان وما وراءه من كرب كارب ، وبؤس بئيس ، وعذاب مقيم .

(فأما من أعطى واتقى . وصدق بالحسنى . فسنيسره لليسرى . واما من بخل واستغنى . وكذب بالحسنى . فسنيسره للعسرى . وما يغنى عنه ماله اذا تردى . ان علينا للهدى . وان لنا للآخرة والاولى . فانذرتكم نارا تلظى . لا يصلاها الا الأشقى . الذى كذب وتولى . وسيجنبها الأتقى . الذى يؤتى ماله يتزكى . وما لأحد عنده من نعمة تجزى . الا ابتغاء وجه ربه الأعلى . ولسوف يرضى) .

(هل أتاك حديث الغاشية . وجوه يومئذ خاشعة . عاملة ناصبة . تصلى نارا حامية . تسقى من عين آنية . ليس لهم طعام الا من ضريع . لا يسمن ولا يغنى من جوع . وجوه يومئذ ناعمة . لسعيها راضية . فى جنة عالية . لا تسمع فيها لاغية . فيها عين جارية . فيها سرر مرفوعة . وأكواب موضوعة . ونمارق مصفوفة . وزرابى مبثوثة) .

ولعلك تظفر فى القرآن الكريم بالموضوع الواحد يساق على طريقتين ، طريقة العرض القصير المتلاحق وطريقة العرض المستأنى المبسوط ، ولكنك بعد تجد لكل موقعه الذى لا يصلح فيه غيره ، ولا ترتاح النفس الا اليه . ودونك فانظر قوله تعالى فى هلاك قوم نوح .

(وقيل يا أرض ابلعى ماءك ويا سماء أقلعى وغيض الماء وقضى الأمر واستوت على الجودى وقيل بعدا للقوم الظالمين) .

فانت لا تجد هنا فواصل مطردة متلاحقة كما وجدت فى صدر سورة المدثر .. وانما تجد فواصل متباعدة ، ومع هذا التباعد نشعر أن الجو المسيطر على الآية هو العجلة .

فالأرض تبلع ، والسماء تقلع ، والماء يغيض ، والقضاء ينفذ ، والسفينة ترسو ، واللعنة تتبع الظالمين ، فهذا التدارك والتتابع فى الحركة ، والتعبير عن كل أمر من هذه الأمور الجليلة بجملة خاطفة تتبعها جملة خاطفة انما هو لتمثيل الحالة الوحيدة التي اقترنت بهذه الأمور ، وللوصول الى النهاية من القضاء على القوم وابعادهم عن الرحمة ، ولو قد فصل أمر ابتلاع الماء ، واقلاع السماء . . . لفات الهدف ، على أن الأمر الصادر للأرض وهو البلع يقتضى أن تخفى الماء دفعة واحدة كما تزدرد اللقمة، والأمر الصادر للسماء بالاقلاع يقتضى أن

يكون كفها كفا تاما لا تدرج فيه ، وطى الفاعل مع الفعل (غيض) معين على ذلك ، وكذا يقال فى الفعل (قضى) . وبمقربة منه ، الاعتماد على المقام فى التعرف على الفاعل فى قوله (واستوت على الجودى) والمراد السفينة ، ثم طى الفاعل فى (قيل) ، وانابة المصدر فى (بعدا) .

والطرافة انك تجد هذه العجلة العاجلة ، والسرد السريع ، واقعة بين قصص هادىء النفس ، يبدأ بمناقشة طويلة بين نوح وقومه ، وحجاج يتجلى فيه عنف قومه به ، واعناتهم له ، وحلم نوح معهم ، وتحننه اليهم ، وينتهى بمناقشة اخرى فيها لوعة نوح على ابنه الفريق ، وزجر من الله له ، وتحذير أن يتورط فى الاعتراض فيكون من الجاهلين ، والذى أريد أن ينتهى بنا البحث اليه أن ندل على أن للقرآن فنونا مختلفة فى الالهاب والزجر والتخويف ، تأتى مع قصر الفواصل ، وتأتى مع الفواصل الطوال أيضا .

— « ٦ » —

ومناسبة الفاصلة لما سبقها من كلام أمر لا معدل عنه ، والا تزايل الكلام ، واختل نظامه واضطربت مجاريه .

غير أن من ذلك ما يتضح ويظهر ، ومنه ما يدق ، فيحتاج الى تلطف فى استخراجه ومعرفة السر الذى وراءه .

فأما الواضح فانك تراه فى مثل قوله تعالى : (ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قويا عزيزا) وقوله تعالى . (لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير) ونظيرهما قوله عز وجل (أتحدثونهم بما فتح الله عليكم ليحاجوكم به عند ربكم أفلا تعقلون) فان من دل عدوه على عورة نفسه ، واعطاه سلاحه ليقتله به فهو جدير بأن يكون مقلوب العقل ، فلهذا ختمها بقوله تعالى (أفلا تعقلون) .

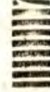
قال فى البرهان . « وهذه الفاصلة لا تقع الا فى سياق انكار فعل غير مناسب فى العقل ، نحو قوله تعالى (أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون) ، لأن فاعل غير المناسب ليس بعاقل » .

وأما الخفى الذى يحتاج الى تات لمعرفة السر فيه فمثل قوله جل ثناؤه . (أو لم يهد لهم كم أهلكنا من قبلهم من القرون يمشون فى مساكنهم ان فى ذلك لآيات أفلا يسمعون . أو لم يروا أنا نسوق الماء الى الارض الجرز فنخرج به زرعا تأكل منه أنعامهم وأنفسهم أفلا يبصرون) فلما كانت الموعظة فى الآية الأولى سمعية بدأها بقوله (أو لم يهد لهم) ،ولم يقل أو لم يروا وقال بعد ذكر الموعظة (أفلا يسمعون) .

ولما كانت الموعظة فى الآية الأخرى مرئية بدأها بقوله (أو لم يروا) . وختمها بقوله تعالى (أفلا يبصرون) .

وقد يظن أن الفاصلة بعيدة المناسبة بما قبلها ، فاذا رجع الى ما هو حاق المعنى ذهب الوهم ، فمن ذلك قوله تعالى . (ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك أنت العزيز الحكيم) . فان قوله (وان تغفر لهم) يوهم أن الفاصلة ينبغى أن تكون (الغفور الرحيم) .

المحدث عنه ههنا أولئك الذين أدعوا الوهية عيسى ، فهم مستحقون لأشد العذاب ، فاذا نالهم الغفران فذلك لا يكون الا من العزيز الذى ليس فوقه أحد يرد عليه حكمه ، أو يؤاخذه عليه ... وربما فهم أن العزة التى تقتضى الغفران لمن يستحق التنكيل ليست من الحكمة ، فكان التعقيب بوصف الحكمة احتراسا حسنا ، فهو اذا غفر فغفران الحكيم الذى لا يفعل الشيء جزافا ولا اعتباطا .



والكتابة . وتعبير الانسان شامل للذكر والأنثى على السواء . وهكذا تكون الدعوة القرآنية شاملة لجنس الانسان . وفى هذا من الجلال والروعة ما يعلو فوق كل مستوى . وما يدل على عظمة براعة استهلال القرآن الكريم والدعوة الاسلامية . وبعد مداها . وقوة عناصر خلودها .

وهناك حديث يفيد أن فتور الوحى الذى جاء فى آخر الحديث المروى عن عائشة انما كان قصيرا . رواه الشيخان والترمذى عن جابر وهو يحدث عن فترة الوحى فقال فى حديثه عن النبى صلى الله عليه وسلم « بينا أنا أمشى اذ سمعت صوتا من السماء فرفعت بصرى فاذا الملك الذى جاءنى بحراء جالس على كرسي بين السماء والأرض فرعبت منه فرجعت فقلت زملونى زملونى فأنزل الله تعالى (يأيها المدثر . قم فأنذر . وربك فكبر . وثيابك فطهر . والرجز فاهجر .) فحمى الوحى وتتابع » (١) .

وفى الآيات خطة رائعة رسمها الله تعالى لرسوله حين أمره بالبدء بالقيام بمهمته العظمى .

أما ما جاء فى حديث عائشة من جملة (خشيت على نفسى) فهناك حديث يرويه الطبرى عن عبد الله بن الزبير فيه توضيح لذلك لم يرد فى كتب الأحاديث المعتبرة ولكن هذا لا يمنع صحته . وقد جاء فيه فيما جاء (أن النبى صلى الله عليه وسلم بعد أن سمع من جبريل الآيات الخمس قال فى نفسه انه لم يكن أحد من خلق الله أبغض اليه من شاعر أو مجنون ، وأنه كان لا يطيق أن ينظر اليهما وانك الأبعد — يعنى نفسه — لشاعر أو مجنون . لا تحدث عنى قريش بهما أبدا . لأعمدن الى حالق من الجبل فلأطرحن نفسي فلأقتلنها فلأستريحن . قال فخرجت أريد ذلك حتى اذا كنت فى وسط الجبل سمعت صوتا من السماء يقول يا محمد أنت رسول الله وأنا جبريل . فرفعت رأسي فاذا جبريل فى صورة رجل صاف قدميه فى أفق السماء يقول يا محمد أنت رسول الله وأنا جبريل . فوقفت أنظر فشغلني ذلك عما أردت فما أتقدم وما أتأخر . وجعلت أصرف وجهى عنه فى آفاق السماء فلا أنظر فى ناحية منها الا رأيته كذلك . فما زلت واقفا حتى بعثت خديجة برسلها فى طلبى فقصصت عليها وقلت ان الأبعد لشاعر أو مجنون . فقالت أعيذك بالله من ذلك يا أبا القاسم . ما كان الله ليصنع ذلك بك مع ما علم منك من صدق حديثك وعظم أمانتك . وحسن خلقك وصلة رحمك . ثم أخذته الى ورقة) (٢)

— ٥ —

وحديثا عائشة وعبد الله بن الزبير رضي الله عنهما يفيدان من ناحية أخرى أن النبى صلى الله عليه وسلم لم يكن يخطر بباله شيء من أمر وحى الله ونبوته . وهذا مما تلهمه آيات قرآنية مثل آية سورة يونس هذه (قل لو شاء الله ما تلوته عليكم ولا أدراكم به فقد لبثت فيكم عمرا من قبله أفلا تعقلون) ((١٦)) وآية سورة القصص هذه (وما كنت ترجو أن يلقى اليك الكتاب الا رحمة من ربك ..) ٨٦ وآية سورة الشورى هذه (وكذلك أوحينا اليك روحا من أمرنا ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الايمان ولكن جعلناه نورا نهدى به من نشاء من عبادنا وانك لتهدى الى صراط مستقيم) ٥٢ . وكل ما كان من أمره على ما تلهمه الآيات والأحاديث وروايات السيرة أنه كان يتعبد الله تعالى تقربا واخلاصا وايمانا . فلا غرو أن يكون قد ذهل حينما نزل عليه الوحى بأول القرآن . وعاد يرجف

---

(١) التاج ج ٣ ص ٢٢٧ و ٢٢٨ . (٢) تاريخ الطبرى ج ٢ ص ٤٨ و ٤٩ .

الى بيته ويقول انه خشى على نفسه أن يكون قد صار شاعرا أو مجنونا .

ولقد صار يظهر قبيل البعثة النبوية أفراد من قريش وغيرهم أنفوا عقائد قومهم وتقاليدهم الجاهلية ، وأدركوا حقيقة وحدانية الله تعالى بريئة من كل شائبة ، واتجهوا الى الله تعالى وحده . وقد ذكرت الروايات عددا منهم مثل زيد بن عمرو بن نفيل وعثمان بن الحويرث وأمية ابن الصلت وورقة بن نوفل وأبى الهيثم بن النبهان وابى ذر الغفارى وأبى عامر الأوسى وأبى قيس النجارى (١) . وفى أسد الغابة (٢) صيغة دعاء وتوسل معزوة الى زيد كان يناجى ربه بها فيقول (لبيك حقا حقا تعبدا ورقا . عذت بما عاذ به ابراهيم . انني لك عان راغم . مهما تجشمنى فانى جاشم ثم يسجد) . وقد روى أن النبى صلى الله عليه وسلم اجتمع اليه قبل البعثة وقال عنه يبعث أمة واحدة . وذكر ابن هشام فى سياق ذكر أبى عامر الأوسى أنه كان يدعى أنه على الحنيفية دين ابراهيم (٣) حيث يفيد هذا وذاك أن هذا النفر كانوا يتمرسون ملة ابراهيم الحنيفية التوحيدية . وليس ما يمنع القول أن النبى صلى الله عليه وسلم كان قبل بعثته واحدا منهم . وكان الله تعالى يعلم أنه هو الأفضل والأقوى لرسالته العظمى وهو (أعلم حيث يجعل رسالته) كما جاء فى آية سورة الأنعام (١٣٤) فاصطفاه من بينهم وأمره بأن يهتف (اننى هدانى ربى الى صراط مستقيم دينا قيما ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين . قل ان صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين . لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين) سورة الأنعام ١٦٢ — ١٦٣ .

— ٦ —

هذا . وهناك سؤال قد يرد بالبال وهو ما اذا كان تسمية (ليلة القدر) هى تسمية قرآنية ونعتية طارئة القصد منها التنويه والحفاوة والتذكير بخطورة وعظمة شأن الحادث الذى كان فيها ، أم أنها كانت معروفة المدى قبل نزول القرآن . ولم نطلع على قول يساعد على نفى أو اثبات . غير أن الحديث المروى عن عائشة فى أولية الوحى قد يلهم شيئا . فقد كان النبى صلى الله عليه وسلم يتحنث أى يتعبد فى غار حراء الليالى ذوات العدد ، فنزل عليه الوحى فى احداها . وجملة (الليالى ذوات العدد) قد تعنى أن هذه الليالى كانت معينة مخصصة لهذه العبادات والاعتكافات قبل نزول الوحى ، ومن الجائز أن تكون هى الليالى العشر الاخيرة من رمضان . ولقد روى الطبرى فى تاريخه أن التحنث فى رمضان مما كان يفعله بعض رجال قريش فى الجاهلية . حيث يسوغ القول ان الليالى ذوات العدد من الامور التي كانت معروفة فى أوساط المتحنثين (٤) .

(١) ابن هشام ج ١ ص ٢١٥ — ٢٢٣ و ج ٢ ص ١٠٣ و ص ١٧٧ و ١٧٩ .

(٢) ج ٢ ص ١٧٨ .

(٣) ج ١ ص ٤٨ .

(٤) هذه كلها احتمالات وليس لنا الا ان نقطع بأن نزول القرآن أو بدء نزوله فى هذه الليلة هو الذى أعطاها هذا الشرف وذلك القدر العظيم كما صرح القرآن الكريم .

« الوعى »

نحن والشباب المثقف

للشيخ نديم الجسر
مفتى طرابلس ـ لبنان

أمام هذا الجيل الصاعد من الشباب المسلم ، المزهو بسلاح العلم والعقل ، المفتون بأقوال المستشرقين ، لا يجوز لنا أن نحصر الرد على المتهجمين أو المشككين فى مبادىء الاسلام فى أن هذا المبدأ موضع اجماع المسلمين ، ولا أن نشهر فى المعركة أسلحة التفسيق والتكفير لنخنق اصوات الشباب . لان خنق الاصوات يرد الشك الى صدور الشباب ويجعلهم أكثر حيرة ، وزيغا ، وتصديقا لتهم المشككين من اعداء الاسلام ، ولأن هؤلاء المثقفين من الشباب لا يكتفون بالردود السطحية ، ولا يبالون بالتهديد والوعيد ، ولا يقلعون عن التساؤل والاستفهام الا اذا يئسوا من قدرة العلماء على الرد القاطع المقنع ، ودخلوا ـ بيأسهم ـ الى منطقة الزيغ والكفر لا سمح الله . ولست أدرى ـ والله ـ سببا يجعلنا ننكر على الشباب مطالبته لنا بالاقناع العقلى الحر ، ونحن اهل دين يجعل للعقل السلطان الاعلى فى فهم نصوص القرآن فضلا عن الحديث .

توطئة للكلام مع الشباب

وقبل أن أقدم للشباب المثقف ما عندي من وسائل الاقناع العقلي، وقبل أن أنصب لهم الميزان الذى توزن به صحة الاحاديث أو المبادىء الاسلامية يهمنى أن أكرر لهم الشىء الذى طالما كررته فى كل ما أكتب فى الدين ، لخير الشباب وهو : التنبيه الى عدم الخلط بين المستحيل عادة ، والمستحسن والمستهجن رأيا وذوقا .

فالشباب المثقف ، الذى يحسن التفريق والتمييز بين هذه المعانى عند التفكير فى قضية رياضية أو فلسفية ، لا يتورع عن الخلط بينهما عند التفكير فى قضايا الايمان والدين ، ومن هنا يأتيهم الانكار لكثير من الاحاديث الواردة فى

الصحيحين ، بل الزيغ أمام المتشابهات من آيات القرآن ، بل ضعف الايمان بوجود الله .

واذا كان بعضهم يتعمد هذا الخلط لمجرد المراء والتفاخر بتقليد الملحدين ، فان اكثر الناضجين منهم يقعون فى هذا الخلط عن عدم انتباه ، بل عن حسن نية وغيرة على الدين ، حين يخيل اليهم ان بعض الأحاديث يتناقض مع العقل أو يتنافى مع الحق والخير والمصلحة .

فلهؤلاء أقول ، من باب التنبيه لا من باب التعليم لشىء قد عرفوه فى دراساتهم الرياضية الفلسفية : ان المستحيل العقلى هو الذى يحدث تصوره تناقضا عقليا فى الذهن . كقولنا ان الجبل يدخل فى الكأس أو أن الجمل يدخل فى سم الخياط ، كما مثل القرآن ، أو انكارنا أن الواحد نصف الاثنين ، أو انكارنا أن الكل أكبر من جزئه . أما المستحيل العادى فانه لا يحدث تناقضا عقليا فى الذهن ولكن جرت (العادة) أن نستبعد وقوعه ، مثل استبعادنا ، قبل اليوم طيران الانسان الى السماء وسماع صوت المتكلم من أقصى الارض ، والوصول الى القمر ، وغير ذلك من الأمور التى كنا نحسبها ، فى العادة ، (مستحيلة) ثم تبين أنها (ممكنة) ولذلك سموها المستحيلات العادية .

اما الاستحسان والاستهجان فانهما لا يصلحان حجة للقطع بحسن الشىء وقبحه الا اذا كان هنالك اجماع من كل العقول السليمة ، كاستحسان الصدق واستهجان الكذب ، أو كان هنالك نص دينى قاطع يقضى بهما ، ولو خفيت علينا الحكمة بادىء الرأى ، كالاستهجان لأكل لحم الخنزير . أما الاستحسان والاستهجان الصادران عن رأى الفرد ، لا عن اجماع ، وكذلك الاستبعاد الصادر عن رأى علمى لم يبلغ درجة اليقين فانها كلها لا تصلح أن تكون أساسا للقطع والجزم بعدم صحة الأحاديث الصحيحة .

لأنه قد يكون وراء الرأى الفردى ، أو وراء الرأى العلمى ، حقيقة من النفع والضرر ، أو حقيقة من العلم سوف تظهر لنا ، كما ظهرت طبيا حكمة الحديث الآمر بغسل الاناء الذى تلوث بلعاب الكلب سبع مرات احداهن بالتراب لازالة جراثيم داء الكلب ، وكما ظهر من ضرر القليل من الخمر وأثره فى الأجنة ، بالتجربة التي أجراها العلماء فى أمريكا على عشرة أزواج من الارانب سقيت تسع منها جرعات متفاوتة القدر من الخمر ، فظهر تأثير الخمر وضررها فى أجنتها جميعا ، حتى عند الزوجين اللذين لم يسقيا الا جرعة واحدة فقط ، أما الزوجان اللذان لم يسقيا شيئا من الخمر فلم يظهر فى أجنتهما أى أثر لأى ضرر . وعلى غرار هذين المثلين نذكر ما اكتشفه العلم مؤخرا من وجود مادة هرمونية فى البول تسمى (يوروغا سترون Ursgastrone) وأخرى تسمى (انثلون Anthelone) تنفعان فى مرض (قرحة المعدة) كما ذكر ذلك الدكتور ميشال صليب أستاذ الامراض الباطنية بكلية عين شمس فى مبحث (قرح المعدة) من كتابه (أمراض الجهاز الهضمى) المؤلف بالانجليزية المطبوع سنة ١٩٦٣ فى الصفحة السادسة والاربعين . وقد تمكنت شركة (بارك ديفز) الانجليزية الشهيرة من صنع علاج يسمى (كورتون Kurtone) يحتوى على هذه الهرمونات البولية . وهذا ما يحل الاشكال الذى كنا نعانيه فى تفسير حديث البخارى عن شرب أبوال الابل ، الذى أمر النبى صلى الله عليه وسلم به بعض الأعراب المرضى . فكل هذه الأحاديث عن غسل الاناء وتحريم الخمر والتداوى بالأبوال ، قد قيلت منذ اربعة عشر قرنا ، فى وقت لم يكن فيه الناس يدركون بعقولهم وجود جراثيم الكلب ، أو ضرر القليل من الخمر ، أو نفع شرب البول فى بعض الأمراض بل كنا كلنا نستهجن هذا الشرب ونستقذره ونحار فى تفسير هذا الحديث للسائلين من الشباب .



وهكذا يظهر بجلاء أن الاستحسان من الأفراد ، والاستبعاد المبنى علىالآراء العلمية (الظنية) لا يجوز أن تتخذ أساسا للقطع والجزم بعدم صحة الأحاديث النبوية الصحيحة .

وبعد فهذه توطئة نرجو الا تغيب حقائقها الواضحة عن تفكير الشباب المثقف ، عند كل بحث وتساؤل من بعض الأحاديث النبوية الواردة فى صحيح البخارى أو صحيح مسلم . ولسنا نريد بها أن نحمل الشبان المثقفين على أن يتهيبوا البحث ، ويدفنوا شكوكهم فى صدورهم لتنقلب الى زيغ مرير ، بل نريد بها أن نضع لهم الميزان الذى يوزن به كل حديث يقع فى تفكير الشباب ، وظنهم أن ظاهره يخالف العقل أو الحق أو الخير أو العلم .

ما هو الميزان

الميزان هو القرآن الكريم والعقل . وللايضاح لا بد من ذكر ست حقائق :

الحقيقة الأولى : ان القرآن قد جعل للعقل السليم السلطان الاعلى فى ادراك الحق والخير من أتفه شيء ، كاماطة الأذى عن الطريق الى أعظم شيء وهو الايمان بوجود الله . وهذه أولى مزايا الاسلام . فنحن بالعقل نؤمن بوجود الله وبالعقل نؤمن بوحدانيته وكل صفات كماله ، وبالعقل نؤمن بالقرآن الذى أمرنا بتحكيم العقل فى كل أمر من أمور الايمان .

الحقيقة الثانية : كل نص يوجب ظاهره تناقضا عقليا قاطعا فى الذهن يجب تأويله حتى يرتفع التناقض ، وهذا متفق عليه عند العلماء ، لان تعطيل العقل يرجع بالتعطيل على جميع الآيات الكثيرة التى أمرنا الله فيها بتحكيم العقل فى أمور الايمان ، ويرجع بالتعطيل على صدق الرسول الذى عرفنا صدق رسالته بالبراهين العقلية .

مثال ذلك : قول القرآن فى سورة الكهف عن ذى القرنين (حتى اذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب فى عين حمئة) ، فان ظاهر هذه الآية يتناقض مع الحكم العقلى البديهي القاطع الذى يقضى بامتناع دخول الجسم الكبير فى الوعاء الصغير . لأن الأرض أصغر من الشمس بكثير . فوجب هنا تأويل ظاهر الآية ، كما فعل العلماء الأعلام حين قالوا : ان المراد بها : أن ذا القرنين رأى الشمس فى غروبها كأنها تغرب فى العين الحمئة ، كما يقول أحدنا رأيت الشمس تغرب فى النيل أو فى البحر وهو يعلم قطعا أنها لا تغرب فى النيل ولا فى البحر بل تغرب وراء الأرض .

الحقيقة الثالثة : وهى نابعة من الحقيقة الثانية ، وتابعة لها ، ولكننا أفردناها عنها ، وأبرزناها مستقلة ، لأهميتها وخطرها : وهى أن التناقض لا يكون الا بين قضيتين قاطعتين تتناقضان . أما اذا كانت احدى القضيتين قاطعة والثانية غير قاطعة وانما هى ظنية ، فلا يكون هنا ذلك التناقض الذى يوجب تأويل النص .

ففي قضية غروب الشمس فى العين نجد أننا بين قضيتين قطعيتين الأولى قول القرآن (وجدها تغرب فى عين حمئة) والثانية القضية البديهية القائلة بامتناع دخول الجسم الكبير وهو الشمس فى الجسم الصغير وهو العين ، فاحتجنا الى التأويل الذى يرفع التناقض .

ولكنا فى آية أخرى مشابهة فى نفس سورة الكهف نجد أن التناقض غير

متحقق : وان كانوا فى الماضى يظنون خطأ انه موجود ، ذلك فى قوله تعالى عن ذى القرنين (حتى اذا بلغ مطلع الشمس وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها ستراً) فهاهنا حقيقة قاطعة وهي قوله تعالى (لم نجعل لهم من دونها سترا) وفى مقابل هذه الحقيقة (أمر ظنى) ناشىء من العلم الجغرافى القديم الناقص ، الذى كان معتمدا قبل اكتشاف مناطق القطبين ، وقبل معرفة دورة الارض حول الشمس وهى مائلة ميلا يحدث عنه طول النهار فى أحد القطبين حتى لا تغيب عنه الشمس عدة اشهر ، وحلول الليل فى القطب الثانى حتى لا تطلع عليه الشمس عدة أشهر . فقد كان الناس لا يجدون فى بقاع الأرض التى عرفوها ، بقعة تطلع عليها الشمس بلا ليل . فكان يبدو فى الظاهر وجود تناقض بين القرآن والعلم . والحال أنه لا يوجب ذلك التناقض الحقيقي الذى شرطه قيام قضيتين قاطعتين تتناقضان ، لأن نفى الناس وجود بقعة أرض لا تغيب عنها الشمس كان نفيا ظنيا خاطئا بحسب ما عندهم من العلم الناقص عن جميع بقاع الارض ، فلما تم اكتشاف القطبين وظهرت البقاع التى تبقى الشمس فيها طالعة عدة أشهر تحقق صدق الآية .

نرجو ألا تغرب هذه الحقيقة الثالثة عن أذهان الشبان المثقفين ، لأنهم سيقعون فى الأحاديث النبوية الصحيحة على كلام يتوهمون فيه التناقض لاعتقادهم بأن الامور التي يعرفونها قطعية ، وهى لا تكون قطعية حقا فى باب العلم كما ظهر فى المثال الآنف الذكر .

الحقيقة الرابعة : ليس فى القرآن أبدا أى معنى أو خبر يحدث تناقضا مع أحكام العقل أو مع أحكام العلم اليقينية ، لأن ارادة الله لا تتعلق بالمستحيلات العقلية . حتى المعجزات هى من الممكنات العقلية . فخلق عيسى من غير أب من الممكنات ، وفلق البحر لموسى من الممكنات ، وانقلاب عصا موسى الى حية تسعى من الممكنات ، وتكلم عيسى فى المهد من الممكنات ، واحياء الموتى من الممكنات ، والاسراء بالنبى من مكة الى بيت المقدس فى ليلة واحدة من الممكنات . وقس عليه ما ورد فى الأحاديث الصحيحة . ولكن لا تخرج فى قياسك هذا عن القاعدة وهى التمييز الصحيح بين المستحيل عقلا والمستحيل عادة ، وبين أحكام العلم اليقينية والظنية . فالمستحيل العادى من نوع الممكن . وأحكام العلم الظنية لا تصلح أساسا للقول بوجود التناقض .

الحقيقة الخامسة : ان القرآن فيه آيات (محكمات) وأخر (متشابهات) كما قال الله تعالى فى سورة آل عمران (هو الذى أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات فأما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله الا الله والراسخون فى العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر الا أولو الألباب) .

فالمحكمات التى وصفها الله بأنها (أم الكتاب) هى الآيات التى لا يحدث تصور معانيها تناقضا عقليا فى الذهن ، بل القول باستحالتها هو الذى يحدث التناقض العقلى ، لأنها اما أن تكون من نوع الواجب العقلى ، واما أن تكون من نوع الممكن العقلى . والقول باستحالة الواجب أو الممكن هو الذى يحدث التناقض العقلى . كما لا يخفى . أما المستحيل العقلى فلا تتعلق به ارادة الله كما سبق القول .

أما المتشابهات فهى ما يشتبه ويلتبس على الناظر أمرها فيظن أنها تحدث تناقضا مع العقل ، أو مع المحكمات وهى ليست كذلك . وقد أمرنا الله عند حصول هذا الالتباس ، أن نرد المتشابهات



الى المحكمات ، قبل أن نتورط فى انكارها، مـا دامت بذاتها لا تشـكل فى الحقيقة تناقضا قطعيا مـع العقـل ، أو مـع المحكمات ، أو مع العلم اليقينى القاطع ، كما فى الأمثلة التى ذكرناها عن المعجزات التى يشتبه على غير الراسخين فى العلم أمرها ويعدها من المستحيلات ، وهي من الممكنات . وكما فى المـثال الـذى أوردناه عن طول ظهور الشمس فى منطقة القطبين ، فقد اشتبه على الناس أمـر تلك الآية ، فظنوا أنها تناقض العلم ، ثم تبين لنا أن القضية العلمية ليسـت يقينية بل ظنية كذبها العلم . فظهـر بهذا حكمة أمر اللـه لنا بـأن نـرد المتشابهات الى المحكمات ، قبل أن نتورط فى الجدل والمراء بشأنها ، وبأن نقـول عنها قول الراسخين فى العلم ، الذيـن يعرفون هذه الفروق بـين التناقـض الحقيقـي المؤكد وشـبهة التناقض فيعتمدون على صدق القرآن ، ويرجعون فى تصديق المتشابهات ـ ولو لم يعلموا تأويلها الى المحكمات ، ويقـولـون عن القرآن كله (آمنا به كل من عند ربنـا وما يذكر الا أولو الألباب) .

الحقيقة السادسة : ان كل ما فى السنة الصحيحة معتمد على أصل القرآن ، ومردود اليه ، ومقيد به . فلا يناقضه أبدا . فالقرآن هو (الميزان) الذى نزن به الأحاديث الصحيحة فما كان منهـا متفقا مع أصول القرآن فـلا مجـال للبحث فيه . وما كان منها متناقضا مع القرآن ، وكان التناقض قطعيا لا سبيل فيه الى التوفيق ، فهذا هو الذى يصح أن نقف عنده ، ونبحث فيه عن صحة الحديث وقوته .

وخلاصة القول : ان الميزان الذى نـزن به الحديث هو القرآن نفسه . فان كان الحديث يتلاءم مع أصول القرآن ، ولا يتناقض معها ، لم يبق مجال عند المؤمن العاقل الى نقد الحديث أو انكاره اعتمادا على ما فى تفكـيره من الاستحسـان أو الاستهجان أو الاستبعاد الظنى . وكل ما نرجوه من الشبان المثقفين المخلصين ألا يستعجلوا فى نشر النقد للحـديث الصحيح الذى لا يسيغه تفكيرهم ، وأن يعرضوه بأنفسهم ، أو بمعونة أهل العلم، على الميزان الذى ذكرناه من القـرآن والعقل . فان وجدوا له أصلا فى القرآن فقد انحل الاشكال . وان لم يجدوا له أصلا فى القرآن لجأوا الى ميزان العقل الذى قررناه وأوضحناه ، فان رأوا فى الحديث ما يوجب تناقضا عقليا ، لا ظنيا، مع أصل أو أكثر من أصول القرآن جاز لهم عندئذ البحث فى مبلغ الحديث من الصحة .

هذا ما ألهمنا الله أن نكتبه فى هـذا الموضوع ليكون جوابا لكل شبهة . والله المستعان .

- كـان النـاس يفعلـون ولا يقولون ، ثم صاروا يقولون ولا يفعلون ثم صـاروا لا يقولون ولا يفعلون .
- أفضل العطـاء ما كـان من معسر الى معسر .
- الايام مزارع ، فمـا زرعت فيها حصدته .
- لا أوعظ من قبر ولا أمتـع من كتاب .
- الكلمة اذا خرجت من القلب وقعـت فى القلـب واذا خرجت من اللسـان لـم تجاوز الآذان .



ومواقف منه عند شعراء المهجر

للاستاذ محمد عبد الغنى حسن

لفت نظرى وانا اتحدث عن الشعر العربى فى المهجر أن اكثر شعراء المهجرين / الشمالى والجنوبى ، قد اشادوا بالاسلام فى قصائدهم،ولم يتركوا مناسبة دينية اسلامية او اجتماعية الا ابرزوها ، واطالوا الوقفة الشعرية عندها ، واستخرجوا منها اجمل ما تحمله من ذكريات ، واسمى ما تتضمنه من عظات .

وقد اشرت الى تلك الظاهرة التي تلفت النظر فى كتابى عن شعر المهجر . وهي ظاهرة لم يلتفت اليها التفاتة طويلة مستأنية مستقصية واحد من السادة الذين كتبوا عن الادب المهجرى فى مختلف فنونه . وكانت السطور القليلة التي تناولت بها هذه الظاهرة الكريمة فى كتابي غير كافية لايفاء الموضوع حقه من البحث والتتبع والاستشهاد ، فلم تكن غير ملحوظة عابرة ، لخصيصة ظاهرة ..

ولعل المجال فى مجلة ((الوعى الاسلامي)) هو اليق المجالات فى الدراسة والبحث الاسلامي لتناول هذه الظاهرة الشعرية ، وفاء بحق الدرس من ناحية ، وايفاء لفضل هؤلاء الشعراء المهجريين من ناحية اخرى .

وترجع روح الانصاف عند اخواننا الشعراء فى المهجر الامريكي الى ما وهبوه من اتساع النظرة الى الاديان ، والبعد عن ضيق الافق الذى يحجب الرؤية الصحيحة للأمور على حقيقتها . فقد وسع التسامح الديني فيهم من نظرهم الى فكرة الاديان ، كما فتح نوافذ قلوبهم على كل ما يخالف دينهم ، ومن هنا نجد

مثل هذا الكلام المنثور للشاعر الناثر جبران خليل جبران: (أنا مسيحي، ولى الفخر بذلك، ولكنني اهوى النبى العربى واحب مجد الاسلام، وأخشى زواله).

ولا تجد عند شعراء المهجر الشمالى والجنوبى فرقا من ناحية التسامح الدينى، والبعد عن التعصب، فهم فى ذلك سواء، الا انهم قد يختلفون فى التعبير عن ذلك. كما تجد عند حفنة كريمة منهم تحمسا للاسلام، وروحه، ورسالته العالية، وتمجيدا لنبيه العربى الكريم، واعتقادا جازما بأنه فخر للامة العربية التي ينتمون اليها على الرغم من اختلاف دينهم، وينضوون تحت لوائها.

ولعل هذه الظاهرة تتجلىواضحة عند الشاعر القروى « رشيد سليم الخورى » الذى لا يتوانى لحظة عن المشاركة باشعاره القومية فى المناسبات الدينية الخاصة بالمسلمين. فأذا جاء عيد الفطر فى اعقاب شهر الصيام الذى يطهر نفوس الصائمين ويزكيها، رأيت الشاعر القروى يشارك فى تكريم هذا العيد، ويباهى بنبى المسلمين، وآياته الكبرى، ويتوق الى أن يرى العرب كلهم محررين من رق الاجانب تحت علم من نسج محمد وعيسى وفى ظل آمنة بنت وهب ومريم عليهم **السلام، فيقول:**

أكرِّم هذا العيد تكريم شاعر
يتيه بآيات النبى المعظم
ولكننى اصبو الى عيد امة
محررة الاعناق من رق اعجمى
الى علم من نسج عيسى واحمد
وآمنة فى ظله أخت مريم

واذا جاء عيد المولد النبوى رأيت الشاعر القروى - وهو فى مهاجره بالبرازيل - يسارع الى الحفاوة به بمثل قوله من قصيدة قومية:

عيد العروبة عيد المولد النبوى
فى المشرقين له والمغربين دوى
عيد النبى ابن عبد الله من طلعت
شمس الهداية من قرآنه العلوى
يا قوم. هذا مسيحى يذكركم
لا ينهض الشرق الا حبنا الأخوى
فان ذكرتم رسول الله تكرمة
فبلغوه سلام « الشاعر القروى »

وما كان للمولد النبوى هذا الاهتمام فى شعر المهجر عند الشاعر القروى وحسب، فاننا نرى الشاعر الكبير « الياس فرحات » يشترك فى هذه المناسبة بقصيدة محكمة النسج ليقول فيها:

غمر الارض بانوار النبوه
كوكب لم تدرك الشمس علوه
لم يكد يلمع حتى اصبحت
ترقب الدنيا ومن فيها دنوه
بينما الكون ظلام دامس
فتحت فى مكةٍ للنور كوه
وطمى الاسلام بحراً زاخراً
بأواذي المعالي والفتوة ..

وتمر السنوات فى العالم الجديد بشعراء العرب المهجريين عاما بعد عام، فلا نرى عيد مولد النبى عليه السلام دون ان يسمع فيه صوت لشاعر من اخواننا هناك. واذا بنا فى احد تلك الاعياد نرى الشاعر الرقيق رياض المعلوف ابن صديقنا واستاذنا العلامة المرحوم عيسى اسكندر معلوف - يشترك

الاسلام ومواقف منه عند شعراء المهجر



مع اخوانه المسلمين فى المهجر الجنوبى بقصيدة نبوية يقول فيها :

وحد الله . فالمؤذن وحد
وبذكر النبى فى العيد أنشد
يا رسول الانام . انت وعيسى
خير من يصطفى،ويرجى ،ويقصد
وكفى العرب فخرهم بانتساب
لنبى هو النبى « محمد »

ثم نلتقى فى احد الاعياد للمولد النبوى عند شاعر مهجرى آخر هو الاستاذ نصر سمعان احد اعضاء « العصبة الاندلسية » فى البرازيل ، واحد المهاجرين السوريين من بلدة « القصير » من اعمال مدينة حمص . فاذا به يرتقى منبر حفل اعد لهذه المناسبة الكريمة ، واذا به يستهل قصائده ومقطعاته بهذا المقطع الجميل :

كوكب رحّب الوجود به يو
م تجلى على الوجود شعاعه
كلما مرت العصور وغارت
فى مهاوى الزمان زاد ارتفاعه
شهد الله اننا فى سبيل الحق
والمجد كلنا اتباعه ....

واذا به يقول من قصيدة كافية فى المناسبة ذاتها مخاطبا النبى العربى عليه الصلاة والسلام :

بزغْتَ فحيت الجوزاءُ مهدكْ
واعلت فوق مجد الشمس مجدك
وكل فم له الفصحى لسان
يردد بعد حمد الله حمدك ....
وكم خلت الممالك من ذويها
وانت ملأت قلب الدهر وحدك
نبى قريش . ان قريش ولّت
وولت اشرف النزعات بعدك
فلا عمر تراه ، ولا علي
يقود الى مراقى العز جندك

وما تقاعس صديقنا الشاعر المهجرى الكبير جورج صيدح فى مغتربه ، عن المشاركة فى تمجيد « عيد المولد النبوى » بقصيدة طويلة رقيقة من مجزوء الكامل ، تبلغ ابياتها بضعة وخمسين بيتا ، يقول فيها عن النبى محمد :

لا يعجز اللهُ الذى
ان قال : كن للشيء كانْ
امر الرمال فأطْلَعت
صحراء يثرب أقحوانْ
للرسل آيات .... وهـ
ـذا الطفل آيته البيان
الروح يملى ما يتر
جمه ونعم الترجمان
بالضاد آذن ربه
فتخلدت لغة الاذان
يا صاحبي بأي آلا
ء الرسول تكذبان ؟؟

ومضى الشاعر جورج صيدح يحدثنا فى قصيدته النبوية عن غار حراء ، والوحى ، والاسراء والمعراج ، وعن دعائم الاسلام الذى بنى حائط ملكه على العدل « وأساسه تقوى الجنان ... » .

وما كان عيد المولد النبوى وحده هو موضوع العناية والاهتمام من شاعرية جورج صيدح ، فقد كان لعيد الاضحى منه التفاتة اخرى فى قصيدة طويلة رقيقة مجزوءة **البحر** ، نظمها فى بوينس

البقية : على ص ٤٤

صيام

بين مؤتمر طوكيو

قرحة المعدة تصيب من غير المسلمين سبعة امثالهم من المسلمين

أبعد الناس عن الدين اكثرهم تعرضاً للقرحة

الصيام يقوي البدن، وينظم الأجهزة الهضمية والدموية

الصيام وسيلة لشفاء القرحة المعدية

المصابون بالقرحة يشعرون بالراحة في الصوم

لم نلاحظ زيادة القرحة في شهر رمضان

شهر رمضان

الطبي والاطباء العرب

تحدثنا معك فى المقال الافتتاحي عما أثير فى مؤتمر طوكيو الطبى حول الصيام وتعليقنا عليه . وها نحن أولاء نقدم لك هنا الموضوع كاملا : البرقية الواردة من طوكيو التي نشرتها بعض الصحف ، والبحوث التي جاءتنا من السادة الاطباء الذين نقدم لهم وافر الشكر على مبادرتهم بارسال آرائهم . ونوجه نظر القراء الى مقال الدكتور منذر الدقاق المنشور فى هذا العدد .

د . محمد عبد القادر ــ الكويت

د . زكى سويدان ــ القاهرة

د . سالم نجم ــ الكويت

د . أحمد شوكت الشطى ــ دمشق

د . وجيه زين العابدين ــ العراق

د . خليل درى لطفى ــ الاسكندرية

جريدة النهار اللبنانية العدد ٩٤٥٢ - ٢٥ أيلول ١٩٦٦

مؤتمر
طوكيو

كلام في مؤتمر طبي :
صيام رمضان له علاقة بحدوث القرحة في المعدة

طوكيو ــ ٢٤ ايلول ــ رويتر ــ اعلن للعلماء المجتمعين في مؤتمر عالمي للبحث في شؤون جهاز الهضم هذا الاسبوع في طوكيو ، ان صيام المسلمين في شهر رمضان له علاقة بحدوث القرحة في المعدة .

وذكر للمؤتمر ان السبب الرئيسي للاصابة بالقرحة في جهاز الهضم في تركيا هو تناول الاطعمة الحامضة ، يليها شرب الشاي والماكولات المرة وتدخين السجائر والاكل بسرعة واكل اللحوم والتخمة والاكثار من شرب الماء والوجبات الساخنة والقهوة والوجبات المالحة والكحول على هذا الترتيب .

ولوحظ ان صيام رمضان من العناصر التي تعجل في الاصابة اذ تبين ان هناك ٥٩،٤ بالمئة من ٤٢٥ صائما طلبوا المعالجة في الاسبوع الاول من شهر رمضان و ٩،٤ بالمئة في بقية الشهر و ٨،٢ بالمئة بعده .

وقال المندوب المصري السيد دقاق منذر : « ان انستعراض الحالات التي لدينا يظهر اختلافا اكيدا بالنسبة الى صيام رمضان في حدوث القرحة »

صورة
بالزنكوغراف
لما نشر بجريدة النهار

وهذا ما بعث به الدكتور محمد عبدالقادر

ان أول ما يلفت نظرى فى المنشور عن هذا المؤتمر هو القاء القول جزافا دون تأمل أو تبصر . وانى سأستخرج الدليل على بطلان هذا الادعاء من الكلام المنشور نفسه ، فقد جاء فيه ما نصه بالحرف : « اذ تبين أن هناك ٥٩و٤ بالمئة من ٤٢٥ صائما طلبوا المعالجة فى الاسبوع الاول من شهر رمضان و ٩و٤ بالمئة فى بقية الشهر و ٨و٢ بالمئة بعده» . فهل هناك دليل أقوى من هذه الاحصاءات .

ــ ان صدقت ــ على أن صيام رمضان خير ما يؤدى الى تنشيط الجهاز الهضمى ، والتخلص من كثير من الاضطرابات الهضمية . فان كان أكثر من نصف هؤلاء الصائمين قد شكوا من أعراض دعتهم الى طلب العلاج فى أول أسبوع من رمضان ، فان تأثير الصيام قد بدا واضحا فى انخفاض هذه النسبة من ٥٩و٤٪ الى ٩و٤٪ فى بقية الشهر وما بعده . وكل ما هناك أن تغيير مواعيد الأكل فى أول الشهر يتطلب توازنا جديدا قد يضطر الصائم الى طلب المعالجة ، ولكن هذا لا يعنى أن الصائم قد أصيب بقرحة المعدة أبدا . وقد لا يتعدى الامر شيئا سوى مجرد الامساك أو غيره .

وقد يعزو بعض الناس هذه الاضطرابات الى الصيام بدون مبرر . والحقيقة أن الأمر بعكس ذلك تماما . فهذه الاضطرابات لا تحدث الا عند من يتجاهل فلسفة الصيام وحكمته ، ويسرف فى

الطعام بعد الافطار فيصاب بالتخمة . والصيام لم يفرض لملء البطون . وانما جعل لاراحتها فترة معينة، وليشعر الصائم ببعض ما يعانيه المحرومون، ولكى يعود نفسه الصبر . ولا شك أن الاسراف فى الطعام يتنافى مع هذه الفلسفة . فما ذنب الصيام ان كانت هناك قلة من المسلمين تمارسه بطريقة تتنافى مع أبسط مبادىء الاسلام .

ثم ذكرت البرقية بعض الاسباب الرئيسية للاصابة بقرحة المعدة ، ومنها الأطعمة الحامضة والتدخين والكحول . فهل فى تعاليم الاسلام ما يحتم على الصائم تناول الخمر والاسراف فى التدخين ؟

ان الاسلام حرم الخمر تماما كما أنه يحرم الاسراف فى كل شىء حلال وان بعض الدول الاسلامية كالكويت قد منعت تداول الخمور على مدار السنة ، وان كثيرا من الدول الاسلامية الاخرى تحرم تداولها فى شهر رمضان . وهل فى القرآن نص على التدخين فى رمضان ؟ .

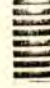
انه مما لا شك فيه أن هناك علاقة وثيقة بين الاسراف فى الأكل ، وبين بعض الامراض التى تفشت فى المجتمع مع تفشى المدنية الزائفة . وأذكر على سبيل المثال مرض البول السكرى وضغط الدم وتصلب الشرايين ، وما يتبعه من


الدكتور محمد عبد القادر

مضاعفات فى القلب والجهاز العصبى . فان أراد القارىء استعراضا للأرقام ، فانى أضع أمامه بعض الاحصاءات التى وردت فى تقرير هيئة الصحة العالمية لسنة ١٩٦٢ ، ولقد حرصت على أن أنتخب من بينها ما يبين الفرق الشاسع فى معدل الاصابة ببعض هذه الامراض فى دولتين اسلاميتين (الجمهورية العربية المتحدة . والاردن) وبين بعض الدول غير الاسلامية .

البلد	معدل الوفيات فى كل مائة ألف من السكان فى السنة			
	قرحة المعدة	البول السكرى	امراض الجهاز العصبى الناشئة عن تصلب الشرايين	أمراض القلب الناشئة عن تصلب الشرايين
ج ع م	٣ و ١	٢ و ٨	٨ و ٥	٣ و ٤٥
الأردن	٩ و ١	٢ و ٣	٤ و ٧	٧ و ٩
انجلترا	١ و ١٠	٢ و ٨	٨ و ١٦٧	٧ و ٣٢٢
فرنسا	٣	٩ و ١٣	٧ و ١٣٩	٢ و ٨٥
الولايات المتحدة	٦ و ٦	٨ و ١٦	٣ و ١٠٦	٣ و ٣١٣
اليابان	٦ و ١٠	٤	٤ و ١٦٩	٨ و ٥٣

مؤتمر طوكيو



فان كانت العبرة بالخواتيم ، فهل هناك دليل أقوى من هذه الأرقام المدوية الناطقة بفضل الاسلام وتعاليم الاسلام من صيام وغيره على صحة المسلمين . قرحة المعدة تقتل من غير المسلمين سبعة أمثالهم من المسلمين كل عام . وأمراض الجهاز العصبى الناشئة عن تصلب الشرايين تقتل من غير المسلمين ستة أو سبعة أمثال المسلمين . حتى البول السكرى تزيد نسبته فى غير المسلمين . أفبعد هذا يتقول القائلون على الاسلام والصيام ؟

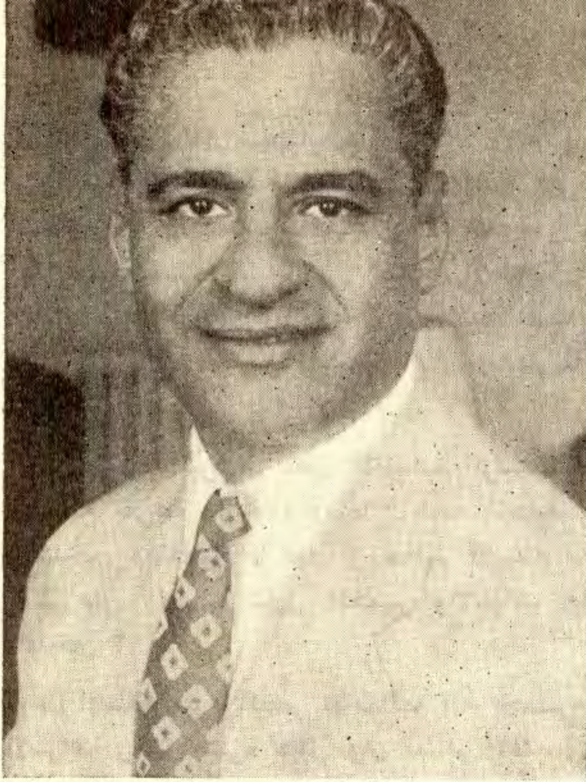
ان الاسلام باق على مر الدهور والأزمان ، وقواعده ستظل راسخة رسوخ الجبال العظام . أما العلم ففى تطور دائم ، يبدأ من ظلام دامس ، ثم يخطو فى كل يوم خطوة نحو النور . وهو فى مسيرته قد يتعثر فى الأخطاء والفروض التي سرعان ما تثبت الأيام خطأها . فلا مجال اذن للتعريض بالدين لظواهر لم يثبتها العلم ولفروض لا تلبث أن تنقض ان الاسباب الاساسية لقرحة المعدة مازالت مجهولة للآن . وكل ما يقال فى هذا المجال انما هو محض افتراض قد تثبته الأيام أو قد تنفيه . وليس هناك دليل على جهلنا بأسباب القرحة من كثرة ما دار حولها من الجدل والافتراضات فى المؤتمرات والندوات العلمية .

كل ما فى الأمر أن بعض الأطباء يظنون أن وجود الافراز الحمضى فى المعدة الخالية أثناء النوم قد يساعد على حدوث القرحة اذا تجرد سطح المعدة من المخاط الذى يكسوه ويحميه من هذا الافراز. ولكن هذا لا يتعدى مجرد ظن قد تؤيده الابحاث أو تنفيه

ومهما قيل عن الصيام فالعبرة بالنتائج النهائية ، وهى واضحة وضوح الشمس فى البيانات التى سبق أن سردناها .

ان قرحة المعدة تزيد فى الذكور عن الاناث بنسبة أربعة الى واحد . فهل معنى ذلك أن الرجال هم وحدهم الذين يصومون وان نساء المسلمين لا يؤدين فريضة الصيام .

ولي فى هذا المجال كلمة أخيرة . فان مخاطبة الجماهير على صفحات الجرائد يجب أن تتصف بالدقة التامة والحذر الشديد ، وعلى الاخص فيما يتعلق بتعاليم الدين. فالدين باق والعلم فى تغير مستمر



الدكتور زكي سويدان

أما الدكتور محمد زكى سويدان رئيس مجلس الأمراض الباطنية العامة بكلية الطب بجامعة عين شمس بالقاهرة ، فقد أرسل الينا رده الآتى مع خطاب رقيق جاء فيه « وانى أرفق الرد عسى أن يرد السهم الى قلب راميه ، وأرجو اعتبارى دائما فى خدمة أسمى الأديان السماوية ، الوحيد الذى يتمشى مع جميع التطورات الدنيوية » وهذا هو رده الذى جعل له هذا العنوان » .

« الصيام وعلاقته بقرحة المعدة »

اذا تطرقنا الى هذا الموضوع من الأساس العلمي، فان هذا يتطلب ذكر الحقائق التالية :

ان الأسباب والنظريات والتجارب العلمية تثبت أن الاصابة بالقرحة تكثر فى الأفراد المصابين بالقلق النفسي والعمل الذهني الشاق .

ان القلق النفسي يؤدى الى تنبيه مراكز الهيبوثالامس فى المخ الأوسط ، وهذا يؤدى الى تأثيرين .

أ ـ تنبيه العصب الحائر وهو الذى يغذى المعدة ويزيد حركتها وافرازها .

ب ـ تنبيه الفص الأمامى للغدة النخامية ، وهى التي تسيطر على باقى الغدد الصماء ، وخاصة

الغدد فوق الكلى (الكظرية) وقد يثبت علميا سواء بالتجارب أن زيادة افرازها أو استعمال هرموناتها يؤدى الى زيادة افراز المعدة الحمضى . واكلينيكيا قد يؤدى الى نزف من المعدة والاثنى عشر باحداث قرحة .

ولهذا فان الكورتيزون ومشتقاته محرمة كعلاج طبى لمرضى الروماتزم اذا كانوا مصابين بقرحة معدية .

كما ثبت أن المصابين بضمور الغدد فوق الكلى (مرض أديسون) يصابون بنقص أو انعدام الافراز المعدى وبالتالى عدم حدوث قرحة .

وهرمونات الغدد فوق الكلى تؤدى الى قرحة بالمعدة والأثنى عشر بعدة عوامل علاوة على زيادة افراز المعدة الحمضى ، منها ضعف مقاومة الغشاء المخاطى للتآكل بالحمض ، وثانيا ضعف عملية البناء اليومية به والمعوقة لعملية الهدم فى جميع الأنسجة الحية .

وان القلق النفسي سواء من البيئة أو العمل أو الخوف ، أو الناجم من عوامل مرضية أخرى مثل جلطة الشرايين التاجية بالقلب والحروق والجراحة أو عوامل طبيعية مثل التعرض للأشعة العميقة يؤدى الى قرحة بهذا السبيل .

ان القلق النفسي والانفعالات النفسية تؤدى أيضا الى اقلال مقادير الدم المغذية للمعدة وبالتالي يسهل تآكل جدارها .

علاوة على هذا فهناك عوامل مساعدة كثيرة منها :

١ ـ الاستعداد الخلقى والوراثى . وقد ثبت ارتفاع نسبة حدوث القرحة فى نوع معين من فصيلة الدم فى افرازه كما أن حوالى ١٠٪ من البالغين تكون نسبة الحموضة مرتفعة عن الحد الطبيعي وبذلك يكونون أكثر عرضة للقرحة .

٢ ـ التدخين وخاصة الافراط فيه .

٣ ـ كثرة استعمال العقاقير المضادة للروماتيزم والآلام والصداع مثل الاسبرين والسالسيلات .

٤ ـ كثرة تناول المواد الحريفة والبهارات التي تؤدى الى تهيج الغشاء المخاطى للمعدة .

هذا من الناحية العلمية لأسباب القرحة ، أما من الناحية الاحصائية ، فان الاصابة بها لا تحدث فى الأفراد الذين يتعيشون بالمجهود الجثمانى لا الذهني فهى لا تصيب العمال الزراعيين ولا البدو ولا سكان القرى ولا الفقراء ، وهؤلاء هم الغالبية العظمى التي تمارس الصيام بايمان صادق .

كما أن عملية الهضم تختل بالانفعالات النفسية وأوضح مثل لهذا حدوث القيء اذا أعترى بعض الأفراد رائحة كريهة أو خوف ، كذلك فان المعدة تمثل مندوبا خاصا يشترك فى آلام وأمراض الجسم المختلفة مثل التهاب الزائدة الدودية وأنواع التسمم المختلفة سواء من داخل الجسم أو خارجه، ويذكرنا هذا بأجيرة المآتم التي تشترك فى ندب فقيد العائلات المختلفة .

ونخلص من هذا أن قرحة المعدة هى احدى رذائل المدنية فى المدينة ، بما فيها من جهد ذهنى فى أشخاص يتفشى فيهم القلق النفسى ، والحيرة فى مشاكل واشكالات فوق طاقة احتمالهم الفكرى ، كما يتفشى فيهم عدم الرضا ، وكثرة الشكوى من ظروفهم وحوادثهم .

وعند الاصابة بالقرحة يتحتم تناول الوجبات الغذائية الخاصة معظمها من اللبن ومشتقاته فى فترات قصيرة حتى لا تشتد وطأة القرحة ، أو تعرض المريض للمضاعفات الخطيرة وخاصة النزف والانثقاب .

من هذا نرى أن قرحة المعدة تكثر فى الأشخاص الدنيويين عديمى الايمان الصادق عديمى الرضا بالواقع ، وهؤلاء أبعد الناس عن الدين وأكثرهم تعرضا للقرحة .

لقد كان غاندى وتلاميذه يمارسون الصيام أكثر من أشهر بايمان صادق وعزيمة قوية .. ولم يصابوا بقرحة المعدة .

ومع أن الصيام أحد أركان الاسلام الا أن الله سبحانه وتعالى قد أعطى المسلم اجازة الافطار فى قوله تعالى « ومن كان منكم مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر » .

لهذا أرى أن الصيام فى حد ذاته لا يكون سببا فى حدوث القرحة .



وهذا رأى الدكتور سالم نجم رئيس قسم الأبحاث الطبية بوزارة الصحة بالكويت . يقول فيه :

من المعروف لدى رجال الطب الثقاة أن اسباب قرحة المعدة غير معروفة حتى الآن ، وهناك الكثير من النظريات التي وضعت لتفسير بعض جوانب هذا المرض منها : ازدياد افرازات المعدة والأمعاء الدقيقة وخاصة الأحماض ، ومنها التدخين وشرب الخمر ، ومنها توالى التهاب المعدة اتحاد المتكرر ، ومنها ادخال الطعام على الطعام وخاصة المتبل منه ، ومنها اضطرابات الهرمونات فى الجسم وخاصة المفرزة من الغدد الصماء ، ومنها ازدياد الحساسية النفسية واختلال الأمزجة ، وهناك من يقول بنظرية الاستعداد الشخصي مع عامل الوراثة . وآخر يقول باحتمال وجود علاقة وثيقة بين نوع فصائل الدم فى الانسان وبين أصابته بقرحة المعدة . كل ذلك مجرد افتراضات ، وليست هناك آراء فى هذا الموضوع تتعدى حدود النظريات لتصبح مكان اليقينيات حتى نقول ان قرحة المعدة تنتج من هذا السبب أو من ذاك .

والعجيب فى الأمر أنه ليس من بين هذه الأسباب الصيام (لا صيام المسلمين ولا صيام الهنود ولا أى صيام آخر) بل انه يتحتم علاج حالات الالتهابات المعدية الحادة بالامتناع عن الطعام واعطاء الجهاز الهضمي فرصة للراحة ليسترد قواه . ولا يعقل أن تعالج حالات الالتهابات الحادة بالصيام اذا كان يسبب قرحة المعدة كما جاء فى البحث .

على أنه يجب أن نشير الى أمر مهم وهو أن المرضى المصابين بقرحة المعدة أو الاثنى عشر يتحتم عليهم مراجعة أطبائهم للاستشارة قبل البدء بالصيام ، حيث ثبت احصائيا أن الافطار بنهم بعد الصيام قد يسبب انفجارا أو نزيفا للمرضى المصابين بالقرحة ، كما أشار الى ذلك أستاذنا الدكتور عبد الوهاب مورو فى بحث له عن هذا الموضوع . هذا وفى يقيني أن المسلمين اذا ما التزموا بآداب الصيام ، من تجنب للغضب ، وضبط للنفس



الدكتور سالم نجم

وتسامح ورضى وابتهاج روحى بالصيام ، مع مراعاة آداب الطعام والشراب ، وعدم الافراط فيهما ، فان الصائم يقوى بدنه وتنتظم أجهزته الهضمية والدموية وغيرهما ، ويتحقق بذلك قول رسولنا الأعظم صلوات الله عليه (صوموا تصحوا) هذا بالنسبة الى المسلم الصحيح البدن . أما المريض فأمره متروك الى طبيبه المؤمن الحاذق ينصحه بما يفرضه عليه دينه وفنه وعلى المريض الطاعة والامتثال .



أما الدكتور أحمد شوكت الشطى الأستاذ بكلية الطب جامعة دمشق ـ والذى عرفه القراء مما نشرناه له ـ فقد بعث الينا برأيه فى أسلوب عانق فيه العلم الأدب كما يقال :

لقد زعم بعض البحاثين فى مؤتمر طوكيو كما نشرت بعض صحفنا أن لصيام المسلمين فى شهر رمضان علاقة بحدوث القرحة المعدية فى بلاد الاسلام وليتهم عكسوا العنوان حتى يصدق الصحيح ويدعم بالبيان ، فجعلوه « الصيام فى الاسلام وسيلة لشفاء القرحة المعدية وغيرها من الأسقام » .

ان قرحة المعدة مرض تنازع فى شأن حدوثه الأطباء الباطنيون والهضميون، والأطباء النفسيون، وقد فاقت حجج الآخرين على حجج الأولين ، وعادت العوامل النفسية معتبرة عوامل مؤثرة ،

وساهم فى التجوال فى الميدان علـــم الوراثة فقال جهابذته : لا تنسوا أن العوامـــل الوراثية هي المسيطرة ، أما عواملكم من هضمية ونفسية فليست الا عوامل مؤهلة غير خطرة ، ويســتطاع التغلب عليها اذا عرف الانسان سلوك سواء السبيل فى شربـه وأكلـه ، وفى الانتفاع كما يجب من نهاره وليله ، ومن هدوء نفسه وراحة باله .

لقد تنازع العلماء الاختصاصيون على أسباب القرحة كما تنافس فى شأن معالجتها الهضميون والجراحون الذين رأوا فى المبضع علاجها ، كما رأى الهضميون فى الحمية دواءها ، وأثبت النفسانيون أن فى اجتناب الهلع والتوتر ، وفى اطمئنان النفس وهدوئها دعما للطريقتين المتبعتين فى معالجـــة القرحة ، ومنعا لتكرار ظهورها وعودتها بنكسها



الدكتور احمد الشطي

أو تحولها ولعل هــذا أهم بكثير من معالجتها . وقد ثبت أخيرا أن خير حمية تتبـــع فيها (أى القرحة) هى حمية اللبن (الحليب) وحده مدة تقرب من ثلاثة أسابيع . وهذا أمر متفق عليه بين جميع الاختصاصيين اتبعناه باستمرار ، وشفى به أكثر مرضانا ، ورضى أكثرهم عن هذه الطريقـة الخالية من الأخطار والمحاذير ، الا فريقا منهم ابتلاه الله بالنهم فلم ترق له ، ورأى فى هذه الطريقة كبتا لرغباته ، وحدا من شهواته ، حتى قال بعضهم أما يكفينا الصيام وما فيه من فرض لاجتناب الطعام خلال ساعات عديدة ومدة طويلة من الأيام فاستفلينا ما فاه به وقال ، وقلنا للمريض ما دام الصــيام فى نظرك ضبط النفس وهواها ، فاشدد عليهـا واقتصر على اللبن طيلة أيام شهر رمضان فتكسب بذلك حسنتين ، حسنة أدائك الفرض العظيم ، وحسنة شفائك من مرضك المستديم .

ولقد اتبعنا هذا الأسلوب فى العاصـين على الحمية اللبنية خارج رمضان من المعمودين ، غير المتألمين فشفى أكثرهم ، واننا ندعو الزمـلاء الى اختبار ما قلناه ليتبينوا انطباق القول على الفعل فيما ذكرناه .

وأخيرا كان حريا بهؤلاء البحاثين أن يبينوا ان تخليط الطعام الذى ذكـــروه واثبتوا ضرره فى قرحة المعدة لا صلة له بالاسلام ، الذى ينهى عن التخليط والافراط فى الطعام ، بل ان سببه عدم تمسكهم بما تقتضيه تعاليم الاسلام من دعـــوة الى هدوء النفس والاقلال من الطعام فى شـــهر الصيام .

يتضح لك مما ذكرت يا أخى براءة تعاليـــم الاسلام وخاصة منها الصيام من توليد القرحة .

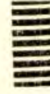


أما الدكتور وجيـه زيـــن العابدين الطبيب الاختصاصي فى بغداد فيناقش ما نشر مناقشة طبية منطقية فيقول :

لم تكن كلمات المؤتمرين تدل بوضوح على أن الصوم فى رمضان يسبب القرحة ، فما ذكـــره الطبيب عن الاصابات فى تركيا بين أن سببه تناول الأطعمة الحامضة وشرب الشاى والتدخين .. الخ وهو يحدث فى رمضان وفى غيره ، وربما قد تساعد هذه الأشياء على الاصابة بالقرحـــة عند ذوى الاستعداد .

أما قوله (ولوحظ أن صيام رمضان من العناصر التي تعجل فى الاصابة اذ تبين أن هناك ٥٩٫٤٪ من

مؤتمر طوكيو



٤٢٥ صائما طلبوا المعالجة فى الأسبوع الأول من شهر رمضان و ٩ر٤٪ فى بقية الشهر و٢ر٨ بالمئة بعده) فانه لم يذكر أن هؤلاء الـ (٤٢٥) مريضا كانوا مصابين بالقرحة فى المعدة ، ولم يكونوا تحت المعالجة فطلبوها .. أم أنهم ظهرت عندهم الأعراض أو زادت فى الأسبوع الأول ، أم كانوا صائمين اعتياديين فمرضوا وطلبوا المعالجة ؟ .. ولو فرضنا أنهم كانوا جميعا سالمين فظهرت عليهم أعراض القرحة فلا يتم تشخيصهم فى أسبوع واحد وان تم ، فلا يعنى أنهم كانوا قبل رمضان سالمين ، اذ لا يمكن تشخيص القرحة أى تكوينها بحيث تظهر



الدكتور وجيه زين العابدين

بالأشعة وتعطى علاماتها وأعراضها فى أسبوع واحد أبدا .. ولو فرضنا أنهم كانوا مصابين ورجعنا الى النسبة لوجدنا أن ٥٩٪ فى الأسبوع الأول هبطت الى ٩٪ فى الأسبوع الأخير وهو دليل على فائدة الصيام لا العكس .. ثم ما هى الواسطة التى شخص بها المرض ؟ ان كانت الاشعة فان أكثر من ٣٠٪ من الأشعة التي تظهر قرحة يكون الانسان فيها سليما معافى من القرحة كما أن نسبة كبيرة أيضا من التقارير الشعاعية النافية للقرحة تثبت فى العملية وجود لا قرحة واحدة بل قرح .. (هذا ما ذكرته المجلات الطبية وشاهدته بنفسى) .. وأصبح المعول الوحيد فى التشخيص هو النظر فى المعدة بواسطة الناظور ...

وأعرف بعض مرضاى المصابين بالقرحة قد شعروا بالراحة فى الصوم ، واعتقد أن الايمان بالله هو الذى يجلب الراحة النفسية ، فيعين ذلك على شفاء القرحة ، كما انتهى اليه العلم الحديث فصار يخلط مع أدوية المعدة دواء لسكون النفس واطمئنانها .



وهذا رأى الدكتور خليل درى لطفى رئيس قسم الأمراض الباطنية بكلية طب الاسكندرية ، يقول سيادته :

وبعد ـ فمن حيث الصيام وعلاقته بالاصابة بالقرحة فانى أفيد سيادتكم بالرد الآتى :

ان هناك احتمالين : شخص مصاب بقرحةالجهاز الهضمي وعلى الأخص الاثنى عشر فهو فى هذهالحالة على مرض ، وهو يعفى من الصيام ، لأن علاج هذه القرحة يحتاج لأكلات صغيرة متعددة .

أما الفريق الثانى فهو يخشى الاصابة بالقرحة ، وهم هؤلاء الذين عندهم حموضة أكثر من الطبيعي وقد لوحظ بالتجربة فى بحث عملى بالقسم نشر باللغة الايطالية فى مجلة الجمعية الطبية الايطالية ٢٦ مايو ١٩٦١ ـ أن الحموضة تزداد فى المعدة الخالية تدريجيا ، ولكن هناك بالطبع ظروف صناعية تتحكم أثناء فحص هذه الحالات ، وتغير النتيجة مثل : الخوف من ابتلاع الأنبوبة فى بعض الحالات ، ولكن ليست الحموضة فقط هي العامل الوحيد فى هذه الحالات ، بل هناك عوامل أخرى ومن أهمها : العامل النفسانى ولذلك بالرغم من ازدياد الحموضة فى هذه الحالات فلم نلاحظ معها زيادة حدوث القرحة فى شهر رمضان .

ومما لا شك فيه أن الصائم الذى يصوم ايمانا واحتسابا عنده من هدوء النفس والطمأنينة ما يساعده على رفع شر هذه الحموضة المتزايدة .

أما الحالات التي يلاحظ اصابتها بأعراض عسر هضم أثناء الأيام الأولى من شهر رمضان فهى جميعها نتيجة لتغيير نظام الأكل ، وادخال كمية طعام كبيرة ودسمة أكثر من المعتاد عند الافطار ، ولم يلاحظ زيادة فى حدوث القرحة أثناء شهر رمضان ـ ولست الآن فى موقف أذكر فيه فوائد الصوم للصحة ، وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم ((صوموا تصحوا)) فذلك صحيح تماما ، ولم يقصد الصوم بمنع الأكل فقط ، بل بجميع ما نبغيه من تخليص النفس من الشوائب ، ونقاء الضمير والقلب ، وهدوء النفس ، والايمان المطلق بالله ، وكذلك لم يقصد المرضى الذين سمح لهم بالافطار .



الصيام لا يضر القرحة بل قد يفيدها

وهذا رأي الدكتور يس عبد الغفار استاذ الامراض الباطنية العامة بجامعة القاهرة يقول فيه:

ان تجربتى الخاصة فى هذه الناحية لا تتفق والقول بأن صيام رمضان له علاقة باحداث قرحة المعدة ، وانى قد تابعت مرضى قرحة المعدة والاثنى عشر أثناء صيام رمضان فلم أجد أي زيادة ملحوظة فى نشاط القرحة ولا فى نسبة حدوث المضاعفات مثل النزيف المعدى أو الانثقاب المعدى .

واذا شئنا أن ندرس موضوع علاقة صيام رمضان بحدوث قرحة المعدة على أساس علمى فان الموضوع سوف يتلخص فى تأثير الصيام على الافراز الحمضى للمعدة ، اذ أن المعروف أن الحامض المعدى يلعب دورا رئيسيا فى قرحة المعدة ، لا من الناحية السببية فحسب ، بل من ناحية أثر الحامض فى تكييف الاعراض واحداث المضاعفات وان كان كنه العلاقة بين الحامض وايجاد القرحة أو تكييف اعراضها أو احداث مضاعفاتها لم يتحدد تماما بعد ، وان رأينا فى هذا الصدد الذى أقمناه على أساس من البحث التجريبي فى الحيوانات هو ان الحامض لا يوجد القرحة وانما يأتى دوره بعد حدوثها حيث يعوق العوامل الطبيعية التى تؤدى الى التئامها ، وان السبب المباشر لحدوث القرحة هو حالة تفاعل مناعى معين.

وتأثير الصيام على القرحة يتوقف على تأثيره على الافراز الحمضى للمعدة ، وحيث أن المعدة تفرز افرازها الحمضى على أثر الوجبة التى تصلها وأن كمية الحامض ودرجته تختلفان باختلاف الوجبة كما ونوعا ، فانه من الواضح أن طول فترة الصيام حين لا تكون هناك وجبات تبعث المعدة على الافراز فان القرحة لا تتعرض لمزيد من الحامض ، ومن هنا فان الصيام لن يضر القرحة بل على النقيض قد يفيدها . رب قائل يقول كيف يتأتى هذا ونحن نعلم أن علاج القرحة يقوم أساسا على تناول وجبات متعددة بحيث يأخذ المريض وجبة اضافية أو أكثر بين كل وجبتين أساسيتين ، وذلك لكى يتعادل الافراز الحمضى مع الطعام فى كل وجبة أي أن تعدد الوجبات سوف يؤدى الى عدم ارتفاع الحامض ارتفاعا يؤذى القرحة ، والحقيقة ان المقصود من وراء تعدد الوجبات ليس هو تعادل الحامض بالطعام فحسب وانما وهذا هو الاهم ان نحول دون افراز المعدة كمية كبيرة من الحامض اذا وصلتها الوجبة الكبيرة المعتادة ، فمن طريق الوجبات الصغيرة سوف يبقى افراز الحامض قليلا ، وصغر حجم الوجبة يتطلب تكرارها كثيرا حتى يعوض العدد الكثير من الوجبات الحجم الصغير لكل وجبة ، وبذلك نوفى حاجة الجسم من التغذية اللازمة له يوميا .

وعلى ضوء هذا التفسير نستطيع أن نتبين لماذا لا يضار مريض القرحة بالصيام كما أثبتت الدراسات التى اجريناها على مريض القرحة والتى أشرنا اليها فى صدر المقال .

أما ما ورد فى التقرير الذى قدم للمؤتمر من أن نسبة كبيرة من مرضى القرحة تقدموا للعلاج فى رمضان فهو فى أرجح الظن يرجع الى سوء النظام الذى يتبعه بعض الصائمين من تناول وجبة متخمة فى الافطار أو السحور فمثل هذه الوجبة لا ريب تثير افراز المعدة الحمضى حسب ما بينا الى حد يسيء الى القرحة وعلى ذلك فالصيام فى حد ذاته لا يضر القرحة وانما الذى يضر هو الافراط وسوء الاختيار فيما يتناوله الصائم فى الافطار أو السحور أو ما بينهما من مأكل أو مشرب .



مرحى

الله أكبرُ ، لاح وجهُ المشْرقِ — بهلالِه ، وجبينِه المتألِّق

نَبَضَتْ حياةُ البُشْريات ، وحلّقت — بالأفْق ، بارقةُ الشُّعاع المرتقى

رمضانُ أقبلَ بالبشائر والهدى — وبسَلْسَلٍ من بِرّه المتدفّق

قُدُسٌ من الصَّبوات ، في نَفَحاتِه — ما شاء كل متيم أن يستقى

لقد استدار بهِ الزمانُ على الورى — فتَزاحَمُوا حَول الرّبيع المونق

حَفُّوا بِه ، وقَد استخف نُفُوسَهمْ — فيضُ الجلال بِه ، وحُسْنُ الرَّونق

شهرٌ به غُرَرُ الليالى أشْرقَتْ — في الدهْرِ بالأمل السَّنِيِّ الشَّيق

كم هزَّ من عِطْفٍ ، ورَنَّح مُهْجَةً — ومَضَى مع النَّجْوى به البَرُّ التَّقى

مَرْحَى هِلالَ الصَّومِ ، عُدْتَ بِطَلْعَةٍ — وضَّاءةٍ وسنا جبينٍ مُشْرِق

والله أودع فيك من أسراره — روحا بغير البر لم تتخلق

كالنُّور يَدْفُق في الجوانح فيضُه — كالخَيْر يَنْبِضُ بالبنَان الأرفق

هو ذلك الشَّهْرُ الكريم تحدثَتْ — عنه السماءُ بسرّها المستغلِق

نزلَ الكتابُ به مواكبَ رحْمةٍ — وهُدىً يُؤيدُ كلَّ بِرٍّ صَيْدَق

مَسَّ العُقُول ، فشبَّ فيها ثورةً — وأضاء حالكةَ الظَّلامِ المُطْبِق

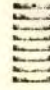
لقد اصْطَفى اللّهُ العليُّ محمداً — للنّاس بالذّكر الحكيمِ المغدق

رفَع الغشَاوة عن بصيرةِ قَوْمه — ومضى يُحرر كلّ رأيٍ موثق

هلال الصوم

للاستاذ محمد هارون الحلو

وجَلاَ بِنُور الحقّ ما صَدِئتْ بِـه ... تِلْكَ العُقُولُ ، وضلّ سعْيُ الأحمقِ
برهانه نورُ الكتاب مفصّـلاً ... ورسالةُ التوحيد أكرم مَوْثِـق
نزلَ الأمينُ به بأكرم ليلـة ... يُوحى لأكرم صادقٍ ، ومصدّق
وسرَت حقيقةُ دينه ، ويقينه ... نوراً يفصله بِسحْرِ المنْطِق
فإذا القلوبُ على شريعةِ ربّها ... وإذا بها حَوْلَ الحقيقة تلتقى
رمضانُ أنْتَ على العروبة رايةٌ ... ضمّتْ لواءَ الشّرق غير مُفَرّق
سطعتْ بنورِ اللّه فيكَ حقيقةٌ ... تهْدى لسَعْيٍ في الزّمان موفّق
مددٌ من الإيمان ، يعصم أمّةً ... ويُقيلهُا من عثْرة ، وتمزّق
الوحدةُ الكبرى تقودُ زمامَها ... أبداً ، لنَصْرٍ في الزّمان محقّق
شهر الجهادِ ، دَعوتَ شعباً باسلاً ... للذّوْدِ عن كَنَفِ المهيض المُرْهَق
أخْلِق بقومٍ أكرمين تعاهدوا ... أن يَسْتردُّوا مجد يعربَ ، أخْلِق



ايرس ١٩٤٨ واودعها ديوانه الاخير « حكاية مغترب » الذى نشر فى بيروت ١٩٦٠. وقد مهد الشاعر لهذه القصيدة الاضحوية يقول « عيد الاضحى كان بمثابة عيد للنصارى والمسلمين فى الارجنتين » . وقد يكون من جميل المناسبة ان نروى هنا بضعة الابيات الاولى من هذه القصيدة :

عيد الاضاحيِّ نوَّر
سبح لربك وانحر
واشرب شرابا طهورا
مولاك اجراه كوثر
واقض المناسك واعلم
ان الملائك حُضَّر
ترف حول الاضاحى
رفيف انسام عنبر
يا ساريا فى الدياجى
بشراك ، فالصبح اسفر
آى النبى تجلت
على الحجيج المؤزر ..
ورددت عرفات
نداء : الله اكبر

ولم تقف مشاركات الشاعر المهجرى جورج صيدح للمناسبات الاسلامية عند هذا الحد ، فقد رأينا له فى ديوانه الاخير ايضا قصيدة بعنوان « الحجيج » نظمها فى احد الاحتفالات البرازيلية بعيد الاضحى ، وقد انتهز فيها فرصة « الضحية » و « النحر » بما يفعله الاعاجم من نحر العرب ، كما انتهز فرصة ضياع فلسطين، فدعا العرب الى تخليصها من يد الغاصبين ، فيقول فى مطالعها :

حجوا جناح الله واعتصموا
يا قاضى الحاجات ، كن لهمو .
الروح تسمع ما يخالجهم
ان سد آذان الورى صمم
والركن يلمس من شعائرهم
شكوى تضيق ببثها الكلم
ما كان يوم النحر يشهدهم
عربا ، يطوق نحرهم عجم
ان الحجيج يحثهم أمل
غير الحجيج يحزهم الم ...

ولا تجد الاشادة بالنبى العربى محمد عليه الصلاة والسلام عند الشعراء المهجريين فى مناسبة المولد النبوي ، فحسب ، ولكنك تجدها حين يجد كل شاعر مهجري راحة لنفسه فى الرجوع الى عزة الاسلام ومجد العرب القديم .

فهذا الشاعر المهجرى «رشيد ايوب» وهو من فحول شعراء المهجر الشمالى بنيويورك ، بل هو صوفيهم ودرويشهم ، واكبر حامل للآلام فيهم « لان النفس التي لا تتألم ـ كما يقول ـ لا جمال فيها ولا تقترب من الله » ... هذا الشاعر الحر تهيجه نعرة الاتراك واستعلاؤهم على العرب ، فينظم قصيدة رائعة قوية يعرج فيها على النبى العربى محمد عليه الصلاة والسلام قائلا :

فنحن بنو الاعراب ، كنا ولم نزل
بما خصنا المولى نفوق الاجانبا
فمن يا ترى اعلى الورى ((كمحمد))
وارفعهم مجدا ، واسمى مناقبا ؟

ولا يفوت الشاعر رشيد ايوب ، وهو يصلى على انبياء الله ورسله ، ويتعبد لعيسى عليه السلام ، ويصلى لموسى ، ان

يتلو السـلام على محمد النبى العربى قائـلا :

اصـلى لموسى ، واعبـد عيسى
واتلـو السـلام على ((احمد))

واختيار شاعرنا لاسم « احمد » فيه اشارة للآية القرآنية الكريمة التي بشر فيها المسيح بالنبى فى قوله تعالى :

(ومبشرا برسول يأتى من بعدى اسمه احمد) .

ولا يقل تمجيد شـعراء المهجر لنبى الاسلام عن تمجيدهم للاسلام نفسه ، حتى ليكون هذا قرين ذاك فى المناسبات المختلفـة . فنجد الشـاعر « محبوب الخورى الشرتونى » فى ديوانه المطبوع ببروكلين ١٩٣٨ يقول :

المسـلمون العـرب اخـوان لها
فاذا يضـام المسلمون يضـام
الشـرق والاسلام مسقط رأسها
لا الشـر قمنتقل ولا الاسـلام

ثم نراه فى قصيدة اخرى يتحدث عن (الفتوح الاسـلامية) الاولى فى ايـام الراشـدين والامويين والعباسـيين ، واتسامها بالعدل والامن والعلم :

طلعت بفيض الامن حول سيوفها
والعلم حول عمائـم السـواس
فتح عليه من العدالة مسـحة
لبنى اميـة ، او بنى العبـاس

ثم ينتقل الى ضياع ملـك المسلمين والعرب ، بالاندلس قائلا فى تحسر :

ذهبت بأندلس الجوائح وانطـوى
علم على ((الحمراء)) ثمةَ راسى
ما زال فى اخلاقكـم ولسـانكم
ما كان فى قِدَم لغير اناس ....

وفى قصيدة ثالثة يتسـاءل عن ايام العرب ، وفتوحات الاسلام ، وسـيوف الفاتحين من امثال طارق بنزياد فيقول :

فأسألى الدهر عن دمشق عن الايا
م فيهـا عـن العـراق وشـانه
وعن الامس عن امية فى الأمصـا
ر عن سيف ((طارق)) وسـنانه

وهل ننسى نحن فى معرض الحديث عن اشادة شعراء المهجر بالاسلام دينا . وبمجده ماضيا ، ما قاله الشاعر الياس فرحات ؟ .

سلام على ((الاسـلام)) ايام مجده
طويل عريض يغمر الارض والسما
نما فنمـت فى ظلـه خـير امـة
اعدت لنصر الحـق سـيفا ومرقما

اما الشـاعر المهجرى الكبير الياس عبد الله طعمة الناصع الديباجة ، القوى الاسلوب ، المتأجج حماسة ووطنية ، فقد كانت له وقفات كريمة منصفة معالاسلام وبنى الاسلام ، فلما شرح الله صـدره للدين الاسلامي ١٩١٦ ، وتسمى باسـم ((ابى الفضل الوليد)) راينا شـعره الاسلامي يزداد اتساعا ، ويزيد قوة ، ويفيض اشراقا . واكثر ما يتجلى ذلك فى قصيدة ((الرؤيا النبوية)) التي تقارب أبياتها خمسين ومائتى بيت ، كما يتجلى فى مطولته الاخـرى التي يصـور فيها رؤياه لفاطمة بنت محمد فى المنام ، وقد فرحت بهدايته الى الاسلام .

ولنا فى عدد تال عودة ان شاء الله الى ((الاسلام)) ومواقف منه ، عند شعراء المشرق .

مائدة القارئ

يا رجال القرآن

روى أحمد أن النبى صلى الله عليه وسلم رأى فى منامه رجلا مستلقيا على قفاه ، ورجل قائم بيده فهر أو صخرة ، فيشدخ بها رأسه، فيتدهده ـ يتدحرج ـ فاذا ذهب ليأخذه عاد رأسه كما كان ، فيصنع به مثل ذلك ، فسأل عنه ، فقيل له : هذا رجل آتاه الله القرآن ، فنام عنه بالليل ، ولم يعمل به بالنهار ، فهو يفعل به ذلك الى يوم القيامة !!

أكرم صهر

كان على ـ كرم الله وجهه ـ يعرف منزلته عند صهره النبى صلى الله عليه وسلم ، ويعتز بها ، وحدث أن سأل الامام علي الرسول الكريم هذا السؤال :

أيهما أحب الى رسول الله : ابنته فاطمة الزهراء ، أم زوجها على ؟

فأجاب الرسول فى ابتسامة رقيقة : فاطمة أحب الى منك ، وأنت أعز على منها .

دعاء ليلة القدر

قالت أم المؤمنين عائشة : يا رسول الله . أرأيت ان وافقت ليلة القدر . ما أقول فيها ؟ قال : قولى اللهم انك عفو كريم تحب العفو فاعف عنى .

عبدان ـ عبادان

درج الناس على كتابة هذا الاسم ونطقه بهذه الصورة عَبَدَان ، وهذا خطأ والصواب عبّادان ، وهى مدينة قديمة تقع فى رأس الخليج العربى ، وتنسب الى عباد بن الحصين الحبطى من قواد الحجاج ، وقد ألحق بكلمة « عباد » المقطع « ان » ليدل به على النسبة ، والحاق الألف والنون للنسبة لغة مستعملة فى البصرة ونواحيها . قال ياقوت فى معجم البلدان : انهم اذا نسبوا موضعا الى رجل يزيدون فى آخره ألفا ونونا .

علامة الانصراف

كان كسرى أنو شروان اذا أراد أن يصرف جلساءه مد رجله ، وكان فيروز يدلك عينيه ، وبهرام يرفع رأسه الى السماء .

أما معاوية فكان اذا أراد صرف الناس قال : « اذا شئتم » أو « العزة لله » ، وكان يزيد يقول : على بركة الله ، وعبدالملك بن مروان يحمل بيده خيزرانة ، فاذا القاها عرف جلساؤه أنه يريد انصرافهم ، وكان يزيد بن هبيرة يدعو بمنديل ، فيعرف الجالسون أنه يريد فض المجلس ، فيقومون .

وفى الكويت والجزيرة عامة يؤتى ببخور العود ويطاف به على الجالسين ، ويترجمون هذا العمل بقولهم : ما بعد العود قعود .

غاية لا تدرك

أراد رجل أن يعلم ابنه شيئا من طبائع الناس ، فاخذ دابة ، وركبها ، وأردف ابنه خلفه ، ومرا على جماعة من الناس فقالوا : ما أقسى قلبه . يركبان معا علىهذا الحيوان الضعيف!! فنزل الولد ، وركب أبوه ، فمرا على جماعة أخرى ، فقالوا : أشفق الرجل على الحيوان ، ولم يشفق على ابنه !! فنزل الرجل ، وأركب ولده ، فقال من لقيهما : ولد سىء الادب . يركب ، ويترك والده يمشى ـ ! فنزل الولد ومشى مع أبيه ، وتركا الدابة حتى يسلما من انتقاد الناس ، فلما مرا على جماعة قالوا : ما أحمقهما !! يمشيان ، ومعهما دابة ، فلم خلقت ! ؟

مفاخر العرب

قال لسان الدين بن الخطيب الأندلسى : العرب لم تفتخر قط بذهب يجمع ، ولا ذخر يرفع ، ولا قصر يبنى ، ولا غرس يجنى ، انما فخرها عدو يغلب ، وثناء يجلب ، وجزر تنحر ، وحديث يذكر ، وجود على الفاقة ، وسماحة بقدر الطاقة ، فلقد ذهب الذهب ، وفنى النشب ، وتمزقت الأثواب ، وهلكت الخيل العراب ، وكل الذى فوق التراب تراب ، وبقيت المحاسن تروى وتنقل ، والأعراض تجلى وتصقل .

صدقت

أتى الجاحظ يوما رجل ثقيل الظل، فقال له : قد سمعت أن لك ألف جواب مسكت ، فعلمنى منها .

قال الجاحظ : نعم .

فقال له الرجل الثقيل : اذا قال لى شخص يا ثقيل الروح ، فبماذا أجيبه ؟

فقال له الجاحظ : قل له صدقت .

بكاؤه يؤذينى

مر رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما ببيت ابنته السيدة فاطمة الزهراء رضى الله عنها ـ وكان متعجلا ـ فسمع صوت بكاء الحسين رضى الله عنه ، فدخل الرسول على ابنته معاتبا، وقال لها : أو ما علمت أن بكاءه يؤذينى .

مدرسة البخل

قال الأصمعى : تعرق أعرابى عظما فلما أراد أن يلقيه وله بنون ثلاثة قال له أحدهم أعطنيه قال وما تصنع به قال أتعرقه حتى لا تجد فيه ذرة مقيلا فأغضى عنه وقال : ما قلت شيئا . قال الثانى : « أعطنيه » قال : « وما تصنع به ؟ » قال : أتعرقه حتى لا يدرى ألعامه ذلك هو أم للعام الذى قبله قال : ما قلت شيئا قال الثالث : أعطنيه قال وما تصنع به ، قال : أجعل مخه ادامه . قال أنت له . وأعطاه له .

اسم على مسمى

أكل أعرابى مع أبى الأسود الدؤلى فرأى له لقما منكرا وهاله ما يصنع قال : ما اسمك قال لقمان : قال صدق أهلك .

المروءة

قيل لمحمد بن عمران التميمى أى شىء المروءة .

قال : لا تعمل شيئا فى السر تستحى منه فى العلانية

السر

قال عمرو بن العاص : ما استودعت رجلا سرا فأفشاه فلمته لانى كنتأضيق صدرا منه حين استودعته اياه حتى أفشاه .



يكتبها : عبد المنعم النمر

فرصـــة :

يهيىء الله لنا فى هذا الشهر من كل عام فرصة ينتهزها عباده المقبلون عليه ، الطامعون فى رحمته ، الراجون حسن ثوابه ومغفرته ، الحريصون على تكبير رصيدهم من الخـير عنده .

فماذا يكون موقفك من هذه الفرصة ؟

هل ترى الناس يقبلون عليها يوفرون لانفسهم خيرها وأنت محجم عنها ، وليست هذه عادتك اذا واتتك فرصة من فرص المادة وزينتها ؟ !

هل تترك غيرك يتقرب الى مولاه ، ويحظى فى هذا الموسم برضاه ، وأنت متكاسل تحرم نفسك لذة القربى اليه . وقد جرت عادتك أن تبتكر الوسائل التى تقربك الى رؤسائك ، وتنتهز الفرص لتثبت لهم حسن ولائك ، وربما ارتكبت الصعب ، وتحملت الذنب فى سبيل هذا التقرب والولاء ؟ !

الا تريد تقريرا حسنا فى صفحاتك عند الله ، وأنت تقوم وتقعد ، وتروح وتجىء ، وتبذل الكثير من جهدك ومن ماء وجهك لتحظى بتقرير طيب فى آخر العام من رئيسـك، تتيه به بين زملائك ، تأخذ به علاوة أو درجة : « والله أحق أن تخشـوه ان كنتـم مؤمنـين » ؟ ! !

أيفتح الله باب رحمته لك وأنت تغلقه وتصد عنه ؟ !

أينادينا الله ، فلا نقبل عليه .. ولو أشار الينا رئيس باصبعه لهرولنا اليه فى تلهف وخضوع ؟ ! أيخرج زملاؤك آخر الشهر بحصيلة ورصيد من اطمئنان النفس ومن ثـواب الله ومغفرته ، وأنت تخـرج بحصـيلة ورصـيد من غضـبه ومقته ؟ !

أتراهم يجنون الزهر وتقعد أنت تجنى الشـوك ؟

أترضى لنفسك بهذه الخسارة ؟ ومواسم الخير تمضى ، ولا تدرى هل تعيـش لتستقبلها مرة ثانية ، أم تودع دنياك وتجابه حسابك ؟ اذن هيا الى الله الى ساحات رحمتـه .

وانتهز الفرصة ان الفرصة   تصير ان لم تنتهزها غصـة

مزيدا من الأضـواء

فى أنحاء العالم الاسلامى كثرة من المشايخ الراحلين الذين اشتهروا بيننا باسم « أولياء الله الصالحين » لما ذاع عنهم ، واشتهر ، وتنوقل بين الناس عبر الأجيال من تقـوى وكرامـات ..

والذى يغور بتفكيره وبحثه فى نفسيات المسلمين يجد لهؤلاء الراحلين تأثيرا بعيد المدى فى نفوسهم يختلف قوة وضعفا وشيوعا وانحسارا ..

وقد اهتم أتباع هؤلاء المشايخ بعد وفاتهم بالدعوة اليهم كل الى شيخه الذى يسير على طريقته ، ولم يجد هؤلاء الدعاة طريقة أنجع ولا أقوى من التأثير على عامة المسلمين وجذبهم اليهم من اشاعة الكرامات المتعددة عن شيخه والأشياء الخارقة التى كانت تجرى على يديه باعتبار ذلك أسهل وسيلة لا ستهواء قلوب الناس ، وبتوالى السنين تكثر هذه الكرامات وتتنوع ثم نجد كتيبات تطبع فى سيرة هؤلاء لا تعتمد على السيرة السليمة الصحيحة الوقائع ، ولكنها تتفنن فى استهواء القلوب بتصويرها الشيخ بطلا . كل حياته فعل الكرامات وخوارق العادات التى لا أظن ان الشيخ كان يدعيها أو يعملها .. كأن ينادى أمه وهو فى بطنها ، أو يأكل العجين كله ، وتسع بطنه كذا وكذا الى غير ذلك مما يستهوى الصبيان والسذج من الناس ، وهم يسمعونه من المداحين الذين يدورون على الأبواب فى الأرياف ، ومن المنشدين فى الموالد التى تقام لهؤلاء المشايخ ، ويتقاطر اليها أهل الريف خاصة .. وتغطى هذه المعلومات البعيدة عن الحقائق ، أو هذه الخيالات حياة الشيخ الحقيقية ، فلا يرى فيه الناس الا صاحب كرامة خارقة ، وبركات مغرقة ، يسأل فيجيب ، ويلتمس منه ، فيلبى ، وتقدم له الشكاوى فينصف ، ويستمد منه المدد فيمد

وبالرغم مما أعرف من جهود العلماء ولا سيما فى المناسبات العامة التى تقام فيها الموالد لهؤلاء ، ويجتمع فيها مئات الآلاف ، لتنوير أذهانهم وارشادهم الى الحقيقة من أمر دينهم .. الا أننى كنت من زمن بعيد مشوقا الى أن تسلط الأضواء العلمية على حياة هؤلاء المشايخ ، ويكتب تاريخهم الحقيقي من مصادره الموثوق بها ، وينشر على الناس بشكل واسع ، ويدخل ضمن اطار التاريخ العام للبلاد بوصف هؤلاء من العلماء المجاهدين الذين أثروا على مجرى الحياة فيها وكان لهم مواقف مشهورة فى تاريخها .. الخ ان كان لهم مثل هذا الماضى .. وهذا النوع من الدراسة هو الذى يقضىعلىالخرافاتالشائعة والانحرافات السائدة التى أصبحت مثار تندر واستخفاف من المتنورين يصرفهم تماما عن هؤلاء المشايخ ان لم يصرفهم كلية عن الدين بينما سيرتهم وبطولاتهم التى تسجلها كتب علمية هي التى تستهوى القلوب الان ، وتدعو الى الاحترام والاقتداء ..

من أجل هذا كنت شديد الاعجاب بالدراسة التى نشرت عن السيد احمد البدوى رضى الله عنه وبالفيلم التاريخى الذى أظهره على حقيقته بطلا من الابطال المجاهدين فى سبيل الله لا بادعاء الكرامات . ولا بالانقطاع فى الخلوات .. وسرنى ما قرأته أخيرا من تصدىاحد الجامعيين فى مدينة دسوق لتقديم رسالة علمية عن حياة السيد ابراهيم الدسوقى رضى الله عنه لنيل شهادة الماجستير ..

بمثل هذه الدراسات العلمية المحققة ، ونشرها على نطاق واسع فى الكتب والصحف والمجلات نقضى بالتدريج على البضاعة الزائفة التى غزت العقول عدة قرون فانحرفت بها عن الطريق المستقيم .

الحمد لله

كنت أتابع بأسى عميق ــ كغيري ــ بعض مظاهر الخلاف بين الصفوة من اخواننا فى لبنان حول بعض أمورهم ولهذا شعرت بارتياح كبير لانهاء هذا الخلاف واختيارهم شخص المفتى الجديد باجماع . تهنئة لهم ولفضيلتى المفتى الجديد .. والمفتى السابق ودعوة لهم جميعا بجميل التوفيق ..

نظرة الشريعة إلى المجرم

للأستاذ أحمد فتحى بهنسى

الناس سواء أمام الجريمة .. فلا يكون مركز الشخص أساسا أو سببا لأن تطبق عليه عقوبة دون أخرى .

١ - روى البخارى ومسلم والترمذى وأبو داود والنسائي عن عائشة رضي الله عنها قالت : ((ان قريشا أهمهم شأن المخزومية التى سرقت . فقالوا : من يكلم فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقالوا : ومن يجترىء عليه الا أسامة بن زيد ، حب رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فكلمه أسامة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أتشفع فى حد من حدود الله ؟ ثم قام فاختطب ، ثم قال : انما أهلك الذين قبلكم أنهم كانوا اذا سرق فيهم الشريف تركوه ، واذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد ، وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها)) .

٢ - ولكن المشرع جعل لهذا الأصل العام استثناء فى الأمور الآتية لحكم نبينها :

(أ) فى عقوبة التعزير ، فجعله يناسب كل طائفة . فتأديب ذوى الهيئة من أهل

العلم والأدب أخف من تأديب أهل البذاء والسفاهة . قال صلى الله عليه وسلم « أقيلوا ذوى الهيئات عثراتهم الا الحدود » وتكون عقوبة من جل قدره بالاعراض عنه ، وتعزير من دونه بزاجر الكلام الذى لا قذف فيه ولا سب . ثم يعدل بمن دون ذلك الى الحبس الذى ينزلون فيه على حسب رتبهم وبحسب هفواتهم ، فمنهم من يحبس يوما ومنهم من يحبس أكثر منه الى غير غاية مقدرة ، ثم يعدل بمن دون ذلك الى النفى والابعاد اذا تعدت ذنوبه الى اجتلاب غيره اليها واستضراره بها .

ويجب أن نعلم فى هذا الصدد أن المراد بذوى الهيئة هم الصالحون وذوو الأخلاق الفاضلة ، لا أصحاب الأموال والقوة ، والمراد بأهل البذاء والسفاهة الأشرار الحمقى . فمن كان من هؤلاء يثقل عليه بالأدب لينزجر وينزجر به غيره .

(ب) أخبر الله تعالى أن من جاء من نساء النبى صلى الله عليه وسلم بفاحشة يضاعف لها العذاب ضعفين ، لشرف منزلتهن ، وفضل درجتهن ، وتقدمهن على سائر النساء أجمع ، وكذلك ثبت فى الشريعة أنه كلما تضاعفت الحرمات فهتكت تضاعفت العقوبات ، ولذلك ضوعف حد الحر على حد العبد ، والثيب على البكر ، لزيادة الفضل والشرف فيهما على قرينهما – قال تعالى « يا نساء النبى من يأت منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين وكان ذلك على الله يسيراً » قال مسروق ان نساء النبى صلى الله عليه وسلم يحدون حدين .

قال ابن العربى : يا مسروق . لقد كنت فى غنى عن هذا ، فان نساء النبي لا يأتين أبدا بفاحشة توجب حدا ، ولذلك قال ابن عباس : ما بغت امرأة نبى قط ، وانما خانت فى الايمان والطاعة ، ولو أمسك الناس عما لا ينبغي ، بل عما لا يعنى لكثر الصواب وظهر الحق .

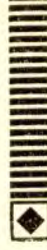
كذلك عوتب الأنبياء عليهم السلام على أمور لا يؤاخذ بها غيرهم لزيادة النعمة عليهم وسمو مكانتهم عن سائر الناس ، فزيادة النعمة ترتب تغليظ الجريمة وبالتالي تشديد العقوبة .

(ج) ولما كان للعبد أوضاع خاصة فقد وضعت له عقوبات خاصة . عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن على العبد نصف حد الحر فى الحد الذى يتبعض كزنى البكر والقذف ، وشرب الخمر .

وروى عن أبى هريرة وزيد بن خالد الجهنى قالا : سئل النبى صلى الله عليه وسلم عن الأمة اذا زنت ولم تحصن ؟ قال (ان زنت فاجلدوها ، ثم ان زنت فاجلدوها ، ثم ان زنت فاجلدوها ، ثم بيعوها ولو بضفير) .

قال محمد بن شهاب : لا ادرى أبعد الثالثة أو الرابعة . وقال مالك رحمه الله والضفير الحبل . وقال الجمهور يرجم العبد كالحر .

أما فى حد السرقة فتقطع يده كما تقطع يد الحر ، وذلك فى الأرجح وذلك كله فى حد العبد ، اما فى تعزيره فهو كالحر .



مراعاة المشرع لحال الجانى

عند تنفيذ العقوبة

لما كان الغرض من عقاب الجانى هو ردعه حتى لا يعود الى الجريمة ، ومنع الغير عن محاكاته بارتكاب الجريمة ، ولم يكن الغرض أبدا التنكيل به أو تعذيبه فان المشرع راعى حال الجانى اذا كان مريضا أو به مانع يضره اذا نفذت عليه العقوبة .

١ ــ مرض الجانى :

اذا كان المحكوم عليه مريضا ووجبت عليه عقوبة ــ ينظر : فلن كان مرضه من الأمراض التي ينتظر أن يشفى منها ، وكان قد وجب عليه حد من الحدود فى زنا أو شرب أو سرقة حبس حتى يبرأ ، وذلك لأنه لو أقيم الحد على المريض ربما انضم ألم الجلد الى ألم المرض فيؤدى ذلك الى هلاك الجانى ــ والحد انما يقام للزجر لا للاهلاك . وان كان المريض مرضه لا يرجى شفاؤه واستحكم ذلك المرض فالراجح أنه يقام عليه الحد اذا لم يكن هذا الحد رجما .

أما الرجم فيقام من بادىء الأمر رغم المرض لأن الرجم مفروض فيه أنه عقوبة مهلكة فلا يمتنع اقامتها بسبب المرض .

ويلحق بالمرض البرد الشديد أو الحر الشديد الذى يخاف أن يهلك فيه الجاني اذا أقيمت عليه العقوبة . فالقاضى يحبسه الى أن يزول البرد أو الحر .

كما يلحق بالمريض المرأة النفساء لانها بمنزلة المريضة .

فى رواية أبى داود عن أبى جميلة عن علي قال : فجرت جارية لآل الرسول صلى الله عليه وسلم فقال يا علي انطلق فأقم عليها الحد . قال : فانطلقت ، فاذا بها دم يسيل لم ينقطع . فأتيته فقال : يا علي أفرغت ؟ فقلت : رأيتها ودمها يسيل . فقال : دعها حتى ينقطع دمها . ثم أقم عليها الحد .

والراجح أنه دم نفاس لا حيض لأن الحائض بمنزلة الصحيحة فى اقامة الحد عليها والنفساء بمنزلة المريضة .

روى مسلم والترمذى . خطب علي ابن أبى طالب رضى الله عنه فقال : يا أيها الناس أقيموا الحدود على أرقائكم من أحصن منهم ومن لم يحصن . فان أمة لرسول الله صلى الله عليه وسلم زنت ، فأمرنى أن أجلدها ، فأتيتها فاذا هي حديثة عهد بنفاس فخشيت ان أنا جلدتها أن أقتلها ، فذكرت ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال : أحسنت . اتركها حتى تماثل .

٢ ــ كبر السن :

ان كان المحكوم عليه شيخا كبيرا يجب أن توقع عليه عقوبة الجلد بشكل لا يهلكه فيقتصر على ضربه بدرة أو بأداة لا تهلكه. روى أبو داود والنسائي عن أبي أمامة ابن سهل عن بعض أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأنصار ، أنه اشتكى رجل منهم حتى أضنى ، فعاد جلده على عظم . فدخلت عليه جارية لبعضهم فهش لها فوقع عليها . فلما دخل عليه رجال قومه يعودونه أخبرهم بذلك . وقال : استفتوا لي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاني قد وقعت

على جارية دخلت علي . فذكروا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقالوا : ما رأينا بأحد من الضر مثل الذى هو به ولو حملناه اليك لتفسخت عظامه . ما هو الا جلد على عظم فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يأخذوا له مائة شمراخ فيضربوه بها ضربة واحدة .

٣ ـ المرأة الحامل :

ان كانت المرأة المطلوب توقيع عقوبة الجلد أو الرجم عليها حبلى حبست حتى تلد لحديث الغامدية .

فقد روى فى الموطأ كما روى مسلم عن بريدة قال : بعد أن ذكر قصة ماعز : فجاءت الغامدية فقالت يا رسول الله ، انى قد زنيت فطهرني . وانه ردها فلما كان من الغد قالت : يا رسول الله ، لم تردنى ؟ لعلك ان تردنى كما رددت ماعزا ، والله انى لحبلى . قال : أمالا ، فاذهبى حتى تلدى ، فلما ولدت أتته بالصبى فى خرقة . فقالت هذا قد ولدته . قال فاذهبى فأرضعيه حتى تفطميه فلما فطمته أتته بالصبى فى يده كسرة خبز فقالت هذا يا نبى الله قد فطمته وقد أكل الطعام . فدفع الصبى الى رجل من المسلمين ثم أمر بها فحفر لها الى صدرها ، وأمر الناس فرجموها ، فيقبل خالد بن الوليد بحجر فرمى رأسها فتنضح الدم على وجه خالد ، فسبها فسمع نبى الله صلى الله عليه وسلم سبه اياها . فقال : مهلا يا خالد . فوالذى نفسى بيده لقد تابت توبة لو تابها صاحب مكس لغفر له . ثم أمر بها فصلى عليها ودفنت .

ومجرد ادعاء المرأة بأنها حبلى لا يؤخر تنفيذ العقوبة ، وانما يعرضها القاضى على أهل الخبرة ـ فان قلن هى حبلى حبسها حتى تلد ، فان لم تلد خلال المدة الطبيعية للحمل : ترجم أو تجلد بعدها للتيقن بعدم حملها .

٤ ـ قطع يد السارق :

كل مال محرز بلغت قيمته نصابا اذا سرقه بالغ عاقل لا شبهة له فى المال ولا فى حرزه قطعت يده اليمنى من مفصل الكف وهو الكوع ، فان سرق مرة ثانية بعد قطعه قطعت رجله اليسرى من مفصل الكعب ، فان سرق ثالثة فقد رأى البعض منهم بأنه لا يقطع بعد ذلك ، ولكنه يعزر ويحبس حتى يتوب . ويبرر هؤلاء قولهم بما روى عن سيدنا علي رضي الله عنه أنه أتى بسارق فقطع يده ، ثم أتى به الثانية وقد سرق فقطع رجله ، ثم أتى به الثالثة وقد سرق فقال لا أقطع . ان قطعت يده فبأى شيء يأكل وبأى شيء يتمسح ، وان قطعت رجله فبأى شيء يمشى انى لأستحى من الله فضربه بخشبة وحبسه .

وروى أن سيدنا عمر أتى بسارق أقطع اليد والرجل ، وقد سرق نعالا يقال له سدوم وأراد أن يقطعه فقال له سيدنا علي : انما عليه قطع يد ورجل فحبسه عمر ولم يقطعه .

قال كمال الدين بن الهمام فى ذلك :
كان غالبية الفقهاء يفعلون كما فعل علي . وأخرج عن مكحول أن عمر رضي الله عنه قال : اذا سرق فاقطعوا يده ، ثم ان عاد فاقطعوا رجله ولا تقطعوا يده الأخرى وذروه يأكل بها ويستنجى بها ولكن احبسوه عن المسلمين . وأخرج عن النخعى انهم كانوا يقولون : لا يترك ابن آدم مثل البهيمة ليس له يد يأكل بها ويستنجى بها ، وهذا كله قد ثبت ثبوتا لا مرد له .

رمضان

شهر الذكريات

للدكتور زكى محمد غيث
أستاذ التاريخ بكلية الشريعة ـ جامعة بغداد

تمر بنا فى هذه الأيام المباركة من شهر رمضان المعظم ذكرى عزيزة هى : ((فتح مكة)) وتطهير الكعبة من أوثان الشرك وأصنامه ، وتسلم المسلمين لقبلتهم التي يتجهون اليها فى صلاتهم .

ومن قبل الفتح كان ((صلح الحديبية)) تمهيدا له ، وتدبيرا من الله لرسوله ودينه ، وكان من شروطه : ((أنه من أحب أن يدخل فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وعقده دخل فيه ، ومن أحب أن يدخل فى عهد قريش وعقدهم دخل فيه ، فدخلت بنو بكر فى عقد قريش ، ودخلت خزاعة فى عقد رسول الله صلى الله عليه وسلم)) .

وكان بين بكر وخزاعة دماء فى الجاهلية ، وكانت مساكنهم بأحياء مكة وضواحيها ، ثم جاء الاسلام فحجز بينهم ، وتشاغل الناس به ، فلما كان ((صلح الحديبية)) انحازت بكر الى قريش ، وخزاعة الى النبى ، فمكثوا فى تلك الهدنة نحو السبعة أو الثمانية عشرا شهرا ، ثم ان بنى بكر وثبوا على خزاعة ليلا ، وهم على ماء لهم بأسفل مكة يقال له ((الوتير)) ، وقالت قريش : ما يعلم بنا محمد ، وهذا ليل ما يرانا أحد ، فاعانوهم بالكراع والسلاح وقاتلوهم معهم للضغن على رسول الله ، صلى الله عليه وسلم .

خزاعة تستنجد بالرسول

فلما عدت بنو بكر وقريش على خزاعة ، ونقضوا ما كان بينهم وبين الرسول صلى اله عليه وسلم من العهد والميثاق ، خرج « عمرو بن سالم الخزاعى » حتى قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة فوقف عليه ، وهو فى المسجد جالس بين ظهرانى الناس فأنشد :

يا رب انى ناشد محمدا
حلف أبيه وأبينا الأتلدا
قد كنتمو وُلدا وكنا والدا
ثمت أسلمنا فلم نَنْزِع يدا
فانصر رسول الله نصرا أعْتَدَا
وادعَ عباد الله يأتوا مددا
فيهم رسولُ الله قد تجردا
ان سيم خسفا وجهه تربَّدا
فى فيلق كالبحر يجرى مزْبِدا
ان قريشا أخلفوك الموعدا
ونقضوا ميثاقك المؤكدا
وجعلوا لى فى كَدَاءَ رصدا
وزعموا أن لست أدعوا أحدا
وهم أذل وأقل عددا
هم بيتونا بالوتير هُجَّدا
وقتلونا رُكعا وسجدا

فقال الرسول عليه الصلاة والسلام : « نصرت يا عمرو بن سالم » ، ثم خرج « بديل بن ورقاء » سيد خزاعة فى نفر من قومه حتى قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة فأخبروه بما أصيب منهم ، وبمظاهرة قريش بنى بكر عليهم ، ثم انصرفوا راجعين الى مكة ، « وكان ذلك مما هاج فتح مكة » .

وفى الوقت نفسه كان الرسول صلى الله عليه وسلم يعلم أن قريشا بدأت بعد المسلمين فى « موقعة مؤتة » تسخر سرا بشروط صلح الحديبية ، وتحرض أعداء الاسلام على معاداة النبى ، وخيل الى قريش أن هذه الهزيمة قد « قضت على المسلمين وعلى سلطانهم حتى لم يبق انسان يأبه لهم ، أو يقيم لعهدهم وزنا ، فلتعد الأمور كما كانت قبل عهد الحديبية ، ولتعد قريش حربا على المسلمين ومن فى عهدهم من غير أن تخشى من محمد قصاصا » .

وبجانب ذلك كان عليه الصلاة والسلام يعلم أن العرب لا تخضع وتذل الا اذا خضعت وذلت قريش ، ولا تنقاد البلاد حتى تنقاد مكة .

وغير هذا كله فان تيار التقدم الاسلامي كان لا بد من اتجاهه يوما الى مكة معقل الوثنية ، وكان لا بد من فتح مكة لترفع أم القرى منار التوحيد ولواءه ليضىء العالم بنوره الوضاء ، ولذا فان حادثة اعتداء بنى بكر على خزاعة لم تكن الا سببا مباشرا عجل بعزم النبى صلى الله عليه وسلم على فتح مكة ، لتصبح حرما آمنا ، وليضع يده على البيت الحرام الذى جعله الله مثابة للناس وأمنا .

قريش تحس الخطر

أحست قريش بشؤم ما فعلت ، فبعثت كبيرها أبا سفيان بن حرب ، ليؤكد عقد الحديبية ويزيد فى مدته ، فلقى الرسول صلى الله عليه وسلم وكلمه فلم يجبه ، واستشفع بأبى بكر وعمر بن الخطاب فلم يشفعا ، فما استطاع الا أن يقف بباب المسجد ويصيح : انى قد أجرت بين الناس (كما أشار عليه علي) ، ورجع الى مكة خائبا ، واتهمته قريش بالتقصير ، واضطرب الحال فى مكة .

لم يترك النبى صلى الله عليه وسلم مكة فى اضطرابها طويلا ، اذ كان قد عزم على مهاجمتها بمجرد استماعه لشكوى الخزاعيين ، « وأمر الناس بالجهاز وكتمهم مخرجه ، وسأل الله أن يعمى على قريش خبره ، حتى يبغتهم فى بلادهم » ، واستنفر الأعراب من حول المدينة ، فأقبلوا وهم لا يعرفون مقصد الرسول عليه الصلاة والسلام .

محاولة فشلت

ولما تجهز المسلمون من المهاجرين والأنصار والأعراب أعلمهم بأنه سائر الى



مكة ، وأمرهم بالجد والتهيؤ ، وأوصاهم بالكتمان حتى لا يصل الى قريش شيء من أمرهم،غير أن « حاطب بن أبى بلتعة » أراد أن يكون له عند قريش مكرمة ، فبعث اليهم مع مولاة لبعض بنى عبد المطلب كتابا ، وفرض لها جعلا على أن تبلغه قريشا « فجعلته فى رأسها ، ثم فتلت عليه قرونها وخرجت به ، وأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبر من السماء بما صنع حاطب » فبعث فى أثر الجارية : عليا بن أبى طالب ، والزبير ابن العوام ، فأدركاها ، واستخرجا منها الكتاب بعد تخويفها ، ورجعا به الى الرسول صلى الله عليه وسلم « فدعا حاطبا وقال له : ما حملك على هذا ؟ فقال : يا رسول الله ، أما والله انى لمؤمن بالله ورسوله ، ما غيرت ولا بدلت ، ولكنى كنت امرأ ليس لي فى القوم أصل ولا عشيرة ، وكان لي بين أظهرهم أهل وولد ، فصانعتهم عليهم » .

لم يعجب هذا الجواب ابن الخطاب ، فاستأذن الرسول فى قتله ، فأجابه عليه الصلاة والسلام : « وما يدريك يا عمر ، لعل الله قد اطلع الى أصحاب بدر يوم بدر فقال : اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم » .

ولا شك أن حاطبا وهو من كبار المسلمين قد أتى أمرا لا يليق بمثله اتيانه ، حتى أن ابن الخطاب قد اتهمه بالنفاق وأراد قتله ، ولو لم يكن من أصحاب بدر لكان مصيره القتل ، ولذا نزل قول الله تعالى من أول سورة الممتحنة « يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء تلقون اليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق يخرجون الرسول واياكم أن تؤمنوا بالله ربكم » الآيات الى قوله تعالى : واليك أنبنا واليك المصير » .

الزحف الى مكة

وفى رمضان من السنة الثامنة من الهجرة زحف جيش المسلمين من المدينة المنورة صوب مكة المكرمة ، حتى نزلوا « بمر الظهران » قرب مكة وهم عشرة آلاف ، « وكلهم ممتلىء النفس بالايمان : أن لا غالب لهم من دون الله، وسار محمد صلى الله عليه وسلم على رأسهم وأكبر همه ، وكل تفكيره أن يدخل البيت الحرام من غير أن يريق قطرة دم واحدة » .

فلما نزل عليه الصلاة والسلام ، مر الظهران ، وقد عميت الأخبار عن قريش، فلا يأتيهم خبر عن رسول الله ، ولا يدرون ما هو فاعل ، فخرج فى تلك الليلة، أبو سفيان بن حرب ، وحكيم بن حزام ، وبديل بن ورقاء ، يتحسسون الأخبار هل يجدون خبرا ، أو يسمعون به » .

ولأمر أراده الله فان العباس بن عبد المطلب عم الرسول صلى الله عليه وسلم كان قد تلقى الرسول ببعض الطرق وأسلم ، ولما علم العباس وجهة الرسول اشفق على أهل مكة من الهلاك ، « ولعله أفضى بمخاوفه هذه الى رسول الله وسأله : ماذا يصنع اذا طلبت قريش أمانه ؟ »، وكأنما استراحت نفس الرسول الى هذا ، ورجا أن يكون عمه رسول خير الى أهل مكة ، ، « فيدخل مكة من غير أن يسفك دما ، وتظل مكة حرما آمنا كما كانت ، وكما يجب أن تكون » . وخرج العباس ممتطيا بغلة الرسول البيضاء يلتمس رجلا يبعث به الى مكة ليخبر أهلها « بقوة المسلمين ، وبأس جيوشهم حتى يخرجوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيستأمنوه قبل أن يدخلها عليهم عنوة » .

وبينما هو فى بحثه قرع سمعه صوت أبى سفيان مع رفيقيه يتذاكرون أمر هذه النيران ، وذلك العسكر ، فناداه العباس بكنيته : يا أبا حنظلة، فعرف صوته وأجاب : أبا الفضل ؟ والتقيا ، فبادره العباس بقوله : « ويحك يا أبا سفيان ،

هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الناس ، واصباح قريش اذا دخل مكة عنوة ! » وأردفه خلفه ليلقى به الرسول صلى الله عليه وسلم ، فلقيه وكانت هدايته ، فاعتنق الاسلام ، وحينئذ طلب العباس من الرسول أن يخص أبا سفيان بشيء لأنه رجل يحب الفخر ، « فقال : نعم . من دخل دار أبى سفيان فهو آمن ومن دخل المسجد فهو آمن ، ومن أغلق عليه بابه فهو آمن » .

حرب أعصاب

فلما هب أبو سفيان لينصرف أوقفه العباس « عند خطم الجبل بمضيق الوادى » بأمر الرسول حتى تمر به الجنود فيراها ، وكان كلما مرت قبيلة سأل عنها ، حتى اذا مرت الكتيبة الخضراء ، وفيها المهاجرون والأنصار مع رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يرى منهم غير الحدق فى الحديد ، قال : « من هؤلاء يا أبا الفضل ؟ فقال : هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المهاجرين والأنصار ، فقال : ما لأحد بهؤلاء من قبل ولا طاقة ، والله يا أبا الفضل لقد أصبح ملك ابن أخيك الغداة عظيما ، فقال ويحك ! انها النبوة ، فقال : نعم اذاً » .

وحينئذ أذن له العباس بالانصراف وقال له : « الحق الآن بقومك فحذرهم فخرج سريعا حتى أتى مكة فصرخ فى المسجد : يا معشر قريش ، هذا محمد قد جاءكم بما لا قبل لكم به . قالوا : فمه : فقال : من دخل دارى فهو آمن ، فقالوا : ويحك : وما تغنى عنا دارك ؟ فقال : ومن دخل المسجد فهو آمن ، ومن أغلق عليه بابه فهو آمن » ، وأيقنت قريش بأنه لا قبل لها بهذا الجيش فاستكانت ، ولم تبد استعدادا للقتال والمقاومة ! ! .

دخول مكة

ثم سار الرسول صلى الله عليه وسلم بجنوده عامدين الى مكة ، حتى اذا انتهى الى (ذى طوى) وتأكد من عدم مقاومة مكة ، توقف « ووقف على راحلته وانحنى لله شاكرا ، ان فتح الله عليه مهبط الوحى ، ومقر البيت الحرام ليدخله والمسلمين آمنين مطمئنين » ، وقسم جيشه الى أربع فرق ، ونهى الجميع عن القتال وسفك الدماء الا عند الضرورة ، فدخلوها من جبهاتها الشمالية ، والجنوبية ، والغربية ، وتقدم أبو عبيدة بمن معه بين يدى الرسول فدخلها من (أذاخر) حتى نزل بأعلى مكة ، ولم يكن قتال الا المناوشة مع خالد بن الوليد قتل فيها رجال قليلون ، وكان دخول الرسول والمؤمنين صبح يوم الجمعة فى العشرين من رمضان من السنة الثامنة للهجرة .

دخل الرسول صلى الله عليه وسلم على راحلته من غير احرام ، وهو يقرأ سورة الفتح ، ولواؤه يومئذ أبيض ، ورايته سوداء تسمى : العقاب ، ونزل بأعلى مكة فى قبة ضربت له هناك ، فلما استراح واطمأن الناس امتطى ناقته القصواء وسار بها حتى بلغ الكعبة ، فطاف بالبيت سبعا على راحلته ، يستلم الركن بمحجن فى يده ، وكان حول الكعبة من الأصنام ستون وثلثمائة نصب ، فجعل يطعنها بعود فى يده وهو يقول : جاء الحق وزهن الباطل ــ جاء الحق وما يبدىء الباطل وما يعيد .

ثم دخل الكعبة فكسر ما وجد فيها من تماثيل ، وأزال ما فيها من صور ، ثم وقف على باب الكعبة وخطب خطبة وضع فيها مآثر الجاهلية ، الا سدانة البيت ، وسقاية الحاج ، وبين أحكام القتل ، وسوى بين الناس ، ثم تلا قوله تعالى من سورة الحجرات : « يأيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله أتقاكم ان الله عليم خبير » ، ثم قال : « يا معشر قريش ما ترون أنى فاعل بكم ؟ قالوا : خيرا ، أخ كريم وابن أخ كريم قال : اذهبوا فأنتم الطلقاء » ،



يقول الطبرى فأعتقهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد كان الله أمكنه من رقابهم عنوة ، وكانوا له فيئا ، فبذلك يسمى أهل مكة : الطلقاء » .

لقد ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم المثل الأعلى فى التسامح ، وسمو النفس ، وتناسى أن قريشا آذته وأصحابه ، وأكرهتهم على ترك ديارهم والفرار بدينهم .

انتصر الحق ، « وكبت الأصنام على وجوهها وظهورها ، وطهر البيت الحرام بذلك منها ، وأتم محمد بذلك فى أول يوم لفتح مكة ما دعا اليه منذ عشرين سنة ، وما حاربته مكة أشد الحرب فيه ، أتم تحطيم الأصنام ، والقضاء على الوثنية فى البيت الحرام بمشهد من قريش ، ترى أصنامها التي كانت تعبد ويعبد آباؤها ، لا تملك لنفسها نفعا ولا ضرا » .

ثم انصرف النبى صلى الله عليه وسلم حتى أتى الصفا فعلاه ، واتجه الى البيت وجعل يحمد الله ويدعوه بما شاء ، ثم جلس على (الصفا) فبايع الناس : الرجال ، ثم النساء .

فلما كان الغد من يوم فتح مكة عدت خزاعة على رجل من هذيل فقتلوه وهو مشرك ، فغضب الرسول وقام فى الناس خطيبا فقال : « يأيها الناس ان الله حرم مكة يوم خلق السموات والأرض ، فهى حرام من حرام الله الى يوم القيامة ، فلا يحل لامرىء يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك فيها دما ، أو يعضد فيها شجرا ، لم تحل لأحد كان قبلى ، ولا تحل لأحد يكون بعدى ، ولم تحل لى الا هذه الساعة غضبا على أهلها ، ألا ثم قد رجعت كحرمتها بالأمس ، فليبلغ الشاهد منكم الغائب ، فمن قال لكم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قاتل فيها فقولوا : ان الله قد أحلها لرسوله ، ولم يحلها لكم يا معشر خزاعة .. الخ » ، ثم ودى الرجل الذى قتلته خزاعة ، وبذلك أكد حرمة مكة الى أن تقوم الساعة ، وكف أيدى الناس عن بعضهم البعض ، ورسم لهم بقوله وفعله طريق السماحة والعفو مما غرس حبه فى قلوب أهل مكة فاقبلوا على اعتناق الاسلام ، « وأقام النبى صلى الله عليه وسلم عندهم نصف شهر ، لم يزد على ذلك ، حتى جاءت هوازن وثقيف فنزلوا بحنين » .

بعد أن استقرت الأمور فى مكة،وأسلم أهلها ، وطهرت الكعبة والبيت الحرام من الأصنام والأوثان نادى مناديه عليه الصلاة والسلام فى أهل مكة : « من كان منكم يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يترك فى داره صنما الا حطمه » ثم أرسل الدعاة يدعون القبائل الى الاسلام ودخل الناس فيه أفواجا ،اذ رأوا الكعبة فى حوزته بعد أن لبثوا ينتظرون عقبى الجلاد بين النبى وقومه ، وكذلك أرسل السرايا المسلحة لهدم الأوثان فى الحجاز فهدمت العزى ، وسواع ، ومناة .

وبذلك استقر الاسلام فى شبه الجزيرة العربية ، وزلزلت الوثنية زلزالا شديدا ، فلم يكن بعد الا انتشار الدين فى أرجاء البلاد العربية ، وتسلم المسلمون قبلتهم التي يتجهون اليها فى صلاتهم ، وعادت الكعبة كما أراد الله لها ، عادت مركزا روحيا للمسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها ، تهفو اليها نفوسهم ، ويسعى اليها حجيجهم ، ويطوف بها عابدهم ، ويأمن عندها خائفهم ، وتقبل فى رحابها توبة مذنبهم . وارتفعت فى أم القرى راية التوحيد ، وثبتت دعائم الايمان بالله واليوم الآخر ، ثم انتشرت دعوة الاسلام بما فيها من معانى الأمن والسلام ، والعدالة والرحمة ، والحرية والمساواة ، فاستفاء بنورها كثير من شعوب الأرض « اذا جاء نصر الله والفتح . ورأيت الناس يدخلون فى دين الله أفواجا . فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان توابا » .

في مسالك اليقين

بقلم الأستاذ احمد العناني

مع التاريخ

طفقت في حال من الكرب التمس الايناس من أخبار الناس .. قلت أراجع حوادث الأيام الخوالي ، واعتبر بمواعظ الأقدار ، نازلات بما يبهج ويشجي في وضح النهار أو ظلمات الليالي .. قلبت الصفحات وصاحبت الكلمات ، وتقريت الحروف ، وأطلقت للتأمل كل عنان . ولقد بارحت شجني الحاضر ، وعشت مع كل غابر ، وأحسست لجلجة الدمع في المآقي مع الحريب المنكود : ورقص الحبور في جوانحي مع المحظوظ والمجدود .. حينا مع المأمون في وهج المجد وأعراس بغداد يوم زفاف بوران .. أطنان من العنبر والكافور وأركاس من الديباج ترتمي فوق اركاس وأكوام ، وآفاق تزدحم فيها الأغاريد والأهازيج الحسان ، وحينا مع المعتمد بن عباد أسيرا في أغمات من أرض المغرب ، باكيا يعتصره جحود الأباعد والأقربين ، ملتاعا يستذله الأسر المهين ، ويبكي لشجوه الباكون ، وتعلق بالعصور من أحزان شجون وشجون ... وحينا مع العلماء وحينا مع الفوغاء ، وساعة في اسواق الرقيق ، ومثلها في زقاق الموت ، والرماح مشتجرة ، والمنايا حتّوم ، والدنيا حوّل قلّب ، والمال عرض تافه ، والأماني تلتقي في مجرّد شربة ماء تطفىء أوام جرح ، والعيون يشدو فيها شجو الفراق ، ومآسي العوائل والأطفال .

وعرجت ومعي همي على تواريخ المستضعفين في الارض وسمعت أنين المحاويج ، وكأني أسمع بين السطور ضجيج الجياع ، ورنين قيود العبيد ، وأحسست بهزة فرائص روما وهي ترتجف لوعة على أنغام نيرون ، وشهدت مسرح شكسبير ولوعة كل ليلى وجوليت ، وقلب كل قيس وفرتر كأنما تتعلق القلوب بأجنحة القطا ، تعالج شراكا تصطادها ، ولا تطيق منها فكاكا .

سافرت وهمي معي بين الكتب ، لا أنا مرتو ولا الهم يزول ، وراجعت مع المتفلسفين هجمات الافكار المغرورة على حائط الغيب ، كما شهدت غطرسة فرعون يوم لقاء موسى ، ثم ما حال اليه ذلك من أنين متفجع وندم يتوجع ، واليم يبتلعه ولا عاصم من غضبة الله .

وقرات حتى كاد يهدني ما اقرأ عن اقوال الاحزاب والفرق ، ودعاوى الملل والنحل ، وجدل أهل الكلام والمنطق ، وأحاديث مكرورة معادة لا القلب منها يمتلىء ، ولا بلابل الوجدان بساكتة ، ولا رهبة المجهول عن خناق النفس بمرخية يدا ، ولا مجرية نفسا .

مع الحاضر

لم تستطع الكتب أن تذهب همي ، فمضيت به الى مضطرب الناس ، والى مواطن عزلتهم .. هذا متفرد بنعمة ، وارف فى ظل وفر ومغنم ، ولكنه يتثاءب فى ملالة ، يتنزى ألما من خمول الذكر وخواء العمر ، وذلك معتل على اكداس ، ولكنه يتطلع من عليائه الى مواطىء أقدامه ، فتروعه جماجم المقتولين ، وتخلخل أحلامه وجوه الصفر المنخوبين ، الحزانى المستغلين ، الضائعين المضيعين... وذلك يقسمباللهجهد ايمانه ما يريد الا اصلاحا وتوفيقا ، فاذا خلا الى شياطينه أفرغ جراب احقاده ، وأخرج عقارب نياته فاذا الأرض بفساده مظلمة ، والدنيا من حوله بالفساد مدثرة .. وذلك أقعدته الهمة الرخوة عن معارج الرفعة ، ونبا به الخوف ، عن مسالك السؤدد ، فذم الاماني ، وعاب المطامح حتى أمكنته فرصة فاستذلت رقبته ، واستنوق جمله ، وكثر كذبه ، وانفضح من نقاب الرياء وحشي وجهه .

يقظة

وبقيت وهمي ما زال يمنع عني النوم ظامىء شوقي ، ويسهدني غامض مبتغاى ، ثم جاء ليل فقلت سعيا الى النجوم ... وكانت ليلة نابغية زنجية ، تحلت بقلائد من العقيان ، لامعات بقدرة الرحمن ، تجلى بها ليل بهيم ، واعتذر بلمعانها عن أسحم اهابه .. يا لهاتيك النجوم... وسبحان الحي القادر القيوم .

سرى مع نسيم الليل أرتال من متضاغط أساى ، وراح يخف صدرى ، وتحدر مع منظر القدرة ، ومجلى العظمة دفع تملأت به العينان فانجابت لوعتى ، وأشرقت مع ايماءات النجوم أنوار فى الجوانح أذهبت خفي اللواعج ، وتمثلت روعة العظمة الأبدية لخالق يدرك الأبصار ولا تدركه الأبصار ، اله رحيم ، غيوبه مآلها الخير والنور والاحسان، وعقباها المرحمة والبر ونشوة الوجدان، وأدركت بالنظر فى النجوم سرا لم أجده فى أسفار الكتب ولا مغاليق الصدور .. وانطلق اللسان فى معرض القدرة الموحي يتوسل الى الرب الأوحد ، ويناجي رحماته .

اتسعت آفاق الصدر حتى كأنه سهب ممتد لا حدود له ، صحصحان بعيد المرامي ليس فيه مع الأمن المرتاح الهادىء الا همسة واحدة تقول « وفى الارض آيات للموقنين . وفى أنفسكم أفلا تبصرون . وفى السماء رزقكم وما توعدون » .

حقا ورب الكعبة قد كنت مخطئا تائها .. فهاتان العينان اللتان تدوران برأسي من أين للناس . جميعا لو تجمعت قدراتهم أن يؤتوا رأسي مثلهما ، وكل هذه الأجهزة العجيبة المتناسقة فى جسدى الترابي .. كلها تعمل فى تناسق مبدع مذهل .. من ذا ركبها ، وأجرى آلاتها ، وقدر حركاتها ، وأحكم تلاقيها وتباعدها ، وتآلفها وتنافرها ، وعملها وسكونها ؟ من غير رب تلك النجوم ؟ من غير الحي القيوم ؟ من غير بديع السموات والأرض الرحمن الرحيم ؟ .

لئن كانت آياته فى الأرض من حولي ، وفى السماء من فوقي .. وفى القريب القريب من ذاتي وعجيب تركيبي وكياني ، ولئن كان مصير هذا الكيان فى حياته ومماته ونشوره ليس ملك أحد غير الذى فطره ، ولئن كانت نتائج اضطرابه فى الأرضوسعيه وراء الرزق لا تعدو ما يريده صانعه ، ولئن كان مجيىء هذا الليل قد كانمن النهار ، وعما قريب ينبعث نور النهار سويا ، ماتعا عبقريا .. فلماذا لا تولد الحياة من الموت ، أو يمطر الله تعالى مطرا يحيي موات البشر ، فاذا حياة ونشور ونفض اكفان وهجر قبور ؟ .

ووجدت التأمل قد رق فى الشعور حتىبات دعاء فى القلب يتمتم به اللسان ، ويهتز له ارتياحا ونشوة كل شيء فى جوانحي وكياني .

مناجاة

الهي ! أنا من الخلق من عيالك ، أنا من الضعف لا أبرىء من الضعف نفسي ، أنا رافقتني الشهوات

لم تنفصل عن الشهوات ذاتي ، طاردني الشيطان وهو اكبر عداتي ، ولكنني لا أملـــك أن أخفي عنك ، لا أستطيع أن أأتمر بارادة الخـــير التي أودعتها فيَّ رحمتك ، وأنا بمنأى عن بصرك ، لم أتخف بواسع الحيلة متســـترا على ذنوبي الا بسابغ من سترك ، ولولا فضل رحمتك كنت أنا الضعف كله بغير قوة ، والعجز كله بغير وسيلة ، والجوع كله بغير شبع ، والعرى كل عاره فى غير كساء ، والضياع فاتك الضياع بغـير يقين ... لولاك يا رب ، لولا رحمتك .

الهي لم اكن بدعائك شقيا ، لم اكـن بفضل هداك اعبد المنفعة وثنا غريبا .

ولا أبيع شكرانك فى دمي ، ونعمة ايجادك لي متعبدا للخبز صنما شرقيا .

لا أطرح ثوب الستر عني ، ولا أنضــو لباس التقوى فأخسر خسرانا أبديا .

الهي عشت بهداك وباذنك سوف القاك مؤمنا مسلما حنيفيا .

ابراهيم الذى نظر فى النجوم فآمن بالحيالقيوم رأس دينى ، ومحمد خاتم ذلك الطريق نبـــيي ، فتقبلني برحمتك مرضيا رضيا .

يا الهي عطاشي تروت باللجوء اليك ، قلقي استقر بالمعاد الى رحمتك ، همي تبدد تحت شعاع اليقين بوحدانيتك ، خوفي انماث بنور الأمل فى غفرانك ، بلابل الأمل المستنير غردت فى جناني يوم داخلتني انسام الرجاء فى عفوك ! .

الهي فى رحابك بالدعاء يقين لم أجده فى الكتب ، وفى نظرة بين القرآن والسماء ساورتني ســكينة مطمئنة كأنها سنة المنام تسرى فى متعب الأوصال ، كأنها عذب البشـــائر بمعاد الاحباب بعد تمادى غياب .

الهي لئن شاءت رحمتك لي ثباتا فــلا أرجون سواك ، ولا غير ذنـــوبي من عداك ومـا عداك ، ولأسعدن برضاك ما أجمل رضـــاك ، ولا آبهــن الا لظلم أجترحه ، فأخشى معه غضبك ، اللهم انه ان لم يكن بك علي غضب فاني كما قال رسولك الأمين لا أبالي .

آه ألم يكن فىالنظر الى بديع ملكوتك أول طريق ابراهيم عليه السلام .

وانه لبمثل ذلك ختـــم النبوات محمد عليه الصلاة والسلام .

سنوات قضاها بين الوحدة والنجوم ، يقلب فوق حراء بصر المتفكر الواجم مندهشا من روائع ما صنعت قدرتك .. وأين فى الناس مثل محمد يحيا الوحدة سنين وسنين ؟ .

اللهم قد هزتنا نكبة الأرض المباركة فى فلسطين .

فايقظ بها ضمائرنا يا رب ولا تطمس بالكارثة عليها .

اللهم هذا دين لنا ما بعده ولا مثله من دين ، وقرآننا وهبتنا ، لا يأتيه الباطل من شمال ولا من يمين ، ونبيا أرسلت لنا شرف الحياة بالخلق الكريم الأمين .

جمعت له الأمانة والألم والتواضع والتأمل .

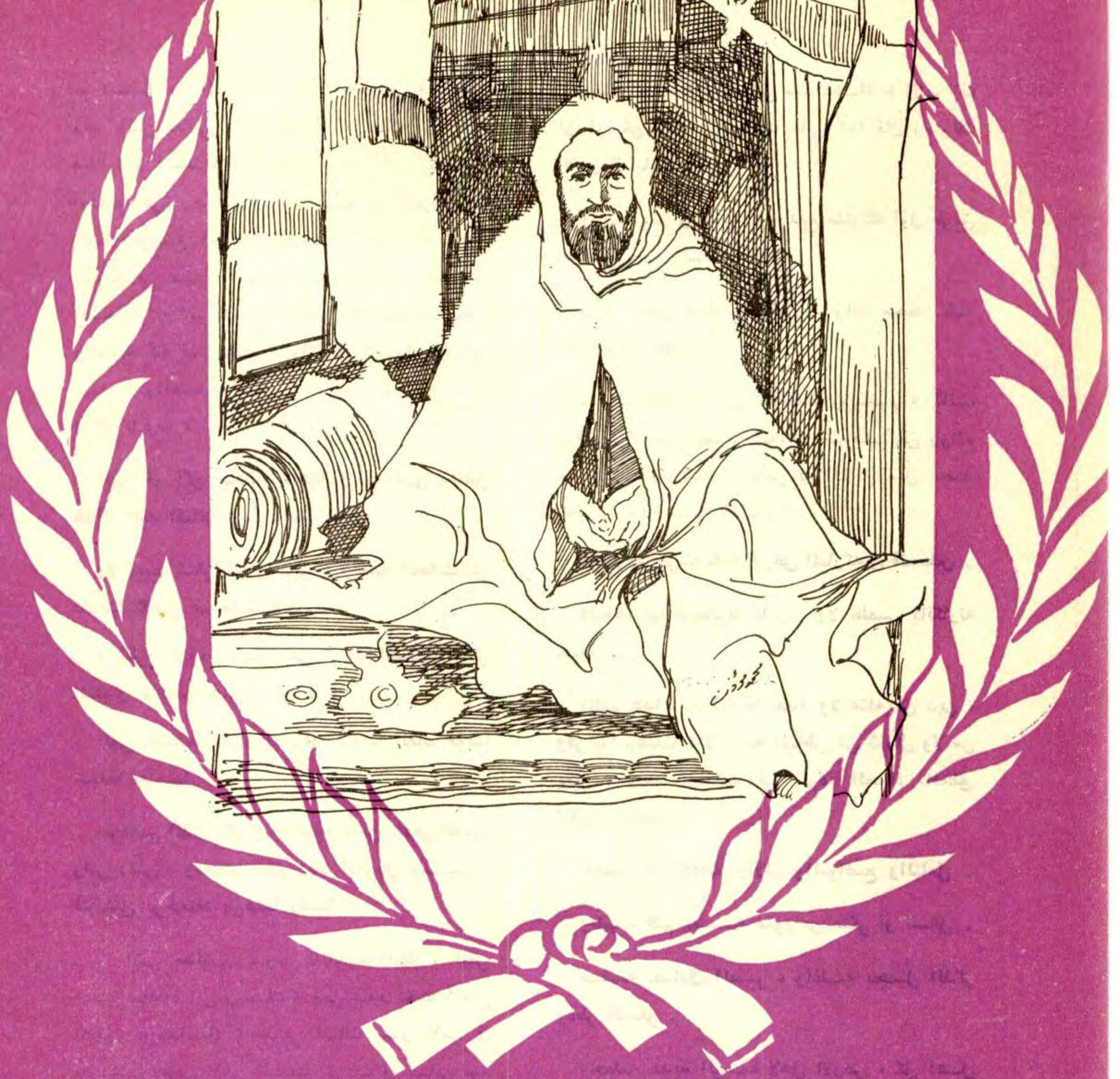
وطهرته فلم يمسسه سوء من منكر أو تسفل .

صفيته بصادق الصبر ، وأغليته بجميل الذكر وعطر الشكر .

وجعلته هدية الرحمة لأهل الأرض ، كل أهــل الأرض .

فاجعل لنا من محمد عليه أزكى الصلاة والسلام قدوة السياسة فى غير غش ، والقيادة فى غير خور ، ولا بطش ، والعظمة النفسية لا يمسها كذب ولا مين ، ولا يتعلق بها زور ، ولا آثام .

الهي بهذا سكنت النفس ، وزايـــل الهـم ، واستجاب الصبر ، وغنت الروح نشيدها فى طاعتك .. اللهم فادم لي سلم الاســـلام ، وأدمه لكل مسلم .. وارحمنا كلنا برحمتك يا ولي الراحمين.



الأمير البطل عبد

للأستاذ عبد الباقى أحمد سلامه

عبد القادر الجزائري

اذا أردنا أن نحدثك عن هذا البطل فلا بد أن نرجع للوراء قليلا لنرى كيف كانت الجزائر دولة قوية مرهوبة الجانب لها ثروتها ولها جيشها وأسطولها وهيبتها .. وان كانت تربطها بتركيا دولة الخلافة ما كان يربط البلاد العربية كلها بها .

ولا نريد أن نشغلك كثيرا بما يخرج عن موضوعنا ولنبدأ معك بالحديث عن الجزائر فى عهد الداى .. حسين خوجة الذى عين دايا على الجزائر سنة ١٨١٨ م ، والذى كان من سوء حظه أن يتم احتلال فرنسا للجزائر فى عهده .

وقبل أن يصطدم الداى حسين بفرنسا . حصلت أزمة بينه وبين الانجليز . فأرسلوا اليه ٢٣ باخرة تطالب بالتعويض عن الاهانة التي أوقعها بالقنصل الانجليزي فرفض . فوقعت معارك بحرية بين الطرفين انتهت برجوع الانجليز منهزمين ــ وكان ذلك فى يولية ١٨٢٤ .

قصة المروحة

كانت فرنسا واقعة فى ديون كثيرة لحكومة الجزائر . وللداى حسين . ولاثنين من التجار الجزائريين (بو شناق ، بو خريص) فدفعت فرنسا بعض الديون لهذين التاجرين غير عابئة بنصيب الحكومة والداى . وهى مؤامرة دبرها التاجران مع القنصل الفرنسي (ديفال) الذى أخذ لنفسه مليونى فرنك فاتهمه الداى . وطلب من فرنسا سحبه . لكن فرنسا أرسلت لقنصلها تأمره أن يستغل فرصة لاستفزاز الداى . وافتعال حادث يكون مبررا لقطع العلاقات . والتهرب من الديون واعلان الحرب .

وجاءت هذه التعليمات الى القنصل مع عيد الفطر سنة ١٢٤٣ هـ . فذهب حسب التقاليد لتهنئة الداى بالعيد . وبعد تقديم التهانى تكلم فى أمور سياسية . فسأله الداى عن الديون ، وقضية بوشناق وبوخريص ، وجواب فرنسا على ذلك ؟ فقال القنصل بقصد الاستفزاز . ان ملك فرنسا لا يتنازل لمراسلة داى الجزائر .. فصرخ فيه الداى غاضبا . وقال : اخرج يا رومى . ورماه بمروحة لم يصبه منها الا طرف ريشة فيها فانسحب مهددا بابلاغ حكومته . فأدرك الداى الفخ الذى نصبه له « ديفال » ، وحاول



الخروج منه . فدعا بعض الفرنسيين المقيمين ف الجزائر ، وأفهمهم أنه يحميهم . وليس بينه وبين فرنسا شيء . ولم يقصد اهانتها . وأن ما حدث بينه وبين القنصل يعتبر مسألة شخصية . ولكن : ما أشبه الليلة بالبارحة ولا فرق بين حكاية المكارى (١) وحكاية المروحة .

الانذار الغريب

فى ١٨٢٧/٦/١١ وجهت فرنسا الى الداى انذارا بأن يقدم اعتذاراته علانية الى القنصل العام . ويرفع العلم الفرنسي فوق مدينة الجزائر . ثم توجه اليه التحية بمئة طلقة مدفعية جزائرية . والا بدأت الحرب بعد ٢٤ ساعة . ولا تعديل فى هذه المطالب ! ! .

ولما كان هذا مستحيلا فقد رفضه الداى طبعا . فأعلنت الحرب فى ١٨٢٧/٦/١٦ وفرضت فرنسا الحصار على الشواطىء الجزائرية .

ومدينة الجزائر ذات مناعة ومقدرة دفاعية . وأهلها رجال حرب بواسل . وأسطولها البحرى قوى جبار تخشاه فرنسا وغيرها . وان كانت بعض وحداته مشغولة فى حرب اليونان تساعد الأسطول العثماني فالأمر ليس بسهل . وقد قال القنصل الفرنسي (ان الجزائر هى المدينة الوحيدة فى العالم التي تستحق أن تسحق بواسطة آلة جهنمية . لكننا لسنا متأكدين من تأثير ذلك ، لكى نقدم على هذه المحاولة . ثم قال . لا يمكن الوصول الى تحطيم مدينة الجزائر الا بواسطة جيش برى) .

فكرة الاحتلال

الواقع أنها بدأت عند الفرنسيين فى سنة ١٧٨٢ . وظلوا يدرسون الفكرة والخطة والتكاليف حتى آمنوا بالفكرة سنة ١٧٩١ وكانت الخطة تتلخص فى النزول فى المكان المسمى (سيدى فرج) على بعد ٢٥ كم من العاصمة ، والتكاليف يدفعها الجزائريون أخيرا أى أن كنوز القصبة (الحى القديم فى المدينة ذو الحصون والقلاع) كافية لتغطية المصاريف لأنها تفرغ فيها من حين لآخر مبالغ هامة ، دون ان يستخرج منها شيء .

ولكن هزيمة الأسطول الفرنسي فى موقعة (أبى قير) أجلت بعض الشيء مشروع احتلال الجزائر . وفى سنة ١٨٠٠ نجح بونابرت فى اقرار السلم بين فرنسا والجزائر مؤقتا . الى أن تجمعت لديه المعلومات والمذكرات التي جاءته من وزرائه وقناصله . فعززت عزمه على احتلال الشمال الأفريقى . وكتب الى ضباطه ليدرسوا الخطة ولا يجيبوه الا بعد شهر . فجاء الى الجزائر ضابط متنكر فى ١٨٠٨/٥/٢٤ ليدرس المواقع . فارتاب الداى فى تحركاته . وأنذره . فعاد وقد أعد تقريرا مفصلا . وبين قدرة الداى العسكرية . وأعطى معلومات عن الماء ودرجة الحرارة . وفصل الجفاف . وموجات الوباء . وخريطة مفصلة للميناء . وأشار بضرورة افتعال حرب بين تونس والجزائر – الخ .

ثم حصلت حكاية المروحة . والانذار . واعلان الحرب سنة ١٨٢٧ – ثم تأجلت الحرب الى سنة ١٨٣٠ لأسباب منها :

١ – الخوف من بريطانيا . لأنها هى الأخرى كانت طامعة فى الجزائر . وتخاف على مواقعها المهمة فى البحر المتوسط .

٢ – محاولة فرنسا الوصول الى اسهام محمد علي (حاكم مصر) فى غزو الجزائر ليحملوه بعض النفقات . ولأنه مسلم فلا يتحمس الجزائريون ضده وو .. الخ

٣ – الخوف من بسالة الجزائرين فى الحرب .

لكن محمد علي اشترط شروطا ، وجرت مفاوضات ، ثم توقفت بأمر القسطنطينية (استامبول) تحت تأثير الانجليز ولما اقتنع الفرنسيون بأن كنوز القصبة كافية لتغطية التكاليف اندفعوا الى احتلال الجزائر بمفردهم واتخذوا هذا القرار فى اجتماع مجلس الوزراء فى ١٨٣٠/١/٣١ .

أعدت فرنسا حملة ضخمة ٧٠٠ باخرة عليها ٣٣٠٠٠ جندى . وأعطتها أسبانيا حق مدها بالمؤن . واقامة المستشفيات بها . وأيدتها باقى

---

(١) التى افتعلها الانجليز للهجوم على الاسكندرية واحتلال مصر .

الدول الأوربية . عدا انجلترا خوفا على مالطة وجبل طارق .

ودنت البواخر الفرنسية من شاطىء (سيدى فرج) فى ١٨٣٠/٦/١٣ فقابلهم الداى . فخدعوه بالتحول شرقا ، فتحول معهم بأغلب جنده ، فعادوا سريعا وأنزلوا قواتهم بالمكان الأول بدون مقاومة تذكر . وفى ١٨٣٠/٦/٢٨ تمكنوا من انزال المدفعية الضخمة والعتاد الثقيل . ثم اتجهوا الى الحصن الكبير فى ١٨٣٠/٧/٤ وأظهرت حامية الحصن استبسالا شديدا .ولكن برغم ذلك استولى الفرنسيون على الحصن . وأصبحت مدينة الجزائر واقعة تحت تهديد مدافعهم . وأدرك الداى أنه لم يعد فى الامكان الصمود . فوجه وكيله للتفاوض ، وتم الاتفاق كالآتى :

١ ـ تسليم حصن القصبة وما يشتمل عليه من كنوز . وكل الحصون الأخرى فى منتصف يوم ٧/٥.

٢ ـ يتعهد القائد الفرنسي بضمان حرية الداى وعدم المس بثرواته الخاصة . وهو حر فى أن ينسحب وعائلته الى المكان الذى يختاره

٣ ـ تضمن القيادة لأفراد الجيش التركى نفس الضمانات والحمايات .

٤ ـ حرية ممارسة الديانة الاسلامية . وحرية كل السكان من كل الطبقات .

وبهذا انتهت قصة الجزائر فى العهد التركى . وابتدأت فور هذه النهاية قصة أخرى . قصة طويلة كان بطلها باستمرار هو الشعب .

بعد أن استقر للفرنسيين أمر عاصمة الجزائر فكروا فى احتلال المدن الأخرى . فتارة يتجهون شرقا الى عنابة وقسطنطينة . وأخرى الى وهران ومستغانم غربا . وكان الشعب الجزائرى صلبا أمام قواتهم واستعداداتهم ، حتى ان الفرنسيين فكروا فى الانسحاب كلية من الجزائر . ولكن الخوف من العار أمام الدول الأخرى جعلهم يستمرون فى هذه المحاولات الشاقة المضنية .

وكان الشعب الجزائرى يواجه قوات الاحتلال من غير رياسة جامعة . فكل ولاية وحاكمها يتولون أمر الدفاع عن ولايتهم حتى يظهر لهم اليأس فيسلموا .

الشعب يبحث عن قائد

ثم فكر نفر منهم فى اختيار أمير تجتمع عليه كلمتهم . ويسيرون وراءه الى المعارك قوة متحدة ، فجاءوا الى الأمير محيى الدين والد الأمير عبد القادر . ورشحوه لامارة الجزائر . وألزموه القبول لنفسه أو لابنه . ولما لم يجد حيلة للاعتذار والتخلى . قبلها لابنه . وبايعه عليها سنة ١٨٣٢ . وبايعته الوفود والعلماء . وجاءه رؤساء العشائر والقبائل والولايات يعلنون الدخول فى طاعته . الا من شذ حسدا وأنفة . وكان شوكة فى ظهر الوحدة اللازمة لمواجهة العدو .

والأمير عبد القادر

هو ابن محيى الدين بن مصطفى . ويتصل نسبه بالحسن بن علي بن أبى طالب ولد عام ١٨٠٧ بقرية (غتنا) بالقرب من (معسكر) التي تقع فى الطريق بين العاصمة ووهران ، وكان الناس يجلون أباه محيى الدين لتقواه وورعه ونسبه .

واجتمع للأمير عبد القادر فوق ذلك الاجلال فى الشخصية ، وحسن الدراية ، وقوة الادراك ، والذكاء والشجاعة وتحصيل العلوم وقرض الشعر .

ودخل حلبة الدفاع عن الوطن سنة ١٨٣٢ وكان عمره اذ ذاك ٢٥ سنة . وكان متمسكا بالدين الحنيف فى غير تعصب ، وجعل شعاره فى جهاده : الدفاع عن الدين . ولم يقبل لقب (السلطان) واكتفى بلقب (الأمير) وكناه أبوه بعد البيعة (ناصر الدين) .

بين الزوجة والواجب

وقبل أن يخطو الى مهمته التي تحملها رأى أن يصارح زوجته بأخطار المستقبل ويقول لها :

(ان القوم قد وضعوا فى عنقى أمانة ، وانه من الواجب علي أن أقوم بها ، وان ذلك لا يدع لي مجالا لأن أقوم بواجباتي الزوجية على أكمل حال . ولك ان أردت أن تبقى معى من دون التفات الى طلب حقوقك . وان كان قصدك الا تفرطى فيها ، فأمرك بيدك ، وذلك لأنى قد تحملت ما يشغلني عنك) فأجابت .

(بأنها تضحى بنفسها وحياتها فى سبيل قضية الوطن) فحمد الله وشكره .

وقد لقى فى أول الأمر ـ وظل يلاقى ـ عناء شديدا فى جمع كلمة المعارضين له بدافع الحسد والغيرة . والمنشقين عليه بسبب الدس وسياسة التفرق التي يبثها الاحتلال وأعوانه .

وتغلب على هذا كله . وظل يقاتل الاستعمار تارة



ومعارضيه الجزائرين تارة اخرى . واشتبك فى مناوشات مع الفرنسيين فى عدة أماكن متفرقة أقلقتهم . وأضعفت مراكزهم . وهددت بقاءهم .

وفى المدة ما بين عامى ٣٤ – ١٨٣٧ أرغم فرنسا على ابرام معاهدتين معه . اعترفت فيهما ببسط نفوذ الأمير على كل الجهة الغربية من القطر الجزائرى عدا وهران ، مستغانم . فأخذ فى تنظيم الأمور فيها وأعد جيشا كبيرا قوامه ٨٠٠٠٠ جندى . وأهتم بتنظيمه تنظيما يتجاوب مع روح العصر . جاعلا نصب عينيه أن الجزائر عربية مسلمة . ومن العار أن تفرط فى شيء من ذلك وتدين بالولاء لمن لا تربطها بهم صلة . وبهذه الروح العالية قاد الأمير الجزائر من نصر الى نصر من سنة ١٨٤٠ الى سنة ١٨٤٧ التى غلب فيها على أمره .

ويمكننا أن نقول : ان فرنسا لم تذق طعم الراحة منذ اعتدت على الجزائر . فقد ظل الأمير عبد القادر يدافع عن البلاد شبرا شبرا . وربما كان قليل العدة . نافد الزاد . فقد قطع عليه الفرنسيون خط التموين من مراكش باعلانهم الحرب عليها . وأكثروا من بث الفتن بين القبائل ورؤساء العشائر لخيانة الأمير والخروج عليه ، والقعود عن مساعدته . مما ضاعف مسئولياته . وأضعف مجهوداته . وكانت تمر عليه الشهور لا يقتات بغير ثمر البلوط . وقد أصابته ثلاث هزات حربية . كل حادثة منها كانت صالحة لسقوط قوة أعظم سلطان راسخ القدم ، ومع هذا فان شيئا من ذلك لم يؤثر فى أمره ولم يفت فى عضده .

ولم يكن مدافعا فقط . بل كان مهاجما أكثر الأحيان . فمثلا . مدينة (تلمسان) بعد أن استولى عليها الفرنسيون بصعوبة ، وبعد مقاومة أهلها وحاميتها . لحق بها الأمير عبد القادر وحاصرها تسعة أشهر . وضيق على الجيش الفرنسي فيها كل التضييق ، حتى ان قائد الحامية وهو محصور فى القلعة كان يشترى الهر الواحد بأربعين فرنكا لقوته . أما غيره فلم يكن يجد فأرا يقيم به أوده . وختم الأمير فى مدة هذا الحصار قراءة صحيح البخارى أربع مرات . وكان الأمير سريع الحركة والانتقال حتى أنه فى اليوم الواحد كان يظهر فى غدوته فى مكان ، وفى عشيته يظهر فى آخر بعيد المسافة .

وفى سنة ١٨٤٧ أتم الله عليه انتصارات عديدة متوالية ووقعة (الغزوات) وهى ميناء فى الغرب عند الحدود كانت له نصرا مبينا ، غير أن رصاصة أصابته فى طرف أذنه ولم يصبه فى حروبه كلها أى جرح أو اصابة غيرها . ولما أحس بها نزل ، وصلى ركعتين شكرا لله تعالى على ما لحقه فى سبيل الله ، وكان البعض يظن أنه يدخل المعارك حاملا أحجبة تحفظه . لكنه كان يحيط نفسه (كما يقول) بالتعاويذ الواردة فى السنة (فالله خير حافظا) .

وكان مما قاله يفتخر بجيشه .

لنا فى كل مكرمة مجال
ومن فوق السماك لنا رجال
ركبنا للمكارم كل هول
وخضنا أبحرا ولها زجال
اذا عنها توانى الغير عجزا
فنحن الراحلون لها عجال
سلوا عنا الفرانس تخبرنكم
ويصدق اذ حكت منها المقال
فكم لى فيهمو من يوم حرب
به افتخر الزمان ولا يزال

ولما جن جنون الفرنسيين وقد فشلوا فى استمالته بكل العروض . وفى تهديده . وفى حربه ووجدوا أن السهل أصبح صعبا . وأن عبد القادر يزداد كل يوم قوة . وكلما كبا مرة أو انهزم عاد منتصبا . وثار منتقما واسترد ما سلبوه ، واستعاد ما غلبوه . حينذاك لجأوا الى الحرب الانتحارية . فقذفوا بأعداد غير معدودة من الجند والسلاح ، وشغلوا الأمير وأعيوه من كثرة التحركات والخيانات ، وقطع المعونات والمساعدات الخارجية وكل تموين داخلى . وأحرقوا الغابات ، ودخلوا القرى وذبحوا كل أهلها ، وأشعلوا فيها النيران لتحرق حيواناتها . وتقضى على الأخضر واليابس فيها مما دفع أهالى القرى – خوفا على انفسهم – الى مبايعة الفرنسيين .

استسلام

وهنا أشفق الأمير على البقية من أهل العزم من جنده وأتباعه وأهل بلده ، فجنح الى السلم ، واستسلم للقضاء والقدر . وبكى وهو يردد : حنانك يا رب أمنن على عبادك بالصبر ، وارزق الجزائر رجالا يمكنهم أن يثاروا لى ولها ، وأن ينتقموا من الذين شوهوا الحقائق ، ونالوا النصر بفضل الدسائس والمؤامرات ، وان فرنسا ستدفع ثمن طيشها .

ووقع اتفاقية التسليم على أن يذهب الى المشرق مهاجرا . ومعه من شاء من الأهل والقواد ، وكان عمره اذ ذاك أربعين سنة . ثم عاش بعد ذلك ٣٦ سنة .

وقد قال وهو يستشير خاصته وذويه فى أمر التسليم :

لا أرى الا التسليم لقضاء الله تعالى والرضا به ، ولقد اجهدت نفسي فى الذب عن الدين والبلاد . وبذلت وسعى فى طلب راحة الحاضر والباد . وذلك من حين اهتز غصن شبابى . وافتر عن شباة الهندى نابى . واقمت على ذلك أقتحم المهالك ، واملأ بالجيوش الجرارة الفجاج والمسالك ، استحقر العدو على كثرته ، واستسهل استصعابه ، وأتوغل غير خائف أودينه وشعابه ، وأرتب له فى طريقه الرصائد ، وأنصب له فيها المكائد والمصائد . تارة أنقض عليه انقضاض الجارح ،واخرى أنصب اليه انصباب الطير الى المسارح ، وكثيرا ما كنت ابيته فأفنيه ، وأصبحه فابرد غليلى منه واشفيه ، ولا زلت فى ايامى كلها أرى المنية ولا الدنية ، واشمر عن أقوى ساعد وبنان ، وأقضى حق الجهاد بالمهند والسنان ، الى أن فقدت المعاضد والمساعد ، وفنى الطارف من أموالى والتالد ، ودبت الى من بنى دينى الأفاعى ، واستملت على منهم المساعى ، والآن بلغ السيل الزبى والحزام الطبيين فسبحان من لا يكيده كائد ولا يبيد ملكه ، وكل شىء بائد

ان يسلب القوم العدا
ملكى وتسلمنى الجموع
فالقلب بين ضلوعه
لم تسلم القلب الضلوع
أجلى تاخر لم يكن
بهواه ذلى والخضوع
ما سرت قط الى القتا
ل وكان من أملى الرجوع
شيم الألى أنا منهمو
والأصل تتبعه الفروع

فهذه ١٦ عاما جاهد فيها الشعب جهادا مريرا بقيادة اميره عبد القادر ، ثم من بعده ظل على عهده شبابه المتفجر ثورة ووطنية ، وعلماؤه القابضون على دينهم ولغتهم فلم يسلموها للاعداء ، حتى نوفمبر ١٩٥٤ حيث اندلعت الثورة الكبرى التى أتاحت للشعب الجزائري ان يثار لبطله ، وينال الاعجاب والاكبار لتصميمه على دفع ضريبة الدم بسخاء .

يوم الرحيل

لما شاع تسليم الامير عند أهل الجزائر عظم الخطب عليهم ، وكثر النواح ، واشتعلت المنادب فى المدن والقرى ، وسار من جامع الغزوات الى المرسى ، والناس على اليمين والشمال يبكون وينتحبون . حتى ركب البارجة المعدة له ولمن معه وتوجه نحو فرنسا .

وفى ١٨٤٨/١/١ رست البارجة فى ميناء « طولون » على انها ستقلع به ، وتواصل رحلتها الى الشرق حسب الاتفاق ولكنه فوجىء بحاكم طولون واخبره أنه مامور بانزاله فى برج « لاملاك » فحينئذ أحس الأمير بالخديعة ، ولم يسعه الا النزول ، وبعد أيام بلغه أن قضيته رفعت الى مجلس الامة فحصل بين رجاله اختلاف وقال البعض ان الامير خرج عن الطرق المرعية فى الحرب بقتله الاسرى صبرا . فلا عهد له عندنا ، ولكن المجلس رفض هذا الرأى ، ثم عاد المجلس للانعقاد فى ١٨٤٨/٢/٦ وتكلم وزير الخارجية وقال . فرضنا أننا لا نتمكن من ارسال الأمير الى عكا ، لأن الدولة العثمانية لا تعترف باستيلائنا على الجزائر . فاننا نتمكن من ارساله الى الاسكندرية . فقال رئيس الوزراء ان المخابرة جارية بيننا وبين محمد على . وقد طلبنا منه الكفالات اللازمة لذلك . ولما اتصلت هذه الاخبار بالأمير سكن روعه . وهدأ فكره . أما جواب محمد على فكان بعدم القبول .

سوء معاملته

ثم حدث أن دالت الملكية فى فرنسا وانتصر حزب الجمهوريين ، وحدث للأمير عبد القادر من



سوء معاملة الحكومة له ما أثار حزنه وهيج كربه، لأن الجمهوريين خافوا أن ينصب الملكيون به لهم مكيدة ، فيحملوه الى الجزائر ، وبذلك يمسون فى ارتباك عظيم ، فنقلوه فى وحشية وقسوة الى قلعة طولون ، ثم قبضوا على اخوته فى الجزائر وألحقوهم به فى سجنه ، حتى لا يخرج منه ويعود اليهم ، فيكونوا له أعوانا . وأشيع أن الانجليز ربما يحاولون مساعدته على الهروب. فشددوا عليه الرقابة والأذى ، ونقلوه الى (بو) مدينة مما يلى أسبانيا (فى ابريل) سنة ٤٨ ثم نقلوه الى (امبواز) التابعة لمقاطعة اورليان على المحيط (فى أكتوبر) وبقى بها أربع سنوات لا يروع وان لم يكن آمنا ، ولم يتجدد له كرب ، وان كان فى باطنه كامنا ، (وكان الناس يتقاطرون عليه من جميع أنحاء فرنسا وغيرها لمشاهدة حاله فى أسره ، فكانوا يعجبون من سمو همته ، وبعده عن اظهار الضجر ، وتسليمه لتصاريف القضاء والقدر ، ولا شك أن من كان مثله فى القوة الفاضلة لا يبالى بالشدائد النازلة ...) وقد قيل له فى ذلك ، فقال .

تعودت مس الضر حتى الفته
وأسلمنى طول البلاء الى الصبر

قال الجنرال « لامورسير » الذى وقع معاهدة التسليم مع الأمير عبد القادر ، حينما لاموه وبكتوه فى مجلس النواب فى قبوله التسليم متعللين بأنه كان بالامكان جعله أسير حرب . قال الجنرال « ان هذا اللوم الشديد قد وقع على بجنوحى للسلم فى موضع يجب فيه الحرب بزعمكم . وأنا متحقق أنى لو ركبت الخطر بالزحف على عبد القادر ، ما رجعت الا بخيمته وسجادته ، وانه ليذهب الى الصحراء بحيث لا يمكننى أن أصل اليه ، وهذا آكد عندى من أن يقع فى يدى ، لأن عبد القادر ذو قوة وصلابة فى دينه ، مشتهر بالأمانة والصدق فى وطنه ، شديد التمسك بمبادئه » .

أختار الحرية والفقر

وفى هذه المدة ، هددوه وخيروه : اما أن يبقى سنين عديدة لا يتيسر له التوجه الى المواضع التى طلبها ، واما أن يوطن نفسه على جعل فرنسا وطنا له ، فيعطوه أملاكا جيدة فى أرضها ، ليعيش كواحد من كبرائها مع المداومة على وظائفه الدينية . ويربى أولاده أحسن تربية . فأجاب الأمير : لو جمعت فرنسا كل أموالها ، ثم خيرتنى بين أخذها وأكون عبدا ، وبين أن أكون حرا فقيرا معدما لاخترت أن أكون حرا فقيرا ، فلا تراجعونى بمثل ذلك الخطاب ، فانه ليس عندى بعد هذا الخطاب جواب .

وجاء لمؤانسته من الجزائر - بموافقة الحكومة - العلامة الشيخ محمد الشاذلى قطب العارفين فتلقاه الأمير بقصيدة منها .

أهلا وسهلا بالحبيب القادم
هذا النهار لدى خير مواسم
أفديك بالنفس النفيسة زائرا
من غير ما من ولست بنادم
طالت مساءلتى الركاب تشوقا
لجمال رؤية وجهك المتعاظم
كانت على سمعى تغار نواظرى
حتى رأتك وأنت أنت مكالمى

فأجابه الشيخ الشاذلى :

سلام عليكم طال شوقى اليكم
وقلبى سواكم فى البرية ما أحب
وكان مرادى أن ألا قيكم على
بساط عزيز الملك والحرب فى نشب
وما كان فى ظنى أرى سيدى كما
رأيت . ألا لله ما تصنع النوب
فصبرا لحكم الله راج ثوابه
فان ثواب الله يأتى على التعب

نهاية سجنه

كان الامير نابليون الثالث يعطف على الامير عبد القادر ، ويرى الوفاء له بوعده ، ولكن الاحزاب كانت تخالفه وتقلبه على رأيه فلما تمكن من زمام الحكم سنة ١٨٥٢ بدأ باعادة اتباع الامير وأقاربه الى الجزائر كجس نبض للمقاومة

الفرنسية الشعبية ، وكما قال هو فى كتابه الى الامير عبد القادر فى ذلك :

ان من وقع فى وحل يتعين عليه فى خلاصه منه ان يرفع رجلا بعد أخرى .

وعندما سنحت الفرصة للبرنس نابليون فى انجاز وعده خرج يتفقد الولايات ، ومر على (امبواز) فى ١٨٥٢/١٠/١٦ - وهناك توجه الى قصر الامير عبد القادر ، فنزل الامير واستقبله عند الباب ، ودخلا يدا فى يد ، وسأله عن حاله وأثنى عليه ، وذكر شجاعته التى رآها وسمعها ، وانه كان ينوى مساعدته عندما يقدر ، ولما تمكن من ذلك جاء اليه ، ثم قدم كتابا باطلاق سراحه ، جاء فيه :

(عبد القادر . اننى أتيت لأعلن لك حريتك ، وأنك ستحمل بمن معك الى عاصمة سلطان تركيا ، وذلك بعد الفراغ من الترتيبات المقتضية لسفرك ، وستعين لك الحكومة الفرنساوية مرتبا يليق بمقامك واعلم ان سجنك قد كدرنى كدرا حقيقيا .. واذا كنت عدوا لفرنسا فلا يمنعنى ذلك من أن أشكر أخلاقك الحميدة ، وشجاعتك وصبرك على الشدائد ، ولذلك أفتخر باطلاقك) .. ثم هيئت مائدة الغداء ، وكان الأكل جزائريا ، وبعده قدم الامير والدته للبرنس ، فقبل يدها طالبا دعاءها ، ثم تودعا عند الباب .

فى باريس

بعد تسعة أيام انتقل الامير الى باريس فى احتفال عظيم هرع اليه الناس من كل فج . وأقيمت له عدة احتفالات وقام ببعض الزيارات ثم عاد الى (امبواز) ليستعد للسفر ، وقدم له البرنس سيفا هدية قائلا :

احببت ان تخرج من بلادنا بسيف عوضا عن سيفك الذى سلمته ، وأنا على يقين بأنك لا تجرده على فرنسا . **فقال الامير له :** اننى الآن **ممن يستعمل القلم لا ممن يستعمل السيف .**

وقبل أن يبارح (امبواز) اشترك مع أهلها فى الانتخاب وكتب هو ومن معه انتخابهم للبرنس نابليون الثالث ، وتم الفوز بالامبراطورية له فتوجه الامير عبد القادر الى باريس لتهنئة الامبراطور ، فأكرم وفادته ، وقدمه لمجلس الوزراء ورجال الدولة ، وصافحه قائلا : أرأيت أيها الامير كيف كان صوتك ميمونا على ؟ فأجابه : ان صوتى قد أعرب عما فى ضميرى ، وانى أحمد الله الذى عجل لك بالجزاء عنى بما تريد قبل خروجى من فرنسا . فسر الامبراطور بذلك .

الى اسلامبول

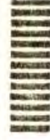
وفى آخر سنة ١٨٥٢ تحركت به سفينة خاصة تسير بأمره ،ومعه ما شاء ومن شاء ، من مرسيليا قاصدة اسلامبول حيث أعد له منزل يليق به فى (بروسة) . وأثناء مروره بجزيرة صقلية تلقاه حاكمها بكل اجلال واحترام ، وجال خلال الجزيرة، ثم وصل الى الآستانة فى ١٨٥٣/١/٨ . وبدأ بزيارة قبر أبى أيوب الانصارى ثم جامع أياصوفيا وزار الصدر الاعظم مصطفى رشيد باشا . وفى اليوم الثالث دعى الى حضرة السلطان الغازى عبد المجيد خان . فرحب به وشكره على ما كابد من الدفاع عن الدين والوطن ، وحمده على صبره على ما قاساه فى فرنسا . ومما قاله الامير للسلطان حينذاك :

وأشكر الله اذ لم ينصرم أجلى
حتى وصلت بأهل الدين ايصالا
وامتد عمرى الى أن نلت من سندى
خليفة الله أفياء وأظلالا
فالله أكرمنى حقا وأسعدنى
وحط عنى أوزارا وأثقالا
قد طال ما طمحت نفسى وما ظفرت
لكن للوصل أوقاتا وآجالا

وبعد عشرة أيام وصل الى (بروسة) وظل بها يصلى الخمس فى الجامع ويقرأ الفية ابن مالك بشروحها ، والسنوسية بشرح المصنف والايساغوجي وو .. وقدم عليه أحباؤه من مصر والجزائر وغيرها .

انتقاله الى دمشق

فى فبراير ١٨٥٦ أى بعد ثلاث سنوات قضاها فى (بروسة) خرج بمن معه وكانوا حوالى ٢٠٠ نفس ، فركب بهم باخرة فرنسية الى بيروت ، فهرعت أهاليها لاستقباله ، واحتفل واليها به احتفالا عظيما . وطار خبره فى سوريا فاجتمع



الامراء لملاقاته ، ورتبوا جموعهم على الطريق ، ولما قرب اقبلوا عليه يهرولون ، وأكبوا على يديه . وسار فى طريقه الى دمشق فخرج واليها محمود نديم باشا وعلماؤها واعيانها الى قرية (دمر) واستقبله هناك الجميع بالاجلال والاحترام ، وسار الامير فى موكب عظيم بين تلك الجموع الى أن نزل عند ضريح العارف بالله (محيى الدين ابن العربى) - وألقى فى دمشق عصا الترحال .

وزار بيت المقدس سنة ١٨٥٧ . ثم زار قبر خالدبن الوليد وعمر بن عبد العزيز فى حمص وحماة ، وكان مشغولا بخدمة امه بنفسه ، فلما ماتت رحمها الله راضية عنه داعية له سنة ١٨٦٣ قصد الحج .

فى مصر

فركب البحر من بيروت الى الاسكندرية . فاستقبله أعيان الحكومة وقناصل الدول وتوجه الى القاهرة لزيارة الحسين والامام الشافعى .

وانزله الخديوى سعيد باشا عنده وأجل ضيافته ودعاه (رئيس شركة قناة السويس فرد يناند ديليسبس) وأمعن فى اكرامه واحترامه ، ومن السويس استقل الباخرة الى جدة .

فى مكة

كتب له شريف مكة السيد عبد الله باشا بانه مستعد لاستقباله رسميا خارج مكة فأجابه الامير عبد القادر . انه لا يقبل ذلك ، انما يريد أن يدخل مكة دخول عبد منكسر الى بيت مولاه .. وهناك أرسل الى مصر سؤالا فقهيا عميقا خاصا بالشاذروان والحجر واختلاف العلماء وسببه هل هما من البيت ام لا .. الخ . وأجابه الشيخ العدوى على سؤاله بما زاد وفاض وملأ عشرات الصفحات .

فى المدينة

وفى رجب من العام التالى ذهب الى المدينة المنورة ، واحتفل به حاكم المدينة ، وضرب له خيمة الى جانب خيمته ، ثم عاد منها الى مكة حاجا مرة أخرى ثم الى السويس وبالغ الخديوى اسماعيل فى ضيافته ، وجال خلال الديار المصرية ، ثم من الاسكندرية توجه الى بيروت فدمشق سنة ١٨٦٥ - ثم زار الآستانة ثم باريس، ولم ينس زيارة (امبواز) أيضا . وزاد له الامبراطور فى مرتباته السنوية ، ثم عاد الى دمشق .

فى افتتاح القناة

وفى سنة ١٨٦٩ دعى الأمير عبد القادر لحضور حفل افتتاح قناة السويس فاجتمع هناك بامبراطورة فرنسا فأعظمت لقاءه . وكان مجلسه تحت المظلة بين أمبراطورة فرنسا وامبراطور النمسا وابنى أمبراطور ألمانيا وملك ايطاليا .

وفى سنة ١٨٨٠ أشيعت كذبا وفاة الأمير ، فانهالت فيه قصائد الرثاء تترى،ثم ظهر كذب هذه الاشاعة فجاءته القصائد العصماء من غير ماحد تهنىء . ولما اتصل الخبر بالأمير سر له وقال : ان الموت لا بد منه عند نهاية الاجل . والحمد لله الذى أرانى واسمعنى ما يقال فى من الخير بعدى . وهذا نادر الوقوع .

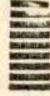
مرضه وموته

لم يمرض الا ٢٥ يوما انتقل بعدها الى مولاه فى ٢٤ أيار سنة ١٨٨٣ . ودفن عند الشيخ محيى الدين بن العربى داخل القبة « والأحشاء محترقة . والأجفان بماء عيونها غرقة . والمكارم تبدى شجوها لفقده ، والمحاسن تعثر فى أسمال حدادها من بعده . وفنون العلم تلطم خدودها ، وأفانين المعارف تشق برودها » .

وفاء واعتراف

ثم شاء وفاء ابناء الجزائر الحرة الجديدة لبطلهم الخالد - الذى يسمى ببلده وتسمى به فهى بلاد عبد القادر . وهو عبد القادر الجزائري - ان يعيدوا رفاته الى الأرض التى جاهد فيها . وأخرج منها . وحرم البقاء فيها حيا . نعم ليعد . وليأخذ مكانه فى (العالية) بين الشهداء من حرب التحرير .

واحتفلت الجزائر حكومة وشعبا فى عيدها الأكبر الوطنى ١٩٦٦/٧/٥ بايداع هذا الجثمان الطاهر مقره الأخير فى سجل الخالدين .



وترتب على ذلك عزمه عليه الصلاة والسلام على فتح مكة . هذا الى أن الاسلام لم يقر مشركى العرب على دينهم ، كما فعل مع النصارى واليهود لأن الشرك الذى كانت عليه العرب لم يكن دينا مطلقا بل عبادة أصنام لا تضر ولا تنفع ، ولأنه لا يمكن أن يستقر حال الاسلام بالجزيرة العربية وفيها مشرك واحد لأنه يثير القلاقل والفتن ، ولهذا يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم فى شأنمشركى العرب . (أمرت أنأقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا اله الا الله فاذا قالوها عصموا منى دماءهم وأموالهم الا بحقها وحسابهم على الله) .

٤ ــ أوجب الاسلام الجهاد على جميع المسلمين اذا اجتيحت بلادهم وغزيت من عدو خارجي حاول الاستيلاء على جزء من أرض المسلمين ، ومثال ذلك فى عصرنا . ما حدث فى فلسطين من احتلال العصابات اليهودية لجزء منها ، فهذا يوجب على المسلمين النفير العام دفاعا عن هذا الجزء المحتل ، ودفعا للعار الذى لحق بالاسلام وأهله من جراء الاعتداء الأثيم فالاسلام لا يعفى أحدا من المسلمين من تحمل المسئولية كاملة غير منقوصة .

وهكذا

لو تتبعنا الحروب والغزوات التي حدثت فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وعهود خلفائه الراشدين لما وجدناها تخرج عن واحد مما أشير اليه سابقا ، فأبو بكر رضي الله عنه يؤمن الدعوة ويدافع عنها ويرد الاعتداء على حملتها بتسيير جيش أسامة الذى أعده رسول الله قبيل وفاته لغزو بلاد الروم ، وكذلك فعل حينما بعث جند الاسلام يقضون على الفتن الداخلية التي أثارها رجال بالجزيرة العربية هم مانعو الزكاة ، وحروب الردة أيضا التي أبلى فيها خالد ابن الوليد رضي الله عنه بلاء حسنا أعاد الى الاسلام هيبته وقوته ، ومكنت له فى وطنه الأصلى بالجزيرة كلها ، وفى عهد عمر رضي الله عنه فتحت الشام ومصر وبلاد فارس ، واذا عرفنا أن كل هذه البلاد كانت تهدد الدعوة ويعمل حكامها حينذاك على الكيد للاسلام وأهله ، ويحاولون القضاء على هذا النور الذى عم الجزيرة وأيقظ العرب ، يطالبون بمكانتهم اللائقة بهم على وجه الأرض ، أيقنا انه لم يكن هناك بد من اعلان الحرب عليهم .

والخلاصة

أن العلاقات بين الدول فى نظر الاسلام يجب أن تقوم على السلام والكرامة الانسانية والوفاء بالعهود وتبادل المصالح فى شتى صورها ، أما اذا ديست العهود ونقضت ، وأهدرت الحقوق وامتهنت ، وعوديت دعوة الاسلام وحوربت ، وتعطلت مصالح المسلمين أو اغتصبت ارضهم واحتلت فهنا القتال ولا مفر منه . يقول الله تعالى : (وان جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله انه هو السميع العليم . وان يريدوا أن يخدعوك فان حسبك الله هو الذى أيدك بنصره وبالمؤمنين) (١) صدق الله العظيم ، ولعل فيما مضى برهانا على أن الاسلام لم ينشر دعوته بالسيف ، وانما نشرها وينشرها فى كل زمان ومكان بالحكمة والموعظة الحسنة . والله لا يحب المعتدين ، والسلام على من اتبع الهدى .

---

(١) الآيتان ٦١ ، ٦٢ من سورة الأنفال .

صيام رمضان بين

« كنت احد المحاضرين فى موضوع القرحة الهضمية فى المؤتمر العالمي لأمراض جهاز الهضم الذىانعقد فى طوكيو فى أيلول (سبتمبر) عام ١٩٦٦ ،وكنت قد تعرضت الى أشياء عديدة ، منها الدور المحدود للصوم فى تطور مرض القرحة ولم يتكلم أحد حول دور الصوم فى حدوث مرض القرحة لأن القول بهذا غير صحيح طبيا وعلميا فالصوم لا يسبب القرحة ، وليس له علاقة مباشرة فى انطلاقها انما القرحة ـ الموجودة قبل الصوم ـ تتفاقم أو تنتكس نتيجة الصوم ، ولهذا فان العلاقة بين انطلاق القرحة وصيام رمضان علاقة نسبية محدودة ، تختلف من شخص الى آخر ، ومن مريض الى مريض ، وفى البلاد الغير اسلامية التى لا تعرف صيام رمضان ، نرى وفرة هذه العلة الهضمية . وهذا ما يثبت انه لا يوجد علاقة مباشرة للصوم فى حدوثالقرحة » .

أهمية الصوم فى صحة الانسان

من المؤكد أن للصوم تأثيرا خاصا فى صحة الانسان وخاصة فى جهازه الهضمى وان هذا الأثر ينعكس فى الاعضاء الهضمية التى تتحمل أكثر العناء فى ساعات الصوم وفى لحظات الافطار .

وما الضجة التى أثيرت حول اثر الصوم فى جسم الانسان سوى احدى الخطوط التائهمة فى خضم الاهمية الطبية الحقيقية للصوم ، ويزيد هذه الضجة صخبا أن نظن أن فائدة الصوم تعم كافة المرضى اذا ما صاموا ، وتزداد هذه الضجة اضطرابا اذا ما سمعنا الذى يجعل الصوم أذى مؤكدا لكل مريض .. وليس من شك أبدا أن للصوم فوائد جمة لدى بعض المرضى ، وانه شديد الأذى لدى البعض الآخر ، ولهذا وجب التأكيد على ضرورة تصنيف المرضى ، واعطاء التوصية الطبية الصحيحة الامينة .

« صوموا تصحــوا »

وفى قــول الرسول صلى اللــه عليــه وسلم « صوموا تصحوا » اتجاه حق يعود حتما الــى الشكل الطبى الخاص الذى يقدمه الصوم معدلا الآلية الفريزية لجسم الانسان .

فالصحة التى تأتى عن طريق الصوم تعود الى أن جهاز الهضم معرض لنوع من التعب الخاص

الصحة والمرض

للدكتور منذر الدقـاق
رئيس شعبة الامراض الداخلية فى مستشفى دمشق

فى بلاد الشرق خاصة حيث يختص الطعام الشرقى بصعوبة الهضم لثقله ، وكثرة الدسم فيـه ، وتعقد اصول طبخه وتعدد اجزائه المخلوطة ، وثقل هذا الطعام يحمل الى جهاز الهضم تعبا شديدا خلال فترة مديدة من السنة حتى يأتي شهـر رمضان فيقدم فترة راحة ضرورية لجهاز متعب .

والهضم الصحيح يأتى عن طريـق الترتيب الصحيح لأوقات الطعام ، والشخص الذى اعتاد الفوضى فى تناول طعامه خلال أيام السنة ، يجد نفسه مضطرا لتنظيم أوقات طعامه خلال شهر كامل ، وهو ما يسمح لجهاز الهضم أن يصلـح الكثير من اضطراباته التى تراكمت طوال العام .

ومن السهل على الهضم أن يتعود على ترتيب وقتى جديد ... واذا كانت الايام الاولى من رمضان صعبة شاقة لدى الكثيرين ، فلأن تطبع جهاز الهضم على شكل زمنى جديد يفرض هذه الصعوبة المؤقتة .. وقد اعتادت عضلات المعدة على التقلص اثر الجوع فى أوقات الطعام العادية .. حتى اذا ما اتى الصوم ، تقلصت فى الايام الاولى من رمضان ، دون ان يلبيها الصائم ، ثم ما تلبث أن تعتاد على التقلص فى ساعات الافطار وتترك عادتها الاولى .. لتأخذ عادة ثانية تحمل اليها الراحة المطلقة خلال ساعات طوال قد لا تقل أحيانا عن الاثنتى عشرة ساعة .

الا أن لهذه الراحة المقصودة المفيدة ، محذورا كبيرا يتمثل فى اثقال المعدة دفعة واحدة وقت الافطار ، مما يسبب تخمة ضارة ، قد تذهب بالفائدة الطبية للصوم ، ولذلك كان الاعتدال فى طعام الافطار ضرورة طبية تلازم الصوم نفســه اذا تـم .

فائدة الصوم

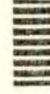
ولا يحـق لنا ان نوزع الصحـة على كـل الصائمين من مرضى وسالمين .. واذا كان الصوم يقدم الراحة الصحية لكثير من المرضى ، الا أنه قد يبعث من جديد أو أنه قد يزيد فى شكوى مرضية لدى من لا تحتمل علته الصيام ، ولهذا وجب التفريق بين نوع من المرضى يرتاح بالصيام ، ونوع آخر يتأذى وقد يتأذى كثيرا من الصيام .

دور الصوم فى شفاء بعض الامراض

تبدو فائدة الصوم من الناحية الطبية لدى المصابين بالالتهابات الهضمية المزمنة ، وفى طليعتهم المصاب بالالتهاب المعدى المزمن ، فهو أول من يستفيد من هذا الفرض الدينى اذ أن الطعام يؤذى ـ الالتهاب ويزيـده فى شتى الحالات . والصوم يحمل الى هذه الشكوى راحة ثابتـة تمتد طول الشهر ، وتكون ذات اثر كبير فى شفاء الالتهاب .

كما أن التهاب الامعاء المزمن والتهاب الكولون المزمن يستفيدان من الصـوم كثيرا .. وابعاد الغشاء المخاطى للامعاء عن تماس الطعام مـدة طويلة يرمم الخلايا الملتهبة ، ويقلل من افرازاتها المرضية الكثيرة ، ويخفف سوائلها المخاطية ، ويقدم

صيام رمضان بين الصحة والمرض



معونة أساسية فى شفاء هذه الاصابات المعوية المزمنة .

اما أثر الصوم لدى مرضى الكبد ، فيختلف باختلاف نوعية وجبات الافطار ، فالمصاب بقصور كبدى يستفيد من الصوم ، اذا ما كانت وجبة الافطار معتدلة خالية من الثقل المعهود والطعام الدسم المعقد ، اما اذا افرط فى افطاره ، فان الصوم لا يحمل لمرضه أى نفع طبى .

كما أن للصوم أثرا متباينا لدى المصابين بحصيات مرارية فمنهم من يتأثر بالصوم ويستفحل مرضه فتتكرر نوباته ، ومنهم من تهدأ آلامه بالصوم .. وهذه أغلب من الاولى فيما لو تابع الصائم الحمية الغذائية التى اعتاد عليها قبل الصوم .

وفى بعض حالات التحسس ، يستفيد المريض من الصيام ويساعد تقنين الاغذية على ذهاب الكثير من أعراض التحسس ، اذ أن اراحة الجهاز الهضمى أمر اساسى للخلاص من بعض حالات « الشرى » والحكة التى تنتج عن بعض الاغذية .

ولا شك أن الصوم يفيد المصابين بالسمنة ، لأن الغذاء يأتى فى مقدمة اسباب السمنة ، ولا بد لحمية الصوم من أن تخفف شيئا من وزن الشخص البدين الذى يشكو السمنة .

« ليس على المريض حرج .. »

« ليس على المريض حرج .. » بهذا القول الكريم ، قدم الدين الاسلامى الحنيف للمريض الغير القادر على الصيام التسامح الانسانى الذى تتطلبه شكواه المرضية .

والصيام مؤذ لكثير من المرضى .. فهو شدد الاذى فى أمراض السل ، يعجل بالنهاية فى كثير من أمراض السرطان ، ويقدم احيانا بعض الاختلاطات فى مرض السكرى ، ويؤثر غالبا فى حالات الاحتشاء القلبى ، وهو خطر فى حالات التهابات الكبد، وعلى الاخص اليرقانات الالتهابية، اذ أن الصوم يساعد على اذابة مدخرات الكبد من عناصر سكرية وشحمية ، وهذه المدخرات تساعد كثيرا على ترميم الخلية الكبدية الملتهبة ، ولذا كانت المعالجة بالغذاء الكامل الصحيح هو خير ما يستفيد منه الكبد المريض ، وهو ما ليس متوفرا من خلال صيام شهر كامل .

وفى شتى الامراض الانتانية ومنها الامراض الرئوية الحادة ، يحتاج المريض المصاب الى تغذية خفيفة منظمة متقطعة .. وهذا ما لا يتوفر فى الصيام ، ولذا وجب فى هذا الحال الافطار ، لان الصوم يزيد فى سوء الحالة العامة للمريض .

كما يضر الصيام الاشخاص الناقهين من العمليات الجراحية الحديثة ، ولا سيما من أجرى تداخلا على احد اقسام جهازه الهضمى كالمعدة والمرارة والامعاء . وهؤلاء المرضى لا يستطيعون الصوم قبل مضى مدة طويلة على اجراء المداخلات الجراحية حتى يتاح لعضويتهم التعويض والترتيب الوظيفى للاضطراب الفريزى الذى لا بد وأن تتركه المداخلة الجراحية .

مدى علاقة الصوم بالقرحة الهضمية

واذا كان الصوم يفيد فى حالات الالتهاب المعدى، فانه يزيد فى آلام المصابين بالقرحة المعدية أو الاثنى عشرية ، فيثيرها اذا كانت هاجعة ، اذ أن بقاء المعدة فارغة لدى المصاب بالقرحة ساعات طويلة ، يجعل الافراز المعدى الحامض يتراكم فى جوف المعدة الفارغة ، والافراز الحامض يحتاج الى معدل يبدد فعله وأذاه . وقد اعتاد المريض أن يستخدم الاطعمة فى فترات متعددة من اليوم ، لتعديل الحموضة الزائدة لمعدته .. واذا ما تتابع الافراز الحامض فى معدة فارغة .. ازدادت آلام البطن ، واشتدت وعادت نوبة القرحة الهضمية الى اخذ شكلها الطبى المعروف .. وقد تتطور الاعراض الى حد انثقاب القرحة فى المعدة أو فى الاثنى عشر وقد نصادف تردد النزف ..

ويغلب أن نلاحظ نكس القرحة أو انثقابها أو

(١) يراجع رأى الدكتور يس عبد الغفار المنشور فى هذا العدد . وكذلك مقال الدكتور أحمد الشطى .

نزفها فى القسم الثانى والاخير من شهر رمضان حيث تزداد اختلاطات القرحة الخطرة أحيانا نتيجة ازدياد الافراز المعدى الحامض الذى ياكل المعدة ويثقبها وقد اعتاد فى الاصل ان يعدل الحموضة بالطعام غالبا وبالدواء أحيانا .

لذلك ، كان الصوم فى حالات القرحة الهضمية مع فرط الحموضة ، تدبيرا علاجيا خطرا جدا ،لانه يعرض القرحة للانثقاب ، وبالتالى لالتهاب الباريطوان ، وهى حالة جراحية خطرة جدا ، ان لم تلق الاسعاف العاجل السريع . وفى شهر رمضان من كل عام ، تزداد حوادث انثقابات القرحة التى تتردد على المستشفيات ، وهذه قاعدة طبية معروفة فى أكثر مراكز الاسعاف الصحى فى البلاد العربية والاسلامية (١) .

وفى بلادنا الشرقية أشكال عديدة للقرحة .. اذ أنه بالاضافة الى وجود قرحة ذات افراز حامضى زائد ، فقد تاكد وجود حالات محدودة وبنسبة ضئيلة من القرحات ، يغلب أن يشارك وجود القرحة فى الجسم اصابة طفيلية بالزحار أو باحدى الديدان .. ومصادفة الامراض الطفيلية مع القرحة لدى مريض واحد يقدم احيانا قرحة بلا حموضة ، وفى مثل هذه الحالات المحدودة والنادرة فان صيام رمضان ممكن .. على أن مثل هذا التفريق عائد الى الطبيب ، ولا يمكن الجزم به قبل اجراء تحاليل خاصة على عصارة المعدة لقياس الحموضة وهو ما يسمح بتقدير دور الصيام فى تطور القرحة .

والصوم يؤذى ايضا القرحة اذا شفيت حديثا لان ندبتها تكون على استعداد دائم للانطلاق من جديد ، وبعث الاعراض القرحية بعد الهجوع اذا ما توفرت الشروط المنبهة .. وافراغ المعدة مدة طويلة عن طريق الصوم هو احد العناصر المثيرة لالام القرحة واعراضها .. ولذلك كانت أكثر حالات نكس القرحة تاتى فى النصف الثانى من رمضان المبارك .

أما القرحة التى مضى على شفائها أكثر من سنة ، فانها قد تتاثر وقد لا تتاثر بالصوم ، فقد تتحمله اذا ما ابتعد المصاب عن الاطعمة الحامضة أو المنبهة المخرشة وتابع حميته الاولى خلال الصوم وبقى بعيدا عن البرد والمثيرات العصبية والنفسية .

كما أن بعض القرحات لا تتحمل الصوم ، وان طبق المريض الحمية الغذائية خلال هذا الشهر الدينى أو مضى على شفائها أكثر من سنة ، لان طاقة النكس فى القرحة لا تعود دائما الى عامل غذائى أو زمنى فهى تختلف وفق عوامل عديدة منها : الجوع الطويل واختلاف الطقس ،والتعرض للبرد والصدمات العصبية الاجتماعية ، الا أن افراغ المعدة مدة طويلة قد يهيىء المصاب الشافى للنكس اذا ما تهيأت العوامل المرضية المنبهة .

وبشكل أوضح ، يمكن ارجاع عودة القرحة وانتكاسها الى عامل غذائي وعامل عصبى وعامل موسمى تحسسى . أما الصوم فيرتبط ارتباطا وثيقا بالعامل الغذائي اذ أنه قد يثير قرحة هاجعة .

أما العامل العصبى ومنه الالم النفسى الشديد الذى يعرف بالزعل فدوره عام لا يرتبط كثيرا بآلية الصوم ، فاذا ما توفر لدى المريض .صام أم لم يصم ــ فقد يكون السبب فى عودة القرحة ولو كان المصاب مفطرا .

وما العامل الموسمى التحسسى سوى عنصر يختص بانطلاق النوبة القرحية من مدخل الربيع او الخريف . وليس له علاقة خاصة بالصوم ، وعلى الاخص اذا توافق قدوم شهر رمضان مع بدء الموسم .

وليس من علاقة اطلاقا بين الصيام وتكون القرحة الهضمية اذ انه لا يوجد أى ارتباط بينهما من الناحية الطبية الامراضية لان ظهور القرحة لا يخضع لعوامل غريزية من ناحية املاء او افراغ

البقية : على ص ٨٦

(١) يراجع مقال الدكتور محمد ابو شوك والاحصاء الذى جاء فيه .

غزوة بدر

أرأيتَ أعلم بالجوى ومصبّه وأسدَّ رأياً في الهوى ومهبه
من شاعر طاف الوجودَ خياله أو من حكيم عينه في قلبه
أنا ذا الأديب أصوغهن بدائعا تمحو من الطاووس آية عجبه
لكن من حظّ الأديب فوارقاً مثل الهوى إيجابه في سلبه
تلهيه عن مُتَع الحياة عوامل كالحبّ يعبث باللبيب ولبّه
والحب فلسفة أدق حدودها حكم الحبيب على فؤاد محبّه
كالشأن في حبّ (النبي) مهيمنا كالنجم في بعد المكان وقربه
ميزتْ شمائله بحكمة مرسل يغنى عن الجيش الكثيف بكتبه
مَنْ في البريّة كالنبي معظّم (جمع الشجاعة والخشوع لربه)
يستنزل الرحماتِ في محرابه عبداً تنزّه بالتقى عن مشبه
ويهز متن السيف في ميدانه فردا يروع الجيش محكم ضربه
في جنّتَين : من الحديد ومن تُقَى ربٍّ تعالى عن بيان مُشَبِّه
راع الجبال مهابة ، وصلابةً في دور محورَه وثابت قطبه
تعشو النجوم السائرات لضوئه ويطوف (جبريل) الأمين بركبه
فتدين أعلام الكماة لبأسه وتخر أعناق الجبال لعضبه (١)

***

ذكرى الحوادث شعلة وقّادة تكسو الخمولَ حميّةَ المتنبه
في يوم (بدر) موقفٌ سجدت له قممُ الجبال تروم موطئ كعبه

(١) العضب من أسماء السيف

للاستاذ مرسى شـاكر طنطاوى

يوم تكشَّف عن صفوف مـلائك ... تسعى لتأييد (النبى) وحزبـه
والحرب موقدة بسَوْرة ثـورة ... مناعة دون الغمـام وسـكبه
« عزريل » في غمراتها متربّـص ... بالكفر يكشـف عن خفىّ مدبّـه
وقد استقل غمامَها وتساقطـت ... شهب المنايـا عن لوامع قضبـه
تغشـى جموع المشـتركين بحملـة ... مثل انحدار السيل عند مصبـه
كانت نذير (الهدرجينة) قبل مـا ... يربد وجه المهلكـات برعبـه
(لابى تراب) في دياجرِ نقعِهـا ... قبسٌ يعيرُ الجوَّ رَوْعَـةَ شهبـه
ولوقفة « المقداد » صيحة صائـج ... تمتدُّ من شوق النزال لغربـه
وهناك جيش المسلمين يمـدّه ... جند السماء بعدة من سـربه
رسموا بإيمـان المحبـة مبـدأ ... يدعو به الداعـى لصالح شعبـه
وقضوْا على شبح الضلال كأنمـا ... زَجَرُوا غرابَ الليل خيفـةَ نعبـه
وسمت بهم روحُ العناية فاسـتوت ... بهم على عرش يفيـض بسُحبِـه
الصـالحون حكومـةً وإدارةً ... الناظرون إلى الزمان وعقبـه



الملجأ الأقوى لكـل مجاهـد ... روحُ اليقين إذا استعدّ لوثبـه
وإذا اليقين ثوى بقلب مجاهـد ... في الله . لاتثنيـه قلةُ صحبـه
كان اليقين هو اشـتغال عزائـم ... تربو على صهر الحديد وصبـه

صوموا تصحوا

للدكتور محمد محمد ابو شوك
رئيس قسم الامراض الباطنية ـ بالمستشفى الاميري ـ الكويت

يقول الله تعالى « يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون . أياما معدودات فمن كان منكم مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين فمن تطوع خيراً فهو خير له وأن تصوموا خير لكم ان كنتم تعلمون . شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه ومن كان مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون »

١٨٢ ، ١٨٣ ، ١٨٤ من سورة البقرة.

آيات بينات من كتاب لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد . شرع فيها ـ خالق الكون ومدبره ـ الذى يعلم ما يضره وما ينفعه ، شرع فيها الصوم رابع ركن من اركان الاسلام الحنيف ، وما جاءت شرعة فى هذا الدين الا وكانت خيرا وبركة على بنى الانسان ، شهد بها وبعظمتها كل من تعمق فى هذا الدين ونهل من معينه الذى لا يغيض ـ القصى والدانى، العربى والمستشرق ، الفيلسوف والحكيم ـ كل استولى على لبه هذا الدين : وعندما يخلع كل انسان فى هذا العالم ثوب التعنت والتحيز والفطرسة ستنقشع عن عينه تلك الغشاوة ويرى أن دين الاسلام هو الدين الحق شرائعه ناصعة ، وأحكامه ساطعة ، جاءت لخير البشرية جمعاء « ان الدين عند الله الاسلام» «وما أرسلناك الا كافةللعالمين» .

حكمة الصوم

الصوم ليس مجرد امساك عن طعام او شراب ، وانما هو الامساك عن كل ما ينافي الايمان، ولا يتفق وفضيلة التقوى، ومن وراء حكمة الحرمان من الطعام والشراب تكمن حكمته الحقيقية الا وهى غرس خلق الصبر ، وتحمل المشاق ، ليثبت ويتحمل ، ويتسلح بسلاح الاستعانة بالله ، والرجوع اليه ، والاعتماد عليه فى دنيا كلها مصاعب ومشاق . ثم ان الحكمة الروحية فى

الصوم لا تدانيها حكمة ، فتصفو نفسه وتتهذب روحه ، ويصير منبعا للخير على نفسه وعلى بيته ، وعلى بني وطنه ، ويعيش عيشة هادئة كلها محبة ووئام وتعاون وسلام . وما أجملها من حياة لو اتسمت بهذا الطابع وبتلك المثل العليا والخلال الحميدة .

الصوم والصحة

يقول المصطفى صلوات الله وسلامه عليه « صوموا تصحوا » وحقا ما قاله رسول الله . فان للصوم فوائد لا تحصى ولا تعد على صحة الابدان . ففى الساعات التى يستريحها الجهاز الهضمى من عمليات شاقة من مضغ للطعام ، وزيادة فى افراز العصارات الهضمية ، وحركة للأمعاء وما يترتب على ذلك من ارهاق لاجهزة الجسم الاخرى أثناء تناول الطعام ، وأثناء مروره بالجهاز الهضمى نتيجة لهذا يحصل الجسم على راحة ولو لفترة ما ، ولكنها هامة وذات فائدة على أجهزة الجسم المختلفة . ولو اتبع الصائم النهج الصحيح السليم فى صيامه ، من ناحية تناول الوجبات ، والتقيد بوجبة خفيفة عند الافطار ، ووجبة أخرى عند السحور دون أن يسرف فى طعامه وشرابه ، أو يفرط فى تناول المأكولات التى يقولون عنها انها من لزوميات رمضان . ورمضان من الافراط والاسراف فى الاكل والشراب براء .

والدلائل واضحة لنا نحن الاطباء ، بل وبين الناس الذين يصومون الصوم الصحيح من الاحساس بالنشاط ، وعدم التعرض للتخمة ، والارتباكات المعوية والمعدية ، وتجمع الغازات داخل البطن وما الى ذلك من تلبكات فى الجهاز الهضمى . كل هذا يزول ولا يحسه الصائم . ولقد واجهت العدد الكثير من مرضاى ممن يشكون من هذه الاعراض التى سرعان ما تذهب عنهم عند حلول الشهر المبارك .

ويتمنى بعضهم أن يكون رمضان السنة كلها ، لما يحسه فيه من راحة وبعد عن هذه الأعراض التى تنغص على الانسان حياته ، وتؤلمه فى نهاره وتؤرقه فى ليله .

وروحانية رمضان وما تفيضه على الصائم من صفاء النفس وتهذيب الروح والصبر على احتمال المشاق ، والعطف على الفقراء والمحتاجين ، والبعد عن التردى فى الشهوات ، وما تجره على الفرد من ويلات ، وتزكية النفس بالاخلاق الفاضلة من صدق فى المعاملة وأمانة فى تأدية العمل ، والبعد عن الغضب والانتقام ، ونقاء النفس من الحقد والحسد والبغض للناس — كل هذا يضفى على النفس البشرية روح السلام والمودة والمحبة والصفاء التى بدورها تؤثر على الجهاز العصبى للانسان ، والذى يهدأ الجسم لهدوئه ويثور لثورته . وبثورة الجهاز العصبى تثور باقى الأجهزة التى تحفظ للجسم كيانه . فيا لها من حكمة الهية تجعل من الصائم حقا ملاكا فى صورة انسان ليسعد بحياته ويسعد به الآخرون .

فالى من يترددون على عيادات الاطباء طلبا لدواء يذهب عنهم التوتر العصبى ، والانهاك العصبى والارق والكآبة وغيرها من الامراض التى تذهب بالعقول — هاكم رمضان — لو تمسكتم بروحانيته وما يضفيه على نفوسكم من خير — لما احتجتم فى يوم من الأيام الى مالا نهاية من علاج ودواء .

الصوم والسمنة

والذى يقول لك ان علاج السمنة المفرطة علاجا أساسيا فى غير التقيد بالنظام والاقلال من الطعام واهم لا محالة . فالسمنة المفرطة الغالب منها يرجع الى النهم ، وترك النفس على هواها تلتهم ما تشتهى من دهنيات ونشويات وسكريات وغيرها — تتكدس داخل الجسم فتجر وراءها ذيلا ثقيلا من المضاعفات : من آلام الظهر ، والمفاصل

البقية : على ص ٨٧

قصة العدد

هَلَكَ المتنطعونَ



للأستاذ علي أحمد باكثير

((فى بيت سلمان الفارسى الصحابى الجليل . حجرة صغيرة متواضعة ليس بها من الرياش غير القليل ولكن يظهر عليها الترتيب والتنسيق . أريكة صغيرة واطئة تكاد تلامس الأرض)) .

ترى أميمة زوجة سلمان وهى تكنس الحجرة ولا تكاد تفرغ من ذلك حتى تسمع قرعا على الباب .

اميمة : **من ؟**

صوت : **أنا أم الدرداء .**

أميمة : (تفتح الباب) **أهلا وسهلا . مرحبا بك يا أم الدرداء .**

أم الدرداء : **أظنك كنت تكنسين . أتمى عملك يا أم عبد الله .**

أميمة : **قد فرغت من الكنس يا أم الدرداء . اجلسي أنت على الرحب والسعة** (تجلسان على الأريكة)

أم الدرداء : **كيف حالك يا أم عبد الله وكيف حال سلمان زوجك ؟ .**

اميمة : **بنعمة الله وعافيته . وكيف حال أبى الدرداء لعله بخير**

أم الدرداء : **تسألينني عن أبى الدرداء . هو كحاله يا أختاه . بخير**

اميمة : **ما خطبك ؟ أليس كما تحبين ؟**

أم الدرداء : **بلى . كما أحب وكما يحب لنفسه**

أميمة : **كما يحب لنفسه وليس كما تحبين !**

أم الدرداء : **أستغفر الله يا أختى لم أقل ذلك**

أميمة : **أردت ذلك ولم تقوليه**

ام الدرداء : **كلا لست أشكو من أبى الدرداء أى شيء**

أميمة : **بل فى نفسك شيء تكتمينه عنى . أنت لست راضية عن زوجك**

أم الدرداء : **ويحك يا أم عبد الله من أين جاءك هذا الظن ؟**

أميمة : **من لحن قولك يا خيرة**

أم الدرداء : **لتطب نفسك يا أميمة فانى راضية راضية**

اميمة : **فما بالك على هذه الهيئة ؟**

أم الدرداء : **ماذا تنكرين من هيئتي ؟**

أميمة : **شعرك أشعث غير مدهون ولا مرجل**

أم الدرداء : **كنت أرفو اليوم قميص أبى الدرداء فشغلنى ذلك عن اصلاح شعرى**

اميمة : **ما أحسبه عرف الدهن منذ أيام . ان لم يكن عندك دهن فسأعطيك شيئا من عندى .**

أم الدرداء : **بل عندى الدهن ولله الحمد . وعندى المشط كذلك . سأدهن شعرى وأرجله لك حين أزورك يوما آخر**

أميمة : **لى أنا أم لأبى الدرداء ؟**

أم الدرداء : **لك أنت أولا ثم لأبى الدرداء**

أميمة : **بل لأبى الدرداء أولا ثم لى**

أم الدرداء : **لا مشاحة يا أميمة .. كما تشائين**

اميمة : (لا تريد أن تستسلم للجواب الذى تخلصت به أم الدرداء) **وهذا الثوب ؟**

أم الدرداء : ما باله ؟

أميمة : لا يعجبني أن أراه عليك فما أنت بعانس ولا أيم .

أم الدرداء : بالله يا أميمة دعيني من هذا . أنا جئت لأتئنس بك لا لتنقدى ثوبى وشعرى

أميمة : يا خيرة يا بنت أبى حدرد لا ينبغى لك أن تنسى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما آخى بين المهاجرين والانصار قد آخى بين زوجى وزوجك .

أم الدرداء : هذا امر لا ينسى أبدا

أميمة : فسلمان الفارسى وأبو الدرداء الخزرجى شىء واحد وأنا وأنت شىء واحد

أم الدرداء : هذا حق

أميمة : فما ينبغى لى أن ألبس ثوبا خيرا من ثوبك ، ولا أن أصلح من شعرى ما لا تصلحين من شعرك

أم الدرداء : لا عليك منى فى هذا الشان يا أميمة ، فما عندى ميل الى التزين والتجمل مثلك

أميمة : أما والله لقد كنت فيما مضى من أملح نساء الأنصار ، وأجملهن شعرا . وأفضلهن زينة وتطرية

أم الدرداء : ذاك عهد مضى يا أم عبد الله وقد اختلف الحال اليوم

أميمة : فيم يا أم الدرداء ؟

أم الدرداء : كان أبو الدرداء تاجرا من قبل ، فأصبح اليوم وقد لزم العبادة وترك التجارة

أميمة : ما كان أبو الدرداء بموفق فى ذلك

أم الدرداء : انه يزعم أنهما لا يجتمعان . العبادة والتجارة

أميمة : ماذا يمنع ؟ هذا سلمان ما زال حتى اليوم ينسج الخوص ، ويأكل من كسب يده ، ويرى ذلك من أفضل العمل .

أم الدرداء : يا أم عبد الله الا تعلمين أن زوجك شيء آخر ؟ انه رجل لا يشغله شيء عن شيء

أميمة : لا ينبغى لك يا أم الدرداء أن تحذى حذو زوجك فتنسى ما ينبغى للمرأة المتزوجة من زينة .

أم الدرداء : لمن ينبغى على المرأة المتزوجة أن تتزين ؟ أليس لزوجها ؟

أميمة : بلى

أم الدرداء : فزوجى أصبح لا يعنيه اليوم من زينتي شيء . لقد صار سواء عنده اليوم : أتزين أو لا اتزين . وان اتكحل أو لا أتكحل ، وأن أصلح شعرى أو لا أصلحه . فلمن تريدين أن أتزين ؟ للشيطان ؟

أميمة : معاذ الله يا أم الدرداء كيف تقولين هذا ؟

أم الدرداء : ماذا اصنع لك ؟ أبيت الا أن تحاوريني حتى أعلنت لك

أميمة : نعم ما فعلت يا خيرة . قد كان ينبغي عليك أن تصارحيني بهذا الذى تجدين فى نفسك من اول الأمر .

أم الدرداء : ما خير ذلك يا أختى الا ان ألقى همى على همك

أميمة : لعلى أستطيع أن أصنع لك شيئا

أم الدرداء : ماذا بوسعك أن تصنعى لى ؟ تهدين لى ثوبا آخر من ثيابك ؟

أميمة : اذا شئت يا أم الدرداء فان عندى ما تحبين

أم الدرداء : كلا يا أم عبد الله . احتفظى بثوبك خيرا لك . أتدرين ماذا صنع زوجى بذلك الثوب الذى اهديته الى ؟

أميمة : ماذا صنع به ؟

أم الدرداء : ما أن رآه ذات يوم حتى أمرنى أن أخلعه : وأتصدق به على احدى فقيرات أهله .

أميمة : غفر الله لأبى الدرداء . والله لأكلمن سلمان فى شانه لينصحه

أم الدرداء : كلا . اياك أن تفعلى يا أم عبد الله

أميمة : اى بأس فى ذلك ؟
أم الدرداء : هذا سر بينى وبين زوجى ، لا ينبغى ان يعلم انى بحت به لاحد
أميمة : لن يعلم زوجك شيئا . ان سلمان كما تعلمين لكيس لبق
أم الدرداء : كلا يا أختى . انى بعد لاستحى من بعلك أكثر مما أستحى من بعلى
أميمة : سلمان أخ لزوجك فهو بمنزلة أخيك
أم الدرداء : حتى أخى ابن أبى وأمى استحى منه فى مثل هذا الشأن
أميمة : فاعلمى اذن أن سلمان قد عرف هذا السر الذى تكتمين
أم الدرداء : ويلك ممن عرفه ؟
أميمة : منك أنت
أم الدرداء : ماذا تقولين ؟
أميمة : انه زاركم ذات يوم فانكر هيئتك فسالك فقلت له: أخوك أبو الدرداء ليس له حاجة فى الدنيا ؟
أم الدرداء : يا هنتاه . حقا قلت له ذلك ، ولكنى ما قصدت هذا المعنى ، وانما قلت ما قلت اعتذارا له ، كراهية أن يكلف نفسه فيهدى لنا ثوبا من عنده .
أميمة : مهما يكن من قصدك فقد فطن سلمان لحقيقة ما بك وانه لكيس فطين ، انى والله لربما اكتم عنه الشىء فيكشفه لى كانما يقرأ من كتاب
أم الدرداء واحياءاه ! واخجلتاه !
أميمة : هونى عليك فان هو الا أخ أمين

* * *

« فى بيت أبى الدرداء . حجرة تشبه الحجرة السابقة الا انها أكثر تواضعا منها »
أبو الدرداء : (يستقبل سلمان الفارسى) مرحبا بك يا أبا عبد الله يا سابق فارس !
سلمان : (فرحا)سابق فارس ! بابى هو وأمى اذ لقبني بذلك !
أبو الدرداء : صلى الله عليه وسلم
سلمان : لقد حضرت انا وأهلى يا أبا الدرداء
أبو الدرداء : ومرحبا باهلك يا أبا الدرداء
سلمان : سنتفدى ونتعشى عندكم
أبو الدرداء : على الرحب والسعة يا أخى . اين هى امراتك ؟
سلمان : قد سبقتني اليكم . داخل الدار عند أهلك
أبو الدرداء : عجبا والله ما علمت
سلمان : وأنى لك أن تعلم وأنت مشغول يومك كله عن أهلك ؟ وعسى ان تكون مشغولا عنهم ليلك كله كذلك ! !
أبو الدرداء : ويل بنت أبى حدرد . كان عليها أن تخبرنى (ينادى) أم الدرداء يا أم الدرداء
أم الدرداء (صوتها) لبيك يا أبا الدرداء
أبو الدرداء : هذا سلمان أخى عندى
أم الدرداء : مرحبا به وأهلا . وهذه امرأة أخيك سلمان عندى
أبو الدرداء : مرحبا بها وأهلا . اصنعى لهما شيئا يا خيرة . فانهما سيتغذيان عندنا
أم الدرداء : وسيتعشيان أيضا
أبو الدرداء : أجل أجل .. هيئى لهما ما عندك .

أم الدرداء : **قد هيأت كل شيء .**

أبو الدرداء : **أحسنت يا خيرة . أحسن الله اليك .**

أبو الدرداء : **هلم يا أبا عبد الله فها قد أحضرت أم الدرداء الغداء**

سلمان : (ينظر الى الصفحة أمامه على الخوان) **ما شاء الله . لقد عنيت بنا أم الدرداء فهيأت لنا هذا الطعام الطيب**

أبو الدرداء : **كل يا أخى هنيئا مريئا**

سلمان : **وأنت ألا تجلس فتأكل**

أبو الدرداء : **اعذرنى يا سلمان فانى صائم**

سلمان : **صائم ؟ ! . أجىء أنا من بيتى لآكل عندك فتصوم ؟ !**

أبو الدرداء : **قد نويت الصوم يا أخى قبل أن تحضر .**

سلمان : **فافطر الآن اذ حضرت .**

أبو الدرداء : **ألا تدعنى يا سلمان أتم صومى ؟ وساجلس معك أحادثك على الطعام .**

سلمان : **أيصح هذا فى شرعتكم يا معشر العرب ؟**

أبو الدرداء : **بئس ما تقول يا أخى . ان الله قد أكرمنا بالاسلام فأغنانا عن شرعة العرب .**

سلمان : **وبئس ما تفعل أنت يا عويمر . فان الاسلام لا يرضى ذلك . وقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : انما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق . والله ما أنا بآكل حتى تأكل .**

أبو الدرداء : **فسآكل معك اذن يا سلمان . باسم الله**

سلمان : **باسم الله** (يأكل الاثنان من الصفحة)

(أم الدرداء تتزين وتساعدها فى ذلك زوجة سلمان)

أم الدرداء : **أنظرى يا أختى . لقد جاء زوجك من صلاة العشاء ولما يجىء أبو الدرداء**

أميمة : **لعله آت فى الأثر .**

أم الدرداء : **والله ما هذا بحسن . يكون عنده الضيف فلا يسبق الضيف الى البيت**

أميمة : **أتركى ذلك لسلمان فانه كفيل بتأديبه**

أم الدرداء : **صدقت لقد أدبه اليوم فأحسن تأديبه**

أميمة : **هيا أكملى الآن زينتك**

أم الدرداء : **قد أكملتها .. ماذا تريدين بعد ؟**

أميمة : **هذا الطيب لم تمسيه بعد . ضمخى به رأسك وما بين كتفيك**



سلمان : (يدخل عليه أبو الدرداء من الخارج) **معذرة يا أبا الدرداء ان سبقتك الى بيتك**

أبو الدرداء : **بل اعذرنى أنا يا أبا عبد الله اذ تأخرت عنك فى المسجد . البيت بيتك على كل حال**

سلمان : **غفر الله لأم الدرداء . لقد أكثرت لنا فى العشاء حتى أسرع الى النعاس**

أبو الدرداء : **ان كنت تريد النوم فادخل الى أهلك . فقد أعددنا لكما الحجرة الداخلية**

سلمان : **وأنت يا أخى ألا تأوى الى أهلك ؟**

أبو الدرداء : **ليس الآن . سأبقى هنا قليلا لأقوم بعض الليل**

سلمان : **ويلك كيف يطيب لى ولأهلى النوم فى بيتك وأنت قائم تتهجد وامرأتك ساهرة تنتظر ؟**

أبو الدرداء : **عجبا لك اليوم يا سلمان ما خطبك ؟**

سلمان : **ان كنت تكره أن نبيت عندك فدعنا ننصرف الى بيتنا**
أبو الدرداء : **معاذ الله يا أخى . ادخل الى أهلك وسادخل الى أهلى**
سلمان : **بل أدخل أنت أولا وسادخل بعدك**
أبو الدرداء : **سمعا يا أبا عبد الله**
سلمان : **واياك أن تقوم حتى أكون أنا الذى أوقظك من آخر الليل فنقوم معا ونصلى معا .**
أبو الدرداء (فى غيظ مكتوم) **سمعا يا سلمان ! !**



(بعد بضعة أيام فى نفس المكان)

أبو الدرداء : **ما هذا الذى فعلت يا سلمان ؟ كيف تقيم فى بيتى وتحضر طعاما من بيتك ؟**
سلمان : **قد صارت لنا ثلاثة أيام فى بيتك فلا ينبغى أن نبقى فى ضيافتك**
أبو الدرداء : **كلا يا سلمان اما أن تقيما فى ضيافتنا أو تنصرفا الى بيتكما**
سلمان : **فهلم أنت وأهلك فاقيما فى بيتنا بضعة أيام**
أبو الدرداء : **ويحك ما يدعونا الى ذلك ؟**
سلمان : **لنتعاون على البر والتقوى . نذهب الى المسجد معا ، ونعود الى أهلنا معا ، ونقوم آخر الليل معا .**
أبو الدرداء : **(محتدا) يا سلمان قد صبرت لك طويلا . وقد آن لى أن أصارحك انك لم تعنى على البر . بل شغلتنى عنه . ما عدت أستطيع أن أصوم ولا أن أقوم منذ اقمتما عندنا أنت وأهلك**
سلمان : **وقد آن لى أنا أيضا أن أصارحك . ان كنت تبغى التقرب الى الله بما تفعل فان الله تعالى لا يتقرب اليه باضاعة الحقوق التى عليك**
أبو الدرداء : **أى حقوق أضعت ؟**
سلمان : **ان لربك عليك حقا ، وان لبدنك عليك حقا ، وان لأهلك عليك حقا . فاعط كل ذى حق حقه .**
أبو الدرداء : **هذا حق . وما أرانى الا معطيا كل ذى حق حقه**
سلمان : **بل أضعت حق بدنك وحق أهلك**
أبو الدرداء : **أفلهذا أقمت عندى هذه الأيام ؟**
سلمان : **أجل لأحملك على البر ،وأسير بك فى الجادة**
أبو الدرداء : **هذا رأيك يا سلمان وأنا أرى خلاف رأيك**
سلمان : **هلم اذن نحتكم الى النبى صلى الله عليه وسلم لنرى أينا اهدى سبيلا**
أبو الدرداء : **أنصفت يا سلمان فهلم .**



(فى بيت سلمان . أم الدرداء تزور أميمة وهى فى هندام حسن)

اميمة : **أهلا أهلا بك يا أم الدرداء . أراك اليوم على خير حال**
أم الدرداء : **جزاك الله صالحة يا أختاه ، وجزى سلمان خيرا . لقد صار أبو الدرداء خلقا آخر .**
أميمة : **حديث النبى صلى الله عليه وسلم هو الذى أصلحه**
أم الدرداء : **أجل .. أصبح زوجى لا يكف عن ترديده فى كل حين**
أميمة : **هلك المتنطعون .**
أم الدرداء : **لا تختصرى الحديث يا أم عبد الله . لقد قال صلى الله عليه وسلم لأبى الدرداء لما احتكم هو وسلمان اليه : لقد صدق سلمان . سلمان أفقه منك يا أبا الدرداء . هلك المتنطعون . هلك المتنطعون .**



المعدة بل ان اعراض القرحة ترتبط بشروط الحمية والبرد والالم النفسى (الزعل) ودور الصوم انما ينحصر فى تفاقم الاعراض ، ويؤدى الى عنادها وصعوبة شفائها لدى المصابين بها ، كما انه يهيىء الى عودة القرحة ونكسها بعد الشفاء فالصيام عنصر كاشف وليس بعنصر مسبب ولا يمكن أن نقول ابدا ان كل الصائمين معرضون للقرحة ، بل يمكن أن نقول ان مرضى القرحة هم أقرب الى عناد المرض واختلاطاته اذا ما طبقوا فرض الصيام . ومن أجل هؤلاء جاء التيسير فى القرآن الكريم .

الصيام بين الامراض الوظيفية والامراض العضوية

ان الذى يجب أن نعرفه بصورة عامة ، ان الصيام يفيد كثيرا فى الشكوى المرضية الوظيفية ويضر فى الشكوى المرضية العضوية . ونقصد بالشكوى الوظيفية الالام التى تتردد على المريض من اضطراب فى وظائف جسمه ويدخل فى هذا التصنيف عددا كبيرا جدا من الامراض العصبية والنفسية والاوهام .. كما نقصد بالشكوى العضوية الالام التى تأتى نتيجة اصابة الانسان بعلة عضوية معينة كالقرحة والسرطان والسل والاحتشاء القلبى الخ .. من الامراض الشائعة .

بقى أن نعرف أن الطبيب وحده قادر على التفريق بين الاصابات العضوية ، والاصابات الوظيفية ، وقد يضطره هذا التفريق الى اللجوء الى فحوص مخبرية وشعاعية للتأكد من تصنيفه .

وهذا ما يفسر لنا الكثير من الحالات المرضية يتردد ذكرها بين حين وآخر حول شفاء المرضى بالصوم .. اذ أن الصيام لدى المرضى المصابين بشكوى وظيفية مفيد حتما ، وهذا أمر صحيح ومعروف فى الطب .. والصوم مفيد فى الحالات الرثوية العصبية من آلام فى الظهر والمفاصل وفى أطراف الجسم كله .. طالما أن شكوى هؤلاء المرضى لا تقوم على ناحية عضوية بل على ناحية وظيفية عصبية يطلق عليها العامة (العصبى) وأحيانا (الامراض الوهمية) .

اما القول مثلا أن الصوم قد أفاد مريضا مصابا بالقرحة أو الاحتشاء أو السرطان ، فهذا لا يمكن أن يكون (١) واذا تحرينا الامر وجدنا أن التشخيص لدى المريض خاطىء وانه غير مصاب بقرحة أو احتشاء الخ من الامراض العضوية بل ان شكواه عصبية وظيفية .. وطالما أنه لا يحمل قرحة .. فان الصوم يفيده وهكذا يتخيل المريض أنه قد شفى من قرحة لا يحملها فى الاصل ، وكم من مرة راجعنى المرضى لمعالجة قرحة لديهم ، ثم اتضح لي أن ليس لديهم من قرحة ، انما قد أسيء تشخيص اصابتهم الهضمية من خلال فحص خاطىء ناقص ، أو صور شعاعية غير صحيحة قرئت خطأ .. ويكون المريض حاملا تشخيصه القرحى الخاطىء لمدة طويلة دون أن يكون صحيحا .

نتيجة وخاتمة

يبدو لنا جيدا أن موضوع الصوم لدى المرضى موضوع طبى علمى فى منتهى الدقة ولا يقبل المزاودة به دائما وهو يحتاج الى دراسة وروية قبل اطلاق رأى مطلق فيه ، وأن أثره العام فى صحة الانسان بعيد جدا .. ويتباين هذا الاثر لدى الاصحاء والمرضى وفق طبيعة اجسامهم ونوع شكواهم ومدى استعدادهم الهضمى وشكل العلة الهضمية اذا ما وجدت .

ولعل جهاز الهضم هو أكثر الاعضاء تأثرا بالصوم فاذا كان هذا الواجب الدينى له فائدة طبية فى كثير من أمراض الهضم ليكسب الجسم الراحة والصحة والشفاء ، فانه فى بعض الحالات المرضية يحمل الى الجسم عناء مؤذيا .. ولذا كانت التعاليم الشرعية تسمح بتجاوز هذا الفرض الدينى فى حالات مرضية محدودة .

على أن الصوم لدى الاصحاء قد يعنى راحة ضرورية لاجهزة غريزية تعبة اذا ما توفرت الشروط الغذائية الاساسية ومن أهمها تنظيم وحسن انتقاء الطعام فى شهر رمضان .

---

(١) يراجع مرة ثانية رأى الدكتور الشطى



المختلفة وارتفاع ضغط الدم ، وانسداد بشرايين القلب ، والدوالى ، والفتوق المختلفة ، ومرض السكر والتهابات المرارة ، والنزلات الصدرية . كل هذه الامراض يكمن علاجها وراء حمية خاصة . حبذا لو بدأ اصحاب السمنة المفرطة حميتهم بشهر رمضان ، وعودوا أنفسهم على الاقلال من الطعام والشراب حتى يعم النفع ، ويستعد البدن للتخلص من كابوس السمنة الذى يثقل كاهله .

الصوم والمعدة

واذا كانت بعض الصحف العربية نقلت أخبارا عن مؤتمر طوكيو الطبى تتصل بصيام رمضان والقرحة وتتهم الصوم ، فاننا لا ندرى على أى أساس بنى هؤلاء كلامهم ، فان قرحة المعدة والأثنى عشر لها من الاسباب العديدة ما يجعلنا نحتار فى تحديد السبب المباشر . فهى فى بعض الحالات تكون وراثية أى أن هناك استعدادا فى أفراد العائلة ، لحدوث مثل هذه القرحة . ثم الاضطرابات النفسية التى طالما تكون سببا فى حدوث القرحة ثم أنواع الاكل التى تؤثر على المعدة والمشروبات الروحية ، والتدخين ، وزيادة القرحة فى أشخاص ذوى فصيلة دم خاصة ، ثم انتشار القرحة فى بعض الاجناس دون غيرها ، ثم أخيرا وجد أن هناك علاقة بين الحساسية وبين القرحة . وكذلك من المحتمل وجود تفاعل بين مواد يفرزها الجسم Anti-bodies ومواد تدخل الى الجسم Antigens ومن نتيجة هذا التفاعل تحدث القرحة ، كما فى أمراض اخرى مشابهة .

اذا هناك زوايا كثيرة من المحتمل ان تكون كل منها سببا لحدوث القرحة . لا أعتقد أن ما قيل فى هذا المؤتمر اذا كان قد قيل حقا . ثم مسارعة بعض الصحف الى نشره بتلك الصورة قد قصد به شىء الا تشويه وجه رمضان الكريم الذى سيبقى الى يوم الدين شهرا كريما له قدسيته وروحانيته ، .

ثم كيف يجرؤ بشر على أن يناقض شريعة فرضها الخالق الذى خلق الانسان وكونه ويعرف ما يضره وما ينفعه ، وحاشا أن يشرع له ويلزمه ما يضر بصحته . وهو الذى يقول سبحانه « يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر » .

اليسر فى الصيام

ان الخالق جل علاه الذى لا يكلف نفسا الا وسعها يسر على عباده أداء الفريضة ، فأعطى رخصة الفطر للمريض وللمسافر على أن يقضى ما فاته أيام الصحة والاقامة . وأباح للأصحاء المقيمين الذين يشق عليهم الصوم ويجهدهم جهدا شديدا يعرضهم للخطر كالشيوخ والحوامل والمرضعات أباح لهم الافطار فى رمضان . ونظرا الى أنه من المتعسر على بعض هؤلاء أن يجدوا وقتا يقضون فيه ما فاتهم من صوم اكتفى منهم أن يطعموا مسكينا واحدا عن كل يوم . فهل بعد هذا من يسر ؟

ان الاسلام دين يسر لا عسر « يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر » الا فليصمه كل مسلم ومسلمه ، وليعلم علم اليقين أن ذلك فيه الفائدة الجمة لجسده وروحه ، اذا صامه كما صامه رسول الله وصحابته : تنزه عن الملذات ، ورغبة فى العبادات ، والبعد عن التخمة ـ « حسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه » وعدم ملء المعدة « فما ملأ ابن آدم وعاء شرا من بطنه » . اذا تمسكنا بقوانين الصوم الصحيحة سعدنا بهذا الصوم دنيا وآخرة ـ رغم ما يتقول به ذووا الأهواء الذين يكيدون لهذا الدين « ويأبى الله الا ان يتم نوره ولو كره الكافرون » .



حول الاقتصاد الاسلامى

من بغداد أرسل الاخوة عمر أحمد وزملاء له يسألون عن الاقتصاد الاسلامى والتخطيط نحو أمة سعيدة بشريعة تامة كاملة .

ونقول للاخوة ان المجلة كما قلتم تقول الحق فى كل شيء ، سواء كان لها أم عليها ، وتقرر فى جرأة مهذبة كل حقائق الاسلام ، وان كانت تبعد عما يؤدى الى تفرقة الصفوف .

أما بخصوص ما سألتم عنه فبامكانكم أن تراجعوا اعداد المجلة من العدد التاسع وتقرأوا ما نشر عن هذا الموضوع للدكتور محمد عبد الله العربى . ثم تتابعوا ما قد ينشر عن ذلك فى المستقبل ان شاء الله . مع دعواتنا لكم بالتوفيق ..

حريص على دينه

وكذلك أرسل الينا قارئ من بغداد يشكر المجلة على تفانيها فى خدمة الاسلام وتقديمها له فى ثوب عصرى راق ، ويهنىء على قرب اكتمالها العامين ، وهو من بعد ذلك يسأل هل يجوز أن آكل وأشرب فى أوانى البيت التى يشرب فيها والده خمرا ، أو يدنسها به ، وهل تصح صلاته فى ذلك البيت أيضا ، وماذا يفعل مع والده ؟

ونحن نشكر للقارئ الفاضل تقديره للمجلة وحرصه عليها ، ومع الله نشكره على غيرته الدينية ولكننا نوصيه بأن يتلطف هو ومن معه فى البيت فى ابعاد والده عما يرتكبه من محرم ويحاولوا بقدر استطاعتهم معالجة ما هو واقع فيه بحكمة حتى لا يحدث للاسرة تفكك وانفصام يكون ضرره عليها أشد من ضرر الخمر على والدهم .

اما عن صلاتك فى البيت الذى يشرب فيه والدك فلا شيء فيها ، لأن نجاسة الخمر نجاسة حكمية لا تتعدى المكان أو الاناء الذى مسته ، وفى كل بيت سجادة أو مصلى متنقلة يمكنك أن تصلى عليها فى ـ أى مكان بالبيت أو على أى شيء طاهر آخر ، والمسألة سهلة من هذه الناحية ليس فيها تعقيد ، وكذلك الآنية التى ترى أن والدك وضع فيها خمرا يمكنك استعمالها بعد غسلها وتطهيرها ، ونروى لك حديثا فى موضوع مشابه . فعن ابى ثعلبة الخشنى رضى الله عنه قال . قلت يا رسول الله . انا بأرض قوم أهل كتاب أفنأكل فى آنيتهم قال : لا تأكلوا فيها الا أن لا تجدوا غيرها فاغسلوها وكلوا فيها . (متفق عليه)

وفق الله والدك الى طريق الخير ، وشد من عزمك على طريق الحق .

ومن يتق الله يجعل له مخرجا

والى القارى الذى طلب منا أن نرمز الى اسمه برمز ع.أ.ح الزرقاء الأردن .

قرأنا يا سيد ع.أ.ح رسالتك ونحن نحيى فيك هذه العواطف المتدينة الصادقة متمثلين فيك روح الشباب المسلم الحق الذى يرعى مسئولياته بشرف وصدق وشجاعة

فليس من الحق أن يفرض الزواج عليك ، أو تفرضه على نفسك دون استطاعة . قال صلى الله عليه وسلم . « يا معشر الشباب من استطاع منك الباءة فليتزوج ومن لم يستطع فعليه بالصوم » والباءة هنا هى تكاليف الزواج المعروفة عادة . وما عليك الا أن تصبر وتصبر معك مخطوبتك وتتقيا الله فان من يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب . أما اذا لم تصبر هى معك فلا يكلف الله نفسا الا وسعها ، ويعوضك الله خيرا .

مزيدا من التوفيق

ومن بديا ـ الأردن أرسل السيد محمد عبد الرحيم عبد السلام يسأل عن شابين يصلى أحدهما ويصوم ، ويؤدى الفرائض الدينية جميعا ، ومع ذلك فهو يسلك سلوك الاسلام من الصدق والأمانة والعفة والاستقامة ، ويجتنب كل ما ينافى أخلاق الاسلام من الكذب والخداع والنميمة ، ولكنه تنقصه الغيرة على الاسلام عندما يهاجمه أحد المتحذلقين ، فيود هذا الخلوص من المجلس أو تغيير مجرى الحديث .

أما الآخر فهو على العكس من ذلك اذا قام الى الصلاة قام كسولا ، فاذا ألقته الظروف فى مجلس يهاجم من فيه الاسلام تغيرت ملامحه ، وهب لمناقشته مبطلا شبهاته .

فأيهما أفضل ؟

ونقول يا سيد محمد أن الاسلام وحدة لا تتجزأ لا تنفصل فيه العقيدة عن السلوك ، أو ينفك فيه الايمان عن العمل والمؤمن الكامل هو الذى يجمع بينهما بحيث يكون ربانيا فى كيانه كله لا يتخلف عن واجب يمليه عليه دينه أو حق يفرضه عليه ضميره ، فى أى مجال كان وفى أى موطن .

فزميلاك كلاهما مقصر فى رسالته مفرط فى واجبه ، وكان الاولى بمن سلك سبيل الاسلام ، وتخلق بآدابه وعباداته أن يدافع عن عقيدته كما يدافع الرجل منا عن عرضه وماله ونفسه ، لا يتخاذل ، ولا ينى متى وجد ذلك أمرا مجديا فى المجلس الذى هو فيه ، وكان قادرا على الرد والدفاع كما كان أخلق بصاحبك ووجهه يتغير وملامحه تنقلب غيرة على الله ورسوله ، وما جاء به أن يدافع بسلوكه بجانب لسانه حتى يكون أقدر على دفاعه ، ويكون الناس أسمع لكلامه وحتى لا يكون ممن قال الله فيهم « كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون » « ونحن ياسيد محمد وان كان لابد لنا ولك من ترجيح احد الرجلين على صاحبه فانا نرى الاول خيرا بلا شك حيث يضرب لغيره القدرة الحسنة بعمله وسلوكه ، ولا تظن أنه تنقصه الغيرة الاسلامية كما تقول فربما كان خروجه من المجلس أو تغييره لمجرى الحديث قطعا للجدال مع أناس همهم الجدال ولا فائدة من الجدل معهم ، ولعله يتمثل بقوله تعالى « واذا رايت الذين يخوضون فى آياتنا فاعرض عنهم حتى يخوضوا فى حديث غيره » .

وفقكم الله يا شباب .

الاسلام ورسوله وتعاليمه بلغة العصر

كما جاءتنا رسالة من السيد غريب جمعة الطالب بكلية الطب جامعة الاسكندرية يبدى فيها اعجابه الشديد بسلسلة بحوث « الاسلام ورسوله وتعاليمه بلغة العصر » التى نشرت بالمجلة للاستاذ أحمد حسين المحامى لما تمتاز به من عمق الفكرة ، ووضوح الهدف والمنهج ، وقوة الحجة ، وحسن العرض ..

ويقترح علينا أن نجمع هذه البحوث وننشرها فى رسالة أشبه برسالتى الصيام والحج اللتين نصدرهما كل عام هدية من المجلة وهو اقتراح وجيه سبق أن جاءنا من الاستاذ أحمد حسين نفسه أنه سيقوم بتحقيقه بعد أن أتم طبع كتابه الجديد « الامة الانسانية » ...

الفتاوى

يسر المجلة ولجنة الفتوى بالوزارة ان تتلقى اسئلة القراء وتجيب عنها .

بناء المسجد فى المقابر

السؤال : ـ

هل يجوز ان يقام مسجد للصلاة فى الفضاء المتسع داخل السور المحيط بالمقابر ؟

(أ . ف ـ الكويت)

الاجابة : ـ

شرعت الصلاة شكرا للمنعم عز وجل وامتثالا وخضوعا لما امر به يستشعر فيها المسلم عظمة ربه ، فيناجيه فى خشوع ملتمسا عفوه ورضاه ، ولقد تعددت فرائضها ليبقى العبد متصلا دائما بمولاه ، وهى من أفضل العبادات ، لذلك ينبغى أن يخلص المصلى قلبه فى التوجه الى الله سبحانه . ومن ثم فلا يصح ان توجد أمامه مشاهد تبعث فى نفسه شيئا يصرفه عن تعظيمه ، أو تشغله عن أداء العبادة على الوجه الأكمل .

ولما كانت المساجد هى مكان العبادة ، وفيها تقام الصلوات خالصة لوجه الله كان من الواجب ان تقام فى مكان يحقق هذه الغاية .

ولقد ابتلى كثير من أفراد الامة المسلمة ببناء المساجد على القبور الأمر الذى يتنافى مع حكمة مشروعية الصلاة . وقد نهى الرسول صلى الله عليه وسلم وحذر من اتخاذ القبور مساجد فقال : « ان من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد ألا فلا تتخذوا القبور مساجد انى أنهاكم عن ذلك » كما ورد فى الصحيحين عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « قاتل الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » .

فالرسول يحذرنا أن نصنع بقبره أو بقبور الصالحين مثل اليهود والنصارى بقبور أنبيائهم وصالحيهم لأن هذا الامر يصير بالتدرج شبيها بعبادة الأوثان .

وحين وسع المسلمون مسجد رسول الله وأدخلوا فيه بيوت أمهات المؤمنين ومنها حجرة السيدة عائشة التى دفن فيها الرسول الكريم مع صاحبيه .. أقاموا جدرانا مرتفعة حول الحجرة لئلا يظهر القبر الشريف فى المسجد فيصل اليه العوام .

من هذه الاحاديث وفعل الصحابة والتابعين ندرك أن الذى جرت به عادة كثير من بلاد الاسلام اليوم من بناء المساجد على القبور محرم ومخالف للسنة المطهرة .

وبما أن السيد السائل يقول أنه يوجد داخل السور المحيط بالمقابر مكان خال متسع لبناء مسجد عام فلا مانع من بناء هذا المسجد لعدم بنائه على قبر من القبور .

بناء المساجد من الزكاة

السؤال : ـ

طلب منى جماعة من أهل الخير أن أتبرع بمقدار من زكاة مالى للمساهمة فى بناء مسجد تحتاج اليه البلد ، فهل يحسب هذا التبرع من الزكاة ؟

(موسى الكاظمى ـ بغداد)

الاجابة : ـ

يرى بعض الفقهاء أن صرف الزكاة فى بناء المساجد أو تعميرها لا يجوز شرعا لأن القرآن الكريم حدد مصارف الزكاة فى ثمانية مصارف وليس هذا منها ، ولا يدخل بناء المساجد وتعميرها فى مصرف (فى سبيل الله) لأن المراد فى الآية خصوص الغزو لكثرة استعمالها فيه . ولكثرة اقترانها بالجهاد .

ويرى بعضهم أن صرف الزكاة فى اى جهة من جهات البر جائز شرعا وذلك كبناء المساجد والمستشفيات والمدارس ويدخل ذلك فى مصرف (فى سبيل الله) لأن سبيل الله معناه الطريق الموصل الى مرضاة الله ، وهذا يشمل الجهاد وغيره ، ولا يوجد مخصص يقصره على الجهاد .

ونرى أنه لا ينبغى صرف الزكاة فى بناء المساجد الا اذا كان الصرف فيه أهم من الصرف فى غيره من المصارف بأن لم يكن فى البلد من المساجد ما يستغنى به الناس عن المسجد المراد انشاؤه .

قضاء الصوم

السـؤال : ـ

مرضت فى شهر رمضان الفائت ، وأفطرت عشرة أيام منه ، وأريد قضاءها ولكنى لا أستطيع قضاءها متوالية ، فهل يكفى أن أصوم كل أسبوع يوما أو يومين ؟

(عبد الرحمن العائش ـ دبى)

الاجابـة : ـ

جمهور الفقهاء على أنه لا يجب التتابع فى صوم القضاء ، وانما هو مستحب ، والدليل على ذلك قوله تعالى « فعدة من أيام أخر » ومن صام ما عليه متفرقا فقد صام عدة من أيام أخر ، وروى أن النبى صلى الله عليه وسلم سئل عن قضـاء الصوم متفرقا ، فقال للسائل : ذلك اليك . ارأيت لو كان على أحدكم دين فقضى الدرهـم والدرهمين . ألم يكن ذلك قضاء فالله أحق أن يعفو ويغفـر .

فاذا أردت أن تقضى ما عليك من الصوم متفرقا صح هذا القضاء وان كان الافضل أن تصـوم متتابعا ، « يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر » .

صيام أهل البادية

السـؤال : ـ

نحن عرب البادية . حياتنا دائما فى حل وترحال نسعى وراء الكلأ بصفة مستمرة دائمة ، فـلا نستقر فى مكان ، فهل يجوز لنا الفطر . ؟

(محمد نمر ـ الشارقة)

الاجابـة : ـ

أهل البادية الذين يشتون فى مكان ،ويصيفون فى مكان . لهم أن يفطروا فقط فى حال ظعنهم من المشتى الى المصيف ،ومن المصيف الى المشتى اذا كان انتقالهم هذا يأخذ شكل السفر الحقيقي . بخلاف ما لو تدرجوا فى الانتقال كتدرجهم وراء المرعى عادة فاذا ما نزلوا بمشتاهم ومصيفهم فلا يجوز لهم الفطر .

الفطر فى السفر

السـؤال : ـ

لقد اصبح السفر سهلا ميسرا لا مشقة فيه ، فهل يباح لى الفطر أثناء السـفر مع سهولته وقدرتى على احتمالى الصوم فيه ؟ .

(عبد العزيز النابلسى ـ الأردن)

الاجابـة : ـ

ذهب الأئمة الاربعة أنه يجوز للمسافر أن يصوم ، وأن يفطر ، فقد ورد فى الصحيحين عن أنس قال : « كنا نسافر مع النبى صلى الله عليه وسلم ، فى رمضان ، فمنا الصائم ومنا المفطر ، فلا يعيب الصائم على المفطر ، ولا المفطر على الصائم » وقال الله سبحانه « ومن كان منكم مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر » .

وفى المسند : عن النبى صلى الله عليه وسـلم أنه قال « ان الله يحب أن يؤخذ برخصه ، كما يكره أن تؤتى معصيته » وفى الصحيح « ان رجلا قال للنبى صلى الله عليه وسلم ، انى رجل أكثر الصوم ، أفأصوم فى السفر ؟ فقال : ان افطرت فحسن ، وان صمت فلا بأس » .

فيجوز لك الفطر فى السفر ـ بشروطه ـ مع قدرتك على الصوم فيه .

زكاة مال المتوفى

السـؤال : ـ

مات والدى وأنا أعلم أنه لم يؤد زكاة ماله ، فهل يجب على اخراج هذه الزكاة من تركته نيابة عنه ، واذا أخرجتها فهل يسقط عنه العقاب .

(أبو حسـام ـ دمشق)

الاجابـة : ـ

اذا فرط الانسان حال حياته ولم يخرج زكاة ماله حتى مات ، فعلى الورثة اخراجها عند احمد والشافعـى .

وعند غيرهما لا يجب على الورثة اخراجها . واذا أخرجوها من عند أنفسهم تبرعا كان ذلك برا منهم بوالدهم ، والمأمول فى رحمة الله وعفـوه أن يتقبلها منهم ويعفو عن الميت ، وقد سبقت رحمته سبحانه وتعالى غضبه والله غفور رحيم .

بأقلام القراء

الاعتصام بالكتاب والسنة

يناشد السيد مساعد خليفة الخرافى من ـ الكويت ـ المسلمين ، ويدعوهم الى الاعتصام بالكتاب والسنة ، ويستهل كلمته بالآية الكريمة « وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا واتقوا الله ان الله شديد العقاب » ويقول :

فى هذه الآية الكريمة يحذر الله عواقب مخالفته ، ويبين ان الدين قواعد ونظم وحدود ، وان ذلك كله يرجع الى أمر الرسول ونهيه ، وفعله وتركه ، فكل شىء أمر به الرسول أو نهى عنه وجب علينا امتثاله ، وكل شىء فعله الرسول ، أو تركه وجب علينا تنفيذه بدقة واحكام .

ولقد بين الرسول الكريم كل ما يحتاج الى بيان ، فبلغ الرسالة ، وادى الأمانة على أكمل وجه ، وأدق بيان . وما انتقل صلى الله عليه وسلم الى الرفيق الأعلى الا بعد أن كانت كل معالم الدين واضحة وسنته كاملة ، وأحكامه تامة .

فالزيادة فى الدين ، أو النقص منه أمر ضرره كبير وخطره عظيم . يفسد العمل الصالح ، ويحبط ثواب العبادة ، ويستوجب غضب الله ومقته ، « تلك حدود الله ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون » .

ومع وضوح هذه الحقيقة فانا نرى فريقا من المسلمين تعدوا حدود ما شرع الله لهم ، وشرعوا لأنفسهم ما لم يأذن به الله ورسوله ، وأحدثوا من البدع المنكرة مالا يرضاه الله . من ذلك ما يفعله الجهلة من التمسح بالأضرحة وطلب الشفاء ، وقضاء الحاجات من الأولياء ، وكذا النذر لهم والاستعانة بهم والذبح عند قبورهم ، وشد الرحال الى أجداثهم .

وقد نهى عن ذلك كله رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « لا تشد الرحال الا لثلاث مساجد : المسجد الحرام، ومسجدى هذا ، والمسجد الأقصى » وقال « لعن الله زائرات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج » .

فالعبادة المقبولة هى التى يقصد بها وجه الله وحده « فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا » .

القرآن الكريم

وبعث الأستاذ جلال الدين عبد الرحمن من القاهرة بكلمة يتحدث فيها عن القرآن الكريم نقتطف منها ما يلى :

هو مصدر الهداية الاسلامية ، وأصل الشريعة المحمدية ، منه يأخذ المجتهدون ، وعليه يعول المشرعون والمستنبطون ، لا علم لهم الا ما علمهم اياه، ولا حكم الا ما أرشدهم اليه ، ولا عقيدة الا ما ينص عليها ، فهو الكتاب الجامع والنافع الشافع والحكم العدل ، والقول الفصل « لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد » .

والقرآن فى الاسلام ، معجزة دعوته ، ودستور شريعته ـ وفى اللغة العربية تاج أدبها وقاموس لغتها ، وعند أولى الألباب فردوس المعانى الروحية ، ومناهل الايمان والعرفان الربانية ، فى أطوار أسراره لمسات سماوية تهتز لها المشاعر ، وتقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ، أمثاله عبر لمن تدبرها ، وأوامره هدى لمن استبصرها .

فهو أساس الدين وحبل الله المتين . والذكر الحكيم لا تزيغ به الأهواء : ولا تتشعب به الآراء ، ولا يشبع منه العلماء ، ولا يمله الأتقياء . من علم علمه سبق ، ومن قال به صدق ،ومن حكم به عدل ، ومن عمل به أجر ، ومن دعا اليه هدى الى صراط مستقيم .

وقد اهتم المسلمون بكتاب الله ، وقدروه حق قدره ، وجعلوه أهم مواد دراستهم، وأفسحوا له المجال ، بل جعلوه المحور والأساس ، واستغنوا به عن غيره ، ولم يستغنوا بغيره عنه . فالعالم الفاضل هو من حفظه وتفهم معانيه ، فكان للقرآن المكان الأول من كل قلب ، والمحل الأسمى عند كل نفس ، والعناية الكبرى فى دور العلم .

وسيبقى القرآن الكريم الى ما شاء الله تعالى معجزة السماء الخالدة ، وسيظل الى ما شاء الله غنيا عزيزا برسالته التى كلما مضى الزمان عليه مضت وهى تثبت قوتها واعجازهـا .

فكتاب الله لا يحتاج الى مادح يزكيه ، أو دليل يبين عظمته وقدسيته ، ومـع أنه كتاب هداية واصلاح وتهذيب الا أنه لم يفرط فى شىء من قوانين الحياة ونظمها ومطـالبهـا .

المطالعة والدراسة والانتاج فى رمضـان

وأرسل الأخ محمد صالح بربندى من الرياض بكلمة تحت هذا العنوان يقول فيها :

لا شك أننا نجد فى رمضان فرصة كبرى ـ قد لا تتاح لنا فى الأشهر الأخرى للمطالعة والبحوث الدينية والعلمية الى جانب قيامنا بالعبادات المطلوبـة ، فقراءة القرآن الكريم أولا هى خير ما يفعله الصائم قبل كل شىء ، فعباراته القوية ومعانيه السامية تخلب عقل السامع وتصقل نفس القارىء سيما فى الصيام الذى انصرفت فيه النفوس بكليتها الى طبيعة دينية وخلقية سامية ، وحينذاك يشعر القارىء أن آياته يسرى هداها فى القلوب ، ويجرى رواؤها فى الأعماق ، فتهز النفوس هزا ، وتصهر الأفئدة ، وتأخذ بلباب العقول .

ومن الخير أن يقرأ الصائم تفسيرا للقرآن الكريم ، وقد أكثر العلماء والحمد لله من شروح وتفسير الآيات البينات فنجد كتب التفسير التى تتجلى فيها جهود الباحثين ـ جزاهم الله خيرا ـ فى سبيل شرح معانى آى الذكر الحكيم ـ قدر استطاعتهم ـ ولكن القرآن بحر خضم زاخر بأمواجه ، فأنى للكتب والعقول أن تحيـط بمراميـه ومقاصده وغاياته ، فهو كما يقول الله تعالى :

« قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربى لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربى ولو جئنا بمثله مددا » . صدق الله العظيم ، ومن الخير أن يقرأ الصائم ايضا شيئا من الحديث الشريف ، فنستطيع قراءة صحيح الامام البخارى أو الامام مسـلم أو غيره من صحاح الحديث الأخرى ، وهناك الكتب المطولة والجامعة والمختصرة العصرية المشروحة ، فالصائم اذا خصص جزءا من وقته اليومى لدراسة الحديث النبـوى يستطيع أن يلم فى نهاية هذا الشهر المبارك بثروة حسـنة من روائع الهـدى الخالدة ، وهى ذخيرة علمية ستنفعه مدى حياتـه .

ومن المفيد أيضا أن يقرأ الصائم فى هذا الشـهر المبارك السـيرة النبويـة ليطلع على أخلاق الرسول العربى الكريم صلى الله عليه وسلم وصبره وجهاده وقـوة ارادته وبلاء الصحـابة الكـرام فى سبيل الفتح العربى ومآثرهـم الجلى وآثارهم الكريمة الخالدة .

كل ذلك يدعو الصائم الى أن يكون باحثا عابدا ساعيا مستفيدا من أوقات هذا الشـهر المبارك لا يقتصر وقته على العبادة والنوم فقط بل يقرأ ويطالع ، ويبحث ويكتب ، ولعله ان فعل ذلك يشعر انـه استزاد ثروة علمية وفقهية كبيرة بالاضافة الى راحة النفس وطمانينتها وعبادتها وخشوعها ، وهذا ما يقوى جهد الصائم ، ويجعله يشعر بفائدة الصيام وآثاره على نفسه فى جميع نواحيها .

قالت صحف العالم

العدوان الاسرائيلى

هذا العنوان أصبح بابا ثابتا دائما فى الصحف والمجلات العربية والاسلامية وننقل اليك ما نشره الملحق الدينى لصحيفة الجمهورية القاهرية تحت هذا العنوان .

العدوان الاسرائيلى الذى وقع على سوريا والأردن هو جريمة فى حق الانسانية كلها . ويعتبر فى نفس الوقت تحديا لكل العرب ، ومن ثم وجب على جميع العرب أن يتكاتفوا استعدادا للمعركة الحاسمة لضرب المعتدين ورد العدوان بكل عنف وقوة وحزم .

من واجب العرب جميعا بل من واجب كل المسلمين أن يقفوا صفا واحدا فى وجه المؤامرات الصهيونية والاعتداءات الاسرائيلية التى تثبت أن اسرائيل اداة للاستعمار وقاعدة للعـدوان .

ان العدوان الاسرائيلى يدل على أن هناك مخططا عدوانيا تعمل الصهيونية على تنفيذه لخدمة الاستعمار متحدية بذلك كل القوانين الدولية وميثاق الامم المتحدة ، واذا لم يتحد العرب ، ويتخذوا الاحتياطات اللازمة ، ويتناسوا خلافاتهم فان اسرائيل ستكرر العدوان . ان الوقت وقت كفاح وجهاد واعداد واستعداد ولن تستقر الأوضاع الا بازالة اسرائيل التى قامت أساسا على العدوان . وذلك لن يتأتـى الا بالاتحـاد والتضامن والوقوف صفا واحدا للدفاع عن كيان الوطن العربى واستقلاله .

لقد دعت الأديان كلها الى مقاومة العدوان ومحاربة العدو الغاصب . وأمرت بالجهاد فى سبيل اعلاء كلمة الحق ورد عدوان الذين يفسدون فى الأرض ، ويريدون القضاء على البشرية .. ان اسرائيل جرثومة فى الوطن العربى ، ومن واجبنا أن نقضى عليها حتى نعيش جميعا فى سلام وامن واستقرار .

التعليـم العالـى

وبمناسبة بدء الدراسة فى جامعة الكويت الجديدة ، والاحتفال الرسمى الكبير الذى أقيم بهذه المناسبة وشهده كبار المشتغلين بالتعليم الجامعى فى العالمين العربـى والغربى نشرت مجلة الكويت مقالا تحت هذا العنوان نقتطف منه ما يلى .

ان مهمة الجامعة تعنى بالاضافة الى اكتشاف الانسان لذاته هو أن يتأمل فيما حوله . وليس من شك أن التأمل ركن من أركان التقدم العلمى . فما من عالم استطاع أن يقدم اختراعا من الاختراعات ، وما من عالم استطاع أن يقدم بحثا من البحوث ، وما من فنان استطاع ان يقدم لنا شيئا فى عالم الفن الا بعد أن يكون قد تأمل فى المادة التى تخصص فيها أو أحبها . فهو بعد أن يقف عندها متأملا مفكرا يستطيع بعد ذلك أن يقدم شيئا للانسانية .

اذن فمهمة الجامعة تعنى أن يساهم الفرد فى العطاء الانسانى . وما دامت هذه مهمة الجامعة أو بعض مهمتها فانى فيما أظن لن أكون مغرقا فى الخيال اذا ما أملت فى أن أرى فى الكويت باحثين أو مخترعين أو مكتشفين ، أو من يضع أساسـا لاختراع أو اكتشاف ، فان ذلك ليس بعيدا على جامعة يبذل لها كل ما تريد . على أن هذا

الأمل لن يتحقق الا اذا تهيأ جو طليق تتفاعل فيه الآراء المختلفة لكى تنجلى الحقيقة فان الفكر الصحيح هو ذلك الفكر الحر المتسامح الذى ينشد الخير والحب والجمال .

أو ليس هذا البلد جزءا من وطن قد عرف شعبه بحضارته العريقة التى كانت أساسا لمدنيتنا الحاضرة كما يقول معظم المؤرخين المنصفين ؟ او ليست أمتنا العربية قد عرفت الجامعات قبل غيرها من الامم ؟ وأن هذه الجامعات الغربية والشرقية التى تنشر العلم فى هذا الوقت مقتبسة فى أسسها من جامعاتنا العربية الاسلامية ، كجامعة المستنصرية والنظامية والأزهر فى المشرق وجامعة الزيتونة والقيروان وقرطبة فى المغرب . فقد كانت تلك الجامعات تتبع نظما شبيهة بنظمنا الحاضرة سواء كان ذلك من حيث التدريس أو من حيث الحياة الجامعية .

جيـــل قلـــق

ومن باب كلمات بيضاء فى مجلة الاسبوع العربى اللبنانية ننقل للقارىء الفقرات التالية :

الصيحات التي تتعالى من وقت الى آخر مقررة ـ بحسن نية أو بسوء نية ـ ان جيلنا ((جيل فاسد)) ستجد تأكيدا جديدا لهذه (الحقيقة) . وستتهم الجيل باستيراد قلقه وضياعه ، وسيرد بعض المسترزقين اللؤماء مدافعين . عصر حديث يتطلب ذلك .

نعم جيلنا ضائع وقلق لأنه بلا يقين ، ولأنه لا شيء حوله قد يمنحه هذا اليقين ؟ من قال أن الكتب المدرسية وحدها تكفى ؟ .

ماذا حوله ؟ ..

الصحف مرآة . لنقرأ معه ما يقرأ من تناقضات . ولنلتقطها من الصحف العربية المختلفة .

هذا خبر اجتماعي انقله حرفيا .

((السيدة س . سافرت الى أوروبا للاستجمام من .. من عناء الحفلات ..)) .

فى صفحة الجرائم من العدد نفسه خبر (أقل أهمية) . نساء احدى القـرى تظاهرن مطالبات ببناء مدرسة لأطفالهن ...

ريبورتاج مصور عن السيدة التي امتهنت قص شعر الكلاب المدللة ـ الكلاب تشكل اليوم طبقة هامة فى المجتمع المودرن لم يخطر لابن خلدون ذكرها .

لنقرأ مزيدا من الأخبار ، أقل ايلاما من مهزلة أكل لحـم بن بركة (بالشـوكة والسكين) فى محكمة مكسيم (الباريسية) ... أخبار أعياد الميلاد مثلا ..

كل عام والعالم الحر بخير ...

منظمة السلام (الأمم المتحدة) بلغت سن الرشد (بالهوية فقط) واحتفلت منذ أيام بعيد ميلادها باطفاء ٢١ شمعة (ومع ذلك ما تزال الشمس تشرق بالضياء نفسه) .

وتصادفت ذكرى مولدها المجيد مع ذكرى مرور ٤٩ سنة على وعد بلفور الذى أساء التقدير (فلو عرف مدى تخاذلنا لاقطـع اسرائيل بلادنا كلهـا من المحيط الى الخليج ، ولما اكتفى بجس نبضنا فى فلسطين وترك الباقى على خلفائه) .

احداث واحداث .. وفى مثل هذا الجو يترعرع جيلنا (الصاعد) .. جيلنا الضائع الذى يصرون على أن يستورد ضياعه ، (جيلنا الرافض) أن تكون حياتـه استمرارا للقرن التاسع عشر لكنهم يصرون على أنه يستورد رفضه ...

(جيلنا الأصيل) لأنه رغم الجو الفاسد الذى يحيطونه به ـ بحسن نية وبسوء نية ـ ما زال مصرا على التمرد بحثا عن مصير أفضل ....) .

أخبار العالم الإسلامي

الكـــــويت

*** تفضل حضرة صاحب السمو أمير البلاد المعظم بافتتاح جامعة الكويت فى مهرجان تاريخى شهده عدد كبير من وزارء التربية وكبار المشتغلين بالتعليم الجامعى فى العالم وذلك يوم الاحد ١٥ شعبان ١٣٨٦ هـ الموافق ٢٧ نوفمبر ١٩٦٦ وهو اليوم الذى يوافق الذكرى الاولى لتوليه سلطاته الدستورية .**

كما تفضل سموه ثانى يوم بوضع حجر الاساس لمدينة الصباحية الجديدة التى سيتكلف انشاؤها ٤٠ مليون دينار .

* زار البلاد فخامة رئيس الجمهورية العراقية السـيد عبد الرحمن عـارف بدعوة من سمو أمير البلاد المعظم وذلك فى الثالث من شهر ديسمبر ٦٦ .

* كما زارها فخامة الرئيس هامانى ديورى رئيس جمهورية النيجر ، وقد قبل سمو الامير المعظم دعوته لزيارة النيجـر .

* أعلن سفير الهند بالكويت أن سمو الامير المعظم قبل الدعوة لزيارة الهند قريبا .

* تلقى معالى وزير الاوقاف والشئون الاسلامية كتاب شكر من اتحاد الطلبة المسلمين فى أوربا على المعونة التى قدمتها الوزارة للاتحاد .

* وعد معالى وزير الاوقاف والشئون الاسلامية فى البرنامج التلفزيونى « مع المسئولين » بزيادة كمية مجلة الوعي الاسلامي تلبية لرغبات المسلمين هنا وفى العالم الاسلامي كما وعد معاليه ببناء عدد كبير من المساجد مسايرة للتقدم العمرايي .

* قرر المؤتمر الثالث والعشرون لمقاطعة اسرائيل مقاطعة شركات فورد وكوكاكولا وار. سى أى. وشركات أخرى لتعاملها مع اسرائيل .

* أبدت أمانة جامعة الدول العربية رغبتها فى مساهمة الكويت فى بناء مسجد فى ريودى جانيرو بالبرازيل .

الجمهورية العربية المتحدة

* أرسل الازهر مجموعة كتب اسلامية الى زعيم مسلمى تايلاند بناء على طلبه.

* تقرر اعفاء جميع الطلاب الفلسطينيين بالتعليم العالى من دفـع الرسـوم الاضافية هذا العام .

* بلغت الميزانية المخصصة لرعاية البعوث الاسلامية الذين يبلغون ٦٥٠٠ من مختلف البلاد العربية والاسلامية مبلغ ١٠٢ر٢٠٠ر١ جنيها بزيادة قدرها ١٠٠ر٨٠٥ جنيها عن العام الماضى .

* وافق مجلس جامعة الازهر على منهج الدراسات الدينية للكليات الجديدة ، المنهج يتناسب مع ما يدرس فى كل كلية .

* قام الرئيس هوارى بومدين رئيس الجمهورية الجزائرية بزيارة للجمهورية العربية المتحدة وقضى فى زيارتها مدة أسبوع .

السعودية

* زار فخامة رئيس جمهورية النيجر المملكة العربية السعودية بدعوة من جلالة الملك فيصل وقد زار الرئيس الاماكن المقدسة ومعالم التقدم فى البلاد ، كما زارها فخامة السيد اسماعيل الازهرى رئيس مجلس السيادة السودانى .

* تم اعداد ثلاث حلقات من سلسلة تاريخية عن قادة الجزيرة وعلمائها فى قالب قصصى حديث وينتظر أن تبلغ هذه السلسلة عشرين حلقة .

* عمم مدير عام الشئون الاجتماعية على جميع رؤساء الاندية بضرورة حضور الصلاة جماعة ووقف جميع الالعاب فى وقت الصلاة .

* ستبدأ الدراسة قريبا فى كلية التربية بجامعة الرياض .

العراق

* احتفلت جمعية الآداب الاسلامية بليلة الاسراء وحضر الحفل السيد رئيس الجمهورية ورجال حكومته .

* قبل الرئيس عارف الدعوة لزيارة الجمهورية العربية المتحدة قريبا .

سوريا

* تبادلت سوريا والعراق التمثيل الدبلوماسى حيث عينت كل من الدولتين سفيرا لها لدى شقيقتها .

السودان

* بدأت الدراسة فى الجامعة الاسلامية التى أنشئت هذا العام واختير لها اساتذة من خيار المشتغلين بالدراسات الاسلامية فى مصر والبلاد العربية ، ويتولى عمادتها الدكتور كمال الباقر .. تمنياتنا الطيبة .

الاردن

* تألفت لجنة من كبار التجار ورجال الاعمال لجمع التبرعات لاعادة بناء قرية « السموع » التى تهدم معظمها نتيجة للاعتداء الاسرائيلى الاخير .

* اعترفت جريدة « البوست » أن القائد اليهودى فى معركة السموع قد قتل وأن المعركة كانت مع القرية من بيت الى بيت .

* تقرر ايفاد احد المقرئين الى كراتشى للاشتراك فى مسابقة قراءة القرآن الكريم .

الجزائر

* بلغ عدد سكان الجزائر فى الاحصاء الاخير – ابريل الماضى – ١٢ مليونا و٩٣ الف نسمة .

لبنان

* استقال فضيلة الشيخ محمد علايا مفتى لبنان وتم الاجماع على اختيار فضيلة الشيخ حسن خالد خلفا لفضيلته وقد تخرج المفتى الجديد من الازهر عام ١٩٤٥ وكان يشغل قاضيا لمنطقة جبل لبنان .

تونس

* عينت فى المحكمة الاميرية لاول مرة قاضية اسمها أمل الشيمى .

اخبار متفرقة

روالبندى – تظاهر الاف من الطلبة والشعب فى روالبندى واسلام اباد احتجاجا على نشر التايمز اللندنية صورة النبى محمد صلى الله عليه وسلم .

ماليزيا – يقوم وفد دينى ماليزى بزيارات لعدة بلاد آسيوية وافريقية لدعم العلاقات المشتركة

روما – تظاهر عدد كبير فى أحد الميادين الرئيسية مطالبين باباحة الطلاق وعقدوا اجتماعا كبيرا لذلك ضم أعضاء مجلس الشيوخ والنواب من جميع الاحزاب عدا الحزب الديمقراطى المسيحى .

الهند – لاول مرة تولى وزير مسلم وزارة الشئون الخارجية فى الوزارة الجديدة .

اقرأ فى هذا العدد

((الى راغبى الاشتراك))

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك فى المجلة . ورغبة منـا فى تسـهيل الامر عليهم ، وتفاديا لضيـاع المجلة فى البريد ، رأينا عدم قبـول الاشتراكات عندنا من الان ، وعلى الراغبين فى الاشتراك ان يتعاملوا رأسـا مع متعهد التوزيع عنـدهم ، وهـذا بيـان بالمتعهديـن ،

القاهرة : شركة توزيع الاخبـار ـ ٧ شارع الصحافـة

مكة المكرمـة : مكتبة الثقافة للصحافة . ص‌ب ١٤٦

المدينة المنورة : مكتبة ومطبعة ضياء ـ السيد محمد زين العابدين ضياء

الريـاض : مكتبة المدينة ـ ص‌ب ١٩ ـ السيد احمد باصريح

الطائـف : مكتبة الثقافة للصحافة ـ عمارة ابن الملوح ـ ص‌ب ٢٢

جـده : مكتبة الصلاح العالمية ـ عمارة البنك الاهلى ص‌ب ٦٣٥

بغـداد : مكتبة المثنى ـ السيد قاسم محمد الرجب

الخبر : مكتبة النجاح الثقافية ـ ص‌ب ٧٦ ـ السيد محمد سعيد بابيضان

البحرين : المكتبة الوطنية وفروعها ـ المنامة ـ السيد فاروق ابراهيم عبيد

قطـر : مكتبة العروبة ص.ب : ٥٢

عـدن : وكالة الاهرام التجارية ـ السيد محمد قائد محمد

المـكلا : ص ب ٢٨ ـ حضرموت ـ مكتبة الشعب المحـدودة

دبـى : ساحل عمان ـ ص‌ب ٢٦١ ـ السيد عبد الله حسن الرستمانى

مسـقط : المكتبة الاهلية ص ب ١٥٧

عمان والقدس : وكالة التوزيع الاردنيـة ـ السيد رجا العيسـى

دمشـق : الشركة العامة للمطبوعات ص‌ب : ٢٣٦٦

بيروت : الشركة العربية للتوزيع ص ب ٤٢٢٨

السـودان : ـ الخرطوم ـ السيد حسن نجيله ص ب ٤٢٤

بور سودان : السيد عطا المنـان . مكتبة كررى ص‌ب : ٣٠٣

مراكـش : الدار البيضاء ـ مكتبة الوحدة العربية ـ السيد أحمد عيسى

ليبـيا : طرابلس الغرب ص‌ب ١٣٢ ـ السيد محمد بشير الفرجانى

بنغـازى : مكتبة الوحدة العربية ص‌ب ٢٨٠ ـ السيد الشعالى الخراز

الكويت : مكتب منار للتوزيع ٢١ شارع فهد السالم ص‌ب : ١٥٧١

ونوجه النظر الى أنه لا يوجد لدينا الان نسخ من الاعداد السابقة من المجلة



الامير عبد القادر الجزائرى

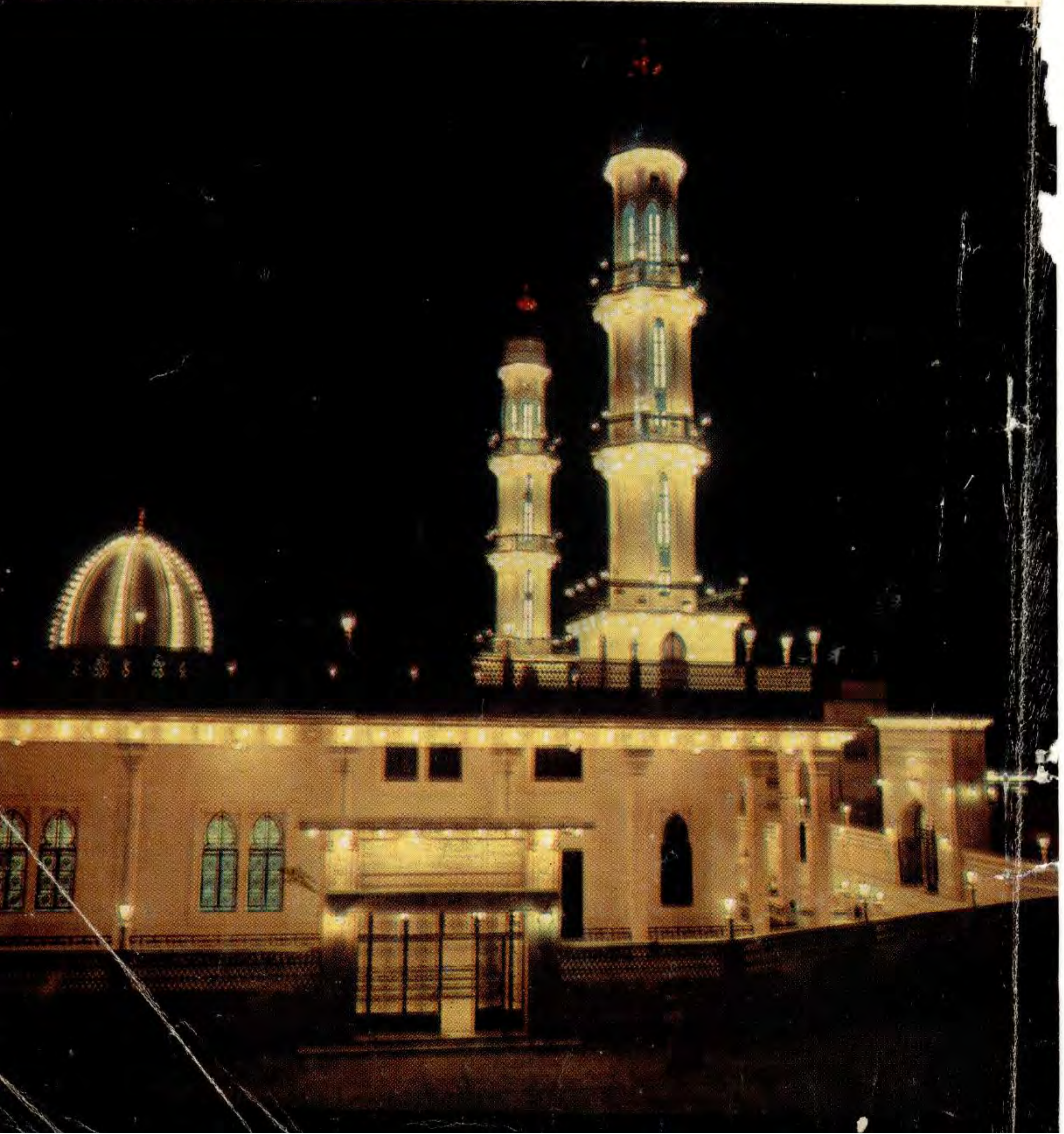
لوحة زيتية بريشة
محمد مؤذن

مطبعة حكومة الكويت

الوعي الإسلامي

إسلامية ثقافية شهرية

السنة الثانية ـ العدد الثاني والعشرون ـ شوال ١٣٨٦ هـ ـ يناير ١٩٦٧ م





سـمو الامـير المعظـم وسيادة الرئيس عبد الرحمن عـارف يتقبـلان باقات الزهور
لدى وصول الضيف الكبير الى مطار الكويت



سـيادة الرئيس العراقي اثناء زيارته لجامعة الكويت

الوعي الإسلامي

اسلامية ثقافية شهرية

العدد الثانى والعشرون ـ السنة الثانية

غرة شوال سنة ١٣٨٦ هـ

١١ يناير (كانون الثانى) ١٩٦٧

تصدرها وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية بالكويت فى غرة كل شهر عربي

المجلة حرة ، والوزارة غير مسئولة عما ينشر فيها من آراء

هدفها : المزيد من الوعى ، وايقاظ الروح ، بعيداً عن الخلافات المذهبية والسياسية

المشرف العام

عبد الرحمن المجحم

رئيس التحرير

عبد المنعم النمر

مدير التحرير

على عبد المنعم

سكرتير التحرير

رضوان البيلى

صورة الغلاف



مسـجد المرحوم عبد اللـه عبد اللطيف العثمان: من أفخم المساجد الحديثة بالكويت. وعلى واجهته ومئذنتيه الانوار التى تسطع طوال شهر رمضان .

الثمن

الكويت	٥٠	فلسا
السعودية	١	ريال
العراق	٧٥	فلسا
الاردن	٥٠	فلسا
ليبيا	١٠	قروش
الخليج العربي	١	روبية
اليمن وعدن	٧٥	فلسا
لبنان وسوريا	٥٠	قرشا
مصر والسودان	٤٠	مليما

الاشتراك السنوى للهيآت فقط

فى الكويت ١ دينار

فى الخارج ٢ ديناران

(أو ما يعادلهما بالاسترليني)

اما الافراد فيشتركون رأسا مع متعهد التوزيع كل فى قطره

عنوان المراسلات : مجلة الوعى الاسلامي ـ وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية ـ الكويت ص . ب ١٣ ـ هاتف ٢٢٠٨٨

بسم الله الرحمن الرحيم

أخي القارئ

كيف نخدم ديننا ؟ او كيف نخدم مجتمعنا عن طريق الدين ؟

هذا هو السؤال الذى اختلفت وتختلف وجهات نظر المخلصين وأعمالهم فى الجواب عنه .. وكان الاختلاف فيه أمرا طبيعيا ما دامت عقول الناس وثقافتهم مختلفة ومتفاوتة .. فقد نتفق جميعا على الهدف ، ثم تختلف بعد ذلك وجهات نظرنا فى الطريق الذى يؤدى اليه ، ولكن من الضرورى بجانب هذا أن يكون مفهوما انه مهما تختلف وجهات النظر هذه فلا يقبل من أصحابها ان يتبادلوا الاتهام بالتنكر لهدفهم ، أو عدم الاخلاص للغاية التى يريدونها ويعملون لها .. وحتى لو أخطأ أحدهم فى وجهة نظره ، وفى رسم الطريق المؤدى لغايته ، فمن الواجب التماس العذر له لانه فكر واجتهد مخلصا حسب ما آتاه الله من علم وعقل للوصول الى الهدف .

هذا هو المبدأ السليم الذى يمكن على أساسه أن نخدم الدين أو نخدم المجتمع عن طريق الدين ، والذى علمنا هذا المبدأ وأرشدنا اليه هو رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قرر أن للمجتهد أجرين اذا أصاب وأجرا واحدا اذا اخطأ . فلم يحرم المخطىء من ثواب اجتهاده ، ولم يجرده من اخلاصه . فكان هذا المبدأ هو المفتاح الذى فتح عقول المسلمين ، ودفعها للتفكير والعمل كل واحد على قدر عقله ، وفى دائرة اختصاصه وعمله .. فانطلقوا لخدمة دينهم كل على قدر طاقته وما يهديه اليه عقله ، فاختلفوا مثلا فى فهم بعض آيات الله وأحاديث رسول الله ، واستنبط كل واحد غير ما يستنبطه الآخر ، ومع ذلك لم نعثر فى تاريخهم على اتهام وجه اليهم من المختلفين معهم ينتقص من دينهم ، أو من غيرتهم واخلاصهم . بل كانوا مع هذا الاختلاف يجل بعضهم بعضا ويثنى عليه .

حمى محمد بن الحسن صاحب أبى حنيفة الامام الشافعى من بطش الخليفة حين وشى به اليه . كما احتضنه الليث بن سعد صاحب الامام مالك حين ترك بغداد وجاء الى مصر .. ولم يستجب الامام مالك لرغبة الخليفة فى حمل الناس جميعا على مذهبه ، ليكون هو المذهب الوحيد فى العالم الاسلامى ، احتراما منه لرأى زملائه المجتهدين الآخرين ..

وفى هذا الجو الذى أوجده الاسلام ترعرعت العقول ونشطت ، فأنتجت لنا هذا الميراث الفكرى الضخم الذى نعتز به ونعيش عليه .

ولو ظل هذا الجو يملأ على المسلمين حياتهم لسعدنا بأضخم من هذا التراث ،

ولظلت الحركة الفكرية فى تقدم مستمر . ولظل للعلماء والمفكرين مقامهم وجلالهم .

ولكن مع الاسف الشديد هبت على المسلمين ريح التعصب الاعمى ، وشغل العلماء بأنفسهم ، وغلبتهم أنانيتهم ، فكاد بعضهم لبعض عند العامة وعند الحكام ، واسرع بعضهم يتهم الآخر فى دينه واخلاصه لمجرد رأى يراه،فحاصرت هذه الروح الكيدية العقول ، وغللتها بالاغلال ، فأجدب الحقل الاسلامى قرونا من أن ينتج أناسا على غرار مالك والشافعى وابى حنيفة وابن حنبل والثورى والاوزاعى والليث بن سعد وغيرهم ، ممن حفلت بهم القرون الاولى فى الاسلام .

وكانت نومة طال ليلها .. وكأن الذين عاشوا فى هذا الليل وتخبطوا فيه قد ألفوا السير فى ظلامه من طول ما لبثوا فيه ، فأصبح كل نور يلمع أمامهم يعشى أبصارهم ، ويفقدهم توازن أقدامهم وخطواتهم ، فيهبون جميعا لمحاصرته حتى يطفئوه ويقضوا عليه .. تساعدهم فى ذلك مآرب حكام ومستعمرين يتبادلون واياهم عواطف الاسترضاء ، وتحقيق المصالح والاهـواء ...

حتى طلع الفجر .. وبدأ الناس يبصرون مواقع أقدامهم ، وينظرون لقافلة الحياة تسبقهم الى النور . وهال نفرا منهم ما هم فيه من تخلف وركود وقصور ، فاتجهوا الى منبع النور الأول ـ كتابهم وسنة نبيهم ـ يستهدونه ، والى منهج السلف الصالح يترسمونه ، وهبوا فى النائمين فى الظلام ليوقظوهم ، ويقودوا قافلتهم الى حيث تعيش فى النور ، وتطرد عنها أشباح الليل ، وتثبت أقدامها على درب الحياة القوية المفعمة بالأمل ، المزدانة بالتفكير والعمل .. ولكن قوما ممن ألفوا حياة الركود والظلام ، قاموا فى وجه هؤلاء المخلصين يلقون التهم عليهم ويرشقونهم بالحجارة ، ويلطخونهم بالطين .. كلما سمعوا رأيا لم يألفوه قالوا : خروج عن الدين ، مع أنه من صميم الدين ، ولكنهم جهلوه . والانسان عدو لما جهل .. ومع ذلك لم تتوقف القافلة ، بل سارت ولكن فى تعثر ، وما كان لها أن تتوقف أو تعود الى الركود بعد أن تيقظت ، ووضعت أقدامها على أول الطريق ، ولكنها وجدت نفسها فى يد غيرها ، وأمورها يصرفها الدخيل عليها ، ويدخل على مجتمعها من المعاملات والتقاليد ما هو غريب عليها ، ليلقى بها بعيدا عن دينها وتقاليدها حتى يصعب عليها العودة اليه ..

وهنا كان مفترق الطرق لها . اما أن تستسلم لما أريد بها ، وترتمى فى أحضان غيرها ، وتنسلخ نهائيا من تراثها ، وتتنكر لماضيها وفى ذلك فناء لها .

واما أن تحاول استرجاع شخصيتها ، والحفاظ على تراثها ، والاتصال بماضيها ، وتنقية حياتها من كل دخيل غريب على دينها وطبيعتها وفطرتها ..

وكان لا بد لها أن تختار الطريق الثانى ، لأنه طريق حياتها ، طريق العـزة التي تتعشقها ..

ولكن هذه المخلفات التي تراكمت على الطريق من آثار قرون مضت ، ومن آثار حياة زرعها الاستعمار فى مجتمعنا كيف تتخلص منها ؟ .

ان القضاء عليها يتطلب عقولا متفتحة تفهم وتستوعب ، وعزائم قوية تحتمل

العبء ، ولا تيأس من التيارات المضادة لها ، ولا من الاتهامات الخاطئة الهوجاء التى توجه اليها .. ويتطلب أيمانا تذوب على حرارته كل الصعاب والمشقات .. ومع ذلك كله يتطلب من جميع العاملين فى الحقل الديني أمرا مهما وفعالا ، وهو أن يتأدبوا فى دعوتهم بآداب الاسلام ، وتكون لهم قدوة حسنة بسيرة الائمة الأعلام الذين اختلفت وجهات نظرهم ووسائل عملهم ، ولم تختلف قلوبهم ، ولم يهدم بعضهم بعضا ، ويتهمه فى دينه وعقيدته ..

واذا كان من واجب الغيورين على الاسلام العاملين له أن يلتزموا بهذه الآداب فى كل زمان ، فانهم فى هذا الزمان يجب أن يكونوا أكثر التزاما بها ، حتى لا تتفرق صفوفهم ، وتتبدد جهودهم ، وتضعف قواهم أمام الذين اتحدت صفوفهم ، وتجمعت قواهم لمحاربة الاسلام بكل وسيلة يملكونها ..

واذا كان من واجب الغيورين على الاسلام أن يعملوا جاهدين على احياء روحه فى النفوس ، فان من واجبهم كذلك ان ينهضوا جميعا لمجابهة المشكلات الحديثة التي وفدت مع الغزو الغربى بايجاد الحلول السليمة لها ، حتى لا تكون فى مجتمعنا تناقضات بين مجرى حياتنا ، ربما تزرع اليأس فى قلوب بعض المسلمين من أمكان العودة الــى الدين ،وتشكيل حياتنا على هديه وتعاليمه .

واذا كان هذا واجبا على الطليعة المفكرة من علمائنا ، فان هناك واجبا آخر تتحمله الصفوف التي تقف خلف هؤلاء العلماء المفكرين ، وهو أن تشد أزرهم ، وتتمسك فى حكمها عليهم ونظرتها لهم بالهدى النبوى الكريم الذى جعل للمجتهد المصيب أجرين وللمخطىء أجرا ، فلا تسيىء الظن بهم ، ولا تطلق ألسنتها للنيل من اخلاصهم لدينهم ، واتهامهم بالخروج عليه ، وأن ينزل منها الى ميدان المناقشة البريئة النزيهة من يستطيع المناقشة ، لنصل فى النهاية الى نتيجة ايجابية ، وثروة فكرية علمية تضاف الى ثرواتنا التــى ورثناهــا ..

أقول هذا وأكرره لأن كثيرا من الذين يقفون فى هذه الصفوف الخلفية يحملون دائما معاول الهدم لكل تفكير جديد لا يألفونه ولا يدركونــه مهما يكن مصيبا . ويتخذون من اشهار أسلحة الاتهام فى وجه المفكرين وسيلة الى الشهرة ، واتخاذ مواقف البطولة المصطنعة باسم الدفاع عن الدين والغيرة عليه . وقد يكون بعضهم مخلصا ولــكن الاخلاص وحده لا يكفى ، بل لا بد أيضا من البصيرة والفهم ، فان العدو العاقل خير من الصديق الجاهل .

ان كثيرا من المفكرين يخشون لسان هؤلاء ، ويؤثرون السلامة منهــم على أن يتقدموا بآرائهم ودراساتهم ..

بل ان بعض هؤلاء المفكرين يتملق عواطف هؤلاء ، فيؤثر الجانب الذى يرضيهم ، وينتزع اعجابهم على حساب عقله وفكره وضميره . وهذا شيء يؤسف له .

ان على العاملين فى الحقل الاسلامي ، وفى مقدمتهم المفكرون أن يدركوا أن أمامنا الآن هدفين مهمين يجب أن تتضافر كل الجهود فى العمل من أجلهما :

أولهما : صيانة العقيدة الاسلامية وتثبيتها فى النفوس ، وتقريب مبادىء الدين وتعاليمه للعقول .

وثانيهما : ايجاد الحلول المناسبة للأحداث والمعامـلات الجديدة حتى يزول التناقض الواقع بين ديننا ومجرى حياتنا ..

وحـول هذين الهدفين ومن أجلهما يجب أن تتجه جهود الغيورين من العلماء والحكام وعامة الشعب فى كل مكان وميدان .

وان مما نحمد الله عليه أن يكون هذان الهدفان هما الأساس الذى قامت عليه مجلة ((الوعى الاســلامي)) وكرست جهودها للعمــل من أجلهما ، وأهابت بالعلماء واستنفرت هممهم لخدمتهما فى أول عدد صدر منها .. ولا تزال تطلب منهم المزيد من الجهد الفكرى فى هذا السبيل .

لا نريد أن تكون ((الوعى الاسلامى)) صورة مكررة لما ألفناه من أبحاث مكررة شبع القراء من قراءتها ..

اننا نريد أن نحطم الأغلال التي أحاطت بنا زمنا طويلا ، وحالت بيننا وبين الحياة الاسلامية السليمة .

لسنا ممن يحبون أن يسيروا على سياسة الباب المغلق ، ونلف وندور داخـل الجدران التي أحاطت بنا ، وأفسدت الهواء علينا زمنا طويلا ايثارا للسلامة والعيش الهنىء وليكن بعد ذلك ما يكون ..

ومع أننا نؤثر السلامة ونطلبها مثل كل الناس الا أننا لا نحب أن نتمتع بها على حساب التغافل ، واغماض العين عما يشغل الرأى العام الاسلامي ويبلبل أفكاره ويزرع فيه المتناقضات وينميها .. ويجعله فى حيرة قاتلة بين دينه وحياته .

لا نريد ، ولا يرضى لنا الله الذى جعلنا أمناء على دينه أن نتمتع بهذه الســلامة عن طريق اهمالنا لأبسط الواجبات على رجال تحملوا أمانة تبصير المسلمين بدينهم ، والكشف عما فيه من قيم وحلول لمشكلاتنا اتقاء للرشاش الذى يصــيبنا من بعض المتحمسين الذين نرجو لهم مع هذا التحمس الكثير من التعمق فى الفهم والادراك ..

لا نريد أن نترك ميدان العمل الجاد المفتوح لخدمة الاسلام ورد السهام عنه ، ونشغل أنفسنا بالتوافه ، ونكرر مهزلة البيزنطيين حين كانت الجيوش تطرق أسوار مدينتهم ، وهم فى شغل عنها بمناقشة حامية : هل البيضة أصل الدجاجة أو الدجاجة أصل البيضة ، حتى اقتحمت الجيوش عليهم مدينتهم وقضت عليهم ..

أخى : حينما ندرك جميعا هذا ، ونعمل له ، ونصل اليه ، وتزول من أوساطنا المهاترات والمزايدات نكون فعلا قد حققنا معنى العيد فى قلوبنا ومظاهرنا .

ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله .

رئيس التحرير



أشراط الساعة

للشيخ على عبد المنعم عبد الحميد
المستشار الثقافى لوزارة الاوقاف
والشؤون الاسلامية

عن أنس رضى الله عنه ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ان من أشراط الساعة أن يرفع العلم ويكثر الجهل ،ويكثر الزنا ويكثر شرب الخمر ، ويقل الرجال ويكثر النساء حتى يكون لخمسين امرأة القيم الواحد » (رواه البخارى ومسلم) .

نحن المسلمين آمنا بالله وصدقنا رسله وقر فى قلوبنا ان الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من فى القبور ، ولكن الناس أهمتهم دنياهم فعكفوا عليها يحاولون الوصول الى أسرار ما فى كونها، وغفلوا عن الآخرة مع أنها أكثر أهمية بالنسبة لهم ، لأن ما هم فيه محكوم عليه بالفناء ان عاجلا أو آجلا طال الزمان أو قصر ، والكل راحلون الى حيث يشاء الله عظم أمر الراحل أو هان ، وانحصر حديث القوم فى المحسات حتى استغرق القول والعمل ، واذا حانت من عاقلهم التفاتة الى ما هو آت سرعان ما يلوى عنقه الى بهرج يجذبه وزخارف تلهب حواسه ، فلا بد من تذكير ، والذكرى تنفع المؤمنين ، بيوم تحدث عنه القرآن الكريم ، وجلا أمره سيد المرسلين ، وورد ذكره فى كتب السماء جميعا ، يوم ينفخ فى الصور فتسوى الارض ، وتندك الجبال ، وتطوى السماء كطى السجل للكتاب ، وتنسف الراسيات ، وتترك البسيطة قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا أمتا ، ولكن متى يكون ذلك ومتى يصدر الامر الالهى بالتنفيذ ؟ تساؤل ليس غريبا على البشرية ، وليس حديثا فيها ، فما أكثر ما ورد بالذكر الحكيم ، وما اكثر ما أجاب عنه رب العالمين . ! قال تعالى فى سورة الاعراف الآية (١٨٧)

« يسألونك عن الساعة أيان مرساها قل انما علمها عند ربى لا يجليها لوقتها الا هو ثقلت فى السموات والارض لا تأتيكم الا بغته يسألونك كأنك حفى عنها قل انما علمها عند الله ولكن اكثر الناس لا يعلمون » . وفى سورة الاحزاب الآية (٦٣) يقول الله تعالى : « يسألونك عن الساعة قل انما علمها عند الله وما يدريك لعل الساعة تكون قريبا » وفى سورة النازعات الآيات : (٤٢، ٤٣، ٤٤، ٤٥، ٤٦) يقول العلى الكبير سبحانه : « يسألونك عن الساعة أيان مرساها . فيم أنت من ذكراها . الى ربك منتهاها . انما أنت منذر من يخشاها . كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا الا عشية او ضحاها » . وقد ورد فى حديث جبريل عليه السلام وقد جلس الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلم الناس أمور دينهم ، ما نصه : « . . ثم قال – أى جبريل – يا محمد متى الساعة ؟ وجاء الجواب : ما المسئول عنها بأعلم من السائل ! . . وهكذا لا نجد جوابا يحدداليوم والوقت المعين لنهاية العالم فأمر ذلك مما استأثر الله بعلمه وحجبه لامر يعلمه سبحانه عن عباده ، واختص تبارك اسمه بتوقيته ، والحكمة فى ذلك مكنونة فى غيبه قال عز وجل : فى سورة السجدة (فصلت) الآية (٤٧) : « اليه يرد علم الساعة وما تخرج من ثمرات من أكمامها وما تحمل من أنثى ولا تضع الا بعلمه ويوم يناديهم أين شركائي قالوا آذناك ما منا من شهيد » . وفى سورة لقمان الآية (٣٤) يقول سبحانه : « ان الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما فى الارحام وما تدرى نفس ماذا تكسب غدا وما تدرى نفس بأى أرض تموت ان الله عليم خبير » . وهنا قرن الله سبحانه علم الساعة التى تحدد نهاية هذا الكون بأمور تحدث فيه تباعا أى تتوالى أمام أنظارنا ولا نعلم من أمرها قبل حصولها شيئا لنؤمن بأن الساعة أيضا ستحدث وستتحقق ولكن متى ؟ الجواب دائما وأبدا : الله وحده يعلم متى ؟ . وقد ترك الله تبارك وتعالى الشواهد فى الحوادث المغيبة تشير الى قرب الحصول أو بعده ولكن لا تحدد شيئا ، ولا يمكن للمخلوق العاجز أمامها أن يحدد شيئا مهما أوتى من العلم فما أوتى منه الا قليلا : تتجمع السحب ونقول حان وقت المطر وقد ينقشع السحاب وتتبدد الغيوم ولا يتساقط المطر ، وتحمل الانثى ونبسط أكف الضراعة نقول : لعله من نوع يحبه الآباء وترجوه الامهات، ويقول صاحب الغيب صبرا فعما قليل يزول الحجاب ويزحف الجنين الى الفضاء بعيدا عن كنه وستعلمون ، لكن الآن ، لا . ويقدر البشر أنه سيفعل وسيفعل ليحصل على طعام الغد ، وفريسة الساعة القادمة ، ولكنها تفلت أقرب ما تكون اليه ، أما كيف أفلتت فلا يدرى (ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسنى السوء) . قال الجاحظ (رب مقبل والخير من ورائه ، ورب مدبر والخير أمامه) . فأمر الغد تلوح ملامحه ولكنها لا تصدق دائما ، ويتطور المخلوق سائرا فى دروب الحياة يقطع فيافيها ويسلك مفاوزها وتعتوره سنة الله وتلاحقه آثار الايام فيه ، فيعوج كهلا وشيخا ويرد الى أرذل العمر مقيما فى بقعة ما من الكون ، وتراه وقد تقوس ظهره ، وأخذت منه السنون كل مأخذ يبتغى مسكنا فى غير مسقط رأسه ، ويريم أهلا فى غير واديه ، وتلاحقه منيته فى مكان لم يكن طرقه



من قبل ولا جاس خلاله فيما مضى له من عمر على المعمورة .

وهكذا أمر الساعة مجرى حديثنا وموضع استقصائنا ومراد بحثنا لا نجد فيها أى فى ميعادها نصا حاسما ، ومع هذا فلها علامات ودلائل تحدث عنها الصادق وأوضحها بما لا يقبل الجدل بعد أن تحقق كثير مما قال ، ولمسنا بحواسنا صدق ما أخبر عنه ، وعشنا فى جيل تجلت فيه بعض الامور التى أشار اليها سيد الخلق الذى لا ينطق عن الهوى فما هى تلك العلامات ؟ هذا ما تجيب عليه أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم التى رواها البخارى ومسلم واتفق على بعضها جميع رواة السنة الذين حققوها متنا وسندا ووضحوها ونفوا عنها ما يوهنها ، فما لقى علم من العلوم الاسلامية عناية واهتماما كما لقى حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقد دققه وحققه وحفظه علماء أجلاء عبر أجيال متطاولة منهم من قضى نحبه غفر الله لهم ، ومنهم — وهم قلة الان فى أطراف الارض — أطال الله بقاءهم ، وسيجىء يوم لا يوجد فيه منهم أحد كما حدث الصادق المصدوق ، ومما يعزى أنه ستبقى آثارهم خالدة فى كتبهم ، وأخشى ما أخشاه أن تصير متاحف وآثارا ينظر اليها ولا يدرى ما فيها ، ويكون ذلك من علامات الساعة كما يشير اليه ما ورد فى صحيح البخارى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان الله لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه من العباد ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى اذا لم يبق عالما اتخذ الناس رؤوسا جهالا فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا » .

وقد قسم العلماء العارفون علامات الساعة الى قسمين : علامات صغرى وهى كالارهاص لدنوأجل الدنيا واقتراب فنائها . وعلامات كبرى وهذه ستحدث بين يدى الساعة مباشرة ، وقد وردت أحاديث صحيحة تبين العلامات الصغرى منها ما رواه البخارى ومسلم وغيرهما عن أنس رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ان من أشراط الساعة أن يرفع العلم ويكثر الجهل ويكثر الزنا ويكثر شرب الخمر ويقل الرجال ويكثر النساء حتى يكون لخمسين أمراة القيم الواحد » وقال صلى الله عليه وسلم (يتقارب الزمان ويقبض العلم وتظهر الفتن ويلقى الشح ويكثر الهرج ، قالوا : وما الهرج ؟ قال : القتل) والمراد بتقارب الزمان نزع البركة منه ومعه كل شىء وأن اليوم يصير الانتفاع به بقدر الانتفاع بساعة واحدة ، وقد ورد فى حديث الترمذى مما رواه مرفوعا عن أنس رض الله عنه ما يدل على أن تقارب الزمان قبيل الساعة أمر حسن ونص الحديث : « لا تقوم الساعة حتى يتقارب الزمان فتكون السنة كالشهر والشهر كالجمعة والجمعة كاليوم واليوم كالساعة وتكون الساعة كاحتراق السعفة » وتبعا لذلك ينقص العمل ، ويرجع العلماء كل هذا الى سوء المطعم ، فالناس لا يتحرزون فى أقوالهم بل يتناولونها من الحلال ومن الحرام ، ومما فيه شبهة ولا يبالى أحدهم من أى سبيل حصل عليها ، والواقع أن البركة فى الزمان وفى الرزق وفى النبت انما تكون عن طريق

قوة الايمان واتباع الاوامر واجتناب النواهى ، ويشهد لذلك قوله تعالى : « ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض » الآية ، وأما المراد بالعلم الذى سيقبض فهو علم الشريعة الاسلامية حلالها وحرامها حدودها وقواعدها وقد بدأ هذا فعلا فاننا نلاحظ فى مختلف بلاد المسلمين تناقص عدد العلماء الفاقهين للاسلام حق الفقه الذين أفنوا زهرة شبابهم فى البحث والتحصيل ، والذين يستطيعون أن يوجدوا لكل مشكلة حلا من كتاب الله وسنة رسوله ـ أقول ـ ان عددهم آخذ فى الانقراض بشكل يستلفت النظر ، والادهى من ذلك والامر أن المسلمين اتجهوا الى العلوم المادية البحتة والنظرية البعيدة عن الشريعة ولم يفردوا لعلوم الشريعة مكانا خاصا ولم يفسحوا لها مجالا تتركز به فى أذهان الناشئة ، اللهم الا أضواء خافتة تتراءى هنا وهناك ، وهذا بدء تحقق كلام الرسول ، وسيجىء اليوم الذى يسأل فيه المسلم عن أبسط أمور دينه فيجيب خبط عشواء بعيدا عن المراد لله ولرسوله ، ونسأل الله ألا ندرك تلك الايام السود ، وقانا الله واياكم شرها وشر ما يدهم العالم فيها من فتن ومحن واحن والمراد بالهرج : القتل كما فسره رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وان كانت للهرج معان أخرى تربو على التسعة : منها : شدة القتل، وكثرة القتل، والاختلاط والفتنة فى آخر الزمان ، وكثرة النكاح وكثرة الكذب ، وكثرة النوم ، وما يرى فى النوم غير منضبط، وعدم الاتقان للشىء

ومن الاحاديث الشريفة ما يدل على أن الساعة تأتى بغتة ومفاجئة للعالم على غير انتظار ، كما ورد ذلك بالكتاب العزيز « .. لاتأتيكم الا بغتة .. » وروى البخارى ومسلم وغيرهما عن ابى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال: « لا تقوم الساعة حتى تقتتل فئتان عظيمتان تكون بينهما مقتلة عظيمة دعوتهما واحدة ، وحتى يبعث دجالون كذابون قريب من ثلاثين ، كلهم يزعم أنه رسول الله ، وحتى يقبض العلم وتكثر الزلازل ويتقارب الزمان وتظهر الفتن ويكثر الهرج وهو القتل ، وحتى يكثر فيكم المال فيفيض حتى يهم رب المال من يقبل صدقته وحتى يعرضه فيقول الذى يعرضه عليه لا أرب لى فيه ، وحتى يتطاول الناس فى البنيان ، وحتى يمر الرجل بقبر أخيه فيقول : ياليتنى مكانه ، وحتى تطلع الشمس من مغربها (١) فاذا طلعت ورآها الناس آمنوا أجمعون فذلك حين لاينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت فى ايمانها خيرا ، ولتقومن الساعة وقد نشر الرجلان ثوبهما بينهما فلا يتبايعانه ولا يطويانه ، ولتقومن الساعة وقد انصرف الرجل بلبن لقحته فلا يطعمه ولتقومن الساعة وهو يليط حوضه (اى يصلحه بالطين) . فلا يسقى فيه ، ولتقومن الساعة وقد رفع أكلته الى فيه فلا يطعمها » . ودلت بعض الاحاديث على أن حربا شعواء سيستعر أوارها بين المسلمين واليهود وسيكون النصر فيها حليف المسلمين ، فقد روى مسلم والترمذى عن ابى هريرة رضى الله عنه أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال : « لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود فيقتلهم المسلمون حتى يختبىء اليهودى من وراء الحجر والشجر

البقية على ص ٣٧

(١) وهذه من العلامات الكبرى

لماذا اختلف الأئمة

هل عمل صلى الله عليه وسلم كل هذه الأمور التي اختلف

ولماذا يكون الشئ فرضاً عند إمام مكروهاً مثلاً عند إمام آخر

وما الحكم فيما لو قلد إماماً في نقطة وقلد غيره

وهل يمكن تقليد غير الأربعة أو الاعتماد على الكتاب والسنة

ان الخلاف الذى وقع بين رجال الشريعة الاسلامية نوعان :

١ ـ خلاف حرمه الله ورسوله .

٢ ـ خلاف تقتضيه طبيعة البشر ،فهو ضرورى الوقوع ما دامت أدلة الفقه ظنية ، وأن الله خلق الناس مختلفى الأنظار والتفكير ، وذلك يقتضى طبعا تشعب الآراء . وهذا أنواع :

١ ـ ما حصل بين الصحابة ، والرسول صلى الله عليه وسلم حاضر معهم ، وقد يكون طرفا فى الخلاف .

٢ ـ ما حصل من الصحابة عن اجتهاد منهم فى حياة الرسول ولم يكن صلى الله عليه وسلم حاضرا معهم ، وهذا أربعة أنواع :

أ ـ ما وقع من اجتهاد بعضهم فى عهده صلى الله عليه وسلم ولم يقره .

ب ـ ما وقع من اجتهاد بعضهم فى عهده صلى الله عليه وسلم ووافق عليه .

ج ـ ما وقع من خلاف بين طرفين من الصحابة ووافق صلى الله عليه وسلم طرفا وأنكر الآخر .

د ـ ماوقع من خلاف بين طرفين من الصحابة ووافق صلى الله عليه وسلم كلا من الطرفين .

٣ ـ ما حصل بين علماء المسلمين بعد انتقال الرسول صلى الله عليه وسلم الى الرفيق الأعلى ، وهو أوسع الخلافات .

وما الحكم في تقليدهم؟

للشيخ عبد الجليل عيسى

فيها الفقهاء؟
في أمور العبادات؟
في غيرها؟
دون التقيد بمذهب الآن؟

تردنا كثيرا أسئلة من القراء حول المسائل المختلف فيها بين الأئمة ولا سيما فى الأمور الفقهية . منهم من يستفسر عن سر الخلاف ، ومنهم من يستعظم أمره ويتمنى لو لم يكن .

ولفت نظرنا بصورة خاصة سؤال جاءنا من قارىء بطنطا بالجمهورية العربية المتحدة فرأينا أن نحرر هذه الأسئلة ، ونضيف اليها ما يكملها ، ونتوجه بها لفضيلة الشيخ ـ وله فى موضوعها كتب وأبحاث ـ ليتناول علاجها بشيء من الافاضة تريح القارىء وتطمئنه . فتفضل ـ مشكورا ـ بارسال هذا البحث الذى نقدمه اليك الآن على أن نوالى فى الاعداد القادمة تكملته ان شاء الله .

الوعى الاسلامى

أما الخلاف الذى حرمه الله ورسوله فهو ما نهى عنه الله ، وحذر منه رسوله صلى الله عليه وسلم ، فقال فيه سبحانه (ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم) آية ١٠٥ من آل عمران .

وقال سبحانه (ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم فى شيء) آية ١٥٩ من سورة الانعام ، وقال (ولا تكونوا من المشركين الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا كل حزب بما لديهم فرحون) آية ٣٢ من سورة الروم ، وبين الرسول صلى الله عليه وسلم خطر الخلاف بين المسلمين فقال : « اختلف اليهود والنصارى الى ثلاث فرق ، وستفترق أمتى الى ثلاث وسبعين فرقة ، كلهم فى النار الا واحدة » قالوا وما هى يا رسول الله قال : « هى ما أنا عليه وأصحابى » يريد صلى الله عليه وسلم بهذه الفرقة الناجية من تكون على ما هو عليه وأصحابه من اتباع تعاليم الشريعة السمحة ، مع سعة الصدر مع المخالف فى غير المقطوع به ، المعلوم من الدين بالضرورة .

وهذا الخلاف المنهى عنه فى الكتاب والسنة هو ما كان منشأه التعصب للرأى ، والبعد الشاسع عن مبادىء الدين السمحة ، حتى يعادى المسلم أخاه مهما ظهر له من دليل يخالفه ، الى غير ذلك من أسباب هيأ مصائدها لهؤلاء المخالفين الشيطان وجنوده .



وهذا الخلاف هو الذى قال فيه الغزالى فى كتابه « الاحياء » بعدما نقل ما كان عليه الصدر الأول من سعة الصدر ، قال فى أهله : « وانظر اليوم الى مناظرى زمانك كيف يسود وجه أحدهم اذا اتضح الحق على لسان مناظره وكيف يجتهد فى مكابرته بأقصى ما يستطيع ، ويبلغ به الغيظ أن يداوم على الطعن فيمن أفحمه طول عمره » .

ثم قال الغزالى : « واعلم أن المناظرة بقصد الغلبة والتظاهر بالعلم والفضل والتشدق عند الناس ، وقصد المباهاة ، هى منشأ جميع الأخلاق المذمومة عند الله ، المحمودة عند عدو الله ابليس ، ونسبتها للفواحش الباطنة من الكبر ، والعجب ، والحسد ، وحب الجاه ، وغير ذلك ، كنسبة شرب الخمر للفواحش الظاهرة من الزنا ، والقتل ، والسرقة ، وغير ذلك . وقد جاء عن بعض السلف أنه قال : اذا تعلم الناس العلم ، وتركوا العمل وتحابوا بالألسن ، وتباغضوا بالقلوب ، لعنهم الله وأعمى أبصارهم » .

ثم قال الغزالى : « وقد أصبحنا فى زمان يشتغل علماؤه بدقائق الجدل ، ويزعمون أن ذلك من أعظم القربات وقد كان ذلك فى الصدر الأول ، من المنكرات » .

وقال صاحب المنار فى مقدمة كتاب « المغنى » : « ولما كان الخلاف فى الفهم والرأى من طبائع البشر ، خص الاختلاف المذموم فى الاسلام بما كان ناشئا عن تفرق ، أو كان سببا للتفرق ، وجرى على ذلك السلف الصالح ، فحظروا فتح باب الآراء فى العقائد ، وأصول الدين ، وأوجبوا الاعتصام فيها بالمأثور من غير تأويل ، وخصوا الاجتهاد بالأحكام العملية ، وكان بعضهم يعذر كل من خالفه فى المسائل الاجتهادية ، ولا يكلفه أن يوافقه فى فهمه ، ثم ان كثيرا من العلماء حاولوا أن يجعلوا اختلاف العلماء فى مسائل الأحكام رحمة بهذه الأمة ، وتحقيقا ليسر دينها الذى ثبت بنصوص الكتاب والسنة ، واتقوا ما حذر الله فى كتابه من مضار التفرق والاختلاف ، الذى أفسد على الأمم السابقة دينها ودنياها ، ولكن المتعصبين للمذاهب أبوا أن يكون الاختلاف رحمة ، وتشدد كل منهم فى تحتيم تقليد مذهبه ، وحرم على المنتمين اليه أن يقلدوا غيره ، ولو لحاجة فيها مصلحتهم ، وكان من طعن بعضهم فى بعض ما هو معروف فى كتب التاريخ وغيرها كالأحياء للغزالي حتى صار بعض المسلمين اذا وجد فى بلد يتعصب أهله لمذهب غير مذهبه ينظرون اليه نظرتهم الى البعير الأجرب بينهم » .

ولم يقصد أحد من الأئمة من تدوين أقواله أن تكون هى الشرع ، أو كالشرع تتبع لذاتها ، ويحرص على التعصب لها ، ولا أن تفترق الطوائف المقلدة لكل منهم وتتعادى ، فتكون كاتباع الشرائع المتعددة المختلفة ، لأن كل هذه معاصي مجمع على تحريمها ، **وجملة القول أن التفرق بين المسلمين باختلاف المذاهب والآراء ، وتعصب كل شيعة لمذهب منها فى الأصول ، والفروع ، هو من أكبر الكبائر الثابتة بنصوص الكتاب والسنة القطعية المجمع عليها ، ولا شيء مما يتعصبون له بقطعى ولا مجمع عليه .**

فمن مقتضى أصولهم كلهم وجوب ترك أسباب هذا التفرق والاختلاف ، حتى قال الغزالى فى كتابه « القسطاس المستقيم » بالاكتفاء بالعمل المجمع عليه ، واعتبار المسائل المختلف فيها كأن لم تكن ، وأن ما ترتب على التفرق من الضرر والفساد المدون فى التاريخ والذى أفضى فى هذه الأزمنة الى ضعف المسلمين ، والى ذهاب ملكهم ، وتمكين الأجانب من الاستيلاء على بلادهم ، واغراء عوامل نفور بعضهم من بعض . كل ذلك يؤيد

وجوب تلافي شرور هذا التفرق، والعمل على جمع الكلمة ، ووحدة الأمة .

وأما الخلاف الذى حصل بين الصحابة والرسول حاضر معهم فمنه : ما حصل بين أبى بكر وعمر فى أخذ الفداء من أسرى بدر وعدمه ، ووافق الرسول رأى أبى بكر ، ونزل القرآن بما يؤيد رأى عمر من عدم أخذ الفداء آية ٦٧ من الأنفال .

أ ــ وأما ما وقع من اجتهاد بعض الصحابة والرسول غير حاضر معهم ولما علم به لم يقره ، فمثله : ما رواه أبو داود وابن ماجه عن جابر بن عبد الله أنه قال : خرجنا فى سفر فأصاب رجلا منا حجر فشج رأسه ، ثم لما بات احتلم ، فلما أصبح سأل أصحابه : هل تجدون لي رخصة فى التيمم ؟ فقالوا ما نجد لك رخصة وأنت تقدر على الماء ، فاغتسل فاشتد جرحه ، فمات ، فلما قدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبر بذلك قال : قتلوه ، قتلهم الله ، انما كان يكفيه أن يتيمم ، ويعصب على رأسه خرقة ، ثم يمسح عليها ، ويغسل سائر جسده .

فهؤلاء منشأ خطئهم أنهم أخذوا آية (فان لم تجدوا ماء فتيمموا) على ظاهرها، مع أن شرط استعمال الماء ألا يؤذيه ، أما اذا كان الماء باردا مثلا ولا يستطيع تدفئته أو كان يستطيع التدفئة ولكنه يضر به مطلقا ، فان التيمم يكفيه .

ونظير ذلك ما رواه البخارى ومسلم والدار قطنى عن عمار بن ياسر قال : أجنبت فلم أجد ماء ، فتمرغت فى الصعيد (أى التراب) وصليت ، وذكرت ذلك للنبى صلى الله عليه وسلم ، فقال : انما يكفيك هكذا ، وضرب صلى الله عليه وسلم بيديه الأرض ونفخ فيهما ، ثم مسح بهما وجهه وكفيه ، ولفظ الدارقطنى انما كان يكفيك أن تضرب بكفيك على التراب ، ثم تنفخ فيهما ، ثم تمسح بهما وجهك وكفيك الى الرسغين (والرسغ بضم الراء وسكون السين هو العظم الفاصل بين الكف والذراع) .

وممن كان يظن كان ظن عمار من تعميم التراب للبدن ، عمر بن الخطاب وعبد الله ابن مسعود ، ولما علما بما كان من عمار رجعا الى ما ذكره النبى صلى الله عليه وسلم ، فترى هنا أن النبى صلوات الله عليه لم يقر عمارا على تمريغ جسمه فى التراب فى التيمم بدل الغسل .

ومن هذا النوع ما رواه البخارى ومسلم عن أنس بن مالك رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم رأى شيخا يمشى بين ابنيه يتوكأ عليهما فقال : ما بال هذا ؟ قالوا نذر أن يمشى (أى الى بيت الله الحرام) فقال صلى الله عليه وسلم : « ان الله عن تعذيب هذا نفسه لغنى » ، وأمره أن يركب .

ومنه ما رواه أحمد وأبو داود عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : جاء رجل فقال يا رسول الله ان أختى نذرت ان تحج ماشية فقال صلى الله عليه وسلم : ان الله لا يصنع بشقاء أختك شيئا ، فلتحج راكبة ولتكفر عن نذرها (١) .

وروى البخارى عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : بينا النبى صلى الله عليه وسلم يخطب اذا هو برجل قائم ، فسأل عنه ، فقالوا : هذا أبو اسرائيل ، نذر أن يقوم ولا يقعد ، ولا يستظل ، ولا يتكلم ، ويصوم . فقال صلى الله عليه وسلم مره فليتكلم ، وليستظل ، وليقعد ، وليتم صومه .

فتراه صلى الله عليه وسلم أقر هنا ما هو عبادة ، ورفض غيره .

ب ــ وأما ما وقع من اجتهاد بعض الصحابة فى عهده صلى الله عليه وسلم ولما علم به وافق عليه فمثله : ما رواه الامام أحمد وأبو داود وابن ماجه عن عمرو

البقية على ص ٢٢ ، ٢٣

(١) وكفارة النذر هى كفارة اليمين .

مناهج التفكير في الشريعة الإسلامية

لماذا اختلف علماؤنا السابقون

لماذا لا يكون لنا رأي

سبب الاختلاف

قد يقبل بعض المجتهدين حديثا لتوافر شروط القبول فى نظره ، ويرده آخر لعدم توافر شروط القبول عنده ، ويقع ذلك على وجوه : منها ما يرجع الى السند ـ أى الى فحص رواة الحديث والتأكد من عدالتهم وضبطهم ـ ومنها ما يرجع الى المتن ـ **أى الى نقد موضوع الحديث نفسه ، لمعرفة ما اذا كان فيه نكارة معنوية ،** أو هو خال من كل نكارة مع صحة سنده فى الحالين .

وأكثر الخلاف بين العلماء من حيث القبول والرفض راجع الى فحص السند ، وتمحيص حال الرواة .

وكل المسلمين متفقون على أنه اذا ثبت الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وجب العمل به ، ما لم يتضمن علة قادحة فيه من جهة المعنى ، لكنهم يختلفون فى الثبوت أو عدمه ، وفى وصول العلة القادحة فى متن الحديث الى الحد الذى يجعله منكرا ، أو عدم وصولها الى هذا الحد .

وقد اشتهرت على ألسنة العلماء فى ذلك عبارة تقول : ان الخلاف انما هو فى الصغرى دون الكبرى ، أو الخلاف صغروى لا كبروى .

وبيان هذه العبارة : أن هناك قياسا منطقيا من الشكل الأول ، يستصحبه المجتهد دائما كنبراس له يستضىء به فى طريقه ، وهذا القياس مركب من مقدمتين ونتيجة :

فالمقدمة الأولى ـ وهى الصغرى ـ

الفقهاء في الأحكام؟
نقدوا سند الحديث وموضوعه.
بجانب السابقين في الجرح والتعديل؟

للشيخ محمد محمد المدنى
الاستاذ بكلية الشريعة - جامعة الأزهر

تقول : « هذا الحديث ثبت عن رسول اللـه » .

والمقدمة الثانيـة - وهى الكبرى - تقول « وكل ما ثبت عن رسول الله يجب العمل به شرعا » .

والنتيجة المستخلصة من هاتين المقدمتين تقـول « فهذا الحديث يجب العمل به شرعا » .

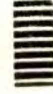
فالخلاف بين المجتهدين ليس فى المقدمة الكبرى ، اذ كلهم مؤمن بأن ما ثبت عن رسول الله يجب العمل به شرعا ، لقوله تعالى « فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما » وغير ذلك من الآيات الدالة على وجوب طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم فيما امر به ، أو نهى عنه ، أو دل عليه فعله أو تقريره ، فليس فى المقدمة الكبرى اذن خلاف .

وانما الخلاف فى المقدمة الصغرى ، اذ يعارض بعضهم فى ثبوت حديث مثلا ، بينما يتمسك الآخر بأنه ثبت ، بناء على المنهج الذى اختطه فى شروط القبول .

فلا تجد أحدا من المسلمين يقول : هذا ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم دون علة قادحة فيه ، ومع ذلك لا أعمل به ، ولكن تجد منهم من يقول : لم يثبت هذا فأنا لا أعمل به ، او هو ثبت رواية وسندا ولم يصح موضوعا ومتنا لوجود علة فيه ، فأنا لا أعمل به .

مثال نقد السند

فمن أمثلة الخلاف الذى يرجع الى السند : ما استدل به الشافعية من حديث مروى عن عبادة بن الصامت ، قال : « صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الصبح ، فثقلت عليه القراءة - أى لأنهم كانوا يقرأون خلفه بصوت مسموع فكان يجد ثقلا وهو يقرأ من أجل قراءتهم خلفه - فلما انصرف قال : « انى أراكم تقرأون وراء امامكم ، قالوا : اى والله يا رسول



الله ، قال : « لا تفعلوا الا بأم القرآن ، فانه لا صلاة لمن لم يقرأ بها » ــ رواه أبو داود والترمذى .

وقد استدل الشافعية بهذا الحديث فيما استدلوا به على وجوب قراءة الفاتحة على المأموم .

وفى هذا الحديث يقول ابن قدامة المقدسى صاحب « المغنى » : « حديث عبادة لم يروه غير ابن اسحاق ، ونافع ابن محمود بن ربيع ، وابن اسحاق مدلس ، ونافع أدنى حالا منه .

فنراه لا يقبل الحديث لضعفه من جهة السند ، معتمدا على تجريح راوييه .

وهذا النوع كثير ، وهو أساس هام من أسس الخلاف ، ولا سيما بين السنة والشيعة الامامية والزيدية ، فكل فريق منهم يرى أحاديث ثبتت عنده لا يراها الآخر ، بسبب تجريحهم من رواها : أو عدم الأخذ به لأمر آخر قام لديهم .

ــ ولنا تعقيب على هذا سيرد على القارىء فى هذا المقال .

ومثال آخر فى نقد المتن

ومن أمثلة الخلاف الذى يرجع الى متن الحديث وما تضمنه : أى نقد الموضوع نقد ابن حزم لحديث قيل ان الحسن رواه عن ابن عباس جاء فيه « أنه ــ أى ابن عباس ــ خطب فى آخر رمضان على منبر البصرة ، فقال : أخرجوا صدقة صومكم ، فكأن الناس لم يعلموا ، فقال : من ههنا من أهل المدينة ؟ فقوموا الى اخوانكم فعلموهم فانهم لا يعلمون : فرض رسول الله صلى الله عليه وسلم ، هذه الصدقة صاعا من تمر أو شعير ، أو نصف صاع من قمح ، على كل حر أو مملوك ، ذكرا أو أنثى ، صغيرا أو كبيرا ، فلما قدم على رأى رخص الشعير ، قال : قد أوسع الله عليكم ، فلو جعلتموه صاعا من كل شيء » .

قال ابن حزم : وهذا الحديث قبل كل شيء لا يصح لوجوه ظاهرة :

أولهما : أن الكذب والتوليد والوضع فيه ظاهر كالشمس ، لأنه لا خلاف بين أحد من أهل العلم بالأخبار أن يوم الجمل(1) كان لعشر خلون من جمادى الآخرة سنة ست وثلاثين ، ثم أقام على بالبصرة جمادى الآخرة ، وخرج راجعا الى الكوفة فى صدر رجب ، وترك ابن عباس بالبصرة أميرا عليها ، ولم يرجع على بعدها الى البصرة ــ هذا ما لا خلاف فيه من أحد له علم بالأخبار ــ وفى الخبر المذكور ذكر تعليم ابن عباس أهل البصرة صدقة الفطر ، ثم قدم على بعد ذلك ، وهذا هو الكذب البحت الذى لا خفاء به .

ووجه ثان : أن الحسن لم يسمع من ابن عباس أيام ولايته البصرة شيئا : ولا كان الحسن حينئذ بالبصرة ، وانما كان بالمدينة ــ هذا مما لا خلاف فيه بين أحد من نقلة الأحاديث .

وأيضا ــ وجه ثالث ــ : فانه حديث مفتعل لا يصح ، لأن البصرة فتحها وبناها ــ سنة أربع عشرة من الهجرة عتبة بن غزوان المازنى ــ بدرى مدنى ووليها بعده المغيرة بن شعبة ، وأبو موسى ، وعبد الله بن عامر ، وكلهم مدنيون ، ونزلها من الصحابة أزيد من ثلاثمائة رجل ، منهم عمران بن الحصين ،

(1) يوم الجمل هو اسم للموقعة الشهيرة بين الامام علي رضى الله عنه ، وفريق من الصحابة كان على رأسهم أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها ،وكانت فى هودج على جمل تحث على القتال،فسميت الموقعة لذلك « بيوم الجمل » .

وأنس بن مالك،وهشام بن عامر ، والحكم ابن عمرو ،وغيرهم ، وفتحت ايام عمر بن الخطاب ، وتداولها ولاته ، الى أن وليها ابن عباس بعد صدر كبير من سنة ست وثلاثين من الهجرة ، أفلم يكن فى هؤلاء من يخبرهم بزكاة الفطر ، بل ضيعوا ذلك وأهملوه ، واستخفوا به أو جهلوه مدة أزيد من اثنين وعشرين عاما : مدة خلافة عمر بن الخطاب ، وعثمان رضى الله عنهما ، حتى وليهم ابن عباس بعد يوم الجمل ؟ أترى عمر وعثمان ضيعا اعلام رعيتهما هذه الفريضة ؟ أترى أهل البصرة لم يحجوا أيام عمر وعثمان ، ولا دخلوا المدينة ، فغابت عنهم زكاة الفطر الى ما بعد يوم الجمل ؟ .

ان هذا لهو الضلال المبين ، والكذب المفترى ، ونسبة البلاء الى الصحابة رضوان الله عليهم . ان هذا الخبر ما يدخل تصحيحه فى عقل سليم ، وما حدث الحسن — والله أعلم — بهذا الحديث الا على وجه التكذيب له — لا يجوز غير ذلك » (١) .

ولا شك أن هذا نقد موضوعي جيد يدل على تعمق وطول باع ، ويشهد بأن علماءنا الأولين رحمهم الله ، كانوا أحرص الناس على تعرف الحق ، وأقوم الناس منهجا فى تحصيله والذود عنه ! .

وواضح أن ابن حزم فى هذا النقد لم يكن موجها سهامه الى الرواة ، ولكنه وجهها الى نفس المتن ، وأخذ من عباراته وترتيب وقائعه ، ما استدل به على نكارته وبطلانه .

ومثال ثالث

ومن أمثلة ذلك على عهد الصحابة ما فعلته عائشة رضى الله عنها ، فى الخبر الذى رواه ابن عمر عن النبى صلى الله عليه وسلم من أن الميت يعذب ببكاء أهله عليه .

فقد وجدت أن فى معنى هذا الحديث نكارة، فأن أصول الاسلام لا يتفق معها أن يعذب أحد بما يفعله أهله ، فقضت عليه بأنه لم يأخذ الحديث على وجهه ، وصححت هذا الوضع كما تعلمه فقالت : مر رسول الله صلى الله عليه وسلم على يهودية يبكى عليها أهلها فقال : «انهم يبكون عليها ، وانها تعذب فى قبرها » فظن ابن عمر أن العذاب علته البكاء ، فجعل الحكم عاما على كل ميت .

وان كان بعض العلماء حمل ما رواه ابن عمر على أن المراد به الميت الذى أوصى أهله بالبكاء عليه بعد موته ، فهذه وصية بفعل محرم يلحقه اثمها ، فمن ثَم عُذب ببكاء أهله عليه .

وقد كان أهل الجاهلية يفعلون ذلك ، فيوصون بالبكاء عليهم ، فأبطله الاسلام ، ويدل على تقليد الجاهلية فى هذا ما روى من أن « لبيد بن ربيعة العامرى » أحد أصحاب المعلقات ، قال لابنتيه وهو يحتضر :

تمنى ابنتاى أن يعيش أبوهما
وهل أنا الا من ربيعة أو مضر. ؟
فان حان يوما أن يموت أبوكما
فلا تخمشا وجها ولا تحلقا شَعَر.
وقولا هو المرء الذى لا حليفه
أضاع ولا خان الصديق ولا غدر.
الى الحول ثم اسم السلام عليكما
ومن يبك حولا كاملا فقد اعتذر. !

والواقع أن نقد عائشة رضى الله عنها لابن عمر فى هذا الحديث مبنى على

---

(١) الاحكام لابن حزم جـ ٢ ص ١٣٢ .



أنه قد وهم ، وانما حملها على ذلك منافاة الحديث لأصل اسلامي : ومعرفتها الشخصية بحقيقة الحديث،أما التخريج والحمل على البكاء الموصى به فهو مجرد محاولة يراد بها التخلص من أن يكون هذا الحديث مصادما لأصل قطعى .

رأى لنا

ونود أن نقول هنا كلمة عن رأينا فى الخلاف الذى سببه استمساك كل فريق بما جاء عن طريق رواته ، ورفضه الأخذ بما جاء عن طريق رواة مخالفيه ، فنقول:

ان هذا النوع من الخلاف لا مبرر له ، ولا ينبغى أن يعتد به ، ونستطيع ــ نحن معاشر المتأخرين من مختلف المذاهب الاسلامية ــ أن نتخلص منه ، ونسير على أساس آخر هو أن ننظر من حيث السند الى صدق الراوى وضبطه ، أو كذبه وخلطه ، ولا شأن لنا بكونه يرى كذا فى المعارف الكلامية : أو فى الأمور التي لا تتعلق بأصول الدين ، ما دام لا يعتقد جواز الكذب لتأييد مذهبه .

ونؤيد هذا الرأى بما يأتى :

أولا : ــ انه لا ارتباط بين ما يعتقده الانسان فى المعارف الكلامية التي لا تتصل بأصول الدين ، وما يتصف به من الصدق أو الكذب ، أو الضبط أو السهو ، فكم من صادق ضابط فى روايته ، وهو مع ذلك يعتقد نظرية كلامية معينة هو مخطىء فيها ، وكم من مصيب فيما يعتقد ، ولكنه مع ذلك معروف بالكذب أو الغفلة ، ونحن مكلفون بالعمل بما ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من أى طريق صحيح منضبط : لا من طريق معين دون سواه .

وهذا طبعا فى خصوص أهل القبلة ، أما الكافر فلا تقبل روايته أصلا ، ولو علم أنه يحترز عن الكذب ، لأن عداوته للاسلام تحمله على محاولة تضليل المسلمين :

قال الامام فخر الدين الرازى :

« أجمعت الأمة على أنه لا تقبل رواية كافر ، سواء علم منه الاحتراز عن الكذب أو لم يعلم ، والمخالف من أهل القبلة ــ اذا كفرناه كالمجسم وغيره ــ هل تقبل روايته أم لا ؟ والحق انه ان كان مذهبه جواز الكذب لا تقبل روايته ، والا قبلناها ، وهو قول أبى الحسن البصرى (١)

هذا كلام الامام الرازى ، ولا شك انه رأى منصف ، بل اننا نستطيع ان نصفه بالتسامح ، لأنه جعل المجسم ممن تقبل روايته ، فما بالنا بمن لا يصل مذهبه الى القول بالتجسيم ؟ .

ويقول الطوفى الحنبلى :

« ان المحدث اذا كان ناقدا بصيرا فى فنه جاز له أن يروى عن جماعة من

---

(١) نزهة الخاطر حاشية روضة الناظر ٢٨١ جـ ١ المطبعة السلفية بمصر ١٣٤٧ هـ .

المبتدعة الذين يفسقون ببدعتهم ، كعباد ابن يعقوب ــ وكان غالبا فى التشيع ــ وحريز بن عثمان ــ وكان على عكسه مبغضا لعلى رضى الله عنه » (١) .

ومما يتصل بهذا أن أهل الأصول قد تكلموا فى قبول التعديل والتجريح للرواة ، اذا لم يبين سببهما ، فالتعديل عند المحققين لا يشترط بيان سببه ، استصحابا لحال العدالة فى المسلم ، وأما سبب الجرح فيشترط بيانه ، وممن يقول بذلك الشافعى وأحمد فى أحد قوليه ، وذلك لاختلاف الناس فى سبب الجرح ، واعتقاد بعضهم ما لا يصلح أن يكون سببا للجرح جارحا على نحو من الغلو . وفى مثل ذلك ما رواه الطوفى اذ يقول « ولقد رأيت بعض العامة وهو يضرب يدا على يد ويشير الى رجل ويقول: ما هذا الا زنديق ، ليتنى قدرت عليه فأفعل به وأفعل ، فقلت له : ما رأيت منه ؟ فقال : رأيته وهو يجهر بالبسملة فى الصلاة » (٢) .

ثانيا : ــ انه ليس فى المذاهب المعتبرة فى العالم الاسلامي من يرى جواز الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقد صح عنه أنه قال « من كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار » وقد جاء هذا الحديث بلفظه أو بمعناه فى روايات صحيحة فى مختلف المذاهب ، وقد بلغ من تشديد الشيعة الامامية فى ذلك أنهم يجعلون الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم مفسدا للصوم ، وأنه اذا وقع عمدا من الصائم فى رمضان، وجب عليه القضاء والكفارة ، كما يجبان على من تعمد سائر المفطرات (٣) .

ثالثا : ــ ان خلاف هؤلاء ليس من قبيل الخلاف على الأصول التي يكون بها المسلم مسلما ، وبجحودها أو جحود شيء منها يخرج من ربقة الاسلام ، واذن فينبغي الا ينظر فى التجريح الى مجرد اتباع الراوى لمذهب من المذاهب ، فلا يجوز للشيعي أن يقول ذلك فى مخالفه السنى ، ولا يجوز للسنى أن يقول ذلك فى مخالفه الشيعى .

وهذا عند التحقيق ما يعمل به أهل السنة والشيعة الامامية والزيدية ، وان تراءى من النظرة العاجلة أن كلا من الفريقين يرفض ما عند الآخر .

فالشيعة الامامية مثلا يعملون بالحديث الذى يسمونه « الموثق » كما يعملون بالأحاديث الصحيحة أو الحسنة فى اصطلاحهم ، والموثق عندهم هو ما رواه مسلم غير شيعى ، ولكنه ثقة أمين فى النقل (٤) .

وقد قبل البخارى وغيره من أصحاب كتب الصحاح التي يعتمدها أهل السنة، كثيرا من الرواة المعروفين بالتشيع ، وقد عد الشيخ شرف الدين الموسوى فى كتابه « المراجعات » مائة من الرواة المعروفين بالتشيع الذين أخذ أهل السنة برواياتهم .

والخلاصة : أن المنهج السليم فى القبول والرفض واضح لكل منصف .

---

(١) المرجع السابق فى الموضع نفسه . (٢) المصدر نفسه ص ٢٩٥

(٣) انظر كتاب المراجعات للشيخ شرف الدين الموسوى ص ٥٠ مطبعة العرفان سنة ١٣٧٣ هـ .

(٤) انظر الرسالة الوجيزة لبهاء الدين العاملى ص ٣



ابن العاص أنه قال : بعثنى صلى الله عليه وسلم فى غزوة ، فاحتلمت فى ليلة شديدة البرد ، فأشفقت ان اغتسلت أن أموت ، فتيممت ثم صليت بأصحابى صلاة الصبح ، فلما قدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكروا له ذلك ، قال : يا عمرو صليت بأصحابك وأنت جنب ، قلت ؟ ذكرت قول الله عز وجل (ولا تقتلوا أنفسكم ان الله كان بكم رحيما) آية ٢٩ من سورة النساء ، فتيممت ثم صليت ، فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يقل شيئا . فهذا اقرار منه صلى الله عليه وسلم لعمل عمرو بن العاص ، واقراره صلى الله عليه وسلم حجة شرعية ، لأنه لا يقر باطلا .

ج ـ وأما ما وقع من خلاف بين طرفين من الصحابة ووافق صلى الله عليه وسلم طرفا وأنكر الآخر فمثله : ما رواه البخارى فى كتاب الاجارة ، عن ابى سعيد الخدرى رضي الله عنه قال : انطلق نفر (١) من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم فى سفرة سافروها حتى نزلوا على حى من أحياء العرب ، فاستضافوهم ، فأبوا أن يضيفوهم ، فلدغ (٢) سيد ذلك الحى ، فسعوا له بكل شيء لا ينفعه شيء ، فقال بعضهم : لو أتيتم هؤلاء الرهط (٣) الذين نزلوا لعله أن يكون عند بعضهم شيء ، فأتوهم فقالوا : يأيها الرهط ، ان سيدنا لدغ ، وسعينا له بكل شيء ، لا ينفعه ، فهل عند أحد منكم من شيء ؟ . فقال بعضهم (٤) : نعم والله انى لأرقى ، ولكن والله لقد استضفناكم فلم تضيفونا ، فما أنا براق لكم حتى تجعلوا لنا جعلا ! فصالحوهم على قطيع من الغنم ، فانطلق يقرأ (الحمد لله رب العالمين) (٥) فكأنما فك من عقال ، فانطلق يمشى وما به من علة، قال فأوفوهم جعلهم (٦) الذى صالحوهم عليه ، فقال بعضهم : اقسموا (٧) ، فقال الذى رقى لا تفعلوا حتى نأتى النبى صلى الله عليه وسلم فنذكر له الذى كان فننظر ما يأمرنا (٨) ، فقدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فذكروا له ، فقال : وما يدرك أنها رقية ؟ ثم قال : قد أصبتم (٩)

---

(١) كانوا نحو ثلاثين رجلا .

(٢) أى فى تلك الليلة التي استضافوهم فى أولها ، لدغته عقرب كما فى رواية أخرى .

(٣) وفى رواية لو أتيتم هؤلاء الرهط الذين هم من أتباع هذا الرجل الذىظهر بمكةويقول انه رسولالله.

(٤) هو أبو سعيد أمير القوم .

(٥) سورة الفاتحة لأنها أم الكتاب وقد جمعت كل مقاصده من التوحيد والبعث وطلب الهداية للطريق المستقيم والبعد عن الضالين .

(٦) أعطوهم ثلاثين شاة بعددهم .

(٧) أى قال بعض هؤلاء الصحابة اقسموا هذا الجعل بيننا حتى يتصرف كل واحد منا فى نصيبه بما يراه من أكل أو غيره .

(٨) فقد لا يكون هذا الجعل حلالا .

(٩) أى فى الرقية بأم الكتاب ، وفى توقفكم عن التصرف فى الجعل حتى تعلموا حكم الله .

اقسموا واضربوا لى معكم سهما (١) ، وضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم .

د ـ وأما ما وقع من خلاف بين طرفين من الصحابة ووافق صلى الله عليه وسلم كلا منهما فمثله ما رواه أبو داود والنسائي عن أبى سعيد الخدرى رضي الله عنه قال : خرج رجلان فى سفر فحضرت الصلاة وليس معهما ماء ، فتيمما صعيدا طيبا ، وصليا ، ثم وجدا الماء قبل أن يخرج وقت الصلاة ، فأعاد أحدهما الوضوء والصلاة ، ولم يعد الآخر ، ثم أتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرا له ذلك ، فقال للذى لم يعد : أصبت السنة وأجزأتك صلاتك ، وقال للذى توضأ وأعاد : لك الأجر مرتين .

ومثله أيضا ما حصل بعد الفراغ من حادثة الأحزاب ، عندما أمر الله رسوله أن يسرع الى تأديب يهود بنى قريظة ، لخيانتهم العهد ، وهجومهم مع مشركي مكة على المدينة ، فنادى منادى الرسول ، صلى الله عليه وسلم : من كان يؤمن بالله واليوم الآخر ، فلا يصلين العصر الا فى بنى قريظة ، فأسرع الصحابة الىالخروج وأدركتهم صلاة العصر فى الطريق ، فقطع بعضهم السير ، وصلى العصر فى الطريق ، ثم استأنف السير ، وأبى بعضهم وواصل السير ، ولم يصل العصر الا بعد أن وصل الى بنى قريظة ، وقد غربت الشمس ، فصلى العصر قضاء ، فبلغ النبى صلى الله عليه وسلم ما صنع الفريقان ، فأقر كلا على ما رآه ، وذلك أن الفريق الأول الذى صلى فى الطريق ، فهم أن من مراد الرسول صلى الله عليه وسلم عدم التباطؤ فى الذهاب الى العدو ، وهذا ممكن مع أداء الصلاة فى وقتها ، وفهم الفريق الآخر أن الأمر على ظاهره ، فنفذه حرفيا ، مهما ترتب عليه من تأخير الصلاة عن وقتها ،فالكل مقصده حسن ، والكل مأجور .

ومن ذلك ما روى عن عبد الله بنعمرو ابن العاص أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقف فى حجة الوداع ، فجعلوا يسألونه فقال رجل : حلقت قبل أن أذبح ، فقال : «اذبح ولا حرج» فجاء رجل آخر فقال نحرت قبل أن أرمى ، فقال : « ارم ولا حرج » ، فما سئل النبى صلى الله عليه وسلم عن شيء قدم ، أو أخر ، الا قال : « افعل ولا حرج » . وعدد بعضهم الأشياء التي سئل عنها النبي صلى الله عليه وسلم ، فى ذلك اليوم ، حتى أوصلها بعضهم الى أربع وعشرين صورة ، الحلق قبل الرمى ، والحلق قبل الذبح ، والذبح قبل الرمى ، والافاضة قبل الرمى ، والرمى والافاضة قبل الحلق ، والافاضة قبل الذبح ، والسعى قبل الطواف . .

أقول : أليس فى هذا دليل على أن كل فعل طلب من المكلف ، ولم يرد عن النبى صلى الله عليه وسلم شيء فيه يحدد كيفيته ، أو ترتيب بعضه على بعض ، يكون الأمر فيه واسعا ؟ يفعل المكلف ما يغلب على ظنه أنه هو المطلوب ، ولا حرج عليه بعد ذلك ، لأنه لو كان غير ذلك ، لوجب على النبى صلى الله عليه وسلم أن يبينه للناس .

« وللبحث بقية تأتي ان شاء الله تعالى » .

---

(١) يقصد صلى الله عليه وسلم بذلك المبالغة فى بيان أنه حلال ، وضحكه كان سرورا بتوفيق الله لهم لما فيه قضاء حاجتهم فى سفرهم .

الاقتصاد الإسلامي والاقتصاد المعاصر

العمل وتنظيمه في الإسلام

الحلقة الثالثة

للأستاذ : محمد عبد الله العربى
عميد معهد الدراسات الاسلامية ـ القاهرة

اتضح مما قدمنا فى أساس هذا البحث أن الاقتصاد الاسلامي يعتمد اعتمادا كليا فى رسم منهجه على تعاليم الاسلام الخلقية العقيدية ، التي تمتد آثارها الى كل جانب من جوانب هذا المنهج ، بعكس الاقتصاد المعاصر ـ شرقي وغربي ـ الذى لا يعترف ـ باجماع علمائه ـ بأى تدخل للتعاليم الخلقية فى رسم مناهجه .

وقد بدأنا بالدعامة الأولى فى اى تنظيم اقتصادى ـ وهي دعامة المال ـ وعرضنا ما تفرضه تعاليم الاسلام الخلقية فى سياسة المال من تكاليف متصلة بملكية المال .

أما مدى قيام ولى الأمر بتنفيذ هذه التعاليم فهذا ما سوف نعالجه فيما بعد :

أما مقال اليوم فاننا نعرض فيه تعاليم خلقية لا تتصل اتصالا مباشرا بملكية المال ، وانما تتصل « بالعمل » باعتباره مصدرا من أهم مصادر ملكية المال ، نعرضها هنا فى ايجاز ، لأن « العمل » باعتباره الدعامة الثانية فى أى تنظيم اقتصادى سنخصص له مقالا قائما بذاته .

هذه التعاليم الخلقية التي تتصل اتصالا غير مباشر بملكية المال تفرض تكاليف على سلوك المسلم الاقتصادى فى مباشرته أى عمل .

العمل واجب

من هذه التكاليف أن الاسلام يفرض على كل مسلم السعى فى طلب الرزق وفى ابتغاء المزيد منه . فكل مسلم مكلف بمباشرة عمل نافع لنفسه وللمجتمع ، وكل مسلم حر فى اختيار العمل الذى يريد أن يباشره بما يتفق مع قدراته ومواهبه ، ولا يرد على هذه الحرية أى قيد يستند الى عدم انتسابه لطبقة معينة ، أو عدم حيازته لمركز اجتماعي معين . فالكفاية وحدها والمقدرة وحدها هما معيار أهلية الفرد . وبذلك كفل الاسلام تحقيق مبدأ مساواة الفرص بين الكافة : أساسه تحريم اىامتياز يستمده

مدعيه من حكم القانون أو من سيطرة ذوى السلطات ، وهدفه ضمان حرية العمل وتحرير السعى المشروع من كل عقبة تعوق انطلاقه .

والاسلام مع تقرير تكافؤ الفرص بين الكافة فى السعى المشروع ، لا يحتم وجوب المساواة فى ثمار هذا السعى ، فهو يعترف بالتفاوت الفطرى بين الأفراد فى الملكات والمواهب والجهود . ولكن هذا التفاوت – ما دامت الفرص متكافئة فى اتاحتها للكافة – لا يمس تماسك المجتمع .

وقد أيد الاسلام حرية العمل ، وحبذ انطلاق السعى من طريق آخر غير مباشر ، وذلك بما قرره من أن أى عمل سواء كان يدويا أو ذهنيا يقتضي الحذق أو لا يقتضيه – يتمتع باحترام المجتمع . فالبطالة فقط ، وعيش المرء عالة على سعى غيره ، هي التي تستوجب الاحتقار .

وبكفالة تكافؤ الفرص على هذا النحو ، وتقديس العمل الصالح فى أى ميدان من ميادين السعى لخير الجماعة وخير الفرد ، وضع الاسلام الأساس المتين لحرية السعى فى ابتغاء الرزق ، وأشبع غريزة الانسان فى الظفر بنصيبه من الدنيا .

ولكن الاسلام فى الوقت ذاته أحاط هذه الغريزة الفطرية بسياج من دستور سلوكه الاقتصادى يحمى المسلم من تجاوز الحد المرسوم فى ابتغاء الرزق ، ويضبط من غلواء الحافز الذاتى نحو المزيد من الكسب ، مشروعا كان أو غير مشروع . حقق الاسلام هذه الغاية بتقريره أن كل عمل « عبادة » وأضفى على كل « عمل » صبغة تعبدية ، وكيف يتقبل الله عبادة المسلم فى عمله اذا اتجه به الى الحاق الضرر بغيره ، أو بالمجتمع ، ولم يتجه به الى تغليب الخير العام على الحافز الذاتي نحو الكسب بأى ثمن ، بل ان القرآن الكريم كلما ذكر الايمان قرنه بأداء العمل الصالح ، فجعل دأب المسلم على انجاز العمل واجادته وتوجيهه الى الخير العام شرطا لاكتمال ايمان المسلم .

أما الايمان وحده – بغير أن يقترن بعمل صالح يهتدى بضوء هذا الايمان – فليس الا موقفا سلبيا لا فضل فيه .

وقد يشك البعض فى قدرة هذا الوازع الدينى على الحد من جشع الانسان فى طلب الدنيا ، واندفاعه نحو كسب المال بأى ثمن ، ويتساءل : ما تكون قيمة هذا الوازع ازاء قوة الانانية القاهرة ؟ .

ونجيب على هذا التساؤل برأى علماء الاجتماع الغربيين أنفسهم : فهم يسلمون بأن الناس فى الوضع الذى أصبحوا فيه وهيئوا له منذ طفولتهم انما يحفزهم الى السعى والكدح حافز واحد ، هو مصلحتهم الذاتية بغير وزن لأى اعتبار آخر . ألفوا هذا الوضع ودرجوا عليه واصطبغ به وجدانهم . ولكن هذا الوضع نشأ من تأثير البيئة التي درجوا فيها من البداية ، بيئة ترفع من شأن خدمة المصلحة الذاتية ، والنجاح فى مجالاتها ، وتخفض من شأن المصلحة العامة اذا مست المصلحة الذاتية بأى نقص ، فلو انعكس هذا الوضع ، وساد فى البيئة شعور بوجوب توازن المصلحتين ، ودرب الناس على التمسك بتحقيق هذا التوازن من البداية ، لاستجاب الناس اليه ، واتجه حافزهم فى السعى من الأنانية المطلقة من كل قيد الى التوفيق بين مصلحة الفرد ومصلحة المجتمع .

وهذا هو بالذات نهج الاسلام التدريبي فيما فرضه من عبادات ، وغرسه من توجيهات ، تخلق فى البيئة هذه الاستجابة السيكولوجية وتنميتها تنمية مستمرة .

المنافسة الشريفة

أما فى المنافسة فيدعو الاسلام الى التنافس فى الخير ، والتسابق فى اجادة العمل مع التزام التعاون المثمر . أهم أركان الاقتصاد الاسلامي . فالأمر القرآنى الصادر الى المسلم بالعمل الصالح ، هو الأمر المكرر فى ثنايا الآيات القرآنية ، « والعمل الصالح » تعبير شامل يشمل البر المباشر من جانب ،



ويشمل من جانب آخر البر غير المباشر ، وهو الذى يتمثل فى كل عمل يدخل فى نطاق أوضاع النشاط الاقتصادى ، ويؤدى التنافس فى اجادته الى خفض تكاليف الانتاج مما يمكن المستهلك من الحصول على مطالبه من السلع أو أو الخدمات بثمن أقل . فهذه حسنة يؤديها المسلم الى بيئته ، والتنافس فيها بين المسلمين محمود ومطلوب ، بعكس الاحتكار وما يفضى اليه من غلاء فمكروه ومنهى عنه .

غير ان هذا التنافس ، ان كان الاسلام قد دعا اليه وحبذه ، فانه يدعو أيضا الى مباشرته فى رفق وبر ، ويحيطه بنواة خلقية تنأى به عن الكيد للغير ، أو تعمد ايذائه ، فهذا الاتجاه اذا فشا فى مجتمع أساء الى تعاونه اساءة بالغة وزعزع تماسك كيانه . ومن تعاليم الاسلام فى هذا الصدد ، الموجزة فى تعبيرها كل الايجاز (الدين النصيحة ـ الدين المعاملة) . فمسلك المسلم فى التعامل مع أخيه المسلم وفى اسدائه النصح له ، ركن من أركان اسلامه .

ونستطيع أن نتصور مقتضيات هذا الركن فى مجال التنافس . فمثلا يجب على المسلم اذا رأى خسارة لا مرد لها ستحيق بمنافسه من جراء سبق أحرزه فى ميدان الانتاج المشترك بينهما ، أن يبرىء ذمته باسداء النصح له بأن يغير من طريقة انتاجه،أو يدعوه الى مشاركته فى مشروع تعاونى ، أو يرشده الىمباشرة عمل آخر يكون أكثر انسجاما مع ملكاته ، وهلم جرا . أما أن يكيد له فى السر والعلن ليخرجه من السوق ، ويستأثر وحده بمغانمها ، فهذا ما لا تجيزه روح التنافس الاسلامي .

عيوب الاقتصاد الغربى

اما فى الاقتصاد الغربي الذى يطلق حق الملكية ويحرره من أية تكاليف خلقية أو اجتماعية . فنجده يقرر أن الحافز الاقتصادى ـ أىالكسب المادى البحت ـ هو التبرير الكافى لكل أنواع النشاط الانساني ، بصرف النظر عن أى اعتبار خلقى أو اجتماعي ، وطالما لم تفرض الدولة قيدا على اتجاهات هذا النشاط فحرية العمل فى رأى الاقتصاد الغربي تعتبر كاملة .

هذا التفسير الذى ينحى جميع الاعتبارات الخلقية ، هو التفسير السائد فى الاقتصاد الغربي . وقد حمل عليه فى السنوات الأخيرة كثير من الاقتصاديين والمفكرين فى الغرب .

ان الفساد الذى نشأ عن هذا التفسير الغربي للحافز الاقتصادى وحرية العمل ليضيق مقال اليوم عن الاسهاب فيه ، وسنعود الى تفصيله فى المقارنة التي التي سوف نعقدها بين اقتصاديات الاسلام فى « العمل » وما يقابلها فى الاقتصاد المعاصر ، ونكتفى هنا بما يقرره اثنان من علماء الاقتصاد الغربي :

قال الأستاذ (وارنر سومبارت) ملخصا هذا الفساد عندهم فى كلمات قليلة : « ان المثل العليا عن قيمة الذات الآدمية قد فقدت سيطرتها على عقل الانسان ، والجهود التي يجب أن تبذل لتنمية الرخاء الانساني واسعاد البشرية لم تعد لها أية قيمةأو تقدير . انالوسيلة أصبحت غاية » . ويقول الأستاذ (جون آيز) أستاذ الاقتصاد فى جامعة (كانساس) الامريكية « لقد أصبح رجال الأعمال عندنا تائهين فى مطاردة المال الذى يجب أن يكون وسيلة الى الحياة الطيبة ، لا غاية فى ذاته ، حتى نسوا الغاية ، وأمعنوا فى التعلق بالوسيلة » .

رجوع لرأى الاسلام

وقد يهم المسلم أن يطلع على العلاج الذى يقترحه الآن علماء الاجتماع فى الغرب لاصلاح الفساد الذى تغلغل فى مجتمعهم : فصاروا يناشدون مجتمعهم

أن يأخذ بعلاجهم المقترح ، فيقولون : « ان الناس اذا سلمنا بانهم أنانيون فى هذا العصر ، ومسرفون فى هذه الأنانية ، فان مرجع ذلك ، فى كله أو بعضه ، الى تأثير البيئة التي اكتنفتهم والى التقاليد التي درجوا عليها ، فهم من المهد الى اللحد يشعرون بالتوكيد الجازم على تقديس المال باعتباره معيار كل احترام ، ومبعث كل كرامة فى المجتمع . ويرى هؤلاء العلماء أن الناس لو كانت بيئتهم تقدس مثلا عليا أخرى غير عبادة المال . ودربوا تدريبا متصلا على الايمان بهذه المثل والتمسك بها ، لتحققت استجابتهم لها بنفس القوة التي يبذلونها فى طلب المال .

وظاهر أن هذا الرأى الذى ينادى به علماء الاجتماع فى العصر الحاضر هو أقرب ما يكون اتساقا مع موقف الاسلام من مشكلة الحافز الاقتصادى . ولكنه من حيث قوة نفاذه يعوزه الكثير من فاعلية التدريب النفسي الذى امتاز به التوجيه الاسلامي . ذلك لأن تربية الانسان على مقاومة نزعات النفس البشرية ، فى جموحها الى طلب المال بأى ثمن ومن أى وجه ، يتطلب ايقاظ قوة باطنية فى وجدانه تستند الى وعى دينى حى .

أما المنافسة فى المجال الضيق الذى لا زال باقيا لها فى الاقتصاد الغربي ، فقد تجردت من كل القيود الخلقية وانحدرت الى صراع قتال ، كما أن انعدام تكافؤ الفرص قد أحالها الى سباق مزيف لا يكتب السبق فيه لأجدر المتنافسين .

وهذا تأكيد أضافى ـ ان احتاج الأمر لمزيد من التأكيد ـ بأفضلية التصوير الاسلامي لنظام المنافسة فى انعكاسه على كيان المجتمع .

كذلك اتجه الاقتصاد الغربي الى خلق تكتلات احتكارية ، نجحت فى الانطلاق من شباك التشريع المحرم للاحتكار ، واحتكارها الفعلي هذا ، بتقييده للعرض وفرضه لاسعار مدبرة ، وسيطرته على الاسواق الداخلية والخارجية ، قد أفسد السريان التلقائي لقانون العرض والطلب ، وقضى على حرية العمل ، وساعد على قيام كتل جبارة قليلة امتد نفوذها الى القبض على زمام كل نشاط اقتصادى فى المجال الداخلي والعالمي ، حتى استطاع أن يعرقل كل نشاط اقتصادى منافس .

وبعد ، فهذه جوانب التعاليم الخلقية الاسلامية فيما تفرضه من تكاليف غير مباشرة تتصل بالعمل ، المصدر الأول للملكية الفردية ، رأينا الاشارة اليها مع المقارنة بما يقابلها فى الاقتصاد الغربي ـ استكمالا لبيان موقف الاسلام من ملكية المال .

بقى علينا لاستكمال نظرة الاسلام الى المال وملكيته ، وما فرضه على هذه الملكية من تكاليف ايجابية وسلبية ، أن نتساءل : هل الاسلام ـ بالاضافة الى هذه التكاليف ـ فرض على مالك المال اتجاها معينا فى استثمار هذا المال ؟ .

هل ترك له الحرية المطلقة فى أن يبقى ما يتملك من مال معطلا عن الاستثمار ما دام لديه من الثروة ما يغنيه عن متاعب الاستثمار ؟ .

واذا مضى فى استثمار ماله هل له الحرية المطلقة فى أن ينتهج اسوأ أساليب الاستثمار وأقلها نتاجا اذا كشف العلم يوما من الأيام عن أساليب أخرى أجزل استثمارا ؟ .

وأخيرا ـ وهذا سؤال نوجهه الى كل مجتمع اسلامي ـ هل ملاك المال فى أى مجتمع اسلامي لهم الحرية المطلقة فى أن يركزوا استثمار أموالهم فى مسلك واحد كالزراعة مثلا ، معرضين عن المسالك الأخرى التي قد تمليها ضرورات المجتمع ؟ ..

ذلك ما سوف نعالجه فى المقال القادم ، الى جانب محاولة تحديد سلطة ولي الأمر فى مجتمع اسلامي فى تنفيذ التكاليف المباشرة المفروضة على ملكية المال ، من ايجابية وسلبية ...

الإسلام
ورسوله
وتعاليمه
بلغة
العصر

٧



الجنة والنار

فأما وقد بينا ان الموت لا يعدو ان يكون مجرد تغير وانتقال من صورة لاخرى ، وان تجدد الحياة وبعثها هو احد سنن الطبيعة الجارية ، فان السؤال الآن : وماذا عن الجنة والنار ، أيقر بنا العلم الحديث التجريبى من تصورهما وفهمهما ، كما فعل بالنسبة للبعث والحياة الثانية ؟

احق ما تقوله الاديان من أن أعمال الانسان مسجلة ومحصاة عليه ، وانه سوف يواجه بها يوم القيامة ، فيؤاخذ بما قدمت يداه ، فاما الى الجنة واما الى النار ؟

ان هذا السجل لاعمال الانسان واقواله وتصرفاته ، ومجابهته بها ، قد اصبح احد الاجراءات التى يواجه بها المتهمون فى هذه الحياة الدنيا ، بعد ان تكشف للانسان من حقائق الطبيعة واسرارها ما تكشف ، وصنع من الآلات ما صنع .

وقد اصبح من المألوف ان نطالع فى الصحف والمجلات ، او نسمع فيما نسمع من اخبار ما يجرى فى الدنيا ، ان بعض المتهمين الخطرين ، يواجهون بسجل كامل لكل ما تلفظوا به خلال العديد من السنوات ، حتى همساتهم ، وتأوهاتهم فى مباذلهم ، وتردد الانفاس ووقع الخطا وحفيف القلم وهو يجرى على القرطاس ، ورنين التليفون ، ودقة الساعة ، وفتح باب او غلقه ، كل ذلك يجابهون به، ويسمعونه مكبرا ، فيكادون يقعون مغشيا عليهم من فرط الذهول ، بل انه ليغشى عليهم بالفعل .

ولقد كانت هذه التسجيلات تتم حتى وقت قريب بوضع اجهزة فى داخل بيت الانسان المقصود او فى مكتبه وسيارته ، ولكن الاجهزة الاحدث صنعا اصبحت فى غنى عن ان توضع فى البيوت ، ويكفيها ان توضع عن بعد أمام النوافذ من الخارج ، لكى يتكفل الزجاج بنقل كل ما يجرى داخل البيت ، اذا كانت

بقلم / أحمد حسين المحامى

أو الثوابُ والعقابُ

النافذة مغلقة ، والهواء الخارج من النافذة اذا كانت مفتوحة .

فحق اذن ما توعدت به الاديان ، من ان كل لفظ يخرج من فم الانسان ، مسجل على صفحة هذا الكون ، ومن الميسور استعادته بنصه وحرفه .

ويكون العلم (والتكنيك (الحديث ، قد قربا الى تصورنا هذا الكتاب الذى سيلقاه كل منا يوم القيامة منشورا .

الثواب والعقاب

ونمضى فى بحثنا خطوة اخرى ، فنتساءل « وما الجنة والنار » ؟ وليس ايسر لاستيعاب فكرة الجنة والنار ، فى هذه المرحلة من حديثنا ، أن نستبدل بهذين اللفظين مترادفين لهما وهما الثواب والعقاب .

وعندنا انه يجب النظر الى اللجنة والنار دائما، على ضوء هذا المعنى الاوسع والاعم ، وتحرير الذهن من الصور المادية لوصف الجنة او النار ، والتى يجب أن تفهم على ضوء اساليب اللغة وما تنطوى عليه البلاغة من كناية واستعارة وتشبيه .

وعندنا ان رد مفهوم الجنة والنار ، الى جوهرهما ومعناهما الاصيل ، وهو فكرة العقاب والثواب ، يجعلهما من سنن الوجود الانسانى، الذى لا يقوم بغيرهما. فاذا كان الوجود الانسانى يقوم على المشاعر والاحاسيس الوجدانية من ناحية ، وعلى العقل والفكر من ناحية اخرى ، فان جوهر العقل ، هو التمييز بين الخطأ والصواب ، والصواب فى تقدير العقل هو الخير ، والخطأ هو الشر، ولا خير الا ما يعود على الانسان بالنفع أى المكافأة ، ولا شر الا ما يعود على الانسان بالضر أى العقاب .

وكذلك الشأن بالنسبة لاحاسيس الانسان ومشاعره ، فهذه الأحاسيس والمشاعر ، تنقل الى الانسان فى كل لحظة

الجنة والنار
أو الثواب والعقـاب



وما دون اللحظة ، ما يسر ويبهج ، ومـا يؤلم ويحزن ، وفى تقدير المشاعر ان ما يسر ويبهج هو الخير ، وما يؤلم ويحزن هو الشر .

ومعنى ذلك انه ما من حركة يتحركها الانسان ، او قولة يتلفظ بها ، او فكر يمر فى خاطره ، الا وله رد فعل سـار ومبهج ، او مؤلم ومحزن ، نافع او ضار ، او بالاحرى ثواب وعقاب .

قوانـين الطبيعة

وكل مخالفة لقوانين الطبيعة لا يمكن الا ان تؤدى بالانسان المخالف الى الحسرة والالم ، بما فى ذلك فقـد الحيلة نفسها ، كمن يقذف بنفسـه من حالق او يرتمى تحت عجلات قطار ، او يشرب سما ، او يحرق نفسه بالنار ، وتظل العقـوبات تدق وتدق وتصغر تبعا لدرجة المخالفة ، حتى تصبح زكاما لمجرد التعرض للبرد ، او تخمة لمجرد الافراط فى الاكل .

وذلك فى الوقت الذى يؤدى التوافق مع سنن الحياة ، وقواعد الصحة ، الى الغبطة والمسرة ، وطول العمر .

قوانين المجتمع

والانسان باعتباره عضوا فى جماعة ، لا يمكن ان يهنأ او يسعد ، الا بمقدار ما يتوافق مع عادات الجماعة وتقاليدها ، والعرف الشائع بينها ، والا اذا التزم بالقوانين التى وضعتها الجماعة وفرضت العقاب على مخالفتها ، وهو يشقى ويتألم ، وقد ينفى او يسجن او يجلد ، وقـد يخسر حياته كلها جزاء مخالفـة هـذه القوانين .

الضمير الانسانى

ولكل انسان قبل ذلك وبعد ذلـك ، قانونه الخاص به ، وقاضيه وحاكمه ، وهو هذا الصوت الخفى فى اعمـاق نفسه ، والذى لا يفتأ يعلق على تصرفاتنا ، ما يجوز منها وما لا يجوز ، ما يرضى عنه وما لا يرضى ، وقد يصـل تأنيب الضمير عند بعض الناس الى حد ازهاق حياتهم للتخاص من وخز الضمير .

ونخلص من ذلك كله : ان كل فعل لا يمكن الا ان يكون له رد فعل يحسـه الانسان فى نفسه ، وبالنسبة للاخرين .

جرائم تمضى بغير عقاب ، واعمال صالحة بغـير مكافأة ..

هذا الناموس الطبيعى من وقوع رد فعل لكل فعل او تصرف ، ان خـيرا فخير ، وان شرا فشر ، يتوقف عن العمل فى الظاهر ، فيرى الناس جزاء سيئا ، حيث كانوا ينتظرون مكافأة ، ويجدون اقواما يكافأون حيث كـان يجب أن يعاقبوا .

وطالما وقف الانسان حائرا امام هذه الظاهرة ، وسيظل تحيره ، كيف يمكن للقاتل ان يقتـل والسارق ان يسرق ، والظالم ان يظلم ، والمعتدى ان يعتدى ، دون ان يجد رادعـا مـن الطبيعة او المجتمع او من نفسه ، أيكون هذا الوجود كله وهما وخداعا ، فلا صواب ولا خطأ ، ولا حق ولا باطل ، ولا خير ولا شر ، ولا لذة أو ألم ؟ أيكون من يقتل كمن لا يقتل ، ومن يزنى كمن يعف ، ومن يظلم كمـن يعدل ، ومن يعمل ويصلح كمن يفسـد ويكسل .

لقد قال بالفعل هذا القول بضع نفر أظلمت نفوسهم ، وفسدت عقولهم ، أما كل من فى نفسه ذرة من ايمان ، او قبس

من عقل ، فهو يعلم ان هذا الوجود حق ، ونواميسه حق ، وان هذه النواميس لا يمكن ان تتوقف ... وعلى رأس هذه النواميس ، ما قدمناه من ان كل فعل لا يمكن الا ان يكون له رد فعل ، ان لم يكن عاجلا فآجلا .

والمؤمنون بالله العادل الرحيم ، لا يتزعزع يقينهم فى أن الثواب والعقاب آتيان لا ريب فيهما ، ان لم يكن فى حياة الانسان فبعد وفاته .

محكمة التاريخ ولعنة الاجيال

وليس ادل على ان العقل يستحيل عليه تصور أمور على غير هذا الوجه ، من ان الماديين الذين لا يؤمنون بالله ، والذين ينكرون ما تقول به الاديان من حقيقة الحساب يوم القيامة ، لا يلبثون ان يخلقوا (الها) من اوهامهم ، ليتولى الحساب والثواب والعقاب ، ويطلقوا على هذا الاله اسم التاريخ ، فيحدثوننا عن التاريخ الذى يقف بالمرصاد ، وعن محكمة التاريخ التى تنصف المظلومين ، وتعاقب الظالمين ، ويتحدثون عن ثناء الاجيال على من يستحقون الثناء ، ولعنتها على الطغاة والمستبدين وكافة المعتدين ، وينسون ان حكاية التاريخ هذه لا تحل المشكلة وان التمسح بها لا يعدو ان يكون سفسطة ومجرد شقشقة، لان التاريخ لا يسجل بين دفتيه الا اعمال المشاهير من الناس ، وهم لا يكادون يعدون على الاصابع فى كل جيل من الاجيال ، حيث تمضى البقية الباقية من البشر ، والتى تعد بآلاف الملايين يلفها الصمت ويطويها النسيان ، مع انه ليس من هذه الملايين من لم يعش حياته ، ويؤدى دوره فى الوجود ، بالاحسان او الاساءة ، بالخير او الشر ، فما هو مصير هذه الملايين التى يغفلها التاريخ ؟

ويبقى ان نسائل هؤلاء الذين يحدثوننا عن محاكم التاريخ ، وعن لعنة الاجيال او شكرها وثنائها ، هل يحس الظالمون والطغاة والمعتدون ، والمسيئون بهذه اللعنات ، وبنتيجة هذه المحاكمة ؟ وهل يفرح المظلومون والصالحون بأحكام التاريخ والاجيال المقبلة بانصافهم ، فان قال الماديون : انهم يحسون ويشعرون ، فقد هدموا نظريتهم المادية من اساسها والتى لا تعترف بخلود الروح بعد فناء الجسد ، ويكونون قد التقوا مع المؤمنين فى حقيقة الثواب والعقاب بعد الموت .

وان قالوا ان الموتى لا يحسون او يشعرون ، فما جدوى التخويف اذن بمحاكم التاريخ ولعنات الاجيال المقبلة او ثنائها ، الحق ان التمسح بحكاية محاكم التاريخ وحكم البشرية ، لا يحل الاشكال ، ولا يشفى النفس مما تجد وتعانى من ظلم لا تستطيع له دفعا ، او خير تعمله ولا تجد عليه جزاء .

وليس سوى الايمان باله عادل رحيم ، يعيد التوازن المفقود فى عالم آخر ، يقول للمحسن أحسنت ، وللمسىء أسأت ، مما يسبغ على نواميس الحياة معنى ، ويبقى الاحساس بالخير والشر ، والصواب والخطأ قائما حيا فى النفوس ، مؤثرا فى تصرفات الناس .

الجنة والنار عند مختلف الشعوب

ومن هنا كانت فكرة الثواب والعقاب، او الجنة والنار ، هى لب سائر العقائد والاديان الانسانية على مر العصور واختلاف البقاع ، يجدها عند قبائل الهنود الحمر وعند الزنوج ، وعند الاسكيمو ، وعند الشعوب المتبربرة والمتحضرة على السواء ، فتراها بأكمل معانيها عند المصريين القدماء وعند السومريين والبابليين والاشوريين ، كما نراها عند اتباع زرادشت وعند الهندوكيين والبوذيين والصينيين والاغريق والرومان على صورة او

الجنة والنار
او الثواب والعقـاب



اخرى ، «١» وتحدثنا الاناجيل عن مملكة السماء ، وعن النار ، اما القرآن الكريم فيحدثنا عن الجحيم والسعير وجنـة عرضها السـموات والارض ، أعـدت للمتقين مما سنتعرض له بالتفصيل عند دراسة الدين الاسلامى .

وبحسبنا الان ان نقرر ، ان الجنـة باعتبارها خاتمة المطاف لمن عمل صالحا فى هذه الدنيا ، فكرة تضمنتها عقائـد واديان كل الامم والشعوب .

جنة الماديين على الارض

حتى الماديين الذين اتخذوا من المادة الها ، لم يستطيعوا ان ينفكوا من هذا التصور ، فحدثونا عن الجنة الارضية ، التى يعيش الناس فيها خالدين ابدا ، بعد ان ينجح العلـم فى التغلب عـلى الامراض والموت ، وحيث يزول القهر والاعنات والحقد فى معاملات البشر ، ولا يكون بينهم سوى المحبة والاخـوة والسلام ، وحيث ينعمون بالخير الوفير العميم .

وهذه الجنة الارضية الموعودة، ليست سوى شقشقة كالتحدث عن محكمـة التاريخ ، فما جدوى التحدث عنها ، اذا لم تكن الاجيال المتحدث بها اليهم هـى التى ستستمتع بها وتنعم ؟ !

والمهم أن فكرة الجنة تلح على عقول البشر ايا كانت عقائدهـم واديانهـم ، سواء آمنوا بالله او لم يؤمنوا ، ولقـد اكدنا من قبل ان استقرار اى فكرة بهذا الاجماع فى نفوس البشر قاطبة ، هـو اقوى دليل على حقيقتها الثابتة ، والا لما عرفت طريقها الى عقول البشر .

العلم التجريبى وموضوع الجنة والنار

ونتسائل كما تساءلنا من قبل ، ما هو موقف العلم التطبيقى الحديث ، مـن موضوع الجنة والنار ، هل ما تكشف لنا منه يقضى على هذه الفكرة او يعززها ، وهل يرجح ما يقول به الماديون من ان الجنة ستكون على الارض ، ام انها فى السماء ، وهل تحوى السماء نارا وسعيرا كهذا الذى تتحدث عنه الاديان .

فأما ان فى السماء جحيما وسـعيرا ضعف ضعف ما وصفته العقائدوالاديان، فقد اصبح ذلك احدى الحقائق العلمية التى لا تحتمل جدلا او شـكا . فـما الشمس التى تشرق علينا الا مخيط من النار والسعير ، وبحسـب الارض ان تقترب منها بعض الشىء لكى يحتـرق كل مـن عليها ، وبحسبها أن تقتـرب أكثر ، لكى تحترق هى نفسها وتتحول الى غازات ، وما الشمس الا احد هذه النجوم التى لا يكاد يحصيها العـد ، والتي يكون أى واحد منها ابعادا من النيران التي لا نتخيلها وسعيرا يرتجف الفؤاد من تصوره .

الفضاء الكونـى والجنة

واليوم وقد بدأ الانسان يضع اقدامه على عتبة الفضاء ، بدأنا نسمع عجبا ونشهد ما هو أعجب ، بدأنا نرى عالمـا يختلف كل الاختلاف عن عالمنا الارضى ، وعن نواميس غير نواميسنا ، فالانسان فى الفضاء يطفو ولا يسقط ، يمشى عـلى جنبه او على رأسه أو على قدميه فى أى اتجاه شاء ، لا يعرف له فوقا او تحتا او يمينا او شمالا ، ولا يحس بالسرعة ولا

البقية على ص ٨٣

(١) أقرأ للمؤلف « كتاب الطاقة الانسانية » تفاصيل الجنة عند مختلف الشعوب .

زورق الأحلام

«الانسان مخير لا مسير ،ولكنه لا يستطيع أن يسير الا فى الطريق الذى رسمه القدر».

للأستاذ : على الطنطاوى

ــ زرت صديقا لى ، من رفاق الصغر، فرأيت ولده منكبا على أوراق له ، يفكر ويكتب ، ثم يمزق ما كتب ، ثم يعود الى التفكر . فقلت لأبيه : ما له ؟

قال : انه مستغرق فى (الانشاء)

قلت : فيم يكتب ؟

قال : فى الموضوع الازلى الذى لا يمل منه مدرسو الانشاء ، ولا يسأمون من ترديده .

قلت : ما هو ؟

فضحك وقال : السؤال الذى يلقى فى كل بلد ، و فى كل وقت ، لا يتبدل بتبدل الامكنة ولا الأزمان . وهو : « ماذا تريد أن تكون فى المستقبل ؟ » .. وسكت لحظة . كأنه يتذكر . ثم قال لى :

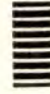
ــ تذكر كم مرة سئلنا هذا السؤال فى المدرسة ؟

قلت : أذكر ، لقد كتبت فيه مرات لست أحصيها . عشرين مرة ؟ ثلاثين ، أكثر من ذلك ! وكنت فى كل مرة أنطلق مع أحلامى أتخيل دروب الحياة وقد فرشت لى بالسجاد الذى تغوص فيه من لينه الاقدام . ثم رشت عليها العطور ،ونثرت فوقها الأوراد والزهور .

لقد طالما تخيلت نفسى هائما فى رياض هذا المستقبل ، انشق ريا عطره ، واجتلى جمال زهره ، وارتع فى خيره المرجى وبره .

تصورت نفسى طبيبا له العيادة الكبيرة ، والزبائن الكثر ، وعشت فى هذا الحلم حتى تخيلت نفسى أرى « اللوحة » علي بابي ، وأمد يدى لألمس « السماعة » فى عنقى .

وتصورت نفسى ضابطا كبيرا ، قد هبطت النجوم من سمائها حتى استقرت



على كتفيه ، ونزل البرق حتى صار يخرج من قرع مهمازيه .

وتصورت نفسى صاحب المزارع الواسعة الشاسعة . والحقول المرعة المزهرة ، أفيق فيها مع العصافير لأتطلع اليها ، أكحل العين فى الأصباح بمرآها .

وتصورت وتصورت ، فأين منى الآن تلك التصورات ؟

لقد أردت لنفسى ، وأراد الله لى ، فكان ما أراد الله لى ، لا ما أردت لنفسى .

كنت من شهور أقلب أوراقا لى قديمة ، أفتش فيها عن وثيقة أطلبها ، فوجدت (ايصالا) هذا نص ما فيه :

المملكة المصرية
دار العلوم العليا
نادى التمثيل والموسيقى

نمرة متسلسلة (٧٠)

وصل من حضرة العضو محمد على الطنطاوى الطالب فى دار العلوم العليا مبلغ ١٠ فقط (عشرة قروش صاغ) قيمة اشتراكه عن شهر أكتوبر سنة ١٩٢٩ .

تحريرا فى ١٥ أكتوبر ١٩٢٩
الخاتم الرسمى
أمين الصندوق
الامضاء (محمد على الضبع)

على الطنطاوى عضو نادى التمثيل والموسيقى ؟!

وتصورت ماذا تكون خاتمة القصة التى بدأت بهذا الايصال لو قدر لها أن تكتمل فصولا .

الى أين كان يصل بى ذلك الطريق الذى وضعت قدمى عليه ، يوم صرت عضوا فى هذا النادى لو أنى تابعت السير فيه حتى بلغت آخره ؟

كنت ابدأ ممثلا فى الكلية ، ثم أعتلى خشبة المسرح ، ثم أدخل فرقة من الفرق ثم يسجل اسمى فى القائمة التى تبدأ باسم (يوسف وهبى) وتنتهى باسم (اسماعيل ياسين) .

فيكون (على الطنطاوى) اليوم ممثلا عجوزا (١) متقاعدا ، يتسكع على أبواب الحانات ، ويعاشر القينات ، ويسهر الليالى ، وينام الايام (٢) ، ويعود بلاصحة ولا مال ، وربما عاد بلا دنيا ولا دين .

ولم يكن يحول بينى وبين هذه الغاية شىء . فالاستعداد لذلك فى نفسى كبير والرغبة فيه شديدة ، وكان يزين لى فأراه يومئذ حسنا ، ولكن الله صرفنى عنه .
وما كان ذلك بعمل منى . ولكن بصنع الله لى .

وفى أوراقى التى وجدت فيها هذا (الايصال) شهادة مكتوبة بالخط الديوانى ولها اطار مذهب الحواشى ، وفى رأسها اسم وزارة الاوقاف ، فيها قرار تعيينى اماما فى جامع رستم فى حى العقيبة فى دمشق .

اى والله ، وتاريخها سنة ١٩٢٤ . أى من ثنتين واربعين سنة شمسية .

انى لانظر الى هذه الشهادة ، وأرجع البصر الى ذلك (الايصال) الذى اصفر لونه ، وبلى ورقه ، وتمزقت طياته ، فارى عجبا . دونه والله ما يشطح اليه خيال القصاص .

من امام جامع ، الى ممثل فى (التياترو)

(١) كلمة عجوز فى الاصل للمرأة ولكنها عمت فى الاستعمال
(٢) اليوم فى الاصل النهار .

ولكن كيف دخلت نادى التمثيل والموسيقى ؟

انى لاتأمل هذا (الايصال) ، فأعود الى أيامى الماضيات الى سنة ١٣٤٧ ،وقد نلت شهادة البكالوريا كما كنا نسميها يومئذ ، أو التوجيهية كما تسمى اليوم وكان الفرنسيون قد أنشأؤها تلك السنة فحملتها وسافرت الى مصر ،فدخلت دار العلوم العليا ، وانتسبت الى الجامعة المصرية وكنت أول سورى يؤم مصر للدراسة العالية فى غير الازهر ، وكنت أحرر فى مجلتى خالى وأستاذى محب الدين الخطيب : المجلة الادبية الاولى فى العالم العربى ــ وهى (الزهراء) والمجلة الدينية الأولى فى العالم الاسلامى . وهى (الفتح)

وأعلنت عمادة الكلية (أو مديرية المدرسة كما كانت تسمى) عن تأليف ناد للتمثيل والموسيقى ، ودعوا من يريد الاشتراك فيه الى طلب الانتساب ،فكنت فيمن أراد .

وجاؤونا برجل (ممثل) يعلمنا التمثيل قصير متحذلق لا أدرى ما صنع الله به ، بعد هذه السنين ، التى قاربت الاربعين ولاازال أذكر اسمه حفظته لغرابته ــ وان كان مكان الاسماء من ذاكرتى قد كثرت فيه الخروق التى لا ترقع .

واختبرنا بجمل نلقيها القاء مسرحيا على أن نعبر عن معانيها بخلجات وجوهنا ، ولهجات حروفنا واشارات أيدينا ــ فلما جاءت النوبة الى ــ وألقيت تلك الجمل دهش هو ومن كان معنا من الطلاب ورأوا شيئا ما كانوا يتوقعونه وشهدوا بأن هذا الشامى . . (ممثل جامد) أى ماهر ، ونعوذ بالله من الجمود . .

ما كانوا يتوقعونه منى ، أما أنا فكنت أتوقعه من نفسى ، لانى كنت قد ألفت من تلاميذى فى المدرسة الابتدائية التى كنت أعلم فيها فى دمشق فرقة للتمثيل ، وكنت اكتب لهم القصة ، وأعلمهم تمثيلها ، وكنت بارعا فى التمثيل .

وما أريد أن أفيض فى سرد القصة ، فلذلك كتاب عنوانه (ذكريات نصف قرن) كتبت منه كثيرا . وبقى على منه كثير .

ولكن اريد بيان العبرة من هذه القصة .

لقد اشتغلت بالتمثيل ، واحترفت الصحافة ، وغصت فى السياسة ، ولكن الله كان يوجه طريق سيرى ، فلم يختر لى من ذلك كله شيئا .

لا ، لا أقول (ان الانسان مسير) ، فانها أضل مقالة قالها الانسان والانسان مخير ، أعطاه الله اليدين ، فهو يستطيع أن يحركهما ليتصدق على السائل ، وأن يحركهما ليضرب البرىء ، ومنحه الرجلين فهو يقدر أن يمشى بهما الى المسجد ليصلى والى الماخور ليفسق .

(جول سيمون) يرد على من يدعى أنه مسير . فيقول له : سأرفع يدى بعد ثلاث دقائق . فهل تراهننى على أننى لا أستطيع أن أرفع يدى ؟ .

ولكن ليس معنى هذا أن الانسان يستطيع أن يتحكم فى الكون ، ولا أن يقرر لنفسه المصير .

الصخرة لا تتحرك ، والسيارة تتحرك ، فنحن لا ننكر حركة السيارة ، ولا (حرية) سائقها فى التوجه بها ، ولكن ليس معنى هذا أن يخترق بها الجبل ، ولا أن يمشى بها على وجه الماء ، ان السيارة تمشى (بحرية) سائقها واختياره ، ولكنها لا تمشى الا على الطريق .

وكذلك الانسان ، ان له حرية واختيارا ، ولكنه لا يستطيع أن يسلك الا الطريق التى تشقها له الاقدار .

انه كراكب الزورق فى البحر ، يوجهه حيث شاء ، ولكن قد تضربه موجة عاتية فتحول وجهته من اليمين الى الشمال ، وكذلك تصنع الايام ، بزوارق الاحلام .

كنت فى مصر ، وقد رسمت طريقى ، وحددت وجهتى : أن أكمل الدراسة

فى دار العلوم ، وأعمل فى الصحافة ، واذا بموجة تلطم صدر زورقى، فتعيدنى الى دمشق ، فأدخل فيها كلية الحقوق وأغامر فى السياسة ، وأقود الطلاب جميعا فى ساح النضال ، وأحترف الصحافة ، فأكتب فى (فتى العرب) عند مؤلف (سيد قريش) وفى (ألف باء) عند باقعة الصحافة فى الشام . ثم أتولى التحرير الداخلى فى الجريدة الوطنية الكبرى ، التى أصدرتها الكتلة الوطنية رافعة لواء النضال للاستقلال .

وكان آخر ما أفكر أن أكون موظفا .

أنا أكون موظفا فى ظل الانتداب ؟ واذا فرض ما لا يكون وقبلت التوظيف (١) فلن أكون معلما ، أنا أصير معلم صبيان .

ولكن هذا الذى كان :

فقد كانت فى سنة ١٩٣١ نكسة وطنية ، بعد انتخابات (٢٠ كانون) أى ديسمبر ، التى قاطعناها ، وسيطر الفرنسيون . وعطلوا الجريدة التى كنت أعمل فيها . فقبلت أن أكون معلما ، لئلا أدع اخوتى بلا طعام .

وضربت موجة أخرى زورقى ، حين اذانى الحاكمون فنقلونى فى أقل من ثلاث سنوات ، بين خمس من القرى ، وآذيتهم بقلمى ولسانى ، فتركت الشام وسافرت الى العراق .

وكان لى فى العراق اخوان ، وكان لى تلاميذ ، منهم من صار رئيس جمهورية (رحمه الله وأبقى فى الرئاسة أخاه) ومنهم من لست أحصى ممن صاروا وزراء ، وصار منهم كبار القضاة ، والقادة والضباط ما كان أحلى أيامى فى العراق ، وسلام منى لا ينقضى على اخوانى وتلاميذى فى العراق .

وصرفتنى موجة الى لبنان ، فعملت فى بيروت سنة ١٩٣٧ وصار من تلاميذى فيها أساتذة فى الجامعة ، وناس من كبار الناشرين وأصحاب المجلات ، وصار منهم رئيس القضاء الشرعى ، ومنهم الشاب العالم الصالح الذى سرنى وفرح قلبى ، أن سمعت من أيام نبأ انتخابه بالاجماع مفتيا للبنان .

وموجة أخرى ، حولتنى الى القضاء ، وما كنت أظن يوما أن سألى القضاء ، ثم عدت بعد أكثر من ربع قرن فى القضاء ، أمضيت نصفها فى (محكمة النقض) ، عدت بعد التقاعد ، مدرسا فى مكة المكرمة بجوار حرم الله .

جرنى الى هذا الكلام كله ، موضوع الانشاء .

فليفكر اخواننا المعلمون ، حين يلقون هذا السؤال ، فيما كانوا يجيبون عليه وهم طلاب .

هل كانوا يريدون أن يكونوا معلمين ، أم كانت لهم غايات ، طالما تطلعوا اليها . وحاولوا بلوغها ؟

وأحلام كبار طالما كانوا يناجونها فى خلواتهم ، ويسامرونها فى لياليهم ويحلمون بها فى يقظاتهم .

وجهوا اليها زوارق حياتهم ، وكل همهم أن يصلوا اليها ، فجاءت موجة فضربت الزورق فحولت طريقه ؟

أما أنا فقد رث زورقى وبلى من طول ما توجه يمينا وتوجه شمالا ، فمر بى على كل بلد فرأيته ، وأطال بى الرحلة فذقت الحلو والمر ، وعرفت المتع واللذاذات ، والمتاعب والالام ، عرفت لذة المال ، ومتعة الشهرة وحلاوة المنصب ، واعجاب الجماهير ، ولو عدت تلميذا الان وسئلت هذا السؤال ، لقلت انه لم يبق لى من الامال الا أمل واحد ، هو أن يرزقنى الله حسن الخاتمة . وان يخلفنى فى أهلى وبناتى ، وأن يرينى قبل موتى بياض النصر للاسلام وأهله ، بعد هذا الليل الذى امتد سواده وعم ، اللهم آمين .

(١) الوظيفة فى الاصل بمعنى الراتب .



فيقول الحجر أو الشجر يامسلم يا عبد الله هذا يهودى خلفى فتعـال فاقتلـه الا الغرقد فانه شجـر اليهود » . ومن الاحاديث ما يدل على انتشار المخترعات التى تنطق بكل شىء حتى يخيل للانسان أن كل شىء يحيط به يتحدث اليه ،فقد روى الترمذى عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « والذى نفسى بيده لاتقوم الساعة حتى تكلم السباع الانس وحتى يكلم الرجل عذبة سوطه وشراك نعله وتخبره فخذه بما أحدث أهله من بعده » ومن الاحاديث ما يشير الى أن الدنيا تنتهى على شرار الناس بعد أن يقبض اللهاليهخيارهم،فقد روى مسلمأن النبى صلى الله عليه وسلم قـال : « سيبعث الله ريحا من اليمن الين من الحرير فـلا تدع احدا فى قلبه مثقال حبة من ايمان الا قبضته « وروى الشيخان البخارى ومسلم : « لا تقوم الساعة الا على شرار الناس » وروى مسلم والترمذى عـن انس رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « لا تقوم السـاعة حتـى لا يقـال فى الارض : الله . الله » ويـدل بعـض الاحـاديـث على أن الدين سيتقلص من اطرافالارض ويستقر بالحجاز . روى الترمذى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان الدين ليأرز الى الحجاز كما تأرز الحيـة الى جحرها وليعقلن الدين من الحجاز معقل الأروية من الجبل . ان الدين بدا غريبا ويرجع غريبا فطوبى للغرباء الذين يصلحون ما أفسد الناس من بعدى من سنتى » ومن الاحاديث ما يدل على عظم أجر المتمسكين بدينهم فى هذه الأوقات التى أشير اليها آنفا ، هذا غيض مـن فيض وقليل من كثير مما ورد عن سيد الخلق فى أحوال آخر الزمان وقد أدركنا بعضه ونعوذ بالله أن ندرك ما بقى منه .

وأما العلامات المباشرة لقيام الساعة فنوردها فى ايجاز كما وردت عنالمحققين من علماء الملة وهى على الترتيب :

١ ـ ظهور المسيح الدجال .

٢ ـ نزول سيدنا عيسى عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام وقتلـه للدجال .

٣ ـ ظهور يأجوج ومأجوج وفىالتنزيل الكريم من سورة الانبياء الآية (٩٦) « حتى اذا فتحت يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون » .

٤ ـ ظهور الدابة قال الله تعالى : « واذا وقع القول عليهم أخرجنا لهـم دابة من الارض تكلمهم أن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون » (الآية ٨٢ من سورة النمل) أما أوصافها وتفاصيل الحديث عنها فعلم ذلك عند علام الغيوب .

٥ ـ خروج الشمس من مغربها ، وقال بعض العلماء انها المرادة بقول الله تعالى « ... يوم يأتى بعض آيات ربك لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت فى ايمانها خيرا » (الآية ١٥٨ من سورة الانعام) والله أعلـم بمراده .

وهذه الاشراط تكلم فيها طويلا ولكن نرى الوقوف عندها كما ورد ، فهى من الغيب الذى لا يعلمه الا اللـه تبـارك وتعالى ، نسأله سبحانه السلامة مـن شرور الدنيا وأن يهيىء للمسلمين من أمرهم رشدا .

هل لماضي المجد

دها فيلق الإسلام غُلْبَ الفَيَالِق ببدرٍ ، فعمَّ النورُ أُفْقَ المَشَارِق
وحطَّم صَرْح الكفْرِ في عُنْفُوانِه وألقى به من حالقٍ بعد حَالِق
وكَرَّ عليهم كَرَّةً لَم تَدَعْ لَهُمْ سوى أروُس مطمورةٍ في الخنادق
وإلا أديماً خَضَّبَ الدمُ ساحَهُ كأن روضة حُفَّت بأزهى الشقائق
تلاقي به دمعانِ : دمع مُسارِعٍ يفر ، ودمعٌ من طريح مُفَارِق
والا طيورا قد أَدَبْنَ موائداً مطاعمها فيها لحومُ الخلائق !
وأفْقاً تسامَى النَّقْعُ فيه مَوَاكباً حَدَاها أنينٌ من نفوسٍ زواهق

* * *

وفَرَّتْ فلُول الكفر تَسْحَبُ رُعْبَها كما ارتعب العصفورُ خيفة بَاشِق
وما حمل الأرماح إلا قلوبهم تجيش بإيمانٍ على الهَوْلِ صادق
وما هى حربٌ بل جدال يَشُبُّه وقوفُ أباطيلٍ بوجهِ حقائق

عودٌ لأهله؟

الاستاذ
العوضى الوكيل

به انطلقت في الشرق أجنادُ خالدٍ ... وكَرَّتْ به في الغربِ أجنادُ طارق

***

قفَا نبكِ من ذكرى الليالى السوابقِ ... ونقرنُ ما أفنى الزمانُ بما بَقِى
ليالىَ كان المسلمونَ أعزَّةً ... عواتقهم بالمجد أعلى العواتق
بأيديهمُ حكمُ الزمانِ ، وإنّما ... طرائقهم في الحكم أسْمى الطرائق
ألا يارعاةَ الشاءِ في فلَوَاتِهَا ... ومُنْتَجِعِى فَيْضَ الغيوث الغوادق
غدَوْتُمْ بما آتاكمُ وحىُ احمدٍ ... ، من الدين والدنيا ، رُعاةَ خلائق

***

ألا هل لماضى المجد عودٌ لأهله ... ورُجْعَى إلى العزّ القديم المُفَارق
وما المجدُ بالنائِى إذا صدقت له ... عزيمةُ دفّاع إلى الهول صادق
تيقظت الأحداث فاستَيْقِظُوا لها ... بهمةِ صوّالٍ ، وغضبةِ حانِق

من أُسسْ قضيّة المرأة

للاستاذ
البهى الخولى

١ مع الماضيْ

— ١ —

مما يدعو للاعتزاز والفخر أن نرى الاحكام والحقوق التى جاء بها الاسلام لتقرير مكان المرأة فى الحياة وانصاف انسانيتها وأهليتها تتأيد على ضوء ثقافة عصرنا وأوضاعه ، وما تسفر عنه — كل آن — تجاربه فى حلو الحياة ومرها، ورشدها وغيها ، حتى أنها لتقابل اليوم من المنصفين ذوى التقدير العميق والثقافة العالية بأصدق التأييد والرضا .. ولكن مما يجلو فضل تلك الاحكام والحقوق ، ويضيف الى الاعتزاز والفخر بها وجدان العجب بتقدميتها وأصالتها أن ننظر اليها على ضوء الحقبة التي ظهرت فيها

بين يدى هذه السلسلة

كنا قد كتبنا للاستاذ الفاضل أن يوافينا ببعض بحوثه التى يمنع بها قراءة الكثيرين فارسل الينا ـ مشكورا ـ بواكير هذا البحث الذى سنقدمه لك مسلسلا حتى تتم جوانبه وأرسل لى معه رسالة رأيت أن أشركك معى فى قراءتها لتعيش مع الكاتب وفى جوه الذى آثر من أجله أن يجعل هذه الناحية المهمة موضوعا لبحثه .

قال الأستاذ فى رسالته :

((جاء خطابك وأنا فى شغل بأزمة وجدانية أتألم فيها لحال الفتاة المسلمة فى كل مكان ، فان مصاريع التحول أو التطور تنفتح أمامها حيث كانت للانطلاق الى ما تشاء من الآفاق ، بلا قيد ولا شرط ، مع توتر يضيق أو يتطير بأقل معارضة ، ولا يرى فى أقوال الناصحين المشفقين الا الجمود والرجعية ، ومعارضة سنن التطور .. الخ .. وقد نظرت فيما درست أو تدرس من مناهج الدين فلم أجد الا أشياء سطحية ، لا تملأ فكرا ، ولا تستولى على عاطفة ، علاوة على بعدها كل البعد عن القضايا التى تتعلق بتطورها ، ووجدت أن مرجعها أو مصدرها الذى تتلقى منه التوجيه فى تلك القضايا هو المجلات الاسبوعية ، وملحقات الصحف اليومية التى تخصصها للمرأة ، والمعروف أن رائد محررى تلك الصحف هو تقليد المرأة الغربية ، اذ هى مثلهم الاعلى الذى يتلقون عنه مقتضيات التطور .. وأحسست أن محنة تلك الفتاة تقتضى تقديم لون من الادب النسوى ، لا هو بالفقه البحت الذى تتولاه الدراسة المنهجية ، ولا هو بالاجتماع المدنى الصرف الذى لا يتقيد فيه كاتبه بغير تقديره الشخصى .. والدين هو معيار العقل ، والحكم الصادق فى كل ما تعرض له .. وللفتاة عقلها وضميرها ، فلعلها أن تجد فى هذا اللون الذى يعالج قضاياها ما يرضى عقلها وضميرها ، ويصلها بدينها ويخفف من غلواء التطور المندفع .. ودعانى ذلك أن أقرأ .. وأن أبحث وأن أحضر مادة الموضوع ، وساعدنى القرآن الكريم كلام الله الثمين ، عباب المعارف ، وكنز دقائق المعانى ، وخفى الإشارات والسنن .. وفيما أنا فى جهد التجميع وأسى الوجدان الملتهب جاء خطابك ، فلم تكن هناك فرجة لخيار أتردد فيه بين ما أكتب وما لا أكتب .. وقلت : انا ما زلنا فى مفتتح عام دراسى، فلعل أساتذة مدارس البنات فى الكويت وغير الكويت يجدون فى بعض ما نكتب شيئا يصلح تقديمه لفتياتهم على سبيل أن شيئا خير من لا شىء .

ورأيت أن أقسم قضايا المرأة الى قضايا تتعلق بوصفها العام الذى تشترك فيه مع الرجل ، وهو وصف الانسانية .. وقضايا تتعلق بوصفها الخاص الذى تنفرد به عن الرجل وهو وصف الأنوثة .. وقضايا لم يكن لها مجال الا أن رغبة المرأة الجامحة فى منازعة الرجل كل شاراته فرضتها على البحث ، كعمل التكسب فى الخارج بمختلف المهن ، والمؤسسات والدواوين ونحوها .. وهى قضايا يجب أن تقرر سنن الله فيها ، ((معذرة الى ربكم ولعلهم يتقون)) .

منذ أربعة عشر قرنا ، اذ تفاجىء الناس حدثا عجيبا يهز تقاليدهم وأوضاعهم ، ويثير دهشتهم وحيرتهم لمخالفة ما ألفوا من وضع المرأة بينهم وتقديرهم لشأنها ، فانه اذا كان النظر لاحكام تلك القضية على ضوء ثقافة عصرنا وأوضاعه تؤكـد صلاحيتها ، فان النظر الى ظهورها حدثا عجيبا فذا فى مخالفة مشاعر النـاس

وتقاليدهم وطبيعة نظرتهم للحياة عامة فى العالم كله لا فى جزيرة العرب وحدها ، هو نظر يؤكد أصالة تلك الأحكام ، وأنها من حكيم حميد ، فان نظر المصلح مـن البشر ــ المحدود بأوضاع قومه ، ومن ورائها أوضاع عصره كافة ــ لا يبلغ فى حكم الطبيعة البشرية من عمق التغيير والرؤية حد المخالفة الكلية فضلا عـن



اصابة الحقيقة الخالدة التى لا تتغير بتغير العصور والبيئات .. ولذا رأينا أن نبدأ تلك السلسلة عن قضايا المرأة بنظرة عاجلة الى الماضى . ترسم اطارا موجزا يجمع من الملامح ما يكفى للحكم على صورته .

– ٢ –

وحين نقرأ تاريخ الانسان أو قصة حضارته، نراها تجارب قاسية متواصلة، فيها عناصر من البداوة ، والجهل ، والقلق ، والخوف ، والأنانية ، والرغبة فى العدوان والعلو .. تجارب اذا انتهى فيها من مصارعة الوحوش ومنازلة السباع ، فرغ لمنازلة أخيه الانسان ، وفتح لذلك صفحة بل صفحات آسية دامية من الحروب والغارات للسلب والغصب والنهب ، واسترقاق الرقيق وسبى الذرارى ، ليكونوا فى خدمة الغالب. خدمة بيئته، وأرضه ،وسائمته، وسائر علمه .

ولسنا بصدد استيفاء ملامح هذه الأطوار البعيدة وما كان فيها من تجارب مرة قاسية ، ولكنا نسأل . أيلام الانسان اذا هو رتب حياته – يوم ذاك – وأقام أوضاعه الاجتماعية على ما يلائم تلك الظروف ، ويقتضيه ما هو مفروض من احتمالات الغزو ، أو مفاجأة غارات السلب والنهب والسبى والاسترقاق ؟

أيلام – مثلا – اذا خرج لغارة أو مدافعة عدو ، أن يعفى منها الحامل والمرضع ومن فى حكمهن من ضعيفات النساء ؟ .. أو يلام اذا اجتمع من شهد المعركة لتقسيم الاسلاب والغنائم دون استدعاء النساء ؟ وهل يلام اذا جمع المقاتلين من أبناء القبيلة ليتداولوا الرأى فى تدبير ما يريدون من غزو ، أو احباط ما يتوقعون من غارة دون أن يشرك المرأة فى هذا التدبير ؟ .. ولأى المولدين يفرح ذلك الانسان البعيد ، مولد الولد الذى يركب الفرس ، ويحمل السلاح ، وينازل العدو ، أو مولد الأنثى التى لا غناء لها فى شىء من ذلك ، فضلا عن أنها عبء فى المعركة وحرمة تستوجب الدفاع ؟

ان عاملين خطيرين حددا للمرأة مكانها فى العصور القديمة . أحدهما انها انثى أعدتها الطبيعة القاهرة لأداء مهمة معينة .. والآخر مقتضيات الحياة التى دعت اليها مواريث البداوة والتوحش التى كانت لا تفتأ تثير فى الرجل مختلف الأطماع ، وتحضه على دوام الغارة ، وفخر الغلبة ، ونشوة الظفر والاستعلاء .

لقد كان لهذين العاملين أثرهما الحاسم فى رسم الوضع الاجتماعى للمرأة ابان العصور الأولى لحضارة الانسان .. فلما قطع من مراحله الحضارية ما قطع ، وصار له فى كثير من الجهات دول ذات قوانين ونظم فى الحرب والسلم ، كانت مقتضيات الحياة القديمة – حياة الغزو والسلب والنهب – قد استحالت تقاليد راسخة ، ومواضعات تخطط آداب الشعوب والقبائل ، وتعين معاقد مجدها وفخرها ومنعتها .. أى صارت عنصرا أصيلا من العناصر التى تكون الاطار العام لحضارته .. وفى نطاق هذا الاطار عاشت المرأة واتخذت وضعها الاجتماعى الذى نعرض فيما يأتى بعض معالمه .

– ٣ –

أ – ففى الصين كانت المرأة تحتل فى المجتمع مكانة هينة ، ولقد كتبت احدى سيدات الطبقة العليا بالصين رسالة قديمة تصف فيها مركز المرأة ، فكان مما جاء فيها . « نشغل نحن النساء آخر مكان فى الجنس البشرى ، ويجب أن يكون من نصيبنا أحقر الاعمال ، » .

ومن أغانيهم . « الا ما أتعس حظ

المرأة . ليس فى العالم كله شىء أقل قيمة منها ، ان الاولاد يقصد الذكور ـ يقفون متكئين على الأبواب كأنهم آلهة سقطوا من السماء ، أما البنت فان أحدا لا يسر بمولدها ... واذا كبرت أختبأت فى حجرتها تخشى أن تنظر فى وجه انسان ، ولا يبكيها أحد اذا اختفت من منزلها (١) .

ب ـ وفى الهند نجد فى أساطير مانو أن مانو « عندما خلق النساء فرض عليهن حب الفراش ، والمقاعد ، والزينة ، والشهوات الدنسة ،والغضب، والتجرد من الشرف ، وسوء السلوك .. فالنساء دنسات كالباطل نفسه وهذه قاعدة ثابتة » (٢) ... وفى تشريع مانو . « أن الزوجة الوفية ينبغى أن تخدم سيدها ـ زوجها ـ كما لو كان ألها ، والا تأتى شيئا من شأنه أن يؤلمه حتى ان خلا من الفضائل ... وكانت المرأة بناء على ذلك كله تخاطب زوجها فى خشوع قائلة . يا مولاى .. وأحيانا . يا الهى ... وتمشى خلفه بمسافة ، وقلما يوجه اليها هو كلمة واحدة .. وكانت لا تأكل معه بل تأكل مما يتبقى منه » (٣) .

جـ ـ أما فى اليونان القديمة ، فيكفى أن المرأة فى العصر الذهبى لم يكن لها أى دور فى حضارته ، اذ كانت معزولة عن المجتمع ، تعيش فى أعماق البيوت على أنها سقط المتاع ، حتى كان من مفكريهم ومؤرخيهم الكبار من ينادى . « يجب أن يحبس « اسم » المرأة فى البيت ، كما يحبس جسمها » (٤) ... وكان ينظر الى الزوجية على أنها « وظيفة » لاستيلاد الأطفال ، لا تعلو كثيرا عن « وظيفة » الخدمة فى البيوت ... ولم يكن من الأوضاع المألوفة أن تكون الزوجة موضع حب أو معاطفة ، فان لتلك المشاعر مجالا آخر يصوره ديموستين خطيبهم المشهور بقوله . « اننا نتخذ العاهرات للذة ، ونتخذ الخليلات للعناية بصحة أجسامنا اليومية ، ونتخذ الزوجات ليلدن لنا الابناء الشرعيين » .. وعلى هذا كانت الزوجة تنتقل من بيت أهلها لا لتكون سيدة البيت فى بيت زوجها ، بل لتؤدى فيه ـ الى جانب الخدم ـ وظيفتها فى استيلاد الاطفال وحضانتهم ..

د ـ وفى الحضارة الرومانية ـ فى عهد الجمهورية الأول ـ كان رب الأسرة هو رئيسها الدينى ، وحاكمها السياسى ، ومديرها الاقتصادى ، فاليه ترجع الحقوق كلها ، فهو الذى يملك ، وهو الذى يبيع ويشترى ، ويتعاقد ويتصرف فى كافة شئون أسرته .. أما المرأة فلم يكن لها الى جانبه شىء ، اذ لم يكن لها أهلية أو شخصية قانونية ، فقد كان القانون يعتبر « الأنوثة » سببا أساسيا من أسباب انعدام الأهلية ، كحداثة السن ، والجنون (٥) ... ولقد

---

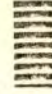
(١) ٢٧٣/ حضارة الصين ـ ول ديو رانت ترجمة محمد بدران

(٢) ٣٩٤/ تاريخ العالم « ترجمة الادارة الثقافية بوزارة المعارف سابقا

(٣) ١٧٩ ؛ حضارة الهند ـ ول ديورانت/ترجمة الدكتور زكى نجيب محمود

(٤) ١١٤ ، ١١٧ حياة اليونان ـ ول ديورانت ترجمة محمد بدران .

(٥) ١٩٧ ، ٢٤١/مبادىء القانون الرومانى للدكتور محمد عبد المنعم بدر ، والدكتور عبد المنعم البدراوى



بلغ من ذلك أن البائنة المالية « الدوطة » التى كانت تنتقل بها المرأة من بيت أهلها تصير ملكا خالصا لزوجها بمجرد تحولها اليه .. ولم يكن لها أن تظهر فى المحكمة ، ولو شاهدة ..

ولقد عرف الرومان نوعا من الزواج اسمه « الزواج مع السيادة ، وبه تدخل المرأة فى سيادة زوجها ، وتصير فى حكم ابنته ، وتنقطع صلتها بأسرتها الأولى ، ولقد بلغ من سيادة زوجها عليها أنها كانت تحال اليه اذا ما اتهمت بجريمة ليحاكمها ويعاقبها بنفسه ، وكان له أن يحكم عليها بالاعدام فى بعض التهم كالخيانة مثلا ... وكان اذا توفى عنها زوجها ، دخلت فى وصاية أبنائها الذكور ، أو اخوة زوجها ، أو اعمامه » .

هـ ــ والعرب كانوا لا يرحبون بميلاد الأنثى ، وذلك من الأمور الطبيعية فى مجتمع قبلى لا تهدأ فيه الغارات ، ولا تسكن خصومة الثأر ، وكان الرجل هو صاحب الغناء والبلاء فى تلك الحروب التى يعلو بها شأن القبيلة أو يخفت ، أما الأنثى فلا غناء لها فى هذا المجال ، علاوة على أنها فى نظر العدو غنيمة مطلوبة للخدمة أو للاستمتاع ، فيضاعف ذلك على رجال قبيلتها عبء الصيانة والمدافعة خوف ما يلحقهم من عار اذا وقعت سبيا ذليلا فى يد العدو .. وكان الرجل فى بعض القبائل اذا ولدت له الأنثى عراه الغم الشديد ، وأخذ يعالج الأمور فى نفسه . أيبقيها على مضض ومهانة أم يتخلص من عبئها وعارها فيقتلها أو يدفنها حية فى التراب ؟ . ، وكثيرا ما كان يلجأ الى التصرف الأخير ، وهو ما أشار اليه القرآن الكريم بقوله . « واذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم . يتوارى من القوم من سوء ما بشر به أيمسكه على هون أم يدسه فى التراب ألا ساء ما يحكمون » (١) .. وكان الرجل من العرب اذا مات عن زوجته ، قام أكبر أبنائه ، فاذا كانت له بها حاجة طرح عليها ثوبه فصارت حقا له بدون اذنها (٢) .

و ــ ومع أن اليهودية دين سماوى فان مواريث البداءة دعت بعض طوائفهم الى أن يعتبروا البنت دون مرتبة أخيها ، وهبطوا بها حتى سووها بالخدم ، وكانت لا ترث مع أخوتها الذكور .. وكان لابيها أن يبيعها وهى طفلة أو دون البلوغ ..

ز ــ أما المسيحية فقد غلا رجال الكنيسة فى اهدار شأن المرأة ، وهم دعاة شريعة الحب والرحمة ، فكانوا يقولون للنساء قولا له وزن الشرع المقدس . « انه أولى لهن أن يخجلن من أنهن نساء ، وأن يعشن فى ندم متصل جزاء ما جلبن على الارض من لعنات ، فكانت تعاد بهذا نفس العبارات التى قالها « مانو » فيهن ، وهى أن النساء

---

(١) الايتان/٥٨ ، ٥٩ من سورة النحل .

(٢) جـ٢ ص٥٢ من بلوغ الارب للألوسى ، جـ٣ ص٤٢وما بعدها من المرجع نفسه ، ويراجع أيضا تفسير ابن كثير والكشاف للزمخشرى فى الآيتين السابقتين من سورة النحل .

باب للجحيم ، وأنهن الخطيئة مجسمة ، وقد ذهب البعض الى أبعد من هذا ، فزعموا أن أجسامهن من عمل الشيطان .. وأنه يجب أن يلعن النساء لأنهن سبب الغواية ، وكان يقال . ان الشيطان مولع بالظهور فى شكل انثى «(١)» ... غلا رجال الكنيسة الى هذا الحد حتى كان من موضوعاتهم التي يتدارسونها :

هل للمرأة أن تعبد الله كما يعبده الرجل ؟

هل تدخل الجنة وملكوت الآخرة ؟ .

هل هى انسان له روح يسرى عليه الخلود ؟ أو هى نسمة فانية لا خلود لها ؟

– ٤ –

تلك ملامح أو معالم موجزة تعطينا حكما صادقا عن الوضع الاجتماعى للمرأة فى البيئات القديمة المتحضرة متدينة وغير متدينة .. ويمكن مما تقدم أن نلخص الأخطاء القديمة فيما يأتى .

١ ـ أن انسانيتها لم تكن موضع اعتبار لدى الرجل ، فلم يكن لها جهد معلوم أو دور مقرر تسهم به فى تنظيم المجتمع .. وما كان يجوز أن يستصحب الانسان تقاليد بداءته ، ويدع لها أن تسهم فى تخطيط حضارته حتى يكون من تأثيرها أن تفرض للمرأة الوضع الذى قدمنا ، وقد رأينا كيف هبط بها بعضهم حتى كانوا يتدارسون فيما بينهم . هل المرأة انسان له روح ، أو هى حيوان نجس لا روح له .

٢ ـ انها لم تكن لدى كثيرين أهلا للتدين والتخلق بالفضيلة ، وقد رأينا « مانو » يجردها من شرف السلوك ، ورأينا غيره يتابعه على ذلك ، ويتشكك فى أهليتها لعبادة الله ...

٣ ـ انعدام المساواة بين الابن والبنت فى نطاق الأسرة ، كما رأينا لدى العرب وقدامى الصين .. وانعدامها بين الزوج والزوجة كما رأينا لدى الهنود .

٤ ـ اهدار شخصيتها القانونية ، أو أهليتها للتصرف الاقتصادى ، اذ كانت غالبا لا تملك ، ولا ترث ، ولم يكن لها دور فى بيع أو شراء أو شركة أو نحوها من الشئون الاقتصادية والاجتماعية ، وقد رأينا كيف كان القانون الرومانى يعتبر « الأنوثة » سببا أساسيا من أسباب انعدام الأهلية ..

وقد نستطيع أن نجمل تلك الأخطاء فى خطأ واحد ، هو أن « انسانيتها » لم تكن محل اعتبار لدى الرجل ، اما لجحود تلك الانسانية وتجريدها منها بتة ، واما لأحساسهم بأن مهمات الحياة لا تقتضيها دورا أساسيا تسهم به فى المحيط العام . والمقرر أن أنوثة المرأة ـ مع مقتضيات الحياة البدائية التى أشرنا اليها ـ كانت السبب المباشر فى تسلسل تلك الأخطاء وتطورها الى الوضع الذى عرضنا بعض ملامحه .. ولهذا كان من حكمة الاسلام وأصالته أنه حين عرض لتقرير مكان المرأة فى الحياة عرض له على أساس الواقع من تقويمها ، أو تكوينها الفطرى الجامع لخصائصها الروحيه والحسية ... فأعلن انسانيتها التى تستوى فيها مع الرجل ، وأعلن وصفها الخاص الذى تنفرد به عنه باعتبارها انثى .. وفى تشريعه لكل من هذين الوصفين لم يقصر بها عن الوضع الذى قررته الفطرة لانسان ، ولم يجاوز بها المدى الذى رسمته الطبيعة لانثى .. على النحو الذى سنوجزه فيما يأتى ان شاء الله .

---

(١) تاريخ العالم ترجمة وزارة المعارف المصرية .

مشكلة القضاء والقدر

أو مسألة الجبر

تتضمن المشكلة دراسة وتحديد :

أ ـ الصلة بين ارادة الله العامة الشاملة ، والارادة الانسانية .

ب ـ الصلة بين القدرة الالهية العامة الشاملة والقدرة الانسانية ، أو بعبارة أخرى بين قدرة الله وأفعال العباد ، فهل أفعال العباد مخلوقة لله تعالى أو هى من خلقهم واختراعهم .

ان التفكير فى مشكلة الجبر والاختيار ظاهرة نفسية عامة ، تميز حياة الجماعات المتدينة فهما ظاهرتان متلازمتان لكل جماعة ذات عقيدة دينية ، فاذا عثر المؤرخ الدينى على احداها فى جماعة متدينة فلا بد أن يعثر عند التفتيش فى اعتقاداتها على الظاهرة الاخرى .

والواقع أن هذه المشكلة من أعقد المشاكل التى عرضت للعقل الانسانى ، وحار فيها الفلاسفة وعلماء الكلام قديما وحديثا ، فقد أثارها الفلاسفة اليونان فكان بعضهم (كالأبيقوريين) يرى أنه « لا يوجد هناك قدر ولا قدرة تضمر للانسان شرا ولا خيرا ، وارادة الانسان لا ترتبط بقدر يسيرها فى جبرية لا تقبل تغييرا » وبعضهم (كالرواقيين) كان يرى « أن الاحداث تجرى على اساس خطة لا يمكن للانسان أن يغيرها ، وانما عليه أن يتبع ارادة القدر » ، وكذلك كان الامر فى اليهودية ، فقد دار النقاش العقلى فيها حول القدر والجبر والاختيار ، فمال (القرائيون) منهم الى القول بالجبر أو القدر ، وصار (الربائيون) الى القول بالاختيار . أما فى المسيحية الشرقية فكانت النزعة الغالبة على أهلها القول بحرية الارادة الانسانية ، فكان يوحنا الدمشقى من أوائل الفلاسفة الدينيين الذين ميزوا بين الافعال الاختيارية التي يأتيها الانسان بمحض ارادته واختياره وبعد التفكير والتروى ، وبين الأفعال الاضطرارية الجبرية التى يأتيها الانسان مكرها وبتأثير قوة خارجية ، ومع ذلك فان (اليعاقبة) من المسيحيين الشرقيين مالوا الى الجبر ونفى الارادة الانسانية والحرية .

أما فى الاسلام ، فقد أثيرت المشكلة أيضا واختلف الناس حولها ، والذى دعاهم الى الاختلاف ـ كما يقول ابن رشد ـ ان الأدلة العقلية متباينة ، وظواهر نصوص القرآن تبدو وكأنها متعارضة .

فاذا قلنا ان ارادة الله ومشيئته شاملة لكل ما يحدث فكيف يشاء الشر ، واذا قلنا ان ارادته لا تتوجه الا الى الخير ، وجب القول بأن هناك أفعالا تجرى على غير مشيئته ولا اختياره ، فكيف يكون الها .

ومثل هذا الخلاف فى ارادة الله ، الخلاف فى قدرته .

فمن ناحية نرى أن الله تعالى يطالب الناس بالعمل ويدعوهم اليه ويأمر وينهى ويثيب على



الدكتور / عرفان عبد الحميد
كلية الشريعة / بغداد

والاختيار في الإسلام

فعل ما أمر ويعاقب على الاتيان عما نهى ، فكيف يعقل بعد ذلك أن نقول ان الانسان مجبور مسير لا أثر لقدرته أصلا ، اذ لو لم تكن له قدرة لما كان معنى للطلب ولما كان معنى للثواب والعقاب ، ولكان التكليف تكليفا بالمحال ، ولحق اعتراض المعترض بأنه لم يفعل ما فعل من شر حتى يستحق اللوم والعقاب .

ومن ناحية أخرى ، اذا قلنا ان العبد خالق أعماله ترتب عليه ونتج عنه تحديد قدرة الله وأنها غير شاملة ، وأن العبد شريك لله تعالى في ايجاد هذا العالم ، في حين أن العقل يقضي أن الشيء الواحد لا تتعاون عليه قدرتان ، فاذا كانت قدرة الله هي التي خلقت الفعل ، فلا شأن للانسان فيه ، وان كانت قدرة الانسان هي التي خلقت فلا شأن فيه لقدرة الله تعالى ، ولا يمكن أن يكون بعض الفعل بقدرة الله وبعضه بقدرة العبد ، لأن الشيء الواحد لا يتبعض .

أما ظواهر نصوص الكتاب والسنة ، فمنها ما يستخلص منها أن الانسان حر في اختيار أفعاله مسئول عنها ، من ذلك قوله تعالى .

١ ـ « كل نفس بما كسبت رهينة » وقوله تعالى « لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت »

٢ ـ « من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها »

٣ ـ « وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر » .

٤ ـ « انا هديناه السبيل اما شاكرا واما كفورا » .

٥ ـ « قد جاءكم بصائر من ربكم فمن أبصر فلنفسه ومن عمى فعليها » .

أما الآيات التي يفهم من ظاهرها الجبر ، ومن أن الأمور تجرى بقدر من الله تعالى فمنها .

١ ـ « انا كل شيء خلقناه بقدر » وقوله تعالى « وكل شيء عنده بمقدار » .

٢ ـ « ما أصاب من مصيبة في الارض ولا في أنفسكم الا في كتاب من قبل أن نبرأها ان ذلك على الله يسير » .

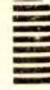
٣ ـ « قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا هو مولانا » .

٤ ـ « كذلك يضل الله من يشاء ويهدى من يشاء » .

٥ ـ « ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها ولكن حق القول منى لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين » .

٦ ـ « قل فلله الحجة البالغة ، فلو شاء لهداكم أجمعين » .

٧ ـ « قال صلى الله عليه وسلم . لا يؤمن أحدكم حتى يؤمن بالقدر خيره وشره » .



٨ ـ وقال أيضا « الشقى من كان شقيا فى بطن أمه والسعيد من وعظ بغيره » .

٩ ـ « ان الله خلق للجنة أهلا ، خلقهم لها وهم فى أصلاب آبائهم ، وخلق للنار أهلا خلقهم وهم فى أصلاب آبائهم » .

تاريخ تطور المشكلة فى الاسلام

مر النقاش العقلى لمشكلة الجبر والاختيار بمرحلتين .

المرحلة الاولى

وهى الفترة التى اتخذ التفكير فيها صورة شبه عارضة ، كانت تساور نفوس البعض من الصحابة ولدتها ظواهر النصوص المتعارضة ، وما يلاحظ من تناقض بين قدرة الله المطلقة وبين حرية الانسان فى أعماله ومسؤوليته عنها . فقد أورد البخارى فى صحيحه « كتاب التفسير » ، أن النبى صلى الله عليه وسلم سمع جمعا من الصحابة يتباحثون فى القدر فخرج مغضبا يعرف الغضب فى وجهه ، حتى وقف عليهم فقال . « أى قوم . بهذا ضلت الامم قبلكم باختلافهم على أنبيائهم وضربهم الكتاب بعضه ببعض ، ان القرآن لم ينزل لتضربوا بعضه ببعض ، ولكن يصدق بعضه بعضا فما عرفتم منه فاعلموا به ، وما تشابه عليكم فآمنوا به » . ويروى أيضا أن شيخا من أتباع على رضى الله عنه سأله عند انصرافه عن وقعة « صفين » أكان المسير بقضاء الله وقدره . فقال عليه الصلاة والسلام « والذى خلق الحبة وبرأ النسمة ، ما هبطنا واديا ولا علونا قلعة الا بقضاء وقدر . فقال الشيخ ، عند الله أحتسب عنائي ، مالى من الاجر من شىء . فقال على . بل عظم الله لكم الأجر فى مسيرتكم وأنتم سائرون ، وفى منقلبكم وأنتم منقلبون ، ولم تكونوا فى شيء من حالاتكم مكرهين ولا اليها مضطربين . فقال الشيخ . فكيف ذلك والقضاء والقدر ساقانا ، وعنهما كان مسيرنا ؟ فقال على . لعلك تظن قضاء واجبا وقدرا حتما ، ولو كان كذلك لبطل الثواب والعقاب وسقط الوعد والوعيد ، ولما كانت تأتى من الله لائمة لمذنب ، ولا محمدة لمحسن ، ولما كان المحسن بثواب الاحسان أولى من المسىء ، ولا المسىء بعقوبة المذنب أولى من المحسن ، تلك مقالة اخوان الشياطين ، وعبدة الأوثان ، وخصماء الرحمن ، وشهود الزور، وأهل العماء عن الصواب فى الأمور ، هم قدرية هذه الامة ومجوسها . ان الله أمر تخييرا ، ونهى تحذيرا ، ولم يكلف جبرا ، ولا بعث الأنبياء عبثا « ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار » . فقال الشيخ . وما ذلك القضاء والقدر اللذان ساقانا فقال . امر الله بذلك وارادته .

ويروى أن رجلا قال لابن عمر ـ رضى الله عنهما ـ « ظهر فى زماننا رجال يزنون ويسرقون ويشربون الخمر ويقتلون النفس التى حرم الله ثم يحتجون علينا ويقولون كان ذلك فى علم الله ، فغضب ابن عمر وقال . سبحان الله ، كان ذلك فى علم الله ، ولم يكن علمه ليحملهم على المعاصى .

من هذا يظهر أن النقاش فى مرحلته الاولى ، كان يتميز مظاهر منها .

أ ـ اثبات قدر الله ، بمعنى علمه الأزلى بما سيكون من شؤون خلقه .

ب ـ ان علمه الأزلى لا يتضمن الاجبار ولا يعنى الاكراه والاضطرار ، فلا يصح أن يكون تبريرا للشر والقائه على الله سبحانه وتعالى .

ج ـ ان التفكير فى الجبر والاختيار ـ بهذا الاعتبار ـ تولد عن أسباب داخلية من ذات الاسلام، ونشأ من جراء التعمق فى التصور الدينى ، أى نشأ ـ كما يقول كولدزيهر ـ عن التقوى لا عن حرية التفكير .

د ـ ان التفكير فى المشكلة بهذا الاعتبار ليس وقفا على بيئة دينية معينة ولا جماعة انسانية خاصة ، بل ذلك من القدر الانسانى العام ، الذى يوجد فى كل جماعة متدينة .

المرحلة الثانية

وفيها اتخذ النقاش العقلى فى الموضوع صورة مذاهب ، له ناس يعتنقونه ويدعون اليه ويوضحونه للناس . والمشكلة بهذا الاعتبار قد اختلف الباحثون فى سبب ظهورها الى فئتين .

١ ـ فئة ترى أن النقاش الفكرى حول القضاء والاختيار تولد عن سبب خارجي ، وتربط ذلك السبب بالمسيحية الشرقية . ومن أوائل من قال بهذا الرأى المستشرق الالمانى فون كريمر الذى يقول ((ان حركة القول بانقدرة الانسانية فى خلق الافعال نشأت بتأثير من تعاليم الكنيسة الاغريقيه وآراء أساتذتها وخاصة يوحنا الدمشقى وتلميذه تيودور أبو قره)) . ويقول ماكس هورتن ((كانت العقيدة المسيحية فى الشرق تؤكد قبل كل شىء الاختيار الانسانى ومسئولية الانسان الكاملة فى تصرفاته .. ولما كانت أدلة هذا الرأى مقنعة للمسلمين الأحرار ((رجال المعتزلة)) رأوا من أنفسهم لا محالة اتباعه ووجوب الاخذ به ، لأجل هذا نشأت فكرة الاختيار فى المدرسة العقلية من مدارس علم العقيدة الاسلامية)) ويؤيدهم فى هذا جمع كبير من المستشرقين أمثال . نللينو الايطالى ، دى بوير الهولندى ، بيكر الالمانى ، ونيكلسون الانجليزى .

ويؤيد هذا الرأى بعض كتاب الفرق الاسلاميين. فيذكر المقريزى فى كتابه ((الخطط)) أن أول من تكلم بالقدر فى الاسلام هو معبد الجهنى الذى أخذه عن نصرانى يقال له أبو يونس سنسويه ويعرف بالأسوارى)) . ويروى ابن نباتة فى كتابه ((سرح العيون)) ((أن أول من تكلم بالقدر فى الاسلام رجل من أهل العراق كان نصرانيا فأسلم ثم تنصر وعنه أخذ معبد الجهنى ((ويقول ابن قتيبة)) غيلان الدمشقى كان نبطيا قدريا لم يتكلم أحد قبله فى القدر ودعا اليه الا معبد الجهنى)) .

٢ ـ فئة ثانية ترى أن النقاش فى القضاء والقدر تولد عن أسباب داخلية من ذات الاسلام نفسه وكنتيجة للتطور الديني والسياسي فى الاسلام ، وان كان ثمة تأثير أجنبى فانه كان تاليا لظهور المشكلة وأعان على تطويرها وتعميقها أكثر من خلقها وايجادها ، وممن ذهب الى هذا الرأى فنسك ،ترتون ، واط ، اوبرمان . ويعتبر الاستاذ واط من أشد المؤمنين بهذا الرأى ، فهو يرى أن المشكلة نتجت عن بحث الخوارج فى مشكلة مرتكب الكبيرة التى دفعتهم الى البحث فى مسألة القدرة الانسانية ، وهل هى نفس الانسان ، أم أن القدرة عرض تحل فيه ، وهل القدرة تسبق الفعل أم هى مع الفعل وتنتهى بانتهائه ، وهل هى صالحة لفعل واحد أم للفعل وضده .

ان النقاش فى الموضوع فى مرحلته الثانية يرتبط بفرقتين ، هما فرقة القدرية وفرقة الجبرية .

١ ـ فريق الجبرية الخالصة

اتباع الجعد بن درهم والجهم بن صفوان الراسبى الذى ثار على الدولة الاموية فقتله((سلم بن أحوز)) والى الأمويين بخراسان .

نفى الجهم القدرة الانسانية والاستطاعة ، فليس للانسان فى نظره قدرة ولا ارادة ولا اختيار بل هو مجبر فى أفعاله ، والله يخلق فيه الأفعال كما يخلقها فى الحيوان والجمادات ونسبتها الى الانسان على سبيل المجاز ، كما تنسب الى الجمادات والنبات ، فنقول تغذى النبات وتحرك الحجر ، والثواب والعقاب جبر والتكاليف الشرعية أيضا جبر .

يذهب بعض الباحثين (كولد زيهر ـ العقيدة والشريعة فى الاسلام ، ص ٩٧ الدكتور عبد الحليم محمود ، التفكير الفلسفى فى الاسلام ، جـ ١ ص ٢٠١ وما بعدها) الى أن معاوية رضى الله عنه حين استقر له الامر ((أراد أن يثبت فى أذهان الناس أن امرته على المسلمين انما كانت بقضاء الله وقدره فأشاع الفكرة وشجع مذهب الجبر ، وأخذ هو وخلفاء بنى أمية من بعده يبثون الفكرة بمختلف الوسائل ، اذ رأوا أن القول بالجبر يبرر كل ما يأتون به من مظالم ، فعملوا على أن يفسر الناس كل ظلم بقضاء الله وقدره . فيروى أن عبد الملك بن مروان لما قتل عمرو بن سعيد أمر أن ينادى فى الناس ((بأن أمير المؤمنين قد قتل صاحبكم بما كان من القضاء السابق والأمر النافذ)) .

وفى الوقت الذى يمكن القول فيه بأن الأمويين استغلوا فكرة الجبر وكان من صالحهم سريانها وانتشارها ، فانه من المؤكد أن القول بالجبر لم يكن دافعه الاصيل سياسيا ، بل نتج عن التصور الدينى والورع الزائد والشعور الطاغى بعظمة الله وقدرته لدرجة تتضاءل بجانبها قدرة الانسان المخلوق وتنتفى ، ولو كان الجبر من متولدات السياسة الاموية ، لما أقدم الجهم بن صفوان على الثورة ضد السلطات الاموية ، الأمر الذى انتهى بقتله .

للحديث بقية



بقلم : عبد المنعم النمر

الدراسات الاسلامية

العناية التي تأخذها الدراسات الاسلامية الآن من المسئولين وغير المسئولين فى الدول الاسلامية أمر يبعث على الارتياح ، والثقة فى مستقبل أحسن لهذه الدراسات ، وما يتبعها من لفت الأنظار للاسلام وقيمه ومبادئه ، بعد أن طغت علينا التيارات الخارجية ، وطال اهمالنا لتراثنا ومبادئنا .

والذى يدعونى لأن أحدثك هذا الحديث الآن هو ما سمعته من الدكتورين محمد عبد الله العربى وكمال الباقر عن هذه الدراسات حين قاما بزيارة المسئولين فى وزارة الأوقاف وزيارة المجلة بعد أن اشتركا فى الاحتفال بافتتاح جامعة الكويت فى أواخر نوفمبر الماضى .

والدكتور العربى الذى يعرفه قراء المجلة هو الآن عميد لمعهد الدراسات الاسلامية فى القاهرة ، الذى قام من عدة سنين حين أحس الغيورون على هذه الدراســات الحاجة الى قيامه بجانب الأزهر الجامعة الاسلامية العتيدة ، واختطوا له منهجا حافلا جذب اليه حاملى الشهادات العليا من الأزهر والجامعات الأخرى ، حتى بلغ المنتسبون اليه الآن قرابة الألف ، مع أنه بدأ بعدد لم يبلغ المائة . والذى يبعث على الغبطه هو ان هذا العدد الضخم المنتسب اليه قد أقبل على هذه الدراسات العليا دون أن يدفعه اليها مادة يحصلها أو ترقية يرقبها .. بل كانت الرغبة المخلصة فى التزود من هذه الدراسات التي يقدمها صفوة مختارة من العلماء هي التي جعلته يعود طالبا من جديد .

أما الدكتور الباقر فهو عميد جامعة أم درمان الاسلامية .. وهي جامعة وليدة انشأتها حكومة السودان هذا العام ـ كما يقول السيد اسماعيل الأزهرى رئيس مجلس السيادة فى السودان فى كلمته التي قدم بها دليل الجامعة : .. « لتلعب دورها فى نشر الثقافة الاسلامية الصحيحة ، وبعث التراث العربى الاسلامي فى بلد يقع فى قلب القارة الافريقية ، وعلى ملتقى الحضارتين العربية والافريقية ، وعليه بهذه الصفة أن يقوم بواجبه كاملا فى رفع راية الاسلام ، وبعث الثقافة العربية والفكر الاسلامي ، لا فى داخل القطر فحسب ، بل على مستوى القارة ، وفى ربوع العالم الاسلامي بأسره » .

ولقد سرنى وأنا أتصفح هذا الدليل أن أرى الذين خططوا لهذه الجامعة قد استفادوا من تجارب الذين سبقوهم ، فأقاموا جامعتهم على أساس أن تعد لمعترك الحياة شبانا يؤمنون بدينهم ووطنهم الصغير والكبير ، ويعملون فى مختلف الميادين لا فى المجال الديني فحسب .. وذلك حسب الدراسات المتنوعة التي تقدمها لهم كليات هذه الجامعة ..

وقدبدأت هذه الجامعة فى أول عام لها بانشاء كليات : الشريعة والقانون ، والآداب ، والبنات ، وبجوار هذه الكليات الثلاث دراسات عليا فى معهدى الدعوة الاسلامية ، والدراسات الافريقية .. وندبت للتدريس فيها صفوة من الأساتذة المتخصصين من السودان والأقطار الاسلامية . وهذه بداية قوية نرجو أن تزيدها الايام قوة ونموا ..

ان شعوری بالغبطة لم يكن مصدره فقط قيام جامعة اسلامية تنضم الى زميلاتها فى البلاد الاسلامية ، بل لأن للسودان وضعا خاصا او « استراتيجية » هامة للدعوة الاسلامية وسط القارة الافريقية حيث يمكن للراغبين فى الدراسات الاسلامية من البلاد المجاورة للسودان تحقيق رغباتهم دون مشقة كبيرة ، وحيث يسهل للدعاة من هناك الانطلاق للقيام بواجبهم فى السودان وفيما حوله من بلاد تعتبر من أخصب الحقول التي تثمر فيها الدعوة الاسلامية ..

ومن هنا آمل ان تتآزر الدول الاسلامية كلها مع السودان لشد أزر هذه الجامعة وتدعيمها بما تستطيع دعمها به من مال وأساتذة لتنهض سريعا وتؤدى دورها المرجو منها ..

فلنقل رأينا اذن

كنا نود أن تستمر المناقشة العلمية حول موضوع الرسم العثمانى للمصحف ، ولكن الرسائل الكثيرة التي وردت الينا ، وبعض ما وصل الى سمعنا من تعليقات خرجت بالموضوع عن ميدان المناقشة العلمية البريئة الى ميدان لا نحبه ، ولهذا آثرنا ان يغلق الباب ، ونقول كلمتنا التي كنا ننتظر بها الى ان تتم هذه المناقشة ..

لقد تعجبت كثيرا من الذين انزعجوا من الكتابة حول هذا الموضوع ، واتخذوا منه مادة للتعليق عليه بما يشتهون ، وما دروا أنه موضوع أثير من زمن قديم حتى سئل فى شأنه الامام مالك .. واختلفت آراء العلماء الأعلام فيه منذ ذلك الوقت . جماعة يمنعون كتابته بغير الرسم العثمانى ، وجماعة يجوزون ، ولكل من الجماعتين حججهما وادلتهما التي يمكن الرجوع اليها فى الكتب المطولة التى تعنى بالقرآن وعلومه .. فالخلاف اذن فى هذا الأمر قديم ، ويثار بين حين وآخر لما يحسه بعض العلماء من حاجة لتيسير قراءة القرآن على من لم يتلقوه عن القراء ، « ولئلا يوقع فى تغيير من الجهال » كما يقول الامام الشيخ العز بن عبدالسلام اذا قراوه بالرسم العثماني ..

ونحن نرى ـ تقديرا منا لوجهة نظر الفريقين ، وتحقيقا لما يهدفان اليه من خير ـ أن تظل كتابة المصحف كما هى بالرسم العثمانى ، على أن تكتب الكلمات التي تكون موضع اشتباه لدى القراء على هامش كل صفحة بالرسم الاملائي الحديث الذى ألفه القراء فكلمة « يصلح » التى كتبت هكذا فى الرسم العثمانى نضع عليها رقما ثم نكتبها فى الهامش هكذا « يا صالح » وبهذا نحافظ على الرسم العثماني ، وفى الوقت نفسه نكون قد أرشدنا القارىء العادى الى كيفية القراءة الصحيحة .

ولعل أول من اتبع هذه الطريقة ـ كما نعلم ـ هو فضيلة الأستاذ الشيخ عبد الجليل عيسى فى تفسيره القيم المبسط الذى أخرجه منذ نحو ست سنوات وسماه « تيسير التفسير » فحازت هذه التجربة اعجاب كل من اطلع عليها ، وكانت موضع الرضا من الجميع ..

واننى اعتقد أن هذه الطريقة أكثر احتياطا مما ذهب اليه الشيخ العز بن عبد السلام حين قال : « لا تجوز كتابة المصحف على الرسم الأول باصطلاح الأئمة ، لئلا يوقع فى تغيير من الجهال ، ولكن لا ينبغى اجراء هذا على اطلاقه ، لئلا يؤدى الى دروس العلم ، وشيء قد أحكمته القدماء لا يترك مراعاة لجهل الجاهلين » ا هـ. يراجع كتاب البرهان للزركشى وكتاب « مناهل العرفان فى علوم القرآن » للزرقانى .

فما رأى السادة الذين اختلفت وجهات نظرهم فى الطريقة التي نستحسنها ، والتي سبقنا الى تنفيذها فضيلة الشيخ عبد الجليل عيسى ؟ .

لا اظن أنها تكون موضع خلاف ، ولهذا أستحث كل معنى بهذا الموضوع أن يعمل على تنفيذها وأتنبأمن الآن برواج كل مصحف يطبع على هذه الطريقة رواجا لم يسبق له نظير .

فكرة أقدمها للذين يعنون بطبع القرآن الكريم ، ولا أطالبهم بشىء من أرباحها ..

« ان أجرى الا على الله » ..

كيف نعيش؟

للشيخ سيد سابق

اختلاف مفهوم الكمال والسعادة

كل فرد من افراد النوع الانسانى ينشد الكمال ويحرص على السعادة ، ويحاول الوصول اليهما بكل سبيل ، ولكن فهمهم لهما يختلف اختلافا بينا .

فمنهم من يرى ان السعادة المنشودة محصورة فى التمتع باللذائذالمادية والنعم الظاهرة .

ومنهم من يرى حقارة هذه اللذائذ ، وان السعادة هى الخروج عن دائرة الفطرة البشرية بتحريم الطيبات والانقطاع عن الدنيا .

وكل فريق من الفريقين مخطىء فى فهمه ، ومجانب للحق والصواب ،، اذ انه فهم لا ينسجم مع الحياة ، ولا يتسق مع ما خلق له الانسان من تحقيق الخلافة فى الارض . فالفريق الاول الذى يؤثر الدنيا ، ويحرص على لذائذها يفسد خلقه ، وتضعف ارادته ، ويضطرب امره ولهذا مقت الله هذا السلوك ، ووصفه بالكفر والضلال ، وشبهه بسلوك الانعام التى لا تعقل معنى الوجود ، ولا تفهم قيمة الحياة .

(والذين كفروا يتمتعون ويأكلون كما تأكل الانعام والنار مثوى لهم (١))

واما الفريق الاخر فانه فريق انعزالى يقف من الحياة والوجود موقفا سلبيا .

وسلوك هذا الفريق من شأنه ان ينقل قياد الحياة الى الاشرار،فيوجهوها حسب أهوائهم وتبع رغباتهم ، وفى ذلك فساد الدين ، وضياع الدنيا ، والله يوجه الخطاب لهذا الصنف من الناس فيقول « يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما احل الله لكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين » (٢)

---

(١) سورة القتال آية (١٢) .

(٢) سورة المائدة (٨٧) .

فكرة الاسلام عن مفهوم السعادة والكمال

واذا كان كل من الفريقين مخطئا فى فهمه للسعادة ، وفى نظرته الى الكمال فى نظر الاسلام فما رأيه اذن ؟ هل وضح لنا صورتهما ، ورسم معالمهما ؟

نعم ، فهو يرى أن الانسان خليفة عن الله فى الارض ، وان عليه القيام بواجبات هذه الخلافة . وانه جسد وروح ، وان الجسد ليس عدوا للروح ولا سجنا لها . وانما هو أداة لها من أجل القيام بهذه الواجبات والتبعات . وأن الدنيا دار عمل ، وميدان كفاح ، وليست دار تعذيب أو شقاء ، وان على الانسان ان يظهر مواهبه بالجد والسعى ، والكدح والكفاح فى كل ميدان من ميادين النشاط الانسانى .

« الذى خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا » (١) .

واحسان العمل يتلخص فى أن يحسن الانسان صلته بالله عن طريق العقيدة والعبادة ، ويحسن صلته بالناس عن طريق الخلق والبر ، ليحقق بذلك كماله الروحى والانسانى .

يضاف الى ذلك استخراج كنوز الارض ، والانتفاع بقوى الكون، واصلاح النظام المعيشى لتحقيق الكمال المادى .

اهتمام الاسلام بضرورات الانسان وحاجاته المادية

لهذا نجد الاسلام عنى بكسب المال وتحصيله باعتباره عصب الحياة وقوامها، وجعل ذلك فريضة من فرائضه :

(طلب الحلال فريضة على كل مسلم)

واوجب المحافظة عليه سواء كان عقارا أم ذهبا أم فضة « ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التى جعل الله لكم قياما (٢) واهتم بتوفير الحاجات الاستهلاكية من الغذاء والكساء والمسكن وما لا غنى للانسان عنه ليكون على مستوى كريم من الحياة :

« من ولى لنا عملا وليس له منزلا فليتخذ منزلا ، أو ليست له زوجة فليتزوج ، أو ليس له خادم فليتخذ خادما ، أو ليس له دابة فليتخذ له دابة » رواه احمد .

وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن حد الكفاية للفرد فقال . « ما سد جوعتك . وداري عورتك . وان كان لك بيت يظلك فذاك . وان كان لك دابة فبخ بخ » رواه الطبرانى

وأمر بالاكل من الطيبات ونهى عن تحريمها واعتبر ذلك اعتداء « يا ايها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين . وكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا واتقوا الله الذى انتم به مؤمنون» (٣)

وامتن على الناس بالملابس (يا بنى آدم قد انزلنا عليكم لباسا يوارى سوآتكم وريشا ولباس التقوى ذلك خير ذلك من آيات الله لعلهم يذكرون (٤) والمراد أنه خلق لنا الملابس نداري بها عوراتنا ونتزين بها كما امتن عليهم بالسكن فقال . « والله جعل لكم من بيوتكم سكنا وجعل لكم من جلود الانعام بيوتا تستخفونها يوم ظعنكم ويوم اقامتكم ومن أصوافها واوبارها واشعارها أثاثا ومتاعا الى حين (٥) .

وأمر بالزواج واعتبره آية من آياته .

« ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة » (٦) .

وفى الحديث « تزوجوا الودود الولود » .

والمرأة الحسناء لا يزهد فيها مهما غلا مهرها ، لما فى الزواج بها من تكميل للدين على أن تكون صالحة كى تسر العين بجمالها والقلب بكمالها . ويرغب

---

(١) سورة الملك آية (٢) . (٢) النساء (٥) (٣) المائدة ٨٧ ، ٨٨

(٤) الاعراف آية (٢٦) . (٥) سورة النحل آية (٨٠) . (٦) الروم آية (٢١) .

فى اقامة الدور والمساكن التى تحوى جميع المرافق والاثاث ما دام لم يقصد المباهاة والمفاخرة ، وبذلك تتسع دائرة العمران . وقد فعل ذلك الزبير بن العوام وابن المبارك ومحمد بن الحسن وكثير من الصحابة والتابعين والعلماء الراشدين .

الجمال والزينة

ولا بأس بتزيينها وتجميلها فان طلب الزينة والجمال مقصود حسن فى ذاته ، والنفس التي لم تفسد فطرتها تعشق الجمال وتتلذذ بـه .

والله سبحانه يقول « والأنعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون . ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون » (١) . وأى فرق بين التلذذ بالجمال فى الانعام والجمال فى الدور ويقول « والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ويخلق مالا تعلمون » (٢) .

اى أن الله خلق هذه الدواب للركوب وللزينة ، وان لم يحتج الى ركوبها

واما الآثار التى وردت فى كراهية رفع البنيان وزخرفته فليست على اطلاقها ، وانما المقصود بها كراهية ذلك اذا قصد بها المفاخرة والمباهاة ، والتطاول على الناس ، لا مجرد التلذذ بالجمال والزينة ، فانهما مطلوبان فى كل حال . « يا بنى آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولاتسرفوا انه لا يحب المسرفين . قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هى للذين آمنوا فى الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة كذلك نفصل الايات لقوم يعلمون » (٣)

ان الحرص على الجمال ابتغاء الحصول عليه مما يحبب فيه الاسلام ، ويدعو اليه حتى يشعر الانسان براحة نفسية من جانب ، ويحتفظ بكرامته فلا يستخف به ولا ينزل عن مكانته التى هو أهل لها من جانب آخر .

وكثيرا ما يلفت القرآن نظر الانسان الى الجمال فى الكون والطبيعة والاشياء المحيطة به .

« ولقد جعلنا فى السماء بروجا وزيناها للناظرين » (٤) (أم من خلق السموات والارض وانزل لكم من السماء ماء فأنبتنا به حدائق ذات بهجة ما كان لكم أن تنبتوا شجرها) (٥) .

« أفلم ينظروا الى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج . والارض مددناها والقينا فيها رواسى وانبتنا فيها من كل زوج بهيج » « ٦ »

والله سبحانه يحب الجمال فى كل شىء جمال الاقوال وجمال الافعال وجمال الصفات ، وجمال الاسماء حتى جمال الثياب . فعن مالك بن عوف قال « أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وانا قشف الهيئة قال : « هل لك من مال ؟ قلت . نعم قال اذا اتاك الله مالا فلير اثر نعمة الله عليك وكرامته » . وفى حديث آخر « اذا أتاك الله مالا فلير عليك فان الله يحب أن يرى أثره على عبده حسنا . ولا يحب البؤس ولا التباؤس » وصح عن رسول الله قوله « احسنوا لباسكم وأصلحوا رواحلكم حتى تكونوا كأنكم شامة فى الناس » .

والحديث يشير الى أن المسلم شخصية فذة ممتازة ، فكما طلب منه أن يطهر باطنه بالايمان بالله والارتباط به ، طلب منه ان يكون فى مظهره كاملا أنيقا ، بحيث يسترعى انتباه الناس فى ملبسه ومركبه وأثاث بيته وحتى يكون فيهم كأنه شامة بينهم . أى بارزا ظاهرا .

فعن ابى يعفور قال . سمعت ابن عمر يقول . وقد سأله رجل عما يلبس من الثياب قال : مالا يزدريك فيه

---

(١) سورة النحل آية (٦) .
(٢) سورة النحل آية (٨) .
(٣) سورة الاعراف آية (٣١ ـ ٣٢)
(٤) سورة الحجر آية (١٦) .
(٥) سورة النحل آية (٦٠) .
(٦) سورة ق آية (٦ ـ ٧)

السفهاء ومالا يعيبك فيه الحكماء (١)

وكان الحسن البصرى يلبس ثوبا بأربعمائة ، وفرقد يلبس المسح ، فلقى الحسن ، فقال ما ألين ثوبك ؟ قال « يا فرقد ليس لين ثيابى يبعدنى عن الله ولا خشونة ثوبك تقربك من الله) وقد انكر احد المتزمتين على أبى الحسن الشاذلى جمال هيئته وكان هذا الرجل ذا رثاثة فقال له أبو الحسن : يا هذا هيئتى هذه تقول . الحمد لله ، وهيئتكم تقول اعطونى من دنياكم .

ولا يدخل هذا الاستمتاع فى الدنيا التى ذمها الاسلام فى قوله صلى الله عليه وسلم . « حب الدنيا رأس كل خطيئة » (٢) .

فان المراد بالدنيا التى هى رأس كل خطيئة هي حب الشرف والرئاسة ، وحب المال رغبة فى التفاخر والتكاثر والترؤس والعلو على الناس دون كفاية أو ارادة نصر الحق .

يقول الله تعالى «تلك الدار الاخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا فى الارض ولا فسادا والعاقبة للمتقين » (٣) وعن كعب بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ما ذئبان جائعان أرسلا فى غنم بأفسد لها من حرص المرء على المال والشرف لدينه » (٤) لانه لم يرد بالمال والشرف الا العلو والفساد فى الارض .

أما اذا أراد بالمال والشرف نصرة الحق أو الوجاهة ليأخذ مكانته التي تليق به ، أو كانت له كفاية يريد أن يجعلها فى خدمة أمته فان حب الشرف والمال وطلبهما حسن ، فقد قال يوسف عليه السلام للملك : « اجعلني على خزائن الارض اني حفيظ عليم » (٥) .

وطلب احد المسلمين من الرسول صلى الله عليه وسلم ان يكون أمام قومه فقال الرسول « انت امام قومك » .

ومع هذا ينبغى الحذر والتوقى عما يلهى النفس ، ويصرفها عن غايتها المثلى من الطهارة والنظافة وينحرف بها عن معانى الخير الى رذائل الاخلاق ومساوىء الصفات .

« يا أيها الذين أمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون « ٦ » » .

حقيقة الزهد

وطلب الدنيا على هذا النحو لا يتنافى مع الزهد ، لان الزهد ليس فى تحريم زينة الله التى أخرج لعباده ولا فى ترك الطيبات من الرزق ، وانما الزهد الذى اراده الاسلام هو الزهد فى الحرام ، والزهد فى الشبهات ، والزهد فى التوسع فى اللذائذ والشهوات التى تصرف الانسان عن واجباته الشخصية والاجتماعية ، وينسى المرء واجبه نحو ربه ، ونحو نفسه ، ونحو أسرته ، ونحو بنى جنسه .

وقد وضع الاسلام تحديدا للزهد فيما رواه الترمذى وابن ماجة من حديث أبى ذر ان النبى صلى الله عليه وسلم قال : « الزهادة فى الدنيا ليست بتحريم الحلال ولا أضاعة المال ، ولكن الزهادة فى الدنيا ان تكون بما فى يدى الله أوثق منك بما فى يديك وأن تكون فى ثواب المصيبة اذا أنت أصبت بها ارغب منك فيها لو أنها بقيت لك » .

والزهد بهذا المعنى يريح القلب والبدن ويكسب محبة الله ويجلب مودة الناس .

« ازهد فى الدنيا يحبك الله وازهد فيما عند الناس يحبك الناس » (٧) .

---

(١) رواه الطبرانى . (٢) رواه البيهقى فى الشعب عن الحسن مرسلا .

(٣) سورة القصص (٨٣) . (٤) رواه الترمذى .

(٥) سورة يوسف (٥٥) . (٦) سورة المنافقين آية (٩) .

(٧) رواه ابن ماجة عن سهل بن سعد قال « جاء رجل الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله دلنى على عمل اذا عملته احبنى الله واحبنى الناس فقال له الحديث » .

مائدة القارئ

من معجزات النبوة

روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : اتقوا الغبار فان فيه النسمة. وهذه احدى معجزات النبوة ، والنسمة كل ذى روح ، والمراد بها الميكروبات .

من تاريخ النساء

قام منصور بن عمار يحض على القتال ، وكان بين السامعين امراة ، فطرحت رقعة كتبت فيها : رأيتك يا ابن عمار تحض على الجهاد ، وقد ألفيت ذؤابتى ـ ضفائر شعرها ـ فلست أملك والله غيرها ، فبالله اجعلها قيد فرس غاز فى سبيل الله ، فعسى الله ان يرحمنى ،فارتج المجلس بعد قراءة هذه الرقعة بالبكاء تأثرا وثارت الحماسة فى نفوسهم .

مواساة بليغة

روى ان عبد الملك بن مروان بنى بابا فى بيت المقدس باسمه ، وبنى الحجاج بابا باسمه ، وحدث ان صاعقة نزلت فأحرقت باب عبد الملك فقط فعظم ذلك عليه ، وتشاءم منه ، فكتب الحجاج اليه « بلغنى ان نارا نزلت من السماء ، فأحرقت باب امير المؤمنين ، ولم تحرق باب الحجاج ، وما مثلنا فى ذلك الا كمثل ابنى آدم اذ قربا قربانا فتقبل من احدهما ، ولم يتقبل من الآخر » فسرى عن عبد الملك بذلك .

اشارة أصرح من عبارة

يحكى أن المأمون غضب على عبد الله ابن طاهر، وشاور أصحابه فى الايقاع به، وكان قد حضر المجلس صديق له، فكتب اليه كتابا فيه ((بسم الله الرحمن الرحيم يا موسى)) فلما فضه،ووجد ذلك تعجب، وما زال يطيل النظر فيه ، حتى أدرك أنه يريد ((يا موسى ان الملأ يأتمرون بك ليقتلوك)) .

اعتزاز

يروى أن كلبا حاول مرة قتال أسد فامتنع عليه الاسد أنفة منه ، فقال الكلب سأمضى، فأخبر السباع بضعفك ، فقال الاسد : لان تعيرنى السباع بذلك أحب الى من أن ألوث شاربى بدمك .

واحدة بواحدة

روى أن رجلا جاء الى ابى حنيفة يشكو اليه أن جاره حفر بئرا فى داره بجوار جداره، وأن استمرار البئر يؤثر فى الجدار، فقال له : حدث جارك ، فقال : حدثته ، وامتنع ظالما ، فقال له : احفر فى دارك بالوعة فى مقابل بئره ، ففعل ، فاندفع ماء البالوعة القذر الى البئر ، فاضطر صاحبها الى ان يردمها.

الى بيت مال المسلمين

تفقد عمر بن الخطاب يوما ابل الصدقة، فوجد بينها ابلا سمينة ، فقال : لمن هذه الابل الجيدة ؟ قيل : لابنك عبد الله ، فاستدعاه ، وقال له : بكم اشتريت هذه الابل ؟ قال بكذا . قال عمر : لك ما اشتريت به . أما الابل فهى لبيت المال . قال عبد الله : وكيف ذلك ؟ فقال عمر : انهم يقولون هذه ابل ابن أمير المؤمنين فارعوها . هذه ابل ابن أمير المؤمنين فاسقوها . هذه ابل ابن أمير المؤمنين فلا تهيجوها . لك ما اشتريت به ، ثم هى لبيت مال المسلمين .

اشترى لسانه

كان الخليفة المعتصم بالله فى مجلسه، فدخل عليه رجل ، وفى يده نعل فى منديل ، وقدمها الى الخليفة قائلا : هذا نعل رسول الله !

فأخذها الخليفة، ووضعها بين عينيه، وقبلها ، وأعطاه عشرة آلاف درهم ، فلما انصرف الرجل تعجب جلساء الخليفة فابتسم وقال لهم : انى أعلم أنها ليست نعل رسول الله ، ولكنى خشيت ان رددته أن يخرج بين الناس ويقول :أتيت بنعل رسول الله لخليفة رسول الله ، فنهرنى،فيكون الناس أميل الى تصديقه منهم الى تكذيبه ، فأردت أن أشترى لسانه وأصون عرضى .

بلاغة معاوية

كتب ربيعة بن عسل اليربوعى الى معاوية كتابا يسأله فيه أن يعينه فى بناء داره بالبصرة ، وطلب منه أن يمده باثنى عشر ألف جذع نخل ، فرد اليه معاوية الكتاب بعد أن كتب فى أسفله ((أدارك فى البصرة أم البصرة فى دارك ؟)) .

سبب السيادة

مر رجل بأهل البصرة ، فقال : من سيدكم ؟ قالوا : الحسن ، قال : بم سادكم ؟ قالوا : احتاج الناس الى عمله، واستغنى هو عن دنياهم .

ما رأى الطب الحديث

اجتمع الجاحظ ، وابن بختشيوع على طعام ، وكان من ألوان الطعام سمك ولبن ، فأراد الجاحظ أن يأكل منهما ، فنهاه ابن بختشيوع عن ذلك فقال الجاحظ :

ان كان السمك مضاد للبن فانى آكلهما ، وأدفع بكل منهما ضرر الآخر ، وان كانا متساويين فكأنى أكلت شيئا واحدا .

فقال ابن بختشيوع : أنا لا أحسن الكلام مثلك ، ولكن ان شئت فجرب وكل .

فأكل الجاحظ ، فأصيب بالفالج والنقرس ، ودخل عليه بعض أصدقائه يعوده فقال له : كيف حالك ؟

فقال الجاحظ : اصطلحت علي الاعلال لو خرج شقى الايمن ما أحسست به من الفالج ، ولو مرت على شقى الايسر ذبابة اوجعتنى من النقرس ، وأشد ما أشكو منه التسعون !!

نظرات تحليلية فى القصة القرآنية

الثلاثة

عبر ودروس

وردت هذه القصة فى آيات ثلاث من اواخر سورة التوبة ، وذلك فى قوله تعالى « لقد تاب الله على النبى والمهاجرين والأنصار الذين اتبعوه فى ساعة العسرة من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم ثم تاب عليهم انه بهم رؤوف رحيم * وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى اذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم وظنوا أن لا ملجأ من الله الا اليه ثم تاب عليهم ليتوبوا ان الله هو التواب الرحيم * يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين » .

« ان مجرد ورود قصة المخلفين ـ على قصرها ـ فى سورة التوبة يفرغ عليها لونا مميزا ترتقى فيه العبرة الى قمتها . ذلك لأن السورة كلها معرض رهيب للجهاد والقتال والصراع النفسى ، تمر خلاله مواكب الناس مكشوفى القلوب والسرائر ، فيهم أهل النفاق الذين عجزوا عن مواجهة الاسلام بصراحة مشركى قريش ، فعمدوا للتسلل الى ايذاء النبى والمسلمين من سراديب الدسائس والتآمر والتمثيل المضلل .. وفيهم الاعراب الذين عجزوا أيضا عن مقاومة القوة الاسلامية ، فأعطوا طاعتهم للنبى صلى الله عليه وسلم ، متربصين بالاسلام الفرصة المواتية ، ليقلبوا طاعتهم تمردا يحرق الاخضر واليابس .. ثم فيهم الجماعة الجديدة التى فتحت قلوبها ومشاعرها لنور الله ، فهى تتلقى أشعة الوحى تربية نبوية ، تزكو بها النفوس ، وتصفو بها الضمائر ، ويستقيم بها الفكر ، فتنمو على هذا الهدى « كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار » .

وفى هذا الجو الرهيب الحبيب تكثر النذر والقوارع ، والأنباء الكاشفة لأحداث المستقبل ، والبشريات التى تعين للمترددين طريق النجاة ، وللمؤمنين المتقين عواقب الهداة ، بعد أن سلطت الأضواء على أوضاع الجميع ، فعلى

المخلفون

الاستاذ محمد المجذوب
المدرس بالجامعة الاسلامية – المدينة المنورة

الميامن كتائب الايمان مرصوصة الصفوف، قد عرفت طريقها فى ضوء الوحى ، فهى تبذل كل شىء للعبور الى ضفة السعادة. وعلى الشمائل أوزاع الكفر والنفاق والانتهاز ، تغامر بكل وجودها ومصيرها ومواهبها لصد انطلاقة النور .. ولاستبقاء الحياة مغلقة بأسداف الظلام..

وقد جلت السورة الكريمة كل هذا وذاك ، ليكون الناس على بصيرة مما هم فيه ، وما هم مقبلون عليه ، « ليهلك من هلك عن بينة ويحيا من حى عن بينة » ..

وخلاصة الآيات الثلاث اخبار ربانى سعيد يعلن قبوله تعالى جهاد النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه من المهاجرين والأنصار ، وثناءه عليهم بتحملهم أعباء السفر والقتال فى أشق غزوة صاحبوا فيها قائدهم الأعظم ..

وفى أثناء هذا الاخبار يأتى ذكر التردد الذى راود بعضهم عند تلقيهم دعوة الرسول من أجل الاعداد والتأهب لهذه الغزوة ، فاستكبروا السفر فى ذلك الحر المهلك ، وقارب التردد أن يثبطهم ، لو لم تتداركهم رحمة الله بتغليب ايمانهم على حب الراحة ، وتثبيتهم على سنن الطاعة ، فاستحقوا بذلك رضوان ربهم ، واطمئنان قلوبهم ، وهم الذين أشار اليهم بقوله « من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم » .

ثم يعقب ذلك مشهد الثلاثة ، الذين تخلفوا عن تلك الغزوة ، وحرموا أنفسهم مرافقة الرسول وجنوده ، ومشاركتهم فى الخير الجزيل الذى انتهوا اليه . وتغوص الآية الى مكنون صدورهم، فاذا هم فى غمرة حادة من الندم اللاذع ، يضيق فى أعينهم رحب الأرض ، ويضغط على صدورهم بأثقاله الفادحة ، وقد سد دونهم المنافذ ، فأيقنوا أن لا مهرب من قبضة العدالة الالهية ، الا بنفحة من الرحمة تهب عليهم من حيث لا يحتسبون ... ولكن هذا الحرج العميق سرعان ما يتلاشى عندما تأتى الخاتمة المحببة ببشرى المغفرة ، تنبئهم بأن الله قبل توبتهم ، وشملهم بعفوه ، بعد أن طهر الأسى كيانهم من امكان العودة الى مثل تلك الزلة الخطيرة .

وهكذا ختمت المأساة أبهج ختام ..

ثم تأتى الآية الثالثة ، وكأنها تقرير مستقل ، يوجه النداء الى المؤمنين كافة بأكرم أوصافهم ، ثم يعقب النداء بتوجيهين لا أحب منهما الى قلوبهم :

الثلاثة المخلفون



أمر بتقوى الله ، وأمر بالتزام صف الصادقين من عباده .

وبقليل من التأمل ندرك قوة العلاقة بين هذه الآية وسابقتها ، فهى تجىء كتعليل عميق للسر الذى من أجله استحق هؤلاء الثلاثة قرار العفو الاعلى .. انه التقوى ، التى تخلص القلوب لله وحده ، فتعصمها من اضمار مالا يرضاه، ايمانا بعلمه الذى لا يعزب عنه شىء . ثم الوقوف فى خط الصدق ، الذى يخلص اللسان من الباطل ، فلا يتحرك الا بالحق ، توقيرا لله الذى لا يرضى عن الكاذبين ..

فكأنه تعالى يقول للمؤمنين : هؤلاء زلت بهم قدمهم الى المعصية ، وكان فى وسعهم أن يدافعوا عن أنفسهم بغير الحق ، كما فعل المنافقون ، ولكنهم لم يفعلوا ؛ لأنهم آثروا متاعب الصادقين ، على مصير المنافقين .. فاجتهدوا أن تلتزموا صفاتهم التى بها استحقوا المغفرة .

هذه المعانى وحدها كافية لتجعل من الآيات الثلاث منهجا توجيهيا بعيد الاثر فى تكوين الضمير المسلم .. اذ تعطينا الخطوط الكبرى للشخصية المسلمة ، التى قد تزل ، ولكنها سرعان ما تعود الى الاستقامة ، فاذا هى مبصرة ، نادمة، تائبة ...

فاذا ما أنعمنا النظر فى بنائها التعبيرى شاهدنا التساوق العجيب بين اللفظ والمعنى ، بين القالب والمحتوى ، وذلك بعض مواطن الاعجاز .

ان لألفاظ الآيات أشعة خاصة ،تضىء ساحة المعانى بما تبرزه من صور الأحداث التى هى موضوع الآيات ، ومن خلجات النفوس التى حركتها هذه الأحداث ، فاذا القارىء يرى ويسمع ويعتبر فى آن واحد .

لننظر الى تكرار مشتقات التوبة خمس مرات . (تاب الله . تاب عليهم . تاب عليهم . ليتوبوا . التواب الرحيم ..)

فهنا ايحاء ملح بجلال التوبة ، وجمال استعجالها ، من شأنه أن يدفع القارىء المؤمن الى التوبة دفعا ..

ثم لننظر الى هذه التعابير المفزعة . (ساعة العسرة . كاد يزيغ قلوب فريق منهم . ضاقت عليهم الأرض . ضاقت عليهم أنفسهم . لا ملجأ من الله الا اليه ...) .

فأنت لا تستطيع التصور النهائي لحدود العسرة التى احتوتها تلك الساعة .. ولا تستطيع كذلك ادراك نوع الزيغ الذى راود قلوب ذلك الفريق .. ولا يمكن لمفكر أن يحدد الصورة التى انكمشت اليها الأرض فى حسهم ، ولا الضيق الذى صارت اليه نفوسهم .. ولكنك تستشعر الواقع النفسى الذى عاشه أولئك الثلاثة ، والجو الخانق الذى عانوا ضغطه .. وجاهدوا للتخلص منه بكل طاقاتهم ، فلم يجدوا منفذا ولا ملاذا الا الاستسلام لأمر الله ، والضراعة اليه ..

فاذا قرأت بعد هذا . (يا أيها الذين آمنوا ..) فوجئت بمثل النسمة الناعمة تداعب وجهك بعد لذع السموم .. فتتنفس ، وتفتح للنفحة رئتيك .. وبذلك تتأهب لاستقبال الأمر الالهي الحبيب . (اتقوا الله وكونوا مع الصادقين .) فالسبيل الوحيدة اذن للنجاة من كل هاتيك الأهوال محصورة فى نطاق التقوى ، والصدق .. وهما مجمع الفضائل ، ونهاية الشمائل التى يحبها الله .

على أنك مع ذلك كله لا تعرف من هؤلاء الثلاثة .. ولا موضوع التخلف أو الذنب الذى اقترفوه ، فجوزوا عليه بكل هذا البلاء .. فكأن القضية ليست قضية اشخاص أخطأوا فأنابوا بمقدار ما هى قضية نظام الهى يستهدف مجرد الردع عن مثل تلك الخطيئة ، وفتح أبواب التطهر من آثارها ، ـ للذين امتحنوا بنظير ذلك الموقف ...

غزوة تبوك

فاذا ما رجعنا الى الصحيح من أسباب النزول ، نستوضحها من تفاصيل الحدث وهوية أصحابه ، وجدنا أنفسنا أمام الخلاصة التالية .

تخلف كعب بن مالك ، ومرارة بن الربيع ، وهلال بن مرة عن الخروج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة تبوك ، لغير عذر مشروع سوى ايثار الراحة ، والفرار من الحر الهائل الذى كانت تغلى به الصحراء حينذاك .. وكان المتخلفون سواهم فى المدينة غير قليل ، الا أنه ليس منهم الا مشبوه العقيدة ، معروف بالنفاق والرياء .. أما أشباههم من جنود الايمان وأهل السابقة ، فقد انتظموا فى الركب الغازى ، هاجرين الظل والماء والثمار ،ليتحملوا مع قائدهم المفدى أعباء الحر والجوع ، وأصناف العناء ، ايثارا لما عند الله من ثواب .

وبلغ الجهد بالغزاة المحتسبين أشده ، حتى كان الاثنان يقتسمان التمرة ، والثلاثة يتداولون البعير .. وقد أرهقهم العطش ، حتى أحسوا رقابهم ستنقطع ، وحتى لينحر الرجل بعيره ليعتصر فرثه فيشربه ، ثم يجعل ما بقى من فرثه على صدره ليبرد من وقدة الحر ...

ولكن الله يسر لرسوله وللمؤمنين بهذه الغزوة العسرة أفضل النتائج .. فجاسوا خلال ديار العدو من الروم ، دون أن يجرؤ على مواجهتهم ،وخضدوا شوكته بما عقدوه من مصالحات مع أشياعه من متنصرة العرب ، فى (أيلة وأذرح وتيماء ودومة الجندل) .. وحقق الله لرسوله الغاية العليا من هذه الغزوة ، اذ أشعر الروم ومن معهم من الطواغيت أن لا سبيل الى منع أشعة الاسلام من التدفق عبر الحدود ، التى يحبسون وراءها عقول الناس ، وأفهم المنافقين ومن وراءهم من اليهود أن الاسلام قد جاء ليبقى ، فلا طاقة لأية قوة بمقاومته ، حتى ولو كانت هذه القوة دولة الروم ، التى تبسط سلطان بغيها وارهابها على القارات الثلاث ...

وهكذا عاد رسول الله ومعه الألوف الثلاثون من جنوده الى عاصمة الاسلام، تقدمهم البشريات ، وتستقبلهم الولائد بالنشيد الخالد .

طلع البدر علينا
من ثنيات الوداع
وجب الشكر علينا
ما دعا لله داع

وهنا أقبل مرضى القلوب الى رسول الله ، يعتذرون عن تخلفهم ، ويختلقون له المسوغات ، ويحلفون على ذلك .. فيقبل منهم علانيتهم ، ويكل الى الله سرائرهم ..

عزلهم عن المجتمع

ولم يكن بد للثلاثة من مواجهة النبى صلى الله عليه وسلم والادلاء بما لديهم من الأسباب التى قسرتهم على التخلف، فجاءوا يتعثرون ، فلما كانوا بين يديه أعلنوا افلاسهم من كل عذر ، بل لقد أكدوا له أنهم لم يكونوا يوما أقدر منهم على السفر فى ذلك اليوم ... فشهد لهم صلى الله عليه وسلم بالصدق، وأخر البت بأمرهم حتى ينزل فيهم قضاء الله .. وقد اكتفى بعزلهم عن المجتمع

البقية على ص ٦٤ ، ٦٥

الله

نورك في روحنا .. نحس به   في فلك بالضمير .. دوّار
يلمس أغوارنا .. فيجعلنا   مثل عباب للشرق هدّار
ما أعجب الكون . في تألقه   بين شموس به وأقمار
يعجزُ عنه ، ولا يحيط به   ركْضُ خيالٍ ، أو وثبُ أفكار
نورك فيه ، حقيقة أخذت   أطراف آفاقه ، بمقدار
يامبدعا خَلْقه بقُدْرته   وجلّ ربى المصور البارى
النور سرُّ الوجود .. منطلق   بلا حدود .. بغير أغوار
في الزهر تعطيه روضة أنف   واللحن يلقيه سرب أطيار
في الليل .. في النجم ..في الكواكب..في   الأفلاك منها .. في النور والنار
في دمع باكٍ .. ونوح باكية   وشدو شادٍ .. وشوق سُمّار
في كل شئ نراه .. يكشف عن   بطش حليم .. وحِلْم جبّار

نور السموات والأرض

للاستاذ عبد العليم عيسى
مديرية التربية والتعليم ـ كفر الشيخ

النور يَهْدى .. والنور يفْتِنُ .. والـ ـنور عليه .. حجاب أسرار
طوبَى لمن يشهدون صَحْوتَه عند التجلى بغير أبصار
شهود روح بغير جارحة وعلم نفس بغير أفكار
في سدرة المنتهى .. وقد وقفوا على فجاج . غريبة الدار
تلفتوا .. واستعادَ هائمهم دعاءَ ليلٍ ، وذكرَ أسحار
وأمسياتٍ للشوق ، .. ما حملت إلا نسيما ، وعطرَ أزهار
وأغنياتٍ ، لم يدْرِ قائلها ولم يلِنْ لحنُها لزمّار
كانت به للقاء سالكةً أنوار ليلٍ ، وليل أنوار
نازعةً عنه ما يحسُّ به من حجُبٍ دونه وأسوار
حتى إذا ما دنا لغايته في صحبةٍ للطريق أبرار
صاح .. فصاحوا .. وأنت مُلْهِمُهُم فرحة صيفٍ .. وبشْرَ زُوّار

بقية : الثلاثة المخلفون



الاسلامى ، فنهى عن مخالطتهم وكلامهم، وفصل بينهم وبين أزواجهم ، الا زوجة هلال التى جاءت تستأذن رسول الله فى خدمته ، لأنه شيخ ضائع لا معين له ، فأذن لها على ألا يقربها ..

وتتابعت الأيام ثقيلة مخيفة على هؤلاء المنفيين فى أهلهم ، لا يجدون من يرد عليهم تحية ، أو يؤنسهم باشارة ..وقد بلغ بهم الخوف ذروته أن يموتوا على هذه الحال ، فلا يصلى عليهم رسول الله ، أو يستأثر الله بنبيه ، فيستمر المسلمون على مقاطعتهم تنفيذا لأمره صلى الله عليه وسلم ..

وفى غمرة هذه المحنة .. يفاجأ كعب بمحنة من نوع آخر ما كان ليتوقع مثلها قط ، ذلك أن تاجرا من انباط الشام ، جاء المدينة ببضاعته ، فجعل يسأل عن كعب حتى قيض له من يدله عليه ، فمد يده اليه برسالة ملفوفة فى حرير ،يقول له فيها ملك غسان النصرانى . (.. أما بعد ، فقد بلغنى أن صاحبك قد جفاك ، ولم يجعلك الله بدار هوان ولا مضيعة ، فالحق بنا نواسك ..).

وآلم كعبا ما فى هذه المراودة من اهانة له ، اذ طمع به أعداء الاسلام ، فهم يساومونه على مفارقة رسول الله والارتداد عن دين الله ... فبكى وناح على نفسه ، ثم قذف بالحرير وما فيه الى التنور ..

وتمت على هذا الوضع خمسون ليلة ، ما انقطع الثلاثة فيها عن بكاء ، ولم يستروحوا فيها نفحة عزاء .. (حتى اذا ضاقت عليهم الارض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم ...) فنزلت رحمة الله ببشريات المغفرة لهم ، واندفع الصحابة يركضون ليؤذنوهم بالفرج : وليقرأوا عليهم ما أنزل الله فيهم من آيات ((التوبة)) .. فكان ذلك اليوم عليهم خير أيامهم منذ ولدتهم أمهاتهم ...

ويقرأ المؤمن اليوم قصة المخلفين فى الكتاب الحكيم ، وفى كتب السنة الصحيحة ، فيحس بالقشعريرة تهزه ، وبالانفعال يهيجه ، حتى يفجر دموعه .. ولعله يتساءل عن السبب فى كل ذلك الذىيشعر به فلا يجد له تعليلا ،سوى تلكالوشائج من قرابة الروح ، تصل بينه وبين ذلك الرعيل الاثير ، فتجعله متجاوبا مع حركاته وسكناته ، يبكى لبكائه ، ويضحك لضحكه ، وينفعل بتجاربه، رغم ما يفصل بينهما من أبعاد القرون ..ولكن.. ومع ذلك قليلون الذين يفطنون الى عبر القصة ، ويحاولون أن يستخلصوا منها الخطوط التى يجب أن تحدد لهم معالم الطريق .

نحن أمام عبر وعظات

انالعبر فى القصة لعديدة ، ولا سبيل الى استيفائها كلها ، الا اذا أمكن تجميد الأحداث ، بحيث لا يقع منها غدا الا ما وقع حتى اليوم ... ولذلك لا مندوحة من الاقتصار على القليل ، الذى من حقه أن يعلمنا الكثير ..

فأولى هذه العبر : تنبثق من موضوع غزوة تبوك نفسها ، اذ كانت مناورة لا بد منها لردع العدو الرومى عن حدود الدولة النبوية ، بعد أن أثبتت محاولاته الكثيرة أنه يتربص بها الدوائر ، فلا ينفع فيه غير القوة .

وتأتى من بعد ثانية العبر متصلة بسابقتها اتصال المقدمة بالنتيجة : ذلك أن فكرة الردع تقتضى اعداد القوة الروحية ، التى تستهين بأشد المشاق لصيانة الوجود الاسلامى ، الذى لا يحترمه المخالفون له الا بمقدار ما يخافونه . ومن هنا كان توقيت رسول الله صلى الله عليه وسلم لموعد الغزوة فى أعسر الظروف .،. حر فى الصحراء يلهب الجو ، ويشقق الارض ، ويجفف

الأعصاب ، وضيق فى التموين يفـرض على الغزاة تقنينا لا يكاد يعيش عليه الانسان ، وشدة فى الزمن الذى تستكين فيه الطبيعة البشرية الى طلب الظل وانتظار الجنى ، والاستمتاع بثمـرات الجهود ... وكان من معهود شـأنه صلى الله عليه وسلم ألا يصرح بالوجهة التى يريد أن يجعلها مغزاه ، الا فى غزوة تبوك هذه ، فقد أعلنها للناس ، ليتخذوا الأهبة التى تتلائم مع بعد الشقة وشدة الزمان ، ولتكون محكا حاسما للنفوس ، فلا يستجيب لها الا من كانت مرضاة الله ورسوله أحب اليه من كل شىء ..

ثم تأتى الثالثة ، وتتجلى فى خـروج المؤمنين جميعا ، على الرغم من تثبيط المنافقين ومؤامرات اليهود ، لم يتخلف منهم الا ضعيف لا يجد ما ينفقه ، ولا يملك ظهرا يحمله ، فعاد فائض العينين من الدمـع حـزنا ألا يجد الى مرافقة رسول الله سبيلا ... ثم هؤلاء الثلاثة الذين قدر الله أن يحرموا تلك النعمة ، ليكونوا فى النتيجة موضوع درس الهى تتناقله أجيال المؤمنين ، فيتعلمون منه كيف يؤثرون أمر الله ورسوله عـلى راحتهم وأهليهم وأموالهم ..

وتأتينا رابعة العبر ماثلة فى وحـدة الصف الاسلامى ، وتماسكه حول القيادة النبوية ، اذ ما كاد المسلمون يسمعون أمر رسول الله بمقاطعة المخلفين الثلاثة حتى عمدوا الى تنفيذه بدقة ، حتـى الزوجة فارقت زوجها طواعية ، وحتى ليجد المخلف القطيعة من أقرب الناس اليه ، فلا يرد عليه سلاما ، ولا يستمع منه كلاما ... وحتى لنجد المحكـوم نفسه مقيدا نفسه بالتزام الحكم ، فلا يرضى باستئذان رسول الله صلى الله عليه وسلم لزوجته بخدمته ، بل يأمرها بمفارقته حتى يقضى الله قضاءه فيه ..

ونستطلع العبرة الخامسة فنشهدها فى عدالتها العليا ، اذ كان المحكومون بها من ذوى السابقة والفضل ، ومنهم كعب بن مالك .. شهد بيعة العقبة ، ولـم يتخلف عن غزاة الا بدرا ، التى لم يخرج فيها رسول الله بغية القتال ، ولم تكن المشاركة فيها عزيمة قاطعة ، بل رخصة مخيرة ... وقد حارب فى سبيل اللـه بسلاحى السيف واللسان ، اذ كان الى كونه فارسا باسلا ، شاعرا مفلقا ،أرسل الكثير من الشوارد مدحا للمصطفى صلى الله عليه وسلم ، واعزازا لدين الله ، ورغما لأعدائه .. ومع ذلك لم يعمل شيئا من بيانه البارع فى تزوير عذر ، أو تزويق وزر ، بل آثر الصدق فى الاقرار ، فكرمه الله بجعله مع رفيقيه من أئمة المتقين الأخيار .

ومجرد أخذ هؤلاء الصفوة بالعقوبة ، ثم تداركهم بالصفح والتوبة ، آية أخرى على أن الاستمرار على صالح العمـل من خصائص الايمان الصحيح ، فـلا تخـفف سابقة التضحية من عواقـب المعصية .. الا أن تتطهر القلوب مـن أوضار الذنوب ، بتوبة نصوح ، تؤكدها حرقة الندم على ما فات ، والتصميـم القاطع على الاقلاع فيما هو آت ...

وأخيرا لعل أهـم عبر القصـة أنهـا درس من أيام النبوة ، فيه عبير الوحى ، ورحيق التربية المحمدية ، التى قدمت للتاريخ الانسانى النموذج الاكمل لخـير أمة أخرجت للناس .. ومن أجل ذلك كان لـزاما على المسـلمين أن ينتفعوا بايحاءاتها الربانيـة ، ليعرفـوا كيف يصبرون على التزام المنهج .. الذى لا سبيل غيره الى استعادة القيادة العالمية .

والقارىء المفتوح القلب حين يتتبع هاتيك العبر لا يفوته أن يستبين بعض جوانب الحكمة فى تتويج هذه السـورة العظيمة بهذا الاسم ((سورة التوبة)) .

ابن رشد

محمد يوسف سعد

أحوال المغرب والاندلس في عصره ۰ نشأته ومنصبه ۰ طبه وفلسفته ۰ تشويهه بسبب صلته باليهود ۰ دفاعه عن الفلاسفة ۰ أزماته ونهايته ۰

ابن رشد : هذه شهرته ۰ وهو القاضي أبو الوليد محمد بن أحمد ابن رشد الأندلسي (١) أحد قضاة الاسلام له مؤلفات اسلامية، وهو طبيب ۰ وبعد هذا وذاك فيلسوف ، فمن يرد الكتابة عنه يجب أن يكون دارسا لعلوم الدين الاسلامي ،والا فان كتابته تسير على رجل واحدة ۰ وهو رجل مركب ينبغي أن يلم الكاتب بجميع نواحيه ، لا سيما السياسية لانه كان أحد رجال الدولة ، ومن المقربين للخليفة ، فمن يكتب عنه يجب أن يكون واقفا على تاريخ بلاده فى ذلك العصر ، والا فلا يجوز له أن يكتب ۰

والمؤسف أن بعض الكتاب يكتبون متأثرين الى حد كبير بأساتذتهم من الأوروبيين والمستشرقين ، فيزيدون الطين بلة ، بدلا من أن ينقوا هذه الكتابات من الأخطاء والأغلاط والدسائس التي ترد فى كتابة أولئك الغربيين الذين لا يبالون بما يكتبون ، لأنهم لا يتعمقون فى دراسة كتب الاسلام ، ولا يهمهم الانصاف عامدين ۰

خلاصة تاريخ الأندلس من الفتح الى عهد ابن رشد

معلوم أن الأندلس فتحها طارق وسيده موسى ابن نصير سنة ٩٢ هـ وتوالى عليها ولاة الخلفاء الى أن كان الانقلاب العباسي ، فدخلها من الامويين عبد الرحمن بن معاوية سنة ١٣٩ هـ هاربا من العباسيين ، وما زال يعمل حتى رسخ أقدامه ، وهابه العباسيون ، فتركوه وشأنه . وتعاقب الأمراء على الأندلس من ذريته يلقبون بالأمير فقط لا يدعون الخلافة ، الى أن تغلب الأتراك على الخلفاء العباسيين ، فتجاسر عبد الرحمن الناصر على

(١) ويلقب بابن رشد الحفيد تمييزا له عن جده المتوفى ٥٢٠ هـ بقرطبة . وقد توفى الحفيد بمراكش فى منفاه ونقلت جثته الى قرطبة . « الوعى »

• أبعد فلاسفة العرب صيتاً وأعظمهم تأثيراً في أوربا
جوستاف لوبون

• عرفت جامعة باريس تعاليم ابن رشد فتأثرت بالفلسفة العربيّة وطريقة البحث العلمي فمهدت بذلك الطريق لازدهار الحضارة الغربيّة .
دكتورة هونكة

للأستاذ : احسان النمر ـ نابلس

التلقب بلقب أمير المؤمنين ، وقد بلغت الأندلس ذروة المجد فى عهده الذى دام خمسين سنة ، وكان يتولى قيادة الجيوش بنفسه ، ولم تقتصر حروبه على اخضاع الثوار فى الداخل ، واخضاع المناوئين فى الخارج ، بل اجتاز الحدود الى افريقيا ، فاستولى على المغرب ، ليصلح ما أفسدته دعوة الفواطم ، وقد استولوا على مصر ، وانتقلت أسرة الملك اليها .

وعلى أثر موت عبد الرحمن الناصر تولى ابنه الحكم ، وكان ضعيفا ، وقد بدأ انهيار عظمة الأندلس بعاملين داخلى وخارجى .

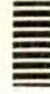
لقد مات (الحكم) عن ولده (هشام) الطفل فاستوصت عليه أمه ، وتولى الأمور وزيرهم الملقب بالحاجب المنصور بن أبى عامر ، وعظم شأن ولده حتى طمعوا فى الخلافة والحلول محل البيت الأموى ، وكان هذا هو الأصلح ، لأن تربية البيت الأموى ضعفت ، الا أن البيت الأموى والشعب أطاحوا بالعامريين ، ولكن الأمويين اختلفوا بعد ذلك فيما بينهم ، وما زالوافىتناحر حتى انقرضوا ، فاستقل ولاة المقاطعات كل فى مقاطعته ، فشكلوا ما يعرف بملوك الطوائف ، ولم يكتفوا بهذا ، بل انهم غفلوا عن الامارات الاسبانية التي كانت تنمو فى الشمال ، فصاروا يتحاربون ، ولم يكتفوا بهذا ، بل صاروا يستعينون بهم ضد بعضهم البعض ، فاغتنم أمير الاسبان ذلك ، وأرسل اثنى عشر ألفا من رجاله نزلوا فى قلب الأندلس ليكونوا جاهزين للنجدة .

وهنا انتبه كبار ملوك الأندلس لا سيما ابن عباد صاحب اشبيلية ، فاستنجدوا بملك الملثمين يوسف بن تاشفين فاجتاز الحدود الى الأندلس ثم أتى بعد الملثمين الموحدين ، وفى عهدهم نشأ ابن رشـد .

الملثمون والموحدون

لما شغل أمراء الأندلس ببعضهم البعض ، وبالاسبان سادت شمال افريقيا الفوضى ، واستقل الأمراء كذلك فى المقاطعات ، فنمت امارة بربرية عرفت بالملثمين ، لأنهم كانوا دائما يتلثمون ، وجعلوا ذلك رمزا لهم ، وقد بلغت من القوة شأوا كبيرا حينما استنجدت بهم الأندلس ، وكان على رأس الملثمين أمير شديد وهو يوسف بن تاشفين ، فلما دخل بجيشه الى الأندلس قام بطرد الاسبان بعد أن اصطدم بجيشهم المتحالف فى واقعة الزلاقة وكسره شر كسرة ، ولكنهم استسلموا بعد ذلك لترف الاندلس فانحلت روحهم الحربية .

وقد أهملوا افريقيا فنشأت فيها أسرة علوية عرفت بالموحدين ، كان أولهم ((ابن تومرت)) الملقب بالمهدى ، ثم جاء بعده ولده ثم خلف هذا ولده عبد المؤمن ، ثم تولى بعده يوسف الذى فتح



الأندلس ، وجعلها ولاية تابعة لافريقيا ، ثم جاء بعده ابنه يعقوب أبو يوسف المنصور الذى بلغت الدولة المغربية أوج القوة فى جيشها وأسطولها الذى كان أقوى أساطيل العالم ، وفى عهده ظهر ابن رشد وكان الأميران يوسف وولده يعقوب يقلدان الرشيد والمأمون ، فقربا الفلاسفة وأهملا الفقهاء ، فأثار هؤلاء العامة فاضطر الأمير يعقوب الى التراجع . ونكبة الحكماء كما سيأتي .

ابن رشد بين العزة والنكبة

ابن رشد سليل بيت قرطبي عرفوا بهذه الكنية ، اشتغلوا بالفقه ، فتوالى قضاء قرطبة فيهم ، الى أن وصل الى المترجم الذى اشتهر بأبى الوليد محمد بن احمد بن محمد بن رشد وقد ولد عام ٥٢٠ هـ الموافق ١١٢٦ م .

نشأ ابو الوليد فى قرطبة ، وتخرج على والده ، وعلى فقهاء قرطبة ومذهبهم المالكى ، وتولى القضاء فى اشبيلية ثم فى قرطبة ، ثم درس الطريقة الأشعرية ، ثم لم يكتف بهذا بل درس علم الطب ، ثم أكب على دراسة الفلسفة من كتب فلاسفة الاسلام الشرقيين ، ثم ابن ماجة وابن طفيل الذى صار يعترف له بالسبق لتفوقه ، وقد عرف فيه هذا فقربه الخليفة أمير المؤمنين يوسف بن عبد المؤمن ، ثم ولده يعقوب . الا أنه قرب بعض شبان اليهود ، ومنهم موسى بن ميمون يتلقون عنه الفلسفة ويشيعونها بين الناس ، فهب حساد ابن رشد ، يوغرون صدر الخليفة المنصور ، فانقلب عليه وأبعده عن بلاطه ، فتجاسر عليه العامة حتى طردوه وولده من المسجد مع الشتائم والاهانات . فنزل فى « أليسا » وكان يسكنها وهي ضاحية قرب قرطبة ، ثم رحل الى مراكش حيث توفى يوم الخميس التاسع من شهر صفر سنة خمس وتسعين وخمسمائة هجرية . هذه خطوط حياته فى سطور ..

حقيقة ابن رشد وحال المسلمين فى المغرب والأندلس

استولى العرب على الأندلس وسكانها من المسيحيين واليهود يملأونها ، ولم يدخل الاسلام منهم الا القليل لأنهم لا يعرفون اللغة العربية أو ما يقاربها ، فظلوا على دينهم ، وكانوا على جانب من النقمة على المسلمين ، لانهم أزالوا ملكهم ، اذ كانوا قبل مستقلين أصحاب ملك وسلطان ، فلم يكونوا رعايا لدولة أخرى كما كانت الحال فى العراق ومصر والشام وشمال افريقيا . وظهر أن الذين دخلوا الاسلام من نصارى ويهود الأندلس لم يكونوا مخلصين فى ذلك ، فكانوا هم واخوانهم يتطاولون ويتهجمون على الاسلام ونبيه عليه السلام ، فأفتى الفقهاء باعدام كل من يتجاسر على ذلك ، وما كتاب الشفاء للقاضى عياض اليحصبى الأندلسي الا رد فعل وفتاوى ضد هذا التهجم على النبى صلى الله عليه وسلم .

ان العقاب الشديد الذى نزل بالمتهجمين أعقب انفجارا تمثل فى ثورة عمر بن حفصون التي دامت ربع قرن حول قرطبة بالذات ، ولم يقض عليها الا بمشقة زائدة ، وقد اضر هذا بمسلمي الأندلس وافريقيا ، بطريقة غير مباشرة ، اذ نشأ عنه رد فعل قوى لا يطاق ، وأصبح الفقهاء يسيطرون سيطرة عظيمة على الرأى العام وعلى الملوك والخلفاء ، وبالرغم من عدم ظهور فرق مبتدعة فى الأندلس ، فانهم رأوا فى حفنة من العقليين (الفلاسفة) خطرا على الدين ، فضغطوا على الخليفة ، وحملوه على ابعادهم ، ولما نزلوا بين العامة أهانوهم بنسبة عقليتهم وتعصبهم الشديد ، فأهانوا ابن رشد وقد بلغ عمرا تهدمت معه أعصابه .

ولم تقتصر النكبة عليه بل نكبوا بضعة أشخاص معه ممن يشبهونه ، ارضاء للفقهاء الذين أثاروا العامة ، ومن هؤلاء المنكوبين أبو جعفر الذهبي ، وأبو عبد الله محمد بن ابراهيم قاضى بجاية ، وأبو الربيع الكفيف ، وأبو العباس الحافظ الشاعر القرانى ، وبقوا مدة فى حالة نقمة الى أن اتصل جماعة من أعيان اشبيلية بالخليفة المنصور يعقوب أبو يوسف المذكور ، فرضى عنهم سنة ٥٩٥ هـ فعين أبا جعفر الذهبى مزورا للطلبة ومزورا للأطباء ، وكان يقول عنه ان ابا جعفر الذهبي

كالذهب الابريز الذى لم يزدد فى السبك الاجودة. وقد أصدر منشورا ألغى منشور النكبة وأعاد ابن رشد الى منزلته ، ولكن أمره لم يطل فمات . وقد عطف المنصور على أولاد ابن رشد وكانوا فقهاء فعينهم قضاة فى الأقضية .

ابن رشد الفقيه المجتهد الكبير

نشأ ابن رشد وعاش ومات فى القرن السادس الذى تواردت (١) فيه على المغرب والأندلس ثمار النهضة العلمية العباسية ، وفيه وصلت اليهم ثمار الاجتهاد ونتائج النزاع بين الكلاميين والفرق . وكذا نتائج اجتهاد الأئمة المجتهدين . فى جميع شؤون الحياة .

وكان ابن رشد يلتهم هذه الثمار التهاما عجيبا ، فقد كان من أفذاذ العالم فى الذكاء ، وما زال يدرس وينضج الى أن شعر بأنه من الراسخين فى العلم ، وكان قد درس الى جانب هذا الفلسفة ، ووجد فى نفسه الكفاءة للرد على المتهجمين عليها ، كما سيتبين فى البحوث الآتية ، فالى جانب رده على تهافت الغزالى بكتابه الذى سماه تهافت التهافت الآتى الكلام عليه ، قام بكتابة رسالة سماها « فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال » حاول فيها التوفيق بين آراء علماء الاسلام والفلاسفة فيما هو معروف بالمتشابه فى القرآن فى قوله تعالى : « هو الذى أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات فأما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله الا الله والراسخون فى العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر الا أولو الألباب » . فهو من الفريق الذى يقول ان حرف الواو قبل الراسخين فى العلم هو للعطف لا للاستئناف ، أى أن العلماء يقدرون على تأويل المتشابه ، فخاض فى التأويل بين الشريعة والفلسفة ، فدلت بحوثه على قدرة عظيمة وفهم ونضوج . وهو فى كل خطوة ينصح بعدم اطلاع الجمهور على مثل هذه الأمور لأنه يرى فى ذلك ضررا وأى ضرر لهم . ومع أنه يصيب فى هذا كل الاصابة الا أنه بهذا حامت حوله شبه العامة ، فتطاولوا عليه ، ولو لم يكن مترفعا عن الجمهور لكانوا معه فى نكبته بدلا من أن يكونوا عليه كما هي العادة ، فطالما ثار العامة لعالم يثقون به ، واضطروا السلطان لرفع الضغط عنه كما حصل فى بدعة خلق القرآن .

ولابن رشد كتبه فى الفقه وهى : كتاب المقدمات ، ومختصر المستصفى فى أصول الفقه ، وكتاب فى التنبيه الى أغلاط المتون ، وكتاب الدعاوى فى ثلاثة مجلدات . ودروس فى الفقه ، وكتابات فى الذبيحة ، وكتاب فى الخراج ، وكتاب فى الكسب الحلال ، وكتاب فى التحصيل الذى جمع فيه اختلاف أهل العلم من الصحابة والتابعين وتابعيهم ، ونصر مذاهبهم وبين الاحتمالات التي هي مثار الاختلاف مما دل على سعة اطلاعه .

بداية المجتهد ونهاية المقتصد

وهو أجل كتبه فى الفقه ويبحث فى العبادات والمعاملات عند المذاهب الأربعة ، وهى الحنفى والشافعى والمالكي والظاهرى (١) وقل ان ذكر شيئا عن المذهب الحنبلى لاعتباره الحنبلى من أئمة الحديث . والراجح أنه أنما قصد من هذا المؤلف الكبير الفات نظر الأندلسيين الى المذاهب الأخرى ، وهى خدمة للسلطان يعقوب الذى جاهر بما كان يخفيه أبوه وجده ، وهو هدم ونسف المذهب المالكى . لأنه مذهب بنى أمية .

والكتاب شامل لتحقيقات المذاهب الأربعة لا سيما المذهب الظاهرى الذى كان يزاحم مذهبى مالك والأوزاعى وأصبح اذ ذاك على وشك الانقراض . وهذا جميعه يدل على سعة اطلاع ابن رشد على المذاهب الفقهية جميعها .

كما أن وقوفه على الأصول وقدرته فى فهم المتشابه ومهاجمته الأشعرية وغيرهم تدل دلالة واضحة على قدرته ووقوفه على جميع نواحي وسائل الشريعة الاسلامية .

---

(١) كانت الأندلس فى تقاطع مع الشرق منذ استقل بها الأمويون فكانت نتائج العلوم فى المشرق تصل الى الأندلس بعد قرن من الزمن وانما تصلهم كتب مشروحة ومنقحة .

(٢) نسبة لأبى داود الظاهر وهو مذهب منقرض .



والذى ينبغى التنبيه اليه هو اتهامه بالزيغ ، فان جميع كتاباته تدل على صحة عقيدته واخلاصه للاسلام .. والورقة التي وجد فيها ما يوهم الكفر بين ورقاته المزعومة ، هى دس من خصومه لا يؤبه له ، كما يفعل اليوم فيمن يريدون توريطه ، وقد تكون لأحد تلاميذه اليهود كما سيأتى ، وقد كان رحمه الله شديد الغيرة على الشريعة ، واليك ما جاء من أقواله عن ذلك فى كتاب فصل المقال المذكور : « فان النفس مما تخللالشريعة منالأهواء الفاسدة والاعتقادات المحرفة فى غاية الحزن والتألم » .

« وبودنا لو تفرغنا لهذا المقصد وقدرنا عليه وان أنسأ الله فى العمر فسنثبت فيه قدر ما يسر لنا منه فعسى أن يكون ذلك مبدأ لمن يأتى بعد » .

فمن كانت هذه نفسيته وعقيدته فلا يجوز الطعن فيه ولا يقبل أصلا .

معالجته أدلةآراء الفرقلا سيما الأشعرية

ولم يقف عند الأمور الفقهية المارة الذكر ، بل انه اشتغل أيضا فى بحوث الفرق وأدلتها وخوضها بالمتشابه ، فتوصل الى حلول قيمة،وقد نعى عليهم اشتغالهم بذلك ، لانه لا فائدة فيه ، وقد ألف كتابا أسماه « الكشف عن مناهج الأدلة فى عقائد الملة ، وتعريف ما وقع فيها بحسب التأويل من الشبه المزيفة والعقائد المضلة » .

وقد صدر هذا الكتاب بقوله : « فقد رأيت أن أفحص هذا الكتاب عن الظاهر من العقائد التي قصد الشرع حمل الجمهور عليها ، وأتحرى منذلك كله مقصد الشارع بحسب الجهد والاستطاعة ، فان الناس قد اضطربوا فى هذا المعنى كلالاضطراب فى هذه الشريعة ، حتى حدثت فرق ضالة واصناف مختلفة . كل واحد منهم يرى أنه على الشريعة ، وان من خالفه اما مبتدع واما كافر مستباح الدم والمال ، وهذا كله عدول عن مقصد الشرع ،وسببه ما عرض لهم من الضلال عن فهم مقصد الشريعة وأشهر هذه الطوائف فى زماننا هذا أربعة .

الطائفة التى تسمى الأشعرية وهم الذين يرى الناس اليومأنهم أهلالسنة، والتى تسمى المعتزلة، والطائفة التي تسمى بالباطنية ، والطائفة التي تسمى الحشوية .

وكل هذه الطوائف قد اعتقدت فى الله اعتقادات مختلفة ، وحرفت كثيرا من ألفاظ الشرع عن ظاهرها تأويلا نزلوها على تلك الاعتقادات ، وزعموا أنها الشريعة الأولى التي قصد بالحمل عليها جميع الناس وان من زاغ عنها فهو اما كافر واما مبتدع . واذا تؤملت جميعها وتؤمل مقصد الشرع ظهر أن جلها أقاويل محدثة وتأويلات مبتدعة .

ابن رشد الفيلسوف الشارح

أخذ ابن رشد الفلسفة عن أشهر رجال الأندلس منهم ابن ماجة وابن طفيل وأبو بكر بن العربى وأبناء زهر ، وهو فوق هذا أحد عباقرة العالم ، فقد درس كتب الفلسفة التي ترجمت فى المشرق ونقلت ناضجة الى الأندلس بعد أن هذبها فلاسفة المشرق . الكندى والفارابى وابن سينا ، وقد أعجب به ابن طفيل الفيلسوف الأندلسي فقدمه الى الخليفة يعقوب أبو يوسف الذى كان يقلد المأمون فأشار عليه بشرح كتب ورسائل أرسطو فولع به وبذل جهدا عظيما فى شروحه حتى اشتهر بالشارح ، وقد تفوق بشروحه على أرسطو كما قرر غوستاف لوبون فى كتابه حضارة العرب حيث يقول « وأبعد فلاسفة العرب صيتا هو الفيلسوف الشهير ابن رشد الذى كان له أعظم تأثير فى أوروبة ، أجل يعد ابن رشد عادة شارحا لفلسفة أرسطو فقط ، ولكن أرى أن هذا الشارح سبق أستاذه فى بعض الأحيان ، سبقا يثير العجب ، وان فلسفته مقبولة فى كثير من الأمور أكثر من تلك .

ولو عرف ابن رشد حقيقة أرسطو لما غالى فى تقدير أرسطو على أنه موحد وأن له الهيات عالية . مع أنه كان مشركا يعدد الالهة ويستوحى الصخور مثل قومه ، وانما دست الالهيات فى

فلسفته من اشراقية افلوطين الاسكندرى ، وهذا أخذ بآراء الصابئة واليهود والنصارى والزرادشتية ، وقد ترجمها المترجمون من الصابئة على أنها لأرسطو .

ابن رشد يدافع عن الفلسفة يهاجم الأشعرية والغزالي

عج المشرق بالزنادقة وأهل البدع ولما كانت الخلافة قوية فانهم قتلوا الزنادقة وتتبعوهم . قتلوا الجعد ابن درهم ثم الجهم بن صفوان فى العهد الأموى ، وقضى أبو جعفر المنصور على الراوندية ، وقتل ولده المهدى تسعة من الزنادقة وعين عبد الجبار أحد رجاله المعروفين لتعقبهم ، فعرف بصاحب الزنادقة ، الا أنهم كثروا واعتدلوا فاتوا عن طريق المحاجة بالمنطق والسفسطة ، فأمر المهدى العلماء باستعمال المنطق ، فكان أول من تسلح به المعتزلة فكانوا سيوفا على الدهرية والجهمية والشيعة والمرجئة والخوارج وغيرهم ، الا أنهم تطرفوا فى ارجاع الأحاديث الى العقل ، فرجع عن الاعتزال أبو الحسن الأشعرى ، وانقلب يجادلهم ويجادل غيرهم فسمى مذهبه واتباعه بالأشعرية ، وقد كثروا وقووا حتى أخفتوا أهل البدع جميعا ومعهم المعتزلة ، واعتبروا أعلام الاسلام وحماته ، وقد ظهر بعد الأشعرى أبو بكر الباقلانى ، ثم تلاه امام الحرمين أبو عبد الملك الجويني وعليه تخرج أبو حامد الغزالي حجة الاسلام ، واذ ظهر له ولأستاذه أن الفلسفة هي أساس كل ما حصل من النسخ فى عقائد المسلمين ، فقد ألف كتابا فى مهاجمتها سماه تهافت الفلاسفة قدمه بكتاب سماه مقاصد الفلاسفة شرح فيه أقسام الفلسفة ، ثم ألف كتابه فى الفقه والأخلاق وقد أطلق عليه اسم احياء علوم الدين ، ولما وصلت كتبه الأندلس واطلع عليها ابن رشد ثار ثورةعظيمة فألف كتابا سماه تهافت التهافت رد فيه على الغزالي فى مسائله . على أنه لم يكتف بهذا بل قام يهاجم الأشعرية جميعا ليتوصل الى هدم الغزالي الذى يذكره بكنيته أبى حامد .

ابن رشد الطبيب العالم بالطب

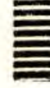
وكعادة الفلاسفة فى ذلك العهد درس ابن رشد الطب وتفوق فيه ، وقد درسه على أبيجعفر هارون وقد لازم أبناء زهر لا سيما أبو بكر بن زهر طبيب الخليفة وأبو مروان بنزهر مؤلف كتاب التيسير . وقد تقدم فى الطب حتى أصبح أحد أعلامه فيعصره، وقد ألف فيه بعض المؤلفات والرسائل التي فيها شرح الأرجوزة المنسوبة الى ابن سينا فى الطب ، وكتاب الحيوان ، وتلخيص كتاب الحميات لجالينوس ، وتلخيص أول كتاب الأدوية المفردة لجالينوس وتلخيص النصف الثانى من كتاب حيلة البراء لجالينوس ، ومراجعات ومباحث بينه وبين أبى بكر بن الطفيل فى رسمه للدواء فى كتابه الموسوم بالكليات ، وكتاب فى نوائب الحمى ، ومقالة فى حميات العفن ومقالة فى الترياق.وقد ظهر اسمه فى الطب ومشاكله وصار الناس يستفتونه فى الطب كما يستفتونه فى مسائل الفقه ، ولما مات ابن الطفيل طبيب الخليفة عين مكانه الى أن نكب . ومن المأثور عنه قوله : « ان من اشتغل بعلم التشريح ازداد ايمانا بالله تعالى » .

ابن رشد الفلكى

وكذا فان ابن رشد درس علم الهيئة وتقدم فيه وألف فيه بعض المؤلفات التي منها مقالة فى حركة الفلك . وشرح السماء والعالم وكتاب الطبيعة والسماء ، الى غير ذلك من المؤلفات التي وضعته فى مصاف علماء الفلك .

خفوت اسم ابن رشد فى المشرق وظهوره فى الغرب

ومع أن ابن رشد أكبر دماغ اسلامي بعد ابن عباس الا انه كان خافت الذكر فى المشرق ، لأن كتبه لم تصل المشرق ، كما أنه لم يزره ولم يحج . وقد انهارت الأندلس واستولى الاسبان على اماراتها ، والتهموها الواحدة بعد الأخرى ، ولم تبق الا امارة غرناطة خاضعة لملك الاسبان تدفع له الجزية السنوية ، وقد دامت هذه الحال مدة قرنين أداروا فيها وجههم الى الاسبان ولم يكترثوا



للعالم الاسلامي ، فلما استنجدوا به لم يكترث بهم لأنه كان يجهلهم ولا يعرف عنهم شيئا .

أما ظهور امر ابن رشد فى الغرب فلأن كتبه وكتب غيره أسرت فى سفينة مشحونة الى المغرب فوقعت بيد أسطول صليبي فدخلت فرنسا وايطاليا ، فكانت هي بذور نهضة أوربا . كما يعترف بذلك أحرارهم اليوم قال غوستاف لوبون : « وأبعد فلاسفةالعربصيتا هو الفيلسوف الشهير ابن رشد الذى كان له أعظم تأثير فى أوروبا » . والمعلوم أن أكثر كتب ابن رشد لا سيما شروحه لآثار أرسطو قد وصلت لأيدى الأوروبيين ، وهي أساس دراساتهم مع غيرها من كتب نوابغ الأندلس . وقد ظهر مؤخرا مؤلف ضخم يزيد على خمسمائة صفحة للدكتورة الألمانية سيغريد هونكة اسمته « شمس العرب تسطع على الغرب » أثبتت فيه بكل دقة أن كل علم فى الغرب أساسه كتب العرب . ومما قالته : « وما أن عرفت جامعة باريس تعاليم ابن رشد حتى تأثرت بالفلسفة العربية وطريقة البحث العلمي ، فمهدت بذلك الطريق لازدهار الحضارة الغربية » .

اليهود يشوهون ابن رشد

لقد ترجم متفلسفة اليهود كتب ابن رشد الى العبرانية بعد أن أضافوا اليها ما شاءوا ، لا سيما تلميذه موسى ابن ميمون وعن العبرانية ترجمت الى اللاتينية ، وقد دسوا فيها نكران ابن رشد للبعث والخلود ، ومن يطالع كتابيه الموجودين بالعربية والتي لم تصل اليهما ايدى اليهود وهما : فصل المقال ، وكشف مناهج الأدلة ، يتحقق أنهم كاذبون ، لأنه يعترف بايمان صادق بالمعاد ، الا أنه يقول ان الأجساد هى من نوع آخر خلاف هذا الجسم الدنيوى الفاني ، وكتبه العربية لم تترجم للغرب ، فظلت عندهم كتبه المزيفة ، وظلوا يعتقدون به الالحاد فينسبون له القول بأزلية العالم ، وبنكران البعث والخلود الأخروى ، واليك ما قاله الدكتور غوستاف لوبون فى كتابه حضارة العرب : « وينكر ابن رشد الخلود والبعث ويصرح بأن على المرء ألا ينتظر ثوابا غير ما يلاقى فى الحياة الدنيا بكماله الخاص » وقال أيضا : « يرى ابن رشد أن العقل العام المطلق باق علىالدهر قابلللانفصال عن الجسم ، وأن العقل الفردى فان مع البدن » وهذا القول يفيد الحلول أيضاً مما يتنزه ابن رشد عنه ، وهذا وذاك هو رأى أكثر الغربيين ، قال أ. وولف أستاذ المنطق فى جامعة لندن فى كتابه عرض تاريخي للفلسفة والعلم على لسان ابن رشد : « ونفس الانسان لا تنفصل عن مخه وهيتهلكمعه» .

والمؤسف أن يأخذ به عامة كتاب العرب اليوم ، واليك ما قاله الأستاذ أسعد داغر فى كتابه : « حضارة العرب » وأعتقد أنه نقله عن الدكتور غوستاف لوبون : « ومذهب ابن رشد فى الفلسفة أن مادة العالم أزلية ، وأن الخلق حركة اضطرارية فى تلك المادة تنشأ عنه الكائنات ويتولد بعضها من بعض اما الخالق فهو الحركة أو المحرك كما أن المادة أزلية فكذلك المخلوقات . فالنفوس تموت مع الأجساد » .

على أن العلامة الألمانية الدكتورة « سيغريد هونكة » استدركت هذا الأمر وأنصفت ابن رشد حيث قالت : « هل كان ابن رشد كافرا لا يؤمن بالله واليوم الآخر ؟ ألم يعترف ابن رشد بوجود حقيقتين ، حقيقة نابعة من المعرفة ، وحقيقة صادرة عن العقيدة الدينية ؟ ان من يدعى هذا لم يقرأ قطعيا بتروٍّ ما كتب ابن رشد ، انه يؤكد انه برغم كل تباين مادى بين الفرديات فثمت دائما جوهر روحى موحد يجمع بينهما . فالجزء السلبى من الروح هو جزء من الجسد يفنى بموته ، لأن كل ما هو فردى زائل . اما الجزء الايجابى الذى هو من الله وغير الذاتى فهو الخالد . لأنه كالشمس التى تضيء كل الأنحاء والتي هى واحدة دائما وفى كل مكان . وهذا الجزء الايجابى هو طريق اتصالنا بالله وهو خالد لا يموت ، خلود العالم نفسه ، ان من لم يقرأ ابن رشد فانه لم يتعرف على الفلسفة الأصيلة » .

على أى حال فان هذا التشويه يتحمله هو ، لأنه قرب اليهود لا سيما موسى بن ميمون ، اذ ترك لهم تبييض مؤلفاته على ما يظهر ، وترجمتها الى العبرانية دون أن يجد من يقرأها له عن العبرانية.

الإسلام والطبيب

٢

للدكتور / وجيه زين العابدين
بغداد

الطبيب وزملاؤه

ذكرت فى كلمتي الأولى عن الطبيب المسلم وعلاقته بالمريض ، واليوم أبين ما يجب أن يكون عليه تجاه زملائه الأطباء ، أو أى فرد من ذوى المهنة الطبية . وقد وضعت النقابات الطبية آدابا لسلوك الأطباء فيما بينهم ، مسترشدين بما تعارف عليه الناس فيما سموه الخلق الحسن ،ومسترشدين بالعرف والتقاليد والتجارب التي مرت عليهم وعلى اسلافهم .

ومن هذه التعليمات ما يتعلق بالمهنة نفسها فى زيارة الطبيب لزميله ومعالجته وذويه ، وكيفية استشارة احدهم الآخر ، واسلوب المراسلة بينهم ، واحالة المريض الى ذوى الاختصاص أو المحللين ، وكل ذلك مدون فى تعاليم النقابات .. بل قد أوجبت بعض النقابات لحماية المهنة ومنع الاساءة أن يخبر الطبيب عن زميله الغاش للمرضى أو المسيء للمهنة (بأى شكل من أشكال الاساءة) كما جاء ذلك فى المادة الرابعة من الآداب الطبية لنقابة الأطباء الامريكان (١) .

والطبيب المسلم قد جاءه (من الله نور وكتاب مبين يهدى به الله من أتبع رضوانه) .. فهو غنى عن أن يتكفف

* سبق أن نشرنا المقال الأول فى العدد الرابع .

(١) (A.M.A Code) السلوك الطبي لنقابة ذوى المهن الطبية الامريكية .



القوانين الوضعية ، اذ جاءته الشريعة الاسلامية باحسن أدب ورد فى القرآن الكريم وفى السنة المطهرة .. فهو ان فتح عيادته يزور زملاءه وجيرانه ، ويعاملهم أفضل معاملة ، يزورهم فيستفيد من خبرتهم فى المنطقة ، ويسترشد بنصحهم وفى الوقت نفسه يكون قد أظهر حسن نيته تجاههم . وهو يعلم أن نبيه الكريم قد أوصى بالجار حتى قال عليه السلام (ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه) (١) .

ولعل من المشاكل التي تعترض العلاقة بين الأطباء ، المنافسة على المرضى ، والسعى للحصول على المال .. فاذا كانت الجاهلية قد جعلته غاية ، وبررت الوسيلة اليه ، فالاسلام قد حل المشكلة من أساسها ، فمع اعتراف الاسلام بغريزة التملك الا أنه هذبها ، كما فعل بكل الغرائز فى البشر ... فالمال فى الاسلام هو مال الله ، وانما يكون الانسان مستخلفا فيه ، ومحاسبا عليه من أين أكتسبه وفيم أنفقه . ولذلك فلن يكون المال عند المسلم غاية أبدا ، بل وسيلة لحياة طيبة للمسلم ولبذله أرضاء لله ، ونشرا لعقيدته ، واذا لا يكون المسلم حسودا شرها فى جمع المال . والله تبارك وتعالى يقول (ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن وأسألوا الله من فضله (٢) والله تعالى يقول أيضا (ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون) (٣) فالسعادة عند المسلم لا بالمال وكثرة العرض بل بالعمل لرضاء الله .. وهكذا يعيش المسلم مع زملائه فى اخوة صادقة ، وقد أقر الله فى القرآن الكريم ثلاثة أنواع من الاخوة فلا بد أن يكون زميله مهما كان دينه وجنسيته أحد هؤلاء الاخوة .. فالاخوة الأولى هي اخوة الدين وشروطها ثلاثة التوبة من الشرك واقام الصلاة وايتاء الزكاة . قال تعالى (فان تابوا واقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فاخوانكم فى الدين) (٤) والاخوة الثانية هي اخوة القبيلة والجنسية واللغة ولا يشترط فيها نفس الدين قال تعالى (والى عاد اخاهم هودا .. والى ثمود اخاهم صالحا .. الآية) (٥) وفى عاد وثمود وغيرهم المؤمن والكافر . واما الاخوة الثالثة فهي اخوة الانسانية قال تعالى (ويسألونك عن اليتامى قل اصلاح لهم خير وأن تخالطوهم فاخوانكم) فاليتيم مثل من امثلة الاخوة الانسانية ولم يشترط فيه جنسية ولا دين متشابه ..

ويكفى فخرا أن يسمع الطبيب المسلم قول نبيه الكريم محمد صلى الله عليه وسلم (لا يؤمن احدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه) (٦) .

ولا بد من كلمة حول الشركة بين الأطباء فارى أن يدون كل شيء بصورة مفصلة : الأمور المالية والفنية والادارية ولا يعتمد الاطباء على الذاكرة أو الصداقة أو المودة بينهم فقد قال الله تبارك وتعالى (يا أيها الذين آمنوا اذا تداينتم بدين الى أجل مسمى فاكتبوه) (٧) . واذكر الطبيب المسلم بأن الله مع الشريك الامين المخلص ، قال النبى صلى الله عليه

---

(١) أخرجه البخارى وفى الباب عشرات الاحاديث كما ورد فى القرآن الكريم آيات توصي بالجار ،
(٢) سورة النساء .
(٣) سورة الحشر .
(٤) سورة التوبة .
(٥) سورة هود .
(٦) أخرجه البخارى ومسلم .
(٧) سورة البقرة .

وسلم (أنا ثالث الشريكين مـا لم يخن احدهما صاحبه فاذا خانه خرجت من بينهما) أخرجه ابو داود عن ابى هريرة .

ومثل الطبيب الصيدلى وغيره من ذوى المهن الطبية يجب أن يلتـزم الطبيب المسلم معهم الآداب الطبية والاخـلاق العامة فمثلا لا يجوز أن يكون هناك أى اتفاق بين طبيب وصيدلى بصورة سرية على حساب المـريض أو على حسـاب الأدب المهنى .. (١) .

سر المهنة

لعل من أهم ما يجب أن يتصـف به الطبيب المحافظة على أسرار مرضاه ، وربما كانت هذه الصفة من أبرز الصفات التي يجب أن تتوفر بين الطبيب ومريضه .. ولكن هناك حالات يجوز للطبيب أن يذيع فيها هذا السر ، أو ربما يكون ملزما ، كالاخبار عن الامراض المعدية ، وحالات الولادة والوفاة ، والاخبـار عن المـواد المخدرة التي تصرف لمريض ما ، والشهادة امام المحاكـم ، والتقاريـر التي تعطى لدوائـر التأمـين وللشركات والدوائر الرسمية ، وكذلك الأخبار عن الجرائم ، والاخبار عن المـرضى لحمايـة الناس ، ولا سبيل هنا لتفصيل كل منها . ولكن ابين ما أعتقده الرأى الاسلامي فيها .

فأى قانون او تعليمات تصدرها الدولة وترى فيها مصلحة الأمة ، تعتبر مقبولة فى الشرع الاسلامي ، ما لم تعارض النص من الكتاب والسنة . فالطبيب اذاً يخبر عن المريض المعدى بقدر ما يمنع خطره ، ويحفظ صحة الآخرين ، ولا يزيد على ذلك اى أن القاعدة حفظ السر ، وخرقها يكون بقدر ما تقتضـيه الضرورة ، فاذا جاوز ذلك صار مسيئا ــ على ما أرى ــ اذ قد يظن به التشهير بالمريض والرسول الكريم صلى الله عليه وسـلم قد أمرنا بالستر فقال (ومن ستر مسلما ستره الله يوم القيامة) (٢) .

وأمام المحاكم يذكر الاسـلام الطبيب بقول الله عز وجل (ولا تقف ما ليس لك به علم ان السـمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسـؤولا) (٣) فاذاً لا تتكلم أيها الطبيب بكلمة الا أن تكون واثقا تمام الوثـوق من صـحتها ، فان نجوت من المحاكم فلن تنجو من اللـه القائـل (اذ تلقونه بالسـنتكم وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم وتحسبونه هينا وهو عند الله عظيم) (٤) .

وعلى الطبيب أن لا يتكلم امام المحاكم والمحقـق بأكثـر مما يسـأل ، ويختار الكلمات اللائقة التي تفى بالغرض (كناية أو مجازا) وهذا هو أدب القرآن الذى يجب أن يكون خلق كل مسـلم . وعلى الطبيب أن يختـار الكلمات السـهلة المفهومة ، ولا يلجأ الى الكلمات المبهمـة والمصطلحات الطبيـة التي لا يفهمها الا الطبيب .

ومن حق الطبيب أن يخبر عن الجرائم ، وأرى أن الاسـلام يعتبر ذلـك واجبا . فمثلا اذا أصيب شخص بجرح وجىء به الى الطبيب فعليه أن يعالجـه فورا ، ويخبر الشرطة بذلك . فلعل أن يكون هذا المجروح قد قتل نفسا وهو يريد اخفاء جريمته .. والله تبارك وتعالى يقـول (ولا تكتموا الشهادة ومن يكتمها فانه آثم قلبه) (٥) وقد يغرى الطبيب بالمال

---

(١) من اراد المفصـل عن ذلـك فعليه مراجعـة 1) Hadfied Lau & Ethics For doctors.
2) Remington - Praetice of Farmact.

(٢) اخرجه مسلم ، لا اعتقد ان ذكر كلمة مسلم تعنى جواز فضح او التشهير بغير المسلم فى مثل هذه الاحـوال .

(٣) سورة الاسراء .

(٤) سورة النور وفى هذا المعنى احاديث كثيرة منها (وهل يكب الناس عـلى وجوههـم الا حصـائد السنتهم) .

(٥) سورة البقرة .



لاخفاء الجريمـة او يهدد . فليتصرف تصرف حكمة ولا يضيع حق الناس أو الحق العام ..

وقد يضطر الطبيب الى افشاء السر للمصلحة العامة . ومثال ذلك اذا عرف مصابا بالصرع يقود سيارة اذ قد تصيبه النوبة (اثناء قيادتـه فيسـبب ضررا للآخرين) والفقهاء والمسلمون قد قرروا تفضيل درء المفسدة على جلب المنفعة .

وقد يطلع الطبيب على مرض معد فى خادم أو مربية فهل يخبر الذين تعيش معهم هذه المربية ليحفظ الطفل ؟ .. أرى أن يلجأ للمريض (١) نفسه فيقنعه بالمعالجة ، **ويخبره بصراحة** عن مرضه ، وعما يجب أن يفعله لوقاية من حوله ، فان لم يقتنع لجأ الى افهام العائلةبصورة غير مباشرة مثلا باجراء الفحص الطبى عليهم جميعا مع المربيـة حتى يكشـف الامـر من قبلهم (! !) ، أو اذا اطلـع الطبيبعلىمريض يمتنعالزواج معمرضه فليقنعه أولا بالعدول والمعالجة قبل أن يلجـأ الى ذوى الفتـاة ، واذا اضـطر الى ذلك فلا أرى أن الاسلام يجيز له أن يخبر ذوى الفتاة مباشرة بافشـاء سر المريض بل عليه أن يصرف ذوى الفتاة بصورة غير مباشرة وعن طريق شخص ثالـث ، فالقاعدة الفقهيـة (لا ضرر ولا ضرار) (٢) ، والواجب على المسلم أن يستر على أخيه كما ذكـرت قبـلا على أسـاس ألا يكون فى السـتر ضرر على الآخـرين وقد سـألت بعض العلماء فى العالم الاسلامي والبلاد العربيـة فكان جواب معظمهم أنه لا يحق للطبيب المسلم افشاء سر المريض تبـرعا فاذا سـئل فليحـاول أن يؤدى المطلـوب بحكمـة ويبتعد عن الافشاء بقدر المستطاع .

وأرى أن الرأى الاسلامي يوجب على الطبيب افشاء سر المـريض اذا كان فى كتمان ذلكادانة برىء أو افلات مجرم..

أجرة الطبيب

لا أرى ان الاسلام يتدخل كثيرا فى اجرة الطبيب فالامر عرفى ، على أن الانصاف مطلوب من المسلم ، كما أنه لا بد من مراعاة الفقير ومعالجته مجانا ، ولعل هذه المعالجة المجانية قد ادخلها الاسـلام فيما يمكن أن نسميه زكاة النفس ، اذ أرى أن على المسلم زكاة فى علمه يعلمه للناس متمثلا أمر الله عز وجل القائل (واذا أخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتـاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه) (٣) ومقتديا بالرسل الكرام حيث قال الله على لسانهم (وما أسألكم عليه من أجر ان اجرى الا على رب العالمين) (٤) .

فأرى أن على الطبيب المسـلم زكاة فى علمه وجسمه ومن الواجب عليه ان يعالج الفقراء مجانا وهذا حقهم عليه ، وليس لهذه الزكاة نصـاب كزكاة المال . وبقدر ما ينفق الطبيب المسلم من وقته وعلمه وماله وجاهه للفقراء فان الله يخلفه اضعافا مضاعفة فلا يمن على أحد بذلك ابدا .. قال تعالى (وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه وهو خير الرازقين) (٥) .

الاسلام وبعض اعمال الطبيب

١) الاجهاض :

الاجهـاض أو الاسـقاط وهو عملية تفريغ محتويات الرحم .. وهو نوعان :

(١) نخالف الدكتور فى رأيه اذ يجب على الطبيب أن يعمل على عزل المربية فى الحال وعلاجها وقاية للأسرة كلها . «الوعى » .

(٢) ورد ذلك بحديث اخرجه ابن ماجة عن ابى سعيد الخدرى وغيره من طرق اخرى يقوى بعضها بعضا .

(٣) سورة آل عمران .

(٤) سورة الشعراء .

(٥) سورة سـبأ .

الاسـعافي والجنائـي . فالاسـقاط الاسـعافي لانقاذ حيـاة الأم ، أو لأيـة ضرورة طبية يقررها الأطباء المختصون مقبـول في الاسـلام ، على قاعدة اتباع أهون الضررين ، أو قاعدة ارتكاب مفسدة لدرء مفسدة أكبر .

وأما الاسقاط الجنائي فلأسـباب لا تتعلق بصحة الأم كحالة حمل السفاح ، أو لتحديد النسل ، أو لقضايا اقتصادية فهذا غير جائز أبدا ، ولا يجوز للطبيب المسلم أن يجرى هذه العملية فان فعل فقد ارتكب جريمـة قتـل الوليد . . . قال تعالى (ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحـق) (١) وقد اجـاز بعض العلماء الاجهاض قبل الشـهر الرابـع وحجتهم الحديث الشريف الذى أخرجه مسلم (ان احدكم يخلق فى بطـن أمـه أربعون يوما نطفة .. الى قوله ثم ينفخ فيه الروح) اذ يقولون أن الجنين لـم ينفخ الروح بعد فيه . لكن الحقيقة أن الروح توجد فيه من أول دقيقة . ولكن الروح التي يقصدها النبي صلى اللـه عليه وسلم هي الحركة التي تشعر بها الأم (٢) .

التلقيح الصناعي

هو عملية ادخال مادة الذكر (المنى) فى رحـم الانثى ، وهو اما أن يكون بادخال مادة الـزوج نفسه الى زوجته بصورة صناعية ، لتعذر الحمل بصورة طبيعية وذلك امر لا يعارض فيه الاسلام .

والنوع الثاني : هو ادخال مادة رجل معين الى امرأة غير زوجتـه ، وذلك حرام . ويكون الطبيب مجرما ان اجرى مثل هذه العملية .

اما النوع الثالث فهو جمع (المنى) من مختلف الرجال فى مصرف ويعطى للمـرأة التي تريد أن تحمل (بطريقة صناعية) فهذا النوع حرام أيضا فى الاسلام ، اذ يكون فى النوعين الآخيرين اختلاط الانساب مع أنـه مسـموح به عند الـرومان الكاثوليك (٣) .

قال النبى صلى الله عليه وسلم (من انتسب الى غير ابيه او انتسب الى غير مواليه فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين) (٤) .

التجميل الصناعي

لا أرى أن الاسلام يمنع الطبيب من اجراء أية عملية لتجميل المرأة أو حتى الرجل ان لم يكن فى تلك العملية خرق لصفات المرأة الانثوية أو صفات الرجل .. ولا أعنى أن الاسلام يحرم العمليات التي فيها ينقلب الرجل الى امرأة ، كما نقرأ ونسمع ظاهرا ، فمثل هذه العمليات ليست عملية تحويل كما يظنها البعض ، بل ان الرجل الذى اجريت له العمليـة فصار انثى هو فى الحقيقـة انثـى ، وقد تشوهت بعض الاعضاء فاقتضى لها شيء من التدخل الجراحي .

وفى الأحاديث الشريفة ما يمنع القيام ببعض اعمال التجميل للمرأة مما لا يكون من عمـل الطبيب فى الغالب كالواصـلة والواشمة .. الخ .. حيث نهى النبى صلى الله عليه وسلم عن ذلك (١) .

أما عمليات ترقيـع القرنية ونقـل الكلية من انسان لآخر وغير ذلك فهى من العمليات التي فيها انقاذ الانسـان من العمى أو الموت فلا يمكن أن يعارض فيها الاسلام .

---

(١) سورة الاسراء .
(٢) راجع كتاب الاسلام والتربية الجنسية (الدكتور وجيه زين العابدين) .
(٣) راجع كتاب (Hadfield Ethics for Doctors). من ١٩٩ — ٢٠١ .
(٤) اخرجه ابن حيان .
(٥) وردبذلك عدة أحاديث اخرجها البخاري ومسلم وغيرهما .

قصّة



السيدة
هداية سلطان السالم

ضاربة العود

المكان .. سوق الرقيق فى بغداد ....

والزمان .. يوم كانت بغداد حاضرة الدنيا ومحط أنظار العالم كله .. يوم بلغ فيها الترف أقصى مداه والفن ارقى مستوياته ، وفتن معظم الناس بالدنيا فأقبلوا عليها يغترفون من ملذاتها ، ويعبون من متعها ، وقد نسوا آخرتهم ، وظنوا أن الحياة الدنيا هى الحياة ، ولا حياة لهم بعدها .

والبطلة .. جارية بارعة الجمال ، فاتنة الملامح ، عذبة الصوت ، خارقة الذكاء ، بالغة الحياء ، وديعة هادئة تقف مستسلمة للامر الواقع الذى أراده لها القدر ، والتجار يروحون ويجيئون من حولها ، يتفحصونها بنظراتهم ، ويسألون عن ثمنها ، فاذا ما عرفوه شهقوا فى دهشة ، وتراجعوا فى عجز ، وتقدم غيرهم ليسأل من جديد ...

ويتقدم اسماعيل البصرى تاجر الرقيق الثرى .. يتأمل الجارية بعين الخبير المتمكن من فنه ، ثم يطلب أن يسمع صوتها ، ويسأل عما خفى من صفاتها .. ثم يدفع العشرين ألفا التى حددت ثمنا لها ويعود بها الى بيته ...

حقا أنه لم يدفع نصف هذا المبلغ ثمنا لجارية من قبل ، ولكنه ــ وهو الخبير المحنك ــ قد أدرك من اللحظة الاولى أن هذه الجارية ستكون أنفس درة فى عقد جواهره وأنه سيبيعها بأغلى ثمن لذوى الجاه والسلطان .

ويطلق عليها اسماعيل اسم تحفة ، ثم يستقدم لها أساتذة العزف والغناء والشعر والادب فى ذلك الحين ، ولا يدخر وسعا أو جهدا فى سبيل تعليمها واعدادها ، حتى تبرع تحفة فى الغناءوحفظ الاشعار ورواية النوادر والفكاهات والطرف ، وتتقن ضرب العود ويصبح لها فى هذا الفن مكانة خاصة يشهد بها الجميع ، وينتهى الأمر بهم الى تسميتها بضاربة العود ..

ويسر التاجر بهذا النضج السريع فى مجال الفنون كلها ، ويزداد سروره عندما يجد أنها لا تميل الى الخلاعة والتبرج ، كغيرها من الجوارى ، ولا تحاول اتخاذ الأحبة من الرجال كما يفعلن ، ولا يلبث أن يقوم بحملة واسعة من الدعاية

لهذه السلعة الفريدة النادرة المثال ، ويتوافد على بابه طلاب المتعة ، وكل منهم يتوق الى شرائها ، ويطمع فى حيازتها ، وكلما زاد عددهم كلما رفع التاجر الثمن أكثر فأكثر ...

وبينما هو يمنى النفس بالآلاف المؤلفة التي سيربحها من ورائها ، اذ فوجىء بها تعتكف فى حجرتها ، وترفض أن تعرض على المشترين صباح مساء ... ويدهش الرجل لهذا التصرف منها ، ويسرع اليها ليعلم سر هذا التصرف ، فاذا به يسمعها تغنى من نظمها ...

وحقك لا نقضت الدهـــر عهـــدا ولا كـــدرت بعـــد الصــفو ودا
ملأت جـوانحـى والقلـب وجـــدا فكيـف الذ ، أو أسـلو وأهدا ؟؟
فيا من ليس لـــى مولـى ســواه أراك تركتنـى فى النـاس عبـــدا

فرح الرجل بهذه الموهبة الجديدة ــ موهبة نظم الشعر ــ التى ستضاف الى مجموعة مواهبها الأخرى ، والتى ستزيد من ثمنها بطبيعة الحال ، ودفع باب حجرتها ، ودخل اليها مهنئا ، ولكنه فوجىء بها تقذف بالعود بعيدا ، ثم تنفجر باكية فى حرارة .. وظن الرجل أنها قد وقعت فى الحب ، وأنها تبكى لذلك ، وتمنى لو أن هذا الذى أحبته كان من أصحاب الشأن والثراء ، ليستطيع أن يساومه مستغلا عاطفته ، ويحصل منه على أكبر قدر من المال ..

وتقدم اسماعيل منها ، وسألها عن اسم الحبيب الذى كانت تغنى له، ولكنها لم تجب ، فكرر السؤال دون جدوى ، فخرج من حجرتها ، واختلى بنفســه يفكر فى الأمر ، وهداه التفكير الى ضرورة مراقبتها مراقبة دقيقة ليعرف مــن هو ذلـك الحبيب ..

واستمرت المراقبة شهورا دون أن يعرف شيئا .. بل أنها لم تتصل خلال هذه الفترة باحد من الرجال ولا النساء وكانت تلازم حجرتها ليل نهار ، وكلماأطل عليها من خلال الخصاص وجدها تصلى وتتعبد وتنشد الاشعار ولاحظ الرجل أن وجهها قد بدأ يشحب وأن جسدها قد أخذ يذبل ، ففزع لذلك أشد الفزع وصمم على انقاذ ما يمكن انقاذه من هذه الصفقة التى بذل فيها الكثير وتوشك الآن على الخسارة الفادحة .. ودخل اليها ، وطلب اليها فى حزم أن تخبره عن سر شحوبها ونحولها وتغيرها، وعن اسم ذلك الذى خلب لبها وصيرها الى هذه الحال فنظرت اليه نظرة مليئة بالسخرية العميقة وقالت ..

خـاطبنى الحق مــن جنانـــى فكـان وعظـى عـلى لســـانى
قـربنى مـنه بعـــد بعــد وخصنـــى اللـــه واصطفانـى
أجبت لمـــا دعيـــت طوعـــا ملبيـــا للـذى دعانـــى
وخفـت ممـا جنيـت قدمـا فـأوقـع الحب بالايمـــان

وكان طبيعيا الا يفهم التاجر من القول شيئا .. فأين هو وأين هى ؟ انه فى عالم وهى فى عالم آخر وشتان ما بين العالمين ...

وظن أن بها مسا من الجنون أو الاختلال العقلى ، فراح يستقدم لها الاطباء والمعالجين .. وحاول هؤلاء أن يعرفوا شيئا عن سبب علتها وما تعانيه دون جدوى ، فأشاروا على الرجل أن ينقلها الى مصحة عقلية لعلها تشفى ، فيعود اليه ماله الذى أنفقه فى شرائها وتعليمها ..

ونقلها الرجل على الفور الى المصحة الموجودة حينذاك وجاء الممرضون يقيدونها بالسلاسل الحديدية ـ كما كانت العادة فى ذلك الحين ـ فنظرت الى السلاسل، والى القساة الواقفين من حولها، ثم رفعت رأسها الى السماء وقالت.

أعيذك أن تغل يدى — بغير جريمة سبقت
تغل يدى الى عنقى — وما خانت وما سرقت
وبين جوانحى كبد — أحس بها قد احترقت
فلو قطعتها قطعا — وحقك عنك ما رجعت

وكان التاجر يزورها كل يوم وفى نفسه أمل .. ولكن أمله بدأ يذبل ويذوى، كلما تقدمت الايام، فقد ظلت على حالها، واستمرأت حياة الحبس والسلاسل الحديدية ...

وزار المستشفى يوما رجل من أهل التصوف هو « السرى السقطى » ورآها وسط المجانين، فشك فى أمر جنونها، واقترب منها يريد أن يحدثها فأستقبلته قائلة ...

معشر الناس ما جننت ولكن — انا سكرانة وقلبى صاح
أغللتم يدى ولم آت ذنبا — غير جهدى فى حبه وافتضاحى
انا مفتونة بحب حبيب — لست أبغى عن بابه من براح
فصلاحى الذى زعمتم فسادى — وفسادى الذى زعمتم صلاحى
ما على من أحب مولى الموالى — وارتضاه لنفسه من جناح

هنا تأكد لدى السرى أنها ليست مجنونة وانما هى اسيرة الحب الاعظم .. الحب الطهور .. حب العلى القدير جل جلاله .. فاهتزت نفسه روعة، وانحدرت الدموع فى صمت على وجهه، فعجبت هى لبكائه وسألته عن سببه فقال ..

ـ أهجت شجنى وحركت حزنى ولا يعرف الشوق الا من يكابده ...

ـ (فهتفت) يا هذا لقد بكيت من الصفة، فيكف لو عرفته حق المعرفة (ثم انشدت).

السنتى ثوب وصل طاب ملبسه — فأنت مولى الورى ومولائى
كانت بقلبى أهواء مفرقة — فاستجمعت مذ رأتك العين أهوائى
من غص داوى بشرب الماء غصته — فكيف يصنع من قد غص بالماء
قلبى حزين على ما فات من زللى — والنفس فى جسدى من أعظم الداء
والشوق فى خاطرى منى وفى كبدى — والحب منى مصون فى سويداء
اليك منك قصدت الباب معتذرا — وانت تعلم ما ضمته احشائى

وما أتمت هذه الابيات حتى دخل سيدها، فلما رأى السرى ـ وكان يعرف مكانته ـ عظمه وقدره وأضفى عليه الكثير من عبارات الاحترام فقال له السرى :

ـ هى والله أولى بهذا التعظيم منى ...

فاستبعد صاحبها ذلك وراح يعدد للسرى ما عاناه منها فقال له السرى :

ـ على الثمن يا هذا وأزيدك أن شئت عليه ...

ـ (فصاح الرجل) هى على بعشرين ألفا وانفقت عليها مثلها ...



ــ (فقال السرى) قبلت .. ابق هنا حتى أرجع اليك بالمبلغ ...

ــ فصرخ الرجل وافقراه ان كان السرى يملك مثل هذا المبلغ ...

وانطلق السرى الى أحمد بن المثنى دامع العين فروى له القصة ، وطلب منه المبلغ فدفعه له على الفور فعاد الى التاجر ودفـعه له بـدوره وأعتقها .. فأنشدت ...

هربت مـــنه اليـــه بكيـت منـــه عليـــه
وحقــه هــو مــولـى مـا زلت بـين يديــه
حتـى أنــال وأحظـــى بمـا رجـوت لديــه

وانطلقت تحفة هائمة فى رحاب الله وحتى وصلت مكة فعاشت الى جوار الكعبة ، وكانت تتعجل المنية بأشعار فى منتهى الصدق والرقة ...

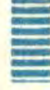
محب اللـه فى الـدنيا سقيـم تطـاول سـقمه فـدواه داه (١)
سقاه مــن محبته بكـأس فـأرواه المهيمـن اذ سقـاه
فـهام بحبـه وسـما اليـه فليس يريـد محبوبا سـواه
كذاك من ادعـى شـوقا اليـه يهيـم بحبـه حتـى يـراه

وقد ظلت هذه حالها ، حتى توفاها الله فى جوار بيته الحرام ، وحقق لها الله سبحانه ما كانت تتمناه وتهتف به أنها هربت منه اليه مشـوقة الى نيل ما كانت ترجوه لديه .

---

(١) دواؤه هو داؤه . تشير الى أن حبها فى الله أسقمها ومن الله تستمد الدواء والشفاء .

بقية : الجنة والنار
أو الثواب والعقاب



يتأثر بها ، حتى ليسير بسرعة تفوق سرعة الصوت مرات ومرات ، فلا يكاد يحس أنه يتحرك ، وليس ذلك كله سوى المقدمة ، لما سوف يتكشف عنه عصر الفضاء ، بعد أن يهبط الانسان على القمر ، ثم يثب من القمر الى الكواكب الاخرى ، ويرى نفسه من جديد وقد تحول هو وكوكبه الارضى الى مجرد ذرة .... ذرة فى هذا الوجود اللانهائي .

وآخر ما وافتنا به الانباء ، ان مؤتمرا انعقد من علماء الروس والامريكان ، للبحث فى شئون الحياة والحضارات الاخرى التى لا بد موجودة فى الفضاء الخارجى ، وكيف يمكن الاتصال بها ، ويعنينا من ذلك كله ، ان المعتقدات الانسانية ، والاديان السماوية ، لم تكن وهى تنظر الى السماء ، وهى تحدثنا عن حياة اكمل وأفضل فى السماء ، وهى تدعو الانسان ابدا للتطلع صوب السماء، لم تكن واهمة ولا هي مخرفة ، كما تخرص المتخرصون ، وانما كانت تنطق بالحق ، وتكشف عن اسرار الوجود .

ويكون العلم الحديث التجريبى التطبيقي ، قد قربنا من مفهومات الاديان ولم يبعدها عنا ، وقد قوى العقيدة فى الجنة والنار ولم يضعفها .

الخلاصة

وهكذا يخلص لنا من كل ما قدمناه من مقالاتنا حتى الآن .

ـ ان هذا الكون لا يمكن الا ان يكون من خلق اله قديم حكيم مدبر حى قيوم .

ـ وانه قد اوحى لنفر من البشر ، ليشهدوا بوجوده ، ويدلوا على طريقه ، ويعرفوا الناس بالخير والشر والخطأ من الصواب .

ـ وأن هؤلاء الرسل الصادقين الامناء، قد قالوا لنا ان سيكون بعث وستكون جنة ونار ، فأصبح لا مناص من تصديقهم ، والايمان بهذه الحقائق الغيبية التى لا يتوصل اليها عن طريق الحواس .

ـ وان ليس فى كل ما دعا له الرسل من الايمان بالله واليوم الآخر والجنة والنار ، ما يتصادم فى جوهره مع منطق العقل ، او حقائق العلم .

ويصبح السؤال الآن ، اى هؤلاء الرسل نتبع ، فالعالم يغص بعشرات بل مئات من الاديان والمعتقدات ، وعلى رأسها ثلاثة أو اربعة ممن يتجاوز عدد معتنقيها مئات الملايين ؟

والرد على هذا السؤال يحتاج الى مقال آخر بل عدة مقالات .

حكمة

قال ابو عمرو بن العلاء « كن من الكريم على حذر اذا أهنته ، ومن اللئيم اذا اكرمته ، ومن العاقل اذا احرجته ومن الاحمق اذا رحمته » .



سئلت رابعة العدوية :

كيف بلغت هذه المرتبة العالية فى الحياة الروحية ؟

فأجابت : بقولي دائما .

« اللهم اني اعوذ بك من كل ما يشغلني عنك ، ومن كل حال يحول بيني وبينك » .

الفتاوى

يسر المجلة ولجنة الفتوى بالوزارة ان تتلقى اسئلة القراء وتجيب عنها .

اجارة الوقف

السؤال :

أولا : أوقف رجل بيتا لعمل خيرات تصرف فى أضحية ونوافل يعنى عشاء للفقراء فى المناسبات الدينية صدقة له ولوالديه ولابنه .

ثم توفى الواقف ، وخلفه ابنه ، واتفق مع شخص وأجره البيت وتوابعه مائة وعشرين سنة بمبلغ عشرة ريالات فرنسية سنويا تدفع نقدا أول كل سنة .

ثانيا : أوقفت امرأة بيتا لنفس الغرض وبعد وفاتها استأجره شخص لمدة ثلاثين سنة كل سنة بريالين ، وانتهت المدة واستأجره لمدة أربعين سنة بمائة ريال سنويا وقد مضى منها احدى عشرة سنة . وبعد عشرات السنين استملك البنيان للصالح العام . فهل يشـــترى بمال بدل كل منهما عين تكون وقفا وتسـلم للمستأجرين على أن يقوم كل منهما بدفع الايجار المتفق عليه حتى تنتهي المدة أم ماذا يفعل معهما وما هي الطريقة الأنفع لمصلحة الوقف . أرجو بيان الحكم الشرعي فى ذلك ..

(ح . م – الكويت)

الاجابة :

بعد الاطلاع على ورقةعرفيةصادرةمن الواقف مصدرة بالكلماتالآتية (صورة وصية ..)تضمنتأنالبيت الموقوف بشمال بريده ضحية الدوام له ولوالديه ولابنه وان البيت والجو وقف الخ .. ما جاء بالورقة ، وبعد الاطلاع على ورقة صادرة من الواقفة مصدرة بما يأتى (صورة وصية) تضمنت أن الدار الشمالية التي انتقلت الى الواقفة من أبيها وقف لله تصرف فى أعمال بر وضحايا وعشاء الخ . وقد تبين من الاطلاع على هاتين الورقتين أنه لم يذكر فيهما شيء عن مدة التأجير ، وبالرجوع الى ما كتبه الفقهاء فى المسائل التي تتعلق بمدة الاجارة نجد أنه :

ورد فى مجلة الاحكام العدلية : « لا يجوز اجارة مال الوقف واليتيم وأراضى بيت المال لاكثر من ثلاث سنين فى الضياع ولأكثر من سنة فى غيرها كالدار والحانوت صيانة للوقف ومال اليتيم من دعوى الملكية بطول المدة وهو المختار للفتوى – فلو أجر المتولى أو الوصى الى أكثر من ذلك لم تصح الاجارة وتفسخ فى كل المدة لأن العقد اذا فسد فى بعضه فسد فى كله ولا فرق فى مال اليتيم ان اجره أبوه أو وصيه . أما فى الوقف فيفرق بين الواقف والمتولى لأن للأول التأجير لأية مدة أراد ، ولو شرط الواقف اجارة مدة معينة روعى شرطه لأن شرط الواقف كنص الشارع وان لم يشترط الاجارة مدة معينة وكانت عمارة الوقف لا تحصل الا بالاجارة المدة الطويلة فيرفع الأمر الى الحاكم ليصرح بما فيه المصلحة .

وورد فى الفتاوى الانقرية : وانما لم تجز أجارة الوقف المدة الطويلة كيلا يؤدى ذلك الى ابطال الوقف لأن المستأجر يتصرف فى العين تصرف الملاك ومتى أنكر الوقف يشهد له الناس بالملك . قال الصدر الشهيد فى واقعاته : والمختار انه يفتى فى الضياع بالجواز فى ثـلاث سنين الا اذا كانت المصلحـة فى عدمه وفيغير الضياع بعدم الجواز فيما زاد على السنة .

وورد فى الفتاوى الخانية : اذا كان الواقف لم يشرط مدة لاجارة وقفه وأجرت عين الوقف لأكثر من ثلاث سنين . قال مشايخ بلخ لا يجوز اجارة الوقف أكثر من ثلاث سنين وقال الفقيه أبو الليث يرفع الأمر الى القاضى حتى يبطله وذهب المالكية الى أنه فى الوقف لا يصح تأجير الدور ونحوها أكثر من سنة واذا تهدم الوقف وليس له ريع يبنى منه فانه يصح للناظر أن يؤجر مدة طويلة ويأخذ الأجرة ليبنى بها ولو طال الزمن كأربعين عاما ، وذهب الحنابلة الى أن الواقف اذا لم يشترط ناظرا للوقف يكون المستحق هو الناظر .

ولو أجر الوقف تبطل بموته واذا كان المستأجر يدفع مقدما فان دفعه يؤخذ من تركة المؤجر . أما اذاكان المؤجر ناظرا بشرط الواقف فان الاجارة لا تفسخ بموته ويشترط ان تكون مدة الاجارة معلومة وان طالت كما يشترط أن يغلب على الظن بقاء العين سليمة مدة الاجارة وان طالت .

وبما أن الواقفين لم يشرطا فى وقفهما مدة معينة للاجارة وان المستأجرين لم يدفعا الأجرة عن مدة الاجارة الباقية بل عقد الايجار يدل على أن تدفع الأجرة مقدما سنويا . وقد استملك الوقفان للصالح العام وخرجا من يد المتولى عليهما .

وبناء على هذا نفتى بأنه لا حق للمستأجرين فى المطالبة بشىء ما دامت العين الموقوفة غير باقية واستملكت للصالح العام ولم يدفعا أجرة مقدما فضلا عن ان الاجارة فاسدة من أصلها على المفتى به ، ويطالبان بالفرق عما مضى ان كان التأجير باقل من أجر المثل ، ويشترى عين للوقف بمال البدل لتنفيذ شروط الواقفين على أن تؤجر بأجر المثل فى حدود المدة الجائزة شرعا .

أرث المحرض على القتل

السؤال :

شخص قتل والدة زوجته وهى عمته بتحريض من والده شقيقها . وتركت القتيلة بنتا وأخوين شقيقين أحدهما والد القاتل المحرض لابنه على قتلها فكيف توزع التركة ؟ . وهل تبقى زوجته بنت عمته المقتولة فى بيته ؟ .

(ابراهيم أ . أ ـ الشارقة)

الاجابة :

اتفق الأئمة الأربعة وجمهور المجتهدين من المسلمين على أن القتل من موانع الارث لقوله عليه الصلاة والسلام « ليس للقاتل ميراث » ولكنهم اختلفوا فى نوع القتل المانع من الارث فعند أبى حنيفة ليس كل قتل مانعا ، ويقسم القتل الى خمسة أنواع عمد . وشبه عمد . وخطأ . وشبه خطأ . وقتل بتسبب ويرى أن القتل الذى يمنع من الارث هو الذى يتعلق به حكم القصاص أو الكفارة وهي الأربعة الأول . أما الأخير وهو القتل بتسبب كما اذا حفر بئرا فوقع مورثه فيها فمات وموجبه الدية فلا يحرم من الارث لأنه جعل علة المنع هى مباشرته القتل عمدا أو خطأ دون التسبب فيه .

وعند الامام مالك ينقسم القتل الى عمد ، وخطأ ، ولاواسطة بينهما لأن الوارث اذا قصد قتل مورثه فهو العامد وان لم يقصده فهو المخطىء .

وسوى بين المباشرة للقتل والتسبب فيه ويرى أن القتل العمد هو الذى يحرم من الارث دون الخطأ مستندا الى أن لفظ القاتل فى الحديث مطلق فينصرف الى العامد ، وحكمة المنع رد القصد السيء على قاصده والخاطىء لم يقصد سوءا بمورثه ـ والذى نختاره وهو ما ذهب اليه الامام مالك ، والراجح من الشافعى وأحمد : انه اذا ثبت أن الوارث كان قصده بما ارتكبه ازهاق روح مورثه سواء أكان فعله مباشرا للقتل أم متسببا فيه وسواء أكان فاعلا أصليا أو شريكا أو متسببا انه يحرم من الارث .

وبناء على ما سبق يكون توزيع التركة على الوجه التالي :

للبنت النصف فرضا والباقي وهو النصف للأخ الشقيق تعصيبا وهو الأخ الذى لم يكن سببا فى القتل أما الأخ الذى حرض ابنه على القتل اذا ثبت ذلك فانه يكون محروما من ارثها .

اما الاجابة على الجزء الثانى : ببقاء زوجة القاتل وبنت المقتولة فى المنزل فالأمر هذا مفوض لرأيها فان كانت تستريح فى بقائها فى منزله فليس لأحد أن يجبرها على خلاف ذلك ـ أما اذا ـ كانت تتضرر من ذلك فلها الحق فى أن ترفع أمرها الى الحاكم للتصرف بما يراه ولها حق طلب التطليق للضرر .

حداد الزوجة

السؤال :

اعتاد مسلمو الخليج العربى وعمان منع المتوفي عنها زوجها من الخروج أثناء العدة من منزل المتوفي عنها نهائيا ، ويحرمون عليها التزين بأى نوع من أنواع الزينة كالطيب والكحل ولبس غير الأسود والنظر الى أى شخص زاد عن العشر سنوات الا المحارم .

فما حكم الشريعة الاسلامية فى ذلك ؟ .

(محمد عبد الله محمد ـ الكويت)

الاجابة :

لما كان الزواج من أعظم النعم التي يجب أن يستشعر قلب الانسان الحزن لذهابها وجب شرعا أن تحد المرأة على زوجها بالاتفاق ، والاحداد هو ترك الزينة وعدم لبس الحلى والثوب المعطر والملفت للنظر وهذا هو ما يوجبه الخلق الكريم والوفاء للزوج الراحل والحياة الزوجية التي ذهبت ، فالمعتدة من عدة طلاق أو وفاة لا تخرج من بيتها حتى تتم العدة .

وجوز الفقهاء لمعتدة الوفاة الخروج لقضاء حوائجها نهارا بخلاف المعتدة من طلاق سواء كان رجعيا أو بائنا فان عليها أن تلزم بيت الزوجية أثناء العدة ، والسبب فى التفرقة بين العدتين أن المتوفى عنهـا زوجها تحتاج الى الخروج لقضاء حوائجها بالنهار وتحصيل ما تنفق منه على نفسها ، أو أن الضرورات تبيح المحظورات بخلاف المعتدة من الطلاق ، فان نفقتها على زوجها فلا حاجة بها الى الخروج .

وقد روى الامامان البخارى ومسلم فى وجوب الاحداد على المتوفي عنها زوجها وفى جوازه لمدة ثلاثة أيام فقط ، لوفاة قريب للمرأة ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تحد على ميت فوق ثلاث ، الا على زوج فانها تحد عليه أربعة أشهر وعشرا » .

والمقرر شرعا أن عدة المتوفى عنها زوجها صغيرة أو كبيرة من ذوات الحيض أو غيره اذا لم تكن حاملا أربعة أشهر وعشرا ، لقوله تعالى : والذين يتوفونمنكم ويذرون أزواجا يتربصن بأنفسهنأربعة أشهروعشرا» أما اذا كانت حاملا : فقد ذهب بعض الفقهاء الى أن عدتها تنقضى بوضع الحمل ولو بعد وفاته بلحظة ، لقوله تعالى : « وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن » ، وهذا هو رأى ابن مسـعود ومن تبعه من الأئمة الأربعة ، وخالف علي وابن عباس ومن تبعهما فقالوا : ان المتوفى عنها زوجها وهي حامل اذا وضعت حملا قبل انقضاء أربعة أشهر وعشرة أيام ، فان عدتها لا تنقضى بوضع الحمل بل لا بد من انتظار مضى المدة بتمامها ، أما اذا انقضت من أربعة أشهر وعشرة أيام قبل الوضع فان عدتها لا تنقضى الا بوضع الحمل ودليلهم قوله تعالى : « والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشرا » .

ولذلك نفتى بأن المتوفى عنها زوجها يلزمها الاحداد على زوجها لمدة العدة ولا مانع من خروجها نهارا لقضاء حوائجها الضروريـة على أن تعود الى البيت فى منزل العدة ، والنظـر الى الأجنبى دون قصد لا شيء فيه .

حرمان البنت من الميراث

السؤال :

فوجئت بعد وفاة والدى بأنه باع كل ما يملك بيعا صوريا لاخوتى الذكور ولم يكتب لى شيئا ، ومعنى هذا أنه احتال حتى حرمنى من الميراث ، فماذا أفعل وهل هذا التصرف من والدى تجيزه الشريعة الاسلامية .

(ع . خ ـ الاردن)

الاجابة :

هذا التصرف من والدك حرام شرعا وكبيرة من الكبائر ، وعليه أثمه ووزره فى الآخرة هذا فضلا عن أن هذا الحرمان الذى قصده والدك أمر يوغر الصدور ، ويمزق الرحم التي أمر الله أن توصل ويفرق بين الأخ وأخته كما حدث فى قصتك .

أما ماذا تفعلين فهذا يرجع الى اخوتك الذين انتقلت اليهم تركة والدك عن طريق البيع الصورى فهذا البيع الصورى فى نظر الشريعة لا يحلل حراما ولا يحرم حلالا ولا أثر له فى رفع المسئولية أمام الله تعالى ، فان أرادوا أن يبرئوا ذمتهم ويصلوا رحمهم ، ويرضوا الله تعالى فعليهم أن يعطوك نصيبك كاملا من ميراث أبيك ، واذا لم يفعلوا فقد أكلوا فى بطونهم نارا .

وأننا نناشد الآباء أن يتقوا الله فى أبنائهم فى حياتهم وبعد مماتهم ، وأن ينزلوا على حكم الله الذى يقول : « آباؤكم وأبناؤكم لا تدرون أيهم أقرب لكم نفعا فريضة من الله ان الله كان عليما حكيما » .

رسول الله وفرسان ذى قار

تحت هذا العنوان أرسل الأستاذ أحمد عبيد الدعاس المدرس بمدرسة خالد بن الوليد الاعدادية بحمص كلمة ، نقتطف منها ما يلى :

روى عن عبد الله بن كعب بن مالك رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أقام ثلاث سنين متخفيا ثم أعلن فى الرابعة فدعا عشر سنين يوافى الموسم يتبع الحاج فى منازلهم بعكاظ ومجنة وذى المجاز . وكذلك طلب النبى صلى الله عليه وسلم من عمه العباس لما اشتد أذى المشركين أن يمضى به الى عكاظ ليريه منازل العرب ليدعوهم الى الله تعالى فمضى به الى عكاظ يبشر بدين الله فيتبعه عبد العزى بن عبد المطلب « أبو لهب » فينفر الناس منه .

وانتهى سيد الدعاة يوما الى مجلس عليه السكينة والوقار ، وكان بصحبته ابو بكر وعلى رضى الله عنهما ، وفى المجلس مشايخ لهم أقدار وهيبات، فتقدم أبو بكر رضى الله عنه وسألهم ، ممن القوم ؟ قالوا : نحن بنو شيبان بن ثعلبة . فالتفت الى الرسول عليه الصلاة والسلام فقال : بأبى أنت وأمى ليس بعد هؤلاء من عز فى قومهم ، وكان فى القوم مفروق بن عمرو ، وهانىء بن قبيصة ، والمثنى بن حارثة والنعمان بن شريك ، ومفروق أقرب الناس مجلسا من أبى بكر فقال له أبو بكر : كيف العدد فيكم ؟ قال : انا لنزيد على الالف وما غلب الف من قلة . قال : وكيف المنعة فيكم ؟ قال : علينا الجهد . ولكل قوم جد . ثم سأله أبو بكر عن الحرب بينهم وبين عدوهم فقال : انا أشد ما نكون لقاء اذا غضبنا انا نؤثر الجياد على الاولاد والسلاح على اللقاح والنصر من عند الله . ثم قدم أبو بكر رسول الله صلى الله عليه وسلم للقوم ثم قام يظلله بردائه .

قال مفروق الى ما تدعو يا أخا قريش ؟ قال : أدعوكم الى شهادة أن لا اله الا الله وأنى رسول الله وأن تؤوونى وتمنعونى وتنصرونى حتى أؤدى عن الله ما أمرنى به .. قال : وما تدعو أيضا فتلا عليهم (قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم ألا تشركوا بـه شيئا وبالوالدين احسانا) (الآية) قال : وما تدعو أيضا فتلا عليهم (ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى) (الآية) فقال مفروق : دعوت والله الى مكارم الاخلاق ومحاسن الاعمال . وتكلم هانىء بن قبيصة فذكر أنه سمع مقالة النبى صلى الله عليه وسلم وصدق بقوله وان من ورائهم قوما لا يحب أن يعقد عليهم عقدا . وانه يعنى فارسا وهى تهيمن على ربوعهم العربية فلا يقطعون أمرا دون مشورتها .

ثم تكلم المثنى بن حارثة الشيبانى ، وكان صاحب المشورة الحربية فى قومه فاثنى على كلام النبى صلى الله عليه وسلم ، واستحسن ما جاء به لكنه ذكر جواب هانىء صاحب المشورة الدينية فيهم ، فلم يخرج على رأيه ثم عرض على النبى صلى الله عليه وسلم أن يحمى الدعوة الاسلامية مما يلى العرب ، ويقف على الحياد فيما يلى الفرس ، فهل يقبل الرسول عليه الصلاة والسلام عرضه .. كلا وألف كلا .

نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى واقع عرب العراق فرأى الاستعمار الفارسى البغيض الجاثم

على صدورهم ، فأراد تحريرهم من نيره الاسود ،وذلك بايمانهم بالله وتوحيده والبيعة على تحطيم الطواغيت . وكان كسرى أخذ عليهم عهدا ألا يحدثوا حدثا ولا يؤووا محدثا ، ولقد اهتم النبى عليه الصلاة والسلام ببنى شيبان لانه أراد أن يرد اليهم حريتهم المسلوبة وخيراتهم المنهوبة فكان له ما أراد .

ولقد كان جواب الرسول العظيم درسا للمسلمين كافة ، فقد انطلق من مبدأ كمال الاسلام ووحدته حين رفض عرضهم لحمايته مما يلى العرب وعدم حمايته مما يلى الفرس ، فقال لهم (انه لا يقوم بدين الله الا من حاطه من جميع جوانبه) فهو يعرض عليهم الاسلام نظاما وشريعة ودستور حياة فى السلم والحرب، وكأنه صلى الله عليه وسلم يوجه هذا النداء العظيم الى شعوب المسلمين كافة ودولهم عامة أن خذوا الاسلام جملة أو دعوه جملة .

فى ذكرى صاحب المنـــار

وكتب الينا الاستاذ عبد المنعم البحقيرى المدرس بمدرسة نوسا الغيط ج.ع.م تحت هذا العنوان يقول :

ولد السيد محمد رشيد رضا عام ١٨٥٥ فى القلمون من أعمال طرابلس الشام ، ونشأ نشأة دينية فتعلم فى مدارس البلدة التى ولد بها فى طرابلس ، وقد نظم الشعر وكتب فى بعض الصحف وهو ما زال فى سن الصبا . ولقد رحل الى القاهرة عام ١٣١٥ هجرية واتصل بالاستاذ الامام محمد عبده وكان تلميذا وفيا له ، وأصدر مجلة المنار لنشر آرائه فى الاصلاح الدينى والاجتماعى وكان مرجع الفتوى فى التوفيق بين الشريعة الغراء والاراء العصرية الحديثة ،ولقد زار بلاد الشام عام ١٣٢٦ هجرية بعد اعلان الدستور العثمانى ثم رجع الى مصر حيث أنشأ مدرسة الدعوة والارشاد ، ثم رحل الى سوريا وانتخب رئيسا للمؤتمر السورى ، وبعد دخول الفرنسيين دمشق عاد الى مصر ، وقام بجولة فى الهند والحجاز وأوربا عاد بعدها الى مصر ثانية .

ويعد رشيد رضا بحق من قادة الاصلاح الدينى والاجتماعى الذين أدوا خدمات جليلة للاسـلام والمسلمين ..

وتحدث الشيخ مصطفى عبد الرزاق عن رشيد رضا فقال :

أول من ترجم للشيخ محمد عبده وعنى بنشر آثاره هو السيد محمد رشيد رضا صاحب المنار . والسيد رشيد رضا هو أول من لقب الشيخ محمد عبده بالاستاذ الامام ، وهذا اللقب ينبىء بالصورة التى أراد ان يرسمها السيد رشيد لشيخه فيما كتب عنه ، وينبىء بالفكرة السائدة فى وجهة نظر التلميذ الى أستاذه الشيخ محمد عبده عند السيد محمد رشيد رضا امام من أئمة الاسلام له فى الدين مذهب ، يقوم أصحابه على روايته وتدوينه كما قام أصحاب أبى حنيفة والشافعى وغيرهما على ما لأولئك الائمة من مذاهب . واذا كان الشيخ محمد عبده اماما فى الدين ، فالسيد محمد رشيد رضا صاحبه ومفسر مذهبه ومكمله ، وقد بذل منشىء المنار رحمه الله مجهودا فى هذه الناحية ضخما حافلا بالمباحث الدينية والمناقشات الفقهية ، وكان لهذا المجهود أثر غير ضئيل فى طلاب العلوم الدينية ومن اليهم ، وفى توجيه الدراسات الشرعية فى بلاد الاسلام المختلفة .

ويقول الامير شكيب أرسلان أن السيد محمد رشيد رضا قد رغب منذ حداثته فى الجد ، وراقب نفسه فى حياته الخاصة فغذاها بالعلم وحلاها بالاخلاق ، وأدرك بصدق فراسته ان العصر الذى يستقبله عصر اصلاح وايقاظ ، وأن الاسلام بحاجة الى من يقوم بهذا الدور ، وكان يعلم أن بطلى هذا المضمار هما

السيد جمال الدين الافغانى وتلميذه الاستاذ الامام محمد عبده ، فتطلعت نفسه الى ترسم خطاهما وخصوصا بعد أن قرأ مجلة « العروة الوثقى » التى كانا يصدرانها فى باريس سنة ١٨٨٤ . ولقد وقع الاجماع على أن السيد رشيد رضا فى كل ما يتصل بالنضال عن الاسلام وحل مشكلات العصر وتطبيقها على قواعد الشرع كان العالم الفذ المنقطع النظير .

رحمه الله رحمة واسعة وكتب للاسلام النصر والتوفيق .

خرافة مزمنـــة

وتلقينا من الشيخ محمد بن سالم البيحانى امام وخطيب جامع العسقلانى بعدن كلمة تحت هذا العنوان جاء فيها :

تحت هذا العنوان قرأت كلمة طيبة فى الكلمة الافتتاحية لمجلة « الوعى الاسلامى » الكويتية فى عددها العشرين ، والكلمة حول خرافة مزمنة عفنة نتنة فى منشور مكذوب به على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وطالما ظهر هذا المنشور الخبيث المكذوب وعلى لسان الشيخ احمد المزعوم بأنه خادم الحجرة الشريفة ، ولا وجود له فى الخارج ، وانما هو شخصية خيالية ، ولقد اطلعت على محتويات المنشور عدة مرات وهو بألفاظ مختلفة ، وصورته لاول ما ظهر مخالفة لصوره فيما بعد ، وأول ما سمعته وأنا فى الثامنة من عمرى عام ١٣٣٤ هـ وكان ذلك فى بيحان احـدى امارات الجنوب العربي ، وسمعت للناس ضجيجا بالبكاء ، ومن أدعياء العلم من يقرأه على العامة فى المساجد والمجتمعات ، ويخاف منه الرجل والمرأة والكبير والصغير ، ومن لا يصدقه يعدونه كافرا ، ثم ما زال يظهر ويختفى ويجيء كل مرة بأسلوب مغاير لما قبله ، وبقيت أنا مترددا فى أمره ، وبحكم أنى صغير وناشيء فى بيئة متدينة أعد هذا من الايمان بالغيب ، وأصدق ما فيه كما يصدق غيرى من الجهلة والمغفلين ، وكلما تقدم بى السن وعرفت أصول الدين وقواعـده تيقنت أن هذا المنشور دسيسة على الاسلام ، وانه فى الدجل والتضليل لبمكان عظيم من قلوب الجهال والاغبياء والمغفلين ، وشرحت للناس كذبه وان صاحبه مستحق لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم « من كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار » ولقوله عليه الصلاة والسلام « من أرى عينيه مالم ترياكلف يوم القيامة أن يعقد بين شعيرتين وما هو بعاقد » .

نحل بلا شهـد !! ؟

والاستاذ مأمون فـريز جرار المدرس بمدرسة جنين الثانوية للبنين بالاردن يستثير همم العرب والمسلمين فى قصيدة بهذا العنوان يقول فيها:

يا قــوم أنتــم رجـــال ليـــس مثلكـــم
قـوم اذا سرتــم فــي المسلـك المجـــدى

انتــم هـــداة لهــــذا الكـون فانطلقــوا
ولتنشـــروا دعـــوة الاســـلام والرشـــد

اذا اســــتقمتم فـــلا يغــدو كقوتكـــم
قـــوى . فقوتكـــم كبـــرى بــلا حـــد

القادسيــــــة تنبينــــا حوادثهــــــــا
عـن قـوة الكفــر مهما عز هــل تجـدى

وبـــدر يا اخوتـــى فـي الدهـــر معجـزة
تنـم عـن نصـرة الرحمـن للجنـــــد

فهـل تـرى سيعـود الدهـــر ثانيـــــة
لكـــى نحطـــم كيـــد الغاصب الوغـــد

تلكـــم فلسطـــين يا قـومى تناشدكـــم
دم الشهيـــد .. وقبـــر الأب .. والجـد

دنسهــــا بنعــــال الســـوء شرذمــــة
وكبلوهـــا .. فيــا للسجـــن والقيـــد

متـــى سننهـــض مــن نـــوم يخدرنـــا
متـــى نحطـــم قيـــد الـــذل والسهـــد

هــى الحـــوادث تنبينـــا بـذا ولنــــا
فـي قــادم العهـــد اثبـــات لمـا أسـدى

هبـــوا بنـــى وطنـــى مـــن طـول خلفكـــم
فاننـــى كـدت أنســـى ماضـــى المجـد ..



لا نصوم تكفيراً عن مخالفة ابينا آدم .

الشجرة التي أكل منها آدم شجرة مثمرة

هل خلقت حواء من ضلع آدم ؟

قرأت فى مجلة اسلامية مقالا بعنوان « عبرة من رمضان الكريم » بقلم محام مسلم معروف جاء فيه : أن يهوديا سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن السبب الذى من أجله فرض الله على الأمة الاسلامية صيام ثلاثين يوما كل عام ، فأجابه الرسول الكريم : بأن ذلك يعود الى أن آدم أبا البشر عليه السلام تناول من ثمرات الشجرة التى نهاه الله عن الأكل منها ما بقى فى جوفه ثلاثين يوما ، ولهذا فرض الله تعالى الجوع على الأمةالاسلامية هذه المدة كل عام ، وتفضل عليهم سبحانه فأباح لهم تناول الطعام أثناء الليل فى هذه الفترة .. فما نصيب هذا الحديث من الصحة ؟

كما أنني قرأت مقالا للسيد ع.ج.خ جاء فيه أن الشجرة التي أكل منها آدم ليست شجرة من النوع المعروف يعنى شجرة لها ثمر يؤكل ـ وانما هى (شجرة السلالة البشرية) وأورد فى مقاله شرحا مستفيضا حول هذا الموضوع ، وقد دعم مقاله بكثير من الآيات القرآنية .

فأى الكاتبين نصدق ؟ صاحب المقال الاول الذى يرى أن الشجرة من الشجر المعروف المثمر ، أو صاحب المقال الثانى الذى يذهب الى أن الشجرة ليست من نوع الشجر المعروف وانما هى شجرة السلالة البشرية .

أرجو جلاء الحقيقة بما لا يدع مجالا للشك .

« مطلق الاسمر ـ الكويت ص.ب ١٤٧ »

لا تصدق الا كتاب الله الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، والا السنة الصحيحةللرسول

الكريم الذى لا ينطق عن الهوى ، ولا تقبل الا أقوال العلماء الاعلام الذين يستندون فى آرائهم الى فهم صائب ، او استنباط سديد . مرجعه الى هذين المصدرين العلويين .

والقرآن الكريم جمع الآيات الكريمة التى تتحدث عن الصوم المكتوب على المسلمين فى سورة واحدة ، وهى الآيات ١٨٣،١٨٤،١٨٥، من سورة البقرة ، وليس فيها ما يدل على أن عدة الصوم المفروض ثلاثون يوما ، بل فيها ما يقطع بان المفروض صوم شهر رمضان الذى يحدد بدءا بهلال رمضان ونهاية بهلال شوال ، وقد تكون عدته ثلاثين يوما وقد تكون تسعا وعشرين ، وكذلك الشأن فى السنة الصحيحة المروية عن سيد المرسلين وقد فرض صوم رمضان فى السنة الثانية من الهجرة ، وانتقل الرسول الكريم الى الرفيق الاعلى فى السنة العاشرة ، ومعنى هذا أن رسول الله صام تسع رمضانات وصح أن أكثرها كان ناقصا (تسعا وعشرين يوما) . فالزعم بأن الصوم المفروض ثلاثون يوما قول غير صحيح او فيه تساهل وعدم دقة فى التعبير ، وهذا لا يقبل فى صدد الكلام على الاحكام الشرعية .

بقى الزعم بأن السبب فى تحديد الصوم بهذه الايام هو أن الثمرة أو الثمرات التى أكلها آدم عليه السلام من الشجرة التى نهى عن الاكل منها بقيت فى جوفه ثلاثين يوما ، ومعنى هذا فيما نفهم أننانكفرعن خطيئة آدم بالصيام هذه المدة ، ونسبة هذا الزعم الى حديث اليهودى الذى نقل الكاتب روايته عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فاننا لم نطلع على هذا الحديث فى كتاب من كتب السنة الصحيحة ، ولم نجد فى آيات الصوم ما يشير الى هذا . بل كل ماورد فيها يبين أن الحكمة من الصوم هى تزكيةنفس الصائم، وتنمية خلق المراقبة لله فيه وهذا ما نصت عليه الآية الكريمة (لعلكم تتقون) فلا علاقة للصوم بأكل آدم من الشجرة ، ولا بالمدة التى هضمت فيها معدة أبينا ما أكله من الثمرات . ولماذا نلزم نحن الامةالاسلامية وحدنا دون أبناء آدم كلهم بالصوم هذه المدة تكفيرا عما أكل ؟ أو أن الامم مثلنا كلفت بصوم هذه العدة من الايام وأن صومها كان مماثلا لصومنا وهذا مالم يقل به مسلم ولا كتابى ولم يرد فى كتاب سماوى صحيح أو محرف ؟ !!

واعتقد أن فى هذا البيان ما يقنع صاحب الرسالة عما أراد الاستفسار عنه فى المقال الذى طالعه عن العبرة من رمضان .

أما ماطلب الاستفسار عنه من أمر الشجرة وهل هى من الشجر المعروف الذى له ثمر يؤكل ، أو ليس منه ، بل هى من نوع آخر هو شجر السلالة البشرية — كما ذكر الكاتب!! — فثابت أن هذه الشجرة من أشجار الجنة ((وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغدا حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين)) ولا سبيل الى تحديد نوعها أو تسمية ثمرتها الا وحى الله المنزل على رسله اواخبار الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم ، وقد ورد ذكر هذه الشجر فى القرآن الكريم فى عدة مواضع ولم يبين لنا فى آية من هذه الآيات نوع هذه الشجرة ، بل صريح القرآن قاطع بانها شجرة لها ثمر وأن آدم وحواء أكلا منها فبدت لهما سوآتهما ، ولعل ذلك كان ابتلاء وامتحانا منه تعالى ليظهر به ما فى استعداد الانسان من الميل الى الاشراف على كل شيء واختباره ، او لعله كان فى خاصية هذه الشجر ما هو سبب خروجهما من حال الى حال وكل ماورد عن هذه الشجرة فى بعض كتب التفسير من انها شجرة السنبلة أو الكرم أو التين أو الكافور — لم يستند الى مصدر موثوق به .

وكذلك ما نقل عن بعض المفسرين من أن المراد بالشجرة معنى الشر والمخالفة وليست شجرة حقيقية ، وان هذا من قبيل التمثيل كما عبر القرآن الكريم عن حكمة التوحيد بالشجرة الطيبة وعن الكلمة الخبيثة بالشجرة الخبيثة هذا التأويل صرف للقرآن عن ظاهره دون مبرر ولا سند .

* * *

الفكرة التي تملأ عقولنا وقلوبنا عن خلقة أم البشر حواء أنها خلقت من ضلع من أضلاع أبينا آدم عليه السلام ، فهل لهذه الفكرة ما يؤيدها من الكتاب والسنة ؟ .

(سعدون الشاغورى — حمص)

ليس فى القرآن الكريم نص قاطع بأن حواء خلقت من ضلع من أضلاع آدم وأما قوله سبحانه فى فاتحة سورة النساء ((يأيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها)) وقوله تعالى فى سورة الأعراف : ((هو الذى خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن اليها)) فقد قال غير واحد من المفسرين الذين يعتد بقولهم ان المعنى أن الله خلقها من جنس النفس يعنى من البشر ، وليس المعنى أنه خلقها من جزء منها كما قال تعالى فى سورة الروم ((ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا)) فان المعنى أن الله خلق لنا أزواجا من جنسنا ، ولا يصح أن يراد أنه خلق كل زوجة من بدن زوجها .

ويبدو أن فكرة خلق المرأة من ضلع تبادرت الى أذهان بعض الناس من فهم الحديث الذى رواه أبو هريرة (استوصوا بالنساء خيرا ، فان المرأة خلقت من ضلع . لن تستقيم لك على طريقة ، فان استمتعت بها استمتعت بها وفيها عوج ، وان ذهبت تقيمها كسرتها وكسرها طلاقها) وهذا فهم بعيد عن الصواب بدليل قوله فان ذهبت تقيمها كسرته . أى لا تحاولوا تقويم النساء بالشدة . ولهذا مثيل فى الكتاب الكريم قال تعالى : ((خلق الانســان من عجل)) فليس فى القرآن الكريم ولا فى الســنة النبوية الصحيحة ما يؤيد هذه الفكرة السائدة التي ساعد على رواجها وانتشارها الاسرائيليات التي ابتلى بها المسلمون وما ورد فى التوراة من أن الله تعالى ألقى على آدم سباتا انتزع فى أثنائه ضلعا من أضلاعه ، فخلق له منه حواء امرأته ، وانها سميت امرأة لأنها من امرىء أخذت .

جهد مشكور

الأستاذ الفاضل احسان النمر من نابلس يعطى هذه المجلة من اعجابه وعنايته وتشجيعه وجهده ما يحمد عليه . فهو لاعجابه بها يعمل على شراء كميات كبيرة منها على نفقته ويوزعها على من لم يطلع عليها ، ويكتب الى وزارة التربية الأردنية لتشترك فيها ، وتتيح للطلاب فرصة الاطلاع عليها .

وفى الحق أن نشاطه من أجل هذه المجلة شيء يستحق عليه كل الشكر ، وهو أمر قد يبدو غريبا ولكنه يقول فى رسالته لنا : ربما تستغربون قيامى بهذا العمل ولكن اذا علمتم أننى كنت أقوم بنفقات جمعية الهداية الاسلامية بنابلس واننى أخصص مبلغا سنويا للخدمات والأعمال الاسلامية يزول استغرابكم . والآن رأيت أن توزيع هذه المجلة أفضل ما يمكن عمله للاسلام والمسلمين ، وعليه أرجو أن تتفهموا فكرتى وتعماوا على انجاحها ..

وفكرة الأستاذ احسان هى أن نبعث له من هنا وعلى نفقته بخمسين نسخة ابتداء ليقوم باهدائها للقراء الذين يعرفهم لأنه يجد صعوبة كبيرة فى الحصول على ما يريد من متعهدى التوزيع عنده اذ رد عليه مدير عام وكالة التوزيع الأردنية بقوله له : ليس لدينا فى الوقت الحاضر أى كمية متوفرة من مجلة ((الوعى الاسلامي)) تغطى طلبكم خمسين نسخة .. وتاريخ الخطاب ١٩٦٦/١٢/١٢ ثم تعهد بأن يوفر له طلبه ابتداء من العدد القادم .

ونحن نرجو أن تكون الوكالة الأردنية قد برت بوعدها للأستاذ احسان وأن توفر له ما يريد باستمرار دون أن يتعب ويرسل لها الرسل والخطابات المتكررة ، والا تولينا نحن ارسال ما يريده مهما تكن كميته ...

ونعود فنكرر الشكر للأستاذ احسان على ما بذله ويبذله فى سبيل دينه وأمته . جزاه الله خيرا وأكثر من أمثاله العاملين ...

قالت صحف العالم

تناولت مجلة دعوة الحق المغربية نظام الاوقاف الاسلامية فى عهد الدولة العلوية فقالت :

لاجدادنا رحمهم الله ـ مبرات بالانسانية فى مختلف مظاهرها ، وفى مقدمتها انهم وقفوا اوقافا كثيرةعلىجميع شؤون الدين ـ فالمدرسون والطلبة، والخطباء والوعاظوالائمة ، والمؤذنون وقراء القرآن والاحزاب صباح مساء والقيمون على التنظيف والفرش ، وما الى هذا من مرافق تساعد على أداء طقوس العبادةفى سهولة ويسر كل ذلك له حظهالاوفر من ثروة الاجداد المحبسةتسندهوتمده ـ ففى كل ناحية من مدن المغرب وقراه تجدمبرة من مبرات الجدود ـ بالدين ومايرجع الى الدينفكانوا نماذج تحتذى فى باب الاحسان الى الضعفاء والمساكين فأحباس الكسوة صيفا وشتاء ، والاطعاميوميا وأسبوعيا وافرة فى مغربنا الكريم ، أضف الى هذا الملاجىء التى أحدثوها فى غير ما جهة من جهاتهخاصة بضعفاء الابدان وضعفاء العقول والعتهاء مجهزة مزودة بالأوقاف الكافية حتى لا تقف وتتعطلفائدتها فى ظرف ما .

ومثل هذا يقال ـ فى القلاع والحصون والابراجوخصوصا فى الثغور ـ فقد أسسوا معاقل لحراسة الأراضى الاسلامية وصد كل من يرومها بسوء متكلفينبامداد القائمين بها بالاحباس المقتطعة من أموالهم الخاصة حتى أنهم تجاوزوا مبرة الاحسان بالانسانالى الاحسان بالحيوان والرفق به ـ فعندنا وقف من أسلافنا خاص بمداواة اللقلق « بلاج » ومعالجته عندما تصيبه آفة ، لتصغ الآن « جمعية الرفق بالحيوان » لهذه المزية التى سبق اليها أجدادنا قبل أن يدورذلك بخلد أبنائها بل وهى لا تزال فى العدم بعد قرون .

ابن تيمية

ومن صحيفة الدعوة التى تصدر بالرياض نقتطفالفقرة التالية من مقال عن شيخ الاسلام ابن تيمية :

كان ابن تيمية فى النصف من عمره سراجا وهاجا أطفأ بعلمه وعمله شهرة أرباب المظاهر من القضاة والعلماء وعبثا حاول بعض حساده أن يسلموه للعامةعلهم يقتلوه ، فما استطاعوا أكثر من حجز حريته أشهرا فى سجن ، وكان الملوك يحمونه من تعصبخصومه ويعرفون قدره .

وكان الملك الناصر صاحب مصر يرفع من مقامابن تيمية كثيرا ، وأراد أن يقتل من افتوا بخلعه من العلماء وحثه على أن يفتيه فى قتل بعضهم ، فأنكر أنينال أحدا منهم بسوء وقال له : اذا قتلت هؤلاء لا تجد بعدهم مثلهم فقال له : أنهم آذوك وأرادوا قتلكمرارا فقال الشيخ من آذى الله ورسوله فالله ينتقم منه ، أنا لا انتصر لنفسى ، وما زال به حتى حلم عنهم السلطان وصفح .

وكان قاض المالكية ابن مخلوف يقول : ما رأينا مثلابن تيمية حرضنا عليه فلم نقدر عليه ، وقدر علينا فصفح عنا وحاجج عنا .

رحم الله ابن تيمية فقد عمل وجاهد لنشر الدينوالقضاء على البدع بقلبه ولسانه وقلمه .

الثقافة .. وتطوير المجتمع العربى

وكتبت صحيفة الثورة العراقية تحت هذاالعنوانتقول :

اتخذ مجلس اتحاد الجامعات العربية من بينالقرارات والتوصيات التى اتخذها فى جلستهالختامية قرارا نص على أن تستهدف الدراسة اعداد المواطنالمثقف المتخصص ، وتطوير المناهج الدراسية بحيث

تتماشى مع احتياجات المجتمع ، وتطوير محتوى موضوع المجتمع العربى ليكشف عن تكوين المجتمع العربى الحديث ومشاكله وامكاناته .. والواقع ان معاهدالدراسة العلمية والجامعات فى الوطن العربى يجبأن تكون مركزا للبحث العلمى والدراسة العلميةلمشاكل المجتمع العربى وعلله وأوجاعه ينصب اهتمامهاأساسا على دراسة المشاكل الاقتصادية والاجتماعية والفنيةووضع الحلول الصائبة لها على أساس من الوعى والعلم والفهم العميق ، فلا ينبغى أنتنفصل الدراسةالعلمية فى هذه المرحلة من حياة المجتمع العربى ، عن الواقع العربى ، وحياة المجتمع . أو أن تنفصلالدراسة العلمية عن الحياة العامة وتتقوقع وتنطوى على نفسها فتصبح الدراسة العلمية لذات الدراسةفحسب ، ويصبح العلم غاية ووسيلة بينما يجب أن يكون العلم وسيلة لغاية أهم واكبر هى مهمة خلقالمجتمع العربى الجديد المتطور السليم القائم على أسس قوية ، ودعائم ثابتة راسخة ، فربط العلمبمشاكل المجتمع وتطوير حياتهوواقعه وتجديدها ينبغى أن تكون غاية كل المعاهد العلمية فى الوطن العربى ،فلاشىء أمضىمن العلم سلاحا نحاربه التخلف والتجزئة وكل العلل والادواء والمشاكل التى نعانى منها .. ولا شىء كالعلم أساسا نبنى عليه حياتنا الجديدة وندفع قافلة تطورنا ونهضتنا العربية من هنا فان هذا القرار الذى اتخذه مجلس الجامعات العربية يعتبر قرارا خطيرا ينطوى على معان كبيرة واسعة ، لها أشد الارتباط بقضايانا القومية ، وعلى المعاهد العلمية فى الوطن العربى ان تلتزم بهذا القرار وتوليه ما يستحقهمن الاهمية ، وتعمل على تطبيقه ، ليكون أساسا لتكوين المواطن العربى المثقف الواعى ، ولخلق المجتمع المتحرر الجديد القادر على الابداع والخلق والانطلاق فى دروب النهوض والتقدم .

القصة الكاملة لمسجد لندن

ونشرت صحيفة المنار الاردنية التطورات التىمر بها مشروع انشاء مسجد لندن والعقبات التى تواجهه فتقول :

تحدثت مجلة الاذاعة البريطانية « هنا لندن »عن بناء جامع لندن ، وقالت هذه المجلة انه قد سبق وأرسى حجر الاساس لبناء هذا المسجد فى شهر شوال ١٣٧٣هـ ٣ حزيران عام ١٩٥٤ ، فى بقعة من أجملبقاع العاصمة البريطانية فى الطرف الجنوبى من منتزه ريجنت ، وقالت المجلة أما العائق فى اخراج هذا الجامع الى حيز الوجود حتى الان ، فيعود الى عدة عواملمهمة من ضمنها عدم توفر المال اللازم من جهة ، وعدم التوصل الى قرار جامع بشأن طراز البناء من جهةأخرى ، وأضافت المجلة أنه تم فى المدة الاخيرة تعيين لجنة هندسية ثلاثيةبرئاسة البرفسور « السير روبرتمائيو » أستاذ الهندسة بجامعة أدنبرة ، وعضوية كل من المهندسين الدوليين السنيور « لويس بلانكوسولير » الاسبانى و « ن أ أحد » الباكستانى وذلك للاشراف على مسابقة دولية لوضع التصميمات الهندسية لهذا الجامع الذى تقدر تكاليفه بنحو مليون جنيه استرلينى جمع حتى الان منها (٢٥٠،٠٠٠) جنيه .

هذا ما ذكرته مجلة « هنا لندن » عن هذاالجامع ، والواقع يخالف الى حد كبير هذه الرواية ، فقد منحت حكومة لندن قطعة الارض هذه للمسلمينفى مقابل قطعة أرض فى القاهرة لاقامة كنيسة عليها ، وفعلا تم بناء الكنيسة كما خطط له فى حينه ،أما قطعة الارض التى منحت للمسلمين فلا تزال كما هى رغم ارساء حجر الاساس منذ عام ١٩٥٤ وعلى الرغممن أن المخططات جاهزة ، فمنذ ذلك الوقت وبلدية لندن تسوف وتماطل فى اعطاء رخصة البناء بحجة انهلا يلائم التنظيم الموضوع ، اما من ناحية المبلغ المرصود، فانه من السهل جمع بقية المبلغ ، لو بدرت من بلديةلندن بادرة مخلصة للترخيص بالبناء ، اما قصة اللجنة الهندسية الثلاثية ، فقد بادرت البلدية الىتأليفها بعد أن هددت الجاليات الاسلامية بالقيام بمظاهرة سلمية ضد تسويف بلدية لندن فى اعطاءالترخيص .

وتبرز ضرورة بناء هذا المسجد للجاليات الكبيرةوالوف الافراد المسلمين الذين يؤدون الفريضة الان فى العراء ، وأحيانا تحت المطر من سماء لندن الذى لا تكف عن انزال المطر .

مكتبة المجلة

قاموس قرآني

كتاب من جمع وتأليف الاستاذ حسن محمد موسى وهو معجم دقيق للالفاظ وتفسير سديد للآيات وعرض شيق للصور البيانية ، وضع في مجموعات متناسقة لتيسير ماخذ القرآن وتفسير بعضه ببعض .

وقد بذل المؤلف فيه جهدا كريما فجاءت فصوله نافعة غاية النفع حتى يمكن أن تعد هذه الفصول قاموسا يرجع اليه من يتوقف في فهم كلمة أو جملة أو صورة بيانية .

والكتاب يحتوى على ثلاثة أبواب خص الاول منها لتعريف القارىء ببعض علوم القرآن والمباحث اللغوية حتى يعينه على الفهم والثاني والثالث لبيان الآيات التى قد يلتبس فهمها وهو خلاصة لعشرات المجلدات التى وضعت في التفسير وعلوم القرآن ومعاجم اللغة (ومحاولة جديدة لتقريب معاني القرآن الكريم وتيسير ماخذه على القارىء).

وفيه غناء للكثيرين عن الموسوعات التى يشق استيعابها عليهم أو يضيق عنها وقتهم .

وهو يقع في (٥٠٠) صفحة طبع بمطبعة خليل ابراهيم في الاسكندرية .ج .ع .م وثمنه (٧٥) قرشا مصريا .

الامة الانسانية

ان صح أن هناك على ظهر هذا الكوكب الارض أمة واحدة بالمعنى الاصطلاحي فان هذه الامة هى الامة الانسانية . فهى وحدها التى يمكن أن يقال انها تعيش في بيئة جفرافية واحدة هى هذا الكوكب الارضى ، وهى وحدها المؤلفة من جنس واحد يعود الى أصل واحد . وهى وحدها التى يتكلم أبناؤها لغة انسانية واحدة هى لغة الفكر والعقل الانسانى وان اختلفت طرق التعبير . وهى وحدها التى يمكن أن توصف بأن لها تاريخا واحدا مشتركا هو تاريخ الانسانية في مجموعها . وهى وحدها التى أصبح مصيرها واحدا فاما بقاء واما فناء ، واذا كان هذا القول يبدو عاما ومجملا فان شرحه وتفصيله العلمى هو ما جاء في كتاب « الامة الانسانية » الكتاب السابع عشر في مؤلفات الاستاذ احمد حسين الذى وضع فيه ذوب حياته وعصير تجربته وصرخة روحه لعالم مضطرب مهدد بالكوارث والفناء محاولا ان يجعل من كتابه تجربة ليعيش هذا العالم في تعاون ومحبة وسلام .

والكتاب يقع في (٤٨٠) صفحة كبيرة وقامت بطبعه المطبعة العالمية (١٧/شارع ضريح سعد في القاهرة بالجمهورية العربية المتحدة) وثمنه ثمانون قرشا مصريا .

الهداية

كتاب للصفوف الثانوية في خمسة أجزاء كل جزء مقسم الى فصول أربعة هى العقائد والسيرة والتهذيب والعبادات مع قصص دينية مناسبة في تعبير سهل وأسلوب بسيط يتلاءم مع المستوى اللغوى والعقلى للطالب وهذه الكتب بمطابع دار « مكتبة الحياة » ببيروت ـ لبنان وهي من تأليف الاستاذ محمد حمد خضر وكل كتاب يقع في ١١٢ صفحة.

الفجر الزاحف

ديوان شعر للاستاذ الشاعر عبد الله محمد الطائى المشرف على مجلة الكويت وهو مجموعة من القصائد الوطنية التى تتعلق بالقضية العمانية.

وقد كتب الشاعر قصائده بمداد من ليل الالم المخيم ، وفجر النصر المرتقب ، ايمانا بقدرة مواطنيه في عمان على محو الظلم والظلام .

والديوان يقع في مائة صفحة وقامت بطبعه مطبعة الضاد بحلب ـ سوريا .

الحب والحياة

للشاعر ابراهيم محمد نجا الفائز بجائزة الشعر الاولى من مجمع اللغة العربية بالقاهرة والديوان يقع في ٢٢٤ صفحة ويحتوى على تسع وعشرين قصيدة وهو من منشورات دار الاداب بيروت ـ لبنان .

اخبار العالم الإسلامي

الكويت

***قرر مجلس الوزراء تأييد سوريا والعراق فى موقفهما من شركة نفط العراق .**

***انتهت مدة مجلس الامة الكويتي وكانت آخر جلسة له يوم الثلاثاء ٣ يناير الجارى ، هذا وستجرى الانتخابات للمجلس الجديديوم ٢٥ على أن يجتمع يوم ٢٨ منه .**

*** تجرى وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية اتصالا مع رجال الفكر الاسلامى للاشتراك فى الموسم الثقافى الثانى الذى تقيمه الوزارة فى شهر فبراير سنة ١٩٦٧ .**

* أعلن معالى وزير التربية خالد المسعود أنه تم تشكيل لجنة تحضيرية لانشاء كلية للقانون والشريعة وكلية للتجارة فى جامعة الكويت فى العام ١٩٦٧/١٩٦٨م .

* زار الكويت الحاج عبد الله ابراهيم ايناس على رأس وفد لجمع التبرعات للمسجد الكبير الذى تجرى اقامته بالسنغال .

* صرف الجزء الاول من نفقات انشاء مدينة الحجاج الكويتيين في مكة والمدينة .

* وصل الكويت السيد نور الحق الندوى عميد كلية العلوم الدينية فى جامعة بشاور فى الباكستان وسيقوم بمباحثات مع المسئولين بوزارة التربية حول المناهج الدينية التى تدرس فى مدارس الكويت .

* تم تحويل ربع مليون جنيه استرلينى لانشاء كلية العلوم بالجزائر

* كما تم تحويل القسط الثانى من منحة الكويت الى الجامعة الاردنية .

* قررت وزارة الشئون الاجتماعية والعمل افتتاح بيت الشباب فى ١٩٦٧/١/١٨ الذى أعد بالفعل ليستوعب حوالى خمسين شابا حاليا على ان يتم توسيعه مستقبلا . وقد تم اعداد هـذا البيت وفـق أحدث بيوت الشباب فى العالم

القاهرة

* تقرر اتاحة الفرصة هذا العام لكبار السن وآباء وأمهات الشهداء لاداء فريضة الحج على أن تكون لهم الاولوية كما تقرر السماح بمرافقين لكبار السن .

* تقررت الموافقة على طلب الحكومة التركية ايفاد اساتذة متخصصين فى الفقه الاسلامى والتفسير والحديث وتاريخ العقائد للتدريس فى بعض المعاهد الاسلامية التركية .

* أوفدت الجمهورية العربية الى كوالمبور الشيخ محمود الحصرى والشيخ محمود عبد الحكيم ليتولوا التحكيم فى المسابقة الدولية التى اعتادت ماليزيا اقامتها كل عام لتلاوة القرآن الكريم وحفظه يومى ٣١ ديسمبر واول يناير والتى اشتركت فيها ١٢ دولة اسلامية .

* استقبل فضيلة شيخ الجامع الازهر سفير موريتانيا فى القاهرة ودار البحث حول شئون المسلمين هناك والتوسع فى المنح الدراسية .

* تقرر ايفاد ستة من القراء الى ماليزيا لتدريب الاهالى على قراءة القرآن الكريم .

* اجتمع وزير الارشاد بسعادة الشيخ جابر العلى السالم وزير الارشاد والانباء الكويتي لبحث تنسيق سياسة الاعلام المشتركة بين البلدين .

* بحث وزير الارشاد والانباء الكويتي مع السيد الامين العام للجامعة العربية العقبات التى تعرقل تنفيذ قرارات مؤتمر وزراء الاعلام العربى .

السعودية

* اكتشف فى شمال السعودية مدينة أثرية كاملة كما عثر فى خرائب المدينة على محتويات دقيقةالصنع تكثر فيها التماثيل للحيوانات المائية التى يبدو منها أن سكان هذه المدينة كانوا من الوثنيين .

* احتفل فى (أبيار على) بالقرب من المدينة المنورة ببدء العمل فى مشروع انشاء طريق جديد بين المدينة المنورة وجدة تيسيرا لوفود بيت الله الحرام .

* وجه وزير المعارف ورئيس جمعية الكشافة فى السعودية الدعوة الى الكويت للاشتراك فى معسكر تجمع جوالة البلاد العربية والاسلامية الذى سيقام بمدينة مكة المكرمة فى الفترة الواقعة مابين ١٣ ، ٢٨ مارس سنة ١٩٦٧ .

بغداد

* زار بغداد السيد جبرائيل شفيع رئيس مجلس الامة ورئيس مجلس الاتحاد الاسلامى فى توجو على رأس وفد ضمن جولة فى الكويت والسعودية تستهدف تدعيم العلاقات بين توجو والبلاد الاسلامية .

* تقرر مقاطعة مؤتمر المحامين الدولى الذى سيعقد فى ليبريا خلال شهر يوليو القادم بسبب تمثيل العصابات الصهيونية .

* عقد اجتماع بالموصل حضره علماء الدين لتشجيع قراءة القرآن وتجويده ، وقد تقرر انشاء رابطة للقراء فى الموصل .

* تلقى الرئيس عبد الرحمن عارف رسالة من الملا مصطفى البرزانى يجدد فيها الولاء والاخلاص لقيادة الرئيس عارف .

دمشق

= من بين القرارات التى اتخذت فى مؤتمر المعلمين الذى عقد بدمشق توحيد المناهج التعليمية فى مدارس البلدان العربية .

= اعتدت اسرائيل على الرعاة العرب فى سوريا وردت القوات السورية عليها وصدرت اليهـا الاوامر برد كل اعتداء عليها فى داخل الاراضى الاسرائيلية نفسها .

السودان

= تمت التحقيقات مع القائمين بالحركة الانقلابية الفاشلة فى السودان تمهيدا لمحاكمتهم .

الاردن

= يفكر المسئولون فى اقامة مدينة سكنية للحجاج الاردنيين فى مكة المكرمة .

الجزائر

= قررت الحكومة الجزائرية دمج عـدة بنوك فرنسية فى بنك وطنى واحـد سمته مصرف الشعب الجزائرى جريا على سياسة تدعيم الاقتصاد الجزائرى .

وقعت الحكومة مع الامم المتحدة اتفاقية خاصة بمساعدة الجزائر فى مكافحة الامية بانشاء عدة مراكز فى المدن الهامة لهذا الفرض .

الغت الجزائر المزايا الممنوحة للرعايا الفرنسيين فى سفرهم للجزائر ردا على ما اتخذته فرنسـا تجاه الجزائريين المقيمين فى فرنسا .

لبنـــان

= أعلن السيد رشيد كرامى رئيس الوزراء تأييد لبنان لسوريا فى موقفها من شركة نفط العراقوقال ان لبنان حصلت على مكتوب من الشركة بزيادة حصتها فى الارباح كما تريد سوريا .

تم انتخاب فضيلة الشيخ حسن خالد مفتيا للبنان بالتزكية بعد أن تنازل منافسه واقيمت الاحتفالات الرسمية المعتادة بذلك .

تركيا

= قدم وزير الخارجية التركية الى البرلمان مشروعا يقضى بتحريم استخدام القواعـد الامريكية ضد دول المنطقة

= بدأت دار النشر (سوتمز) فى تركيا بكتابة ترجمة جديدة للقرآن الكريم .

= اشتركت تركيا فى المباراة الدولية لتلاوة القرآن الكريم التى أقيمت فى ماليزيا

اقرأ فى هذا العدد

((الى راغبى الاشتراك))

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك فى المجلة . ورغبة منـا فى تسهيل الامر عليهم ، وتفاديا لضياع المجلة فى البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات عندنا من الان ، وعلى الراغبين فى الاشتراك ان يتعاملوا رأسا مع متعهد التوزيع عندهم ، وهـذا بيـان بالمتعهديـن ،

القاهرة : شركة توزيع الاخبار ـ ٧ شارع الصحافة
مكة المكرمة : مكتبة الثقافة للصحافة . ص‌ب ١٤٦
المدينة المنورة : مكتبة ومطبعة ضياء ـ السيد محمد زين العابدين ضياء
الريـاض : مكتبة المدينة ـ ص‌ب ١٩ ـ السيد احمد باصريح
الطائف : مكتبة الثقافة للصحافة ـ عمارة ابن الملوح ـ ص‌ب ٢٢
جـده : مكتبة الصلاح العالمية ـ عمارة البنك الاهلى ص‌ب ٦٣٥
بغداد : مكتبة المثنى ـ السيد قاسم محمد الرجب
الخبر : مكتبة النجاح الثقافية ـ ص‌ب ٧٦ ـ السيد محمد سعيد بابيضان
البحرين : المكتبة الوطنية وفروعها ـ المنامة ـ السيد فاروق ابراهيم عبيد
قطر : مكتبة العروبة ص.ب : ٥٢
عدن : وكالة الاهرام التجارية ـ السيد محمد قائد محمد
المكلا : ص ب ٢٨ ـ حضرموت ـ مكتبة الشعب المحدودة
دبى : ساحل عمان ـ ص‌ب ٢٦١ ـ السيد عبد الله حسن الرستمانى
مسقط : المكتبة الاهلية ص ب ١٥٧
عمان والقدس : وكالة التوزيع الاردنية ـ السيد رجا العيسى
دمشق : الشركة العامة للمطبوعات ص‌ب : ٢٣٦٦
بيروت : الشركة العربية للتوزيع ص ب ٤٢٢٨
السودان : ـ الخرطوم ـ السيد حسن نجيله ص ب ٤٢٤
بور سودان : السيد عطا المنان . مكتبة كررى ص‌ب : ٣٠٣
مراكش : الدار البيضاء ـ مكتبة الوحدة العربية ـ السيد أحمد عيسى
ليبيا : طرابلس الغرب ص‌ب ١٣٢ ـ السيد محمد بشير الفرجانى
بنغازى : مكتبة الوحدة العربية ص‌ب ٢٨٠ ـ السيد الشعالى الخراز
الكويت : مكتب منار للتوزيع ٢١ شارع فهد السالم ص‌ب : ١٥٧١

ونوجه النظر الى أنه لا يوجد لدينا الان نسخ من الاعداد السابقة من المجلة



الفيلســوف الفقيه ابن رشد كما تخيله الرســام

طالع مقالــة المنشــور فى هذا العـــدد

مطبعة حكومة الكويت

الوعي الإسلامي

إسلامية ثقافية شهرية

رسالة الحج
هديتك
مع هذا العدد

السنة الثانية ـ العدد الثالث والعشرون ـ غرة ذى القعدة ١٣٨٦ هـ ـ فبراير ١٩٦٧م





سمو امير البلاد المعظم فى طريقه الى مسجد السوق الكبير لصلاة عيد الفطر المبارك

الوعي الإسلامي

اسلامية ثقافية شهرية

العدد الثالث والعشرون ـ السنة الثانية

غرة ذى القعدة سنة ١٣٨٦ هـ

١ من فبراير (كانون الثانى) ١٩٦٧

تصدرها وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية بالكويت فى غرة كل شهر عربي

المجلة حرة ، والوزارة غير مسئولة عما ينشر فيها من آراء

هدفها : المزيد من الوعى ، وايقاظ الروح ، بعيداً عن الخلافات المذهبية والسياسية

المشرف العام

عبد الرحمن المجحم

رئيس التحرير

عبد المنعم النمر

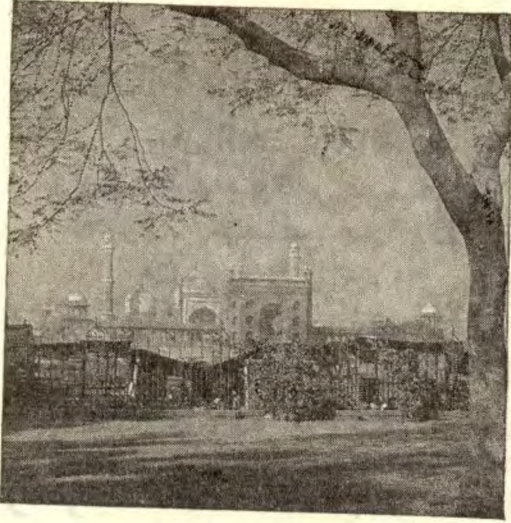
مدير التحرير

على عبد المنعم

سكرتير التحرير

رضوان البيلى

صورة الغلاف



المسجد الجامع بدلهى شيده الامبراطور شاه جيهان ١٥٦٠ ـ ويعد هذا المسجد من أفخم المساجد وأرحبها فى الهند ويتجلى فى بنائه جمال الفن وروعته .

الثمن

الكويت	٥٠	فلسا
السعودية	١	ريال
العراق	٧٥	فلسا
الاردن	٥٠	فلسا
ليبيا	١٠	قروش
الخليج العربي	١	روبية
اليمن وعدن	٧٥	فلسا
لبنان وسوريا	٥٠	قرشا
مصر والسودان	٤٠	مليما

الاشتراك السنوى للهيآت فقط

فى الكويت ١ دينار

فى الخارج ٢ ديناران

(او ما يعادلهما بالاسترليني)

اما الافراد فيشتركون رأسا

مع متعهد التوزيع كل فى قطره

عنوان المراسلات : مجلة الوعى الاسلامي ـ وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية ـ الكويت ص . ب ١٣ ـ هاتف ٢٢٠٨٨

بسم الله الرحمن الرحيم

أخي القارئ

تيار الحضارة الغربية الذى جرفنا فى طريقه حمل الينا فيما حمل تقاليد وأوضاعا غريبة على مجتمعنا أو سموما سممت أفكارنا ، ولوثت حياتنا ، وشغلتنا بمحاولات التخلص منها وعلاجها ...

فالحرية المشوهة التى أخذت المرأة الشرقية عندنا أو المسلمة بالذات تنادى بها ، وتشكل حياتها وتصرفاتها على قالبها ، والتقليد الاعمى للانطلاق الاثيم لكل من المرأة والرجل فى الغرب ، كل هذا أورثنا مخلفات ، أو جعل فى جسمنا الاجتماعى بثورا وقروحا لم نكن نعرفها على هذا الوضع من قبل ..

كنت منذ أيام أتحدث مع زائر عن بعض هذه المخلفات أو هذه البثور .. عن ظاهرة تزايد اللقطاء عندنا فى البيئات المسلمة ، وازدحام الاماكن المخصصة لهم وضيقها بهم .. وعن المحاولات التى يجب أن تبذل لتربية هؤلاء وتنشئتهم ، ثم حمايتهم من العقد الاجتماعية ، التى يمكن أن تنشأ معهم ، ولم أجد نفسى منطلقا مع الزائر فى رسم العلاج المناسب لحال هؤلاء . بل توقفت . وقلت : سبحان الله نستسلم تماما للأمر الواقع . ونترك ((الميكروب)) يتفشى فينا .. ثم نبحث عن الدواء للمريض !!

أليس من البدائه المقررة لدى الجميع ((أن الوقاية خير من العلاج))

نترك القوانين بل نضعها لتحمى الحرية الاثمة الفاجرة .. ونتهاون نحن تحت ضغط ما يسمى بالمدنية فى اتخاذ أساليب الحماية والوقاية .. حتى نجد أنفسنا فى مأزق نحاول الخروج منه !!

نترك الطوفان يجرف ويعربد ، ثم نبحث عن الضحايا الابرياء !!

لا .. ليس هذا هو المنطق ..

ان المنطق يحتم علينا أولا أن نهتم بأصل المشكلة ، بمنبع الداء .. فنحاول اجتثاثه ، أو تضييق مجراه على الاقل ..

أما أن نترك أنفسنا للتيارات تتلاعب بنا ، وتقذفنا يمينا وشمالا فهذا غير معقول ولا مقبول ..

ان علينا أن نبحث عن السبب فى تزايد هؤلاء الابرياء فى أوساطنا الاسلامية .. ونقضى على كل سبب نعرفه ونتخلص منه ..

ولنتجه أولا وقبل سن القوانين المناسبة الى التوعية والتربية .. التربية الاسلامية التى تحصن المسلم والمسلمة من الداخل .. وتحميهما من الانطلاق وراء تقليد البيئات الغربية فى أى أمر يخالف تعاليمنا ومبادئنا ..

نريد أن تقوم حملة توعية نفسية تقنع المسلم بأن التقدم والتمدن ليسا فى هذا الانطلاق الآثم الذى يخالف تعاليم الاسلام ..

نريد أن نربى المسلم على ألا يكون جهاز استقبال يلتقط كل شىء حتى ولو كان فيه دماره ..

نريد من كل جهاز اعلام أن يشدد الحملة على هذا الضعف النفسى الذى أصاب المسلم والمسلمة فجعلهما يتخليان عن أهم مبادىء الاسلام فى سبيل أن يقال : متمدن متحضر . متقدم . عصرى ..

نريد أن نوقظ فى نفس المسلم روح الاعتزاز باسلامه وتقاليده الحقة النابعة منه ،

حتى يرفض فى اصرار وشدة كل ما يمس هذه التقاليد ، كما يرفض أى شىء يمس ماليتـــه ..

حينئذ يمكن أن نطمئن الى أن المسلم والمسلمة فى أى مكان سيحميان نفسيهما من الانحرافات والتقليد الاعمى .. وفى هذه الحالة يمكن أن نقول اننا وضعنا أسسا متينه للحد من كثرة وجود هؤلاء الابرياء الذين جاءوا ثمرة الحرية المشوهة التـى مهدت للانحراف الأثيـم ..

وليس معنى هذا أننا سنتخلص نهائيا من وجودهم ، فالاثم لا بد أن يثبت وجوده دائمـا ..

وهنا تجابهنا مشكلة تربيتهم وتهيئة مستقبل كريم لهم ..

بعض الناس الذين لا يعنون الا بالناحية النفسية لهؤلاء . يتجهون لعلاج مشكلتهم على هذا الاساس النفسى ، ولا يرون بأسا فى أن يتبنى بعض القادرين ولا سيما الزوجان اللذان حرما نعمة الاولاد واحدا منهم ، ويتخذا منه ابنا لهما يأخذ كل حقوق البنوة الحقيقية !!

والذين يرون هذا الرأى لا يهتمون بنصوص القرآن الذى حرم التبنى فى صراحة وشدة حين قال : ((ما جعل الله لرجل من قلبين فى جوفه وما جعل أزواجكم اللائي تظاهرون منهن أمهاتكم وما جعل أدعياءكم أبناءكم ذلكم قولكم بأفواهكم والله يقول الحق وهو يهدى السبيل . ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله فان لم تعلموا آباءهم فاخوانكم فى الدين ومواليكم وليس عليكم جناح فيما اخطأتم به ولكن ما تعمـدت قلوبـكم)) .

فاذا كنا نسلم بأن الله لم يجعل للرجل قلبين فى جوفه ، ولم يجعل الزوجة التى نظاهر منها أما لنا ، فمن البديهى أن نسلم كذلك بحكم الله فى أن الأدعياء (المتبنَّيْن) ليسوا بأبناء لنا ، ولا يمكن أن يأخذوا حكم الابناء .

انظر الى كل جملة جاءت فى قول الله سبحانه ، بعد ذلك مباشرة : ((ذلكم قولكم بأفواهكم .. الآية)) ، تحس صراحة وشدة ووضوحا فى نهى الله سبحانه عن التبنى بالمعنى الذى كان معروفا قبل الاسلام ، وبالمعنى الذى يدعو اليـه بعض النـاس الآن بحجة العطف منهم على هؤلاء الأبرياء ..

نعم . انهم أبرياء .. ويستحقون العطف .. ولكن أن نتجاوز فى عطفنا ، وفيما نتخذه من سبل لتحقيق هذا العطف ما حدده القرآن ورسمه لنا ، فهذا ما لا يسلم به مسلم يخشى الله ، ولا دولة تتخذ من الاسلام دينا لها .

ان قلوبنا مشحونة بالعطف عليهم ، وبالتقدير لمواقفهم حين يشبون ويعرفـون الحياة ، ويختلطون بالناس . ونعرف أنه قد يكون فى هؤلاء كما فى كل الأطفال العاديين نبغاء وعلماء يخدمون أمتهم ..

ولكن ينبغى علينا ونحن نفكر فى تهيئة مستقبل كريم لهم ، وفى صيانتهم من العقد فى حياتهم أن نفكر كذلك فى تهيئة مستقبل كريم لنا عند الله يوم أن نلقاه ، ونصـون أنفسنا من غضبه .

((يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من أتى الله بقلب سليم)) ((يوم لا تملك نفس لنفس شيئا والامر يومئذ لله))

والله يقول الحق وهو يهدى السبيل »

رئيس التحريـــر

من هدي السنة

الاقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم

لفضيلة الشيخ على عبد المنعم عبد الحميد
المستشار الثقافى لوزارة الاوقاف
والشؤون الاسلامية

قال عمرو بن العاص : بينما النبى صلى الله عليه وسلم يصلى فى حجر الكعبة اذ أقبل عقبة بن أبى معيط ، فوضع ثوبه فى عنقه ، فخنقه خنقا شديدا ، فأقبل أبو بكر رضى الله عنه، فأخذ بمنكبه ، ودفعه عن النبى صلى الله عليه وسلم ، وقال : أتقتلون رجلا أن يقول ربى الله .

رواه البخارى

١ ـ الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يمل ، ولا ينتهى المتحدث فيه الى نهاية يقف عندها ويقطع الكلام ، لان حياته عليه الصلاة والسلام هى رسالته ، ورسالته فى كل أوضاعها رسم دقيق لمشاكل البشر ، وحل أدق لكل مشكلة ، وعرض شامل لمراحل الحياة ، ومنار واضح لمعالم الرحلة فى كل أحوالها وملابساتها ، وبناء قوى متماسك لمجموعة الكمالات الروحية والمادية التى تقيم صرح الوجود الانسانى سامقا شامخا لا تنال منه زوابع العصور المختلفة ، ولا تؤرجحه أعاصيرها ، واسعاف سريع حاسم لكل حائر فى ظلام الحياة أو عان فى مدارجها ـ لهذا كان استحضار تاريخه ودراسة جهاده ومعرفة العقبات التى بدت فى أفقه ولانت أمام عزمه القوى وثباته العبقرى ، ثم ظهور النور الهادى ، وانبلاج الصبح القاضى على الظلام ، وتوطيد اركان السمو والعزة فى أصحابه والارض التى عاشوا عليها والامة التى حكموها بتعاليم الاسلام ـ كل أولئك يمنحنا نحن العائشين فى هذا الجو الصاخب اللجب بالمنكرات المضطرب بالفساد الخلقى والاجتماعى، أقول : يعطينا القوة والصبر والكفاح والاستهانة بما نلاقى حتى نصل الى ما يرضى رب العالمين ورسوله ، ونعيد تخطيط مجتمعاتنا على أساس من التبصر الاسلامى مترسمين خطى سيد الخلق صلى الله عليه وسلم ومستمدين العون ممن أعانه ووفقه ربنا وربه رب العرش العظيم .

٢ – يمضى عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام فى طريقه الذى رسمه له قيوم السموات والارض ناشرا دين الله ، باثا دعوته ، مثبتا دعائمها ، غير عابىء بايذاء المشركين ، ولا ملق بالا لارجاف المرجفين، يناديه الروح الامين بأصدق الحديث : « فاصدع بما تؤمر واعرض عن المشركين . انا كفيناك المستهزئين » فهو صلى الله عليه وسلم يعلم علم اليقين أنه لا بد من مستهزئين به ، سيقفون له بالمرصاد ، ويبذلون قصارى جهدهم لتحويله عن طريقه ، ولكن من هم أولئك المعارضون ؟ أليسوا عبدة أوثان لا تنفع ولا تضر ، وهو الداعى الى التوحيد . الى عبادة من بيده ملكوت كل شىء وهو يجير ولا يجار عليه سبحانه وتعالى عما يشركون ، وقد أخبره بأن فريقا من قومه لن يؤمنوا مهما أيقنوا بأنه صادق ، لانهم يصمون آذانهم عن الحق ، ويتعامون عن نوره الأبلج ، ومع هذا يجب ألا ييأس ، وألا يتردد ، وانما عليه أن يستمسك بالذى أوحى اليه ، ويصمد مهما لاقى من عنت ومشقة ، وليؤمن بأن عقاب الله واقع بالمخالفين المعاندين ، يقول الله تبارك وتعالى : « أفأنت تسمع الصم أو تهدى العمى ومن كان فى ضلال مبين . فاما نذهبن بك فانا منهم منتقمون . أو نرينك الذى وعدناهم فانا عليهم مقتدرون . فاستمسك بالذى أوحى اليك انك على صراط مستقيم . وانه لذكر لك ولقومك وسوف تسألون » .

٣ – ونهرع الى التاريخ لنستمع اليه وهو يقص علينا أنباء الرسول العظيم ، وكيف واجه عناد الشرك بقوة الايمان ، وجهامة الكفر بسماحة الاسلام ، وعتو المال والولد ، بعون الله شديد المحال .

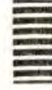
افتن الكافرون ما شاءت لهم عقولهم أن يفتنوا ، وعمدوا – فى بعض محاولاتهم العدوانية – الى ما تعمد اليه الدول المعاصرة من مقاطعة الاعداء ليحصروهم ، ويحصوا عليهم أنفاسهم ، ويمنعوا عنهم القوت حتى يضطروهم الى التسليم دون قيد أو شرط .

يقول المؤرخ محمد بن اسحاق : (فلما رأت قريش أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قد نزلوا بلدا أصابوا به أمنا وقرارا ، وأن النجاشى قد منع من لجأ اليه منهم ، وأن عمر قد أسلم بعد اسلام حمزة بن عبد المطلب وبدأ الاسلام يفشو فى القبائل ، اجتمعوا – أى الكفار – وائتمروا فيما بينهم أن يكتبوا كتابا يتعاقدون فيه على بنى هاشم وبنى المطلب على ألا ينكحوا اليهم ولا ينكحوهم، ولا يبيعوهم ولا يبتاعوا منهم ، فلما اجتمعوا لذلك كتبوه فى صحيفة ، ثم علقوا الصحيفة فى جوف الكعبة توكيدا على أنفسهم) وكان كاتب الصحيفة منصور بن عكرمة ، دعا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فشلت أصابعه . وانحاز بنو هاشم وبنو المطلب الى أبى طالب فدخلوا معه فى شعبه واجتمعوا اليه ، وخرج من بنى هاشم أبو لهب الى قريش فظاهرهم وكان ابو لهب يقول : يعدنى محمد أشياء لا أراها يزعم أنها كائنة بعد الموت فماذا وضع فى يدى ثم ينفخ يديه ويقول : تبا لكما ما أرى فيكما شيئا مما يقول محمد . فأنزل الله فيه سورة كاملة خاصة به وبزوجته الكافرة :

((بسم الله الرحمن الرحيم . تبت يدا أبى لهب وتب . ما أغنى عنه ماله وما كسب . سيصلى نارا ذات لهب وامرأته حمالة الحطب . فى جيدها حبل من مسد)) (١) . وأبو لهب فى موقفه هذا يضربه الله مثلا للملحدين فى آيات

---

(١) روى البخارى أنها نزلت غداة قال أبو لهب للرسول الكريم حين جمعهم وبلغهم : تبا لك ألهذا جمعتنا ، وروى أنه ظل سائر يومه ينفخ يديه ويقول : تبا لك يا كذا .. الخ ...



الله فى كل زمان ومكان الذين لا يؤمنون الا بما يحسون ، ولا يلقون بالا الا للمادة البحتة لان الله تعالى طمس على بصائرهم فلا تدرك ، وختم على قلوبهم ، فـلا تسعى ، حالت المادة الكثيفة بينهم وبين معرفة مدبر الكون فأنى لهم أن يستجيبوا لداعى الحق .

٤ – مضت الأيام بطيئة متثاقلة ، وتعاقب جديداها ، ونقضت الصحيفة ، وعادت أمور المقاطعين وأعمالهم الى تباب ، وأمر الدعوة ظاهر لا يستطيع أحد أن يوقف تياره الجارف . ولا بأس أن نورد طريفة حدثت أثناء المقاطعة فقد لقى أبو جهل حكيم بن حزام بن خويلد ومعه غلام يحمل قمحا يريد عمته خديجة بنت خويلد ، وهى عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه فى الشعب فتعلق به وقال : أتذهب بالطعام الى بنى هاشم ؟ واللات والعزى لا تبرح أنت وطعامك حتى أفضحك بمكة ، فجاءه أبو البخترى بن هاشم بن الحارث فقال : مالك وله ؟ فقال : يحمل الطعام الى بنى هاشم . فقال أبو البخترى : طعام كان لعمته عنده بعثت اليه فيه افتمنعه أن يأتيها بطعامها ؟ خل سبيل الرجل ، فأبى أبو جهل حتى نال أحدهما من الاخر ، فأخذ أبو البخترى لحى بعير ، وضربه به فشجه ، ووطئه وطئا شديدا ، وحمزة ابن عبد المطلب قريب منهما يسمع ويرى ذلك ، وهم يكرهون أن يبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه فيشمتون بهم . ولكن الله تبارك وتعالى مخزى الكافرين وحاشرهم الى جهنم جميعا .

٥ – يستمر رسول الله عليه افضل الصلاة وأزكى السلام هاديـا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجـا منيرا ، دائبا على التبليغ ليلا ونهارا سرا وجهارا ، صادعا بأمر الله لا يخشى فى الحق لومة لائم ، ولنورد بعض النماذج لما كان يفعله الكفار معه ليصدوه عـن سبيل الله بعد أن أخفقوا فى المقاطعة التى تحدث عنها التاريخ طويلا

أ – يتمثل الانمـوذج الاول فى أم جميل حمالة الحطب حين سمعت ما أنزل فيها وفى زوجها من القرآن الكريم، فقد جاءت الى الرسول وهو جالس عند الكعبة ، ومعه أبو بكر الصديق ، وفى يدها حجر كبير ، فلما وقفت عليهما أخذ الله بصرها فلم تر الرسول الكريم وانمـا رأت أبا بكر وحده فقالت : يا أبا بكر أين صاحبك ؟ لقد بلغنى أنه يهجونى ، والله لو رأيته لضربت بهذا الحجر فاه ، ثم انصرفت ، فقال أبو بكر : يا رسول الله أما تراها رأتك ؟! فقال : ما رأتنى ، لقد أخذ الله ببصرها عنى .

ب – والانموذج الثانى يتضـح فى الاخنس بن شريق (١) الذى كان اذا رأى رسول الله همزه (٢) ، واذا غاب عـن ناظريه لمزه (٣) فأنزل الله فيه : ((ويل لكل همزة لمزة)) السورة .

---

(١) قيل فى الاخنس بن شريق وقيل غيره وقال مجاهد هى عامة فى كل من هذا فعله

(٢) قال مجاهد وعطاء : الهمزة : الذى يطعن فى وجه الرجل ، واللمزة : الذى يغتابه من خلفه اذا غاب عنه والاصل فى الهمز : الكسر ، وفى اللمز أنه الطعن بالرمح ، ثم شاع استعمالها فى المعنى السابق قال شاعرهم :

اذا لقيتـك عـن شـحط تكاشرنـى … وان تغيب كنـت الهـامـز اللمـزه

ج ـ والمثل الثالث العاص بن وائل السهمى الذى لقى خبابا بن الارت من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له : أليس يزعم محمد أن فى الجنة ما يريد أهلها من مال وخدم وثياب ؟ فقال : بلى ، قال : يا خباب لن تكون أنت وصاحبك آثر عند الله منى لانى فى الدنيا أعظم حظا منكما فنزل فيه قول الله تعالى : ((افرأيت الذى كفر بآياتنا وقال لاوتين مالا وولدا . اطلع الغيب أم اتخذ عند الرحمن عهدا . كلا سنكتب ما يقول ونمد له من العذاب مدا . ونرثه ما يقول ويأتينا فردا)) .

د ـ والرابع : أبو جهل بن هشام الذى قال لرسول الله يوما : لتتركن سب آلهتنا أو لنسبن الهك الذى تعبد فنزل قول الله سبحانه : « ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم » فكف الرسول صلى الله عليه وسلم عن سب آلهتهم .

هـ ـ ومنهم النضر بن الحارث بن علقمة الذى كان كلما جلس مجلسا فى أهل مكة يقول ان محمدا يحكى أساطير الاولين ، وما هو بأحسن حديثا منى . فنزل قول الله الكريم : « وقالوا أساطير الاولين اكتتبها فهى تملى عليه بكرة وأصيلا . قل أنزله الذى يعلم السر فى السموات والارض انه كان غفورا رحيما » ، وقال تعالى فيهم أيضا « ويل لكل أفاك أثيم . يسمع آيات الله تتلى عليه ثم يصر مستكبرا كأن لم يسمعها كأن فى أذنيه وقرا فبشره بعذاب أليم » .

و ـ والمثل السادس هذه الحادثة التي يرويها عمرو بن العاص من بلوغ الحقد والغيظ بعقبة بن ابى معيط مبلغا أفقده عقله وصوابه ، فامتدت يده الاثيمة الى عنق البشير النذير يريد خنقه ، ولولا أن الله ساق اليه الصديق فى هذه اللحظة الحاسمة لتغير وجه الدنيا ولقد صدق الله حيث يقول : « والله يعصمك من الناس »

هذا : ولو ذهبت أستقصى ما حدث به التاريخ من تفنن المعاندين فى عدائهم لرسول الله وسلوكهم كل السبل لمحاولة صده عن الحق لمضى الزمان ولما نأت الا على القليل من فعالهم ، وتلك أمثلة مما صادفه وصمد هو له ليقتدى به خلفاؤه من الائمة المهديين ، والدعاة المجاهدين من العلماء المتفقهين فى دين الله ، فلا تتحقق وراثة الانبياء فى العلماء الا بجهادهم فى سبيل الدعوة ونشرها وتبليغها والصبر عليها فالانبياء لم يورثوا مالا ولا ضياعا وانما ورثوا جهادا وتبليغا ودعوة الى الله بالتى هى أحسن حتى تلين القلوب وتستجيب ، ولا يصح سلوك طرق العنف والشدة حتى لا يتولد العناد والمجابهة فى المدعوين والله يقول لموسى وأخيه عليهما السلام : ((فقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى)) ، ويقول : (ادفع بالتى هى أحسن) .. الاية ويقول : ((ومن أحسن قولا ممن دعا الى الله وعمل صالحا ..)) والاسلام فى حاجة دائما الى تكاتف أبنائه ليحملوا رايته ، وعامل واحد يطبق ما يقول على ما يفعل خير وأجدى على الامة من آلاف يقولون مالا يفعلون فالقدوة العملية هى التى تنتج وتثمر ، وللمسلمين فى رسول الله أسوة حسنة ، والله لا يضيع أجر من أحسن عملا ، نسأله جلت قدرته أن يوفق المسلمين قاطبة لفهم كتابه وسنة نبيه والعمل بهما انه سبحانه نعم المولى ونعم النصير .

الرسول صلى الله عليه وسلم

وسنته الشريفة

للدكتور عبد الحليم محمود
رئيس قسم العقيدة بكلية أصول الدين
جامعة الأزهر

يقول الله تعالى لرسوله الكريم :

« وما أرسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا » .

وما كانت هذه الرسالة العامة ، لاحد من الرسل من قبله : فموسى عليه السلام أرسل لبنى اسرائيل خاصة . فاقتصرت دعوته عليهم لدرجة انه حينما ذهب هو وهارون ، عليهما السلام الى فرعون قالا له « انا رسولا ربك فأرسل معنا بنى اسرائيل » .

فموسى ذهب الى فرعون ليرسل معه بنى اسرائيل . ولم يكافح سيدنا موسى الشعوب ، أو الامم فى سبيل دعوته .

وعيسى عليه السلام انما ارسل الى « خراف بنى اسرائيل الضالة » على حد تعبيرهم القديم . ولم يحاول سيدنا عيسى ان يبشر بدعوته خارج فلسطين ، ويجاهد من أجلها .

أما رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه ارسل الى الناس جميعا .

ارسل الى الناس جميعا من حيث المكان ، وارسل اليهم جميعا من حيث الزمان ، فهو الرسول الدائم ، زمانا ومكانا . « قل يا أيها الناس انى رسول الله اليكم جميعا » . ولقد امتزج رسول الله صلى الله عليه وسلم برسالته الخالدة ، فكان هو هى تقول السيدة عائشة رضى الله عنها : « لقد كان خلقه القرآن » .

وهذه الكلمة من السيدة عائشة رضوان الله عليها ، تحتاج الى تحديد وبيان ، ذلك ان الاخلاق القرآنية تحدد الخلق الكريم فى حده الادنى ، ثم لا تقتصر

على ذلك وانما ترسم القمم من مكارم الاخلاق ، وتوجه الى السنام منها ، وتقود الى المشارف العليا من درجات المقربين .

والقرآن يحدد الدرجة التي وصل اليها الرسول من الخلق القرآنى ، فيقول سبحانه لرسوله صلى الله عليه وسلم :

« وانك لعلى خلق عظيم » .

وهذه الآية القرآنية تحدد درجة الاخلاق القرآنية التي وصل اليها الرسول صلى الله عليه وسلم ، انه ذروتها وسنامها . ولقد قال صلوات الله وسلامه عليه :

« انما بعثت لاتمم مكارم الاخلاق » .

انه صلى الله عليه وسلم ، بعث ليتمم المكارم الاخلاقية ، ليتممها بذاته بسلوكه وليتممها بقوله ، برسالته انه لم يبعث ليبشر بالاخلاق وحسب ، وانما ليتمم مكارمها ، ومكارم الاخلاق لا يحدها ـ من حيث التبشير بها ـ مكان ، ولا يحدها زمان بل ولا يحدها عالم من عوالم الله فى الارض أو السماء ، ومن اجل ذلك كانت رسالته صلوات الله عليه وسلامه رحمة للعالمين كما يقول الله تعالى : « وما ارسلناك الا رحمة للعالمين » .

ورسول الله صلى الله عليه وسلم ، لانه يمثل الاخلاق القرآنية فى ذروتها وسنامها جعل الله سبحانه وتعالى ، له مكانة خاصة بين المسلمين فهو صلوات الله وسلامه عليه ـ لانه تمثل القرآن وحققه ، ـ اصبح بذلك يمثل الحق بقوله ، ويمثل الحق بعمله ، فلا ينطق عن الهوى ولا يعمل بالهوى .

ويقول الله تعالى له معبرا عن هذه الحقيقة أروع تعبير :

« وانك لتهدى الى صراط مستقيم صراط الله .... » ويقول الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم « قل اننى هدانى ربي الى صراط مستقيم دينا قيما ... » .

بل ان طريق الدعوة نفسه كان صلوات الله وسلامه عليه يسير فيه معصوما ، ودعوته وطريق دعوته يسير فيهما على هدى وعلى نور من ربه . ولذلك فان « من يطع الرسول فقد أطاع الله » .

ويعمم الله سبحانه الحكم تعميما ، ويطلقه اطلاقا فيقول سبحانه : « وما آتاكم الرسول فخذوه ومانهاكم عنه فانتهوا » ويقول الله تعالى « وان تطيعوه تهتدوا » .

واتباع الرسول صلى الله عليه وسلم سبب فى محبة الله تعالى ، لمن يتبعه « قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ... » .

ان حب العبد لله لا يفيد ما لم يتخذ العبد الوسيلة الناجعة لذلك ، وهذه الوسيلة هي اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ولقد قال الله سبحانه وتعالى فى حديث قدسى رواه الامام البخارى : « من عادى لى وليا فقد آذنته بالحرب . وما تقرب الي عبدى بشيء احب الي مما افترضته عليه . وما يزال عبدى يتقرب الي بالنوافل حتى احبه فاذا احببته كنت سمعه الذى يسمع به .

وبصره الذى يبصر به . ويده التي يبطش بها . ورجله التي يمشي بها . وان سألني لأعطيته . ولئن استعاذ بي لاعيذنه » .

وهذه النوافل التي ذكرت فى الحديث القدسي الشريف والتي اذ اكثر الانسان منها بعد اداء الفرائض احبه الله : انما هي سلوك رسول الله صلى لله عليه وسلم ، انها طريق رسمه ــ صلوات الله عليه وسلامه ــ بقوله وبعمله ، انها سنته ــ صلوات الله وسلامه عليه ــ التي سنها ، لينال الانسان بها محبة الله سبحانه .

ولقد أحب الله سبحانه رسوله وكان هذا الرسول صلى الله عليه وسلم بعبوديته لله سبحانه حبيب الله ، وبلغ الرسول صلوات الله عليه وسلامه بعبوديته التامة درجة أول المسلمين ، وكان حبيب الله ونبيه ورسوله ميزه الله سبحانه وتعالى على بقية البشر بكونه خيرهم ، وهذا التمييز لا يخرجه ــ صلوات الله وسلامه عليه ــ عن البشرية فهو بشر ، وهو خير البشر ، ومن اجل أنه خير البشر ، يقول الله تعالى مخاطبا المؤمنين : ــ

« ولا تجعلوا دعاء الرسول بينكم ، كدعاء بعضكم بعضا » .

ان الانسان الذى خصه الله بالوحى ، واجتباه لرسالته ، واصطفاه ليكون ــ باسمه سبحانه ــ بشيرا ونذيرا ان هذا الانسان الذى فضله الله على العالمين ، يجب أن نعرف له مكانته وننزله فى الشرف الذى انزله الله فيه .

ان هذا السراج المنير والرءوف الرحيم: ينبغي الا يدعى كما يدعى زيد وعمر « بمعنى لا تنادوه باسمه فتقولوا : يا محمد ، ولا بكنيته فتقولوا : يا أبا القاسم، بل نادوه وخاطبوه بالتعظيم والتكريم ، بأن تقولوا : يا رسول الله ، يا نبي الله ، يا امام المرسلين ، يا رسول رب العالمين ، يا خاتم النبيين ، وغير ذلك .. واستفيد من هذه الآية ــ كما يقول الشيخ الصاوى فى حاشيته على تفسير الجلالين ، انه لا يجوز نداء النبي بغير ما يفيد التعظيم ، لا فى حياته ، ولا بعد وفاته .

فبهذا يعلم ان من استخف بجنابه صلى الله عليه وسلم ، فهو كافر ملعون فى الدنيا والآخرة ويقول الله سبحانه فى أوائل سورة الحجرات :

« يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدى الله ورسوله » .

أى لا تتقدموا بأمر من الامور ، قولا كان أو فعلا ، الا اذا أذن الله ورسوله ، وكل امر قولا كان او فعلا اتاه الانسان بدون اذن الله ورسوله ، فانه لا يقع على السنن المستقيم يقول الضحاك :

« هو عام فى القتال وشرائع الدين ، أى لا تقطعوا أمرا دون الله ورسوله » . « واتقوا الله ، ان الله سميع عليم » .

« يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض » ــ فانكم

اذا فعلتم ذلـك يخشى عليكـم ـ « ان تحبط أعمالكم وانتم لا تشعرون » .

« ان الذين يغضون اصـواتهم عند رسول الله اولئك الذيـن امتحن اللـه قلوبهم للتقوى لهم مغفرة واجر عظيم » .

« أما هؤلاء الذيـن اسـاءوا الادب ، فاخذوا ينادونك مـن وراء الحجـرات مناداة الاعراب الاجلاف ، فى غلظـة وفى جفاء فانهم ناقصو العقول » .

« ان الذين ينادونك من وراءالحجرات اكثرهم لا يعقلون . ولو أنهم صبروا حتى تخرج اليهم لكان خيرا لهم والله غفور رحيم » .

على ان مجرد الرغبة فى الحديث الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يحتاج تنفيذها الى تقديم صدقة ، يقول الله تعالى فى سورة المجادلـة : « يا أيهـا الذين آمنوا اذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدى نجواكم صدقة ذلك خير لكم واطهر فان لـم تجدوا فان اللـه غفور رحيم » .

وتدل الآية الكريمة على أن ترك تقديم الصدقة فيه شيء ، لان مـن لـم يجد الصدقة فان موقف الله سبحانه منه ـ لعدم قدرته ـ المغفرة والرحمـة ، ولا تكون المغفرة والرحمة الا على أثـم اتاه الانسان ، وكان عدم توفر الاسـتطاعة سببا فى مغفرة الله سبحانه .

« اأشفقتم ان تقدموا بين يدى نجواكم صدقات » .

واذا حملكم خوف الفقر على الا تفعلوا واذا قادكم الضـعف الانسـاني على الا تنفذوا ذلك ، ثم ندمتم واستغفرتـم ، فتداركوه حتى يتوب الله عليكم ، واثبتوا حسن نيتكم ، وصفاء سريرتكـم ، بأن تقيموا الصلاة على الوجه الاكمل وتؤتوا الزكاة طيبة بها نفوسكم ، وتطيعوا الله ورسوله فى الصغير والكبير ، وما مـن ريب فى ان الله ، سبحانه خبير بكل مـا تعملون ، يقول الله تعالى : « أأشفقتم ان تقدموا بين يدى نجواكم صدقات فاذ لم تفعلوا وتاب الله عليكم فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأطيعوا اللـه ورسـوله والله خبير بما تعملون » .

وبعد ، فيقول رسول الله صلى اللـه عليه وسلم : « أنا سـيد ولد آدم ولا فخر » .

ويقول الله تعالى : « يا أيها النبي انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منـيرا . وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلا كبيرا » .

تلك هي مكانة الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ عند الله فهل هي كذلك عند البشر ؟ .

قبول العذر

مما قيل فى قبول العذر .

أ ـ مـا اذنب من اعتذر ولا اساء من استغفر .

ب ـ الاصاغر يهنون والأكابر يعفون .

جـ ـ الكريم اوسع ما يكـون مغفـرة ، واذا ضـاقت بالمسيء المعذرة .



للاستاذ احمد قطيع

بين القانون والشريعة

١ ـ السلطة القضائية في مفهومها الحديث ـ

حسب نظرية فصل السلطات ، تعد السلطة القضائية احدى السلطات الثلاث ، ولهذا فهي مستقلة عن السلطتين الاخريين : التشريعية ، والتنفيذية . ولكن مع هذا لايمكن أن تعد السلطة القضائية من الاجهزة السياسية للدولة . لان العمل القضائي ما هو الا عمل من النوع التنفيذى فقط . واذا كانت السلطة القضائية مستقلة عن غيرها من السلطات ، فبمقدورنا أن نرى أن الضمانات العملية لهذا الاستقلال نوعان : الاول : يتعلق بكيفية انتقاءممثلي السلطة القضائية ليكونوا مستقلين فى عملهم القضائي ، ولئلا يكون للسلطة التنفيذية أى تأثير على عملهم هذا . والثاني : يتعلق ببيان الحدود الفاصلة بين ميدان العمل القضائي من جهة ، وبين الاعمال التشريعية والتنفيذية من جهة أخرى .

١ ـ انتقاء القضاة :

هناك أسلوبان لتأمين استقلال القضاة ، الاول انتخابهم من قبل الشعب ، والثاني أسلوب الحصانة القضائية .

أ ـ أسلوب الانتخاب :

يتم هذا الاسلوب باجراء الانتخاب من قبل الشعب ، ولعل هذا الاسلوب يؤمن السلطة القضائية من التنفيذية ، كما هي الحال فى كثير من دويلات الولايات المتحدة الامريكية التي لا تزال تمارس هذا الاسلوب حتى اليوم ، ويشترط لهذا الاسلوب كفاءة المرشحين ، وتقتضي هذه الكفاءة من المرشح لعضوية المحاكم العليا مثلا أن يكون قد بلغ سن الثلاثين ، حاملا شهادة علمية ، ممارسا المحاماة أو القضاء مدة معينة من الزمن ، ولكن أكثرية الدول لا تميل للأخذ بهذا الأسلوب للمحذورين التاليين :

١ ـ عدم الكفاءة : وذلك لأن الانتخاب الشعبى لا يؤدى حتما الى نجاح أكثر المرشحين كفاءة ، وأشدهم نزاهة .

٢ ـ استرضاء الناخبين : يجب أن يجرى العمل القضائي فى جو مفعم بالحياد التام ، ولا يستطيع المرشح ذلك لأنه ربما أثرت به موجدة نفسية ،

او نعرة حزبية ، فيميل الى أنصاره ويشدد على مناوئيه وبهذا يفوت العدل ويضر بالحق .

ب ـ أسلوب الحصانة القضائية :

ان مبدأ الحصانة القضائية ينص على أن القضاة مستقلون ، ولا يعزلون الا فى الأحوال التى عينها القانون، ولهذا فالحصانة تعني صيانة القضاة من العزل ومن النقل ، وبهذا الأسلوب يتم تعين القضاة :

١ ـ بمرسوم جمهورى من السلطة التنفيذية ـ شريطة أن تتوفر فى المرشح الشروط القانونية .

٢ ـ القاضى المعين مصون من النقل التأديبى والعزل، الا المانع يمنعه من الاستمرار فى العمل كخطيئة كبرى ، أو عجز عن العمل .

٣ ـ يتم ترفيع القاضى بموجب شروط قانونية .

والحصانة تشمل سائر القضاة الذين مضى على تعيينهم ثلاث سنوات فأكثر ما عدا قضاة النيابة لانهم يمثلون وزارة العدل لدى القضاة فلهذه الوزارة حق نقلهم ، وقد ترفع هذه الحصانة لمقتضيات سياسية ، وفترات محدودة من غير خضوع للشروط القانونية (١)

٢ ـ حدود السلطة القضائية :

لقد حددت القوانين نوع العمل القضائي ، والسلطة القضائية تمارس هذا العمل وفق القواعد الآتية :

١ ـ ليس للمجلس النيابي أن يصدر حكما فى قضية معينة ، لأن هذا من شأن القضاء وحده .

٢ ـ ليس للمجلس النيابي أن يلغى بقانون حكما صادرا عن السلطة القضائية ، وليس له ايضا ان ينتقد حكما قضائيا مهما كان شانه ، أو أن يحاول توجيه القضاء فى قضية ما لناحية معينة ، والعفو العام ليس خروجا على هذه المبادىء لانه يرمى الى مصلحة عامة .

٣ ـ ليس للسلطة التنفيذية أن تحاول توجيه القضاء أو انتقاده ، كما أنه ليس للقضاء أن يتجاوز حدود اختصاصه بقيامه بأعمال تشريعية او تنفيذية ، ويترتب على ذلك :

ـ أن المحاكم تنفذ القانون ولا تنشئه .

ـ ليس لهذه المحاكم أن تفرض على نفسها أو ما دونها تفسيرا عاما معينا للقانون .

ـ ليس للمحاكم أن تقضي بدستورية القوانين ، لان ذلك من اختصاص السلطة التشريعية .

ـ ليس لها أن تتدخل فى أى نوع من الاعمال الادارية الخارجة عنها :

٢ ـ القضاء فى الاسلام :

قال ابن خلدون « القضاء منصب الفصل بين الناس فى الخصومات ، حسما للتداعى ، وقطعا للتنازع الا انه يكون بالاحكام الشرعية المتلقاة من الكتاب والسنة » وقال ابن فرعون فى (تبصرة الاحكام) حقيقة القضاء الاخبار عن حكم شرعى على سبيل الالزام ، ومعنى قولهم قضى القاضى أى ألزم الحق أهله ، والدليل على ذلك قوله تعالى « فلما قضينا عليه الموت » أى ألزمناه وحتمناه عليه ، والحكم بمعنى المنع ومنه حكمت السفيه اذا أخذت على يده ومنعته من التصرف ، ومنه سمي حاكما لمنعه الظالم من ظلمه ، ومعنى قولهم حكم الحاكم أى وضع الحق فى أهله ، ومنع من ليس له بأهل . ومن هذين التعريفين يمكن التعرف على حقيقة القضاء فى الاسلام بأنه منصب الفصل فى الخصومات ، والالزام بالأحكام الشرعية فى الامور التي تعينت لصاحب هذا المنصب فى العهد أو فى العرف .

١ ـ ولاية القاضى العامة :

ان ولاية القاضى تختلف من عصر الى عصر ، ويمكن أن نذكر بأن ولاية القاضى فى أواسط العهد العباسي كانت كما يلي :

١ ـ النظر فى الدعاوى الحقوقية .

٢ ـ النظر فى الدعاوى الجزائية التى يقدمها الافراد فى الحدود المعدودة من حقوق الآدميين ، كدعاوى القذف والجرح ، والفصل فيها بحكم يتضمن ثبوت الجرم على المعتدى .

٣ ـ النظر فى الحقوق التى تعد من حقوق الله ، ولو لم تقدم بذلك دعوى من رجل ما يتخذ لنفسه صفة المدعي .

٤ ـ تنفيذ الأحكام واستيفاء الحدود .

---

(١) يلاحظ أن هذه الامور قد تختلف من دولة الى دولة .

٥ – الحجر على السفهاء ، وتنصيب الأولياء والاوصياء والقوام .

٦ – النظر فى الأوقاف .

٧ – النظر فى الوصايا

٨ – تزويج الايامى اذا جاءهن من يخطبهن من أكفائهن وعضلهن اولياؤهن .

٩ – تصفح الشهود ، والتعويل على النزهاء منهم ، واطراح من لا يوثق بهم .

هذه هي الامور التي تعد من ولاية القاضى ، فان ولى قاض ولم يحدد له اختصاصه فيرجع فى ذلك الى العرف والعادة ، ولكن قد يخصص القضاء فى أمور معينة بذاتها فليس للقاضى حينئذ أن يتجاوز حدود اختصاصه ، كما أن من الممكن أن يخصص القضاء بزمن محدود ، فليس للقاضي أن يقضى بعد انتهاء هذا الزمن .

٢ – شروط القضاة :

يشترط للقضاء شروط عدة ، ومتى توفرت فى فرد كان متمتعا بأهلية القضاء ، وهذه الشروط هي :

١ – الذكورة : فليس للمرأة أن تكون قاضية ، مع خلاف بعض الفقهاء فى ذلك .

٢ – البلوغ : اذ الصبى ليس له ولاية على نفسه فكيف به على غيره

٣ – العقل : اذ ليس للمجنون تولى القضاء ، والقاضى العاقل هو الذى يتوصل بذكائه وعقله الى ايضاح ما أشكل وفصل ما أعضل .

٤ – الحرية : ليس للعبد الرقيق ان يكون قاضيا ، ولا للمبعض ، ولا المدبر .

٥ – الاسلام : للذمى القضاء على أهل دينه ، وغير المسلمين جميعا ليس لهم القضاء على المسلمين وسيوضح ذلك فى قواعد القضاء .

٦ – سلامة السمع والبصر والنطق . لان من لوازم القضاة أن يسأل القاضي ، ويرى الخصوم ويستمع الى اقوالهم .

٧ – العدالة : وذلك بأن يكون القاضي ظاهر الاسلام ، وألا تعلم عنه جرحة ، ومن لا تجوز شهادته لا تجوز ولايته ، ويذهب الشافعي رضى الله عنه الى عدم جواز قضاء الفاسق .

٨ – العلم : يذهب جمهور الفقهاء الى أن العلم صفة لازمة للقاضي بل لا بد منها ، وقد اختلف بعض الفقهاء فى هذه الصفة اذ جوز بعضهم ان يكون القاضي اميا اذا كان صحيح الفهم ، ولا يوجد فى البلد أصلح منه .

٣ – طلب القضاء :

قلنا ان تعيين القضاة فى الأسلوب الحقوقي يتم اما بالانتخاب من قبل الشعب ، ويكون المرشح الناجح هو القاضى ، أو بالتعيين ، ولكن يتراءى لنا أن ذلك لا يستقيم فى نظام الاسلام ، وذلك لأن اكثر الفقهاء قالوا بأن طلب القضاء لا يجوز ، وذلك لما يرويه أبو موسى الاشعرى انه قال « دخلت على رسول الله أنا ورجلان من بنى عمى، فقال أحد الرجلين لرسول الله أمرنا على بعض ما ولاك الله ، وقال الآخر مثل ذلك ، فقال الرسول صلى الله عليه وسلم : انا والله لا نولى العمل أحدا يسأله . » ولقد كان الناس يتورعون عن أن يتولوا القضاء ويتهيبون من ذلك للأحاديث الواردة عن النبي صلى الله عليه وسلم كقوله « من استقضى فقد ذبح من غير سكين » وقوله « قاض فى الجنة ، وقاضيان فى النار » ولهذا رفض أبو حنيفة قضاء الكوفة حين كلفه به الامير ابن هبيرة فى آخر زمن الأمويين ، وفضل أن يضرب كل يوم عشرة سياط مدة عشرة ايام على أن يقبل القضاء الذى حذر منه رسول الله . ولكن الكثيرين من المؤلفين يذهبون الى أن التخويف من القضاء والتحذير منه انما هو للقضاة الظلمة الجائرين . وقد قسم ابن فرعون القضاء من حيث طلبه وتوليه خمسة أقسام :

١ – واجب : وهو حين لا يوجد فى البلاد احد غيره يصلح للقضاء .

٢ – مباح : وهو حين يكون فقيرا وله عيال .

٣ – مستحب : وهو أن يكون عالما خاملا مغمورا ، وليس له عمل ، والامام يعرفه فيقلده القضاء اظهارا له وحملا للناس على الافادة من علمه .

٤ – مكروه : اذا كان مشهورا ، ويريد القضاء للعلو .

٥ – حرام : وهو أن يطلب القضاء وهو جاهل او فاسق .

ولعل هذا التقسيم الذى ذهب اليه ابن فرعون هو الذى تؤيده الادلة ويدعمه العقل (١) .

٤ ـ مجلس القاضى وآدابه :

كان الخصوم يقصدون القاضي فى داره ، وربما جلس فى السوق أو المسجد للقضاء بينهم ، ولكن الشافعية كرهوا ان يكون المسجد محلا للقضاء ، ولهذا تحول القضاة الى رحاب المساجد أو المدارس أو الى دور خصصت للقضاء ، وقد كان القضاة يحددون اياما وساعات للقضاء ، أما الأعياد الرسمية والجمع وعند تكاثر الامطار والوحول فما كان القضاة يجلسون فى تلك الأيام للقضاء ، وهناك آداب للقضاء يهتم بها الفقهاء كثيرا حرصا على سلامته وسمعته فيذكر صاحب « معين الحكام » بعض ما يلزم القاضي نفسه ، أن يعالج نفسه على آداب الشرع ، وحفظ المروءة، وعلو الهمة ، وأن يتوقى الشين فى الدين والمروءة لانه يقتدى به ، وألا يجعل من الولاية المباهاة بالرئاسة ، وأن يكون جميل الهيئة والابهة من غير تكبر ولا اعجاب ، اذ كلاهما شين فى الدين وعيب فى المؤمنين وألا يقبل الهدية من الاجنبي قال ربيعة « اياك والهدية فانها ذريعة الرشوة » وألا يتعاطى البيع والشراء فى مجلس القضاة ، وأن يجيب الدعوة كدعوة الختان والعرس ، وأن يجتنب بطانة السوء .

وهكذا يتبين لنا من هذا النص الذي أوردناه باختصار بأن على القاضى أن يراعى الآداب المثلى حرصا على منصب القضاء الذى هو من الخطورة بمنزلة كبيرة ، ولعل كتاب عمر بن الخطاب رضي الله عنه الى ابى موسى الأشعرى عامله بالكوفة يعد المرجع الاول للكثيرين من المؤلفين الذين يضعون بين يدى مبحث القضاء آداب القاضى ، لانه عدة القاضى ونبراس الحاكم اذ يرسم السبيل التي يجب أن تتبع فى عالم القضاء، وهذا نص الكتاب :

١ ـ الكتاب والسنة أصلا القضاء .

اما بعد فان القضاء فريضة محكمة ، وسنة متبعة ، فافهم اذا أدلى اليك فانه لا ينفع تكلم بحق لا نفاذ فيه .

٢ ـ المساواة بين الناس .

آس بين الناس فى مجلسك وفى وجهك وقضائك حتى لا يطمع شريف فى حيفك ، ولا ييأس ضعيف من عدلك .

٣ ـ البينة واليمين .

البينة على المدعى ، واليمين على من أنكر .

٤ ـ شروط الصلح .

الصلح جائز بين المسلمين ، الا صلحا أحل حراما أو حرم حلالا .

٥ ـ تأجيل الجلسة .

ومن ادعى حقا غائبا او بينة فاضرب له أمدا ينتهى اليه فان بينه أعطيته بحقه ، وان أعجزه ذلك استحللت عليه القضية ، فان ذلك ابلغ فى العذر وأجلى للعماء .

٦ ـ الرجوع عن الاجتهاد المخطىء .

ولا يمنعنك قضاء قضيت فيه اليوم فراجعت فيه رأيك ، فهديت فيه لرشدك أن تراجع فيه الحق ، فان الحق قديم ولا يبطله شيء ، ومراجعة الحق خير من التمادى فى الباطل .

٧ ـ شروط الشهود

والمسلمون عدول بعضهم على بعض ، الا مجربا عليه شهادة زور أو مجلودا فى حد ، أو ظنينا فى ولاء أو قرابة .

٨ ـ شروط تدخل القاضي وحكمه .

فان الله تعالى تولى من العباد السرائر ، وستر عليهم الحدود الا بالبينات والايمان .

٩ ـ القياس والرأى عند سكوت القرآن والسنة .

ثم الفهم الفهم فيما ادلى اليك مما ورد عليك مما ليس فى قرآن ولا سنة ، ثم قايس الامور عند ذلك واعرف الامثال ثم اعمد فيما ترى الى أحبها الى الله وأشبهها بالحق .

١٠ ـ واجبات القاضى أثناء القضاء .

واياك والغضب والقلق والضجر والتأذى بالناس والنكر عند الخصومة ، فان القضاء فى مواطن الحق مما يوجب الله به الاجر ويحسن به الذكر ، فمن خلصت نيته فى الحق ولو على نفسه كفاه الله ما بينه وبين الناس ، ومن تزين بما ليس فى نفسه شانه الله ، فان الله تعالى لا يقبل من العباد الا ما كان خالصا ، فما ظنك بثواب عند الله فى عاجل رزقه وخزائن رحمته والسلام عليك ورحمة الله .

---

(١) فلا يمكن اذن أن يطلق القول بأن طلب تولى القضاء يخالف نظام الاسلام ،

٥ ـ قواعد القضاء فى الاسـلام :

لما لم يكن الناس جميعا مسلمين ، بل منهم الذميون والحربيون والمستأمنون ، فعلينا أن نبين قواعد القضاء تجاه أصناف الناس جميعا على اختلاف مللهم ونحلهم ، ومن الرجوع الى تحقيق الفقهاء نستطيع أن نورد القواعد الثلاث التالية :

الاولى : لا يجوز بالاجماع ان يتولى غير المسلم القضاء على المسلم . وتفيد هذه القاعدة عدم خضوع المسلمين لغير قضائهم ، ولقـد أجمـع الفقهاء على هذه القاعدة لان القضاء فى نظرهم كالشهادة بل أشد خطرا وأعظم أثرا ومن شروط الشهادة الاسلام ولقوله تعالى « ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا » والقضاء فى نظرهم أعظم سـبيل .

الثانية : لا يقضى المسلم على غير المسلم الا بالترافع، والمقصود بالترافع هنا خضوع الخصمين الى القاضي وذلك لقوله تعالى « فـان جاؤوك فاحكم بينهم أو أعرض عنهم » ولقول عمر رضى الله عنه « أمرنا بتركهم وما يدينون » ولقد كان الخلاف بين فقهاء المذاهب على أشده فى هذه القاعدة :

١ ـ فالمالكيـة ـ يشترطون لجواز الحكم بين غير المسلمين ترافع كلا الخصمين ، ومع ذلك اذا ترافعا لا يتحتم على القاضي الحكم فى الدعوى بل له ألا يحكم سواء كان موضوع هذه الدعوى من حقوق الله او حقوق العباد لقوله تعالى « فان جاؤوك فاحكم بينهم أو أعرض عنهم وان تعرض عنهم فلن يضروك شيئا » .

٢ ـ والشافعية : يفرقون بين حالين ، الحال الاولى عندما تكون الدعوى بين ذميين ، أو يكون الذمى طرفا فى هذه الدعوى لا يكون للقاضي خيار فى الحكم ، بل يجب عليه أن يحكم فى الدعوى مهما تكن ديانة الطرف الثاني ، والحال الثانيـة عندما تكون الدعوى بين حربيين او معاهدين أو مستأمنين فهي كرأى المالكية تماما .

٣ ـ والحنفية : يذهبون الى أنه ليس للقاضي أن يمتنع عن الحكم بين غير المسلمين ، فهم على خلاف مع المالكية فى ذلك ، ومع الشافعية فى الحال الثانية لأنهم يرون أن الآية الكريمة « فان جاؤوك فاحكم بينهم أو أعرض عنهم » منسوخة بالآيـة « وأن احكم بينهم » هذا ، ومن المتفق عليه بين الفقهاء أنه اذا كان احـد الخصمين فى الدعـوى مسلما وجب على القاضي أن يحكم فيها ، كما أن من المتفق عليه أيضا أنه اذا لـم يترافـع الخصمان كلاهما الى القاضي المسلم فلا ولاية له عليهما ، بل لا يجوز له أن يتدخل فى أمورهما أو يحكم بينهما .

الثالثة : حيثما حكم القاضى فانمـا يحـكم بحكم الاسلام ، وذلك للآيات الكثيرة التي تضافرت والتي توجب الحكم بالاسلام ، منها قوله تعالى « أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من اللـه حكما لقوم يوقنون » وقوله « وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله اليك » ولهذا يجب على القاضى أن يجرى حكم الشرع فى كل قضية ترفع اليـه ، غير ناظـر الـى ديانـة الخصـوم ، أو جنسيتهم ، وهذا هو الذى عليه المذاهب الاسلامية من مالكية وشافعية وحنفية ، الا أن الاخيرين اختلفوا مع بقية المذاهب فى حكم الأنكحة ونفى المهر لغير المسلمين ، وبيع الخمـر والخنزير ، وليس ثمة من ضرورة لايراد الآراء فى ذلك .

وأخيرا ، فان المتأمل فيما اوردناه عن كل من القضائين يرى الفوارق الكبرى من كل وجـه سواء من حيث تعيين القضاة أو من حيث القضاة أنفسهم ، وليس لنا الا أن نقـول بايجـاز بأن القاضى ليس له أن يطلب القضاء خلافا لما هو عليه الأمر اليوم . وأن شروطا فى الاسلام يجب أن تتوفر حتى يتمكن القاضـي من القضاء ، ولسنا نرى توفر هذه الشروط جميعا اليوم ، اللهم الا الشهادة والسن وبعض الشروط الاخرى التي نصت عليها القوانين ، والقاضي فى نظـر الاسلام يقضي فى الأمور الجزائية والشرعية على السواء ، بينما نرى اليوم لكل صنف من هذه الأصناف قاضيا مختصا يفصل فى الدعاوى التى هى فى حدود اختصاصه (١)

---

(١) نعتقد أن الاسلام لا يعارض هذا ان كانت فيه مصلحة وقـد يكـون التخصـص فى ناحيـة اجـدى وأنفع . واعتقد أن هذه اجراءات وتفصيلات تختلف حسب الظروف . وقد كانوا يذهبون الى القاضى فى بيته أو يجلسون فى السوق أو فى المسجد أو بجانبه فهل يمكن ان يجرى هذا الان)

« الوعـي »

هل الانسان خليفة الله في الأرض

للاستاذ محمود مهدي الاستانبولي
دمشــق

شاع على ألسنة وكتابات كثير مــن الادباء الاسلاميين أن الانسان خليفة الله فى الارض ، وحجتهم فى ذلك قوله تعالى (واذ قال ربك للملائكة اني جاعــل فى الارض خليفة ..) الآية ..

وعلى الرغم مــن الاعتراضــات التى وجهت اليهم ، نرى بعضهم يصر على رأيه ، ويروح يستغيث باللغــة العربية للدفاع عن هذاالراى،كأن اللغة ــ وحدها هى مصدر فهم القرآن ، لا النصــوص العامة للشريعة ،ولو كانت كافية لاقتصرنا فى صلاتنا على الدعاء ، ومــع ذلك فان اللغة العربية ليست نصيرا لهم فى هــذا الفهم ، ولا نريد أن ندخل معهم فى هذه المناسبة ، بمناقشة لغوية قد تطول ..

لقد كان يكفى هؤلاء الكتاب للرجوع عن فكرتهم ، كلمة للخليفة الراشد أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه ..

قال شيخ الاسلام الامام ابن تيمية رحمــه اللــه ـ فى فتاويــه (٣/٤٦١) « وقد ظن بعض القائلين الغالطين كابن عربى ، أن الخليفة هو الخليفة عن الله ، مثل نائب الله ، والله تعالى لا يجوز له خليفة . ولهذا قالوا لابى بكر يا خليفة الله ! فقال (لست بخليفة الله ، ولكنى خليفة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم . حسبى ذلك) رواه أحمــد فى المسند (١/١٠/١١) بل هو سبحانه يكون خليفة لغيره ، قال النبى صلى الله عليه وسلم اللهم أنت الصاحب فى السفر والخليفة فى الاهــل ، اللهم اصحبنا فى سفرنا واخلفنا فى أهلنا ..

ولا يجوز أن يكون أحد خلفا منه (أي من الله تعالى) ولا يقوم مقامه ، انه لاسمي له ، ولا كفء فمن جعل له خليفة فهو مشرك به !! » .

والغريب ــ الغريب جدا ــ ان هؤلاء الكتاب المصرين على رأيهم فى أن الانسان خليفة الله فى الارض ، يروحون أيضا يقحمون ــ كما أقحموا اللغة ــ بعض آى القرآن الكريم لاثبات صحة ما ذهبوا اليه ، كأن أبا بكر ــ رضى الله تعالى عنه وكأن الامام ابن تيمية ــ رحمه الله ــ وقد رأيناهما يرفضان نسبة خلافة الانسان لله سبحانه ــ لم يفهما تلك الآيات !!

وقد استشهدوا على هذه الخلافة بقوله تعالى .

١ ــ (انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الانسان انه كان ظلوما جهولا) .

وهذه الآية حجة عليهم لا لهم بدليلين:

أولا ان الله سبحانه عرض هذه الامانة على السموات والارض والجبال فاذا كان الانسان هو خليفة الله فكيف عرض سبحانه هذه الامانة على غيره ؟!!

ثانيا ــ كيف يجعل الله الانسان خليفة فى الأرض ، ثم يقول عنه انه كان ظلوما جهولا ؟ ! .

٢ ــ ومن الآيات التي استدل بها هؤلاء الكتاب على هذه الخلافة قوله تعالى (اذ قال ربك للملائكة اني خالق بشرا من طين . فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين فسجد الملائكة كلهم اجمعون . الا ابليس استكبر وكان من الكافرين . قال يا ابليس ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدى استكبرت أم كنت من العالين ؟ ! قال أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين . قال فاخرج منها فانك رجيم) .

وليس فى هذه الآية حجة لهم فيما ذهبوا اليه . والغريب أنهم فهموا من قوله تعالى (ونفخت فيه من روحي) أى من روح الله نفسه مما جعلهم يتأكدون من هذه الخلافة ! مع أن المقصود من روحه التي خلقها ، والا كان الانسان جزءا من الله ، وهو سبحانه (ليس كمثله شيء) (ولم يكن له كفوا أحد) (وجعلوا له من عباده جزءا ان الانسان لكفور مبين !) .

واذا كان لا يصح أن نقول ان الانسان خليفه الله ، فكذلك لا يصح أن نقول انه أفضل المخلوقات كما زعم هؤلاء القائلون بالخلافة ، ليدعموا حجتهم . ودليلنا على ذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نفسه وهو على سمو مكانته لم يقل انني سيد المخلوقات ، بل قال (انني سيد ولد آدم) . ان هناك الملائكه السفره ، الكرام البررة الذين يستنسخون من اللوح المحفوظ . وليس لدينا نص صريح على أفضلية الانسان عليهم ولا العكس .

وليت هؤلاء الكتاب حاولوا فهم قوله تعالى (واذ قال ربك للملائكة اني جاعل فى الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال اني أعلم ما لا تعلمون) .

ان هؤلاء الملائكة لو فهموا أن آدم خليفة الله ، لما تجرؤوا ، ولا توهموا أن خليفة الله سيفسد فى الأرض ، ويسفك الدماء ، انما فهموا ان آدم وذريته من البشر سيخلفون من سبقهم من المخلوقات الذين أفسدوا فى الأرض ، قاله ابن عباس والحسن كما جاء فى تفسير الامام ابن الجوزى .

ومما لا ينبغي اغفاله بهذه المناسبة أن بعض المفسرين ظنوا أن سؤال الملائكة لربهم كان على وجه الاعتراض او الحسد ، فقال السيوطى فى تفسيره على لسانهم (فنحن أحق بالاستخلاف) .

وهذا لا يليق بالملائكة . قال الامام ابن كثير ـ رحمه الله ـ « وقول الملائكة هذا ليس على وجه الاعتراض على الله ، ولا على وجه الحسد لبني آدم كما يتوهمه بعض المفسرين ، وقد وصفهم الله تعالى بأنهم لا يسبقونه بالقول ، أي لا يسألونه شيئا لم يأذن لهم فيه . وهنا لما أعلمهم بأنه سيخلق في الأرض خلقا ـ قال قتادة ـ وقد تقدم اليهم أنهم يفسدون فيها ، فقالوا (أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء) الآية . وانما هو سؤال استعلام واستكشاف عن الحكمة في ذلك يقولون : يا ربنا ما الحكمة في خلق هؤلاء ، مع أن منهم من يفسد في الأرض ويسفك الدماء ، فان كان المراد عبادتك ، فنحن نسبح بحمدك ، ونقدس لك ، أي نصلي لك ، كما سيأتي ، أي لا يصدر منا شيء من ذلك ، وهلا وقع الاقتصار علينا ؟ قال الله تعالى مجيبا لهم عن هذا السؤال : (اني أعلم ما لا تعلمون !) أي اني أعلم من المصلحة الراجحة في خلق هذا الصنف على المفاسد التي ذكرتموها ما لا تعلمون .. اهـ باختصار عن تفسير ابن كثير .

ومن أعظم الأدلة على بطلان دعوى القائلين بأن الانسان خليفة الله في الأرض قوله صلى الله عليه وسلم في حديث له لأحد قواده « واذا حاصرت أهل حصن فأرادوك أن تجعل لهم ذمة الله ، وذمة نبيه ، فلا تجعل لهم ذمة الله ، وذمة نبيه ، ولكن اجعل لهم ذمتك وذمة اصحابك ، فانكم ان تخفروا ذممكم وذمة اصحابكم ، أهون أن تخفروا ذمة الله ، وذمة نبيه . واذا حاصرت أهل حصن فأرادوك أن تنزلهم على حكم الله فلا تنزلهم ، ولكن أنزلهم على حكمك ، فانك لا تدري أتصيب حكم الله أم لا ؟ » رواه مسلم .

نعود بعد هذا كله الى الآية التي اتخذها الكتاب المشار اليهم من أعظم حججهم على اثبات دعواهم من خلافة الانسان لله تعالى .

قال الامام ابن كثير ـ رحمه الله ـ في تفسيرها (واذ قال ربك للملائكة اني جاعل في الأرض خليفة) أي قوما يخلف بعضهم بعضا قرنا بعد قرن وجيلا بعد جيل كما قال تعالى (هو الذي جعلكم خلائف في الأرض) (ويجعلكم خلفاء الأرض) وقال (ولو نشاء لجعلنا منكم ملائكة في الأرض يخلفون) وقال (فخلف من بعدهم خلف) .

ونقل القرطبي ما ملخصه عن زيد بن علي وليس المراد ههنا بالخليفة آدم عليه الصلاة والسلام فقط .. وعزاه القرطبي الى ابن عباس وابن مسعود وجميع أهل التأويل .

ومن العجيب أن هؤلاء الكتاب لم يقتصروا على جعل آدم عليه السلام خليفة الله كما يمكن أن يفهم بعضهم من ظاهر الآية . بل ذهبوا الى خلافة البشر كلهم مؤمنهم وكافرهم وصالحهم وفاسقهم ! .

ولا شك أن فكرة خلافة الانسان لله في الأرض مأخوذة عن نظرية الحلول والاتحاد ونظرية القطب الغوث لغلاة الصوفية . فقد قال ابو الحسن الشاذلي « للقطب خمس عشرة علامة ، عدد منها ان يمد بمدد العصمة ، والخلافة ـ وهو أن يكون خليفة الله في الأرض ـ والنيابة ـ وهي أن يكون نائبا عن الحق في تصريف الأحكام (١) » . الى غير ذلك من صفات الألوهية ، تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا ! .

---

(١) معراج التشوف الى حقائق التصوف ص ٤٩ ـ ٥١ باختصار نقلا من كتاب التصوف بين الحق والخلق للاستاذ محمد فهر الشفقه ص ١٠٠) . .

الحضارة الإسلاميّة

حضارة انسانيّة عالميّة

لقد شهد العالم فى تاريخه الطويل حضارات مختلفة، كان يتلو بعضها بعضا فى تسلسل تحكمه قوانين الطبيعة ، وتضبطه قواعد المنطق وتسيره حكمة الله .

ومن الطبيعى أن تتأثر الحضارة اللاحقة بالحضارات السابقة ، ومن الطبيعى كذلك أن تقضى الحضارة القوية على ما يعاصرها من محاولات ضعيفة لحضارات أخرى ، وذلك بحكم تنازع البقاء من ناحية ، وبحكم البقاء للأصلح من ناحية أخرى ، فتاريخ الحضارات أيضا يفيض بأنواع من الصراع العنيف تساقط فيه الضحايا ، وتدق فيه الطبول للحضارة الغالبة التى تسعى دائما الى توسيع دائرة نفوذها ، وتهدف فى النهاية الى أن تصبح حضارة عالمية ، وقد تنجح فى ذلك وتظل اعلامها مرفرفة على أنحاء العالم حقبة من الدهر ، ولكنها بسبب بعض العيوب التى قد تعتورها بمرور الزمن ، أو قد تكون عيوبا متأصلة فيها ـ كثيرا ما تفشل أمام الحضارة الجديدة ، اذا كانت هذه الأخيرة أقل عيوبا ، أو أكثر جنودا أو اصلح للبقاء . وهكذا دواليك . حضارة جديدة ترث حضارة قديمة ، وتقضى عليها ، أو تطردها عن مركز الصدارة الى معزل قصى تستجمع فيه قوتها ، وتضمد جراحها ، أو الى قبر تاريخى تدفن فيه نفسها، وتضع فوقه الشواهد ليتحدث الناس عن ذكراها ، وذلك حسب ما فى الحضارة المغلوبة من عناصر الخلود أو عناصر الفناء ، سنة الله ولن تجد لسنة الله تبديلا .

وقد ظهر فى تاريخ الانسانية كثير من الحضارات التى استطاعت أن تصل الى

• انتشرت بسرعة ، وصمدت لمعارك الهدم
• على أهلها أن يبشروا بها ، ليعود الأمن
والسلام للبشرية في ظلها

للدكتور كامل البوهى
مراقب الشئون الدينية
بالاذاعة ـ القاهرة

المستوى العالمي ، كالحضارة المصرية القديمة ، وهى حضارة أثبتت البحوث الحديثة أنها حضارة عربية ، كما أثبتت أن الفراعنة من أصل عربى جاءت به احدى الهجرات المتتالية من شبه الجزيرة العربية (١) وكالحضارة الاغريقية والرومانية ، ثم الحضارة الاسلامية التى اشرقت على العالم بنورها من أرض العرب ، وما لبثت أضواؤها أن انتشرت فى أنحاء العالم القديم كله .

وأخيرا هذه الحضارة الاوربية الحديثة التى استخدمت كل وسيلة لتسيطر على العالم بماديتها المسعورة ، ونجحت فى ذلك الى حد بعيد ، بسبب انزواء الحضارة الانسانية التى سبقتها حضارة الاسلام الذى غلب على أمره أمام طغيان الحضارة المادية ، ومؤامرات اعدائه من مستعمرين ويهود ، وغفلة أهله عن جوهر حضارتهم ، وسر تقدمهم وسيادتهم ، « ذلك بأن الله لم يك مغيرا نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » .

وكل دارس لهذه الحضارات العالمية يدهشه أن الحضارة الاسلامية ليست كغيرها من الحضارات المختلفة التى شهدها العالم منذ وجوده .

فلا توجد حضارة من تلك الحضارات انتشرت فى سرعة الضوء مثل الحضارة الاسلامية .

ولا تجد حضارة من تلك الحضارات مهما اصطنعت من وسائل نجحت فى أن تصبح عالمية بالمعنى الصحيح ، بحيث

(١) مجلة الوعى الاسلامى ـ العدد الاول ص ٤٤ وما بعدها ، الدكتور معروف الدواليبي .



تستقر فى نفوس الشعوب المختلفة والقوميات العديدة التى استقبلت اضواءها، وتحل محل حضارتهم وتصبح هى كل شىء بالنسبة لهم يضحون فى سبيلها ويفتدونها بأرواحهم كالحضارة الاسلامية .

فالحضارة المصرية القديمة مثلا كانت حضارة عالمية بمعنى انها كانت أقوى الحضارات فى عصرها ، وأنها أثرت فى الحضارات التى جاءت بعدها لا بمعنى أنها انتشرت فى العالم القديم كله ، وأن الشعوب الاخرى قد اعتنقتها وأستبدلتها بحضارتها وجندت نفسها للدفاع عنها .

وكذلك الشأن فى الحضارة الاغريقية والرومانية وغيرهما ، ولكن الحضارة الاسلامية حضارة عالمية ، بمعنى أن كثيرا من شعوب العالم غير العربية قد اعتنقتها، ونبذت فى سبيلها كل ما يتعارض معها ، وأصبحت جزءا من حياتها اليومية وكيانها المادى والروحى .

ولا توجد حضارة من تلك الحضارات حوت من عناصر الخلود ما عصمها من الفناء أمام التيار الجارف للحضارة الجديدة مثلما حوت الحضارة الاسلامية، فقد احتل المستعمرون الاوربيون العالم الاسلامى كله تقريبا ، ولم يكن هدفهم من هذا الاستعمار نهب الثروات المادية ، واستنزاف الموارد الاقتصادية فى تلك البلاد فحسب ، وانما كان القضاء على الحضارة الاسلامية واحلال الحضارة الاوربية مكانها من أهم أهدافهم ، كان استعمار النفوس من أكبر غاياتهم ، والغزو الفكرى من أخبث أسلحتهم . وقد نجحوا فى استنزاف كثير من موارد العالم الاسلامى ونهب ثرواته ، ولكنهم فشلوا فى القضاء على الحضارة الاسلامية العريقة ، كما أرادوا ، واضطروا الى الخروج من معظم بلاد العالم الاسلامى الذى أخذ يكتشف نفسه ، ويعتز بتاريخه ، ويبحث عناصر الخلود فى حضارته .

لقد امتازت الحضارة الاسلامية اذن على سائر الحضارات السابقة واللاحقة ، بسرعة انتشار أضوائها ، وباستقرارها فى نفوس الشعوب المختلفة ، والقوميات العديدة التى استقبلت اضواءها ، وباحتوائها على عناصر الخلود التى عصمتها من الفناء أمام التيار الجارف للحضارة المادية المسعورة .

ان الدلائل كلها تشير الى أن الحضارة الاسلامية سوف تعود الى مكانها من جديد بعدما بدت بوادر انهيار الحضارة الاوربية التى سيطرت على العالم فى الفترة الاخيرة بأسلحة من الدمار وحرب الابادة والتخريب .

ان بحث عناصر الخلود فى الحضارة الاسلامية له مجال آخر ، غير أننا نستطيع أن نجمله فى أنها حضارة انسانية عامة ، صالحة للحياة فى كل زمان ومكان ، وهى حضارة انسانية تعمل على سعادة الانسان ، حضارة بناءة تدعو الى السلام ، وتحارب التعصب، وتقضى على التمييز العنصرى ، وتعمل على توجيه الاسرة الانسانية كلها الى هدف واحد ، هو العمل الخالص الدائب فى سبيل مرضاة الله الذى لا يرضى عن الانسان الا اذا عمل فى سبيل بناء الحياة، وتقدم البشرية ، وسعادة الانسان .

من هنا كانت عناصر الخلود فى الحضارة الاسلامية هى نفس عناصر العالمية ، بمعنى أن الاسباب التى جعلت الحضارة الاسلامية تصمد امام كل وسائل التدمير التى استعملتها الحضارة الاوربية الحديثة هى نفس الاسباب التى جعلت الحضارة الاسلامية تنتشر فى بقاع الارض ، وتعم العالم القديم كله ، وتصبح حضارة عالمية تمتاز على جميع الحضارات التى سبقتها أو لحقتها بأن الشعوب التى استقبلت أضواءها ، وعاشت فى ظلها ، تعرف فضلها ، وتتمسك بها ، وتناضل فى سبيلها ، وتعتبرها حضارتها ، ولا تنظر اليها نظرة الحضارة الدخيلة ، كما نظرت كل الشعوب التى فرضت عليها الحضارة الاوربية الحديثة بالقوة الغاشمة الى أنها حضارة دخيلة ، وأخذت تقاومها ونجحت الى حد كبير فى التخلص منها .

كما تمتاز الحضارة الاسلامية على جميع الحضارات التي سبقتها أو لحقتها بأنها لم تمت حين تعرضت للمحنة ، ولم تستطع كل القوى المعادية أن تقضى عليها ، وانما انزوت قليلا لتضمد جراحها ، ثم نهضت لتؤدى دورها ، وتحتل مكانتها العالمية من جديد ، حتى يرث الله الأرض ومن عليها .

لقد آن لنا أن ندرس حضارتنا الاسلامية فىأنحاء العالم، نبرز مظاهرها ، ونعرض تاريخها ، ونتعرف على حاضرها فى مختلف القارات ، فان هذا هو دورنا نحن العرب والمسلمين،لا دور المستشرقين خدام الاستعمار ومروجى الأكاذيب .

كم من الشعوب المسلمة فى أنحاء الأرض تتعلق ابصارها وقلوبها بالأمة العربية مصدر تلك الحضارة ، تنظر اليها وتنتظر منها أن تقوم بدورها القيادى مؤمنة كل الايمان بأنه اذا عز العرب عز الاسلام .

كم من الشعوب المسلمة فى أنحاء الأرض تقدس اللغة العربية ــ لغة القرآن ــ وتعتز بها أكثر من أعتزازها بلغاتها القومية ، وترجو للأمة العربية أن تقوم بدورها فى نشر لغة القرآن فى انحاء العالم الاسلامي كله .

بل كم من الكنوز التي خلفها علماء المسلمين فى أنحاء الأرض لا تزال تستصرخ الباحثين العرب ، وتنتظر الدراسة النزيهة والبحث العلمى الواعى (١) .

كم من المسلمين فى أنحاء الأرض ينبغى أن نعرفهم ، وندرس ماضيهم وحاضرهم ، ونتعرف على ما أسهموا ويسهمون به فى بناء الحضارةالاسلامية ، ونبحث امكانياتهم وحاجاتهم ووسائل التعاون معهم فى سبيل تحقيق أهدافنا الانسانية المشتركة ، فى سبيل الحضارة الاسلامية التي أثبتت صلاحيتها لكل زمان ومكان ، بما فيها من عناصر الخلود ، عناصر العالمية .

وسنبدأ بحثنا بالتعرف على الحضارة الاسلامية فى بلد لا يذكره الباحثون حينما يتكلمون عن الاسلام والمسلمين ، مع أن للاسلام هناك حضارة أصيلة عريقة ، وللمسلمين هناك جهادا من أنصع صفحات الجهاد ، فنبدأ البحث بالتعرف على الحضارة الاسلامية فى يوغوسلافيا ان شاء الله .

---

(١) أنظر « تاريخ الآداب العربية » لبروكلمان لترى العدد الضخم من الكتب العربية التي الفت فى غير البلاد العربية ، فى الهند والباكستان والصومال وافغانستان وسنغافورة والبلقان .... الخ .

مشكلة القضاء والقدر أو مسألة الجبر

٢ ـ مدرسة القدرية الخالصة

اتباع معبد الجهنى ، وغيلان الدمشقى ، ومعبد الجهنى ـ كما يقول الذهبى فى كتابه ميزان الاعتدال ـ تابعى صدوق ثقة ، وهو أول من تكلم فى القدر ، وكان يجلس الى الحسن البصرى فى مجلسه بالبصرة . يروى أن معبد الجهنى وعطاء ابن يسار أتيا الحسن البصرى وقالا له . يا أبا سعيد هؤلاء الملوك يسفكون دماء المسلمين ويأخذون أموالهم ويقولون « انما تجرى أعمالنا على قدر من الله تعالى » . فقال الحسن فى جوابهما « كذب أعداء الله » . ولما عظمت فتنته . بالبصرة عذبه الحجاج وصلبه بأمر عبد الملك بن مروان سنة ٨٠هـ ويروى الذهبى أن مقتله كان لأسباب سياسية ، بسبب اشتراكه فى ثورة عبد الرحمن بن الأشعث .

أما غيلان بن مسلم (أو مروان) القبطى الدمشقى ، فكان أبوه مولى لعثمان بن عفان ـ رضى الله عنه ـ ويعتبر فى رأى أكثر كتاب الفرق المبشر الحقيقى لمذهب القدر ، وقد صلبه هشام ابن عبد الملك على باب دمشق ، ويقال ان هشاما صلبه حيا .

ويرى بعض المستشرقين (وخاصة . هـ . ريتر ، جوليان أوبرمان) أن المبشر الحقيقي لفكرة القدر هو الحسن البصرى شيخ التابعين وامام أهل السنة فى زمانه دون غيره من الناس ، ويؤيدون رأيهم بما ذكره ابن قتيبة فى كتابه ـ المعارف ـ من أن الحسن كان « قد تكلم فى شىء من القدر ثم رجع عنه » ، وما ذكره ابن سعد « أن أهل القدر كانوا ينتحلون الحسن . وكان قوله مخالفا لهم » ، وما ذكره الطبرى من أن الحسن زيفه القدريون ، وغير ذلك من الشواهد التى بها يستدلون على صحة ما ذهبوا اليه ، ويرون أن محاولة ابعاد تهمة القدر عنه ، جاءت متأخرة وكوسيلة لتبرئة ساحته منها باعتبار أنه كان شيخ أهل السنة .

ولكن الذى يمكن استنتاجه مما ورد عنه من أقوال تخرجه عن دائرة القدرية الخالصة ، فهو على العكس منهم كان يثبت القدر الالهى ، بمعنى علمه بما سيقع ، فقد جاء فى رسالته التى بعث بها الى أهل البصرة قوله « من لم يؤمن بالله وقضائه فقد كفر ، ومن حمل ذنبه على ربه كفر ، أن الله لا يطاع استكراها ، ولا يعصى لغلبة ، لانه المليك لما ملكهم،والقادر على ما أقدرهم عليه». ويرى الأستاذ مونتكمرى واط بانه من غير الصحيح اعتبار الحسن البصرى مؤسسا لفكرة القدر التى كانت نتيجة منطقية لحركة فكرية واسعة .

الدكتور / عرفان عبد الحميد
كلية الشريعة / بغداد

٢

والاختيار في الإسلام

فكرتهم

ان القدرية الخالصة لم يقفوا عند اثبات القدرة والارادة للانسان فحسب بل تطرفوا فنفوا « القدر » بمعنى العلم والتقدير ، فيروى عن معبد الجهنى قوله « لا قدر والامر أنف » أى أن الانسان هو الذى يقدر أعمال نفسه بعلمه ، ويتوجه اليها بارادته ثم يوجدها بقدرته ، أى أن الله لا يقدر هذه الاعمال أزلا ، ولا دخل لارادته وقدرته فى وجودها فلايعلمها الا بعد وقوعها .

وقد أنكرت بقية الصحابة بدعة القدر أشد الانكار ونقموا على الذين ابتدعوها وذهبوا اليها حتى لقد كانوا يوصون الى أخلافهم بألا يسلموا عليهم ولا يعودوهم ان مرضوا ولا يصلوا عليهم اذا ماتوا ، لأنهم كانوا يرون أن من أصول أهل السنة ـ كما يقول الملطى ـ « وجوب الايمان بالقدر خيره وشره » وأجمعوا على أن « ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن » .

انتهت حركة الجبرية الخالصة بموت الداعى اليها ، كذلك ذابت حركة القدرية الخالصة تدريجيا ، وظهرت فى الفكر الاسلامى على انقاضهما مدرستان حاولتا الابتعاد عن روح التطرف التى صبغت حركتى الجبرية والقدرية الخالصتين ، وانتهجتا سبيلا معتدلا وسطا كتب له الاستمرار والبقاء فى الفكر الاسلامى حتى اليوم، وهاتان المدرستان هما مدرسة المعتزلة والمدرسة الاشعرية .

مدرسة الاعتزال

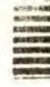
الاعتزال مدرسة فكرية واسعة ، تضم اتجاهات فكرية متباينة متعاكسة ولكن المعتزلة أجمعوا على : ـ

أ ـ أن العباد خالقون لأفعالهم مخترعون لها ، وأن الله تعالى ليس له فى أفعال العباد المكتسبة صنع ولا تقدير ، لا بايجاد ولا بنفى .

ب ـ ومع ذلك فانهم لم ينكروا العلم الأزلى ، فان الله تعالى عندهم لم يزل عالما بكل ما يكون من أفعال خلقه لا تخفى عليه خافية ، فلم يزل عالما بمن سيؤمن وبمن سيكفر ، وهذا القول يخرجهم عن دائرة القدرية الخالصة التى نفت العلم الأزلى .

ج ـ ان الانسان فاعل حر مختار ، يعمل بالقدرة الحادثة التى منحتها اياه العناية الالهية ويتصرف بها ويوجهها حسبما يريد ، وهذه القدرة تسبق الفعل ، وهى قدرة تصلح لفعل الضدين الفعل والترك .

د ـ قالوا ان أمر الله تعالى وارادته متلازمان ،



فقد أراد الله ما كان من الأعمال خيرا أن تكون وأمر بها ، فهو يريد منا اقامة الصلاة وايتاء الزكاة وأن نوحد الله تعالى ونؤمن برسله ويأمرنا بذلك ، ولا يريد المعاصى ، فلا يريد الكفر والفسوق والعصيان ، ولا يأمر بها أى أن الله تعالى لا يشاء الشر ولا يريده ولا يأمر به ، بل هو من ارادة الانسان واختياره وفعله . وقد التزم المعتزلة هذه الأقوال لأسباب ثلاثة هى .

١ ـ اذا كان الله تعالى خالق عباده ، وكان العباد لا فعل لهم ، بطل التكليف الشرعي لأن الشرع عبارة عن أوامر ونواهى ، وهما فى مجموعهما طلب ، والطلب لا بد أن تسبقه القدرة والحرية والاختيار ، والا لأصبح الطلب تكليفا بما لا يطاق .

٢ ـ اذا لم يكن الانسان مستقلا بايجاد فعله ، لبطل العقاب والثواب الوارد بهما الوعد والوعيد ، اذ ليس الفعل مسندا اليه مطلقا حتى يمدح أو يذم .

٣ ـ اذا لم يكن للانسان حرية واختيار لم يبق لبعثة الأنبياء فائدة ، اذ البعثة دعوة والدعوة لا بد وأن تسبقها الحرية والاختيار .

٢ ـ مدرسة أهل السنة (الأشاعرة)

١ ـ أجمع أهل السنة على أن أفعال الانسان الاختيارية مخلوقة لله تعالى ، فلا أثر لقدرة العبد فى خلقها وايجادها ، وانما جرت العادة أن يخلق الله تعالى الفعل للعبد ، ويخلق فيه قدرة على اصدار ذلك الفعل للعبد ، فالفعل . ابداعواحداث لله ، وكسب للعبد . والكسب . عبارة عن الاقتران العادى بين القدرة الانسانية الحادثة والفعل ، فالله قد أجرى العادة بخلق الفعل عند قدرة العبد وارادته ، لا بقدرة العبد وارادته . وأجمعوا أيضا على أنه لا يوجد أى ارتباط ضرورى بين القدرة الحادثة والمقدور المتولد عنها ، فالعلاقة الظاهرة بين القدرة الحادثة والمقدور ليست على مذهبهم سوى علاقة عرضية جائزة منشؤها العادة وهذه العادة لا تستوجب ضرورة قط ، فاذا أراد الله خرق تلك العادة لم يكن فى ذلك حرج ما دام الله قادرا على كل شيء ، فيجوز (كما يقول البغدادى ملخصا وجهة نظرهم) أن يمد الانسان وتر قوسه ويرسل السهم من يده فلا يخلق الله تعالى فى السهم ذهابا ، وأجازوا أن يجمع الانسان بين النار والحلفاء فلا تحرقها على نقيض العادة ، وقد خالف أهل السنة فى ذلك قول الفلاسفة الذين حكوا ـ كما يقول الامام الغزالى ـ « بأن الاقتران المشاهد فى الوجود بين الاسباب والمسببات اقتران تلازم بالضرورة ، فليس فى المقدور ولا فى الامكان ايجاد السبب دون المسبب، ولا وجود المسبب دون السبب » .

واذا قيل ان مبدأ التجويز والقول بخرق العادة يزلزل ثقتنا بمعارفنا وبما عليه الأشياء ، فكيف نثق بمعارفنا ؟ وما هى حدود المحال ؟ أجاب الغزالى (ممثلا لوجهة نظر أهل السنة) بأن من الممكنات فى مقدورات الله ما سبق فى علمه أنه لا يفعله ، ويخلق لنا العلم بأنه ليس يفعله ، أما المحال فهو الجمع بين الاثبات والنفى ، كالجمع بين الوجود والعدم ، أو كون الشيء الواحد فى مكانين فى وقت واحد من جهة واحدة ، وكل ما ليس كذلك فهو جائز ، وانما يستنكر لاطراد العادة بخلافه .

لقد صاغ الاشاعرة نظرية الجواز أو الاتفاق هذه لغرض التأكيد على قدرة الله العامة الشاملة واستقلاله بالفاعلية وسلب الاشياء وكذلكالانسان من قواه الفاعلة ، فمثلا تحريك الكاتب للقلم ، هو فى الحقيقة من فعل الله الذى يخلق عند تحرك القلم أربعة أعراض متتابعة ليس بين واحدها والآخر ارتباط سببى ، وانما هى متقارنة فى الوجود فحسب ، وهذه الاعراض هى الارادة والقدرة والحركة ـ يخلقها الله فى يد الكاتب ـ وأخيرا فعل التحريك ـ يخلقه تعالى فى القلم فيتحرك ، وهذه الاعراض يخلقها الله تعالى على التوالى طالما شاء ، اذ هى لا بقاء لها فى ذواتها ، لان العرض لا يلبث على مذهبهم آنين ، وانما يبقى ببقاء هو الآخر عرض يخلقه الله ويعدمه باستمرار. وقد ترتبت على هذه النظرية قضية دينية هامة ، وهى ان القول بفاعلية الاشياء ضرب من الكفر وانكار لفاعلية الله المطلقة ، لان الايمان الاصيل عبارة عن الاقرار بأن الله هو الفاعل الفرد الذى لا فاعل سواه .

٢ ـ أجمعوا على أن ارادة الله عامة تشمل كل الموجودات ، الخير والشر على حد سواء ، ولكنهم فصلوا وميزوا بين الأمر والارادة ، فارادة الشر لا تتضمن الأمر به ، وعلى هذا فارادة الله توافق علمه ، فكل ما علمه أزلا أنه سيكون فهو مراد له ، وما علم أنه لن يكون فهو غير مراد له .

أما تبريرهم لهذا المذهب فيتكون من نقاط .

١ ـ ان فعل العبد ممكن فى نفسه ، وكل ممكن مقدور لله تعالى ، لأن قدرته عامة شاملة ، ولا شيء مما هو مقدور لله بواقع بقدرة العبد لامتناع اجتماع المؤثرين على مقدور واحد .

٢ ـ لو كان العبد موجدا لأفعاله بالاختيار والاستقلال لوجب أن يعلم تفاصيلها ، ولما كان من المستحيل على الانسان الاحاطة بجميع وجوه الفعل ، اذ تصدر منه أفعال فى غفلته وذهوله وهى على الاتساق والانتظام وصفة الاتقان والاحكام والعبد غير عالم بما يصدر منه ، وجب أن يكون الصادر منه دالا على مخترعه ـ أى الله تعالى ـ .

٣ ـ ان العبد لو كان موجدا لفعله بقدرته واختياره استقلالا ، فلا بد أن يتمكن من فعله وتركه ، والا لم يكن قادرا عليه مستقلا فيه ، فلا بد أن يتوقف ترجيح فعله على تركه على مرجح ، اذ لو لم يتوقف عليه كان صدور الفعل عنه مع جواز طرفيه وتساويهما اتفاقا لا اختيارا ، ويلزم أيضا ألا يحتاج وقوع أحد الجائزين الى سبب ، وذلك المرجح لا يكون منه ، أى من العبد باختياره ، والا لزم التسلسل .

رأينا فى المشكلة

لا شك أن البحث فى مسألة الجبر والاختيار والتوفيق بينهما من أعقد المشاكل التي عرضت للعقل الانساني ، فهى ـ كما يقول المرحوم العقاد ـ « معضلة المعضلات فى جميع الأديان ومذاهب الحكمة والفلسفة ، لأنها مسألة الحرية الانسانية والارادة المختارة ، وهى فى الحق مسألة الانسان الكبرى فى علاقته الأبدية بالكون فلا نهاية لها الى آخر الزمان» ولذلك أيضا اختلف الناس حولها وصاروا فيها الى مذاهب شتى ، والذى دعاهم الى الاختلاف كما يقول ابن رشد « أن الأدلة العقلية حولها متباينة وظواهر النصوص فيها متعارضة ، وذلك أمر لم يأت عبثا بل كان مقصودا من الشارع لكى يوحى الى العلماء القادرين على فهم الكتاب والسنة فهما صحيحا ، بالحل الذى يجب أن يذهب الشبهة » . وبقدر ما يتعلق الموضوع بالاسلام ومعالجته للموضوع فاننا نسارع الى القول بأن الدين الاسلامي فرق وميز الجانب الشرعي التكليفي من المشكلة من جانبها الفكرى الفلسفى ، فلا نزاع بين المسلمين فى أن الشرع نظر الى الانسان كفاعل حر مختار ، ومن ثم أثبت الأفعال للعباد وحاسبهم عليها بما أقام من حدود وعقوبات .

لقد وجد المستشرقون فى التعارض الظاهرى فى نصوص القرآن الكريم المتعلقة بهذه المشكلة منفذا للهجوم عليه ووصفه بأنه كتاب يجمع أشد المذاهب المتعارضة ، وفسروا الأمر تفسيرا ينتهى الى انكار نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ، فيزعم هربرت كريمه ، وكولد زيهر ومكدونالد ، وشاخت ، ونيكلسون وغيرهم الى « أن المذاهب المتعارضة المتضادة التي عرضها محمد فى مسألة حرية الارادة والاختيار ترجع الى أزمان مختلفة من نشاطه النبوى ، وتتفق والتأثيرات التي أوحتها الظروف والأحوال المختلفة فى كل فترة من الفترات، ففى الأزمان الأولى للعصر المكى كان يقبل تماما حرية الاختيار والمسؤولية ، ولكن فى المدينة أخذ يتوغل شيئا فشيئا فى مذهب الجبر ، والتعاليم الأكثر جبرية ترجع الى الفترة الأخيرة » . ان هؤلاء المستشرقين ينسون أو يتناسون أن من أهم الآيات التي اعتمد عليها الجبرية من مثل قوله تعالى « وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة سبحان الله وتعالى عما يشركون » وقوله تعالى « وما تشاءون ألا أن يشاء الله رب العالمين » . وقوله تعالى « ذلكم الله ربكم لا اله الا هو خالق كل شيء فاعبدوه » هى آيات مكية .

ان القرآن الكريم فى هذا الخصوص، انما يعرض حالتين نفسيتين للروح المتدينة فى موقفها من خالقها ، حالة الشعور بعظمة الله وقدرته حتى يتضاءل بجانبها شأن المخلوقات ـ كالانسان وغيره ـ فنجد آيات ظاهرها تفيد الجبر ، وحالة شعور الانسان أحيانا بقدرته الحادثة المحدودة ، ذلك الشعور الذى يجعل للقدرة التى يستشعرها فى نفسه بعض الحق فى التأثير على مقدوراتها ، ومن ثم نجد آيات يفيد ظاهرها الحرية والاختيار

البقية على ص : ٦٥

عيد

تحتفل الدولة بعيدها الوطنى فى الخامس والعشرين من شهر فبراير ، وبهذه المناسبة الوطنية أرسل الشاعر جاسم عبد الرحمن الجاسم بوزارة العدل هذه القصيدة يهنىء فيها الكويت أميرا وحكومة وشعبا بهذا العيد الاغر الميمون .

والوعى الاسلامى تنتهز هذه المناسبة الكريمة فترفع الى حضرة صاحب السمو الامير المعظم وسمو ولى عهده المحبوب ورجال حكومته والشعب الكويتى عامة أصدق آيات التهانى ضارعة الى الله عز وجل أن يعيد هذا العيد السعيد على البلاد بالرفاهية والعزة والسعادة .



قصر السيف العامر . على شاطىء الخليج
المقر الرسـمى لصاحب السمو الامير المعظم

الكويت الأغر

للاستاذ جاسم عبد الرحمن الجاسم

حيوا الكويت وجددوا التذكـــارا ... ما لاح بدر في السـماء وســارا
واستبشروا فلكل شعب فرحــة ... فالشعب حاز مكارمـا وفخـارا
عيد البلاد قدمت خير مبشــر ... وتضوعت منك القلـوب نشـارا
وشدت على هام الغصون بلابـل ... تتلو المديـح عشـية ونهـارا
وتبسمت فوق الوهـاد خمائـل ... وتفتحت أزهـارها أنـوارا
ياعيد قومى جئت بالذكرى لنـا ... والذكريـات تجدد الأفكـارا
هيا شباب القوم نحو فضائـل ... فمكارم الأخـلاق لا تتـوارى
شدوا العزائم للمحامد والعـلا ... فاز الذين تخطـوا الأسـوارا
ومعزة الأوطان في أبنائهـا ... إنهم أقامـوا للفخـار منـارا
ان حان خطب أو ألم توجـع ... فالكل في ساح الوغـى ثـوارا
إيه الكويت لنـا بعيدك بهجـة ... ونرى بعزك دائمـا أحـرارا
بقيادة الشهم الأبى أميـرنـا ... ترقى البـلاد وتدرك الأوطـارا
يرعى مصالـح قومه بعزيمـة ... ويقيـم للدين الحنيـف شعـارا
ومعـاهد قد أنشئت في عهـده ... ومساجد تدعـو الجميـع جهـارا
فليحفظ الله الأمـير وشعبـه ... وليبقـه طول المـدى مـدرارا

بين الدعوة إلى الإسلام والدفاع عنه

١

للأستاذ أنور الجندى

ما زال الاسلام قادرا على أن يعطى الفكر الانسانى ويأخذ منه ، شأنه دائما فى مختلف أدواره وخلال أربعة عشر قرنا . وقد أعطى كل من اتصل به سواء كان اتصال اندماج أو اتصال خصومة . أعطى هذه الأمم التي امتزجت به وأخذ منها واستوعب ثقافات الأمم السابقة له من يونان وروما وهنود وفرس وانتفع بهـا . واستطاع أن يصبغ الحياة فى أوربا بطابعه ، منذ بلغت أضواؤه الأندلس وأقام فيها جامعاته العلمية التي امتدت آثارها الى فرنسا وايطاليا . وشكلت خميرة النهضة الغربية الحديثة فى مجال : العلم والفكر والحضارة . كما استطاع أن يمد لغته على الأرض كلها ، وأن يؤثر فى لغات العالم الاسلامي تأثيرا عضويا فى تركيبها الخاص ، وفى مضمونها أيضا ، فقـد كانت ثقافة القرآن هى مصدر الثقافة العربية الاسلامية خارج نطاق الأمة العربيـة فى كل مكان وصل الاسلام اليه ، وقد استطاع فى أشد أوقات أزماته السياسية وضغط القوى المعادية له (الحروب الصليبية وغزوات التتار والاحتلال الغربى) أن يفتح آفاقا جديدة ، وقبل أن تنتزعه القوى المجتمعة عليه فى الأندلس كان قد استطاع أن ينفذ الى أعماق جنوب شرق آسيا ، وأن يكسب فيها أتباعا جددا ، وقبل أن تزول دولته فى الامبراطورية العثمانية كان قد وسع آفاقه فى شرق افريقيا ووسطها .

وهكذا لا يتوقف الاسلام عن الامتداد ، ولا يرتبط بناموس الحضارات السابقة له التي يسقط فكرها اذا سقطت ، فهو ليس رباطا سياسيا متغيرا بقدر ما هو رباط اجتماعي مستمر ، غير أن ظاهرة جديدة ارتبطت بالنفوذ الاستعمارى فى خلال قرن وربع قرن تقريبا كان لها أثرها البعيد المدى ، تلك هى ظاهرة الحملة على الاسلام والفكر العربى الاسلامي واثارة الشبهات حوله والقاء التهم والشكوك حول مفاهيمه وقيمه .

هذه الظاهـرة كانت بعيدة المدى فى

اتجاه المفكرين والكتاب الى « الدفاع عن الاسلام » ، الذى أصبح أشبه ما يكون بالمسوق الى قفص الاتهام . وفى تقدير بعض الباحثين أن هذه الحركة قد عطلت الدعوة الى الاسلام نفسه ، فأصبح المفكرون المسلمون فى شغل شاغل بالرد على الهجوم ، بدلا من الزحف للدعوة الى الاسلام ، والحق أن تحليل ما يوجه الى الاسلام من اتهام والرد عليه وازالة الشبهات المثارة وكشفها على نحو علمى عقلى دقيق ، ودون أن يطغى على ذلك طابع التعصب أو العنف أو الكتابة الحماسية أو العاطفية ، هو عمل من صميم « الدعوة الى الاسلام » ذلك أن هذه الاتهامات والشبهات لم تعد كلمات تلقى أو تذاع ، بل أصبحت نصوصا فى دوائر المعارف ومصادر الدراسات فى الجامعات ، والمدارس ، وهى مبثوثة فى المراجع الأساسية التي يلجأ اليها الأساتذة والباحثون فى العالم العربي ، فتجرى على أقلامهم دون تنبه اليها ، وهى بعد هذا كله سلاح يحمل لواءه خصوم العرب والاسلام من أجل القضاء على مقومات هذه الأمة .

ولذلك كان لا بد من تعقب هذه الشبهات ودراستها والرد عليها ، والكشف عن وجوه الخطأ والاضطراب فيها . وهو عمل ترجع أهميته الى أن النفوذ الاستعمارى يحاول اليوم أن يتخذ مكانا له عن طريق ثغرة قد يجدها فى مجال الفكر العربى ، حيث يستطيع أن يهدم عاملا أو أكثر من العوامل المكونة لمقومات هذه الأمة ايمانا منه بأن ذلك يضعف « القوة النفسية » التى تواجه نفوذه ويقضى عليه ، وليس معنى هذا أن الفكر العربى الاسلامي يغلق نفسه أبدا ، فهو لم يغلق نفسه طوال أربعة عشر قرنا ، وقد كان دائما مفتوحا على آفاق الفكر يأخذ ويعطى ، ويستوعب ويمتص ، على قاعدته الأساسية التي لا ينحرف عنها وهى أن الاسلام : دين ومدنية ، وقلب وعقل ، ودنيا وآخرة ، ودين وعلم وأن هذه العناصر تتزاوج وتتلاقى فى تكامل واضح ، وأن مصدر الاضطراب انما يجىء من انفصالها ، ذلك طابع الفكر العربى الاسلامي ، الذى بنى قاعدته الأولى على أساس « التوحيد » ، وسيادة الانسان على الكون تحت حكم الله ، قبل أن يلتقى بالفلسفات اليونانية والرومانية والهندية .

ومن هنا كان موقفه منها موقف حرية الاقتباس والتضمين ، فهو قد رفض كل ما يتعارض مع قاعدته الأساسية ، وقبل كل ما يزيده قوة على الحياة ، ويشحذ أسلحته فى سبيل الدفاع عن العقائد .

واذا كان الاسلام فى مضمونه الأصلي عصارة الأديان السماوية باعتباره خاتمها ، فانه فى مجال الفكر قد استطاع أن يذيب مختلف الثقافات الانسانية السابقة عليه فى كيانه ، دون أن يفقد مقوماته الأصلية ، ذلك أنه أساسا دين الانسانية والعالمية ، ومن هنا كانت قدرة الاسلام على الالتقاء بالثقافات والحضارات خلال عمره الممتد ، دون أن يصطدم بها . ومن هنا كانت مرونته فى مواجهة العصور والثورات والدعوات والمذاهب سواء فى داخل نطاقه أم فى خارجه ، دون أن يقضى عليه منها شىء .

والواقع أن « الاسلام » منذ ظهوره الى اليوم ، كان قادرا على الحياة والحركة مؤثرا فى مجرى التاريخ ، سواء فى أبان انتصاراته ، أو فى خلال فترة الضعف التي مرت به ، أم فى مرحلة اليقظة التي تمر به اليوم ، وحتى نقف على أساس ثابت فى هذا البحث علينا أن نواجه هذه الحقائق العشر :

أولا : ــ ان الاسلام كان مفهومه الصحيح الكامل : دينا ومدنية .

ثانيا : ــ ان وثيقة الاسلام الكبرى الخالدة « القرآن » قد حفظت من التحريف .



ثالثا : ـ ان الاسلام لم يتوقف عن الانتشار منذ بزوغ فجره حتى فى أشد أيام الصراع بين الاستعمار وبينه .

رابعا : ـ اكد الاسلام أهمية العقل ، وفضل العلم ، وجمع بين الاتجاهين المادى والروحى . ولم يكن عائقا عن التقدم .

خامسا : ـ التفسير التاريخي للاسلام يعطى مفهوما يختلف كل الاختلاف مع مقاييس الأديان والمذاهب المختلفة .

سادسا : ـ أبرز طوابع الاسلام بعد التوحيد : « طابع الشمول » .

سابعا : ـ استمرار قدرة الاسلام الدائمة المتجددة على البقاء ومنح الانسانية قيما جديدة .

ثامنا : ـ ما تزال « اللغة العربية » هى لغة الاسلام ثقافة والأمة العربية قومية ورسمية .

تاسعا : ـ ان دور العرب والمسلمين فى العلم والحضارة لا سبيل الى تجاوزه أو انكاره .

عاشرا : ـ ان الشريعة الاسلامية حية صالحة لكل زمان ومكان ، قائمة بذاتها وليست مأخوذة من غيرها .

١ ـ الاسلام دين ومدنية

ولقد واجهت الاسلام شبهة القول بأنه دين روحى ، ينظم العلاقة بين الله والانسان ، لا صلة له بالحياة والمجتمع ، وفى هذا محاولة لانكار مفهوم الشمول فى الاسلام على أنه دين ومدنية وقد واجه هذا كثير من الباحثين المنصفين .

تقول العلامة الدكتورة الزى لشننشاتر : الاسلام ليس دينا فحسب ، ولكنه أسلوب فى الحياة . والاسلام كدين له قيم خاصة ، وخير دليل على ذلك أن الأديان الأخرى لم يستطع أحدها أن يجد سبيله الى نفوس الأميين والفقراء من المسلمين أو الى نفوس المثقفين ثقافة عالية ، وانك لتجد علماء الذرة والحيوان والرياضة رغم بلوغهم هذه الدرجة العليا ظلوا مخلصين لدينهم الاسلامي ، وما من واحدمن الطلبة المسلمين الذين يتلقون العلم فى أوربا تحول عن الاسلام الى دين آخر ، وان كان بعضهم قد استغرب فى انماط حياته ، ولم يحدث هذا عن مصادفة ، ولكن له دلالته القوية ، ذلك أن الاسلام له قيمه التى لا ترضى الجاهل فحسب ، بل التى تكفى حاجات المتعلمين والمثقفين .

ويقول موريسون : ان الحق الذى لا يمارى فيه أحد أن الاسلام أكثر من معتقد ودين ، وانما هو نظام اجتماعي ، تام الجهاز ، هو حضارة كاملة النسيج لها فلسفتها وتهذيبها وفنونها .

ويقول الدكتور بول ركلا : لقد آن لنا أن نعرف ويعرف العالم جوهر هذا الدين ، دين يجب ألا نكتفى بتسميته دينا ونقف ، بل لنعطيه اسمه الحقيقي ، ولنسميه فلسفةدينية،فنكون قد أعطيناه مركزه بين الأديان ، ولست بمغال اذا صرحت علنا وقلت ان الاسلام مفتوح بابه على مصراعيه ، وهو واسع الأرجاء ، لتلقى الرقى الحديث الذى أنتجته الأجيال الطويلة ، وليس كما يزعم البعض بمحدود الأطراف وضيق المدخل ، لأن تعاليمه الرفيعة ، وضعت لمرور الدهور ، وستبقى خالدة وضاءة الأنوار ، تكشف كل مدنية تتمخض عنها العصور ، وان الاسلام هو الدين الوحيد بين جميع الأديان الذى أوجد بتعاليمه السامية عقبات كثيرة تجاه ميل الشعوب الى الفسق والفجور ، ويكفيه فخرا أنه قدس الأنسال وعظمها ، ليرغب الرجل بالزواج ويعرض عن الزنا المحرم شرعا وتشريعا ، وان الاسلام قد حل بعقلية عالية عادلة

أغلب المسائل الاجتماعية التي لم تزل للآن تشغل مشترعى الغرب بتعقداتها ، فالاسلام هو الدين الديمقراطي الوحيد سواء بتعاليمه أم بشرائعه أم بعاداته فهو لا يعترف مطلقا بالزعامة الدينية .

ويقول الدكتور جرمانوس : ان أوربا لم تعرف الاخاء بين الناس الا بعد الثورة الفرنسية بينما دعا الاسلام اليه وطبقه قبل ثورة فرنسا بنحو ألف عام ، لقد كانت فكرة المساواة والديمقراطية من ابتكار « القرآن » عرفتها أوربا فى القرن السابع عشر بينما هى من حقائق الاسلام وأصوله منذ نشأته .

٢ ــ وثيقة الاسلام الخالدة : « القرآن »

أما « القرآن » فقد ظل قادرا على التأثير فى الفكر العربي الاسلامي ، وفى الفكر الانساني عامة ، اذ كانت اجاباته على مختلف القضايا والمعضلات موضع تقدير الباحثين ، على أساس أنها قادرة على حل أزمة الانسان الحديث .

يقول فيليب دى طرازى : لسنا نعرف كتابا عربيا أثار هم العلماء والباحثين فى أربعة أقطار المسكونة كما أثارها مصحف القرآن منذ ظهور الاسلام الى اليوم ، تلك حقيقة صادقة لا تفتقر الى برهان يسندها أو حجة تدعمها ، ومن المقرر الثابت أنه لولا القرآن لما انتشرت اللغة العربية الفصحى فى الخافقين ، ولولا القرآن لما أقبل ألوف ألوف من البشر على قراءة تلك اللغة ، وعلى كتابتها ودرسها والتعامل بها ، فالقرآن عزز الجامعة العربية وصان عنصرها ، وضمن سلامتها على توالى الزمان ، ذلك أن الاسلام فرض على كل مسلم أن يدرسه(١) ويحفظه ويجود قراءته قبل أى علم من العلوم البشرية ، وهكذا حفظ التفاهم بين الشعوب الاسلامية وغيرها من الشعوب ، وقد استعصت اللغة العربية بفضله على نكبات الدهر ورسخت رسوخ الجبال الرواسى خلافا لما انتاب لغات الأقوام الذين اندمجوا فى العرب بعد الاسلام ، كالرومان والسريان والأقباط والأنباط والصابئة واليهود وغيرهم .

وفى تقدير العلامة « اتيان دينيه » أن القرآن قد حقق معجزة لا يستطيع أعظم المجامع العلمية أن يقوم بها ، ذلك أنه مكن اللغة العربية فى الأرض بحيث لو عاد أحد أصحاب الرسول اليوم الينا لكان ميسورا أن يتفاهم تمام التفاهم مع أهل اللغة العربية ، وهكذا عكس ما يجده مثلا أحد معاصرى (رابليه) من أهل القرن الخامس عشر الذى هو أقرب الينا من عصر القرآن من الصعوبة فى مخاطبة العدد الأكبر من فرنسيى اليوم . وان لغة القرآن وان كانت تمت فى أصولها الى عصور بعيدة قديمة فهى مرنة طيعة تسع التعبير عن كل ما يجد من المكتشفات والمخترعات الحديثة دون أن تفقد شيئا من رونقها وسلامتها .

ويقول ادوارد جيبون : ان القرآن مسلم به من حدود الاقيانوس الاطلانطيكي الى نهر الكانج بأنه الدستور الأساسي ليس لأصول الدين فقط بل للأحكام الجنائية والمدنية والشرائع التي عليها مدار حياة نظام النوع الانساني وترتيب شئونه .

ويقول العلامة « فينى » : ان القرآن ليس بكتاب دينى فقط بل كتاب علم وآداب، ونجد فيه بيان الحياة السياسية والاجتماعية حتى أنه يرشد الانسان الى وظائفه اليومية والأحكام السياسية التي ان لم توجد فى القرآن توجد فى السنة .

ويدافع « السير ريشارد وود » عن القول بأن القرآن حائل دون النهضة فيقول : ان القرآن يتضمن أحكام الدين وفى نفس الوقت يشمل الأمور المدنية

---

(١) ليس على سبيل الالزام لكل فرد من المسلمين (الوعى) .



والأصول السياسية ، وأن كثيرا من مؤلفى الافرنج يزعمون أن المسلمين لا يتسنى لهم التقدم والارتقاء فى معارج الحضارة ما داموا مقيدين بنصوص القرآن التي يقولون انها لا تلائم المعارف واكتساب الفنون . وهذا وهم باطل نشأ عن الجهل بمقاصد القرآن ، ويكفى برهانا على بطلانه تاريخ صدر الاسلام وعناية علماء العرب بالمعارف والفنون ، ودرسهم كتب الحكماء والأقدمين » .

وتقول الدكتورة لورا فيشيا فاليري : أن المعجزة التي تفوق كل المعجزات والتي وصلت الينا أخبارها من مصادر غير مشكوك صحتها هى « القرآن » فانه كتاب لا يستطيع انسان أن يأتى بمثله ، اذ أن كل عبارة من عباراته متزنة منسقه مشتملة على معان كثيرة سهلة المأخذ ، فلا هى كثيرة الايجاز ، ولا هى بالغة حد الاسهاب والاطالة ، ولما كان أسلوب القرآن فريدا فى بابه ، ولم يكن له مثيل سابق فى الأدب العربى ، فانه يقع فى النفس البشرية موقعا صحيحا لا تصنع فيه ولا افتراء ولا تمويه ولا استكراه ، اذ أن آياته كلها على جانب عظيم من الفصاحة ، حتى ما كان منها خاصا بالأوامر والنواهى التي يجب منطقيا أن تكون فى أسلوب هادىء ، كما أن سير الأنبياء وأوصاف بدء الخلق ونهايته ، والأحكام ، وخصائص الله وصفاته ، كل ذلك يتكرر ذكره فى هذا الكتاب العجيب بأشكال وصور متعددة ، ولكن دون أن يفقد شيئا من روعته ومكانته، وكذلك فأن الانتقال من موضوع الى موضوع فى « القرآن » يحصل كثيرا ولكن بغير أن ينحط التعبير عن مستواه ودون أن تقل حلاوته ، كذلك فان التعمق وسلامة التعبير وهما صفتان يندر أن يجتمعا معا ، وقد ظهرتا متجليتين فى القرآن ، وفيما عدا ذلك فان كل صور البلاغة تجد تطبيقا كاملا فى القرآن ، فكيف اذن والحالة هذه يمكن القول بأن هذا الكتاب العجيب من صنع محمد ، الذى لم ينظم طوال حياته سوى بيت واحد من الشعر وهو « أنا النبى لا كذب ، أنا ابن عبد المطلب » ، ولقد تحدى النبى قومه أن يأتوا بكتاب مثل القرآن أو بسورة واحدة منه ، ومع أن الفصحاء من العرب كانوا أكثر من رمل الصحراء فان أعداء الاسلام لم يستطيعوا أن يعارضوا القرآن ، ولكنهم حاربوه بالسلاح عندما لم يجرؤوا على محاربته بالكلام » .

٣ ـ انتشار الاسلام

واصل الاسلام انتشاره منذ فجره الى اليوم ، ولم يتوقف عن الانتشار حتى فى أشد أيام الصراع بينه وبين الاستعمار ، وقد انتشر بقوته الذاتية وبفضل مبادئه التي تحمل التوحيد والحرية .

يقول توماس ارنولد (١) : ان كانت دولة الاسلام قد انقسمت وانهارت وحدتها السياسية فان فتوح الاسلام الروحية قد بقيت لا تحول دونها الحوائل ، حدث هذا برغم اغارة المغول على بغداد ، وقيام حكام الأندلس بطرد المسلمين من الأندلس ، كان ذلك يجرى والمسلمون يضعون أقدامهم فى أرض جديدة ، ويدخلون أهلها فى دين الله ، تلك هى جزيرة سومطرة ، ثم كانوا على وشك أن يبدأوا تقدمهم الموفق فى جزائر أرخبيل الملايو ، وهكذا أقام الاسلام فى ساعات أزمته السياسية بطائفة من أعظم غزواته الروحية » .

ويقول العلامة مونتيه (٢) : فى افريقيا أناس من المرابطين هم دعاة تبشير

(١) كتابه : الدعوة الى الاسلام .

(٢) كتابه : حاضر الاسلام ومستقبله .

حقيقيون ،وهناك طرق دينية أخذت على نفسها نشر الاسلام ، على أن الاسلام ينتشر بنفسه بواسطة المسلمين أنفسهم ، لأن كل مسلم فى البلاد الوثنية داعية دين بحد ذاته ، وقد أنشأ المسلمون قرى يسكنها المهتدون الى دينهم من المحدثين فى الاسلام ، والمدرسة احدى العوامل الفعالة . فهم على الجملة عندما ينزلون ويتوطنون فى بقعة جديدة يصرفون أولى عنايتهم الى انشاء مسجد ويجعلون بجانبه مدرسة .

« والمسلم ينشر دينه وهو متوفر على تجارته أو عامل فى صناعته ، والاسلام ينتشر بواسطة القوافل التي ترحل الى البلاد الوثنية ، ودعاة الاسلام فيما عرفوا من الغيرة يعمدون الى ذرائع مختلفة ، تناسب كل حال ، بحسب الأقطار والشعوب التي يبثون دعوتهم بين أهلها » .

٤ ـ الاسلام والعلم

وفى مجال الدفاع عن الاسلام : تبدو القضية الكبرى فى اتهام الاسلام باعاقة تقدم الثقافة والعلوم . ولسنا نحن الذين ندافع عن الاسلام ، ولكنا ندع بعض المنصفين من المفكرين الغربيين الذين فهموا الاسلام فهما صحيحا يتحدثون :

يقول اتيان دينيه : انالعقيدةالمحمدية لا تقف عقبة فى سبيل الفكر فقد يكون المرء صحيح الاسلام ، وفى الوقت نفسه حر الفكر ، ولا تقتضى حرية الفكر أن يكون المرء منكرا لله . لقد رفع قدر العلم الى أعظم الدرجات وأعلى المراتب، وجعله من أول واجبات المسلم ، ويقول « يوزن يوم القيامة مداد العلماء بدماء الشهداء ، ويرفع فضل العلم على فضل العبادة » .

ويقول الدكتور جرمانوس : أستطيع أن أجهر بمنتهى الجرأة بعد أن قرأت كتاب المسلمين المقدس وثقافة الاسلام بأنه لا يوجد فى تعاليم الاسلام كلمة واحدة أو عمل واحد من شأنه أن يعوق تقدم المسلم أو يمنع زيادة حظه من الثروة والمعرفة والقوة .

ويقول ليوبولد فابس : ما من دين ذهب أبعد من الاسلام فىتأكيد غلبةالعقل وبالتالى غلبة العلم على جميع مظاهر الحياة .

ويرى العلامة مسمر : أن بين الاسلام والعلم رابطة قوية ، فان الاسلام لم يزدهر الا بانتشار العلوم وتقدمها .

ويقول رينيه ميليه: لقد جاء المسلمون بمبدأ فى البحث جديد ، مبدأ يتفرع عن الدين نفسه ، هو مبدأ التأمل والبحث ، وقد مالوا الى العلوم وبرعوا فيها وهم الذين وضعوا أساس علم الكيمياء ، وقد وجد فيهم كبار الأطباء .

ويقول الدكتور فرنتورونتال : ان أعظم نشاط فكرى قام به العرب يبدو لنا جليا فى حقل المعرفة التجريبية ضمن دائرة ملاحظاتهم واختباراتهم ، فانهم كانوا يبدون نشاطا واجتهادا عجيبين ، حين يلاحظون ويمحصون وحين يجمعون ويرتبون ما تعلموه من التجربة » .

ويقول جوستاف لوبون : ان القرون الوسطى لم تعرف الامم القديمه الا بواسطة العرب ، وان جامعات أوربا عاشت خمسمائة سنة بكتب العرب ، وان العرب هم الذين مدنوا أوربا فى المادة والعقل والخلق ، وان الشعوبالتي دانت الارض لسلطانها عفت الايام آثارهم ، ولم يبق سوى ذكريات ألسنتهم وأديانهم ، ولكن أهم عناصر مدنية العرب وهى الدين واللسان والفنون لا تزال حية . ولا شك أن العرب هم أول من علم العالم كيف تتفق حرية الفكر مع استقامة الدين .

للبحث بقية

القرآن وعلم

سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى

وقفنا فى حديثنا السابق عند حد ذكر بعض صفات الغلاف الجوى الذى يحيط بالأرض كما ذكرها القرآن الكريم . ويعتبر هذا الغلاف بمثابة السماء لنا ، لأن السماء لغة هى كل ما علانا وارتفع فوق رؤوسنا . ويساير القرآن الكريم نفس هذا المعنى فى كثير من الآيات ، اذ يقول على سبيل المثال .

١ ــ « أو كصيب من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق » ــ البقرة ــ .

٢ ــ « وأنزل من السماء ماء فاخرج به من الثمرات رزقا لكم » ــ البقرة ــ .

٣ ــ « وأرسلنا السماء عليهم مدرارا ... » ــ الانعام ــ .

٤ ــ « وقيل يا أرض ابلعى ماءك وياسماء اقلعى » ــ هود ــ .

٥ ــ « وأنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها » ــ الرعد ــ .

٦ ــ « وأرسلنا الرياح لواقح فأنزلنا من السماء ماء فأسقيناكموه ... » ــ الحجر ــ .

٧ ــ « وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون » ــ البقرة ــ .

الى غير ذلك من عديد الآيات الكريمة التي تشير الى أن طبقة الغلاف الجوى التي تثار فيها السحب وينزل منها المطر هى أيضا بمثابة السماء بالنسبة الينا .

وعندما يرتفع الانسان فى الجو مبتعدا عن سطح الأرض ، يقع تحت تأثير تغيرات عظمى فى عناصر الهواء التي ألفها على الأرض ، وعلى الأخص الضغط ودرجة

الفلك

للدكتور محمد جمال الدين الفندى
الاستاذ بكلية العلوم ـ جامعة القاهرة

يتبين لهم أنه الحق) صدق الله العظيم

الحرارة . وقد سبق ان وضحنا تناقص الضغط الجوى سريعا مع الارتفاع حتى يقارب الصفر على علو عدة مئات من الكيلومترات . أما درجة الحرارة فهي تخضع لسلسلة من التغيرات الواضحة التي تجعل جو الارض ينقسم بطبيعته الى عدة طبقات متميزة ، تختلف اختلافا بينا حتى من حيث التكوين .

ولم تكن طبيعة الاجواء العليا معروفة حتى عهد قريب . وعندما بدأ الانسان التطلع اليها ودراستها لم تتوفر لديه الطرق المباشرة للقياس والرصد الا أخيرا فى عصر الفضاء عندما استخدم الصواريخ والأقمار الصناعية . وكان فى أوائل هذا القرن يستخدم طرقا غير مباشرة مثل رصد الظواهر الضوئية التي تحدث فى تلك الطبقات وتحليل أطياف الأضواء المنبعثة منها .

ومن أهم الطرق التي استخدمت فى دراسة طبقات الغلاف الجوى تحليل طيف (الفجر القطبى) أو (الوهج القطبى) وهو الذى يسميه الفرنجة (الأوروا) . فانه عندما تطلق الشمس من سطحها اكداسا متلاحقة من الكهارب (أو الالكترونات) تعبر هذه الكهارب الفضاء الكونى بسرعة خارقة (عدة مئات الكيلومترات فى الثانية الواحدة) الى أن تصل الى جو الأرض الخارجى فلا تستطيع اختراقه بسهولة بسبب مجال الأرض المغناطيسي الذى يضرب من حولها نطاقا فى الفضاء القريب المحيط بها . وتتكدس معظم هذه الكهارب قرب القطبين فى أعالى الجو الممتد من ارتفاع نحو ١٠٠ الى ١٠٠٠ كيلو متر .

وعندما تتصادم غازات الطبقات العليا المخلخلة تنطلق انوار الوهج القطبي



الجميلة الخلابة التى تتدلى على هيئة الستائر ، فيعطى الأوكسجين اللون الأخضر ، كما يعطى الأزوت اللون الأحمر .

وعلى أية حال قسم العلماء الغلاف الجوى الى أربعة طبقات رئيسية هي :

أولا : الطبقة الدنيا ، وهي التي تحدث فيها تقلبات الجو ، وتسمى علميا (التروبوسفير) ، وفيها تتم الدورة ما بين السماء والأرض ، اذ تتراكم فيها الابخرة الصاعدة من البحار والمحيطات حتى تكون السحب التي ينزل منها المطر ليعود ماؤه الى المحيطات والبحار من جديد عن طريق الأنهر والمياه الجوفية والمطر المباشر على البحار ... الخ .. وهكذا .

ولعل خير تعبير عن هذه الدورة التي لم يعرفها الناس الا حديثا فى عصر العلم قوله تعالى فى سورة الحجر : « **..فأنزلنا من السماء ماء فأسقيناكموه وما أنتم له بخازنين** » ، **أى** أن هذا الماء يجدد باستمرار ولا يختزن ، وهي حقيقةعلمية رائعة سبق بها القرآنالكريم الركب بأكثر من ألف سنة، فهل بعد ذلك من اعجازعلمى؟! نعم اننا مهما خزنا الماء فانه يعود الى البحر ليتبخر من جديد .

ثانيا : المنطقة ذات الطبقات وهي تعلو الطبقة الدنيا ، وتسمى كذلك (الطخرورية) ، وامتدادها من علو نحو ٢٠ كيلومترا الى علو نحو ٨٠ كيلومترا . وبينما نجد أن درجة الحرارة فى الطبقة الأولى تنخفض مع الارتفاع بمعدل قدره نحو ٦ ١/٢ درجة مئوية لكل كيلو متر فى المتوسط ، اذا بها ترتفع فى هذه الطبقة بسبب تراكم غاز الأوزون فى أواسطها . ويمتص الأوزون جانبا كبيرا من الأشعة فوق البنفسجية التي ترسلها الشمس ، ويحول دون وصولها الى سطح الأرض ، وبذلك فهو يعمل على حماية الأحياء على السطح من هذه الأشعة المحرقة الفتاكة ، فسبحان المبدع الذى سخر ما فى الأرض والسماء لمنفعة البشر .

ثالثا : المنطقة المتأينة ، أى المحللة الى عناصرها الكهربية ، وتسمى علميا باسم (الأيونوسفير) . وقد تسمى هذهالمنطقة كذلك بأسم المحيط الحرارى ، نظرا لأن درجة الحرارة ترتفع فيها الى عدة مئات من الدرجات بسببامتصاصالأوكسجين الذرى للأشعة فوق البنفسجية التى ترسلها الشمس أيضا . وتمتد هذه المنطقة الى ارتفاع نحو ٦٠٠ كيلو مترا ، وفيها تتبخر الشهب أو تحترق .

رابعا : المنطقة الخارجية وهي التى تصل الى الفضاء الكونى .

ويحمينا جو الأرض من اشعاعات الشمس القاتلة ، ويدرأ عنا أهوال الفضاء . ومن أكبر الأهوال خارج نطاق جو الأرض الأشعة الكونية التي ترسلها الشمس ، وهي أشعة لا دخان فيها الا أنها تحرق الأحياء وتميتهم فى لحظة عين ، أى أنها أشد فتكا من النار التي نألفها على سطح الأرض ، ومن اللازم أن يعمل العلماء على حماية رواد الفضاء داخل مركبات خاصة لا تسمح جدرانها بنفاذ هذه الأشعة الى الداخل .

ومن أهوال الفضاء كذلك أسراب الشهب التي تهيم فى الفضاء الكونى وتهوى بلا هوادة الى جو الأرض العلوى .

ويتساقط الى جو الأرض فى اليوم الواحد آلاف الملايين من الشهب ، أغلبها حبات دقيقة من الرمال تجرى فى مسارات حول الشمس بسرعة تقارب السرعة الفلكية (أى من نحو ١٠ الى نحو ٥٠ كيلو مترا فى الثانية الواحدة) . وعندما تقترب هذه الأسراب من الأرض تقع تحت طائل جاذبيتها ، فتبدأ الدوران فى مسارات جديدة من حولها ، وبذلك تقطع الغلاف الجوى وتحتك به مولدة حرارة عظمى تكفى لانصهار تلك الأتربة والرمال وتبخيرها فى أعالى الجو .

وما النجوم التى نراها تهوى وتنقض أثناء الليل فى كبد السماء ثم تختفي سوى مسارات تلك الغازات الملتهبة على أبعاد تتراوح بين ١٠٠ و ١٠٠٠ كيلو متر من سطح الأرض كما قدمنا ، وفى السنين الأخيرة عندما تقدمت طرق رصد الشهب وتصويرها ، اتضح أنها فى الأصل أضواء من المجموعة الشمسية تسبح حباتها فى أسراب متتابعة من حول الشمس ، شأنها فى ذلك شأن سائر الكواكب السيارة ، الا أن مساراتها ضيقة ، وتزداد مقاديرها بالاقتراب من الشمس.

ونحن عندما نحاول أن نجمل أهوال الفضاء فى هذه الكلمات المختصرة ، ونوضح أن الغلاف الجوى الذى جعله الله تعالى لنا سقفا واقيا ودرعا حاميا من هذه الأهوال التي تنتظر سبيل رواد الفضاء ، ممثلة فى الأشعة الكونية ، والأشعة فوق البنفسجية التي ترسلها الشمس ، وفى الشهب والنيازك التي يعج بها الفضاء القريب ، نقول أن محمدا صلى الله عليه وسلم لم يكن عالما من علماء الفضاء ، ولا خبيرا من خبراء الجو ، عندما نطق بالآيات الشريفة الآتية :

١ ــ « الا من استرق السمع فأتبعه شهاب مبين » الحجر .

٢ ــ « الا من خطف الخطفة فأتبعه شهاب ثاقب » الصافات .

٣ ــ « فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا » الجن .

٤ ــ « وانا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرسا شديدا وشهبا » الجن .

وتبين هذه الآيات الكريمة حقيقة أن الشهب تسبح فى سماء الأرض القريبة وأن الفضاء يعج بها ويمتلىء . والمشاهد أنها تظهر لنا أثناء الليل كخطوط مضيئة عبر السماء ، وكثيرا ما تسمى (النجوم الهاوية) . وهي جسيمات صغيرة من المادة تنساب فى مجموعات أو أسراب خلال الفضاء الكونى وتدور حول الشمس حتى تقع تحت طائل جذب الأرض ، وعندئذ تقبل اليها وتهوى نحوها مخترقة أعالى جوها ، فيبيض لونها بسبب الحرارات العالية التي تتولد فيها عندما تخترق الغلاف الجوى وتحتك به . وما الخط الضوئي الذى يتخلف من وراء الشهب سوى جسيمات ساخنة الى الحد الذى يجعلها تشع اللون الأبيض .

ويدخل جو الأرض العلوى كل يوم فى المتوسط نحو ٢٠ مليون شهاب تحدث خطوطا ضوئية يمكن مشاهدتها بالعين المجردة أثناء الليل . وعندما ندخل فى الحساب تلك الخطوط التي تبلغ من الاعتام الدرجة التي تستلزم استخدام المناظير الفلكية المكبرة نجد أن القدر الكلى للشهب أضعاف أضعاف العشرين مليونا . ويقدر بعض العلماء أن كتلة الأرض تزداد فى اليوم الواحد بسبب الشهب هذه بنحو ٤ آلاف رطل .

وأنت ليس من اليسير عليك أن تخرج من مسكنك المضيء وتتوقع رؤية الشهب فى الحال ، اذ من اللازم أن تعتاد عيناك أولا الظلام وتألفاه . وتستلزم هذه



العملية نحو ٢٠ دقيقة لدى الكبار فى السن وأقل من ذلك بكثير لدى الصغار .

وتنطلق الشهب فى الفضاء بسرعات فلكية تجعل الطاقة التي تحملها حبة لا تزيد فى حجمها عن حبة الرمل تعادل الطاقة التي يحملها رصاص البندقية ! .

ومن الطبيعي أن تكون درجة الحرارة الداخلية لجسم الشهاب الكبير وهو فى الفضاء الخارجي منخفضة جدا ، الا أنه عندما يدخل جو الأرض يسبب الاحتكاك ارتفاع درجة حرارة جسيمه الخارجي ارتفاعا كبيرا ، بينما يظل الداخل باردا ، وينجم عن عدم التساوى فى التسخين على هذا النحو انفجار الشهاب وتفتته بصوت مرتفع يمكن سماعه على مساحة واسعة .

وعلى الرغم من أن متوسط سرعة الشهب فى الفضاء هى نحو ٢٦ ميلا ، الا أن هذه القيمة ليست هي السرعة التي تصادم بها غلاف الأرض الجوى . فالأرض تجرى فى مسارها حول الشمس بسرعة متوسطها ١٨و٥ من الأميال فى الثانية ، وعلى ذلك اذا صادف ودخل الشهاب جو الأرض وهى تجرى فى الاتجاه المضاد تكون سرعة التصادم هي :

١٨و٥ + ٢٦ = ٤٤و٥ ميل فى الثانية .

أما اذا كان الشهاب يسير مع الأرض ولحق بها فان سرعة التصادم تعادل :

٢٦ — ١٨و٥ = ٧و٥ ميل فى الثانية .

وتكون الشهب أهم العقبات فى أسفار الفضاء ، والمعروف أن كل مسار من مساراتها التي تتوفر فيها هو فى الأصل من حطام المذنبات القديمة التي تعرف عندنا باسم (النجوم ذات الذيول) أو بلغة العامة (النجمة أم ديل) ويظهر المذنب فى العادة كجزء مخيف فى السماء له رأس متوهجة يتبعها ذيل طويل من اللهب . ويقول العلماء انه عندما ينطلق المذنب بعيدا عن الشمس يبرد حتى أن معظمه يصير مجرد بلورات من الثلج داخلها مواد معدنية وصخرية مغمورة فى قلب المادة المتجمدة ببرودة الفضاء الخارجي . ولكن عندما يقترب المذنب من الشمس يسخن ويزداد لمعانه ويتكون له ذيل قد يبلغ طوله عدة ملايين من الأميال ، مثل ١٠٠ مليون ميل الذى هو طول أحد المذنبات التي ظهرت فى عصرنا الحديث ، وقد كان فى منتصف القرن الماضى طوله ٣٠٠ الف مليون ميل . وكلما اقترب المذنب من الشمس امتد الذيل متخلفا وراء الرأس على هيئة سحابة سديمية . وعندما يبتعد المذنب عن الشمس يتناقص حجم الذيل الى أن يختفى تماما فى أعماق الفضاء ، هذا كما تنفصل عن رأسه حبيبات رمل وفير وجسيمات مختلفة الحجم والصفات تنطلق فى حزم كثيرا ما تعرف باسم شاطىء المذنب المتلىء بالحصى والرمال .

ونحن نكاد نجهل مصدر المذنبات ، وقديما كانت تسمى (كاسحات السماء) . ومنطقة المجموعة الشمسية تعج اليوم بملايين المذنبات (أى آلاف الملايين) ، ويحدث من حين الى آخر أن يدخل واحد منها فى مسار من حول الشمس تحت تأثير جاذبيتها ، فيظهر يجوس خلال الكواكب السيارة ، فيظهر تارة ويختفى أخرى .

وآيات الذكر الحكيم التي صدرنا بها هذا المقال تشير الى ما يعترض سبيل الجن وأفراده من أهوال الفضاء عندما يحاولون مغادرة الأرض ، على غرار محاولات البشر اليوم بعد النجاح فى استعمال المحركات الصاروخية كوسيلة للسفر فى الفضاء الكونى مثلا . ونحن نعرف أن لكل انسان كتلة أو ثقل ، ينبئنا القرآن الكريم أن هذا هو أيضا شأن أفراد الجن اذ يقول فى سورة الرحمن :

((سنفرغ لكم أيه الثقلان)) .

وكل جسم له ثقل يخضع للجاذبية ، أى تمسكه الأرض اليها كما تمسك سائر الأجسام لقبضة جاذبيتها .

وتتبادل هذه الجاذبية بين الأجسام وبعضها كذلك ، خصوصا فى الفضاء الكونى . والاعجاز العلمي فى هذه الآيات واضح الى حد كبير ، خصوصا بعد الذى قلناه عن الشهب ووصفناه من خواصها وسرعتها ومقاديرها فى الفضاء الذى يحيط بالأرض ويفصلنا عن مجموعات النجوم الأخرى . فعابر الفضاء لا بد أن يتعقبه شهاب أو سرب من الشهب ، أو يعترض سبيله على الأقل ، وبذلك يتعرض لهذا الخطر الداهم ، بالاضافة الى أخطار أخرى عديدة .

وفى النصف الأول من القرن الماضى انسابت الى سماء أرضنا أكداس من الشهب بلغت ٣٥ ألف شهاب فى الساعة الواحدة ، حتى ملأت الآفاق والجو العلوى بالشهب ، وظهر بعضها على هيئة كرات نارية فى حجم القمر ، وخلفت من ورائها ذيولا ملتهبة كانت تمكث من ١٥ الى ٢٠ دقيقة قبل أن تتوارى فى ظلام الليل . ونحن عندما نذكر هذه الحقائق العلمية انما نقصد من وراء ذلك ان يكون القارىء الكريم لنفسه فكرة عن أسراب الشهب التي تملأ الفضاء المحيط بنا والتي ورد ذكرها فى القرآن الكريم .

وأحيانا يصادف أن تبدو الشهب فى منظرها العام كأنما هى تجىء الينا وتفد من ركن معين فى السماء . ويطلق العلماء على مثل هذا الركن اسم (منطقة التألق) وعادة تكون مسارات الشهب المرصودة بالقرب من هذه المنطقة قصيرة . أما تلك التي ترصد فيها فانها تظهر عديمة الحركة أى على هيئة ضوء ينير ثم يختفى ، نظرا لأن الشهب تكون فى خط نظر الراصد وتتحرك نحوه مباشرة فلا يلاحظ حركتها .

وبطبيعة الحال لا يفوتنا أن نذكر هنا أن ما قلناه عن الشهب فى هذا المقال انما هو الجانب العلمي فقط على حد دراستنا وأرصادنا حتى اليوم . ولكن كلما تقدم ركب العلم كلما اتسعت آفاق معرفتنا ، خصوصا بعد غزو الفضاء بواسطة الأقمار الصناعية ، وسفن الفضاء التي تحمل معها معدات الرصد المختلفة .

واليوم يعطى العلماء دراسة الشهب أهمية عظمى لزيادة معلوماتنا عنها . ولكن القرآن الكريم قد سبق ركب العلم بما ذكره من قضايا عامة عنها وما قرره من أنها تعترض سبيل رواد الفضاء من الجن ، وبقى علينا أن نعرف تركيبها ومساراتها ومصادرها وتجمعاتها وأخطارها ... فى عصر الفضاء . فسبحان القائل جل شأنه :

((سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق)) .



بقلم : الاستاذ ع . ن

الصحافة والدين

كانت فكرة طيبة وعملا ناجحا ذلك الذى عملته صحيفة الاخبار القاهرية من تخصيص صفحة من صفحاتها للدين طوال شهر رمضان ، فكانت مائدة روحية شهية حرصت على ألا يفوتنى يوم دون أن اقرأها ، وأنا شديد الاعجاب بما تقدمه من معلومات متنوعة بأقلام متعددة ، كانت خطوة كريمة أهنىء عليها الاستاذ جلال الدين الحمامصى والقائمين على الاخبار والمحررين الذين قدموها ، وحبذا لو استمروا على تقديم هذه الصفحة الناجحة كل يوم طوال السنة كما يقدمون صفحات الرياضة وغيرها يوميا .. وأنا أعرف عن الاستاذ جلال عنايته بهذه الناحية فقد كان هو صاحب فكرة باب ((دين وثقافة)) الذى كنت أقدمه فى صحيفة ((الجمهورية)) حين كان يرأس تحريرها سنة ٥٨ ، ١٩٥٩، فلما انتقل للاخبار أردنا ــ أنا وهو ــ أن نقدم هذا الباب فيها بعد أن توقف فى الجمهورية، ولكن حالت ظروف دون ذلك . ولعله لا يزال يذكر حديثه معى ، والحديث الذى دار فى مجلس رؤساء تحرير صحف الأخبار حينذاك عما دلت عليه الاحصائيات من أن أكثر الابواب قراءة فى الصحف هو الباب الدينــى ...

أذكره الآن بهذا لعله به وبما لمسوه من التجربة التى قدموها خلال شهر رمضان يستمرون فى تقديم هذه الصفحة يوميا .. باعتباره عملا صحفيا ناجحا .. من جهة .. ومشاركة فى بث الوعى الدينى الذى يعتبر أقوى الحوافز على الخلق الكريم والعمل الناجح والانتاج الوفير من جهة أخرى .

ولا أنسى فى هذه المناسبة التجربة الناجحة التى قامت بها الجمهورية منذ نحــو سنة ، وهى تقديم ملحق دينى مستقل من ثمانى صفحات كل يوم جمعة ، وأرجو من القائمين على الجمهورية أن يخرجوه كما كان فى ثمانى صفحات بالحجم الاول لا بالحجم الذى أخرجوه به أخيرا ...

ان الشعب المسلم فى كل مكان بحاجة ماسة الى الوعى الاسلامى .. وقد دأبت صحفنا فى كل دولة على أن تقدم للقارىء كل شىء الا هذا الوعى مــع شــدة الحاجــة اليه ، والمجلات الاسلامية المتخصصة ــ كما نعلم ــ ليست مثل الصحف اليومية فى الانتشار والتوزيع : ومن هنا نلمس جميعا ما يجب على الصحف اليومية فى كل البلاد الاسلامية من الاضطلاع بتقديم هذا الوعى لقرائها ، خدمة منها لدينها وأوطانها .

الكوكا كــولا

صدر قرار لجنة المقاطعة التى انعقدت أخيرا بالكويت بحظر التعامل مع شركتى ((كوكاكولا وفورد)) وغيرهما لانها أقدمت على التعامل مع اسرائيل غير مبالية بشعور عشرات الملايين من العرب متخيلة أنهم لا يستطيعون التخلص من مشروبها أو مــن ركوب سياراتها ، أو أنهم لا توجــد لديهم العزيمة لمجابهة استهتارها هذا بمقاطعــة اجماعية .. ولكن صدر قرار اللجنة الذى التزمت بتنفيذه كل الدول العربية .. ومع ذلك فسيارات ((الكوكاكولا)) توزعها كما كانت من قبل .. ويقال ان لدى الشركة مخزونا يكفيها لسنين .. ومعنى هذا أنها ستظل توزع كأنه لم يحدث شىء .. وبعد هذه المدة ((يفرجها الله)) !!

وقد سمعت كثيرا من الناس يتساءلون : لم تبقى هذه الشركات تبيع منتجاتها عندنا مع أن القرار صدر ؟ !

وأحب أن أقول لهؤلاء الذين يشترونها ويستهلكونها افرضوا أن النظام يقضى بأن تبقى الشركة حتى تصرف المخزون لديها .. فما هو دوركم أنتم .. وما دور الشعب العربى المســلم المستهلك ؟

لماذا يقف موقفا ايجابيا من الشركة ويشــترى ما تنتجه ؟ لماذا لا يرفض مثلا شرب ((الكوكا كولا)) وشراءها ؟

ان فى يده وحده الحل السريع الحازم .. انه لو رفض الشراء لرجعت السيارات الى المصانع محملة بما خرجت به .. ولتوقفت المصانع الخاصة بها .. واضطرت الشركة الى التخلص من هذه المصانع حتى لا تتحمل مصاريفها ومصاريف العمال والموظفين بها .. وحينئذ تشعر بجدية المقاطعة ووقعها ..

هذا دور الشعب الذى يستهلكها ويدفع ثمنها .. وهو دور حازم وسريــع وفعال كما قلت . فلماذا لا يتقدم ويحمل دوره ؟ وهو فى غاية السهولة .. ولا يكلفه شيئا بل مجرد الامتناع عن شراء هذه السلعة والاكتفاء بغيرها .. وهو كثير ..

أمر فى غاية البساطة ولا يريد الشعب أن يقوم به .. ثم نجد الكلام هنا وهناك لماذا تبقى منتجات هذه الشركات بيننا ؟ .. لماذا تتركها الحكومة ولا تنفذ .. ؟ !! كــل شىء على الحكومات ، واللوم على الحكومات حتى ولو كان زمام الموقف فى يد الشعب !! ولو كان هذا الموقف لا يكلفه من أمره عسرا !!

لقد كان من الواجب على كل فرد حين صدر قرار اللجنة أن يصدر قراره هو الآخر بالامتناع عن معاملة هذه الشركات ودفع ماله فى منتجاتها ليذهب الى أصحاب هذه الشركات هناك .. هؤلاء الذين استهتروا بشعورنا .. بشعور عشرات الملايين من أجل اسرائيل ! !

أتدرى يا أخــى المعنى الذى يحمله شراؤك لها حتى الان ؟

فكر فيه قليلا .. فاننى لا أريد أن أشرحه لك لانه مفهوم .. مفهوم جدا ..

ولا توجه اللوم لغيرك قبل أن تلوم نفسك وتصحح موقفك ..

معنى العيـــد

تبادل التهانى بالعيد ســواء أكان بالزيارات أم بالرســائل ، من المظاهـــر الكريمة التى تحيى فى النفوس الشعور بمعنى العيد وبهجته ، كما تجدد الصلات الطيبة بين الاقارب والأصدقاء ، وتقـوى أواصرها ، واذا كان الاطفال يجدون فى لعبهم وملابسهم الجديدة وملاعبهم وملاهيهم بهجة العيد ولذته ، فان الزيارات والاجتماعات والرسائل هى التى تحقق معنى العيد لدى الكبار .. وتذكرهم بالقريب والبعيد ، وتفتح القلب للصديق وغــير الصديق ...

وتقوى هذه المعانى حين تكون مع التعارف الشخصى صــلة روحية ، ومحبة قلبية ثم تبلغ ذروتها وكمالها ، وجمالها وجلالها حين لا يكون بين الاثنين معرفة شخصية ، ولكن معرفة معنوية ، وود روحى جمع بين قلبيهما ، وحمل كلا منهما على أن يمسك القلم ليكتب الى صديقه الــذى لم يره ، ولكنه أحبه ، وتلاقت روحــه مع روحه ، وهدفه مع هدفــه . هنا يكون حقا معنى الصفاء والوفاء . الوفاء للمعانى ، للأعمال ، لا للاشــخاص ...

ولقد تلقت « الوعى الاسلامى » سيلا من التهانى أرسلها أصدقاؤها وقراؤها من جميع أنحــاء العالم : الشرقى والغربى .. فكانت عيدنا فى العيد ، وفرحتنا بالاسرة الروحية الكبيرة التى تجمعــت حــول الوعــى الاســلامى ..

فالى هؤلاء الأحباب جميعا ـ بقدر ما أحسسنا من فرحة بتهانيهم ـ اليهم وافر الشــكر وأخلص الحب وأصدق الامنيات .. ســائلين الله تعالى أن يجعلنا دائما عند حســن ثقتهم وتقديرهــم ، وأن يجمل أعيادنا بهذه المعانى الطيبة وأن يمنحنا جميعا من توفيقه ما يجعلنا أهلا لحسن طاعته ، وحلو رضاه .. يوم نلقـــاه ..

أين الحياء

الصحافة التى تلجأ أحيانا كثيرة أو قليلة الى الصــورة أو الكلمة الخليعة المثيرة تعلن عن افلاسها فى ارضاء القراء وجذبهم اليها بالكلمة المفيدة والتوجيه الصادق .. مثلها تماما مثل المغنية التى تلجأ الى الملابس المثيرة والحركة الخليعة لتجذب المستمعين والمشاهدين من المراهقين أو أشباه المراهقين حين تحس أنها فشلت فى كسب اعجابهم بحلاوة الصوت وحسن الاداء أليس كذلك ؟ ..

ولا زلت فى حيرة ودهشة من أمر هذه المجلات المتخصصة فى الاغراء بهذه الصور المثيرة على غلافها أو على صفحاتها الداخلية أو بالكلمة الداعرة . هذه المجلات ما رسالتها فى خدمة أوطانها ؟ ! .

هل يمكن أن يتحدث أصحابها عن هذه الرسالة ؟ !

أو يقول لنا المسئولون عن الرقابة فى البلاد العربية الاسلامية كلها شيئا عن الدور الجدى لهذه المجلات فى النهوض بأوطانها حتى يسمحوا لها بالصدور ، واستهلاك الورق والجهود أو يسمحوا لها بالتوزيع !! وهى مليئة بالسموم التى تفتك بروح الشباب وتهدم ما تبنيه الدول وما تبذله من جهـود لاعدادهم رجالا صالحين يخدمون دينهم وبلادهم ...

أرسل لى قارىء من الكويت بقصاصة من مجلة الشبكة العدد ٥٧٣ بتاريخ ٦٧/١/١٦ تحت عنوان « حميديات » فيها :

يقولون : الصبر مفتاح الفرج وأنا أقول ... وكلام فى غاية الاسفاف والفجر لا يمكن أن نذكره هنا .

فأين الحياء ؟ ولمن تكتب هذه المجلة ؟ .

لكأنها تصدر وتوزع فى بلاد لا تراعى دينا ولا مقاييس خلقية ..

تعدد الزوجات

للأستاذ محمود كمال محمد
ج ٠ ع ٠ م

جهدت المرأة فى الآونة الأخيرة فى المطالبة بادخال تعديلات جديدة على قوانين الأحوال الشخصية ، فى بعض البلاد العربية ، وعلى الأخص فيما يتعلق « بالطلاق » و « تعدد الزوجات » ، وأعلنت مطالبها فى المجتمعات ، وفى مختلف المجالات ، وجعلت من هذه المطالب مثارا للجدل والمناقشة على صفحات الجرائد ، وفى التليفزيون ، وغيره من وسائل الاعلام ، وما تزال تثير هذا الجدل فى كل مناسبة ، بل وفى غير مناسبة ، بفكرة أن « من سار على الدرب وصل » .

وقد اطلعت على مقال فى احدى الصحف عنوانه « المرأة تعثر فى كتب الفقه على رأى يقول : تعدد الزوجات حرام فى الاسلام » . وقد تضمن هذا المقال ، فيما تضمنه ، العبارات الآتية :

« بدات المراة تنقب فى كتب الشريعة وتستخرج النصوص والآراء التي تناقض القوانين الوضعية . **تبين أن بعض الفقهاء أعلنوا أن تعدد الزوجات حرام** ، وانه من المحظورات التي لا تباح الا فى حالة الضرورة القصوى ! ! .

« ولكن ما هي حقيقة المشكلة التي تواجهها المرأة ، هل هي مجرد **نصوص جامدة** ، لا تتفق مع التطور الموضوعي الذى حققته المرأة .. ما هي الفكرة الرئيسية التي تشكل **جذور التخلف** الذى تعانيه المرأة ؟ .

« والاسلام أيضا يدين (هكذا) تعدد الزوجات ، أو على الأقل هذا رأى فقهاء كثيرين منهم المعتزلة قديما ، وكثير من الفقهاء المحدثين » .

« ان المرحوم عبد العزيز (باشا)



فهمي ، رئيس محكمة النقض الأسبق ، وأحد أساطين الفقه ، أعلن صراحة فى بحث قيم ، أن تعدد الزوجات حرام، وأن تعدده محظور فى الاسلام ، ولكن كل قاعدة لها استثناء ، وكما تبيح الضرورات المحظورات ، فان قاعدة التحريم هذه يرد عليها استثناء ، ويقدر هذا الاستثناء الحاكم .. » .

« ان القرآن استعمل كلمة (ما طاب لكم) ولم يستعمل كلمة (حل لكم) والطائب قد يكون حلالا ، وقد يكون حراما » ! ! .

« ان عبارة مثنى ، وثلاث ، ورباع لم يقصد به التعدد ، والا لكان التعدد يصل الى تسع زوجات أو ١٨ زوجة ، لأن الأعداد معطوفة على بعضها بالواو » .



وصاحبة هذه الآراء المشتمل عليها هذا المقال لم تحجم عن ابدائها استنادا الى مبدأ حرية الرأى ، الذى ندين له جميعا وننادى به .

ولكن اذا كان احترام الآراء ، فى كل المجالات العلمية، وغيرها مهما يكن لونها ، واجبا علينا ، وعلى غيرنا من الناس فانه يجب أن تكون تلك الآراء صادرة عن علم متين ، وفهم سليم ، وبصيرة نافذة ، أما أن تكون صادرة عن جهل ، أو غرض ، أو عن المام سطحي ، نتيجة الاستماع الى بعض الأقوال العابرة ، التي لا تتحرى الدقة والعمق فى البحث ، أو نتيجة الاطلاع على بعض المراجع والكتب الفقيرة فى مادتها ، والتي لا تغنى ولا تسمن من جوع ، فما من شك فى أن الناس يعذرون اذا هم ضربوا بها عرض الحائط ، بل ونددوا بها تنديدا ، واعتبروها اجتراء على العلم ، أو الشرع ، أو القانون ، بل وربما ظنوا بها الظنون خطأ أو صوابا كانت تلك الظنون ! ! .

ومؤدى ما اشتمل عليه هذا المقال ، المعزز برأى المرحوم الاستاذ عبد العزيز (باشا) فهمي كما تقول الكاتبة هو ما يأتي :

أ ـ ان تعدد الزوجات حرام ، كقاعدة أساسية ، وبما أن لكل قاعدة استثناء ، فاباحة التعدد استثناء من هذه القاعدة يقدره الحاكم .

وتفسير هذا القول هو أن الأصل فى التعدد الحرمة ، بحيث لا يكون لانسان الحق فى أن يعدد زوجاته الا باذن من القاضى فان رفض القاضى الاذن له بذلك كان الزواج الذى يعقده ـ رغم هذا الرفض ، زواجا باطلا ، لا تترتب عليه آثاره الشرعية فيكون الابن الذى يولد نتيجة لهذا الزواج ابنا غير شرعي ، لا ينتسب الى أبيه ، ولا يرثه .. الخ ، وهذا غير صحيح فى الاسلام ، كما سنبينه فيما بعد .

والدليل الذى تستند اليه السيدة فى تقرير هذه القاعدة يتلخص فى :

أولا ـ ان القرآن استعمل كلمة « ما طاب لكم » ولم يستعمل كلمة « حل لكم » فى آية « وان خفتم ألا تقسطوا فى اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء

مثنى وثلاث ورباع » والطائب قد يكون حلالا وقد يكون حراما ! ! .

والواقـع يخالف هـذا التدليـل ، ذلك لأن كلمة « طاب » لغة كما جاء فى المصباح المنير هي « الشيء يطيب طيبا اذا كـان لذيذا أو حـلالا ، فهو طيب ، وطـابت نفســه تطيــب انشرحت وانبسـطت » . وكما جـاء فى مختار الصحاح « الطيب ضد الخبيث ، وطاب يطيب طيبة بكسر الطاء وتَطْيَابا بفتح التاء » .

واذا فهذه الكلمة لا تنطوى على أى معنى من معانى الحرمة أو الحرام والا كان الله آمرا بالنكاح المحرم الخبيث .

ثانيا ـ تقـول « ان عبارات مثنى ، وثلاث ، ورباع ، لم يقصد بها التعدد ، والا لكان التعدد يصل الى تسع زوجات أو ١٨ زوجة ، لأن الأعداد معطوفة على بعضها بالواو » .

ونقول ان مختـار الصـحاح يذكـر « وجاءوا مثنى مثنى أى اثنين اثنين » ـ وفى المصـباح المنـير « وثنيت الشـيء بالتثقيل جعلته اثنين » .

واذا فكلمة مثنى معناها جعل الشيء اثنـين ، وهكذا ثـلاث ورباع . ويكون المعنى ان الرجل له أن يجعل زوجاتـه اثنتين ، وله ان يجعلهن ثلاثة ، وله ان يجعلهن اربعا ، كحد أقصى .

ودليل ذلك هو ما ورد ان غيلان أسلم وتحته عشر نسوة ، فقال الرسول ، صلى الله عليه وسلم « امسـك اربعا وفارق باقيهن » ، وروى ان نوفل بن معاويـة أسلم وتحته خمس نسوة فقال عليـه الصلاة والسلام : أمسك أربعا وفارق واحدة » .

فرسول الله صلى الله عليه وسلم ، قد أقر كثيرا من الصحابة على زواجهم بأكثر من واحدة ، وطلب الى من يجمع منهم أكثر من أربع زوجات أن يختار منهن أربعا .

ويروى الطبرى عن قتادة فى تفسير الآية الكريمة قوله : كما خفتم الجور فى اليتامى ، وهمكم ذلك ، فكذلك خافوا جمع النساء أى الزوجات ، وكان الرجل فى الجاهلية يتزوج العشر من النساء فما دون ذلك .. فأحل الله جـل ثناؤه ، أربعا بقوله .. مثنى وثلاث ورباع ، فان خفتم الا تعدلـوا فواحدة .. يقول ان خفت ألا تعدل فى أربع ، فثـلاث ، والا فاثنتين ، والا فواحدة .

وما كان الله سبحانه وتعالى ليزيد العدد الذى يبيحه فى التشريع الاسلامي ، على العدد الذى كان أهـل الجاهليـة يبيحونه لأنفسهم من قبل ، بل لقد قصد التقليل الى الحد الذى يطيقه البشر ، ويتفق مع طبيعتهم ، فى المستوى العادى لهم ، كما يتفق مع صـالح الانسـانية والجماعات ، فى كل الأمـم ، وفى كـل الأزمان .

ويقول المرحوم الأستاذ عبد الوهاب خلاف فى كتابه (علم أصول الفقه) انه يفهم من عبارة الآيه الكريمـه المذكورة « ثلاثة معان : اباحة زواج ما طاب لكم من النســاء ، وتحديد عدد الـزوجات بأربع ، وايجاب الاقتصار على واحدة اذا خيف الجور حال تعدد الزوجات .. » والله سبحانه وتعالى نبه الى أن خـوف

تعدد الزوجات

الجور يجب أن يحول أيضا بينكم وبين تعدد الزوجات الى غير حد، وبغير قيد، فاقتصروا على اثنتين أو ثلاث أو أربع، وان خفتم أن لا تعدلوا حين التعدد فاقتصروا على واحدة فهذا الاقتصار على اثنتين أو ثلاث أو أربع أو واحدة هو الواجب على من يخاف الجور .. فاباحة الزواج مقصود تبعا لا أصالة، والمقصود اصالة قصر عدد الزوجات على اربع أو واحدة .

وواضح من هذه العبارة أن القرآن حدد العدد باربع لا يزيد، ونقول هنا أن خوف الجور والظلم الذى يمنع من التعدد، مسألة نسبية، تختلف من شخص الى آخر، فقد استشعر فى نفسي الخوف، ولا يستشعره آخر يأنس من نفسه القدرة على الوفاء بمستلزمات التعدد، وعلى ذلك فالمانع شخصي متروك تقديره لكل انسان حسب ظروفه النفسية، والمادية والصحية، والاجتماعية، ومع ذلك فان تدخل الحاكم لمجرد محاولة الحيلولة بين الرجل والتعدد، لا لتحريمه فى ذاته، لا يمنع منه مانع اذا كانت هناك ظروف تستدعي ذلك، كما سنبينه فيما يلي من هذا المقال، فى مناسبة القانون الصادر فى تونس بتحريم التعدد .

والاربع عدد معقول، عند الظروف المقتضية للتعدد، اذا ما أخذنا فى اعتبارنا مثلا زيادة عدد النساء غير المتزوجات على الرجال، ناهيك بالأسباب الحيوية الأخرى التي توجب على الناس هذا التعدد تحت ظروف وملابسات معينة، وذلك لأنه ليس كل رجل قادرا على الزواج بينما النساء - عدا القليل منهن - صالحات لذلك، فالرجل لا يكون قادرا على الزواج الا اذا توافرت شروط كثيرة من النواحي الجنسية والصحية والاجتماعية، ومن أهم هذه الشروط أن يكون قادرا على نفقات المعيشة لزوجة وأسرة، ولا يتحقق ذلك، فى كثير من الأحيان، الا فى سن متأخرة، أما الفتاة فتصلح للزواج، وكثيرا ما يتم فى سن مبكرة، ويترتب على ذلك أن يكون الصالحون للزواج من الذكور أقل من الصالحات من النساء، فاذا اختص كل رجل بزوجة كان عدد الفتيات الراغبات فى الزواج بغير أزواج كبيرا، مما يؤدى الى اختلال التوازن، واضطراب الحياة الاجتماعية . بل قد يؤدى الى تردى الفتيات فى الرذيلة، وانتشار الفسق والفجور، وهذا هو ما حدث فى كثير من الأمم الغربية التي تسير على وحدة الزوجة، اذ بلغت نسبة أولاد السفاح فى فرنسا ما يقرب من نصف مجموع المواليد هناك، من أجل ذلك كان تحريم تعدد الزوجات بصفة مطلقة، مؤديا الى عواقب اجتماعية وخيمة .

ومصداقا للقول بوجود زيادة فى عدد النساء على عدد الرجال لسبب أو لآخر، فان السباح العالمي الأستاذ أبو هيف، روى أنه نزل أثناء رحلته الأخيرة فى احدى الجزر، فوجد أن كل رجل هناك تقابله خمس نساء ! ! .

وتكملة للرد على ما ورد فى أقوال السيدة الكاتبة، نذكرها بحقيقة لا يمكن انكارها، هي أنه لو كان لشريعة فى الوجود فضل على المرأة فهو لشريعة الاسلام، التي رفعتها الى أقصى حد يمكن أن ترفع اليه، اذ ساوتها بالرجل فى كل شيء، فى العبادات، والمعاملات، ومختلف الحقوق والواجبات، والحريات، اللهم الا فى القليل الذى توجبه طبيعتها التي فطرت

عليها ، فاذا كانت المرأة المسلمة تعاني تخلفا أو كانت بعض البيوت معرضة أحيانا للانهيار ، فالذنب ليس ذنب الدين ولا الشريعة ، اذ أن الدين سياج لنا ضد مفاسد الحياة وشرورها جملة ، ولكنه ذنب المجتمع نفسه ، الذى اهمل مقوماته ... ويحق لنا أن نسأل عن نصيب المرأة ذاتها فى تلك الحال التي انحدرت اليها من هذه الوجهة بالذات ، ان صح أنها انحدرت فعلا ! ! .

والواقع أن تعاليم الاسلام لا تزال هي الحائل الأكبر بيننا وبين الهاوية التي تردت فيها أمم غيرنا ، كما يتبين لنا من الطلاع على هذا الخبر الذى نشرته جريدة الاخبار فى عدد ١٩٦٥/٤/٢٤ ونصه كما يأتي :

« خرجت النساء السويديات فى مظاهرة عامة تشمل أنحاء السويد احتجاجا على اطلاق الحريات الجنسية فى السويد ، اشتركت فى المظاهرة حوالى مائة ألف امرأة ، وسوف يقدمن عريضة الى الحكومة تعلن العريضة الاحتجاج على تدهور القيم الأخلاقية » . استوكهلم ى.ب.ا .

فما هي العبرة التي يجب أن نعتبر بها من هذا الخبر ، أليست هي ضرورة الحفاظ على الدين الاسلامي القويم ، بتعاليمه المتفقة مع صوالح البشر ، فى كل زمان ومكان ؟ .

ولنترك السيدة الكاتبة الى حديث آخر فى نفس الموضوع ، ذلك أن صيحات المرأة التي تردد صداها فى جوانب العالم الاسلامي لم تذهب كلها هباء ، فلقد أثمرت بعض الثمر ، وكان ثمرها مر المذاق ، اذ رأينا احدى الدول الاسلامية تصدر تشريعا يمنع التعدد كما يمنع الطلاق الا بطرق واجراءات خاصة : وقد ذكر الاهرام الاقتصادى فى عدده الصادر فى ١٩٦٣/٩/١٥ ما يأتي : « بعد ان حصلت تونس على استقلالها فكر المسئولون فيها فى اصدار قانون جديد موحد للأحوال الشخصية تسير بمقتضاه أحوال المواطنين هناك ، وذلك للقضاء على حالة التعدد فى المحاكم ، والمذاهب التي كانت تسود الأحوال الشخصية أيام الاحتلال الفرنسي ، وفعلا صدر القانون الجديد عام ١٩٥٦ بعد الاستقلال مباشرة » .

« وباستعراض هذا القانون نستطيع ان نتبين عدة ملامح مميزة :

« – ان القانون موحد ويطبق على كل المواطنين التونسيين المسلمين وغير المسلمين ، سواء بسواء .

« – انفرد القانون التونسي ببعض النقاط الهامة – التي تعتبر استحداثا فى التشريع – فيما يتعلق بالطلاق وتعدد الزوجات ، فقد أوجب القانون ضرورة توقيع الطلاق أمام المحكمة ، ولا يجوز غير ذلك ، كما حرم القانون تعدد الزوجات تحريما قاطعا » .

واورد الاهرام الاجراءات الحتمية لطلب الطلاق ، سواء اكان بناء على طلب الزوج أو الزوجة أو بتراضيهما معاً . ونلاحظ ان المشروع التونسي قد أغضى عن أصول الأحكام الشرعية فى كثير ، فى الوقت الذى ترسم فيه خطى التشريعات الفرنسية ، يتمثل ذلك فى الاجراءات التي أوجبها لطلب الطلاق والحكمبه، مما لا يتسع مناقشته فى هذا المقال ، وفى الأخذ بتحريم تعدد الزوجات تحريما باتا .

مائدة القارئ

عمر يستدين

أرسل عمر بن الخطاب الى عبد الرحمن بن عوف يستسلفه ((٤٠٠)) درهم ، فقال عبد الرحمن : أتستسلفنى وعندك بيت المال ؟ ألا تأخذ منه ، ثم ترده ؟ فقال عمر : انى أتخوف أن يصيبنى قدرى ـ أموت ـ فتقول أنت وأصحابك : اتركوا هذا لامير المؤمنين ، حتى يؤخذ من ميزانى يوم القيامة ، ولكنى أتسلفها منك لما أعلم من شحك ، فاذا مت جئت فاستوفيتها من ميراثى .

هذا الجندى المجهول

حاصر مسلمة حصنا ، فندب الناس الى نقب منه ، فما دخله أحد . فجاء رجل من عرض الجيش ، فدخله ، ففتحه الله عليهم ، فنادى مسلمة أين صاحب النقب ؟ فما أجابه أحد .

فنادى انى أمرت الاذن بادخاله ساعة يأتى ، فعزمت عليه الا جاء . فجاء رجل ، فقال : استأذن لى على الامير ، فقال له : أنت صاحب النقب؟ قال : أنا أخبركم عنه ، فأتى مسلمة ، فأخبره عنه ، فأذن له ، فقال : ان صاحب النقب يأخذ عليكم ثلاثا :

ألا تسودوا ـ تكتبوا ـ اسمه فى صحيفة الى الخليفة .

ولا تأمروا له بشىء .

ولا تسالوا ممن هو .

قال : فذاك له .

قال : أنا هو .

فكان مسلمة لا يصلى بعدها صلاة الا قال : اللهم اجعلنى مع صاحب النقب .

الحج يهدم ما قبله

عن عمرو بن العاص قال :

لما جعل الله الاسلام فى قلبى ، أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت :

ابسط يدك فلأبايعك

قال : فبسط فقبضت يدى !

فقال : ما لك يا عمرو ؟

قلت : أشترط ..

قال : تشترط ماذا ؟

قلت : أن يغفر لى ..

قال : أما علمت أن الاسلام يهدم ما قبله ، وأن الهجرة تهدم ما قبلها ، وأن الحج يهدم ما قبله !

كثر خير الله وطاب

عن أنس قال : وقف النبى صلى الله عليه وسلم (بعرفات) وقد كادت الشمس أن تئوب ، فقال : يا بلال أنصت لى الناس .

فقام بلال فقال : أنصتوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم

فأنصت الناس : فقال صلى الله عليه وسلم : معشر الناس : أتانى جبريل عليه السلام آنفا ، فاقرأنى السلام ، وقال : ان الله عز وجل غفر لاهل عرفات ، وأهل المشعر الحرام ، وضمن عنهم التبعات ..

فقام عمر بن الخطاب ، فقال :

يا رسول الله : هذا لنا خاصة ؟

فقال : هذا لكم ولمن أتى من بعدكم الى يوم القيامة

فقال عمر بن الخطاب : كثر خير الله وطاب .

كيف تركتهم

وفد رجل على عمر بن عبد العزيز فقال له : كيف تركت الناس ؟

قال : تركت غنيهم موفورا ، وفقيرهم محبورا ، وظالمهم مقهورا ، ومظلومهم منصورا .

فقال عمر : الحمد لله لو لم تتم واحدة من هذه الخصال الا بعضو من أعضائي لكان يسيرا ...

معاش أبى بكر

بعد أن بويع أبو بكر الصديق بالخلافة ذهب الى السوق كعادته ليتاجر ، ويقوت نفسه وأهله ، فلقيه عمر ، فقال له : الى أين ؟ قال : الى السوق . قال عمر : تصنع ماذا وقد وليت أمر المسلمين ؟ قال : من أين أطعم عيالى ؟ فقال عمر : انطلق يفرض لك أبو عبيدة من بيت المال ، فانطلق الى أبى عبيدة ، فقال للخليفة انى أفرض لك قوت رجل من المهاجرين ليس بأفضلهم ولا أوكسهم ، وكسوة الشتاء والصيف : فاذا أخلقت شيئا رددته ، وأخذت غيره !!

سنوات ثلاث

قام أعرابى بين يدى (هشام بن عبد الملك) فقال : أتت على الناس سنون ثلاث .

أما الاولى فلحت ـ أزالت ـ اللحم . وأما الثانية فأكلت الشحم . وأما الثالثة فهاضت العظم .

وعندكم فضول أموال ، فان كانت لله فقسموها بين عباده . وان كانت لهم ففيم تحظر عنهم ؟! وان كانت لكم فتصدقوا بها عليهم فان الله يجزى المتصدقين .

فأمر هشام بمال فقسم بين الناس ، وأمر للاعرابى بمال ، فقال :

أكل المسلمين له مثل هذا ، قالوا : لا ، ولا يقوم بذلك بيت مال المسلمين !!

قال : اذن فلا حاجة لى به .

يصطادون الدنيا بالدين

يؤمر يوم القيامة بناس يؤتى بهم من النار الى الجنة حتى اذا دنوا منها واستنشقوا ريحها ، ونظروا الى قصورها ، وما أعد الله لاهلها فيها نودوا أن اصرفوهم عنها ، فلا نصيب لهم فيها. فيرجعون بحسرة ما رجع الأولون بمثلها : فيقولون : ربنا لو أدخلتنا النار قبل أن ترينا ما أريتنا من ثوابك، وما أعددت فيها لأوليائك لكان أهون علينا . قال : ذاك أردت بكم . كنتم اذا خلوتم بارزتمونى بالعظائم ، واذا لقيتم الناس لقيتموهم مخبتين، تراءون الناس بخلاف ما تعطونى من قلوبكم . هبتم الناس ولم تهابونى ، أجللتم الناس ولم تجلونى ، وتركتم للناس ولم تتركوا لى ، اليوم أذيقكم اليم العذاب مع ما حرمتم من الثواب .

(حديث شريف)

مناظرة ولا تزال ..

جرى بين أبى الاسود الدؤلى وبين امرأته كلام فى ابن كان لها منه ، وأراد أخذه منها ، فسار الى زياد وهو والى البصرة فقالت المرأة : أصلح الله الأمير . هذا ابنى كان بطنى وعاءه ، وحجرى فناءه ، وثديى سقاءه أكلأه اذا نام ، وأحفظه اذا قام ، فلم ازل بذلك سبعة أعوام ، حتى اذا استوفى فصاله ، وكملت خصاله ، واستوكعت (اشتدت) أوصاله ، وأملت نفعه ، ورجوت دفعه ، أراد أن يأخذه منى كرها . فآدنى أيها الأمير فقد رام قهرى ، وأراد قسرى .

فقال أبو الأسود : أصلحك الله ، هذا ابنى حملته قبل أن تحمله ، ووضعته قبل أن تضعه ، وأنا أقوم عليه فى أدبه ، وانظر فى أوده ، وأمنحه علمى ، وألهمه حلمى ، حتى يكمل عقله ، ويستحكم فتله .

فقالت المرأة : صدق . أصلحك الله . حمله خفا ، وحملته ثقلا ، ووضعه شهوة ، ووضعته كرها .

فقال له زياد : أردد على المرأة ولدها . فهى أحق به من حقك. ودعنى من سجعك ».

من أمجاد تاريخنا الماضي

صقلية الإسلامية ١

للدكتور زكى محمد غيث
استاذ التاريخ الاسلامي بكلية الشريعة
جامعة بغداد

سنقتصر فى حديثنا عن : ((صقلية الاسلامية)) على الجوانب التى يهم القارىء الكريم معرفتها ، بما يجلى الصفحات المشرقة التي خطها المسلمون على أرض جزيرة صقلية زهاء ثلاثة قرون عاشوها فيها خلال العصور الوسطى ، مراعين ظروف النشر فى مجلة يفرض عليها منهجها أن تتسع صفحاتها لنشر العديد من الموضوعات ، تحقيقا لأهدافها التي أنشئت من أجلها ، واشباعا لرغبات قرائها ذوى الثقافات المتباينة ، والمشارب المختلفة ، والله ولى التوفيق .

صقلية (١) جزيرة كبيرة تأخذ شكل مثلث تقريبا ، تتوسط البحر الأبيض المتوسط ــ الذى كان بدوره يتوسط العالم القديم المعروف اذ ذاك ــ وكان لها بحكم مركزها المتوسط فى هذا البحر مكانة خاصة ، فهى تقسم حوضه الى

(١) صقلية بثلاث كسرات ، وتشديد اللام ، والياء أيضا مشددة ، والبعض ينطقها بالسين ، وأكثر أهل صقلية يفتحون الصاد والقاف . وهذا الاسم أولى من (سيسليا) الذى عرفها به الغربيون ، وخصوصا لأن كثيرا من مشاهير العلماء والشعراء يعرفون بالانتساب اليها (يراجع : معجم البلدان لياقوت ج ٥ ص ٣٧٣ ، وصبح الأعشى للقلقشندى ج ٥ ص ٣٧٣ ، ومعجم الخريطة ص ٦٦ ، وقاموس الجغرافيا القديمة لأحمد زكى باشا ، ومجموعة كمبردج ، ج ٤ ف ٥ ص ١٣٦) .



قسمين : شرقى ، وغربى ، كما أنها تعتبر قنطرة تصل بين قارتين هما : أوربة ، وافريقية (١) .

★★★

وصقلية بجانب كونها جزيرة كبيرة بالنسبة لجزائر هذا البحر ، تمتاز بخصب غير مألوف فى باقى جزائره ، لذلك كانت مطمح أنظار الأمم التي كانت تتنافس على السيادة فيه .

وليس من شأننا هنا أن نتعقب أدوار تاريخها ، وانما يكفى أن نذكر أنه ما من أمة كانت لها فى حوض هذا البحر سيادة الا واتجهت أنظارها نحو صقلية فركبت البحر اليها ، ونازعت سادتها السيادة .

★★★

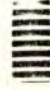
وكلما نزل بالجزيرة فاتح جديد طبع البلاد بطابعه الخاص ، من ثقافة ، ولغة ، ودين ، وبذلك كانت الجزيرة مسرحا لوثنية القرطاجيين ، واليونان ، حتى غلبتهم وثنية الرومان الفاتحين ، واذا بقوة جديدة تظهر فى الشرق ، فتصطدم فوق أرض الجزيرة بوثنية الرومان فتقضى عليها ، وتلك هي المسيحية ، وتظل المسيحية ممثلة فى الرومان أولا ، ثم فى البيزنطيين ثانيا . حتى ظهرت قوة الاسلام وتطلع المسلمون الى الجزيرة فملكوها ، وساد الاسلام فى الجزيرة زهاء ثلاثة قرون ، ثم ظهرت فى جنوبى ايطاليا قوة مسيحية جديدة ــ هي قوة النورمان ــ فانتزعت من المسلمين صقلية ، وبذلك عادت الجزيرة الى مسيحيتها .

★★★

ومما يذكر لصقلية أنها حظيت على الدوام بعناية الفاتحين وتقديرهم ، ويكفى أن نضرب لذلك مثلا أن ازدهارها فى عصر المسلمين كان مثلا واضحا لما وصل اليه المسلمون من مجد ، كما أن

---

(١) أنظر الخريطة المرافقة للمقال .



ازدهارها فى عصر النورمان ـ الذين تلوا العرب ـ كان بدوره أروع صفحة فى تاريخ أولئك المغامرين .



كما أننا نحب أن نسجل لصقلية أنها لم تعرف بالتنكر لماضيها ، فكلما جاءها فاتح جديد ، يحمل فى يمينه دينا جديدا ، ولغة جديدة ، وثقافة جديدة ، عاصر القديم الحديث زمنا ، وكلما قوى الدين ، أو اللغة ، أو الثقافة استطاع البقاء طويلا بعد زوال دولته ، لذلك نرى الدين الاسلامي ، واللغة العربية، والثقافة الاسلامية تعمر فى صقلية حقبا طويلة بعد زوال دولة المسلمين ، ولولا ما اجتاح أوربة بعد ذلك من تعصب اهلها ضد الاسلام أينما حلوا لبقى الاسلام الى جانب المسيحية فى الجزيرة عصرا طويلا .



وثمة ظاهرة أخرى فى تاريخ صقلية ، هى أنها ظلت على الدوام مسرحا يتعاقب عليه الشرق والغرب ، فكانت تتأرجح ما بين السيطرة الأوربية والافريقية ، بل بين السيطرة الغربية والشرقية ، فكانت بذلك ساحة الوغى بين الغرب والشرق ، ومصطدم الديانات التي يحملها كل فريق، وملتقى اللغات التي يتكلمها كل فاتح .

المحاولات الاسلامية الأولى لغزو صقلية

كانت صقلية ذات الموقع الممتاز ، والخصب الوافر ، والثراء الواسع ، والمساحة الكبيرة تجذب أنظار الغزاة ، فتقصدها الحملات البحرية الاسلامية من وقت لآخر ، وهى حملات كان ينقصها الطابع الرسمي فى أغلب الأحيان، وتتألف عادة من جماعة من المجاهدين فى سبيل الله ، أو البحارة المغامرين الذين يجوسون خلال البحر فى طلب الغنائم والكسب ، وكانت صقلية اذ ذاك تحت سيادة الدولة البيزنطية ، وقد غزاها المسلمون لأول مرة فى خلافة سيدنا عثمان بن عفان رضى الله عنه .

فى زمن الخليفة عثمان

روى الواقدى ، والمازرى وصفا مطولا لهذه الغزوة الأولى ، وذكرا أن معاوية ابن أبى سفيان عامل الشام قد أستأذن الخليفة عثمان فى غزو صقلية ، وأن أسطول المسلمين أقلع فى ثلاثمائة مركب من سواحل الشام ، حتى ألقى مراسيه بشواطىء افريقية .

ثم وصفا خروج المسلمين فى مراكبهم واغاراتهم على أطراف الجزيرة ، وضربهم حصونها بالمجانيق ، وانتصارهم على أهلها حتى « أجحروهم فى دورهم وقصورهم » ، ثم رويا نجدة ملك الروم لأهل الجزيرة ، وعلم المسلمين بذلك ، وعودتهم فى سفنهم سالمين محملين بالأسلاب والغنائم الى الشام ، فأرسل معاوية بن أبى سفيان بالخمس من الغنائم الى الخليفة عثمان بالمدينة مع البشرى بسلامة المسلمين ، « فسر عثمان بذلك سرورا عظيما ، وفرح لسلامة المسلمين ، وقسم الخمس فى أهل المدينة » (١) .

كانت هذه الغزوة سنة ٣٣ هـ (٦٥٣ ـ ٦٥٤ م) ، ذكر ذلك غير واحد من مؤرخى العرب ، كابن عذارى المراكشي فى كتابه : البيان المغرب ، والنويرى فى كتابه : نهاية الأرب ، وابن أبى دينار فى كتابه : المؤنس .. كما أن المؤرخ الايطالى

(١) يراجع النص الكامل فى المكتبة الصقلية (فتوح الشام ومصر للواقدى) ج ١ ص ٢٠٠ ـ ٢٠٥ ، وكتاب ذكرى ميلاد أمارى (كتاب المعلم فى فوائد صحيح مسلم للمازرى) ج ١ ص ٤٠٥ ـ ٤١٥ مقال الأستاذ جريفيني .

ميخائيل أماري ـ وهو عمدة فى تاريخ صقلية ـ يذكر حدوث غزوة على صقلية سنة ٦٥٢ م (١) . كما ذكر فيليب حتى ذلك فى كتابه تاريخ العرب (٢) ، والمؤرخ جريفيني ذكر فى عنوان مقاله الذى أثبت فيه نص رواية المازرى : « أن هذه الغزوة حدثت سنة ٣٣ هـ (أغسطس سنة ٦٥٣م ـ يوليو سنة ٦٥٤ م) (٣) .

وكانت هذه الغزوة بقيادة عبد الله بن قيس الفزارى أمير البحر فى ذلك الحين ، وفق القول الرائج .

فى عهد بنى أمية

وهذا ولم تزل صقلية تغزى منذ خلافة معاوية بن أبى سفيان حتى انقضاء عهد دولة بنى أمية فى الشرق ، فقد غزاها على عهده عبد الله بن قيس الفزارى بجماعة والى افريقية معاوية بن حديج سنة ٤٦ هـ (٦٦٦ م) ، ذكر ذلك غير واحد من مؤرخى العرب (٤) .

ثم وافاها بعد ذلك لهذا الغرض غير واحد من القواد والأمراء بافريقية ، فى أوقات مختلفة منذ عهد الخليفة الأموى عبد الملك بن مروان (٦٥ هـ ـ ٨٦ هـ) ، حتى عهد الخليفة مروان بن محمد (١٢٧ ـ ١٣٢ هـ) ، وهذا ما انعقد عليه اجماع معظم المؤرخين ، وفى عهد مروان بن محمد آخر خلفاء بنى أمية بعث عبد الرحمن بن حبيب الفهرى جيشا الى صقلية سنة ١٣٠ هـ (٧٤٧م) أيام ولايته على افريقية فانتصر ، وسبى وغنم (٥) ، وكانت هذه هى الغزوة العاشرة منذ أيام عبد الملك بن مروان ، كما هو ثابت من استقصاء الغزوات فى تلك الحقبة .

★★★

ثم اندلعت فى افريقية نيران الفتن والثورات التي أشعلها الخوارج فى جميع الجهات حتى اضطربت ، وقاتل عبدالرحمن بن حبيب الفهرى الخوارج ، وهزمهم فى كل مكان ، وانقطع أمرهم وهدأت الأحوال نسبيا ، وفى أثناء ذلك دالت دولة بنى أمية بالشرق وآل الأمر الى بنى العباس ، فبعث عبد الرحمن ابن حبيب بطاعته الى أبى العباس السفاح ، ثم من بعده الى أبى جعفر المنصور ، ولم يلبث عبد الرحمن طويلا حتى قتل سنة ١٣٧ هـ (٧٥٤م) (٦) فكانت تلك الاضطرابات والفتن ، وانتقال الأمر من دولة الى أخرى مما شغل ولاة افريقية عن غزو صقلية ، وأعطى أهلها فرصة لتحصينها وعمارتها ، فبنوا المعاقل والحصون ، ولم يتركوا جبلا الا وجعلوا عليه حصنا (٧) .

★★★

وبعد . فيلاحظ مما تقدم أن السرايا البحرية الاسلامية قد غزت صقلية غير مرة أيام دولة بنى أمية ، ومع ذلك لم تستطع أن تقوم فيها بفتوحات ثابتة !! .

البقية على ص : ٨١

(١) تاريخ المسلمين بصقلية لأمارى ، ف ٤ ، الكتاب الاول .
(٢) تاريخ العرب ، ف ٤٢
(٣) كتاب ذكرى ميلاد أمارى ، ج ١ ص ٤٠٥ .
(٤) المكتبة الصقلية (فتوح البلدان للبلاذرى) ٢٣٧ ، (ديوان صلة السمط وسمت المرط لابن شباط) ج ١ ص ٢٠٩ ـ ٢١١ ، والبيان المغرب ، لابن عذارى ج ١ ص ٩ ، والاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى ، للسلاوى ، ج ١ ص ٣٦ .
(٥) الكامل فى التاريخ لابن الاثير ج ٤ ص ٣٤٥ ، والبيان المغرب ، لابن عذارى ج ١ ص ٥٣ ، والعبر لابن خلدون ج ٤ ص ١٩٠ ، والمكتبة الصقلية (نهاية الادب للنويرى) ج ١ ص ٤٢٦ .
(٦) البيان المغرب ، ج ١ ص ٥٥ ، ٥٦ ، والعبر .. ج ٤ ص ١٩٠ .
(٧) المكتبة الصقلية (نهاية الأرب للنويرى) ج ١ ص ٤٢٦ .

العالم الثائر في ذكرى وفاته

لقى ربه فى صباح السبت ٢ من شعبان ١٣٧٧ هـ الموافق ٢٢ فبراير ١٩٥٨ م ، وتجمع الملايين حول نعشه تودعه الى مقره الاخير ، واهتزت قلوب مئات الملايين ، وفاضت عيونهم بالدموع جزعا لوفاته ، وحزنا على فراقه ، وفراغ الميدان السياسى من جهوده وتوجيهه ، وارتجفت عشرات الملايين من المسلمين خوفا من المستقبل بعد أن انهار الركن الذى كانوا يستندون عليه . وقف رئيس الجمهورية فى حفل تأبينه الذى اجتمعت فيه كل أحزاب الهند على اختلاف مشاربها يقول وعيناه تفيضان بالدموع :

ان تاريخ الهند خلال خمسين سنة مضت يقترن باسم الفقيد على وجه لا يمكن فصله عنه ، ان القلم الذى ألهب الوطنية فى الملايين من أهل هذه البلاد قد وقف اليوم ، وان الصوت الذى أثار ملايين الهنود وأيقظ فى نفوسهم الحمية والحماس الوطنى قد خفت اليوم ، ان الملايين التى احتشدت من قبل حول نعشه تودعه ، والجماهير المحتشدة اليوم كشفت عن اعمق التقدير للزعيم الجبار الذى فارقنا يوم السبت الماضى والذى اقترنت حياته بحركة استقلال الهند وتعميرها اقترانا لا يمكن أن ينفصل ..

لقد أثار الشعب بكتاباته البليغة البديعة ، وبث فيه روح الكفاح والجهاد لتحرير وطنه وأرشدنا بأعماله الباهرة وتضحياته العظيمة الى تذليل العقبات وازاحة العوائق والعراقيل التى تقف فى سبيل الامة وتحريرها . كان عبقريا يكتنه الغوامض وهو بعد لم يبلغ رشده »

وقف الزعيم الهندى « نهرو » وقد غلبه التأثر والحزن واغرورقت عيناه بالدموع ليودع الراحل الكريم فقال : توفى الى رحمة الله ... وكلنا سنذوق الموت ، وقد يستطيع الزمن التخفيف من هول المصاب ، ولكن أنى لنا بمن يسد الفراغ الذى تركه الراحل الكريم ، اننى سأبقى طول حياتى أتذكر هذا المصاب

كان طرازاً وحده فى عظمته، وسوف لا توجد مثل هذه الشخصية لا فى الهند ولا فى خارجها . (نهرو)

بقلم عبد المنعم النمر

الجلل كلما واجهتنى الخطوب والمعضلات وأتساءل فى حزن وألم : أين ذلك الصديق العظيم الذى كنت ألجأ اليه دائما ألتمس منه النصيحة والمشورة

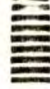
وفى عدد خاص عن الراحل الكريم أصدرته جريدة الجمعية لسان حال جمعية علماء الهند كتب الزعيم نهرو يقول فى تحليل عميق :

« الحديث عن شخصية أعرفها عن قرب أمر صعب ، وهذه الصعوبة تبلغ ذروتها حين يكون صاحب هذه الشخصية رفيقا سياسيا اشتركنا معا فى تحمل المسئولية الضخمة والمتاعب الجمة فى سبيل خدمة الوطن ولذلك أحس صعوبة بالغة فى التحدث عنه .

منذ ثلاثين سنة قابلته وجها لوجه لأول مرة ، وكنت قبل ذلك أسمع عنه وعن اهتمامه بالقضايا القومية بكل ما فيه من عزم وثبات ، وكنت أتابع مقالاته أيام الحرب العالمية الاولى قبل ذلك اللقاء ، وكنت لذلك تواقا الى مقابلته . كان حينذاك شابا ولكن علامات النضج كأنها منقوشة على جبينه . . . ولم أكن حينذاك من أعضاء حزب المؤتمر حتى يتاح لى لقاؤه والتعرف عليه ، فكنت أسعى جاهدا للتعرف به من بعيد ، ثم حين أصبحت عضوا بالحزب وجدت المجال الواسع للتعرف على شخصيته الفذة .

فى كثير من قرارات الحزب وشئونه ورسم سياسته كان خير رفيق وأعز زميل لى باستمرار ، وقليل من الناس من يعرف أنه كانت له اليد الطولى فى كل ما أصدره الحزب من قرارات وآراء رشيدة ، وكانت آراؤه الحرة النيرة دائما ناضجة ذلك لأنه كان وراءها علم غزير وعقل ناضج وتدبير حكيم وفراسة نادرة .

لقد كان له أثره البعيد المدى فى تكوين الشعب تكوينا فكريا نظيفا وتكوينا علميا منظما ولا شك أن التاريخ سيشهد كيف قام بدور عظيم فى خدمة القضايا الوطنية



لبلاده ، ولكننا نحن الذين عرفناه عن قرب قلما ننتظر حكم التاريخ ، فاننا فى غنى عن التاريخ فقد كان لبلادنا وأمتنا قوة راسخة كالجبال . ومع أننا كنا نختلف معه أحيانا ــ وهذا أمر طبيعى ــ الا أننا نشهد بأن آراءه دائما كانت وجيهة رشيدة ما فى ذلك من شك ، ولم يكن من السهل التخلى عنها لأنها كانت صادرة عن رجل أخذ بناصية الماضى والحاضر ، ولأنه كانت له تجارب واعية وعقل يقظ ، كما كان يملك فهما سليما للأمور ودراية بها .. لقد وجد العظماء فى كل مكان وزمان ، **ولكنه كان طرازا وحده فى عظمته ، وسوف لا توجد مثل هذه الشخصية لا فى الهند ولا فى خارجها .**

لقد أدى خدمة كبرى للاسلام والمسلمين حين نادى فى الشعب . ان البلاد الاسلامية لا يمكن أن تحرر من الاستعمار الا اذا حصلت الهند على استقلالها ، لقد كان مجموعة محبوبة من عظمة الماضى وعظمة الحاضر ، وكان يتسم بكل الصفات الأخلاقية الحميدة التي يندر وجودها فى هذا الزمان . ان الانسان يحاول الآن الصعود الى القمر ولكنه مع ذلك يفقد هذه الصفات الانسانية التي كنا نراه نموذجا حيا لها ، وكان فوق ذلك ملتقى ثقافات الغرب والشرق قل نظيره فى هذه الايام . »

وفى كتاب « من السجن الى الرياسة » تحدث نهرو عن الراحل الكريم فقال :

« كان شابا ألمعيا فى الرابعة والعشرين من عمره تلقى علومه الأولى فى جامعة الأزهر بالقاهرة (١) واشتهر ــ وهو بعد فى العقد الثانى من عمره ــ بمعرفته العميقة باللغتين العربية والفارسية الى جانب المامه بالعالم الاسلامي خارج الهند ، وبالحركات الاصلاحية التي كانت آخذة مجراها فيه وبالتطورات الاوربية . »

ومن قبل تحدث عنه الزعيم غاندى فقال :

انه لا يبارى فى العلوم الاسلامية كما كان متبحرا فى اللغة العربية ووطنيته متينة صادقة كايمانه بالاسلام .

واختلف معه غاندى مرة فى رأى من الآراء السياسية ، وطلب منه أن يستقيل من الحزب صباح يوم من الأيام ، ولكنه لم ينقض اليوم حتى جاء غاندى الى اجتماع لأعضاء الحزب ووقف بينهم معتذرا له عما صدر عنه ، وافتتح اعتذاره بهذه الكلمة **« هاكم المذنب يعود تائبا الى مولانا »** .

ودعته « جمعية حماية الاسلام » فى لاهور لالقاء محاضرة عن « الأساس العقلى للاسلام » بعد ما ذاع صيته من كتاباته ، وهو بعد لم يبلغ العشرين فذهب اليها .. وحين رآه أعضاء الجمعية والحاضرون ظنوا أنه نائب عن ذلك الرجل المشهور الذى دعوه ، ليقرأ عليهم المحاضرة .. ثم كانت دهشتهم بالغة حين عرفوا أنه ليس نائبا ، ولكنه الشخص الذى سمعوا عنه ، وقرأوا له وأعجبوا به ، ودعوه لالقاء المحاضرة ، ثم

---

(١) هكذا يقول نهرو وهو خطأ تاريخي مشهور فى الهند، وتكرر هذا كثيرا عند وفاته لكن نهرو وقف فى حفل تأبينه فى البرلمان فى ٢٥ فبراير ١٩٥٨ وصحح هو نفسه هذا الخطأ الذى وقع فيه هو وغيره ، وقال « كنا نعتقد ذلك ولكن الواقع انه ذهب الى مصر زائرا وزار الجامع الأزهر . ولكنه لم يقم فيه للتعليم » وقد لفت نظرى عناية نهرو تصحيح هذا الخطأ أمام البرلمان . ومن قبل نبه الراحل الكريم الى هذا الخطأ الشائع فى حياته وأرجع شيوعه الى أنه عقب عودته من مصر تكلم فى مؤتمر صحفى عن الأزهر وبرامجه حين زاره ١٩٥٨ وهو شاب فاعتقد الكثيرون أنه تعلم فى الازهر ومنهم بعض مؤرخى الهند وزعمائها .

كانت دهشتهم أبلغ ، واعجابهم أشد حين استمعوا اليه ...

دعا الى مقاطعة الحكومة وعدم التعاون معها ، ونظم حركة مقاطعة كلكتا لزيارة ولي عهد انجلترا للهند سنة ١٩٢١ ، فقبضت عليه الحكومة وقدمته الى المحاكمة بتهمة تشهيره بالحكومة ، وفى ساحة المحكمة وقف وألقى مرافعة طويلة عن وجهة نظر الاسلام فى الحكومات المستبدة ، وسرد مواقف علماء المسلمين تجاه هذه الحكومات ، واعلان رأيهم فيها وأعلن رأيه فى صراحة واضحة وجريئة تعد مثلا دائما لكل صاحب رأى وفكرة ، وتعتبر امتدادا لمواقف العلماء الأعلام تجاه الحكام الذين كانوا يرونهم ظالمين .. مرافعة كل كلمة فيها يحسن بنا أن نحفظها وندرسها لأولادنا ليعرفوا منها رأى الاسلام فى الحكم ، ويعرفوا منها دروسا ومواقف رائعة تركها لنا السابقون من رجال الاسلام الأحرار ... أنقل لك ومضات منها هنا تنير وتلمع .. قال يخاطب المحكمة .

ان كانت هذه التصريحات جناية ، فانى معترف بأن قلبى قد اشتغل بها ، ولسانى نطق بها ، وانى أنا الذى صرحت بها أمام عشرات الألوف من الناس .. ليس فى هاتين الخطبتين فقط بل فى خطب أكثر من أن تعد أو تحصى ، بل ما برحت أقول اكبر وأشد منها ، ذلك لأننى أعتقد أن التصريح بها واجب علي ، ولا أزال قائلا بها ما دام لسانى بين أسناني ، وروحى فى جثمانى ، وان لم أفعل أكن ظالما لنفسي وعاصيا عند الله والناس أجمعين .. نعم انى قلت أن هذه الحكومة ظالمة ، وان لم أقل هذا فماذا أقول يا ترى ؟ وأيم الله انى لأعجب كيف يطلب منى أن أسمى الأشياء بغير أسمائها وأن أدعو الاسود بالابيض !! .

ان الظالم لا يستحق أن يبدل اسمه ، ويسمى بغير اسمه ، لأنه يملك القوة والسجون والمشانق . كلا بل أقول كما قال زعيم ايطاليا وبطل حريتها ((مازيني)) قرة عينى فى هذه الجناية .

ويتحدث عن الحرية فيتحدث عنها حديث الحر المسلم فيقول :

انى أعتقد أن الحرية حق طبيعي لكل انسان وكل أمة . فطرة الله التي فطر الناس عليها ، وليس لشخص ما أو حكومة أن تستعبد عباد الله وتتخذهم خدما . وسم الاستعباد والرق بأى اسم شئت ، غير أنه على كل حال استعباد ورق . ومشيئة الله وناموسه يمقتانه . وأننى لأجل هذا لا أعترف بالحكومة الهندية ، بل أعدها حكومة غير شرعية ، لأنها مستبدة طاغية .. أرى واجباتى الدينية والوطنية والانسانية تطالبنى بأن أحرر بنى جلدتى من رقها وعبوديتها الشائنة .

ثم يحلل الاستعمار وما يدعيه من اصلاحات تحليلا منطقيا رائعاً فيقول :

الحكومة الحاضرة حسنة أو قبيحة .. سؤال ثانوى ..

أما السؤال الأساسى فهو : هل وجودها حق وشرعى ؟ .

أنى لأعتقد أن وجودها باعتبار أصل خلقتها غير شرعية لأن نفس وجودها ظلم وشر . ويكفى لقبحها وشناعتها أنها موجودة . نعم ونعترف بحسناتها ــ ان كان لها حسنات ــ ولكن يظل وجودها على كل حال ظلما وغير شرعى ومثاله : لو تسلط أحد على بيتنا وأداره ادارة حسنة وعمل أعمالا صالحة ، فانه بهذه الحسنات لا يصير تسلطه عليه حقا شرعيا ..



ان الشر يصح أن ينعت ويقسم بالكم والكيـف فنقول : كم هو وكيـف هو ؟ ولكن لا يصح نعته وتقسيمه بالحسـن والقبح .. فلا نقول . أحسـن هو أم قبيح ؟ نعم يقال سرقة قبيحة وسرقة أقبح . ولكن لا يقال . سرقة حسـنة ، وسرقة قبيحة . وهكذا الاستبداد ..

ثم يجابه المحكمة بـرأى الاسـلام فى الاستبداد . فيقول :

انى مسلم ، ولأنى مسلم وجب علي أن أندد بالاستبداد وقبحه وأشهر بمساوئه، وليعلم أن الاسـلام لا يقبـل الحكومـة المستبدة لأنه نظام كامل للشورى وحكم الشعب ، وانه جاء ليرد للنوع الانساني حريته المغصـوبة التي اغتصـبها الملوك المسـتبدون والحكومـات الأجنبيـة ، والرؤسـاء الروحانيـون ذوو الأهـواء والرجال الأقـوياء من الجماعـة ، وقد كانوا يعتقدون أن الحق للقوة والتسلط والقهر والغلبة ، ولكن الاسـلام بمجرد ظهوره أعلن أن الحق ليس فى القـوة ، ولا هو القوة ، بل الحق هو الحق وأن ليس لأحد من البشر أن يسـتعبد عباد الله ويذلهم ويسخرهم .

ان الاسلام أعلن حقوق الانسان قبل انقلاب فرنسا بأحد عشر قرنا ، ولم يكن مجرد اعلان بل وضع نظاما عمليا للشورى بالغا فى الكمال منتهاه ..

ثم يقول :

ولعمرى ان المطالبة من مسـلم بأن يسكت عن الحق ، ولا يسمى الظلم ظلما مثل مطالبتـه بأن يتنازل عـن حياتـه الاسلامية .

وفى أواخر مرافعته يقول :

« أن كانت محتويات هاتين الخطبتين لا تلائم الحكومة ، وترانى أستحق العقاب لأجلها فلم لا تعاقبنى على جميع خطبى وهى كلها مثلهما ، بل أشد وطـأة على الاستبداد منهما . بل انى مضطر الى التصريح أمامكم بأنى ارتكبت مثل هذه الجناية مرارا يستحيل عدها ، بل مـا عملت فى السنتين الماضـيتين غير هذه الجناية » .

بهذه الروح الثائرة المؤمنة كان يجابه المحكمة والحكومة الانجليزية ، وفى وقت خرجت فيه انجلترا من الحرب العالميـة الأولى منتصرة ، تزهو بقوتها ، وتفرض ارادتها ، وتتيه بما أحرزته من نصر على ألمانيا وحلفائها ..

ذلك هو مولانا أبو الكلام أزاد

ولد فى مكة سنة ١٨٨٨ م مـن أب هندى مهاجر ومن أم مدنية ، وان كان لم يلبث أن رحـل به والده الى كلكتا بعد عامين من مولده ، واستقر بها ، ودرج الطفل ونشأ فى أحضان والديه ، يعرف العربية منهما ، ثم حين شب حـرص والده التقى المؤمن أن يربيه تربية دينية شأنه شأن المحافظين من المسلمين الذين كانوا ينأون بأبنائهم عن التعلم فى المدارس التي أنشأتها قوى الاستعمار حتى يظلوا على ولائهم لدينهم ووطنهم ..

ولم يلبث الفتى أن أظهر نبوغا مبكرا .. فالتهم العلوم الدينية والعربية ، ثم اتجه الى الثقافة الغربية ينهل منها فجمع سريعا بين الثقافتين ، وقام فى نفسـه عراك بين ما ورثه من علوم قديمة ومـا عرفه من ثقافة حديثـة ، وانتهى بـه المطاف الى أن يتخذ لنفسه منهجا حرا فى التفكير وسمى نفسه لهذا « أزاد » أى الحر شعارا على حرية فكره ...

ولم تزده هذه الحريـة الا التصـاقا بدينه ، وتفانيا فى العمل له ...

وبرز فى شبابه داعيا الى أن يستعيد المسلمون فى الهند أمجاد سلفهم ، ويحرروا أنفسهم من قيود التقليد ، وينزلوا الى ميدان الجهاد من أجل تحرير بلادهم من المستعمرين ...

وطاف بالبلاد العربية ، وهو فى نهاية العقد الثانى ، ووقف على التيارات الفكرية والوطنية فيها ، واتصل برجالاتها وعقد صلات وصداقات فكرية وشخصية معهم ، ثم عاد لوطنه ليبدأ شوطا طويلا وشاقا فى سبيل غايته ، فأنشأ جريدة « الهلال » سنة ١٩١٢ لتكون لسانه فى الدعوة التي نذر نفسه لها .. فكانت ذات منهج جديد وأسلوب فريد ، وروح ثائرة ، أقضت جنوب المستعمرين فأغلقوها ، ولكنه لم يستسلم فأصدر أختها « البلاغ » ولكن الانجليز تعقبوه وتعقبوها فصادروها وصادروا مطابعها واعتقلوه وأودعوه السجن ليقضى فيه مدة الحرب ولا يفرج عنه الا فى نهايتها .

وخرج ليستأنف نشاطه ودعوته .. ويعود الى المعتقل حينا بعد حين ...

وتتقرب اليه الهيآت الوطنية فى الهند ، وتعمل على أن تستفيد من جهوده وشخصيته ، فلا يتأبى عليها ويشاركها جميعا فى جهودها ، حتى تبلور عمله وجهده فى حزب المؤتمر الوطنى ، فيختاره رئيسا له وهو بعد فى سن صغير ، لكن أهله للرياسة نشاطه وجهاده ..

فيصبح هو رأسه المفكر المدبر مع غاندى .. ويختلف أحيانا مع غاندى فى خطة الحزب ومنهجه تجاه الأحداث التى تمر بالهند ، ثم يخرج أخيرا ظافرا بتأييد وجهة نظره .. حتى اذا وضعت الحرب الثانية أوزارها ، واتجه الانجليز لمنح الهند استقلالها أفرجت عنه وعن بعض الزعماء المعتقلين ليتولى المفاوضات باسم الهند ...

وتظل المفاوضات بين الاخفاق والأمل فى النجاح ، ومولانا أزاد هو رأس المفاوضين الهنديين .. حتى تنتهى المفاوضات بالنجاح . وشيء آخر هو تقسيم الهند الذى كان مولانا أزاد يعارضه بكل قواه .. لكنه لم يكن منه مفر فكان التقسيم . وكانت دولتا . الهند وباكستان .. وبقى مولانا أزاد يقود مع غاندى ونهرو الجهود السلمية لتعمير الهند والنهوض بها بعد الاستقلال ، فيتولى رئاسة البرلمان ثم وزارة المعارف المركزية لعموم الهند حتى يوافيه أجله فى صباح السبت ٢٢ فبراير ١٩٥٨ م

ولعلك تدهش اذا علمت أن هذه العظمة السياسية التي بلغ ذروتها ، انما جاءت له عارضة عن طريق ايمانه بدينه وجهاده فى سبيله ، وعمله الدائب لتقرير مفاهيمه الصحيحة فى النفوس ، فقد نشأ نشأة دينية ، وكان لذلك عالما بل اماما من أئمة تجديد الفكر الدينى أو ان شئنا الدقة ، فنقول من أئمة تحرير الفكر الدينى من آثار التقليد والجمود مثله فى الهند مثل جمال الدين الافغانى ومحمد عبده فى البلاد العربية ، حتى اذا تابعت ما يكتبه كل من هؤلاء ويدعون اليه وجدت التشابه القوى بين دعوتهم حتى لكأنهم جميعا يسيرون على خط مرسوم .

لقد كانت له حملات صادقة وعنيفة بقوة المنطق على التقليد ، وذلك عن طريق كتاباته فى مجلتين « الهلال والبلاغ » وعن طريق خطبه وأحاديثه ، وكانت دعواته الى الحرية والجهاد فى سبيلها عن طريق اثارة الروح الدينية فى النفوس حتى نجده يقول فى مرافعته أمام المحكمة بعد أن سرد مواقف المسلمين السابقين ضد الاستبداد . « ان المسلمين أنفسهم مسئولون عن تساط الأجانب عليهم لأنهم فقدوا خصائص الحياة الاسلامية .. وان قلبى ليذوب حزنا وكمدا على وجود أناس من المسلمين فى هذه البلاد يتخذون أربابا من دون الله ، ويعبدون الظلمة جهرا وعلنا .. ولكن سوء حال المسلمين لا يسود ناصية تعاليم الاسلام التي لا تبيح لهم بحال من الأحوال أن يعيشوا عبيدا للأجانب والمستبدين بل توجب عليهم أن يحيوا أحرارا أو يموتوا كراما ،



وليس بينهما سبيل ، وهذا الذى حملنى قبل اليوم باثنتى عشرة سنة على أن أذكر المسلمين فى « الهلال » بأن الجهاد فى سبيل الحرية وبيع الرءوس فى سبيل اعلاء كلمة الحق هو ارثهم الاسلامي القديم الذى ورثوه عن أسلافهم العظام ، وأن دينهم يحثهم بأن عليهم أن يسبقوا جميع أبناء وطنهم فى الجهاد الوطنى .. الخ » .

وفى مكان آخر من مرافعته يقول :

وانى اصرح هنا بأن (الهلال) لم تكن الا دعوة للحرية أو الموت ، وأن ما يعمله المهاتما غاندى الآن من بث الروح الدينية فى النفوس كانت « الهلال » قد فرغت منه سنة ١٩١٤ وأن من المصادفات العجيبة أن المسلمين والهندوس ما قاموا بالحركة الجديدة القوية الا بعد أن حلت فيهم الروحانية الدينية محل المدنية الغربية المادية .

ولقد اتخذ مولانا أزاد من تفسيره للقرآن بعقليته الجديدة المتفتحة طريقا لايقاظ العقول الجامدة والقلوب الخامدة .. فبدأ يكتب تفسيرا للقرآن الكريم أتم منه سبعة عشر جزءا سماه « ترجمان القرآن » ونشره فى ثلاثة مجلدات ثم شغلته أحداث السياسة والجهاد عن اتمامه . وكتب له مقدمة جاء فيها :

مضى لي سبع وعشرون عاما بالتمام والقرآن الكريم كان موضوع مطالعتي ليلا ونهارا . كان يذهب بى الفحص والتفكير وراء سور القرآن وآياتها وكلماتها الى أبعد حدوده وأوسع نواحيه فدقق فكرى سورة سورة ، وحقق نظرى آية آية ، ونقبت دراستي لفظا لفظا ، حتى ليصح لي أن أقول انني قرأت من كل ما يوجد من كتب التفاسير خطية كانت أو غير خطية أكثرها ، فلم تفت فكرى ناحية من نواحى علوم القرآن فى مباحثها ومقالاتها ، واذا كانوا قد قالوا ان من العلم قديما وحديثا فاننى لم أر هذا التقسيم فى نفسي ، فالذى يقال عنه قديم قد ورثته ، أما الجديد ففلقته بعصاى وجعلت لنفسي اليه سبيلا فصار عندى كالقديم علما وخبرة ..

وقد خصص المجلد الأول كله لتفسير سورة الفاتحة أم الكتاب ، ثم كان المجلدان الآخران لما أتم من تفسير ..

ولقد كانت له وقفات فاحصة ومنقبة جديرة بكل تقدير عند بعض القصص القرآنية كقصة أهل الكهف وقصة ذى القرنين وسده الذى أقامه ويأجوج ومأجوج ، وفى هذه القصة الأخيرة يتجلى علم مولانا أزاد وسعة اطلاعه ودقة منطقه ، وهو يحاول الكشف عن شخصية ذى القرنين ، حتى وصل فى النهاية الى رأى فيه دعمه بالتاريخ وبالآثار مقابلا بين ذلك وبين ما جاءت به آيات القرآن فى وصفه . ووصف يأجوج ومأجوج ..

ولعل الله يتيح لي قريبا نشر ما كتبه عن هذه القصة مع ترجمة وافية لهذه الشخصية التي جمعت بين الجهاد الدينى والجهاد السياسى ، وبلغت فى ميدانهما المدى الذى لا يستطيع بلوغه الا العباقرة الموهوبون .. وفاء منا لهذا الرجل الذى شغل كل هذا التاريخ وانطوت حياته دون أن يعرف عنه قراء العربية واخوانه المسلمون ما عرفوه عن تلامذة وزملاء له فى حركة تحرير الهند ..

رحمه الله وطيب ثراه وجزاه عن دينه وأمته خير ما يجزى به العاملين .



والفاعلية ، والدين الكامل كما يقول الأستاذ عبد الهادى أبو ريده - لا بد أن يعبر عن هذا كله . عن المطلق (الله تعالى) فى اطلاقه ، وعن المحدود (الانسان) فى محدوديته وعن العلاقة بينهما ، وهذا التعبير يصلح أحد المقاييس لمعرفة صحة دين ما على وجه الاجمال ، ولمعرفة ما اذا كان هذا الدين يصلح دينا للانسان .

أما المطلق - فبطبيعته - أفعاله كلها اختيار محض ، وقدرته شاملة عامة ، فهو لا يتقيد بقيد ولا يمكن أن يطبق عليه اعتبار من الاعتبارات النسبية التي هى بالاختصار وجهة نظر الانسان المحدود ، أما الانسان فهو مشدود بين أمرين ، بين شعوره بقدرته واستقلاله - وهو بهذا الاعتبار - فاعل حر مختار ، وهو من جهة أخرى مخلوق وجزء من الكون هو فيه فاعل ومنفعل ، وهو بهذا الاعتبار ليس حرا باطلاق . ولذلك لو قال أحد : ان الانسان حر حرية تامة ، لكان مصيبا من جهة ، أعنى من جهة شعور الانسان بارادته وقدرته عندما يتصور نفسه ارادة مستقلة بصرف النظر عن أنواع المقاومة الداخلية والخارجية التي يواجهها عند تنفيذ العمل ، وكذلك لو قال أحد ان الانسان مجبر ، لكان أيضا مصيبا من ناحية ، أعنى من جهة أنه مخلوق وأن أفعاله تتأثر بمؤثرات كثيرة عند تنفيذها ، ولذلك عبر الفلاسفة عن موقف الانسان الوسط هذا بأنه « حر فى عالم من القيود » وبأنه مواطن فى عالمين » وبأنه « مجبور مختار » وبأنه « منزلة بين المنزلتين » . هو حر من حيث أن أفعاله ليست شبيهة بفعل الطبيعة التي هى جبر محض ، وهو مجبور ، من حيث أن أفعاله ليست اختيارا محضا ، كأفعال الله ، بل هو قادر من جهة ومخلوق من جهة أخرى وكونه قادرا يجعله مناطا للتكاليف الشرعيــة التي هى فى مجموعها طلب يستدعى وجود القدرة والحرية والاختيار ، وكونه مخلوقا ، يمنعه من الاستقلال التام بالفعل ، لأنه يستمد من الله وجوده (أولا) وقدرته على الفعل (ثانيا) وبهذا الاعتبار أيضا صح اسناد الفعل الى الله والانسان معا ومن غير تناقض ، فالفعل - كما يقول الامام ابن تيمية وتوما الأكويني - يقع بقدرة الله خلقا وتكوينا ، كما وقعت سائر المخلوقات بقدرته وتكوينه ، وبقدرة العبد سببا ومباشرة .

وخلاصة القول

فان الجبر لا يكون - كما يقول ابن رشد - محضا ، وان الاختيار ، لا يجوز أن يكون مطلقا ، بل الحق التوسط بين هذين الرأيين ، وذلك بأن نقرر بأن أفعال الانسان ليست اختيارية تماما ولا اضطرارية تماما ، وانما تتوقف على عاملين . ارادة حرة ترتبط فى الوقت نفسه بأسباب خارجية تجرى دائما على نمط واحد ، والارادة هذه فى ذاتها عبارة عن شوق يحدث عن تخيل ما أو تصديق شيء ، وهذا التصديق ليس هو لاختيارنا ، بل هو شيء يعرض لنا عن الأمور التي من خارج ، مثال ذلك ، أنه اذا ورد علينا أمر مشتهى من خارج اشتهيناه بالضرورة من غير اختيار فتحركنا اليه ، ولما كانت الأسباب التي من خارج تجرى على نظام محدود وترتيب منضود لا تخل ، وبحسب ما قدرها بارئها عليه ، كانت ارادتنا وأفعالنا لا تتم ولا توجد بالجملة الا بموافقة الأسباب التي من خارج ، فوجب أن تجرى أعمالنا على نظام محدود ، ولا نلفى هذا الارتباط بين أفعالنا والأسباب التي من خارج فقط ، بل بينها وبين الأسباب التي خلقها الله تعالى فى داخل أبداننا ، والنظام المحدود الذى نجده فى الأسباب الداخلية والخارجية ، والتي لا تضطرب ولا تختل ، هو القضاء والقدر الذى كتبه الله تعالى على عباده ، وهذا ما يقرره العلم الحديث أيضا ، الذى لا ينفى حرية الاختيار ، والذى يعترف فى الوقت نفسه بوجود القوانين المطردة الطبيعية .

أما مسألة الشر ووجوده ، وهل هو من ارادة الله ، أم من فعل البشر واكتسابهم ، فمشكلة وقع الارتباك فيها لعدم تفريق المتكلمة - كما يقول الامام ابن تيمية - بين ارادة التشريع ، وارادة القضاء والقدر . فالقسم الأول يتعلق بالطاعات دون المعاصى سواء وقعت أم لم تقع ، والثانى هو ارادة التقدير الشاملة لجميع الكائنات المحيطة بجميع الحوادث ، وقد أراد الله من العالم ما هم فاعلوه بهذا المعنى دون المعنى الأول ، فمن نظر الى الأعمال بهاتين العينين كان بصيرا ، ومن نظر الى القدر دون الشرع ، أو الى الشرع دون القدر كان أعورا .



بلا



للاستاذ حمدى رشيد حنبلي
مدرس التربية وعلم النفس
كلية المعلمين ـ الكويت

بين يدى الموضوع

فى الصالون الموحش الصامت انفردت به .. بينما زوجته فى الغرفة المجاورة تنتحب .. لقد مات ولدهما الوحيد ، والذى لم يأت الا بعد سنوات من العلاج ، ولم يحط بأخ آخر يسليه ، رغم محاولات الطب الدائمة ..

قال لي بصوت منخفض « ... لقد كنت أخاف عليه من كل شيء ... كنت أحوطه بالرعاية ، فلم أتركه يخالط الاطفال الآخرين خوفا عليه من عدوانهم وسوء أخلاقهم، كنت أشفق عليه حتى من ملابسه أحسب لكل شيء ألف حساب . خفت عليه من النوافذ والشرفة ـ ونحن فى الدور الرابع ـ فمنعته بوجودى من أن يظهر عليهما .. وكنت أوصي أمه بذلك فى غيابي ، حاولت أن أهب له الحياة ، عودته على الطاعة وحسن الادب ...

ولكن لكل أجل كتاب . لقد عدت بسيارتي قبل الموعد المعتاد لانصرافي ، لمحته من بعيد متسلقا جدار الشرفة ، وفى أقل من لحظة اختل توازنه وهوى من حالق .. وكان ما قدر له أن يكون ... » .

أجل لكل أجل كتاب .. وانا لله وانا اليه راجعون ... نعم يا أخي ليس لك الآن الا أن تتجمل بالصبر . وتلجا الى الله عساه يفرج كربك ، ويذهب عنك الحزن . وتركته بعد مدة غارقا فى حزنه وفى نفسي كلام له ولأمثاله ....

★ ★ ★

أخي : ـ

لم أكن ساعة زرتك للعزاء بقادر على مصارحتك بشيء .. كنت مشفقا عليك من هول الفاجعة . كدت أقول لك أنك قاتل . نعم لقد كنت سببا فى قتله دون

ان تعلم ، لقد عودته الخوف من كل شيء .. ومنك بالذات ، لأنك القائم على سمام امنه .. منعته من اللعب مع الأطفال ، مع أنه محتاج لذلك حتى يستطيع أن ينمو النمو السليم ، منعته من كل شيء .. بحجة الخوف عليه وعدم الثقة به .. وهو اما أن يطيعك الطاعة العمياء فيعطل طبيعته الانسانية كطفل نام ، أو يتبع ما تحتاجه طبيعته ، فيخرج عن ارادتك .. وعاش ابنك يعاني من الصراع ما بين المطلبين .. ولكنه استجاب لطبيعته .. لعب مع الطفل فى غيابك ، واستحل جميع ما حرمته عليه فى غفلة منك .. واضحى تصرفه متلونا بلون النفاق الذى تمقته انت .. فهو قد اعتاد اظهار الطاعة لأنه يخاف .. فى الوقت الذى كان يضمر فيه العصيان . كان كما تقول فى الشرفة ، وتسلق الجدار . وقد اعتاد أن يفعل ذلك مرارا .. وكان الله يسلم فى كل مرة حتى شاء الله أن ترجع فى غير الموعد الذى اعتدت الرجوع فيه وكان ابنك مستغرقا فى لعبه متمتعا به وفجأة لمح السيارة وهو على حال لا ترضاها أنت .. فخاف ، وهاله صورة موقفه بين يديك وتوقع العقاب المعتاد فى مثل هذه الحالة — والخوف كما تعلم انفعال يربك الانسان ويعوقه عن التفكير . فيترك العقل الحرية للجسد ، لكى يهرب من هذا الموقف الذى لا تحبه عله يفوز بموقف آخر يرضيك ... فتصرف بسرعة هوجاء ، فزلت قدمه التي جذبت بقية الجسد معها ، وكانت المصيبة .

تنشئة الأطفال

مسئولية دينية ذات سمة اجتماعية

ارايت يا اخي ، ان كثيرين منا يقتلون اطفالهم كل يوم الف قتلة بقسوتهم عليهم ، وتخويفهم اياهم .. كم من طفل اضحى نهبا للامراض النفسية ، يخاف حتى من الأطفال الآخرين .

وكم من طفل أضحى نهبا للهواجس النفسية ، فلم يقدر على التوافق الاجتماعي مع من حوله ؟

وترانا — مع الأسف — نبرر سلوكهم هذا بالأدب الجم ، والطاعة والخجل والحياء . وقليل منا من يجرؤ على مصارحة نفسه بحقيقة الأمر . انه الخوف والأزمات النفسية .

اننا كل يوم نلقى الكثير من المشاكل التي نمت معنا منذ نعومة أظفارنا ، اننا احوج ما نكون الى أن نحيا حياة سليمة غير معقدة . ولن يتسنى هذا لأى شاب فى المستقبل الا اذا أسعدناه اليوم . لنشعر اطفالنا بالأمن فلا نروعهم . وليكن كل منا معهم أشبه بالهمس ، فلا صراخ فى وجوههم ولا سباب ، ناهيك عن التعذيب الجسدى الذى نلحقه بهم بالضرب . ان مسئوليتنا نحوهم مسئولية دينية ذات طابع اجتماعي تتعلق بشكل المجتمع المسلم الذى نسعى لتحقيقه .

ولربما يسأل السائل ((ماذا نفعل)) ؟

انتركهم لاهوائهم حتى يضلوا ؟ أم نلزمهم الحق حتى يرشدوا ؟ .

ان كل فرد منا يحب ان يرى ابنه خيرا منه . ويأمل أن يحقق فى شخص طفله ما فشل هو فيه . يريد أن يحول جوانب الضعف فى نفسه الى نقاط قوة فى ذات طفله . وهو يريد أن يحقق كل ذلك بغض النظر عن طبيعة هذا الطفل او مشيئته . وقد نلجأ للاساليب التي تربينا عليها ، معتقدين بأنها خير طرق التربية ، وان الطفل يجب أن يطيع ويخاف والديه ، حتى تتاح لهما فرصة تشكيله ، بالشكل الاجتماعي الذى يؤملونه متناسين قول الرسول صلى الله عليه وسلم



(خلقوا أولادكم بأخلاق غير أخلاقكم فانهم خلقوا لزمان غير زمانكم) .

لا أنكر على الوالدين حقهما فى الايمان بمثل عليا ، اذ ان هذا واجبهما ولكن أرى أن لا يقوم أسلوبهما فى التربية على التخويف والقمع وطلب الطاعة بذاتها .

اننا اذا طلبنا الطاعة كغاية فاننا نفقدها اهميتها ، اذ هي ليست فضيلة بحد ذاتها ولكنها وسيلة لأمور أخرى أكثر منها أهمية . اننا اذا أصررنا على أن يطيعنا أطفالنا طاعة عمياء دائما ، فاننا بذلك نحطم فى نفوسهم القدرة على تحمل المسئولية ، ونغلق امامهم فرص الابداع والابتكار ، وسيكونون سلبيين ينتظرون باستمرار أن يوجهوا الى ما يجب عليهم أن يعملوه ، وسيتركون غيرهم يفكر فى مصيرهم ليساعدهم على حل مشاكلهم . مع أن بالامكان تنمية قواعد راسية فى نفسية الطفل ، فيلتزمها بنفس راضية ويطيعها عن طواعية ورضا ، مقبلا عليها بدافع ذاتي .

قواعد السلوك

تنمية مثل هذه القواعد يساعد على تنمية الطاعة . انالطفل يتعلم منذاللحظة التي ولد فيها ، وهو كلما تطور فى النمو ازداد اكتسابا وتعلما للكثير من الأمور المحيطة به ، ففي طفولته المبكرة ، وقبل أن تنتظم خطواته الأولى ، يستطيع أن يتعلم فعل ما يريد ضمن اطار من القواعد المتعارف عليها ، التي هي جزء من حياتنا الاسلامية ، ودليل من دلائل النضج . أهم هذه القواعد تحديد وقت لتناول الطعام ، وساعة معينة للذهاب للفراش ، ومراعاة النظافة والصحة والمحافظة على سلامة الأبدان والأرواح ، وتقديس العقيدة والشعائر الدينية ، وممارستها والاعتزاز بها ، واحترام وجهات نظر الغير وتحاشي الأخطاء فى الطرق والشرفات وكبح جماح الغضب ، وتقدير مواقف الآخرين ومراعاة مشاعرهم .

اننا اذا تقيدنا بهذه القواعد ، فان الطفل مع مرور الزمن سيمتصها ويهضمها ، ويتقبلها كأمر لازم له ينشأ معه . وليس بطارىء أو مفروض عليه بفعل الخوف ، كما لاحظنا فى حالة مثالنا فى بداية هذا المقال تصبح هذه القواعد أسسا فى بناء شخصيته وجزءا من خلقه وسلوكه مع الناس . ان الرضيع اذا ما خضع للتوقيت المحدد فى وجبات رضاعته منذ البداية ، فانه سيعتاد الشعور والاحساس بالزمن الذى سيقضيه فى شعائره الدينية طيلة حياته (مواقيت الصلاة ، مواقيت الصوم) واذا ما حبا فان الأم مسئولة عن تنظيم أمر غسل يديه المتسختين ووجهه المغبر قبل اطعامه ، وسيفيد ذلك فى الوضوء قبل الصلاة . وهي قادرة على تعويده الذهاب الى الفراش فى ساعة محددة ، وهو لن يقاوم هذه العادة اذا ما كبر ، واحتياطا للامر نسمح له بأن يصطحب العابه معه الى الفراش ، حتى يسلى نفسه ريثما ينام . المهم اعتياد الذهاب للفراش فى وقت محدد .

نعطيه الحرية ليتحسس ويتعرف على الأشياء ، على أن هناك أشياء معينة تضره وعليه أن لا يلمسها ونعلمه اجتنابها بتعليمه كلمة (لا) التي يسهل تعلمها مهما كان الطفل صغيرا .

اذكر طفلا كان يحبو فى فناء بيته ، وأمه ترقبه بعينها من بعيد فصدفته قطعة من الزجاج المكسور فتناولها وأراد أن يضعها فى فمه ، فجاءته أمه على عجل وأخذتها منه وأرجعتها مكانها وهي تقول له (لا) . ولكنه عاد وأخذها فأعادت أمه ما قالت وفعلت فى المرة الأولى ، حتى اذا كانت المرة السادسة تركها وانصرف

عنها ، وبقيت قطعة الزجاج مكانها وحبا اكثر من مرة بجوارها ، ولكنه لم يعد اليها قط .

هذا المثال الحي أعطانا فكرة عن كيفية تعليم طفلنا الطاعة لتجنب السلوك الذى نعتقد انه خطر ، ويحسن تجنبه . فلو ان الام اخذت قطعة الزجاج منه وابعدتها عنه فقط بدون أن تنبهه ، فانه حتما سيجد غيرها عندما تكون هي غير موجودة بجواره لحمايته ، ولربما يبتلعها فتسبب له ما لا يحمد عقباه . ولا ننسى هنا من أن الاسلام يحبذ مراقبة الفرد لنفسه (حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا ..) وتنمية هذه السمة الخلقية تساعد على تثبيت تلك القاعدة . وهذا ينسحب على سلوك الطفل فى بيوت الآخرين حيث عليه أن يتعلم الا يلمس ممتلكاتهم الا اذا سمح له بذلك .

القدوة خير طرق التربية

اذا تمسك الوالدان بالمثل ، وكانت اقوالهم تطابق افعالهم ، فان ذلك يعزز القيم فى نفس الطفل وخاصة وهو محتاج لتعليم القواعد الاساسية قبل الذهاب الى المدرسة فى سن الرابعة (كبر مقتا عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون) . على الوالدين وهما يأخذان بيده فى سلم النمو ان يستعملا اللياقة واللطف مع الحزم فى معاملته . لين بلا ضعف ، وحزم بلا قسوة او عنف . فلا يتراجع عن القواعد الاساسية ولا يتهاون فيها ابدا .. هذا الثبات ــ والاصرار على اتباع القواعد الاساسية للسلوك ــ سيحمى الطفل داخل اطار سلوكى يتضمن الكثير من الحرية التي تدفع الى الابداع الخلاق ، وتحمل المسئولية فى الاختيار وتجربة ألوان النشاط المختلف فى شتى شئون الحياة اليومية . وعلى سبيل المثال نترك له حرية اختيار ملابسه والعابه . وعندما يتطور فى نموه نترك له الحرية فى اختيار اصدقائه ، وترتيب حوائجه مع بعض التوجيه غير المباشر ، وفى نفس الوقت يجب الاحتراس من الامور التي لها مضاعفات خطيرة على شريطة ان لا نحرجه فى مراقبتنا له . اذ علينا ان نتمسك باساس معاملته كشخص مسئول ، كما سيكون فعلا بعد قليل . وان نجاح هذه الطريقة فى التربية يعتمد على اتجاهات الام فعليها ان تلاحظ ما الذى يشغل بال طفلها قبل ان تطلب منه الالتفات اليها ، عليها ان تعرف مقدار استغراقه واهتمامه به . فان ارادت منه ان يتناول طعامه او الذهاب الى فراشه بينما هو مستغرق فى عمل ما ، عليها ان تترك له فسحه من الزمن كافية لانهاء ما هو بصدده ان امكن . عليها ان تنبهه اكثر من مرة لانهائه ، تقدر ان تقول له مثلا : هل ستنتهي الان ؟ حسنا سأرجع لك بعد عشر دقائق لآخذك للفراش .

اذا بسطنا الامور فان ذلك لا يدل على ضعفنا كما يتوهم البعض . بل هو دليل على حسن ادراكنا لها ان كثيرا من الامهات حتى المثاليات منهن ينفذ صبرهن عندما يتلكأ الطفل او يرفض باصرار اوامرهن ، ونحن جميعا بشر لا نعيش دائما فى مستوى افكارنا .

ولنعلم ان الامر اللفظي لا يعني الشيء الكثير بالنسبة للطفل . فحتى السنة الرابعة اذا اردنا من الطفل ان يعمل شيئا ، أو يمتنع عن عمل ما ، فعلينا ان نأخذ بيده ونعلمه ذلك عمليا وندربه عليه عمليا .. وان كانت هذه الطريقة فى التربية متبعة بالنسبة لنا نحن المربيين الا ان نتائجها سريعة ومضمونة .

والطفل بعد ان يتعلم هذه الطريقة يكون باستطاعته ان يتقبل بالاسلوب الشفهي تلقى التعليمات .

دعاء

يـــارب

حينما يقذف الهجير على الأر ... ض ، من الغيظ ، ناره المـواره
فتذوب الظلال في النـار حتى ... لاترى الظل ، أو ترى آثـاره
وترى الكائنات في قبضـة القيـ ... ـظ أسارى .. وما تطيق إساره
وكأن الأشياء توشك أن تشـ ... ـكو إلى القيظ لفحه وأواره
فلأكنْ نسمة تمر خطاهـا ... فوق نار اللظى ، فتطفئ ناره
وسحابا يظلل الأرض حتى ... يهبط الليل مسدلا أستاره

***

حينما تصرخ الأعاصير غضبى ... ثم تعلو رهيبة الأصداء
وتظل الأمطار تهطل حتى ... تشرق الأرض كلها بالماء
ويظل المشردون حيارى ... أغرقتهم غياهب الظلماء
يعبرون الدجى لعل صباحا ... يتلقاهم بدفء الضياء
فلأكن موئلا حصينا يقيهم ... من جنون الطبيعة الرعناء
وضياء يمحو الظلام ، ودفئا ... مستديم السخاء ، ثرّ العطاء

***

حينما يزحف الخريف إلى الرو ... ض ، وينساب الضنى والشحوب
فيموت اخضراره مثلما ما ... ت ضياء النهار عند الغروب
وتظل الأزهار تشكو أساها ... ثم تمضي بها رياح المغيب
ويجف الغدير إلا بقايا ... كبقايا دماء جرح رهيب
فلأكن يارب ربيع روحي ، ربيعا ... يبعث الروح في المكان الجديب
فإذا الأرض خضرة وزهور ... وغدير يروي حنان القلوب

***

للاستاذ ابراهيم محمد نجا
المدرس الاول ـ مدرسة كركوك الثانوية العراق

حينما أبصر الطفولة يومـــا ... وهى تبكى في ذلة وانكســار
فيشب الأسى بقلبي نـــارا ... تتلظى كالعاصف المــــوار
وكأني أرى «علائيٍّ» يبكـــى ... وهو كنزى وفرحتى وفخارى
وكأني أرى « حنانى » تبكـــى ... وهى لحن ينساب في أشــعارى
فلأكن في ظلامها المر فجــرا ... تستقى منه بهجة الأنــــوار
ولأكُن عيدها يطل عليهـــا ... بفنون تغرى قلوب الصغـــار

★★★

حينما يَدْلَهِمُّ ليل الحيـارى ... فيسيرون دون أية غايـــة
لاشعاع يهدى .. ومن أين يأتى ... ـوالدجى مطبق ـ شعاع الهداية؟
وتثور الشكوك مثل الأفاعـــى ... نافثات فيهم سموم الغوايـــة
فيرون الوجود مسرح ظلـــم ... ويرون الحياة أقسى روايـــة
فلأكن ذلك الشعاع الذى يَصْـ ... ـحب خطو الحيران حتى النهاية
فيريه الحياة في كُنْه معنـــا ... ها ضياء ينساب منذ البدايـــة

★★★

حينما تطلق الحروب لظاهـــا ... نحو قلب الحياة والأحيـــاء
وتثور الأحقاد في كل نفــس ... كالأعاصير في ليالى الشــتاء
دون معنى .. إلا لسلب حقــوق ... تحت ستر المبادئ الجوفـــاء
فلأكُن في النفوس دفقه حــب ... تتلاقى بدفقة من إخـــــاء
ولأكُن في العيون سرب حمــام ... يتغنى في الجنة الفيحـــــاء
ولاكُن في الحياة لحن ســلام ... عزفته ملائكٌ في الســـماء

★★★

هكذا فلتكن حيــاتى لخير النـــــاس مثل الضياء .. مثل الهـــواء
هكذا فليكن دعائى نشـــيدا ... أرسلته روحى وراء الفضـــاء
فتقبل منى نشيدى ، وبــــارك ... ماسرى فيه من كريم الدعـــاء
يـــارب

شاعر الوفاء

ابن اللبانة

للاستاذ / محمد ابراهيم الجيوشى
المركز الاسلامى بلندن

يستوقف المرء فى أثناء مطالعاته مواقف تجذبه اليها ، بما حوته من معان انسانية نبيلة ، ومروءة فذة تمضى الأزمان وتبقى هى متلألئة كقطعة الماس بين الرمال ، لا تحيل الايام بهاءها ، ولا ينال الزمن من نفاستها ، وأية عظمة أسمى من خلق الوفاء ، وتحمل المشقات فى سبيله بعد أن تغير الزمن ، وتبدلت الحال فى زمن يجرى الناس فيه وراء أصحاب الجاه والسلطان ، وينسون من كان يملأ أسماع الدنيا بالامس حينما يذهب سلطانه، ويصبح أسير بيت لا يكاد يجد فيه الكفاف ، وهو الذى كانت تغمر عطاياه كل من حوله ، ويقصده المادحون من أقصى الارض ؟

فى هذا الجو تجد رجلا يأسره الوفاء ، وتشده المروءة ، فيعرف لصاحب الفضل السابق أياديه ، ويذكر مجده بعد الافول، ويطوى الارض وراء من كان بالامس ملء سمع الدنيا وبصرها بعد أن صار نزيل الاسر والفقر والحاجة ،فتستوقفنا عظمة نفسه ونبل وفائه ، وتستحق منا التسجيل والاشادة .

أما صاحب ذلك الموقف فهو الشاعر أبو بكر الدانى محمد بن عيسى بن محمد اللخمى المعروف بابن اللبانة الشاعر الاندلسى المشهور من أهل مدينة((دانية)) بالاندلس ،يقول عنه عبد الواحد المراكشى:
« وشعره نبيل المأخذ ، وهو فيه حسن المهيع ، جمع بين سهولة الألفاظ ورشاقتها ، وجودة المعانى ولطافتها » .

كان ابن اللبانة شاعرا صادق الحس، يستمد صوره ومعانيه من طبيعته السمحة ، واحساسه الصادق ، وتجاربه النفسية ، ولهذا يحس القارىء لشعره أنه يترجم خوالج نفسه ، ويصور نوازع أحاسيسه ، ويبدو أن ابن اللبانة كان يملك طاقة شعرية مبدعة فلم يحتج الى تعرف علل الشعر وضروبه ، ولم ير نفسه بحاجة الى أن يضيع الوقت فى تحصيل علومه ، وأقوال الباحثين فى العروض والقافية ، كما يفهم ذلك من قوله .

من كان ينفق من سواد كتابه
فأنا الذى من نور قلبى أنفق

وهو من شعراء القرن الخامس ، وتوفى بجزيرة « ميورقة » ٥٠٧ هـ وهى التى يسميها الجغرافيون المحدثون « جزائر البليار » .

وكان ابن اللبانة من شعراء بنى عباد ، أنشد فيهم عيون قصائده وان كانت مدائحه لهم يشاركه فيها الشعراء الذين كانوا يعيشون فى أكتافهم الا أن ذلك ليس مجال بحثنا انما مجال حديثنا هو شعره فى بنى عباد بعد أن زال ملكهم وضاع سلطانهم ، وأصبح المعتمد بن عباد الملك الشاعر منفيا أسيرا ، هنا نجد ابن اللبانة قد ضرب أروع الأمثلة فى الوفاء الانسانى ، وقد ألف فى أخبار بنى عباد كتابين الاول « الاعتماد فى أخبار بنى عباد » فصل فيه تاريخهم منذ بدأت دولتهم حتى زالت ، والآخر « السلوك فى وعظ الملوك » وهو يضم قصائد ومقطعات يبكى فيها دولتهم وأيامهم .

ويبدو من دراسة القصائد التى توجه بها ابن اللبانة الى المعتمد بن عباد فى أيام محنته ورد المعتمد عليها يبدو أن الصلة بينهما كانت أكثر من صلة بين ملك وشاعر ، فقد كانت صلة يقوى أواصرها صداقة وتقدير ومعرفة كل منهما بمكانة صاحبه الادبية ، وفهمه لأغراض الشعر وسموه ، وهذه الصلة لم تتبين معالمها الا بعد محنة المعتمد ، وأول ما ظهر من ذلك حينما استولى أصحاب ابن تاشفين على ملك المعتمد ابن عباد ، وساقوه هو واهله ، ووضعوا القيود فى رجليه ويديه ، ورحلوهم الى مراكش ، والناس قد اجتمعوا على ضفتى الوادى يبكونهم ، ويشيعون مجدهم الزائل ، أهاج هذا المنظر المؤسف عاطفة ابن اللبانة فاندفع فى تأثير يرثيهم ، ويبكى مجدهم الضائع فى قصيدته المشهورة التى يقول فيها .

تبكى السماء بدمع رائح غادى
على البهاليل من آل عباد
على الجبال التى هدت قواعدها
وكانت الارض منهم ذات أوتاد
يا ضيف أقفر بيت المكرمات فخذ
فى ضم رحلك واجمع فضلة الزاد
ويا مؤمل واديهم ليسكنه
خف القطين وجف الزرع بالوادى
نسيت الا غداة النهر كونهم
فى المنشآت كأموات بألحاد
والناس قد ملأوا العبرين واعتبروا
من لؤلؤ طافيات فوق أزباد
حان الوداع فضجت كل صارخة
وصارخ من مفداة ومن فاد
سارت سفائنهم والنوح يتبعها
كأنها ابل يحدو بها الحادى

ولما استقر بالمعتمد المقام فى «أغمات» رحل ابن اللبانة اليه ، يدفعه الوفاء ، ويحدوه الاعتراف بالجميل لرجل أحسن اليه يوم كانت الدنيا طوع بنانه ، ثم هو اليوم أسير لا يبرح مكانه ، مغللة يداه بالقيود تذكر ابن اللبانة ما كان فيه المعتمد من مجد ، ثم ما آلت اليه حاله ، ففاضت نفسه بقصيدة باكية يقول عنها الفتح بن خاقان « ندبه بكل مقال يلهب الاكباد ،ويثير فيها لوعة الحارث بن عباد، أبدع من أناشيد معبد ، وأصدع للكبد من مراثى أربد ، أو بكاء ذى الرمة بالمربد ، سلك فيها للاختفاء طريقا لاحبا ، وغدا فيها لذيول الوفاء ساحبا » ومنها.

لكل شىء من الأشياء ميقات
وللمنى من منائيهن غايات
والدهر فى صبغة الحرباء منغمس
ألوان حلته فيها استحالات
انفض يديك من الدنيا وساكنها
فالأرض قد أقفرت والناس قد ماتوا
وقل لعالمها الأرضى قد كتمت
سريرة العالم العلوى أغمات
من كان بين الندى والبأس أنصله
هندية وعطاياه هنيدات
رماه من حيث لم تستره سابغة
دهر مصيباته نبل مصيبات
وكان ملء عيان العين تبصره
وللأمانى فى مرآه مرآة
أنكرت الا التواءات القيود به
وكيف تنكر فى الروضات حيات
لهفى على آل عباد فانهم
أهلة مالها فى الافق هالات

ويبدو أن هذه الزيارة قد تكررت من ابن اللبانةالى المعتمدفى « أغمات » فيروى المراكشى أنه ورد عليه فى أغمات ملتزما عهد الوفاء ، قاضيا ما يجب عليه من شكر النعمى ، فسر المعتمد بوروده ، فلما أزمع ابن اللبانة على السفر ، استنفذ المعتمد وسعه ، ووجه اليه بعشرين مثقالا وثوبين وكتب اليه معها .

اليك النزر من كف الاسير
فان تقبل تكن عين الشكور
تقبل ما يذوب له حياء
وان عذرته حالات الفقير
ولا تغضب لخطب غض منه
أليس الخسف ملتزم البدور
ورج لجبرة عقبي نداه
فكم جبرت يداه من كسير
وكم أعلت علاه من حضيض
وكم حطت ظباه من أمير
وكم من منبر حنت اليه
أعالى مرتقاه ، ومن سرير
زمان تزاحفت عن جانبيه
جياد الخيل بالموت المبير
فقد نظرت اليه عيون نحس
مضت منه بمعدوم النظير
نحوس كن فى عقبى سعود
كذاك تدور أقدار القدير
وكم أحظى رضاه من حظى
وكم شهرت علاه من شهير

الا أن ابن اللبانة اعتذر عن قبول ما أرسل به اليه وأعاده اليه مع القصيدة التالية

سقطت من الوفاء على خبير
فذرنى والذى لك فى ضميرى
تركت هواك وهو شقيق دينى
لئن شقت بـرودى عن غدورى
ولا كنت الطليق من الرزايا
لئن أصبحت أجحف بالاسير
أسير ولا أصير الى اغتنام
معاذ الله من سوءالمصير
اذا ما الشكر كان وان تناهى
على نعمى فما فضل الشكور ؟
جذيمة أنت والايام خانت
وما أنا من يقصر عن قصير
أنا أدرى بفضلك منك أنى
لبست الظل منه فى الحرور
غنى النفس أنت وان ألحت
على كفيك حالات الفقير
أحدث منك عن نبع غريب
تفتح عن جنى زهر نضير
وأعجب منك أنك فى ظلام
وترفع للعفاة منار نور
رويدك سوف توسعنى سرورا
اذا عاد ارتقاوك للسرير
وسوف تحلنى رتب المعالى
غداة تحل فى تلك القصور
تزيد على ابن مروان عطاء
بها وأنيف ثم على جرير
تأهب أن تعود الى طلوع
فليس الخسف ملتزم البدور

وأنت ترى من أبيات القصيدة أن ابن اللبانة يبرز الدافع الذى ساقه الى المخاطرة بهذه الزيارة المحفوفة بالمكارهفى هذه الظروف القاسية الى المعتمد ، **وان الدافع اليها هو الوفاء الذى يطوقعنقه** نحو ذلك الملك الاديب الذى قلب له الدهر ظهر المجن وانصرف عنه طلاب الغنائم والعطايا ، وما كان لرجل هذه دوافعه يسمح لنفسه أن يرزأ صاحبه فى ماله ، وأن ياخذ ثمنا لوفائه ، ويحاول **أن يؤكد للملك الاسير أنه يحيا فى ظلال** أياديه وأن الايام ان كانت قد حالت بين يديه عادتها من العطاء الجزل ، فان الامل يعمر جوانحه بانالايام ستكفر عنجنايتها حين يعود الى المعتمد مجده ، وأنه سوف يوسعه من عطاياه ، وليس ما هو فيهالا حالة طارئة قريب زوالها كالقمر حينما يعتريه الخسوف الى حين ثم يزول كابوسه ، ويعود للقمر اشراقه وضياوه وحينئذ سيكون ابن اللبانة فى محل يتيه به على الآخرين .

وما اجملما ختم بهابن اللبانةقصيدته حين بث الامل فى نفس المعتمد ، وتخيل المستقبل يشرق عليه وان لم تحققالأيام ما تمنى — حين قال .

تأهب أن تعود الى طلوع
فليس الخسف ملتزم البدور

ولكن المعتمد يرد عليه بمقطوعة يضمنها احساسه نحو ابن اللبانة وأنه احساس متداخل بين اللوم والشكر ، ولكنه يقدر لابن اللبانة وفاءه ، وان كان لسان حاله يقول « أنا الغريق فما خوفي من البلل » والحق أن هذه الابيات الخمسة زاخرة بالمعاني مشحونة بالاحساس المتدفق والعواطف المتزاحمة .

رد برى بغيا على وبرا
وجفا فاستحق لوما وشكرا
حاط نزرى اذ خاف تأكيد ضرى
فاستحق الجفاء اذ حاط نزرا
فاذا ما طويت فى البعض حمدا
عاد لومى فى البعض سرا وجهرا
يا أبا بكر الغريب وفاء
لا عدمناك فى المغارب ذخرا
أى نفع يجدى احتياط شفيق
مت ضرا فكيف أرهب ضرا ؟

فيجيب ابن اللبانة بقصيدة يؤكد فيها وفاءه، ويتمنى أن تكون له قوة يستطيع بها ان يعبر عن وفائه بأمر يدبره، لانه تعلم المروءة منه ، وهو يرى أن ظفره بأبيات المعتمد أسمى أنواع الصلات وأنه الدر فكيف يطلب التبر بعد ما حصل على الدر من أبياته واليك بعضها .

أيها الماجد السميدع عذرا
صرفي البر انما كان برا
ليت لى قوة أو آوى لركن
فترى للوفاء منى سرا
أنت علمتنى السيادة حتى
ناهضت همتى الكواكب قدرا
ربحت صفقة أزيل برودا
عن اديمى بها وألبس فخرا
وكفانى كلامك الرطب نيلا
كيف ألفى درا وأطلب تبرا
لم تمت انما المكارم ماتت
لا سقى الله بعدك الارض قطرا

ويمر ابن اللبانة بفخر الدولة ابن المعتمد وكان أبوه قد أعده ليتولى الامر من بعده ، وجعله ولى عهده ، فاعجلته الأيام عن مقصده ، وتبدل الحال بفخر الدولة بعد ضياع الملك من أبيه، فلم يجد له بابا يرتزق منه ، ويستعين به على مطالب الحياة سوى أن يبحث عن عمل **يؤديه ، او صنعه يتقنها ، فنزل الى سوق** الصناع ،وتعلم الصياغة، وأصبح كل يوم يجلس فى الحانوت ينفخ الكير ويشعل الفحم ، ويصنع الحلى ، ويراه ابن اللبانة على هذه الحالة فيشتعل قلبه من الاسى وتبتدر دموعه وتجيش خواطره وانفعالاته من هذا المنظر الذى رآه ، ويقارن بين ما هو عليه ،وما كان مؤملا له فينشد قصيدة يودعها أحاسيسه ، وهى قصيدة نابضة تحس وأنت تقرها بما كان يضطرم فى قلب ابن اللبانة من الحسرة ، وما يعتصر فؤاده من الاسى ، واليك بعض أبياتها .

أذكى القلوب أسى، أبكى العيون دما
خطب وجدناك فيه يشبه العدما
أفراد عقد المنى منا قد انتثرت
وعقد عروتنا الوثقى قد انفصما
شكاتنا فيك يافخر الهدى عظمت
والرزء يعظم فيمن قدره عظما
طوقت من نائبات الدهر مخنقة
ضاقت عليك ، وكم طوقتنا نعما
وعاد كونك فى دكان قارعة
من بعد ماكنت فى قصر حكى ارما
صرفت فى آلة الصواغ أنملة
لم تدر الا الندى والسيف والقلما
يد عهدتك للتقبيل تبسطها
فتستقل الثريا أن تكون فما
يا صائغا كانت العليا تصاغ له
حليا وكان عليه الحلى منتظما
للنفخ فى الصور هول ماحكاه سوى
هول رأيناك فيه تنفخ الفحما
ما حطك الدهر لما حط من شرف
ولا تحيف من أخلاقك الكرما

وبعد فهذا موقف شاعر آثر الوفاء وعرف للمروءة قدر ها فلم يأل جهدا فى القيام بحقوقهما ، ولم يبال أى مكروه يتعرض له بسببهما فاستحق منا الاشادة وحق للتاريخ أن يسجل موقفه النبيل ، وللاجيال أن تذكره فيمن تذكر من أهل الوفاء .

رحم الله ابن اللبانة وجازاه عن وفائه خير الجزاء .

الهجرة

والاسلام بأمريكا

للدكتور / محمد عبد الرؤوف
مدير المؤسسة الاسلامية فى نيويورك

جاء الاسلام الى امريكا عن طريقين ، طريق الهجرة وطريق نشر الدعوة ، ونعقد هذا الفصل للحديث عن الطريق الاول، ونخصص المقال التالى للحديث عن انتشار الاسلام فى امريكا عن طريق الدعوة وعن الحركات الاسلامية المختلفة ان شاء الله .

لقد وصل « كرستوفر كولمبوس » الى ساحل امريكا فى نهاية القرن الخامس عشر ، وان كان قد مات دون أن يدرى انه اكتشف قارة جديدة، او عالما جديدا، ولما علم الناس بحقيقة هذا العالم الجديد وسمعوا عن ثرواته العظيمة ، وامكانياته الطائلة، بدأوا يهاجرون اليه ويستعمرونه، وخاصة من بلاد غرب أوربا ، وامتدت هذه الهجرة ابان القرن السادس عشر والسابع عشر والثامن عشر والتاسع

عشر والقرن الحالى . ونشأ عن هـذه الهجرات قيام دول واحداث تاريخية هامة لا يتسع المقام لتفصيلها هنا .

وكان اهم الدول التى قامت فى امريكا الشمالية دولة الولايات المتحدة التـى تتكون الان من خمسين ولاية ، لكل ولاية منها حكومة مستقلة داخليا ، ولهـا عاصمتها وميـزانيتها ، ولـكن هـذه الولايات كلها تشترك فى اتحاد عام لـه حكومة اتحادية مقرها حـاليا مدينـة « واشنطون » ، واهم الولايات ولايـة « نيويورك » ، واهم المدن جميعا مدينة « نيويورك » مركز الاقتصاد العالمى ، ومقر هيئة الامم المتحـدة .

ولقد كان للعرب والمسلمين حظ فى هذه الهجـرة ، ونصيب من هـذه الاكتشافات ، فقد وجدت امارات تدل على ان بعض الحضـارات الامـريكية القديمة السابقة على رحلـة كولمبـوس المشار اليها ، كانت على صلات قديمة مع العرب ، كما كتب الجغرافيون العرب عن رحلات بحرية عبر « بحر الظلمات » وهو المحيط الاطلسى ، ووصل بعضهم الـى بعض البلاد المعروفة الان على شواطىء امريكا ، قبل رحلة كولمبوس بعدد من مئات السنين ، وهذه الرحلات القديمة ، والصلات العربية بالحضارات الامريكية السابقة على اكتشاف الغرب للعالـم الجديد تكون دراسة شيقة ممتعة لعلنا نستطيع ان نعقد لها فصلا خاصا فيمـا بعد ان شاء الله . والذى يعنينا هنـا هو حظ المسلمين من الهجرة ، وصـلة الاسلام بأمريكا ابان القـرون الاربعـة والنصف الاخيرة .

لقد كان اتصال الاسلام بأمريكا منذ بدأت الهجـرة الاوربيـة اليها امـرا مستمرا ، وان لم يكن بشكل يؤدى الى قيام منظمات او هيئات اسلامية خاصة. ففى القرن السادس عشر نسمع عن مصرى اسمه « ناصر الديـن » كـان يعيش بمدينة « نيويورك » ، وكان يدعى انه من بيت ملكى ، لذا كان يلقب نفسه بالامير ناصر الدين (١) ، ويبدو انه كان ذا شخصية قوية اكسـبته الاحتـرام والتقدير ، ومما يروى ان هولنديا تحداه وراهنه على ان يدفع له الف قطعة من الذهب اذا هو استطاع ان يظفر بابنة رئيس القبيلة (من قبائل الهنود الحمر) وكانت جميلة فاتنة تسمى « لوتوانا » ، وقد نجح الامير ناصر الدين فى ان يكسب صداقة شيخ القبيلة ووده ، ولكنه لـما فاتحه فى خطبة كريمته اعتذر لانها كانت قد حجزت لاحد ابناء هذه القبيلة التى كانت تسمى « قبيلة موهوك » وكان رأسها والد هذه الفتاة يسمى « شورد اكان » . فعز ذلك على ناصر الدين ، ولم يحتمل الصدمة حيث كان قلبـه قد امتلأ بحب الفتاة فبيت للقضاء على حياتها وناولها سما ليلـة زفافـها ، فقبض عليه وقتل حرقا .

وفى القرن السابع عشر نسمع عن شخصية تسمى « محمد بن غانم » الذى كـان ماهـرا فى المدفعيـة ، ثـم نسمع عـن عائلة تسمى « عائلـة وهاب » او عبد الوهاب ، ولهم قرية تبعد ٣٠ ميلا من ساحل « كارولينـا » الشمالية تسمى « قرية وهاب » ، وقد ثبت ان

---

(١) لعله كان من المماليك ، وفر عقب الفتح العثمانى لمصر عام ١٥١٧ الى هذا العالم الجديد الـذى بدأ الناس يسمعون عنه ليعيش مع هذه القبيلة المشهورة من الهنود الحمر .



اصل هذه الاسرة عربى اسلامى ، وكان مؤسسها قد حضر فى منتصف القرن السادس عشر لنشر الدين الاسلامى بأمريكا ، فتحطمت به سفينته خارج شاطىء « كارولينا » ثم استقر هناك حيث اعجبه سحر الطبيعة وجمالها .

ثم اننا لا ننسى ان الشحنات البشرية التى جلبت من افريقيا **للخدمة والعمل فى الاراضى الزراعية قد اشتملت على** عدد من المسلمين ، وان لم يتسطع اكثر هؤلاء اقامة شعائرهم ، بل اكرهوا على قبول دين سادتهم والتسمى بأسمائهم . ونقرأ فى بعض السجلات انه بين شحنات الرقيق التى جلبت عام ١٧٣٣ عدد من العرب الذين ابوا الا ان يستمسكوا بدينهم ، رغم القسوة ووسائل الاكراه والعنف . فجلب موقفهم العطف عليهم من جانب البعض فحرروهم وساعدوا على اعادتهم الى اوطانهم .

وفى القرن الثامن عشر نجد ان « مجلس النواب » فى « كارولينا » يوافق على ان يحاكم المسلمون من رعايا امير مراكش تبعا لقانون الولاية العام كسائر المواطنين الاوربيين ، لا تبعا للقانون الخاص بالزنوج ، كان هذا عام ١٧٩٠ . وقبل ذلك اى عام ١٧٧٣ كانت حكومة مراكش قد اعترفت باستقلال الولايات الامريكية الشمالية ، عقب الثورة المشهودة ضد الحكم البريطانى . وقد اعقبت هذه الثورة حركات دينية وجدل عنيف حول حق حرية العبادة للكاثوليك واليهود واتباع محمد (اى المسلمين) مما يدل على وجود عدد من المسلمين فى ذلك الوقت يبرر ذكرهم فى مثل هذا الجدل .

وفى بداية القرن التاسع عشر نسمع عن رقيق عربى يسمى «عمر بن سعيد» كان يعمل فى احد حقول القطن فى « كارولينا الشمالية » عام ١٨٠٧ اى قبل منع استيراد الرقيق بعام واحد . وقد اعجب سيده بثقافته العالية فأعتقه وعامله كعضو من اسرته . وكان يكتشف اسلام الرقيق بسماعه بعض الكلمات الاسلامية المشهورة منه كلفظ « الله و محمد » او الامتناع عن تناول المسكر او لحم الخنزير .

كما تدل الاحصاءات عن الكابين بين العامين ١٨١٩ و ١٨٦٠ على وجود عدد من الاتراك المصريين والعرب والمراكشيين .

وفى عام ١٨٤٠ حضر الى ميناء « نيويورك » شخصية عربية ممتازة احدثت ضجة واهتماما تسمى « احمد ابن نعمان » ، على ظهر سفينته المسماة « السلطانة » ، فى رحلة تجارية تهدف الى عقد معاهدات تجارية باسم سلطان ، « زنجبار » ، وقد اثار احمد هذا ومن معه من البحارة العرب اهتمام سكان « نيويورك » الذين اكرموا وفادته طوال شهور اقامته ، ورسمه احد الفنانين المواطنين اعجابا بزيه وهيبة طلعته .

وفى عام ١٨٥٦ استوردت حكومة الولايات المتحدة شحنة من الجمال العربية لاستخدامها فى الجنوب الغربى الذى تشبه أرضه ارض صحراء الجزيرة، وكانت هذه الشحنة تتكون من ٣٣ جملا

معهم ثلاثة من الجمالة على رأسهم « الحاج على » . ووصلت شحنة اخرى قدرها ٤٤ جملا فى العام التالى ، وقد صرف النظر عن فكرة استخدام الجمل بسبب قيام الحرب الاهلية الامريكية عام ١٨٦١ ولكن بقى الحاج على ونجح فى عدد من الاعمال ، ومختلف انواع النشاط ، فلقى احتراما عظيما فى امريكا ، واطلق عليه الناس « هاى جولى » تحريفا لكلمتى « الحاج على » ولما مات فى ١٦ اكتوبر ١٩٠٢ عن عمر طوله ٧٣ عاما اقيم على قبره مقصورة حيث دفن فى ولاية « اريزونا » عليها لوحة تثنى على خدماته للولايات المتحدة، ونصب جمل على أعلى ضريحه الذى بنى على شكل هرمى ولا يزال يزار حتى الان .

وهكذا يبدو لنا من هذا العرض السريع انه منذ اكتشفت بلاد امريكا فى نهاية القرن الخامس عشر ، وبدأ عمرانها عن طريق الهجرة من بلاد غرب اوربا كانت شمس الاسلام تطل دائما على « العالم الجديد » ، وان لم يكن المسلمون من الكثرة بحيث يتركون اثرا ملموسا واضحا به .

فلما انتصف القرن التاسع عشربدأت امواج الهجرة تتتابع على امريكا لا من غرب اوربا فحسب بل من بلاد شرق اوربا ومن بلاد الشرق الاوسط والشرق الاقصى ، وكانت الافواج القادمة من هذه الجهات تشتمل على اعداد كبيرة من المسلمين. وساعد على هذه الهجرات ما سمعه الناس عما بأمريكا من ثروات وخيرات ، وكان تقدم صناعة السفن التجارية مما شجع كثيرا من المغامرين ، ويسر لهم عبور البحار الى العالم الجديد فى سبيل طلب الرزق وكسب العيش ، وكان من اهم هذه الافواج القادمون من البلاد العربية وخاصة من بلاد الشام وفلسطين ، وكان اكثر افواج الهجرة العربية فى أواخر القرن الماضى من المسيحيين (وينسب بعض الكتاب ذلك الى سوء معاملة النصارى فى بلاد الاسلام ، وهذا افتراء عجيب . أفلا تزال الملايين من الاقليات المسيحية تعيش فى ظل حكومات اسلامية لا تشكو مما يزعمه هؤلاء ؟) ولعل السبب فى ذلك هو ان الحكومة التركية التى كانت تسيطر على العالم العربى فى ذلك الوقت كانت تضع العراقيل امام الراغبين فى السفر من المسلمين ، وكانت تعتبر ذلك فرارا من الخدمة العسكرية التى لم تكن مفروضة على غير المسلمين من رعاياها . اما الافواج العربية الوافدة بعد فى بداية القرن الحالى (العشرين) فكانت تشتمل على عدد كبير من المسلمين بينهم غير قليل ممن قصد الفرار من الخدمة العسكرية اثناء الحرب العظمى . وعلى كل حال فقد تيسرت الامور للمهاجرين العرب فى وطنهم الجديد وظفر غير القليل منهم بحظ وافر من النجاح والجاه ، وقامت نهضة ادبية بديعة رائعة يطلق عليها « ادب المهجر » . وقد تواصلت هجرة العرب الى البلاد وخاصة عقب قيام اسرائيل المزعومة فولى بعض اللاجئين وجههم شطر العالم الجديد . ويقدر عدد المسلمين من العرب بنحو ثلاثين الف نسمة .

وكما ازدادت افواج الهجرة من البلاد العربية فى النصف الاخير من القرن الماضى ، وفى بداية القرن الحالى فقد قارنتها موجات من الهند واندونيسيا وايران ، ثم من الباكستان وتركيا التى



توافدت على امريكا الشمالية ، كما ان الفاء الرق فى وسط القرن الماضى حدا ببريطانيا الى جلب الايدى العاملة من الهند فى اعداد كبيرة الى مستعمراتها المعروفة بجزر الهند الغربية الواقعة بالبحر الكريبى والمواجهة لساحل امريكا الشرقى ، وذلك مثل « ترينداد » و « غيانا البريطانية » ، كما جلبت هولندا الايدى العاملة من اندونيسيا الى « غيانا الهولندية » ، وكان بين هذه الجاليات القادمة الى البحر الكريبى عدد كبير من المسلمين الذين اعتزوا بدينهم ، وحافظوا على تعاليمه وانشأوا المساجد والمدارس الاسلامية .

ويحتل بعضهم الان مناصب كبيرة من بينها مناصب وزارية ، كما ان عددا من المهاجرين العرب اتجهوا الى « فنزويلا » بأمريكا الجنوبية ، ويقدر عدد المسلمين هناك بنحو ٤٥ الف نسمة ، أما عدد المسلمين فى البحر الكريبى فيقدرون بنحو ٨٠ الف نسمة فى «غيانا الهولندية» و ٦٥ الفا فى « غيانا البريطانية » و ٦٠ ألفا فى « ترينداد » .

اما الهجرة من بلاد شرق اوربا فقد كانت الاسباب السياسية اكبر عامل ادى اليها ، فدفع ذلك المسلمين الى ان يفروا بدينهم الى حيث يمكنهم اداء شعائرهم الدينية فى حرية وامان ، وقد بدأت هجرتهم فى نهاية القرن التاسع عشر ، واستمرت فى بداية القرن الحالى، ثم ازدادت بقيام الحركة البلشفية فى روسيا ثم ازدادت بشكل واضح بعد الحرب العالمية الثانية والانقلابات الشيوعية فى عدد من بلاد شرق اوربا .

لذا نرى هنا جاليات اسلامية عديدة من تتار وقوقازيين وألبانيين ويوغسلافيين وسرقازبانيين ، وهكذا ادت الهجرة الى وجود خليط بشرى اسلامى عظيم فى امريكا الشمالية ، يبلغ عددهم مائة الف او يزيدون ، يتركزون فى المدن التجارية والصناعية الكبرى مثل « نيويورك » و « ودترويت » و « شيكاغو » و « لوس انجلوس » « وسان فرنسسكو » وان كان يوجد منهم عائلات متفرقة فى شتى المدن والعواصم (١) .

واكبر هذه الجاليات على الاطلاق يوجد بمدينة نيويورك . ومنذ كثر المهاجرون بدأوا يفكرون فى اقامة منظمات ونواد ، حيث يجتمعون فى جو يذكرهم بأوطانهم ، ويتيسر لهم فيه اداء شعائرهم ، والاحتفال بمناسباتهم الدينية والوطنية مما سنتحدث عنه فى فصل خاص ان شاء الله .

---

(١) قصدنا فى حديثنا عن الهجرة الى امريكا هؤلاء الوافدين بقصد الاقامة الطويلة او الدائمة ، والا فهناك ايضا الوافدون فى اقامة مؤقتة لمهام دراسية او حكومية ، ففى جامعات امريكا من الطلاب المسلمين ما يقرب من عشرين الف طالب بينهم خمسمائة طالب من دولة الكويت وحدها . كما يوجد عدد من الدبلوماسيين فى سفارات البلاد الاسلامية لدى هيئة الامم المتحدة بنيويورك ، ولدى حكومة الولايات المتحدة الامريكية بواشنطون وكذلك بشتى القنصليات فى نيويورك . كما يوجد عدد كبير ممن يعملون فى المكاتب السياسية ومكاتب الاستعلامات والمكاتب التجارية وشركات السفر والسياحة وغيرها القادمين من البلاد الاسلامية .



ويبدو أن السبب : هو ضخامة الجزيرة ومناعة حصونها ، وقوة حاميتها ، مع صغر الحملات الاسلامية المسيرة اليها ، ثم طبيعة هذه الغزوات نفسها ، اذ أنها لم تكن فى الغالب ذات صبغة رسمية ، وانما بعث بها ولاة ، أو قامت بها جموع على مسئوليتهم الخاصة ولحسابهم ، تحفزهم روح الجهاد ضد أعداء الدين ، ويغريهم ما ترامى الى أسماعهم ، أو خبروه عن ثروة الجزيرة ، ومبلغ غناها .

يضاف الى ذلك عدم استقرار الأمر فى شمالي افريقية ، لقيام الثورات والفتن فى أنحائها ، حيث أن البربر لم تهدأ ثائرتهم أبدا ، وكلما وجدوا فرصة للانقضاض انتهزوها .

غير أن هذه الغزوات قد ساعدت على تعرف معالم الجزيرة ، وحال سكانها من ضعف وقوة ، فكانت الحملات الرسمية فيما بعد بمثابة أعمال كشفية ، وان لم يكن ذلك فى حسابهم على ما نعتقد .

* * *

ومع ذلك فلم ينقض زمن طويل حتى استعد المسلمون لغزو جزيرة صقلية ، وعزموا على فتحها والاقامة فيها ، فقد بلغت الاساطيل الاسلامية فى أوائل القرن الثالث الهجرى (التاسع الميلادى) فى افريقية والأندلس مبلغا من القوة والاستعداد لم تبلغه من قبل ، وعنيت حكومة الأغالبة فى افريقية (تونس) بالأسطول عناية كبيرة حماية لشواطئها من عدوان البيزنطيين والفرنجة (1) .

وكان الأغالبة فى الواقع يسيطرون من تونس على المياه الوسطى للبحر الأبيض المتوسط — وهى التي تضطرم اليوم بمنافسات الدول البحرية الكبرى — وكانت أساطيلهم القوية تجوس خلال هذه المياه فيما بين شواطىء افريقية ، وايطاليا ، وفرنسا ، وحتى سردانية ، وقوصرة من جزر هذا البحر ، وتثخن فى شواطئها .

وكانت صقلية عروس البحر اذ ذاك ، لمركزها الممتاز ، وضخامتها ، وغناها الوافر تبدو لهم غنيمة قيمة سهلةالمنال، فكانت مطمح أنظارهم ، ومرتقب آمالهم ، يتحينون الفرص لاقتناصها وامتلاكها ، فلما حانت الفرصة المناسبة ، وأنسوا من أنفسهم القدرة ، اقتحموا عليها البحر ، وانتزعوها من أيدى أباطرة الرومان بين عشية وضحاها ، بعد أن جاهد المسلمون الأوائل فى سبيل أخذها مائة عام سويا .

أما كيف افتتحها المسلمون ؟ وما أسباب ذلك ؟ فهذا ما سنعرض له باذن الله فى مقال آخر .

---

(1) مقدمة ابن خلدون ص ٢٧٧ — ٢٧٩ . وقد أوضح نشوء فكرة الغزو البحرى عند المسلمين ، ومبلغ عنايتهم بالأساطيل «حتى عظمت صولتهم وسلطانهم فى بحر الروم (الأبيض المتوسط) فلم يكن للأمم النصرانية قبل بأساطيلهم بشىء من جوانبه ، وامتطوا ظهره للفتح سائر أيامهم ، فكانت لهم المقامات المعلومة من الفتح والغنائم » .

شيء

قصة عن فلسفة السلوك المعاصر

كنت في قطار الليل منطلقا الى الجنوب ، ورحت من خلال نافذة عربة النوم أتابع انعكاسات نور القمر الفضى على القرى ومياه الحقول ، كان الكوكب المضيء يبدو فى عليائه كرقيب أمين وقور على البشرية التي تتهيأ لنعاس الليل ، ودق ناقوس عربة الأكل فى القطار يدعو الراغبين الى العشاء وقمت اليها مع من قام ..

كان أكثر المسافرين من السائحين الأجانب ، وكان أكثرهم يحب أن يشرب حتى يترنح ، ان الشرب عند بعض الناس قرين المتعة وزميل الغربة ، وظل الى القرب منى شاب اوربى هادىء الطبع لم يطلب بعد العشاء الا كوبا من الشاى .

وعجبت فى نفسي .. أوروبى وشاب ثم هو لا يشرب .. !! ؟ كيف يتأتى هذا .. ؟

★★★

وددت لو استطعت أن اقطع الوقت معه فى بعض الحديث أو النقاش ، فالمرء تستهويه الأشياء النادرة .. وهذا انسان نادر ولا شك .

وأخذت أتحين الفرصة .. وألتمسها .. حتى جاءت .. وفى الأسـفار ، وفى قطارات الليل خاصة يطيب للانسان أن يتحدث ولو قليلا الى الآخرين .. فلما اعتذر مساعد العربة عن وجود عود ثقاب معه ، قدمت الى الشاب علبة الثقاب التي كنت أحملها ، فأشعل غليونه ورد العلبة مع شكر رقيق ، فعرضت عليه أن يستبقيها لأننى لا ادخن ، فتقبل العلبة مكررا الشكر وسألنى فى تعجب ...

أنت لا تدخن .. !! ؟ يندر ان نرى الذين لا يدخنون .

قلت مبتسما حريصا على الفرصة : وكذلك الذين لا يشربون ...

فنظر الى كوب الشاى الذى امامه ، وارتسمت على شفتيه ابتسامة .

وأردت أن أغوص وراء استخراج اجابة على سؤالى ، فقلت مستطردا :

لعل نوع الشراب المطلوب ليس حاضرا ... !!

فهز رأسه وهو ينتزع غليونه من فمه ..

لا .. عفوا .. انى لا اشرب على الاطلاق ..

قلت : ربما .. تدينا .

فاتسعت الابتسامة على شفتيه ، ولم ادرك تماما لماذا اتسعت هذه الابتسامة فى هذه المرة ، ولكنه أردف :

لابد منه ..!

للأستاذ محمد لبيب البوهي

لا أشرب .. لسبب بسيط ، ذلك لأننى على وفاق مع نفسي ..

★★★

على وفاق مع نفسه .. !! ؟

تردد صدى الكلمات فى خيالى ورحت ألتمس لها تفسيرا .. ولم أسأله فليس من حقى أن أقف منه موقف الاستجواب ولما يمض على تبادلنا الحديث العابر غير لحظات ..

لا يشرب لأنه على وفاق مع نفسه .. !! ؟ أى أنه راض عن نفسه .. يحب نفسه .. يحترمها ..

لقد أخذت المترادفات تطوف فى ذهنى كفراشة هائمة لم تجد لها مستقرا ..

وازدادت سرعة قطار الليل .. واطلقت القاطرة العائدة من الجنوب على الخط الحديدى المجاور صفيرها العالى ، ولمعت على التوالي فى زجاج النافذة التي الى جوارى أنوار مصابيحها ، فامتنع الحديث لحظات رحت خلالها أفكر .. ومن جوف الصمت كانت ملامح الاجابة تتراءى على أفق الخيال .. هذا الرجل لا يشرب لأنه على وفاق مع نفسه ..

★★★

أجل .. الشرب اذن هروب من الواقع .. تغطية واقع الانسان فى غلالة شفيفة من بخار الخمر .. الأمر واضح ليس فيه فلسفة .. فان هذه الغلالة تبعدنا عن أنفسنا .. عن واقعنا .. انها تباعد بينى وبين نفسي .. الخمر تقيم بين الانسان ونفسه حجابا صفيقا .. وهو يرتاح الى ذلك ، ويسعى اليه حين لا يكون على وفاق مع نفسه .. حين يكون فى خصام معها .. انها عدوة له ، وهى تساكنه فى اعماقه .. نفس قلقة غير مطمئنة .. اما النفس المطمئنة فهى شيء آخر .. انها على وفاق مع صاحبها ، كل منهما صديق للآخر ، يحبه ولا يريد الافتراق عنه .. فالذين يشربون الخمر ليسوا على وفاق مع انفسهم .. هناك دبابيس فى أعماقهم تخزهم ، يريدون أن يخدروا أنفسهم من الم وخزها .

وقلت لنفسي ولكن هناك متعة .. شعور بنشوة .

وكان العقل فى أعماقي يتساءل ويتولى الجواب .

هناك متعة .. انها متعة غير طبيعية .. وما ليس طبيعيا فهو زائف ، وكل زائف فهو ضحك على النفس .. والانسان حين يكون على وفاق مع نفسه .. حين يحترمها .. لا يضحك عليها .. ولا يسخر منها ..

ورحت أنظر مرة أخرى الى الشاب الأوروبى الذى لا يشرب .

***

انه الشاب يعرف نفسه تماما .. يسايرها وتسايره .. يزاملها وتزامله ، انه فى صلح دائم مع عقله .. لا يريد أن يضرب هذا العقل على أم رأسه بمقرعة الخمر فيخدره .. انه صديق نفسه وصديق عقله ، ولا بد أنه أوجد لهذا العقل قواعد .. وهذه القواعد تريحه وترضيه ، فلا موجب اذن للهروب من الواقع .

لا شرب اذن .. اذ لا يوجد داع ولا مبرر ..

***

ورنت ضحكات أنثوية ، وانبثق فجأة فى رحاب عربة القطار جو من العطر ، فقد دخلت العربة من الباب الآخر مجموعة من السيدات الأجنبيات — كن اوروبيات — والتفت أكثر الناس ليملأوا عيونهم .. أما هو — .. هذا الشاب أيضا فقد أخذ ينفض بقايا غليونه وأردت استدراج الشاب نحو حديث جديد .. موضوع آخر فقلت :

« المودة » هذا العام هى كشف الركبة .. ترى هل ستعود المودة فيما بعد الى تغطيتها .. أعنى تكون ملابس السيدات تحت الركبة ؟ .

قال فى عزم واصرار .. أعتقد ذلك .. لأن هذا هو منطق الأشياء .. أو هو دورة الزمن .. اننا أسرفنا الى أقصى حد فى الاختلاط .. وفى الاختلاط يستطيع المرء أن يحادث أو يجالس أو يزامل أو يراقص عشرات من النسوة ..

قلت نعم .. هذا يحدث .

فقال : من هنا نشأت المباراة .. كل امرأة وسط هذا التنافس تريد أن تفوز بأكبر قسط من الاعجاب .. لذلك بدأت تتفنن فى جلب الأنظار .

قلت : صدقت .

فضحك وقال : أنت تقيس كلامي وتزنه بميزانكم .

قلت وانها لمقاييس دقيقة ثابتة : فالمرأة حين كان لها وقارها كانت تجد خزيا ومعرة فى أن تكشف صدرها أو جزءا منه ، أو تشد الازار حول خصرها حتى تعتصره أو تعرى ركبتها لأنها تخرج بذلك عن دائرة الكرامة الانسانية الى عالم اللحم .

قال مؤمنا : نعم هو عالم اللحم .. Flesh

« المودة » تختلف عاما بعد عام .. لأنها تحاول عرض اللحم البشرى فى أطباق شهية ، وما الأطباق غير الأزياء من كشف الركبة الى ما سواها ، وحين يتناول الانسان طعاما واحدا فانه يسأم أو يمل ، لذلك تتغير الأطباق . أى الأزياء .. أى ألوان المودة .. يظل الصدر مكشوفا ، وكذلك الابط . وسنة بعد أخرى يصبح ذلك أمرا طبيعيا ، ويصبح المنظر غير مثير ، بل قد يثير الاشمئزاز عند المبالغة فيه ، عندئذ يلجأ الطباخ ، والطباخ هنا هو مصمم الأزياء ويبتكر طرقا جديدة لتقديم نفس اللحم بتوابل أخرى ، فتصدر التعليمات الى الصدر كى يغطس نفسه ، ثم تصدر التعليمات فى ذات الوقت الى الظهر ليتعرى ، وحينما تدور دورة الزمن ، ويصبح منظر مئات الألوف من الظهور العارية مألوفا غير ملفت للأنظار ، يبتكر المبتكرون فى عالم اللحوم أشياء جديدة ، هى كشف الركبتين مثلا .. يبدأ الأمر بكشفها خمسة سنتيمترات ثم عشرة ، ثم عشرين فيعم الاشمئزاز ، ويبدأ الرجال فى أن يبصقوا على الأرض ، فتعود المـرأة فورا الى الفستان الطويل .

انها الموائد الجنسية .. هناك فى بعض بلدان الغرب ، يعوم الناس فى بحر من

الجنس والاباحية .. ان قنابل الحرب هدمت الأعصاب ، وهدمت المقاييس والقيم وولد الملايين من الشباب فى جو القرف والقلق والخوف ، فكا نلا بد من البحث عن التعويض فى دنيا الملذات .

قلت للفيلسوف الصغير : هل يصدق على الطوفان الجنسى فى بعض البلدان الأجنبية الغربية التى طغى عليها الانحلال ، هل يصدق على الجنس ما يصدق على المودة .. أعنى دورة الزمن ! ؟ .

قال : لا بد .. لا بد .. لا بد .. حين يصبح الجنس شائعا وسهلا ورخيصا سيبدو مبتذلا .. وبحكم الملل والقرف يبدأ الناس فى البحث عن لذة من نوع جديد .. لذة لا قرف فيها ولا ملل .

فوقفت ورحت أنظر من النافذة عبر الحقول ، فقد بهرنى ضوء قوى انبثق فجأة من المحطة التى توقف فيها القطار وتبسمت ضاحكا .

قال : لماذا تضحك ؟ .

قلت : أضحك لأننى تذكرت .. تذكرت ان الموازيين القديمة جعلت كل شىء بمقدار ، هذا المقدار يعصمك من القرف . وحين يأتى تيار ليجرف الناس الى عالم اللذة .. يجدون سدا يقول لهم .. قفوا .

هذه الموازيين .. أو المقاييس .. أو المبادىء الثابتة . سمها كيف شئت ترفع من قدر المرأة . وتصون كرامتها ولا تهوى بها أبدا الى عالم .. اللحوم .

هذه المقاييس ، أو الموازين .. أو المبادىء الثابتة .. سمها ما شئت تعطى المرأة حق الزينة .. الزينة الى أقصى الحدود ولكن لرجل واحد .. هو الزوج .

حين تكون البيوت هى جنة الأزواج لن يكون هناك مبرر للانطلاق الأحمر .. لانه اذا انطلق فان هذه المقاييس أو الموازيين ، أو المبادىء سمها ما شئت لن تدع له فرصة أو مجالا الى زوجات الآخرين .

عند ذلك تنمو الأسرة ويولد الحب ، ومن الحب تزرع شجرة السلام .

وفى غضون السلام العام .. والعقل العام .. والضمير العام .. والاتزان العام .. والمبادىء العامة لن يفقد الناس اعصابهم ، ولن يجدوا داعيا للهروب من هذا القرف الى طوفان اللذة .

★★★

ومرة أخرى انبثقت فى رحاب عربة القطار ضحكات لها رنين .. وانتشر جو من العطور ، وتمايل كثيرون وكثيرات .

واستطردت أقول : ان اللحوم قد تبدو فى معرض الجزارة ملفوفة فى أثواب من حرير ، وقد يزينها الجزار ، ولكن هذا لا يمنع أن يدب اليها العفن فتصبح جيفا تعافها حتى الذئاب بعد أن تشبع ... الملل والضيق والشعور بالضياع كل ذلك وليد الاسراف فيما ليس طبيعيا ..

الراحة والسعادة . والاتزان . فى المقاييس أو الموازين التى أشرنا اليها ، وهى لن تأتى الا من فوق ، لأنها تعاليم خالدة فى أم الكتاب .. خطوط مستقيمة مرسومة بدقة فى طريق النور ـ فى كتاب لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ... للسعادة. للخير . للجمال .. لتذوق طعم الحياة . هذا هو الشىء الذى لا بد منه .

★★★

وانطلق القطار بأقصى قواه ، لقد كان قد تراخى لحادث ألم ببعض القضبان ، ولكنه استجمع عزمه ، وجرى فى أمان على الخط الحديدى الذى تم أصلاح عيوبه الى حيث يتمتع السائحون بدفء الجنوب وآثاره .

طوبى لمن يتفكرون .

الفتاوى

يسر المجلة ولجنة الفتوى بالوزارة ان تتلقى اسئلة القراء وتجيب عنها .

الوصية

السؤال : ـ

١ ـ هل يجب على الانسان أن يوصي حال حياته ببعض أمواله ليصرف بعد وفاته فى وجوه الخير ؟ وهل يجوز له شرعا أن يعهد الى أحد أولاده بتنفيذ وصيته ؟ .

٢ ـ هل تجب الزكاة فى رواتب الموظفين ؟ .

بركات المطيري ـ ميناء الدمام

الاجابة : ـ

١ ـ كان يجب على الانسان ـ فى صدر الاسلام ـ اذا أشرف على الموت ، وعنده مال أن يوصى ببعضه للوالدين والأقربين . قال تعالى : « كتب عليكم اذا حضر أحدكم الموت ان ترك خيرا الوصية للوالدين والأقربين بالمعروف حقا على المتقين » ثم نسخ الحكم بآية المواريث ، وبقى ندبها ، الا فى جانب من عليه حق لله تعالى كزكاة أو حج ، أو حق آدمى بلا شهود ، فانه يجب عليه ان يوصي بأداء ذلك .

ولا ينبغي لمسلم ميسور الحال أن يمكث بدون كتابة وصيته والاشهاد عليها ، فانه خير عاجل يفوت بالموت . عن ابن عمر عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : (ما حق امرىء مسلم له شيء يريد أن يوصي فيه يبيت ليلتين الا ووصيته مكتوبة عنده) .

والوصية المندوبة تكون فى حدود ثلث مال الموصى ، ويندب النقص عنه اذا كان الورثة فقراء والا فلا ، واستقر الاجماع على عدم جواز الزيادة على الثلث فى الوصية الا اذا أجازها الورثة .

عن سعد بن أبى وقاص قال : مرضت عام الفتح مرضا أشرفت منه على الموت ، فأتانى رسول الله صلى الله عليه وسلم يعودنى ، فقلت : يا رسول الله ان لي مالا كثيرا ، ولا يرثنى الا ابنتي . أفأوصى بمالي كله ؟ قال : لا . قلت : فثلثى مالى . قال : لا . قلت : فالشطر . قال : لا . قلت : فالثلث . قال : الثلث . والثلث كثير . انك ان تدع ورثتك أغنياء خير من أن تدعهم عالة يتكففون الناس .

وللموصي أن يختار من يراه أصلح لتنفيذ الوصية سواء أكان من أولاده أم من غيرهم ، ولا شك أنه اذا كان يوجد من ذريته من يأمنه على تنفيذ وصيته ، فهو أولى وأحق من سواه .

رواتب الموظفين

٢ ـ ولا تجب الزكاة فى رواتب الموظفين الا اذا ادخر الموظف من راتبه قدرا بلغ النصاب وحال عليه الحول ، فانه يجب عليه اخراج الزكاة عن هذا المبلغ المدخر فى نهاية الحول ، شأنه فى ذلك شأن جميع الأموال المدخرة سواء أكانت من راتب أو من غيره .

فى الـزواج

السؤال : ـ

اعتـاد بعض الناس أن يتـولى عقد زواج ابنه البالغ الرشـيد من امـرأة يختارها له بدون رغبته ومن غير اذنه ، فهل ينفذ هذا العقد شرعا ؟ .
سيار أحمد ـ الكويت

الاجابة : ـ

عقد الأب لابنه البالغ الرشـيد عقد يتوقف نفاذه على اجـازة الابن اذا كان العقد صحيحا مستوفيا شرائطه وأركانه الأخرى ، فان أجازه الابن نفذ ، وان لم يجزه لا ينفذ العقد .

فى الميراث

السؤال : ـ

رجل توفى عن زوجة وسـتة أولاد : ذكر وخمس بنات وأخوين نرجو تقسيم التركة على المستحقين .
خلف عبد العزيز

الاجابة : ـ

توزع التركة على الوجه الآتى :

للزوجة الثمن فرضا ، لقوله تعالى : « فان كان لكـم ولد فلهن الثمـن » . والبـاقي يـوزع على الخمس بنـات وشقيقهن الذكر ـ للذكر مثـل حـظ الأنثيين ولا شىء للاخوين لحجبهما بالابن العاصب الأقرب ، وذلك بعد نفاذ وصية وقضاء دين .

السؤال : ـ

أولا ـ توفيت امرأة عن عـم وأولاد بنت .

ثانيا ـ ثم توفى العم عن ابن .

فما نصيب كل من الورثة ؟ .

ع . ك ـ الكويت

الاجابة : ـ

بوفاة المرأة تكون تركتها لعمها فقط لأنه عاصب ، ولا شىء من الميراث لأولاد البنت ذكورا ، واناثا ، لأنهـم من ذوى الأرحام ، ولا يرثون مع وجود عاصب ، وذلك بعد نفاذ وصية وقضاء دين .

وبوفاة المتوفى الثانى (العـم) تكون تركته لابنه فقط وذلك بعد نفاذ وصية وقضاء دين .

هذا وبالنسـبة للمتوفاة الأولى فان أولاد البنت وان كانوا لا يرثون بمقتضى قواعد الميراث عند الأئمة الأربعة الا أن هنـاك قانـونا نافذا فى بعض الأقطـار الاسلامية يعـرف (بقانـون الوصـية الواجبة) واسـتند فيـه المشرعون الى بعض المذاهب الفقهية الأخرى .

وبمقتضى هذا القانون يستحق أولاد البنت من تركة المتوفاة ما كانت تستحقه والدتهم من ميراث أمها لو كانت موجودة على قيد الحياة حين وفاتها ، وذلك فى حدود الثلث وبشرط الا يكون الميت قد أعطاهم بغير عوض من طريق آخر قدر ما يجب لهم وان كان أعطاهـم أقـل منه وجبت وصية بقدر ما يكمل النصيب .

وابراء للذمة وصـلة للقـربى نهيب بالعـم الـوارث أن يعطى أولاد البنـت نصيبهم الذى يسـتحقونه بمقتضى هذا القانون .

كيف تكون دراسة الفقه الإسلامي

النص النبوي ثابت مكين

حلم الصهاينة في عقد صلح مع العرب

أثر الخلق الإسلامي

كيف تكون دراسة الفقه الاسلامى

نشرت مجلة النجف مقالا تحت عنوان « القانون المدنى » ننقل منه هذه الفقرة :

الأساس فى هذه الدراسة أن تكون دراسة مقارنة فيدرس الفقه الاسلامى فى ضوء القانون المقارن . ويعنى فى هذه الدراسة بأمرين جوهريين . (أولهما) أن تدرس نشأة الفقه الاسلامى دراسة دقيقة ، فيبحث كيف تكون هذا الفقه على مر الزمن ، وكيف تطور وبخاصة فى العصور التى سبقت عصر المذاهب الكبرى الاربعة . (والامر الثانى) أن تدرس مذاهب الفقه الاسلامى المختلفة ، السنى والشيعى والخارجى والظاهرى وغير ذلك من المذاهب ، دراسة مقارنة لتستخلص منها وجوه النظر المختلفة ، ولتتركز هذه الوجوه فى تيارات التفكير القانونى . ثم تتبلور فى اتجاهات عامة ، وتستكشف من وراء كل هذا قواعد الصناعة الفقهية الاسلامية . ثم تقارن هذه الصناعة بصناعة الفقه الغربى الحديث ، حتى يتضح ما بينهما من الفروق ووجوه الشبه ، وحتى نرى أين وقف الفقه الاسلامى لا فى قواعده الاساسية ومبادئه ، بل فى أحكامه التفصيلية وفى تفريعاته ، فتمتد يد التطور الى هذه التفصيلات على أسس تقوم على ذات الفقه الاسلامى وطرق صياغته وأساليب منطقه . وحيث يحتاج الفقه الاسلامى الى التطور يتطور ، وحيث يستطيع أن يجارى مدنية العصر يبقى على حاله دون تغيير ، وهو فى الحالين فقه اسلامى خالص لم تداخله عوامل أجنبية فتخرجه عن أصله .

ومن ثم تكون موضوعات البحث الاساسية فى دراسة الفقه الاسلامى هى (١) تاريخ الفقه الاسلامى، وبخاصة قبل عصر المذاهب . (٢) أصول الفقة الاسلامى ، على أن يعاد البحث فى النظرة التقليدية لهذه الأصول . (٣) مقارنة مذاهب الفقه الاسلامى المختلفة فيما بينها . (٤) مقارنة الفقه الاسلامى بالقوانين الغربية الحديثة .

ولا بد لهذه الدراسة من معهد خاص يتوفر على الأسباب اللازمة لنجاحها من أساتذة يتخصصون لها ، ومراجع يستعان بها ، وطلاب يتفرغون لهذه الدراسة .

النص النبوى ثابت مكين

وجاء فى مقال نشرته مجلة رابطة العالم الاسلامى تحت هذا العنوان :

ان أمية العرب قد وجهتهم الى الاهتمام بالحفظ ، فقويت الذاكرة لديهم قوة خارقة كما ضربوا لذلك بعض الأمثلة من المشاهد الملموس ، فالاعمى أقوى حفظا من البصير اذ جعل كل اعتماده على الحفظ ، أما البصير فان ركونه الى الكتاب مما يضعف ذاكرته عن غيره ، وقد ساعد العرب على تقوية ملكة الحفظ لديهم طبيعة جوهم وبساطة معيشتهم وسعة خبرتهم بأساليب لسانهم وطرق بيانهم ، فاذا أضيف الى ذلك شدة تعلق الصحابة بآثار رسول الله كان انتباههم الى استيفاء أحاديثه اقوى واشد . ومن علم أن أبا زرعة وأحمد

ابن حنبل والبخارى كانوا يحفظون آلاف الاحاديث بأسانيدها لا يستكثر أن يحفظ أبو هريرة وابن مسعود وابن عباس وابن عمر وعائشة أكثر ما سمعوه عن رسول الله دون اسناد ! فاذا وجدت الصحف المكتوبة واسعفت الحافظة القوية ، وتفرغ الملأ الكثير لرواية الحديث ، فلن يهى منه مر السنين كما يدعون ! على اننا نعرض هذا النص الحاسم على الذين يستكثرون ورود الآلاف من الاحاديث عن رسول الله ، ويرجفون برواياتها مهولين « قال أبو زرعة الرازى ، فى جواب من قال له . أليس يقال . حديث النبى صلى الله عليه وسلم أربعة آلاف حديث ومن قال ذا غير زنديق ، ! ومن يحص حديث رسول الله لقد قبض صلى الله عليه وسلم والمسلمون مائة ألف وأربعة آلاف من الصحابة ممن روى عنه ومن سمع منه ، وهم أهل المدينة وأهل مكة ومن بينهما من الأعراب ، ومن شهد معه حجة الوداع كل رآه وسمع منه بعرفة ، وقال الرافعى قبض رسول الله والمسلمون ستون ألفا ثلاثون ألفا بالمدينة وثلاثون ألفا فى قبائل « العرب » نقل هذين النصين لنقول انه على افتراض كون المسلمين ستين ألفا فقط عند وفاة الرسول ، وجلهم قد حدثه وسمعه وروى عنه أفيكون ما لدينا من حديثه عنهم من الكثرة بحيث نظن به الظنون دون تدليل .

حلم الصهاينة فى عقد صلح مع العرب

وطالعتنا « فلسطين » التى تصدر عن وزارة الارشاد والانباء الكويتية بكلمة تحت هذا العنوان جاء فيها .

لا يزال بعض المسئولين الصهاينة يحلمون بامكانية عقد صلح مشترك دائم مع جيرانهم العرب ـ على حد زعمهم ـ وقد صرح أبا ايبان ، وزير خارجية دولة المعتدين ، بأنه من الممكن اقامة علاقات ودية مع العرب اذا استطاع اليهود والعصابات الصهيونية ـ عن طريق الدعايات السلمية ـ اخراج مشروعات الصلح من حيز الكلام الى حيز العمل .

وأكد هذا اليهودى أن الوقت قد حان .. لتبنى سياسة جديدة ، عن طريق التودد والتقرب الى الدول المجاورة ، بدلا من القيام بالعمليات العسكرية الانتقامية على الحدود ، ويرى ايبان أن دولة الصهاينة لم تقم ـ بعد ـ بخطوات صحيحة لنشر خطة السلام .

السلام عن طريق الاعتداء والغدر

وبينما يعيش هذا الصهيونى فى أحلامه يتحدث عن خطة السلام .. نجد العصابات الصهيونية تقوم بسياستها الطبيعية ، سياسة الاعتداء والغدر والعدوان الآثم .

ومع هذا الشعور العدائي ، يتخلى وزيرهم عن أفكار الصلح التى وعد بتطبيقها ، ويخيب أمل تلك الجماهير التى علقت الامل على تصريحاته الخيالية ، اعتقادا منها أن الوقت قد حان لينقذوا أنفسهم من العيش فى جو متكهرب بالعداء ، ومفعم بالخوف والرعب الذى بدأ يسمم الجو النفسى والفكرى .

ويعتقد المسئولون أن اجراء مباحثات الصلح تمهد لهم الطريق لانقاذ دولتهم المنهارة مما يهددها من رياح عاصفة بسبب الأزمة الاقتصادية التى توشك أن تطيح بهم معها .. وفرار المهاجرين بسبب الانكماش المالى واتساع الفرق فى مستوى المعيشة بين اسرائيل وبين الوطن الاصلى للمهاجرين الجديد يزيد من المشاكل الاقتصادية المعقدة .

أثر الخلق الاسلامى

ونشرت مجلة حضارة الاسلام الدمشقية مقالا تحت هذا العنوان جاء فيه :

فى ترجمة البخارى رحمه الله أنه كانت له تجارة يبيعها بالجملة للتجار ، فجاءه تاجر مرة عند المساء ، ورغب اليه أن يشترى منه صفقة ودفع له فيها مبلغا معينا ، فطلب البخارى أكثر من ذلك ثم افترقا ، تندم البخارى على أنه لم يبع الصفقة بما دفع له ذلك التاجر من ثمنها ، وتمنى أن يعود ليوافق على بيعها بالسعر الذى حدده التاجر ، ولكن التاجر عاد اليه فى اليوم راضيا أن يشترى الصفقة بما طلب البخارى فيها ، واذا البخارى يقول له : بل أبيعكها بالسعر الذى دفعته بالأمس « أى بأنقص كثيرا مما دفعه التاجر اليوم » فعجب التاجر وقال : بالأمس رفضت أن تبيعنيها بالثمن الذى تطلبه أنت اليوم ، فأجابه الامام البخارى رحمه الله . بالأمس بعد أن غادرتني ندمت على أنه لم أبعها لك بما دفعت فيها من ثمن ، ونويت فى نفسي أنك لو عدت حينئذ لبعتكها بما دفعت ثم لم تعد ، وانى لاخجل من ربى أن أنكث عهدا عزمت عليه ، وأن أنقص ما نويت فخذها بارك الله بك .



• الحروف في أوائل السور لا يتعلق بها أحكام
• الحديث القدسي ليس قرآناً منزلاً

١ ـ اختلف علماء تفسير القرآن الكريم فى بيان معانى الأحرف التي تبـدأ بها بعض سـور القرآن مثل (الم • الر • المص • كهيعص • طسم • حم • ص) فقال البعض انها أسماء الله تعالى ، بينما قال الآخرون انها أسماء لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، وذهب فريق ثالث الى أنها أحرف لا يعلم كنهها الا الله عـز شـأنه • فهل تتفضلون بتوضيح آراء العلماء فى ذلك ، وترجيح رأى على رأى •

٢ ـ كثيرا ما نسمع عن الحديث القدسى أنه كلام الله • يستشهد به فى كثير من المواقف الدينية ، فهل هو كلام الله ولفظه من عند الله ؟ واذا كان كذلك فلماذا لم يجمع مع القرآن الكريم ؟ ثم ما كيفية نزوله على النبى •

« محمد سالم الدقيل ـ حضرموت/المكلا ـ ص ب ٢٨١ »

افتتحت بعض سور القرآن الكريم بأحرف مقطعة من حروف المعجم ، وهـذه الأحرف المقطعة التي بدئت بها هذه السور أنواع : منها ما هو ذو حرف واحد مثل (ص.ن.ق) ، ومنها ما هـو ذو حرفين مثل (حم.طس) ومنها ذو ثلاثة أحرف أو أكثر مثل (الم.المص.كهيعص.حمعسق) . وجميع السور المبدوءة بهذه الأحرف مكية ما عدا سورتى البقرة وآل عمران .

وهذا أسلوب جديد فى العربية لم يألفه العرب من قبل ، ولم يصح عن الرسول صلى الله عليه وسلم بيان المراد من هذه الأحرف ، ولهذا ذهب فريق من العلماء الى أنها مما استأثر الله تعالى بعلمه ، فلم يصل أحد الى معرفة المراد منها ، وأوردوا من أقوال كبار الصحابة ما يؤيد وجهة نظرهم كقول أبى بكر الصـديق رضى اللـه عنه :

(فى كل كتاب سر ، وسر القرآن أوائل السـور) وقول علي كرم الله وجهه (ان لكل كتاب صفوة ، وصفوة هذا الكتاب حروف التهجى) .

وفريق آخر من العلماء لم يرتض هذا الرأى ، وأنكر أن يكون فى كتاب الله تعالى ما ليس مفهوما ، وان هذا يتنافى مع ما وصف به القرآن الكريم من أنه نزل بلسـان عربى مبين .

وقد اختلف هذا الفريق فى بيان المعانى المرادة من هذه الأحرف ، فقيل : ان المراد بها الدلالة على أنها أسماء للسور التي بدئت بها ، وقيل : انها رموز لبعض أسماء الله تعالى وصفاته ، فقوله سبحانه : (ألم) معناه : (أنا الله أعلم) ، وقيل : انها أقسـام أقسم الله بها . وقيل : انهـا تسكيت للكفار لأن المشركين كانوا تواصـوا فيما بينهم الا يستمعوا لهذا القرآن وأن يلغوا فيه ، فأنزل الله تعالى هذه الأحرف فى مفتتح بعض السور حتى اذا سمعوا شيئا غريبا استمعوا اليه ، وتفكروا فيه ، واشتغلوا به .

وقد اختار كثير من العلماء القول بأنها نزلت للتنبيه على أن القرآن ليس الا من هذه الحروف التي عرفها العرب ، وألفوها فى كلامهم ، وهم قادرون عليها ، فلم يكن من حيث لفته ومادته التي يتكون منها غريبا عليهم ، فهى بمثابة اعلان التحدى الرمزى بعد أن تحداهم القرآن صراحة بأن يأتوا بمثل هذا القرآن ، أو بعشر سور مثله ، أو بسورة واحدة ، فعجزوا ــ ولو كان ــ من عند غير الله لاستطاعوا أن ينفوا عن أنفسهم العجز بالاتيان بمثله . وهذا الرأى هو الذى نميل اليه .

واذا تتبعنا السور التي بدئت بهذه الأحرف وجدنا أنها فى الأعم الاغلب جاء فيها بعد هذه الأحرف ما يشير صراحة الى هـذا الكتاب الكريم وعلو شـأنه قال تعالى : « الم . ذلك الكتاب لا ريب فيه » ، « المص. كتاب أنزلناه اليك » ، « الر. كتاب أحكمت آياته » ، « طسم. تلك آيات الكتاب المبين » ، « حم. تنزيل الكتاب من اللـه العزيز العليم » ، « ق. والقرآن المجيد » الخ .. مما يدل على أن هذه الأحرف لها صلة باثبات أن الكتاب الكريم من عند الله .

أما ما طلب السائل الكريم الاجابة عنه فيما يتعلق بالأحاديث القدسية ، فنبادر الى القول بأن الحديث القدسى ليس قرآنا باجماع المسلمين ، ولهذا لم يجمع معه ، ولم يضم اليه .

وقد ذهب المحققون الى أنه حديث لفظه من عند الرسول صلى الله عليه وسلم ، ومعناه من عند الله بالهام أو بمنام ، قال ابو البقاء فى كلياته ص (٢٨٨) : « ان القرآن ما كان لفظه ومعناه من عند الله بوحى جلى ، وأما الحديث القدسى فهو ما كان لفظه من عند الرسول ومعناه من عند الله بالالهام أو بالمنام » . ورؤيا الانبياء حق .

وقد تميز عن الحديث النبوى بهذه التسمية ، فنسب الى القدس لأن الرسول الكريم يحكيه عن رب العالمين عز وجل .

والأحاديث القدسية كثيرة متفرقة فى كتب السنة الصحيحة ، وقد جمعت مع الأحاديث الصحيحة ومنها ما أخرجه مسلم فى صحيحه عن أبى ذر عن النبى صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن الله عز وجل « يا عبادى : انى حرمت الظلم على نفسى ، وجعلته بينكم محرما ، فلا تظالموا ... » .

بأقلام القراء

يعبرون فيه عن أفكارهم
دون أن تلتزم المجلة بآرائهم

بلال الحبشي المؤذن الأول في الإسلام

الأستاذ حسن الأمين من بيروت ينشر فى هذه الكلمة صفحات مطوية من تاريخ المؤذن الأول فى الاسلام فيقول :

ولادة بـلال

المرأة السوداء التي ولدت بلالا لم يكن يهمها أن تعنى بتسجيل تاريخ ولادته ، والرجل الزنجى الذى جاءه هذا الصبى لم يكن هو أيضا يهمه هذا التسجيل . ولا واحدا من أقرباء هذا الطفل كان يفكر فى أن يكتب على ورقة . اليوم والشهر والسنة التي أطل فيها المولود الجديد على الدنيا .

ولماذا يفكر واحد من هؤلاء بذلك ؟ وأى شأن لمولود افريقى اسود فى ذلك الزمن يستحق أن يؤرخ يوم مولده ؟ . وأى مستقبل ينتظره غير العبودية والاضطهاد ؟ . فلماذا اذن يؤرخون أيام ولادات مواليدهم سواء أكانوا ذكورا أم اناثا ؟ .

وأكبر الظن أن غاية ما كانت تتمناه أم بلال لوليدها الجديد هو أن يرحمه الله فلا يسلط عليه فى المستقبل سيدا قاسي القلب فظ الطباع يرهقه من أمره عسرا ، وان يزيد الله رحمته فيجعل سيده على شيء من الانسانية فيقل من تعذيبه ، ويقل من اضطهاده ، ويقل من ارهاقه . وأما فوق ذلك فلم تكن أم بلال وأبو بلال يرجوان لطفلهما أى شيء ، اذ أن هذا كان غاية ما يطمح اليه الاسود فى ذلك العصر .

وما يدرينا أية حياة كانت تحياها أم بلال وكان يحياها أبو بلال ، فقد كان كل واحد منهما عبدا عند سيد من البيض ، ولكنماذا كانت طباع كل من سيديهما ؟ أو بالأحرى من ساداتهما ، اذ أن كلا منهما قد تنقل من سيد الى آخر ، وظل يتنقل حتى آل الأمر بهما الى أن تلد أم بلال ولدها بلالا . ولا شك أن كل واحد منهما قد كابد أشق الاعباء ، وعانى أشد الاضطهاد ، وتحمل شر أنواع الذل والمهانة وهو يباع من سيد الى آخر . لذلك نستطيع أن نتصور مدى أمانيهما لولدهما الجديد ، وان ندرك أن غاية ما كانا يرجوان له من الخير هو أن يكابد أقل مما كابدا ، وان يصادف فى طريقه الطويل أقل مما صادفا .

ومن هنا كان لا يعنيهما أن يؤرخا يوم ولادته فظل هذا التاريخ مجهولا لدينا لا نعرفه عنه الا بالظن والتخمين ، فكل الذين كتبوا تاريخ حياته لم يشيروا ابدا الى تاريخ اليوم الذى ولد فيه ، وانما أشاروا الى تاريخ وفاته ، فاختلفوا فى تقدير سنه عند وفاته فقال بعضهم : انه توفى وهو ابن ثلاث وستين سنة ، وقال آخرون : بل توفى وهو ابن سبعين سنة (١) وهذا الاختلاف يعود الى أن كلا من الفريقين كان يقدر سنه تقديرا ، وبلغ الاختلاف فى التقدير سبع سنين .

مكان ولادته

وكما أن المؤرخين لم يشيروا الى تاريخ ولادته فهم كذلك لم يشيروا الى مكان ولادته وهذا طبيعي ايضا ، فلم يكن أحد ليعنى بالمكان الذى ولد فيه اسود ابن أسودين وعبد ابن عبدين ، ولم يكن امره فى هذا الا أمر ملايين السود الذين كانوا يولودون فى كل يوم ، فلا تثير ولادة أحد منهم أقل انتباه ! .

أصـــل بلال

بلال هو أفريقي الأصل ، حبشي الأب ، أسود العنصر ، ويفهم مما ذكره المؤرخ ابن الأثير فى كتابه (الكامل) ان أباه هو الذى اختطف من الحبشة وكذلك أمه اختطفت من هناك وان بلالا ولد بعد ذلك فى بلاد العرب من أبوين عبدين ، فكان مثلهما عبدا .

ولم يذكر ابن الأثير تفاصيل اختطاف أبويه وانما اكتفى بأن قال : « كان أبوه من سبى الحبشة وأمه سبية أيضا » .

واستعمال كلمة (السبى) يدل على أن أباه اختطف صغيرا لأن كلمة السبى تستعمل فى أخذ النساء والأطفال . أما أخذ الرجال فتستعمل له كلمة (أسر) . والأصل فى الكلمتين أن تستعملا حال الحرب . وقد استعملنا هنا فى (الخطف) لأنه ليس من المعقول أن يكون الاستيلاء على والد بلال وعلى أمه نتيجة حرب بين أحد وبين الاحباش ، بل أن الامر كان يجرى على ما عرف من استعمال الحيل ومختلف الاساليب فى اختطاف السود من أفريقيا وسوقهم الى بلاد البيض وبيعهم عبيدا أرقاء . وهذا ما جرى على والد بلال وأمه ، اذ اختطفا صغيرين ، وظلت الأرض تتقاذفهما حتى وصلا الى جزيرة العرب ويبدو كذلك من عبارة ابن الأثير أن مولده كان فى السراة ، كما ورد فى غيره أنه ولد فى غيرها ، وايا كان مولده فقد ظل يباع حتى وصل الى أمية بن خلف الجمحى فأستقر عنده فى العبودية ، وظل هكذا حتى ظهر الاسلام .

على أن المؤرخ ابن عساكر ذكر ما يفهم منه أن بلالا كان عبدا لعبد الله بن جدعان لا لأمية بن خلف ، فقد روى أن بلالا بعد اسلامه دخل يوما الكعبة فالتفت فلم ير أحدا فاتى الاصنام ، وجعل يبصق عليها ويقول : « خاب وخسر من عبدكن » ، فطلبته قريش فهرب حتى دخل دار سيده عبد الله بن جدعان فاختفى فيها . فلحقه القرشيون الى الدار فسلمه عبد الله لابى جهل وأمية بن خلف فخرجا به الـى البطحاء ، وجعلا يبسطانه على الرمال الحامية ويعذبانه .

الحُـــرِيّـــة

ويتحدث فضيلة الشيخ محمد عبد الرحمن الخطيب مفتى محافظـة الكـرك بالأردن عن الحرية فيقول :

الحرية ثمرة الحياة وتاج السعادة وزهرة هذا الوجود ، بها يكون الانسان انسانا فاذا فقدها فهو والحيوان سواء ، تسخره القوة ، وتلعب به الأهواء – ولا يعرف الله غير حر .

---

(١) الاستيعاب

فالموحدون هم الأحرار ، وان شئت فقل ان الأحرار هم الموحدون فالحرية هى التحلل من قيود الرق البشرى وتمزيق لفائف العبودية لغير الله الواحد الأحد .

على ضوء هذا يجب أن تفهم الحرية البريئة الصحيحة ، ولكن بعض الناس أخطأوا فهم الحرية واختلط عليهم الامر ، فناقضوا الحق مناقضة صريحة . فهموا الحرية على أنها تحلل من قيود الأدب وتجاوز لحدود الفضيلة و ...

فهذه امرأة سافرة كشفت عن ساقيها وذراعيها وتبرعت للناس بعرض جمالها ، وغشيت محافل الرقص طروبة خليعة رغم أنف الآباء والازواج لأنها تتحصن بالحرية المكفولة للأفراد والجماعات فى ظل القوانين الوضعية ، وهذا شاب مائع يقامر بماله ، ويغامر بدينه ، فالحرية عنده يحدها شمالا هتك الأعراض واباحة الفساد ، وجنوبا الاستهتار بالدين والاعتقاد بأن التمسك به تأخر وجمود ، وشرقا بالخنوثة والالحاد والطيش وغربا تقليد الغرب فيما يضر من اباحية واستهتار وترك ما ينفع من حب الوطن واعداد السواعد القوية السليمة والعدة الدفاعية .

وهذا شيخ جرب بالتجارب فخرج من مدرسة الحياة الطويلة بارعا فى النفاق والغش يستطيع أن يحيك الاجرام محبوك الطرفين بخيوط الدهاء مدهونة بصبغة الكذب واللؤم ، وذاك عالم قعد به الكسل ، واستمرأ الدعة فقال عليك نفسك والزم بيتك فترك الجهاد وأهمل واجبه نحو المجتمع ، وقل ذلك عن التاجر الجشع والصانع الغشاش والسياسي المتلون والغنى البطر والفقير المتلصص .

بل قل ذلك فيما تقوم به بعض الجماعات من أعمال تحت ستار الحرية الزائفة والحرية بريئة من كل هذا ، وهى كما قلنا تحلل من قيود العبودية لغير الله ــ والعبودية المطلقة لله تعالى ، ولا تتحقق هذه العبودية الا بالتزام ما سن القرآن من آداب ، وما شرع من حدود فى المال والعرض والدم والمعاملة ــ وبذلك فقط تسعد البشرية وتسمو الأمة وينتظم تشريعها وتحقق العدالة الصحيحة للفرد والجماعة ، وكان القرآن الكريم حين قال « يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله أتقاكم » كأنه يشير الى دستور الحياة الصحيحة النافعة ، الا فليفهم ذلك رجل الدين ورجل المال ورجل السياسة ورجل الاصلاح ، والسلام على من اتبع الهدى واستظل براية الاسلام .

الإسلام والرياضة البدنية

وأرسل الاستاذ محمد الهادى السيد اسماعيل المدرس بمدرسة الدعية الثانوية بالكويت قصيدة تحت هذا العنوان جاء فيها :

ابنى الشباب رياضة الأبدان ... ان الشباب ذخيرة الأوطان
ابنى سواعد للكويت قوية ... فلكم تحن لذلك البنيان
ولئن فعلت فقد بنيت عقولهم ... والعقل فى الأجسام كالميزان
ما أنت بنت اليوم محدثة لنا ... انى أراك وليدة الأزمان
لولا دواء فيك للولدان ما ... حث النبى عليك للولدان
ما أنت بنت حضارة وتمدن ... بل أنت بنت شريعة الرحمن

★★★

أحيوا الرياضة يا شباب فانها ... تحييكمو فى عالم الوجدان
ان طاف شيطان بوقت فراغكم ... فهى الرياضة قاهر الشيطان
انى لأكبر فيكمو ايحاءها ... وأجل ما تحوى من الألوان

اخبار العالم الإسلامي

الكويت

افتتح سمو أمير البلاد المعظم مجلس الامة الجديد فى السابع من فبراير والقى سمو ولي العهد ورئيس مجلس الوزراء الخطاب الأميرى .

زار جلالة الملك الحسين ملك المملكة الاردنية الهاشمية البلاد بدعوة من أخيه حضرة صاحب السمو الامير المعظم ، وقد استغرقت الزيارة اربعة ايام تفقد فيها جلالة الزائر الكريم معالم النهضة فى البلاد .

أدلى سمو الشيخ جابر الأحمد الجابر ولي العهد ورئيس مجلس الوزراء بتصريح لاحدى المجلات اللبنانية جاء فيه :

أن القيادة العربية الموحدة هى من المنجزات الكبيرة التي استطاعت مؤتمرات القمة تحقيقها ونرجو مخلصين ألا تؤثر عليها الخلافات الطارئة لتكون لهـا فعاليتها المطلوبة .

تلقى معالى وزير الاوقاف والشئون الاسلامية عدة كتب من جمعيات اسلامية فى لبنـان والاردن للمساهمة فى اقامة بعض المساجد والمنشآت الخيرية .

سيبدأ هذا الشهر الموسم الثقافي الذى تعده وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية وتدعو اليه كبار المحاضرين الاسلاميين كعادتها كل عام ...

قرر مجلس الوزراء التبرع بمبلغ الف دولار سنويا للبيت العربى الاسبانى لتمكينه من تعزيز العلاقات بين اسبانيا والعالم العربى .

حولت الجهات المختصة مبلغ (٤٠) ألف دينار للمشاركة فى تعمير قرية السموع التي خربها العدوان الصهيوني فى شهر نوفمبر ١٩٦٦

سينعقد مؤتمر منظمة المدن العربية فى الكويت فى الفترة ما بين ١١ و ١٥ من مارس القادم .

وصل من المغرب مهندسان من ذوى الخبرة الواسعة فى بناء المساجد على الطراز الأندلسي للاشراف على بناء مسجد الدولة الكبير .

الجمهورية العربية المتحدة

يقوم وفد اسلامى بزيارة البلاد الاسلامية فى منطقة جنوب شرق آسيا : الفلبين ، تايلاند ، ماليزيا ، اندونيسيا . للتعرف على احوال المسلمين هناك وأهدى للمراكز الاسلامية عشرات الآلاف من الكتب .

طلبت حكومة ماليزيا من الوفد الاسلامي الذى زارها دراسة نظام التعليم فى المدارس الاسلامية وايفاد مدرسين مصريين للعمل بهذه المدارس .

تبدأ جمعيات المحافظة على القرآن الكريم فى اخراج مصاحف جديدة تباع بسعر التكلفة كما ستبدأ لجان من العلماء المسلمين فى تفسير مبسط للقرآن الكريم .

تقرر عقد المؤتمر الثقافى العربى السابع بمقر الامانة العامة للجامعة العربية فى القاهرة فى الفترة ما بين ٦ و ١٤ مارس القادم .

تم هذا العام انشاء واستكمال عدد كبير من المساجد والوحدات الاجتماعية والمعاهد الدينية والكليات الجامعية الازهرية وتبلغ تكاليفها (٣) ملايين ، و ٤٨٩ الف جنيه .

السعودية

سيقوم جلالة الملك فيصل بزيارة اندونيسيا خلال الاشهر القادمة بدعوة من الرئيس سوكارنو كما سيقوم جلالته بجولة فى بلدان جنوب شرق آسيا .

ويقوم الشيخ محمد عمر وزير المواصلات ووزير الحج والاوقاف بالوكالة بزيارة ايران لزيادة التعاون بين البلدين وتنظيم الاوقاف وتسهيل زيارة الحجاج الايرانيين للاماكن المقدسة .

وجهت جامعة الملك عبد العزيز الاهلية بجدة الدعوة الى البروفيسور ابو بكر حليم للاطلاع على المراحل التي مرت بها الجامعة والبروفيسور من كبار خبراء التعليم الجامعي وهو مؤسس جامعة السند وكان مديرا لجامعة كراتشى .

تجرى الاستعدادات على قدم وساق لوضع برنامج صحى شامل لموسم الحج .

الجمهورية العراقية

قام الرئيس عارف بزيارة للجمهورية العربية المتحدة فى السابع من شهر فبراير بدعوة من أخيه الرئيس جمال عبد الناصر واستغرقت الزيارة خمسة أيام .

وصل الى بغداد فى أواخر يناير الماضى وفد عسكرى كويتي برئاسة سعادة الشيخ سعد العبد الله السالم وزير الداخلية والدفاع .

الاردن

وضعت الترتيبات اللازمة لسفر الحجاج الاردنيين وستتخذ الحكومة كفالات مالية على الشركات التي ترغب فى نقل الحجاج ضمانا لراحتهم .

لبنـــان

قدمت الى لبنان وفود اسلامية لتهنئة الشيخ حسن خالد المفتى الجديد بمنصبه الجديد من بينها وفد من كبار علماء الازهر ومن سوريا وقد أشاد سماحته وفخامة رئيس الوزراء بدور الازهر فى رعايـة الرسالة الاسلامية .

وصل وفد طلابى من ابناء الجالية العربية فى شيلى الى لبنان فى جولته التي يقوم فيها بزيارة البلاد العربية : زار حتى الآن الجمهورية العربية المتحدة وسوريا .

السودان

أعلن الامام الهادى المهدى زعيم طائفة الانصار وراعى حزب الامة السودانى انه سينفذ الدستور الاسلامى اذا فشل نواب الجمعية التأسيسية فى اقراره عند عرضه عليها .

انعقد فى الخرطوم المؤتمر الطبي العربى السادس وقد اتخذ المؤتمر عدة قرارات وتوصيات . منها انشاء كلية للدراسة الطبية العليا وعمل دستور عربى موحد للادوية وتنظيم تداولها فى البلاد العربية .

الهند

طرح المعهد الهندى للدراسات الاسلامية بنيودلهـى مسـابقة لتأليـف كتاب عـن فلسفة الاسـلام الاقتصاديـة .

ليبيـا

احتفلت ليبيا بعيد استقلالها الخامس عشر .

باكستان

يقوم معهد البحوث الاسلامية بالباكستان بعمل مرجع رئيسى فى الشريعة الاسلامية .

تركيـا

صرح رئيس الغرفة التجارية التركية بأن (٣٥) شركـة تجاريـة قطعت كل علاقاتها مع اسرائيل وان تركيا رفضت اقامة غرفة تجارية مشتركة بين تركيا واسرائيل فى أزمير .

أوغندا : طردت اوغندا عشرة من الكهان لايوائهم بعض المتمردين من جنوب السودان .

مكتبة المجلة

طريق النصر فى معركة الثأر

بقلم اللواء الركن محمود شيت خطاب . ويحتوى الكتاب على « ٤٩٥ » صفحة مزودة بالخرائط الملونة . وهو دراسة عملية واعية لايضاح الطريق السوى الذى يقود العرب الى النصر ، ويستثير الهمم لاستعادة الحق المغتصب فى أرض فلسطين .

وطبع الكتاب فى مطابع دار لبنان للطباعة والنشر ص.ب (٥٦٢٠) بيروت ، وثمنه « ٦٠٠ » ق.ل .

دراسة فى فكر منحل

كتاب يقع فى (٢٢٠) صفحة وهو من تأليف الأستاذ محمد جلال كشك ، ويتعرض لنماذج من الفكر المنحل الذى يروجه أعداء العروبة والاسلام. والكتاب طبع فى مطبعة الجبل بلبنان وقامت بنشره مكتبة الأمل بالسالمية ـ الكويت .

فوائد قرآنية

للأستاذ أحمد خيرى وهو الكتاب الخامس عشر من سلسلة المطبوعات التي تصدرها دار نشر الثقافة بالاسكندرية للمؤلف ويقع الكتاب فى (١٢٢) صفحة ويتناول سور القرآن وبيان ترتيب نزولها وتقسيمها وما ورد فى القرآن منأعلام وأسماء وتراجم القراء الأربعةعشر ورواتهم الثمانية والعشرين ، وغير ذلك من الفوائد المتعلقة بالقرآن الكريم .

من وحى الكويت فى عشرين عاما

ديوان للشاعر أحمد عنبر أصدرته مطبعة مقهوى بالكويت فى كتاب يحتوى على (٣٢٠) صفحة ، وقد قسمه مؤلفه الى ثلاثة أقسام خص القسم الأول منها بالقصائد ورتبها ترتيبا زمنيا تصاعديا من القديم الى الحديث أى من أول عهده بالكويت حتى الآن .

والقسم الثانى خصه للجد والهزل ورتبه مثل الأول .

والقسم الثالث والأخير خاص بالأناشيد والتمثيليات .

ومعظمما ورد فىهذا الديوانكان قد نشرهمؤلفه فى الصحف أو ألقاه فى مناسبات عامة أو خاصة .

قادة فتح المغرب العربى

تأليف اللواء الركن محمود شيت خطاب وهو من سلسلة كتب (قادة الفتح الاسلامي) ويحتوى على قصص القادة الذين فتحوا (المغرب العربى) أمثال ابن أبى السرح وعقبة بن نافع وأبو المهاجر دينار وموسى بن نصير وغيرهم ..

ومن خلال سير هؤلاء الأبطال يظهر لنا بوضوح كيف انتشرت العربية لغة والاسلام دينا فى المغرب العربى ... والكتاب يقع فى (٣٥٢) صفحة وقامت بطبعه ونشره (دار الفتح للطباعة والنشر) ص.ب (٤٢٩٥) بيروت / وثمنه « ٦٠٠ ق.ل » .

الآثار الاسلامية التاريخية فى حلب

كتاب فى « ٤٠٠ » صفحة من تأليف الدكتور محمد أسعد طلس ، وهذا الكتاب معرب عن كتاب المؤرخ المستشرق الفرنسي الدكتور جان سوفاجة مضاف اليه معلومات جديدة ومعلقا عليه تعاليق مفيدة ، وهو مزود بأربعين لوحة تصويرية تبين وتوضح المعالم الأثرية الواردة فى الكتاب ، وقامت بطبعه مطبعة الترقى بدمشق لصالح مديرية الآثار العامة فى سوريا .

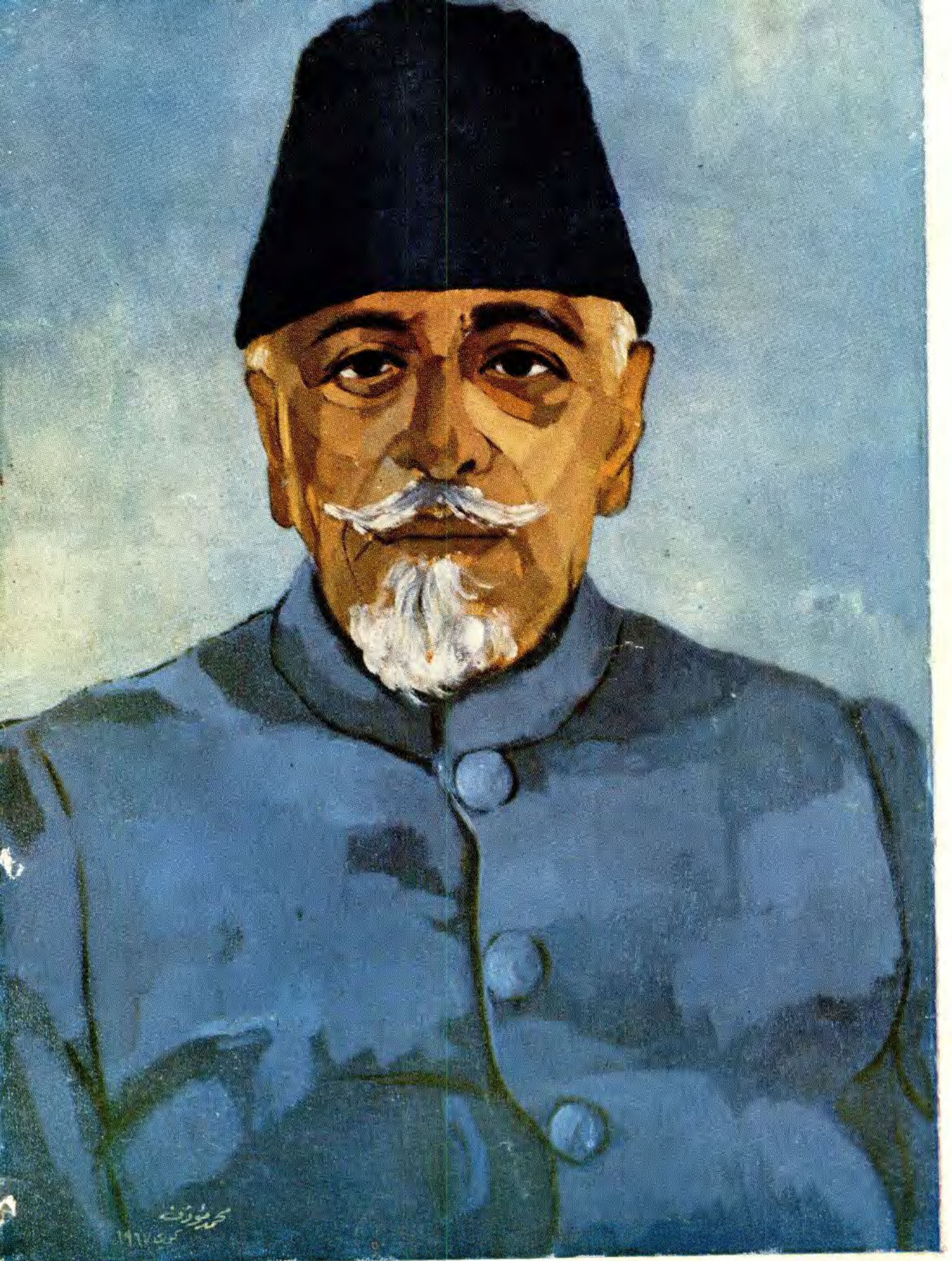
اقرأ فى هذا العدد

((الى راغبى الاشتراك))

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك فى المجلة . ورغبة منـا فى تسـهيل الامر عليهم ، وتفاديا لضيـاع المجلة فى البريد ، رأينا عدم قبـول الاشتراكات عندنا من الان ، وعلى الراغبين فى الاشتراك ان يتعاملوا رأسـا مع متعهد التوزيع عنـدهم ، وهـذا بيـان بالمتعهديـن ،

القاهرة : شركة توزيع الاخبـار ـ ٧ شارع الصحافـة
مكة المكرمـة : مكتبة الثقافة للصحافة . ص‌ب ١٤٦
المدينة المنورة : مكتبة ومطبعة ضياء ـ السيد محمد زين العابدين ضياء
الريـاض : مكتبة المدينة ـ ص‌ب ١٩ ـ السيد احمد باصريح
الطائـف : مكتبة الثقافة للصحافة ـ عمارة ابن الملوح ـ ص‌ب ٢٢
جـده : مكتبة الصلاح العالمية ـ عمارة البنك الاهلى ص‌ب ٦٣٥
بغـداد : مكتبة المثنى ـ السيد قاسم محمد الرجب
الخبر : مكتبة النجاح الثقافية ـ ص‌ب ٧٦ ـ السيد محمد سعيد بابيضان
البحرين : المكتبة الوطنية وفروعها ـ المنامة ـ السيد فاروق ابراهيم عبيد
قطـر : مكتبة العروبة ص.ب : ٥٢
عـدن : وكالة الاهرام التجارية ـ السيد محمد قائد محمد
المـكلا : ص ب ٢٨ ـ حضرموت ـ مكتبة الشعب المحـدودة
دبـى : ساحل عمان ـ ص‌ب ٢٦١ ـ السيد عبد الله حسن الرستمانى
مسـقط : المكتبة الاهلية ص ب ١٥٧
عمان والقدس : وكالة التوزيع الاردنيـة ـ السيد رجا العيسـى
دمشـق : الشركة العامة للمطبوعات ص‌ب : ٢٣٦٦
بيروت : الشركة العربية للتوزيع ص ب ٤٢٢٨
السـودان : ـ الخرطوم ـ السيد حسن نجيله ص ب ٤٢٤
بور سودان : السيد عطا المنـان . مكتبة كررى ص‌ب : ٣٠٣
مراكـش : الدار البيضاء ـ مكتبة الوحدة العربية ـ السيد أحمد عيسى
ليبـيا : طرابلس الغرب ص‌ب ١٣٢ ـ السيد محمد بشير الفرجانى
بنغـازى : مكتبة الوحدة العربية ص‌ب ٢٨٠ ـ السيد الشعالى الخراز
الكويت : مكتب منار للتوزيع ٢١ شارع فهد السالم ص‌ب : ١٥٧١

ونوجه النظر الى أنه لا يوجد لدينا الان نسخ من الاعداد السابقة من المجلة



مولانا أبو الكلام ازاد

« طالع مقال : العالم الثائر »

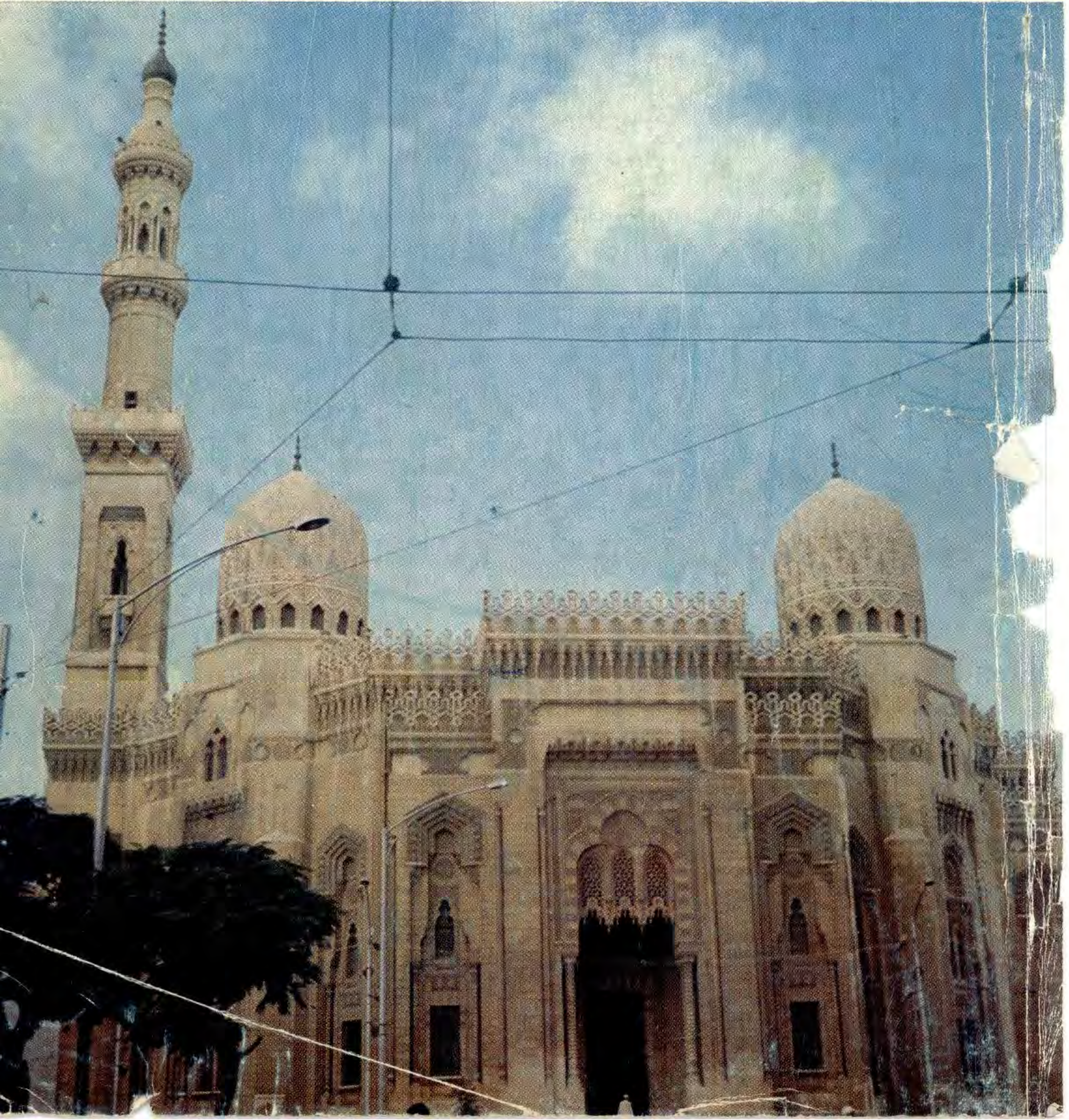
لوحة زيتية

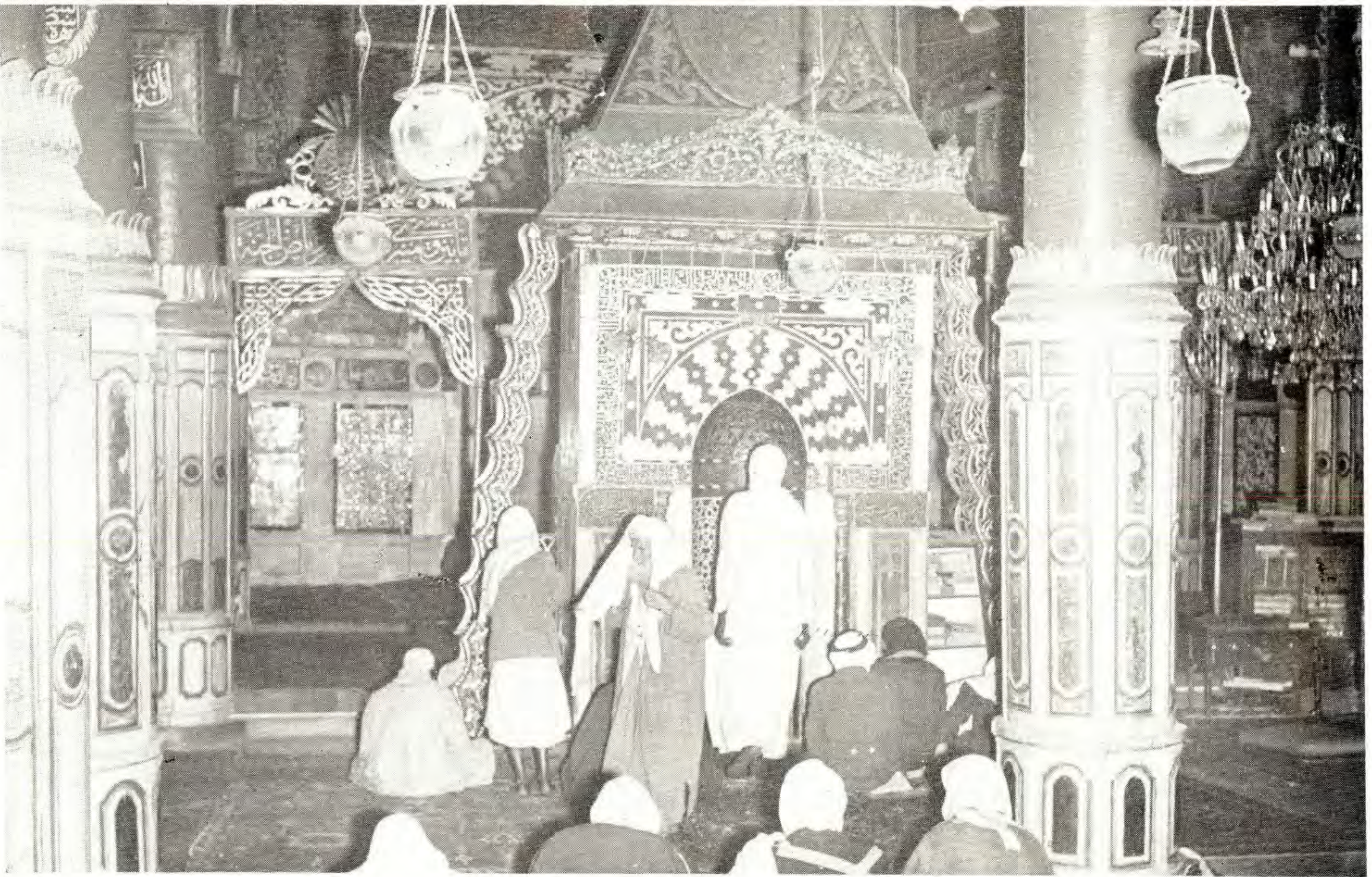
بريشة : محمد مؤذن

الوعي الإسلامي

إسلامية ثقافية شهرية

السنة الثانية ـ العدد الرابع والعشرون ـ ذو الحجة ١٣٨٦ هـ مارس ١٩٦٧ م





« مـا بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنة »

اللهم ارزقنا وقفة خاشعة في الروضة الشريفةحيث كان الرسول صلى الله عليه وسلم وصحابته يقفون أمام الله خاشعين مخلصين له الدين

« لعلك أن تنال بحرِّ وجهٍ : مكانا مسّه قدم النبيّ »

اقرأ فى هذا العدد

الوعي الإسلامي

اسلامية ثقافية شهرية

العدد الرابع والعشرون ـ السنة الثانية

غرة ذى الحجة سنة ١٣٨٦ هـ

١٢ من مارس (آذار) ١٩٦٧

تصدرها وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية بالكويت فى غرة كل شهر عربي

المجلة حرة ، والوزارة غير مسئولة عما ينشر فيها من آراء

هدفها : المزيد من الوعى ، وايقاظ الروح ، بعيدا عن الخلافات المذهبية والسياسية

المشرف العام

عبد الرحمن المجحم

رئيس التحرير

عبد المنعم النمر

مدير التحرير

على عبد المنعم

سكرتير التحرير

رضوان البيلي

صورة الغلاف



مسجد العارف بالله أبو العباس المرسي بمدينة الاسكندرية . بعد أن جدد بناؤه منذ عشرين سنة ويعتبر آية في فن المعمار .

اقرأ مقالا عن ((أبى العباس))

الثمن

الكويت	٥٠ فلسا
السعودية	١ ريال
العراق	٧٥ فلسا
الاردن	٥٠ فلسا
ليبيا	١٠ قروش
الخليج العربي	١ روبية
اليمن وعدن	٧٥ فلسا
لبنان وسوريا	٥٠ قرشا
مصر والسودان	٤٠ مليما

الاشتراك السنوى للهيآت فقط

فى الكويت ١ دينار
فى الخارج ٢ ديناران
(او ما يعادلهما بالاسترليني)
اما الافراد فيشتركون راسا مع متعهد التوزيع كل فى قطره

عنوان المراسلات : مجلة الوعى الاسلامي ـ وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية ـ الكويت ص . ب ١٣ ـ هاتف ٢٢٠٨٨

نشر الوعي الديني

من أهم واجباتنا

في يوم الثلاثاء ٢٨ شوال ١٣٨٦ هـ (١٩٦٧/٢/٧م) افتتح سمو الامير المعظم الفصل التشريعى الثانى لدور الانعقاد الاول لمجلس الامة ، وألقى سمو ولى العهد ورئيس مجلس الوزراء الخطاب الاميرى ، الذى يرسم سياسة الدولة فى الداخل والخارج . وتحدث فيه عن وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية ، وعناية الحكومة بالناحية الروحية ، وبث الوعى الاسلامى فى النفوس .

وانه مما يسرنا ، ويسر كل مسلم ، أن يلقى هذا الجانب الهام فى حياة الامة هذه العناية من جانب القادة ، وولاة الامور هنا ، وفى كل بلد اسلامى ، فانه لا نهضة لنا ولا قوة الا بالارتكاز على تعاليم ديننا الحنيف .

وفيما يلي حديث الخطاب الاميرى عن هذا الجانب :

وتؤمن الحكومة بأن نشر الوعى الدينى وتبصير المواطنين فى تعاليم دينهم الحنيف من أخص واجباتها ، وهو بالنسبة للشباب خاصة عامل قوى لبناء شخصيتهم ورفع مستواهم الخلقى وتزويدهم بسلاح منيع يصونهم من التردى فيما تردى فيه شباب هذا الجيل فى أقطار أخرى ، فالعلم والاخلاق رفيقان متلازمان ، وتحرص وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية على فتح المزيد من المكتبات فى المساجد .

هذا الى جانب تعمير المساجد القائمة وانشاء الجديد منها بشتى المناطق لاسيما فى الاحياء المحرومة منها .

وقد دخل مشروع مسجد الدولة الكبير الذى أشير اليه فى الخطب الاميرية السابقة فى مرحلة الاعداد للتنفيذ ، كما تم دعم ادارة الدعوة والارشاد التابعة للوزارة المذكورة ، تمشيا مع الظاهرة التى تسود العالم الاسلامى اليوم ، وهى نمو الوعى الدينى عند كافة فئات المسلمين .

أحس فى هذه الأيام أن جسمى هنا ، وقلبى هناك ، يحوم مع الحجاج حول بيت الله الحـــرام ... ويتنقل مع خطواتهـم فى أرض المجد والذكريات . أرض الوحى والقرآن ..

وفى سبحات التفكير والتخيل أرى معي جميع المسلمين من كل مكان ، تتجه قلوبهم الى حيث يتجمع ضيوف الله جميعا فى ساحة ((عرفات)) وكأنهم فى استعراض أمام خالقهم ، عدتهم فيه سلاح الايمان ، وطهارة القلوب ، يتنافسون فى القرب من الله ، والفوز برضاه ، وترتفع أصواتهم ، بالنشيد الرباني العلوى : ((لبيك اللهم لبيك ..)) ويلحون على الله فى الرجاء والسؤال : اللهم انى أسألك العفو والعافية فى دينى ودنياى وأهلى ومالى . اللهم استر عوراتى ، وآمن روعاتى .. اللهم لك صـلاتى ونسـكى ومحياى ومماتى .. واليك مآبى ..

وفى هذا الاستعراض الربانى استعراض القلوب والنيات .. يكرم الله ضيوفه ، ويفرح بتوبتهم ويباهى ملائكته بهم ، ويتجلى بمغفرته ورضوانه عليهم .

((وقف النبى صلى الله عليه وسلم بعرفات .. وقد كادت الشمس أن تئوب فقال : يا بلال أنصتْ لى الناس . فقام بلال فقال : أنصتوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم . فأنصتَ الناس . فقال : يا معشر الناس أتانى جبريل آنفا فأقرأنى من ربى السلام ، وقال : ان الله عز وجل غفر لأهل عرفات ، وأهل المشعر الحرام ، وضمن عنهم التبعات . فقام عمر رضى الله عنه فقال : يا رسول الله هذا لنا خاصة ؟ فقال : هذا لكم ولمن أتى من بعدكم الى يوم القيامة .. فقال عمر رضى الله عنه : كثر خير الله وطاب)) .

نعم ولا حرج ، فان ربـك واســع المغفرة .. والذين أقبلوا على هذا الاستعراض طاهرة قلوبهم خالصة نياتهم ، حسنة أعمالهم هم الذين يظفرون من الله بهذه الجائزة ((والله عنده حسن الثواب)) ولعلنا بهذا نفهم السر فى قوله صلى الله عليه وسلم ((الحج عرفة)) .

أخى

من الجدير بنا هنا ، وبكل حاج يغمره الأمن ، ويحفزه الرجاء فى عفو الله ، وهو يخطو فى بلد الأمن والرجاء ، أن نتذكر ــ كلما جاء يوم عرفات ــ أول حج حجه المسلمون بشكل جماعى بعد فتح مكة ، وأبو بكر رضى الله عنه أمير عليهم .. حيث أعلن هو وعلي رضى الله عنهما رسالة الرسول صلى الله عليه وسلم وتعاليمه : ((ألا لا يحجن بعد هذا العام مشرك ، ولا يطوفن بالبيت عريان)) وكان فى ذلك اعلان لسيادة الاسلام التامة فى مكـــة .

حتى اذا حج رسول الله صلى الله عليه وسلم حجة الوداع ، فى السنة التى تليها ، لم تقع عينه فيها الا على مؤمن بالله ، ولم تسمع أذنه صوتا يرتفع لسواه ..

وكانت نعمة على الرسول وعلى المؤمنين سجلها الله فى آية من كتابه الكريم نزلت فى يوم عرفات ((اليوم يئس الذين كفروا من دينكم فلا تخشوهم واخشونى اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا)) .

فكان نزولها تتويجا من الله لجهاد مرير حمل الرسول وصحابته أعباءه منذ بعث .. وكان تسجيلا ربانيا لوثيقة النصر ، يطمئن بها الرسول وأصحابه لما بلغه الاسلام من قوة ومجد وكمال ، بفضل ما بذلوه من النفس والجهد والمال .

وان اعلان النصر ، واتمام النعمة والرضا من الله ، بعد سنين طويلة من الجهاد والعناء لمن أثمن ما يعتز به المجاهدون ، ومن يأتي بعدهم ، ممن يجني ثمرة جهادهم وكفاحهم . واليوم الذى يتم فيه هذا الاعلان يجب أن يتميز عند أصحابه من بين الايام ، وتظل ذكراه حية فى النفوس ، تعتز به اعتزازها بأعظم الذكريات فى تاريخها ..

قال يهودى لعمر بن الخطاب رضى الله عنه يا أمير المؤمنين : آية فى كتابكم لو علينا معشر اليهود نزلت لاتخذنا يوم نزولها عيدا ـ يريد هذه الآية ((اليوم أكملت لكم دينكم)) ـ فقال له عمر : قد عرفنا ذلك اليوم ، والمكان الذى أنزلت فيه على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو قائم بعرفة يوم الجمعة بعد العصر)) .

وكأن عمر رضى الله عنه فى رده على اليهودى يقول له لقد عرفنا فضل هذه الآية ، ولدينا عيد فى صبيحة نزولها هو عيد النحر ..

لكن هل نذكر مع عرفات والعيد ذكرى اعلان هذه الوثيقة ؟ .

اننا اذا كنا ندعو الى احياء ذكراها فى النفوس ، فاننا لا نريدها مجرد ذكرى عابرة ، نقيم لها معالم الزينات ، ونردد فيها بعض القصائد والكلمات ، بل نريدها ذكرى تجدد فينا الامل ، وتحملنا على حسن القدوة والعمل ، فان الاسلام لم يبلغ ما بلغ من السيادة ، ولم يرفع المسلمون علم التوحيد على مكة وربوعها ، وينتزعوا من المشركين فيها السيادة والسلطان الا بفضل ايمانهم وتضحياتهم بأموالهم وأنفسهم ، فى سبيل كلمة الحق كلمة الله ..

ولو قعد المسلمون عن البذل والفداء ، واكتفوا من ايمانهم بتنميق الكلام والخطب الحماسية ، ورفع العقائر بالهتاف ، ما استطاعوا حتى الدفاع عن أنفسهم .. ولنهشتهم الذئاب التى كانت تتربص الفرص لافتراسهم والقضاء عليهم ..

لقد عبَّد لنا الرسول وصحابته الطريق ، وترك وديعة الله أمانة فى أعناقنا ، لنحافظ عليها بدمائنا ، ونجعلها حقيقة واقعنا ، لا لنضيعها ونضيع أنفسنا ، ونصبح آثارا ممسوخة لاسلافنا الامجاد .

ماذا يقال عن أمة يقول الله لها : ((اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا)) فتقول هى : لا .. وتعرض عن نعمة الله ، وما رضى لها من دين ، وتبحث عن سلامتها فى غير ما رضيه الله لها ، وقد علمها رسولها أن ((من التمس الهدى فى غيره أضله الله)) ؟ !

لقد كان احساس أسلافنا الامجاد بفرحة العيد متسقا مع واقعهم العظيم .

أما نحن فكيف نشعر ببهجته وهذا واقعنا : قطع ممزقة يلهو بها الاعداء ، وتتلاعب بمصيرها الاغراض والاهواء !!! .

كلما جاء العيد أهاج شجونى ، وكأنه يثير فى نفسى الاسى لذكرى حبيب فقدناه .

ان عيدنا ـ يا أخى ـ هناك يوم تلتقى قلوبنا جميعا على كلمة الله ، يوم نحس فعلا أننا نعيش فى رحابه ، وفى ظل الدين الذى أكمله وارتضاه .

يوم نرى نفوسنا تغمرها حلاوة الايمان ، وسلطان المسلمين يقصم ظهر كل سلطان

رئيس التحرير

جرائم بني إسرائيل

٤

للشيخ / عبد الجليل عيسى
عميد كلية أصول الدين بالازهر ــ سابقا

كما يقصها القرآن الكريم

ذكرنا فيما تقدم (١٤) جريمة من جرائمهم ، واليوم نعرض الجريمة الخامسة عشرة ، وهى جريمة دلت على خبث كمين فى طباع اليهود ، مكنهم من التسلل لعصيان الله سبحانه من وراء ستر يظنونه يخفى ما وراءه ، وغفلوا عن أنه فى الواقع لا يمكن أن يخفى على من يعلم ما تخفى الصدور ، الذى يعلم السر وأخفى من السر ، من خطرات النفوس وهواجسها .

هذه الجريمة التي جرت ذيولها على الأمم بعد أن ابتدعها بنو اسرائيل الى يومنا هذا ولم يسلم من شرها حتى خير الأمم ، كما ستعلم ذلك بعد ، وبذلك تراكم على اليهود من الذنوب مثل ذنوب كل من وقعوا فيها ، وهذا وحده يكفي لغضب الله وملائكته والناس أجمعين .

ألم يجعله الله سبحانه ناقوس تحذير وتخويف لكل من يأتى بعدهم من ذريتهم من أن يصيبهم مثل ما أصاب أصحاب هذه الجريمة من أجدادهم الأولين من اللعنة الخالدة ، اقرأ فى ذلك قوله تعالى (يا أيها الذين أوتوا الكتاب آمنوا بما نزلنا مصدقا لما معكم من قبل أن نطمس وجوها

فنردها على أدبارها أو نلعنهم كما لعنا أصحاب السبت وكان أمر الله مفعولا) الآية ٤٧ من سورة النساء وسترى فيما بعد صورا شوهاء من آثار هذه الجريمة.

واليك تفاصيل هذه الجريمة التي كرر الله سبحانه ذكرها فى القرآن بأساليب مختلفة نحو خمس مرات ، أولها فى آية ٦٥ من سورة البقرة و ٤٧ المتقدمة فيما سبق و ١٥٤ النساء أيضا و ١٦٣ من سورة الأعراف و ١٢٤ من سورة النحل.

جاء الحديث عن جريمة نقض هذا العهد المشدد الغليظ فى آية ١٥٤ المتقدمة حيث قال سبحانه (ورفعنا فوقهم الطور بميثاقهم ..) الى أن قال (وقلنا لهم لا تعدوا فى السبت وأخذنا منهم ميثاقا غليظا) .

فما هو هذا السبت ؟ وكيف كان تعديهم فيه ؟ وما حكمة أخذ هذا العهد عليهم ؟ وما هى السنّة السيئة التي فتحوا بابها ، يلجه كل من يأتي بعدهم ممن يريدون التلاعب بدين الله ؟ .

ستجد جواب هذه الاسئلة الأربعة فيما يلي :

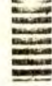
وقبل الكلام على تفسير هذه الآيات يحسن أن نشير الى أن الله جرت سنته فى ارشاد خلقه بأن يبتليهم بتكاليف متنوعة لحكم عالية :

منها أن بها يتميز الخبيث من الطيب ، ومن حكم عقله فى نفسه وشهواتها أفلح ، ومن جعل عقله عبدا لشهواته أفسده وخسر الخير كله ، وفى ذلك يقول سبحانه (أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون . ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين) آيتى ٢ و ٣ من سورة العنكبوت ، ومنها مع هذه الشرذمة بخصوصها (اليهود) أن الله سبحانه سلك معهم ذلك لعل من فيه بقية استعداد للاصلاح منهم أن يتمرن على الطاعة ، فيتغلب على ما يحيط به من طباع شرسة ، فتستقيم أحواله وينجو كما نجت الطائفة التي نجاها الله سبحانه كما سيأتي فى الآية .

أما كيف كان هذا الامتحان فبيانه : أنه سبحانه شرع لهم عدم العمل يوم السبت ليتفرغوا لعبادته فيه ، وجعل من تمام هذا الامتحان أن السمك يكثر ظهوره فى هذا اليوم بالذات قريبا من شاطىء البحر المجاور للقرية التي يقيمون بها ، كما سيأتى بيانها ، وفى غير هذا اليوم من أيام الاسبوع لا يرونه ، ولما تكررت هذه الظاهرة أمام أعينهم تدخل شيطان شهوة العصيان حتى لعب بعقول فريق منهم ، فانقسموا الى ثلاث طوائف .

طائفة ملكت زمام أمرها ، وخافت مقام ربها ، وهذه انقسمت الى طائفتين كما سيأتى .

وطائفة سال لعابها ولم تكبح جماح شهواتها ، فتظاهرت بالامتثال حتى لا تجابه الآخرين بعصيان الله سافرا . فماذا ألهمها شيطانها ؟ ألهمها حيلة ، تستر بها جريمتها ، تلك أنها عندما ترى السمك قريبا من الشاطىء يوم السبت المحرم عليهم الصيد فيه ، تأتى بشباك (مثلا) وتضعها وراء السمك من جهة البحر ، حتى اذا أقبل الليل وأراد السمك الرجوع الى جوف البحر منعته تلك الحواجز التي وضعوها ، وبذلك يمكن صيده بقية أيام الاسبوع التي يحل لهم الصيد فيها ، وأوهموا غيرهم أنهم بذلك أطاعوا ربهم فى عدم الصيد يوم السبت .



ولما كانت هذه مجرد حيلة واضحة الاستخفاف بأوامر الله سبحانه ، قامت جماعة من الطائفة الأولى فى وجهها ناهية لها عن مخالفة أوامر الله . وجماعة آخرون من هذه الطائفة سكتوا عن نهيهم وارشادهم يأسا من اصلاحهم مكتفين بأنهم لم يباشروا هذه الحيلة الشيطانية

وبذلك صار أهل هذه القرية ثلاث طوائف . طائفة تعدت وعصت ، وطائفة صالحة نهتهم واستمرت تنهى وتحذر سوء العاقبة ، وطائفة أخرى صالحة لم تجد فائدة فى نصحهم لاعتقادها أنهم بلغوا حدا من الفجور جعلهم غير قابلين للنصح . وذكر القرآن أن هذه الطائفة الثالثة لامت الطائفة الثانية على الاستمرار فى عمل لا نتيجة ترجى منه ، وردت عليهم الطائفة الثانية بأنها استمرت خوفا من الله أن ينسب التقصير اليهم ، وأيضا لأنه قد يكون بين الطائفة الأولى من فيه بقية استعداد لتقوى الله فينقذه الاستمرار فى النصح .

وذكر القرآن أن الله سبحانه عذب العاصين ، ونجى الناصحين المداومين ، وسكت عن الطائفة الثالثة .

وجمهور العلماء على أنها مستقبحة لعمل العاصين ، وأنها كانت مؤمنة بأن الله سبحانه سيعذب هؤلاء المعتدين ، ولذا قال عكرمة لما سمع من يقول : انها غير ناجية: كيف هذا ونحن نرى أنهم أنكروا وكرهوا ما عمله العاصون ؟ فاذا قلتم ان الله سبحانه لم يقل ونجيناهم جميعا . نقول : انه سبحانه لم يقل أيضا : وأهلكنا هذه الطائفة الثالثة مع الطائفة الأولى .

ولعله سبحانه انما خص بالذكر الذين استمروا على النهى لأنهم أعلى درجة عنده سبحانه حيث حملهم الخوف منه تعالى على مداومة النهى عن المنكر . واذا كان الساكتون عن النهى عن المنكر قد نجوا من الهلاك الذى اصاب الفئة العاصية المعتدية فانهم بلا شك سيؤاخذون بسكوتهم عن النصح والتوجيه مؤاخذة تتناسب وذنبهم وسلبيتهم .

ولعلك أدركت مما سبق أن القرآن ينصف المستقيم من الأمم التي ينحرف أكثرها فيسجل له استقامته كما هنا ، وكما فى قوله فيهم وفى أمثالهم (منهم أمة مقتصدة وكثير منهم ساء ما يعملون) آية ٦٦ من سورة المائدة .

قص علينا سبحانه كل ما تقدم فى آيات ١٦٣ الى ١٦٦ من سورة الأعراف فقال عز من قائل (واسألهم عن القرية) أى اسأل أيها النبى اليهود المعاصرين لك تقريعا لهم على سيرهم على آثار أجدادهم ، وتحذيرا لهم من أن يحل بهم ما حصل لهم من العذاب اذا هم استمروا على ما هم عليه . اسألهم عما حصل لأهل القرية ، قال ابن عباس . هى قرية (أيلة) وكانت بين مدين والطور ، (كانت حاضرة البحر) أى مشرفة على شاطىء البحر ، وكان سكانها من بنى اسرائيل (اذ يعدون فى السبت) أى حين يتجاوزون حدود الله بصيد السمك فى يوم السبت ، وكان ذلك محرما عليهم كما تقدم (اذ تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم) .

(سبتهم) قال الراغب . أصل معنى السبت القطع ، تقول العرب . سبت على الجلد يسبته ، بكسر الباء ، وضمها ، سبتا ، بسكون الباء ، أى قطعه قطعا ، وسمى اليوم الذى يقع بين يوم الجمعة ويوم الأحد باسم المصدر وهو (السبت)

لأن الله شرع لبنى اسرائيل قطع العمل فيه ، والتفرغ للعبادة ، فهذا الاسم (سبت) مما أخذه العرب من بنى اسرائيل الذين كانوا محيطين بالمدينة وما جاورها ، والا فاسم هذا اليوم عند العرب قبل ذلك (شيان) بكسر الشين . فالمراد من (يوم سبتهم) يوم قطعهم العمل للعبادة . (شُرَّعا) جمع شارع ، أى ظاهر ، والمعنى ظاهرة تلك الحيتان على وجه الماء ، قريبة من الشاطىء (ويوم لا يسبتون لا تأتيهم) أى يوم لا يقطعون العمل لا يرونه ، والمراد باليوم جنس اليوم ، فالمعنى أى يوم لا يقطعون العمل فيه فيشمل كل أيام الاسبوع غير يوم السبت .

(نبلوهم بما كانوا يفسقون) (نبلو) أى نمتحن ، والمراد نعاملهم معاملة الممتحن بالتكاليف الشاقة ، لعل ذلك يخفف من قسوة قلوبهم المستمرة على الفسوق ، وليتميز للناس من قد يكون فيه بقية صلاح ومن غلب عليه الخبث ، وهذه سنته تعالى مع جميع خلقه كما تقدم ، وعليها امتحن المسلمين بعدم صيد الحرم ، قال سبحانه (يا أيها الذين آمنوا ليبلونكم الله بشىء من الصيد تناله أيديكم ورماحكم ليعلم الله من يخافه بالغيب) أى ليعلم علم ظهور وتحقق (فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب أليم) آية ٩٤ من سورة المائدة .

والحمد لله . فقد نهانا سبحانه عن صيد الحرم وهو فى متناول أيدينا ، فانتهينا ، ولم نجرؤ على ما جرؤ عليه هؤلاء المجرمون . وقال سبحانه بعد هذه الآية ما يوضحها (يا أيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم) أى موجودون فى أرض الحرم بمكة .

وكذا امتحن الله قبل كل هؤلاء قوم صالح بالناقة . فقال سبحانه (انا مرسلو الناقة فتنة لهم فارتقبهم واصطبر . ونبئهم أن الماء قسمة بينهم كل شرب محتضر) آيتى ٢٧ ، ٢٨ من سورة القمر ، وبين ما به الفتنة فى آية أخرى فقال (قال هذه ناقة لها شرب ولكم شرب يوم معلوم . ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب يوم عظيم) آيتى ١٥٥ ، ١٥٦ من سورة الشعراء .

وتقدم أن يهود هذه القرية كانوا بعد هذا النهى ثلاث طوائف . طائفة حذرت المعتدين واستمرت فى التحذير ، وطائفة كفت ، وأشار القرآن هنا الى ما حصل بين هاتين الطائفتين من الحوار فقال (واذ قالت أمة منهم) هى الطائفة التي يئست فسكتت ، قالت موجهة الخطاب للطائفة الأولى المستمرة فى النصح (لم تعظون قوما الله مهلكهم أو معذبهم عذابا شديدا) أى لا فائدة ترجى من نصحهم ، فردت الطائفة الأولى (قالوا معذرة الى ربكم) أى اننا فعلنا ذلك ليكون عذرا لنا نعتذر به لربكم اذا سألنا يوم القيامة : هل نهينا عن هذا المنكر ؟ . (ولعلهم يتقون) وفعلنا ذلك راجين انتفاعهم بتكرار الموعظة فيتقون غضب الله وعذابه (فلما نسوا ما ذكروا به) أى فلما ترك العاصون الاصغاء لنصيحة الناصحين وأهملوها (أنجينا الذين ينهون عن السوء وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس بما كانوا يفسقون) أى أنجينا الناهين عن العمل السىء ، وعاقبنا الذين ظلموا بعذاب شديد بسبب خروجهم عن طاعة ربهم . وبما أن هذه قصة من قصص القرآن الذى قال الله سبحانه فيه (لقد كان فى قصصهم عبرة) فما هى العبرة هنا ؟ نقول ان فى هذه القصة جملة عبر لا عبرة واحدة نوافيك بها فى عدد قادم ان شاء الله .

الظلم العظيم

للشيخ على عبد المنعم عبد الحميد
المستشار الثقافى لوزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية

روى البخارى عن ابن مسعود قال : لما نزل قول الله تبارك وتعالى :
« والذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم أولئك لهم الامن وهم مهتدون » .
شق ذلك على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقالوا :
أينا لم يلبس أيمانه بظلم ؟
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : انه ليس بذلك ، ألا تسمعون لقول لقمان :
« يا بنى لا تشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم » .

كان لقمان نجارا من السودان آتاه الله الحكمة ، وقيل انه كان نبيا ، والنبى هو من أمر من الله بشرع يعمل به ولم يؤمر بتبليغه ، والصحيح أنه كان حكيما فقط ، وقد عزيت الى لقمان المقالات الكثيرة المشتملة على الحكم البالغة . ومما روى من حكمه التى لم ترد فى القرآن الكريم قوله : (أى بنى : ان الدنيا بحر عميق وقد غرق فيها ناس كثيرون فاجعل سفينتك فيها تقوى الله تعالى وحشوها الايمان ، وشراعها التوكل على الله لعلك تنجو ، ولا أراك ناجيا .

وقوله : من كان له من نفسه واعظ ، كان له من الله حافظ ، ومن أنصف الناس من نفسه ، زاده الله بذلك عزا ، والذل فى طاعة الله أقرب من التعزز بالمعصية ، يا بنى : لا تكن حلوا فتبلع ولا مرا فتلفظ ، يا بنى : اذا أردت أن تؤاخى رجلا فاغضبه قبل ذلك ، فان انصفك عند غضبه فآخه ، والا فاحذره .

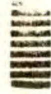
وقد أفرد الذكر الحكيم للقمان سورة خاصة جعل عنوانها « سورة لقمان » تحدثت عنه وأن الله تبارك وتعالى آتاه الحكمة وكان شاكرا لله مثنيا عليه بما هو أهله ، محبا لخير الناس موجها نفسه لما خلق لأجله من الطاعة والعبادة

واخلاص كل شيء لله وحده ، قال تعالى : «ولقد آتينا لقمان الحكمة أن اشكر لله ومن شكر فانما يشكر لنفسه ومن كفر فان الله غني حميد » ... ثم تلتها الآيات توضح ما وصى به لقمان ابنه وهو أشفق الناس عليه وأحبهم لديه، أمره أن يعبد الله وحده ونهاه عن الشرك، وأوضح أن الشرك ظلم عظيم لان فيه وضعا للشيء فى غير موضعه ، وتسوية بين من لا نعمة الا منه سبحانه ومن لا يستطيع جلب خير ودفع ضر وهى الأصنام . روى البخارى عن ابن مسعود قال : لما نزل قول الله تبارك وتعالى : « الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم أولئك لهم الامن وهم مهتدون » شق ذلك على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقالوا : أينا لم يلبس ايمانه بظلم ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : انه ليس بذلك ألا تسمعون لقول لقمان : « يا بنى لا تشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم » .

ولقد كان المحور الذى دارت عليه الرسالات جميعا هو التوحيد ، وافراد العلى الكبير بالعبادة واطراح عبادة غيره، ووضح ذلك فى القرآن الكريم وضوحا كاملا « قل هو الله أحد . الله الصمد . لم يلد ولم يولد . ولم يكن له كفوا أحد» . .. « والهكم اله واحد لا اله الا هو » ، ولما كان الشرك ظلما عظيما كان الذنب الذى لا يغفر والخطيئة التى لا يقبل معها عدل ولا شفاعة ، « ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء » فمن آمن بالله ثم اكتسب خطيئة أو اثما ولم يصر على ما ارتكب فالله يغفر له اذا تاب : « وانى لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى » ثم تمضى الآية الكريمة ذاكرة وصايا لقمان لابنه : « يا بنى انها ان تك مثقال حبة من خردل فتكن فى صخرة أو فى السموات أو فى الارض يأت بها الله ان الله لطيف خبير »، « وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو ويعلم ما فى البر والبحر وما تسقط من ورقة الا يعلمها ولا حبة فى ظلمات الارض ولا رطب ولا يابس الا فى كتاب مبين » (الاعراف) ، فالله تبارك وتعالى لا يعجزه شيء فى السموات ولا فى الارض ، فمهما فعل العبد من صالح الاعمال أو طالحها فالله محصيها ومحيط بها علما ومحضرها يوم القيامة حيث ما كانت وانى وجدت فى جوف صخرة أو فى أسفل باطن الارض ، ومجز عليها ان خيرا فخير وان شرا فشر ، فالله سبحانه لطيف يصل علمه الى كل خفى ، خبير بظواهر الامور وخوافيها يسجل على الانسان أعماله ويحصيها فى كتاب لا يضل ربى ولا ينسى : « ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه ويقولون يا ويلتنا مال هذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا أحصاها ووجدوا ما عملوا حاضرا ولا يظلم ربك أحدا » ولن يؤاخذ شخص بجريرة غيره ولن يحاسب على عمل سواه « ولا تزر وازرة وزر أخرى» .

ومن مقتضيات توحيد الله عز وجل وتنزيهه سبحانه عن الشركاء والأنداد — اخلاص الوجه له ، وابتغاء المثوبة عنده وحده ، وتطهير النفس من جراثيم الرياء والنفاق ، وحين تتلوث النوايا بالمراءاة وحب الظهور والشهرة . حين تفقد الأعمال الصدق والاخلاص لم يجد صاحبها مثوبة تنتظره ، ولا عاقبة تسره، روى أبو أمامة أن رجلا جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « يا رسول الله . أرأيت رجلا غزا يلتمس الأجر والذكر . ما له ؟ فقال الرسول : لا شيء له، ثم قال عليه الصلاة والسلام : ان الله عز وجل لا يقبل من العمل الا ما كان خالصا ، وابتغى به وجهه .

فدون الشرك بالله الواحد القهار ألوان أخرى خفية من الشرك تتصل بالنوايا ودخائل النفوس . سماها الرسول « الشرك الأصغر » ، وحذر منها ، ودعانا الى تحرير النفوس من آثارها . قال صلى الله عليه وسلم « ان أخوف ما أخاف عليكم الشرك الاصغر . قالوا : وما الشرك الأصغر يا رسول الله؟ قال : الرياء . يقول الله عز وجل اذا



جزى الناس بأعمالهم : اذهبوا الى الذين كنتم تراءون فى الدنيا ، فانظروا هل تجدون عندهم جزاء !! »

وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقف ذات يوم خطيبا في أصحابه فقال : (يأيها الناس : اتقوا هذا الشرك ، فانه أخفى من دبيب النمل . قالوا : وكيف نتقيه يا رسول الله وهو أخفى من دبيب النمل ؟ ! قال : قولوا : اللهم انا نعوذ بك أن نشرك بك شيئا نعلمه ونستغفرك لما لا نعلمه) .

وهذا النوع من الشرك يقتحم على النفوس أسوارها ، فيدخل على المجاهد فى جهاده وعلى العالم فى علمه ، وعلى الغنى فى ثروته ، وعلى الواعظ فى وعظه ، وعلى العابد فى عبادته ، والمعصوم من عصم الله ، ولهذا نجد الرسول صلى الله عليه وسلم يسوق لنا نماذج من أصحاب النفوس المريضة والنوايا المدخولة . عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ان أول الناس يقضى عليه يوم القيامة رجل استشهد فأتى به ، فعرفه الله نعمته ، فعرفها قال الله له : فما عملت فيها . . ؟ قال : قاتلت فى سبيلك حتى استشهدت قال : كذبت ، ولكنك قاتلت لان يقال : هو جرىء، فقد قيل . . ! ثم أمر به ، فسحب على وجهه حتى ألقى فى النار .

ورجل تعلم العلم ، وعلمه ، وقرأ القرآن ، فأتى به ، فعرفه نعمه فعرفها — قال : فما عملت فيها . . ! ؟ قال : تعلمت العلم وعلمته ، وقرأت فيك القرآن ، قال : كذبت ، ولكنك تعلمت ليقال : عالم، وقرأت القرآن ليقال : هو قارىء ، فقد قيل : ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقى فى النار . . . !!

ورجل وسع الله عليه ، وأعطاه من أصناف المال ، فأتى به ، فعرفه نعمه ، فعرفها ، قال : فما عملت فيها ؟ قال : ما تركت من سبيل تحب أن ينفق فيها الا أنفقت فيها لك ، قال : كذبت ، ولكنك فعلت ليقال هو جواد ، فقد قيل : ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقى فى النار .

ثم يحث لقمان ابنه على عبادة الله واقامة الصلاة وأدائها كاملة مستوفية لشروطها وأركانها ، ففيها رضا الله والانابة اليه ، وفيها النهى عن الفحشاء والمنكر ، ومتى ضعفت النفس واستكانت الى بارئها سبحانه وعبدت ربها حق العبادة وراقبته فى سرها وعلانيتها ، استعدت لان تتحمل رسالة الانبياء وترث الرسل وتجاهد فى سبيل الله فتأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر ، فالكامل يفيض الكمال على غيره وأما من فقد شيئا فمحال عليه أن يمنحه سواه .

وبهذا يوجه لقمان ابنه — بعد أمره بالعبادة — الى أن يهدى الناس ويعلمهم ويأمرهم بالمعروف ويهذبهم قدر استطاعته ومبلغ قوته و (لا يكلف الله نفسا الا وسعها) . . ثم ينهى عن المنكر، عن معصية الله ومحرماته التى تهوى بمن قارفها فى جحيم يشوى الوجوه ويذيب الابدان ويأتى على الاخضر واليابس .

ولما كانت الدعوة الى الله شاقة ومجابهة الناس مضنية عسيرة كان لا بد لها من التذرع بالصبر وقوة العزيمة والثبات على الحق والاعتماد على الله ، وهذا من الامور التى أوجبها الله على أوليائه وكلفهم بها وسيحاسبهم ان قصروا فى تحملها ، لأنها جليلة الفوائد عظيمة المنافع فى الدنيا والآخرة ، حكى ذلك التنزيل الحكيم عن لقمان فقال الله تبارك وتعالى :

« يا بنى أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك ان ذلك من عزم الامور » .

ثم شرع يحذر ابنه من أشياء لو فعلها لتعرض للهلاك وباء بالفشل وحل به الخسران المبين فناداه لينهاه : « ولا تصعر خدك للناس » أى لا تعرض عنهم بوجهك تكبرا واستهانة بهم . بل اقبل عليهم من غير كبر ولا عتو ، وفى هذا المعنى يروى الامام مالك عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا تباغضوا ولا تدابروا ولا تحاسدوا وكونوا عباد الله اخوانا » .

« ولا تمش فى الأرض مرحا » أى لا تسر مختالا متبخترا لان هذا فعل الجبارين المتغطرسين الباغين فى الأرض بغير الحق ، يقول الله تعالى : « ولا تمش فى الارض مرحا انك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولا » . روى أن غضيف بن الحارث قال : « جلست الى عبد الله بن عمرو بن العاص فسمعته يقول : ان القبر يكلم العبد اذا وضع فيه فيقول : يا ابن آدم ما غرك بي ؟ ألم تعلم أنى بيت الوحدة ؟ ألم تعلم أنى بيت الظلمة ؟ ألم تعلم أنى بيت الحق ؟ يا ابن آدم ما غرك بى ؟ لقد كنت تمشى حولى ذا خيلاء وكبر » وفى الحديث الشريف : « من جر ثوبه خيلاء لا ينظر الله اليه يوم القيامة » « ان الله لا يحب كل مختال فخور » أى لا يحب المعجب بنفسه الفخور على غيره .

« واقصد فى مشيك » أى امش هونا لا سريعا مفرطا ولا بطيئا متثبطا ولا ترائي الناس بل راقب مولاك وحده .. رأى عمر رضى الله عنه رجلا متماوتا فقال له : « لا تمت علينا ديننا ، أماتك الله » ، ورأى آخر مطأطئا رأسه فقال له : « ارفع رأسك فان الاسلام ليس بمريض » .

« واغضض من صوتك » أى لا ترفعه حيث لا يكون الى رفعه حاجة لانه أكثر وقارا للمتحدث وأكثر راحة لنفس المستمع .

« ان أنكر الاصوات لصوت الحمير » تعليل لسابقه فأبشع الأصوات وأقبحها ما رفع فوق العادة بلا داع وهو صوت الحمير ، وفى هذا من الذم والتنفير من فعله ما لا يخفى ، وهو أدب من الله تعالى لعباده حتى يتركوا الصياح فى وجوه الناس تهاونا بهم أو اعتداء عليهم .

هذا مجمل وصايا لقمان لابنه كما وردت بالقرآن الكريم ، وقد جمع بعض العلماء من وصاياه الشىء الكثير وأفرد لها الجاحظ أبوابا فى بعض كتبه .

فاقامتنا فى الدنيا اقامة مؤقتة والرحيل عنها آت ميعاده لا ريب فيه ، فالعاقل من اتعظ وسمع وأعد العدة ليوم يلقى به الله ويعاتبه فيه رسول الله ويحاسب فيه على كل ما عمل من خير أو شر « فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره . ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره » ، قال رجل لسيدنا على كرم الله وجهه : صف لنا الدنيا . قال : (وما أصف لك من دار من صح فيها سقم ومن أمن فيها ندم ومن افتقر حزن ومن استغنى افتتن ، فى حلالها حساب وفى حرامها عقاب)، دخل رجل على معاوية رضى الله عنه قد أسن وجاوز المائة : فسأله عن الدنيا كيف وجدها فقال : سنيات بلاء ، وسنيات رخاء ، يوم فيوم ، وليلة فليلة ، يولد ولد ، ويهلك هالك ، فلولا المولود لباد الخلق ، ولولا الهالك لضاقت الدنيا بمن فيها ، فقال له : سل ما شئت ، قال : عمر مضى فترده ، أو أجل حضر فتدفعه ، قال : لا أملك ذلك ، قال: لا حاجة بى اليك .. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من أصبح آمنا فى سربه معافى فى بدنه عنده قوت يومه فقد حيزت له الدنيا بحذافيرها » .

نسأل الله جلت قدرته أن يبصرنا بوصايا الرسل والأنبياء والحكماء ، ويسلك بنا طريقهم القويم ، ويجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه .

اللهم بصرنا بعيوبنا ، واكفف شر خلقك عنا ، واهدنا سواء السبيل . اللهم اهدنا فيمن هديت ..

الأشهر الحرم ومداها

للاستاذ : محمد عزة دروزة — دمشق

— ١ —

قال الله تعالى : « ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا فى كتاب الله يوم خلق السموات والأرض منها أربعة حرم ذلك الدين القيم فلا تظلموا فيهن أنفسكم » (سورة التوبة — ٢٦) .

والنص صريح بأن الأشهر الحرم أربعة . وليس فى القرآن نص بأسمائها . وهذا ما تكفل به حديث رواه البخارى ومسلم وأبو داود عن أبى بكر عن النبى صلى الله عليه وسلم جاء فيه : (ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض . السنة اثنا عشر شهرا . منها أربعةحرم . ثلاث متواليات : ذو القعدة ، وذو الحجة والمحرم . ورجب مضر الذى بين جمادى وشعبان) .

وهناك من قال ان كلمة : (الحرم) من معنى الحرمة والاحترام . ومن قال انها من معنى الحرام والتحريم . والمعنيان واردان حقا بالنسبة للأشهر الحرم حيث انها كانت محترمة ، وكان القتال وسفك الدماء فيها محرما . وفى آية فى سورة البقرة قرينة على ورود المعنيين معا وهى (الشهر الحرام بالشهر الحرام والحرمات قصاص فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم) (١٩٣) وان كان المعنى الثانى أكثر تبادرا بناء على التواتر اليقيني من جهة وعلى روح هذه الآية من جهة أخرى .

وهذه الآية من سلسلة فيها أمر للمسلمين بمقاتلة الذين يقاتلونهم تبدأ بهذه الآية : « وقاتلوا فى سبيل اله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا ان اللـه لا يحب المعتدين » (١٩١) وقد أباحت الآية ١٩٣ للمسلمين مقابلة العدوان الذى يقع عليهم بمثله اذا وقع فى الاشهر الحرم وقتال الذين يقاتلونهم فيه . وينطوى فى هذا كون القتال فى الشهر الحرام فى أصله محرما .

وهناك آية أخرى فى سورة البقرة تدعم ذلك وهى : « يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير وصد عن سبيل الله وكفر به .. » (٢١٦) وقد نزلت فى مناسبة وقوع حادث قتال اشتبه فى كونه من أيام أحد الأشهر الحرم وشغب المشركون وقالوا ان محمدا وأصحابه يستحلون القتال في الشهر الحرام حتى لقد شعر النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه بالحرج على ما ذكرته الروايات الوثيقة ، فأنزل اللـه الآية برفع هذا الحرج حيث انطوى فيها

١

قبل الإسلام وفي الإسلام

رد بمعنى أن الحادث اذا كان وقع فى الشهر الحرام فان المشركين هم الذين أول من خرق حرمة هذا الشهر،بما سبق منهم تجاه النبى صلى الله عليه وسلم والمسلمين والاسلام من صد وتعطيل وأذى وعدوان . فليس على المسلمين حرج اذا فعلوا فيه ما فعله المشركون قبل لأن ذلك من قبيل المقابلة المشروعة .

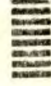
— ٢ —

وأحد منسكي الحج الرئيسيين وهو الوقوف فى عرفة يقع فى التاسع من شهر ذى الحجة على ما هو معلوم يقينا (١) وتسمية ذى الحجة باسمه بسبب ذلك على ما هو المتبادر . فيصح أن يقال ان الأشهر الثلاثة المتوالية هى أشهر موسم الحج التى ذكرت فى القرآن بهذا النص : « الحج أشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال فى الحج وما تفعلوا من خير يعلمه الله وتزودوا فان خير الزاد التقوى واتقون يا أولى الألباب » (البقرة ١٩٧) .

وهذا النص يزيد على تحريم القتال الذى تلهمه آيتا البقرة (١٩٣) (٢١٦) اللتان أوردناهما قبل تحريم الرفث والفسوق والجدال . وليس هنا ما يساعد على القول بجزم أن ذلك كان جاريا قبل الاسلام . ونحن نرجح أنه تشريع اسلامي حيث اقتضت حكمة الله زيادة فى اسباغ الأهمية والحرمة على الحج والأشهر الحرم . ولقد أول بعض المؤولين (الرفث) بالجماع كما أوله

---

(١) والمنسك الثانى هو العمرة على ما تعينه آية سورةالبقرة هذه : « وأتموا الحج والعمرة لله .. » (١٩٦) وقد سمى يوم الوقوف في عرفة باسمالحج الاكبر على ما تفيده آية سورة التوبة هذه : « وأذان من الله ورسوله الى الناس يوم الحجالاكبر أن الله برىء من المشركين ورسوله .. (٣) وهناك حديث رواه أصحاب السنن عن عبد الرحمنبن يعمر عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه « أمر مناديا ينادى فى حجة وداعه : الحج . الحج . يوم عرفة » والعمرة هى الطواف حول الكعبة ثم السعى بين الصفا والمروة سبعة أشواط سبعة اشواط . وننبه فى هذه المناسبة على أن هناك عمرة تطوعية يمكن أن تكون فى غير موسم الحج على ما تفيده آية سورة البقرة هذه : « ان الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت أو اعتمر فلاجناح عليه أن يطوف بهما .. » وحج البيت يعنى منسك العمرة الواجب فى موسم الحج كما هوالمتبادر .



بعضهم بكل فحش فى قول وعمل . والجماع غير ممنوع الا على المحرم . فاذا حل المحرم احرامه وعاد الى حالة الحل ساغ له الجماع أثناء موسم الحج كما هو مشهور أستنادا الى السنة النبوية . بحيث يجعل هذا القول الثاني فى معنى (الرفث) الأرجح والأكثر ورودا . وهذا متساوق أكثر مع مدى الفعلين الآخرين المنهى عنهما وهما الفسوق والجدال . واذا صح ما رجحناه من أن هذه الزيادة تشريع اسلامي ، ففي ذلك ما فيه من روعة وجلال حيث يعنى أن الاسلام لم يقف عند تحريم القتال فى أشهر الحرم الذى كان محرما قبله ، بل فرض على من يعتزم الحج أن يمتنع أيضا عن مقارفة كل ما يمكن أن يكون فيه اثم وفحش ومخالفة للآداب والأخلاق والأوامر النبوية فعلا وقولا . ومن تحصيل الحاصل أن نقول ان نهى الآية عن اقتراف ذنب ما من سفك دم وفسق وعصيان وفحش فى الأشهر الحرم لمن فرض على نفسه الحج لا يعنى أن ذلك جائز فى غير الأشهر الحرم ، وانما هو على سبيل تعظيم ذلك فيها بالدرجة الأولى .

ولقد روى عن بعض المؤولين أن أشهر الحج تبدأ من شوال . غير أن كون أشهر الحج هى الأشهر الحرم الثلاثة المتوالية هو ما عليه الجمهور وهو الأصح . وجملة « فلا تظلموا فيهن أنفسكم » الواردة فى آية سورة التوبة التي تعنى النهى عن ارتكاب ما يمكن أن يكون فيه ذنب يظلم المرء نفسه به خلال الأشهر الحرم الأربعة تتساوق مع النهى الوارد فى الآية ١٩٧ وتؤيد كون أشهر الحج هى الأشهر الحرم المتوالية الثلاثة . وتسمية شهر ذى القعدة باسمه عللت من القائلين بالقول الثانى انها للدلالة على أن الحجاج يتعدون فيه على رواحلهم للاتجاه الى مكة . ووجاهة ذلك ظاهرة . وقد قالوا : ان تسمية (المحرم) فيها توكيد بحرمته لأنه الشهر الذى ينصرف الناس فيه الى منازلهم بعد مناسك الحج . وهذا ما يجعل حكمة توكيد حرمته ظاهرة أيضا .

أما شهر رجب فالروايات تذكر أنه كان لأهل الحجاز فيه موسم دينى . والحديث المروى عن أبى بكر يدعم ذلك لأنه ينعت رجب برجب مضر . وقبائل مضر عدنانية حجازية . وليس هناك ما يساعد على معرفة كنه هذا الموسم وهناك تقليد اسلامي يسمى (الزيارة الرجبية) وهى أداء العمرة فى شهر رجب ، وهى من نوع العمرة التطوعية التي ذكرناها آنفا . فقد يكون ذلك الموسم الدينى فى رجب هو موسم أداء عمرة فى غير موسم الحج الأكبر كان يؤديها المضريون الحجازيون . والله تعالى أعلم .

وهكذا يكون شهر رجب المحرم لموسم دينى خاص كان يشهده أهل الحجاز ، فى حين كانت الأشهر الثلاثة الحرم المتوالية لموسم دينى عام يفد اليه العرب من كل صوب . وهو موسم الحج على ما هو المأثور المشهور . وقد يكون فى آية سورة الحج هذه : « وأذن فى الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق . ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الانعام ... » (٢٧ – ٢٨) .

— ٣ —

وفى سورة المائدة آيتان ذكر فيهما الشهر الحرام .

أولاهما : الآية الثانية من السورة : وهى « يا أيها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله ولا الشهر الحرام ولا الهدى ولا القلائد ولا آمين البيت الحرام يبتغون فضلا من الله ورضوانا .. » حيث تنهى المسلمين

عن خرق حرمة الأشهر الحرم واستحلال ما يحرم فعله فيها .

وثانيتهما : هى هذه : « جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس والشهر الحرام والهدى والقلائد (١) . . . » (٩٧) حيث تقرر أن الشهر الحرام من جملة ما جعل الله فيه مصلحة عظمى للناس عبر عنها بجملة (قوام للناس) أى ما فيه قوام أمرهم ومصالحهم وشئونهم .

وهذا القوام ماثل فيما تلهم روح الآيات أنه كان جاريا قبل الاسلام ، واستمر فيه من تحريم القتال وفيما شرعه الاسلام من تحريم الرفث والفسوق والجدال على من فرض على نفسه الحج . ومن الجائز أن تسمى الأشهر الحرم والحالة هذه هدنة مقدسة كانت تقوم بمجرد حلولها حيث يصبح الناس اذا ما حلت فى أمن شامل فلا نزاع ولا قتال ولا خوف . ويتلاقى الاعداء وأصحاب الثارات فى أثنائها فلا يكون بينهم شر ولا قتال . وقد وصل الأمر فى تأثم العرب قبل الاسلام من سفك الدم حتى أنهم حرموا الصيد أثناءها أيضا لما فى الصيد من معنى التحرش بذى حياة ، والعدوان عليه وسفك دمه وما فى ذلك من انتهاك لحرمة الأشهر الحرم . وفى بعض آيات سورة المائدة قرينة ما على حرمة الصيد منها آيتها الأولى وهى : « يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود أحلت لكم بهيمة الأنعام الا ما يتلى عليكم غير محلى الصيد وأنتم حرم ان الله يحكم ما يريد » ومنها هذه الآيات : « يا أيها الذين آمنوا ليبلونكم الله بشىء من الصيد تناله أيديكم ورماحكم ليعلم الله من يخافه بالغيب فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب أليم . يا أيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم ومن قتله منكم متعمدا فجزاء مثل ما قتل من النعم يحكم به ذوا عدل منكم هديا بالغ الكعبة أو كفارة طعام مساكين أو عدل ذلك صياما ليذوق وبال أمره عفا الله عما سلف ومن عاد فينتقم الله منه والله عزيز ذو انتقام . أحل لكم صيد البحر وطعامه متاعا لكم وللسيارة وحرم عليكم صيد البر ما دمتم حرما واتقوا الله الذى اليه تحشرون » (٩٤ — ٩٦) . والآيات وان كانت توجه الى المسلمين كتشريع قرآنى ، فان المشهور المتواتر أن الصيد كان محرما أيضا قبل الاسلام كما قلنا قبل قليل . ولقد تعددت تأويلات المؤولين لجملة « وأنتم حرم » فهناك من قال : انها تعنى « وأنتم فى منطقة المسجد الحرام » تبعا لحرمة القتال فى هذه المنطقة التي كانت قبل الاسلام ، وأقرها الاسلام على ما تفيده آية سورة البقرة هذه : « ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه فان قاتلوكم فاقتلوهم كذلك جزاء الكافرين » (١٩١) . وهناك من قال انها بمعنى « وأنتم فى الأشهر الحرم » وهذا معنى حرمة الصيد خلال هذه الأشهر فى منطقة الحرم وخارجها . تبعا لحرمة القتال فيها . وهناك من قال انها بمعنى : « وأنتم فى لباس الاحرام » وهو لباس معين للرجال والنساء حين يأتون من خارج مكة يكتسونه قبل أن يدخلوا منطقة المسجد الحرام ويؤدون به منسك العمرة ثم يذهبون به الى عرفة حيث

البقية على ص : ٥٨

(١) الهدى : هو الحيوان الذى يهدى الى **الكعبة** ليقرب قربانا لله ، والقلائد تعنى قلائد من لحاء الشجر أو الخيطان كانت توضع فى رقاب الهدى أو كان يضعها الحجاج فى رقابهم علامة على انها مهداة الى الله ، أو على أنهم اعتزموا الحج بقصد تحاشى العدوان عليهم واستحلال ذلك .

دراسات قرآنية

تكرار القصص في القرآن

للاستاذ كامل شاهين

« ١ »

عرض القرآن الكريم أخبار الانبياء عليهم الصلاة والسلام ، ومواقفهم من أقوامهم ومواقف أقوامهم منهم في صور مختلفات منها المبسوط ومنها الموجز ، ومنها الذى يناله التفصيل في ناحية منه ، ثم تجمل سائر النواحى اجمالا ، أو تطوى طيا .

والتكرار في ذاته غير مستحب ولامتقبل لانه يدل على الجدب ويورث الملالة .. ومن ثم اتخذ ذريعة الى الطعن في الكتاب العزيز ، منذ أول تنزيله ، وهجم الكفار على ذلك ، بقولهم ـ فيما يحكى القرآن عنهم (وقالوا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة) وبادرهم الله تعالى بالرد : (كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلا . ولا يأتونك بمثل الا جئناك بالحق واحسن تفسيرا) .

فالكفار كانوا يريدون أن ينزل القرآن جملة ، كما نزلت التوراة جملة .. أحكامه وقصصه ومواعظه وعبره .. ومن البين أن القصص حينذاك لا تتكرر ، والاحكام لا تتغير ، والمواعظ تتحدد .. فرد الله عليهم بأن في تنزيله شيئا في اثر شيء تعهدا لقلب الرسول صلوات الله عليه بالتثبيت والتمكين ، وبأن تفريقه يمكن معه اجابتهم عما يسألون ، والرد عليهم فيما يدعون .

ابن قتيبة والتكرار

وقد تصدى ابن قتيبة للرد على من يتخذ من التكرار مطعنا على القرآن فقال:

كان رسول الله ـ صلوات الله عليه ـ يبعث الى القبائل المتطرفة بالسور المختلفة فلو لم تكن الانباء والقصص مثناة ومكررة لوقعت قصة موسى الى قوم ، وقصة عيسى الى قوم ، وقصة نوح الى قوم ، وقصة لوط الى قوم .. فاراد الله بلطفه ورحمته أن يشهر هذه القصص في أطراف الارض ، ويلقيها في كل سمع ، ويثبتها في كل قلب ، ويزيد الحاضرين في الافهام والتحذير .

وليس شأن القصص شأن الفروض التى كان ينفذها رسول الله الى كل قوم فلم تكن تنفذ رسله بقصة موسى وعيسى وغيرهم من الانبياء (١)

وكلام ابن قتيبة يفيد أن الهدف من التكرار أن يجتمع لكل قوم سائر قصص الانبياء فلو نزلت كل قصة مرة واحدة وبصورة واحدة لوقعت لقوم احدى هذه القصص ، ولآخرين غيرها ، فلا تشتهر .

وكأنه ـ رحمه الله ـ يظن أن سائر القبائل العربية قد بلغها قصة كل نبى في صورة من الصور موجزات أو مفصلة ، وليس هذا من حقيقة الامر في شيء ، فالصحابة رضوان الله عليهم لم يكونوا

(١) تأويل مشكل القرآن ص ١٨١/٢٨٢ باختصار

متوفرين على حفظ القرآن ، قال أنس ابن مالك (كان الرجل اذا قرأ البقرة وآل عمران جد فينا ، أى جل فى عيوننا وعظم فى صدورنا) .

وكان كبار الصحابة ووزراء النبى ومستشاروه لا يستوعبون القرآن حفظا ، قال الشعبى : توفى أبو بكر وعمر وعلى رحمهم الله — ولم يحفظوا القرآن . (٢)

واذا كان هذا شأن الاعم الاشيع من الصحابة ، وكانوا هم السفراء المرسلين الى القبائل ، فانه لا يبلغ كل قبيلة الا ما وعاه واليها الذى أرسله صلوات الله عليه اليهم فيحفظون بعض مايحفظ ، ويتعلمون منه بعض ماعلم ، وقد يكون ما حفظه من قرآن خاليا من بعض القصص ، بل قد يكون خاليا من القصص كله .

أفيمكن مع هذا أن ندعى أن الغرض من تنجيم القرآن هو اشهار القصص فى القبائل ، وان تقع كل قصة لكل قبيلة ؟

وقد تحدث غير ابن قتيبة فى تخريج التكرار فلم يأتوا بطائل .

لكل حالة هدف

ونحن اذا أمعنا النظر ألفينا أن كل قصة تعنى بجانب معين ، فهى تقصر هنا لداعية ، وتطول هناك لداعية ، وهي تلح على جانب من الجوانب لانه يناسب الغرض الذى سيقت السورة له ، وتطوى جانبا من الجوانب لانه بمعزل عن الغرض الذى تضمنته السورة ، فالتكرار فى حقيقة الامر غير واقع لان لكل قصة منزعا ، وجوا عاما يجرى مع السورة ، ويندمج مع عزفها اندماجا لا يصلح له ما جاء فى غيرها من السور .

مع قصة نوح

فاذا نحن اتخذنا من قصة نوح — عليه السلام — مثلا ، ألفيناها تطالعنا فى سورة يونس ، وفى سورة هود ، والمؤمنون والشعراء والصافات ، والقمر ، ونوح .

ونحن بحاجة الى تتبع القصة فى كل من هذه السور لنرى مناسبة الجو ، والانسياب مع مجرى السورة ووقوعها الموقع المناسب بل الواجب .

فى سورة يونس

أ — فقصة نوح عليه السلام فى سورة (يونس) ، تطوى طيا سريعا ، وتخلص الى ما كان ، من نتيجة دعوته الملحة ، وتكذيبهم الوقح ، وعاقبة ذلك التكذيب من نصرة الله نوحا ومن معه ، وانجائهم فى الفلك واغراق المكذبين .

فليس هناك تفصيل للمرادة بين نوح وقومه ، وليس هناك حديث من بناء الفلك وحشد المؤمنين والطير والحيوان من كل زوجين ، ولا حديث عن فورة الطوفان وتراكب الموج ، ونداء نوح لولده الى آخر ما هنالك . لان الغرض هو تسلية النبى صلوات الله عليه والتسرية عنه وتنفيس ما كان يناله من هم وكد لامعان المشركين فى الاغراض والتكذيب والتعذيب ، وليس فى عرض هذه التفصيلات غناء فى هذا المجال .

وجملة الامر أنها تبين للناس أن الله ينصر أنبياءه ومن اتبعهم من المؤمنين ويحيق العذاب بالكافرين .

والذى يشهد لنا أنه قد جاء قبل القصة خطابا للنبى : (ولا يحزنك قولهم ان العزة لله جميعا هو السميع العليم) وجاء فى آخرها خطابا للنبى كذلك (فانظر كيف كان عاقبة المنذرين ؟!) .

فى سورة هود

ب — فاذا نحن انتهينا الى قصة نوح فى سورة هود ألفينا عرضا مبسوطا مفصلا ، اذ يعلن لهم أنه نذير من الله ، وينهاهم أن يعبدوا غير الله ، لأنه يخاف عليهم عذاب يوم أليم ، ويجيبه المكذبون من قومه بأنه بشر مثلهم ، ولا يغره أن اتبعه بعض الناس ، فما اتبعه الا الأرذلون ، ويتحنن نوح اليهم ، ويوجههم الى ما آتاه الله من بينة ، وانه لا يسألهم

---

(١) الاتقان ج ١ ص ١٢٢

على الاستجابة مالا ، وأنه لا يملك أن يطرد الذين آمنوا به ممن يستذلونهم ، فاذا طردهم فانه جدير ألا يجد من الله نصيرا . ويرد عليهم بأنه لم يزعم لهم أنه يعلم الغيب ، ولا يزعم لهم أنه ملك .. فاذا هو يجد ضيقا به وتحديا له واعلانا من الكفار أنهم لن يستجيبوا له فيلفعل ما هو فاعل .

وألفينا بعد ذلك أمرا بصنع الفلك ، وسخرية من الملأ المكذبين ، وردا فيه تهديد ووعيد من نوح ويجيىء أمر الله فيحمل نوح فى السفينة من يحمل ، وتسير باسم الله فى موج كالجبال ، وينادى نوح ابنه ليعتصم بالسفينة ، فيجيبه بأنه معتصم بجبل من الجبال .. وتبلع الارض ماءها ، وتمسك السماء ويغيض الماء ، وتكون نهاية الظالمين ، وتكون هناك مرادّة بين نوح وربه ، نوح يقول ان ابنى من أهلى ، والله تعالى يقول : ليس من أهلك المؤمنون المصدقون ثم يزجر الله نوحا فيزدجر ويستعيذ بالله ويطلب غفرانه ورحمته ، ثم يبارك الله نوحا وطائفته ممن معه ، وطائفة أخرى تتمتع بالحياة ثم ينالهم العذاب الأليم .

لماذا هذا التفصيل والامعان فيه ؟ الغرض ههنا ـ والله اعلم ـ مزدوج ، فهناك التسلية وتثبيت الرسول وهناك أخبار جديدة لم يكن يعلمها الرسول ولا قومه ، فهى برهان على نبوة الرسول ، ويشهد لهذا قوله تعالى (تلك من أنباء الغيب نوحيها اليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا) فهذا هوالغرض الثانى ، فأما قوله تعالى (فاصبر ان العاقبة للمتقين) فيتضمن الغرض الاول وهو تثبيت الرسول ونفى الحزن عنه .

فى سورة المؤمنون

ج ـ فاذانحن قرأنا قصةنوحفى سورة (المؤمنون) بان لنا أن الغرض من ذكرها بيان استمراء الكفار فى زعمهم أن الأنبياء لا يكونون بشرا ، ويتخذون من ذلك ذريعة لتكذيبهم ، وكأن المشركين من قريش قد واجهوا النبي بمثل هذا التكذيب .

والذى يدل لما ذهبنا اليه ، أنه قدجاء فى قصة نوح من سورة المؤمنون (فقال الملأ الذين كفروا من قومه ما هذا الا بشر مثلكم يريد أن يتفضل عليكمولوشاء الله لأنزل ملائكة) .

وجاء فى قصة الرسول الذى أرسل بعده (وقال الملأ الذين كفروا وكذبوا بلقاء الآخرة وأترفناهم فى الحياة الدنيا ما هذا الا بشر مثلكم يأكل مما تأكلونمنه ويشرب مما تشربون . ولئن أطعتم بشرا مثلكم انكم اذا لخاسرون) .

وجاء فى قصة موسى وهارون بعدذلك على لسان فرعون وملئه (فقالوا أنؤمن لبشرين مثلنا وقومهما لنا عابدون ؟) .

فى سورة الشعراء

د ـ أما فى سورة الشعراء فقد حدث عنها الدكتور طه حسين فى مرآةالاسلام فقال:وقصة نوح هنا موجزة أشدالايجاز لا يذكر فيها تفصيل العذاب الذى أخذ الله به الظالمين من قوم نوح ، وانما يكتفى بذكر اغراق الله لهم ، ولا يذكر فيهاصنع الفلك ، وحمل منحمل نوح فيه ، ولا وصف الموج ولا ما أصاب ابن نوح من الهلاك ..

وانما تقص السورة الحوار بين نوح وقومه ، واعراض قومه عن دعوته ، وانذارهم نوحا بالرجم ان لم ينته عن دعوته ، ودعاء نوح ربه أن ينجيه ، ثم ما كان من نجاته واغراق الظالمين .

فقد اقتصرت القصة هنا لأن ما قصد اليه من القصص كلها فى هذه السورة انما أريد به الى تذكير المشركين بآيات الله فيمن سبقهم من الأمم ، وتخويفهم أن يصيبهم مثل ما أصاب تلك الأمم واظهارهم على بطش الله بالظالمين ..

فى سورة الصافات

هـ ـ فاذا تلونا قصة نوح فى سورة الصافات ، ألفينا قصة نوح وسائر

قصص الأنبياء المذكورة فيها مسوقة لبيان الفوز والنصرة ، التى لقيها الأنبياء وللتنويه بهؤلاء الأنبياء ، ورفع شأنهم ولذلك اقتصر فى قصة نوح على هذه الآيات (ولقد نادانا نوح فلنعم المجيبون . ونجيناه وأهله من الكرب العظيم . وجعلنا ذريته هم الباقين . وتركنا عليه فى الآخرين . سلام على نوح فى العالمين . أنا كذلك نجزى المحسنين . انه من عبادنا المؤمنين) .

والذى يدل على مذهبنا هذا أن خاتمة القصص (سلام على نوح .. سلام على ابراهيم .. سلام على موسى وهارون . سلام على الياسين) .

فى سورة القمر

و ـ فأما سورة القمر فهى تبين لنا أن الساعة آتية قريبا ، وان قريشا ترى الآيات فلا تستجيب ، وتسمع من أنباء الأمم ما فيه مزدجر فلا تزدجر .. ثم تعرض هذه النذر سريعة متلاحقة فلا تكاد تبدأ فى السورة حتى تندفع فى القراءة وحتى تبهرك أحداثها المتصلة المنفصلة التي تنتهي وترتبط معا بهذه الخاتمة اللازمة ، التى تتضمن هذا السؤال الذى يقرع القلب وينبه العقل (فكيف كان عذابى ونذر ؟) ومن بعد هذا التقرير الجميل مختوما بهذا السؤال الذى يهدأ به القلب ، ويستجيب العقل (ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر ؟) .

وتأتى قصة نوح فلا تذكر دعوة نوح لقومه ، ولا تحننه اليهم ، ولا محاورتهم له ، ولا تطلعنا على تهديدهم له ، ولا على تعويضه لربه .. وانما تشهدنا نوحا عليه السلام مكذبا متهما بالجنون منتهرا بالشتم وسائر الوان الاذى . واذا هو يعلن لربه أنه يائس ، ويدعوه الى أن ينتقم ثم نرى السماء فاتحة ابوابها بالماء المنهمر والأرض تتفجر عيونها فيلتقى ماء السماء وماء الأرض على أمر قد قدر ، ثم نجد نوحا محمولا على سفينته التى تجرى بامر الله تعالى .

أين سخرية قوم نوح منه ؟ وأين اجتهادهم فى النفور منه والاعراض عنه وأين محاورة نوح لولده ، وأين مناقشة نوح لربه ، وكيف غاض الماء بعد انتهاء الطوفان .. كل هذا ليس غرضا من أغراض السورة ولو تناولت شيئا منه لانصرفنا عن الغاية التى يراد الوصول اليها .

فان الغاية المرادة هى بيان ألوان التعذيب التى تنال المكذبين .. فهناك أسلوب الاغراق لقوم نوح ، يتبعه قوله تعالى (فكيف كان عذابى ونذر ؟) ، وهناك أسلوب الأخذ بالريح الصرصر فى يوم نحس مستمر .. فاذا قوم عاد كأنهم أعجاز نخل منقعر .. يتبعه (فكيف كان عذابى ونذر ؟) وهناك الأخذ بالصيحة التي جعلت ثمود كهشيم المحتظر .. وهناك أسلوب الحصب وطمس الأعين لقوم لوط وهناك أسلوب الأخذ الجبار لقوم فرعون ..

فالغاية التعريف بأساليب العذاب وطرق النقمة التي ينزلها الله بالمكذبين ، ثم مساءلة كفار قريش آخر الأمر على سبيل التهكم (أكفاركم خير من أولئكم ، أم لكم براءة فى الزبر) .

أفترانا لو قرأنا تفصيلا لأحوال دعوة نوح ، وتفصيلا لاغراق قومه كنا متصلين بالغاية المنشودة وهي سرد أساليب العذاب .. أو كنا متصلين بهذه النتيجة وهي أن كفار قريش ليسوا خيرا من أولئك المكذبين ..

نعم ان هناك تشابها بين المسافات فى سورة الشعراء ، وفى سورة القمر ، غير أن الختام مختلف ، فبينما تختم كل قصص الأنبياء فى سورة الشعراء بقوله تعالى (ان فى ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين . وأن ربك لهو العزيز الرحيم)، نجدها فى سورة القمر تختم بقوله سبحانه (فكيف كان عذابى ونذر . ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر ؟) .

هذا الختام المختلف بين السورتين يبين لنا اختلاف الغرض من القصة فى كل منهما ، فالغرض من القصة فى سورة الشعراء هو تذكير المشركين بما كان من اهلاك الله لمن سبقهم من الأمم ، أما

الغرض من القصة فى سورة القمر هو بيان أسلوب العذاب وافتنان الله تعالى فيه بين أمة وأمة كما أسلفنا .

فى سورة نوح

ز ـ وبقيت سورة نوح التي تدور من أولها الى آخرها على قصة نوح ، وهي تدور حول شكوى نوح الى ربه ، وبيان اجتهاده عليه السلام فى دعوته ، واستفراغه الجهد وتلوينه الأساليب ، واحتماله الأذى والسخرية والتهديد واصرار قومه بعد ذلك على العناد والاستكبار ، ومعاندة نوح ورب نوح بعبادة آلهة غير الله .. لتصل بعد ذلك الى حق نوح عليه السلام فى دعائه عليهم بالابادة والبوار .

ولنا فى هذه القصة وقفات

الأولى : عند قوله تعالى (ثم انى دعوتهم جهارا . ثم انى أعلنت لهم وأسررت لهم اسرارا) .

فهو يقول انى دعوتهم مجاهرة استعلانا بالدعوة . واظهارا للثقة بالنفس ، واطمئنانا الى ما أعرضه عليهم من رأى .

وهو يقول انى . دعوتهم مسارة تأكيدا للمودة ، واختصاصا بالنصيحة ، وليكون هناك مجال للمناقشة الهادئة ، والبعد عن الاحراج الذى يفضى الى متابعة الجماعة والتورط فى خطئها .

والثانية : انه مزج بين الترغيب المادى وبين الاحتكام الى العقل . فهو يدعوهم الى الايمان لتطول أعمارهم ، وتدر السماء عليهم ، ويمدون بالأموال والبنين ، وتكون لهم الجنات والأنهار ..

ثم هو يدعوهم الى النظر فى ملكوت السموات والأرض ، فهذا القمر يمدهم بالنور ، وهذه الشمس تمنحهم الضوء والحرارة ، وهذه السموات طبقات ، وهذه الأرض بساط ذات سبل فجاج ، ووجهم للنظر فى انفسهم حيث خلقهم الله طورا بعد طور .

والثالثة : أننا نقرأ سرد نوح عليه السلام لاجتهاده فى الدعوة (ثم انى دعوتهم جهارا . ثم انى أعلنت لهم وأسررت لهم اسرارا فقلت استغفروا ربكم أنه كان غفارا . يرسل السماء عليكم مدرارا . ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهارا مالكم لا ترجون لله وقارا . وقد خلقكم أطوارا) .

فنرى أنفاسا متلاحقة ، يجذب بعضها بعضا ، أو يدفع بعضها فى اثر بعض ، فلا نكاد ننتهى من آية حتى نندفع الى الآية التالية لها ، كأنها موج متلاحق .

فاذا نحن جئنا الى آيات النظر والتعقل ألفينا أنفاسا هادئة تدعو الى الريث والتأمل والفكر (ألم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقا .. الآيات) ، وألفيناها تجىء فى صورة التساؤل الذى يدعو الى الاناة فى الاجابة .

وهكذا نجد البيان القرآنى يساير الغرض ، ويساوق الجو النفسي للموضوع .

والرابعة : أننا نقرأ دعوة نوح الى اهلاك المكذبين من قومه (رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا) فنظن فى بدء الأمر أنها صادرة من غيظ نوح من قومه ، وعن غيرة نوح على ربه حيث آثر هؤلاء الكفار على عبادته عز وجل عبادة ود وسواع وغيرهما من الآلهة المدعاة .

وما أظن أن الأمر كذلك ، فقد دعا نوح على قومه بالهلاك ليكون هلاكهم اجراء وقائيا لأن فى بقائهم اضلالا للمؤمنين ، واستكثارا بذريتهم التي تكفر كما كفروا ، وتفجر كما فجروا . (انك ان تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا الا فاجرا كفارا) .

وبعد : فلعل النظر المتصل فى أمر تكرار القصص يجد العناية الواجبة من المفسرين وخدمة القرآن لنجد تحديدا أكثر واضاءة لجوانب هذا الموضوع الجليل .

(وأملنا أن نلقى بعض النظر على تكرار الآيات فى مقال مقبل اذا شاء الله) .

الإسلام
ورسوله
وتعاليمه
بلغة
العصر



٨

لماذا الاسلام ؟

للاستاذ أحمد حسين ـ المحامى

أما وقد أنتهينا من تغليب المثالية على المادية ، والايمان بالله على الجحد به وانكاره ، فقد حان الوقت لننتقل خطوة جديدة للتحدث عن الاديان التى تدعو الى الايمان بالله، وتضع القواعد والمبادىء لعبادة الله ، وبناء المجتمع الانسانى على أساس من هذه العبادة .

وفى العالم على ما أشرنا فى مطلع هذه المقالات عديد من الاديان الساذجة البدائية التى تعبد الله فى مخلوقاته على شتى الصور والاشكال ، ابتداء من عبادة العناصر والظواهر الطبيعية كالرعد والبرق والمطر والنار أو الأفلاك والبروج والشمس والقمر والنجوم ، حتى عباده مختلف النبات والحيوان والانسان حيا وميتا .

وغنى عن البيان أن هذه الأفكار والتصورات الساذجة ، فى طريقها الى الانقراض بازدياد معارف الانسان ، واحاطته بأسرار الطبيعة ، وادراكه أن كل مظاهر الطبيعة ابتداء من أصغر وحداتها ، حتى أضخم مجراتها وسدمها، مسببات وعلل لسبب واحد أول ، وعلة كبرى تعلو فوق العلل كلها وتسبقها .

ولذلك فلست أرانا فى حاجة لاستعراض هذه الاديان المنقرضة أو السائرة فى الطريق نحو الانقراض ، والتى لا تخرج فى حقيقتها أن تكون أديانا قبلية فى أفريقيا أو استراليا وأجزاء من آسيا ، وهذا النوع من المعتقدات هو ما يتدرج تحت عنوان ما يسمى « بالمعتقدات الوثنية » .

على أن بعض هذه الأديان الوثنية ، يمكن أن يقارن بالاديان السماوية ، لكثرة عدد معتنقيه أو عالميته من ناحية ، أو لانطواء تعاليمه على طراز رفيع من الانسانية ومكارم الاخلاق ، كالبوذية أو الكونفشيوسية أو الهندوكية . فقد بلغ عدد معتنقى الديانة البوذية على ما يقرر تقويم العالم لسنة ١٩٦٦ The World Almanac ١٦١ مليونا، والكونفشيوسية ٣٥٠ مليونا ، والهندوكية ٣٩٥ مليونا ،



أما الاسلام فقد بلغ عدد معتنقيه فى آسيا وأفريقيا وحدهما ٤٥٥ مليونا ، بينما يبلغ عدد المسيحيين ٩٥٠ مليونا (١) لا يوجد منهم فى آسيا وأفريقيا سوى أقل من مائة مليون .

الاسلام واليهودية

وعلى الرغم من أننا لم نذكر الديانة اليهودية فى هذا الاحصاء ، على أساس أن معتنقيها لا يزيدون على ثلاثة عشر مليونا ، بعد أن كانوا خمسة عشر مليونا عام ١٩٤٧ ، أى أنهم فى خلال تسعة عشر عاما من الامن والاستقرار والازدهار، وانشاء دولة خاصة بهم ، قد تناقصوا بنسبة تزيد على ١٥٪ ، مما يدل على أنهم سائرون فى طريق الانقراض ، ومع ذلك فان أى مقارنة بين الاسلام وبقية الاديان فى وقتنا الحاضر ، لا يمكن الا أن تبدأ بالديانة اليهودية وذلك لسببين .

الاول : أن ذلك هو منهج القرآن الكريم الذى احتفل أشد الاحتفال بمناقشة اليهود ، والتنديد بانحرافاتهم ، ذلك أن ابراهيم أب الانبياء هو الجد الاعلى لسيدنا اسماعيل عليه السلام جد سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وسائر العرب المستعربة ، واسماعيل هو أخ لاسحق الذى أنجب يعقوب الذى أنجب أسباط بنى اسرائيل الاثنى عشر .

ونحن المسلمين مأمورون بالايمان بأنبياء بنى اسرائيل الصادقين منهم ، والتصديق بكتاب اليهود المقدس المنزل على موسى عليه السلام ، والمسمى « بالتوراة » أى الشريعة ، وأن تعاليم الكتب المقدسة كلها واحدة من حيث الجوهر ، وهى الايمان بالله الواحد الاحد خالق الكون ، وأن ما يرى عليه معتنقو هذه الديانات ، من زيغ وانحرافات ، انما هى اضافات من صنع الانسان بعيدة عن هذا الجوهر .

أما السبب الثانى الذى يجعل دراسة الديانة اليهودية فرضا لازما ، فهو قيام دولة اسرائيل على الأرض العربية والاسلامية باسم هذه الديانة ، وادعاء أن فلسطين أرض تخصهم بموجب العقد المبرم بينهم وبين الههم . وعلى هذا الأساس نبدأ بحثنا المقارن بين الاسلام واليهودية .

الديانة اليهودية كما يدل عليها كتابهم

ونحن اذ نشرع فى دراسة الدين اليهودى، فلن نتخذ القرآن الكريم مرجعا فى هذه المرحلة من بحثنا ، لأن هذا هو ما سوف نعود اليه بعد أن ننتهى من دراستنا الحالية باثبات تفوق الدين الاسلامى ، وبذلك نرد على السؤال الذى جعلناه عنوانا لهذا القسم من دراستنا . « لماذا الاسلام ؟ » وسنجعل كل عمدتنا فى التعريف بالدين اليهودى على كتبهم المقدسة ، وما قاله فيها علماء الأديان المقارنة المتخصصون .

ولليهود كتابان مقدسان أولهما « التوراة » أى الشريعة ، وهو ما يطلق عليه المسيحيون اسم العهد القديم ، وسوف نستعمل نحن هذا الاسم الأخير، لان للتوراة عند المسلمين قداسة باعتبارها كتابا منزلا من السماء . وسنرى بعد قليل أنه لا يمكن أن يكون بين هذا العهد القديم الموجود بين يدى اليهود وبين التوراة (بالمفهوم الاسلامى) أى صلة .

أما المصدر الثانى للديانة اليهودية فهو « التلمود » ، وهو الروايات الشفوية التى تناقلها الحاخامات من جيل الى

---

(١) فى تصورنا أن هذا الرقم مبالغ فيه ، اذ هو يشمل عشرات الملايين فى الاتحاد السوفييتى ، وأوروبا الشرقية والغربية وأمريكا ، ممن انسلخوا من كان دين . « الوعي »

جيل حتى شرع فى جمعها فى كتاب واحد عام ١٥٠ ميلادية ، وأضيفت عليها على مر الاجيال شروح وزيادات ، اعتبرت كلها مقدسة قداسة العهد القديم أو التوراة . ولكننا سنجعل جل اعتمادنا على الكتاب المقدس وهو العهد القديم على أساس أن لا خلاف على ما جاء فيه .

العهد القديم

يتألف العهد القديم من ٣٩ سفرا ، على اختلاف فى بعض الاسفار المتأخرة ، حيث لا يعترف بها اليهود كجزء من كتابهم — والاجماع على أن الاسفار الخمسة الاولى هى وحدها التى تعتبر عند اليهود « التوراة » أى الشريعة التى جاء بها موسى ، ولقد كتبت الأسفار التالية على مر القرون ، ولكنها لم تلبث أن اعتبرت كلها كتابا واحدا فى درجة واحدة من القداسة .

وهذه الاسفار التسعة والثلاثون هى تاريخ اليهود خلال ألفى سنة قبل الميلاد ، مذ هاجر ابراهيم من أور — مدينة الكلدانيين — الى أرض كنعان (فلسطين) واستيطانه نهائيا بها بعد عودته من رحلة الى مصر ، حيث أهداه فرعونها هاجر المصرية التى أنجبت له اسماعيل (أبو العرب المستعربة) . ولم تلبث زوجته سارة أن أنجبت له اسحق ، واسحق انجب يعقوب الذى سمى لاول مرة باسرائيل ، وأنجب اثنى عشر ولدا ، هم أصل اسباط بنى اسرائيل الاثنى عشر أو قبائل بنى اسرائيل .

ويمضى التاريخ يحدثنا عن تآمر أولاد يعقوب على أخيهم يوسف وكيف انجاه الله وحمله الى مصر ، حيث أصبح وزيرا بها ، ولم يلبث أن استدعى أباه واخوته وأقطعهم أرضا فى مصر ، فاستوطنوا بها وكثر عددهم حتى خاف المصريون منهم ، فبدأوا يضطهدونهم ، فبعث الله موسى وأخاه هارون ليخلصهم من الاضطهاد ، ويخرج بهم من مصر ، وبعد الحوادث المعروفة والمشهورة ، خرج بنو اسرائيل من مصر ، وعاشوا أربعين سنة فى التيه، ثم وصلوا الى مشارف فلسطين — وفى خلال هذه الفترة ، كان موسى عليه السلام قد تلقى الشريعة من الله وأبلغها لبنى اسرائيل . ومات موسى قبل أن يدخل بنو اسرائيل الى أرض فلسطين .

وتولى تابعه يوشع من بعده مهمة غزو فلسطين وانتزاعها من أهلها ، وظل بنو اسرائيل وليست لهم دولة موحدة يحكمهم قضاة ، ثم انتهوا الى تأليف مملكة وصلت الى ذروة أزدهارها أيام داود وسليمان من بعده ، والذى بنى بيتا للرب (هيكلا) فى مدينة أورشليم .

ثم انقسمت دولة سليمان بعد موته الى دولتين عام ٩٢٢ق . م . **دولة فى الشمال** تؤلف الجزء الاكبر من أسباط بنى اسرائيل (عشرة أسباط) وكانت عاصمتها مدينة شكيم وتدعى اسرائيل . **ودولة اخرى صغيرة** تعتمد على أورشليم وسميت دولة يهوذا . وقد سقطت دولة اسرائيل الشمالية على يد الاشوريين فى عهد ملكهم سرجون الثانى عام ٧٢١ق . م . حيث خربت وأبيدت نهائيا .

ولكن دولة يهوذا ظلت فى الجنوب ، الى أن حاصرها نبوخذ ناصر (بختنصر) ملك بابل،واستولى عليها عام ٥٨٦ق . م . وقاد اليهود اسرى الى بابل ، فعاشوا فى الاسر الى أن انتصر قورش ملك الفرس على بابل واستولى عليها ، فأعاد اليهود تحت رعايته وسيادته الى اورشليم ، وسمح لهم باعادة بناء هيكلهم فى القرن الرابع قبل الميلاد ، ولكن مملكة اليهود لم تعد الى الوجود ، فقد كانوا محكومين اما بالفرس أو بالاغريق بعد ذلك ، أو بالرومان ، وقد انتهى الرومان فى عهد الامبراطور هادريان بالتخلص نهائيا من اليهود عام ١٣٥م فخربوا مدينة اورشليم وحرقوها وحرثوا أرضها ، وأبادوا اليهود ، ومن نجا من الابادة تفرق فى طول الدنيا وعرضها ، ولم يعد يربط اليهود فى مشارق الدنيا ومغاربها الا هذا الكتاب الذى سجلوا فيه تاريخهم ، وكل



ما ارتكبوه من شرور ومفاسد ، وكل ما أوقعوه على الشعوب وأوقعته الشعوب بهم من اضطهادات .

وعاش اليهود ألفين من السنين يتعبدون بهذا الكتاب ، الذى يمكن اعتباره موسوعة مآس وانحرافات وانتكاسات ، وكان يمكن أن نعتبر هذا الكتاب شيئا يمت الى الماضى البعيد ، وقد فقد كل قيمة وأهمية ، لولا أن المسيحيين عمموا نشره ، ليستغلوا بعض ما ورد فى نصوصه من نبوءات عن المسيح ــ واليهود اتخذوه فى القرن العشرين ، كما قدمنا أساسا لانشاء دولة اسرائيل ، حيث يقوم الكتاب والدين اليهودى كله على الزعم بأن الله قد وهبهم أرض فلسطين ثمنا لعبادتهم له ومن هنا نجد أنه قد حان الوقت لنتحدث عن هذا العقد المزعوم .

عقد الاتفاق

جاء فى سفر التكوين ــ الاصحاح السابع عشر ما يلى :

« ولما كان ابرام ابن تسع وتسعين سنة تجلى له الرب وكلمه وقال له : لا يكون اسمك ابرام بعد ، بل اسمك ابراهيم ، لانى جعلتك أب جمهور أمم ــ وسأنميك جدا جدا ، وأجعلك أمما ، وملوك منك يخرجون ــ وأقيم عهدى بينى وبين نسلك من بعدك مدى أجيالهم عهد الدهر لاكون لك الها ولنسلك من بعدك ــ وأعطيك أرض غربتك لك ولنسلك من بعدك ، جميع أرض كنعان ملكا مؤبدا وأكون لهم الها » .

هذا هو العهد الذى ابرمه اله اسرائيل مع ابراهيم ، والذى لا يكاد يخلو سفر من أسفار العهد القديم دون أن تتكرر الاشارة اليه ، من أن يكون بنو اسرائيل شعبا لله . ويكون هو اله لهم ، وفى مقابل هذه الصفقة فهو يقطعهم أرض كنعان ملكا خاصا لهم ، ويجعلها تفيض لبنا وعسلا ، ويكثر عددهم حتى يجعلهم يفوقون نجوم السماء ، ورمل الصحراء عدا ، ويصف بعض أحبار اليهود وكتابهم هذا الاتفاق أحيانا بأنه عقد زواج ، حيث تكثر الاشارات فى العهد القديم ، الى زنا اسرائيل ، وأن اله اسرائيل قد أعطاها كتاب الطلاق ، وانه سيعود لزواجها بعد أن يرضى عنها .

وفكرة اختصاص اله بشعب من الشعوب أو قبيلة من القبائل ، ليس بدعا عند اليهود ، بل هو طابع كل المعتقدات الوثنية والقبلية فى العصور القديمة ، حيث كان لكل مجتمع وكل مدينة الهها الخاص ، الذى يحميها ويرعاها ، ولا تدين لغيره بالعبودية ، وهذا الاله القبلى يغار من الآلهة الاخرى ، ويدخل معها فى حروب وهكذا .

ولكن هذه الفكرة الساذجة تطورت مع الزمن واتساع تجارب الانسان ، حتى وصلت وحدانية الله الى ذروتها فى الاسلام كما سوف نرى ، فالله رب الناس جميعا ، وقد جعلهم شعوبا وقبائل ليتعارفوا ــ وجعل الكرامة والعزة والسؤدد من أجل أتقاهم ــ ولا فضل لعربى على عجمى الا بالتقوى ، والناس سواسية كأسنان المشط فكلهم لآدم وآدم من تراب .

ولكن اليهود ظلوا طول حياتهم يتعلقون بفكرتهم الوثنية من أنهم شعب الله المختار ، وأنهم أحباب الله وأصفياؤه من دون العالمين ، فعاشوا حيث وجدوا فى عزلة عن بقية الاجناس ، وتوجوا ذلك كله فى منتصف القرن العشرين بالاستيلاء على جزء من أرض فلسطين ، بمعاونة القوى الاستعمارية الصليبية ، مؤكدين بذلك أن هذا التصور الوثنى ، من ابرام الله عقد زواج أو اتفاق معهم لا يزال سارى المفعول فى زعمهم .

هل نفذ اليهود الاتفاق ؟

والحق أن لليهود حسنة واحدة يجب أن يعترف الانسان بها ، هى أن لم يخفوا حقيقة موقفهم من هذا الاتفاق ، وأنهم قد أخلوا به على مر العصور والاجيال ، فلم يعبدوا ربهم ، ولم يحترموا وصاياه وتنكبوا طريقه ، وسجدوا للأوثان ، وعبدوا الآلهة الاخرى ، فاستحقوا غضب الله عليهم ، ولأدع الان عبارات العهد القديم تتكلم .

« اسمعوا كلمة الرب يا آل يعقوب ، ويا جميع عشائر آل اسرائيل ـ هكذا قال الرب ، ماذا وجد فى آباؤكم من الظلم حتى ابتعدوا عنى واقتفوا الباطل ، وصاروا باطلا ـ لقد أدخلكم أرض كرمل (كنعان) لتأكلوا ثمارها وطيباتها ،ولكنكم دخلتم ونجستم أرضى ، وجعلتم ميراثي رجسا ـ الكهنة لم يقولوا اين الرب ، ودارسوا الشريعة لم يعرفونى ـ والرعاة عصونى ـ والانبياء تنبأوا بالبعل (أى اله الكنعانيين الوثنى) وذهبوا وراء ما لا فائدة فيه ـ فلذلك أخاصم بنى بنيكم (أرميا الاصحاح الثالث) .

ويمضى نبى اسرائيل أرميا قائلا .

« وقال لى الرب ، هل رأيت ما فعلت المرتدة اسرائيل ، قد سرحتها ودفعت اليها كتاب الطلاق ، فلم تخش الغادرة يهوذا ما حل بأختها ، بل ذهبت وزنت هى أيضا ـ ولاستسهالها الزنى نجست الارض وزنت مع الحجر ومع الخشب (أرميا ـ الاصحاح الثالث) .

« أتسرقون وتقتلون وتزنون وتحلفون بالزور وتقتربون (أى تقدمون القرابين) للبعل،وتتبعون آلهة أخرى لم تعرفوها ـ لقد أصرتم هذا البيت الذى دعى باسمى، مغارة للصوص أمام أعينكم (أرميا ـ الاصحاح الرابع) .

ومن قبل أرميا وجه أشعيا نفس هذه الاتهامات بنفس العبارات والالفاظ القاسية حيث يقول :

« كيف صارت المدينة الامينة زانية ، وقد كانت مملوءة انصافا ، وفيها مبيت العدل أما الان فانما فيها قتلة ـ رؤساؤك عصاة وشركاء للسراق . كل يحب الرشوة ، لا ينصفون اليتيم ودعوى الارملة لا تبلغ اليهم . (أشعيا الاصحاح الاول)

والحق أن شعب اسرائيل لم يعبد الله وحده ويستقيم على الطريق أبدا ، كما تنطلق بذلك كل صفحات العهد القديم ، فحتى فى أيام موسى الذى أخرجهم من مصر بقوة الله ، وشاهدوا معجزات الله الباهرة كما يصفونها فى كتابهم ، فان موسى لا يكاد يذهب لمناجاة الرب على جبل سيناء حتى يصنع بنو اسرائيل لانفسهم عجلا من ذهب يسجدون له ، ولا يكادون يصلون الى الأرض الموعودة حتى ينسوا الههم ويسجدوا للأصنام ويفسدوا فى الارض .

« وأقام بنوا اسرائيل بشطيم ، فأخذ الشعب يفجرون مع بنات مؤاب اللواتى دعون الشعب الى أن يذبح لآلهتهن ـ وتعلق بنو اسرائيل بالاله بعل ، فاشتد غضب الرب على اسرائيل . (العدد ـ الاصحاح ٢٥)

ويضيق بنا المجال لو رحنا نقتبس من العهد القديم اللعنات التى يصبونها على أنفسهم لانصرافهم عن عبادة الههم وعبادة الاوثان وآلهة الشعوب المحيطة بهم ، واستغراقهم فى الدنس وكل ما يعرف المجتمع الانسانى من آثام .

والحق أن هذا الذى غرق فيه اليهود طوال تاريخ حياتهم هو النتيجة الطبيعية :

ـ لصورة الله فى عقيدتهم .

ـ لمسلك قادتهم وأنبيائهم كما يصورونهم .

ـ لخلو عقيدتهم من الايمان بالبعث والحساب والثواب فى عالم آخر .

ـ لاهدارهم آدمية من عداهم من الشعوب .

وتفصيل هذه العناصر الاربعة يوضح الديانة اليهودية بكل جلاء .



صورة الله عند اليهود

يطلق العهد القديم على الرب اسم يهوه ويرى البعض أنها تعنى السيد (١) .

والمطالع لنصوص العهد القديم لا يعثر على جملة واحدة تفيد أن يهوه هذا هو الاله الذى لا اله غيره ، فكل الذى يطلبه من شعبه هو أن يختصه بالعبادة دون غيره من الآلهة .

« أنا الرب الهك الذى أخرجك من أرض مصر من دار العبودية لا يكن لك آلهة أخرى تجاهك . (سفر الخروج ــ الاصحاح العشرون)

أما صورة هذا الرب الذى أخرج بنى اسرائيل من مصر وقادهم بنفسه على شكل عمود من السحاب فى النهار وعمود من النار بالليل ، فأدع الى عالم أمريكى من أكبر علماء الديانات والفلسفة والحضارات فى العصر الحديث ، وأعنى به « ول دورانت » صاحب قصة الحضارة ، ومباهج الفلسفة ، أن يصفه لنا .

« ويبدو ان اليهود الفاتحين (لفلسطين) عمدوا الى أحد آلهة كنعان فصاغوه فى الصورة التى هم عليها ، وجعلوا منه الها صارما ذا نزعة حربية صعب المراس ... وهذا الاله لا يطلب من الناس أن يعتقدوا أنه عالم بكل شىء، وشاهد ذلك أنه يطلب الى اليهود أن يميزوا بيوتهم بأن يرشوها بدم الكباش المضحاة ، لئلا يهلك أبناؤهم على غير علم منه مع من يهلكهم من أبناء المصريين » .

كذلك لا يعتبر نفسه معصوما من الخطأ ، ويرى أن أشنع ما وقع فيه من الاخطاء هو خلق الانسان ــ لذلك نراه يندم بعد فوات الوقت على خلق آدم ، وعلى ارتضائه أن يكون شاول ملكا . وتراه من حين لآخر شرها غضوبا متعطشا للدماء ، متقلب الاطوار نزقا نكدا ، وهو يرضى عما استخدمه يعقوب من ختل وخداع فى الانتقام من لابان ــ وضميره لا يقل مرونة عن ضمير الاسقف الذى يندفع فى السياسة » .

وقصارى القول أنه لم يكن للامم القديمة اله آدمى فى كل شىء كاله اليهود هذا . (٢)

وقد أطلنا النقل عن ول دورانت ، حتى لا نتهم بعدم الفهم من النصوص وما توحى به من معانى ، والا فهى ناطقة بهذا الذى قاله دورانت وأكثر منه واليك بعضها .

« فبقى يعقوب وحده وصارعه (انسان) حتى طلوع الفجر ، ولما رأى أنه لا يقدر عليه ضرب حق فخذه ، فانخلع حق يعقوب فى مصارعته معه . وقال أطلقنى لانه قد طلع الفجر ــ فقال لا أطلقك ان لم تباركنى فقال له ما اسمك فقال يعقوب ــ فقال لا يدعى اسمك بعد الان يعقوب بل اسرائيل ، لانك صارعت مع الله وقدرت » .

« وسأله يعقوب وقال عرفنى اسمك فقال لم سؤالك عن اسمى ، وباركه هناك ، فسمى يعقوب الموضع فنوئيل قائلا انى رأيت الله وجها لوجه ، ونجت نفسى »

« ولذلك لا يأكل بنو اسرائيل عرق النسا الذى مع حق الورك الى هذا اليوم لانه لمس حق ورك يعقوب على عرق النسا » (سفر التكوين ــ الاصحاح ٣٢) .

ويطلب يهوه من بنى اسرائيل قبل خروجهم من مصر أن يسلبوا المصريين .

« حينما تمضون، لا تمضون فارغين ــ بل تطلب كل امرأة من جارتها ، ومن نزيلة بيتها أمتعة فضة وأمتعة ذهبا وثيابا ، وتضعوها على بنيكم وبناتكم

---

(١) اليهودية ــ للدكتور أحمد شلبى

(٢) ول دورانت ــ قصة الحضارة ــ الجزء الثانى ــ ص ٣٣٩

فتسلبون المصريين ، وفعل بنو اسرائيل كما أمر موسى وطلبوا من المصريين أمتعة فضة وأمتعة ذهبا وثيابا ــ وأتى الرب الشعب حظوة فى عيون المصريين فأعاروها لهم وسلبوا المصريين » (سفر الخروج ــ الاصحاح الثانى عشر)

وما أكثر ما تصادفك عبارات يزجر فيها موسى يهوه من أمثال « أرجع عن حمو غضبك ، واندم على الشر بشعبك ــ فندم الرب على الشر الذى قال أنه ينزله بشعبه » (سفر الخروج ــ ٣٣)

أما عن تعطش يهوه للدماء ، فيتجلى أكثر ما يتجلى فى الضحايا البشرية التى يجب أن تقدم له ، وفى الاوامر التى يصدرها لشعبه لابادة الشعوب الاخرى .

« واذا تقدمت الى مدينة لتقاتلها فادعها أولا الى الصلح ، فاذا أجابتك الى الصلح وفتحت لك ، فكل الشعب الموجود فيها يكون للتسخير ويستعبد لك ــ وان لم تسالمك بل حاربتك فحاصرتها وأسلمها الرب الهك الى يدك فاضرب كل ذكر بحد السيف ــ وأما النساء والاطفال وذوات الاربع وجميع ما فى المدينة من غنيمة فاغتنمها لنفسك ، وتأكل غنيمة أعدائك التى أعطاكها الرب الهك . أما مدن أولئك الامم التى يعطيها لك الرب ميراثا فلا تستبق منها نسمة ــ بل أبسلهم ابسالا (أى أقتلهم) الحثيين والاموريين والكنعانيين والفرزيين والحويين واليبوسيين كما أمرك الرب . (تثنية الاصحاح العشرون)

ولعل بنى اسرائيل لم يصدعوا بأمر من أوامر الاله كما صدعوا بهذا الامر فى كل عصورهم ، حيث تغص أسفار يوشع وصمويل والملوك بمئات الالوف من الرجال والنساء والاطفال الذين ذبحوا ، والمدن التى خربت وحرقت ، والحيوانات التى لم تسلم من غضب اليهود ولم يكن بأس اليهود على غير اليهود فقط ، بل انهم فعلوا بأنفسهم الافاعيل ، وعندما انقسم اليهود الى دولتين ، جرت بينهما الدماء أنهارا .

تلك هى صورة (يهوه) اله اسرائيل ووصاياه لشعبه فى اراقة الدماء .

أين الوحدانية والتنزيه

وقد حاول علماء اليهود وكتابهم فى العصر الحديث ، بعد انتشار نور العلم والعرفان ، وسيادة التعاليم المسيحية العالمية ، وانتصار الاسلام دين الوحدانية الصافى ، وما فى هذين الدينين (المسيحية والاسلام) من تصوير لله على أنه رحمة كله وحب كله ، أن يدعو أن اله اسرائيل قد تطور مع الزمن حتى أصبح اله العالمين على لسان أشعيا وأرميا وأصبح يفيض بالرحمة والسلام .

والذى لا شك فيه أن اليهود قد تأثروا بالتعاليم والمبادىء الحضارية الراقية التى عاشوا فى ظلها خلال الاسر فى بابل ، وتأثروا فى عهد مخلصهم قورش ملك الفرس بالديانة الزرادشتية ، وهى ديانة تتحدث عن مزدا اله النور بأسنى عبارات التوحيد .

والرأى على أن كتاب العهد القديم أخذ صورته التى هو عليها الان عام ٢٠٠ ق.م ومن هنا فقد تسربت الى أقوال أشعيا فى السفر المسمى (نبوءة أشعيا) عبارات متناثرة تتحدث عن اله الكون كله ، ورب السموات والارض ، وتتحدث عن سيادة السلام على الارض ومجىء المسيح الذى يملأ الدنيا أمنا وعدلا .

ولكن ذلك لا يعنى الا أن اله اسرائيل قد أصبح الها يعلو البشر كلهم لحساب اسرائيل ، فالحديث عنه هو دائما بذات الاسم القديم وهو « رب الجنود » وبنو اسرائيل هم شعبه الحبيب المختار الذى من أجلهم سيفنى جميع الأمم ، ولذلك فنحن نطالع فى أشعيا بالذات أن بنى اسرائيل سينقضون على الفلسطينيين نحو الغرب ، وينهبون بنى المشرق جميعا ، ويلقون أيديهم على آدوم ومؤاب ويطيعهم بنو عمون ــ ويضرب الرب لسان بحر مصر ويهز يده على النهر بريحه العاصفة ويشقه سبعة جداول فيعبر



بالأحذية (أشعيا ١١) أما مدن بابل ودمشق وسائر مدن الارض فانها تصبح يبابا وترابا وخرابا وتنضب مياهها وتنتن أنهارها .

« اقتربوا أيها الأمم للاستماع واصغوا ايها الشعوب . فان سخط الرب على جميع الامم وغضبه على كل جندهم، وقد ضربهم وأسلمهم للذبح - فتطرح قتلاهم وينبعث النتن من جيفهم ، وتسيل الجبال من دمائهم » . (أشعيا - ٣٤)

بل أن سفر أشعيا الذى يزعم الزاعمون أنه قد تطور بيهوه اله اليهود القديم الى الله رب العالمين الرحمن الرحيم ينتهى بهذه الصورة العجيبة المعنة فى الوثنية والوحشية والتى يتعالى الله عنها علوا كبيرا .

« لأن هوذا الرب يأتى ومعه النار وعجلاته كالزوبعة ليبلغ غضبه بحنق ، وانتهاره بلهب النار - لأن الرب بالنار والسيف يخاصم كل البشر ويكون قتلى الرب كثيرين » (أشعيا - ٦٦)

غير صحيح اذن ما يزعمه اليهود على لسان مؤلفيهم وكتابهم المحدثين من أن دينهم قد تطور على لسان أشعيا وأرميا ، فأصبح توحيدا صرفا ، ورحمة ومحبة ، فها هى نصوص الكتاب طافحة من أول صفحة حتى آخر صفحة بالعداء للأمم والشعوب والدعوة الى اراقة الدماء .

والحق أنه ليس هناك ما يؤسفنى انا شخصيا ، وأنا الذى أدعو للحب والتسامح والغفران والتآخى بين الشعوب والمذاهب والمعتقدات ، (١) أن ينتهى بى البحث العلمى المجرد الى هذه الحقيقة المؤسفة . ولن استطيع بالرغم من حبى للسلام ، ودعوتى لنسيان الماضى - والا كنت خائنا للامانة العلمية المجرد التى ألتزمها - ألا أسجل باعتبارى معاصرا لمأساة فلسطين ، كيف ذهلت فى وقتها وأصبت بصدمة عنيفة، لا عندما انقض نفر من محاربى اسرائيل على قرية ديريس العربية فقتلوا رجالها ونساءها وأطفالها ، ولم يرحموا حتى الحبالى منهن فكانوا يبقرون بطونهم ، ويذبحون الاطفال فى حجور امهاتهن ، أقول أن ذلك على فرط وحشيته لم يكن هو الذى أذهلنى وأصابنى بصدمة عنيفة ، بقدر تباهى مختلف الجماعات اليهودية بأنهم صانعو هذا العمل ، فقد صدرت بلاغات رسمية تتحدث عن تفاصيل هذه الواقعة ، فصدرت بيانات اخرى من جماعات منافسة تدحض نسبة هذه الأعمال الى من قالوا أنهم أصحابها ، وتأخذ الفخر كله لنفسها !!

لقد دل ذلك على أن القوم يتعبدون بهذه الاعمال ، ويتقربون الى الههم بها .

وعندما تشكك أقوام طيبون فى العالم أن يكون ذلك هو سبيل اليهود ، أقدموا على قتل الكونت برنادوت رسول السلام الذى بعثت به هيئة الأمم ليكون وسيط رحمة وسلام ، لتعلم الدنيا كلها ، أن الموت والتنكيل والتمثيل هو نصيب كل من يقف فى وجه اسرائيل .

فالتصور الوثنى للألوهية ، وتعطشها للدماء ، وانعكاس ذلك على تعاليم الدين اليهودى هو أحد عناصر هذا الدين الرئيسية . وسنرى عندما نعرض لتعاليم الاسلام كيف سجل على اليهود ذلك كله ودمغهم به ، وكيف حاول سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم أن يعطيهم فرصة جديدة للعيش فى سلام ومحبة مع بقية الموحدين بالله ، فأبوا الا أن يمضوا على ما اعتادوا المضى عليه .

ولننتقل الآن الى العنصر الثانى من مقومات العقيدة اليهودية ، وهى الصورة التى يتصورون بها قادتهم وزعماءهم وأنبيائهم ، فالى المقال التالى .

---

(١) اقرأ للمؤلف « الامة الانسانية » الذى صدر أخيرا

من مزاعم الروحيّة الحديثة

للشيخ محمد الغزالى

٢

تتضافر الجماعات المشتغلة بتحضير الأرواح على الترويج لديانة جديدة تحل محل الديانات القديمة ، وتنسخ تعاليم الأنبياء الأولين ، وترسم للعالم طريقا أخرى تصلح لطوره المعاصر ، وتلتقى فيها شتى الاجناس والنحل ..

ولا يحتاج المرء الى عميق ذكاء ليرى أن الروحية الحديثة بما وفدت به من تعاليم تقوم على وحدة الوجود ، فالله والعالم شىء واحد ..

وعلى تناسخ الأرواح وخلود الحياة المأنوسة لنا الآن . فلا فناء للدنيا ، وليس هناك يوم للبعث والحساب العام ..

وعلى أن الشرائع القديمة قد استنفدت أغراضها ، والروحية الحديثة هي التى ستهدى العالمين بوحيها العصرى المتقدم ..

ويبلغ هذا الخبل الروحى مداه عندما يكذب رسالة محمد ، ويؤكد الاشاعات حول عيسى وصلبه .. بل هنا ينكشف القناع عن الأهداف التى تعمل لها الروحية الحديثة ، والنيات الاستعمارية التى تختبىء خلفها ..

ومن الذى يختلق هذه الترهات ويروج لها ؟ عالم الأرواح الذى اتصل بالبشر فجاة لينير لهم الطريق .. ونريد أن نقف القراء وجها لوجه أمام النصوص التى تشرح هذه الروحية الحديثة منقولة عن الصحائف التى ينشرها أتباعها ، ويتحمسون لها أشد الحماس ..

فى كتاب للجمعية الاسلامية الروحية اسمه « التوحيد والتعديد » . يقول الروح الرائد لهذه الجمعية « انى صوت منبعث من السماء ينادى أهل الأرض أن آمنوا بالله .. انى أحمل رسالة هداية من السماء أعد خطواتها بدقة عباد

من مزاعم الروحية الحديثة



مخلصون لله تجمعوا فى ملكوته الاعلى.. ان دورى هو دور رسول يبلغ الرسالة ، ولقد جاهدت لاكون أمينا فى ايصال ما حملته » ص ٤٥ ، ص ٤٨ .

ثم يقول مسيلمة الجديد ، نبى الروحية الحديثة « تذكروا دائما أنكم فى الله ، وأن الله فيكم .. » واسم هذا الروح الرائد للجمعية الاسلامية الروحية « سلفربرش » . ويقول «سلفربرش» هذا فى كتابه الحكمة الذى تلقاه عنه أتباعه « نحن جميعا جزء من الروح الأعظم ، وأنتم فى مجموعكم مع بقايا الحياة الأخرى تكونون الروح الاعظم ، ولا وجود لله خارج هذه المجموعة ، ولو أن هذا القول لا يمكننى البرهنة عليه الا أنه يحسن قبول كلمتى فى هذا الصدد » ص ٥٢ ..

وهناك روح آخر اسمه «هوايت هوك» يهيب بالناس قائلا . « يجب أن نتحد فى هذه الحركة ، فى هذا الدين الجديد (!) وأن تسودنا المحبة وأن تكون لنا قدرة على الاحتمال والتفاهم .. رسالتى ـ أى دعوة « هوايت هوك زميل سلفربرش » ـ أن أواسى المحروم ، وأساعد الانسان على تحققه فى نفسه من الله سبحانه . الانسان اله مكسو بعناصر الارض (!) وهو لن يدرك ما فى مقدوره حتى يحس بجزئه الملائكى الالهى .. » العدد ١٢٧ من مجلة عالم الروح ، وفى كتاب التوحيد والتعديد الذى أوحى به « سلفربرش » يقول . « ان اليوم الذى تنتشر فيه التعاليم الروحية فى عالمكم سيكون فجرا ليوم سعيد .. اذ ستزول الفوارق بين الشعوب وتهدم الحواجز بين الاجناس ، وتذوب الفوارق بين الطبقات ، وتتلاقى الاديان حول حقيقة واحدة كما نبعث من حقيقة واحدة » ص ٥٧ .

وهذا المعنى تؤكده مجلة « عالم الروح » فى العدد ١٢٦ اذ تقول « ان هذه المنظمة ستكون لكل البشرية ، وعن طريقها سوف يوضح لنا سكان العالم الروحى طريقة جديدة للحياة ، ويعطوننا فكرة جديدة عن الله ومشيئته ، وسوف يحطمون الحواجز بين الشعوب والأفراد ، وبين العقائد والاديان » .

وفى كتاب التوحيد والتعديد ـ تعاليم « سلفربرش » ـ يقول « اذا كان التعصب للاديان فى وهم اقامة المناسك معطلا عن التلاقى فى صعيد واحد ، وهو معطل فعلا (!) فان الأديان ليست فى المناسك ، فلتترك البشرية هذا جانبا ، ولنتلاق فى مقابلة هذا الأمر الجديد من الاتصال الروحى » ص ١٨٣ .

وهذا الكلام المنطوى على استهجان المناسك الدينية واعتبارها مثار اختلاف البشر هو هو ما يقوله الروح الآخر « هوايت هوك » اذ يصرح بأن « الروحية تحتضن الجميع ولا تستثنى أحدا ، يقول الناس فى زمانكم ان الطقوس والفرائض عديمة النفع ولكن طقوسى وفرائضى تنحصر فى تدريب الناس على تركيز القوة الروحية » .

وظاهر من هذا التوافق أن مروجى الروحية يعملون لغاية مشتركة ، وأن العبادات المقررة لا وزن لها عندهم .. وتبدو قيمة النصوص الدينية فيما جاء بكتاب التوحيد والتعديد اذ يقول الكاتب دون حياء « ان القصص الدينى عن آدم ونشأته وزوجه وولده ليس تاريخا من وجهة النظر العلمى كما يتوهم بعض المتعصبين للأديان .. » اذن ما هو يا مسيلمة الجديد ؟

يقول « انه تكييف تقريبي للعقل البشرى عن النشأة بدءا من الفرد ذكرا

كان أم أنثى ، وعن تكرار هذه النشأة فى عوالمها ، سواء على هذه الارض ، ومنها كانت النشأة ابتداء ، ومظهرا ، أو بالارتداد من عالم الروح بعثا .. فآدم الحقيقة عليها وآدم الخليقة منها أمران تصويريان للعقول لا يدرك لهما أول ولا يعلم لهما كنه ولا ينقطع لهما فعل أو وجود » ص ١٠١

وهذا كلام ساقط مفترى من أوله الى آخره وهو ترديد لفكرة تناسخ الارواح . وخلود الدنيا وانكار الجزاء ، وهو الغاء لرسالات السماء كلها ، وطعن خبيث فى قواعدها ومناهجها وأخبارها ووصاياها ..

والغريب أن هذا الهدم الدينى العام الوافد من أوربا يتلقاه ناس منا على أنه فجر روحى جديد ، ويقول عنه مستشار قانونى يرأس جمعية اسلامية روحية . « اذا كان الاتصال الروحى فى هذا العصر يأتينا ممن أسميناه الغرب فان الله اليوم يأتى بالشمس من المغرب كما جاء بها قديما من المشرق .. »

وهذا كلام هزل ، فان هذه الروحية المزعومة حرب على الله والمرسلين ، ولا نشك فى أن الحاقدين على الاسلام الكارهين لأمته ، المعوقين ليقظته ، هم الذين يدبرون مؤامرتها وينسجون حبالتها .

وللاستعمار الثقافى أساليب ماكرة خفية لتدويخ الفكر الاسلامى ، وبث الفوضى فى جنباته والدعوة الى الروحية الحديثة بعض هذا الهجوم على حقائق الاسلام وتعاليم نبيه ، واسمع الى ما يقول الدجال « سلفربرش » ـ وهو الروح المرشد لبعض الجمعيات عندنا ـ

فى كتابه « الحكمة العالية » « لا زال المسيح فى عالمنا هو أعظم من نعرف ، ولم يحدث قبل يومه أو بعده أن ينزل الالهام الالهى الى الارض بالقدر الذى نزل عليه » .

ثم يستتبع هذا الدجال تكذيبه لنبوة محمد فيقول . كان عيسى آخر الانبياء والمعلمين ، ذاك الذى ولد من أبوين يهوديين » ص ٥٣ .

ثم يزعم أنه صلب لأنه بشر بتعاليم تخالف كنيسة عهده ص ٤٦ .

ومن غرائب الروحية الحديثة أنها توافق أخس المذاهب المادية فى مهاجمة الأديان السماوية والطعن عليها ، خصوصا الاسلام ، فيقول « سلفربرش » لا توجد جنة ذهبية ولا جهنم نارية . انما هذا هو تصور هؤلاء المحدودى النظر .. لا تقيدوا أنفسكم بكتاب واحد ولا معلم واحد ولا مرشد واحد .

فولاؤنا لا لكتاب ولا لدين ولا لعقيدة، ولكن للروح الاعظم وحده .

ولكى يزين للناس التحلل من عقيدة الايمان بالله يقول :

حيثما ينتقل الانسان للعالم الآخر فلا عبرة بما كان يظنه أو يعتقده . وانما العبرة بما أداه من خدمات للعالم ، فحينما يهوى الجسم المادى الى الأرض، فكل عقائد الجنس البشرى التى قاتل وجاهد من أجلها طويلا وتفرق شيعا وأحزابا تبدو جوفاء وعبثا لا معنى له ولا هدف .

لأن هذه العقائد لم تساعد على تزكية الروح ذرة واحدة ص ٢٨، ١٢٤، ١٤٩ « كتاب الحكمة العالية » . وينكر « سلفربرش » فكرة بدء الخليقة ، كما ينكر أيضا فكرة نهاية الخليقة فيقول : لا أستطيع القول أنه يوما ما لم يكن هناك ضوء ، ثم وجد فى اليوم التالى ، ان عالمكم لا زال يحتفظ بفكرة أن الخليقة

من مزاعم الروحية الحديثة



بدأت على مثال ما ورد فى قصة جنة عدن ، هذا ليس صحيحا .

لقد كان هناك دواما تطور فى عمــل مستمر ، ليس حقا أن الكون كان معدوما ثم بدأ فجأة ، الكون كان دائما موجودا نحن نعرف أن الكون لا بداية له ولا نهاية ص ١١٠ كتاب الحكمة العالية .

وهكذا يتضح لنا أن كل ما يقولــه دعاة هذه النحلة الخبيثة من أن دعوتهم تؤيد العقيدة الدينية وتدعمها انما هــو ضرب من الخداع والدجل .

ويعلنها « سلفربرش » هكذا بصراحة وجلاء فيقول . لا يهم اذا كان الرجل مسيحيا أو كافرا . المهم هو ما يفعله فى حياتــه .

اعطنى الرجل الذى لا يعتنق أى دين، الذى لا يركع لذكر اسم الله ، ولكنه أمين ، ويحاول أن يخدم ، ويمد يــده للضــعيف ، ويساعد الكلب الأعــرج . الرجل المملوء شفقة للمنكوبين ، والذى يعاون من هم فى ضائقة بحرارة . ذلكم أكثر تدينا ممن ينتسب الى أى دين . ص ١٠١ « كتاب الحكمة العالية » وهكذا يروج الالحاد تحت ستار التنويه بمكارم الأخلاق . .

كأن الدين عد الفضائل نافلة ، أو كأنه لم يتوعد بأشد النكال طوائف الكذبــة والخونة ، ومانعى الخــير ، وكارهــى الناس . . .

ولكن الروحية الحديثة تحتال للقضاء على الدين كله ، وخصوصا الاسلام ، بوضع مبادئها فى اطار براق من حب الانسانية والعطف عليها ، ومن المتاجرة ببعض الكلمات المطاطة فى هذا المجــال المفتعل . مع أن الانسانية حين تكذب الوحى ، وتتنكر للمرسلين ، وتهمل أوامر الله ونواهيه تنسلخ من فطرتها ،وتهوى الى أسفل سافلين .

وما قيمة العالم كله يوم يجهل ربه ، ويهمل هداه ؟

ونتساءل . أرواح من من الموتى هى التى تبنت ابلاغ هذه الرسالة الخسيسة لأهل الأرض ؟

أرواح الصالحين من المؤمنين ؟ كلا ، فهؤلاء عرفوا الله عن طريق موســى وعيسى ومحمد ، فيستحيل أن يخرجوا على كتبهم ، ويتنكبــوا طريقهم ، ولــو أتيحت لهم ــ جدلا ــ فرصة العودة الى الارض ، والعــودة اليها بعــد المــوت مستحيلة ، لما دعوا الناس فى هذا الزمان الا الى اتباع محمد ، والاخذ من قرآنــه وحسب . .

أهى أرواح الفجرة من العصــاة ؟ كلا ، فهؤلاء بعد ما غادروا الحياة ماكتهم حسرة قاتلة على زيفهم أيام الدنيا ، ثم هم فى أيدى حراس غلاظ شداد ، قــد أمسكوا بخناقهم توطئة لحساب شاق . .

فكيف يتصور أنهم عادوا الى الحياة الدنيا عن طريــق الاتصــال الروحــى يستأنفون التزوير والتضليل ؟

اننا لا نشــك فى أن مبادىء هــذه الروحية الحديثة هى من عبــث مــردة الجن ، الذين استغفلوا نفرا من أبناء آدم، واصطادوهم الى هذه المجالس ، مجالس الأشباح والأوهام ، أو مجالس تحضير الارواح ، كما يقال ليملوا عليهم هــذا المنكر من القول .

وما أكثر عبث الجن بالانس ، وأوسع طرقه ، ولذلك يندد القرآن الكريم بأطراف هذه الفتنة فيقول « ويوم يحشرهم جميعا يا معشر الجن قد استكثرتم من الانس وقال أولياؤهم من الانس ربنا استمتع بعضنا ببعض وبلغنا أجلنا الذى أجلت لنا قال النار مثواكم خالدين فيها الا ما شاء الله ان ربك حكيم عليم » .

ولا غرو فان الشيطان يستحلى اغواء أبناء آدم ، كما يستحلى أبناء آدم أكل السحت وارتكاب الزنا .. وعقبى هذه المتع كلها جهنم ..

وفى عصرنا هذا اخذت سخرية الشياطين من البشر هذه الطريقة التى لم تؤلف من بدء الخليقة . فطلع علينا من يزعم أن أرواح الموتى اتصلت به لكتابة ونشر دين جديد للناس واستمعنا الى أبواق الظلام فاذا هى تجدد الوثنيات القديمة ، وتحارب هدايات الله ، وتصد عن قرآنه العظيم ، الكتاب الذى استوعب الوحى كله ، والاثر الفريد الباقى الذى يقدم لعباده الحق الخالص النقى .

ولئن كنا نستنكر التعلق بما يسمى مجالس تحضير الأرواح على الاجانب الجهلة بالاسلام ، اننا لنستغرب من بعض المسلمين عدم مبالاتهم بالموضوع ونتائجه ، فربما سمح احدهم لنفسه — طمعا فى استكشاف غيب أو ابراء مريض — أن يحضر هذه المجالس ،وربما وضع الجن له طعما فى كلمة تصدق او حاجة تقضى فيلقى لها زمامه كله ، فاذا هو بعد حين ناكب عن الصراط المستقيم .

وللجن قدرة أبعد مدى من قدرة البشر ، انهم يغزون الفضاء بطاقاتهم العادية من زمان قديم ، ولكنهم لا يعلمون الغيب .

وما يكون غيبا أحيانا بالنسبة لنا قد يكون عيانا بالنسبة لهم ، والحداة لا تعلم الغيب اذا كانت ترى من الجو ما لا نراه نحن تحت أقدامنا ..

فاذا استطاع شيطان أن يعرف بعض ما نجهل ، عن الاشخاص أو الأشياء — وهى معرفة محدودة ، وقد تكون مغلوطة — فليس هذا علما بالغيب .. وبالتالى فان ما يثرثر به فى مجالس التحضير لا يدل على شىء ذى بال ، ولا يسوغ أبدا أن يكون ذريعة لترك ما نعلم من شرائع الاسلام .. لكن هذه المجالس للأسف ولدت لنا فى هذا العصر مسيلمة آخر ،وسجاحا أخرى ،والجنون فنون ...

اننا نحن المسلمين نؤمن بالمادة وبما وراء المادة ، نؤمن بالحياة الحاضرة وبالحياة المقبلة ، ولايماننا مصادر وثيقة من كتاب معصوم وسنة مضبوطة ، ولا يليق بنا أن نأذن للأوهام بأن تتسرب الى هذا الايمان .. ثم ان الأحكام الشرعية عندنا تفرق تفريقا حاسما بين اليقين العلمى ، والظن العلمى ، والرأى العلمى .. وهى تستبعد ابتداء الرؤى ، والالهامات ، من مصادر المعرفة الشرعية العامة .. والعيب المأخوذ على بعض المتدينين ، والذى قد يصيب الدين نفسه اصابة جسيمة ، أنهم يخلطون فى سلوكهم وفهمهم بين الرأى واليقين ، أو بين الأحلام والحقائق ..

ونحن ننصح المسلمين أن يحذروا على انفسهم من هذا الخلط ، والله ولى التوفيق "

فى أفياء البيت الحرام

أتى لـك مشتاقـا يجوب الفيافيـا ... ويستعذب الأهوال بالليل ساريـا

أتى لـك لا يـدرى وقد زاد شوقه ... ألاقى صعابا في السُّرى أم أمانيـا ؟ .

تحمل آلام الرحيـل منعمـا ... وودع أحبـابا هناك غواليـا

يوم مكـانا أشرق الـكون بعدمـا ... أقـيم به البيت الذى ظـل عاليـا

وأضحى بـه القفر اليبـاب مواردا ... وأمسى به الخير العمـيم مواتيـا

فيأيهـا السـارى هنا ماء زمـزم ... يروِّى الذى قد بات بالاثم صاديـا

ويأيهـا الـداعى هنا خير بُقعـة ... أرجِّى بهـا أن يستجـاب دعائيـا

★★★

تذكرت تاريخا قديمـا حبا هنـا ... لـه الفلك الدوَّار ما زال واعيـا

تذكرت إبراهيم إذ قـام وابنـه ... يسـاعده كى يرفعا البيت عاليـا

للاستاذ احمد ابو المجد عيسى

فأنشــأ بالتقوى بناء مكرمـــــــا وأذن في الدنيــا إلى الحج داعيـــا
فلبــاه من أقصى البـــلاد ركائب تسابق ركبانا إليــه نواجيــــــا
يخف إليــه الناس من كل بلــــدة وقد تخــذوا من دعوة الله حــاديـا

★★★

وأبرهة يزجى إلى البيت جحفـــــلا كجنح الدجــى في هدأة الليل غازيا
ليهــدم بيتا قوّم الله ركنـــــــه وبــات له رب الخلائق حاميــا
فأرسل طــيرا كالجــراد أتتهــمُ وكان بهــا رب البريــة راميــا

★★★

ويوم أراد الناس أول قـــــادم فكــان لهـم خير النبيين آتيــــا
فمد لهـــم طرف الرداء ليرفعــوا به حجرا كالمسـك يعبق ذاكيـــا
فأصلح أمرا كــاد يودى بقومـــه وجمّع شملا كــان من قبل واهيـا

القرآن والعرب

للشيخ عبد الله النورى

العرب هم العرب قبل الاسلام وبعد الاسلام ، ولكن شتان بينهم فى الزمنين من قبل ومن بعد .

والله جل شأنه بعث رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم فيهم ، وأنزل عليه كتابه بلسانهم ليعلمهم ويزكيهم .

وكانوا قبل نزول القرآن فى جاهلية جهلاء ، وضلالة عمياء ، قد يعمد أحدهم الى ابنته فيدفنها وهي حية . خوفا من عار ربما يلحق به .

وكانوا قبل نزول القرآن فى فوضى ، فلا وفاق يؤلف بين القلوب ولا جامعة تجمع بين القبائل ، فهم دائما فى حرب وعداء ، وسفك دماء .

وكان الناس طبقات سيدا ومسودا وشريفا ووضيعا وحرا وعبدا .

وكان القوى منهم يأكل الضعيف ، وكان عزيزهم يتمرغ على تراب الأوثان يطلب منها العون ، ويسجد عند أقدام الأصنام يطلب منها المدد .

ذكر القرآن كل ذلك فى مواضع عدة ، فذكرهم بنعمة الله عليهم حيث ألف بين قلوبهم بالاسلام بعد أن كانوا أعداء ، وأحل لهم الطيبات ، وحرم عليهم الخبائث والميتة والدم ولحم الخنزير ، وحرم عليهم عبادة الأوثان ، وعبادة من لا يسمع دعاء ونداء ، وعاب من اذا « بشر بالأنثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم . يتوارى من القوم من سوء ما بشر به أيمسكه على هون أم يدسه فى التراب » .

ونزل القرآن والناس فى ضلالهم منهمكون ، والحرب بين القبائل مستعرة .

ودعا الرسول بأمر الله الى توحيد الله وافراده بالعبادة ، والى توحيد الوجهة ، وتحرير الانسان من الذلة لغير الله .

كانت دعوة الاسلام هى لا اله الا الله وحده لا شريك له ، ومعنى ذلك أن الله هو المعبود فلا معبود سواه ، والانسان كريم كرامة تجله عن أن يذل لغير المعبود

الخالق البارىء المصور ، وأن الانسان أخو الانسان ، وهو عزيز لا يهون لمثله من بنى الانسان ، والناس كلهم اخوة فلا فضل لأحد على أحد الا بالتقوى .

وبدأت عزة النفس تجد طريقها عند من سمعوا صوت الحق وآمنوا به ، وقرأوا شيئا مما نزل على رسوله ، فنهض بهم ايمانهم من الجهالة،وأخرجهم من سراديب الضلالة ، فظهروا علىمسرح الوجود ليكونوا النواة الأولى لأمة القرآن .

وظهرت الأمة العربية على وجه البسيطة بعد الاسلام . ولم تكن شيئا مذكورا قبله . أخرجها الاسلام من زوايا النسيان لتكون ملء سمع الدنيا وبصرها ، وكانت به خير أمة أخرجت للناس (يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر) ، ويعلمون الناس الحق،ويأمرون بالعدل والاحسان، ويتواصون بالحق وبالصبر ، ليصلوا بذلك كله الى خير يعم العالمين .

وبالاسلام دخل العرب باب التاريخ .

فكان كتاب الله دستور دولتهم وقانون قضائهم ، ورائد مجتمعهم ، ومربى صغارهم وكبارهم ، وكان كتاب الله هو الآمر الناهى فى جميع مراحل الحياة فى المسجد ، والمدرسة ، وفى البيت ، والمتجر ، والمعمل ، وفى جميع الأدوار التي تمر بالانسان منهمأو يمر بها ، وهذه حقيقة أثبتها التاريخ ، ولا يستطيع أن يجحدها الا مكابر .

من هذا نفهم أن الاسلام هو الذى علم العرب معنى الكرامة ، وهداهم الى الألفة ، وأذاقهم حلاوة المجد ، وعزة السؤدد .

آمنوا بأن القرآن كتاب الله الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وأن ما فيه من تشريع هو من عند الله وحده ، وأنهم ان تمسكوا به فلن يضلوا الطريق ، لأنهم فى حماية الله سبحانه وتعالى الذى اختارهم لهذا الدين جنودا ، وأختار لهم هذا الدين هداية وعزة ، وجعلهم به خير أمة تهدى الناس وتبشر بالخير ، ومن كان فى حماية الله فلن يغلب ، ومن يتخل الله عنه فهو من الهالكين .

وكانت الأمة العربية قبل نزول القرآن محصورة فى جزيرة العرب ، لا تتعدى حدودها ، وجاء القرآن وعرب أمما لم يكونوا من العرب ، فأخرجهم من قائمة الشعوب الغير العربية وأثبتهم فى قائمة الشعوب العربية الاسلامية .

كانت هذه الأمم تتكلم لغات مختلفة وتدين بأديان متباينة ، فنطقت بلغة القرآن ودانت بدين القرآن .

واذا كانت هذه الأمم اليوم تتكلم لهجات مختلفة ، وقد لا يفهم المشرقي منهم لهجة المغربي ، لكن اذا اجتمعا تفاهما بلغة القرآن الخالدة خلود الدهر ، وهى اللغة الكريمة التي حفظها الله بالقرآن ، والتي اكتسبت الخلود بالقرآن فاللغة العربية لن تبلى حتى يبلى الدهر . بها نتعارف وبها نتفاهم وعليها نجتمع وبها يتصل بعضنا ببعض ، لا أقول ذلك للعرب وحدهم ولكن للعرب والمسلمين .

وانه من العقوق ونكران الجميل أن نتنكر للقرآن الذى رفع الله به العرب من ذلة فأعزهم . وعلمهم به من جهل فكرمهم ، وهداهم به الى رشاد فبصرهم وبنى لهم مجدا خالدا باقيا ذكره بقاء التاريخ .

لغة القرآن

ماذا

التهاون في اللغة التندر بمعلمي

للشيخ / أحمد الشرباصى

منذ حين تلاقى فريق من أساتذة الجامعات فى بعض البلاد العربية، وأخذوا يشكون من ضعف أكثر طلابها فى اللغة العربية ، فهذا رئيس قسم فى كلية يقول : ان طلابه لا يستحقون النجاح ، لانعدام شخصيتهم ، وضعف اطلاعهم ، ولانهم يجيبون على الاسئلة بلغة سقيمة تدل على جهلهم التام باللغة العربية الصحيحة . وهذا أستاذ ثان يقول : اننا نحاول أن نعلم الطلاب الثقافة واللغة ، ولكن يبدو أنهم لا يريدون ذلك .

وهذا أستاذ ثالث يقول : ان الطلاب يخطئون أخطاء لغوية ونحوية واملائية فاضحة ، وكثير منهم لا يفرق بين الفاعل والمفعول ، ولا بين المثنى والجمع ، ويقول أستاذ رابع : ان ضعف مستوى الطلبة فى اللغة العربية امر واضح ، وهو موضع شكوى من جميع الاساتذة ، كما أنه مظهر خطير لتدهور اللغة العربية ، ومن الواجب معالجة هذه الحال بالعلاج الحاسم ، حتى لا ننتهى الى وخيم العواقب .

هذه نماذج مختصرة من ألوان الشكوى التى أبداها الاساتذة ، ومن الواضح أن مستوى التعليم بين شبابنا قد هبط بصفة عامة ، وهبط ونزل فى علوم اللغة العربية بصفة خاصة ، وأصبح لا يقام كبير ميزان لهذه العلوم ، من نحو وصرف وبلاغة ، وأدب،وانصرفجزء كبير من العناية والاهتمام الى مواد أخرى موروثة أو مستحدثة ، وهذا من غير شك خطأ كبير ، وتفريط واضح لا يليقأبدا بما نحن فيه من اعتزاز بالعروبة

ماذا وراء التهاون فى لغتنا ؟

بل انالتهاون فيأمر اللغةالعربية يفتح البابللتهاون فيالعقيدة والعروبة معا،لان اللغة العربية تمثل العروبة والعقيدة معا، فهى لغة قومية لانها لغتنا الوطنية ،

وراء الدعوة للعامية

تهاون في العقيدة والعروبة معا

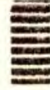
امتهان للغة والدين معا

اللغة والدين

وشعار وحدتنا العربية ، وباب ادراكنا لمفاخرنا الموروثة ، وأمجادنا المأثورة ، ووسيلة لمطالعة الصفحات المزهرة من تاريخنا المؤمن . ولها صلتنا الوثيقة بالعقيدة الدينية ، لأنها لغة الاسلام ، ولغة رسول الاسلام ، ولغة القرآن الكريم ، والله تبارك وتعالى يقول . « انا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون » .

ولقد أشار القرآن الكريم الى « عربية القرآن » فى أكثر من عشرة مواضع ، ففى سورة الشعراء يقول تعالى . « وانه لتنزيل رب العالمين . نزل به الروح الامين على قلبك لتكون من المنذرين . بلسان عربى مبين » وفى سورة الاحقاف يقول تعالى . « وهذا كتاب مصدق لسانا عربيا لينذر الذين ظلموا وبشرى للمحسنين » وفى سورة طه يقول تعالى . « وكذلك أنزلناه قرآنا عربيا وصرفنا فيه من الوعيد لعلهم يتقون أو يحدث لهم ذكرا » . وفى سورة الزمر يقول تعالى . « ولقد ضربنا للناس فى هذا القرآن من كل مثل لعلهم يتذكرون . قرآنا عربيا غير ذى عوج لعلهم يتقون » .

وفى سورة فصلت يقول تعالى . « كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون . بشيرا ونذيرا فأعرض أكثرهم فهم لا يسمعون » . وفى سورة الزخرف يقول تعالى . « انا جعلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون . وانه في أم الكتاب لدينا لعلى حكيم » . وفى سورة الشورى يقول تعالى . « وكذلك أوحينا اليك قرآنا عربيا لتنذر أم القرى ومن حولها وتنذر يوم الجمع لا ريب فيه فريق في الجنة وفريق فى السعير » . وفى سورة الرعد يقول تعالى . « وكذلك أنزلناه حكما عربيا ولئن اتبعت أهواءهم بعد ما جاءك من العلم مالك من الله من ولى ولا واق » . وفى سورة النحل يقول تعالى . « وهذا لسان عربى مبين » .



وفى سورة فصلت يقول تعالى . « ولو جعلناه قرآنا أعجميا لقالوا لولا فصلت آياته أأعجمي وعربي قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء » .

أرأينا معا هذا التكرار العميق المدلول لعربية القرآن وبيانه ؟ . ان هذا من غير شك تنبيه للابصار والبصائر الى أن فهم القرآن الكريم على وجهه يتوقف على معرفة اللغة العربية وفقهها ، ولذلك كان من واجب المعتز بالاسلام أن يحث على تعلم اللغة العربية ، وأن يغضب اذا رأى تهاونا بها ، أو اجحافا بحقها .

والعجيب أن الرسول عليه الصلاة والسلام سبق المتحدثين عن العروبة بقرون وقرون ، حين قرر أنعماد العروبة هو اللغة العربية واللسان العربى ، فقد خطب النبى صلى الله عليه وسلم ذات يوم فقال . « يا أيها الناس ، ان الرب واحد ، والاب واحد ، وان الدين واحد ، وليست العربية بأحدكم من أب ولا أم ، وانما هى اللسان ، فمن تكلم العربية فهو عربى » .

أرشدوا أخاكم

ولقد كان سيد الخلق محمد خير داع للعربية ومحرض عليها ، ببيانه العربى المشرق ، وترديده لآيات ربه البينات ، وحثه على تعلم العربية ، وتجنب الخطأ فيها ، فقد روى أن رجلا لحن أمام النبى صلى الله عليه وسلم ، فقال النبى لمن حوله من صحابته . « أرشدوا أخاكم فقد ضل » ،فجعل الخطأ فى اللغة ضلالا، يحتاج الى الارشاد والتقويم، ومعنى هذا أن الذين يعلمون العربية ، ويحضون عليها ، يقومون عوجا ، ويحاربون ضلالا ، ويحققون للناس رشادا .

ولقد صرح الامام الشافعى رضى الله عنه فى كتابه المشهور « الام » بوجوب تعلم اللغة العربية على المسلم ، فقال : « على كل مسلم أن يتعلم من لسان العرب ما بلغه جهده » . وذكر أنه كلما ازداد الانسان علما باللسان العربى كان خيرا له ، وقد ذكر السيد محمد رشيد رضا فى الجزء التاسع من « تفسير المنار » وفى كتاب الوحى المحمدى أنه لم يخالف الشافعى أحد فى هذا الحكم ، فكان ذلك كالاجماع .

وهذا هو الامام الثعالبى يقول فى مقدمة كتابه « فقه اللغة » عبارة نحفظها منذ الحداثة « من أحب الله تعالى أحب رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم ، ومن أحب الرسول العربى أحب العرب ، ومن أحب العرب أحب العربية التى نزل بها أفضل الكتب على أفضل العجم والعرب ، ومن أحب العربية عنى بها وثابر عليها ، وصرف همته اليها » .

عناية السابقين بها

ونحن نراجع تاريخ هذه الأمة العربية المسلمة فنجد لها عناية عجيبة غريبة بلغتها ، وحرصا بليغا منها على تقويم ألسنتها ، فنجد منها البيان المشرق ، والمنطق السليم . « عند الكبار والصغار، والرجال والنساء ، والمخدومين والخدم. ولقد كان من أكبر العيوب فى الانسان عندهم الا يحسن لغته ، أو لا يضبط منطقه ، وكانوا يعيرون من يصاب بذلك أوجع التعيير ، وكانوا من حرصهم على لغتهم يجعلون اتقانها هدفا من أهدافهم ، وأمنية لهم فى حياتهم ، ولقد كان للحاكم العادل خامس الراشدين عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه نفس تواقة ، وكان من أوائل الاشياء التى تاقت اليها نفسه العلم بالعربية ، والفقه لها ، حتى نال من ذلك حاجته وبغيته ، كما أخبر هو عن نفسه ، ثم اتجه الى غير ذلك من الشئون .

يقول خامس الراشدين فيما يقول : « **لقد كانت لى نفس تواقة ، ولقد تاقت نفسى الى العلم بالعربية ، فأصبت منها حاجتى** » .

وهذا هو الخليفة الاموى عبد الملك ابن مروان يقول : « تعلموا النحو كما تتعلمون السنن والفرائض » .

ويقول : « الاعراب جمال للوضيع ، واللحن هجنة للشريف » .

وهو أيضا الذى يعبر عن حرصه على البيان السليم فيقول : « شيبنى ارتقاء المنابر ، وتوقع اللحن » .

هكذا كانت أمتنا فى عصور نهضتها ، وعهود قوتها ، وأيام اعتزازها الصحيح السليم بعقيدتها وعروبتها ، وأدبهـا ولغتها ، ثم صار كثير من الأخلاف الى غير خطة الاسلاف ، فجاءت العجمة بدلا للافصاح، واحتلت العامية مكان الفصحى، ورأينا فى كثير من بلاد العروبة من يدعو الـى العامية ، أو اللهجـات المحلية ، متسترا وراء دراسة الادب الشعبى ، أو صيانة التراث الفنى ، أو تصويـر المجتمع على ما هو عليه ، الى آخر مـا هناك من أستار .

وانه لمن الممكن جدا أن نحفظ حـق الادب الشعبى فى نطاقه ومجاله ، مـع الابقاء على اللغة العربية . لغة القومية ، ولغة العقيدة ، ولغة القرآن ، ولغـة الاسلام ، ولغة رسول الاسلام محمد عليه الصلاة والسلام ، ولغة الغر الميامين من الآباء والاجداد ، حيث تبقى الجامع الاساسى الذى يجمع كل ناطق بها ، غيور عليها ، معتز بأدبها وتراثها .

سر الدعوة للعامية

أما أن تكون هناك دعوة لاحلال العامية محل الفصحى ، فذلك كيد يدبره أهلوه بليل ، وهم فى الواقع يكيدون أول ما يكيدون ليهدمواذلك الصرح الشامخ ، والبنيان السامق ، بنيان الاســلام ، متوهمين أنهم يستطيعون بث العامية فى ديار العروبـة والاسـلام ، فتستـبهم الفصحى ، وتستعجم الالسنة ، وتتكاثر اللهجات ، ويصبح البيان العربى الناصع مهجورا غريبا ، لا يعكف عليه العاكفون ، ولا يفهمه الدارسون ، وتكون النتيجة أن ينشأ حجاب صفيق بين الاجيال وبين القرآن الكريم الذى يعد أسمى بيـان عربى فى الوجود .

وبينما توجد تلك الحالة السـيئة لشبابنا فى جهلهم بلغة قرآنهم وعروبتهم، نجد من بعض وسائل الاعلام فى بعـض بلاد العروبة تندرا على اللغة الفصحى ومدرسيها ، وعلى النحو وقواعده ، وعلى الذين يمثلون الغيرة والحرص على هذه اللغة .

لماذا يتندرون ؟

نعم يتندرون على معلم اللغة العربية الجندى المجهول المظلوم المهضوم ، وعلى اللغة الفصحى معقد فخر العرب ومجمع عزهم ، وعلى معلم الدين وملابس رجال الدين ، والتندر بعالم الدين وسـيلة للاستخفاف بالدين ، وهذا هو المقصود الخبيث اللئيـم لهـؤلاء (١) ، والتنـدر بمدرس اللغة العربية لا يتناسب مع مـا يجب علينا من تكريـم للغتنا ، وتثبيت لدعائمها بكل وسيلة .

واذا كان هناك فى تدريس اللغة العربية ما يحتاج الى تهذيب أو اصلاح ، فليتم ذلك دون تندر أو سخرية ، والا ساءت الظنون والتأويلات والتفسـيرات لهـذا التندر المتكرر على رجال اللغة العربية الذين هم فى الوقت نفسه علماء الاسلام .

ولنتذكر أن اللغة العربية تقـوى وتستقيم فى بيئة الدراسات الدينية ، وتضعف وتسـقم فى بيئة الدراسـات المدنية ، والسر فى ذلك هو أن البيئـة الدينية تعتمد فى تقويم ألسنتها وتصحيح لغتها على القاموس الاكبر ، والمنبع الاعظم، والمثقف الاقوم للسان والجنان : كتاب الله العظيم : القرآن الكريم .

---

(١) مما يلاحظ أن ذلك التندر واقع على رجال الدين المسلمين وحدهم !!

هكذا الحج

للشيخ محمد محمد الشرقاوى
المدرس بمعهد الاسكندرية الدينى

أصدرنا « رسالة الحج » ووزعناها ملحقا للعدد الماضى لتدرك كل من يريد الحج . وحرصا على اتمام الفائدة ننشر هـذا الموضوع الذى حرص كاتبه على أن يذيله بجدول مبين حكم كل عمل الحج والعمرة فى المذاهب الاربعة وهو جدير بأن يحتفظ به كل قارىء .

يحيط بالبيت الحرام من كل اقطاره .. ثلاث دوائر متداخلة .. بعضها أفسح من بعض .. فصغراهن .. دائرة المسجد الحرام ، ووسطاهن .. دائرة الحرم .. وقد نصبت عليه أعلام ومعالم تحدد جهاته الاربع .. وأول من اقامها ابراهيم الخليل بارشاد من جبريل عليهما السلام تعظيما وتشريفا ، ونصبها النبى صلى الله عليه وسلم مرتين ... مرة قبل ان يهاجر ... ومرة عام الفتح .

أما الدائرة الكبرى المحيطة بالبيت الحرام احاطة السوار بالمعصم .. فهى دائرة المواقيت المكانية التى لا يجوز لمن قصد دخول مكة حاجا أو معتمرا أن يتجاوزها الا اذا أحرم أى تجرد من المخيط ، ولبس ازارا ورداء وأهل بالتلبية ناويا حجا او عمرة أو هما معا .

وتلك الدائرة محددة على النحو التالي :

لاهل الجمهورية العربية المتحدة ولكل من جاء حاجا او معتمرا عن طريق السويس والبحر الاحمر .. بلدة « رابغ » الواقعة على ساحل البحر الاحمر فيما بين المدينة وجدة ، على بعد ۲۲۰ كيلومترا من مكة .

ولاهل اليمن والهند ومن ماثلهم « يلملم » على بعد ٩٤ كيلومترا من مكة . واما اهل نجد ومن سلك مسلكهم فيحرمون من «قرن المنازل» على مسافة ٩٤ كيلو مترا ايضا من ام القرى .

ويحرم اهل المدينة وكل من جاء عن طريقهم من « آبار على » على مسيرة ٤٢٠ كيلو مترا من البلد الامين .

ولاهل العراق والكويت والصين وبلاد ايران وما ماثلها « ذات عرق » على بعد ٩٤ كيلو مترا من البلد الحرام فكل من اراد الحج والعمرة ومر بميقات من هذه المواقيت برا أو بحرا أو جوا .. عليه ان يحرم ناويا النسك .

ولما كانت المواصلات الجوية لا تتلبث فى مرورها ... ويضيق وقت ركابها عن محاذاة المواقيت محرمين : فان من الاحوط لهم ان يحرموا قبل ان يستقلوا طائراتهم ... او من منازلهم .

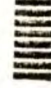
كيف يدخل مكة

ومن أراد دخول مكة على نحو ما دخلها الرسول صلى الله عليه وسلم - وان كان هذا ليس بضرورى - فليغتسل اولا من بئر «ذى طوى» المعروف بآبار الزاهر ... ثم يسلك اليها طريق «الحجون» شمالى مكة . ومن هذا الطريق يمر المرء بمقبرة مكة « المعلاة » وبها قبور كثير من الصحابة ولا سيما السيدة خديجة أم المؤمنين رضى الله عنها .. فاذا ما انتهى الى المسجد الحرام .. دخله من باب بنى شيبة المعروف « بباب السلام » فى الجهة الشرقية الشمالية .. رافعا يديه بالدعاء : « اللهم انت السلام ومنك السلام .. فحينا ربنا بالسلام .. اللهم زد هذا البيت تشريفا وتعظيما ، وتكريما ومهابة ... وزد من حجه أو اعتمره تكريما وتشريفا وتعظيما وبرا » .

وباب بنى شيبة هذا يقع حاليا بداخل المسجد .. وهو الباب الاصلى للمسجد على عهد الرسول عليه الصلاة والسلام . ومنه دخل فى حجة الوداع قائلا : « رب ادخلنى مدخل صدق وأخرجنى مخرج صدق واجعل لى من لدنك سلطانا نصيرا . وقل جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا » ثم يأخذ طريقه الى الكعبة المكرمة من ناحيتها الجنوبية التى فى ركنها الحجر الاسود ، ويتخذ من هذا الحجر علامة البداية لكل شوط من أشواط الطواف السبعة ونهايته .

ويلاحظ ان هذه هى الحكمة الظاهرة لوضع ابراهيم الخليل عليه السلام لهذا الحجر فى هذا الركن .. واما تقبيل الحجر او لمسه لمن لم يستطع التقبيل او الاشارة اليه لمن لم يقدر عليهما .. فلا يعنى أكثر من كونه ترجمانا عن الطاعة العمياء .. والامتثال المطلق .. بدون تحفظ فى هذا المقام الذى لا نعترف فيه لغير الله بنفع او ضر او تأثير .. وقد عبر عن هذا عمر بن الخطاب فى استلامه وتقبيله للحجر الاسود بقوله « انى اعلم انك حجر لا تضر ولا تنفع ، ولولا أنى رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبلك ما قبلتك « وقد نسب هذا القول الى أبى بكر ، ومن قبله الى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال الطبرى : « وانما قال عمر ذلك لان الناس كانوا : حديثى عهد بعبادة الاصنام فخشى ان يظن الجهال ان استلام الحجر الاسود من باب تعظيم



الاحجار ، فأراد تعليمهم انه مجرد اتباع لفعل الرسول » .

ويجعل طوافه من وراء الحطيم ، ويرمل فى الثلاثة الاشواط الاولى أى يسرع قليلا ، بينما يسير فى بقية الاشواط سيرا معتادا .

وحكمة هذا الاسراع فى الثلاثة الاشواط الاولى ـ اظهار القوة والنشاط .. اسوة بما فعله الرسول وصحبه فى عمرة القضاء ردا على زعم المشركين بأن حمى المدينة قد اضعفت محمدا وصحبه عقب هجرتهم .. ثم اعاد الرسول ومن معه ذلك الرمل مرة اخرى فى حجة الوداع وبذا أصبح سنة متبعة على المدى الطويل .

وبعد الطواف يأتى « الملتزم » وهو ما بين باب الكعبة والحجر الاسود فى الجهة الشرقية ويضع عليه صدره ، ويتعلق بأستار الكعبة داعيا بما شاء .. ثم يصلى ركعتين فى مقام ابراهيم عملا بقوله تعالى « واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى » .. ثم يذهب الى زمزم فيشرب من مائها .

ثم يتوجه من باب « الصفا » الى جبل الصفا وهو مرتفع قليلا ويصعد عليه ويستقبل بوجهه القبلة مهللا مكبرا داعيا بما يشاء .. ثم يهبط الى طريق المسعى ميمما «المروة»، وطريق المسعى يبلغ ٣٨٩ مترا فى اثنائه الميلان الاخضران ، الى نهايتهما ثم يسير سيرا عاديا الى المروة ، ثم يصعد عليها ، ويفعل ما فعله على الصفا ، ثم يهبط منها الى الصفا ، وهكذا سبع مرات بادئا بالصفا ومنتهيا بالمروة .. فاذا ما انتهى حلق راسه .. أو قصر من شعره ولو قدر أنملة .. وبذلك يحل من احرامه ويجوز له حينئذ ان يلبس المخيط ويتمتع بكل شىء بلا استثناء اذا كان قد نوى بعمرة فقط حتى يحين موعد الحج .. ومثل هذا يقال عنه « متمتع » وهذا الاسلوب أسلس نظاما ، وأيسر تكليفا لمن اراد ان يتم الحج والعمرة لله .

ثم يبقى بمكة حلالا .. حتى يحين اليوم الثامن من ذى الحجة « يوم التروية » فيخلع ملابسه مرة اخرى ، ويلبس ملابس الاحرام « ازارا ورداء » ويحرم ناويا الحج ويلبى قائلا : **« لبيك اللهم لبيك .. لبيك لا شريك لك لبيك .. ان الحمد والنعمة لك والملك .. لا شريك لك »** ويأخذ طريقه الى عرفات وفى الطريق تستحب له الاقامة بمنى والمبيت فيها ، ويصلى بها الظهر والعصر والمغرب والعشاء من اليوم الثامن والفجر من اليوم التاسع ، ويتريث حتى تطلع الشمس ثم يرتحل مها الى عرفة كما فعل الرسول صلى الله عليه وسلم .. ولكنه لو اكتفى بالمرور على « منى » ولم يبت أجزأه ..

الوقوف بعرفة

ثم يقيم بوادى عرفة ويتحاشى وادى عرنة ، والعبرة بشهود وقت فى عرفة بعد زوال اليوم التاسع من ذى الحجة ، وتمتد صلاحية هذا الوقوف الى فجر اليوم العاشر ، والمقصود من

الوقوف هو الشهود بجسمه على اى حال كان ، ويجمع مع الامام الظهر والعصر جمع تقديم ، ويدعو بما يشاء ، ويتمثل فى هذا الموقف الجامع وحدة المسلمين ، وكيف نظمها الحج من تلك الاشتات المختلفة الالوان والعناصر .

وبعد الغروب يفيض الناس الى «المزدلفة» مؤخرين صلاةالمغرب الى وقت العشاء فى جمع تأخير مع الامام ،ويبيت بمزدلفة ، وفى الصباح يقف عند المشعر الحرام بعد الفجر « فاذا أفضتم من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام» والمشعر الحرام جبل بالمزدلفة .. كانت تشعر عنده العرب هداياها ، اى تضرب سنام ابلها حتى يسيل دمها ، ليكون دمها شعارا على اهدائها للبيت الحرام . وهو من اراضى الحرم ولذا سمى حراما .

ثم يدخل الحاج «منى» ويتوجه لرمى جمرة العقبة بسبع حصيات مكبرا مع كل واحدة ولا يرمى غيرها فى هذا اليوم ، ثم ينحر الهدى ... ويحلق من يحلق .. ويقصر من يقصر .. وبذلك حل له كل شىء كان محظورا عليه من ملبس وغيره الا النساء ، ثم يذهب ــ اذا شاء ــ الى مكة فى نفس اليوم ، ويطوف طواف الافاضة او طواف الزيارة وهو أهم طواف فى الحج ثم يسعى بين الصفا والمروة . وبعد ذلك يحل له كل شىء حتى النساء .

ثم يرجع مرة ثانية الى «منى» فيبيت فيها ليلة الحادى عشر من ذى الحجة ، وبعد الزوال من صباحه يرمى الجمرات الثلاث : كل واحدة بسبع حصيات بادئا بالجمرة الصغرى من جهة مسجد « الخيف » ، ومنتهيا بالجمرة الكبرى ، والرامى يقف عقب رمى الجمرتين الاوليين ليدعو بما يتيسر له .. ولا يقف بعد الثالثة لضيق مكانها ... ثم يبيت ليلة الثانى عشر بمنى ايضا ويفعل بعد زواله ما فعله فى سابقه .. ثم هو بالخيار بعد ذلك : ان شاء اكتفى بتلك الاعمال فى منى ورحل الى مكة قبل الغروب .. وان شاء بات ليلة الثالث عشر ورمى الجمرات اما قبل الزوال واما بعده ،وهو المراد بقوله تعالى : « فمن تعجل فى يومين فلا اثم عليه ومن تأخر فلا اثم عليه لمن اتقى » .

واذا عاد الحاج الى مكة من منى لم يبق من اعمال الحج الا طواف الوداع حين يغادر مكة وهو آخر طواف فى الحج كما أنه خاتمة المطاف فى هذا النسك المبرور . ويلاحظ : ان النساء كالرجال فى كل ما ذكر الا انهن لا يرفعن اصواتهن بالتلبية ، ويحل لهن لبس المخيط ولا يرملن فى الطواف ، ولا يهرولن فى السعى ... ولا يحلقن ، شعورهن بل يقصرن ، ولو قدر انملة ، ولا يدخلن المسجد وقت التلبس بالاعذار الطبيعية ، ولا تزاحم المرأة الرجال فى استلام الحجر ،وتكشف وجهها ، ولا تكشف رأسها .

* * *

وتيسيرا للحاج أضع بين يديه ذلك الجدول المرافق ليلقى بعض الاضواء فى سرعة ويسر على أهم اعمال الحج وراى المذاهب الاربعة فى كل عمل منها :

جدول باحكام أهم اعمال الحج في ضوء المذاهب الاربعة

العمل	حكم الحنفية	حكم الشافعية	حكم المالكية	حكم الحنبلية
الحج	فرض فورا على الصحيح	فرض تراخيا	فرض فورا	فرض فورا
العمرة	سنة مؤكدة	فرض تراخيا	سنة مؤكدة	فرض فورا
الاحرام بالحج	شرط	ركن	ركن	ركن
الاحرام بالعمرة	شرط على الصحيح	ركن	ركن	ركن
اقتران الاحرام بالتلبية	سنة	سنة	سنة وقيل واجب	سنة
الاحرام من الميقات	واجب يلزم بتركه دم	واجب	واجب	واجب
الغسل للاحرام	سنة	سنة	سنة	مستحب
التطيب للاحرام لا بعده	سنة	سنة	مكروه	مستحب
التلبية	سنة	سنة	واجبة	سنة
طواف القدوم	سنة	سنة	واجب	سنة
نية الطواف	شرط	شرط	واجب	شرط
بدء الطواف من الحجر الاسود	واجب	شرط	واجب	شرط
المشى في الطواف للقادر عليه	واجب	سنة	واجب	شرط
الطهارة من الحدثين في الطواف	واجب	شرط	شرط	شرط
كون الطواف من وراء الحطيم	واجب	شرط	شرط	شرط
كون الطواف في المسجد	واجب	شرط	شرط	شرط
كون الطواف سبعة اشواط	(الاربعة الاولى ركن والثلاثة الاخيرة واجب من طواف الزيارة) وسنة في الطواف الواجب	شرط	شرط	شرط
الموالاة بين اشواط الطواف	سنة	سنة	واجب	شرط
ركعتا الطواف	واجب ولكن يعادان ولا يجبران بالدم	سنة وقيل واجب	واجب	سنة
السعى بين الصفا والمروة	واجب	ركن	ركن	ركن
الطواف للعمرة	ركن	ركن	ركن	ركن
وقوع السعى بعد الطواف	واجب	شرط	واجب	شرط
نية السعى	واجب	شرط	شرط	شرط
بدء السعى بالصفا وختمه بالمروة	واجب	شرط	شرط	شرط
المشى فيه مع القدرة	واجب	سنة	واجب	شرط
كون السعى سبعة أشواط	واجب	شرط	شرط	شرط
الموالاة بين اشواط السعى	سنة	سنة	واجب	شرط
الموالاة بين السعى والطواف	سنة	سنة	سنة	سنة
الحلق أو التقصير في العمرة	واجب	واجب	واجب	واجب
المبيت بمنى ليلة عرفة	واجب	سنة	واجب	مستحب
الوقوف بعرفة	ركن	ركن	ركن	ركن
وقت الوقوف بعرفة	من بعد الزوال من يوم عرفة الى طلوع فجر يوم النحر بالاجماع			

جدول باحكام أهم اعمال الحج في ضوء المذاهب الاربعة

العمـل	حكم الحنفية	حكم الشافعية	حكم المالكية	حكم الحنبلية
مد الوقوف بعرفة الى ما بعد الغروب ان وقف نهارا	واجب	واجب وقيل سنة	ركن	واجب
الدفع من عرفة مع الامام او نائبه	واجب	سـنة	واجب	سنة
الجمع بمزدلفة بين صلاتى المغرب والعشاء	واجب	سـنة	سنة	سنة
المبيت بمزدلفة	واجب ويـكفى لحظـة بعد منتصف الليل	واجب ويكفى لحظة فى النصف الثانـى من الليل	واجب ويكفـى مقدار حط الرحال وصـلاة المغـرب والعشـاء وتناول شىء من الطعـام والشراب ولو قبل منتصف الليل	واجب
الوقوف عند المشعر الحرام من طلوع الفجر الى شروق الشمس	واجب	واجب	سـنة أو مستحب	واجب
رمى الجمرة الكبرى (جمرة العقبة يوم النحر)	واجب ولا يجوز رميها قبل الفجر ويسـتحب فيما بين طلوع الشمس والزوال ويكـره بعـد الزوال أو فى الليل	واجب ويجوز رميها قبل الفجروتستحب فيما بـين طلـوع الشمس الىالزوال وتكره بعد ذلك	واجـب ولا يجـوز رميها قبل الفجـر وتستحب فيما بين طلـوع الشـمس والزوال وتكره بعد ذلك	واجب ولا يجوز رميها قبلالفجر وتستحب فيمـا بـين طلـوع الشمسوالزوال وتكره بعد ذلك
الحلق أو التقصير فى الحج	واجب	سنة	سنة	سنة
الترتيب بين الرمى والذبح والحلق	واجب	سنة	سنة	سنة
كون الحلق فى الحرم وايام النحر	واجب	سنة	سنة	سنة
طواف الافاضة	أكثره ركن	ركن	ركن	ركن
كونه فى ايام النحر	واجب	ركن	واجب فى ذىالحجة	سنة يوم العيد
تأخير طواف الافاضـة عن اول رمى	سنة	سنة	واجب	سنة
رمى الجمار الثلاث فى ايام التشريق فى يومين لمن تعجل وفى ثلاثة لغيره	واجب	واجب	واجب	واجب
عدم تأخير الرمى الى الليل	سنة	سنة	واجب	سنة
المبيـت بمنى ليالى ايـام التشريق	سنة	واجب	واجب	واجب
طواف الوداع	واجب	واجب	مستحب	واجب



بقلم عبد المنعم النمـر

هل يغـفر اللـه ؟

هل يغفر الله لمسلم ذليل أو يرضى عنه ، ولو صلى وصام ، وتمتم بالقرآن ؟ لا أظـن .

فالذلة لا يمكن أن تجتمع مع الايمان فى قلب واحد ، وهذا المسلم الخنوع الذليل يمزق بخنوعه وذلته وثيقة الله التى سجلها فى كتابه « ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين » ويطمس فى نفسه الوصف الذى خلعه الله عليه « أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين » وليس معنى الذلة والعزة هنا الا ما بينه الله فى آية اخرى : « أشداء على الكفار رحماء بينهـم » .

ما كانت مهمة المسلم فى الحياة قاصرة على أن يوفر لنفسه متاعه .. فان ذلك قد يغتفر حين يتوفر للدين سطوته ، وللوطـن عزته ، ويحصـل على متاعه من طريق شريف ، أما حين يهاض الدين ، أو يخفت صوته ، أو تجرح للوطن كرامته ، أو حين يجد ان متعته تتعارض مع الخلق الكريم فان المسلم حينئذ يجب أن ينتفض ، ويضحى بمتعته ، ويحمل ــ فى سبيل كرامته ــ روحه على كفه ، لانقاذ وجوده ، وأداء واجبه ، ولا يهدأ حتى يفرض هيبة الدين على النفوس ، ويدعم سلطانه على الوجود .

وهنا لا نجد فى حياة المسلم ــ كما أرادها الله ــ مكانا لذلة ، أو ثقبا يتسرب منه الى نفسه الخنوع ولو كان متاع الدنيا كلها .

فالله هو واهب الحياة والدين دينه ، والمسلمون حزبه وحاملو أعلامه وهدايته .

فكيف يكون حزب الله أذلاء ؟ وكيف يكون حاملو العلم جبناء ؟

ذلك وضع يتنافى مع حقيقة الاسلام فى نفس المسلم ، ومع طبيعة الايمان فيه ، واقرأ معى : « ان الذين توفاهم الملائكـة ظالمـى أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنـا مستضعفين فى الارض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا ، الا المستضعفين ... الآية .

ذاك هو مصير الاذلاء الخانعين لغير سلطان الله الذين يشترون الحياة الدنيا بالآخرة « الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا » .

وقفة وعبرة

قال لي : أى شىء تطرب له نفسك ؟ قلت : الوفاء ... ذلك الخلق النادر بين الناس . فاذا عثرت عليه عند احد اهتزت له نفسى وطربت . ويظهر أن ندرته تلك ليست بجديدة ، ولكنها قديمة منذ كان الانسان ، حتى حفظنا فيما حفظناه تصويرا صادقا لهذه الندرة فى قول المتنبى :

وما قتل الاحرار كالعفو عنهم : ومن لك بالحر الذى يحفظ اليدا ؟!

بل حفظنا فى هذا ما يحذرنا من الانسان الذى نسدى اليه معروفا : « اتق شر من أحسنت اليه » .

وكثير من الناس من يقفون عند هذا يستجلون مغزاه ومرماه . ولعل معناه ـ فيما أفهم ـ أن من عادة الذى يحسن الى شخص ما أن يركن اليه ، ويأمن جانبه ، ولا ينتظر منه أو لا يظن فيه الا أنه سيحفظ الود ، ويقابل الاحسان بالاحسان ، فيترك نفسه حينئذ مكشوفا من ناحيته ، فتكون اصابته من مأمنه سهلة ونافذة . ومن هنا كان لا بد أن يحذر ويحترس .

ولعل هذا المعنى يتلاقى مع ما عبر عنه الشاعر العربى الحكيم حين قال :

احذر عدوك مـرة ... واحذر صديقك ألف مرة
فلربما انقلب الصد ... يـــق فكان أعلم بالمضرة

ولا ننسى مع هذا قولا آخر يقرب الينا هذا المعنى : « اللهم اكفنى شر أصدقائي ، أما أعدائي فأنا كفيل بهم » . ذلك لانك دائما على حذر من عدوك ، تتخذ وسائل الاحتياط من شره وأذاه . أما الصديق فيدخل عليك من باب الصداقة الواسع ، وتقبل عليه أنت كذلك من هذا الباب ، فيتمكن من منحرك وأنت آمن جانبه ، وتصبح له فريسة سهلة ، فلا ينجيك من شره الا الله ، ومن أجل هذا كان خطر المنافقين على الافراد والجماعات ، وعلى مصالح المجتمع أشد وأنكى .

ولكن علينا أن نقف طويلا عند هذا الذى نشعر به جميعا ، ونأخذ منه عبرة لانفسنا ، وردعا لها ، فاذا كنا ننعى على غيرنا عدم الوفاء ، ويحز فى نفوسنا كثيراً ما نحسه من الجحود والنكران للمعروف ، أفلا يجدر بنا جميعا أن نتنبه لموقفنا تجاه نعم الله علينا ، ونخجل من معصيته ، وهو يغدق علينا نعمه ظاهرة وباطنة ؟! ونخشى غضبه ، ونحن ننعم بخيراته وأفضاله ، ونتمادى فى عصيانه ؟

أم نقول : « ان الله غفور رحيم » ، وننسى : « والله عزيز ذو انتقام » ؟ .

صـورة كريمـة

فى الشهر الماضى زارنا الاستاذ الكبير الاديب الخطاط المعروف سيد ابراهيم ، وكانت فرصة حدثنا فيها عن ذكرياته مع المرحومين أحمد شوقي أمير الشعراء وأحمد أبو شادى حين ألفوا جماعة « أبولو » للشعر .. وتطرق بنا الحديث الى السلوك فى الحياة وما ينبغى أن يكون عليه ، لا سيما لمن تحلوا بالعلم ، وحملوا رسالته فقال تعجبنى كثيرا هذه الابيات التى تحدث بها القاضى عبد العزيز الجرجانى عن نفسه حين قال :

يقولــون لى فيـك انقبـاض وانمـا ... رأوا رجـلا عن موقف الـذل أحجمـا
أرى النـاس مـن داناهـم هان عندهم ... ومن أكرمتـه عـزة النفس أكْرِمـا
ولم أقـض حـق العلم ان كـان كلمـا ... بـدا طمـع صيرتـه لـى سلَّمـا
ومـا كـل بـرق لاح لـى يستفزنـى ... ولا كـل مـن لا قيتـه أرضاه منعمـا
اذا قيـل هـذا منهـل قلت : قـد أرى ... ولكـن نفس الحـر تحتمـل الظمـا
أنهنهـا عـن بعـض ما لا يشينهـا ... مخافـة اقـوال العـدا : فيم أو لمـا ؟
ولم أبتـذل فى خدمـة العـلم مهجتى ... لاخـدم من لاقيت لكـن لأُخْدَمـا
أأشقـى بـه غرسـا وأجنيـه ذلـة ... اذا فاتباع الجهـل قـد كان أحزمـا
ولو أن أهـل العـلم صانـوه صانهـم ... ولـو عظمـوه فى النفـوس لعظمـا
ولكـن أهانـوه فهـان ودنسـوا ... محيـاه بالاطمـاع حـتى تجهمـا

صورة كريمة ورائعة لرجل العلم الذى يعرف لنفسه ورسالته قدرها ، اليس كذلك ؟ .

العارف بالله أبو

طريقنا المداومة على الذكر، وترك الغيبة وسوء الظن بعباد الله، فمن واظب

« الوعى الاسلامى » ترحب بالقاء الأضواء العلمية الموثوق بها عن أبى العباس وأمثاله ممن يشغلون فى قلوب الناس مكانة دينية أحاطوها ـ مع الأسف ـ بكثير من الخرافات والبدع التي يبرأ منها الدين ، كما يبرأ منها هؤلاء الأعلام ، فمن كان يحبهم أو يتمسح بسيرتهم فعليه أن يسلك مسلكهم فى التقوى والصلاح ، والعمل لخيرى الدنيا والآخرة .. وان الدين ليبرأ من كل متمسح بقبورهم ، متسكع حولها ، طالب « المدد » منهم .

واذا كانت الاحتفالات تقام فى ذكرى ميلاد هؤلاء الصالحين فان من الواجب ـ دينا وعقلا ـ أن تكون هذه الاحتفالات متناسقة مع الذكرى الطيبة لهم ، وأن تكون فرصة لتوعية الناس توعية دينية تنأى بهم عن البدع والخرافات ، وتعطيهم القدوة الطيبة من حياة الذين يحتفل بهم . فى الوقت الذى يجب أن تمتد فيه يد السلطات للقضاء على كل انحراف عن تعاليم الدين القويم فى هذه « الموالد » .

تراثنا الاسلامي ، لا تزال بعض الأوشاب عالقة به الى يومنا هذا ، تخفي بريق جوهره الأصيل وتتيح الفرصة للحاقدين بالنقد والقدح ، اشباعا لأحقاد دفينة ورثوها جهالة وضلالة ، ومــا أجدرنا اليوم بالعمل على رد كيدهم الى نحورهم ، بكشف الحقائق للناس سواء الأعداء والأصدقاء ، لا لشيء الا لتكون الحقيقة بيضاء من غير سوء .

ولقد أصيب تاريخنا الاسلامي فى فجره الأول بخصوم ألداء كعبد الله بن سبأ وغيره ممن دخلوا الاسلام ، لا حبا فيه ، ولكن للنيل منه ، فكانت هذه الاسرائيليات التي أدخلوها فى الدين ، وما هى من الدين فى شيء .

كذلك أصيب تاريخنا الاسلامي بانشقاق داخلي بين مفكرى الاسلام أنفسهم ، فمنهم من انحاز الى التفقه فى علوم الشريعة لاستنباط الأحكام ، ومنهم من انصرف الى صقل النفس وتخليتها من مطالب الدنيا ، وتحليتها بمكارم الأخلاق ، وعرف الأولون بأهل العلم الظاهر ، وسمى الآخرون بأهل التصوف أو العلم الباطن .

العباس المرسي

للاستاذ محمد محمود زيتون
مدير الصحافة والشئون الثقافية بالاسكندرية

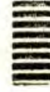
على ذلك رزقه الله من حيث لا يحتسب . » (أبو العباس المرسي

وعلق بالمتصوفة — خلال العصور المترامية — كثير من الغبار الذى أثاره خصومهم ، وجرت فتن عارمة ، راح ضحيتها الفلاة ، ولم يسلم منها المعتدلون منهم ، وقد آثروا انتهاج السنة المحمدية فى شعارها المعروف « خير الأمور الوسط » و « ان المنبت لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقى » .

والامام أبو العباس المرسى — دفين الاسكندرية — نموذج طيب لأهل الاعتدال فى أخذه الدين الحنيف ثقافة وعبادة ، وفى الوقت نفسه مصدرا للتوعية والتهذيب ، فقد ولد سنة ٦١٦ للهجرة بمرسية الأندلسية من أب ينتمى الى أعرق الأسر العربية النازحة الى الأندلس قبل القرن السابع الهجرى بقرنين على الأقل ، فهو من ولد سعد بن عبادة زعيم الخزرج أنصار رسول الله بالمدينة المنورة ، وعرفوا فى مختلف مدن الأندلس بالعلم والرياسة . ونشأ نشأة دينية خالصة ، وغرق والداه وهما فى الطريق الى الحج ، أما هو فقد نجا من الغرق ، حيث نزل بساحل (بونة) من تونس ، وكان قد بلغ الرابعة والعشرين من عمره ، فآثر البقاء بها ، حيث لم ترقه العودة الى ديار فقد فيها هو وأخوه الأكبر أعز مخلوقين عليهما . ولم تطل اقامة أبى العباس بتونس ، حتى التقى بالشيخ المبارك أبى الحسن الشاذلى . وداوم على اللقاء به ، فأحبه وآثره ، وصار من أتباعه ، فتفتق ذهن الشاب الصالح ، على هدى شيخه ، ورحل معه الى الاسكندرية سنة ٦٤٠ هـ وكان له بها مكان عظيم ، ولا سيما بعد وفاة أبى الحسن سنة ٦٥٦ والاذن لأبى العباس بالدرس ، وظل على ذلك نحو ثلاثة وأربعين عاما حتى توفاه الله فى ٢٥ من ذى القعدة سنة ٦٨٦ هـ ودفن بها حيث مسجده القائم الآن .

كانت حصيلة المعرفة الدينية لدى أبى العباس موفورة من فقه وتفسير وحديث وكلام ولغة وأدب ، قرأ للأوائل والأواخر من أفاضل علماء الاسلام ، واستمر يقرأ ويدرس ، ويقر لهم بالسبق فيما كتبوه ، كما أنه اطلع على كتابات الغزالى والجنيد والحلاج وابن أدهم والمكى وغيرهم . فأدرك من التصوف حظا لا يقل عن حظه من علوم الفقه ، ان لم يزد بكثير .

ونود هنا أن نلقى الأضواء على الجانب التصوفى فى تراث أبى العباس المرسى ، والتعرف على مدى التوفيق الذى أحرزه فى هذا المجال ، وكيف استطاع هذا العارف بالله — بايجابيته فى الدعوة — أن



يطوع الدين لخدمة الحيـاة واصـلاح المجتمع .

ان من حق الامام أبى العباس علينا أن نعترف مقدما بأنه خليفة شيخه أبى الحسـن الشـاذلى ، ووارث طريقته ، والعامل الأول على توسيع نطاقهـا فى الأوساط المختلفة ، وما كان ذلك ليحدث لولا عدة عوامل رئيسية منها . الاعتدال فى طلـب العلـم ونشره ، والاعتدال فى العبادة والدعوة والاتزان والحيطـة فى العلاقات مع أصحاب الطرق الصـوفية الأخرى أو العلماء والفقهاء ، وعدم التهوين من شأن السلف ، وقوام هذا كله الصدور فى كل شىء عن الكتاب والسنة ، نصـا وروحا ، فهما وذوقا ، علما وعملا .

واذا كان أبو الحسن لم يتـرك كتابا يشتمل على آرائه ، فقد سئل فى ذلـك فقال : « كتبى أصحابى » وهكذا فعـل تلميذه أبو العباس ، وهو القائل .

« جميع ما فى كتب القوم عبرات من سواحل بحر التحقيق » .

ويؤكد هـذا المعنى تلميذه ومؤلـف سيرته ابن عطاء الله السـكندرى ، اذ يفسر عدم تأليف كل منهما للكتب بقوله « والسبب فى ذلك أن علوم هذه الطائفة علوم التحقيـق ، وهى لا تحتملها عقول عموم الخلق » .

نحن اذن ازاء علوم لا تناسـب عقول العامة ، تسمى علـوم التحقيق ، أو هى علوم الباطن أو علـوم الحقيقـة . التي يهبها الله من يشاء من أوليائه ، وليس يعنى هذا أن أبا العباس ترك طلب العلم أو توقف عنه ، أو حض على التهوين من شأنه ، بل العكس هو الصحيح ، ذلك أنه كان يمسك بزمام المعرفة بالحكمـة والاتزان ، مصداق ذلـك أنه دعا لأحد تلاميذه أن يكون التوفيق حليفه فى الافتاء فى المذهبين معـا ، وهما مذهب أهـل الشريعة أو العلم الظاهر ، ومذهب أهل الحقيقة أو العلم الباطن ، كما أنه يعطينا من مصطلحاته الخاصة تعريفـا جديدا للفقيه فيقول: « الفقيه من انفقأ الحجاب عن عينى قلبه » ، وكانوا يقولون : « ما على وجه الأرض مجلس فى علم الحقائق أبهى من مجلس أبى العباس » .

كان أبو العبـاس عارفا بالله ، تقيا ورعا ، وكان من كبار الأولياء الذين بلغوا الدرجات العليا فى الولاية ، وكان « حجة الصوفية وعلم أهل الخصوصية » كما يقول ابن عطاء الله (١) ، وقال عنه شكيب أرسلان وقد زار ضريحه بالاسـكندرية سنة ١٣٠٨ من الهجرة .

« ومن مفاخـر مرسـية ، ومفاخـر الأندلس بأجمعه السيد العارف الشهير أبو العباس المرسى دفين الاسكندرية ، وهو من أكابر الأولياء (٢) » .

ولعل الشـكوك قد سـاورت بعض تلاميذ أبى العباس فيما يروى عنه من مكاشفات استغربها الشيخ مكين الدين الأسمر ، كلما كان يتحدث ابن عطاء الله عن كراماته تلك ، فلما ثبتت لديه ثبوتا قاطعا قال فى اقرار وتسليم .

« لك الحق ، ما عـرفنا الشـيخ أبا العباس » .

لقد كان أبو العباس زاهدا عابدا ورعا تقيا ، يتحرز أشد التحرز فقضى عمره كله ــ سبعين سنة ــ لم يدخل جوفه

(١) لطائف المنن (٢) الحلل السندسية جـ ٣

حرام قط ، ولم يحرم نفسه من الطيبات التي أخرج الله لعباده ، ولم ينقطع الانقطاع المعروف للعبادة ، بل كان يمنع تلاميذه وأصحابه من التجرد ، ويحول بينهم وبين ترك أسباب الرزق ، لأن العمل جهاد فى سبيل الله ، والجهاد عين العبادة ، ومشاركة ايجابية فى المجتمع ، والاسلام برىء من السلبية والانعزالية بشتى صورها .

شغل الناس بأبى العباس ، وتوقف العلماء عن الاجابة على الأسئلة التي توجه اليهم ، حتى لقد قالوا انه يتكلم « بالعلم الغريب » على حد قول صاحبه أبى الحسن البجائي ، واذا كان بعضهم قد أصابه ببعض الأذى ، فما كان ذلك ليحجب الحق عن أقلام المنصفين ، اذ يقول ابن عطاء الله انه صحبه اثنى عشر عاما ، فما سمع منه شيئا ينكره ظاهر العلم من الذى كان ينقله عنه من يقصد الأذى » .

لقد كان المرسى عارفا بأبعاد المعرفة الدينية كاملة ، ولا سيما التفسير والحديث حتى كان السامع له يقول انه لا يحسن غير هذا العلم ، فاذا به كالبحر الزاخر ، فى كل ما يقول .

لقد التزم أبو العباس مع ربه حد الأدب ، فاتبع السنة المحمدية الرشيدة ، ولم يلبس المرقعة للدلالة بالزى الخارجى على ورع وزهد ، بل كان يكره ذلك أشد الكره ، ويلبس النظيف من الثياب ، ويأكل الشهى من الطعام من لحم وعسل وحلوى ، وليس الورع عنده ــ وهو مطلوب ــ كل شىء ، وانما العرفان بالله فوق الورع ، يقول أبو العباس .

« العارف وسعته المعرفة ، والورع ضيق عليه الورع » .

كان عالي الهمة ، لا يقف بباب الحاكم ليطلب حاجة لنفسه أو لغيره ، وان كانوا يزورونه فيكرمهم ويبش فى وجوههم ، فى حدود الآداب الاجتماعية ، وبلا تنطع أو تزمت وكان يقول : « والله ما رأيت العز الا فى رفع الهمة عن الخلق » . ويقول أيضا : « للناس أسباب ، وسببنا نحن الايمان والتقوى » .

ويحدد أبو العباس اطار طريقته فى كلمات بليغة فيقول : « طريقنا هذه لا تنسب للمشارقة ولا للمغاربة ، بل واحد عن واحد الى الحسن بن علي بن أبى طالب » ويرمز بذلك الى مصدر « الفتوة فى الاسلام » التي تقوم بدورها على « هدى النبوة » من لدن محمد صلى الله عليه وسلم خاتم الرسالات السماوية .

وللتوحيد فى مذهب أبى العباس مكانة بارزة ، فهو أولا من المتمذهبين بمذهب مالك ، والمعتقدين بالأشاعرة ، والدعاة الى السلوك على نهج الغزالى ، وجمع بين التعلق بذكر الله ، والتخلق بأسمائه الحسنى ، يقول « جميع أسماء الله للتخلق ، الا اسمه (الله) فانه للتعلق » .

ويربط أبو العباس بين التوحيد وبين المنفعة الدنيوية والأخروية ، على نحو فريد قلما فطن اليه الفلاسفة وعلماء الأخلاق النظرية ، ويقول : « أفرد الله يفردك ، ووحد الله يوحدك ، والزم فرد بابه تفتح لك الأبواب ، واخضع لربك وحده ، تخضع لك الرقاب ، وعليك بمحبة الله تعالى ومحبة رسوله صلى الله عليه وسلم ، تكف أمر الدنيا والآخرة » .

اما مكاشفات أبى العباس فقد تجلت منذ صباه ، حتى توفاه الله ، وفيما يلي هذه الواقعة التي رواها عنه تلميذه وصفيه ابن عطاء الله ، قال الشيخ أبو العباس :



« كنت مع الشيخ أبى الحسن (الشاذلى) بالقيروان ، وكان شهر رمضان ، وكانت ليلة جمعة وكانت ليلة سبعة وعشرين ، فذهب الشيخ الى الجامع ، وذهبت معه ، فلما دخل الجامع وأحرم ، رأيت الأولياء يتساقطون عليه ، كما يتساقط الذباب على العسل ، فلما أصبحنا وخرجنا من الجامع ، قال الشيخ : ما كانت البارحة الا ليلة عظيمة ، وكانت ليلة القدر ، ورأيت الرسول صلى الله عليه وسلم وهو يقول : يا على (الشاذلى) ، طهر ثيابك من الدنس ، تحظ بمدد الله فى كل نفس . قلت : يا رسول الله ، وما ثيابى ؟ قال : اعلم أن الله قد خلع عليك خمس خلع . خلعة المحبة . وخلعة المعرفة ، وخلعةالتوحيد ، وخلعة الايمان ، فمن أحب الله هان عليه كل شيء ، ومن عرف الله صغر لديه كل شيء ، ومن وحد الله لم يشرك به شيئا ، ومن آمن بالله أمن من كل شيء ، ومن أسلم لله قلما يعصيه ، وان عصاه اعتذر اليه ، وان اعتذر اليه قبل عذره ، ففهمت حينئذ معنى قوله عز وجل « وثيابك فطهر » .

وشهد له شيخه بهذه الدرجة الرفيعة من العبادةوالثقافة اذ قال ((يا أبا العباس فيك ما فى الأولياء ، وليس فى الأولياء ما فيك)) ، ذلك أن نور الحقيقة كان على الدوام يتجلى لبصيرته ، فما كان يخطر بباله سؤال ، ويغفل لحظة فى ظل منار الاسكندرية ، حتى يرى الجواب من عند الله وهو نائم ، واذا تكلم فى الناس ، كان كالمأذون له بالكلام من الله .

وكان لأبى العباس أدعيته وأذكاره وأحزابه كما كان لشيخه مثلها من قبل ، تنم كلها عن قوة اليقين بالله ، وشدة التعلق به ، وصفاء سريرته ، ونقاء ضميره ، وما كانت مداومته على الذكر لتحول بينه وبين الاندماج فى الناس لدفع الشرور والأباطيل ، وجلب الخيرات واحقاق الحق واقامة العدل ، ومن هنا كان السر فى قوة تأثيره فى الناس اذ يقول : ((والله ما بيني وبين الرجل الا أن أنظر اليه نظرة ، وقد أغنيته)) (أى بالنظرة عن الكلام) .

وذاع صيت أبىالعباسفىالاسكندرية، وامتد الى القاهرة بالمدارس والمجالس ، حتى قوص من أقصى الصعيد ، وقصده من بلاد العجم من أطلع الله عليه عباده الصالحين ، فصحبوه ولزموه وأجله العلماء والمتكلمون والأمراء والسلاطين ، وتاقوا لرؤيته ، فكان يتحرج من لقائهم أحيانا ، حياء وخجلا وتواضعا لله ، وحسبه ـ كما يقول ابن عطاء الله ـ أنه هو ((الذى بث علوم الشيخ أبى الحسن ونشر أنوارها ، وأبدى أسرارها ، وسار الناس اليه من أقاصي البلاد ، وأقبلوا مسرعين اليه من كل ناد ، فنشأت على يديه الرجال ، وبصرها وأظهرها بالمقال والفعال ، حتى انتشرت فى الآفاق الأصحاب ، وأصحاب الأصحاب ، وظهرت علوم الشيخ فى مظهرى لسان وكتاب)) .

هذه عجالة عن الجانب الروحى فى حياة أبى العباس المرسى ، نعرضها كنموذج للحياة الصوفية النقية النابعة من أصولها الاسلامية ، والمتكاملة فى أبعادها وأهدافها ، المشروعة ، فى مختلف اتجاهاتها العلمية والخلقية والعملية ، وكذلك جعلناكم أمة وسطا)) .

الإسلام وحده يعالج مشكلات البشرية

ولكن هل ينهض به أتباعه؟

للأستاذ احمد العنانى ـ الأردن

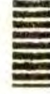
تكلمت فى مقال سابق عن مناعة الفرد المسلم فى ذاته ، بما يقوم بينه وبين خالقه جل وعلا من علاقة مباشرة يكون الله فيها الرقيب الرحيم، ويكون الفرد مطلق الحركة والابداع فى حدود ما أنزل الله من أجل دعم الفرد فى كفاحه وشد أزره ، واليوم فى هذا المقال أحاول ـ فى ظل الاسلام ـ الكشف عن عناصر الوضع الجماعي للفرد فى علاقته مع الأفراد الآخرين حيث تلاحظ المبادىء الهامة التالية :

أولا : ـ يتمتع الفرد المسلم بكافة حقوق العمل والكسب ما لم يضار الآخرين غاشا لهم أو محتكرا لمال الله عنده ، أو متخطيا مدى الربح التجارى المحدد ، أو مكتسبا من حرام كائنا ما كان مصدره غير المشروع كالسرقة والرشوة واستغلال القاصرين ، أو أنواع الاحتراف الحرام الذى تضار به أخلاق الناس ، أولا ينجم عن انتاج يزيد فى مال الأمة أو اعداد أفرادها للتمكن من الصيرورة منتجين أفضل ، وكذلك يحق للفرد المسلم أن يمارس حرية الانفاق ما لم يكن ذلك فى ترف أو تبذير (لأن ضررهما عائد على المجتمع) أو فى أمر يخالف خلق الاسلام .

ثانيا : ـ يجب على الفرد العمل ، كما يحق له تملك ما يستطيع من المال ، يستغله بغير وسائل الربا ودون السماح بتكديسه أو حبسه عن العمل ، مما يفوت فرص الحياة على الآخرين ، وفى استغلاله لماله لا يعتبر الربح مشروعا اذا قام على المخالفة عن روح النزاهة والرأفة بالعمال والعزوف عن أشكال الانتفاع غير المشروع بجهادهم .

ثالثا : ـ يكون الفرد وماله فى خدمة الأمة وجهادها فى ساعات الروع والجذب والطوارىء الملزمة ، وبالنسبة التى تستلزمها الطوارىء .

رابعا : ـ فى نطاق الحياة الاجتماعية يعتبر الأفراد المسلمون جميعا متساوين سواسية كأسنان المشط يتراحمون ويتوادون دون أى جنوح من الموهوبين



والأقوياء للزراية بغيرهم ، أو التكبر عليهم ، أو الاستهزاء بهم . والمساواة المعنوية المطلقة والامتياز للكفاية على أساس التقوى والعمل ، لا على أساس المقدرة المادية أو الاحساب كائنة ما كانت ، وهذه المساواة مضمونةبالضوابط المحكمة ، وهي هيمنة الشريعة فوق جميع الناس ، وارتفاعها فوق هامات الحكام ، واستحالة فقدان التوازن المادى بين الأفراد ، بسبب نوعية المشروعية فى التملك والانفاق ، وكذلك بالروح العامة التي يوجدها التطبيق الاسلامي فى مختلف نشاطات الحياة .

مجتمع أمثل

وهكذا نلاحظ ما يلي : ـ

أ ـ ان الاسلام يعول على قيام الانتاجية المثلى فى الاقتصاد ، مع مراعاة الفروق فى الكفاءات ، بما يتيح مجرد الحرية الاقتصادية الايجابية التي تخدم الانتاج ، ولا تعطل ذرة من جهده الممكن .

ب ـ ان حيلولة الاسلام دون نشوء طبقة من العاطلين عن العمل ، او سفهاء المترفين ، وكذلك حيلولته دون السخرة والغبن والغش والربا والاحتكار ، وتعطيل عمل المال والأرض ، فى الوقت الذى يحتم كفالة الدولة للعاجزين والمحاويج يهيىء مع الروح العامة التي يجريها فى المجتمع ، ومع العدل الذى يجعله عبادة ، ومع علم الرجل والمراة الذى يجعله فرضا ، ومع الزكاة التي تلاقي الدولة فيها تأييد الفرد الذى يعبد ربه بها ، ومع التحفظات وهيمنة الدولة فى اوقات الجهاد والعسر والبأساء ومع قدسية الطاعة للحاكم وهو فى خدمة الشريعة ، اقول انه يهيىء بذلك كله المجتمع الأمثل الذى تحلم به البشرية .

صور من الفساد

لقد كانت البشرية دائما تترنح تحت مصائب واحدة من حالين ، فاما دولة متعسفة متحكمة تعنف بأفراد المجتمع ، بحجة ضمان الخبز وصيانة السلام ، واما دولة ترخي قبضتها ، وتساير رغبات جماهيرها ، فتصبح مباءة للفوضى والاستغلال والتناقضات الرهيبة التي تؤدى الى تدهور الانسانية من مكانة السمو الى بهيمية الشهوات ، وسيطرة الظلم .

فى الماضى

ولست مستشهدا بالواقع الراهن فحسب ، ولكنني سأروى قصة مجملة عن ملامح المجتمعات الغابرة ، فى الماضي ففي أثينا التي بلغت قمة الوعي السياسي القديم عند الغربيين ، بما جعلها مصدر الهام واعتزاز لهم حتى اليوم . كان هناك عدد محصور من العائلات ، يطفو على بحر من دموع العبيد من اصحاب الأرض التي فتحها اليونان الظافرون ، وعلى دماء اولئك العبيد . وكانت حقوق التصويت وقفا على ما يبلغ العشرة آلاف انسان ، بينما يقف ثمانية أضعافهم من الرقيق المسمين بـ (الهلوتس) موقف الأيتام على موائد اللئام . .

وحتى الأقلية الظافرة فى عهد بركليس نفسه لم تكن سواء فى الحقوق والواجبات ، وحسبك أن تعلم أن نفس الجريمة كان يحكم فيها باحكام مختلفة ، وفق سجل الغلة السنوية للأرض . فمن كان له خمسمئة كيل فى العام من أرض يحكم عليه بكذا . ومن كان له اقل من ذلك يحكم بكيت هبوطا وصعودا على قدر الثروة او الفقر ! ! .

وأما روما فلم تشهد أمة فى الأرض ما شهدته امة العوام فى ايطاليا وحوض البحر المتوسط من احتقار كان ينتهي بالثورات المتلاحقة ، وحسبك ان مجلس الشيوخ والوظائف والامتيازات كانت

وقفا على ابناء العائلات المحدودة التي تؤلف مجلس الشيوخ ، وكانت حقوق المواطنين مقسومة الى درجات وسلالم ، تجعل اقدار الناس موقوفة عند درجات لا تتعداها ، كأنها القدر المقدور ، وذلك حسب اعتبارات من العنصرية والتمييز والانانية وقصر النظر .. ولا حاجة الى الحديث عن الاكاسرة الذين كان يسجد لهم ، ويعم فى الأرض طغيانهم .

والحاضر

فأما فى عصرنا الراهن فالانموذجان المتناحران : احدهما من انصار قيام جهاز جبار للدولة يسحق كل ارادات الأفراد تحت جبروته ، ويتخذ الكفر بالله والقسوة بعباده ذرائعه لتأمين الانتاج ، وتوفير الخبز والتخلص من شوائب الاستغلال والفوضى والانحلال .

واما ثانيهما فقد شاد حياته كلها على النفاق من الفها الى يائها . فهناك حرية مطلقة ، ومساواة لا متناهية ، ولكن وجودها فى الكتب والتماثيل فاذا بحثت عنها فى الواقع وجدتها مظهرا كرتونيا مفرغا من كل معنى .. بل هناك حرية الصهاينة فى تحريف الكلم والامساك بأزمة الصحف ، وخناق المجلات والأفلام ، وأشكال الدعاية العامة ، وحريتهم فى التخفى وراء شركاتهم فى الاستغلال والاستغفال ، وتجدهم أحرارا فى التذرع بكل صنوف النذالة ، لافساد ضمائر الأفراد والمتاجرة بها ، وفى التلاعب بالعلاقات الدولية ، واذكاء نار الحرب وغير الحرب وفق مخططات المنظمات الصهيونية الخفية ، وأساليبها فى تكديس الأموال ، وتفريق قلوب البشر ، والتلاعب بعقائدهم وشرف انسانيتهم .

الاسلام يتحدى

ان الاسلام ينادى بأعلى صوته هل غيرى أبطل الطائفية ابطالا مطلقا فى المجتمعات البشرية ؟ هل غيرى حافظ على الاقليات حرة العقائد موفورة الكرامة متساوية مع الأكثرية فى واجباتها نحو الدولة وحقوقها منها ؟ .

ان الاسلام يتحدى بأبلغ عبارات الحق هل غيره أبطل مختلف اشكال التفرقة بين الناس على أسس الاجناس والألوان والاقاليم ؟ .

ان الاسلام يتحدى بكل صراحة وحق وقوة هل غيره اباح البحوث الفكرية والعلمية - الا فيما يتعلق بالتشكيك فى اله واحد له المثل الاعلى ، هل غيره حتى هذا العصر جعل العلم فريضة، ومحاسبة الحاكم الظالم شريعة وأعظم جهاد ؟ .

ان الاسلام يتحدى العالم هل غيره جعل الحرب الدفاعية مقتصرة على ميدان المعركة لا يضاربها وليد ولا امرأة ولا شيخ ولا موادع ولا شجرة ؟ .

ان الاسلام يتحدى العالم هل غيره جعل الأمة اسرة متراحمة ، وحل عقد الظلم والاستغلال والاستغفال وحرر الانسان من عبوديات الشهوات ودواعي الانحلال ؟ .

ان الاسلام يتحدى الحياة ان كان غير حضارته هي التي نقلت العلم من هلوسة الأوهام ودجل المنجمين وسفسطات اليونان الى حقائق تطبيقية تجريبية ومختبرية ، ليكون علما نافعا يخدم السلام والتقدم فى الأرض .

ويحل المشاكل

ان عقدة العقد فى الميدان الدولي فيما يتعلق بمشكلات نزع السلاح ، وتحريم الانفجارات الذرية هي فقدان الثقة بين المعسكرات القوية ، ولكن الاسلام الذى يجعل الحفاظ على العهود والوفاء بالعقود جزءا مقدسا من عبادته يستطيع حل هذه العقدة .

وعقدة عقد الحرية وهي الفوضى التي تسفر عن الاستغلال مكفول زوالها فى الاسلام ، وهيمنة البشر على رقاب العباد باسم الدولة مكفول زوالها فى ظل الاسلام ...



ولكن

لكن المسلمين يعانون أزمة الثقة بأنفسهم ..

وهي أزمةأسفرت عنها كوارثالتفرقة التي جرت عليهم الهزيمة والفقر والضياع . وحينما يتفرق المسلمون شيعا فان القانون الذى يتحدث عنه الاسلام ، والحكم الذى يقضي به هو الضياع والفقر والذل ..

ان سر الاسلام هو ضمان الوحدة بين مادة الحياة وروحها ، والوحدة بين الفرد ونفسه ، والفرد وأسرته والفرد وعالم المسلمين ثم بين هذا العالم وكل العوالم التي سواه ، هذه الوحدة تقوم بقيام توازن معين داخل الاسلام توفره الشريعة ونظمها فى العبادة والمعاملة والاقتصاد والاجتماع .

ولما كانت العروبة والاسلام شيئا واحدا فى الأصل ، ولما كانت نهضة الأمة العربية تعني بالبداهة قدراتها المتجددة على نشر الوية الثقافة التي يقف القرآن العربي اللسان فى صميم محورها .

ولما كانت الفروق السخيفة والعنعنات العرقية ،والمجادلاتالسقيمة التى أودت بالمسلمين وأورثتهم الذل قدأكل عليهاالدهر وشرب حتى تهرأت مع عصور الضعف الغابرة ، بحيث أصبح لا مناص من العودة الى منابع الحياة الاسلامية وهي القرآن والسنة والقياس والاجتهاد المرتقب قيامه .

ولما كانت عبقرية الاسلام قادرة على شمول محتويات العزة والتقدم والانتاج الغزير ، والأخذ بأسباب القوة فى مختلف مجالاتها ، ونسف قواعد الاستغلال والاستغفال فان نهضة الأمة العربية اصبحت تعنى بالضرورة الحتمية نهضة الاسلام من جديد ليؤدى رسالته الخالدة فى انقاذ البشرية الضائعة وهي على شفا الهاوية .

وليس يروع المسلمين الصادقين الواعين ـ على قلتهم النسبية التي سوف تستحيل باذن الله الى كثرة كاثرة ـ كل هذا الزبد والرشاش الذى يتساقط علينا من نجاسات الأمم المتفوقة علينا مؤقتا فى ميادين القوى المادية .

لقد بقي القرآن ولله الحمد سليما خاليا من التحوير والتحريف ، كما استطاعت المقومات الاساسية للعقيدة الاسلامية ان تخرج سليمة من كل ما سلط عليها من حقد وعداء وحروب ظاهرة وخفية .

وحينما نأخذ بأسباب القوة المادية والعلوم التطبيقية من كل مكان نستطيعه تحت الشمس ثم نضع ذلك فى اطار وجهة النظر الاسلامية عن الحياة وسبل تحقيق السعادة فيها .

فان العالم الظمآنبحتمية أوضاعه الراهنة لن يجد غير معين الاسلام منهلا للسلام والتآخي النابعين من أعماق النوايا الحسنة .

أما ان تكون هناك ظواهر مثبطة كثيرة ومحزنة .

وأما ان يكون الطريق طويلا وشاقا .

وأما أن يكون واقع المسلمين ما يزال مؤلما متعثرا .

فان هذه الأمور كلها لا تحكم النتائج الأخيرة للمعركة الدائرة بأقصى حدتها فى الحياة ، لأن الحق غالب حين يتنقيض له الأنصار الخلص كائنا ما كان عدوهم أو ظروفهم ..

ولقد يرونه بعيدا ونراه بنور الله قريبا .

ذلك الزمان الذى تسعد الارض فيه بانتصار الاسلام المحتوم بقدرة الله .

الحاكم في الإسلام

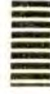
قائد للمسلمين في دينهم ودنياهم



للشيخ ابراهيم علي أبو الخشب
الاستاذ بجامعة الازهر

الحاكم فى الاسلام هو الراعى المعنى بقول النبى صلى الله عليه وسلم والامام راع «ومسئول عن رعيته» وقد كان النبى صلى الله عليه وسلم للمسلمين حاكما وقاضيا ومفتيا واماما وهاديا ومرشدا وأستاذا معلما فى الوقت الذى كان يعلن فيه كلمة السماء، ونداء الوحى، وصوت القرآن ، ولم يكن من جماعة الملوك ، وذوى السلطان، وأرباب الجاه ، أو الثروة والمال ، واليسار والغنى ، أو ما شئت مما يجعله الناس من المرشحات لمن تحدثه نفسه بالتسلط والنفوذ ، والرياسة والحكم ، والقيادة والسيادة .

وقد تحدث علماء الفقه الاسلامى أحاديث متناثرة عن القاضى وما لابد فيه من العلم والفهم ، والرأى والاجتهاد ، والبصر والذوق ، والعدل والانصاف والورع والتقوى ، والزهد والعفة ، والاناة والحلم ، والعفو والتسامح ، والفطانة والذكاء ، والالمعية والفقه .. كما تحدثوا كذلك عمن يلون الوظائف العامة فى الدولة من جباية الخراج .



وجمع أموال الصدقات ، وولاية الثغور ، وقيادة الجيوش، وغير ذلك وذلك ، ولم يخرجوا فى حديثهم عنهم ، ووصفهم لهم، وشروطهم فيهم ، عن الكفاية التامة فى العلم والرأى، والورع والزهد،والانصاف والعدل ، والدين والخلق ، والادب والحلم ، واليقظة والبصر ، والسياسة والحزم ، والكياسة والرشد .

والخليفة

كما تحدث الماوردى من علماء الشافعية عن خليفة المسلمين حديثا مستفيضا انتهى فيه الى انه يجب أن يكون فى القمة العالية من العلم والحلم ، والزهد والورع ، والخشية والخوف ، والفقه والمعرفة ، والحدب على الرعية ، والسهر على مصالح المسلمين ، والاشتغال بشئونهم ، والتفكير – دائما أبدا – فى النهوض بمستواهم ، والدفاع عن حوزتهم ،واعلاء رايتهم ، والتمكين لدولتهم ، والعمل على أن يبسط الاسلام أجنحته فى الارض، حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله .

وتحدث – أيضا – ابن طباطبا الطقطقى فى كتابه « الفخرى » عن الملوك وما يجب أن يتوفر فيهم من الاداب والطباع ، والاخلاق والسلوك ، ولم يخرج عن حديث الفقهاء عن القاضى والخليفة ، وما شاكل ذلك من أصحاب الجاه والنفوذ فى الدولة انتهى منه الى قوله « ولو نظر أصحاب الآراء والمذاهب حق النظر وتركوا الهوى لكانت هذه الشرائط هي المعتبرة فى استحقاق الامامة .. وما عداها فغير طائل » ..

القاعدة

والحقيقة التى لا محيد عنها أن المسلمين رسموا لانفسهم الصورة الواضحة للحاكم من قول الله جل جلاله « الذين ان مكناهم فى الارض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر » وهي على ما بها من اجمال تطوى كل فضيلة ، وتحوى كل جليلة ، وترشد الى كل خير ، وتوجه الى كل عدل وانصاف ، ونهوض وعمران، ورقى وتقدم ، واصلاح ونفع .

وتفصيلها الواضح، أو شرحها الوافي، يتلمسه الناس في رسالة الحسن البصرى لعمر بن عبد العزيز – رضى الله عنهما – وقد سأله أن يصف له الامام العادل، ثم قبل ذلك وذلك فى تاريخ الرسول صلى الله عليه وسلم وقيامه على أمر المسلمين، وقيادته لهم ، وتحمله لتلك المسئولية العظمى التي كلفه الله بها ، وأخذ أبى بكر الراية بعده هو وعمر وبقية الخلفاء الراشدين ، وهو تاريخ لم يترك مجالا لنقص، ولا موضعا لنقد ، ولا مكانا يبحث فيه الباحثون عن شرط تائه ، أو وصف مفقود ، بل كانت هذه كلها بمثابة السوابق التي يقدمها علماء القانون على الدستور المدون ، والفقه المتوارث،ونحن لا نجهل ما الذى كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم من الاهتمام – كل الاهتمام – بشأن المسلمين، ودأبه المضني لحثهم على الخير ، ودفعهم الى الأمام ، وتكوينه منهم الجماعة القوية التي هزت الدنيا ، وزلزت الأرض ، ولفتت أنظار الزمن .

كما لا نجهل ، ما الذى كان عليه ابو بكر رضى الله عنه من قضائه على فتنة الردة ، واقراره للأمن ، ورفعه لراية

الاسلام ، وتمكينه لسلطان العدل بين الناس ، كما لا نجهل أن عمر مع كفايته وفضله ، وصرامته وحزمه ، وصلابته وبأسه ، ومهابته واقتداره ، واحترام المسلمين له ، وحبهم اياه ، واعتزازهم به، لم ينازع أبا بكر الخلافة ، ولم يزاحمه عليها ، أو يحاربه من أجلها ، ولكنه كان تحت رايته، يعاونه وينصره، ويذود عنه ويشد أزره ، وكان كلما أشار على أبى بكر برأى فشرح الله صدره به ، أو أثلج فؤاده له ، أو أطمأن قلبه اليه ، قال له ابو بكر « لقد كنت أولى بها منى يا عمر » فلم يأخذه الزهو ، أو يثن عطفه الكبر ، أو يتسرب الى روحه معنى من الخيلاء ، أو يستغل نفوذه عنده ــ كما يفعل بطانة الوزير أو الامير ، وظل كالجندى المجهول لا يعلن عن مكانته ، ولا يتاجر بكفايته . .

كيف يولى الحاكم

أما كيف يظفر الحاكم فى الاسلام بكرسي الحكم ، أو يثب الى مكانالرياسة فى الشعب أو الأمة ، وهل يكون ذلك بالانتخاب أو ولاية العهد ــ مثلا ــ فان ما بأيدينا من مصادر ، وما برؤوسنا من علم ، وما بتاريخنا من حوادث ، وما فى ماضينا من عظات وعبر ، تدل على أنه كان بالانتخاب تارة ، وكان بولاية العهد أخرى ، وكان بالقسر والغلبة فى بعض الأحايين ، وكان كل حال من هذه مناسبة لتلك الظروف التي لابست وجودها ، وصاحبت مجيئها ، فأبو بكر رضى الله عنه كان بالشورى والانتخاب ، وعثمان رضى الله عنه كان بالانتخاب ، وكلا الانتخابين يخالف الآخر . . اذ أن انتخاب الخليفة الأول كان من سواد العامة والدهماء ، وانتخاب عثمان كان من طبقة الخواص والسادة ، وهم النفر الذين عينهم عمر بن الخطاب لمن جاءه يسأله أن يجعل الولاية لابنه عبد الله ــ كما جعل أبو بكر ولاية العهد له من قبل ، فأبى عليه ذلك قائلا بحسب آل الخطاب أن يحاسب الله واحدا منهم عن هذه الأمة ، ثم قال له ولكنى أدلك على نفر مات رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو راض عنهم ، ليختار المسلمون الخليفة منهم ، وكان فيهم عثمان الذى انتهت اليه الخلافة فيما بعد .

هل حدد الاسلام طريقة اختيار الحاكم

ومن هذا العرض السريع ندرك الى حد ما أنه لم يكن لاختيار الحاكم أسلوب محدود ، ولا طريقة خاصة،وأن الانتخاب الذى وصل به الى خلافة المسلمين أبو بكر وعثمان لم يكن دستورا ملتزما ، وأن ولاية العهد التى تلقى بمقتضاها الراية عمر عن صاحبه لم تكن أسلوبا دائما جرى عليه المسلمون . . . الا أننا نلحظ من فرق ما بين الظروف المتفاوتة التي وافقت خلافة ابىبكر وعثمان أنالانتخاب الذى كان فى خلافة أبى بكر كان من الضرورى أن يعم الدهماء والسوقة ، من الأنصار والمهاجرين ، والشيب والشبان من المسلمين،والاقارب والاباعد من رسول الله صلىالله عليه وسلم،حتى ينتهىذلك الى القضاء على العصبيات ، والرجوع الى الكفاية الصادقة ، التي تمثلت فىرجل كان له من ماضي جهاده وجلاده، وايمانه وصحبته ، واختيار الرسول له ــ فى مرض موته ــ أن يصلى بالناس ما يشفع له بالجدارة بالخلافة ، والاستحقاق للفضل . .

أما انتخاب عثمان ــ هكذا ــ فى أضيق الحدود من النفر الثمانية أو السبعة



فذلـك لأن عمر رأى بثاقـب نظـره أن رؤوسـا كثـيرة تشرئب للخلافـة ، وأن ذلك قد يعمـل عملـه في تفـريق الصفوف ، وصدع الشمل ، واستفحال الشر ، أو اندلاع نـيران الفتنـة ، وأن القضاء على ذلك كله لا يكون الا بصنيعه الذى صنعه ، وأسلوبه الذى جرى عليه .

كما كان أبو بكر ـ كذلك ـ بعيد النظر ، صائب الرأى ، سليم التفكـير ، حكيـم العقل ، واسع الأفق ، حينما جعل ولاية العهد بعده لعمر ، لأنه أمثل شـخصية على وجـه الأرض فى هذه الآونـة ، وقد صدقت فراسته فى هذا الاختيار ، لأن علماء الاجتماع ، ودهاقين السـياسة ، وأساتذة التاريخ ، مجمعون على أن عمر ابن الخطاب لا يمكن أن يجود الزمن بمثله على الدنيا . .

منزلة الحاكم فى أمته

والذى نخلص منه من تلك الدراسات عن الحاكم فى الاسلام الذى هو فى نظـر علماء الفقه الاسلامي «ظل الله فى أرضه» أن الحاكم ـ من غير شك ـ مثال مـن أمثلة الريادة العامة ، والقيادة الصادقة ، والخدمات الانسانية العظمى ، والجهود التي لا يقوم بها الا الصـفوة المختارة فى الأمـم والجماعات ، وأن وصـوله الى كرسي الحكم يتكيف بالظروف والملابسات التي تمليها الأحوال الطارئة، وأن تسميته ملكا أو زعيما أو « أمبراطورا » أو مـا شاكل ذلك من أسماء يسميها الناس لا حساب لها فى نظـر الاسـلام ، ولا هو يعطيها من الرعاية والاهتمام شيئا يزيد فى تقديرها واحترامها . . وكل ما يعنى الاسلام بعد ذلك كله من الحاكم أن يكون صورة طيبة للعدل والانصاف ، والعفـة والطهر ، والاستقامة والنزاهة ، وحب الخير للناس ، والتسوية بـين رعيته فى الحقوق والمعاملات وألا تحيط به شبهة ، أو تلاحقه تهمة ، أو تلصق به ريبة ، أو يجعل من سلطانه ذريعة الى منكر ، أو وسيلة الى معصية ، أو طريقا الى غضب اللهعليه ، أو كراهية الشـعب له . . .

وهكذا يكون الحاكم الاسلامى خاليا من الكبـر بعيدا عـن الغطرسـة ، مجافيا لأساليب العنف ، الا اذا اعتدى أحد على حرمات الله ، أو جاهر زنديق بمعصية ، أو أعلن مجرم الافساد فى الأرض ، ولـم يفهم الحاكم الاسلامي الا أنه الأخ الكبير فى الأسرة ، أو الأب الشفيق فى البيت ، أو الأستاذ المربى فى المدرسة ، أو الناصح المخلص للجماعة ، أو الصديق الصدوق للبيئة ، أو الراعى الأمين فى الرعية ، أو الهادى المرشد للقافلة ، ولذلك تحيطه الأمة بقلوبها وتحفظه فىأفئدتها ، وتصونه فى محاجرها وتفديه بما تملك من أموالها اذ يشعر دائما أبدا أنه فى نفوسها على عرش من الود والحب ، والوفاء والمودة وأن أرواحها ترفرف حوله ، وآمالهـا تتـرامى عنده ، وأمانيهـا تتعلق بـه ، ورجاءها منوط الى أبعد حد بسلامته وبقائه . . . ولم نر شريعة من الشرائع ، ولا دينا من الأديان ، جعل للحاكم هـذه المنزلة ، ولا بوأه تلك المكانة ، ولا مكن له فى الدولة ذلك التمكين ، الا الاسلام الذى كان دستوره العدل ، وقانونه الرحمة ، وشريعته الانصاف ، وهديـه الأدب ، وارشاده البر والمعروف ، وتربيته لـم تظفر الانسـانية بمثلها ، الا فى أوهـام الفلاسفة ، وخيال الشعراء .

من وحي الحج

للاستاذ ضياء الدين الصابوني

الشوق يحفزنى لرؤية أحمد   والوجد يحدونى لأكرم مسجد
أنسى همومى ما هممت بذكرها   وتردّ لى روحى فيا نفس اسعدى
ها أنت في أرض السلام فرفرفى   ما شئت في جنباتها أو غرّدى
تالله ما سحر الفؤادَ ولذّه   مثل الجمال يشعّ وسط المسجد
وتمتعَنْ بشميم مسك أذفر   نفحاته تغشاك في الجو الندى
ولكم يهيج الشوق في عواطفا   ويثيرنى وهج الهوى المتوقد
عرّج على تلك الديار وقف بها   واقض حقوق الدار والنور واشهد
واخشع بها واذرف دموع صبابة   واسأل لعلك أن ترى من مسعد
يدعوك صوت الحق من عليائه   إنى أنا الله المرجى فاقصد
فلقد وعدت فما أخيّب راجيا   من مذنب رام الهدى أو ملحد
واسأل تجب ما دمت تهوى أحمدا   فهو الشفيع لكل راج في غد
أحباب قلبى لو شهدتم أدمعى   عند العقيق لما جهلتم مشهدى
يتجرَّد الإنسان عن أهوائه   والروح تسمو للمقام الأمجد
يارب دعوة مؤمن متبتل   فامنن علينا بالقبول وأيّد
نال السعادة في الحياة وذاقها   من هام في حب الحبيب محمد
طوبى لمن قد هام في حب الهدى   من فاز في نيل الشفاعة يسعد

مائدة القارئ

« وأذن فى الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق »

تأمين الهى

« قال رسول الله صلى الله عليه وسلم . هذا البيت دعامة الاسلام ، فمن خرج يؤم هذا البيت من حاج أو معتمر كان مضمونا على الله ، أن قبضه أن يدخله الجنة ، وان رده رده بأجر وغنيمة »

حدود الحرم

للحرم حدود تحيط بمكة من جميع جهاتها لا يتجاوزها الا مسلم ، وقد نصبت عليها أعلام مبنية فى خمس جهات .

* التنعيم ـ وتقع شمالى مكة ، وبينهما ٦ كيلومترات

* أحناء ـ من جهة الجنوب ، وبينها وبين مكة ١٢ كيلومترا

* الجعرانة ـ من جهة الشرق ، وبينها وبين مكة ١٦ كيلومترا

* وادى نخلة ـ من جهة الشمال الشرقى ، وبينه وبين مكة ١٤ كيلومترا

* الشميس ـ وهى مكان الحديبية التى تمت عندها بيعة الرضوان على الطريق من جدة الى مكة

لا اقتراض للحج

عن عبد الله بن أبى أوفى قال :

سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الرجل لم يحج ، أيستقرض للحج ؟ قال لا .

لا حرج

قال أسامة بن شريك :

خرجت مع النبى صلى الله عليه وسلم حاجا ، وكان الناس يأتونه ، فمن قائل : يا رسول الله . سعيت قبل أن أطوف ، أو أخرت شيئا وقدمت . فكان يقول . لا حرج ، لا حرج ، الا على رجل اعترض عرض رجل مسلم وهو ظالم ، فذلك الذى حرج وهلك .

عودا .. يا رب

اللهم انى عبدك ، وابن عبدك ، وابن أمتك . حملتنى ما سخرت لى من خلقك ، وسيرتنى فى بلادك حتى بلغتنى ـ بنعمتك الى بيتك ، وأعنتنى على أداء نسكى ، فان كنت رضيت عنى فازدد عنى رضا ، والا فارض عنى قبل أن تنأى عن بيتك دارى ، فهذا أوان انصرافى ، ان أذنت لى ، غير مستبدل بك ولا ببيتك ، ولا راغب عنك ولا عن بيتك .

اللهم فاصحبنى العافية فى بدنى ، والصحة فى جسمى ، والعصمة فى دينى ، واحسن منقلبى ، وارزقنى طاعتك ـ ما أبقيتنى ، واجمع لى بين خيرى الدنيا والاخرة ، انك على كل شىء قدير .

التكسب فى الحج

عن أمامة التيمى أنه قال لابن عمر رضى الله عنهما .

انى رجل أكرى فى هذا الوجه ـ أؤجر دابتى فى هذه الجهة ـ وان ناسا يقولون لى انه ليس لك حج . فقال ابن عمر . أليس تحرم ، وتلبى ، وتطوف بالبيت ، وتفيض من عرفات ، وترمى الجمار ؟

قال : قلت بلى . قال : فان لك حجا .

كنـوز الكعبـة

قال أبو الوليد الازرقى فى كتابه أخبار مكة :ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين فتح مكة عام الفتح فى سنة ثمان من الهجرة وجد فى الجب الذى كان فى الكعبة ٧٠,٠٠٠ أوقية من ذهب مما كان يهدى الى البيت . قيمتها ألف ألف وتسع مئة ألف وتسعون ألف دينار . فقال على كرم الله وجهه . يا رسول الله لو استعنت بهذا المال على حربك . فلم يحركه ، ثم ذكر لابى بكر فى ولايته ، فلم يحركه ، ثم نهبت هذه الكنوز بعد ذلك فى أخريات القرن الاول الهجرى .

عدل وثقة

قال رجل لعمر بن الخطاب فى كلام دار بينهما .

ـ اتق الله .

فاستنكر ذلك أحد الحاضرين وقال له .

ـ اتقول لأمير المؤمنين اتق الله .

فرد عمر .

ـ دعها فليقلها فنعم ما قال . لا خير فيكم اذا لم تقولوها . ولا خير فينا اذا لم نقبلها .

نحن وأولادنـا

دخل الأحنف بن قيس على معاوية ويزيد بين يديه ، وهو ينظر اليه اعجابا به ، فقال له : يـا أبا بحر ما تقول فى الولد . فعلم ما أراد . فقال يا أمير المؤمنين . هم عماد ظهورنا ، وثمر قلوبنا ، وقرة أعيننا . بهم نصول على أعدائنا ، وهم الخلف منا لمن بعدنا . فكن لهم أرضا ذليلة ، وسماء ظليلة ، ان سألوك فأعطهم ، وان استعتبوك فاعتبهم . لا تمنعهم رفدك (عطاءك) فيملـوا قربك ، ويكرهوا حياتك ، ويستبطئوا وفاتك .

فقال : لله درك يا أبا بحر . هم كما وصفت ».

ماء زمـزم

جاء رجل الى ابن عباس ، فقال . من أين جئت ؟

قال : شربت من ماء زمزم .

قال : أشربت منها كما ينبغى ؟

قال : وكيف ذلك يا بن عباس ؟

قال : اذا شربت منها فاستقبل القبلة ، واذكر الله ، وتنفس ثلاثا ؟ وتضاع منها ـ اشرب حتى ترتوى ـ فاذا فرغت فاحمد الله ، فان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : آية ما بيننا وبين المنافقين أنهم لا يتضلعون من زمزم .

عاقبة النعمـة

قال أعرابى : العاقل حقيق أن يسخى نفسه عن الدنيا ، لعلمه أنه لا ينال أحد فيها شيئا الا قل امتاعه به ، أو كثر عناؤه فيه ، واشتدت مرزئته عليه عند فراقه ، وعظمت التبعة فيه بعده .

الحجر الأسود

الحجـر الأسـود قبلتـه بشفتى قلبى ، وكله ولـه:
لا لاعتقادى أنـه نافـع ، بـل لهيامـى بالذى قبلـه:
محمد أطهـر أنفاسـه ، كانت على صفحته مرسلـه:
قبلـه ، والنـور من ثغره يشرق آيات هـدى منزلـه:

ضيوف الرحمن

محمد مؤذن

للشيخ : احمد حمدى الطاهر
عمـان ــ الاردن

اذا أهلت الاشهر الحرم ـ شوال وذو القعدة وذو الحجة ـ سرت بين المسلمين لواعج الشوق الى أرض الحجاز مهبط الوحى والالهام ، وأصبحت حديث الناس فى مجالسهم تتجدد ذكراها فى القلوب ، ويقويها بينهم حنين أولئك الذين أصابوا منها حظا سابقا ، فيتذكرون تلك المواقف العظيمة ، والتجليات الخالدة ، وما تبع ذلك من انتشار الاسلام ومد رواقه على أكثر المعمورة وسلطان عدله على الامم جميعا ، فيذكرون رسولهم العظيم ومواقفه المؤثرة التى أطاحت بعروش الظلم وهدت أركان الباطل ، وقادت العالم الى حياة أسعد مقتبسة من تعاليم القرآن العالية ، وأنظمته الخالدة وأوجدت فيهم عدالة اجتماعية طالما تطلع اليها المصلحون فى كل زمن وجيل .

ضيوف الرحمن

هم حجاج بيت الله الحرام الذين حلوا مكة ــ الوادى المقدس ــ ملبين دعوة ربهم ليقيموا ركنا عظيما من أركان الاسلام ، ويؤدوا فرضا مقدسا يرون فيه مشاهد النبوة ومنازل الوحى ، وليقيموا فى حرم الله الامين مستقر الرحمة وموطن الهداية وليملأوا عيونهم من تلك المشاهد التى كان فيها الرسول هاديا وداعيا صابرا على الاذى شكورا ، يدعو ربه آناء الليل وأطراف النهار ، حتى أظهر دين اللـه ، فانبثـق ضياؤه هاديا فى دياجير الظلام ، يسعى الى ضوئه كل طالب للحقيقة والنور .

ويذكرون كيف جاء جند الله الى البيت الحرام ، وعليهم الشكة والسلاح والقوة والايمان ومعهم العزم والرحمة ، فجهروا بكلمة الله عالية فى بطحاء مكة ، وأزالوا الشرك منها الى يوم القيامة . ثم ساروا الى الآفاق نورا ساطعا ، حاملين

بأيديهم اليمنى كتاب الله يدعون اليه ويهتدون بهديه . وفى شمائلهم سيف الله يشقون به ظلمات الطاغوت ويفلون به جبروت ذوى السلطان ، ويكشفون به الظلم عن المظلومين ليخرجوهم من نير العبودية الى نور الحرية والمساواة ، ويقدمون لهم أغلى هدية يقدمها فاتح الى بلاد مفتوحة وهى العدالة ، وتحرير العقول من عنت الارهاق والتقليد والخمول فتتجلى لهم الحقيقة ، وبذلك يكون الدين كله لله ، ولا عدوان الا على الظالمين .

وفى الحج تظهر أعظم ظاهرة اجتماعية قررها الاسلام ودعا اليها وهى المساواة بين سائر المسلمين ، الكل أمام الله سواء ، لا فرق بين غنى وفقير ، وأمير وحقير ، وصاحب سلطان وجاه ووضيع لا يملك شروى نقير ، عراة من زخارف الحياة الدنيا وزينتها ، لا يستر أجسامهم الا قليل من ثياب بيضاء رخيصة الثمن ، مكشوفى الرؤوس حفاة الا من نعل بسيط ، وتراهم فى ذلة وخشوع بين يدى الله العزيز الجبار ، يرجون رحمته ويخافون عذابه ، وهنا يتجلى مظهر المساواة : قال عليه الصلاة والسلام (المسلمون سواسية كأسنان المشط لا فضل لعربى على عجمى الا بالتقوى ان أكرمكم عند الله أتقاكم) .

تثير تلك المشاهد فى مكة والمشعر الحرام الذكريات العذبة ، فتمتلىء نفس المؤمن عزة وايمانا بالله ودينه القويم ، ثم تعلو نفسه الحسرة عندما يوازن بين الغابر والحاضر ، فنرى الاول رحمة ونورا ووحدة شاملة وعزة مانعة ، ويرى فى الثانى ذلة وخضوعا واستبدادا وخنوعا ، وتنابذا وانقساما .

والحج فى حد ذاته فرصة سانحة للتعارف بين المسلمين يلتقى فيه المسلم باخوانه من أبناء العروبة والاسلام ، يلتقى فيه المصرى بالهندى والشامى بالمغربى والفارسى بالاندونيسى والباكستانى بالفلبينى والصينى بالافريقي تجمعهم وحدة شاملة وتضمهم مبادىء جامعة هى الاسلام الحنيف . فيشعرون بأنهم أمة واحدة تجمعهم أخوة الدين مهما تباعدت الديار ، واختلفت الامصار ، وتباينت الاقطار . يتفاوتون فى مراتب الدنيا فى بلادهم ، ولكنهم فى بلد الله الحرام التى جعلها الله للناس أمنا لا تتفاوت المراتب فيه الا بالتقوى . وكان الحج بذلك المعنى اجابة لنداء الله الخالد - « يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله أتقاكم » .

فعلى بساط المساواة يلتقى الحجاج ، وعلى تلك المائدة الروحية يتعارف وفد الله وضيوفه ، ويعلم بعضهم حال بعض فيتذكرون الآمال والآلام ويتبادلون الاستبصار والاعتبار . وفى هذا السمر الروحى تتآلف القلوب ، وتشترك المصالح ويعم النفع الجميع ، وتتحقق بهذه الاهداف السامية حكمة الحج الاكبر .

« لبيك اللهم لبيك » ..

يكثر الحجاج من التلبية على جبل عرفات بشكل ظاهر يلفت النظر ، فترى مئات ألوف الحناجر تجهر بهذا النداء الروحى ضارعة الى الله تعالى ، طالبة الرحمة والمغفرة : يا له من منظر خلاب يأخذ بالألباب !

لبيك : نداء الروح يتجاوب صداه فى قلوب عامرة بالرضا ، وصدور يختلج فى جوانبها الامل ، وعيون تقرأ فيها التطلع الى المستقبل البعيد ، عندئذ تبتسم القلوب ثم لا تلبث أن تتردد فى جوانب الارض تلك الاصوات ، فترتج لها الجبال الراسيات اجلالا ، وتقف لها احتراما وأكبارا .

لبيك اللهم لبيك : يرددها الصغير والكبير ، ويتذوقها الجميع العربى منهم والعجمى . وقد ارتسمت على وجوهم آيات الخلود ومثلت أمام أعينهم أشباح السعادة : لبيك : ما أجمل أن يجيب



العبد دعاء ربه ! وما أروع أن يقصده في بيته ! ويحل ضيفا على ما ئدته ! .

لبيك نداء ابراهيم الخليل بلسان الوحي ينطق وبأمره ينادى ، وبجلال القدرة يسمع – وأذن فى الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق – نعم ! أجبنا دعاء ربنا . وها نحن أولاء نشد الرحال من أقصى المعمورة عبر الصحارى والقفار ، ونهبط من فوق الجبال الشماء الى واد غير ذى زرع عند بيتك المحرم ، وطاعة لك ، وابتغاء رضوانك الذى يشع من جوانب هذا الوادى الامين .

وها نحن ! نقبل شعثا غبرا مستجدين عطفك ورضاك ، وما أعظم أن تجاب الدعوة ! تصدر من القلوب نقية بالايمان مخلصة بالطاعة ، وقد ترك كل حاج أهله وولده وماله ، وأعرض عن ملذات الدنيا، يجر أذياله ، وقد أضناه الجهد ، وأخذ منه التعب والكلال كل مأخذ . ها هو قد وصل الى ساحة الكرم الالهى . فيالها من سعادة ! اذا قوبل بالبشر والترحاب ، وطرقت أذنيه نبرات الالهام الربانى « اذهبوا فقد غفرت لكم » فوالذى نفسي بيده انها لحصاد الآخرة ، تمر تلك الساعات على جبل عرفات سراعا دون شعور . واذا أنت تكبر الله وتقول « لبيك اللهم لبيك » .

أثر الحج فى النفوس

ان الرحلة الى الحج تقتضى أن يفارق الحاج وطنه ، ويغادر مسقط رأسه ، وان لهذا الفراق أثرا فى النفس المؤمنة يسمو بها من عالم المادة الى عالم الروح ، وينتزعها من غواشى الغفلة الى صفاء اليقظة والشعور . ذلك أن الحاج يذكر بفراق الوطن فراق الحياة ، وبترك العشيرة الموقوت ترك الاحبة الابدى ، ويستعيض عن الانس بالاهل الانس بالله والتفكير فى ملكه والنظر فى ملكوته .

فاذا نظر الناظر الى زمر الحجاج فوق الخضم الهائج ، وعلى متن الهواء العاصف ورمال الصحراء المحرقة خيل اليه انهم من كتائب الغزاة الفاتحين ، وجنود الاسلام المجاهدين ، ولا غرابة فى ذلك فانهم يجاهدون النفس وهواها ، وينازلون القلب ونزواته ويكافحون الشيطان وغوايته . . فما أشبه الجهاد بالجهاد ! وما أقرب الكفاح من الكفاح ! وان هذه الحالة : حالة التجرد من الثياب المعهود واللباس المألوف ليذكر الحاج بحالته يوم البعث والنشور . والحشر ومغادرة القبور حيث يقوم الناس حفاة عراة ينتظرون رحمة الله ويرجون فضله، ويأملون كرمه . ومما لا شك فيه أنه اذا تذكر حالة البعث ، واستحضر ساعة الحشر صدف عن الغواية وهجر السوء والضلالة ، وترك الدنيا وزخارفها ، والحياة الدنيا وزينتها ، وعمل ليوم لا ينفع فيه مال ولا بنون الا من أتى الله بقلب سليم .

واذا وقف تجاه الكعبة المشرفة فسرعان ما تطوف بعقله الذكريات الغالية التى مرت بذلك البيت الكريم . وما لقيه المسلمون الاولون فى دفاعهم عن هذا الدين واعزازه ، وكفاحهم فى تمكينه واعلائه ، بهمم لا تعرف الوهن ، وعزائم لا يعتريها الكلل ، وقلوب لا يجد الخوف اليها سبيلا .

بئر زمزم

ثم اذا انعطف الحاج من تجاه بيت الله الحرام الى بئر زمزم المباركة ، عاش فى ذكرى ذلك الحادث الرهيب حين ترك الخليل ابراهيم عليه السلام زوجته وولده اسماعيل فى مكان البيت حيث لا زاد ولا ماء ولا أنيس ولا معين الا رب العالمين . وكيف جعل الله له من أمره يسرا .

وهنا يتعلم المؤمن ما يجنيه المرء من

التوكل على الله أثناء اضطراره والاعتزاز به ابان شدته ، والانحياز اليه أوقات كربته ، يتعلم منه كيف يفزع الى الله وحده اذا أخذت الحوادث بخناقه . فيجده معه يعينه ويفرج كروبه .

درس بليـغ

انه لدرس بليغ يتلقاه المسلم فى الحج بما يشاهده من المظاهر الواحدة ، والدعوات الواحدة ، والاذكار الواحدة ، تلك المظاهر المتشابهة التى تشعر الناظر بأن هذه الكثرة قد استحالت الى جسم واحد وقلب واحد وعقل واحد ولسان واحد .

عند ذلك يتذكر ما لهذا الاجتماع العالمى من أثر بالغ فى وحدة القلوب وجمع الكلمة وبناء الصفوف ويدرك ادراكا لا ريب فيه : ان الله جلت قدرته ما جمع الناس فى هذه البقعة المباركة الا لحكمة سامية ، بها عز الاسلام ومجد المسلمين الخالد ، وخيرهم الدائم .

تلك الحكمة هى الوحدة والتآزر ، والتآخى والتآلف ، ونزع الفرقة والخلاف والخصام والشقاق : ولقد حدثنا التاريخ بما فتح الله على المسلمين الاولين من أجدادنا السالفين ، يوم كانوا كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا ، فدانت لهم الرقاب ، وخضعت لهم الحياة ، فثلوا العروش ، وملكوا ناصية الدنيا ، وفاخروا أهل الارض وطاولوا السماء . ولكنهم عندما حلت الفرقة فى قلوبهم ، وانصدمت الوحدة فى نفوسهم خسروا تراث الآباء والاجداد ، وصاروا وراء الامم حظا ومجدا ، فهل آن لقادة الامة العربية والاسلامية وساستها وزعمائها ان يستجيبوا لكلمة الله ، فيرأبوا الصدع ويوحدوا الصفوف والجهود ، ويهبوا فى وجه الدخيل المستعمر فى بلاد الاسلام هبوب العاصفة، فيقتلعوا بناءه ويحطموا وجوده . ويكونوا عند حسن الظن بهم فى العمل لواجب الاوطان واعلاء كلمة الله .

قادة فتح البحار

محمود مؤذن

عبد الله بن قيس الحارثي أمير البحر الأول في صدر الإسلام وأول من غزا جزيرة صقلية

للواء الركن محمود شيت خطاب
عضو المجمع العلمي العراقي

اسلامه

أدرك عبد الله بن قيس الحارثي النبي صلى الله عليه وسلم، فأسلم في أيامه، ولم تكن له صحبة ولا جهاد تحت لواء الرسول القائد صلوات الله وتسليمه عليه.

جهاده

استأذن معاوية بن أبي سفيان عمر بن الخطاب في غزو البحر، فلم يأذن له، فلما ولي عثمان بن عفان لم يزل به معاوية حتى عزم عثمان على ذلك، وقال: « لا تنتخب الناس ولا تقرع بينهم ...

خيرهم ، فمن اختار الغزو طائعا ، فاحمله وأعنه ، ففعل معاوية ، واستعمل عبد الله بن قيس الحارثي حليف بني فزارة على البحر ، فغزا المسلمون (قبرس) سنة سبع وعشرين هجرية ، وفتحوها .

وكان عبدالله أول من غزا البحر سنة سبع وعشرين الهجرية ، وكان معاوية بن أبي سفيان يرسله في غزو البحر ، فغزا خمسين غزاة من بين شاتية وصائفة في البحر ، ولم يغرق فيه أحد ولم ينكب ، وكان يدعو الله أن يرزقه العافية في جنده وألا يبتليه بمصاب أحد من رجاله .

وفي سنة ست وثلاثين الهجرية بعث معاوية بن حديج السكوني . عبد الله بن قيس لغزو (صقلية) ، فأصاب أصناما من ذهب وفضة مكللة بجوهر ، وقد وجه معاوية بن حديج جيش عبد الله بن قيس في مائتي مركب ، فكان عبد الله بن قيس أول من غزا (صقلية) من العرب المسلمين ، فسبوا وغنموا وأقاموا شهرا ثم انصرفوا .

وأخيرا استشهد عبد الله في احدى جزر الروم ، فقد خرج طليعة في قارب ، فانتهى الى المرفأ من أرض الروم وعليه مساكين يسألون ، فتصدق عليهم ، فرجعت امرأة منهم الى قريتها ، فقالت للرجال « هذا عبد الله بن قيس في المرفأ » ، فثاروا اليه وهجموا عليه ، فقتلوه بعد أن قاتلهم ، فأصيب وحده ونجا الملاح حتى أتى أصحابه ، فأعلمهم باستشهاد عبد الله بن قيس .

الانسان

استشهد عبد الله بن قيس سنة ثلاث وخمسين الهجرية (٦٧٣ م) أو سنة أربع وخمسين الهجرية فطويت باستشهاده أروع صفحات البطولة والرجولة والفداء .

قيل للمرأة التي استثارت رجال الروم على عبد الله بن قيس . « كيف عرفته ؟ . » فقالت : « كان كالتاجر ، فلما سألته أعطاني كالملك ، فعرفت أنه عبد الله بن قيس » . وقالت : « عرفته بصدقته . أعطى كما يعطى الملوك ، ولم يقبض قبض التجار » (٣) .

لقد كان كريما سخيا ، صادقا وفيا ، نقيا تقيا ، وكان مفخرة من مفاخر العرب المسلمين ولا يزال ، وسيبقى مفخرة من مفاخرهم الى الأبد .

القائد

البطولات الفذة النادرة التي أظهرها المسلمون الأولون في معارك الفتح الاسلامي العظيم ، كانت ولا تزال وستبقى مثار اعجاب العالم كله على اختلاف أممه وأديانه وأجناسه .

واذا كان العرب المسلمون الذين استهانوا بالموت لاعلاء كلمة الله في (البر) مثار اعجاب الناس كلهم ، فان البطولات التي أبدوها في (البحر) تبهر العقول والقلوب معا ، لأن العرب أمة برية ، ومجال اقدامهم البر لا البحر .

أما أن يبدوا بطولات في البحر ، لا تقل روعة وجلالا ، وتضحية وفداء ، عن بطولاتهم في البر ، فهذا هو موطن دهشة الأمم كافة واعجابها .

واذا كان كثير من العرب المسلمين قد بذلوا أرواحهم رخيصة في البحر ، وهو مجال غير مجالهم الطبيعي ، فان على رأس أبطالهم دون شك ولا منازع ، هو عبد الله بن قيس الحارثي .

لقد قضى عبد الله حياته كلها مجاهدا في البحر غازيا جزر البحر الأبيض المتوسط وسواحل أرض الروم صيفا وشتاء بدون انقطاع . غزا خمسين غزوة بحرية ، فاذا غزا كل صيف وكل شتاء من كل عام بعد سنة سبع وعشرين الهجرية ، وهي السنة التي بدأ فيها غزو البحر ، فقد غزا تلك الغزوات خلال خمس وعشرين سنة ، أي أنه لم يسترح عاما واحدا ولا فصلا واحدا من عام واحد ، ، حتى استشهد مجاهدا في البحر ، وهذا منتهى الحرص على الجهاد لتكون كلمة الله هي العليا .

أن مجرد اقدام عبد الله على غزو



البحر ــ وهو ابن الصحراء ــ دليل قاطع على شجاعته النادرة واقدامه الفذ .

كما أن دراسة معاركه البحرية ، تكشف عن صبره الجميل على شدائد البحر ومخاطره وأهواله الحربية .

حين استشهد عبد الله وعاد الملاح الذى كان برفقته الى أصحابه بالنعى ، جاء رجاله حتى نزلوا المرفأ وعليهم سفيان بن عوف الأزدى خليفة عبد الله ، فخرج سفيان على الروم وقاتلهم ، ولكنه ضجر وجعل يشتم أصحابه ، فقالت جارية عبد الله لسفيان . « ما هكذا كان يقول عبد الله يقاتل » فقال سفيان : « وكيف كان يقول ؟ » . فقالت : « الغمرات ثم ينجلينا » فترك سفيان ما كان يقول ، ولزم . « الغمرات ثم ينجلينا » . وقد أصيب من المسلمين يومئذ ، وقتل سفيان ، وقتل معه جماعة .

« والغمرات ثم ينجلينا » ، مثل يضرب فى الصبر على احتمال الشدائد أملا فى انفراجها .

وعلى الرغم من عظم خطورة البحر وشدته ، وعلى الرغم من كثرة غزوات عبد الله فى البحر ، فانه لم يغرق أحد من رجاله ولم ينكب ، وهذا دليل على شدة حرص عبد الله على الأرواح ، اذ كان يستأثر بالأخطار دون أصحابه ، ويستطلع أخبار العدو ونياته ومسالكه بنفسه ، كان دائما فى الأمام قريبا من الأخطار حماية لرجاله ووقاية لهم ، وقد دفع فى آخر محاولاته الاستطلاعية روحه الغالية ثمنا لاستئثاره بالأخطار دون رجاله حماية لهم وحرصا على أرواحهم .

لقد بذل ابن قيس كل ما يمكن أن يبذله القائد القوى الأمين من جهود للحفاظ على سلامة جنوده ، فكان عمله هذا مثالا رائعا فى تاريخ الحرب كله للقائد الذى يضحى حتى بنفسه فداء لرجاله .

من الطبيعي ــ بعد كل ذلك ، أن يكون عبد الله ، موضع ثقة أصحابه وتقديرهم ، وموضع حبهم واعجابهم .

وكان شجاعا مقداما الى حد المغامرة ، ذكيا ألمعيا . يخطط لمعاركه بدقة واتقان ، ويهيء كل الأسباب لنجاحه فى القتال ، باستطلاعاته المستمرة وخططه الصائبة وقراراته الموفقة .

وكان ذا شخصية قوية مسيطرة ، وبذلك انتصر فى كل معركة خاضها ، اذ أن طبيعة المعارك البحرية بما فيها من أخطار جسيمة ، تقتضى من القائد الناجح أن يكون مسيطرا على رجاله، ومن رجاله أن يكونوا متحلين بالضبط المتين .

وكان يطبق مبادىء الحرب فى معاركه ، معاركه كلها ــ (تعرضية) ، وهو (يباغت) عدوه فى وقت ومكان وبأسلوب لا يتوقعها ، وخططه (مرنة) ، لا يتخلى عن (الأمن) فيها ، ولا ينسى تأمين (القضايا الادارية) ولا (ادامة المعنويات) قبل المعركة وفى أثنائها وبعدها .

لقد كان عبد الله بن قيس قائدا فذا .

ابن قيس فى التاريخ

يذكر التاريخ لابن قيس أنه من المؤسسين الاولين للاسطول العربى الاسلامى .

ويذكر له ، أنه أول أمير للبحر فى صدر الاسلام من العرب المسلمين .

ويذكر له ، أنه من أكثر قادة المسلمين فى الأيام الذهبية للفتح الاسلامي غزوا للبحر .

ويذكر له ، أنه أول من وطىء أرض (صقلية) من المسلمين ، وأول من هاجم أكثر جزر البحر الأبيض المتوسط وسواحل أرض الروم .

ويذكر له ، أنه كان من أوائل من نشر الاسلام دينا والعربية لغة فى جزر البحر وفى سواحل بلاد الروم .

ويذكر له ، أنه قدم حياته رخيصة فى سبيل اعلاء كلمة الحق .

ويذكر له ، أن الفتح الاسلامي — من بعده — في البحر تعثر بعقبات كأداء ، استطاع هو بمقدرته وشجاعته وتضحيته اجتيازها بسهولة ويسر .

ويذكر له ، أن استشهاده كان خسارة كبرى للمسلمين عامة ، ولم يكن خسارة خاصة به وبأهله وذويه .

رضي الله عن البطل البحرى ، أمير البحر الأول ، ورائد الاسطول الاسلامي الأول ، القائد الفاتح ، البطل الشهيد عبد الله بن قيس الحارثي .

جنادة بن أبي امية الأزدي فاتح رودس وجزيرة أرواد وأول من غزا أقريطش

الصحابي

كانت لأبى عبد الله جنادة بن أمية الازدى صحبة وقد رأى النبى صلى الله عليه وسلم وروى عنه مما يدل على صحة صحبته ، ولكن ابن سعد في طبقاته ذكره فى الطبقة الأولى من التابعين من أهل الشام .

والظاهر أنه صحابى ، وأن الذين ذكروا أنه تابعى خلطوا بينه وبين جنادة بن أمية آخر ، وهذا الأخير هو مخضرم ، أدرك النبى صلى الله عليه وسلم ولم يره ، وسكن الشام ومات بها سنة سبع وستين هجرية ، وهو الذى قالوا فيه : انه من كبار التابعين لا تصح له صحبة .

ولا نعلم متى أسلم صاحبنا ولا جهاده فى أيام النبى صلى الله عليه وسلم ، ومن الواضح أنه كان صغيرا فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم ، لأنه توفى سنة ثمانين للهجرة ، لذلك نال شرف الصحبة ولم ينل شرف الجهاد تحت لواء الرسول القائد عليه أفضل الصلاة والسلام .

المجاهد

شهد جنادة فتح مصر ، وولى البحر لمعاوية بن ابى سفيان ، ففتح جزيرة (رودس) سنة ثلاث وخمسين هجرية (٦٧٢م) ، فنزلها المسلمون وزرعوا واتخذوا بها أموالا ومواشى يرعونها ، فاذا أمسوا أدخلوها الحصن ولهم ناطور يحذرهم ممن يريدهم بكيد ، فكانوا على حذر من أعدائهم ، وكانوا أشد شيء على الروم ، يعترضونهم فى البحر فيقطعون سفنهم ، وكان معاوية ابن أبى سفيان يدر لهم الأرزاق والعطاء ، فلما مات معاوية أعاد يزيد المسلمين من هذه الجزيرة .

٢ — وفى سنة أربع وخمسين هجرية (٦٧٣ م) ، فتح جنادة جزيرة (أرواد) ، وهى جزيرة قريبة من (القسطنطينية) ، فأقام بها المسلمون . ولما مات معاوية بن أبى سفيان جاء كتاب ابنه يزيد الى من فيها من المسلمين بالعودة الى ديارهم كذلك ، فخربت الجزيرة وأمن الروم .

٣ — وغزا جنادة اقريطش (كريت) فلم يتيسر له فتحها ، فلما كان زمن الوليد بن عبد الملك فتح بعضها وقد دأب جنادة على غزو البحر طيلة حياة

البقية على ص : ٨٦

أبطال فلسطين

مسرحية في فصل واحد

الحاج حسن :ـ « يختم صلاته بالسلام ثم يرفع صوته بهذا الدعاء « اللهم انصر من نصر الدين واخذل من خذل المسلمين، اللهم أنقذ ارضك المقدسة من شر اعدائك الصهيونيين ، اللهم مزق شملهم ، وفرق جمعهم ، واجعل الدائرة عليهم ، وعلى من والاهم من المستعمرين ، اللهم كما انقذت هذه الارض المباركة قديما من الصليبيين فأنقذها الان من شر الصهيونيين ، ولا تهلكنا بما فعل السفهاء منا يا ارحم الراحمين » .

علية :ـ « تدخل صارخة » أبي « لقد سقطت حيفا فى يد الباغين المعتدين .. وا أسفاه عليك يا مدينتنا الحبيبة لقد خان الانكليز العهود ، وأسلموك الى اليهود .. ويلاه .. ضاع الامل وخاب الرجاء ...

الحاج حسن :ـ ما هذا يا بنيتى؟ ان علية بنت الحاج حسن المناضل القديم ، وشقيقة حامد البطل الفدائي لا تستسلم للهلع والقنوط ، ان النكبات هى التى توقظ العزمات ، فمن الفشل ينبعث النجاح ، ومن الهزيمة يتولد النصر ومن الشدائد يتكون الابطال . والعبرة دائما بالخواتيم ، والعاقبة للمتقين .

علية :ـ اننى أفكر في أن أحمل مدفعا رشاشا ، وأنضم الى زمرة اخوانى الفدائيين، لأشفى غليلى من هؤلاء الملاعين

الحاج حسن : ـ لا تثيرى يا بنيتي شجونى ، ولا تهيجى دائى الدفين لقد فقدت بصرى فى احدى الملاحم التى اشتبكنا فيها مع الانكليز ، واقسم بالله العلى المجيد والوطن الشهيد ، لئن نجح الاطباء فى اعادة بصرى الى ، لأعودن الى الجهاد لافقده مرة ثانية وثالثة ورابعة فى سبيل وطننا الحبيب . لقد سقطت من علو شاهق ، ففقدت نور بصرى ، والاطباء يمنوننى بعودته ، وما أتمنى الشفاء الا لأستأنف الجهاد من جديد ، واذا فقدت بصرى فأنت وأخوك نور قلبى ، وربيع عمرى وشبابي الذى لا يزول .

المنظر : حجرة فسيحة ذات بابين ونافذة عليها ستار مسدول وفى الحجرة أريكة يجلس عليها شيخ كهل ضرير ، وبها منضدة وبعض المقاعد .

المكان والزمان : ــ مدينة يافا بفلسطين فى اوائل مايو سنة ١٩٤٨

الشخصيات : الحاج حسن النابلسى : ــ كهل ضرير من قدماء المجاهدين .

الآنسة علية : ــ بنت الحاج حسن « في العشرين من عمرها » .

حامد : ــ ابن الحاج حسن « من الفدائيين فى الثلاثين » .

ضابط اسرائيلي : ــ ومعه اربعة جنود اسرائيليين .

ضابط عربى فدائي : ــ ومعه ثلاثة من الفدائيين العرب .

« مهداة الى أبطال العودة »

للاستاذ على عبد العظيم
كلية المعلمين العليا ــ طرابلس الغرب

علية : ــ وهل لدينا امل فى كسب المعركة يا ابتاه ؟

الحاج حسن : ــ لا حياة مع اليأس ، ولا يأس مع الحياة ، وصدق الله العظيم « ومن يقنط من رحمة ربه الا الضالون »

علية : ــ ولكن الدول العالمية الكبرى تساند الصهيونيين .

الحاج حسن : ــ « وكم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين » .

علية : ــ ولكننا ضعفاء محرومون من المال والسلاح ... و ..

الحاج حسن : ــ « مقاطعا » لا تقولى هذا يا بنيتى ، ان اجدادنا وقفوا وحدهم ضد أوربا الصليبية ، فهزموها بايمانهم واخلاصهم ، وثقتهم بربهم وبانفسهم ، وطهروا منهم بلادنا المقدسة تحت قيادة البطل صلاح الدين .. « صوت طلقات نارية » .

علية : ــ أحس الخوف على أخى فاننا لم نره منذ اسبوع .

الحاج حسن : ــ فيم الخوف يا بنيتى ؟ وعلام الهلع ؟ لقد وهبت اخاك للكفاح والنضال ، ولا بد له من الفوز باحدى الحسنيين نصر الابطال او استشهاد الاشراف .

ونحن اناس لا توسط بيننا
لنا الصدر دون العالمين أو القبر .

« تزداد الطلقات ، ويسمع قرع شديد على الباب . ترفع الستار قليلا ، وتطل من النافذة ، ثم تعود الى أبيها فى هلع »

علية : ــ ابى . انها ثلة من الصهيونيين مؤلفة من ضابط واربعة جنود .

الحاج حسن : ــ اذهبى سريعا من الباب الخلفى فانهم لا يحفظون عرضا ، ولا يرعون شرفا ، اهربى سريعا بحقى عليك ..

علية : ــ وكيف اتركك وحيدا ؟ هذا مستحيل .. هذا مستحيل ..



الحاج حسن : ـ بحق أبوتي عليك ، وبحق أمك العزيزة التي ماتت ضحية غدرهم وخستهم ان تهربي سريعا ، ولا تجمعي على بين مصيبتي فى امك الشهيدة ومصابى فيك يا بنيتي العزيزة ، وثقى انهم لا يأبهون بكهل ضرير مثلى . اذهبى اذهبى .. « ويدفعها بيديه دفعا فما تكاد تتوارى حتى يدخل الضابط والجنود » .

الضابط : ـ (يتلفت حوله فيرى الشيخ فيخاطبه « معذرة أيها الشيخ العجوز » أين ابنك حامد ؟ اننا فى اشد الحاجة اليه الان .

الحاج حسن : ـ وماذا تريدون من حامد ؟ ان كنتم تريدون قتله فاقتلوني انا بدلا منه .

الضابط مقهقها : ـ نقتلك أنت بدلا منه ؟ ! « انك لا تفهمنا ايها الشيخ العجوز ان ابنك أكبر معاون لنا ضد اخوانه العرب ، وسنجزل مكافأتكم عند القضاء على هؤلاء الرعاع الثائرين .

الشيخ حسن : ـ فى دهشة وأنفة : ابنى أكبر معاون لكم ؟! ابني أكبر معاون لكم ؟ ! حاشا لله .. انت كذاب أثيم ، ان حامدا لا يخون أبوته ولا وطنه ولا دينه ، فلا تلوثوا الابطال الشرفاء .

الضابط : ـ « مقهقها » انك تعيش فى ضلالك القديم . ان ابنك ابعد منك نظرا ، واكثر منك معرفة بحقائق الامور ، وليس كاخوانه الحالمين المخدوعين . لقد اصبحت اسرائيل حقيقة واقعة . والعاقل الحكيم هو الذى يعترف بحقائق الامور ، لا بالاباطيل والاوهام .

جندى صهيوني : ـ « للضابط » : ألا نقتله ونستريح منه ؟ .

الضابط : ـ « هامسا له » : اغلق فمك ايها الاحمق . اننا فى اشد الحاجة الى ابنه حامد . وبعد ان نستنفد ما عنده من خدمات لا يفوتنا قتله ، وقتل ابيه ، وقتل العرب اجمعين اذا ظلوا متمردين .

احد الجنود : ـ اذا استسلم العرب دون قتال ، فاننا سنرعاهم ونحكمهم طبقا لعدالة اله اسرائيل ، وسنمنحهم شرف خدمة صهيون ، أما اذا ظلوا ثائرين فسنقضى عليهم اجمعين .

جندى آخر : ـ ما هذا التواضع ؟ اننا سنقضى على الدول العربية كلها اذا لم تدن لنا بالولاء .

جندى ثالث : ـ ان الله وعدنا بالسيادة على العالم . فنحن أبناء الله وأحباؤه . وسيحقق اله اسرائيل النصر لاسرائيل فى بضع سنين .

الاول : ـ ولماذا فى بضع سنين ؟ لماذا لا يتحقق في هذا العام ؟ .

الضابط : ـ لقد تحققت السيادة الفعلية لنا لأننا شعب الله المختار ، ونحن أحق بالسيادة على العالمين من جميع الامم والشعوب ، اليست بيدنا الان السيطرة التامة على الاسواق الدولية ، والمصارف المالية ، والشركات الكبرى ، ودور الصحف ، والاذاعة والتليفزيون ألسنا الموجهين للسياسة العالمية من وراء ستار ؟ ! .

جندى : ـ « فى حماس » لقد آن ان يتمزق الستار وان نحكم العالم سافرين .

الضابط : ـ ماذا ينقصنا من حكم العالم الآن ؟ ألا تتسابق الدول العظمى لامدادنا بالمال والسلاح ، وكبار الخبراء من حربيين ومدنيين ؟ ألم يأمروا أتباعهم من زعماء العرب بموالاتنا سرا على الرغم

من شعوبهم المتحمسة لفلسطين ؟ اننا نحكم العالم الآن رغم أنف الجميع .

جندى ثان : ــ لعلهم يريدون تسخيرنا لخدمة مطامعهم الاستعمارية .

الضابط : ــ وماذا يضير ؟ ان مصالحهم الاستعمارية هى فى الواقع مصالحنا فى الصميم ، فهم وحدهم المسخرون ، وان كانوا يدركون او لا يدركون ، فاهتفوا معي : المجد لصهيون .. المجد لصهيون .. « يرددون النداء » .

الحاج حسن : ــ « لنفسه » ابنى يخون وطنه ؟ ! ابنى يبيع دينه ؟ ! ابنى يجحد عروبته ؟ ! ابنى يمزق شرفه ؟ ! ابنى يدنس مجد آبائه واجداده ؟ ! واأسفاه .. الآن طاب الموت ، وهانت الحياة ... ولكنى سأطهر منه الحياة قبل أن القى الله . ان روح أمه الشهيدة تلعنه من فوق السموات .

جندى : ــ بم يتحدث هذا الكهل المخبول ؟ .

ثان : ــ انه يهذى كالمحموم .

ثالث : ــ تعجبنى عباءته فانها من الصوف الثمين « ثم ينتزعها منه » .

رابع : ــ ويعجبنى حذاؤه فانه جديد « ويخلعه من رجليه » .

الاول : ــ ان فى فمه أسنانا ذهبية ومن الخير أن أنتزعها منه « ويتجه اليه فينهره الضابط » .

الضابط : ــ « فى حزم » ردوا كل شىء الى الشيخ ، فاننا فى أشد الحاجة الى ابنه ، وليس من الحكمة اغضابه الآن . ثم يتحدث هامسا الى نفسه : « وبعد ايام اعود اليه وحدى لانتزع الاسنان الذهبية من فكى هذا الكلب اللعين » .

احد الجنود : ــ الا ننصرف الآن لنهب بعض الدور العربية قبل ان ينهبها اخواننا .

الضابط : ــ واجبنا انتظار حامد ، لأنه وعدنا بأنباء هامة عن الخطط العربية لمقاومة اسرائيل .

جندى : ــ لقد ظفر بعض اخواننا الصهيونيين بالكثير . أما أنا فلم اظفر الا بقرط ذهبي صغير نزعته من اذن طفلة عربية قتلتها قبل الحصول عليه .

جندى ثان : ــ وهل قاومتك هذه الطفلة لتقتلها بشجاعتك النادرة ؟ ! « يقهقه الجميع » .

الاول : ــ لا تسخر مني ايها الصديق، فما قتلت هذه الطفلة الا لأريحها من البكاء والصراخ ، وانت تعلم مدى شفقتي على الأطفال ، وانني لأشفق على أطفال العرب المساكين ، ولو استطعت لقتلتهم اجمعين لاريحهم من الشقاء الذى ينتظرهم بعد حين من مرض وجوع وتشريد .

ثالث : ــ انك أسعد منى حظا . فقد قتلت شيخة عربية مسنة ، لأحصل على منظارها الذهبي ، ثم اتضح لي انه من معدن خسيس .

رابع : ــ أف لهؤلاء العرب الغشاشين النصابين . كم أتمنى أن احرقهم فى أتون الجحيم .

ثالث : ــ حينما تبينت غش هذا الكهل لم أسترح حتى قتلت عشرة من اخوانه الكهول ! .

الاول : ــ اما انا فتدركني الشفقة على اطفال العرب ونسائهم ، وأرحمهم من مصيرهم الرهيب ، فأتخذهم أهدافا لتجربة الاسلحة الحربية الحديثة التي نتلقاها من أصدقائنا الغربيين .

الثاني : ـ انكم تعلمون اني مولع بالتشريح ، ولهذا أفتح بطون النساء العربيات الحوامل ، لأرى كيف يتكون الجنين ، وبهذا اقوم بابحاث علمية ، ستحدث دويا بين العلماء الباحثين .

الضابط : ـ يحس حركة ، فيلتفت ، فيرى حامدا فيهتف به « لقد طال انتظارك ، ولعلك جئتنا بصيد ثمين تنال عليه احسن الثواب .

حامد : ـ وهل كنتم تظنونني أقضي وقتى فى اللعب واللهو أيها الأخوان ؟ ان جزءا من حامية اسدود العربية اتجهت الى بئر سبع ، وباقي الجنود يسمرون الليلة فى حفلة زواج ، فاجمعوا مائة من خيرة جنودكم ، واكمنوا فى التل المشرف على المدينة ، وسأقودكم الى المدينة فى الوقت المناسب . وما هي الا بضع طلقات حتى تقع فى أيديكم ثمرة من اطيب الثمرات .

الضابط : ـ « سأرتب كل شيء وسأرفع الى الرياسة تقريرا بما قدمته الينا من خدمات ، لتجزل لك الهبات » « ثم يهمس فى اذنه » ولا تنس نصيبي فيما تنال من المكافآت . .

حامد : ـ انصرفوا الآن أيها الاخوان ، وهيئوا شهيتكم للغنيمة المنتظرة ، وسألحق بكم بعد قليل .

« ينصرف الجميع ويبقى حامد وابوه يلتفت حامد فيرى أباه . . » .

حامد : ـ انت هنا يا ابى لعلك سمعت الحديث . .

الحاج حسن : ـ اى حديث يا بنى ؟ لقد كنت نائما « ثم يسعل بشدة » « ناولنى كوبا من الماء » يقترب منه حامد ليناوله الكوب ، فيخرج الأب خنجرا ويغمده فى صدر حامد صائحا : هذا جزاؤك أيها اللعين . . اذهب الى الجحيم مشيعا بلعنة الارض والسماء . . وغضب الله والملائكة والوطن الجريح . الآن انتقمت لك يا فلسطين . الآن غسلت عارى ، وانتقمت لدينى ووطنى وشرفى . الآن ألقى الله ، وأنا قرير العين مثلوج الفؤاد ، ولكن اين انت يا بنيتي الحبيبة؟؟

علية : ـ « تدخل فى هذه اللحظة متهللة ، غافلة عن الموقف الرهيب مندفعة الى احضان ابيها هاتفة به « قبلنى يا ابى وهنئنى فقد شفيت غليلي وانتقمت لوطني من هؤلاء الملاعين .

الحاج حسن : ـ « يتحسس البندقية فى يدها » من اين هذه البندقية يا علية ، وكيف حصلت عليها ؟ انها سلاح غير مألوف عندنا .

علية : ـ انتزعتها يا ابى من جندى صهيوني بعد ان مزقت جسده بخنجرى ، وعجلت به الى الجحيم .

الحاج حسن : ـ هل حاول الاعتداء عليك ؟ وكيف تغلبت عايه ؟ وهل رآك احد من هؤلاء الملاعين ؟ .

علية : ـ اطمئن يأبتاه ، لم يرنى احد من هؤلاء القتلة المجرمين ، لقد رأيت هذا الخسيس يجذب عجوزا عربية محاولا انتزاع سوارها ، فلما استعصى عليه هم بقطع ذراعها بخنجره ، فغلى الدم العربى فى شراييني ، فاندفعت اليه كالوحش الكاسر وأغمدت خنجرى فى صدره الاثيم . وانتزعت بندقيته لأهديها الى اخى البطل حينما يعود .

الحاج حسن : ـ اخوك البطل ؟ اخوك البطل ؟ اخوك لن يعود يا بنيتي ، فـلا تنتظريه . . .

علية : ـ « فى رعب » ماذا تقول اخى لن يعود ؟ هل قتله السفلة المجرمون ؟ ثم تنظر فترى جثة أخيها ، فتصرخ فى ألم وترتمى عليه صائحة يا اخى العزيز : قتلك السفاكون . سأنتقم لك فـورا » « وتحس حركة من يد اخيها فتصرخ » اخى لم يمت ، ما زالت فيه بقيـة من الحياة . . سأقوم باسعافه » . ضـجة ويدخل ضابط عـربى يلبس العقـال ، ومعه ثلاثة من العرب الفدائيين ، ينظر الضابط فيرى حامدا ملقى على الارض ، وأخته تحاول تضميد جراحه فيتقدماليه ويفحص جراحه ثم يهتف :

الضابط : ـ الحمـد لـلـه الاصـابة سطحية ، وان كان قد نزف كثـيرا من الدماء ، ولا يلبث ان يعود الى صـوابه بعد قليـل دعونى أتولى تضـميد هذه الطعنة بما أعرفه من فنون الاسعاف علىً بماء ساخن وقطن ونسيج .

الحاج حسن : ـ « ثائرا » : سأعاود قتل هذا الخائن مرة ثانية ، اذا عاد الى الحياة . أنا الذى قتلته ، وسأعاود قتله وقتل كل خائن أثيم مثله ، دعوني أجهز عليه « ويندفع ثائرا فيقـع على الارض وتصطدم رأسه بالكرسى ، فيصرخ ثـم يتماسك وينهض صـائحا « ارونى هذا المجرم لا بد من قتله لا بد من قتله . . ها هوذا . . ها هـوذا . . مـاذا أرى ؟ الضوء . . ابنتى . . هؤلاء أنتم أيهاالابطال المجاهدون . . لقد أعادت الصدمة بصرى الى . . الحمد لله . . شكرا لله . . ان الله اعاد اليّ بصرى لأقتل هذا الخائن الأثيم .

« يحيط به الجنود العرب ، ويكـون الضابط وعلية قد فرغا من تضميد جراح حامد » .

الضابط : ـ « للحاج حسـن » الحمد لله لقد نجا ابنك البطل من خطر عظيم ، لقد انحرفت الطعنة بمدى يسـير عن قلبه . وحفظ الله لنا هذا البطلالكبير .

الحاج حسن : ـ الحمد للـه الـذى اعاد اليّ بصرى لاقتل هذا الخائن الاثيم، ولن يفلت منى بعد الان .

الضابط : ـ يظهر يا عماهانك لا تعرف الموقف على حقيقته .

الحاج حسن : ـ لقد عرفت كل شيء ، وسمعت كل شيء وتلطخ شرفي بالخيانة ، وتجلل شيبى بالعار ، ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم ، « يتحرك حامد ويستوى جالسـا فتقبل عليـه اختـه متهللة » .

الضابط للأب : ـ ألم يحدثـك حامد بالخطة المرسومة ؟ .

الحاج حسن : ـ « ثائرا » لم أسمع منه الا الغدر والخيانة والعار ، عليه لعنة الله . . عليه لعنة الله .

الضابط : ـ « ملتفتا الى الجنـود » استوثقوا من اغلاق الباب واحترسـوا من ان يتسلل الينا من يسمع حديثنـا فللجدران آذان « ثم يتجه الى الشيخ » يا عماه ان ابنك زينة الابطـال ، وفخر المجاهدين ، وبطل فلسطين« يعود الجنود ليطمئنوا قائدهم على الحالـة فيأمـر احدهم ان يبقى بالخارج للمراقبة » .

الحاج حسن : ـ بل هو عار العروبة ، وخزى الوطنية ، ووصمة فلسطين .

الضابط : ـ يا عماه اعرنى اذنيـك لتعلم ما كتمه عنك ابنك البطل العظيم .



حامد : ـ « صائحا » لا تخبره الآن حتى يتم تنفيذ ما اتفقنا عليه ، ويرى النتيجة بعينيه .

الضابط : ـ لا بد له من معرفة الحقيقة ، والا ساءت النتيجة ، وقد رأيت كيف كدنا أن نفقدك، ونحن في أشد الحاجة اليك .

الحاج حسن : ـ لقد سمعت باذني خيانته وتواطؤه مع الغدارين السفاكين .

الضابط : ـ ان الخطة المرسومة هي ان يتظاهر بمودتهم ، ويعمل على كسب ثقتهم ليوقعهم فيما نعده لهم من شباك ولقد نسف بالامس وحده مخزن ذخيرة الهاجاناه .

احد الجنود : ـ وهل نسيت الدورية اليهودية التي استدرجها منذ يومين الى الكمين الذى أعددناه، وكانت النتيجة أن أبدناها عن آخرها .

جندى ثان : ـ وهل نسيت ..

حامد : ـ « صائحا » أرجوكم يا اخواني كتمان هذه الاسرار ، فليس من الحكمة اذاعتها الآن .

الضابط « لحامد » هل اتفقت معهم على المرابطة فى تل اسدود ؟ .

حامد : ـ نعم ايها الاخوان . وستظفرون غدا بمائة من هؤلاء الملاعين ، ومن الحكمة ان تضعوا الالغام فى التل وتصلوها بالاسلاك ، وحينما أعطيكم الاشارة تشعلون الفتيل حتى لا يفلت أحد من هؤلاء المجرمين ...

الضابط : ـ أى اشارة يا حامد ؟ ان معنى هذا ان تنسف مع الجميع لا لا يا صديقي العزيز ..

حامد : ـ وماذا يضير ؟ الا يكفيكم ان تضحوا بفدائي واحد نظير مائة من الصهيونيين ؟

الحاج حسن : ـ « صائحا » الحمد لله شكرا لله » ثم يخر ساجدا ، ويرفع رأسه هاتفا « ابنى العزيز حامد دعنى أقبلك يا بنى ، الا شلت يدى حينما طعنتك .. يا فخر الابطال ويا زينة الشبان « ثم ينفجر باكيا فيبكى حامد واخته ويتعانق الجميع » .

الضابط : ـ « يخرج منديلا يمسح به قطرات الدموع » ثم يلتفت اليهم « ايها الابطال لا مجال الآن للبكاء . ان الوقت يمر سريعا ، ووراءنا واجبات عاجلة » ثم يلتفت الى حامد « هل تسمح لك اصابتك بانجاز الخطة مع هؤلاء الملاعين ؟ » .

حامد : ـ نعم ايها الصديق العزيز فلا شيء يعوقنى عن الجهاد فى سبيل فلسطين .

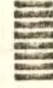
الحاج حسن : ـ أيها الابطال ان الله أعاد الى ابنى ، وأعاد الى بصرى فلا تحرمونى شرف الجهاد معكم ، لعلى أنال شرف الاستشهاد فى سبيل العروبة والاسلام .

الضابط : ـ لك هذا يا عماه .

الحاج حسن : ـ « لابنته » هاتى مدفعى الرشاش يا بنيتى العزيزة فقد طال شوقي اليه « تناوله المدفع فيقبله صائحا بهم » هيا بنا الى ساحات الشرف والخلود ..

« ستار »

بقية : الاشهر الحرم



يقفون فيها لأداء المنسك الرئيسي الثاني للحج (١) .

ونحن نرجح التأويل الأول . استئناسا بآية المائدة (٩٦) التي أوردناها آنفا . وصيد البحر انما يكون كما لا يخفى خارج منطقة الحرم وقبل اكتساء لباس الاحرام . فتكرار ذكر تحريم صيد البر معه يفيد أن التحريم هو فى الأشهر الحرم والله أعلم . ويتبادر لنا والله أعلم أن العرب كانوا يحرمون صيد البحر والبر معا قبل الاسلام ، فخفف الله عن المسلمين وأحل لهم صيد البحر وأكله فى الأشهر الحرم وأبقى حرمة صيد البر فيها . ثم خفف رسول الله عنهم فأحل لهم صيد البر اذا لم يكونوا فى حالة الاحرام ولو كانوا فى منطقة الحرم وفى الشهر الحرام على ما يفيده حديث رواه البخارى والنسائي عن ابى قتادة « أنه أصاب حمارا وحشيا وهو حلال ــ أى غير محرم ــ فأتى به أصحابه وهم محرمون فأكلوا منه فقال بعضهم لو سألنا النبى صلى الله عليه وسلم فسألناه فقال قد أحسنتم . هل معكم منه شىء قلنا نعم . قال : فاهدوا لنا فاتيناه منه فأكل وهو محرم » وهناك حديث آخر رواه أصحاب السنن فيه قاعدة عن جابر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « صيد البر لكم حلال وأنتم حرم ما لم تصيدوه أو يصد لكم » والمقصود حل أكله . وقد أذن رسول الله للمسلمين أن يقتلوا الضار المؤذى من الحيوان فى حالة الحل والحرم حيث روى الخمسة عن حفصة « أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : خمس من الدواب لا حرج على من قتلهن : الغراب والحدأة والفأرة والعقرب والكلب العقور . وفى رواية خمس فواسق يقتلن فى الحل والحرم : الحية والغراب الأبقع والفأرة والكلب العقور والحدأة » وفى هذا تخفيف نبوى آخر .

---

(١) حددت السنة النبوية هذا اللباس بالنسبة للرجال والنساء فروى الخمسة عن ابن عمر (أن رجلا قال : يا رسول الله ما يلبس المحرم من الثياب قال : لا يلبس القمص ولا العمائم ولا السراويلات ولا البرانس ولا الخفاف الا أحد لا يجد نعلين فليلبس خفين وليقطعهما أسفل الكعبين . ولا تلبسوا من الثياب شيئا مسه زعفران أو ورس) وفى رواية (من لم يجد نعلين فليلبس خفين ومن لم يجد ازارا فليلبس سراويل) والحديث الاول يعنى عدم جواز الثياب المخيطة وعدم جواز ستر الرأس . وروى الخمسة عن يعلى بن أمية : (ان رجلا أتى النبى صلى الله عليه وسلم وهو بالجعرانة قد أهل بالعمرة وهو مصفر لحيته ورأسه وعليه جبة فقال : يا رسول الله انى أحرمت بعمرة وأنا كما ترى فقال : انزع عنك الجبة واغسل عنك الصفرة وما كنت صانعا فى حجك فاصنعه فى عمرتك) وروى أصحاب السنن وأحمد عن ابن عمر قال : « سمعت النبى صلى الله عليه وسلم نهى النساء فى احرامهن عن القفازين والنقاب وما مس الورس والزعفران من الثياب . ولتلبس بعد ذلك ما أحبت من ألوان الثياب معصفرا أو خزا أو حليا أو سراويل أو قميصا أو خفا) ويستفاد من الروايات التي لا خلاف فيها التى يرويها المفسرون فى سياق آية الأعراف : « يا بنى آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد .. » ان العرب قبل الاسلام كانوا يتحرجون من الطواف والحج بثيابهم ، فكانوا يستأجرون مآزر من سدنة الكعبة تعرف بالمآزر الاحمسية ، ومن لم يستطع أن يستأجر أو لم يجد مأزرا . طاف بثيابه ثم ألقاها لأنها تحرم عليه بعد ذلك ، ومن ضمن بثيابه أن يلقيها طاف فى حالة العرى سواء أكان رجلا أم امرأة . حيث يفيد هذا أن للاحرام الاسلامى أصل ما قبل الاسلام . والله تعالى أعلم .



معاوية بن أبى سفيان ، وكان يغزو الروم برا أيضا ، فكان يقض مضاجعهم برا وبحرا .

الانسان

كان جنادة صحابيا جليلا ، روى عن النبى صلى الله عليه وسلم ثلاثة أحاديث ، وقد لقى أبا بكر الصديق وعمر الفاروق ومعاذ بن جبل وحفظ عنهم ، وكان ثقة صاحب غزو ، فقيها من أصحاب الفتيا من الصحابة .

نزل مصر وسكن الشام ومات بها سنة ثمانين هجرية (٦٩٩ م) ، وكان شهما غيورا ، صادقا وفيا ، كريما مضيافا ورعا ، فقد أراد معاوية بن أبى سفيان أن يدّعيه (أى ينسبه اليه) فقال له : « انما أنا سهم من كنانتك ، فأرم بى حيث شئت » ، وقد أبى أن يدعيه معاوية لقول النبي صلى الله عليه وسلم . « من دعا الى غير أبيه ، لم يرح رائحة الجنة ، وان ريحها ليوجد مسيرة سبعين عاما » .

لقد كان معاوية بن أبى سفيان يثق بجنادة ويقربه ، فكانت لجنادة آثار جليلة فى أيام معاوية . أما بعده فلا نعرف عن نشاطه فى الجهاد شيئا مما يدل على أن يزيد بن معاوية لم يول جنادة شيئا من عمله .

القائد

لم يأذن عمر بن الخطاب رضى الله عنه للمسلمين فى ركوب البحر ، أما عثمان بن عفان رضى الله عنه فقد أذن لمعاوية بن أبى سفيان بركوبه بعد تمنع ، والسبب فى ذلك أن العرب لم يكونوا ماهرين فى ثقافته وركوبه بعكس الروم والأفرنجة ، لممارستهم أحواله ، ومرباهم فى التقلب على سفنه ، فمرنوا عليه وأحكموا الدراية بأموره ، لذلك كان اقدام جنادة على قيادة أساطيل العرب المسلمين فى البحر شجاعة خارقة ، لأن العرب لم يسبق لهم ركوب البحر لأغراض الفتح على نطاق واسع من قبل ، ولأنهم أمة ميدانها البر لا البحر ، وقد أظهروا شجاعة فائقة فى ميدان البر ، ففتحوا كثيرا من بلاد كسرى وقيصر برا دون أن يكون لهم شأن يذكر فى البحر ، قبل أيام عثمان بن عفان وأميره على الشام معاوية ابن أبى سفيان ، وقائده البحرى جنادة الأزدى .

ولكن جنادة لم يقتصر على معاركه البحرية ضد الروم ، بل كانت له معارك برية مشهورة ضدهم ايضا ، لذلك كان جنادة من ألد أعداء الروم فى البر والبحر على حد سواء .

لقد كان سريع القرار صحيحه ، قوى الشخصية، شديد السيطرة والضبط(٢) حازم الارادة ، موضع ثقة رجاله وحبهم ، له ماض ناصع مجيد .

وكان يتحمل المسئولية الى أبعد الحدود ، ذلك لأن العمليات البحرية تحتاج الى قرارات فورية لمعالجة المواقف الحربية التي تتبدل بسرعة ، تلك القرارات التي ترتكز على الابداع الشخصى وحبالمسئولية وعدم التردد .

لقد كان جنادة قائدا ممتازا .

جنادة فى التاريخ

يذكر التاريخ لجنادة جهاده المشرف بحرا ، ووضعه أسس البحرية العربية الاسلامية وتقاليدها على هدى وبصيرة .

ويذكر له ، أنه كان من أوائل من جرأ العرب المسلمين على ركوبالبحر لأغراض الفتح ونشر الاسلام .

ويذكر له جهاده البطولى ضد الروم برا ، وتحمله تقلبات الجو القاسية شتاء فى أرضهم ، وهو العربى ابن الصحراء الذى تعود حرارة الطقس ، ولم يألف البرد القارس،والامطار الغزيرةوالثلوج .

رضى الله عن الصحابى الجليل ، الفارس البطل ، المحدث الفقيه ، القائد الفاتح ، أمير البر والبحر ، جنادة بن أبى أمية الأزدى .

قرأت لك

أمثال العرب والعجم والعامة وما يماثلها من كتاب الله تعالى (مما هو أجل منها وأعلى) ((للثعالبى)) .

قال علي رضي اللـه تعالى عنه « القتل أنفى للقتل » .

وفى القــرآن « ولكـم فى القصــاص حيــاة يــا أولى الألباب » .

والعرب تقول لمن يعير غيره بما هو فيه « عيَّر بُجَير بجره ، ونسى بُجَير خبره » .

وفى القرآن « وضرب لنا مثــلا ونسى خلقه » .

وفى معــاودة العقوبـة عند معــاودة الــذنب « ان عــادت العقرب عدنا لها » .

وفى القــرآن « وان عدتــم عدنا » . « وان تعودوا نعد » .

وفى قرب الغد من اليوم قال الشاعر : « وان غدا لناظـره قريب » .

وفى القرآن « أليس الصبح بقريب » .

وفى ظهور الأمور « قد وضح الأمر لذى عينين » .

وفى القرآن « الآن حصحص الحق » .

وفى الاساءة الى من لا يقبل الاحسان . « اعط أخاك تمرة فان أبى فجمرة » .

وفى القرآن « ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين » .

وفى فوات الأمــر « ســبق السيف العذل » .

وفى القرآن العظيم « قضى الأمر الذى فيه تستفتيان » .

وفى الوصول الى المراد ببذل الرغائب « من ينكح الحسناء يعط مهرها » .

وفى القرآن « لن تنالوا البر حتى تنفقــوا مما تحبون » .

وفى منع الرجل مراده « وقد حيل بين العير والنَّزوان » .

وفى القرآن « وحيل بينهم وبين ما يشتهون » .

ومن أمثلة العامــة : « من حفر لأخيه بئرا وقع فيها » .

وفى القرآن « ولا يحيق المكر السيء الا بأهله » .

الاستاذ محمد أحمد فرج
كفر الشيخ ـ المتحدة

الفتاوى

يسر المجلة ولجنة الفتوى بالوزارة أن تتلقى أسئلة القراء وتجيب عنها .

حول بنك العيون

سبق أن نشرنا فى العدد الأول من المجلة ص (٧٤) فتوى بعنوان : (بنك العيون) اجابة على سؤال ورد لنا من وزارة الصحة العامة بالكويت ، وقد سبق أن وجه مثل هذا السؤال الى فضيلة الاستاذ مصطفى الزرقا خبير موسوعة الفقه الاسلامية بوزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية ، بالكويت ، وأجاب فضيلته عليه ، وانتهى الى ما انتهينا اليه من الجواز والاباحة . وقد أرسل لنا فضيلته نص اجابته فى هذا الموضوع وننشره فيما يلى لما فيه من زيادة الايضاح وللرد على ما ورد لنا من أسئلة بعد أن نشرنا تلك الفتوى .

(الوعى الاسلامى)

ان هذا الموضوع قد كثر عنه السؤال فى العصر الحاضر ، وخاصة من أطباء العيون الجراحين بعد أن وصل الطب اليوم الى امكان ترقيع عيون الاحياء بعيون من يموتون حديثا اذا أخذت عيون الميت اثر الوفاة فورا ، فقد أصبح من الممكن بذلك أن يرتد الاعمى بصيرا فى بعض حالات العمى ، كما كثر السؤال فى هذا الموضوع نفسه حول انشاء مصرف للعيون على نحو مصارف الدم لتحفظ فيه عيون الموتى بصورة فنية تصون خصائصها الحيوية ، حتى اذا احتيج اليها تكون موجودة جاهزة لترقيع عيون المكفوفين بها ، كما تحفظ اليوم الدماء فى مصارف الدم مصنفة فيها تلك الدماء المحفوظة بحسب الزمر الدموية الاربع المعروفة ، ليؤخذ الدم جاهزا معروف النوع عند الحاجة الى الاسعاف السريع للمرضى أو المنزوفين انقاذا لحياتهم .

وقد كان فقهاء العصر بين متردد ومانع فى جواز الاستفادة من عيون الموتى لهذه الغاية ، وكل منهم ينظر الى الموضوع منزاوية شرعية معينة : فمنهم من ينظر من الناحية الانسانية فى الاسلام ، ونصوصها العامة المعروفة فى الكتاب والسنة ، فيترجح لديه الجواز شرعا . ومنهم من ينظر الى أن هذا انتفاع بجزء من ميت ، فيترجح لديه المنع ، ومنهم من يرى انه قد يجوز هذا بين المسلمين ، ولكن لا يجوز ان يؤخذ عضو من مسلم متوفى لترقيع جسم غير المسلم .

وقد صدر أخيرا فى موضوع ترقيع العيون فتوى من المفتى العام السابق فى الجمهورية العربية السورية الأستاذ الطبيب الشيخ محمد أبى اليسر عابدين بجواز ذلك .. والذى أرى أن قاعدة الضرورات فى الشريعة الاسلامية تقتضى الجواز فى جميع أنواع هذا الترقيع ، ذلك لان ترقيع العين لاعادة البصر (وهى محل التردد والاشتباه) يمكن قياسه على الحاجة الى استنقاذ الحياة بدفع الهلاك ، أو الى منع اتلاف العضو عندما يتوقف ذلك على تناول بعض المحرمات ، حيث يصرح الفقهاء انه يجب تناوله لدفع الهلاك ، فهنا لو قيل أيضا يجوز أخذ العين مثلا من الميت لاحياء حاسة البصر لكان ذلك مقبولا شرعا .

واذا كان يجوز بل يجب وجوبا تشريح الميت لتعلم الطب ، او لكشف جريمة ، ويجوز كشف عورة الرجل والمرأة لاجل ضرورة التطبيب ودفع الاذى مع أن كل ذلك من المحرمات القطعية فى الاصل ، فأبيحت أو وجبت بحسب درجة الضرورة اليها ، بمقتضى أن الضرورات تبيح المحظورات ، وهى قاعدة نص عليها القرآن نصا قطعيا ، أفلا تكون الاستفادة من عيون الموتى لاستعادة بصر شخص أعمى هى أولى بالجواز ؟

ومما يلحظ فى هـذا الصدد أنه لم يتردد أحد من فقهاء العصر فى جواز نقل الدم من جسـم الى جسم آخر شرعا عند الحاجة الى الاسعاف، كما لم يتردد أحد فى جواز ترقيع الجلد بالجلد ، فمـا الفرق بين ذلـك وبين ترقيع العـين مع العلم أن الدم عضو من جملة أعضاء البدن فى نظـر الطب كالعيون والجلد ، ومع العلم أيضا أن النظـر الشرعى يعتبر العضو بعد انفصاله من الحى كجزء من ميت ، ولـذا ينص الفقهاء على أنه لو قطع عضو من شاة وهى حية كان كجزء من الميتة لا يحل أكله ،الا من السمك فان النص قد ورد بأن ميتته حلال فلم يوجب الشرع ذبحه لاجل حله .

فالذى يظهر أن الذى يقال شرعا فى حكم نقل الدم والترقيع بالجلد يقال فى شأن الترقيـع بالعين ، وكون الدم والجلد يؤخذان من حى والعين تؤخذ من ميت لا تأثير له فى الحكم ، لان حرمة الحـى أعظم من حرمة الميت ، ولأن العضو بانفصالـه من الحى يعتبر شرعا كالمنفصل من ميت كما بينا .

على أن الجواز ينبغى أن يقيد باذن الشخص نفسه فى حياته أو اذن أوليائه بعد وفاته ان لم يـكن هو قـد نهى قبل وفاته عن أخذ عينيه ، وبشرط أن يكون ذلك تبرعا انسانيا ليس لقاء عوض ، لان دخول العوض فى هذا الموضـوع له محاذيره ، فيتنافى مع القواعد الشرعية فى الموضوع .

وقد صدر منذ سنوات قانون فى سورية جوز أخذ عيون الموتى للترقيع بها بشرط الاذن من أولياء الميت ، أو بوصيته أو اذن من الميت قبل وفاته ، ولكنه لم يتعـرض لامر العوض لانـه لم يـكن محـل تفكير أو تساؤل ..

هذا ما أرى فى هذا الموضوع والله سبحانه وتعالى أعلم ..

***

فى الطلاق

السؤال : ـ

حصل نزاع بينى وبين زوجتى فقلت لها أثناء غضبى روحى طالق ، ولم يسبق لي طلاقها قبل ذلك . فما حكم الشريعة الاسلامية ؟

(العاص جاعد عجيل ـ الجهراء/الكويت)

الاجابـة : ـ

بقولك لزوجتك أثناء النزاع بينكما روحـى طالق تكون زوجتك طالقة رجعية ، لك مراجعتها بالقول أو الفعل ما دامت فى أثناء عدة الطلاق ، أما اذا كانت العدة قد انتهت فيجوز لك العودة اليها بعقد ومهر جديدين ، ويعتبر الطلاق المذكور من الطلقات المقررة شرعا .

وقولك ان الطلاق كان فى أثناء الغضب لا يجعل الطلاق غير واقع ما دمت تعقل ما حدث منك ، وعليك التريث فى مثل هذا حتى تحافظ عـلى أولادك وسعادتك وان أبغض الحلال الى اللـه الطـلاق .

السؤال : ـ

((حصل نزاع بينى وبين أهل زوجتى وحلفت عليها بألا تذهب اليهـم ، ولـو خالفت أمرى وذهبت تكون طالقـة ، وأقصد بذلك منعها ، وبعد أن سافرت ذهبت الى بيت أهلها لمرض أمها ، فمـا حكم الشريعة فى ذلك)) .

(م . ى . أ /الكويت)

الاجابـة : ـ

اذا قصد السائل بيمينه هذا الطلاق عنـد ذهاب زوجته الى منزل أهلها يكون الطلاق واقعا وله مراجعتها بالقول أو بالفعل اذا كانت فى العدة ، وكان هذا هو الطلاق الاول أو الثانى . أما اذا قصد بيمينه التهديد والتخويف والمنع فقط فـلا يقع طلاقا بناء على ما ذهب اليه المتاخرون مـن العلماء .

وبناء على ما قرره الزوج من أنه لا يقصـد بيمينه هذا وقوع الطلاق ، وانما يقصد المنـع من الذهاب فقط فانا نفتيه بعدم وقوع هذا الطلاق وننصح له بعدم العودة الى مثل هذا حفاظا على كيان الاسرة .

فى الرضاع

السؤال : ـ

أنا وأخى تزوجنا من اختين ، وانجب كل منا أولادا ، وأراد ابن احدنا ان يتزوج من ابنة عمه ولكن أخا الابن رضع مع

أخت البنت كما أرضعت الجدة لام هذه البنت فما حكم الشرع فى ذلك . ؟
(ع . س)

الاجابـة : ـ

المقرر شرعا أنه يحرم بالرضاع ما يحرم من النسب ، وفى هذه الحالة تعتبر هذه البنت التى رضعت من الجدة خالة للابن من الرضاع . ويحرم الزواج منها اذا ثبت أنها رضعت مـن الجدة رضاعا محرما بأن يكون خمس رضعات مشبعات فى سن الرضاع وهو ما دون الحولين .

ولذلك نفتى بأن الرضاع الذى تم بين أخى الابن وأخت البنت وان كان لا يحرم زواج الابن الذىلم يرضع منالبنت لانهما لم يجتمعا على ثدى واحد الا أن رضاع البنت المراد الزواج بها مـن الجدة جعلها تحرم عليه لانها صارت أختا لامه من الرضاع أى خالة له .

السؤال : ـ

ادعت امرأة بأن زوجة (ص.د) المتوفاة أرضعت بنتا اسمها ((هيا)) ، وعند التحقق من صـحة الخبر منها تراجعت ، وقالت أنا لم أرها بنفسى ترضعها ، وانما سمعت ذلك من فلانة المتوفاة وغير متأكدة من صحة هذا السماع ولا أشهد لكم بشىء لم تره عينى .

وقد تحرينا عن ذلك فسألنا كل من له صـلة بالعائلة من النساء المسنات من الجيران والاقارب الذين لهم معرفة فى ذلك الأمر ، فقالوا : انهم لا يعرفون شيئا عن هذا الارضاع ، وشهد الكثير بأن زوجة ((ص)) الآنفة الذكر المنسوب اليها الارضاع كانت لا تدر لبنا ، وكان أولادها يرضعون مـن أجنبيات فكيف ترضع غير أولادها ، وقد شـــهد بهذا المرأة التى ادعت الارضاع حيث اعترفت بأن الزوجة المذكورة لم يكن لها لبن وأنها (أى المدعية) للرضاع هى التى أرضعت أولاد المرأة التى نسب لها ذلك الرضاع على حد قولها .

ثم أنجبت ((هيا)) بنتا ، ويريد (ناصر ابن الزوجة التى قيل انها ارضعت ((هيا)) الزواج بها ، فما حكم الشريعة ؟ .

(ن . ص . د ـ الفيحاء / الكويت)

الاجابـة : ـ

الرضاع الذى يثبت به التحريم انما يكـون باقرار المرضعة أو الشهادة ، وحيث لا اقرار فى هذه المسألة فانه لم يبق الا الشهادة . والشهادة التى يثبت بها التحريم هى التى تثبت بها الحقوق المالية . وهى شهادة رجلين من أهل الشهادة ، أو رجل وامرأتين كذلك لان الحكم بثبوت الرضاع يقتضى زوال ملك النكاح ان كان موجودا أو حرمة الزواج ان لم يكن موجودا ، وهذا هـو مذهب الاحناف وقال الشافعى : يثبت بشهادة امرأتين بناء على أن الرضاع مما لا يطلع عليه الا النساء . ويروى ذلك عن مالك وأحمد أيضا ، وذهب بعض المالكية أنه يكفى فى ثبوت الرضاع امرأة معروفة بالعدالـة .

وبما أن السيدة الشاهدة الوحيدة فى هذه المسألة لم تر بعينها ، وانما سمعت ثم تراجعت عن سماعها ، وبناء على ما قرره الجيران المتصلون عن قرب بالسيدة زوجة ص.د من أنها كانت لا تدر لبنا وكان أولادها يرضعون من أجنبيات ، فالحرمة المترتبة على الرضاع غير ثابتة بالشهادة أيضا .

لذلك نفتى أن لا مانع شرعا من هذا الزواج حيث لم يثبت رضاع مطلقا .

فى المـــيراث

السؤال : ـ

مات رجل عن : أختين لاب ، وأخوين لام ، وعمين .

فمن الوارث وغير الوارث منهم .

(حمود القعدى ـ الكويت)

الاجابـة : ـ

بوفاة المتوفى المذكور عن الورثة المذكورين توزع تركته على الوجه الآتى :

الثلثان فرضا للاختين لاب مناصفة بينهما .

والثلث فرضا للاخوين لام بالتساوى بينهما لا فرق بين الذكر والانثى .

ولا شىء للعمين لانهما من العصبات ولا يوجد باق من التركة بعد نصيب أصحاب الفروض .

قال عليه الصلاة والسلام (ألحقوا الفرائض بأهلها فما بقى فلأولى رجل ذكر) .



أسماء النبى صلى الله عليه وسلم
آراء العلماء فى : طه ويس
المظهر الحقيقى لحب الرسول وتوقيره

وصلتنا الرسالة الآتية من الدكتور / يحيى عبد المجيد / مستشفى الناصرية . بالعراق يقول فيها :

من المعروف أن للرسول الاعظم صلى الله عليه وسلم عدة أسماء وألقاب وكنى خاطبه بها سبحانه وتعالى ، ودعاه بها المسلمون . ومن الاسماء التى تشتهر بين الناس على أنها من أسمائه (طه) و (يس) . حيث يقال انه قد خوطب بهما فى السورتين المعروفتين بنفس الاسم . (طه . ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى) (يس . والقرآن الحكيم) .

ورغم اطلاعى المحدود على السيرة النبوية الشريفة ، وعلى تاريخ الاسلام فى فجره فاننى أشك أن يكون هذان الاسمان (ان صح تعريفهما بالاسمين) من اسمائه صلى الله عليه وسلم .

واننى أرى ، وهذا رأى شخصي خاص أطرحه للمناقشة والتمحيص — أن كلمتى طه ويس — آيتان من جملة الآيات القرآنية الواردة فى أوائل بعض السور القرآنية مثل (ألم . ألر . يس . كهيعص) .

هذا رأيى وارجو منكم أن ترشدوني الى مواطن الزلل فيه وأن تعلمونى عن صواب الرأى فى أمر هذين اللفظين .

ونقول للدكتور الفاضل أن لرسول الله صلى الله عليه وسلم أسماء ونعوتا كثيرة ، وكلها تدل على علو قدره ، وسمو خلقه ، وعظيم جهاده . وقد ورد بعضها فى الكتاب الكريم ، وجاء ذكر طائفة منها فى السنة الصحيحة ، وتناقل العلماء العديد منها مستندين الى بعض الروايات والآثار ، فبلغ بها فريق منهم المائة وفريق آخر المائتين ، ونيف بها بعضهم على الالف .

ومما ورد فى القرآن الكريم من ذلك باتفاق العلماء : محمد ، وأحمد ، والشاهد ، والبشير ، والنذير ، والسراج المنير ، والمدثر ، والمزمل .

ومما جاء فى السنة الصحيحة ما رواه الشيخان عن جبير بن مطعم عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : لي خمسة أسماء : أنا محمد ، وأنا أحمد ، وأنا الماحى الذى يمحو الله بى الكفر ، وأنا الحاشر الذى يحشر الناس على قدمى ، وأنا العاقب . وروى مسلم أن أبا موسى الاشعرى قال : كان رسول الله يسمى لنا نفسه ، فقال : أنا محمد ، وأحمد ، والمقفى ، والحاشر ، ونبى التوبة ونبى الرحمة .

ومما تناقله العلماء من ذلك : الطاهر ، الطيب ، الامين ، الكريم ، نبى الملاحم ،

ونقل القاضى عياض عن أبى محمد المكى أنه روى عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : لي عند ربى عشرة أسماء : ذكر منها : طه ويس .

وقد تعرضت كتب التفسير للكلام عن هاتين الكلمتين فى فاتحة السورتين ، وتناول البحث أمرين : المراد بهما ، وأصلهما اللغوى ، ونقل عن جماعة من أهل اللغة أنهما من اللغة السريانية ، كما نقل أنهما منقولتان عن الحبشية ، وقيل من النبطية ومعناهما : يا رجل أويا انسان ، والصحيح أنهما وان وجدتا فى لغة أخرى ، فانهما من اللغة العربية ، وهى لغة يمنية فى عك وطىء وعكل ، ومعناهما : يا رجل . قال الكلبى : لو قلت فى ((عك)) يا رجل لم يجب حتى تقول طه ، وأنشد الطبرى فى ذلك قول متمم ابن نويـرة :

دعوت بطه فى القتال فلم يجب فخفت عليه أن يكون موائـلا

ونقل القرطبى فى تفسيره عن مقاتل والضحاك : لما نزل القرآن على النبى صلى الله عليه وسلم ـ قام فصلى هو وأصحابه ، فقال كفار قريش : ما أنزل الله هذا القرآن على محمد الا ليشقى ـ وذلك على سبيل التهكم والانكار ، فأنزل الله تعالى ((طه)) يقول يا رجل ((ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى)) .

وذهبت جمهرة من المفسرين الى أن طه ويس شأنهما شأن (ألم المص وكهيعص وطس وحم ون) وغيرها من الحروف التى افتتحت بها بعض السور للفت أنظـار العرب وتنبيههم وتحديهم واظهار عجزهم عن معارضة القرآن ، وقد سبق الحديث عن هذا الموضوع فى هذا الباب من العدد السابق من المجلة .

وهذا الرأى يتفق مع ما ارتضاه كاتب هذه الرسالة غير أن ما ذهب اليه من أن هذين اللفظين لا معنى لهما عند العرب ، وأنه لا يوجد أثر مشهور أو خبر معروف يفيد أن النبى صلى اللهعليه وسلم خوطب بأحد هذين اللفظين لا يتفق مع ماسقناه نقلا عن أمهات الكتب .

ويحسن بنا ألا نقف فى ختام هذا الحديث عند الناحية العامية النظرية ، بل يجب أن نتعداها الى الجانب السلوكى العملى ، فان كثيرا من صفات الرسول الكريم ـ كما أسلفنا هى مظهر من مظاهر أخلاقـه العالية وشمائله الشريفة التـى يجب أن يستوحيها المسلمون من ألفاظها ليجسدوا معانيها سلوكا ينتهجونه فى حياتهم الواقعية ، وماذا يفيد المسلم اذا حفظ ووعى الكثير من هذه الاسماء والصفات وكان حظه منها واقفا عند حدود العلم والمعرفة ، ولم يتجاوزه الى ممارستها والتخلق بها .

ان المظهر الحقيقى لحب رسول الله صلى عليه وسلم وتوقيره هو الاقتداء به ، والاخلاق التى يهتدى اليها المسلم بهدى أسماء الرسول وصفاته كثيرة وافية بخير الانسانية منها الشجاعة والعزة والسماحة والاحسان والرحمة والود والصبر والعفو والعدل والصدق والحكمة والرشد والحلم ((لقد كان لكم فى رسول الله أسـوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر)) .

★★★

والاخ كمال يوسف سليم من بديا بالاردن يسأل عن معنى قوله تعالى (يايها النبى قل لازواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين وكان الله غفورا رحيما) .

ومعنى الآية واضح كل الوضوح ، فهو أمر من الله لرسوله ، وأمر لجميع المؤمنين على جميع المستويات ، بتكريم المرأة عن أن تلتهمها الاعين الضارية ، أو تنال منهـا الظنون والشائعات وذلك لا يكون الا باسباغ ثيابها ، وعدم تبرجها ، وابداء زينتها وفى ذلك طهارة المجتمع وسد منافذ الفتنة ، وقطع الطريق على الشياطين ، وما قيل فى سبب نزولها لايتحكم فى معناها العام المستفاد منها .

قالت صحف العالم

الإنسان في القرآن

نشرت مجلة الهدى الاسلامى التى تصدر عن الجامعة الاسلامية بليبيا مقالا تحت هذا العنوان نقتطف منه ما يلي :

كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه وما اختلف فيه الا الذين أوتوه من بعد ما جاءتهم البينات بغيا بينهم .

تأمل كيف حصر الخلاف بين اتباع النبيين وكيف جعل سره البغى من أثرة وحقد . واستعلاء وظلم ، وحروب ومآثم : وفساد الحكم على القيمة الحقيقية للانسان وعلى الوظيفة الطبيعية له فى الحياة كانذلك أهم سبب لتأخر المتدينين على ظهر هذه الارض .

ففي الوقت الذى بذل الملحدون فيه جهودهم لعبادة الوجود والافادة من فرصة حياتهم فيه ، واستثارة قواه الظاهرة والباطنة لمصلحتهم ، كان المتدينون يقبعون فى كسل ، ويفكرون فى ذهول وغفلة .

كانت فى أوروبا جماهير تبفض الفسل وتتعبد ببقاء الاوساخ على الجسم ، وكانت هنا وهناك أمم تحسب الجوع والعرى والغربة فى هذا الكون الكبير بعض أسباب القربى الى الله .

والتأمل اليسير فى آيات القرآن الكريم يميط اللثام عن وجه الحق فى قيمة الانسان ووظيفته ومنزلته ورسالته .

فالانسان فى القرآن الكريم خليفة الله فى أرضه . وقد تكررت قصة خلافته فى كثير من السور متضمنة : ان الله جعله سيدا يطاع ويكرم ومتضمنه به ان من يتجرأ على اهانته ، ويتمرد على مكانته ، فليس بأهل لرحمة الله وبره .

ومن هنا حكم على ابليس بالطرد والهوان ، وما نزلت هذه العقوبة به الا بسبب مخاصمته لآدم وذريته ...

الإيمان أغلى من الحياة

وتتناول مجلة رابطة العالم الاسلامى بمكة هذا الموضوع فتقول :

عندما يجرى الاسلام دما فى شرايين الانسان .. ويسيطر على مشاعره وأحاسيسه .. يقهر كل عاطفة تحاول أن ترضى غريزته .. تهون عليه صلات الدم والاسرة والقرابة اذا تعارضت هذه الصلات مع عقيدته وايمانه .. كان للرعيل الأول من شباب الاسلام فى هذا الشان من المواقف الخالدة ما يجعلنا نستعيدها لتكون هديا لشبابنا .. وقدوة حسنة يحتذونها .. ونبراسا ينهجون على منواله .. فهذا سعد بن أبى وقاص أسلم وهو فى السابعة عشرة من عمره .. وعلمت أمه فغضبت وثارت وهددته أنه ان لم يدع هذا الدين فانها لن تأكل أو تشرب حتى تموت .. وعندئذ يعيره قومه .. ويشيرون اليه باصابعهم وهو يمشى بينهم فى احتقار ويقولون : « يا قاتل أمك » .. لكن سعدا رغم أنه أحسن الناس وأبرهم بامه قال لها فى عزم واصرار « انى لا أدع دينى هذا لشىء » .. وركبت أمه رأسها .. فصامت عن الطعام والشراب .. ومضت بها الايام وهى تذوى بين عينيه حتى قاربت الهلاك .. فحاول سعد أن يثنيها

عن المضى فى عنادها .. لكنها أبت واستكبرت .. فقال لها فى عناد واصرار : « والله لو كان لك ألف ألف .. وفى كل يوم يخرج منك نفس بعد نفس ما تركت دينى .. ان شئت فكلى أو لا تأكلى .. » ولما أحست الام بتمسـك ولدها بدينه .. والاعتزاز .. أكلت وشربت .. وخلد القرآن هذا الموقف الجليل .. فجاء فى محكم آياته : « وان جاهداك على أن تشرك بى ما ليس لك بـه علم .. فلا تطعهما.. وصاحبهما فى الدنيا معروفا » .

وهذا الفتى عبد الله بن عبد الله بن سلول عندما حاول أبوه سيد الخزرج أن يفتن المسلمين عن دينهم ويؤلبهم على رسول الله .. وأنزل الله فيه قوله : « هم الذين يقولون لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا .. ولله خزائن السموات والأرض .. ولكن المنافقين لا يفقهون .. يقولون لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل .. ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين .. ولكن المنافقين لا يعلمون » .. وحسب المسلمون أن النبى سيأمر بقتل هذا المنافق .. عندئذ ذهب الفتى الى النبى وقال له : « يا رسول الله .. انه بلغنى أنك تريد قتل أبى فيما بلغك عنه .. فان كنت فاعلا فمرنى به .. فأنا أحمل اليك رأسه .. فوالله لقد علمت الخزرج ما كان بها من رجل أبر بوالده منى .. وانى لأخشى أن تأمر به غيري فيقتله .. فلا تدعنى نفسى أنظر الى قاتل أبى يمشى فى الناس فأقتله .. فأقتل رجلا مؤمنا بكافر .. فأدخل النار » .. لقد عبر الفتى بهذه العبارة الموجزة عما يضطرب فى قلبه من عوامل البر بأبيه وحبه له .. وصدق اسلامه وقوة ايمانه .. انه يؤمن بأن رسول الله عندما يأمر بقتل أبيه .. انما يصدع لأمر الله .. ويخشى أن يكلف مسلما بذلك .. فتدفعه النخوة والكرامة الى أن يثأر من قاتل أبيه .. ومن ثم تتوالى الثارات .. وتقوم الفتنة بين المسلمين فى الوقت الذى هم فيه فى أمس الحاجة الى الوحدة والتضامن .. لهذا آثر الفتى أن يحمل بنفسه رأس أبيه الى النبى رغم بره به .. وحبه له ..

الإسلام دين البحث والعقل

وفى هذه الفترة التي تيقظ فيها العالم الاسلامي لاعادة النظر فى القوانين الوضعية التى تحكمه نشرت مجلة حضارة الاسلام الدمشقية مقالا تحت هذا العنوان . نقتطف منه هذه الفقرة :

ومن مستلزمات القول بأن الاسلام والعقل صنوان متلازمان أن نبين أن تشريعات الشارع الحكيم ليس فيها على الاطلاق ما ينبو عن الذوق السليم أو العقل الصحيح ، أو يكون فوق تصور الانسان والفكر أو يكون مستحيلا فى العادة أو تكليفا فوق الطاقة أو غير مقدور عليه أو مناهضا للفطرة الانسانية ، وانما الدين والعقل أمران لا يفترقان ، وكل ما أدى اليه العلم الصحيح فهو لا يمكن أن يعارض أمرا جاء به شرع الاسلام ، والاسلام يطالب العلماء بالمزيد من البحث والابداع والله سبحانه يسخر الملائكة لمساعدة أولى العلم والنهى والرشد ويعتبر اهمال استعمال العقل سببا للعذاب فى الآخرة « وقالوا لو كنا نسمع .. » وهكذا نجد التوازن والتقارب بين العقل والدين فى آى القرآن الحكيم . قال تعالى :

« سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق » « أو لم ينظروا فى ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شىء » « وفى أنفسكم أفلا تبصرون » « انا كل شىء خلقناه بقدر » « وخلق كل شىء فقدره تقديرا » .

وان فى التناقضات التي نجدها فى سلوك غير المسلمين ، وفى الثغرات التي نلاحظها فى القوانين الوضعية لأكبر دليل على أن العقل البشرى اذا لم يستمد نظمه من دستور سماوى وعلى هدى من وحى الله المتنزل بالحكمة والعقل فسيظل فى حيرة واضطراب وقلق ، وفى تغير وتبدل دائمين ، وفى هذا جناية على فطرة الانسان الطبيعية وعلى العقل والفكر والقلب التي امتاز بها البشر لتكون رائد الانسان المؤتمن فى هذه الحياة ، فليس فى شرع الله ما يعيق التقدم الحضارى أو يعارض العقول السليمة ، وانما ينبغي اذن الاسترشاد بهدى الله وادامة النظر والبحث والانطلاق ، كما أكد القرآن فى آفاق الكون من أجل العمار والبناء والانتاج وصدق الله العظيم حيث يقول :

« أو لم يتفكروا فى أنفسهم ما خلق الله السموات والأرض وما بينهما الا بالحق وأجل مسمى » .

بأقلام القراء

يعبرون فيه عن أفكارهم
دون أن تلتزم المجلة بآرائهم

التصور الإسلامي للوجود

في هذه الكلمة يتحدث الأستاذ عدنان سعد الدين من ــ دبي ــ عن المجتمع العربي الاسلامي وأنه سيظل ديني التفكير في تصوير الوجود وغايته . وخلقي النزعة في حل كل مشكلاته الاجتماعية ، فيقول :

لقد تعرض الاسلام شأنه شأن الأديان التي سبقته ، والنظريات التي لحقته للهجوم والنقد والدحض بمختلف الطرق والأساليب ، ومع ذلك ظل ثابتا كالطود ، شامخا كالشم الراسيات قادرا على قبول جميع التحديات الحضارية والمذهبية ، مدللا على أنه وحده محط آمال شعوب الأرض قاطبة ، وقد حاول خصومه دحضه بالأسلوب نفسه الذى اتخذه خصوم المسيحية فى أوربا مستهدفين عزله عن شئون الحياة وحصره بعيدا عن كل التحولات الاجتماعية وحياة الناس ، ولكن جميع البراهين والأدلة التي حشدها هؤلاء كانت تأتى بنتائج عكسية وعلى غير ما يروم أصحابها .

فالقياس الذى استندوا اليه فى تشبيه التاريخ العقائدى فى أوربا بمثله فى البلاد العربية والاسلامية قياس خاطىء يفتقر الى التجانس والتقابل بين وجهى الشبه .

فاذا كان تاريخ أوربا العقائدى وتطوره الحضارى قد سار الى طريق الفصل بين كل ما هو زمنى وما هو دينى أو ما هو مادى وما هو روحى ، واذا كانت غاية ذلك اغتصاب فكرة التنظيم الاجتماعي من الدين ، فان هذه النتيجة لا تتواءم مطلقا وطبيعة كياننا الحضارى فى اندماجه مع الاسلام من ناحية ، ومن التوافق المتين ما بين التنظيم الاجتماعي والاعتبارات الروحية من جهة أخـرى .

وبمعنى آخر اذا كان الدين قد انفصل عن الدولة فى الحضارة الأوربية ، وتأكد هذا الانفصال فى كثير من الفلسفات والمذاهب الاجتماعية ، كما دعم تاريخيا فى الثورتين الفرنسية والبلشفية ، فليس لهذا الانفصال محل فى الحضارة العربية التي ما كانت لترى الوجود لو لم تعرف الاسلام ، ولسنا فى حاجة الى الاستشهاد بالنصوص والتفاسير فهذا أكبر من التدليل عليه ، وانما نعرض لرأى أحد كبار المفكرين الغربيين السيد (ك. سميث) فى كتابه الاسلام فى العالم الحديث حيث يقول :

لا ينظر الاسلام الى التصرفات الفردية على أنها تصرفات وقتية ، وانما هو يعلم أن لكل حركة يتحركها الانسان دلالتين فى آن واحد احداهما عارضة فى هذا العالم الدنيوى الزائل ، والأخرى خالدة فى العالم الباقى حيث يسأل كل فرد يوم الحساب عن نصيبه الشخصى فيها ، أما التصرفات الجماعية فانها تمثل أكثر المحاولات الجدية اصرارا فى سبيل تحقيق عدالة اجتماعية فى الأرض .

ولئن اعتقد المسلمون أن الحياة الآخرة أهم من الحياة الدنيا ، الا أنهم اعتقدوا فى ذات الوقت أنه لا يجوز أن يجرفهم مجرى التاريخ الى غير غاية ، وأنه لا يكون لهذا التاريخ معنى الا بقدر ما يتحقق فيه من

الكمال الانسانى فى هذا العالم ، ولهذا السبب يصر المسلمون على التسامى فى كل خطوة يخطوها المسلمون فى العملية التاريخية ، وفى هذا ضمان ألا ينحرف الانسان خلال سيره فى التاريخ أمام ما يحققه من تقدم ، وهذا ما طبع التاريخ الاسلامي بسمات خاصة ومميزة ، لقد سعى المسلمون داخل هذا التاريخ الى نوع من المجتمع يكون مناسبا للفرد وللجماعة فى حياتهم الزمنية ، وأن يكون صالحا فى نفس الوقت لأن يهيئهم لحياة الخلد فى العالم الآخر ، وذلك بالتزام الحق وطريق الاستقامة .

واذن فالحضارة العربية ترتكز أساسا على دعائم دينية لأن الشعب العربى متدين بطبعه ، بمعنى أن غايته فى الوجود يحددها الدين ، كما ترتكز حضارتنا على دعائم من الخلق والمثل وتؤمن بالروحانيات والقيم ، فالخلق كلهم عيال الله وأحبهم اليه أنفعهم لعياله ، وأمتنا بهذا الوصف تستمد قيمتها من الايمان بالله جل وعلا ، ومن الثقة بذاتها ، ومن هذا التقويم المثالى تناهض أى اتجاه يتعارض وهذا الايمان .

هذا قبس من نور الاسلام لا يستطيع كل ظلام الدنيا أن يطمس نوره ، فالى التائهين الذين ينشدون الحق ولا يجدونه ، الى الحيارى الذين سلخوا معظم أعمارهم راكضين خلف السراب يظنونه الماء الفرات ، الى الذين يبحثون عن شاطىء الأمان فى تيه الضلال ، الى كل هؤلاء نقدم محض النصح أن يفتحوا أعينهم على نور الاسلام ، فالحياة بدونه ظلمات بعضها فوق بعض ، ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور .

الحَج ووحدة المسلمين

وتلقينا من الأستاذ مكرم السيد البرزنجي المحامي من-كفرى ـ العراق ـ كلمة عن الحج المبرور عرض فيها لأحكام الحج وفضائله وآثاره الدينية والدنيوية ، فيقول :

الحج فريضة الله على كل مسلم ومسلمة بشرط القدرة والاستطاعة ، وتهدف كسائر الفرائض الى الكثير من الخير للانسان فردا وجماعة ، وفيها كثير من العبر والعناء ورياضة الـروح . وفى الحج يقف الحاجون حفاة عراة متساوين لا ميزة لكبير على صغير ولا لغنى على فقير ولا لعظيم على وضيع ، بل انهم اخوة لا فرق بين عربيهم وأعجميهم الا بالتقوى فهم سواسية كأسنان المشط أمام خالقهم سبحانه وتعالى .

وللحج منافع دينية ودنيوية معا ، والدين والدنيا فى نظر القرآن مترابطان ترابط الروح بالجسد ، فاذا كان الدين يمد الروح بالايمان الصحيح والآداب فان أمور الدنيا تمده بأسباب البقاء ودواعى الارتقاء ، وفى هذا المؤتمر الاسلامي العام يتدارس المسلمون مشاكلهم على ضوء تعاليم الاسلام وليعملوا على رفع منار الاسلام والمسلمين ، لا سيما وأن المسلمين يواجهون أخطارا عديدة كخطر المستعمر الكافر الذى يريد أن ينهب خيرات المسلمين وينشر الفساد والمنكرات فى بلاد المسلمين . وخطر الالحاد الذى انتشر فى جميع البلاد الاسلامية ، وخطر ثالث هو خطر الصهاينة الذين اغتصبوا أقدس بقعة فى بقاع المسلمين ، وأن الغربيين فقهوا وعرفوا هذه الحكمة الجليلة وحسبوا لها ألف حساب فتخوفوا من اجتماع كلمة المسلمين كثيرا ، وهذه مقالة لأحد عظمائهم فى هذا الشأن وهو « الدكتور فيليب » فيقول فى الحج عجبا .« ولا يزال الحج على كر العصور نظاما لا يبارى فى تشديد عرى التفاهم الاسلامي والتأليف بين مختلف طبقات المسلمين ، وبفضله يتسنى لكل مسلم أن يكون رحالة مرة فى حياته على الأقل ، وأن يجتمع مع غيره من المؤمنين اجتماعا اخويا ويوحد شعوره مع شعور سواه من القادمين من أطراف الأرض ، وبفضل هذا النظام يتيسر للزنوج والبربر والصينيين والترك والفرس والعرب وغيرهم ، أغنياء كانوا أم فقراء عظماء أو صعاليك أن يتألفوا الفة وايمانا وعقيدة ، وقد أدرك الاسلام نجاحا لم يتحقق لدين آخر من أديان العالم فى القضاء على فوارق الجنس واللون والقومية خاصة بين أبنائه ، فهو لا يعترف بفاصل بين أفراد البشر الا الذى يقوم بين المؤمنين وبين غيرهم . ولا شك أن الاجتماع فى مواسم الحج أدى خدمة كبرى فى هذا السبيل .. » هذا حديث لرجل غربى لم يؤمن بالحج ، فلله ما أعظم دين الاسلام وأجله .

اخبار العالم الإسلامي

الكويت

* فى الخامس والعشرين من فبراير احتفلت الحكومة والشعب بالعيد الوطنى السادس وأقامت وزارة التربية مهرجانا رياضيا كبيرا بهذه المناسبة تحت رعاية سمو أمير البلاد كما أقيم استعراض كبير للجيش الكويتي بهذه المناسبة الكريمة .

* زار الكويت صاحب الفخامة الرئيس اللبناني لمدة أربعة أيام بدأت فى ١١ فبراير ١٩٦٧ وقد بحث مع سمو أمير البلاد وسائل تنقية الجو العربي وتدعيم التعاون العربي وخاصة بين البلدين .

* أعلن صاحب السمو أمير البلاد المعظم لمدير اليونسكو أن الكويت تؤيد كل خطوة تتخذها المنظمة فى طريق العلم والسلام وخير الانسانية جمعاء .

* من المنتظر أن يبدأ العمل قريبا فى مدينتى الحجاج الكويتيين بمكة المكرمة والمدينة المنورة ، والمعروف ان ثمن الارض كان من أموال حضرة صاحب السمو أمير البلاد المعظم .

* زف حضرة صاحب السمو أمير البلاد المعظم الى الشعب الكويتي بشرى اكتشاف ينابيع الماء العذب بفزارة بحيث يكفى السكان مدة لا تقل عن مائة عام .

* اشتركت الكويت فى اجتماعات الدورة الثامنة للهيئة الفنية لرعاية الشباب التى عقدت فى طرابلس ليبيا فى اواخر فبراير ٦٧ .

* بدأ الموسم الثقافى لوزارة الاوقاف والشئون الاسلامية فى السادس من شهر مارس الحالى . حيث ألقى الدكتور أديب صالح محاضرتين ، وسيشترك فى هذا الموسم الشيخ علي الخفيف والدكتور عبد العزيز كامل والاستاذ يوسف العظم ....

الجمهورية العربية المتحدة

* أصدر الرئيس عبد الناصر توجيها الى السيد وزير الاوقاف باقامة مسجد فى كل ناد رياضى حتى يتوفر للشباب الرياضة الروحية بجانب الرياضة البدنية وقد خصص السيد الوزير خمسة آلاف جنيهلهذا الفرض .

* اتفق المجمع اللغوى بالقاهرة مع المجمع العلمى العراقي فى مؤتمرهما اللغوى السنوى على استخدام اللغة العربية الفصحى وعدم اللجوء الى العامية الا فى أضيق الحدود .

* تلقت المحاكم التعليمات الخاصة بالقرار الجديد الذى ينص على عدم تنفيذ احكام الطاعة بواسطة الشرطة لأن الاسلام لايبنى الاسر على القوة وانما على الرغبة والمحبة .

* عقدت اللجنة الثقافية الدائمة للجامعة العربية دورتها العشرين لتنسيق النشاط الثقافي العربي فى الدول الآسيوية والافريقية واستخدام العربية الفصحى كلغة عمل بمكتب التربيةبجنيفوالترشيح لجائزة نوبل .

* أرسل المجلس الاعلى للشؤون الاسلامية برقية الى البطل محمد علي (كلاى) بعد فوزه الاخير لزيارة القاهرة .

* بعثت الجمهورية العربية المتحدة الى الجامعة ووزارة العدل بالكويت بدعوة للاشتراك فى أسبوع الفقه الاسلامى الثالث بالقاهرة .

المملكة العربية السعودية

* يقوم البطل محمد علي (كلاى) بأداء فريضة الحج تلبية لدعوة تلقاها من جلالة الملك فيصل .

* تبرع جلالة الملك فيصل بمبلغ خمسين ألف جنيه استرليني للاجئين الصوماليين القادمين من الصومال الفرنسي .

* قدمت المملكة العربية السعودية منحة قيمتها عشرة آلاف جنيه استرلينى لمؤسسة الدراسات الفلسطينيــة .

* بدأت الادارة العامة للكليات والمعاهد العلمية موسمها الثقافى السنوى هذا العام وقد أعدت لذلك مجموعة من المحاضرات فى التشريع والاقتصاد الاسلامى والتربية والتاريخ وشؤون الاسرة .

* قام وزير الشؤون الاجتماعية بجولة الى المغرب وتونس والنيجر لتنمية التعاون الثقافي والاجتماعي.

الجمهورية العراقيــة

* قام الرئيس العراقي عبد الرحمن عارف بزيارة تركيا يوم ١٩ فبراير ١٩٦٧ .

* فى رسالة أرسلها الملا مصطفى البرزاني مع ولده للمسئولين العراقيين انه سيسير وراء قيــادة الرئيس عارف .

* سيقوم الرئيس عبد الرحمن عارف بزيارة الى ايران تستمر ستة أيام ابتداء من ١٤ مارس المقبل .

* قام السيد ناجى طالب رئيس وزراء العراق بزيارة لسوريا استغرقت يومين .

الاردن

* قام جلالة الملك حسين فى مطلع فبراير ١٩٦٧ بجولة فى منطقة الخليج العربي ، زار خلالها الكويت وأبو ظبي والبحرين ودبي ، والمملكة العربية السعودية .

* أصدر وزير الجمارك قرارا باعفاء مستوردات المساجد من الجمارك بعد تقديم توصية من قاضى القضــاة .

* تبرع الشيخ زايد حاكم أبو ظبى بثلاثة ملايين ونصف جنيه استرلينى لتقوية الدفاع الاردنى .

لبنـــان

* يزور فضيلة الشيخ حسن خالد مفتى لبنان الجمهورية العربية المتحدة لمدة اثنى عشرة يوما بدعوة من الامام الاكبر شيخ الجامع الازهــر .

الجزائـــر

* أدان الرئيس بومدين (الميني جوب) وهى الملابس فوق الركبةوقال انها عار القرن العشرين،وجرثومة خطيرة للمجتمع وتقاليده الاسلامية .

المغـــرب

* قام جلالة الملك الحسن بزيارة للولايات المتحدة الامريكية تباحث خلالها مع الرئيس جونسون والمستر ثانت سكرتير عام الامم المتحدة .

تركيـــا

* صرح السيد جودت سوناى رئيس الجمهورية التركية بأن سياسة تركيا تتقارب مع الدول العربية وأنه يؤيد حقوق شعب فلسطين .

أندونيســيا

* أعلن زعماء اندونيسيا للوفد الاسلامى الذى يزورها من الجمهورية العربية المتحدة انهم يؤيدون حق الشعب الفلسطيني المغتصب .

أخبار متفــرقة

باريس : وافقت منظمة اليونسكو على جعل اللغة العربية لغة رسمية فى المنظمة .

نيويورك : ستقام مؤسسة تضم مسجدا ومدرسة ومكتبة تتكلف (٦ ملايين دولار) فىمنطقةالمتروبوليتان التى يسكنها حوالى (٧٠ ألف) مسلم . وسيقوم وفد من ممثلى الدول الاسلامية فى نيويورك بجولة فىالبلاد الاسلامية لجمع التبرعات .

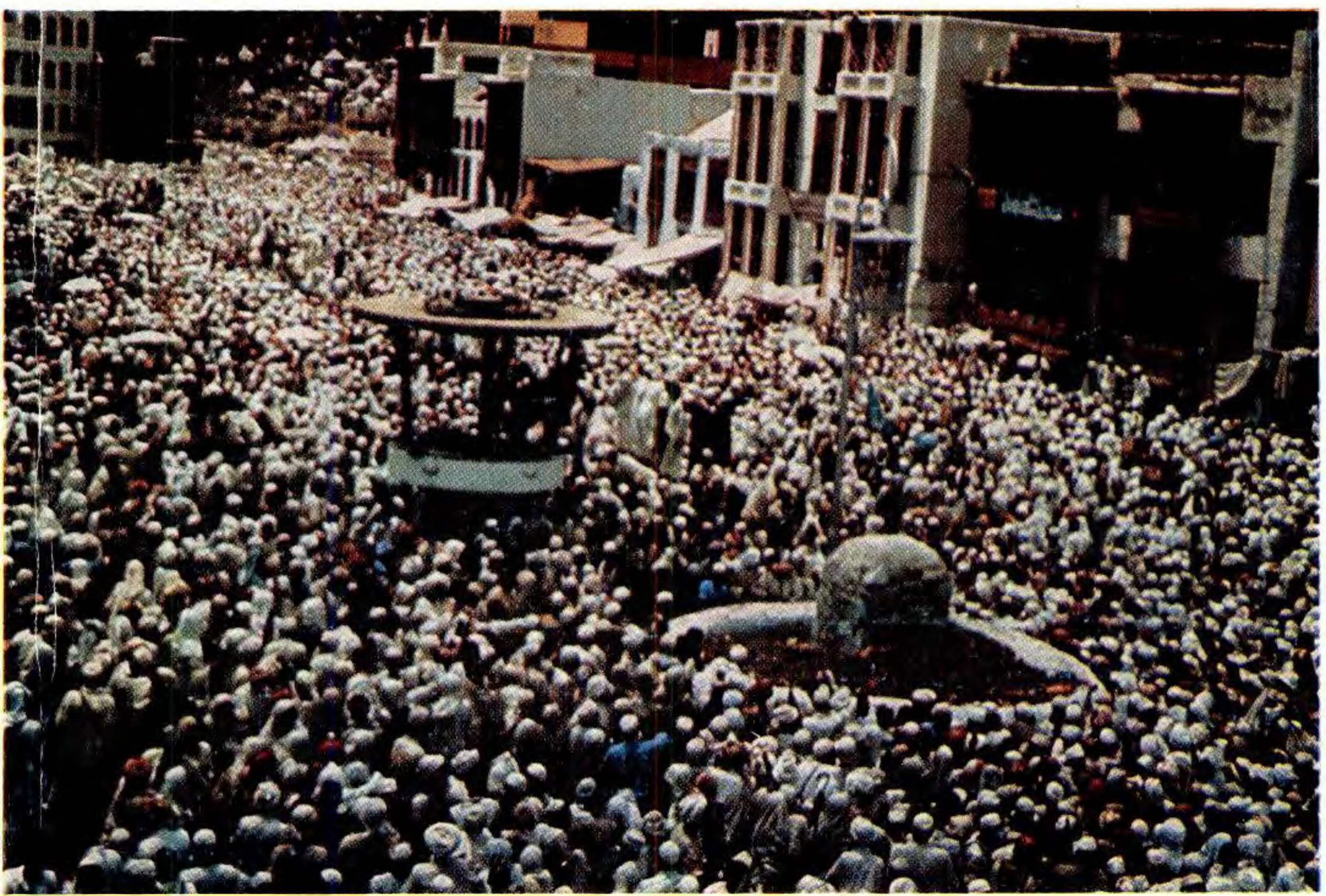
الهند : يدعو رئيس الاوقاف الاسلامية الى جمع تبرعات ورصد اوقاف تكفى لتمويل معهد دينى يتبع الازهر الشريف ويتولى التدريس فيه علماء أزهريون .

« الى راغبى الاشتراك »

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك فى المجلة . ورغبة منـــا فى تســـهيل الامر عليهم ، وتفاديا لضيـــاع المجلة فى البريد ، رأينا عدم قبـــول الاشتراكات عندنا من الان ، وعلى الراغبين فى الاشتراك ان يتعاملوا رأســـا مع متعهد التوزيع عنـــدهم ، وهـــذا بيـــان بالمتعهديـــن ،

القاهرة : شركة توزيع الاخبـــار ــ ٧ شارع الصحافــة
مكة المكرمـــــة : مكتبة الثقافة للصحافة . ص.ب ١٤٦
المدينة المنورة : مكتبة ومطبعة ضياء ــ السيد محمد زين العابدين ضياء
الريـــاض : مكتبة المدينة ــ ص.ب ١٩ ــ السيد احمد باصريح
الطائـــف : مكتبة الثقافة للصحافة ــ عمارة ابن الملوح ــ ص.ب ٢٢
جـــــده : مكتبة الصلاح العالمية ــ عمارة البنك الاهلى ص.ب ٦٣٥
بغـــداد : مكتبة المثنى ــ السيد قاسم محمد الرجب
الخبر : مكتبة النجاح الثقافية ــ ص.ب ٧٦ ــ السيد محمد سعيد بابيضان
البحرين : المكتبة الوطنية وفروعها ــ المنامة ــ السيد فاروق ابراهيم عبيد
قطـــر : مكتبة العروبة ص.ب : ٥٢
عـــدن : وكالة الاهرام التجارية ــ السيد محمد قائد محمد
المـــكلا : ص ب ٢٨ ــ حضرموت ــ مكتبة الشعب المحـــدودة
دبـــى : ساحل عمان ــ ص.ب ٢٦١ ــ السيد عبد الله حسن الرستمانى
مســـقط : المكتبة الاهلية ص ب ١٥٧
عمان والقدس : وكالة التوزيع الاردنيـــة ــ السيد رجا العيســـى
دمشـــق : الشركة العامة للمطبوعات ص.ب : ٢٣٦٦
بيروت : الشركة العربية للتوزيع ص ب ٤٢٢٨
الســـودان : ــ الخرطوم ــ السيد حسن نجيله ص ب ٤٢٤
بور سودان : السيد عطا المنـــان . مكتبة كررى ص.ب : ٣٠٣
مراكـــش : الدار البيضاء ــ مكتبة الوحدة العربية ــ السيد أحمد عيسى
ليبـــــيا : طرابلس الغرب ص.ب ١٣٢ ــ السيد محمد بشير الفرجانى
بنغـــازى : مكتبة الوحدة العربية ص.ب ٢٨٠ ــ السيد الشعالى الخراز
الكويت : مكتب منار للتوزيع ٢١ شارع فهد السالم ص.ب : ١٥٧١

ونوجه النظر الى أنه لا يوجد لدينا الان نسخ من الاعداد السابقة من المجلة



وَاذْكُرُوا اللهَ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ فَمَن تَعَجَّلَ
فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَا
إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَى وَاتَّقُوا اللهَ وَاعْلَمُوا
أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ۞ سورة البقرة آية ٢٠٤ .

مطبعة حكومة الكو